قصص المصباح المضيء

الجزء

٢١ـ ٢٤

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

قصص المصباح المضيء

الجزء ٢١

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة


جمال شاهين


قصص المصباح المضيء
الجزء الحادي والعشرين

قصص قرآنية

أصحاب الجنة

قال الله تعالى)) :إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ(١٧(وَلَا يَسْتَثْنُونَ(18)فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ(19)فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ(20)فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ(21)أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَارِمِينَ(22)فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ(23)أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ(24)وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ(25)فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ(26)بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (27)قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ(28)قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ(29)فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ(30)قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ(31)عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ(32)كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .(((33)القصة: كان شيخ كبير كانت له جنة، وكان لا يدخل بيته ثمرة منها ولا إلى منزله حتى يعطي كل ذي حق حقه. فلما قبض الشيخ وورثه بنوه – وكان له خمسة من البنين– فحملت جنتهم في تلك السنة التي هلك فيها أبوهم حملا لم يكن حملته من قبل ذلك، فراح الفتية إلى جنتهم بعد صلاة العصر فشاهدوا ثمرا ورزقا فاضلا لم يعاينوا مثله في حياة أبيهم. فلما نظروا إلى الفضل طغوا وبغوا، وقال بعضهم لبعض: إن أبانا كان شيخا كبيرا قد ذهب عقله وخرف، فهلموا نتعاهد ونتعاقد فيما بيننا أن لا نعطي أحدا من فقراء المسلمين في عامنا هذا شيئا، حتى نستغني وتكثر أموالنا، ثم نستأنف الصنعة فيما يستقبل من السنين المقبلة. فرضي بذلك منهم أربعة، وسخط الخامس وهو الذي قال فيه الله تعالى) :قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون .(أي قال لهم أوسطهم :اتقوا الله وكونوا على منهاج أبيكم تسلموا وتغنموا، فبطشوا به، وضربوه ضربا مبرحا فلما أيقن الأخ أنهم يريدون قتله دخل معهم في مشورتهم كارها لأمرهم، غير طائع، فراحوا إلى منازلهم ثم حلفوا بالله أن يقطفوا ثمارهم إذا أصبحوا، ولم يقولوا إن شاء الله. فأشار القرآن إلى أنهم كيف أقسموا على قطف ثمار مزرعتهم دون إعطاء الفقراء شيئا منها، وتعاهدوا على ذلك. ولكن هل فلحوا في أمرهم؟ لقد ابتلاهم الله بذلك الذنب، وحال بينهم وبين ذلك الرزق الذي كانوا أشرفوا عليه. إن الله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ما كان ليغفل عن تدبير خلقه، وإجراء سننه في الحياة. فقد أراد أن يجعل لهم آية تهديهم إلى الإيمان به والتسليم لأوامره بالإنفاق على المساكين وإعطاء كل ذي حق حقه. وأن يعلم الإنسان بأن الجزاء حقيقة واقعية، وإنه نتيجة

عمله .وإذا إستطاعوا أن يخفوا مكرهم عن المساكين، فهل يستطيعوا أن يخفوه عن عالم الغيب والشهادة؟ فأرسل الله تعالى البلاء والعذاب على ثمارهم فأصبحت سوداء محترقة فلما رأوها أدركوا في تلك اللحظة أن الحرمان الحقيقي ليس بقلة المال والجاه، وإنما الحرمان هو قلة الإيمان والمعرفة بالله. وهكذا أصبح هذا الحادث المريع بمثابة صدمة قوية أيقظتهم من نومة الضلال والحرمان، وصار بداية لرحلة المسير في آفاق التوبة والإنابة، والتي أولها اكتشاف الإنسان خطئه في الحياة. ومن هنا نعلم أن من أهم الحكم التي وراء إصابة الإنسان بالبأساء والضراء وألوان من العذاب في الدنيا، هو تصحيح مسيرته بإحياء ضميره واستثارة عقله من خلال ذلك، كما قال ربنا عز وجل) :فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون .(إنها سنة إلهية :ولعل في القصة إشارة إلى أن الله تعالى أجرى نفس السنة على المترفين أو طالهم منه شيء من العذاب في الدنيا. ومادامت السنن الإلهية في الحياة واحدة، فيجب إذن أن يعتبر الإنسان بالآخرين، سواء المعاصرين له أو الذين سبقوه، وأن يعيش في الحياة كتلميذ، لأنها مدرسة وأحداثها خير معلم لمن أراد وألقى السمع وأعمل الفكر. فهذه قصة أصحاب الجنة يعرضها الوحي لتكون أحداثها ودروسها موعظة وعبرة للإنسانية. ومن الملفت للنظر، أن القرآن في عرضه لهذه القصة لا يحدثنا عن الموقع الجغرافي للجنة، هل كانت في اليمن أو في الحبشة، ولا عن مساحتها ولا عن نوع الثمرة التي أقسم أصحابها على صرمها.. لأن هذه الأمور ليست بذات أهمية في منهج الوحي، إنما المهم المواقف والمواعظ والأحداث المعبرة، سواء فصل العرض أو اختصر.

أهل الرس

كان من قصتهم : أنهم كانوا يعبدون شجرة صنوبر وكانت لهم اثنتا عشرة قرية على شاطيء نهر يقال له الرس من بلاد المشرق ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر ولا أعمر منها . وكانت شجرة الصنوبر في أعظم قرية وهي التي ينزلها ملكهم. وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة وأجروا إليها نهراً من العين التي عند الصنوبرة فنبتت الحبة وصارت شجرة عظيمة وحرموا ماء العين والأنهار فمنعوا الناس والأنعام الشرب منها ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هو حياة آلهتنا فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتنا ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيداً يجتمع إليه أهلها ثم يأتون بشاة وبقر فيذبحونها

قرباناً للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب فإذا سطع دخان تلك الذبائح في الهواء وحال بينهم وبين النظر إلى السماء خروا سجداً يبكون ويتضرعون إلي الشجرة أن ترضى عنهم. فكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ويصيح من ساقها صياح الصبي أن قد رضيت عنكم عبادي فطيبوا نفساً وقروا عيناً. فيرفعون رؤوسهم عند ذلك ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون. حتى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع إليها صغيرهم وكبيرهم فجعلوا عند لصنوبرة والعين ديباجا عليه من أنواع الصور وجعلوا له اثنا عشر باباً كل باب لأهل قرية منهم ويسجدون للصنوبرة ويقربون لها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم. فيجيء إبليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكاً شديداً ويتكلم من جوفها كلاماً جهورياً ويعدهم ويمنيهم بأكثر مما وعدتهم ومنتهم الشياطين كلها فيحركون رؤوسهم وهم سجود فرحا فيكونون على ذلك اثنا عشر يوماً بلياليها بعدد أعيادهم سائر السنة ثم ينصرفون. فلما طال كفرهم بالله عز وجل وعبادتهم غيره بعث الله نبياً من بني إسرائيل من ولد يعقوب فلبث فيهم زماناً طويلا يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل ومعرفة ربوبيته ولكنهم لم يستجيبوا له. فلما

رأى شدة تماديهم في الغي وشاهد عيد قريتهم العظمى قال: يا رب إن عبادك أبوا إلا تكذيبي وغدوا يعبدون شجرة لا تضر ولا تنفع فأيبس شجرهم وأرهم قدرتك وسلطانك. فأصبح القوم وقد أيبس الله شجرهم كلها فصعب عليهم ذلك فصاروا فرقتين فرقة قالت: سحر آلهتكم هذا الرجل الذي زعم أنه رسول رب السماء والأرض إليكم ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى الله. وفرقة قالت: لا بل غضبت آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويدعوكم إلى عبادة غيرها فحجبت حسنها لكي تغضبوا لها. فأجمعوا رأيهم على قتله ثم حفروا بئراً ضيقة المدخل عميقة وأرسلوا فيها نبيهم ووضعوا فوق البئر صخرة عظيمة وقالوا: نرجو الآن أن ترضى عنا آلهتنا إذا رأت أنا قد قتلنا من يصد عن عبادتها. فبقوا عامة يومهم يسمعون أنين نبيهم عليه السلام وهو يقول: سيدي قد ترى ضيق مكاني وشدة كربي فارحم ضعف ركني وقلة حيلتي وعجل بقبض روحي ولا تؤخر إجابة دعوتي حتى مات. فقال الله جل جلاله لجبريل عليه السلام : أيظن عبادي هؤلاء الذين غرهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسولي أن يقوموا لغضبي أو يخرجوا من سلطاني كيف وأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عقابي وإني حلفت بعزتي لأجعلنهم عبرة للعالمين. ففوجئوا

وهم في عيدهم ذلك بريح عاصف شديد الحمرة فتحيروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم إلى بعض ثم صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقد وأظلتهم سحابة سوداء فألقت عليهم جمراً يلتهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص بالنار. فنعوذ بالله تعالى من غضبه ونزول نقمته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أصحاب السبت

أبطال هذه الحادثة، جماعة من اليهود، كانوا يسكنون في قرية ساحلية. اختلف المفسّرون في اسمها، ودار حولها جدل كثير. أما القرآن الكريم، فلا يذكر الاسم ويكتفي بعرض القصة لأخذ العبرة منها. وكان اليهود لا يعملون يوم السبت، وإنما يتفرغون فيه لعبادة الله. فقد فرض الله عليهم عدم الانشغال بأمور الدنيا يوم السبت بعد أن طلبوا منه سبحانه أن يخصص لهم يوما للراحة والعبادة، لا عمل فيه سوى التقرب لله بأنواع العبادة المختلفة. وجرت سنّة الله في خلقه وحان موعد الاختبار والابتلاء اختبار لمدى صبرهم واتباعهم لشرع الله وابتلاء يخرجون بعده أقوى عزما، وأشد إرادة تتربى نفوسهم فيه على ترك الجشع والطمع، والصمود أمام المغريات. لقد ابتلاهم الله عز وجل، بأن جعل الحيتان تأتي يوم السبت للساحل، وتتراءى لأهل القرية، بحيث يسهل صيدها ثم تبتعد بقية أيام الأسبوع. فانهارت عزائم فرقة من القوم، فاحتالوا على الله وبدؤوا بالصيد يوم السبت. لم يصطادوا السمك مباشرة، وإنما أقاموا الحواجز والحفر، فإذا قدمت الحيتان يوم السبت، علقت في تلك الحواجز ثم يصطادونها يوم الأحد. كان هذا الاحتيال صيدا في يوم السبت، وهو محرّم عليهم. فانقسم أهل القرية لثلاث فرق فرقة عاصية، تصطاد بالحيلة وفرقة لا تعصي الله، وتقف موقفا إيجابيا مما يحدث، فتأمر بالمعروف وتنهى عن المكر، وتحذر المخالفين من غضب الله وفرقة ثالثة، سلبية، لا تعصي الله لكنها لا تنهى عن المنكر. وكانت الفرقة الثالثة، تتجادل مع الفرقة الناهية عن المنكر وتقول لهم: ما فائدة نصحكم لهؤلاء العصاة؟ إنهم لن يتوفقوا عن احتيالهم، وسيصبهم من الله عذاب أليم بسبب أفعالهم فلا فائدة من تحذيرهم بعدما كتب الله عليهم الهلاك لانتهاكهم حرماته. وبصرامة المؤمن الذي يعرف واجباته، كان الناهون عن المنكر يجيبون: إننا نقوم بواجبنا في الأمر بالمعروف وإنكار المنكر، لنرضي الله سبحانه، ولا تكون علينا حجة يوم القيامة. وربما تفيدهم هذه الكلمات، فيعودون إلى رشدهم، ويتركون عصيانهم. بعدما استكبر العصاة المحتالون، ولم تجد كلمات المؤمنين نفعا معهم، جاء أمر الله، وحل بالعصاة العذاب.

لقد عذّب الله العصاة وأنجى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. أما الفرقة الثالثة، التي لم تعص الله لكنها لم تنه عن المنكر، فقد سكت النصّ القرآني عنها. لقد كان العذاب شديدا لقد مسخهم الله، وحوّلهم لقردة عقابا لهم لإمعانهم في المعصية. وتحكي بعض الروايات أن الناهون أصبحوا ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد. فتعجبوا وذهبوا لينظروا ما الأمر. فوجودا المعتدين وقد أصبحوا قردة. فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة؛ فجعلت القردة تأتي نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي؛ فيقال لهم: ألم ننهكم! فتجيب القردة برأسها! نعم.

أصحاب الفيل

كانت اليمن تابعة للنجاشي ملك الحبشة. وقام والي اليمن)أبرهة (ببناء كنيسة عظيمة، وأراد أن يغيّر وجهة حجّ العرب. فيجعلهم يحجّون إلى هذه الكنيسة بدلا من بيت الله الحرام وذلك قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقد كانت العرب تحج إلى بيت الله الحرام على ملة ابراهيم عليه السلام. فكتب أبرهة إلى النجاشي: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنتته حتى أصرف إليها حج العرب. إلا أن العرب أبوا ذلك. وقيل إن رجلا من العرب ذهب وأحدث في الكنيسة تحقيرا لها. وإن بنو كنانة قتلوا رسول أبرهة الذي جاء يطلب منهم الحج للكنيسة. فعزم أبرهة على هدم الكعبة. وجهّز جيشا جرارا، ووضع في مقدمته فيلا مشهورا عندهم . فعزمت العرب على قتال أبرهة. وكان أول من خرج للقائه، رجل من أشراف اليمن دعا قومه فأجابوه، والتحموا بجيش أبرهة لكنه هُزِم وسيق أسيرا إلى أبرهة .ثم وصل أبرهة ورجاله إلى الطائف، فقال قوم من الطائف لأبرهة إن الكعبة موجودة في مكة– حتى لا يهدم لهم بيت اللات الذي بنوه في الطائف– وأرسلوا مع الجيش رجلا منهم ليدلّهم على الكعبة. أرسل أبرهة كتيبة من جنده، ساقت له أموال قريش وغيرها من القبائل وكان من بين هذه الأموال مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، كبير قريش وسيّدها. ثم انطلق عبد المطلب إلى أبرهة. ثم قال لترجمانه: قل له: ما حاجتك؟ فقال :حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي. فلما قال ذلك قال أبرهة لترجمانه : قل له: أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ولا تكلمني فيه؟ قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل وإن للبيت رب سيمنعه .فاستكبر أبرهة وقال: ما كان ليمتنع مني. قال: أنت وذاك!.. فردّ أبرهة على عبد المطلب إبله. ثم عاد عبد المطلب إلى قريش

وأخبرهم بما حدث، وأمرهم بالخروج من مكة والبقاء في الجبال المحيطة بها. ثم توجه هو ورجال من قريش إلى للكعبة وأمسكوا حلقة بابها، وقاموا يدعون الله ويستنصرونه ثم ذهب هو ومن معه إلى الجبل. ثم أمر أبرهة جيشه والفيل في مقدمته بدخول مكة إلا أن الفيل برك ولم يتحرك. فضربوه ووخزوه، لكنه لم يقم من مكانه. فوجّهوه ناحية اليمن، فقام يهرول. ثم وجّهوه ناحية الشام، فتوجّه. ثم وجّهوه جهة الشرق، فتحرّك. فوجّهوه إلى مكة فَبَرَك. ثم كان ما أراده الله من إهلاك الجيش وقائده فأرسل عليهم جماعات من الطير، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار: حجر في منقاره وحجران في رجليه لا تصيب منهم أحدا إلا هلك. فتركتهم كأوراق الشجر الجافة الممزقة. وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به يتساقط لحمه قطعا صغيرة.

قصص من السيرة

استشهاد حمزة

العام الهجري : ٣ الشهر القمري : شوال العام الميلادي : ٦٢٥ تفاصيل الحدث: عن عُبيدِ الله بن عَدِيِّ بنِ الخِيارِ أنَّه سأَلَ وَحْشِيًّا قاتلَ حَمزةَ، ألا تُخبِرُنا بِقتلِ حَمزةَ؟ قال: نعم، إنَّ حَمزةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بنَ عَدِيٍّ بنِ الخِيارِ ببَدرٍ، فقال لي مولايَ جُبيرُ بنُ مُطْعِمٍ: إن قَتلتَ حَمزةَ بِعَمِّي فأنت حُرٌّ، قال: فلمَّا أن خرج النَّاسُ عامَ عَيْنَيْنِ، وعَيْنَيْنُ جبلٌ بِحِيالِ أُحُدٍ، بينه وبينه وادٍ، خرجتُ مع النَّاسِ إلى القِتالِ، فلمَّا أن اصْطَفُّوا للقِتالِ، خرج سِباعٌ فقال: هل مِن مُبارِزٍ؟ قال: فخرج إليه حَمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، فقال: يا سِباعُ، يا ابنَ أُمِّ أَنْمارٍ مُقَطِّعَةِ البُظورِ، أَتُحادُّ اللهَ ورسولَهُ صلى الله عليه وسلم؟ قال: ثمَّ شَدَّ عليه، فكان كأَمسِ الذَّاهبِ، قال: وكَمَنْتُ لِحَمزةَ تحتَ صَخرةٍ، فلمَّا دَنا مِنِّي رَميتُهُ بِحَربَتي، فأضعُها في ثُنَّتِهِ حتَّى خَرجتْ مِن بين وَرِكَيْهِ، قال: فكان ذاك العهدُ به، فلمَّا رجع النَّاسُ رجعتُ معهم، فأَقمتُ بمكَّةَ حتَّى فَشا فيها الإسلامُ، ثمَّ خَرجتُ إلى الطَّائفِ، فأَرسلوا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم رسولًا، فقِيلَ لي: إنَّه لا يَهيجُ الرُّسُلَ. قال: فخَرجتُ معهم حتَّى قَدِمتُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فلمَّا رآني قال: «آنت وَحْشِيٌّ؟». قلتُ: نعم. قال: «أنت قَتلتَ حَمزةَ؟». قلتُ: قد كان مِنَ الأمرِ ما بَلغكَ. قال: «فهل تَستَطيعُ أن تُغَيِّبَ وَجهَك عَنِّي» قال: فَخرجتُ فلمَّا قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فخرج مُسَيْلِمَةُ الكذَّابُ، قلتُ: لأَخرُجَنَّ إلى مُسَيْلِمَةَ، لَعَلِّي أقتُلُه فأُكافِئَ به حَمزةَ، قال: فخرجتُ مع النَّاسِ، فكان مِن أَمرِهِ ما كان، قال: فإذا رجلٌ قائمٌ في ثَلْمَةِ جِدارٍ، كأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرقُ ثائِرُ الرَّأسِ، قال: فَرمَيْتُه بِحَربَتي، فأَضعُها بين ثَدييهِ حتَّى خَرجتْ مِن بين

كَتِفَيْهِ، قال: ووثبَ إليه رجلٌ مِنَ الأنصارِ فضَربهُ بالسَّيفِ على هامَتِهِ.

غزوة احد

العام الهجري : ٣ الشهر القمري : شوال العام الميلادي : ٦٢٥تفاصيل الحدث: كان سببُها أنَّ المشركين حين قُتِلَ مَن قُتِلَ مِن أَشرافِهِم يوْمَ بَدْرٍ، وسَلمَت العِيرُ بما فيها مِنَ التِّجارةِ التي كانت مع أبي سُفيانَ، فلمَّا رجع فَلُّهُم إلى مكَّةَ قال أبناءُ مَن قُتِلَ، ورُؤساءُ مَن بَقِيَ لأبي سُفيانَ: ارْصُدْ هذه الأموالَ لِقتالِ محمَّدٍ، فأَنفَقوها في ذلك، وجمعوا الجُموعَ والأَحابيشَ وأَقبلوا في قَريبٍ مِن ثلاثةِ آلافٍ، حتَّى نزلوا قريبًا مِن أُحُدٍ تِلْقاءَ المدينةِ، فصلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومَ الجُمعةِ، فلمَّا فَرَغَ منها صلَّى على رجلٍ مِن بني النَّجَّارِ، يُقالُ له: مالكُ بنُ عَمرٍو، واسْتَشار النَّاسَ: أَيخرُجُ إليهِم، أمْ يَمكُثُ بالمدينةِ؟ فأشار عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ بالمقامِ بالمدينةِ، فإن أقاموا أقاموا بِشَرِّ مَحْبسٍ وإن دخلوها قاتلَهُم الرِّجالُ في وُجوهِهِم، ورَماهم النِّساءُ والصِّبيانُ بالحِجارةِ مِن فوقِهِم، وإن رجعوا رجعوا خائِبين. وأشار آخرون مِنَ الصَّحابةِ ممَّن لم يَشهدْ بدرًا بالخُروجِ إليهم، فدخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلَبِسَ لَأْمَتَهُ وخرج عليهِم... فسار في ألفٍ مِن أصحابِهِ، فلمَّا كان بالشَّوطِ رجع عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ في ثُلُثِ الجيشِ مُغْضَبًا؛ لِكَونِه لم يُرجَعْ إلى قولِه، وقال هو وأصحابُه: لو نعلمُ اليومَ قِتالًا لاتَّبَعناكُم، ولكِنَّا لا نَراكُم تُقاتلون اليومَ. واستَمرَّ رسولُ الله ﷺ سائرًا حتَّى نزل الشِّعْبَ مِن أُحُدٍ في عَدْوَةِ الوادي. وجعل ظَهرَهُ وعَسكرَهُ إلى أُحُدٍ، وتَهَيَّأَ رسولُ الله ﷺ للقِتالِ وهو في سبعمائةٍ مِن أصحابِهِ، وأمَّرَ على الرُّماةِ عبدَ الله بنَ جُبَيْرٍ أخا بني عَمرِو بنِ عَوفٍ، والرُّماةُ يَومئذٍ خمسون رجلًا. فقال: انْضَحْ الخَيْلَ عَنَّا بالنَّبْلِ، لا يَأتونا مِن خَلفِنا، إن كانت لنا أو علينا، فاثْبُتْ مكانَك لا نُؤْتَيَنَّ مِن قِبَلِكَ، وظاهَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين دِرعَين، وأَعطى اللِّواءَ مُصعبَ بنَ عُميرٍ أخا بني عبدِ الدَّارِ، وأجاز رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعضَ الغِلْمانَ يَومئذٍ وأَرجأَ آخرين، وتَعبَّأَتْ قُريشٌ وهُم ثلاثةُ آلافٍ، ومعهم مائتا فَرَسٍ قد جَنَبُوها، فجعلوا على مَيْمَنةِ الخَيْلِ خالدَ بنَ الوليدِ، وعلى المَيسَرةِ عِكْرِمةَ بنَ أبي جَهْلٍ، ودفعوا إلى بني عبدِ الدَّارِ اللِّواءَ... ثمَّ كان بين الفَريقين ما كان، وكانت بَوادرُ النَّصرِ تَلوحُ لِصالحِ المسلمين، فلمَّا رَأى المسلمون تَقَهْقُرَ المشركين أَهملَ الرُّماةُ وَصِيَّةَ نَبِيِّهِم لهم ونزلوا يَحصُدون الغَنائمَ، فانْتهَز خالدُ بنُ الوليدِ الفُرصةَ فالْتَفَّ خَلفَهم وأَعملَ الحربَ فيهم، ممَّا أَدَّى لِقَلْبِ الموازينِ وانْجَلَتِ المعركةُ عن مَقْتَلِ سبعين رجلًا مِن المسلمين مِنهم حمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلبِ، ومُصعبُ بنُ عُميرٍ، وعبدُ الله بنُ حَرامٍ

والدُ جابرٍ، وعبدُ الله بنُ جُبيرٍ أَميرُ الرُّماةِ....

خديجة بنت خويلد

هي أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد بن أسدٍ بن عبد العزَّى بن قصي القرشية الأسدية، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم، يمتد نسبها إلى لؤي بن غالب الذي تنتسب إليه قريش. ويلتقي نسبها بنسب النبي صلى الله عليه وسلم في الجد الخامس قصي بن كلاب، وهي أقرب أمهات المؤمنين إلى النبي صلى الله عليه وسلم في النسب، ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها إلا أم حبيبة. ولدت بمكة قبل عام الفيل بخمسة عشر عامًا تقريبًا، ونشأت في بيت من أعرق بيوت قريشٍ نسبًا وحسبًا وشرفًا، فكان والدها زعيم بني أسد بن عبد العزى، شقيق عبد مناف وخليفته، وإليه ينتهي الفضل والكرم والسيادة بين قومه وعشيرته، يطيعونه ويهابونه ويحترمون رأيه ويقدرونه .وقد نشأت على التخلُّق بالأخلاق الحميدة، وكان من صفاتها الحزم والعقل والعفة.

السيدة خديجة في الجاهلية وقبل لقاء رسول الله ﷺ كانت السيدة خديجة رضي الله عنها امرأة ذات مالٍ وتجارةٍ رابحة، فكانت تستأجر الرجال لتجارتها وتبعثهم بها إلى الشام، ومرت الأيام ووصل إلى مسامعها ذكر "محمد بن عبد الله" كريم الأخلاق، الصادق الأمين، وكان قلَّ أن تسمع في الجاهلية بمثل هذه الصفات، فأرسلت إليه وعرضت عليه الخروج في مالها تاجرًا إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار .وحينها قَبِل ذلك منها ﷺ ، وخرج في مالها ومعه غلامها "ميسرة" حتى قدم الشام، وهناك نزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب، فاطّلع الراهب إلى ميسرة وقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال ميسرة: هذا الرجل من قريش من أهل الحرم. فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قَطُّ إلا نبي. ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها واشترى ما أراد، ولما قدم مكة على السيدة خديجة بمالها باعت ما جاء به، فربح المال ضعف ما كان يربح أو أكثر.

وأخبرها ميسرة عن كرم أخلاقه ﷺ وصفاته المتميزة التي وجدها فيه أثناء الرحلة، فرغبت في الزواج منه، فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، والسيدة خديجة يومئذ بنت أربعين سنة.

وكان قد قُدِّر لخديجة رضي الله عنها أن تتزوج مرتين قبل أن تتشرَّف بزواجها من رسول الله ﷺ وقد مات عنها زوجاها، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي وهو ابن خمس وعشرين سنة، وكانت قبله عند أبي هالة بن النباش بن زرارة التميمي حليف بني عبد الدار،

وبقيت مع النبي ﷺ إلى أن أكرمه الله برسالته، فآمنت به ونصرته، فكانت له وزير صدق، فهي ممن كمل من النساء، فقد كانت عاقلة جليلة دينة مصونة كريمة من أهل الجنة، وكان صلى الله عليه وسلم يثني عليها ويفضلها على سائر نسائه رضي الله عنهن ويبالغ في تعظيمها، فلم يتزوج امرأة قبلها، وكل أولاده منها إلا إبراهيم رضي الله عنه، فإنه من سريته مارية القبطية رضي الله عنها، فكان له منها صلى الله عليه وسلم: القاسم وبه كان يُكنَّى، وعبد الله، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم عليها امرأة قط، ولا تسرى إلى أن قضت نحبها رضي الله عنها فكانت وفاتها قبل الهجرة بثلاث سنين.

كانت السيدة خديجة رضي الله عنها قد ألقى الله في قلبها صفاء الروح، ونور الإيمان، والاستعداد لتقبُّل الحق، فحين نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾]العلق: ١[، رجع "يَرْجُفُ فُؤَادُهُ" أي يرتعش فؤاده، وفي رواية " تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ .

ووصل إلى خديجة ل وقال لها زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ ، ومن ثَمَّ كانت خديجة رضي الله عنها أول من آمن بالله ورسوله وصدَّق بما جاء به، فخفف الله بذلك عن رسول الله ﷺ ؛ لا يسمع شيئًا يكرهه من ردٍّ عليه وتكذيب له فيحزنه إلا فرَّج الله عنه بها، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهوِّن عليه أمر الناس. السيدة خديجة.. العفيفة الطاهرة كان أول ما يبرز من ملامح السيدة خديجة الشخصيَّة صفتي العفة والطهارة، هاتان الصفتان التي قلما تسمع عن مثلهما في بيئة لا تعرف حرامًا ولا حلالاً، في بيئة تفشت فيها الفاحشة حتى

كانت البغايا يضعن شارات حمراء تنبئ بمكانهن. وفي ذات هذه البيئة، ومن بين نسائها انتزعت هذه المرأة العظيمة هذا اللقب الشريف، ولقبت بـــ"الطاهرة"، كما لُقب صلى الله عليه وسلم أيضًا في ذات البيئة بـ"الصادق الأمين"، ولو كان لهذه الألقاب انتشار في هذا المجتمع آنذاك، لَمَا كان لذكرها ونسبتها لأشخاص بعينهم أهمية تذكر.

السيدة خديجة.. نصير رسول الله وهذه السمة من أهم السمات التي تُمَيِّز شخص السيدة خديجة رضي الله عنها، تلك المرأة التي وهبت نفسها ومالها وكلّ ما ملكت لله ولرسوله ، ويكفي في ذلك أنها آمنت بالرسول ﷺ وآزرته ونصرته في أحلك اللحظات التي قلما تجد فيها نصيرًا أو مؤازرًا أو معينًا. ثم هي رضي الله عنها تنتقل مع رسول الله من حياة الراحة والاستقرار إلى حياة الدعوة والكفاح والجهاد والحصار، فلم يزدها ذلك إلا حبًّا لمحمد وحبًّا لدين محمد ﷺ ، وتحديًا وإصرارًا على الوقوف بجانبه، والتفاني في تحقيق أهدافه. فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بني هاشم وبني عبد المطلب إلى شعاب مكة في عام المقاطعة، لم تتردد رضي الله عنها في الخروج مع رسول اللهr لتشاركه على كبر سنها أعباء ما يحمل من أمر الرسالة الإلهية التي يحملها، فقد نَأَتْ بأثقال الشيخوخة بهمة عالية، وكأنها عادت إليها صباها، وأقامت في الشعاب ثلاث سنين وهي صابرة محتسبة للأجر عند الله تعالى. وكأَنَّ الله اختصها بشخصها لتكون سندًا وعونًا للرسول في إبلاغ رسالة رب العالمين الخاتمة، فكما اجتبى الله عز وجل رسوله محمدًا ﷺ واصطفاه من بين الخلق كافة، كذلك قدَّر له في مشوار حياته الأول لتأدية الرسالة العالمية مَن تضارعه أو تشابهه لتكون شريكًا له في حمل هذه الدعوة في مهدها الأول، فآنسته وآزرته وواسته بنفسها ومالها في وقت كان الرسول صلى الله عليه وسلم في أشد الاحتياج لتلك المواساة والمؤازرة والنصرة.

لقد وردت الأحاديث الصحيحة في مناقبها رضي الله عنها ومن ذلك: ما رواه الحاكم بإسناده إلى عفيف بن عمرو قال: وعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِيَاسِ بْنِ عَفِيفٍ الْكِنْدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: "كُنْتُ امْرَأً تَاجِرًا فَقَدِمْتُ الْحَجَّ فَأَتَيْتُ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِt لأَبْتَاعَ مِنْهُ، فَوَاللهِ إِنِّي لَعِنْدَهُ بِمِنًى خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ خِبَاءٍ قَرِيبًا مِنْهُ، فَنَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ فَلَمَّا رَآهَا مَالَتْ قَامَ فَصَلَّى، ثمَّ خَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْخِبَاءِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَامَتْ خَلْفَهُ فَصَلَّتْ، ثمَّ خَرَجَ غُلَامٌ حِينَ رَاهَقَ الْحُلُمَ مِنْ ذَلِكَ الْخِبَاءِ فَقَامَ فَصَلَّى مَعَهُ، فَقُلْتُ لِلْعَبَّاسِ رضي الله عنه: مَنْ هَذَا يَا عَبَّاسُ؟ قَالَ: هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ابْنُ أَخِي صلى الله عليه وسلم.

قُلْتُ: مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ل. قُلْتُ: فَمَنْ هَذَا الْفَتَى ؟ قَالَ: هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ابْنُ عَمِّهِ رضي الله عنه. قُلْتُ: فَمَا هَذَا الَّذِي يَصْنَعُ؟ قَالَ: يُصَلِّي وَيَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَلَمْ يَتَّبِعْهُ عَلَى أَمْرِهِ إِلَّا امْرَأَتُهُ، وَابْنُ عَمِّهِ الْفَتَى، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَتُفْتَحُ عَلَيْهِ كُنُوزُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ. قَالَ: وَكَانَ عَفِيفٌ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ يَقُولُ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ: لَوْ كَانَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَدَانِي يَوْمَئِذٍ فَأَكُونُ ثانيًا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه <في هذا الحديث منقبة عظيمة لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها حيث كانت في السابقين الأولين إلى الإسلام فهي أول من آمن به صلى الله عليه وسلم من النساء.

قال ابن حجر" :ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن، لما ثبت أنه» مَن سَنَّ سُنَّةً حَسنةً فعمِلَ بِها، كانَ لَهُ أجرُها وَمِثْلُ أجرِ مَن عملَ بِها، لا يَنقُصُ مِن أجورِهِم شيئًا ومن سنَّ سنَّةً سيِّئةً فعملَ بِها، كانَ عليهِ وزرُها وَوِزْرُ مَن عملَ بِها من بعدِه لا ينقصُ من أوزارِهِم شيئًا]«٩[، وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل ومن مناقبها التي انفردت بها دون سائر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أن النبي ﷺ لم يتزوج عليها حتى فارقت الحياة الدنيا.

فقد روى مسلم بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة ل قالت: "لَمْ يَتَزَوَّجْ النَّبِيُّ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ" قال الحافظ ابن حجر" :وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين، لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاماً، انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاماً وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فصان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك. وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها

ومن مناقبها رضي الله عنها التي تدل على شرفها وجلالة قدرها عند رسول الله ﷺأنه كان يكثر من ذكرها بعد موتها بالثناء عليها والمدح لها وما يسرها في حياتها حيث يصل من يودها

قالت عائشة رضي الله عنها" :مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: «إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَ

لِي مِنْهَا وَلَدٌ« وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "مَا غِرْتُ لِلنَّبِيِّ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ لِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ وعنها رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا ذكَرَ خَديجةَ أَثْنى عليها، فأحسَنَ الثناءَ، قالت: فغِرْتُ يومًا، فقُلْتُ: ما أكثرَ ما تذكُرُها حَمراءَ الشِّدْقِ، قد أبدَلَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ بها خَيرًا منها، قال: «ما أبدَلَني اللهُ عزَّ وجلَّ خَيرًا منها، قد آمَنَتْ بي إذ كفَرَ بي الناسُ، وصدَّقَتْني إذ كذَّبَني الناسُ، وواسَتْني بمالِها إذ حرَمَني الناسُ، ورزَقَني اللهُ عزَّ وجلَّ ولَدَها إذ حرَمَني أولادَ النِّساءِ]«١٥.[

ومن مناقبها ما أخبر به النبي ﷺبأن حبه لها كان رزقاً من الله رزقه إياه. فقد روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلاَّ عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا. قَالَتْ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ». قَالَتْ فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا]«١٦.[قال النووي عند قوله ﷺ : «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا" :«فيه إشارة إلى أن حبها فضيلة حصلت

ومما يدل على فضلها وجلالة قدرها أن الله سبحانه وتعالى أرسل إليها السلام مع جبريل وأمر نبيه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺفَقَالَ" :يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ، ورويا أيضا بإسنادهما إلى إسماعيل بن أبي خالد قال: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا" :بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺخَدِيجَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ. وفي ذلك منقبتان عظيمتان لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها:

الأولى: إرسال الرب جل وعلا سلامه عليها مع جبريل وإبلاغ النبي ﷺلذلك، وهذه خاصة لا تعرف لامرأة سواها.

الثانية: البشرى لها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

قال السهيلي" :لذكر البيت معنى لطيف لأنها كانت ربة بيت قبل المبعث ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبي ﷺ بيت إسلام إلا بيتها وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضاً غيرها، قال: وجزاء الفعل يذكر غالباً بلفظه وإن كان أشرف منه، فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر

ومن مناقبها ما حظيت به رضي الله عنها من أن

النبي ﷺكان يرتاح لسماع صوت من يشبه صوتها لما وضع الله لها في قلبه من المحبة رضي الله عنها فقد روى الشيخان عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت" :اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةَ» قَالَتْ: فَغِرْتُ فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا[٢١]. وفي هذا الحديث" دلالة حسن العهد وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حياً وميتاً، وإكرام معارف ذلك الصاحب

ومن مناقبها ما أخبر به النبي من أنها رضي الله عنها خير نساء هذه الأمة: قال عليٌّ رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺيقول: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ» ، وفي رواية: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ »

تاقت روح السيدة خديجة رضي الله عنها إلى بارئها، وكان ذلك قبل هجرته إلى المدينة المنورة بثلاث سنوات، ولها من العمر خمس وستون سنة، وأنزلها رسول الله بنفسه في حفرتها، وأدخلها القبر بيده.، ويشاء الله عز وجل أن يتزامن وقت وفاتها والعام الذي تُوفِّي فيه أبو طالب عم رسول الله الذي كان أيضًا يدافع عنه ويحميه بجانب خديجة رضي الله عنها؛ ومن ثَمَّ فقد حزن الرسول ﷺذلك العام حزنًا شديدًا حتى سُمي "عام الحزن"، وحتى خُشي عليه ، ومكث فترة بعدها بلا زواج.

قصص وحكايات الفوارس

الملك ابن الراعي

الحلقة ٣ والاخيرة

كيد

وبعد استعادة قصة نهيلة مع الملك ضرغام، وبعد تفكير عميق قال الملك لقائد حرسه : هل ترى أنها ماكرة وكانت تلعب دورا خبيثا مع سريانو ؟

ـ فكرت كثيرا في علاقتنا بها .. فإما إنها ماكرة ، وكانت تعمل مع سريانو .. وإما سريانو ورطها دون علمها معنا.. كان يعمل خفية ويحركها بأعوانه.. لأنني علمت بأن لها شقيقة مشهورة بالمكر والكيد .. فخبر وجودها بوادي السبع ربما كان طعما لنا وإغراء لنا لنذهب إلى هناك ثم يحدث أمر ما .. أرى أن المعركة لم تنته حتى يقتل سريانو وعصاباته.. فرغم احتجاز أسرته ، فهو يعبث بملك تلك البلاد وحكامها .. فهو يعلم مصيره ؛ فلذلك عليه أن يقاتل لآخر لحظة ولو صرعنا أهل مدينته كلهم قتلا لا يكترث.. والدعسان عاجز عن القبض عليه .. وبما أنه منقذ للأميرة سواء علمت أم لم تعلم فهي لعبة بين يديه .. وهو وراء زواجها مكافأة لها على دورها في اللعبة ، فهو يدبر

للمكر بملك قدم الغزال .. إني أفكر بمكر رهيب مولاي الملك .. سأتبعه بنفسي ، وقد فهمت مكره ، فأذن لي بذلك .. لابد من صيده وإنهاء حياته .. لعلنا بإعدامه الحياة ننعم بالسكينة والحياة وبناء البلاد

ـ حياتك ثمينة أيها الشجاع ..

ـ أخشى أن يصيبك شيء من حقده ومكره .. أرجوك أن تسمح لي بالتحرك مع الدعسان ورجاله في مطاردته والفتك به.. سأعرف إذا كان بينه وبين تلك الأميرة مكر .. فسأقترب منه.. هم فعلا لا يعلمون مكانه أعني أهل قدم الغزال.. لكنهم يخافون منه .. الناس تحب السلام والسكينة

ـ وبماذا تفكر ؟

ـ أفكر بأن أجعل من نفسي طعما له مرة أخرى كما طمع فيها من قبل كما تذكر

ـ والد الأميرة الملك حسن غاب متورط معهم ؟

ـ لا أعتقد ، فهو كان سعيدا بزواجها من الملك ضرغام وإلا لماذا قال كيف لها نجوت ؟.. فلو كان يعلم بحيلة ما ما سألها مثل هذا السؤال ؛ لأنه يكون على علم بكيف نجت ؟

ـ صدقت أيها الشجاع، لو كان عالما ما نقل عنه هذا الاستفهام .. أتعرف الأميرة مكان اختفاء سريان ؟

ـ لا أعتقد أن يجعل روحه بين يدي امرأة ..

الأرجح أنه استغلها .. فأرسل إليك الشعراء ، ثم ذهبوا إليها بعد رؤيتهم لك ليصفوك لها كما وصفوها لك، وذكروا لها إعجابك ومدحك لها وطمعك بها فالذي أصابك أصابها وجرى ما تعرفه يا مولاي الملك .. بدأت أو فهمت هذا الشيطان .. فاللعبة كبيرة ، وهي بدأت بعد مقتل الملك شجاع .. لقد جاء الرجل إلى هنا يبحث عنك عندما جئنا إليها أول مرة .. هكذا أخبر أعوانه الجرحى عندما جالستهم.. وعندما قتلنا الملك كانوا يرون أن القتلة رعاة ، ثم لما انكشف الأمر ، وظهر الملك ضرغام منتقما أرسلوا الشعراء للفت نظر الملك لتلك الأميرة الجميلة التي يتغنى بجمالها وحسنها الشعراء وعن فروسيتها ..

ـ نعم ما تقول أيها الشجاع .. فهو الذي خطط لجريمة غدير الدم كما أخبر شقيق أبي للدعسان

جلس الأمير محسن بن جدي الراعي يفكر بالطعم الذي سيضعه أمام سريان ، ثم تذكر أن سريانو لا ينفذ خططه بذاته إنه يجلس في مكان خفي يحرك رجاله وأعوانه ، والذين يقبض عليهم يسمعون اسمه يتردد بينهم ، ولا يرونه ، ويختفي كالظل .. فزعيم العصابة الذي قبضوا عليه زعم أنه يعمل وحده ، ولكن ترتيب المكيدة ومراقبتهم يدل على عمل مدبر ومنظم .. فسأل نفسه " الرجل له جواسيس في المدينة .. هل أعيد الكرة وأنشر نبأ

بسفري لقريتي لزيارة أهلي ؟..الأم التي تحمل لقب أم الملك والأخت أخت الملك .. أيصلح هذا طعما لصيد سريان؟.. احتاج لمساعدة الدعسان .. لو قبض اللعين على أحد أعوان سريان المقربين لوصلنا إلى اللعين.. لو نتواجه فأنا مستعد لمبارزته.. ولكنه جبان ماكر لا يظهر كما يظهر الفرسان.. رحلة صيد كطعم .. الملك لا يحب الصيد كوالده الملك مطر لنصطاده في ميدان الصيد .. هذا طعم مغرٍ لكن حياة الملك أهم وأخطر .. كم فارس تحتاج هذه الخطة ؟.. مخاطرة كبيرة .. كما نفكر فهم يفكرون .. غدير الدم بعيد عن مدينتنا.. أربعة أيام من المسير.. البلد بحاجة لأعمار قبل القتال .. سأرسل فرسانا لجهة غدير الدم خفية ، وعلى دفعات ثم أخرج جهارا نهارا في رحلة صيد للغدير.. سينقل له جواسيسه رحلة صيدي، وسأشيع أن الملك خرج معنا متنكرا هل يفوت اللعين هذه الفرصة ؟ لا أعتقد .

قال الملك : آه أيها الشجاع هل وجدت حيلة لتمكر بالرجل ؟

بين محسن للملك حيلته فسر بها الملك وقال : إنها حيلة ذكية! .. أنت داهية أيها الشجاع .. سيغتنمون هذه الفرصة .. وأنا سأعتكف عند خروجك في البيت ، ولا أخرج للديوان ليثبت أني خرجت للصيد خفية .. وسيجلس الوزير مكاني لسماع الأخبار وشكايات الناس .

ـ أحسنت يا مولاي !

اختار قائد الجيش فوزان الذي استسلم القيادة لجيش البلاد بعد وفاة والده الفهر مائة فارس ممن له دراية بذكائهم ، وهم أشداء الرجال وأخلصهم لسيد البلاد.. وخرجوا من المدينة بدون خيل ومظاهر عسكرية إلى مكان في الطريق حيث سيجدون خيلا وسلاحا .. وكل مجموعة تسبق التي قبلها بيوم وعليهم التجمع عند غدير الدم والاختفاء حوله ريثما يأتي القائد محسن ، وخلال أسابيع اختفى الجنود المائة ، وجاء الدعسان قادما من بلاد دغفل ، وأطلعه محسن على المكيدة فأعجب بها، وأثنى على الأمير الثناء الطيب ، وهو أخذ يرسل عياريه خفية لقرب المكان والاختفاء في الغابات وكلمة السر بينهم وبين الفرسان.. محسن .. ثم انتشر خبر رغبة الملك برحلة صيد لغدير الدم حيث استشهد أبيه ..

وبعد أيام خرج محسن برجال الصيد وهواة الصيد ، وقد أشيع أن الملك بينهم متنكرا .. واختفى الملك بدور النساء ، ولم يعد يتردد على الديوان .

وصل فريق الصيد إلى غدير الدم، ونصبوا الخيام واشتعلت النيران، واشتعل الصيد والركض واتصل الدعسان بالعيارين والفرسان وأخبرهم أن يبقوا في أماكن اختفائهم، وأخبر العيارون أنه

ربما بلع القوم الطعم ، فهناك نيران تظهر في بعض الجبال والتلال .. وفي الليلة الرابعة من وصول محسن لغدير الدم ازداد عواء الكلاب، وكان محسن يجلس في خيمة السمر فقال: الكلاب نباحها على غير العادة الليلة .. فليجتهد كل منكم ألا ينام .. فهؤلاء غدروا بالملك مطر قبيل الفجر بزمن يسير عندما يغلب السهران على نفسه

وعند الفجر أحاط عشرات الرجال بمعسكر الأمير محسن زاعمين أنهم رجال صيد مثلهم ويرغبون بالسلام على الملك ضرغام .

فقال أحد الحرس: وهل الفجر وقت لزيارة الملوك؟! .. عودوا في الظهر أيها الأضياف .

أبعده أحدهم عن طريقه واندفعوا نحو الخيمة الملكية، ولكنها كانت فارغة من الرجال .. وبدأت المعركة وسقطوا كالغزلان بين أيدي رجال الأمير محسن والعيار الدعسان ، ولم ينجو منهم أحد .. فمن حاول الفرار قتل فورا .. وكانوا قريبين من المائة .. فلما ظهرت الشمس مشرقة خرج الأمير محسن يتفرج على الوجوه ذهابا وإيابا وفجأة وقف وأشار لأحدهم وقال : أنت سعدانو ..؟

رد الرجل وقال : لست سعدانو .. أنا أحد الناس.

صاح محسن فيه : أحد المجرمين .. كيف رأيت كيدنا ؟ أمر محسن بحرقه أمام الأعوان فتقدم أحد رجال الدعسان بمشعل مشتعل وقربه من وجهه

فصاح: اقتلني بالسيف ، ولا تعذبني بالنار .

وضع العيار النار على ظهره فصرخ ألما ، فقال محسن : من أنت ؟ أين سريانو وسعدانو ؟

ـ لا أدري .

قال محسن بغضب : احرقهم فردا فردا ، فهؤلاء لا يستحقون الحياة .. لابد أن في أعناقهم الكثير من الأرواح .. فهؤلاء من قتلة الملك مطر رحمه الله ..

جمع الجند الحطب واشتعلت النار في حفرة عميقة

قال محسن : من دل على سريانو وسعدانو لا تلقه في النار.. وسأعفو عنه.. ومن أصر على الكتمان فاقذفه فيها ..

وابتعد الأمير محسن والدعسان عن المكان ، وبدأ الصراخ والصياح.. وكان محسن يقول

لرجالهم : جاءوا متلهفين لقتل الملك .. وقبل أن يلقي الرجل الرابع في النار صاح : أنا سأعترف أيها القوم

فنظره ورمقه الرجال وقال لهم : علينا أن نعترف بالهزيمة وننقذ أرواحنا .. فالملك شجاع مات وشبع موتا.. أنا مولاي الأمير سأعترف لك بمكان سريانو وسعدانو .. فسعدان موجود بيننا أما سريانو فهو مختبئ بمدينة قدم الغزال .. هذا هو سعدانو ؟

وأشار لرجل فصاح الرجل المشار إليه: كذب أيها الأمير ما سعدانو إلا هو يريد أن يضحي بي للنجاة

ـ أقسم يا مولاي الأمير أنه هو سعدانو .. وهو قد شارك في قتل الملك مطر .. وسعى للفتك بك وأنت عائد من قرية جديلة .. وهربنا لما هجم علينا العيارون ..

خطف أم الملك

اعتنق الملك ضرغام الأمير محسنا وقبله من رأسه وقال مادحا : بطل الميدان يا أخي الشجاع ! سقط أحدهم وسيسقط الآخر .. بارك الله في همتك .

قبل محسن يد الملك ووجنتيه وشكره ، وانتقل الملك يعانق الدعسان وباقي الفرسان ، ويثني عليهم الثناء الكبير، وقال لدعسان مهيجا : عليك أن تكشف لنا الشخصية التي يتخفى خلفها سريانو في بلاده .

قال الأمير دعسان : سنصل إليه أيها الملك الشجاع وبهمة الأمير القائد محسن

عرض الأميران الرجلين على عم الملك المدعو طل ، فنفى أن يكون أحدهما سعدانو وأخذ يصفه لهم ، فدهش الأميران لكذب الرجلين ، فاضطر الدعسان لإحضار زوجات وأبناء سعدانو لمشاهدتهم ، وعرض الأسيرين عليهما فأكدوا كلام الملك طل ، فأصدر الدعسان الأمر بقتلهما وصلبهما لخداعهم لهم، وأدرك أنهم لعبوا لعبة لإنقاذ السعدان ، وقتلا بعد موافقة الملك.

وعرض الأمير محسن جميع الأسرى على الملك طل ، ورغم علته وضعف بصره استطاع معرفة السعدان من بين الأسرى ، فهو شارك معه في قتل شقيقه وحاشيته ، ولما عرض الرجل المختار على الزوجات والأولاد أقررن أنه الرجل المطلوب .. ورفض الرجل تقديم أي معلومة عن صديقه سريان .

فحبس عنه الطعام عدة أيام، ورفض الاعتراف بشيء عن سريان، فقضى الملك بإعدامه أمام العامة والانتهاء منه، فهو أحد قتلة أبيه وتم ذلك بأسرع جهد .. وأخذ الدعسان التحقيق مع باقي الأسرى، ومن وجد منه تعاونا نقله لحبس آخر ، ومن لم يجد منه تعاونا أرسله للقاضي ليحكم عليه بما يراه من عظم جرمه .. وأمر القاضي الجلاد بقتلهم لدورهم في القتل والفساد في الأرض.. وثبتوا عند الموت، ورفضوا الدلالة على سيدهم سريان .. فتسأل الدعسان : هل حقا سريانو في المدينة متنكرا ؟! ذهب الدعسان للأمير محسن وأخبره بمصير الأسرى وأن بعضهم أخبر أن الأمير متنكر داخل المدينة .. ولا علم لهم بشخصيته المتنكر بها .. وهؤلاء كلهم شارك في جريمة قتل الملك مطر .. وارتبطت حياتهم بسعدانو وسريانو .. فلا تشفق عليهم ولا تحزن والقاتل ظلما يقتل ولو بعد حين .

ـ أترى أن ذاك القاتل متنكر في المدينة كما همس من

لم يقتل منهم ؟

ـ ظهر لي خلال هذه السنوات أن الرجل قوي ومرعب، وله اليد الطولى في البلاد أيام الملك شجاع .. فله أعوان وأنصار .. وهو ذكي ويعمل بذكاء ودهاء.. فربما يتنكر من العامة ، أما علية القوم فهم يخافونه ويعلمون بطشه وسطوته .. فهو قد كان رجل شجاع القوي .. وها هو قد جعل الملك الشاب ينكح طليقة الملك ضرغام.. رغم ما يعرف أن هذا مزعج للملك ضرغام.. ما زال قويا داخل المملكة .. وعلمت من هؤلاء الأسرى أنه نكح إحدى بنات شجاع وقد هلكت بحادث غرق.. ولكن بهاذا سيتنكر هذا الشيطان ؟ أمهلني أيها الأمير أياما أفكر بها يمكنه أن يتنكر هذا الرجل.. فقد جاءنا سعدانو بدون تنكر قائد يقود سرية للحرب .. ورأيت أنت كما رأيت أنا كيف حاولوا الاحتيال علينا بزعم أحدهم أنه سعدانو ؟ وكيف الآخر زعم ذلك ؟ ولم يكن كلاهما بسعدانو ؟!.. تضحيات كبيرة .. وعم الملك نفى وجود سريان بينهم فهو رغم سجنه الطويل ما زال يذكر شركاءه في الجريمة.. فقد صحبهم وعاشرهم عندما سار ملكا ، وسكروا معه وعربدوا معه .. وهما كما قال رسما مكيدة التخلص من الملك مطر عند غدير الدم

كان الأمير محسن يرى أنه بموت سريان وسعدان قد تهدأ المنازعات الخفية والثارات لحين ، وقد يستمر السكون عشر سنين عشرين سنة .. قضي على أحدهم .. والسؤال الذي سأله الدعسان عن الشخصية المتخفي وراءها سريانو .. هل حقا الرجل متنكر ويسكن في المدينة ويثير هذه الحرب الخفية ؟!



وتابع أفكار نفسه: أنا مدرك لشراسته وقوته وسيطرته الشديدة على أعوانه ، وهو مخيف لقومه ومزعج لهم ، وأغلب الناس تحب الدعة والسكون .. وأتخيل أنهم مرعوبون منه ، ويتمنون مثلنا الخلاص منه ما دام أجبر الملك على الزواج من طليقة الملك .

ولكن من يجرؤ للخلاص منه والقضاء عليه، فله أتباع ساروا على مدار الزمن سادة وقتلة ، وكانت لهم اليد الطولى أيام الملك شجاع .. فإذا صدق تفكيرنا فإن الأميرة متعاونة معهم ، وحاولت المكر بالملك وجره لمدينة تتان لاغتياله .. فلولا رعاية المولى سبحانه ..وحفظه لتعرض الملك للكيد والمكر.

وبينما أميرنا يبحث عن ثغرة يتوصل بها لسريان للقضاء عليه وعلى باقي أعوانه جاءه طارق ، فأدرك أن الملك يريده ؛ لأنه لا يطرق بابه في مثل

هذا الوقت من الليل إلا الملك أو رسوله أو الوزير أو الدعسان أو نائبه على قيادة الحرس الملكي .
فاستقبل الرسول الذي يعرفه حق المعرفة خشية المكيدة ، كما هو متفاهم مع الملك والدعسان بالنسبة للرسل بينهم .. لبس ثيابه وأيقظ حرسه وسار بكوكبة منهم نحو قلعة الملك الجديدة التي انتقل إليها منذ أيام .. وسينتقل للحياة فيها الأمير عندما يجهز قصره فيها .. فلما كمل تجهيز قصر الملك رحل إليها ..
دخل مجلس الملك في القصر الجديد فشاهد زوج أخته سيرة .. وبعض أهل قريته فرحب بهم ، وعانقهم وأحس أن كارثة حلت بهم أو أن أمه ماتت ، فحدق النظر في وجه صهره ونقله للملك : أنا في حيرة يا مولاي !
قال الملك بغصة : نكبنا أيها الأمير!.. لقد تمادى اللعين ـ وأشار الملك لزوج سيرة أن يتحدث ـ فقال الرجل بعدما مسح عينيه : جاءتنا عصابة زعموا أنهم عابرو سبيل .. ومكثوا بينا ضيوفا أياما .. ثم جمعونا أمك وزوجها سهام وأخويك فقد ولدت أمك أخا آخر لك وزوجتي والأولاد وقالوا : هؤلاء رهائن لدى الأمير سريانو حتى يفرج الملك ضرغام والأمير محسن عن نسائنا وأولادنا والأمير سعدانو والأسرى، ثم ساقوهم إلى حيث لا نعلم ، وأرسلوني رسولا إليكم أنا وهؤلاء الرجال من القرية لننقل الرسالة لكم .
وخيم الصمت على المجلس، وبعد لحظات فرك محسن لحيته وشفته وقال : إذن سيبعث لنا رسالة يبين لنا فيها كيف نسلمه الأسرى ونسترجع أسرانا ؟
فقال صهر الأمير : كأنني سمعتهم يقولون ذلك .. قال أحدهم عندما تكون أمام نسيبك سيكون رسول بينكم .
فقال الأمير : حسنا
وأمر الملك بقيادة أهل القرية لدار الأضياف وقال : سأنتظر رسالته أيها الأمير .. وتنهد وتابع قائلا : لن تنتهي الحرب إلا بقتله وكما صدنا سعدانو سنصطاده أيها الأمير
قال الأمير : قبل مجيء رسولك كنت أفكر بالصفة والهيئة التي يتخفى بها اللعين ونتشاور في الحيلة التي نصطاده فيها .. وتركني الدعسان وكنت سهرانا أشرق وأغرب في الطريقة التي سنصل فيها إليه .. وهو في فعلته هذه يغريني بالبدء بمطاردته بنفسي وسيفي .. عندما نقابل الرسول لعلنا نجد وسيلة للقبض عليه وسيقع بإذن الأحد الصمد .
عاد الأمير لقصره في داخل المدينة ، وعاد يفكر بسريانو وهمس لنفسه " كنت أتوقع هذه الجريمة هذا الانتقام .. هم خاصرة ضعيفة أعلم هذا .. ولكنهم رفضوا الرحيل .. لم تعد بلدتنا بلدة مسالمة

.. صرنا أمراء ولنا أعداء وهم بعيدون .. وقد صار لنا أعداء وخصوم .. وأولئك لن يتنازلوا عن عرشهم بسهولة .. وهم أشداء يا محسن .. فسريانو كان الحاكم الفعلي بين يدي الملك شجاع .. فهو الذي كان يؤمن له الخليلات ويحافظ على أمنه.. الخليلات .. الخليلات .. عظيم يا محسن! .. رجل كهذا لا يخلو من العشيقات.. النساء.. الباب هن الباب .. الدعسان لم يتحدث عن عشيقات .. له ثلاث نساء بين أيدينا .. الحديث معهن قد يفيد .. سأرسل الدعسان إليهن لمعرفة أشهر خليلاته .. وإن فشل سنحتاج لامرأة تسلب المعرفة منهم.. لقد شجعت أمي وأهل القرية بالرحيل لمجاورة الملك ضرغام كنت أخشى عليهم مثل هذا الظلم والاعتداء .. وها هو حدث .. فكما نمكر هم يمكرون .. ونحن في زمن قوة ، وهم في فترة ضعف .. فكيف نستفيد من قوتنا ؟ هل نستطيع عن طريق الرسول الوصول إليهم ؟ لابد أنهم ذو فطنة .. وحذر .. علينا متابعة الرسول ومعرفة مكان استقراره قد تصل الرسالة عن طريق سلسلة من الرسل للتمويه والخداع .. عليّ بالدعسان لمتابعة هذا الخيط لعلنا نصل لشيء .. الرجال مصممون على الانتقام لملكهم الهالك .. يبدو أن الرجل لم تصله أخبار موت سعدانو أو الذين ذهبوا للقرية يجهلون ذلك ..

أرسل وراء الدعسان وحدثه عندما التقيا عن حادثة القرية وأسر أمه وأخته من قبل سريان ، فاستشاط الدعسان غضبا ونقمة على سريانو .. وحثه على متابعة الرسول ، ونبهه على التسلسل الذي قد يكون يتبعه سريانو .

جاء الرسول بعد أيام وقدم الرسالة للملك ضرغام الذي لم يأمر بفضها حتى مجيء الأمير محسن الذي ساق معه الدعسان ورجل آخر لينظر هيئة الرسول خفية ، وكان فيها الذم واللعن لتعجلهم في قتل السعدان ورجاله .. وفيها الدعوة للسلام والأمان والعفو عن نسائه وأولاده ونساء سعدانو وإنهاء حال الخوف والإرهاب .. وطالب بترك أخذ أموال البلد ، وأن يتسامح بدم الملك مطر بمن قتلوا خلال هذه السنوات ، ويعتبر موت ملك بملك .

قال الوزير مقداد: أتراه في موقف قوي بعد أسر أم الملك وأخته ؟

قال محسن : لقد سعيت لنقلهم هنا وتشجيعهم بدون إيضاح الخطر المحيط بهم .. حتى لا أثير الخوف في القرية ؛ لكنهم لم يهتموا بدعوتي .. قلت لهم حالنا اليوم ليس كالأمس .. قلت لأمي أنت أصبحت أم الملك وأم الأمير .. لم تبال أصروا على البقاء والحياة في القرية .. لقد خشيت مثل هذا الخطر .. لم يفهموا مخاوفي .. أما بالنسبة للعفو عن

حياة سريانو مقابل حياة أمي وأختي وأولادهما فلن أكون عاقا لها ولأختي .. فهذا يرجع للملك .. وهذا الرجل ماكر لئيم شيطان فلن تهدأ الحال إلا بموته صدقوا هذا .. فهو لا يأمن لنا ، ونحن يجب أن لا نأمن له ..

فقال الوزير : لا وفاء عندهم

قال محسن : نعم ، فأبناء الملك شجاع لم ينهضوا للثأر منا بعدما وضعت الحرب أوزارها؛ لأنهم يعلمون ظلم وبغي أبيهم للعباد والبلاد فسلموا بالواقع .. وقام الرجل اللعين بحمل العبء عنهم لأنه يدافع عن نفسه .. وأنا أرى أيها الملك أن تكتب له " ومن يضمن لنا حياة الناس الذين بين يديك ، وأنك لا تعاود الغدر بنا وكيف نثق بك؟ " .. سيتبع رجال الدعسان الرسول وسأسعى لمطاردته .. ولتطل بينكم المراسلات.. ونحن خلال هذه الفترة سنصل إليه .. سأتنكر بزي بائع متجول ، وأذهب لمدينة قدم الغزال .. وسيتبعني الدعسان متخفيا لنعرف أين يختبئ اللعين ؟ .



مطاردة

رتب دعسان العيارين بحيث يقتفون أثر الرسول بمهارة ودون أن يشعر بهم ، فتنكر بعضهم على هيئة الشحاذين ، وبعضهم على هيئة عامة المسافرين ، وكان الكاتب كتب رسالة كما أشار لهم محسن .

دخل الرسول قصر الملك دغفل ، ولم يخرج حتى هبط الليل ، ثم خرج بثياب غير التي كان يلبسها .. وتبعه رجل الدعسان حتى دخل منزلا في المدينة ، وهو تحت العيون المتعلمة على حسن المراقبة .

وظل يقبع حول البيت حتى زاد الوقت عن نصف الليل فانصرف إلى بيت العيارين الخفي في مدينة قدم الغزل .. لقد اتخذ العيار الدعسان ثلاثة منازل يعمل به عياروه خفية في المدينة ، ويمتهنون حرفا تخفي أعمالهم الحقيقية .

وقبل ظهور الفجر أخذ العيار رفيقا ومشيا إلى منزل الرسول كما اعتقد العيار المراقب ، وفي الصباح الباكر خرج الرسول إلى بيت آخر، ومكث فيه ردحا من الوقت .. ثم خرج رجل آخر من البيت ، وسار خارجا من المدينة ، وتبعه أحدهم فسار باتجاه مدينة تتان مدينة والد الأميرة نهيلة .. فاحتار العيار حينئذ هل يتابع أم يرجع ليخبر سيد العيارين ؟

وصل الدعسان والأمير محسن متنكرين لمدينة دغفل الأمير بائع متجول على حمارة عرجاء يضع عليها خرجين ممتلئين بالبهارات والكحل والأمشاط والعطر وفي صوته بحة ينادي بها على

بضاعته.. ويتبعه الدعسان على هيئة رجل أعمى يرتدي ثيابا لا يلبسها إلا متشرد .

سمع الرجلان من العيارين أخبار الرسول وغيرها من الأنباء، وسرا لاستمرار المتابعة وقال محسن للدعسان : أعتقد أن لسريانو أعوانا داخل القصر دون علم الملك .

ـ قد تكون الملكة الجديدة تعمل معه !

ـ فكرت كثيرا بقصة الأميرة نهيلة .. فما الفائدة من الزواج من الملك والعمل لسريانو؟ .. أعتقد أنه زوّجها منه مكافأة لها لدور قامت به دون فكر منها؛ لكن كيف قبلها الملك هذا السؤال ؟!.. لقد تحدثت مع نساء سريانو مستعلما منهن عن خليلاته، فبعد تردد ذكرت واحدة منهن أن عشيقاته لا عد ولا حصر لهن ، لا هو ولا الملك شجاع .. فجل حياتهم الفجور واللهو والشراب وواحدة زعمت أن زوجها لم يعرف العشيقات إنما كان يساعد الملك في ذلك، وأنه لم يعرف الخيانة الزوجية .. والثالثة قالت سمعت أن له عشيقة واحدة .. هجرها الملك فاتخذها من بعده خليلة اسمها قرنفلة وهي مشهورة في المدينة .

فقال الدعسان : عجيب ! .. هنا بغي مشهورة تحمل هذا الاسم لعلها هي ؟

وأمر أحد عياريه بمراقبة بيتها ، ووجد العيار أن العشاق ما زالوا يترددون على بيتها خاصة بالليل .

دخل عليها الدعسان في أول النهار وزعم أنها على اتصال بسريانو ، وأنه يتردد عليها سرا ، فأقسمت بكل عظيم أن علاقتها بسريانو انتهت قبل مقتل الملك شجاع ، فقد هجرها سريانو بعد انتهاء علاقتها بالملك بزمن يسير ؛ لأن الملك اعترض على علاقته السرية بها، وذكرت له اسم فتاة أخذته منها .. واستطاع الدعسان معرفة أكثر من عشر عشيقات للرجل داخل المدينة لم يكن يقضي معهن إلا زمنا قصيرا ، ثم يهجرهن بزعم أن الملك حذره من ذلك ، ووجد عند إحداهن خبرا يفيد أن مرضا أصابه ، فابتعد عن النساء والزنا، وذكرت اسم عشاب كان يعالجه فزاره الدعسان ، وأكد له العشاب أن الرجل أصابه مرض منعه من معاشرة النساء.

فعقب الدعسان قائلا على نتائج هذه الأخبار : نعم ، ليس لسريانو أولاد دون العاشرة .. ونساؤه لم يشرن لهذا المرض أيها الأمير

ـ لا ، لم تذكر إحداهن عجزه عن إتيان النساء .



استمرت خلال الأيام مراقبة البيتين اللذين دخل فيهما الرسل ، وعاد الرجل الذي خرج من المدينة في اتجاه مدينة تتان إلى بيته بعد أيام ، ولما دخل الليل مشى إلى بيت الرسول الذي زار مدينة الرعاد.. وذهبا إلى أحد

إسطبلات البريد ، وركب الرجل على بغلة بيضاء ، والآخر ركب جوادا ، فالأول صاحب البغلة اتجه نحو مدينة الرعاد ، والآخر اتجه نحو مدينة حسن غاب .

ولما أمسى الرسول خارج مدينة قدم الغزال هجم عليه ثلاثة رجال ، وأخذوا بغلته وما معه من مال والرسالة ، وتركوه مثخنا بالجراح موهمين إياه أنهم لصوص طمعوا فيه ، فترجاهم أن يدعوا له فقط الرسالة ، وكل ما أخذوه حلال عليهم فرفسه أحدهم قائلا " لمن هذه الرسالة المهمة لك؟.. افتحها يا غصن لعلنا نجد فيها شيئا مهما لنا " صرخ الرجل ، فانهالوا عليه ضربا من جديد حتى فقد وعيه ، وابتعدوا نحو الوادي القريب منهم يراقبونه .. ورأوه قد فاق وأخذ يمشي نحو المدينة التي وصلها آخر الليل مهشما باكيا، ولم يمش لبيته إنما سار نحو القصر الملكي .. وبعد حين خرج من القصر فارسا على جواد ، وكانت طريقه إلى جهة بلاد تتان .. فأدرك المقدم الدعسان أن سريانو منزله الخفي في جهة تلك المدينة فوضع خطة تحرك في تلك الجهات ، وظلوا يرقبون عودة فارس القصر الليلي .. فقال محسن : هل الملك متواطئ معهم خفية ، ويسهل تحركاتهم ليحقق مأربه في الانتقام لوالده كما فعل ضرغام الملك .. أو أن لسريانو أعوانا مهمين في داخل القصر ؟

وعاد الفارس الليلي يصحبه فارس آخر .. وعرفت المنطقة التي يخرجون منها فهي تقع بين المدينتين .. شعب يصعد إلى غابة جبلية .. ترك الرجلان يسيران نحو المدينة .. وتحرك ثلاثة أعوان في الشعب ، وقد سلكوا دربا غير مطروق وبعد مسير مضن لاح لهم قصرا في إحدى الغابات فقال أحد الأعوان : يبدو أن هذا القصر المختفي في هذه الغابات هو قصر الشيطان سريانو

وقفلوا أدراجهم عائدين إلى مدينة شجاع ، وأحيط الدعسان ومحسن بالقصر الخفي في غابات شيخ عسير.. فقال محسن : هذا تقدم عظيم أيها الرجال!.. كيف نصل لهذا القصر خفية دون أن يحس بنا أحد ؟

ـ الفارسان دخلا القصر أيها الأمير .. الحمد لله أن جهودنا بدأت نتائجها تبرز .. هل من حيلة يا أميرنا ؟

ـ وماذا فعلا في القصر ؟

ـ أخذوا الجريح وسعوا إلى قتله ، فأنقذه رجالنا وساقوهم إلى محبس سري .. وحاول أحدهم الهرب ، فرماه أحد رجالنا بنشاب فأرداه ميتا.. والرجل الآخر قبع ساكنا بين رجالنا .. والجريح لزم الهدوء .

ـ من الذي قتل ؟

ـ فارس الغابة .

قال محسن : بعد حين سنسهل هرب فارس القصر لنعرف مع من يتعاون داخل القصر .. لنتأكد هل الملك على علم بما يجري داخل قصره أم جاهل بذلك ؟ يبدو أنه ملك ضعيف .. ثم على رجالنا الاختفاء في مدخل الغابات .. لنرتب لاقتحامه والتسلل للقصر الخفي .. سيكتب سريانو رسالة جديدة للملك ضرغام بعد ضياع رسالته الأخيرة .. سندخل نحن القصر ، ونقضي على الرجل ، ونريح العباد من شره وبغيه .

وأثنى الأمير على فرسان مقدم الأعوان الدعسان ، وبارك جهودهم وشجاعتهم ، وأعلمهم أنهم بعد القضاء على سريانو سيعودون جميعهم للبلاد ، وسيتركون هذه المدينة آملين أن تنتهي الحرب إلى حين بعد مقتل سريانو وأعوانه .

قال محسن : الأميرة نهيلة أظهر منها شيء بعد زواجها ؟

ـ هي زوجة الملك، ولا أعتقد أن سريانو يا مولاي القائد يأتي إلا هنا لمقابلتها .. إنها امرأة تعيش بين نساء الملك.. الملك له ثلاث زوجات معها.. لم يخبر صديقنا في القصر أن لها نشاطا مثيرا .

استطاع الأسير أن يهرب من محبسه ليلا ظانا أنه استغفل الحارس.. وكان هربه جهة الغابة..

ومنها اتجه نحو المدينة ، وفي الصباح كان يطرق باب القصر الملكي، ولمعرفتهم بشخصه سمحوا له بالدخول، وكان رجل الدعسان في القصر في انتظار متابعته، وعرف المكان الذي يرقد فيه ومع من يجتمع ، وبعد مكث لم يطل خرج الأسير الهارب راكبا جوادا في اتجاه مدينة حسن غاب ودخل الشعب فأدرك رجال الدعسان أنه ذاهب لقصر الغابة الخفي .. ولم يخرج ذلك الرجل تلك الليلة.

رتب الأمير محسن خطة جريئة لاقتحام المكان السري.. فأرسل عشرة من رجالهم فرادى وأزواجا ليختفوا بقلب الغابة، وبعد يوم وليلة وصل محسن والدعسان لقلب الغابة ، فقال لهم أحد الرجال : رجل القصر لم يخرج بعد .

فعقب الدعسان قائلا: إما أن يكون قد قتل ، وإما لم يكلف بشيء بعد كم نحن في هذه الغابة ؟

ـ نحن عشرة وأنتم اثنان .

ـ وبعد حين سيتبعنا سبعة .. حتى يساعدونا إذا أحس بنا هؤلاء الملاعين ..

وقال محسن : ثم سيتبعهم خمسة بعد ثلاثة أيام.. وكلمة التعارف على بعض "مت في سبيل الله" .. قد نحتاجها في ظلام الليل .. سأتقدم أنا والدعسان وجود نحو القصر .. وإذا كشفنا أحدهم سنزعم لهم بأننا صيادون ـ وكانوا يلبسون ثيابا توحي بأنهم من أهل الصيد ، ويحملون شباكا تستخدم للصيد والفخاخ ـ وإذا لم نرسل لكم

جودا فاعلموا أننا أسرى بين أيديهم.. فلا أتصور أن يقتلونا فورا ربما قتلوا أحدنا .. فإذا لم يعد إليكم جود فتصرفوا بالذكاء الذي تتصفون به .. وليبق أحدكم منتظرا للطائفة الثانية ..

قبل شروق الشمس تحرك محسن والدعسان وجود نحو القصر وكما يفعل الصيادون يتحركون بخفة ، اقتربوا من القصر دون رؤية أحد فقال محسن همسا : هذا الرجل لا يثق بأحد .. لا حرس ولا رجال في الطريق، كنت أتوقع أن نجد عددا كثيرا من الحراسات في الطريق .. أو نقاط مراقبة .

فقال الدعسان : أو عنده ثقة تامة أنه لن يدخل أحد هذه العرين .. فهذه الغابات الجبلية تكثر فيها الوحوش .

ـ لم نصدف إلا بعض الأفاعي والثعالب .. والماء شحيح في طريقنا .

ـ لابد من عين ماء أو أكثر .. هذا الوادي الأسفل منا كأنه سيل شتاء

وصلوا أسوار القصر من جهة لا يوجد فيها أبواب.. واختفوا في جوف كهف وأرسلوا جودا يستدعي الفرسان .. وصلوا آخر الليل على ضوء المشاعل .. ووجدوا الدعسان ومحسنا يقبعون في مدخل كهف في صفحة الجبل يصطلون حول النار ، ومعهم أرنبا سمينا قد صادوه داخل الكهف.. وكانوا قد صادوا أثناء النهار بعض الطيور الكبيرة ليظهروا أمام العدو المفاجئ أنهم فعلا صيادون ..

وفجأة سمعوا صوتا ، ثم سمعوا أحدهم ينادي..

فصاح الرجل من بعيد: من هناك ؟

فقال محسن وهو يظهر أمامهم : صيادون .. ألم تشم رائحة الشواء ؟ تعال فلحم الأرانب طيب عند الفجر

كان محسن أمر رجاله بالاختفاء في جوف الكهف ، فلما اقترب الرجل رأى محسنا والدعسان وجودا فقال : ما الذي أتى بكم إلى هذا المكان ؟

فقال الدعسان : كنا نطارد فهدا .. ثم شاهدنا هذا البناء في وسط الغابة .. رغم كثرة صيدي في هذه الغابات فهذه أول مرة أراه .. هل بني حديثا أيها الحارس ؟

فقال الحارس وهو يرى النار الخافتة تهمد: هذا قصر قديم ؛ لكنك أعمى فهو هنا منذ عشرين سنة أو أكثر.

قهقهة الدعسان وقال : عشرون سنة ولم أره إلا الأمس فعلا أنا أعمى .. ربما هذه أول مرة أقترب منه يا صاحبي.. فهو على جبل وأشجاره عالية وضخمة وكثيرة ، نحن من أهالي مدينة تتان التي يملكها الملك حسن غاب بلاد قريبة من هذه الغابات الشاسعة .

ظهر الانبساط على وجه الحارس وقال : أنتم من بلاد الملك حسن غاب.. قدم جود فخذ أرنب

للرجل وهو يقول " معذرة يا أخانا لم يبق غيرها .. لم نصطد كثيرا منها .. لم تقل لنا من سيد هذا القصر الخفي ؟"

ـ نحن لم نركم ، شممنا رائحة الشواء.. فقال رفيقي " رائحة شواء انظر من أين تأتي هذه الرائحة ؟ يبدو أن صيادين قريبون منا .. فتمشيت باتجاه الرائحة .. ثم سمعت أصواتكم ، فسرت إليكم .. أرجو منكم مغادرة المكان بأقصى سرعة .. فسيد القصر نائم ، لو كان مستيقظا لأصابكم منه شر ، فالأمير لا يحب أن يقرب أحد من القصر .. أرجوكم انصرفوا قبل فوات الأوان .

فقال محسن : لم تقل لنا لمن هذا القصر ؟

ـ ألم يبق شيء من الصيد لصاحبي ؟

ـ لدينا طائر لم يشوَ بعد ..أنشويه لكم ؟

ـ عجلوا بذلك ، وستجدوننّا عند الباب .. رائحة الشواء لا تقاوم .

وابتعد الحارس فقال محسن : الرجل يشعر بالأمان في هذا المكان.. أين يخفي أسراه أمي وأختي



شوى الدعسان ما تبقى من الطيور، ولاك بعض الفرسان شيئا منها وقال محسن : سأمشي إليهم أنا والدعسان بالطير هذا ـ وأشار للطير المشوي ـ ليأكلوه .. وسيقف جود على زاوية القصر بحيث يرانا ويراكم .. فإذا رفعت أنا أو الدعسان يده فوق رؤوسنا مقبوضة فاقتربوا منا .

لما رآهم الحارس مقبلين نحوهم ، أقبل نحوهم جريا ، وتناول الطير وهو يقول : ابتعدوا بسرعة قبل أن يستيقظ الأمير ويصيبكم سوء .. فالأمير لا يرحم .

فقال محسن : ويحك !.. نريد ماء ، هذه قربتنا فارغة ـ وكان يحمل بين يديه قربة ماء صغيرة ـ ألا يوجد لديكم ماء ؟

فأخذ الحارس القربة الصغيرة على مضض ، ورجع لصاحبه وأعطاه الطير المشوي وقال بضيق : خذ هذا .. سأملأ لهم هذه القربة .

ولما رجع بالماء وجد الرجلين عند الباب ، ولم ير صاحبه فقال : أين ذهب ؟

ـ ذهب إلى هناك لقضاء حاجة

وقبل أن يرد تلقى ضربة قوية من الدعسان ، ثم أغلق فمه ، ونقل أسيرا للكهف .. وزحف الفرسان ، وقدم للكلاب اللحم لحم خروف صغير ، وانشغلت بالأكل وقذفت بسهام مسمومة

وصاحت فجأة ثم خمدت أنفاسها .. ولم يحدث شيء ، لم يطل شخص على الضجة ونظر الرجال في بعضهم .. فقال محسن : هل هناك كمين ؟

رد الدعسان : إنهم غارقون في النوم .. واقتحم الرجال القصر باتجاهات مختلفة .. ووجدوا غرفة فيها رجالا مستغرقين في النوم فقال أحدهم" إنهم الحرس " همس الدعسان " أغلق عليهم الباب .. وابق عند الباب "

وصعد محسن والدعسان وآخرون للطابق الثاني.. ولم يجدوا إلا رجلا واحدا وامرأة معه في حجرة .. وكانا مستغرقين في النوم.. ولما فتح الباب عليهما ظنت المرأة أن أحدهم يريد الأمير .

ووجد رجال الدعسان رجلا وامرأة في غرفة أخرى في الطابق الأول فعرفا أنهما خادم وزوجته

استيقظ سريانو والمرأة على صوت الرجال يقتحمون الحجرة ، وكانا يبدوان مخمورين هو والمرأة.. قامت المرأة تلبس ثيابها.. وتم تجميع أهل القصر في ساحة القصر .. ولم يكن فيه إلا من ذكرنا .. فقال الدعسان للمرأة التي وجدت في غرفة من اعتقدوا أنه سرياني : من هذا الأمير؟

فقالت بحنق : من أنتم ؟

فقال الدعسان متهكما : لصوص كنا في الطريق لسرقة قصر فوجدنا هذا القصر

فصاحت : إلى أي البلاد تنتسبون ؟!

فقال الدعسان بنفس السخرية: كل البلاد بلادنا .. اللص لا بلد له .. لمن هذا القصر الذي كلفنا بسرقته ؟

فردت بجنون : هذا قصر الأمير جعفر .

ـ من جعفر ؟ إلى أي البلاد ينتسب جعفر هذا ؟

قالت صائحة : حل وثاق فمه ليجيبك الأمير جعفر .

أشار الدعسان لأحد رجاله بفك فم الأمير : افعل ما طلبت المرأة .

حل الرجل الحبل عن فم سريانو فتنفس الصعداء وقال : من أنتم ؟!

ـ ألم تسمع ما قلنا للمرأة ؟ هل هي زوجتك أم عشيقتك ؟

فصاح الأمير بغيظ : كلاهما ، إلى أي البلاد تنتسبون أيها الصعاليك ؟

ـ كما أخبرت قبل قليل ، طلب منا سرقة القصر هذا وأسر من فيه .

ـ ومن طلب منكم هذا ؟

ـ لا يهمك هذا .. نحن قبضنا ثروة كبيرة لاقتحام هذا المكان وأسركم ، وقد نجحنا بفضل الله هل ستسيرون معنا بكل هدوء أم ... ؟

ـ إلى أين ؟

ـ هذا سرنا يا أمير جعفر .. لماذا أنت تعيش هنا ما دمت أميرا ؟ وأنت أمير في أي البلاد ؟ وهل هؤلاء

حراسك وخدمك فقط ؟

لم يتكلم فقال الدعسان ساخرا متهكما: أصبحت اخرس ! حسنا أيها الأمير .. جئنا لصيد الأمير المسمى سريان من أمراء بلاد قدم الغزال .. لقد خطفوا ناسا يخصون الملك ضرغام .. يبدو أننا أخطانا الهدف .

فقال محسن الذي استمر يسمع الحديث : يبدو هذا .. فلنقض عليهم قبل أن يكشف أمرنا .. نتخلص منهم ونبحث عن قصر سريانو اللعين .

فقال المدعو جعفر : ولماذا تريدون التخلص من سريانو ؟

فقال دعسان : قالوا لنا إنه مجرم عتيد .. خطف أم وأخت الملك ضرغام .. ولم نجدهم في هذا القصر كما قيل لنا .. وهل يفعل ذلك الأمراء؟!

فعاد محسن يقول بحدة وغضب: اقتل الجميع .

فصاحت المرأة : لا تفعلوا أنا أميرة وأبي ملك ؟

قال الدعسان متظاهرا بالدهشة: أبوك ملك ! أي ملك والدك ؟

ـ أنا ابنة الملك حس غاب أتعرفونه ؟

فقال محسن بدهشة صادقة : ابنة ملك مدينة تتان! وماذا تفعلين في هذا القصر السري ؟.. هل يعقل أنك ابنة ملك وتعيشين عشيقة وخدن كما يبدو لنا ؟!

صاحت : أقسم لكم إنني ابنة الملك حسن غاب واسمي درة .. فابعث رجالك ليتأكدوا من ذلك .

فقال الدعسان : وهذا زوجك ؟

فقالت : ليس زوجي .. هو خطفني فخضعت له .. أنا مخطوفة !

ـ إذن هذا الأمير جعفر يخطف بنات الملوك .. وزوجك ؟

ـ قتلوه .

ـ ومن جعفر هذا ؟

فصاح جعفر : أنا جعفر ، ولا تصدق ما تحدثت به هذه الغانية .. صحيح هي ابنة ملك وهي عشيقة لي .. هربت إليّ لأنها تبغض زوجها.. لم اخطفها لا هي ولا أخت الملك ضرغام ولا أمه وأنا أمير من بلاد الملك دغفل بن شجاع واسمي جعفر بن سعد ، والملقب بسريانو الذي تبحثون عنه

فقال محسن : جميل أيها الأمير! .. وأنا الأمير محسن ابن المرأة المريضة التي خطفتها ، وشقيق المرأة التي خطفتها، وقريب أهل القرية التي أسأت لها .

فقال الدعسان : أنت سريانو الشيطان .. الذي خطط ودبر لقتل الملك مطر .. وأنت الذي خطف الأميرة نهيلة شقيقة عشيقتك هذه .. لتستدرج الملك ضرغام إلى وادي السبع ؟

ـ نعم ، فعلت هذا وغيره .

ـ شجاع ! .. وهي التي ترتب لك الأمور من قصر

الملك ؟

ـ نعم ، وإلا لماذا أقنعت الملك بالزواج منها ؟

ـ أين أخفيت ضحاياك ؟ فتشنا المكان ، ولم نجد أحدا سوى أنت وهؤلاء ؟

ـ حياتي بحياتهم .

ـ ألا تريد أن تذكر أين أخفيتهم ؟

ـ ولماذا أقول ؟!

فقال الأمير محسن : وأنت أيتها الأميرة ألا تعرفين أين أخفى ضحاياه ؟ أم قتلهم السفاح ؟

صاح سريانو : لم اقتلهم بعد .. إنهم أحياء ، حياة بحياة .. فإذا قُتلت فسيُقتلون

التفت محسن للأسرى الآخرين وقال : من منكم يعرف مكان إخفائهم ؟

صمتوا .. فالتفت الأمير بغضب إلى الدعسان وقال : اقتلوهم ، فبطن الأرض خير لهم ..

فقال الدعسان : والمرأة ؟

ـ لا ، المرأة لا ، سنعيدها للملك حسن غاب ، ونرى صدق ادعائها .

قدم سريانو للموت وقال بتحد : لن تعرف مكانهم ، وستكون أنت القاتل لهم .

ضحك محسن وقال : كما عرفنا مكانك سأعرف مكانهم .. وما دام لن يخرج أحد منكم من هنا حيا ، فلن يقتلوهم ، وسأضع فرساني في أول الشعب وكل من يدخله يهلك .

ـ العفو أيها الأمير!

ـ لم يبق في قلبي بعد غدرك بأهل القرية المسالمة مكان للعفو

وأشار الدعسان لرجاله بتنفيذ الأمر .



سفح رجال الدعسان دماء الذكور ودفنوهم في تلك الغابة ، وأخذوا رأس سريانو معهم ، واستولوا على الأموال الذهبية والدواب ، وأمرهم الدعسان بعد تشاوره مع الأمير بتفريقها على فقراء مدينة دغفل ، فلما خرجوا من الغابات ، وصاروا في درب القوافل والمشاة المطروقة ، قال الأمير للمرأة : أيتها الأميرة ألا تعرفين مكان الأسرى ؟

فقالت مرعوبة : مولاي الأمير الرجال الذين سفكتم دماءهم لا يعرفون ، فكيف أعرف أنا ؟ سرياني أخبث رجل في العالم ..

ـ أتحبين العودة إلى والدك الملك ؟

ـ لا أحب ذلك، سوف يقتلونني لأنهم اتهموني بقتل زوجي .

ـ أو لم تعيني على قتل زوجك؟.. فجريمتك واضحة.. وإلا لما لحقت بسريانو في هذا القصر الخفي .. رأيت جزعك وأنت ترين تطاير الرؤوس.. إلى أين تحبين أن نأخذك ؟

ـ إلى الأميرة نهيلة .

ـ الأميرة نهيلة بنت حسن غاب عليّ مقابلتها لعلها مطلعة على سر سريانو سأعفو عنك أيها الأميرة درة .. وذلك بعد مقابلتك لأختك زوجة الملك .

ـ لعلك تعفو عني ، وتدعني أذهب لأي مكان بنفسي .. أنا سأذهب إليها مكرهة .. لأنها كانت السبب في زواجي من ذلك الأمير المقتول .. وكانت تعلم أنه زير نساء .. فلما التقيت بسريانو في قصرها قبل زواجها حدثته بحكايتي.. فأمر رجاله باغتيال زوجي وإرسالي إلى قصره السري.. وأعتقد أن القصر كان عش عشق لأحد الأمراء ، وقتله سريانو في تاريخه الحافل بالإجرام والمغامرات، واحتل مكانه .. ولما استقر فيه اتخذني خليلة، وخضعت له ليس أمامي إلا الرضا، وقد قبلت بقتل زوجي.. فهو رجل قُد قلبه من الحجر.. لا رحمة ولا شفقة لا تظن أنني حزنت على قتله.. ربما سر فؤادي .. فهو الشر مجسم في بدنه وروحه .. وأخشى أيها الأمير أن يكون قد تخلص من أهلك .

ـ لا ، لم يفعل أيتها الأميرة.. كانت بينه وبين الملك ضرغام مراسلات لإنهاء الخطف والكف عن مطاردته والنيل منه، فهو الذي قتل الملك مطر والد ملكنا .. فكان لابد من قتله لنعيش بسلام وراحة بال .. ستمكثين معنا ريثما نقابل الأميرة نهيلة ثم ندع لك حريتك وتذهبين إلى حيث شئت .. نحن لا نقتل النساء إلا اضطرارا أو خطأ .. فأختك تآمرت علينا .

ـ أختي لم تتآمر عليكم، إنها مكرهة ومستغلة من الأمير سرياني ..

ـ هذا ما نراه نحوها .. لكن لابد من الحديث معها .. لعلها تعلم مكان المخطوفين من أهلنا .

قالت : لا يسلم سريانو سره لأحد .. خاصة النساء .. فهو من الدهاة ..

ـ كان الرسل يمرون عليها ويخرجون من قصرها

ـ الخدم الذين معها كلهم عيون لسرياني.. وأحدهم من أكبر أعوان الأمير .. ومن أخطرهم.. أنا لا أحبها هي التي ورطتني بجريمة القتل.. أنا قلت لها إني أبغض زوجي .. فقال لها ولي سريانو " اعتبري نفسك حرة .. وأرملة " ظننته مازحا، ولما جاء رجاله لأخذي ، أدركت أنه قتله، وليس أمامي إلا الهرب فكل أهل المدينة يعلمون كرهي لزوجي .. وأبي يرفض طلاقي منه استيقظ أهل مدينة قدم الغزال على رأس سريانو مرفوعا على رمح أمام أحد أبواب المدينة ، وتجمع الناس فرادى وزرافات وحلقات يتفرجون على رأس الرجل الذي كان يرعب أهل البلدة والأمراء والوزراء والقضاة والسوقة ، وانتشر الخبر خلال

سويعات في جميع المدينة وقراها.. وزعم بعضهم أن هذا الرأس ليس لسريانو .. وأن مكيدة تحاك وتدبر في المدينة، عند العصر دخل الأمير محسن ومعه الدعسان على الملك دغفل وحاشيته يعلمونهم أنهم تمكنوا من قتل جعفر بن سعد الملقب بسريانو.. وأعلمهم أن الرجل قد خطف أمه وأخته وبعض أهل القرية ، وأعطاه الخطاب الذي أرسله للملك ضرغام يساوم عليهم.. فدافع الملك ومن حوله عن نفسه وأنفسهم أن لا علم له بهذه الجريمة الأخيرة لسريانو.. وأنه يعمل وحده.. فذكر له الأمير تعاون امرأته الأميرة نهيلة وحاشيتها معه ، وأن المراسلات كانت تمر من داخل القصر.. فلما حاول الإنكار والتنصل احضروا الرسول الجريح ، واعترف الرجل أنه رسول سرياني للملك ضرغام، وأنه أحد رجاله ويعمل في قصر الأميرة .. وأن الملكة فقد كانت تساعدهم بتوفير المكان لهم ، وتسمح لهم بدخول القصر والاجتماع مع سيد خدمها، وهو أحد المقربين من سريانو .. وأنكرت الأميرة علاقتها بسريانو أمام القاضي.. ولما اعلموها بمصرعه على يد رجال مدينة الرعاد.. قالت " هو فقط ساعدني بالزواج من الملك .. لأنه أفسد عليّ زواجي من الملك ضرغام .. سعى لاستغلال ذلك الزواج لاستدراج الملك ضرغام لوادي السبع .. ولم يكن أمامي إلا الموافقة على شروطه .. فكلكم تعرفون قوة وخطر سريانو منذ عهد الملك الراحل شجاع.. قال " فليمض الزواج كما اتفقت مع أسياد مدينة الرعاد .. ثم رتب خطفي إلى وادي السبع .. ماذا أفعل أيها القاضي؟ .. لقد قتل زوج أختي درة لمجرد أن شكوت له أن أختي تبغض زوجها فقتله .. وطلب مني بعد زواجي من الملك أن أسمح لرجاله بالبقاء حولي .. وها هو كبير خدمي عبد له فاسألوه "

فلما لم يظفر الأمير محسن بشيء عن مكان إخفاء أهل القرية غادر قصر السلطان، واجتمع برجال الدعسان فقال بعضهم " سمعنا من بعض رجاله قبل قتلهم يخبرون أنه أخفاهم في إحدى القرى " أمر الأمير بإنزال رأس سريانو وحمله لمدينة الرعاد والملك ضرغام ، وانتدب الدعسان أحد رجاله لأداء المهمة .

وأما الملك دغفل فقد استاء من أفعال الأميرة نهيلة ، وتعاونها مع الأمير سريانو بالتجسس عليهم ، فقالت له برجاء : كان يزعم لي يا مولاي أنه ينتقم لدم أبيك .. فسايرته .

ـ كذاب ، إنه ينتقم لنفسه .. هو الذي ساعد الأمير طل في قتل شقيقه الملك مطر والد الملك ضرغام .. لقد كانت كارثة عظيمة ومروعة ، وقد قتلوه غدرا وغيلة على غدير الدم .. فاضطر أبي في الاستمرار

في الحكاية معهم.. ولما ضاق الناس من الملك طل أزاحه وأرسل حاكما منا ليحكم البلاد.. ونحن اليوم ندفع ثمن تلك العداوات والحروب .. وأعلن أمامكم جميعا أنني تزوجت هذه المرأة خوفا من سريانو اللعين .. زعم لي أنك أفضل وأجمل النساء .. أجبرني على الزواج منك .. وأنا أخافه وأرتعب منه منذ أيام أبي الذي سلطه على رقابنا.. وأنا سعيد بموته أيها الرجال .. والآن أنا أصبحت ملكا حرا لكم أيها الأسياد .. وأعلم أن الكثير منكم يشاطرني هذا الإحساس .. وأول الأعمال بعد أن حررت .. اشهدوا بأني طلقت هذه الأميرة فالحقي بأهلك .



النصر

استدعى الملك دغفل الأمير محسنا لمقابلته وذلك بعدما طلق زوجته نهيلة، وأمرها بمغادرة البلاد ولما دخل الأمير القصر يصحبه الدعسان وبعض حرسهم اعترضه شخص محاولا اغتياله ، فأمسكه رجال الأمير بسرعة الريح ، وحالوا بينه وبين تحقيق مأربه ، وأمر الأمير الرجال بأخذه لمحبسهم؛ ليسمع إلى دوافعه إلى هذا الاغتيال .

استقبل الملك الأمير، واعتذر له عن الإساءة التي أصابتهم من زوجته، وأعلمه بأنه سرحها إلى أهلها ،وهي تستعد للرحيل.. فذكر له الأمير الحادث الجديد ، فاستغرب الملك لهذا الاعتداء وأسف له وقال معتذرا ومبررا : الرجل أيها الأمير لم يكن سهلا .. فهو لم يكن صديقا لي .. إنما عار ورثته عن أبي ..

فقال الأمير : أنا أسلم بما تقول ..

ـ أتعلم لماذا دعوتك اليوم ؟

ـ لا .

ـ طلبتك لأعرض عليك أن تكون زوجا لإحدى بناتي؛ لتثق أنني صديق لكم ومحب كذلك.. وإنني لست متواطئا مع أحد ضدكم .. نحن نريد السلام وكان من عاداتهم لإظهار السلام بينهم أن يتزوج الرجل القاتل في الحروب زوجة القتيل أو أخته أو ابنته لبيان الرضا والإقرار بالهزيمة، وأن الحرب خطب مؤقت والسلام هو الدائم .. لذلك قبل الأمير هذه الخطوة وقرنها بموافقة الملك ضرغام عليها ، وقدم الشكر للملك على شجاعته بهذه الخطوة الجريئة .

ولما جلسوا في بيتهم قال الأمير : الخوف من سريانو أخذ يزول من نفوس القوم والملك .. كان اللعين مرعبا لهم ..

ـ لقد كان سيف الملك المقتول .. ألا تريد أن تسمع لأسيرك؟ .. فهو ابن لسرياني

أظهر عجبه الأمير وقال: أوه !! أراد أن ينتقم لأبيه .. هاته

جلب الأسير للمثول بين يدي الأمير محسن ، ولما تقابلت العيون قال الأمير: أتريد أن تعدم الحياة كأبيك الخائن يا ملعون ؟

ـ لم يعد للحياة طعم بوجودك أيها الشقي .

ـ أنا شقي ! من بدأ الظلم أيها اللعين ؟ .. أنحن ذهبنا لغدير الدم وغدرنا بالملك مطر ؟!.. أنحن أشعلنا نار الحرب بين البلاد يا غادر؟! .. هل اعتدى عليكم الملك مطر وقتل رجالكم وسبى نساءكم ؟!.. نحن سيوف العدالة والقصاص يا غادر .. نحن ولدنا لننتقم لهم .. وليدور الزمان دورته .. ألم يخطف والدك الشرير أمي وأختي وأهل قريتي أم تزعم أنك لا تدري؟ .. أبوك اتخذ السلطة والحكم للعب والقتل للأحرار والعيث فسادا بالبلاد والعباد .. لم يتخذ السلطة والحكم للعدل والمساواة بين الناس ، وأنت هربت عندما أسرنا أباك أو قتلناه .. هل تحب العفو أم تفضل الموت ؟

ـ سأقتلك .

ـ ستقتلني يعني أنك لا تريد السلام والعفو .. أتريد أن تبقى مجرما مثل أبيك ؟.. ضعوه في السجن حتى يموت جوعا .. لا أريد أن أغمس يدي بدمه النجس ..

ساقوه إلى غرفة في البيت تستخدم كسجن صغير .. وبعد يومين من مكابدة الجوع طلب العفو والصفح ، فأمر الأمير بإدخاله عليه ثانية، فهجم مقبلا لقدمي الأمير ويقول : العفو أيها الأمير .. أحسن إليّ

قال الأمير : ضعفت سريعا أيها الثائر .. دعك من الكلام الأكبر منك .. أنا عندما أعود لمليكي بعد عودة أسرتي التي سرقها أبوك سأعفو عن أهلك وأمك بينهم .. وسأتزوج ابنة الملك .. التي قتلت جدها على غدير الماء انتقاما لمقتل الملك مطر .. الملك دغفل سيزوجني ابنته لتذهب الأحقاد والثارات .. أرأيت المسامحة ؟ .

قدموا له طعاما، ولما أكل وشبع قال : أيها الأمير ، وأنا سأدلك على أهلك أمك وأختك .

ـ أنت ؟!

ـ نعم ، أنا يا مولاي ! أنا كنت الحارس عليهن ، ولما علمت بمقتل أبي جئت لأنتقم منك .. ولكني أدرك الساعة أني مخطئ .. ما كان على أبي خطفهم ، كان عليه أن يرضى بما رضيه أهل المدينة وسادتها

ـ هذا هو الكلام الجميل.. يا أمير زيد .. ستقابل الملك، وتعترف أمامه بأنك أسأت لنا، وتطلب منه العفو ؛ ليحفظ لك هذا المعروف .

وبينما الأمير محسن يجلس بين فرسانه في مدينة قدم الغزال دخل عليهم رسول من بلادهم ، فلما رأى

الأمير هتف والجزع باد على محياه: مولاي الأمير! السلطان يدعوك للعودة عاجلا لا آجلا في اللحظة التي أكون بين يديك عليك أن تعود.

جزع الأمير والدعسان للخطب وقال الأمير : الِشأن خطير! .. ما الأمر لقد وهنت قلوبنا .. أأصاب الملك مكروه ؟!

بكى الرسول وقال من بين دموعه : حياة الملك في خطر .. يا مولاي الأمير .. أصيب الملك وأرسلني الوزير زويد المقداد لترحل على أسرع جواد .. عندما كانت المدينة تحتفل بموت سريانو تعرض الملك للسعة حية سامة .

ـ كيف ؟!

ـ كان يا مولاي.. كان يتجول في حدائق القصر الجديد.. وهو في أحدها دعس بقدمه على ثعبان قاتل .. فلسعه في ساقه .. وعجز الأطباء عن معالجته وتوفير الترياق المفيد .. وهو يحتاجك خلال وقت قصير .

كانوا يخرجون من المدينة إلى بلاد الملك الرعاد ، وقد رافقهم بعض الرجال ، وأمر جود بزيارة القصر وإخبار الملك بسفرهم العارض .. والذهاب مع الأمير زيد لإحضار والدة الأمير وشقيقته..

ولما وصل الأمير القصر الجديد في القلعة كان الملك ضرغام يكابد الألم والموت ، فلما رأى الأمير تهلل على وجهه الابتسام والفرح وقال : الحمد لله أنني رأيتك في ساعاتي الأخيرة .. وقبل أن تخرج الروح لبارئها .. إنها أيام قاتلة .. ولعل أدوية الحكماء هي التي أخرت مفعول السم ..

عانق الأمير الملك ، وبكى على صدره ، وفعل الدعسان مثله وقال الملك : أخي محسن .. صديق العمر .. أوصيت لك بالملك ، حتى يكبر ابن أخيك عمرو ويصبح في مقام الرجل .. فتجعله وريثا للعرش عرش الآباء والأجداد .. وسلم لي على أمي الحبيبة ، وأختي سيرة ، وأحفظ حقهما وشأنهما يا أخي الشجاع .

ـ إنهم في الطريق إلينا يا مولاي .. وأنا أعاهدك على الوفاء بما عهدت إليّ .. وأن يكون عمرو ملكا على البلاد .

ثم بعد حين شهق الملك شهقة الموت، وخرجت الروح السر الإلهي لبارئها إلى رحمة الله التي وسعت كل شيء .

وأجهش الأمير والحاضرون بالبكاء والشهيق والزفير والدعاء بالمغفرة والرحمة على روح الملك ضرغام .. وغرق القصر بالبكاء والدموع .. وانتقلت الدموع والحزن لأهل المدينة .. صغارا وكبارا ذكورا وإناثا .. فالكل يعتقد أنه فقد رجلا شجاعا بطلا ، حررهم من نير الظلم والاستعباد ، ورفع رؤوسهم إلى السماء .. الكل حزين يبكي

ويدعو للشاب الشجاع بالرحمة والسلام ..

تقدم الأمير بعدما تمالك حزنه وهمه من أم الملك الأميرة سيرة وعزاها بولدها الملك ، وشاركها الحزن والنشيج.. فقبلته من رأسه.. وقالت : إنك نعم الأخ والصديق يا ولدي.. وأعاد الله لك أمك وأختك وأهلك بسلام .. وسرني ما سمعتك تقوله أمام الملك من عودتهما

وقدم الدعسان والأمراء العزاء لأم الملك .

وقبل الأمراء جبين الملك الميت ، وتركوا أمه والنساء يدخلن عليه، وخرج الوزير مقداد لإعلان وفاة الملك على الملأ الذين كانوا يعرفون ذلك قبل إشهاره .. وانتقل السادة إلى ديوان الحكم

وفي اليوم التالي سمح الأمير محسن للعامة بالدخول إلى حجرة الميت لإلقاء نظرة إليه والدعاء له والصلاة عليه .. وعصر اليوم وبعد غسله والصلاة عليه دفن في مقابر أجداده وأسرته .

وغمر الحزن المدينة فهم لم ينسوا شجاعته وكرمه وحبه لهم ، لم ينسوا إنقاذه لهم من نير شاقور وشجاع .. كانت سنوات قليلة .. ست سنوات غمرهم فيها الإحسان والعدل والسلام ..

والتقى محسن بعد أيام بقيم القصر، واستوضحه قصة الأفعى القاتلة ، وكيف استقرت في حدائق القصر وبساتينه ، فقال القيم : العمل كما تعلم أيها الملك لم ينته كليا في القلعة.. فالملك ضرغام ـ رحمه الله ـ كان متعجلا للحياة في هذا البناء الشامخ .. وجهز قصره قبل كل شيء .. وانتقل إليه مع الحرس ، وأصبح المكان مقر الحكم وديوان الحكم .. والحدائق لم تجهز بشكل دائم .. وقصر سيادتكم ما زال العمل جار فيه .. ومباني الخدم والحرس كذلك .. فلا أعتقد أن أحدا أدخلها القصر .. ولماذا قرصت الملك دون غيره ؟! .. لو وجدت في غرفته في قصره ربما قلنا إنها مدسوسة ومقصودة .. فالخدم والجند يتمشون في أرض القصر .

ـ معك حق .. القضاء والقدر الذي حكم .

ـ أجل يا مولاي الملك إنما هو الأجل !

لما بايع الأمراء الأمير محسنا ملكا تنفيذا لوصية الملك الأخيرة أبقى الوزير مقدادا زوج أم الملك مكانه وزيرا على البلاد، والقائد فوزان قائدا للجيش، وجعل الدعسان مقدم الحرس الملكي.

ثم استقبل أمه وأخته وأهل القرية المحررين من خطف سريانو، وعلم أن زوج أمه سهام مات في الأسر ، فعزى أمه بزوجها ، وعزاها بموت ابنها الملك.

ومشت أمه وشقيقته سيرة لقصر الأميرة سيرة ، وقدمتا لها العزاء بوفاة ابنها الملك ، وبكوا الملك الميت من جديد ، وقالت الأميرة : مصابنا واحد، فأنت أمه التي أرضعته وحضنته سنوات عمره، وعاش عندك أكثر مما عاش عندي .. وأنا مدينة

لك بكل الفضل..

واحتضنت سيرة الباكية على أخيها الملك " تعالي يا حبيبتي .. كان أبوك وفيا لنا .. وسماك على اسمي .. يا مرحبا بكم جميعا "

ولما جلسن قالت الأميرة الأم : رحم الله العم جديا ..إن البلاد تسعد بوجودكم فيها ..أرجو أن تبقوا معنا .. فمحسن اليوم ملك البلاد وسيدها.. كان الملك يحبه كثيرا يا أم محسن .

ذرفت الأم وابنتها الدمع على روح الملك، وتقبلت عزاء الملكة سيرة بوفاة زوجها سهام .. ثم زاروا قبر الملك ، وترحموا عليه ، والسلام عليه وعلى أموات الأسرة المالكة .

ووهبتهما سيرة قصرا مهجورا بعد أن كمل تنظيفه وتجميله، ولما جهز رحلت إليه أم الملك وولداها اللذان ولدتهما من سهام.. وسكنت سيرة وأسرتها في نفس القصر.. وشجع الملك أهل قريته الناجين من أسر سريانو بالمجيء بأهليهم والحياة في مدينة الملك ، فوعدوا بالتفكير في ذلك.

ولما انتهى الحداد على سيد البلاد الراحل ، كشف الملك للوزير حكاية زواجه من بنت الملك دغفل.. فسر الوزير من هذه الخطوة، وشجع الملك على الوفاء بها .. وقال : لو كان الملك حيا لبارك فيها .

ورحبت سيرة أيضا بهذا الزواج .. لذلك أخذت الوفود تتحرك بين المدينتين، ولما عقد الكتاب أمام القضاء احتفلت المدينتين بالزواج .. ورحلت الأميرة شفق إلى مدينة زوجها الملك محسن.. حيث كانت تحتفل المدينة بتتويج محسن ملكا .. واكتمل التتويج بزواج الملك .

وسيرة الملك معروفة لأهل المدينة .. فهو الذي انتقم لموت الملك مطر، وشارك في حرب التحرير.. وأسر سعدانوا .. وسريانو .. فهو البطل الشجاع .. الفارس المقدم على الفرسان ، وهو ملك البلاد .

ورأى الناس أن هذا الزواج قد أنهى العداوة والبغضاء بين المدينتين.. وأمر الملك بمناسبة هذا الزواج العفو عن الرهائن ، ومن بقي حيا من أسرى المعارك .. واتبع الوزير بهذه المصاهرة قرارا بوقف أخذ الأموال من بلاد قدم الغزال .

وقدم الملك دغفل بشخصه ووفد كبير لتهنئة الملك محسن بتتويجه ملكا لبلاد الرعاد ، والتهنئة بزواجه من ابنته شفق ، وإعلان عودة السلام والصفاء بين البلدين.. وتأكيد عدم تدخل أي بلد في شأن البلد الآخر.. والاتفاق على حل العقد والصراعات بالعقل وحده دون العاطفة .

كانت عروس الملك شابة صغيرة نالت قسطا من العلم ، فوجدت قبولا لدى نساء البلاط الملكي.. وأحبتها الملكة سيرة .. وأم الملك جديلة

وأخته سيرة .. والكل تجاوز المآسي.. فهم جميعهم بين قاتل ومقتول .. فعليهم نسيان التاريخ الأسود .. وكمل فرحهم بولادة الأميرة لمولودها الأول ، وكانت أنثى فسماها الملك سيرة لبيان حبه لوالدة صديقه ضرغام .. وكلنا يذكر أن لمحسن ولدا من إحدى جواري الملكة سيرة سماه عطية .

وبعد حين يسير من ولادة شفق مرضت أم الملك مرضا منهيا حياتها بعد انقضاء الأجل المقدر من رب الحياة والموت.. ولم ينفع الدواء ولا الطب في إنقاذها من ساعة الموت .. وقامت لها جنازة تليق بالملك الشاب ، وسمح الأسياد من أسرة الملك ضرغام بدفنها بمقابرهم الخاصة ، فهم يعتبرونها أما للملك ضرغام .

وكان الملك قد وعدها وهي على فراش الموت برعاية ولديها من العبد سهام، فهم إخوته ، وسيهتم بهم الاهتمام اللائق بإخوة الملك ، فماتت قريرة العين تدعو له بالسلام والحياة السعيدة

واستمر الملك على خطى أخيه الملك ضرغام بتحديث المدينة وتوسيعها وتشجيع الصناع للبقاء والمقام فيها.. ويشجع أهل القرى على الزراعة والاعتناء بالمواشي والأنعام .. واهتم أيضا بتوفير الأمان والحماية للتجار والقوافل ، وكان لا يتهاون مع اللصوص وقطاع الطرق وضبط الأمن والطرقات .. وفي عهده بدأت المدينة تكبر وتتسع .. وينتشر البناء خارج أسوار المدينة القديمة وامتد إلى القلعة التي اتخذها ضرغام مقرا للحكم ، وصدق ما توقعه الملك الراحل والوزير مقداد .

وبينما الملك في مصلاه يصلي الفجر دخل عليه أمير الحرس الملكي الدعسان هامسا في أذنه أن والد الأميرة شفق قد اغتيل في بلاده .

فصدم الملك للخبر فقال الدعسان : هذا ما نقله لنا رجال الخفية من بلاد قدم الغزال .

وبعد أيام جاء بريد للملك فيه نعي الملك دغفل ، ورسالة عزاء للأميرة شفق.

قتل الملك دغفل

طلبت الأميرة شفق من الملك الذهاب لزيارة مدينة أهلها والتعزية في أبيها المقتول .. فجهز لها الملك عربة ملكية وطائفة من الجند والحرس تصحبها في تلك الرحلة ، وأتبعهم الدعسان بفوج من أعوانه لمراقبة ومتابعة القافلة.. ولمعرفة ملابسات الجريمة ، وصحبت الأميرة ابنتها الرضيعة معها ، ورافقها الملك لأطراف المدينة .

ولما قفل عائدا قال للدعسان : ألا تعلم تفاصيل القتل أيها القائد ؟

ـ سيصل قريبا تفاصيل مفصلة .. فنحن كما تعلم منذ قضينا على اللعين سريانو لم يبق إلا العدد اليسير من رجالنا .. ربما ثلاثة أو أربعة .. فقد ضعف العداء بيننا كما تعلم .. إنما بقي هؤلاء من

باب الحذر.. فهم أصهار الملك .. ـ وابتسم وابتسم له الملك ـ .. وأيضا أولئك الأعوان يهتمون بالأحداث الجسام، ولابد أن أخبارا مفصلة سترد .. فقد طلبت من الرجل الذي نقل لي الخبر معرفة أسرار الحادث .. الحادث كان مفاجأة للجميع بعد عموم السلام بيننا.

وصل صاحب الخبر بعد أيام من هذا الحديث .. فاغتيال ملك ليس كاغتيال رجل من العامة فالملك محاط بالحرس والحماية .. والعامي غير محاط بحماية .. قرأ الدعسان الرسالة ثم أطلع عليها الملك.. وعجب الملك منها ، فقد كان الجاني الأمير زيد بن جعفر المعروف بسريانو .. فقد عرف جيدا صاحب هذا الاسم ، فقد حاول اغتياله ، ثم عفى عنه بعد حبسه عدة أيام .. وفهم من الرسالة أن الملك نفاه خارج المدينة ؛ لأنه سعى لأحياء نشاط والده ، وإظهار نفسه بالفارس القوي كأبيه.. مما أدى لغضب وسخطة الملك عليه.. ورفض الملك والوزير ظهور سريانو جديدا.. ويبدو من الخطاب أنه نفي لمدينة تتان حيث الملك حسن غاب والأميرة نهيلة طليقة الملك.. وأن الأميرة المطلقة التقت به أثناء وجوده في بلادها ، وشجعته على الانتقام وقتل الملك دغفل لأن اسمها تردد على لسانه كثيرا أثناء فترة الاعتقال ، واعترف بالمؤامرة الكبيرة على حياة الملك .. فقد استغلوا طرده ونفيه فهيجوه على الجريمة والقتل.. وذكر مرسل الخطاب أن الأميرة وعدته بالزواج منها إذا نجا من الجريمة.. وهي منذ تركها الملك بغير زوج زاد فسادها في البلاد وكثرت حفلاتها ومجونها.. فلما تعرفت عليه وعلى قصة نفيه.. رحبت به في مجالسها وحفلاتها، وطمع بنكاحها فاشترطت عليه الانتقام لها ولنفسه.. فتسلل للمدينة متنكرا ، واستطاع إقناع بعض أتباع والده الذين عادوا للبلاد بعد مصاهرة الملك للملك محسن بمساعدته للوصول للملك ، والتآمر معه لكرههم للملك الذي همشهم في حياة البلاط ومنع أعطياتهم .. ونقموا على الملك ظاهرا لتزويجه ابنته للملك محسن .. ورأوا ذلك عارا واستسلاما كاملا .. فصنعوا كمينا للملك في أحد قصوره، وطعنه زيد الطعنة القاتلة..، أمسك به الحرس ومعه رفيق له فور الحادث الغادر .. وأمام سيف الجلاد كشف كل الحقائق والكيد .. وفي الرسالة أن رجال الملك يطلبون الأميرة نهيلة التي اختفت من مدينتها .. ووافق الملك حسن غاب أمام الحقائق على حبسها دون قتلها .. والأمور تسير للأسوأ بين المدينتين ، وقد تثار الحرب بينهم .

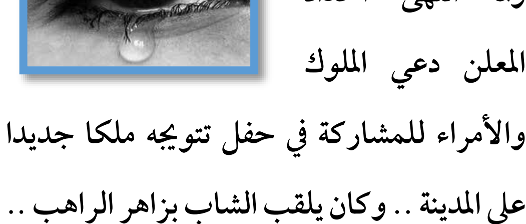
ولما رجعت الزوجة شفق من بلادها قصت على الملك نفس الكلام الذي جاء برسالة صاحب الخبر ، وتظاهر الملك أنه يسمع الكلام لأول مرة ..

والجديد الذي أضافته الأميرة أنهم اعدموا زيدا وجميع رفاقه الذين قبض عليهم في المدينة الحياة.. ونفوا ذريته من المدينة .. وهم يطاردون الأميرة الجانية الهاربة .. فهي المحرضة الحقيقية للقاتل المجرم ابن سريانو .

فقال الملك " هل مات سريانو الآن ؟ "

فقالت " الله أعلم يا مولاي الملك! "

نصب الأمير زاهر ابن الملك دغفل ملكا مكان أبيه على بلاد قدم الغزال ،



ولما انتهى الحداد المعلن دعي الملوك والأمراء للمشاركة في حفل تتويجه ملكا جديدا على المدينة .. وكان يلقب الشاب بزاهر الراهب .. فقد كان هذا الفتى معروفا في بلاده من العباد .. فهو لا يشرب الخمر، ولم يتزوج مع أنه الابن البكر لأبيه ..

وجاءت رسالة للملك محسن تدعوه لزيارة البلاد والمشاركة بحفل تتويج الملك زاهر الراهب.. وتطلب منه شخصيا المساعدة في البحث عن الأميرة الهاربة ليستقر الهدوء والسلام في البلاد ..

فأهله غاضبون على الملك حسن الغاب .

فضحك الملك وهو يتلقى هذا الطلب وقال للدعسان : ما رأيك ؟

فقال الدعسان : قد تكون مختفية في ذلك القصر في تلك الغابات التي تذكرها يا مولاي .

ـ ممكن

ـ سأرسل بعض الأعوان دون علمهم لذلك الوكر الخفي.. ما دامت لها علاقات برجال سريانو أظن أنهم يعرفون ذلك المكان الخفي، وهو نعم المخبأ .

ـ ولا تنسى أن أختها درة عاشت فيه مع عشيقها سريانو .

ـ صدقت أيها الملك الآن زادت ثقتي أنها تختفي فيه .. أترى أن لأختها سعي في قتل من كان زوج أختها ؟

ـ إذن انتقام !

ـ قد يكون ، فقد كانت الأميرة درة تحقد على أختها لدورها في قتل زوجها زير النساء .

ـ إنها بعيدة عن الحكم والسلطان، ومتهمة بقتل زوجها .. ربما شملها عفو وشفاعة من أهل القتيل

بعث الدعسان مجموعة من رجاله الذين شاركوا معه في القبض على سريانو لذلك المكان الخفي

وكتب كاتب الملك رسالة للملك زاهر الدين يعلمه فيها القبول بمهمة البحث عن الأميرة الهاربة لمنع الحرب بين البلدين .

استقبل الملك القائد جودا ورجاله كلهم ، وقرأ رسالة الملك محسن على رؤوس الأشهاد الذين سروا لتدخل الملك محسن في النزاع القائم بين المدينتين ، وأثنى الملك على زوج أخته الثناء الحسن

، وشرح لهم القصة والمؤامرة .

وأسكنهم في جناح قصره ليستريحوا من وعثاء السفر عدة أيام ، فشكروه على اهتمامه .

وهم بعد استراحتهم قد طلبوا من الملك مجموعة من الفرسان يثق بهم، فطلب من قائد الشرطة تحقيق رغبتهم.. فأمن له الرجل عشرة فرسان يقودهم شاب من أشقاء الملك زاهر ..

وساق القائد جود رجاله ورجال الملك إلى غابات شيخ عسير المعروفة له، فقد خاض في غمارها مغامرة قوية ومثيرة .

وبعد يوم رجع الرجل مخبرا للملك أن القصر مهجور ، لم يجدوا فيه إلا الكلاب ، وهو على ما تركوه عليه قبل سنوات .. وفكروا بالرحيل لمدينة حسن غاب للقيام بمهمة البحث عن الأميرة الهاربة .

وبينما هؤلاء يفكرون بالذهاب لتتان كان الملك محسن في بلاده، ويجلس في ديوانه ، ويعلمه الحاجب أن امرأة من غير أهل المدينة تزعم أنها تعرفه حق المعرفة ، وتريد مقابلته شخصيا ، فنظر الملك باسما لوزيره الشيخ وقال : امرأة غريبة أيها الوزير ترغب برؤيتنا .

فخرج الدعسان لينظر تلك المرأة الساعية لمقابلة الملك في هذا الصباح ، فلما كشفت عن وجهها عرفها الدعسان على الفور، فهي آخر عشيقة لسريانو وشهدت مصرعه درة ابنة الملك حسن الغاب المتهمة بقتل زوجها، فمنذ أيام كانوا في الحديث عنها، وما حل بها بعد تركها في مدينة قدم الغزال .

فقال لها : أتذكرينني ؟

فقالت باسمة : وهل تخفى عليّ أيها القائد الفارس الدعسان .. عسى أن تسمح لي بمقابلة الملك محسن سيد البلاد والعباد.. إني جئته في شفاعة .. وأنا تبت إلى الله ، وعفى عني والدي، وهجرت الرجال ، وأعيش حياة الأرملة ؛ وإنها أختي وقعت في بلية، ولا ينجيها بعد الله إلا الملك الشجاع محسن .. سيد الملوك في هذا الزمان .

ابتسم الدعسان لها وقال: جئت من أجل شقيقتك ودورها في مصرع زوجها الملك دغفل صهر الملك محسن .

ـ نعم أيها الأمير .

ـ إنها هي التي ورطت الشاب لقتل الملك غيلة .

ـ أتصدق ذاك أيها الأمير ؟ وهل كل امرأة تطلق تقتل زوجها ؟

ـ هي محرضة ؟

ـ وهل كل شخص يحرض على جريمة يفعل ؟.. إنما اتخذ ذلك الكلام والتحريض تبريرا لجنايته فهو يريد القتل ؛ لأنه فشل أن يكون زعيما كأبيه .

ـ حسنا أيتها الأميرة .. سيكون لك لقاء مع الملك

حسب شهوتك .. والآن تنزلين بيت الأضياف .. هل أمر لك بولوجها ؟

قبلت يده وقالت بحسرة ودموع : تصنع خيرا يا مولاي الأمير .. نحن بنات ملوك وأصبحنا أذلة .. فكيف حالنا عند موت مولانا الملك ؟!

ـ أنتن أخطأتن أيتها الأميرة.. خرجتن عن المألوف في بنات الملوك .. ولم تقرن في بيوتكن كنساء العالمين.. اللعب بالنار يؤدي للهلاك والدماء .. والدكنّ طيب ورجل شيخ.. فأختك الهاربة كانت ترفض الأزواج بحجة أنها فارسة لا تنكح الرجال إلا إذا هزمت .. سفاهة وضعف عقل

أدخل الأمير الدعسان مقدم الأعوان المرأة على الملك محسن بن جدي ، رحب بها الملك باسما، وأشار لها بالجلوس وابتسم لها من جديد، وهو يقول : سمعت أخبارا طيبة عنك .. قد تبت إلى الله والتزمت الطاعة والعبادة !

اقتربت لتقبل يد الملك فاعتذر لها عن ذلك ، وطلب منها تبقى في مكانها فقالت : نعم يا مولاي الملك ، لقد رأيت ما حل بسريانو الشجاع الكبير .. كانت نهاية لا تعادل الملذات التي حصل عليها عشرات السنين .. غاب عن الحياة بجبروته وكبره .. ندمت وندمت واعتذرت لأبي الشيخ الكبير، وأعلنت توبتي أمامهم وندمي على الموافقة بقتل زوجي على يد رجال سريانو.. وطلبت منهم القصاص العادل .. فلما رأى أهل زوجي القتيل من تسليم نفسي لهم وندمي عفو عني للملك الشيخ ، ودفع والدي الدية، وخرجت من السجن ، واعتكفت في دار أبي ، وأبتهل إلى الله أن يقبلني، ويغفر لي كل ذنوبي وشهواتي الآثمة .. وأسأله ذلك دائما.

فردد الملك الشاب :آمين .. آمين.. والآن جئت للشفاعة لشقيقتك الأميرة المختفية المتمردة على قانون النساء .

قالت وقد مسحت دموعا سالت على وجنتيها بحضرة الملك : نحن ولدنا يا مولاي وقد بلغ والدنا الملك الخمسين سنة ، ولم تحسن الجواري تربيتنا والعناية بنا العناية الملكية والخاصة بالأميرات.. فتعلقنا بالشهوات وتقليد الشباب .. فصرنا نحضر مجالس الأشرار من الأمراء والأقارب في سن مبكرة.. أنا وإياها من أم واحدة وأصغر ذرية الملك حسن غاب .. فأحبت شقيقتي الفروسية كالرجال والأمراء الشباب ، وتمرست عليها على أيدي أمهر المدربين فأصابها الغرور ، وأعلنت أنها لن تتزوج إلا من يقهرها في العراك والقتال.. صارعها بعض الشباب المتدرب فلم ينالوا منها، فزاد الغرور لديها .. وبدأ الشباب الأمراء يبتعدون عنها رويدا رويدا ويفوزون بفتيات صغيرات .. وسعى إليها بعض الفرسان

من خارج البلاد .. وكان الملك شجاع بعد موت خالتنا زوجته يرغب بها لبقاء المصاهرة بينه وبين الملك حسن .. ولكنها فازت عليه وصرف نظرا عنها.. تعرفت تلك الأيام على الأمير سريانو حارس الملك القوي .. وأصبحت صديقة للملك ولسريانو .. وكانت جميلة تتحدث البلاد عن جمالها وحسنها .. وعلى أثر موت الملك شجاع .. حاول الأمير سريانو استغلال جمالها في اصطياد الملك ضرغام .. عندما علم أن الملك وافق على الاقتران بها.. وسريانو رجل مرعب وقاتل سفاح يا مولاي .. فما كانت تستطيع أن ترفض له طلبا خاصة عندما أغرته بقتل زوجي .. فأصبحنا في يديه كالعجين .. فسكتت عن خطته بخطفها لاستدراج الملك ضرغام ـ رحمه الله ـ إلى وادي السبع .. ولما فشلت حيلته بجر الملك لوادي السبع والحرب مع الملك دغفل .. أعادها لأبيها .. وأمرها بطلب الطلاق من الملك ضرغام، ووعدها أن ينكحها للملك دغفل ليكون خدمها عيونا له في القصر.. هي تمنت أن لا يوافق الملك على الطلاق والسعي لأخذها ، فهي كانت أسيرة لسريانو ولكن مولانا الملك أعلن طلاقها ، وتزوجت الملك دغفل للقرابة التي بيننا ولضغط من سريانو الذي ما زال يحكم ويشير في البلاد ولو من قصره الخفي ولما كشفتم مساعدتها لرجل سريانو، وبموت سريانو نفسه طلقها الملك دغفل ، وأرسلها لأبيها الشيخ .. فعادت غاضبة ناقمة مستهترة بالحياة الشريفة.. ورجال المدينة رفضوا الزواج منها وهي شابة صغيرة لما اشتهر عنها من الاسترجال .. فكان لها مجلس شراب وطعام يجتمع إليها الشعراء والمغنون والماجنون .. ولما طرد ابن سريانو من بلاده منفيا لبلادنا فدخل المجلس بعد حين وذكّر الأميرة باسمه وأبيه ، وشكى لها حاله البائسة، وأنه فشل أن يكون كأبيه سيد وزعيم .. وكان جل حديثه عن أبيه وشجاعته ومغامراته وسطوته، ثم تشجع وطلب الاقتران بها .. فكانت لا تريده ، ولا ترغب به زوجا، ولا تريد العودة لمدينة قدم الغزال .. وكانت ما زالت حاقدة على الملك ، وهو مثلها فبدأت تعرض بقتل الملك ليثأر لنفسه ولها وشجعته على فعل ذلك بأنها ستقبل منه الزواج إذا نجا من ذلك .. وهي قالت لي " لم أكن أظن أنه سيستطيع فعل ذلك .. فليس له الذكاء والفطنة اللتان كانتا لأبيه .. ولم يكن شجاعا " هي فعلت ذلك لتتخلص منه ، ومن مضايقته .. فهو يسعى للأمجاد، وهو ضعيف ينفذ ما يخطط له فقط .. فلما رأى إصرارها على تحقيق شروطها، وعدها بقتل الملك والانتقام لها ولنفسه .. وغادر البلاد، وهي اعتقدت يا مولاي أنه لن يعود ، سيكشف شأنه ، ويطرح في أحد السجون.. فهم سيمسكون

به عندما يدخل المدينة إما فيحبسونه وإما فسينفونه إلى مكان آخر .. لكن اللعين ـ يا مولاي الملك ـ كان لهم أعوان .. والأصح أن لأبيه أعوانا وأنصارا استفادوا من سخطه ونقمته ورغبته في قتل الملك فحمسوه وساعدوه، وسهلوا له هذه الفعلة الشنيعة.. وهناك سخطة عند بعضهم لزواجكم من ابنته الأميرة شفق .. فتنة مناسبة ليعودوا لمراكز حكمهم وفسادهم .. وفي هذا القتل لم يكن للأميرة نهيلة يد يا مولاي ، هم استغلوا تحريضها وتشجيعها .. ولم تشأ الانتقام لطلاقها الذي مضى عليه سنوات .

فقال الدعسان لما لزمت الأميرة الصمت وقد طال: وهي أرسلت أختها الأميرة لمعرفتها لنا عند قتلنا لسريانو اللعين ؛ لنشفع لها عند الملك زاهر الراهب .. ولتوضح لهم أن الأميرة لم تشترك في تفاصيل مؤامرة الاغتيال.. وإنما شجعت الرجل للتخلص منه .. وهي تقسم على ذلك .

قالت : نعم يا مولاي .. وهي مستعدة للمثول أمامكم أو أمام الملك زاهر لتقسم على ذلك .

فقال الملك : أرى أن الملك زاهرا إذا عرف هذا الدافع سيعفو عن المرأة .. ومن عادة الملوك العفو عن النساء .. وسيذكر أنها كانت في يوم من الأيام زوجة لأبيه .. سيكتب الكاتب يا أمير دعسان رسالة بهذا المعنى للملك زاهر .. وعليك أن تأخذي شقيقتك لمقابلة الملك ، وتشرحي له دور أختك في مؤامرة اغتيال الملك دغفل .. وستأخذين خطابنا بيدك للملك فإذا قرأ الخطاب واستمع كلامكم وقسمكم وقنع كما اقتنعنا فسيعفون بإذن الله .. والقوم يقدرون صداقتنا يا أميرة درة .. ومسيركم إليهم سيدفعهم ليصدقوكم .

وأهدى إليها الملك هدية ، ولأختها مثلها ، لكل واحدة منهما جوهرة . وغادرت البلاد تحمل رسالة الملك محسن ، وهي تشعر بقرب الفرج عنها ، وعن أختها المطاردة .

وأرسل الدعسان رسالة لرجاله ، ليكفوا عن البحث عن الأميرة الهاربة .



دخل رجل الدعسان جود على الملك زاهر بعد عودتهم من مدينة تتان ، فرحب به الملك ، فأخبر الملك أن الأميرة مختفية في بلادها ، وأعلمه أنها أرسلت شقيقتها الأميرة درة لمقابلة الملك محسن ليتدخل في قضيتها ومصيرها، وتزعم أنها بريئة من المؤامرة ، وهو قابل الأميرة درة في بلدها بعد عودتها من مدينة الرعاد ، ومعها خطاب من الملك محسن، وستمثل أمامه لتبين له دورها في مؤامرة

اغتيال والده الملك ليحكم عليها الحكم العادل .
فأثنى الملك على جهده ورجاله خيرا، ورخص لهم بالعودة لبلادهم ، وفعلا جاء الملك حسن غاب ووزيره وابنتاه مع وفد كبير للقاء الملك زاهر الراهب.. واستقبلهم الملك في ديوان الحكم وحضر القضاة لسماع أقوال الأميرة نهيلة في تلك الجريمة .. وقرئت رسالة الملك محسن التي يحث فيها على العفو والصفح وأن النساء تغلبهن الشفقة والثورة السريعة .. وقالت أختها : يا مولاي الملك ماذا تستفيد الأميرة من قتل الملك ؟ وكيف سيتحقق الزواج بعد الاغتيال ؟ أليس سيقتل القاتل ؟!
وتقدمت الأميرة تطلب الصفح والعفو من سيد البلاد ، فطلب الملك من القضاة العفو عنها لشفاعة الملك محسن ، وللقضاء على الأحقاد والضغائن، وإعطائها فرصة للندم والتوبة .. ولذكرى زواجها من أبيه في يوم من الأيام .. ولشفاعة والدها الشيخ الكبير ووفد مدينة تتان.
فوافق القضاة على العفو، وأعلنه الملك للملأ والضيوف ، وبين لهم أن الأمير زيدا كان يسعى لقتل أبيه قبل رحيله لبلاد تتان .. وأنه كان يهدد بذلك؛ ولكنهم لم يأخذوا تهديده على محمل الجد ، وأخذ على محمل الغضب والثورة على زواج ابنة الملك للأمير محسن.. فقد رفض هذا الزواج عدد من أهل وأسرة الملك .. ولكن الحكمة والعقل غلبت ، وتم الاقتران والناس الآن سعداء به .
وأقر الملك أن أناسا من أهل المدينة استغلوا ثورته وهيجانه، ودفعوه لارتكاب الجريمة طمعا بالعودة لمواقعهم القيادية في المدينة .
ولما انتهت الأيام الثلاثة ، واستعد الملك حسن غاب للسفر والرحيل فاجأه الملك بطلب يد ابنته درة .. وكان قد أرسل لها كاتم سره يحادثها ذلك، فذكرت له قصة فسادها وتوبتها.. فذكر الرجل ذلك لمولاه وقد أدرك أن الملك أعجب بها وبتدينها ، فلما سمع الملك دورها بقتل زوجها وأن سريانو اتخذها خليلة ، وأنها عاقر فقال الملك : اشتهتها نفسي أيها الأمير ! هل تابت حقا كما هو ظاهر عليها ؟
فلما رأى كاتم السر هوى الملك إليها قال : جربها يا مولاي فإذا رأيت منها خلقا سيئا فاصرفها بسلام .
فسر الملك لهذا الاقتراح ، وعاد إليها كاتم السر معلنا له موافقة الملك على اتخاذها زوجة فقالت : تكلم مع أبي الشيخ .
تفاجأ الشيخ برغبة الملك ، ولم يكن أمامه إلا القبول حتى قبل مشاورة البنت .
ولما أشهر ذلك، وعد الملك حسن بإرسالها بعد حين زوجة للملك العابد زاهر بن دغفل .. وهذا

كان من أعاجيب الدهر .. ولله في خلقه شؤون .

الملك عمرو

حقيقة أمر النساء والزواج من العجائب في الكون ، يكون الرجل حاقدا حانقا على أنثى ثم تسمع بعد حين أنه نكحها ، يكون الرجل قاتل لأبيها وأهلها فتسمع أنها صارت حليلة له وتلد له .. يتحول الحب لبغض والبغض لحب .

كان من العادات عند الفرسان إذا قتل الرجل خصمه نكح امرأته؛ ليستلسم قومها وتقف الحرب بينهم .. فهم أصبحوا أصهارا للقاتل الفارس .

فأقول لا تعجب من زواج الملك زاهر الراهب من أنثى عرفتم بعض سيرتها ، ولا تعجب من زواج الأمير محسن من ابنة الملك دغفل .

نعود بك أيها القارئ الكريم إلى الملك محسن ذائع الصيت في تلك الأيام الذي لم يحلم يوما ما أن يكون أميرا فارسا ملكا تحتاج إليه الملوك وتقبل حكمه وشفاعته ، هو نفسه كان يستغرب خط سير دنياه . فهو لا يعرف أهل أبيه .

كانت همته في تنشيط المدينة وتوسيعها كبيرة ، فكثرت القوافل إليها، وعمها الأمان والسلام ، وكثرت الخانات والتجار، فزاد عدد سكان المدينة من الوافدين من القرى والبوادي.

وكان الملك مهتما غاية الاهتمام برعاية أطفال الملك ضرغام وأبنائه وأبناء أمه ، وكبر أشقاء الملك ضرغام من جهة الوزير زويد مقداد .

وانتشرت دور العلم في المدينة، وتوافد إليها العلماء والأدباء والشعراء.. وظلت الأمور تسير بسلام وللحياة الفضلى حتى بلغ الأمير عمرو بن الملك ضرغام ثمانية عشر عاما.. فأخذ الملك يحث الوزير على إشهار الأمير عمرو ملكا على البلاد وفاء لوصية الملك الراحل.

التقى الملك بالملكة سيرة ، وعرض عليها غايته، فسرت الملكة من زهده في الحكم ، ومن وفائه لصديقه وأخيه الذي هلك متأثرا بسم أفعى .

اجتمع الوزير مقداد لهذا الأمر برجالات المدينة وسادات البلاد من قضاة وعلماء وحكماء ورؤساء التجار والصناع وأصحاب الحرف .

وجد ترددا من بعضهم بخلع الملك وتنصيب عمرو لأنه ابن جارية كما هو معروف ، وهذا لم يحدث في تاريخ الأسرة المالكة .

فقال الوزير للمترددين : إنه ضرورة تاريخية .. كنا تحت احتلال .. فقد عاش الملك ضرغام خارج البلاد مختفيا .. ووضع الملك محسنا ملكا وقبلنا هذا لاستقرار الملك ، وتقديرا منا لوصية الملك حين الموت .. وكان أبناء الملك صغارا .. والملك ـ رحمه الله ـ لم يتزوج من أميرة فليس له أبناء من حرائر أيها السادة .. والأمير سيتزوج قريبا من ابنة شقيقي

الأميرة بهاء .

وقص عليهم سبب تزويجهم للأمير من الجواري تلك الأيام ، لإيجاد الوريث الذكر قبل إظهار الأمير للناس والغدر به.. فعجبوا لهذه الخطة الجريئة ، وأثنوا عليه خير الثناء ، وعلى الملكة الأم وقدروا شجاعتها .

وكان الشائع أن الأمير تزوج الجاريتين قبل اللقاء بأمه وعمه مقداد.. فبعد معرفة هذه الحقائق وافق السادة على اعتلاء الأمير عمرو تاج البلاد .

وأخذ الملك يستعد للانتقال إلى قصر خارج القلعة ، وأمر الوزير بإنشاء قصر جديد يليق بمقام الملك المعتزل.. وكان هناك قصر قيد الإنشاء لأحد الأمراء فاشتراه الوزير من صاحبه وهو ابن خال له .. وأعد ليكون قصرا للملك .

وأخبر الشعب باعتزال الملك محسن كرسي الحكم طواعية ورغبة منه، وظهر الملك أمام العامة في إحدى الساحات الكبيرة ، وبين لهم سبب اعتزاله الملك، وأنه ينفذ وصية أخيه الملك ضرغام وتمنى لهم الحياة السعيدة والاستمرار في تقوية الجيش وتنمية البلاد.. وحثهم على السمع والطاعة للملك الجديد ابن ملكهم الثائر ضرغام .

وبكت الناس وهي تسمع الملك محسنا يعلن رغبته بترك الحكم ، وقدروا شجاعته لخلع نفسه ، فترك شهوة الحكم ليست من الأمور السهلة، ولم يسع لتحويل الملك لأبنائه ، فقدروا هذا الوفاء حق التقدير .

قال مقداد لزوجته : كنت قلقا يا أم ضرغام من شهوة الملك فالملك محسن محبوب من الشعب والأمة، ومقبول وهو فارس الميدان، وباني للمدينة من جديد .. ففي عهده كبرت المدينة ، وزادت الأسواق والجيش والشرطة .. كنت قلقا أن تراوده نفسه في البقاء ملكا وسيدا ..

قالت الأم : رحم الله ضرغاما كان محبا لأخيه غاية الحب.. رافقه في صباه وفي انتقامه ، وهو كما يقال في المثل لا ناقة له ولا جمل سوى أن أخاه مظلوم .. محسن ابن بار ووفي لأخيه معدنه نفيس.. وسمعته كثيرا يردد لي " متى يكبر عمرو؟ الحكم وقيادة البشر من الأشياء الشاقة .. أتعجب يا أمي من جلوسي في ديوان الحكم لأسمع أنين الضعفاء .. ولكنها إرادة المولى تعالى ، فنحن تعودنا على حياة البساطة .. لم يخطر في بالي يوما أن أكون أميرا.. فكيف بملك ؟! عندما كشفت أمي جديلة السر .. أصبت بالذهول أن يكون صديقي ابن ملك .

قال الوزير: النفس أمارة بالسوء.. هو سيعتزل ويعتكف في قصره .. فقد عرضت أن يصير الوزير مكاني .. فأبى وقال ضاحكا : الوزير حتى الممات .. سأقضي ما بقي لي من العمر في بيت الله وقراءة الكتب .. فهو محب للعلم ، وقد جمع عددا كثيرا

من كتب العلماء والحكماء .

بدأت الوفود تفد على البلاد للمشاركة في حفل تنصيب الأمير عمرو ملكا على المدينة ، وصل الملك زاهر ووفد بلاده ، فاستقروا في قصر الأضياف، والتقى الملك محسن به في جلسة عائلية على عشاء، وكانت معه زوجته الأميرة درة بنت حسن غاب ، والتي التقى بها الملك محسن لأول مرة في غابات شيخ عسير فانبسط لها الملك وقال مداعبا : كيف الحياة مع الملك زاهر؟!

فهمت إشارة الملك وابتسمت وقالت : الحياة جميلة يا مولاي الملك! ونحن نجملها .. أنا ما طمعت بالزواج من الشيطان.. لكن زواجي من الملك زاهر كان مفاجأة عظيمة لي.. أنا سعيت لبيان موقف شقيقتي من قصة مقتل مولاي الملك دغفل .. وهو يعرف أنني لا أنجب وقبلني جارية في تاج ملكه .. وأنا أدعوه أمامك يا مولاي ليتزوج ليكون له خليفة .. فيقول سوف أتسرى في يوم من الأيام .. ولما سمع باعتزالك الملك وهو يفكر بهذا ضحك الملكان وقالت زوجة الملك شقيقة الملك زاهر الأميرة شفق : أنا لما علمت بقبول ابن أبي الجلوس على عرش أبيه دهشت بحق .. فكلنا يعرف حياة الأمير حق المعرفة .. فهو محب للعبادة والصلاة حتى لقب بالعابد منذ صغره .

فابتسم الملك زاهر وأجاب : أنا نفسي دهشت !.. لا أدري كيف قبلت التاج ؟! .. فالذين نصبوني قالوا أنت الابن البكر لأبيك ، ولا يجوز ترك التاج حتى لا تحدث فتنة في البلاد ، ويحدث صراع بين الأخوة أو الأعمام فالقانون أن الابن الأول للملك الميت يحكم إلا إذا كان مجنونا غير عاقل .. فهذا سبب قبولي بالحكم والملك .

وقد جاء المدينة الملك الشيخ حس غاب ، ووفد من بلاده وصحبته ابنته نهيلة التي بعد عودتها لبلادها أخذت تنزوي عن السهرات والحفلات والمجالس .. ولما تقابل محسن معه عانقه وقبل يديه لمجيئه لحضور هذه الحفلة .

وتوافد الشعراء والخطباء للمشاركة في هذه المناسبة الملكية ، وتغنى الشعراء بمناقب الملك محسن وشجاعته وتنازله عن العرش بطيب نفس وقد سالت الدموع عند ذكر الكثير من المواقف في حياته وصداقته للملك الراحل ضرغام .. وتمنى الشعراء والخطباء للملك الصاعد عمرو بن ضرغام العمر المديد والنجاح في حكم المدينة الكبيرة .

وقامت مسابقة للفرسان على الخيول ، ومبارزات للفرسان ، واستمرت الاحتفالات سبعة أيام بلياليها ، وقدم الطعام كل يوم للناس حتى جاء يوم الجمعة ، وبعد الصلاة أعلن الملك محسن تنازله عن الحكم لابن أخيه الملك عمرو

ثم صعد الملك الشاب على منصة الخطاب ، وحيا الناس وأثنى على عمه الملك محسن الثناء الحسن ، وأكبر شجاعته في ترك الحكم بسلام .. وذكر جدته سيرة ودورها في إخفاء ابنها الوحيد خشية قتله في تلك الظروف .. وشكر الوزير مقداد الذي عمل سرا وخفية لعودة الملك لأهل البلاد .. وذكر عم أبيه الخائن طل ثم أعلن أنه عفى عنه، وأمر بإخراجه من السجن بهذه المناسبة ، وتمنى أن يكون أهلا لتحمل المسؤولية ، ويراعي حق الشعب والناس .

وبايع الناس الملك عمرو بن ضرغام ملكا على المدينة وخرج من المسجد تكتنفه العلماء والسادة والضيوف الأكابر.. والأجناد يصطفون بصفين أمام المسجد على صهوات الجياد، وظلوا يسيرون حتى وصلوا قلعة الحكم، القلعة التي شيدت في عهد والده .

وكان هناك حشد النساء والأميرات في استقبالهم والتبريك له بالملك.. ولما وصل باب القصر نزل عن الجواد وتقدم من جدته الملكة سيرة وعانقها، ورفع يدها مع يده عاليا للوفود والضيوف وأخذت النساء تهتف للملك الجديد .

ولمح من بينهن الأميرة سيرة شقيقة عمه محسن ، فسعى إليها محييا وقال: إني أبحث عنك يا عمة، وقبل يدها أمام دهشة الحاضرين ، فشكرته الأميرة وقبلت رأسه وباركت له الملك .

ثم دخل القصر لإكمال حفل التتويج في ساحة القلعة ، وغمر الفرح سكان القلعة وجلس الملك على عرش نصب له ، ثم تقدم الوزير مقداد وهنأه بالملك ، وتقدم الملك محسن وفعل مثل الوزير وعاد الوزير للكلام فقال " اعلموا أيها الأسياد الكرام أن الملك عمرو بن ضرغام سيتزوج الأميرة سماء بنت سالم وبنت الأميرة سيرة بنت جدي شقيقة الملك العظيم محسن بن جدي"

وتقدمت الأميرة سماء من الملك وصافحته أمام الحشد، والتفت نحو الجمع وقالت " أنا الأميرة سماء بنت سالم أعلن أمامكم قبولي بالزواج من الملك عمرو بن ضرغام .. ابن خالي الملك ضرغام بن مطر "

فقال الملك محسن : على بركة الرب أيها السادة الكرام ، وستبدأ الاحتفالات غدا بوجود كل الضيوف الكرام وسيكون الزواج بعد ثلاثة أيام .

وتقدمت الأميرة سيرة ، وقبلت ابنتها وزوجها الملك عمرو .. وفعل مثلها الأمير سالم زوج الأميرة سيرة بنت جدي .

ومشت الأميرة سماء إلى الملكة الكبيرة سيرة وقبلتها ، وانتقلت إلى أم عمرو التي كانت جارية الملكة سيرة في يوم من الأيام . وتعانقت المرأتان سيرة أم سماء وأم عمرو وهما تبكيان . تمت

روايات اجتماعية

حياتي قبل الحياة ٢

سوق العمل والتدريس

أمضيت أكثر من سنة في خدمة الجيش الوطني ، وقررت في أول إجازة أن أزور بيت صديقي ثاني وشقيقته أولى ، كانت أولى وشقيقها يقتربان من إنهاء السنة الثالثة من الجامعة .

كان اللقاء بعد المغرب ، وكان يوما ماطرا ، لم يتغير رقم هاتف منزلهم الذي أحفظه منذ بدأت صداقتنا قبل خمس سنوات تقريبا ، رحبت بي أم ثاني ، وطلبت مني العشاء معهم ، فلهم أكثر من سنتين لم يروني جسديا .

حين دخلت درب القلعة عادت بي الذكريات لإيام الثانوية والصداقة وبدايتها .. ذكريات جميلة .. تعشقت عبير تلك الأيام والليالي والسهر مع ثاني وأسرته ، وجلسات أولى الأدبية وغير ذلك .

وقفت أمام بوابة البيت لأضغط على زر الجرس الكهربائي .. فكرت كم ضغطت عليه عدد كرات ليلا ونهارا وصيفا وشتاء . . لما ضغطت فتحت أولى البوابة .. كانت جميلة كما تعودت على أناقتها دائما .. كانت تحب الجلوس معنا بملابس الخروج قليلا ما جلست معنا بثياب المهنة أو المنامات .

كانت جميلة تلك اللحظة ؛ كأنها عروس ترحب بزوجها ، وتسريحة شعر وعطر بين فواح يضرب الأنف سريعا .. فتحت البوابة فرحة وسعيدة بي شعرت بذلك ، ورددت البوابة لأسمعها تهمس باضطراب قبل التحية :كم أنت قاس يا مال! سنتان ولم تضغط على هذا الجرس .

دخلت البوابة وأنا أقول بعشق ووله :تحياتي .. الدنيا صعبة سلام عليك .

ـ وعليك السلام يا حبيب !

تصافحنا كما تعودنا وفاجأتني بأن ضمتني لصدرها ضمًّا عنيفا ، وتأوهت وارتجفت وصعقت قالت : لا تخف إنني أحبك.. أنت أخ عزيز وصديق غالي .

قلت مذهولا : يا إلهي !ماذا فعلت يا ابنة الكرام ؟

ـ أحبك أحبك .

ـ وأنا أحبك إنك عزيزة على قلبي ولكن ...

ـ لا تخف .. لن أتزوجك .. فأنت تحترم الأسرة .. ولا تحب أن تبدو خائنا .. أعرف هذا وحفظته .. ونحن من سن واحدة .. فنحن أقوى من الزواج

ـ ماذا ستقول أمك وهي تنظر إلينا ؟!

ـ لن تقول شيئا .. لن تفعل شيئا .. هي تعلم كم أحبك وأرغب فيك شريك حياة .. وكما تقول لو لم تكونا قريبا سن لكنت أولى الناس بالزواج مني .. هكذا تَر أمي المانع السن .

ـ العاطفة قوية عندك نحوي يا أولى!

ابتعدت عن صدري بعد كل هذه الهمسات ،

وأخذت يدي وقبلتها ؛ وربما تمنت تلك اللحظة لو قبلت شفتيها .. فهي تعلم حبي لها ؛ كأنها تقول ذلك ؛ ولكنها تعلم حيائي من أمها .. فهمست دون وعي : حبيبتي ! آه !! ليتني أحبك .

وقلت لنفسي وهي تداعب وجهي : هل جنت أولى ؟ فهي لم تفعل ذلك معي من قبل .

ولما زلفنا للداخل قبلتني أمها من وجنتي كما كانت تفعل قديما وقالت : أهلًا بالفارس مال الدين .. قلبك قاسي علينا .

قبلت كفها وقلت : أبدا أبدا أيتها الخالة الغالية ! إنما الحال تغير بعد الثانوية ..كان الفراق اضطرارا كما تعلمين .. انتهت الدراسة بفشلي ، ونجاح أولادك .. وغدا سيتزوج ثاني وأولى وأنا .. أليست هكذا الدنيا يا سيدتي الكريمة ؟

ـ يا لك من فيلسوف .. نعم ، هذا المصير .. كيف أنت والتجنيد ؟

ـ في خير حال .. مستمتع به .. لقد أنهيت دورة اللياقة والمشاة ودورة الاتصالات والشيفرات العسكرية .. وانتقلت إلى وحدة مقاتلة في سلاح الدبابات والفرسان أو الدروع كما تسمى اليوم .. أين الرجال ؟

قالت أولى وهي تنظر إليّ بشغف بين: أبي عند أمه ومعه أفراد الأسرة .. ويعتذر لك .. ولتعلم أن أمه مريضة .. وثاني سيأتي فهو مع صديقته في المسرح .

ـ إنه يعلم بمجيئ .

قالت :كلنا يعلم أيها الغالي والجافي .. هو يعلم بالتأكيد.. ألم ترتب معه قبل الاتصال بنا ؟ ولكن موعده مع تلك الفتاة مرتب له قبل اتصالك وسيجمع بين الامرين مسرح وحب ومال .

قال متهكما: من صديقته اليوم ؟!

ضحكنا الثلاثة وردت أولى : كثيرات يا حبيبي حسناوات أخي كثيرات .. وأنا دون حبيب حتى الشاب الذي حدثتك عنه طار من برودتي كما يقول .. قد وجد من تعشقه وتحبه كما يزعم .. فارقني .. كم شكرتك من قلبي عندما ذكرت لي سوء حب الجامعة والتقلب ! كان يراني الأولى في حياته وهواه .. وأمي تعلم بنصحك وتعلم بمثل هذه الحكايات .. والحق أننا نحب مثل هذه الأشياء يا مال ؛ لكنك دائما في خيالي محذرا .

قلت : الحمد لله على صبرك .. هؤلاء الشباب يحبون مثل هذه الصداقات العابرة والعلاقات الطيارة .. فأنا أسمع قصصهم وضحكهم من قلوب العذارى .. ألم يقل شوقي : خدعوك بقولهم حسناء والغواني يغرهنّ الثناء؟ .. نسمع بقصص الحب والغرام والهوى أسهل كلمة تقال أحبك .

قالت دون تمهيد : من أجل ذلك ضممتك لصدري وتنهدت ؛ لتسمع خفق قلبي لك .. أنت

أحسن حبيب ..أنا أقر بذلك أمام أمي .. تراك أمي خبيرا في فهم البنات .

نظرت لأمها بخجل واضطراب التي ابتسمت لي ولم تنطق وقلت: مما أقرأ وأقرأ .

لما قلت ذلك قالت أمها: أنت تحسن القراءة والتدبر يا مال .. فكلنا يقرأ ..قراءة عن قراءة تفرق .. منذ وعيت وأنا أقرأ الصحف اليومية والجرائد ، وحتى لما تركت العمل ظلت عادة تصفح الصحف والمجلات النسائية هوايتي .. وفيها عرض الكثير من المشاكل والحلول المقدمة لإصحاب الحاجات وطالبي النصح والإرشادات

ولما سكتت أم ثاني عدت أسأل عن أفراد الأسرة فقالت : يزيد مع أبيه كما قلنا وعلا عند صديقة لها تدرسان ..فهي في نهاية العام الجامعي الأول .

صحت : يا إلهي ! الأيام تمر من بين أيدينا بسرعة .

قالت أم ثاني : سنتعشى ، ولن ننتظر ، فقد سمحوا لنا بذلك .. هيا إلى غرفة الطعام

قال مال : أستطيع الانتظار يا سيدتي !

اجابت : ولماذا الانتظار ؟! موسى سيتعشى مع والده وإخوته .. وثاني قد يتعشى مع رفيقة المسرح الآنسة منايا .

قلت : هذا اسمها !

قالت : نعم ، هذا اسمها .. منايا

ـ حسنا يا سيدتي !

قالت أولى : سنتعشى يا مال ثم نجلس وحدنا على انفراد .. بيننا حديث طويل .. أرجو ألا تتردد .. وسيكون الباب مواربا ، قد تسمعنا أمي ، وقد لا تسمعنا .. هذا يعود لها .. الحديث حول مشاكلي وزواجي من مازن قريب أمي .. بيني وبينك فأنا أحب أن أسمع كلامك وحدي .

نظر لأمها وقال : الخلوة خطرة يا أميرة أولى.. أليس كذلك يا أم ثاني؟!

ـ كأنك شيخ يا مال ، الخلوة هذه عند المتدينين .

قالت أمها : هي تريد ذلك .. وأنا أعرفك أزعم جيدا يا مال .. سأكون في الصالون .. وقد أسمع كلامكم .. فهي تريد رأيك في موضوع مهم وخطير .. وقد أدخل عليكم بين الفينة والأخرى بشيء.. أنت ابن ثالث لي

قلت بخجل شديد : ما أخطر هذا الكلام يا أم ثاني !

قالت : نحن جربناك وأنت في سن المراهقة ، لم تختلس قبلة من أولى رغم اعجابكما ببعض .. وابنتي تحب رأيك في أمورها الخاصة .. ومن إعجابها بك كنت أظن أن بينكم علاقة خاصة ؛ ولكن أولى نفت ذلك .

قلت : لم أكن أسمح لنفسي بالخيانة .. أنتم فتحتم لي قلوبكم قبل بيوتكم .. فأنتم أعز الأهل والأصدقاء .. والأيام دلت وأكدت ذلك .. فلن

أجرؤ على خيانتكم .. لا أذكر أني قبلت أنثى باسم الحب والصداقة .. أنا عشقت الحب العذري إذا كان هذا صحيحا .. لم أقبلها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها .. كما زعم زوج ليلى لقيس بن الملوح العاشق المشهور .. وأولى وثقت بي .. فلم يحدث أن قربت يدي لشيء منها ولو مازحا .. لم يحدث سوى المصافحة .

قالت : هذا ما تأكدت منه.. وأنا أثق بأولى خاصة تلك الأيام يا صديقنا .. أما أيام الجامعة فهي مسؤولة عن نفسها .. أنت رائع! ومن يعرفك يعجب بك ويحبك بحق .. ألم تعانق فتاة في حياتك ؟

ـ لم يحدث يا سيدتي هذا إلا اليوم عندما فاجأتني الفاتنة أولى بذلك على الباب إذا كنت تشيرين إلى ذلك ..وهي ترحب بي .. وكان ذلك مفاجأة

ـ وأنا تفاجأت مثلك برغبتها .. وأنا سمحت لها بذلك .. قالت أنا مشتاقة لضم مال إلى صدري إني أحبه فقلت افعلي .

تفاجأت حقا من صراحتها فقلت : يا إلهي! ألم تخافي من ردة فعلي وضعفي؟

ـ ماذا ستفعل ؟ أنت في الهواء .. وأولى ناضجة ، ولو تريد الخيانة لفعلت ذلك .. فحولها شبان كثر .. زملاء كثر .. وهي تسمع نصحك.

تبسمت لهذا الحوار وقلت لأولى: ألم يقبلك أحد ؟

قالت : حدث مرة واحدة دون رغبة مني ؛ ولكني أبعدته واحتقرته ، وقضيت يومين أبكي ، وأمي تهون الأمر عليّ ، تعلمت أن أكون لرجل واحد وهو زوجي .

قالت أمها : نحن في عصر عجيب يا مال .. ماذا يفعل الأهل أمام هذا الانفتاح الإباحي الرهيب ؟! القصص والصور والأشرطة والسينما والتلفزيون والرغبات والشهوات ، ونحن أسرة غير متدينة ، وأنت تعلم ذلك ، لست غريبا عن عاداتنا .. فزوجي يشرب الخمر من قبل أن أتزوجه وعلمني على شربها .. وهو لا يحب ذلك للأولاد يقول لهم لما تكبروا افعلوا ما شئتم .. هو لا يشرب أمامهم .. نفعل ذلك في حجرة نومنا ؛ ولكنه أحيانا يكون سكرانا أمامهم .. وأحيانا اضطر لشرب القليل من سوء رائحتها كالدخان تعلمته منه .

قالت أولى: أمي دعينا من عيوب أبي .

ردت : مال اليوم كبير .. وكان يسأل ثانيا عن ذلك قديما .. كما قلت نحن لسنا أسرة متدينة ومتزمتة .

قلت مرددا مفكرا : متدينة ومتزمتة.. نعم ، ماذا يعني هذا ؟!

قالت: أنا أسأل عن هذا .. أنت الذي عليه الإجابة يا مال.. أنت تعرف في الدين أكثر منا لقد سمعت بعضا من أحاديثك لثاني أيام الثانوية عن الأحزاب الدينية .. أما زلت تذكر ذلك ؟

ـ نعم ، وما زلت أصلي أحيانا وأصوم كذلك .. أنا من أسرة متدينة كما الكثير من الأسر .. تدين تقليدي يا أم مال ؛ لذلك أفعل ذلك .. وأترك ثم أعود ، ولا أعتبر نفسي متدينا وملتزما .. وأعتبر نفسي إلى حد ما مصليا .

نهضت قائلة : حسنا ! هيا إلى العشاء طال الحديث

قالت أولى : حبيبي ـ وهذا لفظ دارج بينهم ـ قالت : حبيبي مال الدين اسمك مثل أسماء الباكستانيين مال الدين حسين الدين

تبسم ورد : ربما أحد أجدادي منهم يا عزيزتي .

ـ ما أجملك ! تسخر مني !

ـ صدقي لا أدري .

دخلوا حجرة الطعام المعروفة جيدا لمال ، وضعت المائدة وانشغل مال أثناء الأكل يفكر بما سمع هذا المساء ، وعن سبب غياب الرجال وحتى باقي أفراد الأسرة ، وعن هذا اللقاء المرتب ، لم يأكل كثيرا ، وفعلوا مثله ، ولما انتهى الأكل ، ورفعت الأطعمة.

قالت أم ثاني : سأدخل المطبخ لغسل الأواني يا أولى خذي راحتك مع مال .. ودعي الباب مفتوحا كما اتفقنا .

ذهب مال بصحبة الفتاة إلى غرفة من غرف البيت إلى حجرة جلوس ؛ ربما استخدمت يوما في الدراسة ، وتركا الباب نصف فتحة .

قالت بعد الجلوس قبالة بعضهم : دخن إذا أحببت ـ ووضعت أمامه منفضة سجائر ـ فهي تعلم أن الشاب يدخن من أيام الثانوية .

فاستأذن بإشعال سيجارة فقال : شكرًا أولى.. ما الأمر ؟ الجو غريب الليلة .. ولماذا هذا الاستقبال والاجتماع ؟

حدقت للحظات بعينيه وقالت : نعم ، أنا تصرفت معك هذا المساء تصرفات غريبة تصرفات مراهقة .. سأفسرها لك .. أتسمح لي بالدخان ؟

قدم لها سيجارة وهو على استغراب ؛ لأنه يعرفها أنها لا تدخن .

فقال : لعل الجامعة علمتك التدخين مع الدروس .

ابتسمت وقالت :فأفعل ذلك في بعض الأحيان .. أتسول سيجارة من أبي أو إخوتي وبعض الزميلات .

ـ حسنا .. أنا مصغ لفاتنتي .

قالت : أنت دخلت بيتنا منذ ست سنوات أليس كذلك؟

ـ بلى ، منذ تعرفت على ثاني في المدرسة الثانوية ، واتخذنا بعضنا رفاقا وزملاء ، ثم تعرفت على الأسرة .

قالت : ومع ذلك لم تحاول مغازلتي كما يفعل

الشباب .. لقد اعتبرتني كأخت حقيقية ، مع أنني كنت أجلس بينكم في ملابس البيت .. وقال لك ثاني أمر عادي إنها كأختك .

قال : وأنا اعتبرت ذلك حقيقة يا أولى .. ويجذبنا حب القراءة والهوايات المشتركة .. وأنت لم تحاولي مغازلتي .

ـ بل حاولت ؛ ولكنك تجاهلت ذلك ؛ وافترضت فيّ البراءة والعفوية .. أنت تعرف أنني أحببت أن أكون لك حبيبة غير الصداقة .

قلت معترفا لا مجال للكذب : أعلم ؛ ولكن ثقة أمك وأبيك بي منعتني من ذلك .. وتطورت تلك النظرات والاشارات وتجاهلتها .

ـ أنا كنت أختبرك لما تجاهلت حبي ؟

ـ وهل نجحت في امتحانك ؟

ـ جدا ، وأصبحت أغلى صديق .. وجعلتني ألا أنصاع لرغبات الجسد وقبول معاكسات الشبان .. حتى أنت عندي أفضل من البنات والقريبات ورأيك مقدس .

ـ ومن أجل هذا قبلت صداقتك الأخوية .

وقالت بدون مقدمات : ألم تشتهيني يا مال كزوجة عشيقة كما كنّا نقرأ ؟

كان سؤالا صريحا وصارخا بالشهوة ، فهي اليوم طالبة كلية ناضجة كأنثى ، نظرت في عينيها وبعد فترة صمت قلت : حصل ؛ لكن هناك موانع وضوابط يا أولى .. وهل كل ما يشتهى ينال .. أشتهي طعاما فاكهة ما ولم أحصل عليها .. ماذا أفعل ؟ وهكذا النساء .. ليس كل ما يشتهيه المرء يدركه .. نرى شيئا في فلم في الشارع في الكتاب نشتهيه لا نحصل إليه أو هو خيال .. كم راودني خيالك في بعض الساعات !

ـ جميل منك هذا الاعتراف! ألم تفكر بامتلاكي كأي أنثى أو الزواج مني؟

قلت : فكرت ؛ ولكنه مجرد فكر .. أنت أنثى .. ولماذا خلقت الأنثى ؟ ليشتهيها الذكور .. وستكونين لرجل واحد .. أنت أنثى وأنا ذكر .

قالت : لما احتضنتك قبل ساعة تحركت غريزتك نحوي.

تنهدت بعمق وأنا لا أدري أين ذاهبة بي الليلة : أكيد ! لست حجرا أو ملاكا يا أولى .. وهذا في رأيي أمر طبيعي ؛ ولكني تمالكت نفسي ورغبتي .. وقلت جنت فتاتي .. ولما رأيت أمك تقف على الباب استغربت تصرفك .. وأدركت أنها تراقب ذلك ، وتعرف تصرفك وأنني سأعرف سبب هذا الفعل الغريب .

تأوهت وعادت للتنهد وقالت: آه يا مال ! لقد اشتهيتك كزوج وتخيلتك تنام معي في الفراش ..وحلمت بذلك عددا من المرات ؛ ولكني أعرف وفاءك وبغضك للخيانة ، وتكره الخائنات .. ولو

حصل هذا واقعا لابتعدت عن البيت.

ـ لماذا هذا الحديث اليوم ؟

همست بوضوح :لأنني أحبك كحب امرأة لزوج وعشيق .. أرى فيك حبيبا وعشيقا .

ـ زوجا ! يا لك من طفلة ! وهل يستطيع مجند بعشر دنانير أن يفتح بيتا وأن يكون زوجا ؟! فإذا قضى الانسان شهوة الجسد ماذا سيكون بعدها؟.. لشهوة الروح أفضل أكمل .. متعة الجسد تنتهي بقضاء الشهوة والرغبة .. الشهوة التي تجتاح الناس اليوم .. كم يفتن الشباب إذا رأوْا صورة امرأة عارية ؟

ـ وهذا تجده عندنا في الجامعة ترى اللهفة في عيونهم وشفاههم عندما يجدون مجلة اباحية ...

ـ الموضوع المهم .

عادت تقول :نعم ، المهم أنك اشتهيني كما تشتهي الرجال النساء ؛ ولكن هناك موانع أبعدتك عني .

ـ أكيد ..وأنت تعرفينها ، وحديثك الليلة عجيب !

ـ أكيد يحق لك أن تستغرب هذه الصراحة .. عندما كنا نتكلم بمثل ذلك بها في الروايات كنت لا تستغرب .. أما لما نتكلم عن أنفسنا تستغرب ؛ ربما تقول هذه وقاحة ـ وأشارت إلي بالصمت ـ أمي يا مال تريد تزويجي من قريب لها وأنا أدرس .. لا تريد لي السقوط في أحضان الشبان والطلاب خاصة الذي حدثتك عنه في رسالة ، ثم وجد من تقبله عشيقا حبيبا .. ليست الاسماء القضية .. ترى أنني أضعف أمام الرغبة .. تخشى أن انفلت كما حصل لثاني بعد هذه السنوات من الكبت .. والشاب قريبها راغب فيّ بقوة ، وزارنا في البيت .. وأبي لا يمانع ، ويرى ذلك أحسن من علاقات الدراسة .. وأنت ما تقول ؟

حككت رأسي الأقرع وقلت: أنا بالطبع أعرف أولى وأحلامها وخيالاتها .. أنا بالطبع لا أعرف الشاب .. وأنت فعلا خائفة على نفسك .. ليس أمك فحسب .. أليس كذلك ؟

قالت : بلى ، أنا صريحة ، وأنا مثل الناس .. الرغبة تجتاحنا يا مال .. دائما أفكر برجل يداعبني ويثيرني كما أسمع من البنات .. ذاك الشاب كاد يوقع بي ، وأستسلم لرغبة هذا الجسد .. وهو تحول لزميلة لي لاستسلم له كما فعلت صديقتي .. وأطلب منه العودة .. ويرى أنني سأضعف وأسلمه جسدي .. فهو يتعرض لي عن بعد ؛ كأنه يقول أنا جاهز حتى لو أنني أصادق فلانة .. فأمي تريد أن أقبل بمازن قبل الضياع في مستنقع الغرائز .. وأنا أريد رجلا صراحة يا مال .. أنا أنثى .

قلت : اسمه مازن .. أنت مقتنعة به.. وقد قدم البيت عدة مرات .. أنت فتاة ناضجة يا أولى .. تستطيعين أخذ القرار بالزواج .

قالت بسخرية : هكذا ببساطة ..أنا لست مقتنعة به ؛ لكنه رجل مثلك يلبي حاجتي لرجل .

ـ نعم ، هكذا ببساطة ..أنت من كلامك الليلة .. النار تشتعل في قلبك للحب والغرام .. جسدك يضعف أمام الرغبة .. الزواج خير من العلاقات السريعة.. تزوجي ؛ ولتكن الخطبة سريعة خشية الاستسلام لها ، ثم يطلقك قبل الزواج الفعلي كما يغرر ببعض الفتيات .

ـ هل تراني شهوانية ؟

ـ ليس هذا قصدي ..كلنا لديه شهوة ، وخلقت فينا .. أنت لديك طاقة تُحبين تفريغها ؛ فلتكن بالحلال والبعد عن الغرام الفاشل؛ ولتكن في حب مازن الذي هو قريب أمك ..ويحبك .

صرخت : يحبني ! كيف عرفت ؟هل تعرفه ؟! هو يشتهيني فقط .

ـ لا ، ولا أذكر أنني رأيته عندكم ، ولا صدفته ؛ ولكن بعض رسائلك وأنت تتحدثين عنه ، والرغبة الجامحة في ثنايا كلامك وألفاظك تدل أو توحي بحبه لك وحبك له .

قالت بتفكر : الرغبة الجامحة يا إلهي ! لم أعاشر رجلا يا مال ما زلت عذراء!

قلت : أنا لم أقل إنك عاشرت رجلا ؛ لكن الكلام له إيحاءات وما وراءه .. ولهفتك على الاقتران قبل إنهاء الجامعة يدل على قوة الرغبة لشريك

قالت: أمعقول هذا كلامي ،ولا أشعر به معقول ؟!

قلت بصرامة : نعم ، معقول يا صديقتي .. لو تسمح الظروف لأعدت قراءة ما تكتبين .

عادت للسكون والتحديق في عيني : أستغرب منك هذا الكلام ، وهذا الفهم .. أنا أفكر كغيري برجل المستقبل .. أليس هذا أمرا فطريا ؟

ـ بلى ، المرأة خلقت لتكون زوجة .. خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها

ـ هذا قرآن !

ـ نعم ، قرآن .

ـ تقرأ القرآن يا مال !

ـ أكيد ، وأصلي وأصوم .

عادت تقول : أتزوج من مازن وترضاه لي ؟

قلت : مازن خير من غيره .. فهو يريدك .. وهو يعرفك ما دام قريبا لكم .. ويكبرك سنا ويشتغل .. فهو الذي حرك غرائزك للزواج .. وهو معروف للأسرة وخاصة أمك .. وهي تراه مناسبا لشبابك

قالت بعشق لي : وأنت ألا أنتظرك ؟.. وربما الإشارات التي بانت لك في الرسائل موجهة إليك أنت .

قلت : نحن من جيل واحد وأصدقاء ومتى ؟

ـ الأصدقاء يتزوجون .

وانتقلت وجلست لصق فخذيه ووضعت يدها

على فخذه وقالت: أليست لديك رغبة فيّ ؟

ـ أنا أحبك فعلا يا أولى ؛ لكن زوجة يصعب ذلك وبعيد .. أنا لم أنجح في الثانوية بعد .. لا دار ولا مال .. وإذا عدت إليها سيكون لديك على الأقل طفلان وربما أكثر .

مست وجهه وقالت : آه كم أرغب فيك ؟!

ـ ويحك أترضين لي الزنا والفاحشة ؟

ـ لم أفعل شيئا بعد والباب مفتوح .

تنهد وقال: الخلوة يا حلوة .

همست : قبلني يا مال .. دعني أشبع من شفتيك قبلني قبلة العاشق .

همست : يا الهي! الرغبة ترتفع لديّ أيتها الحبيبة .

ـ أنا أرغب فيك أنت .

طوقت عنقه فقال: لا، لا يا أولى .. فلنبق أصدقاء شرفاء .. أنت جميلة ومثيرة .. وعيناك جميلة وكلماتك تشعل النار في جسدي .

ـ وأنت جميل ! أنت أجمل فارسا أحببته كما تحب النساء الرجال .

اقتربت شفتاها من شفتيه وقالت : قبلني .

ـ الباب مفتوح

ـ أعلم .. قبلة الفراق والزواج من غيرك .

ـ لا سنبقى أصدقاء يا أولى .. لا تستسلمي للشيطان .

ـ القبلة الوحيدة استسلام للشيطان .

قلت : القبلة مفتاح الجنس .. أرجوك يا أولى تزوجي .. أنت النار والشهوة تلعبان بك .

ـ أتخاف من القبلة .. دعني أقبلك أنا .

ـ يا إلهي !ما بك اليوم ؟

ـ أهواك وأرجوك .

ـ كيف ؟ ابتعدي أين أمك ؟

ـ أمي في غرفتها ، لم أسمح لها بسماعنا .

ـ والباب المفتوح

قالت : لنتكلم بحرية ، ونحب بعضنا بحرية

ـ لا أريد أن أخسر صداقتك ورسائلك بقضاء شهوتنا يا أولى .

ـ لن أسامحك إذا لم تقبلني

ـ وأنا لن أسامح نفسي إذا فعلت .

ـ لي سنون أحبك .

ـ لم أفكر بذلك .. نحن أصدقاء ..عليك بالزواج من مازن في أسرع وقت .. تزوجي يا حبيبتي لم يعد عندك صبر عن الحب والجنس .

قالت : لم يعد عندي صبر عن الجنس .. أريد رجلا أنام معه وأحضنه ويضمني إلى صدره .. لماذا لا تكون أنت يا مال؟ أنت صديق العمر .

ـ أتقبلين لي الخيانة ؟

قالت وأنا أكاد أصدق : هذه ليست خيانة ..الكل يعلم في هذا البيت بحبي وشغفي بك .. وإنني أحبك كحبيب .. أحبك أكثر من الصداقة .. أمي

ستقبل أن أتزوجك .. أنت لا تفارق فراشي يا مال .. أحس بك في كل لحظة .. ومعي في الحمام في الفراش في الجامعة رغم براءة نظراتك لجسدي فأنت تحب وتشتهي هذا الجسد وترغب فيه.

قلت : أنا أعترف باشتهاء هذا الجسد ؛ ولكني لم أفكر بأن أكون الزوج الذي ينام مع هذا الجسد

قالت : طال انتظار القبلة .. مالك تقف !

ـ طالت الخلوة .

ـ أحبك . وقبلتني رغم أنفي وهمست : جسدي لك وقتما تشاء بزواج أو غيره لن تغضب منك الأسرة يا مال .

تزوجت أولى من مازن بعد هذا اللقاء الغريب والمثير ، وتعجبت من موقف الأسرة كلها منه .. موقف والد أولى .. كيف سمح لها بهذا اللقاء ؟! موقف أمها الموجودة معنا .. وفعلا لم تظهر بعد العشاء .. ذهاب ثاني ويزيد وعلا

اعتذرت لهم عن حفل الزواج الذي دعيت إليه ؛ كأن لم يحدث تلك الليلة شيء .. هل كانوا يجهلون أمر ما سيحدث ؟

وبقيت في المعسكر لم آخذ إجازتي الأسبوعية للبيت حتى استوعب ما حدث تلك الليلة ، كان اللقاء مرعبا بالنسبة لي ، وعلمت منه خطر الخلوة بأنثى يحل الزواج منها ، علمت خطر الشهوة لأني كدت أستسلم لنداء الرغبة وأقع في الحرام ، وعلمت منه خطر صداقة الجنس الآخر .. نارا اشتعلت في لحمي كله ، وما صدقت أن نجوت وخرجت من البيت هاربا ، ولم أقابل أحدا أثناء هربي قصدي أمها .. هربت من النار المشتعلة في جسد أولى .. أدركت خطر الجنس والنساء والغريزة تلك الساعة .. وكم راودتني النفس بالاستسلام .. الفتاة تريد ذلك بدون أي شك ، ولا ترى فيه أي حرج حتى ولو في قعر بيتها .. فكرت بضمها لصدري ومداعبة جسدها وأشياء أخرى .. كانت مستسلمة للغاية .. كانت ستسلمني جسدها بدون أدنى شك .. تلك اللحظات تفاجأت بصبري وهي تعرض نفسها عليّ .. الله سلم .. الخلوة بهنّ فتنة كبيرة .. فهن فتنة كبيرة جدا .. كانت ساعة مرعبة لأعصابي وشهوتي .. كنت لما أسمع قصة من معارفنا عن سقوطه اتهمه بالرضا والخور .. ومن ثم عجبت بعد النجاة من نجاة النبي يوسف الصديق من امرأة العزيز .. من امرأة حاكمة مالكة ، ومن شاب محكوم .. من شاب في بلد غربة .. فأنا امرأة لم تكن حاكمة، ولا تملك شيئا كادت توقع بي وتهوي بي إلى مستنقع الفسق والأجساد ، وتهوي بنفسها ، وتمرغ شرفها للذة دقائق .

أصبحت بعيدا عن أسرة موسى .. قصتي معهم انتهت بانتهاء الثانوية العامة ، ظلت علاقة

مناسبات ومجاملات .. وكانت أكثر علاقة ظلت مع أولى بواسطة الكتابة إلى أن كانت الليلة التي أرادت الفتاة أن اعاشرها معاشرة الأزواج .. مما اضطرني للهرب .. وأنا في رعب وحيرة من تصرفات تلك الليلة السوداء .. أرسلت لي عدة رسائل تعتذر عما فعلت قبل أن تنكح مازنا ولم أرد عليها شكرتني في بعضها على أنني لم أستسلم لرغبتها الجامحة وطيشها تلك الليلة .. وقالت : سأبقى أحبك حتى ولو كنت مع مازن في الفراش . المهم أنها تزوجت بعد الحادث في الصيف ، وأصبحت ذات بعل وهي على مقاعد الجامعة .. وأنا تغير مسار حياتي الشخصية .. أنهيت خدمة العلم في العام التالي في الشهر التاسع كما بدأت منه .. والحمد لله أصبحت حرا طليقا ، وشلت عن عاتقي هما وشبحا رغم استمتاعي صدقا بهذين العامين .. كان موقع خدمتي ممتعا ومثيرا .

ولما عدت للحياة المدنية كنت في حيرة ما العمل ؟ ما المطلوب ؟ تعددت المهن والأعمال .. الشاب يحتاج لمصروف ودخان وحياة ، لابد من العمل فاشتغلت في الطوبار والبناء كنجار وكحداد بناء .. كانت أياما قاسية وفراغا عجيبا في الحياة .. شهادة اللاسلكي لم أعمل بها ـ شهادة منحت لي من القيادة العامة لجيش الوطن ـ فكانت العودة للمدرسة في فكري .. أنا أعشق الفكر والأدب أكثر من المهن وعمل اليد .. أمضيت عاما ونصفا في حيرة وارتباك واضطراب حتى قدمت الثانوية العامة عام أربعة وثمانين ، ونجحت بفضل الله تعالى نجاحا بسيطا ؛ لأني درست في البيت فقط دراسة بيتية وامتحان .. وكان النجاح الغريب والمفاجئ لكل من يعرفني .. وبعد ذلك ماذا أدرس بهذا المعدل القليل ؟ ماذا أدرس ؟ حيرة من جديد !كان لي زملاء مثلي درسوا محاسبة إحدى أعمال قسم الاقتصاد والتجارة .. والنتيجة العمل كمحاسب في شركة تجارية أو بنك .. نعم بنك تجاري .. هذا ما كان أمامي .. دراسة معهد في كليات تجارية كليات متوسطة بين الجامعة والثانوية ..قد تكون جسرا للجامعة ، وكان عليّ أن أعمل لتأمين أقساط الدراسة.. العمل صباحا والدراسة مساء للحصول على أي شهادة.. كان أمامي الدراسة كمعلم أو إدارة أعمال أو سكرتارية معهد متوسط.. في النهاية درست في المعهد ليلا أو عصرا بعد دوامي في الورشات كفني كهربائي .. ولم أعمل في مهنة المحاسب يوما واحدا ولا ساعة واحدة مجرد شهادة ؛ لأنه في العام أربع وثمانين نفسه تغير مسار الحياة فعلا .. أصبحت متدينا بمعنى الكلمة .. تركت لحيتي على سجيتها .. وبدأت أقرأ في كتب الدين والعودة إلى الإسلام .. تفضل الباري بالعودة والمن عليّ

بذلك .

لا أذكر كيف كانت اللحظة الاولى للتوبة ؟ مرضت مرضا شديدا الانفلونزا الحادة ، بعد أسبوعين تحسن الوضع ، تركت الدخان نهائيا بفضل الله .. تبت إلى الله .. لم تكن التوبة على يد شخص ما .. نفسي اشتاقت للتوبة والأوبة .. بدأت أرتاد المسجد لصلاة الجماعة خاصة العصر .. تعرفت على إمام المسجد المصري الجنسية ـ مسجد الحي ، أقدم مساجد وادي النزهات ـ المسجد معروف لي ، وترددت عليه كثيرا .. وأصلي فيه الجمعة غالبا ، ومنذ عهد الطفولة .. كنت أجلس عصرا لاستماع كلام الرسول ﷺ على لسان الشيخ .. كان يقرأ من كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم أحببت الشيخ شريفا .. وشجعني الشيخ على العلم الشرعي .. وقرأت التوحيد للشيخ محمد ، والواسطية لابن تيمية .. وجدت علما جديدا ؛ لكن العمل صباحا والدراسة ليلا لم يسمحا لي بالجلوس طويلا مع الشيخ الشاب المتحمس ، الحنبلي المذهب ، القادم من الجامعة الاسلامية في مدينة النبي ﷺ عرفنا الشيخ الفاضل على العلماء ورأينا شيخ العصر في مسجدنا الشيخ أبا عبد الرحمن الألباني ـ رحمه الله ـ كان ذَا هيبة ، ويذكرك بعلماء السلف .. كنت مبهورا به .

لكن شيخ جامعنا قامت عليه حربا خفية أجبرته على الرحيل والعودة لمصر .. فغادر الشيخ الشريف العزيز النفس إلى بلده .. أصبح المسجد في حيرة ، وخفت العلم السني والحماس العلمي لحين .. واشتعل الصراع بين الأحزاب الإخوان التحرير الدعوة الصوفية .. حرب خفية .. ثم سيطر التيار السلفي على المسجد .. انسحب الاخوان إلى مساجد أخرى .. اختفى الصوفية .. وضعف التبليغيون .. وأكثرهم أصبح سلفيا .

عدت للتوبة والإسلام ، وأصبحت محبا للصلاة بروحها وقنوتها ، محبا للعلماء لدروس المشايخ والعلم الشرعي .. أخذت أنسى صفحات الماضي وحوارات الماضي وفتيات الماضي .. انتهت المراهقة وإن كانت متأخرة .

بعد زمن المحاسبة بيسير تعرفت على شيء يسمى المعهد الشرعي .. معهد يعلم علوم الإسلام ويدرس المواد الشرعية مجانا وشهادة وفرصة عمل في وزارة الدين والإسلام .. قدمت أوراقي وكان ذلك في آخر عام سبع وثمانين .. وقد مضى الفصل الأول من الدراسة ، وبدأت لما قبلت من الفصل الثاني .. تأجل الفصل الأول حتى انتهي من الثاني والثالث والرابع ، ثم العودة للفصل الأول .. وبدأت مطلع سبع وثمانين .. نعم قبلني مدير المعهد كطالب مكافح ومجتهد ومحب للعلم الديني

.. أحببت العلم الديني .. وهو علم لا يشبع منه حتى القبر ، وإن كانت الدراسة الشرعية كمعهد وجامعة لا تشبع نهم المحب العاشق للعلوم والمنهاج الاسلامي ؛ ولكنها مفاتيح للعلوم كما كان يقول أحد علماء المعهد .. كان لديّ جوع وعطش لفهم الإسلام .. مضت سنتا الدراسة سريعا سريعا .. وأعتقد أنني تخرجت من المعهد عام تسع وثمانين ، وبعد التخرج بشهور عينت كإمام مسجد في أحد مساجد المدينة .

أما صديقتي القديمة أولى فتزوجت كما قلت لكم من قريب أمها ، وتخرجت من الجامعة تحمل شهادة جامعة آداب لغة أجنبية عام اثنين وثمانين .. وأصبحت أما .. وذكرت أنها رغبت بتسمية ابن لها بمال على اسمي ، ورفض زوجها هذا الاختيار بشدة ، واتهمها بعشقي ..وأنها باعت جسدها لي قبل زواجهما حتى رغبت بالانفصال ، لولا تدخل أمها في نفي ذلك الاتهام ، وأقسمت لمازن أنه لم يكن بينها وبيني أي علاقة جسدية .. وهدأت الأمور ، وعملت في معهد لتدريس اللغة الفرنسية للطلاب الراغبين بذلك .. والمعهد تابع للسفارة الفرنسية .. وراتبها أكبر من راتب زوجها .

وأما ثاني فقد تخرج مدرسا لمادة الفيزياء كما أحب أن يكون ، وعمل في مدرسة عسكرية أثناء خدمته للعلم كمدرس لمادة العلوم ، ثم الفيزياء لطلاب المرحلة الثانوية .. وتزوج ، ولم يتزوج من فتيات الجامعة وعشيقاته ، ولم أحضر زواجه أيضا رغم تلقيّ دعوة واتصالا هاتفيا .. كنت يومها قد أصبحت شيخا لا يحضر الأعراس وما شابهها .. أصبح العلم والسمت الشرعي مهواي .. أصبحت مجالس العلم مهواي وراحتي .. فكنت أتنقل بين المساجد لسماعها .. عادت البسمة لأمي بعد عودتي للدراسة ، وكما فشلت أولا في الثانوية كنت الناجح الأول فيها على مستوى العائلة .. إنه القدر العجيب .. أين يذهب بنا القدر؟ يذهب بنا إلى حيث يشاء الله .. سبحان ربي !

تزوج ثاني بعد أكثر من عام في العمل كمدرس تلاميذ ، لم يتزوج كما ذكرت سابقا من رفيقات الجامعة اللواتي تعرف عليهن ؛ وربما نال منهنّ جنسيا كما تدعي أولى ، ولثاني علاقات جنسية كاملة من أيام الثانوية .. علمت ذلك من رسالة من أولى التي لم تنقطع بالكتابة إليّ حتى بعد تلك الليلة السوداء الغريبة كما وصفت لكم .. وأنا في العادة قليلا ما أرد عليها قبل تلك الحادثة .. علمت منها قصة تفاصيل زواج ثاني .. الفتاة جارة لهم في الدرب لم يكن بينهم
علاقات خاصة .. كلهم من سكان درب القلعة .. كان والد الفتاة ميساء مديرا لمدرسة .. فتاة تصغره بثلاث سنوات .. رآها مرة واحدة بعد تعرفه على

أبيها المدير والقيم لمدرسة ثانوية .. فخطبها من أبيها الذي قبله ، ورحب به صهرا له ولأسرته بحق الجيرة وبحق زمالة للتدريس .

ولما دعيت لحفل الزواج اعتذرت لهم بأني لا أحضر حفلات زواج مختلط ـ وقد أصبحت متدينا بحق وحقيقة.. وهم وغيرهم لم يكونوا يتوقعوا أن أتدين بتلك الصفة ، وأصبح شيخا حقيقة .. فأنا منذ فشلي في الثانوية ضعفت لقاءاتي بتلك الأسرة ، وإن بقينا أصدقاء ، ثم كانت تلك الليلة التي أرادت أولى أن تصبح فيها علاقتنا علاقة أجساد بعد أن كانت علاقة أرواح وربك نجى وستر .. والذي ما زال يحيرني دور أمها الموجودة معنا في البيت ودور اختفاء باقي أفراد الأسرة.. أمر محير وما زال غامضا !

أولى مع ذلك لم تيأس من صداقتي ، وظلت تكتب لي من حين لآخر بأخبارها ومشاكلها مع زوجها وأسرتها .. تعتبرني ملاكا ومستشارا أبديا ، ولم أعد أكتب لها منذ هربي منها تلك الليلة السوداء كما كنت أفعل أحيانا قبلها .. وما زلت متشوقا لمعرفة سر تلك الليلة فعلا ..ولماذا سمحت لنفسها بعرض جسدها وشبابها عليّ مع وجود أمها في البيت ؟ تعشت الأم معنا وسر اختفاء أبيها وشقيقيها وأختها ..وأختها تزوجت أيضا بعد دراسة الجامعة ..

وأنا لا أدري لماذا أرادت أن تتحول الصداقة البريئة ـ كما كنّا نزعم ـ إلى صداقة جسد ؟! نحن في زمن عجيب .. لماذا لم أعرف ؟ لم تكشف لي سر تلك الساعة في أي خطاب .. فقط شكرتني على عدم الاستسلام لرغبتها وضعفها .

ولما قبلت في معهد المحاسبة أصبح عملي في الورشات من الصباح حتى الثانية ظهرا ست ساعات شغل فقط ، ثم المعهد حتى الغروب .. وكانت رحلة متعبة .. وتعلمت لكل بداية نهاية .. والأيام تمضي وعليّ الصبر .. فأمي تحب لي ذلك ، وجاهدت معي دعاء ومالا .. وكانت غايتها أن يتعلم أكثر عدد ممكن من ذريتها .

ولا أذكر أثناء الدراسة الأولى أي حدث مهم في حياتي الخاصة والعامة سوى توبتي وحبي لصلاة الجماعة سواء في البرد والحر .. وكانت ملاحقة المشايخ وسماعهم والجلوس معهم مهمة .. ولم أتخذ منهم شيخا دائما إنما محاضرات وبعض الدراسات.. لذلك رحبت بدراسة المعهد الشرعي بعد ذلك .

هجرت معارفي القدامى سلام وانتهى الكلام .. بحثت عن أصدقاء جدد .. وكان لي ذلك بفضل الله حتى أن بعض القدامى يراهن على الانتكاس وينتظر عودتي إلى التيه وحلق اللحية التي اقتنعت أنها سنة نبوية ، ومن يومئذ لم أمد يدي إليها .. من

تلك السنة منذ سمعت أحاديث اعفائها.. والحمد لله كانت السنة هواي ومقصودي ومبتغاي حتى الموت .. بعدت عن البدع بكل عنفوان وقوة .. وحاربنا أهل البدع قدر المستطاع وباللين والرفق ، لم نكفر أحدا ، ولم نحمل سيفا بالعلم والقدوة قدر الطاقة .

رأيت مؤامرة على إمام مسجدنا السني ؛ ولكن البذرة وجدت ، وأنبتت جيلا سلفيا عاشقا عاملا بالسنة والحمد لله .. وما زال أكثرهم سنيا ملتزما وذلك الفضل من الله وحده .

كانت معركة رهيبة اضطر فيها الشيخ المهاجر للاستقالة والعودة لبلاده رأيت كيف يحارب العلماء بكل بغض وكره ؟! .. كنت يومئذ تلميذ معهد المحاسبة .. كثير من فصول المعركة لم أرها سمعتها سماعا .. قضى عندنا الشيخ أربعة عشر شهرا ما زالت في وجداني وذاكرتي .. تعلمنا منه سنة الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان ..حب صلاة الجماعة ، وطلب العلم وحب العلماء السنيين .. رفض الاعتذار للخصوم بإباء ليبقى .. نعم رفض ورفض الانتقال لمسجد آخر .

عرفت كيف يحارب العلماء ؟ ظل المسجد لشباب السنة والاعتقاد الصحيح اعتقاد السلف الصالح .. وذُكرنا بكيف كان يحارب أهل السنة في القديم والحديث من قبل العامة والسفهاء والمخاتير والأحزاب والوجهاء الجهال ؟ ..كان وقتي لا يسمح لي بالقتال عمل شغل دراسة.

أنهيت المحاسبة وعرض عليّ العمل في السعودية في أحد بنوك الربا المشهورة ، والعمل في تونس كمحاسب ، العمل في مصنع للفول كمراقب عمال ، العمل في مصنع مواسير ، العمل كرئيس فرقة حفلات زمار أو طبال يا للناس ! ويا للجهل ! وكان الاختيار الدراسة من جديد دراسة الشريعة في كلية شرعية على نفقة وزارة الجوامع والدين ؛لأكون إماما من بعد الضياع والتيه .. وهذا شيء لم أفكر ؛ ولكنه صار بفضل من ربي .

اتخذت كما قلت أصدقاء جددا ، وهجرت أصدقائي القدامى هجرا جميلا ، وهجرت المقاهي والسينما والرياضة معهم منذ بدأت التدين الحقيقي .

ذكرنا أن صاحبنا وصديق الشباب ثانيا تزوج بعد عمله كأستاذ مدرسة من بنت مدير المدرسة وظهر أنها من بنات الجيران ، لم نكن نعرفهم تلك الأيام ؛ لأني أعرف الكثير من رفاقه في درب القلعة ، ولم تمض حياته الزوجية آمنة هادئة .. كانت هناك مشاكل سمعت عنها من بعض رفاقنا إذا تقابلنا وسألت عنه ، واتصل بي وطلب المساعدة وزعم أنني تخليت عنه، وعن صداقته ، ونسيت العشرة والعيش والملح ، وطلب العون وتجديد الصداقة

فذكرت له أنني تغيرت وعدت للإسلام والأمان والدين وأنني تغيرت ، ولم أعد كما عرفني أول مرة .. وتركت كل الماضي .. وأنا أعلم أنه سمع بقصتي وتغيري .. هذا أمر لم يكن مخفيا أو سرا .. وأبدى رغبة باللقاء بي لمساعدته في مشكلته الخاصة ، فوافقت ، فلا تُنسى كما يقال عِشرة سنوات مهمة من حياة الإنسان .. وكان ذلك بعد أكثر من سبع سنوات من الفراق والبرود .

جاءني إلى المسجد مسجد الرباط ، استقبلته عند باب المسجد وعانقني وعانقته وتعاتبنا ، كل يلوم الآخر .

وقال : أين سنتحدث ؟

أخذته إلى مكتبة بيت الله حيث كنت أحد أعضاء المكتبة وأحد المسؤولين عنها .. وعاد العتاب وتذاكرنا أيام زمان .. وتناسيت تلك الليلة الغامضة من حياتي .. فهو لم يشهدها .

قال : أنا تزوجت بنت زميل لنا في التدريس . وقص عليّ حكاية زواجه من ميساء بنت المدير وبنت الجيران .. والقصة أن البنت راغبة في الانفصال وتركه بسبب الحمل وتأخره.

فقلت : وما موقف والدها وأسرتها ؟

الوالد : يا مال متردد .. وأمها ترغب بذلك .. وترى أن هذه السنوات كفاية عن تأخر الحمل .. هذه الحكاية يا شيخ مال الدين .

ـ وسبب عدم التخليف .

ـ يبدو أنني عاجز عن ذلك برغم الفحوصات التي تقول غير ذلك ، وأن سنوات الزواج هذه كافية .. لنا أكثر من سنتين يا صاحبي .

ـ سنتان زواج تكفي .. وماذا أستطيع أن أقدم لك أنا ؟

ـ تتحدث مع والد البنت وتبين له مساوئ الطلاق ، وأن الصبر مطلوب ، وأن الذرية من الله .

ـ وهو المربي لا يعرف ذلك .

ـ يعرفه ؛ ولكن لما يسمعه من غيري له وقع آخر .. ويزعم أنه التقى بك .

ـ التقى بي ويعرفني !

قال : هو ذكر ذلك أمامي .

قلت لصديق المرحلة الثانوية : صدق يا ثاني أنني لا أعرفه ؛ ربما إذا رأيته تذكرته .. المهم أن ألقاه .. فأنت صديق العمر .. ذكريات وسهرات يا ثاني .

قال : هذا العشم فيك يا مال .. متى سنذهب ؟

ـ اليوم .. وسآخذ معي بلالا .

ـ من بلال ؟

قلت مبتسما : صديق الجامع .. هو حلال مثل هذه القضايا والمشاكل .

عرفه على سيد بلال ، وبعد صلاة المغرب انطلقوا الى درب القلعة ، وطرقوا بيت المدير حمي ثاني أبي ميساء .. ومن حسن الحظ وجدوا الرجل في البيت

وذكر أنه يعرفهم ، وصلينا في مسجدهم .. ورحب بهم ، ولما عرف سبب الزيارة امتعض في البداية ، ثم قال: أنا جاهز لأي حكم منكم ، فمجيئكم مقدر عندي .

استمعوا لسبب المشاكل بين الزوجين من طرف الرجل وابنته التي حضرت الجلسة لتشهد الكلام ونتائجه في آخر الجلسة ، وأبدت استعدادها للعودة لبيت الزوجية على شرط أن تعيش في بيت مستقل ، وبعد تردد ونقاش قال ثاني : عليّ أن أتحدث في ذلك مع والدي .. فكما تعلم يا مال بيت الأسرة كبير وواسع .. وأنا أكبر الأبناء .. وإذا سبب طلب الطلاق هذا سأستأجر بيتا يا ميساء .. وأمري إلى الله كما يقال .. ويا سيد مال الدين ويا أخي بلال إذا لم يحدث حمل خلال سنتين لثلاث سأطلق ، ومن حقها أن تكون أما .

تم الاتفاق على ذلك ، وأن من حق ميساء الذرية بعد سنوات خمس أو ست من الزواج ؛ لأن ذلك أحد غايات الزواج .

حضر والد ثاني بناء على هاتف ، وراح في عناق طويل مع مال ، وعلق على لحيته مع قليل من العتاب .. واطلع على الاتفاق وحديث الصلح .. وطلب هو من والد ميساء أن يستأجر بيتا لابنته بيتا قريبا من داره .

ولما قال الرجل : تشاور مع أم ثاني .

قال بحدة : امرأتي تحب سعادة ابنها يا أبا رمضان .. ونحن نحب لهما أن يرزقا ذرية .. من يكره ذلك ؟! ولماذا تتزوج الناس ؟ وأنا ساعدت في علاجه .. وكل أطباء العقم أكد أنه يستطيع أن ينجب ، ليس لديه مشاكل من هذه الناحية طبيا .. وميساء تعلم ذلك .. شكرًا لك شيخ مال الدين وشكرا شيخ بلال .

وتم الصلح ، وانصرف الشيخان لحيهما شاكرين الله على ما أجرى على أيديهما من صلح ومنع طلاق ولو إلى حين .

وتلقى مال رسالة من أولى بسبب هذه الحادثة ، وتمنت أن تعود الصداقة القديمة بينهم ، وأن ينسى مال تلك الليلة ، وما حدث فيها من إغواء ومراودة .

وما زال مال الدين يرغب بمعرفة سر تلك الليلة والمراودة مع علم والدة أولى وثاني بها .. ولماذا سمحت لابنتها بذلك؟!

السفر والإمامة

ما دمت يا مال الدين محبا للعلم الشرعي فهناك معهد شرعي مجاني في ذلك الموقع يعلم الدين

هذا ما قاله لي طالب الماجستير الشرعي الإندونيسي عبد المجيد الساكن في الحي ، ويصلي في مسجدنا ، ويعاشرنا ليتعلم اللسان العربي الشعبي .

ـ أين ؟ وذكر مكانا جوابا على أين .



ذهب مال وقدم الأوراق المطلوبة للمعهد الشرعي ،ولما قبل تفاجأ فعلا .. وشكر الله على قبوله تلميذا شرعيا، وسيبدأ الدراسة من الفصل الثاني فالأول قد فات موعده .. والدراسة صباحا وتنتهي ظهرا ، فلا مجال للعمل صباحا في الكهرباء أو غيرها .

الدراسة الشرعية مواد ومعارف دينية فقه تاريخ خطابة ووعظ قرآن تجويد لغة نحو شعر أدب حديث مصطلح عبادات معاملات حدود تاريخ فقه تاريخ تشريع .

مضى الفصل كما تمضي الأيام ، تجدد حماسي مع مضي الفصل الاول لي .. كانت الدراسة جميلة في شيء تحبه وتهواه .. وإن لم ترو عطشان وتسد جوعا للعلم الشرعي .. نتف ومفاتيح على رأي أحد الشيوخ في المعهد ..كنّا نخطب في مساجد تحت التدريب تسمى مساجد صغيرة ، ولما اشتغلنا في القرى كانت كبيرة .

وصاحبي ثاني بعد عودة امرأته ميساء له تعاقد للعمل في إحدى دول النفط كما يفعل الشباب العربي تحسينا لوضعه المالي بضع سنين .. أنا في الشريعة المتوسطة وهو إلى السفر .

ولما تخرجت من المعهد الشرعي رجع لأرض الوطن منهيا عقده ومطلقا لزوجته حسب الاتفاق الذي ذكرناه سابقا .. لم تلد المرأة ؛ فكان الفراق ، فارقها بمعروف ، وواسيته وقلت الخيرة فيما يختاره الله الملك .. وقد بارك تخرجي ونجاحي وعملي كإمام مسجد ، وهو دهش مما حصل لي وانقلاب حياتي .. نحن قدمنا الثانوية أول مرة ثمان وسبعين درس وتزوج وعمل وسافر ، وأنا بعد عشر سنين تخرجت ، وتعينت إماما سنة تسع وثمانين .

عملت إماما للصلاة وخطيبا في أحد مساجد القرى البعيدة عن قلب المدينة الكبيرة .

أهم عمل ووظيفة للإمام إقامة الصلاة لرواد المسجد صلاة الجماعة ، ثم الخطبة نهار الجمعة ومناسبات الأعياد والمواعظ في بعض المساجد في المنطقة .. ووفقت في ذلك بفضل ربي وباختيار ربي .. ولم أفكر يوما بأني سأكون إماما وشيخا .

الإمام يعد الخطبة ليلقيها على مسامع الحاضرين لصلاة الجمعة ..وما زلت أحتفظ بخطب البدايات ، وكان الجهد فيها واضحا والمصادر مبينة .

كان مسجدي مسجدا قرويا وبسيطا بمعنى الكلمة ، لا مشاكل فيه تذكر ، ولا أحزاب ، ولا تيارات حزبية .. صلي وامش .. وكنت أقضي يوم

العطلة الأسبوعية كموظف في وادي النزهات عند أصدقائي الجدد في تلك الدكان الصغيرة مع الصديق الكبير حسين .

عملت في مهنة لم أفكر فيها يوما ، ولم تخطر في بالي هذه الوظيفة العظيمة .. وكانت قدرا عجيبا .. ويحق للمرء أن يعجب من تدبير القدر ، ويستسلم له ، كنت في تيه ، ثم نور وإيمان ، إنه أمر ربي لا إله إلا هو .. لا راد لأمره سبحانه وتعالى!

لم أكن تزوجت بعد ، وقد اقتربت من ثلاثين سنة ، أنهيت المعهد الاول ، ثم التحقت بالمعهد الثاني، ولم يكن بينهما فاصل طويل إنه القدر !

الناس لا تحب أن يكون الشيخ والإمام أعزبا .. فهذا يتحدث عن أخته ، وهذا عن قريبته وجاريته مما دفعني لمفاتحة أمي بالزواج ، فاقترحت أن أتزوج من بنات العائلة الكبيرة ، ولا داعي لتغريب النكاح .. وأنا لم يكن في خلدي أي أنثى معينة ؛ لأني لا أعرف بنات العائلة بصورة بينة .. وقدر الله أن يكون الزواج في أيلول عام تسعين . وبدأت حياتي الزوجية سلسة وهادئة ساكنة .. والحمد لله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

ولما رجع صديقي ثاني من الغربة جدد الاتصال بي ، وبدأ يأتي للقائي في دكان صاحبي حسين لسماع أخباري ورحلة تديني .. وأسمع أخباره وأفكاره .. وكان لقاؤنا كل سبت حيث هو يوم عطلتي بدلا من الجمعة ، نجلس في الدكان دكان الأخ حسين خلو نشرب الشاي نتناول بعض الطعام مع صديقنا الفاضل .. وكان نعم الأخ والفاضل ؛وربما يحضر بعض الرفاق والأئمة ونتحدث في مسائل شتى وحتى السياسة والاقتصاد .

كان ثاني يرغب بالزواج من جديد ، فالرجل لا يستطيع العيش بدون امرأة ؛ ولكن مشكلة الخلفة تقف حجر عثرة أمامه ؛ فكان يفكر بنكاح أرملة أو مطلقة تقبل به .. فهو من جيلي ثلاثون سنة .

تجددت الصداقة القديمة صداقة الثانوية ؛ لكن دون أن أذهب لبيته ، فالوضع غير مناسب .. أنا اليوم متدين وملتزم ، وهو وهم غير ذلك .. وبيتي بعيد في قرية .

قال : يا مال أريد زوجة ..لا أريد العودة لإيام الجامعة وتلك الأعمال .

فكرت وقلت : هل تحبها فتاة متدينة ؟

ـ لم أصل قط .

ـ التوبة بابها مفتوح .

ـ التوبة كيف تكون ؟

قلت : كما فعلت .

ـ والخمر !

أجبت : كانوا أكثر منك سكرا وخمرا وتابوا .. وأنت في السفر لم تكن تشربها

ضحك وقال: كانت تهرب إلينا .. تباع سرا في

بعض المدن الساحلية ، وتهرب للداخل .

ـ ثاني عليك أن تتغير .. ألم تمل من الخمر والعبث والنساء ؟ كنت سيّء السمعة أيام الجامعة .

قال : ملعونات .. لقد دمرنني فتيات الجامعة ..كل من عرفتهن تزوجن .

قلت : سيجدن من هو على شاكلتهنّ .. إذا أحببت أن تعود علاقتنا كما كانت قديما عليك أن تتغير .. عليك بالتوبة يا ثاني .. أنا اليوم محسوب على طلبة العلم .

ـ هذا يحرجك .

قلت : نعم ، عندما يعلم الناس فساد أخلاقك ماذا يقولون علينا ؟ .. عليك أن تحسم أمرك ؛ لأكون لك عونا .

ـ سأفكر .

ـ فكر كما شئت .. سمعنا أن أولى ولدت ولادة صعبة .

قال: كادت أن تهلك ؛ ولكن لها عمر .. من أخبرك ؟

ـ رأيت شقيقك يزيدا في السوق قبل زمن يسير .. كنت أشتري ثوبا جديدا وحدثني عن ذلك .

ـ ما زالت تتحدث عنك وتحبك .

ـ لم يحدث بيني وبينها شيء سيئا مريبا يا ثاني أيام صداقة الشباب.. وأنت خير من يعرف ذلك .. رأيت صداقاتها من صداقتي معك .

ـ هذا ما عرفته .. وأنا تفاجأت حقا لما أخذت تتحدث عن رغبتها بالزواج منك أيام الجامعة وأيام تجنيدك .. ظننت أن بينكم شيئا دون علمي ، وأنك رغبت بها زوجة ، فكنت في دهشة وحيرة وسكت .

ـ صدقني كنت أظنها تمزح عندما نتكلم في مثل ذلك الموضوع .

ـ كلنا أحببناك يا مال ؛ لكنها أيام الجامعة اعترفت للأسرة بأنها تريدك زوجا فدهشت أنا وأمي وأبي من رغبتها تلك .. وقلنا لها تفاهمي مع مال .

ـ دعنا من الماضي يا ثاني ! فأنت صديق الذكريات .. عد إلى الله .. دعك من أفكار الإلحاد واللادين

قال : أليس اللادين دينا ؟

قلت : دين الهوى والشيطان.. الذي لا دين صحيح له يعبد الشيطان .

قال : أنت بطل يا مال الدين !ولك من اسمك نصيب وجاهدت وتركت جاهليتك وشيطانك ..ما هو الشيطان ؟

أجبت: لما تتدين ستتعرف على الشيطان عندما تصلي ستعرف الشيطان وما هو الشيطان ؟ .. عندما تتوب فعلا ستعرف من الشيطان صدق ذلك .

ـ فعلا أرغب بمعرفة هذا الشيطان الذي تتكلمون عنه وتتعوذون منه .

قلت : لا أدري كيف عملت في الخليج ؟

تبسم : هناك الكثير من الفجرة والفسقة مثلي كما نحن في نظركم .. الشيطان كما تزعمون في كل مكان .

صرخت مللا: أنت أحد الشياطين يا ثاني .. لا تضحك قال تعالى : ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان .. إن لم تعبد الرحمن ستعبد من الشيطان.. ؟

ـ على كل حال أنا حريص على صداقتك .. وقد أتعرف على هذا الشيطان الذي يتحدث عنه الشيوخ .

ـ الله يهديك ويصلحك .

ردد: أمين .. وأتمنى ذلك ، تحملني يا مال !

ـ إني أتحملك وأحب لك الخير ، وما أحب لنفسي .. سلم على الوالدة والوالد كانوا لي كأبوين .

ـ أمي عاتبة عليك كثيرا .. كانت تعتبر نفسها أما لك .

ـ وأنا أعتبرها كذلك .

الحج موسم ثلاث وتسعين

كان موسم الحج على ما أذكر عام ثلاث وتسعين صيفا في حزيران على ما أذكر .. ولم يكن الأمر سهلا .. فهذه أول مرة أغادر البلاد أو قل أسافر . فكانت الرحلة شاقة ومتعبة ؛ ولكنه حج ، وقدره الله لي ، وشكرته كثيرا وأثنيت عليه على هذه النعمة الكبيرة .. والحمد لله حمدا كثيرا .

ولطبعي الخجول أعجز عن وصف هذه الرحلة إلا أنها كانت متعبة ، ورافقت الحجيج بانفعال متباين بين الخوف والحماس .. وبذلت جهدي وعلمي المتواضع في بيان وشرح مناسك الحج وإن وقع مني بعض الأخطاء ، الجميل في الحج أنه عبادة جماعية .

زرنا المدينة أولا بعد رحلة شاقة في حافلات متعبة ، زرنا المدينة المقدسة والقبر الشريف والبقيع والمواقع التاريخية البارزة .

وانتقلنا لمكة الشريفة ، ورجعت للديار سالما بفضل الله تعالى .. فله الحمد والمنة .. فتحصيل فريضة الحاج لشاب صغير من الأمور المهمة في حياة المسلم خاصة إذا كان صغيرا أو موظفا صغيرا .. وذكريات تلك الرحلة مشوشة في ذهني ؛ لأني أكتب هذه السطور بعد أكثر من ربع قرن .

ولما عدت غانما قدم الناس والجيران والأصدقاء للتهنئة والتبريك وشراب الماء المقدس زمزم ، وأكل التمر الحجازي ، والحصول على الهدايا ، ولابد أنني أحضرت منها ؛ لأن هذه أول مرة أسافر فيها خارج البلد .

أكيد كنت متوترا وقلقا عند السفر ، وسعيدا عند العودة .. وقد أصبحت حاجا وعمري ثلاث وثلاثون سنة .

الحج عظيم ! ويذكرك بأشياء كثيرة وعميقة في التاريخ .

علمت من صديقي القديم ثاني أن والديه حجا مثلي وفي نفس الموسم ؛ ولكنا لم نلتق خلال الموسم لدى الناس عادة أن المسلم عندما يكبر ويزيد عمره عن الخمسين والستين عليه أن يحج ويسلم وأن عهد المعاصي والشباب انتهى .

فرحت لهذا الخبر فرحا صادقا ، وأنهما عادا للحق والإسلام ، وتابا إلى الله ورغبت بالذهاب للسلام عليهما ، وتهنئتهما بالحج ، والمباركة لهما ، واللقاء بهما بعد هذه السنين من الفراق ، وأنا أحببت ذلك اليوم لذكريات الماضي ، وتأخر هذا اللقاء بضعة شهور لظروف خاصة بهم .. مرضت الأم مرضا شديدا ، وعانت منه ؛ ولكنها كسبت الحج والتوبة وثاني ترك الشراب كما قال ، وأخذ يصلي ويقطع كما قال .

في الشتاء كان اللقاء رحبت بي أم ثاني على النمط القديم عانقتني ، ونسيت نفسها ، وأنا تجاهلت الأمر ، ثم تذكرت أنني أصبحت شيخا وإماما وهي حاجة ، وكنت بلحية طويلة وثوبا سنيا وبعد قالت ونحن نجلس : أنت شيخ بجد يا مال الدين !

تحدثنا عن الصحة ومرضها وشفائها وتقاعد موسى من العمل ، وتحدثنا عن رحلة الحج وتعبها وحرها وقالت : أنا تركت السفور والخمور قبل الحج يا مال وكذلك زوجي .

ـ الحمد لله له الفضل والمنة .

ـ تأثرنا بك يا مال الدين سماعا .. أنت قدوة لنا في العودة لديننا .

ـ أنا لا شيء يا أم ثاني .. أين الحاج موسى ؟

ـ سيأتي مبكرا .. هو في بيت أمه .. أنت تعلم أن والده مات قبل موسم الحج وتلقينا برقية منك .

قالت : رحم الله أموات المسلمين .. والحمد لله على الهداية .

ـ أولى صديقتك القديمة هنا .. أتأذن لها بتحيتك .

ـ هذا إحراج يا أم ثاني .

كانت تقف بالباب ،وقالت ربما بتهكم أو جدية : لماذا الإحراج أيها الشيخ ؟! ألا تستقبل النساء وقد لبست ملابس محتشمة إلا شعر رأسي .. لم أستطع تغطيته ..لم أتعود على ذلك .

نهضت قائما وعيناي في الارض : مرحبا يا أخت أولى ! كيف أنت ؟ وماذا سميت بكرك ؟

ـ كنت راغبة بتسميته مال .. مازن زوجي رفض هذا الاسم .. وظن أن بيني وبينك ما يشين وسوء حتى أنني أقسمت له أنك شريف وعفيف .. وما زال قلبه منك بشيء ، وحدثت بيننا الكثير من المشاحنات بسبب صداقتنا .. الناس لا يصدقون أننا شرفاء .. وكثير من البنات أحبت شخصا ، ولم

تتزوجه ، والعكس يحصل .

ـ هو جاهل .. أنا لما أراد زواجك جاءني دون أن أعرفه .. وسأل عن علاقتي بك ، فأقسمت له أننا لم يحصل بيننا مريب ، ولم أمس شعرة منك .

ـ لم يقل لي ذلك .

ـ وهل يقول الأزواج كل شيء يا أم ... ؟

قالت : أم جلال .. ابني الأكبر جلال .. اهلًا بك يا صديقنا القديم .

ـ أين زوجك ؟

ـ في البيت رفض المجيء للتعرف عليك .. هل علمت أن ثانيا سيتزوج أخت مازن .. أخته الأرملة .. وأنا نصحته بالبعد عنها يا مال الدين .

نظرت لثاني وقلت : أما زلت قوية يا أولى تتدخلين في شأن الآخرين ؟

حدقت بي : أأنا قوية يا مال ؟

ـ أنا أعرفك.. اجلسي .

وجلس الشيخ وجلست وفعل ثاني مثلهم ، وقال لما خيم الصمت والسكون : نعم، يا مال .. قد أتزوج شفاء شقيقة مازن الأرملة .. لديها ثلاثة أطفال ؛ ولعل الرابع يكون مني .

ـ إن شاء الله يا ثاني .

قالت أولى : أتمنى من أعماق قلبي أن يطول زواجك منها .. كان زوجها جميل يعاني ويعاني يا ابن أمي وأبي .. كيف الحج يا مال ؟

ـ الحمد لله وفقنا إلى ذلك ، وأتمناه لك .

ـ شكرًا .. دائما أنت رائع ! كم الفرق بين أيام زمان وأيام اليوم يا مال.. أكيد أنك لا تدخن اليوم .. وأنا أعلم عمرك ما شربتها يوما ما .

قلت مبتسما : نعم ، نعم ، لم أعرف الشراب بفضل الله أيام ضعف الإيمان أيام الجهل ولا الزنا .. والسجائر تركتها منذ أكثر من عشر سنين .. من أربع وثمانين .

قالت : أتخيل الزمن وقف بنا إلى تلك الأيام .. كم هي سريعة رغم ذلك! في نظري ما زلت رائعا يا مال !

ـ لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما في أنفسهم .

ـ تعودنا على السفور والتبرج والقليل من الخمر .

ـ هداكم الله .. مالك يا أم ثاني صامتة ؟

قالت صافنة ساهمة : كم تغيرت يا مال الدين ! وكم الفرق بينك وبين أيام زمان أيام يوم دخلت علينا صديقا للعائلة !

ـ ولكني يا أم ثاني رغم ذلك لم يعهد على شرب الخمر ولا الزنا .. وهذا ما كان يحير ثاني ويقول : أكثر رفاقك يسكرون ويخمرون ويعرفون البنات وجل أوقاتهم في التسكع إلا أنت !

قال ثاني : إني أذكر ذلك الكلام بيننا ..كأنك كنت شيخا بيننا .. لم تكن تبدو لنا متدينا مثل اليوم .. كنت كأغلب الناس .

ـ كنت أصوم وأصلي.

ـ ليس كمثل هذه الأيام .. اليوم تغبط يا صاحبي .. هل أدعوك لحفل زواجي ؟

ـ لا ، لن أحضره .. اليوم لا أحضر حفل زواج إلا إذا كان شرعيا .

ـ وهل زواجنا غير شرعي ؟

ـ قصدي الحفل والفرق الموسيقية .

ـ لكم دينكم أيها الشيوخ ولنا ديننا ؛ ولكني لا أستغني عن صداقتك .. ولا أنسى موقفك أنت والشيخ بلال معي أيام ميساء .. لقد زوجها والدها .

ـ هل ولدت ؟!

ـ لم أسمع .. أسمعت شيئا يا أولى ؟

قالت : لا ، لم أسمع بعد .. ألا ترغب بزيارتي يا مال ؟ أعرفك على مازن .

ـ لا داعي لإحراجه .. فالرجل يكرهني كما بد لي من كلامك .. ويعتقد أنه كان بيننا سوء وما يشين

قالت : هو يتحدث عن ذلك لسوء ظنه بي .. فهو يعرف من أنا ؟ وأنا أعرف من هو ؟ حياتنا جافة .. مجرد شريكين سرير واحد يا مال الدين .. أنا لم أحسن الاختيار .

ـ على المرء أن يرضى بما قدر له يا أولى .. تخيلي لو تزوجتك كما كنت ترغبين .. هل تقبلين بلبس الجلباب والزي الشرعي وأن تتركي التبرج والسفور والعطور .

ـ لم يكن يخطر هذا في بالي رغم لمحات التدين التي كانت فيك .. لم أكن أتصور كما قالت أمي أن تصبح إماما وشيخا .

قلت : أنا لست شيخا بمعنى الشيخ .. أنا دراستي متواضعة .

ـ لكنك إمام وحاج اليوم .

ـ ذلك الفضل من الله وحده .

قالت : المهم انصح صاحبك بالبحث عن زوجة غير شقيقة مازن .

قالت الأم : دعيك من ذلك يا أولى .

صاحت : حتى لو طلقني مازن كما يهدد دائما .. سأتكلم احذر يا ثاني إنها امرأة عوجاء غير مضبوطة .. إنها امرأة منحرفة .

قالت الأم : لا وقت لهذا الكلام أمام مال يا أولى .

صاحت : مال أخ وصديق عزيز .. سأنصرف الآن .. ليتك ترد على رسائلي المستمرة إليك ..وعليك أن تنسى تلك الليلة من حياتنا .

قال مال : ليتني أنسى يا أولى!

ـ عليك بالنسيان .. حج مبارك .. ربما أحج في يوم ما .. ها هي أمي تخلت عما كانت عليه .. المرض يهد البدن والنفس .

قالت الأم : كم أنت قاسية يا أولى ! أنا لم أجبرك على الزواج من قريبي مازن .. أنت كنت تريدون

زوجا أو رجلا .. ومازن راغب فيك وتكلم عليك .. هل جئت بعريس ورفضته ؟ انصرفي إلى بيتك .

ـ كان العريس موجودا يا أمي .وأشارت إليّ

أجابتها : لم يكن مال ـ وها هو يسمع ـ يرغب فيك زوجة .. ولم يكن سنه تؤهله للزواج ..كان مجندا بعشر دنانير ..أليس كذلك يا مال ؟

قالت بغضب : لو وافق لانتظرت حتى أتخرج وأصرف عليه حتى يقوم على قدميه .. لم يكن عليّ خدمة علم .. وكان عملي سريعا ومحجوزا .. وها هو قريبك يستدين مني ، ولم يسدد فلسا واحدا .

قال مال : لم يكن في بالي الزواج من أولى للصداقة والثقة التي أوليتموني إياها يا أم ثاني ، وأكدت ذلك لثاني أن الذي بيني وبين أولى حب الكتب والقراءة .. وما لمست يدي شيئا من بدنها إلا مصافحتها ، وحتى الزواج نفسه لم يخطر في بالي تلك الأيام .. طالب فاشل وفقير .. كانت عائلتي غير قادرة على تزويجي يا أم ثاني .. فنحن أكلنا عيش وملح ، فلا أخون هذه النعمة .. فهل أخونكم ؟ كان عليّ أن أكون رجلا بمعنى الكلمة .. وصدقوني ما عرفت الفاحشة مع أي بنت متزوجة أو غير متزوجة .. وهذا من حفظ ربي .. رغم العبث في مثل هذه المواضيع ؛ انما هي من الأفلام والمجلات .. وثاني كان يعلم ذلك عني.. وأولى نفسها تعلم ذلك كنت أخاف النساء والبنات .. كانت الصداقة غايتي الوحيدة وحب الكتب والقراءة هي التي وثقت علاقتي بأولى ..

هل رأيتني غازلتك يا أولى ؟

قالت مقرة : كنت أنا المخطئة ، فلما كنت أسمع حديثك عن شعراء الجاهلية.. أمرؤ القيس ونساؤه وعنترة وعبلة أظن أن هذه الكلام لي كلام مبطن .. إياك أعني واسمعي يا جارة .

ـ وماذا أفعل لظنك .. أنا كنت جادا وأحب قراءة تلك الاشياء ، وحفظ تلك الأشعار والقصص .. والإنسان يستمتع إذا وجد من يصغي له كما كنت تصغين .

تنهدت قائلة : هذه أدركته بعد تلك الايام الجميلة

ـ نعم ، فلتبق ذكريات جميلة .

قالت : إلى اللقاء .. المهم انقذ صاحبك من هذا الزواج.

التفت لصاحبي وقلت : عجيب هذا الزواج في نظري !

صاح ثاني بغضب وضيق : أريد امرأة.. هل أعود لإيام الجامعة والحانات يا مال ؟ يحتاج الرجل لأنثى في البيت .. لا أدري كيف صبرت أنت عن النساء لثلاثين سنة ؟! أولى عندها ذلك أفضل من هذا الزواج .. أظل أعتمد على أمي في غسل ملابسي الداخلية ، وغسل ثيابي وكويها يا مال ..

وأنا لا أستطيع أن أكون متدينا مثلك ، وأتزوج امرأة متدينة تلبس ثيابا سوداء تدخل الحزن والضيق على النفس مع السلامة يا أولى .. حافظي أنت على بيتك وأولادك .

تمت الحلقة٢

حكايات الحي أبو خروف

الحفيد السارق ١٩٧٦

حادث سرقة

كانت جمهرة من الناس متجمهرة أمام مدخل بناية من بنايات أبو خروف ذاك الصباح البارد ، وذلك عند بداية طلوع الشمس ، وكانت سيارة شرطة تقف أمام البناية ، وكان أحدهم يقول لجار له: كيف دخل اللص الشقة؟!

رد الجار الموجه له الاستفهام : يقولون إن المرأة أم عسود قامت تصلي الفجر فشعرت بحركة داخل البيت .. فذهب بالها أن أبا عسود لم يمش للجامع بعد ، فأخذت تناديه بصوت مخفوض ثم تذكرت أن أبا عسود أيقظها للصلاة ومشى للمسجد كالعادة .. وذكرت أنها سمعت صوت الباب يغلق .. وبينما هي تفكر بذلك شعرت بحركة شخص معها في الغرفة ثم ضربها أحدهم بعصا على رأسها .. فصاحت صرخة مرتفعة ، وسقطت على السرير الذي كانت تجلس فوقه تستعد لدخول دورة المياه للوضوء والصلاة ؛ فكأنها لما خرج أبو عسود غفت .. ولما عاد الرجل من بيت الله ـ قبل قليل ـ وجدها غارقة في بحر من الدم ، وفاقدة الوعي ، ووجد أن صندوق ذهبها ومالها فارغا .. فاتصل بابنه عمار .. وجاءت سيارة المستشفى ، ونقلوها للمستشفى ، وجاءت الشرطة للتحقيق في الحادث

– ابنهم عرجون أين هو؟!

– عرجون في رحلة جامعية مع طلاب جامعة لمدة ثلاثة أيام .. واليوم مساء سيعود من رحلة الجامعة ، فلذلك يقول أحد الضباط : إن السرقة مدبرة ، اللص يعرف فراغ البيت من عرجون ومن أبي عسود .. وربما يوجد أكثر من حرامي لوجود أثار أحذية لأكثر من شخص على الأقل شخصان .. الغريب أنهم كيف دخلوا البيت؟! والباب يغلقه أبو عسود خلفه ، وذلك من زمن طويل .. وهل زلفوا للبيت قبل خروج أبي عسود للجامع أم بعد خروجه ؟ فيقول حضرة الضابط : المخطط لهذه السرقة يعرف البيت ونظام الحياة فيه ؛ كأنه عاش فيه .. ويعرف أين تضع المرأة الفلوس؟ وما هي؟! مع أن أكثرهم يعرف أن النساء تضع مجوهراتها في الخزانة الخاصة بالثياب ، وفي غرفة النوم .. لكن السر كيف عرفوا بسفر عرجون ؟! جريمة جريئة ومرتبة ، وكان هدفهم السرقة ، واضطروا للاعتداء على أم عسود لما أحست وشعرت بهم ،

وبقيت في الغرفة لم تخرج للوضوء والصلاة ، فدهمهم الوقت ، وخشوا عودة أبي عسود .. وأخبر ابنها الكبير أن لا خطر عليها .

وهكذا كانت الجمهرة تتحدث عما سمعت ويحللون ويفسرون ما يتردد من معلومات منذ اكتشاف الحادث ، ولما انصرف رجال الأمن تفرق الناس إلى منازلهم أو أعمالهم ، وقال أحدهم لعمار ابن أبي عسود : الحمد لله على سلامة الحاجة أم عسود .. عساها بخير ..الشرطة عرفت الجاني؟

– شكرًا ، سلمكم الله .. أمي بخير .. لم تكن الضربة بالقوة القاتلة .. كانوا يريدون إسكاتها .. الله ستر ..الحمد لله .. أرجو أن لا تروا مكروها .. ويرى الشرطي أنها ضربت حتى تعرف اللص لأنها لو رأت السارق ستعرفه .. فكان لابد من ضربها حتى لا ترى أحدهم .. ويرون أن اللص أو أحدهم قريب من الأسرة أو الجيران .. له معرفة بنا .. وبصراحة أقولها لكم أنهم يشكون في ابن اختنا عزيزة ..حفيدها .. فهو كما تعلمون شابا منحرفا فاسدا .. وسيبحثون عنه .. فكثير من الدلائل تشير إليه ، فهو معروف للشرطة ، وهو يعرف البيت ، ويعرف صندوق مجوهرات جدته أم عسود ، ويعرف أن جده يخرج للمسجد لصلاة الفجر ، ويستطيع أن يعرف أن عرجون في رحلة جامعية خارج العاصمة .. وأخيرا أقول .. الله أعلم ، والسلام عليكم

فقال آخر له معرفة بالأسرة : والله هذه أدلة دامغة يا عمار ؛ ولكننا نعلم أن جبيرا بعيد عن الحي ومطرود من بيت والديه منذ أشهر .. من آخر مشكلة كانت له مع أبناء حفيظة ، كيف قلد مفتاح بيت الوالد؟

– الفاسد يا صلاح يستطيع تدبير أمره .. وأنا قلت لكم الشبهة أو الشرطي لمح لي بذلك ، ويظن هذا .. أما نحن فلا نعرف من فعلها بالضبط ؛ إنما هو احتمال وقرائن، وسوف يأخذون البصمات عن الصندوق المفرغ من ذهبات أمي .. مع أن صغار اللصوص يخفون بصماتهم اليوم ، فلبس جوارب أو كيس لا تظهر البصمات .. فالبصمة من الأدلة الدامغة على وجود الفاعل على مسرح الحادث .. والذهب المسروق قيمته خمسة آلاف دينار مع المال .. تحويشة العمر كما يقال.. ومنذ سنوات تعرضت لمحتالة لو لا لطف الله

عند مغيب الشمس رجعت أم عسود لبيتها يصحبها زوجها وأولادها ، ولما استقرت في غرفة نومها تركوها تنام ، وجلسوا في صالون البيت ، وقالت عزيزة لشقيقها عمار: أصحيح أن الشرطة تشتبه في جبير ؟

عرض عمار ثانية القرائن التي تحدث بها أمام الجيران ساعة الصباح بعد نقل أمه للمشفى قال :

هذه أقوال الشرطة .

فقال زوج عزيزة السيد محمد : ولكنّ جبيرا كما تعلمون مطرود من الحي من شهرين ونصف والباب لم يستخدم العنف والقوة لفتحه .. فقد فتح بمفتاح فكيف وصل المفتاح إليه؟!

قال عمار: بعدما عدت للبيت ، تكلمت مع ضابط الشرطة فقال: إنهم يتابعون شقته ، ويبحثون عنه ، فهو لا يوجد في بيته ، وزوجته قالت لهم : إنه متغيب عن البيت من أيام

فتساءلت حينئذ عزيزة: هل السرقة مرض يا جماعة؟!

فلم يرد أحد فجبير ابن عزيزة ومحمد معروف لدى الأسرة بذي اليد الخائنة ،.. وبعضهم يقول [ايده طويلة] يقصدون بها الحرامي اللص .. وقد يقصد بها [هذا الشخص واصل ويطول كل شيء حتى عند السلطان].. والحديث قال[اليد العليا خير من اليد السفلى] أي اليد المتصدقة المعطية .. وتعرض الشاب للسجن بسبب ذلك ، ولم يردعه حبس عن تكرار السرقة ، فهو معروف لدى دائرة الشرطة والبحث الجنائي ، وكما يقال صاحب سوابق .. فهو يسرق كل شيء يتحول لمال بسهولة .. فسرق مالا من دكاكين ومتاجر وأسطوانات غاز منازل ملابس وأحذية أدوات منزلية وكهربائيات ، ولما قضى آخر عقوبة زوجه والده وعمل له مصلحة تجارية يعتاش من العمل فيها ؛ ولكنه سرقها وخسرها ، فطرده أبوه ، وطلب منه أن لا يتراءيان ، فرحل إلى حي كرمانة [اسم حي زوجته] التي عرف أخاها أثناء وجوده في السجن ، فجبير هو المشتبه به عند الشرطة ، وأهم نقطة لصالحه هي كيف وصل إليه المفتاح ؟ مفتاح الشقة لا أحد يذكر أنه أوصل إليه المفتاح ليقلده .. الشرطة كما ظهر لعمار تراه المتهم الأول في هذه القضية للطريقة والظروف التي حدثت بها السرقة ، فهم جادون في البحث عنه ، فوضع بيته تحت المتابعة الأمنية الشرطية ، فالقضية ليست قضية سرقة فحسب فهناك جريمة شروع في القتل .. ومما يذكر أن جبيرا بدأ يسرق صغيرا ، وهو في أول سنوات المراهقة العمرية .. كان يسرق القليل لشراء السجائر .. فبعض الباعة يبيعونها بالسيجارة والاثنتين لامتصاص مصروف التلاميذ الذين يحبون أن يقلدون الآباء المدخنين ، أو الشباب الأكبر منهم سنا ؛ ليعترفوا بهم كبارا مثلهم ؛ كأن السيجارة تجعل الشخص أكبر من عمره الحقيقي ..إنه جهل عقيم .. وطفق الفتى لا يكتفي بسرقة المال القليل ، فصار يسرق الدخان نفسه بغفلة عن البائع ؛ ولكن البائع يعرف بعد حين من السارق .. فالسبب مكشوف ، وأقرانه الذين تباهى أمامهم بالسرقة يقرون لصاحب

الدكان باسم اللص .. تعرض للعقاب من قبل والديه .. يهرب لبيت جده زاعما الخوف من العقاب ولم يفد العقاب والضرب في العلاج .. وسرق الطلاب ، وتعرض لعقاب من مدرسه.. ولما وصل الإعدادية غادر المدرسة لسوق العمل لبلادته وعدم اقتناعه بجدوى التعليم ..فبدأ العمل مع بليط ـ الرجل الذي يبني بيوت الناس بالبلاط والرخام ـ ثم سرق آلة قص البلاط وباعها .. واكتشف المعلم جريمته فطرده شر طردة بعد أن خصم من أجرته ثمن هذه الآلة ، والباقي من والده محمد .. ولم يكترثوا لإنكاره وأيمانه ، فهو صاحب سوابق ، وانتقل للعمل في بقالة وخان البقال ، وكرر السرقة المال والدخان ، واكتشف الرجل النقص فطرده كسابقه ، يختفي عن بيت العائلة أياما ، ويأتي زاعما الندم ، وظل على هذا الحال حتى قبض عليه وحبس أشهرا لسرقة بيت وخرج بدون فائدة ترتجى من صلاحه ، ثم يحبس لحادث جديد حتى بلغ العشرين ، ولم يتحسن الحال وظل معوجا ، فوافق والده أن يزوجه بعد خروجه من محبسه لعل وعسى ، وكان للشاب رفيق سجن وسرقة ، فلما رأى أنهم يرغبون بتزويجه فقبل على أن يتزوج أخت صديقه ، فقال والده بعد تردد : هي امرأة كسائر النساء .. أخت حرامي أخت حرامي .

كان الأمل أن يتحمل مسؤولية بيت ، زوجة ؛ ولكنه ظل يسرق من يحسن إليه ، ويقبل أن يعمل عنده ، ووصل به الهوس في السرقة أن سرق أسورة لأمه وباعها .. فاضطر والده لطرده من البيت ورفض حياته في كنفهم .. فرحل غير آسف .. فسكن في حي له فيه رفاق عرفهم أيام السجن .

فلما سألت عزيزة أم جبير السؤال هل السرقة مرض ؟ صمت الجميع .. ثم قال عمار بعد نظر وصمت طويل : هي ليست مرضا ، وربما مع الوقت والزمن تصبح مرضا بحكم العادة ، أو عادة يصعب التخلص منها ..وجبير للأسف معروف لدى الشرطة ـ سوابق كما يقال ـ لذلك وجه إليه الاتهام والاشتباه .. والقضية قضية وقت ، سيمسكون به اليوم أو غداً .. لما تزوج فرحنا قلنا لعله يعقل .. وها هو له طفل .. ولا أدري بأي حجة يستحلون مال الناس

نهضت عزيزة وهي تقول: هيا يا محمد الحمد لله على سلامة أمي يا أبي .. أنا إذا ثبت أن اللعين فعلها سأصاب بالجنون .. وهذا حال لا يسر ولا يبشر بخير .. سيقتل أحد الناس في يوم من الأيام من أجل المال

تنهد محمد أسفا وقال: فعلا ، هذا لا يبشر بخير .. الحمد لله على سلامة أم عسود ـ إن شاء الله ـ ترجع ذهبات أمنا الغالية ، وأن تقبض الشرطة

على الجاني ، وإذا ثبت أنه المجرم فلا يمكن أن أسامحه ، أو يناطق لساني لسانه

قال أبو عسود بحزن عميق : أتمنى أن لا يكون هو .. من شهور لم أره



رجع محمد وعزيزة البيت يغمرهم الحزن والهم والرجاء ، فهم يعيشون في حي التوتة ، وجلسوا يتناولان العشاء أو ما تبقى من العشاء ، قالت البنت الكبرى هند : كيف الجدة ؟

ردت الأم طالبة : عملت الشاي

- نعم ، ستأتي به عبلة

- عادت الجدة من المشفى للبيت قبل قليل .. لقد ضربها الحرامي بعصا مساحة المطبخ (قشاطة ماء) على أم رأسها ، وسرقوا القرشين

- اتصل خطيبي يسأل عن الجدة وعن صحة الخبر .. فقال : ألا تعلمين أن عمي عبد القادر من سكان أبو خروف ؟ عرف من أبناء عمه المأساة وعرف أنهم يشتبهون بأن الحرامي جبير ، أصحيح هذا؟!

قال الأب بألم وهو يتناول كوب الشاب من صينية عبلة : نعم ، يشكون فيه ، وهو غير موجود في بيته .. هذا الولد قسم ظهري .. إنهم يتحدثون أن عما لي مات قديما كان يشتغل لصا كجبير يسرق المواشي من القرى والمزارع قبل أن نسكن المدن ونترك الزرع والضرع .. وقتل وهو يسرق ثورا من أحد الفلاحين .. وأهدر جدي دمه .. ولم يأخذ ديته لما ثبتت إدانته .. هل يا ترى يا أولاد السرقة لها علاقة بالوراثة؟ .. هل تعلم شيئا حول ذلك يا محمود يا فهيم ؟ فأنت دائماً تقرأ الكتب والمجلات

تبسم محمود وحسّن جلسته ، ووضع كوب الشاي على المنضدة التي أمامهم ، وأجاب: لم أقرأ أن اللص يرث اللصوصية بعامل الوراثة شيء مخلوق في الجسم .. رغم أن بعض علماء الجريمة يرون أن للعامل الوراثي دورا في الجريمة مع ظروف بيئية معينة .. فقد حاول بعضهم المقارنة بين الآباء والأبناء وبين الأخوة بالنظر إلى سلوكهم الإجرامي للتدليل على وجود ميل موروث إلى الجريمة ، وبين من عدة مقارنات إلى نسبة عالية ؛ ولكن نظريته وأفكاره لم تسلم من النقد .. فعلماء الاجتماع والجريمة فكروا ودرسوا العامل الوراثي .. ولكن هذا في بلادنا صعب التأكد منه ، وأن نذهب هذا المذهب .. فالعامل البيئي ربما أقوى في الجريمة من العامل الوراثي .. ففي العصابات القوية والمنظمة قد يلعب الابن والأقارب دورا في نفس العصابة .. كما نسمع ونقرأ عن عصابات أمريكا والمافيات ..فهؤلاء العصابة عندهم كشركة يتوارث الأبناء الأجرام والسيطرة

والانتقام .. فهي عصابات أسر .. وهذا كما يتوارث أبناء بعض الأسر المهن والحرف والتجارة .. فتجد بعض الأبناء تعلموا مهنة الآباء ، وحرص الآباء على نقل الحرفة وأسرارها لبعض الأبناء .. أما السرقة والبغاء والربا فكل واحد على ذنبه

– كلامك جميل ! ها هي القراءة أفادتنا إذا ظهر أن لجبير يدا في هذه القصة ستكون كارثة فها هو أخذ يستعمل العنف أثناء إجرامه

قالت عزيزة : كيف فتح الباب ؟! وقد قال عمار: إن البيت فتح بمفتاحه دون عنف

ـ هذه هي النقطة التي في صالح السيد جبير ، أما معرفة خروج الجد فسهلة من المراقبة .. ومعرفة وقت رحلة عرجون وعدم وجوده في البيت عند السرقة يدل على معرفة اللص لذلك فالحادث يدل على عمل مرتب ومدبر

فقال محمود :أكيد هذه إمارات دالة على أن اللص يعرف الدار ، ومكان المال .. ولجبير سابقة في سرقة أمه كما تذكرون .. وهذا الشاب معضلة تحتاج لحل .. الحبس لم يقومه للأسف ، والزواج لم يجد معه نفعا ..ألا يوجد حل ؟!

قال محمد بسخط حاد : الحل أن يموت قبل أن يبلينا بجريمة قتل .. كما مات عمي الذي قتل وهو يسرق ثور المزارع .. خسر حياته من أجل سرقة ثور ؛ ليباع ببضعة دنانير ..لا تغني ، ولا تسمن من جوع

قال هند: لم تدركه يا أبي

قال بحزن: مات أو قتل قبل أن أولد أنا بسنوات ..قديما كانت الحياة في بلادنا صعبة وشاقة خاصة الفلاحون فكانت أرزاقهم حسب المطر والموسم .. حتى الزواج في حياتهم حسب قدرة الموسم على العطاء ؛ لذلك كانت تشيع بينهم سرقة المواشي ، وبيعها في أسواق منتشرة بين القرى والمدن موسمية كانت أو شهرية .. فقد يجد المسروق دابته المسروقة تباع أمامه في السوق وتحصل المنازعات والاتهامات والمشاجرات .. وقد يموت فيها ناس كما نسمع ؛ لكن اليوم يوجد التعليم والوظائف في الحكومة والشركات والمهن والحرف وقيادة السيارات بأحجامها المختلفة .. فالشغل كثير ويحتاج لهمة ونشاط .. وشرطة وجيش وأمن .. فأهل المدن يقل عندهم سرقة الغنم والدجاج .. حتى أننا نسمع الآباء يتحدثون عن سرقة بيض الدجاج والأرانب .. اليوم طبق البيض بثمن زهيد .. اليوم عندنا مزارع دجاج وسمك وعجول لتحول للحوم .. لم يعد الناس يربونها في البيوت .. فتكلفة تربيتها أكثر من شرائها من المزارع .. حتى البلديات تمنع من تربيتها في بعض المدن أو بعض الأحياء.. القليل من يخالف النظام ؛ لأننا

بدأنا نسمع عن البيئة والتلوث الذي يؤدي إلى انتشار الأمراض الوبائية .. الخبز كان قبل عقود يخبز في البيوت .. واليوم زادت المخابز في الأحياء ، ويعتمد الناس عليها .. وتركنا بريموس الكاز ، وأصبحنا نستخدم البوتاجاز أو الغاز .. قديما كنا نخبز في البيوت وعلى الحطب ، ثم في فرن الحي .. فكان المخبز في فصل الشتاء مأوى النساء والفتيان للحصول على الدفء والحرارة وسماع أخبار الناس.. وكان يخبز الفران مقابل مال قليل أو خبز .. في الأرياف ما زالت بقايا هذه الأفران أو الطوابين تسمى عند بعضهم .. أصبحت تراثا وشهوة .. لكل شيء تاريخ وحكاية .

سرقة جديدة

بعد مضي أسبوع على حادثة السرقة لبيت أبي عسود اتصلت عزيزة بأبي جمال شقيقها عمار ، وفي نغمة صوتها فرح وقالت : أصحيحة الأخبار التي شاعت يا أبا جمال عن براءة جبير من حادث أمي ؟!

كان يدرك الألم الذي يعتصر قلبيّ عزيزة ومحمد من الحادث الأثيم ، فرغم الجهود التي يبذلانها من أجل تقويم الشاب الضال لحتى الآن لم تثمر وتكلل جهودهما بالنجاح ، فرد عليها قائلا : نعم ، يظهر يا عزيزة أنها صحيحة ، ونرجو ذلك .. فكلنا يتمنى أن يكون جبير بعيدا عن الحادث وهذا جيد جداً يا أم جبير .. قال ضابط النقطة في الحي : عندما حدث الحادث كان جبير محبوسا لدى شرطة عال في مشاجرة ريفية .. كان ذاهبا لزيارة رفيق سجن .. فقضى هناك ليالي موقوفا مع زعران البلدة حتى جرى الصلح بين العائلات المتشاجرة ، ثم افرج عن الموقوفين .. ولما عاد للبيت كانت الشرطة السرية في انتظاره .. واقتيد لدائرة أمن العاصمة بيت السلام ، وتم التحقيق معه ، وتبين صدق أقواله ، فاطلق صراحه .. ورغم ألمنا من الحادث فرحنا وفرحت أمي لبعد يد جبير عن الجريمة .. والمال يعوض .

قالت وقد ارتاحت أعصابها وخف توترها لسماع كلام عمار : جزاك الله خيرا .. أرحت قلبي من ناحية أمي .. لو كان هو فذلك مؤشر خطر .. وهو استخدام العنف والشروع في القتل كنا في حالة الانهيار يا عمار من تحوله من السرقة للقتل .. الخوف قتلنا .. مصيبة أن يبتلى الإنسان بدم .. السرقة أهون من القتل .. وكلاهما دمار .. لكنّ هناك شيئا أخف من شيء وأهون الشرين الله يهديك يا ابن عزيزة الصراط المستقيم . سمعت آمين من أخيها فقالت : ماذا ستفعل الشرطة بعد خروج جبير منها ؟

– الشرطة تستمر في البحث والتحري والمتابعة حتى يقع بين أيديهم لص أو لصوص ويعترفون

ويقرون بهذا الحادث وغيره ، ويكون الذهب قد أصبح في بطونهم طعاما وشرابا .. الأهم أن الوالدة تعافت ونجت منهم .. والمال يعوض يا عزيزة .. وأمك دعت الله أن يكون جبير بعيدا عن الجريمة والاتهام .. وهي فرحة مثل الجميع .. كان القلق يساورها ؛ لأننا نعلم أن جبيرا سرقك .. فالذي يسرق أمه يهون عليه الآخرين .. والضرب لم يعد علاجا للتقويم

– نعم ، فعلنا ما بوسعنا لتقويمه دون فائدة ترتجى .. زوجناه من فتاة رغب هو فيها أخت رفيق له على أمل أن يحس بالمسؤولية وأنها أخت صاحبه .. فتح له والده مصلحة فسرقها ..لا يريد أن يصير كسائر الخلق

– الشر موجود .. والكل لا يحب الشر .. والأشرار موجودون بصور وألوان مختلفة

– أهو عند امرأته وابنه في البيت ؟

– أكيد أنا لم أره .. أنا أتعامل مدير النقطة .. أمس سألت الضابط فقال لي: إن المشتبه به لم يكن على مسرح الحادث ، كان على مسرح آخر .. وأبي وأمي رغم حزنهما على المال ـ والمال صنو الأبناء ـ لكنهما سرا مثلك من براءة جبير من هذا الحادث .. الحيرة ما زالت تكتنف الجميع كيف عرف اللص تفاصيل البيت ونظام صلاة أبي وسفر عرجون ؟! .. فهذا يدل على قرب الجاني من الأسرة .. والأخطر كيف حصل اللص على مفتاح الشقة ليقلده ؟ وأبي ـ كما تعلمين ـ يغلق الباب بالمفتاح عندما يذهب للجامع خشية أن تبقى أمنا نائمة .. وعرجون يأخذ مفتاحه معه .. وفرضا نسي أحدهم غلق الباب ذاك الصباح.. فمن أعلم المجرم أن الباب مفتوح في هذا الدقائق.. إذن اللص يملك مفتاح الشقة.. والجريمة بوشر بها عندما خرج أبي من العمارة .. هو خرج وهم أو هو تسللوا كانوا يراقبون البيت ، وتسللوا للبيت على توقع أن تكون أمنا في دورة المياه تستنجي وتتوضأ لصلاة الفجر .. لكنها غفيت واستيقظت على حركتهم ، واعتدوا عليها بحكم الضرورة .. فمن العدو لنا ؟ فهذه السرقة كما يقول الضابط لا يمكن أن تكون عشوائية دون تدبير، سرقة مخطط لها ومعروف الهدف ، ليست فجائية بنت الساعة .. فكثير من السرقات تحدث ضمن ظروف معينة تغري اللص والمحتال ، يرى شيئا ما فيسرع بسرقته ، أما سرقة البيوت فتكون سرقة عن سبق الإصرار والترصد ، قد يعرف اللص بيتا خال من السكان لسفر لرحلة ، فيخطط لاقتحامه والاستيلاء على ما فيه من مال أثاث تحف .. فلصنا يعرف أن أمي تضع صندوق مالها في خزانة غرفة النوم .. وأعتقد أن كل من يزور أمي يعرف هذه الحقيقة .. فلذلك هو قريب منا كما يقول الضابط.

وتابع عمار الكلام مع شقيقته فقال : فجار أبي علاقته معهم فقط دفع الأجرة ، وهو يعمل موظفا محترما ، لا زيارات عائلية بينهم التحية والسلام ، فلا يد له في الحادث

- ألا يكون وصول اللصوص للخزانة على القاعدة العامة النساء تحتفظ بذهبها ومجوهراتها في خزانات غرف النوم ؟ خاصة أن اللصوص لديهم جراءة ومعرفة وخدمتهم الصدفة .. فهم يعلمون أن النساء تحتفظ بالمجوهرات للزينة من أجل الحفلات والسهرات

ضحك عمار وقال : أمي امرأة حفلات وسهرات .. اللصوص المحترفون يعرفون المعلومات العامة ؛ لكن لص البيوت المسكونة عليه أن يعمل بخفة وسرعة .. فوقت جريمته ضيق .. ولص الصدفة ليس لصا إنما يستغل الظرف والفرصة المتاحة ؛ لذلك يصاد من قبل الشرطة بسرعة .. المهم أن أحدا قريب من الأسرة له يد في الحادث .. ونرجو من قلوبنا أن لا يكون لجبير يد في القضية كلها ؛ لأن الضابط بصراحة قال : قد يكون جبير بعيدا عن الحادث بنفسه وبدنه ويكون له شركاء .. وهذا سيعرف مع الوقت .. ونرجو له السلامة التامة حتى أن لصنا أغلق الشقة بعد خروجهم ، فهم يملكون المفتاح .. وأمي تعتقد أنهم اثنان ، والشرطة ترى ذلك أيضاً وآثار الأحذية تدل على ذلك .. ونحن نحب براءة جبير التامة

- سلم على أمي وأبي ..محمد كان منزعجا جداً من حادثة الضرب والاعتداء على أمي .

كما غمر الابتسام منزل محمد وعزيزة غمر منزل أبي عسود وأم عسود ، فقالا لعرجون: المال الله يعوضه بمال ونعم ، أما أن يقتل الحفيد جدته فهذا لا يحتمله القلب ولا يعوض .. لو ثبتت سرقة الولد لنا لكانت كابوسا

ودار الحديث حول الفرح بهذه النتيجة رغم المصيبة ، وقال الأب بأسف: رغم مرارة الحادث والسرقة اللتين حلتا بأمك ؛ لكن بعد ابن عزيزة عنها أثلج صدورنا وأزاح عن كاهلنا غصصا تخيلوا معي لو ماتت الجدة من الضربة الغادرة .. وكانت من فعل جبير ماذا سيحل بنا ؟! كارثة عظيمة ستغمر الأسر .. رأيناه يسرق أسورة أمه فالذي يسرق أمه يسرق جدته أخاه وأقاربه لا يهمه من يسرق

قال عرجون: المحير في هذا الشاب لماذا يسرق ؟! لماذا يفعل ذلك؟! ألم يزوجه والده ؟ وفتحوا له مصلحة يعتاش منها .. ومع ذلك ظلت يده طويلة ويأكل الحرام والخبيث

قالت الجدة أم عسود: كأنهم لا يتعلمون من الحبس !ولا يرتدعون

هز عرجون رأسه وقال: السجن ماذا سيفعل

لشاب ناضج ؟! السجن في رأيي يهيئ لهم الفرصة للبدء من جديد والتعرف على رفاق السوء ..لا أنكر أن بعض المساجين يستفيد ويرتدع ، والأكثر لا حياة لمن تنادي ..وآخرون مثل جبير يزدادون خبرة ومعرفة بلصوص على مستوى البلد .. أرأيتم ؟ إنه كان في بلدة قروية نزيلا على رفيق سجن ، وتدخل في مشاجرة عائلية تكلمت معه ذات يوم .. رد عليّ كأنه ملك اللصوص أرجوك يا خال لا تنصحني ، أنا أدرى بمصلحتي وحياتي ..أنا أعرف ماذا أفعل؟ لماذا ذهب لتلك القرية البعيدة ؟ أحقا لزيارة رفيق حبس ؟ ولماذا يتدخل في معركة قروية؟

قال أبو عسود : أكيد كان في زيارة لسجين سابق مثله ، وحدثت المشاجرة فعمل نفسه عنترا .. فزج بهم في قفص المخفر .. وهذا من حظه وحظنا .. لو حدث لجدته شيئا لقضينا العمر في حسرة وأسف .. قولوا ماذا يجني الحرامي والحرامية من سرقاتهم ؟!

قالت أم عسود: ليس هو أول سارق ولا آخرهم .. أتبحث الشرطة عن متهم جديد؟

قال عرجون: هكذا فهم عمار منهم ..فلما يقبض على لص أو عصابة يعترف بكل سرقاته وعن رفاقه ..العجيب في سرقتنا المفتاح كيف حصلوا عليه؟ ومتى؟! لأن دخولهم وخروجهم يدل على استخدامهم مفتاحا للشقة أم لديهم عدة مفاتيح لمثل هذه الأبواب والأقفال .. لكن الاعتماد على الصدفة يستغرق وقتا معهم .. لذلك نرجع ونعود للقول أن أحدهم له معرفة بترتيب حياتنا .. وأن الوالد يخرج إلى الجامع عند صلاة الفجر ، وأن عرجون غير موجود في البيت ، وأن أمي تضع مجوهراتها في صندوق غرفة النوم .. كما فهمت من عمار والشرطة أنهم كانوا يتوقعون أن لا تكون الحاجة في الغرفة.. تكون قد ذهبت للحمام والوضوء ..وخلال دقائق يفرغون الصندوق ولا أحد يشعر بهم.. فغفوة أمي كادت تفشل العملية فاضطروا للعنف والسرقة وأن تكشف الجريمة فورا ..فهم يعرفون أين المال؟ يعرفون أحوالنا ..أنا لم أتحدث عن الرحلة إلا قبل الرحلة بيومين أم أن غيابي ليس مهما لهم ، فإني في العادة اتبع أبي إلى الجامع ، وأغلق الباب بالمفتاح ؛ لأني أحمل مفتاح الدار دائماً .. هذه أغرب حادثة تمر عليّ .. هل لجيراننا دور فيها ؟ .. لم نسمع عنهم إلا خيرا .. ليس لهم أولاد فاسدون.. ونحن لا نختلط بهم إلا السلام باليد والتمتمة

قال أبو عسود مدافعا عن جيرانه : أولاد أبي شبل محترمون ومؤدبون، لهم ثلاث سنوات يجاوروننا ما رأينا منهم شرا .. هم في حالهم ، ونحن كذلك .. إذا لنا نصيب بها أخذ منا سيعود وهذا من الابتلاء

.. ولسوف نشتري للحاجة ذهبا جديدا

صرخت الحاجة محتجة: أرجوكم لا أريد ذهبا ثانية حتى لا أتعرض للضرب مرة أخرى ..ربنا لطف.. إذا الشرطة وهي شرطة لم تستطع القبض على الجناة ، حتى أن علينا أن نغير قفل الباب يا جماعة .. فإذا سمعوا بذهب جديد خططوا لسرقته .. أرجوكم لا أريد ذهبا ولا أي شيء آخر

كان أبو عسود يسمع ويضحك ، وهو مدرك للرعب الذي أصاب أم العيال وقال لعرجون : تحتاج أمك لوقت لتنسى الحادث الظالم .. الأمر حقيقة ليس سهلا يا أم عسود .. سلامتك من كل مكروه .. رحم الله عسودا كان بارا بأمه ويهديها الذهب ..ويعرف حب أمه للذهب وقلائد الذهب. دعوا لميتهم بالرحمة .. عسود كان جنديا قتل في حرب ١٩٦٧م أثناء التصدي للعدو الصهيوني في مناطق فلسطين العربية .. واستشهد على أثر غارة إسرائيلية على موقعه العسكري .. فكان كلما ادخر مالا اشترى به قطعة لأمه ، ومات دون أن يتزوج، وكانت أمه تزعم أنها تدخرها له حتى يتزوج ، فتعيدها مالا ..وكانت أمه قبل الحرب تبحث عن عروسة والحرب الخاطفة أوقفت ذلك الخير ، ثم جاء خبر وفاته، الأيام تنسي ما قبلها ، وأحداث تتلاشى بسبب أحداث أخرى ، وهنالك أحداث تعيد ذكريات ذهبت ومضت ، وقبل أن يمضي أسبوعان على حادث بيت أبي عسود جاءت الشرطة تتابع حادثا آخر في الشقة المجاورة لأبي عسود .. سرقت الشقة المؤجرة لعاصم الموظف العامل في الدولة ، فأعادت سرقة أبي شبل ذكرى سرقة أبي عسود مما أثار دهشة الجيران ، بل حي أبو خروف كله

منزل أبي عسود عبارة عن طابق واحد ، وينقسم إلى شقتين لكل منهما مدخلها المستقل ، فواحدة يسكنها أبو عسود ، والثانية سكنها عمار ابن أبي عسود ، ثم رحل منها وتركها لوالده يؤجرها وينتفع بأجرتها ، واستأجرها عاصم الموظف ، وله ثلاث أولاد ، وتعود أصوله إلى بلدة بعيدة عن المدينة الكبيرة ، عاصمة البلاد كلها ، تزيد مسافتها عن ثلاثمائة كيلو مترا ؛ فلذلك لما يحدث في قريته فرح أو عزاء لا يستطيع التغيب عنه فيأخذ إجازة يومين أو ثلاثة حسب الحاجة ، ويغادر الشقة للمشاركة في تلك المناسبة ، فيغلق الدار ريثما يعود ، فبعد حادث أم عسود سافر إلى القرية للمشاركة في حفل ، فأخذ معه الزوجة والأولاد الذين هم دون العشرين ، ولما يغادر تبقى الدار معتمة ، فيعرف من يهمه الأمر أن الرجل غير موجود هو خارج المدينة ، ومنهم الجيران يعرفون هذه العادة .. فالإضاءة اليوم من علامات الحياة في المنازل ، فلما رجع من رحلته للقرية والبلدة التي ولد فيها

وينتمي إليها ـ وعادة يصل للبيت في مثل هكذا رحلة بعد الظهر مع العصر أو الغروب ، ففي الصباح التالي سيباشر وظيفته ـ ووصل الشقة ساعة المساء ـ لم يدخل الليل بعد ـ اكتشف أن البيت مسروق .. سرقت أنبوبة الغاز والتلفزيون الملون ومائتا دينار مدخرة لساعة العسر والطوارئ ، على الفور ذهب لمخفر أبو خروف وبلغ عن الحادث ، وجاءت الشرطة لمعاينة المكان ، وتبين للشرطة أن الدار فتحت بمفتاح مقلد ، ولم يكسر شباك ولا باب ، وأغلقها اللص بعد فعلته ، فتذكر الناس حادث أم عسود ، وبعد المعاينة الشرطية ومعرفة المفقودات ، قال رجل التحقيق في الحادث : لم يحدث عنف عند اقتحام الشقة ، وكيف عرفوا بسفركم ؟ وأي يوم تمت السرقة؟ هذا مثير للدهشة ؛ ولأن بيت أبي عسود بيت جارك ـ كما تعلم ـ سرق قبل أيام .. فهذه عصابة تعمل في أبو خروف .. نحن نعلم أن الحي لا يخلو من اللصوص والزعران ..هذه طبيعة المدن .. وسنطلبهم جميعهم للاستفسار .. فأهل الشر موجودون ، وحوادث السرقة تسجل باستمرار غير الذي لا تعلم به الشرطة ؛ لكن سرقة بيتين متجاورين في أبو خروف هذا يدل على تخطيط وتدبير .. وفي فترة زمنية متقاربة فهذا يثير الريبة ففي حالة أم عسود شككنا في حفيدها لسوابقه وجرائمه ، ثم تبين أنه كان محبوسا في بلدة بعيدة في مشاجرة عائلية .. ووضع الحادث وظرفه كان يوحي بمعرفة السارق لترتيبات البيت وأهل البيت .. ظلت مشكلة المفتاح كيف وصل للصوص ؟ كيف؟! .. وهنا في سرقة بيتك استخدم اللص مفتاح البيت كيف حصل عليه ؟ وها نحن نقف أمام حادث سرقة مثل السابق لم يستخدم فيه العنف .. وسرقة بيتك تحتاج لسيارة لحمل التلفزيون وأنبوبة الغاز فهي ثقيلة الوزن .. هم دخلوا لسرقة ذهب أم شبل .. ولما كانت أم شبل قد خرجت لحفل عرس فأخذت الذهب .. وهذا من حظها أو حظكم ..وبعثروا الملابس بحثا عن الذهب والمجوهرات ، فوجدوا المائتي دينار .. ووجدوا الجو يساعدهم على أخذ أنبوبة الغاز والتلفزيون حتى لا يخرجوا من المولد بلا حمص .. فبعد أن استعرض هذه المعلومات بصوت مسموع قال لأبي شبل: أتشك في عدو لك من الجيران من الحي؟

– أنا أسكن هنا منذ سنوات ثلاث فقط وليس بيني وبين جيراني سوى التحية ، وكيف حالك والسلام .. عملي يستغرق جل وقتي .. ولما أترك العمل الوظيفي الرسمي أعمل في مكتب ترجمة بضع ساعات حسب طول النهار وقصره .. وأولادي لا يختلطون بأولاد الجيران ، وأبو عسود

لا صغار عنده ، فعرجون طالب جامعة، والمرأة لا تخرج إلا لشيء ضروري ..ولا أسمح لها بالسمر والتسلية مع الجارات .. ظروفنا تتطلب ذلك .. أقابل أبا عسود إما خمس دقائق داخل بيته وإما على الباب ، وأدفع له الأجرة وانصرف .. ولي أخت شقيقة تسكن في حي رحمة ، وأخ لأب في رحمة أيضاً ، نتبادل معهم الزيارات أيام الجمع والعطل ؛ لكن المفتاح هو الذي يثير الارتباك كيف صنعوا مثله ؟!



تبين للشرطة في حادث منزل عاصم أبي شبل أن السرقة حدثت بعد صلاة العشاء ، فقد شهد شاهد أنه رأى سيارة تقف أمام البيت ، وشاهد شخصين يخرجون من البوابة الخارجية للدار حيث الرصيف يحملان التلفزيون ، وسمعهما ـ كما اعتقد الشاهد ـ يقولان لبعضهما عندما شاهداه يقترب منهما : التلفزيون خربان يحتاج لتصليح ، كم يا ترى سيكلف تصليحه؟ فقال الشاهد : لما سمعت هذا الكلام ظننت أنهم فنيو تصليح تليفزيونات .. لم يخطر في قلبي أنهم حرامية .. إنما خطر أنهم جاءوا لأخذ الجهاز لعمل صيانة وتصليح له .

ووصف السيارة ولونها ، ولم يحفظ رقمها لأنه لم يخطر له أنهم لصوص ، وهذا النوع من السيارات شائع في المدينة ، وربما في كل البلد ، هذا الكلام كان ينقله أبو عسود لأم عسود وعرجون ، فقالت المرأة: هل تظنون أنهم نفس اللصوص الذين سرقوا مالنا ؟! وهم لم يأخذوا من عندنا تلفزيونا ولا أسطوانة غاز

– ربما لم يسعفهم الوقت ؛ لأننا كنا أو كنت أنت في البيت ، واكتفوا بالمال والمجوهرات .. أنا سعيت للشاهد فأنا أعرفه شخصيا وسألته : ألم تعرفهم أهم من الحي أم لا ؟ فقال: لم تكن الإضاءة قوية أمام البيت ، ولم أرهم يحملون الأسطوانة ، رأيتهم يحملون التلفزيون بين أيديهم وتابعت سيري ، حسبتهم فنيو تصليح .. ولم أفكر بأنهم حرامية ، ويسرقون في مثل هذا الوقت ولا أعلم أن البيت مهجور لاشك فيهما ..وهذا ذكرني بقصة صديقنا أبي حسن .. كان لشقيقه شقة في إحدى ضواحي المدينة

فقال عرجون: نحن لا نعرف أبا حسن هذا

ضحك أبو عسود وقال : المهم القصة اسمع .

لما رأى عرجون صامتا تابع القصة: كان لشقيق أبي حسن شقة مفروشة بكل الأثاث ، فلما يرجع من غربته والسفر في فصل الصيف يقضي فيها عطلة الصيف حيث تعطل المدارس فيأخذ

الإجازة وتعود العائلة للوطن ، وتغلق الشقة عندما يسافرون للسنة التالية .. وهكذا كل عام .. وقبل العودة يذهب أبو حسن يصحبه عدد من الشغالات والخادمات لتنظيف الشقة من الغبار وغيره ..ولما اقتربت عودة شقيقه ذهب لتهيئة الشقة للضيوف فوجدها خاوية على عروشها ، لا عفش ولا غرف نوم ولا ثلاجة براد ولا تلفزيون ولا سجاد ، لم يجد سوى البلاط وعليه بقايا طعام العمال الذين حملوا الأثاث ، فلما سأل الجيران عما رأى أخبروه أنهم رأوا سيارة نقل كبيرة جاءت وعمالا وحملوا الأثاث زاعمين أن المستأجر راحل لشقة أخرى

قالت المرأة مدهوشة: يا الله! نظفوا البيت لم يتركوا شيئا؟!

قال أبو عسود: صاحب بيت يريد أن يرحل .. فلما يرى الناس كنبايات تحمل للسيارة الكبيرة والعمال ينقلونها هل يخطر في بالهم أنهم عصابة ؟ وربما يكون السارق واحدا زعم لهم أنه بيت قريبه .. فالناس تحسن الظن ببعض

فقالت: وماذا فعل أبو حسن ؟!

– عرف من الجيران أن هذا الفعل الشيطاني حدث قبل أكثر من شهر ، فذهب للشرطة وبلغهم وأغلق الشقة طبعا ، وعاد لـ أبو خروف واتصل بأخيه مخبرا بالكارثة ليتدبر أمره

فقال عرجون بأسف : الشر لا ينقطع كما أن هناك أناسا تفكر بالخير .. هناك آخرون يساعدون الشيطان حيله ومكره .. وهناك من يستغل طيبة الناس ويخدعهم .. ألا يوجد لتلك البناية حارس بواب ؟ حتى لو كان هذا موجودا لا يخطر في باله أنهم لصوص ، إنما هم عمال جاءوا لتنفيذ المهمة ونقل العفش.. وهذا ذكرني بقصة صاحب سيارة صغيرة ونيت ـ بيك آب ـ اسمه أبو العبد والد صاحب لنا ..كان يذهب إلى مسجد السوق عند صلاة الفجر يصلي جماعة ، ويجلس في السيارة على أمل تحميل نقلة خشب لورشة ، نقل آلة معطلة للتصليح ، نقل عمال لورشة ، نقل خضار أي حاجة .. يذهب بالنقلة ، ثم يعود ليقف من جديد أمام الجامع ، وغيره من أصحاب السيارات يفعل مثله .. أرزاق يا دنيا .. ذات ظهيرة كان أبو العبد ينتظر رزقه ، جاءه شاب وقال: يا معلم أنت صاحب هذه السيارة ؟ فلما أجابه بنعم ، قال الشاب: أريد نقل أسطوانتين غاز إلى مكان كذا . فقال أبو العبد : تفضل اركب أنا في خدمتك أين ؟

ركب الشاب بجواره ، وذكر له عنوان البقالة التي سيحمل منها انبوبتين الغاز ، ودله الشاب إلى المحل المقصود ، ووجدا أمام المحل عددا من الأسطوانات المعدة للبيع والاستبدال ، ونزل

الشاب ، ودخل الدكان أمام عيني السائق أبي العبد ، وتحدث مع صاحب الدكان لحظات ، ثم خرج ورفع أسطوانتين على صندوق البيك آب ، وقال لأبي العبد وهو يجلس بجواره : امش يا معلم . ومشى أبو العبد بالشاب وأسطوانتين الغاز إلى شارع في حي قريب من مكان عمل أبي العبد ، ونزل وأنزل الأسطوانتين وأعطى أبا العبد أجرته ، وعاد أبو العبد إلى السوق حيث يصف لنقلة جديدة .

وبينما هو ينتظر نقلة أخرى أمام المسجد جاءه صاحب الدكان التي أخذ الشاب منها الغاز وقال له: أين الرجل الذين كان معك ؟! فشرح له أبو العبد القصة ، ثم ساقه إلى المكان الذي نزل فيه ، وبالسؤال للمارة تبين أنه لم يدخل لأي بيت بعد اختفاء أبي العبد ، إنما أشار لسيارة أجرة مارة من الشارع ، وحمل الأسطوانتين واختفى ، وعاد صاحب الدكان بخفي حنين .. هذه حيلة أخرى يا أم عسود

تنهدت وقالت: فعلا هناك بعض البشر شياطين .. لعنة الله على الشيطان الرجيم .. يا للمكر !

ـ لصوص ومحتالون .. وعند والد صديقنا أبي العبد حكايات كثيرة تورط فيها عن غفلة وحسن نية .. أحدهم احتال عليه بسبعين تنكة زيت زيتون .. فلما وصل البيت وجدها كلها ماء إلا اثنتين اللتين كشف عليهن ليرى جودة الزيت

قال أبو عسود : أوه ! المسكين تعرض لكارثة ! لقد سمعنا أن محتالين ادخلوا المسجد شجرة على أنها ميت في تابوت ، وصلى الناس على الشجرة ، وقام أحد الشابين يناشدهم التبرع لسداد دين الميت ، وفعل الناس ذلك ، وجمع الرجلان ما فيه النصيب ، ثم اختفيا ، وظل أهل الحي ينتظرون أن يحمل أهل الميت الميت والتابوت ..لا أحد من أهل الميت موجود لحمل الميت، ولما كشفوا الغطاء عن الميت ظهرت المفاجأة شجرة غصن شجرة ملفوف على هيئة ميت

***

الأسرة المحترمة عندما يخرج فيها إنسان فاسد ظالم لنفسه منحرفا عن خط سير العائلة وتقاليدها المتوارثة ، فيشكل ذلك لهم كابوسا ومعضلة كبيرة ، يصابون في أول الأمر بالصدمة الحادة ، فهم حسب علمهم لم يقصروا في العناية والرعاية لابنهم في صغره ومراهقته ؛ لذلك تجدهم يذهبون للبحث في أسباب فشلهم في تنشئة ابنهم التنشئة السليمة.. هل مجرد الأصدقاء الذين غفلوا عنهم هم سبب ضياعه وإغراقه ؟.. وقد رأينا أنهم تساءلوا هل للوراثة دور في فساد الأخلاق ؟ .. لو انحرف شخص يعيش في بيئة فاسدة فهذا استمرار لخط الانحلال والفسق ؛ محمد وعزيزة جاءوا من

أسر محافظة ومراعية للأخلاق إلى حد كبير ، والأماكن فيها الخير والشر سعى الزوجان لتحجيم الشاب وحمايته من الانحراف إلى عالم السرقة ، ومع هذا استمر في الزيغ والانحراف ، ولم يهتم بنصح ووعظ الأب الأم العم الخال الجار المدير الأستاذ ، ولما يقبض عليه في قضية يستنجد بأهله لينقذوه ، ويوهمهم أنه قاوم وضعف أمام إغراء المال ، فبذل الوالد المال للمحامين والقانونيين، ووعده بالإنفاق عليه لآخر الزمن إذا ترك الحرمنة والتلصص ، وبعد أن يخرج من قضية يدخل في أخرى ، ويعاود السيرة ، ويزداد غراما بالسرقة ، عمل مع عصابات بعض الأحياء ، وتركهم وعمل وحده ، عمل مع سجين عرفه في السجن ، اختاروا الزواج ؛ ليكون حلا ، وفتحت له مصلحة تساعده في حياته الصالحة آملين منه تحمل مسؤولية امرأة تكفه عن السرقة ، وافق على الزواج بشرط أن يختار هو الزوجة ، قبلوا لأنه المهم عندهم أن يتزوج ، وتزوج أخت رفيق سجن معه من حي كرمانة ، وافقوا ، ولم يتشددوا ؛لأن غايتهم زواجه عسى أن تغير الحياة الزوجية من انحرافه وسلوكه ، وافقوا بعد تمنع تمثيلي ، وخطبوا ومشوا معه ، واحتفوا بزواجه ، وقبلوا عروسه وسكن معهم ، وفتحوا له متجرا ليقتات من وراءه ، وما لبث أن سرقه ، طلب الأب من ولده مغادرة بيت الأسرة والابتعاد عنهم بامرأته ، معلنا له أنه لم يعد فردا من الأسرة خشية فساد باقي أفراد الأسرة ، فغادرهم إلى حي كرمانة حيث أصهاره .

ولما كانت حادثة أم عزيزة عاد اسمه إلى صدارة الحديث بينهم .. وهل له دور في الحادث الغادر ورغم مرارة الحادث على الجميع أصابهم الفرح ببراءته من الاعتداء على جدته ، ومن سرقة جدته ؛ كان الهم يركب محمد وعزيزة من سيرة ابنهم حيث هو البكر في العائلة ، فقال محمد بيأس : أنا عجزت عن معالجة أمر جبير الذي كان يجب أن أفخر به بين أهلي وإخواني وأصدقائي .. خيب أملنا فيه .. لقد خذلني وذلني

قالت عزيزة بألم وحرقة : دموعي لم تنفع وتجدي أمامه ، قلت له مالنا بين يديه ، وأن يكف يده عن مال الناس .. فضحك وقال : السرقة مرض ومرض عضال يصعب الخلاص منه .. فأقول بهدلتنا بين الناس والجيران والأقارب .. فيضحك هل هناك دكتور لعلاج مرض السرقة ؟.. فأنا صرت أعتقد أن السرقة مرض وسقم

- لو كانت السرقة مرضا ؛ لأصبح كل الناس حرامية يا عزيزة بالعدوى.. هذا إفلاس أخلاقي وقلة حيلة .. أنا بعد زواجه وعدم توبته أقسمت أن لا أهتم به ، ولا يهمني شأنه ، ولن أدفع فلسا لأحد من أجله أو محام .. وأعتقد أن مصيره

أسود كمصير عمي المقتول قبل عشرات السنين أو يقضي سنوات عمره قابعا في سجن المدينة .. فالسجن لأمثاله خير كما يحبس أهل الإعاقات والجنون في مشافي أو دور خاصة .. فهو وأمثاله مأواهم السجن ؛ لأنهم عالة على المجتمع .. ماذا يريد أكثر مما فعلناه له ؟ وفرنا له ما نستطيع بيتا وزوجا ومحلا حتى لا يشعر أنا تخلينا عنه .. كسر المحل ، ثم سرقه .. ذهب رأس المال

- هذا محير لماذا لماذا ؟!

- وعظناه نصحناه استخدمنا الإرشاد والتعويض على المسروقين .. كان الحبس دون فائدة .. وأخشى ما أخشاه أن يتحول للعنف والقتل .. قد انزعجت جداً من حادثة الاعتداء على أمك.. كانت أعصابي متوترة ويدي على قلبي سألت أحد المشايخ هل من حل لهذه القضية؟ فقال : لو كانت هذه الحالة في عهد صحابة النبي صلى الله عليه وسلم لحلت المشكلة بقطع يد السارق فلا يعود للسرقة ؛ لكن في مجتمع منفلت ، وفي هذا الزمن لا ينفع هذا العلاج .. فقبل إقامة الحد على السلطان توفير الأمن الاقتصادي والعمل للشباب ونظافة المجتمع .. ثم تقام العقوبات الشرعية ، لابد من بيئة آمنة وصالحة للأفراد والمجتمع قبل الفزع إلى الحدود الشرعية .. أما أن يصور اللصوص والراقصون أبطالا للمجتمع ..فماذا ستنتج هذه الأفلام والثقافة للأمة ؟ فإنها تعظم قطاع الطرق والزنا والربا ، فستجد المراهقين يتأثرون بما يرونه ويظنونه حقيقيا ..فابنك متأثر بتلك الأفلام التي يمجد بها أهل الشر والشيطان .. فيتمردون على القيم والتقاليد ويحسبون ما يحدث في هذه المسلسلات كالواقع .. فبعض الشباب يحتاج إلى صدمة عنيفة قوية ليصحا من غفلته وشيطنته ، فقلت ما هذه الصدمة يا سيدي الشيخ ؟ فقال : لو كان الكلام معه يجدي ويفيد لفعلت ذلك ، ولابد أن آخرين فعلوا هذا .. وقد فعلت أنت ذلك يأكل ويشرب وزوجة وراحة لا تعطى للسلطان .. ومع كل هذا الدعم فقد ألقاه في عرض الحائط وبقي مصاحبا لأهل الشر ، لابد من صدمة قوية .. حادثة تعيد له التوازن .. وهذه أمرها وعلمها عند رب الناس .. صدق يا أبا جبير لو أن الكلام مع السيد جبير يفيد اليوم لذهبت معك لمقابلته والجلوس معه عشر ساعات ؛ بل عشرة أيام .. أنا قابلته قديما من سنوات أمام المسجد هذا ونصحته بالتوبة واحترام والديه .. وأنه لا يسيء لنفسه فقط بل يسيء لأهله وأقاربه ، فاستخف بكلامي وقال : توكل على الله يا شيخ نصيحتك على الرأس والعين .

وقال للشيخ دون احترام : أنتم تريدون كل الناس أن تصير مشايخ .. كما أن للدين مشايخ فالدنيا

مشايخ . وقهقهه سخرية ، وتنهد محمد حسرة بعدما أنهى هذه الذكريات وقال: كم كنت أتمنى أن أراه طبيبا مهندسا كبيرا في البلد .. وهو يزحف ليصبح لصا كبيرا .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. وعلمت عظمة الشريعة بقطع يد السارق ، ولماذا شرعت الحدود ؟ فهذا الرجل لو قطعت يده لما ثبتت إدانته لما سرق مرة أخرى ، ولقبع في المحل ،ولم يسرقه قال سبحانه {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [المائدة: ٣٨] .. عطلت اليد الخائنة ، فإذا عاد للسرقة عطلت الرجل .. فأصبح عاجزا عن السرقة .. فعلاج الخيانة لابد أن يكون شديدا ..كم من عمره أضاع وراء قضبان السجن دون فائدة ؟ وكم كلفنا علاجه من الأموال ودون فائدة ؟ .. السجن لا يعالج الحرامية.. لقد صار لجبير رفاق في بلدات أخرى ، ويشارك في معارك ومشاجرات بين عائلات تعصبا لفريقه في السجن.. أي جهل هذا ؟! أهذا علاج السجن ؟! حسبنا الله ونعم الوكيل.. وكما قال الشيخ علينا بالدعاء له عند كل صلاة ؛ لعل الله يهديه ويتوب عليه

- ليس أمامنا إلا الصبر
- وهل لنا سواه ؟ .. اللهم أفرغ علينا صبرا

مقهى مهران

مقهى أبو خروف أصبح معروفا للقارئ الكريم ، ويعتبر ناديا للالتقاء وتبادل الأخبار ، وبعض رواده يتجمعون للعب الورق أو النرد ، وبحكم مجاورته للمسجد تجد الكبار في السن يزلفون إليه لشرب الشاي والحديث والسلام على بعضهم البعض ، أو الالتقاء بشخص بموعد أو غير موعد ، وصاحبنا مهران بحكم الخبرة والعمل يعرف كل من يدخل ويخرج ، ويعرف الجيد من السيء وتراه مهتما بأخبار الحي ومتابعة حوادثهم وهمومهم

فلما أبصر أبا عسود يدخل بقامته المديدة التي فيها إنحاء بحكم العمر ناداه للجلوس معه ، أبو عسود لا يحب لعب الشدّة وغيرها ، يدخل للسلام على معارفه ، ويشرب شايه ، ويصلي العشاء في الجامع ، ويعود للبيت ، واذا كان الفصل صيفا ينصرف للبيت إلا إذا شاء أن يقابل شخصا يعتبر وجوده في المقهى بحكم الضرورة ، أول ما نشأ أبو خروف القديم كانت مبانيه من الطين ـ لبن الطين والبوص ـ ولما دخل التطور المدينة أزيلت هذه المباني الطينية ، ولما ظهرت الخراسانة المسلحة والحجر والشوارع والتنظيم اختفت هذه المنازل ، وذلك من عقود عشرة قد تزيد ، فقد كبرت المدينة ، وضمت أحياء جديدة ، كانت شوارعه القديمة مصممة للدواب والبغال والعربات

ألقى أبو عسود التحية على مهران وجلس على الكرسي المجاور له وطلب له الشاي ، وعادة مهران من يجلس معه ، يقدم له شيئا يكون على حسابه ضيافة ، وتعود الناس على ذلك ، خاصة الذين من جيل مهران ، وبعد التحية وتبادل المجاملات التقليدية الصحة والحال قال مهران:
هل من أخبار عن ذهبات أم عسود ؟
تضاحك أبو عسود من استفهام مهران وأجاب : الذي يروح لا يرجع يا أبا عبد الكريم خاصة اذا طالت المدة .. الشباب يرغبون بشراء ذهب جديد للحاجة ، وهي من الرعب ترفض بشدة خشية عودة اللصوص
ابتسم مهران ضاحكا بدوره وقال : معها حق .. ما زالت مرعوبة .. لم تكن الضربة هينة على امرأة عجوز مثلنا .. لقد نجت بفضل الله وحده .. ومن حظ اللصوص ، لو ماتت لابتلوا بجريمة قتل ، وستتحرك الشرطة بقوة أكثر .. ومن حظك أيضا يا أبا عسود وإلا لترملت .. وجارك عاصم ؟
- وجدوا تلفزيونه في أحد متاجر الخردة والمستعمل .. والتاجر كما قال أبو شبل: لا يسأل أحدا عن اسمه ، ومن أين له هذا ؟.. لو فعل ذلك لا أحد اشترى ، ولا أحد باع ..ومع إصرار الشرطة على معرفه ممن ابتاعه ذكر لهم صفة رجل تعامل معه باستمرار .. والرجل اشتراه من اللصوص بدينار واحد وقال للشرطة: لا أدري لماذا سرقوه؟! أمن أجل دينار واحد؟!
فقال مهران بعد هزه رأسه أثناء سماعه : هم لم يسرقوه ليبيعوه .. إنهم سرقوه ليوهموا من يراهم في تلك الساعة المبكرة من الليل أنهم جاءوا لتصليحه ، وتخلصوا منه بدينار ، وربما باعوه لبائع متجول
قال : تحليل وتعليل جيد يا حاج مهران .. ودفع أبو شبل الدينار واسترد جهازه ، وتكلف أجرة سيارة .. هذه هي آخر الأخبار
قال مهران : قرأت في صحيفة اليوم عن حادث سرقة شبيه بحادث أم عسود في حي كرمل أو كرمانة كما يقول آخرون
- أي جريدة؟
تناول مهران صحيفة ، وفتح على صفحة الحوادث ، وأشار للحادث وقال: أعتقد أن هذا حي حفيدك وأهل زوجته .
- أجل
قال مهران : مكتوب فيها أنه قبل أيام حدثت سرقة في حي كرمانة ، فقد قام اللصوص بالاستيلاء على ثروة امرأة عجوز عند صلاة الفجر ، فالمرأة أرملة ، وكما تقول الجريدة إنها تعيش مع ابن لها ،ولما ذهب لأداء الصلاة في المسجد وعاد

وجدها مكممة ومربوطة ، والبيت منفوش والملابس مبعثرة ، وقد فقدت المرأة صندوق ذهبها ومالها ، ولم يكن فيه إلا أسورة واحدة فقط وهذا من حسن حظ هذه العجوز .. لها بنت كانت قد أخذت الأساور للتزين بها في عرس قبل الحادث بيومين أو ثلاثة ، ولم يصدق اللصوص كلامها أول الأمر ، ثم أمام الواقع وقبل عودة ابنها أخذوا الأسورة ، وهربوا .. وذكر محرر الخبر أن هذه القصة شبيهة بحادثة سرقة حدثت قبل زمن يسير في حي أبو خروف ، ولخص للقراء حادثة أم عسود وتساءل في آخر التحقيق هل هذه عصابة واحدة منظمة أم صدفة؟.. فقد وجدوا الشقة مفتوحة بمفتاح أصلي أو تقليد فهم يستخدمون مفاتيح مقلدة كما يؤكد خبير فحص الأقفال .. فالصحفي عمل مقاربة بين الجريمتين

تنهد أبو عسود وقال: مصير الحرامي أن يقع في قبضة العدالة مهما طال الوقت ، ولكل شيء نهاية .. وأبو شبل فتح بابه بمفاتيح مقلدة ،قالت الشرطة : لم يستخدم السارقون العنف في فتح القفل ..والسارقون يخططون قبل الأقدام على الجريمة

– كيف عرفوا أن أبا شبل غير موجود في البيت ليرسموا على تقليد المفتاح ؟!

قال أبو عسود محبطا : هذا ما يحير ! كيف عرفوا أن البيت فارغ من البشر ، وإنما هي ثلاثة أيام غياب .. وتجرؤوا على فعل فعلتهم في أول الليل

– ستعرف الشرطة عاجلا أم آجلا ؛ لكن هذه الأموال المسروقة للأسف ستكون مصروفة .. حدثني شرطي صاحب لنا أن الشرطة تسعى للقبض عليهم بكل قوة ونشاط

هبطت عزيزة وابنتها هند وخطيبها يوسف لشراء ذهب العروس من سوق الذهب الكبير في وسط المدينة وقلبها النابض ، فمن العادات أن تشتري العروس من مهرها المقبوض ذهبا نحو الأساور والحلق والدبوس لتلبسه ليلة الزفاف ، وتشتري بجزء آخر منه ثيابا لها ، وهدية للعريس بيجامة روب حمام حذاء خاتم ، وتجارة الذهب عادة تتبع سعرها العالمي ، وإنما تحدث المفاصلة في المصانعة ؛ لذلك في الذهاب لسوق الذهب الكبير قد يكون هناك مجال وفرصة للحصول على بعض الخصم ، ومجال المشاهدة أكثر ، والذهب كما هو معلوم للجميع له عيارات عالمية ١٨ و ٢٤ و ٣٢ ، يقصد بها درجة النقاء والصفاء مما يخلط معه من مواد أخرى{١}، وهذه عادة درج عليها الشرقيون بشراء العروس ذهبا لليلة الدخلة والزفاف ، وبعضهم يستخدم الذهب المزيف لأداء المهمة ، وللنساء غرام بالذهب من قديم العصور والتاريخ .

يختار الناس السوق الكبير فرصة للفرجة والتمتع بمنظر الذهب والأشكال المصورة منه كحلية وزينة ، والسوق مشهور لأهل البلد ومعروف ، والعروس محكومة بمبلغ معين لشراء نصيبها من الذهب .. وقبل الشراء يقوم الناس بجولة على المحلات والبترينات المعروض فيها الأساور والذهب والخواتيم والأقراط وساعات الذهب أو المطلية بالذهب ..وسيجد الرائي ما يبهر الأبصار وعيون النساء والعرائس خاصة وأمهات العرائس ..هناك الأقراط العقود الأمشاط المكاحل .. وبعد جولة وسؤال هنا وآخر هناك يتم الشراء .. وربما يكون للمشترين محل معين يتعاملون معه منذ سنوات ، وفي كل مناسبة عرس الأخت الخالة ابن العمة

تفرجوا على عدد كثير من المعارض والمتاجر ، وقد حددوا ما سيبتاعونه من أساور وخاتم وحلق وساعة ، وتعرفوا على الأسعار والثمن ، وبقي اختيار المحل الأنسب لهم ، وقبل أن يستقر مقامهم على محل معين ، وقفت عزيزة أم العروس أمام محل صغير بالنسبة لغيره من دكاكين الذهب ، وكان يعرض مجموعة من المجوهرات هي من الموضات القديمة ، لم تعد مهمة لفتيات اليوم ، مجموعة تعود لأيام أمها أم عسود ، وأصبح من النادر تواجدها وإعادة صياغتها ، وقفت تنظر إليها بدقة وتمعن ، كان فيها دبوس للشعر على هيئة عصفور ، فلما تأملته جيدا أدركت أنه دبوس أمها المسروق مع ما سرق من مجوهراتها أو شبيهه ، ولاحظها صاحب المحل تدقق فيه أو ما في حوله ، فخرج إليهم يدعوهم للدخول ، فقالت وقد تمالكت نفسها : أشياء جميلة هذه الدبابيس ! كم يا ترى ثمن هذا ؟ (وأشارت إلى دبوس على شكل ضفدع) ، فذكر لها التاجر السعر فقالت : أليس مرتفعا هذا السعر ؟

– سعر الذهب هذه الأيام في العلالي

وأشارت لدبوس العصفور : وهذا العصفور

– نفس سعر الضفدع

دخلوا المحل وأخرج الرجل علبة الضفدع وعلبة العصفور ، ووضعهما على مائدة المحل أمام المرأة ، أبصرت الضفدع وتأملته ولمسته ، ثم تأملت

{1}القيراط هو مقياس لدرجة نقاوة الذهب، حيث يقال عن الذهب الصافي أنه ٢٤ قيراط ، ويخلط الذهب عادةً بمعادن أخرى لتزيد من صلابته لأن الذهب النقي في حالته الطبيعية لين جداً. ويساوي القيراط جزءاً من أربعة وعشرين جزءاً من الوزن الكلي للسبيكة، فمثلاً إذا وصف خاتم ذهبي بأنه من عيار ١٨ قيراط فمعناه أن الخاتم يحتوي على ١٨ جزءاً من الذهب و٦ أجزاء من المعادن الأخرى. أما الذهب الصافي فيوصف بأنه عيار ٢٤ قيراطاً.

***

العصفور ، فقالت هند: لمن ستشترين هذا الدبوس يا أمي ؟

– لأمي ، النساء الكبيرات تعجبهن مثل هذه الأشياء القديمة ، تعيد ذكرياتهن للماضي ، ولابد أن نشتري لأمك يا يوسف هدية بهذه المناسبة

أجاب الشاب: أمي هديتها عليّ .

– أبدا الهدية علينا ـ إن شاء الله ـ أرجوك يا يوسف . والتفتت للرجل وقالت: سآخذ هذا العصفور لأمي والضفدع لأمك

قال يوسف وهو مستغرب لفعل حماته : إذا كنت مصرة ..سنأخذ حلقا أحسن من الدبوس

فقالت هند: حلق حلق

لف البائع العلب ، وقبض الثمن ، ووضعها في كيس أنيق مهنئا لهم ، قالت عزيزة: اكتب لنا فاتورة حتى يعرف زوجي الثمن .

كتب الرجل فاتورة بيع ، وختمها بختم المحل ومباركا من جديد ، وحاول إغرائهم بشراء ذهب العروس ، فقالت عزيزة: نتجول ، فكلكم خير وبركة

فلما ابتعدوا عن المحل قالت هند معاتبة : لماذا تعجلت بالشراء أحرجتني ويوسف ؟!

قالت عزيزة: آ، امش هيا ندخل هذا المحل فقد اشتريت منه أيام زواجي ، فلنجدد الذكريات يا يوسف ربع قرن مضت .. ولما زوجنا المنحوس اشترينا لعروسه من هنا بعض القطع

قضوا حاجتهم من التسوق ، واشترت هند الذهب المناسب للزواج ، وبعد انتهاء العملية الشرائية ساقهم يوسف لمطعم عائلات ، وتناولوا الغداء على نفقة وكرم العريس وبدأوا يستعدون للخروج ، قال يوسف باسما: لقد رأيت لهفتك يا عمتي على شراء الدبوس ومع ذلك اشتريته لأمك!

ابتسمت عزيزة لهما وقالت: تكتمون السر ـ ولم تنتظر الجواب ـ هذا العصفور يا يوسف أعرفه جيدا ، وربما لبسته أكثر من مرة .. إنه من ذهب أمي المسروق ..وكان لابد من خداع البائع ففاصلت على الضفدع ليبق مطمئنا .. أعرفت لماذا اشتريته؟ فلو ذكرت له شيئا عن السرقة وأنه مسروق فسيختفي الدبوس ، وقد يحول لشيء آخر ، فهم يعرفون العجائز الكبيرات وشغفهنّ بالقديم ، يعود بهنّ مثل هذا الشكل للحنين للطفولة والصغر .. فكان عليّ أن أتصرف بذكاء وإلا اختفى وأنكر .. فمعنا الدبوس ، ومعنا الفاتورة ، وأنتم شهود .. فربما اشتراه من آخرين ولا يعرف أنه مسروق أو يعرف ويعمل نفسه لا يعرف .. وإذا لم نحصل فاتورة ، فربما ينكر أننا اشتريناه من عنده

– أنت خطيرة يا حماتي !

ضحكوا جميعا

حفل الزواج

بدأ المدعون لحفل زواج يوسف وهند يتركون مكان الاحتفال حيث يجلسون في ساحة أمام منزل والد العريس ، والنساء يحتفلن في حجرات المنزل ، وأخذ عمار وعرجون أخوال العروس يتهيؤون للمغادرة كسائر الضيوف ، وقد تمت زفة حضرة العريس في أحد الشوارع القريبة من البيت ، وينتظرون انتقال العروس لبيت زوجها لينفض السامر ، وكانت السيارة الصغيرة المزينة بالورود والأشرطة الملونة تستعد لخروج العروس من مكان الاحتفال إلى بيت الزوج ، وعندئذ ودع عمار زوج أخته محمد ، وبارك له ، ومن وجد من أقارب العروس والعريس ، وقال مخاطبا أباه: أتركب معي أم مع عرجون؟

فأجاب عرجون: سيعودون معي ، خذ عيالك معك

فانطلق أبناء عمار وحليلته جهة سيارة عمار ، وساق عرجون أمه ممسكا بيدها نحو سيارته ، فعرجون طالب كلية ، بل في السنة الأخيرة من الجامعة ، وهو يملك سيارة صالون أهديت له عندما قبل طالبا في كلية الطب ، واتفق مع شقيقه على الالتقاء في بيت الوالد لإكمال السهرة ، وقد اختفت السيارات المشاركة في حفل العريس ، وانصرف الضيوف.

ولما وصل عرجون للبيت بأمه وأبيه وجد سيارة عمار أمامه ، فنزل الجميع ، وفتح عرجون البوابة للجميع ، وزلفوا لداخل البيت ، ودخلت زوجة عمار المطبخ لإعداد العشاء للجميع ، وأعدت طعاما خفيفا أحضروه معهم أثناء طريق العودة ، وهو عبارة عن علب بلاستيكية مليئة بالحمص المطحون ، والفول المطحون ، والفلافل ، ووضعت الشاي على الغاز ، وقطعت حبات البندورة إلى شرائح ، وكذلك الخيار ، ووضعت حبات الزيتون بصحن ، ووضعت زيت الزيتون على الحمص والفول ، وصنعت مائدة للقوم والخبز الساخن وخلال عشر دقائق اشتغلت الأفواه الصغيرة والكبيرة ، وبعد ربع ساعة كانت المائدة خالية ، قد ذهب ما عليها من مأكولات قسمها الله لهم ، فحمدوه وشكروه ، وعادوا إلى الصالة يتابعون شرب الشاي ، وأخذوا بالتعليق على الحفل ونهفاته ونوادره ، حتى قال عرجون: سمعت أن جبيرا شقيق هند حضر العرس أرأيته يا أمي ؟

قالت : لم نره ، سمعت أن أباه رفض دخوله على العروس وتنقيطها وحتى المباركة لها

قال عمار: جاء في سيارة مرسيدس حديثة ؛ ولكن والده منعه من النزول وأصر على ذلك ، ورفض

جلوسه في العرس ، وقال له : لما تصير ابن آدم وابن العائلة نستقبلك .. إني أبغض رؤيتك ، ولا هند تريد أن تتشرف برؤيتك ، ولا أحد يريد ذلك ، عد لوكرك . تمتم كما لاحظت بكلمات .. لقد كنت أراقب المشهد ..ولما رأى إصرار أبيه على عدم نزوله .. كأنه سبه ، وأمر السائق الذي يحمله بالتحرك ، فلم ينزل من السيارة ، وكأنه رمى عشرة دنانير ، وهو يبتعد .. فقال محمد : لمحمود خذها وأعطها لمتسول .. نحن في غنى عن عشراته

فقال عرجون: إذن جاء أين كنت أنا ؟!

- كنت تمشي مع الزفة ، لم أذهب معكم أحسست بتعب ؛ فلذلك رأيت مجيئه .. كان موقف محمد صارما معه .. فاختصر الشر وانصرف متظاهرا بالغضب

قال عرجون بقسوة ودون مواربة: أنا لليوم مقتنع أنه وراء سرقة أمي ، وإن لم ينفذها بيده

قال عمار: كيف ذلك؟!

- أذكر قبل الحادث بشهر أو شهرين دخلت هذا البيت شحاذة وطلبت كأس شاي من أمي ورأس بصل .. وبعد انصراف الشحاذة فقدنا مفتاح البيت ـ وأشار للباب الرئيسي للشقة ـ ونحن عادة نعلق المفتاح فوق الباب ، ولما فقد ذهب فكرنا أنه ضاع داخل البيت .. وأبو شبل ذكرني بمثل هذه القصة ذكر أن شحاذة دخلت البيت تطلب شايا وحبة ليمون ، ثم اختفى مفتاح البيت بعد زيارتها ، ولم يخطر في بالهم مثلنا أن المتسولة هي السارقة ، لكن لما سرق كان عليه أن يفكر بقصة ضياع المفتاح .. فأم شبل وحدها في البيت .. الزوج في العمل .. الأولاد في المدارس .. هم ظنوا أن الأولاد أخرجوه من الباب وفقد ؛ لكن حوادث السرقة ذكرته بضياع المفتاح ، وذكرت له أن ذلك حدث مع أمي .. فهذه الشحاذة تعمل مع العصابة تسرق مفاتيح الأبواب .. وتبدأ العصابة ترسم بعد حين لسرقة البيت الذي سرقوا مفتاحه واتصلت بصاحب الشقة المسروقة في حي كرمانة بعدما صارحت أنا وعاصما الضابط بشكوكنا .. فأعطاني الرقم وتحدثت معه ، وأكد الرجل أن أمه فعلا فقدت مفتاح البيت على أثر زيارة متسولة طلبت شايا وليمونة

فقال أبو عسود: أمعقول هذا الكلام وهذا الترتيب؟

قال عرجون: المنطق يقول هذا .. إذا لم يستخدم العنف في كسر الباب ، فكيف حصلوا على المفاتيح ؟ ! وأنا منذ تلك الليلة وأنا مشغول الفكر .. ووضعت الموضوع في مخي ، وتحادثت مع السيد عاصم .. وبالنسبة لقصة دبوس عزيزة يقول الضابط : إن هذا التاجر معروف للشرطة بامتلاكه لأشياء مسروقة ؛ ولكنه لا يحصل عليها من

اللصوص مباشرة .. إنما يحصل عليها من تجار ، ويشتريها منهم بثمن بخس ، ولا يعرف مصدرها ، ولا يحب صهرها .. فقيمتها وجمالها أن تبقى كما هي السرقات حادث متكرر كل حين وذلك على مستوى العالم ، وهو شغل الشرطة الدائم فهو يقع في بلدنا وبلدان العالم ، والقبض على اللصوص عمل دائم ويومي ، ويقدم اللصوص إلى المحاكم ، فتقدر مدة الحبس أو الإفراج بكفالة والغرامة والتعويض حسب الجريمة ضعفا وقوة، استخدم فيها السلاح أم لا.. والصحف تنشر هذه الحوادث في صفحات الحوادث ، قد تتابع الصحيفة القضية أو ترميها وراء ظهرها وتنساها ، حتى يجد جديد فتعود لتذكير الناس بتلك الحادثة ، وكأن كلام عرجون عن سرقة المفاتيح بواسطة المتسولات وجد صدى له عند الشرطة ، وأخذته بشكل جدي ويستحق المتابعة ، وقد اتفقت البيوت الثلاثة المسروقة على فقدان المفاتيح قبل الحوادث بزمن من قبل شحاذات متجولات ، ثم تتابع العصابة البيت لزمن حتى تتحدد ساعة الصفر وارتكاب الجريمة ؛ ولكن المفاتيح تفقد باستمرار ، وبشكل يومي ومتكرر ، ومفاتيح البيوت لا يبلغ عن سرقتها للدوائر الأمنية ، والشرطة لا يمكن أن تبحث عن كل مفتاح مفقود ، فصاحب البيت الفاقد لمفتاحه بسرقة أو غير ذلك بإمكانه تغيير [كولون الباب] القفل بمبلغ بسيط ، ووقت الشرطة لا يسمح بمتابعة هذه القضية ، وظاهرة التسول لا يمكن القضاء عليها ، فلو طردتهم من مكان سيذهبون لغيره ، وليس كل مفتاح يفقد أصبح بين أيدي اللصوص ، ولاحظت الشرطة أن البيوت الثلاثة المسروقة عبارة عن طابق واحد ، وبثت الشرطة بشكل ذكي برنامج توعوي لفت الناس إلى عدم إدخال المتسولين لداخل البيوت ، فقد يتسببون بسرقات للبيوت ، وأنهم قد يسرقون المفاتيح للسطو على المنازل ، ووصلت الرسالة للجمهور بطريقة ذكية ، ولم تربط بحوادث السرقة الثلاثة ، ولا غيرها ، قضية تحذيرية عامة ، وربما وصلت الرسالة لربات البيوت ، فكثير من الناس لا تسمع الراديو ، ولا تتابع أخبار التلفزيون بشكل يومي أو حتى متقطع ، يحبون الأفلام والمسلسلات .. فالأفلام الهندية تنتشر في السينمات الشعبية .. وكذلك أفلام الكاراتيه والكونغ فو تنتقل من دار لأخرى بأسماء أخرى توحي للشباب المراهق أنها أفلام جديدة وكذلك الأفلام الأمريكية القديمة لرعاة البقر تتجول بين الحين والآخر في دور العرض ، حدثت سرقة جديدة كبيرة في حي أبو خروف ، لقد تعرضت مخرطة معادن لخلع باب وسرقة ماكنة لحام محمولة ، وبعض أدوات المخرطة ، وآلات خرق وثقب ،

وعلق الناس على هذه السرقة بقولهم سرقة صناعية ، واعتبر الناس وجيران المحل أن السارق على خصومة مع صاحب الدكان ، وأنه فصل عاملا ، أو لم يعطه الأجرة كاملة أو نقص منها ، وبالفعل تم القبض على شخص اتهمه صاحب المحل بها ، واعترف الشاب بهذه السرقة انتقاما من المعلم ، ونقلها [أي المسروقات] إلى مزرعة قريبة من الصحراء ، ولما وصلوا إليها وجدوا تلك العدد المسروقة ، والغالب في مثل هكذا سرقات أن يقوم بها المراهقون والشبان الصغار ، يتعرضون لظلم من صاحب الورشة والعمل فيسرقون العدة انتقاما .. وفي العادة يتصالح هؤلاء أو أهلهم مع صاحب المحل ، وتخلي الشرطة سبيل المراهق حتى لا يدخل في قيود الأمن ..ومرات تحل بدون وجود الشرطة

اتصل عمار عند الفجر ذات يوم بوالده مخبرا له أن ابن عزيزة تعرض لطلق ناري ، نقل على أثره إلى المستشفى ، وأن الشرطة بلغتهم بالحادث ، وأن والده مصمم على عدم الذهاب للمستشفى ويهدد عزيزة بالطلاق إن ذهبت لرؤيته ، وهي تريد منا أن نذهب لمعرفة الخبر ومدى الأذى الذي أصابه .. آملة أن يكون هذا الحادث نهاية المصائب ، فقالت أم عسود : مر عليّ.. أنا سأذهب معك يا عمار .. مهما يكن من قبحه .. فهو ابن العائلة

ذهب عمار وأمه للمستشفى الراقد فيه جبير المصاب ، وكانت الغرفة تحت الحراسة ، وسمح لهم الحارس بالدخول إليه ، والحديث معه ، لما تأكد من قرابتهما له .

والقصة أنه كان يقوم بسرقة مكتب لإحدى الشركات ، تسلق على مواسير المياه ، ودخل من نافذة قريبة من المواسير حيث غرفة المكتب ، وحاول فتح الخزانة المعدنية ، وبينما هو يحاول فتحها أضيئت الغرفة ، ورفع الحارس المسدس في وجهه ، فرفع يديه لأعلى ، وأمره الحارس بالنوم على الأرض ، ففعل ، وأمره بالزحف لخارج المكتب ، وحاول جبير عرقلة الحارس أثناء الزحف ، فوقع الحارس أرضا ، وكان المسدس جاهز التعمير ، فخرجت طلقة أصابت فخذ جبير ، وحضرت الشرطة والإسعاف .

فقالت الجدة: كيف حالك يا جبير؟

أدار وجهه عنها لما عرفها وقال: بخير .. أين أمي؟

قال عمار: سيطلقها أبوك إن جاءت إليك .. ألا تريد أن تكف عن الشيطنة؟

تجهم وجهه وقال للشرطي الحارس على باب الغرفة : أرجوك يا شرطي أن لا تسمح بدخول أحد عليّ .. هذه حياتي وأنا حر فيه

قالت الجدة بحزن وألم : يا بني سامحك الله .. نحن أهلك لا يهون علينا ما أنت فيه .

وكان مشيحا وجهه عنهم لا ينظر إلى وجوههم فصاح: أنا تعبان دعوني أموت

فطلب منهم الشرطي الخروج ، فخرجوا دون تردد ، ثم غادروا المستشفى على عجل دون معرفة التفاصيل ، ولما دخلت أم عسود الشقة ، سئلت ما الأخبار فقالت: مصاب برصاصة فوق الركبة أثناء سرقة خزنة شركة ، أحس به الحارس ، وحاول الغدر بالحارس ، فخرجت طلقة أصابت فخذه

أثناء وجود جبير في المستشفى لاستخراج الرصاصة والعلاج حدثت سرقتان شبيهتان بسرقات

أبو خروف وكرمانة .. وإلا فحوادث السرقة تكاد أن تكون حدثا يوميا ، وكانا بيتي الحادثين متجاورين كما في منزل أبي عسود وعاصم ، وسرق من البيتين المال والمجوهرات أو بعض المجوهرات ؛ لأن أهالي البيتين كانوا في مشاهدة حفل عرس في نفس الحي ، وكان البيتان المسروقان لأخوين ، ولما غادروا الحفلة اكتشفوا السرقتين .

فكان عمار يقول لعرجون: ما رأيك بهاتين السرقتين وجبير في المستشفى؟

ابتسم عرجون لشقيقه وأدرك مغزى سؤاله ، وأن شكه واتهامه لجبير في غير محله فقال: وهل قلت أن الشاب يعمل وحده ؟ .. هو ضمن عصابة تكونت إما في السجن وإما اتفقوا بعد الخروج للعمل كعصابة .. هل قرأت أن الجريدة أشارت لوجود متسولة قبل الحوادث ظهرت في البيتين وفقدوا المفاتيح ؟ فمن أجل ذلك شبهوا هذين الحادثين بحادثي أبو خروف وكرمانة وأنا شككت بابن أختنا لمعرفته الجيدة بالبيت وببيت عاصم ، فهو يعرفهما حق المعرفة ..ألم تكن تسكن فيه قبل عاصم؟ وبينما هما يتحدثان حول الحادثين الشبيهين بسرقة بيت أبي عسود رن الهاتف ، وكانت المتصلة عزيزة التي أخبرتهم بهرب جبير من المستشفى بمساعدة امرأته ، قد تنكر بثيابها وغادر المستشفى من أمام الشرطي على أنه امرأة والذي حسبه المرأة التي دخلت تزور زوجها ، ولما خرج متنكرا ، ظن الحارس أنها الزوجة قد انصرفت ، ودخلت المرأة الحمام المرحاض ، وظنها الحارس جبيرا يقضي حاجته ، ثم بعد أكثر من ساعة اكتشف الحارس الحيلة وحبست المرأة بضع ساعات ، ثم أخلوا سبيلها

قال عرجون بعدما نقل إليه عمار ما عرفته عزيزة من إحدى الممرضات العاملات في القسم عن هرب جبير: ألم أقل لك إن الشاب يعمل مع عصابة ؟ .. لم يذهب لسرقة الخزنة وحده وإن امرأته تعمل مع العصابة ، وأخوها معهم .. تعرف عليه جبير في السجن ، وأصر على الزواج من

شقيقته .. وإذا صدق ظني قد تكون هي المتسولة التي تسرق المفاتيح من البيوت .. تدخل طالبة ليمونة بصلة مع كأس شاي تأخذ المفتاح من قفل الباب وتخفيه في طيات ثيابها .. أهل البيت يظنون أنه فقد من أحدهم .. أخذه طفل يلعب فيه .. سيظهر مع التكنيس وتنظيف البيت ومع الأيام ينسى .. ثم يتحرك اللصوص في ساعة غفلة من أهل الدار .. هل يهتم الناس بمفتاح تكلفة عمل نسخة منه خمسة قروش ؟!

فقال عمار : وأين سيختفي؟!

– سيقع مهما طال الأمر ، فقد قبض عليه متلبسا في سرقة خزنة ، فسيقضي سنوات في السجن لذلك فضل الهرب قبل نقله للسجن .. وستنشر الصحف الخبر غداً مفصلا .

قال عمار بشفقة وحزن : مسكين محمد وعزيزة .. سوّد حياتهم رغم التضحيات التي قدموها له على عزيزة أن تنساه .. لكنه قلب الأمهات .. ولو كان ابنها شيطانا ، وأضر الناس كلهم تظل له أما .. زوجها محمد حسم أمره معه . فقال ليلة زفاف هند : لم يعد لي ولد اسمه جبير ، لقد عملت لإنقاذه بكل ما بوسعي .. لم يبق له في ذمتي حق

هزّ عرجون رأسه وقال : أعانه الله على تجاوز هذه المصيبة والمحنة ، الأبناء فتنة كالمال .. له سنوات يعاني ويعاني .. ويوم طرده من الجلوس في عرس أخته قلت لنفسي محمد حسم أمره وشطبه من حياته وعلى عزيزة أن تقتدي برجلها ، وتعتبره ميتا ، ولا تهتم لإخباره وحكاياته ، وترعى صحتها وباقي أولادها .. وأنا في رأيي أن الرجل لم يقصر معه ، سعى لإصلاحه وتقويمه ودفع المال لمن سرقهم والمحامين على أمل أن يعود فردا صالحا مواطنا طيبا نادما .. زوجه ، فتح له محلا يقضي وقته فيه .. هل بقي شيء في ذمته؟! غصن أعوج لا يستقيم إلا إذا كسر .. وأعتقد أنهم أخلوا سبيل زوجته بعد تورطها في تهريبه من المشفى لمتابعتها ، وكما ساعدت في تهريبه ستساعد في القبض عليه والإيقاع به .. غبي ، ما كان عليه أن يهرب .. أضاف لجريمته جريمة أخرى .. كان عليه أن يقبل الهزيمة ، ويقضي العقوبة مهما كانت مدتها .. هذا الرجل ألا يفكر في طفله؟! عندما يشب ويعلم أن والده حرامي يسرق أموال الناس كيف ستكون حياته ؟ .. يبدو أنه في حادث الشركة لم يكن يملك المفاتيح .. فهذه ليست بيتا ليرسل امرأته تسرق مفاتيحها

– كانت القاصة على طاولة ، لم تكن مثبتة داخل تجويف ، وهي صغيرة ؛ ولكنها ثقيلة كما هو معروف .. كان يريد إنزالها من المكتب الذي على الطابق الثاني إلى الأرض لم يكن يريد فتحها كما قيل في بداية الأمر ، كان معه أشخاص ينتظرونه ،

كانوا يريدون سرقة الخزنة نفسها ، ثم بمقص المعادن الذي يسمى عندنا الصاروخ يقصونها .. يبدو لي أن أحد موظفي الشركة متعاون معهم ، وبعض الصحف ذكرت أن سيارة كانت تقف خلف جدار الشركة .. وبعد اطلاق الرصاصة ابتعدت عن الموقع ؛ لذلك أحسب أنهم سعوا لتهريبه خشية الاعتراف عليهم أحس أن عليه خطرا بالاغتيال يا عرجون

تأمل عرجون عميقا بهواجس عمار وقال : ممكن ! وكلامك معقول القضية أكبر من جبير!

وجدت الشرطة جثة جبير محمد في غرفة من الزينكو الصفيح ـ بعد هروبه من المستشفى بأيام ـ في حي عشوائي لم يدخله التحديث بشكل منظم ، فقد لاحظ أحد الجيران في المنطقة رائحة سيئة وعنيفة ، ففطن أنها قد تكون رائحة آدمي ميت يعيش وحيدا لا أهل عنده ، فأبلغ الشرطة وجاءت للمعاينة وبعد خلع قفل الباب ، وجدوا الجثة في حالة سيئة ، وجاء البحث الجنائي والطب الشرعي وعلى الفور عرفوا من صاحب الجثة .. فهو طريد الشرطة ، وتبين لهم من الكشف الطبي وأقوال الشهود أنه قتل في نفس الوقت الذي هرب فيه بساعات ، فقد شهد أحد سكان الحي العشوائي سماع صوت الرصاص ، فظن أن أحدهم يجرب مسدسه ، وأدركت الشرطة حينئذ أنهم خدعوه وهربوه ليتخلصوا منه قبل إجراء التحقيقات معه ، وأن العملية بسرقة خزنة المكتب عملية أكبر من جبير ، ربما استعين به لسرقة الخزنة فقط مقابل مبلغ من المال ، ولما فشل أصبح يشكل خطرا على العصابة ، أو المتعاقدين معه على السرقة .. وهذا وارد في عالم اللصوصية أن تلجأ عصابة لخبير متخصص في سرقة نوع ما من السرقات .. يستخدمونه لتنفيذ عملية والسلام ، وعلى أثر كشف شخصية المقتول اعتقلت الشرطة زوجته ، وبدأت مطاردة شقيقها صاحب جبير .. فقد أصبحت هذه المرأة على خطر ، ولا يدرون سبب التأخير في القضاء عليها ، أو لأن شقيقها رجل مهم في المجموعة.

استلم محمد وإخوته وابناه جثة جبير من مصلحة الطب الشرعي من المستشفى العام بعد

تشريحها ، وبيان أسباب الوفاة وظروفها في التقرير الطبي ، وكان البوليس يشرف على عملية الاستلام ، وجرى لها مراسم الدفن على حسب تعاليم الشريعة الإسلامية من غسل وتكفين والصلاة والدفن ، وتقبل الوالد العزاء فيه لمدة ثلاثة أيام كما هو شائع في كثير من بلاد المسلمين وبعضهم يرى أن ذلك خلاف الشرع ، والله تعالى أعلم .

وقبلت عزيزة استلام ابن جبير الذي يبلغ السنة من العمر ، واستقر في بيت جده وجدته ، وكان

محمد يردد أمام المعزين: الحمد لله أنه مات أو قتل قبل أن يبلينا بدم أحد الخلق .. هذا أخشى ما كنت أخشاه .. القصة أنهم خشوا أن يكشفهم بعدما فشل في سرقة الخزنة .. وسيقضي سنينا في السجن فسيتكلم قالوا نتغدى به قبل أن يتعشى فينا أليس هذا شعار العصابات والسفلة ؟ أصبح يشكل خطرا داهما عليهم .. فأوهموه بالهرب والنجاة ..وربما وعدوه بتسفيره للخارج.. سرقة مرتبات شركة كبيرة مبلغ كبير ..فهذا أحد مكاتبها .. فهم يعملون في النفط .. وقال في مجالس العزاء لهم : وأعتقد أن خائنا في الشركة رتب لهذه العملية الفاشلة ..فأصبحت حياة جبير خطرا عليه .. وإلا كيف عرفوا بموضوع الخزنة ووقت توفر المال فيها ؟! فكان على الشرطة إدراك ذلك .. وجبير كشف لهم بعض المعلومات .. فرتبوا أمر هربه من المستشفى بالتعاون مع زوجته ، وفور وصوله لتلك الحجرة قتلوه دون شفقة .. وختم قائلا : ومع الأيام ستتكشف الكثير من التفاصيل .. الآن ارتاح وريّح .. وأمره عند ربه

وسمع بعض التعليقات على موقفه من ابنه ، وتمنوا له العوض بابن جبير الرضيع ، وسأل أحدهم:

هل ستتركه أمه لكم يا أستاذ محمد؟

– السجن يسمح للمرأة المرضع إرضاع ولدها إلى حين يفطم ، وبينت لهم أنها فطمته قبل أن يتم السنة ، وأمها ترفض الاعتناء به ، وهي بعدما علمت بموت زوجها قبلت عرض عزيزة بأخذه ورعايته حتى يكبر ، فبلغتنا الشرطة ذلك ، وذهبنا واستلمناه من الشرطة ، وبعد خروج أمه من السجن يعاد الكلام في الحضانة

– ولم يسجنونها؟

قال محمد : فهمت من أحد رجال الأمن أنهم بعد هرب جبير متنكرا بثيابها أخلوا سبيلها لتقودهم سرا إلى مكان اختفاء شقيقها وزوجها ، ولما اكتشفت الجريمة أخذوها خشية الاعتداء عليها ؛ لأنهم يتوقعون بعد هذه الجريمة ، أنه ستتفرق العصابة ، والكل سيتملص من الجريمة خشية أن تلبسه جريمة القتل .. وعقوبتها الإعدام أو المؤبد ، فربما وجود أخيها في العصابة هو الذي آخر تصفيتها .. ويقول الضابط: يظهر أن عصابتين تعملان عصابة جبير وشقيق زوجته وعصابة أخرى وراء سرقة الخزانة .. جرى تعاون بينهم .. فالجريمة معقدة ، وهم يحققون في حادثة الشركة النفطية من جديد لمعرفة عميل العصابة الذي شجعهم على سرقة رواتب الموظفين في هذا الفرع .. في البداية تعاملت الشرطة على أنها محاولة سرقة وفشل جبير ، وكانوا ينتظرون تحسن صحته لاستكمال التحقيق .. ولماذا اختاروا الشركة هذه ؟ ومن المتعاون معهم من موظفي الشركة ؟ لم

يتصوروا أن يسرعوا بقتل اللص لإخفاء المعلومات ، فاستعانوا بشقيق زوجة جبير ، وأقنعوه بإقناعه بالهرب لتهريبه لخارج البلد .. وذلك خير من أن يقضي سنوات عمره في سجن الحكومة .. وقبل جبير بالهرب كما أخبرت الزوجة بكل ذلك لرجال التحقيق ، وأخبرنا الضابط : حتى لو كان المقتول مطلوبا للعدالة ستقوم الشرطة بتعقب ومطاردة القتلة ؛ ليقدموا للقضاء وينالوا الجزاء المستحق عليهم .. فقلت للضابط : أنا يا سيدي لا يهمني قدموا للعدالة أم لا يقدموا .. ابني بذلت الكثير لإعادته لجادة الصواب والحياة الصالحة ؛ ولكنه رفض كل ما قدمناه .. وخشيت أن يورطنا بدم مع أناس طيبين ، وأن يتورط بحادث قتل وظلم إنسان بريء مسالم مثلنا .. ومع أنه ابني البكر ، وبنيت عليه آمالا كبارا كسائر الآباء.. لما أخبرتموني بموته قتلا لم أبك لم تذرف عيني للأسف دمعة واحدة ، صفنت في البداية ، ثم ذهب الذهول بسرعة ، وحمدت ربي ليس حزنا عليه .. أنا طردته من قلبي ـ بعدما يئست من إصلاحه ـ طردته من بيتي بعد خيبتي من تزويجه .. وهو الآن في دار الحق كما نقول .. وربنا واسع الرحمة ، ورحمته أعظم من رحمتنا .. من لا يرحم الناس لا يرحمه الله .. ربنا الغفور .. سيذهب عنا الحزن والغم من مشاكله وحرمنته

قال عمار بعد فضفضة محمد بخاتمة ابنه : إنا لله وإنا إليه راجعون ..كلنا ميت كما مات الأولون وليس لنا إلا رحمة رب العالمين .. عزيزة هي التي حزنت لمقتله وأغمي عليها .. كان لديها أمل بأن يعود لأصله وللعائلة ؛ لقد استوفى عمره وانتهى شقاؤه هذه المأساة وإن حدثت خارج أبو خروف ؛ ولكنها بدأت كما رأينا في أبو خروف، وأم الشاب المقتول عزيزة كانت من أهالي أبو خروف ، وحي زوجها محمد لا يبعد عن الحي إلا بحيين أو ثلاثة أحياء ؛ فلذلك أضفت هذه الحكاية لحكايات ومآسي أبو خروف أهل الشر لا يخلو منهم زمان ؛ ليميز الله الخبيث من الطيب ، والطالح من الصالح ، ورغم أن والد جبير تظاهر بعدم الحزن والاكتراث لموت ولده البكر ، كان لديه شغف وفضول لمعرفة اليد الأثيمة التي اغتالت ولده ، وغدرت به ، لو خير الرجل بين موته وسجنه لاختار له السجن ولو مدى العمر .

كان مهتما بمتابعة نشاط الشرطة حول الحادثة ، ومتابعة التحريات ، وعلم من الشرطة أنها استطاعت تحديد عدد من الأشخاص لهم علاقة بجبير وريالة زوجته ، وأن زوجته لم تكن إلا مجرد أداة لسرقة المفاتيح من المنازل ، كما ظهر لكم قبل الجريمة الدموية ، وكانت شريكتها في سرقة المفاتيح زوجة شقيقها فجر السيدة بادية ، يجدد لهم

فجر أو جبير المنازل المراد سرقة مفاتيحها ، فينطلقن لتنفيذ المهمة بثياب التسول والشحاذات ، ويستخدمن أطفالهن الرضع في عملية استعطاف النساء ، .. سيدة البيت المعين تحسن إليها بالشاي والخبز وما تطلب .. وهي تغافلها لسرقة المفتاح الموضوع في قفل الباب .. كانت مهمتهن سرقة المفتاح فقط ..ويختفون من الحي الذي سرقن مفاتيحه حتى تتم السرقة خشية رجال الشرطة والبحث الجنائي ، والبيت المقصود معروف للعصابة .. ولا تعرف إحداهن متى وقت السرقة ؟ ومن سينفذها؟ وهل مع زوجها وشقيقها آخرون ؟ لا يعرفن .

فقال عرجون : أرأيت يا ابن أمي أن الفاعل منا وفينا ؟! .. فهو له كره عجيب للأسرة ، ورغم أن زوجته لم تعترف أنه سرقنا .. فأعتقد أنه هو المنفذ بنفسه لسرقة أمنا وبيتنا وبيت عاصم ، وإلا كيف يركب سيارة آخر موديل؟!

قال عمار: إنها صدمة لنا جميعا ..وكنا نحس بذلك ونرفضه ، وتعلقنا بالأوهام وخيط العنكبوت أن لا يكون هو .. كان لا يستطيع النظر في وجوهنا عندما أخذت أمي للاطمئنان عليه في المستشفى صباح الحادث .. مسكينة عزيزة .. عندما تعلم التفاصيل ويده في سرقة أمها وضربها قد تصاب بجلطة .. أنا طلبت من محمد أن لا يقول الأخبار عندها ، وأن ابنها هو الجاني على أمها وبيتها

– وهل سيصمت الناس ؟ فلما تكتب الصحف سيعرف أهل الحي بأن الكلام على جبير .. ويتحدثون أن السارق لبيت أبي عسود جبير حفيدهم المغدور من الرجال الذين باعهم نفسه

قال عمار : الناس من طبعها الفضول ، وهو يتفاوت قوة وضعفا من شخص لآخر ، وحكاية كهذه سوف تتصدر الأخبار إلى حين إلى أن يأتي حدث ينافسه في القوة والإثارة .. الناس تتحدث في حماس بقصة في مسلسل أو فلم .. فكيف بمقتل جبير وسرقته لجدته ؟ فقد سمع أبوك هذا الكلام من زبائن مقهى مهران قال له أحدهم : ضاقت عليه الدنيا ، ولم يجد أحدا يسرقه سوى تحويشة جدته أم عسود .. فرد أبوك كما حدثنا: يا رجل الضال لا يفرق بين حبيب وغريب .. لقد سرق أمه ، ثم سرق محله ، وزعم أن آخرين استولوا عليه .. يظن أن الناس مغفلون مثله .. فلا نستغرب أن يسرقنا ... مسكينة عزيزة عليها أن تتحمل جارح الكلام .. ريثما ينسى الناس .. وتستعين بالباري في علاه الله ، وتلجأ إليه ..عسى أن يكون موته راحة لهم لقد فجر وبغى ، ولم يستطيعوا ضبطه وإعادته للحياة الطيبة من جديد .. أحيانا يكون السجن وبالا على بعض الأفراد ، ويفتح أمامهم آفاقا للتمرد والعصيان والأجرام ..

وهذا ما حدث لجبير .. أعجب بمغامرات من يسمع وانضوى تحت لوائهم .. فلما خرج تزوج أخت أحدهم فظن أنه تزوج أخت ملك اللصوص، وأنه ذو مكانة عنده .. وهذا الشاب فجر هو أكبر من جبير بعشر سنوات على ما أظن.. لقد رأيته مرة في دكان جبير .. كنت في زيارة لعزيزة قلت لنفسي أدخل دكان ها الجبير وأسلم عليه ، وكان معه الرجل فقال : هذا صهري أخ زوجتي السيد فجر يا خال . نظر إليّ كأنني حشرة مسمومة ، وجهه مملؤة بالندبات والجروح ؛ فكأنه ليس وجه ابن آدم ، ويظهر أن شخصيته قوية ومسيطرة في السجن وخارج السجن .. صدق لما استحضر صورته في قلبي يخفق قلبي رعبا .. كان جبير يعمل وحده قبل دخوله السجن أول مرة ، ويتفقون بعد الخروج على اللقاء والاجتماع .. والضعيف يتعلق بالقوي .. وسيكون مصير هذا الرجل كمصير جبير القتل ..وبشر القاتل بالقتل ولو بعد حين

تنهد عرجون وقال: لما علمت أمي بأن حفيدها السارق قضت ساعات تبكي ليس على المال بل على حال عزيزة ابنتها البكر ، قالت لما سألتها: أبكي على عزيزة ، لابد أن الحزن والألم سيغمرانها إذا عرفت الحقيقة .. وأنا رفضت أي تعويض من محمد .. اعتبرتها حسنة عن روح جبير وسامحته

– كابوس نسأله تعالى أن يذهبه عن حياتنا وسيرتنا ..والمحزن على الحقيقة هو الطفل ماذا سيكون موقفه ومصيره عندما يكبر ؟!

نهاية القصة

كان أبو عسود يخطو خطواته داخلا مقهى مهران ، ورآه الحاج مهران داخلا فرفع صوته مناديا إياه للحديث معه ، ولما جلس ، وحضرت كأس الشاي ، واطمأن على حاله ، وعلى حال ابنته عزيزة التي في المستشفى ، فطمأنه عليها وقال: خبران يقصمان الظهر يا أبا عبد الكريم موت الابن البكر ، وبيان أنه هو الذي سرق جدته أم عسود كما سرق من قبل أمه ومحله .. ولكن الحمد لله خرجت أمس من المستشفى ، وما زالت منهكة القوى والأعصاب ..ومصرة على تعويض أمها ما سرق ابنها .. وأم عسود مصرة على مسامحتها ومسامحة جبير ابنها ، وأن حياتها أهم من الذهب

وبعد شرب الشاي سأل مهران: ألم نخبر عندما ضربت أم عسود أن جبيرا كان في بلدة نائية ، وشارك في مشاجرة وحبس هناك حتى تصالح أهل القرية ؟! ألم نخبر بهذا ؟ فكيف وجد هنا وهناك ؟!

ضحك أبو عسود وقال: ضحكوا على الشرطة يا سيدي وسخروا منهم

– لم أفهم

– الشرطة يا سيدي حبست هوية جبير ، لم تحبس جبيرا .. شياطين هؤلاء اللصوص! لم يكن جبير هناك كانت بطاقته الشخصية هناك .. يوجد شاب من أهل تلك القرية تعرفوا عليه أثناء إقامتهم في السجن أحدهم يعرفه وصديقه .. فرتبوا معه لافتعال مشاجرة تضطر الشرطة فيها إلى توقيفهم .. فذهب شاب من العصابة بهوية جبير إلى تلك القرية .. وفي ليلة التنفيذ كان الشاب القروي يفتعل مشاجرة قوية مع خصوم له ، ومعه الشاب الذي أخذ هوية جبير ، ولما حضرت الشرطة اعتقل الشاب ضمن الموقوفين ، ولما طلبت منه البطاقة قدم بطاقة جبير وبها أن الصورة عليها تشويه واهتراء فلم يفطن كاتب المخفر أن الصورة لشخص آخر ، وسجل في أوراقهم أنه جبير محمد ، ولما تصالح أهل القرية عاد الشاب ورفيقه وأخذوا نصيبهم من الغنيمة أرأيت الحيلة والشيطنة ؟!

– يا إلهي فعلا إنهم شياطين!

– فلما اتصلت الشرطة بشرطة تلك المنطقة ذكروا لهم وجود هذه الشخص بالحجز عندهم تلك الليلة ، ومع القبض على زوجة جبير وزوجة شقيقها تكشفت الحقيقة ، واعترف شاب القرية بهذه الحيلة .. هكذا فعلوا حتى لا نشك بجبير ؛ لأنهم يعلمون أننا سنشك به أول الناس لسوابقه معنا أمه محله ، وحتى الشرطة في أول الأمر وضعته على رأس القائمة كما تحدثنا بذلك وجبير ليكتمل الخداع اختفى عن البيت عدة أيام ، ثم سلم نفسه للشرطة ، وبعد التحقيق افرجوا عنه

– فعلا مكر شياطين ! هؤلاء عصابة كبيرة

– الضابط أخبر أنهم يتعاونون مع بعض .. فأغلب لصوص البلد يحبون العمل بشكل فردي أو يعمل اثنان معا فقط .. أضمن للعمل والسرية وتوزيع الغنيمة ، ويقدمون خدمات لبعض مقابل مال .. وكلهم خريجو سجون ، ويتصاحبون داخل السجن ..هم ليلة أو صباح سرقة بيتنا سيقومون بالحادث حتى لو كانوا عرجون في البيت.. فهم يراقبون البيت عدة أيام استعدادا لسرقته .. على كل حال الابن مات .. ونسأل الله أن يضع البركة في باقيهم ..المسكينة عزيزة الضحية في هذه المعمعة وسمعتها تقول : يا ويلاه ! كيف طابت له نفسه بضرب جدته .. فالموت خير لي من العيش

– حقيقة موقف محزن ؛ لكن الحل جاء من السماء ، فعلى الأسرة أن تبدأ صفحة جديدة مع الحياة البركة بمحمود وسيكون نعم الطبيب في المستقبل ـ إن شاء الله ـ وعليهم الاهتمام بباقي أفراد الأسرة حتى لا يتأثروا ويقتدوا بما جنى أخوهم البكر .. وعليهم بتحصينهم بالمساجد والجوامع وحب الدين ، والبعد عن التعلق بالخيال والأفلام .. اليوم

الإباحية والعنف تجتاحان العالم من جميع جهاته

– صحيح الخطر منها شديد ، وعلينا أن نعيش زماننا يا حاج مهران .. هل نستطيع التخلي عن التلفزيون بعدما عرفناه؟.. نحن ضعف تعلقنا بالراديو بوجود البديل . التلفزيون الثلاجة مهمات للبيت.. الكهرباء الغاز .. السيارة نتركها ونعود للمشي أيمكن هذا؟

قال مهران : هذا صعب بعدما عرفناه أتعود المرأة لغسل الثياب على اليد بعد وجود الغسالة ؟ عندما تتعطل الكهرباء لحادث لصيانة تكاد الناس تجن .. هذا اللحم سيخرب في البراد .. هذا الغسيل سيتراكم .. المسلسل لنا أيام نتابعه .. ستروح علينا حلقة .. تنهال التلفونات على شكاوى الكهرباء .. لا يمكن الاستغناء عن هذه الكماليات في حياتنا بسهولة .. لذا أنا أعجب من بعض شيوخ الدين ما زالت بيوتهم بدون تليفزيونات .. يكتفون بجهاز التسجيل المسجل هل نستطيع أن نتخلى عن إنارة أعمدة الكهرباء ؟

– لا استغناء إلا إذا صارت كارثة .. إنما نتخلى عن أجهزة لأحدث منها .. سمعنا أن الأمريكان وصلوا القمر

– ومثلهم الروس أو الاتحاد السوفيتي العالم يتقدم مدنيا بقوة والعرب يتأخرون

– سمعت من ابني عرجون أن العقول العربية الواعدة تهرب إلى الغرب ، وهؤلاء يرحبون بهم بشدة ، ويمنحونهم المال والجنسية ، وبعضهم يعمل في وكالة الفضاء الأمريكية

– على ذكر عرجون متى سيتخرج ؟

– الحمد لله ، هو في الشهور الأخيرة ـ إن شاء الله ـ ولكنه يفكر بالتخصص الطبي مباشرة

– ألا يريد الزواج عمره خمس وعشرون اليوم ؟

– كانت هناك فكرة زواج بعد التخرج من ابنة أخي المهندس عليان ؛ لكن أحداث عزيزة وجبير أربكت الاستمرار في المشروع .. ولتهدأ الأحوال نحتاج لوقت .. رغم أن عزيزة رفضت التأجيل والانتظار .. الأحداث أكبر من عزيزة .. وشقيقي عليان قال : لابد من الصبر بضعة شهور للملمة الجراح ..والدكتور عرجون يرتب أموره وعمله

– أخوك عليان ما زال يعمل في وزارة الزراعة

– نعم ، الآن هو مسؤول كبير في الوزارة ومشاريع الري

– أذكر أنه سكن في الحي قديما

– عاش فترة تقل عن ثلاثة أشهر ، وذلك قبل ثلاثين سنة ، ونتيجة عمله في مناطق بعيدة اضطر أن يرحل إلى أكثر من مكان في البلد ، واضطر لشراء بيت قريب من بيت عمه والد امرأته حتى تبات عندهم أثناء سفراته الطويلة .. اليوم الأولاد كبروا وتعلموا .. وهو اليوم يملك عمارة كبيرة

يعيش فيها هو وأسرته ، وبعضها مؤجر

– سلم على أبي راجي كثير السلام

– سلمك الله يا أبا عبد الكريم

– سلم كذلك على عيلتك أم عسود وعرجون وعمار والبنات .. وأتمنى لعرجون النجاح وتحقيق الآمال .. والدكتور عمار محترم هو محاضر في الجامعة

– ترك الجامعة ، وهو مساعد مدير بنك

– ما شاء الله !!

تمت قصة الحفيد السارق

رهاب الطلاق

الجارة

قال ماهر : أنا نفسي طلقت مرتين يا دكتور عدنان ، أنا عجبت من اهتمامكم بهذا الموضوع ، والتركيز على الطلاق؛ لأن ظاهرة الطلاق موجودة ومنتشرة في كل بلدان مدن وقرى العالم بصور مختلفة بقانون وبغير قانون ، أنا كما يعلم كل أعضاء النادي .. أنتم وغيركم .. أعمل خطاطا ورساما كمهنة ، وليس كهاو فقط أرسم لوحات وآرمات للدكاكين والمهرجانات والأطباء والمحامين والمدارس والسيارات حرفة جميلة ، تعلقت بالمهنة شابا مراهقا ، كان في شارعنا خطاطا ومحلا لعمل اليافطات واللوحات الصغيرة والكبيرة للبيوت والكرنفالات والانتخابات ، فتعلقت بمهنته وتدربت عنده بعد العودة من المدرسة ، والرجل لم يبخل عليّ بمعرفته وخبرته ، فلما أنهيت الثانوية العامة فلم أتابع الدراسة التحقت بسوق العمل عملت مع الخطاط في شارعنا ، ثم فتحت محلا خاصا بي ومع صديق، ولما التقيت بالدكتور عدنان قبل عمر طويل صرنا رفاقا ، حضر لأعمل لهم لوحة لحفل أو مناسبة ثم تطورت العلاقة ، وجذبني للاشتراك في النادي لقضاء أوقات الفراغ والمشاركة في نشاطاته ومعارضه ومعرفة فنون الخط العربي القديم والمعاصر .

قال عدنان : نعم ، ماهر حسان موهبة كبيرة في تخطيط اللوحات واليافطات ، وكثيرا ما قمنا بتكليفه بالخط والرسم بالخط لنشاطات النادي ومعارضكم .

قال طارق : كل الموجودين هنا يدركون ذلك ، كلمنا عن حكايات طلاقك يا أبا لؤي لنختم هذه الفقرة من رهاب الطلاق .

قال : نعم ، كانت عيني لما صرت في الثانوية ونضجت جنسيا على سعيدة ابنة الجيران ، كانت في نظري أجمل بنت رأتها عيني ، ونقلت هذا الإعجاب لأمي ، فقالت : أنت صغير يا ماهر انتظر حتى يتزوج أخوك حمدي أولا ، ولما تخلص الجامعة .

قلت : لا ارغب بالجامعة ولا المعهد ، سأعمل مع

الخطاط برهان الدين ، وافتح محلا
قالت : لما تفتح محلك وتستقل سنخطب لك سعيدة بنت أم راسم
قال : كان كلامي في السليم ، ولما أصبحت صاحب محل ، ولي دخل خاص بي تزوجت سعيدة وسعدت بها ، وكانت نعم الزوجة ، حملت كذا مرة ثم يسقط الحمل، كان يقال السبب الجنين مشوه ، لم يكتمل خلقه فيسقط ، بعد عشر سنوات زواج حل بي مرض أضعف طاقتي وقدرتي الجنسية ، وعجزت عن الاتصال الجنسي والإخصاب ، علاجات أدوية من غير فائدة ، فطلقت سعيدة بالاتفاق وشفقة عليها ؛ لعل الله يعوضها خيرا مني ، وتزوجها بعد حين ابن عم لها يعيش في شارعنا ومتزوج ، لم نكن نرى تلك الأيام في التعدد مصيبة ونقمة ، وكانت الأرملة تتزوج والمطلقة مثلها ، كان الأمر لدى الحريم مستساغا ، وبالفعل لحد الآن خلفت منه اثنين .. هذه قصة المرأة الأولى في حياتي .. سافرت مصر للعلاج من العجز الجنسي وبعد علاجات عدت لأتزوج حتى أرى هل عادت إليّ القدرة على المعاشرة ، فسعى أهلي لزواجي من امرأة عاقر كتجربة حتى لا تزعجني امرأة بالخلفة والحمل ، فوافقت على هذه الأفكار ، ووجدوا امرأة فيها هذه الصفة ، العجز عن الحمل ، وسمعت قصتي وعجزي عن المعاشرة وغشيان النساء وأن مهمتها الأساسية خدمة ماهر ، قبلت لعلها حينئذ وازنت بين خدمة العائلة وخدمة فرد ، تزوجنا ، وجددت الأثاث لكسب حبها ، هي موظفة ، رتبنا على أنها فور انتهاء العمل تعود للبيت ، وأنا عادة أنهي العمل بعد العصر بقليل إلا في الأيام التي تحتاج لتأخير ، ولما يكون عندي مشوار للنادي هذا أسوقها إلى بيت أمها الأرملة أو بيت أمي الأرملة أيضا ؛ حيث مات أبي ـ رحمه الله ـ قبل طلاقي لسعيدة .. بصراحة كل العلاجات هنا أو في مصر لم تفد ، بقيت طبيعتي ميتة ؛ وربما أن هرمونات معينة عاجزة عن تنشيط القوة الجنسية ، لا تحدث أي إثارة فقبلت واستسلمت ، وأدوية البروستات لم تعيدني حيا ، عاشت السيدة ماري معي سنة دون مشاكل ، واعتقدت أنها تقبلت الوضع وعجزي الجنسي ، ولم اقصر معها في الثياب والنزهات والمطاعم سعيت لتعويضها بعض متع الحياة ؛ ولكن بعد سنة وشهور صارت تتأخر في العودة للبيت ، حججها ذهبت مع زميلة لحفلة لسهرة ، تضايقت من تكرار ذلك ، ولم تسكن النفس لتبريراتها ، فقلت لابن عم لي في الشرطة : يا يامن جئتك في قضية وغوشت قلبي ، وهو يعرف مشاكلي الصحية.
فقال : تكلم يا سيد ماهر الحبيب

قلت : أنت تعلم أني تزوجت ماري وأنا لا أصلح للنساء ، وقبلتها عن طيب خاطر ؛ لأنها لا تصلح للولادة ، وهي قرب سني

قال : نعم ، هذا معروف

قلت : لها فترة غير طبيعية ، تتأخر في العودة للبيت بحجج شتى، وأشم روائح عطر على ثيابها وتارة أشم الخمر ، وتظنني لا أعرف رائحة الكحول بسبب عملي بالدهان والبوية والمذيبات .

قال بصراحة : تراها تزني !

قلت : هذا ما وقع في نفسي، قد حنت للرجال كما يقال .

قال : أوه ! وضع خطير يا ماهر !

قلت : حتى لو كنت عاجزا ، لا يمكن يا يامن أن أكون خنزيرا أو ديوثا.

قال : صحيح ، سأعرف لك الحقيقة.. سأتحدث مع بعض الزملاء وآتيك بالخبر اليقين.

قال ماهر : طلب بعض المعلومات عنها ، ووعدني بانتظار أسبوع ، قبل اللقاء معه لسماع تحرياته السرية ، وكنت عائدا من هنا للبيت ، فوجدت أخي مرادا ينتظرني أمام البيت ، فسلمت وسلم وقال : لا تنزل من السيارة.

قلت : هل حدث لأمي شيء؟!

جلس بجواري وقال: لا ، زوجتك ماري عملت حادث سير ، ضربت سيارة وهي سكرانة وهي في مخفر راس برقوق .. تحدث معنا زوج أختها بعد أن بلغته الشرطة .

قلت : سكرانة ! ما المطلوب؟!

قال : سنذهب للمخفر ، ونراها أولا ، ونعرف تفاصيل الحادث ، ونعرف ما حدث بالضبط وما حدث مع السيارة الأخرى

قال : انطلقنا إلى راس برقوق ووصلنا موقع الشرطة ، وقابلنا شقيقها مجيد أولا فأعاد على مسامعنا ما تكلم به مراد ، ودخلنا فرأيتها ، فأخذت في البكاء ، فقلت : لما قلت لك رائحتك رائحة خمر قبل أيام أقسمت أنك لا تشربين ، التفت إلى شقيقها وشقيقه وقال: منذ اشهر أخذت تعود للبيت متأخرة ، وندر أن تعود مبكرة ، وتزعم أنها في سهرة عند الزميلات خطبة زواج عيد ميلاد أسماء أخرى ..أشم رائحة العطر والشراب تنكر .. لا تبكي .. ماذا صار للموجودين في السيارة الثانية؟

قال شقيقها : رضوض وجروح ، واعتقد أنهم خرجوا الآن ، وستتكفل زوجتك لتخرج معنا فقد تم فحصها وتأكد تعاطيها للكحول .

ارتفعت الأصوات قليلا وأخذت مرادا وقلت : امرأتي سكرانة يا مجيد!

قال : الآن ليس وقتا للوم .. كل العالم يسكر.. اذهب على بركة الله.. غدا نلتقي سيد ماهر

قال : تكلمت معهما بحدة ، وغادرنا المخفر في غاية السخط .

وقال مراد: لا أدري يا ابن أمي ! هل ستقف على السكر فامرأتك ليست نظيفة؟!

قلت : قد يبدو كلامك صحيحا ، منذ أيام صارحت ابن عمنا يمان ببعض المعلومات عنها حتى اطلقها بيقين وبدون ندم .. كفى سنة ونصف معها.

قال : صبرك الله .. نصيبك .

قلت : نعم ، نصيبي.. المرأة شابة يا مراد وتحتاج لذكر ولو أنها لا تنجب.

قال : صحيح ، الله يستر عليها.

صباح اليوم التالي أحضر مجيد شقيقته لبيت زوجها ، وقبلت رأسه ورجله ، فقال ماهر : أنا مجيد كما تخبر غير صالح للنساء ، وأختك بحاجة لرجل ، فأشرف لي ولكم أن نفترق بالمعروف كما دخلنا بالمعروف ، والله يستر عليها وستأخذ حقها كاملا.

قال : اخز الشيطان ، وستخدمك بعيونها ، وحتى ستترك الوظيفة وتقر في البيت ، فسمعتك سمعتنا يا سيد ماهر .

دخل مراد وابن عمي يمان أبو سعيد وسمعوا آخر الكلام ، فقال يمان: الأفضل يا مجيد أن تأخذ أختك فابن عمي رجل طيب وغلبان ، وسمعته لا تحتاج لتلويث .

صاح مجيد : من أنت ؟وما مكانك من الإعراب لتتحدث عن سمعته ؟

قال ماهر : هذا ابن عمي أبو سعيد ، وكما قلت نخرج بالمعروف يا مجيد.. الله يبعث لها من هو خير وأصلح مني ، ولا داعي لنشر غسيلنا.

قال : غلطت يا ماهر وسكرت وندمت .

قال : قلت أمس في المخفر ليست المرة الأولى يا أبا مروان!

قالت وهي تبكي : سامحني يا ماهر الشيطان والصبايا اغويني .

قال يمان: دعونا من إبليس وأتباعه.. نخرج بالمعروف يا مجيد .. أختك تتردد بصراحة على النوادي الليلة قبل زواجها من ماهر ، ولها قضايا عند شرطة الآداب ، لقد خدعوا ابن عمي عند زواجه منها.

صرخ فقال : كلامك خطير وشنيع!

قال يمان : أنا شرطي وابن العم قبل أيام قبل الحادث طلب مني معلومات حول سلوكها فالرجل ارتاب فيها من شهور وحتى لا ينتشر شيء ، فالأفضل لها ولكم أن تخرجوا بالمعروف لقد خدع الرجل ، فأنا لم ذكرت اسمها الكامل لبعض الجهات قالوا يا رجل كيف تزوجها ابن عمك ؟! فيا سيد نحن لن قبل أن تعيش بيننا

مومس .

قال : مومس !

قال : أتريد أن أصدق أنك لا تعرف أختك حق المعرفة ؟! أنا تفاجأت بالمعلومات التي نقلت إليّ يا مجيد ، واستغربت كيف ضحكتم على ماهر وخدعتموه ، ونحن ظننا أنه سأل عنها كفاية لكن حادث السيارة زاد من كشف الأمر ، الآن سنذهب للمحكمة ونطلقها لننسى أمركم ويا دار ما دخلك شر.

هجمت المرأة على يد يهان تقبلها ، وهي تبكي وتقول: استر عليّ .. استر عليّ أبا سعيد فلنذهب يا مجيد للمحكمة.

قال ماهر : أدركت تمام الإدراك أن شقيقها يعلم فجورها وفسقها ،وأنني خدعت فيها ، وكنت ستارة لدعارتها ، وحسن ظني بهم، وبمن رشحوها للزواج مني .

قال : ومشينا لأقرب دار قضاء وطلقتها ، ورفضت أخذ مؤجل المهر ، وطلب منا مجيد الستر عليها ، ووعدناه أن نزعم أن سبب الطلاق السكر فقط إلا اذا سأل شخص عن الزواج منها سألنا نحن الثلاثة .. وافترقنا على باب دار القضاء الشرعي.

فقال عدنان : هذه مأساة الأخ العزير ماهر بلونة ، وهو منذ عشرين سنة لم يعطر أنفه برائحة أنثى ، وقنع بالحياة بدون نساء كالرهبان ، وهو يردد لم يبق من العمر الكثير.

دعا له الجميع بحسن الختام ، وقال طارق: رحمك الرب يا ماهر ! هذه أول أسمع مأساتك ؛ ربما أنت أكثرنا إيلاما .. النساء بلايا بجلد أملس ، وهنّ حبائل الشيطان.

قال عزيز : لكن يا إخوان لا تحلو الحياة إلا بهن، هن الأوانس والأمهات والأخوات والبنات والحبيبات .

قال عدنان: رفقا بالقوارير يا أنجشة ، ولا تحلو الجنة إلا بهن يا إخوان.

قال عمر : وحتى الدنيا وحياتنا ، وها قد وجدنا عند كل منا حكاية مع الطلاق .. ويا لها من نهاية.

قال الدكتور جمعة : صحيح الزواج والطلاق لا انفكاك عنهما ، سعيد بزواجه ، حزين بطلاقه .. هذه الدنيا وأحوالها وتقلبها .

قال عليه الصّلاة والسّلام :

البرّ حُسن الخلق

أمثال في النساء

يُقَال أشأم من البسوس ، وأحمق من دغة ، وَأَمْنَع من أم قرفة ، وأقود من ظلمَة ، وَأَبْصر من زرقاء الْيَمَامَة .

إِذا قَالَت حذام فصدقوها ❋❋ فَإِن القَوْل مَا قَالَت

حذام

وقالوا: إياك أعنى واسمعي يَا جَارة

قَالُوا : رمتني بدائها وانسلت

وَقَوْلهمْ : النِّسَاء حبائل الشَّيْطَان

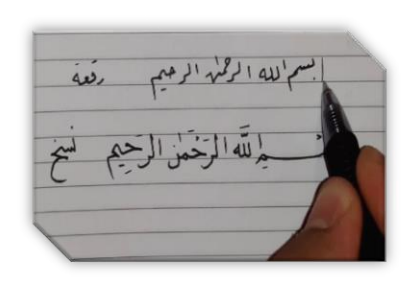
وَقَوْلهمْ : كل ذَات صدار خَالَة

وقَوْلهم : كل فتاة بأبيها معجبة

وقَول النَّبِي ﷺ :خياركم خياركم لأَهله

وقَول مُعَاوِيَة : إنَّهُنَّ يغلبن الْكِرَام ويغلبهن اللئام

وقَوْلهم : تجوع الْحرَّة وَلَا تَأْكُل بثدييها



شعر

أبيات من قصيدة أو نونية الإمام الشهير بابن القيم عن النسوان في الدنيا والآخرة

لا تسبينّك صورة من تحتها ... الداء الدوي تبوء بالخسران
قبحت خلائقها وقبح فعلها ... شيطانة في صورة الإنسان
تنقاد للأنذال والأرذال هم ... أكفاؤها من دون ذي الإحسان
ما ثم من دين ولا عقل ولا ... خلق ولا خوف من الرحمان
وجمالها زور ومصنوع فإن ... تركته لم تطمح لها العينان
طبعت على ترك الحفاظ فما لها ... بوفاء حق البعل قط يدان
إن قصر الساعي عليها ساعة ... قالت وهل أوليت من إحسان
أفكارها في المكر والكيد الذي ... قد حار فيه فكرة الإنسان
فجمالها قشر رقيق تحته ... ما شئت من عيب ومن نقصان
أما جميلات الوجوه فخائنا ... ت بعولهن وهن للأخدان
والحافظات الغيب منهن التي ... قد أصبحت فردا من النسوان
فانظر مصارع من يليك ومن ... من قبل من شيب ومن شبان
وارغب بعقلك أن تبيع العالي ... ـباقي بذا الأدنى الذي هو فان
كملت خلائقها وأكمل ... كالبدر ليل الست بعد ثمان
والشمس تجري في محاسن ... والليل تحت ذوائب الأغصان
وكلاهما مرآة صاحبه إذا ... ما شاء يبصر وجهه يريان
فيرى محاسن وجهه في وجهها ... وترى محاسنها به بعيان
حمر الخدود ثغورهن لآلئ ... سود العيون فواتر الأجفان
والبرق يبدو حين يبسم ثغرها ... فيضيء سقف القصر بالجدران

الشقق السوداء ٣

قدم سيف زائرا لبيت صديقه الجديد الكاتب إدريس لبن ، وكان إدريس قد جلب الطعام الجاهز للبيت ، فهما كانا على موعد ، وانتقلوا للمطبخ حيث مائدة الطعام ، وتناولوا العشاء ، وقدم المهندس الشكر للسيد إدريس، وخلال المائدة روى له قصة الشقق والتصوير التي سمع عنها من مراد وسوزان ، واشتراك بعض الطلبة فيها للإفساد مقابل الحصول على المال والمخدرات ، ولما انتهى الطعام وانتقلوا لصالة الشقة قال إدريس : أتظن أن هذا حدث لنبيلة خالد ؟!

قال سيف بشك : لا أدري ! لم أسمع عن ذلك شيئا .. هذه لابد أنها تمارس على نطاق ضيق وسري للغاية .. وأما الحفلات والسهرات فكانت شائعة بين الطلاب ، وفي الحي الذي نعيش فيه ما زالت الحفلات والمناسبات قائمة .. هل يمكن أن يتعرض أحدنا للتخدير ولا يشعر به بعد الاستيقاظ منه ؟!

ـ إذا خدر شخص بحيلة ومكر فإنه يدرك أنه كان مخدرا ؛ فإنه يستيقظ مشوشا مضطربا .. وقد تحدث له أعراض جانبية نحو القيء والغثيان جفاف الفم والحلق وذلك بحسب نوع المخدر المستخدم .. وربما يلجأ للمنومات فهي أقل خطرا.

وتابع قائلا: هي كانت تنكر تعرضها للتخدير ، ولو من عهد بعيد .. وسوزان لا تعرف هل تعرضت نبيلة لتخدير أو هل ذهبت لتلك الشقة ؟ وهي وصفت الطريقة المستخدمة في تدمير المخدوعات .. سهرة دعوة في شقة خاصة ، ثم يحدث التخدير ، وتصور الفتاة في مكان خاص داخل الشقة أو مكان معد للتصوير .. وتصور صورا إباحية ، وتعاد إلى قاعة الحفلة .. ولما تستيقظ من التخدير فيغلب على ظنها أن الخمر أثرت فيها ، وأتعبتها ، وأنها نامت من السكر والعربدة ؛ لأنها وجدت نفسها في نفس الشقة والمكان .. ولا تظن أنها تعرضت للتخدير والتنويم .. ولا تظهر الصور إلا بعد المشاركة بعدة حفلات تالية .. وبعد حين ترى الفتاة صورها العارية .. فلا تدري كيف صورت ؟ وأين تعرضت للتصوير أو ينتابها الشك ؟

ـ ألا يستطيع الإنسان أن يميز بين النوم والتخدير

ـ الصورة أنت رأيتها ، ودققت النظر فيها .

ـ نعم

قال : هل تتذكر الآن أنها كانت مغمضة العينين أم مفتوحتين ؟

ـ على ما أذكر أنها لم تكن مغلقة تماما ، ولم تكن مفتوحة تماما .. وتدرك أن المصور كان حريصا أن

تظهر في الصورة العورة والوجه حتى لا ينكر صاحب الصورة أنها لم تكن صورته وأنها صورة مركبة من جزئين .. أنا تلك الأيام لم يخطر في بالي مثل هذا المكر والكيد وهذه العصابة .. فأنا اليوم أكاد أجزم أن ذلك حصل لفتاتي يا إدريس .

ـ هذا واضح يا صديقي ؛ لكن هل لهذه الدرجة لم تشعر نبيلة بالوضع واللعبة القذرة ؟

قال سيف : نبيلة كانت فتاة مرحة جميلة وتحب اللهو والسهر والأصدقاء ، ولم تشرب الكثير من الخمر حسب ما علمت منها وعنها .. وربما تثمل في بعض السهرات ، وتفرط في السكر لا تنسى أننا أبناء حي يرى الخمر كالماء ومن عاداتنا الشرب ؛ لكنها أنكرت بقوة أنها تعرت في سهرة أو تعرت لتصور خالعة ملابسها كاملة

ـ حتى لو أنكرت ، فهي قد صورت ، فالصورة تدل على حدوث ذلك .

ـ اعترفت بأن الصورة حقيقية لها ، وأنها صورت بخدعة ما .. وهي كانت راغبة بمعرفة كيف صورت ؟؟ولكن هيهات هيهات أن نعرف إذا لم تعرف .. لم أكن أعلم بمثل هذه العصابة .. وربما هي مثلي .. لم تشر إلى ذلك ، وهي تدافع عن نفسها .. هل تستطيع أن تصل

لشخص شارك في التصوير أو ساعد ؟

قال إدريس : لابد من مساهمين في الجريمة ..

سوزان لم تذكر أسماء .. فالوقت بعيد ، هي ذكرت الطريقة المستخدمة .. وكما قلت إنه يمكن خداع الإنسان بالتخدير أو التنويم .. لكن عندما يصحُ من البنج والمنوم يتذكر أنه كان مخدرا أو منوما.

ـ لكن يا إدريس عندما تستيقظ الفتاة المخدرة أو المنومة ، وتجد نفسها في نفس الغرفة وحولها نفس الفتيات ونفس الأشياء من كراسي وسجاد وأشرطة هل سيقع في نفسها أنها تعرضت لتخدير ونقل وتصوير ؟!

ـ أحيانا يشعر المخدر بأنه محمول ، لكن يصعب عليه أن يتذكر أنه تعرض لتعري وتصوير في أوضاع مريبة كما تفعل إسرائيل في اصطياد بعض العرب للتجسس تحت التهديد والابتزاز ؛ لكنه عندما يرى الصورة يا سيف ألا يتذكر تلك السهرة ؟

ـ هذا سؤال يحتاج لطبيب تخدير .

ـ أحسنت ! نحتاج لطبيب مهتم في آثار البنج والذاكرة .. فأنا أسمع أن الإنسان تحت البنج قد يسمع أو يتحدث ، ويهذي بكلام ويعترف بأشياء لا يقولها وهو صاحي .. ويعللون ذلك باللاشعور واللاوعي .

قال سيف : وأنا مثلك أسمع ..علينا أن نستشير أخصائي تخدير أو علاج نفسي.

ـ ربما أيضا لكمية البنج ، ونوع البنج أثر في

اللاوعي .. وبعد شهور من الحادث لا يتذكر الإنسان ذلك التخدير ؛ وربما لكثرة السهرات والحفلات لا يتذكر.

ـ ولكن نعود إلى القول إذا نام ألا يسأل بعد استيقاظه لماذا كان نائما أو مضطجعا ؟ لا يحل اللغز إلا مجرم شارك في الجريمة يا إدريس !

ـ أكيد لو وصلنا إلى المجرم لحللنا اللغز من زمان .. من يعترف أنه قام بالتصوير ؟! من قام بالتخدير ؟!

قال سيف: الحقيقة أنك تقدمت تقدما كثيرا ، هل ستتابع المقابلات ؟

ـ سأعمل على مقابلة ثالثة ، وأتوقف ، ثم أعمل على النشر .. إن هناك مشاكل .. ورئيس التحرير عنده رأي آخر .

ـ هل تعرف طبيب تخدير بما أنك موظف صحة ؟

ـ سأفكر بذلك ، لا يحضرني أحد اللحظة .. نعم ، يجب أن نعرف كيف خدعت تلك المرأة ؟ لو أثبتنا براءتها لكان هذا خير ونجاح .

قال سيف : أنت مقدام يا إدريس! لا أدري لماذا تقاعست عندما أردت التعرف عليّ ؟!

تبسم إدريس وقال : هكذا أنت أيها الصديق! طبع طبعت عليه .. ألم تقعد سنتين قبل الخضوع لحب نبيلة ؟! أحببتها من أول أيام الكلية ، وانتظرت سنتين لتعترف لها بحبك بشخصها ؛ لكن الغريب أنك طلقتها بسرعة .. ألم تندم ؟

فكر لحظات ثم همس : الصورة لم تجعلني أندم .. الصورة جعلتني أرى كل النساء خائنات ، بائعات هوى .. وكما رأيت أخواتي متحررات أثناء الجامعة .. قلت كل النساء سواسية ، وكلهن يخن الثقة .. ذكرت لك أن أختا لي اختفت مع رجل يومين دون علمنا ، وقابلنا العودة ببرود مع أن صاحبها اعترف بأشياء سيئة.

اتصل المحامي خلدون مالك الجريدة الأسبوعية بإدريس ليلا وقال : لك زمن لم تزرنا يا إدريس.. هل أنت بخير ؟

ـ نعم ، يا أبا بسام أنا بخير ، وصحتي جيدة .. وأنا مشغول بمقابلات مع بعض شيوعيي عصر الستينيات .

ـ وأنا متصل بك من أجل ذلك .

قال : ومن أخبرك باهتمامي بذلك ؟

ـ سمعت في البداية من الطابع منصور .. وكنت أنتظر زيارتك لأفهم الموضوع بالتفصيل وأهميته .. ولمن تكتبه؟

ـ نعم ، هذا في البداية والتالي!

ـ التالي يا سيدي تحدثت معي طبيبة اسمها هند تتكلم عن صورة لأمها وهي صورة سيئة .

ـ هند .. من هند ؟!

ـ هند غريب ..طبيبة من سكان حي بهية.

ـ هند غريب ..لا أعرفها ، وماذا يهمها من موضوع الصورة ؟ وكيف عرفت بموضوع اهتمامي بهذه الصورة ؟!

ـ جميل !! تركت هاتفها وترغب بلقياك والحديث معك .

ـ أين ؟

ـ اكتب الرقم ، واتصل بها .. وذكرت لها أنني لا علم لي بشأن الصورة .. وقلت لها إنك تكتب لنا بين الفينة والأخرى ، ولست موظفا لدينا .

وانتهت المكالمة ، وعلى الفور اتصل إدريس بسيف ، ولما رد عليه قال: أتعرف طبيبة اسمها هند غريب؟

ـ هند غريب ..ولماذا؟!

ـ أتعرفها ؟

ـ لا أعرفها ؛ ولكن أعرف من هي ؟

ـ من هي ؟

ـ إنها ابنة نبيلة خالد .

شهق وقال : المهندسة نبيلة خالد ! وهل تعلم عن قصة الصورة شيئا ؟ وروى له حديث رئيس التحرير معه وأنها تسعى لمقابلته .

ـ ولماذا تريد مقابلتك ؟!

ـ للحديث عن الصورة بالتأكيد .. هل سوزان لها معرفة بها ؟

ـ سوزان صاحبتنا !

ـ نعم ، إذا كانت بينهما اتصالات ، قد تكون حدثتها عن اهتمامنا بشأن الصورة .

ـ هي درست معنا يا أستاذ إدريس ؛ ربما ظلتا على صداقة بعد التخرج ..

وهي تعرف بقصة زواجنا وانفصالنا السريع .. فأعتقد أنها استمرت بصداقة مع نبيلة .. عليك الاتصال بسوزان وسؤالها مباشرة عن الموضوع .. وهل ستقابلها ؟

ـ سأقابلها بالتأكيد ، قد يكون لديها أسرار من أمها .. أليست هي التي أرسلت الرسالة لك ؟

ـ أعتقد أنها هي التي حملت الرسالة .. وهي من سكان الحي ، وطبيبة معروفة ؛ ولكن عملها في عيادة مع زوجها في منطقة أخرى.

ـ حسنا يا سيف إلى اللقاء ! سأتحدث مع سوزان أو أذهب وأُقدِّم لها صورة عن المذكرة التي ستنشر عن مقابلتنا كما وعدتها .

استقبلت السيدة وزوجها السيد الكاتب إدريس ، وقدم لها المذكرة أو التقرير الذي كتبه عن قصة تعلقها بالشيوعية والماركسية في الستينيات ، وعن نشاطها الحركي ، وعن مستقبل الشيوعية في عالم العرب .

أعجبت المرأة بالمقال ، وكذلك زوجها ، وعلقت : إنك مبدع يا أستاذ إدريس رغم أن الصحافة عندك هواية وليست احترافا!

ـ نعم ، لست محترفا يا سيدتي ؛ لكنني أحسن الكتابة في كل المواضيع .. لديّ سؤال

ـ تفضل .

ـ هل كنت على صداقة بالمهندسة الراحلة نبيلة خالد منذ سنة ؟

ـ طبعا ، كانت صديقتي وابنة كليتي أيام الشباب .. كنّا نلتقي ونتقابل ؛ وإن كانت على فترات متباعدة .. هي أرستقراطية ؛ ولكنها زميلة كلية .. وكانت نجمة هادئة في الجامعة .. وهي التي تعرضت لمكيدة الصورة التي دار بيننا الحديث عنها .. ولماذا السؤال ؟!

ـ هل تعرفين ابنتها هند ؟

ـ طبعا ، وهي طبيبتي المفضلة.. ما الأمر ؟!

ـ الأمر أنها تريد مقابلتي للحديث عن تلك الصورة القذرة لأمها .

ـ آه ! قد أكون أنا السبب .. لقد ذكرت لها اهتمامك بموضوع الصورة والشقق السرية لصيد الفتيات

ـ انتهى الموضوع .. المقال الآن جاهز إذًا لا ترغبين بالتعديل والإضافة .

ـ وهل اتصلت بك ؟

قال : لا ، اتصلت بالجريدة .. لا تعرف هاتفي .. فاستغربت معرفتها اهتمامي لقصة الصورة التي سببت انفصال أمها عن المهندس سيف الزوج الأول .

قالت : بعد مقابلتنا كان لي موعد مع الدكتورة هند في العيادة .. وعادة عندما نلتقي يكون حديثنا حول أمها نبيلة التي تربطني بها صداقة قديمة .. ولا أدري كيف تطرق الحديث إلى المقابلة والماضي وذكرك واهتمامك بالصورة ؟! تحدثنا عنها وأبدت اهتماما بذلك ، وقالت بجرأة: أتعرفين يا مهندسة سوزان من صور أمي تلك الصورة القذرة ؟ فأنكرت .. فقالت : ما زالت تؤرقنا وتنغص علينا .. فأنت تعرفين المهندس سيف الدين زوج أمي الأول .. فهو تعقد من النساء .. وترك الزواج ، ويعيش وحيدا من أجل تلك الصورة .

قبل أن يغادر منزل سوزان وعماد طلب منها ترتيب لقاء مع طبيبتها هند غريب ، ورغب أن يكون في منزلها إذا سمحت الظروف أو مكان عام ، فاختارت السيدة أن يكون اللقاء في مطعم معروف ، فقبل إدريس الدعوة ، وقال لسوزان: كيف اهتمت هي بالموضوع؟

ـ لقد جاء بيننا ذكر أمها كما قلت لك، فذكرتني الذكرى بالحوار الذي دار بيني وبينك وبين مراد ، فشدها الموضوع خاصة موضوع الصورة العقدة والتي اهتممت أنت بها بدورك .. وذكرت لي أنك ستسعى لحل لغزها ، وقابلت المهندس سيفا من أجلها .. وأنا أعتقد أن لها علم بحكاية زواج أمها

الأول ، وطلاقها السريع .. ولا تنسى أن حضرة المهندس من سكان نفس الحي من أجل ذلك أحبت اللقاء بك شخصيا .

قبل هذا التعليل وودع إدريس السيد والسيدة ، وقال وهو يغادر البيت : عندما يتم النشر سأضع بين يديك بعض الأعداد .

ـ يسرنا يا أستاذ التعرف عليك .. وهل ستنشر المقال كما قرأته وكتبته ؟

ـ في الغالب نعم .. هؤلاء ـ يقصد رئيس التحرير

ـ كما تعلمين يقدرون

المسؤولية الأدبية ؛ ولكن خبرتهم تدفعهم أحيانا للتعديل أو الإضافة والحذف حتى لا يعترض على النشر .

ـ أما زالت الرقابة على الصحف ؟ ألم ترفع ؟!

ـ كلام يا سيدتي .. ولكنها أضعف من الماضي .. اليوم يمنعون النشر باسم القانون والإساءة وغير ذلك من المصطلحات الرنانة .

ـ موفق يا بطل .. من سيكون التالي؟

ـ بقي اثنان . وذكر اسما

قالت: ابدأ بالسيدة سمر ..كانت معنا في الجامعة في كلية التمريض ، وأغلب وقتها مع طلاب الهندسة ..كان لها حبيب أو صديق مهندس .

ـ أعرفه المهندس خالدا .. وتزوجا بعد الجامعة ، ثم وجدته مع امرأة أخرى في بيتها .

قالت : هو كان يعرف فتيات غيرها من خارج الجامعة ؛ ولكنها كانت الأولى والمقدمة .. والرجل تزوجها دونهن .. وهي كانت تتساهل معه في غرامياته وصدقاته مع أولئك النساء .. وبعد الزواج طلبت منه أن يعقل كما نقول .. ولم يعقل ، فعاشا أربع خمس سنوات ، ثم حدث

الانفصال .. وولدت له ولدا ثم مات ، ولما طلقها سافر إلى أمريكا.

ـ بلد الرأسمالية !

ابتسمت وقالت : لم يكن الاتحاد السوفيتي يستهوي الشباب المهاجر ، ولم يكن الشاب شيوعيا مثلها .. كان محبا للرأسمالية ربما جكرا بها وإغاظة لها .. وما زالت علاقتنا قوية معها .. وهي من الناشطات في ذلك الزمن.

فقال : ولما طلقت ؟

ـ تزوجت رجلا من الحركة ، وما زالا زوجين سعيدين .. وهي بعيدة عن أسرتها وإخوتها .

عاد إدريس لمصافحة السيدة على مدخل البيت ، ومكررا الشكر على الضيافة والمعلومات.

لَبس إدريس أحدث بذلة يملكها ، وانطلق إلى مطعم اللقاء في حي بهية .. وهو يعرف الحي معرفة تامة ، وتردد عليه كثيرا بسبب سيف الدين ومطاردته .. دخل المطعم ورأى الطبيبة تجلس على مائدة تحدق في الداخلين ، وبين يديها وردة بيضاء

، فابتسمت له ، وأشارت له ، فتقدم نحوها ؛ كأنه يعرفها من سنوات .. تقدم باسما ومصافحا وقائلا : الدكتورة هند!

ـ نعم ، السيد إدريس !

ـ نعم ، مرحبا كيف الحال ؟

ـ بخير .. تفضل بالجلوس .

جلس السيد قبالتها وقال : وحيدة!

قالت : نعم ، وحيدة أحببت أن أقابلك وحيدة ؛ولكنهم يعرفون خاصة زوجي بهذا اللقاء .. أنا والدي الدكتور غريب .. وجدي وزير صحة سابق وقديم .. وزوجي الطبيب محمود .

ـ أنا إدريس موظف سابق ..عملت في الوزارة عهدا ، ثم انتقلت للعمل في صحة البلدية .. أرمل يا سيدتي ، ومتقاعد في الوقت الحاضر .. أهلا بك

حضر نادل المطعم بإشارة من السيدة المعروفة لهم ، ووضع أمامهم قوائم الطعام ، فقال إدريس : اطلبي أنت يا سيدتي أنا آكل كل شيء .. وأنا شاكر لك هذه الدعوة ،وإن كنت أحب أن

نتعارف على فنجان قهوة .

ـ هل عرفت سبب اجتماعي بك ؟

ـ الصورة .. ذكرت لرئيس التحرير الصورة القاتلة ، وقابلت المهندسة سوزان التي تحدثت معك عن الصورة .

ـ أعرف ذلك ؛ لأنها تكلمت ، وأنت عندها.

ـ أجل ، هذا صحيح .

قالت : أنا أعرف تفاصيل قصة الصورة يا أستاذ إدريس .. الصورة التي كانت سببا لزواج أبي غريب من أمي نبيلة .

ـ نعم ، هذه حقيقة .

ـ أنت لا تعرف أمي !

ـ أبدا ، لم أرها في حياتي .

ـ وكيف عرفت بقصة الصورة ؟

تبسم قائلا : من نفس المهندس سيف الدين حاكم وردة .. فقد تعرفت عليه من بضعة شهور هذه حقيقة .

ـ أنت تعرفه حق المعرفة .

ـ أعرف قصة زواجه ، ثم طلاقه لأمك بعد أسبوعين أو ثلاثة من زواجهما بعد قصة حب اشتهرت في ساحات وحدائق الجامعة .. وأمك ـ رحمها الله ـ كانت تجهل جهلا تاما كيف صورت تلك الصورة ؟ وقرأت الرسالة التي أرسلتها أمك ، وهي على فراش الموت تطلب من السيد المهندس أن يسامحها ، وتؤكد له من جديد براءتها .

ـ أوه ! أنت مطلع بشكل واسع على القصة .

ـ أجل يا سيدتي .. وأنا سوف أبحث عن الحيلة الماكرة التي صورت بها تلك الفتاة المسكينة تلك الأيام.

وضع الطعام المختار على المائدة ، ومسحت

الدكتورة دمعات ، وقالت: أمي كانت مظلومة يا أستاذ إدريس .. كاشفتني بتفاصيل حياتها في الجامعة، ومع السيد سيف ؛ ربما لا تعرف السبب

ـ نعم ، لا أعرف السبب .

قالت : السبب أيها السيد أن قريبا لي ابن عم تعرف على فتاة من آل وردة من أقارب السيد سيف ، ورغب بها زوجة ، فصار لغط شديد ، وغضبت أم أمي جدتي ، ورفضت هذا الزواج وذكرت الجرح الكبير الذي أصابها من سيف آل وردة .. ونشرت القصة من جديد ، وفشل الزواج .. فاضطرت أمي أن تحدثنا عن تفاصيل تلك الحكاية ، لي ولزينب شقيقتي الصغرى .

ـ نعم ، جريمة الصورة .

ـ وأنت ما معلوماتك عن الصورة ؟ وما هو دور سوزان في القضية ؟

ـ لا دور لها ، هي كانت زميلة لأمك في الجامعة ولسيف ولمراد وغيرهم .. وكانت مطلعة على قصة الحب التي كانت بين أمك والمهندس سيف ، وصدموا بالطلاق الذي حصل ..وأثار لغطا واستهجانا بين الزملاء .. وانتشر خبر الصورة التي سرعت بالطلاق .. فالمهندس سيف شخصية صعبة ومترددة أقولها بصراحة .. ربما القرار الوحيد الذي لم يتردد فيه هو طلب الانفصال .. فقد أخذ الموضوع بحساسية شديدة .. وتسرع .. فهو اعتقد أن وراء الصورة لعبة ماكرة ، وأن الزواج العاجل وراءه أمر خطير تغطية لدعارة وإباحية .. وأنه مكر به وجعل غطاء كان مصدوما منذ شاهد تلك الصورة .. أمك كانت جميلة وفاتنة كما قيل لي ، وحولها أصدقاء وشبان في الكلية في النادي وفي الحي .. واختارته فارسا دون غيره .. فاهتز وصدم جدا عندما عرف بأمر الصورة .. وأمك ـ رحمها الله ـ أنكرت معرفتها للكيفية التي تمت بها الحيلة .. فشعر الرجل أنه مخدوع ؛ ولكني علمت من السيدة سوزان أن عصابات تعمل في الجامعات على تصوير بعض الفتيات بصور مريبة للابتزاز والدعارة ؛ فكأن أمك تعرضت للخداع ، فصورت بوضعية مزرية ، لا أعني أنها مارست الحب بسبب تلك الصورة الصورة كشف أمرها بعد حصول الزواج .. وكان القصد منها أن يحصل الفراق بينهما وحصل .. الهدف واضح من كشف الصورة لسيف .. وليس لأمك أولا .. وعلمت من سوزان أن هؤلاء الخبثاء يصورون الضحية دون علمها ، وبعد شهور أربعة خمسة تعرض عليها تلك الصور الشيطانية .. فإما أن تستسلم لرغباتهم والانصياع لهم أو تثور ؛ والضحية لا تدري كيف صورت ومكر بها ؟ لأنها ربما شاركت بعشرات السهرات والحفلات بعد حفلة التصوير السرية .. وسوزان

تعرف ذلك من بعض الضحايا التي التقت بهن ؛ لأن بعض الفتيات كانت تلتحق بالحركة اليسارية هربا من عصابات الدعارة .. وأكيد أنت تعلمين أن السيدة شيوعية مخضرمة من جيل الستينيات ؛ ولكنها رفضت ذكر أسماء لي .. وإنما بينت طريقة الابتزاز والخداع .. تستدرج الفتاة المحبة للحفلات والسهرات إلى شقق الزميلات اللواتي يسكن بسكن خارجي .. هي سهرة ومرح وغناء جر رجل كما نقول .. تتعرض المقصودة لتخدير في القهوة في العصير في الخمر .. تنقل إلى حجرة لإجراء التصوير .. ثم تعاد إلى مكان السهرة .. فتظن أنها نامت من الشراب من الطعام .. لا يخطر في بالها أنها صورت صورا قبيحة إباحية .. وبعد شهور تعرض عليها الصور فلا تدري كيف ومتى حدث هذا المكر ؟ فأعتقد أن السيدة نبيلة تعرضت لمثل هذا الترتيب الشيطاني .. ولم تعرض عليها الصورة أو الصور ؛ لأنه لم يحن وقت الابتزاز .. فخطبتها وزواجها أفشل المخطط .. فورطوا أحد الزملاء بكشف أمر الصورة لسيف .. وهو فعل ذلك آملا الزواج منها ؛ لأنه طاردها منذ التقيا في الكلية .. ولكنها اختارت سيفا دونهم .. أرشده مراد أحد المغرمين بالسيدة إلى بائع الصورة ، وابتاع منه الصورة في أحد مقاهي المدينة .

ـ هكذا روت أمي القصة أيضا .. كانا في حالة ذهول وصدمة .

توقف عن الأكل ، وقال : الحمد لله ، أنا حياتي الأكل في المطاعم ؛ لأنني لم أتزوج بعد ترملي أنت يا دكتورة لماذا اهتممت بأمر الصورة ؟!

ـ كانت أمي حزينة لما آلت إليه حياة المهندس سيف .. فهو ابن حينا وجارنا .. فأخباره عندنا وهو كما تعلم حبها الحقيقي الأول .. والظروف أجبرتها على الزواج من والدي .. فلم تنساه أمي .. وإن كتمت ذلك عن الجميع ، كان زواجها الآخر سريعا ؛ لأن أبي كان متعلقا بأمي قبل زواجها من السيد سيف .. فنسيان الماضي لم يكن سهلا .. فقصة دامت خمس سنوات ـ سنوات الجامعة ـ لم يكن نسيانها سهلا عليها .. وسبب لها ذلك الكثير من النزاعات مع أبي .. أدركنا ذلك لما علمنا القصة .. أمي كانت تتخيل نفسها إحدى بطلات القصص والروايات المصرية الرومانسية والعاطفية .. ومأساتها عمقت هذا التعلق بتلك القصص .. حياة المهندس سيف العزوبية كانت تؤرق أمي .. لو تزوج بعد تلك الأزمة يا أستاذ إدريس ربما ارتاحت أمي .. ارتاحت نفسيا ؛ لكنه ظهر لنا أنه تعقد من جنس النساء بسبب تلك الصورة الرهيبة .. والنَّاس لا ترحم .. فكنا نسمع أن أمنا السبب .. لماذا لم يتزوج المهندس ؟ السبب نبيلة وهو اسم أمي .

ـ ألم تحدث أمك بعد حين من الزمن عن كيفية خدعت وصورت ؟ فسيف يعترف أن أمك أنكرت بكل قوة وشدة معرفتها للخدعة التي تعرضت لها .

قالت بحزن بين : ماتت أمي وهي تتمنى لو تعرف الخدعة الرهيبة لالتقاط تلك الصورة ..لا تذكر أنها نومت أو خدرت.

ـ إنها كما يقول سيف عارية تماما .

ـ أنا فكرة الشقق السرية الشقق السوداء المظلمة راقت لي .. وأنا في الجامعة في كلية الطب سمعت بمثل هذه الأماكن قبل أن تسمع من سوزان ؛ ولكني لم أكن أصدق ذلك .

قام الخدم بتنظيف المائدة ، وطلبت قهوة لها ولضيفها وقالت : حديثك عن تلك الشقق كأننا في عالم الجاسوسية .

ابتسم وقال : نعم ، يا دكتورة .. كانت إسرائيل وما زالت تستدرج شبان وشابات فلسطين للعمل كجواسيس وعملاء على أهليهم ، فيستدرجون إلى شقق خاصة بعد اختيار الضحايا فيخدر ويصور في أوضاع جنسية قذرة ، ثم يهدد بعرض الصورة الفاضحة عليه ؛ فإما أن يتعاون معهم أو تنشر هذه الصور أمام أهله وأبناء بلده .. فأمام هول المناظر يضعف ؛ ليكون عميلا لهم حتى يفتضح أمره .

ـ سمعت بمثل هذه القصص .

قال إدريس : وهذا الاحتيال يستخدم مع بعض طالبات الجامعة ، وأعتقد أن السيدة تعرضت لمثل ذلك الكيد .. والمدروس لا يعرف أنه مكر به إلا عند مشاهدة الصور .. فإذا طال الأمر لبعض الوقت سينسى متى خدع ومكر به ؟ وحين يكون الإنسان في سهرة ، وتناول مسكرات وأطعمة ثقيلة وقد رقص وتعب ، فلما يستيقظ سينسب ذلك للإفراط في الخمر والسهر .. لا ينسب الصداع والألم لتعاطي مخدر إذ أنه جاهل تعرضه للتخدير أو التنويم الإجباري .. هل يدرك الإنسان أنه خدر قسرا إذا لم يكن هناك علامات وإشارات يا حضرة الطبيبة ؟!

ـ التخدير الطبي يكون بعلم المريض أو مرافقه إن لم يكن واعيا نتيجة حادث أو ضرورة إن لم يكن معه أحد .. وهو جزئي وكلي حسب العملية المراد فعلها .. فطبيب الأسنان يبنج اللثة أو موضع العلاج .. والمخدر الطبي له مدة وكمية ، ويقوم به طبيب مختص في التخدير خاصة للعمليات الخطيرة .. ويراعى السن والصحة .. وتأثيره على الجهاز العصبي حتى لا يحس المريض بالألم أثناء الجراحة .. فبعد التعرض للمخدّر يفقد الإنسان الوعي وهذا الأصل .. فأما في الموضعي يتخدر موضع الجراحة ، ولا يفقد الشخص وعيه .. وأما

تخدير السليم فيقصد به أن يفقد الشخص وعيه وتهمد أعصابه .. ولا يدري ما سيفعل به إذا خدر وهو واعيا ؟! .. أما غدرا فلا يدرك أنه خدر إلا إذا استيقظ ؛ وربما لا يدرك كما قلت ينسبه لعوارض من كحول ومخدرات نعس شديد أشياء أخرى .. إذا الشخص لا معرفة له بالتخدير لا يخطر على باله أنه خدر رغم أنفه .. قد يتعرض المخدّر إلى غثيان أو حاجة للقيء ؛ ولكنه لا ينسب ذلك للتخدير لأنه يجهل أنه خدر .. وقد لا تحدث له أعراض التخدير الكثيرة .. أما في حالة التنويم بالمنومات فقد لا يدرك أنه نوم بمادة منومة إذا كان متعودا على استعمال المنومات .

ـ ألا يشعر المخدر بما يفعل به ؟

ـ نوع المخدر وتأثيره وكميته له دور في ذلك .

قال : لو أمك فرضا أعطيت مخدرا في كأس شراب في طعام هل تحس أنها خدرت بعدما تستيقظ

ـ حسب معلوماتي أنها تدرك أنها لم تكن في وضع طبيعي.. وإذا أخذ الشخص جرعة غير مناسبة قد يفقد الذاكرة ، وقد يموت .. آثار جانبية تظهر ؛ لكن قد لا يستطيع تفسيرها إن لم يتخدر من قبل .. وعندما يكتشف أنه تعرض لتخدير فسيتذكر ما حصل له من تخدير .. وأمي كانت تنكر بقوة تعرضها لتخدير في حفلة سهرة أو منوم .

ـ لكن يا دكتورة بعد شهور هل يفطن الإنسان أنه تعرض لذلك ؟ وإذا حضر المزيد من الحفلات هل يتذكر ؟

ـ الذاكرة لا تنسى .. تخزن الأحداث العقل الباطن

قال : أنا سأجلس مع طبيب عمليات وغرف التخدير وأسمع منهم .. أنا فكرت بهذه القصة بعمق .. كيف يخدع الإنسان ولا يدرك أنه خدع ؟!

ـ كيف ؟!

ـ كيف ...! أحد يهمه أمرك .

ـ أحد . وتطلعت حولها وهمست: هذا ابني .

ـ نعم ، أراد أن يقترب منا ، ثم تراجع .

فابتسمت هند وقالت : أسامة تعال .. هذا الأستاذ إدريس .

قام إدريس مصافحا للشاب ، وقال الشاب: أبي قلق عليك .

قالت : اذهب إلى هناك واطلب ما تشاء .. لم يبق الكثير من الكلام .

ولما ابتعد الشاب قالت : وقفنا لكيف يا أستاذ إدريس .

قال : كيف ؟ أنا فكرت يا دكتورة ـ أنا حياتي القراءة والكتابة والفضول ـ لو فرضنا أنها تعرضت لمنوم .. فيشعر المنوم بالنعاس والنوم وينام حيث يكون أليس كذلك ؟

ـ بالتأكيد ؛ ولكنه قد ينتقل لغرفة النوم قبل أن

يستسلم له .. الأصل أن ينام إلا إذا فسد مفعول المنوم أو لم تكن الكمية مناسبة أو أكل طعاما أضعف مفعوله .. المنوم يشعر بالاسترخاء ثم تنام العيون .

ـ هل لو نوم الشخص يفقد الوعي كالتخدير ،وأنه نوم رغم أنفه؟!

ـ سوف يدرك بعد الاستيقاظ أنه كان نائما .. إذا كان في حفلة وشراب وأكل وتعب قد ينسب ذلك إلى التعب والإرهاق .

ـ أعتقد أن أمك نومت رغم أنفها.

ـ لكن المنوم قد يستيقظ في أي وقت إذا حرك نقل أوذي بدنيا .. وإذا أعطي أكثر من اللازم ربما تكون حياته في خطر .. وقد يشعر أنه غير مكانه .. وهو سيظن أن أحدهم ينقله إلى غرفة نومه ويحس بثقل ويعلم أنه حدث معه شيء .

قال: جميل ! هذا المنوم لو ترك حيث نام في قاعة السهرة وعري وصور ، ثم أعيد كل شيء لموضعه ليعتقد عندما يستيقظ أنه كان في حلم في كابوس خاصة عندما يجد كل شيء كما تركه عندما نام من الأشخاص والأشياء .. هل يدرك ما جرى له سرا ؟ فهو سيعتقد أنه نام من التعب والشراب والرقص والطرب .

ـ ما دام لا يعرف المنومات قبل السهرة قد لا يظن أنه نام رغم أنفه .. لا يقع له أنه بلع المنوم وإذا حصل ذلك في آخر السهرة وبعد منتصف الليل

ـ صحيح ما دام أن الشخص لم يتعامل مع المنومات ، ولم يخبر بذلك في الأغلب لا يدرك أنه تعرض لغدر .. فينسب نومه للإفراط في الطعام والسهر والشراب وخاصة بعد تأخر الوقت .

ثم قال : جميل ! اتفقنا أن المنوم غدر ؛ ربما لا يدرك تعرضه لذلك لثقته بمن يسهر معهم .. وبعد نومه أعطي مخدرا حقنة أو شما هل يشعر بشيء من ذاك ؟

ـ أتعتقد أن ذلك حصل مع أمي.. تنويم ثم تخدير

قال : أعتقد هذا يا سيدتي !

لقاء مع إياد

التقى الصديقان والزميلان القديمان إدريس وإياد ، ولما فرغا من الضيافة المعتادة لخص إدريس لصاحبه نشاطه في قضية الصورة التي دمرت أسرتين أو عائلات .

فقال إياد : التخدير بعد التنويم لا أعتقد حصوله

ـ لماذا ؟!

قال : استخدام التخدير فيه خطر كبير على حياة المخدر .. فالجريمة أكبر من اللازم .

ـ قد يشرف على التخدير طبيب منحرف .

ـ والتخدير يفضّل أن يعطى على جوع كما يجري في العمليات الطبية.. ويعطى على طعام ؛ ولكن قد يخرج المخدر طعامه ويقيئه خاصة إذا كان التخدر

كليا ليس موضعيا .

ـ قد يقيء المخدر كما تقول .. وإذا خدر سرا قد يعتقد أن ذلك بسبب الأكل الزائد الفاسد وعلل في جوفه .. وقد لا يقيء المخدر .. وكلامك يا إياد عن المخدر لعملية جراحية ليس لعملية اعتداء وتصوير حتى لا يشعر بالألم والجراح .. أما تخدير لغرض آخر قد لا يستغرق وقتا طويلا ساعة أو أقل كما تخدر الحيوانات في الغابات والبرية .

قال : أنا عندي فكرة حول الموضوع لهذه الحفلة .

ـ ما هي الفكرة الإيادية ؟

ابتسم إياد لرفيق الدرب وقال : الفكرة يا سيدي أنها أعطيت جرعة مضاعفة من المنوم حبتين وليس هناك ضرورة لنقل الضحية لمكان آخر من الشقة، تصور في مكانها بعد إجراء بعض التغييرات الديكورية .

ـ فكرت في ذلك ، وهم حريصون على أن لا تتذكر الضحية مكان التصوير .. ونبيلة خالد لم تعرف أين مكان الصورة ؟ تخلى الشقة من الأشياء ، ثم تعاد .. قد يكون حصل مثل ذلك حتى لا يشعر المخدر بنقله وتخدره .

قال إياد : وأنت تراهنّ لا يلبسن الكثير من الثياب لستر أجسامهم .. ملابس داخلية وقميص وتنورة أربع خمس قطع ..

تنهد إدريس وقال : لا يحل اللغز إلا أحد شارك فيه أو شارك في مثل هذه الجرائم !

قال : أكيد ؛ ولكن لنا يا إدريس أعطينا قدرات على التخيل ؛ ولعل السيدة سوزان لديها المزيد من المعلومات عن هذه العصابات الداعرة .. وما العمل الآن ؟

ـ العمل يا سيدي أن نبحث ونبحث حتى نلتقي بأحد المجرمين إذا كان على ما زال على قيد الحياة .

ـ وهل تراه يعترف بعد مضي كل هذه السنين ؟

قال إدريس : لعله يعترف من باب المكابرة والغرور .. الطبيبة هند أذكر أنها لم تعترض على حدوث التخدير بعد التنويم كما اعترضت أنت .

ـ ولماذا اهتمت هند بالقصة ؟!

ـ الفضول .. وتركت لها أمها تلك الرسالة التي كتبتها لزوجها الأول ؛ لتهتم بالأمر إلى حد ما.. الحكاية كلها عجيبة .. فعادة هؤلاء الأثرياء المتأثرون بالغربيين الغيرة عندهم ضعيفة نحو النساء والبنات .. فهم عشاق الموسيقى والحفلات والسهرات والرقص والسكر .. ونساؤهم شبه عاريات .. وسيف عاش حياتهم ؛ ولكنه صدم بصورة زوجته ، ليس غيرة إنما خيانة ومؤامرة .

ـ الغيرة لا تموت ؛ بل السكارى يغارون على بناتهم وزوجاتهم ؛ لكنهم يتساهلون بالمقابل ؛ لأنهم يتطلعون لزوجات وبنات أصحابهم .. في هذه البيئة لا دور في حركة الغيرة بين الناس .

عاد إدريس يقول : يا صديقي نحن لا يهمنا عادات الأغنياء .. رجال أو نساء وتلك الطبقة من المجتمع .. فهذه الفئة موجودة في كل المجتمعات .. أنا تعرفت على الرجل ؛ وبعد مطاردة كما تعلم عرفت قصته وعقدته .. فأنا أسعى لمعرفة لغز تلك الصورة الماكرة يا إياد .. لعلي بذلك أدفعه لإعادة ترتيب حياته ويتزوج .. تقدمنا كثيرا .. وهو مقتنع الآن أنه خدع ، ومكر به .. وعرفنا أن السيد مرادا زميله في الكلية لعب دورا قذرا .. وما كان دوره إلا مجرد بريد حالما بالفوز بنبيلة التي صدته كل السنوات.. وفاز بها سيف الأحمق الساذج بنظره .. والماكرون يعرفون حقده وحسده لسيف ، فاستغلوه بكل خسة .. المحبون من طرف واحد لا إيثار عندهم خاصة في جامعة .. وهو شاب مغرور وصياد نساء فقبل بنقل الرسالة لسيف عن الصورة ومكان إيجادها والتحقق من صحتها .. والمهندس المهزوز الشخصية الغر في تلك الأيام والفارس الفائز بقلب نبيلة ابنة مدير المستشفى والأكاديمي المعروف صدم من الطعنة وتخيل أشياء لا حقيقة لها وأنه غطاء لماجنة .. سنتان يتبادل معها النظر فقط ، ولولا رغبتها فيه ما صبرت وانتظرت ؛ ولكنها أدركت شخصية فارسها .. ويقال الحب أعمى .. ويخيل لي أنها ذات شخصية قوية ؛ ورأت أنها أحد أبطال الروايات التي قرأتها .. فلما طلبت منه الخطبة أسرع ، ولما طلبت منه الزواج لبى ، وتزوجا وهما على مقاعد الدراسة ..ولما شاهد الصورة صدم وظن أو اعتقد أنه ضحية .. ولا أعتقد من نفس الصورة .. فهو يملك صورا لها تكاد أن تكون عارية ، صورا بثياب المسبح وهي مبطوحة حول المسبح مع فتيان مع بنات .. والفتاة تصورت هذه الصور الفاضحة بملء إرادتها .. .. وسيف مثلها بصور السباحة .. أما التعري الكامل فهو صدمة .. ولا تنسى إيحاءات مراد مخيفة .. فظن أن التي تسمح لنفسها بمثل هذه الصورة تقدم جسدها على مذبح الدعارة والفجور وإلا كيف قبلت لقط هذه الصورة ؟ وتوهم أنها عشيقة لآخر أو أكثر .. فهو يجهل الكثير من حياتها الخاصة ؛ بل قال : وقع في قلبي أنها مومس ، وما أنا إلا تغطية والزوج الديكور ؛ ولذلك سرع في زواجنا ؛ لأنها هي التي طلبت مني الإسراع في الخطبة، ثم الزواج ، ومع ذلك أعترف أنها كانت بكرا ليلة الدخلة .. ولكنه سمع عن الأغشية الصناعية التي يخدع بها الذين يهتمون بالبكارة عند الزواج .

ـ وهذا صحيح سمعت عنه من بعض الأقارب وبعضهم يسميه الترقيع

قال : فهذا ما وقع في نفسه تلك الساعات عندما شاهد الصورة ظن أن الدماء مصطنعة .. وأنا لا

أعرف تفاصيل مثل هذه الخدعة .. وكيف تنطلي على الزوج ؟ مع أننا نسمع أن بنات لا تزول بكارتهن إلا مع الولادة الأولى .. واعترف أن الكثير من رجال وشبان الحي لا يهتمون بهذه القضية .. ولا يَرَوْن عيبا وعارا أن يدخل الشاب على فتاة ويجدها غير عذراء ..لا يهمهم ما قبل الزواج ، كما أن الشاب قد يكون زانيا قبل الزواج ..فلماذا يدقق بعد الزواج؟

ـ أولئك زواجهم مصالح ومال وثروة .

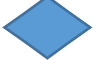
ـ صدقت ، فرأى الانفصال وبأسرع وقت قبل أن يجد لديه طفلا من ماء غيره .. ونبيلة دافعت عن شرفها وعفتها ؛ ولكنها لم تستطع تفسير وجود هذه الصور في حياتها ..وأقسمت أمام أبيها أنها لم تتعر أمام كاميرا أو مصور سواء كان ذكرا أم أنثى .. وقبل والدها الانفصال دون شوشرة وخصام ، وجرى الطلاق بكل روية وبساطة ؛ ولكن القصة لم تنته عند سيف ، فقد ظل رافضا الارتباط بأنثى نتيجة هذه الحادثة .. والمرأة أحست بالألم والمرارة والمعاناة بسبب عزفه عن الزواج .. وهي التي تزوجت وأنجبت .. فكانت الصورة كارثة لسيف وعقدة ، ومضت السنون دون أن يكشف أمرها .. من صورها ؟ وكيف صوروها ؟ حتى وصلت القصة للسيد إدريس .. ولما علمت هند أن أحدهم مهتم بقصة الصورة أحبت اللقاء به ؛ لأن أمها ماتت وهي قلقة نحو زوجها وحبيبها الأول.. وتريد تشجيعي للاستمرار بالبحث عن كيفية حدوث اللعبة .

وقال أياد : وعرف إدريس الحيلة والشقق المستأجرة لتنفيذ الجرائم الجنسية على مذابح الشهوات والإباحية .. وماذا يفعلون بالضحايا ؟

ـ يصبحن يا سيدي كما تقول المهندسة سوزان عشيقات لرجال البزنس مقابل المال ..قسم للقواد وقسم للضحية .. هناك بشر يمارسون الدعارة بعلم زوجاتهم ، وآخرون دون علمهن

تنهد إياد أسفا وألما : للأسف أيها الصديق الإباحية والدعارة من أكبر أسواق التجارة العالمية في أنحاء العالم كله ،حتى أن بلادا دخلها القومي من الدعارة والشذوذ والانحرافات الجنسية .. استغلال مرعب قاتل للثروة والأمراض الجنسية المدمرة كالإيدز .

ـ هذا صحيح وخطير وعقاب!



كانت السيدة سمر تستقبل إدريس بناء على توصية من صديقتها سوزان ، وكانت السيدة قد عملت ممرضة في مستشفيات الحكومة الرسمية، وتقاعدت واشتغلت في مستشفى خاص بضع سنين ، وهي اليوم متقاعدة من عدة سنين ، واستقرت في البيت .

فرحبت هي وزوجها وبعض أفراد أسرتها بالكاتب إدريس ، وجلسوا في صالة المعيشة ، وبعد الترحيب والتعارف وبيان الغاية من هذا اللقاء تركت الأسرة الغرفة لهما ، وقد بدأت تتحدث عن حياتها في الجامعة في مطلع الستينيات ، وكيف انضوت تحت الحركة اليسارية والشيوعية العالمية ، وتحدثت عن نشاطها في الإعلام وغيره ، وجرها إدريس بذكائه إلى ذكريات الشباب والسيدة نبيلة خالد والصورة .

فقالت : مدام نبيلة كانت فتاة فتنة للناظرين ، وأنت تعرف أن الفتاة الجميلة تلفت نظر الشبان إليها أكثر من الدميمة والسمراء ، خاصة في مجتمع شرقي .. وكيف في مجتمع جامعي متأثر بالحضارة الغربية ومبهور بها ؟! مجتمع حرية واختلاط .. وكانت الفتاة ابنة مدير وأكاديمي معروف في الجامعة وعلى مستوى المدينة كلها .. وكانت مع جمالها الفاتن تتبرج تبرجا مغريا ومثيرا للشباب الصغير الذي ما زال يعاني من فترة المراهقة والإباحية التي اجتاحت العالم بعد الحرب الثانية ، حتى أن المجتمعات الغربية ضجت وانزعجت منها .. فكيف ببلاد محافظة وتقاليد طال عليها الزمن ؟! كانت مهوى كل طالب معها .. وكانت ترافق في حرم الجامعة الجميع ذكورا وإناثا ؛ ولكن لم نسمع أن أحدهم كون معها صداقة خاصة ، وفاز بها كحبيبة وصديقة يا أستاذ إدريس.. هذا كان قبل تعرفها على سيف كحبيب .

وكان إدريس يهز رأسه ، وهو يسمع هذه المعلومات ، ومستغربا مما يسمع، وتابعت : كانت تصرح أمامنا بحبها لسيف الطالب الخجول سيف وردة .. وسمعنا أنه كان ولها بها ؛ ولكن لم يعترف لها بذلك الحب إلا بعد مضي أكثر من سنتين يا إدريس .. عرفنا بحبهما .. وهما كانا من أبناء الطبقة الغنية ،، ويسكنان نفس الحي حتى أن نبيلة احتفلت بمناسبة إعلان هذا الحب .. وذهبنا للغداء في أحد المطاعم الضخمة في قلب المدينة ؛ ربما كلفتها الدعوة مائة دينار في ذلك الوقت .. قارن بنفسك.. كانت سعيدة بهذه العلاقة .. وكانت بعض الزميلات يستغربن هذا العشق لشاب يرونه معقدا وكثير الخجل ، وقليل الاختلاط بالصبايا .. وترفض أي كلام سيّء عنه .. كانت تحبه بصدق ، وليس مجرد فترة جامعة وانتهى ؛ ولكنها ظلت كما اعتادت تحادث هذا وذاك وكما عودتنا بقيت تشارك في الرحلات ، وتقول فترة الجامعة لن تعود .. وتشارك في النشاطات والحفلات والمناسبات ؛ ولكنها كانت تعادي الأحزاب .. ولم يجلبها أي تيار مثلي ومثل سوزان .

وبعد لقط نفس تابعت : تلك الفترة من الزمن كان

أكثر طلبة الكليات العلمية كالطب والهندسة والصيدلة والتمريض من أبناء الطبقة الغنية في المدينة لارتفاع تكاليف الدراسة ماديا وهي مازالت مرتفعة اليوم كما ترى ؛ لذلك كنت لا تجد في تلك الفترة من أبناء الطبقة الفقيرة الكثير في تلك الكليات سوى المبتعثين على نفقة الوزارات الجمعيات وأصحاب المال .. وكان أهلوهم يتحملون مصاريفهم اليومية وأثمان الكتب والنقل واللباس ، فتجد بينهم معاناة بين شهر وآخر .. ولا ننسى أن بعض البعثات كانت تؤمن لهم الكتب وبعض المصروف .. ولكن النشاط الجامعي يحتاج لمزيد من الدخل والمصروفات ؛ لذلك كان يسقط البعض في قضايا أخلاقية كترويج الجنس والمخدرات لمزيد من المال .. ولا يعني هذا أن أناس الطبقة الغنية لا يحصل منهم هذا .. والطالب إذا لم يكن يحمل مبادئ تحميه من الفساد فسقوطه أسرع من غيره فكنا نسمع ونعرف بعض الفتيات تبيع جسدها من أجل المال ..وهناك من أجل الشهوات والمتعة .. وطلاب المساكن الجامعية يحصل منهم التفلت أو الذين يسكنون حول الجامعات لعدم حصولهم على سكن جامعي .. والفاسد يحب أن يرى كل الناس فسدة مثله .

ـ هذا قاعدة مهمة ومعروفة في علم الحياة والأخلاق .

وقالت : وكان رجال الطبقة الأرستقراطية ورجال المال يحبون إقامة حفلات وسهرات ماجنة ويحبون تواجد الفتيات الجميلات والجامعيات في تلك السهرات ، ويدفعون المال والذهب والجواهر مقابل سهرات حمراء يسمونها .. وموانع الحمل يوفرونها ، وأطباء الإجهاض يغامرون إذا فشل المانع وحصل الحمل .

فقال إدريس : وكانت بعض الفتيات تقاوم هذا فيتعرضن للكيد والاحتيال في شقق الشيطان

ـ نعم ، هكذا الأمر تجر الفتاة الممانعة والفاتنة إلى تلك البيوت باسم حفلة باسم العام الجديد باسم الفصل الجديد حفل وداع حفل ترحيب ..سهرة باسم عيد ميلاد عيد العشاق أسماء كثيرة تتردد وتسمع .. وهناك يرتب للضحية بخبث وشيطنة .

ـ وبواسطة التخدير تجرد من ثيابها وتصور صورا إباحية بأوضاع خطيرة ، فلما تَر الفتاة تلك الصور تظن أنها بائعة هوى مومس .

ـ فإذا كانت الفتاة الضحية ضعيفة مهزوزة لا تستطيع المقاومة تصبح فريسة سهلة للصيادين فبعضهن يسقطن بسبب الخوف من القتل من قبل أهليهن أو الحرمان من الجامعة والدراسة فتستلم للجلاد .. وبعضهن يهرعن للحركة الشيوعية كحماية لهن من الدعارة أو التيارات اليمينية المتشددة .. ورغم أن الجنس ليس مهما لدى

الحزب ؛ لكنهم لا يقبلونه بهذه الطريقة الدنيئة والاغتصاب والإكراه .. فهؤلاء رغم قبحهم يخشون سطوة الأحزاب ؛ لأنهم سيشهر بهم ويفضحونهم .. فهذه إحدى وسائل النجاة من براثن عصابات الإباحية .. وصورة نبيلة شاعت في الجامعة بسبب الزواج والطلاق السريع.. ولم ير أحد تلك الصورة بعينه.. وبنات الأغنياء صعب ابتزازهن بالصور ، لسن بحاجة لمال ؛ وإنما تستغل صورهن إن كان لهن عشاق يرسمون للزواج منهن .. وفي الغالب يفشل هذا الأسلوب .. فكانت المخدرات السلاح الموصل لهن أو هنّ يهوين تلك الحياة الماجنة ..وأن الاستمتاع بالحياة والجامعة مرة واحدة في العمر .. وكما نسمع أن أهليهن لا يهتمون لبكارتهن كما يهتم بها أبناء الفقراء والطبقة المتوسطة العفة مهمة عند هؤلاء .. فهي صورت من أجل تدمير حياتها الزوجية وطلاقها .. راج في البداية أن مرادا وراء الصورة لعشقه الكبير لها.. ثم تبين أن لا يد له في الصور ؛ وإنما هو مجرد بريد .. ضربة وصابت كما يقال .

ـ كلام جميل وتفسير جديد يا سيدتي ! نعم ، لم تصور لاصطيادها للدعارة .. الهدف إفشال حياتها الزوجية .. لقد استمعت لقصة الصورة من المهندس مراد والمهندسة سوزان ومن زوجها شخصيا المهندس سيف ، وأصبحنا أصدقاء من وراء هذه الصورة .. نحن وصلنا بالمعلومات حولها إلى تلك الشقق ؛ ولكن لم نعرف مكان لقط الصورة ، ولا كيف صورت ؟ أسمعت شيئا بما أنك كنت طالبة تمريض ؟!

ـ أنا سمعت عنها ، وعن غيرها لأني أعرف بعض الطلبة من كلية التمريض مشاركين للأسف في عملية الاصطياد للفتيات .

ـ من أجل المال المال .

ـ المال الدافع الأهم ، كان يدفع بسخاء ، كانت الحفلات الخاصة قد تكلف خمسمائة دينار في ذلك الوقت طعام شراب خمر صور .. أما قصة صورة نبيلة فأرى أنها كانت مختلفة ؛لأنها لم تكن بحاجة لمال .. وكانت تلبس ثيابها مستوردة ، وكلها ثياب قصيرة ، تكاد تكون عارية ، وكانت تشاهد في مسبح كلية الرياضة بالمايوه ؛ لكن لماذا صورت وعرضت تلك الصورة على زوجها لا أحد ممن عرفته عرف ، ولولا الزواج السريع لما كشف أمر الصورة .. كان الأمر حقا غريبا يا أستاذ .. علمت من سوزان أنك التقيت بابنة نبيلة الدكتورة هند .

حدثها بإيجاز قصة لقائه بهند ، وهي عرفت باهتمامه بأمر الصورة من حديثه مع السيدة سوزان وطلبته عن طريق الجريدة التي يكتب لها ، وذكر أنه اهتم بقصة الصورة عندما تحدث مع مراد وذكريات الستينيات .. وكانت الحكاية طريفة ،

ثم تعرف على سيف ، وأنه سيتابع قصتها بعد إنهاء المقابلات الأربعة ، وبين لها أنها الثالثة في حديث الماضي والشيوعية العربية .

قالت : أنا أيضا أعرف الطبيبة هند ؛ ولكني لا أتعالج عندها .. لقد عملت في مستشفى حكومي قطاع عام ، ثم مستشفى خاص قطاع خاص كما يقال .. وما زلت أحمل وثيقة علاج مجاني أو ما يسمى بالتأمين الصحي .. هل حدثتك عن علاقة أمها بأبيها الدكتور غريب الذي أعرفه بحكم عملي في الحكومة ؟

ـ لا ، لم تحدثني بأمر خاص، هي رغبت بسماع ما عندي حول تلك الصورة .

قالت بحيرة : لا أدري هل يحق لي أن أقول أم لا ؟!

ـ أنا مستعد للاستماع .. وهذا يرجع إليك ، وإذا كان مهما ومثيرا ويساعد في قصة الصورة .

ـ لا دخل له في أمر الصورة ، لم يكن السيد غريب وراء الصورة ، ولا هو الذي طلب من مراد إخبار سيف بأمر تلك الصورة .

ـ أثرت شهيتي .

قالت : لن أثير شهيتك وفضولك .. أنت تعلم أن سيفا تزوج نبيلة قبل هذا الرجل .

قال : نعم ، أعرف أنه السبب في سرعة زواجها .. حدثني سيف عن قصة زواجه العاجلة إعلان الخطبة بسبب ظهور غريب كزوج منتظر الزوج القادم من أوروبا ، ثم الزواج بسبب الوزارة .

ـ نعم ، أنت تحدثت مع سيف بالتفاصيل .

ـ هو اعتزل النساء ؛ بل صدم منهن أو منها .. ولم يعد يعير النساء أهمية وما زال .

قالت : أنا بعد التخرج الجامعي لم أعرف عنه شيئا ، ولم ألتقِ به يا سيدي ؛ لكن ظلت علاقتي بنبيلة إلى أن ماتت ؛ ربما بسبب علاقتي الخاصة بسوزان .. والمهندسة نبيلة تزوجت بالدكتور غريب فور فشل زواجها من سيف وانتهاء العدة المعمول في المحاكم الدينية .. أنت مسلم يا إدريس !

ـ أنا مسلم يا سيدتي! .. وأصوم وأصلي الصلوات الخمس ، وأديت فريضة الحج ..وأعمل في الصحافة بشكل غير احترافي .. لست صحفيا رسميا .. أكتب لصحيفة أسبوعية أو أكثر .. أعلق على كتاب ، ألخص لهم كتابا اهتم به الرأي العام .. مقالا حول موضوع معين .. إجراء حوار مع شخص معين .. وأنا أكتب من أيام الجامعة .. ولي سنوات أرمل أعيش وحيدا .. هذا ملفي الشخصي

ـ أنا حدثتني سوزان عنك .

ـ وأنا لي معارف وأصدقاء من جميع الفرق والأحزاب بحكم السن والعمل .. كنّا نتحدث عن زوج نبيلة ، وهو ما زال على قيد الحياة .

ـ أعتقد أنه تزوج بعد ترمله بأسابيع .

ـ لم أسمع بذلك !

ـ ولا من سيف ؟!

قال : أعتقد أنه لا يعرف أو يعرف وغير مهتم .. فهو ربما لم يره في حياته .

قالت : نبيلة يا إدريس تزوجت طبعا بعد مصيبة الصورة المشهورة آنذاك .. ولم يكن والدها المعروف تلك الأيام ـ لعمله في الجامعة ، ثم لكونه مديرا لمستشفى الجامعة الطبي ـ بالمتشدد والمتعصب دينيا .. فعرض ابنته على الدكتور غريب ؛ لأننا سمعنا من نبيلة أنه رغب فيها فور عودته من بريطانيا حيث درس ، وقبل بها رغم أنها أصبحت مطلقة .. كان له هوى فيها .. وكان الدكتور خالد قد أصبح وزيرا .. فقربه وعينه في مستشفيات الدولة .. فهو صهر الوزير ولكن الوزير مات بعد الزواج بشهور ، وفي أول عام يعمل فيه كوزير .. وقد شيد لها والدها قصرا في الحي .. وبعد حين يسير بعد موت الوالد تمرد غريب على امرأته وأهلها .. وأصبح من زمرة رجال السهرات والفنادق والعلاقات الجنسية خارج بيت الزوجية .. قبلت نبيلة هذا الوضع المزري ؛ لأنها أصبحت أما .. والرجل فهو ابن الغرب بالنسبة للعلاقات والشراب .. ولم تقبل أمها وأسرتها الطلاق ثانية ، وعليها الصمت .. هذا سمعته منها ومن بعض أخواتها فقد سجلت عليه قضايا أخلاقية لم يكن الزوج المثالي .. فقد أوقف فترة عن العمل في قضية اعتداء على قاصر .

ـ أنا أدركت أن علاقته بالأسرة علاقة مصلحة وطمع وانتهازية .. والدكتور خالد لو كان مقتنعا به ما زوج ابنته البكر لسيف قبله .

ـ هذا صحيح ، واعترفت لنا نبيلة بذلك ، ربما لتبرر زواجها منه ، وخيبتها فيه .. لكن بعد طلاقها لم تجد هي ووالدها وأمها مجالا للرفض .. وكان طلاقها كما تعلم صدمة للجميع ، حتى نحن معارفها في الجامعة صدمنا ، لما عرفنا من قوة حبها لسيف .. وكانت له امرأة وسيدة بيت، وولدت له بنتين وشابا .

قال : زينب وهند .

ـ زينب الصغرى صيدلانية ، وخالد طبيب مثلهم .. وهو أكبر أولاد وهم كلهم أطباء ما عدا نبيلة .. وزينب أرملة منذ سنوات .. وطلبت مني أمها قبل موتها أن أجد لها زوجا ، وأرسلت لهم اثنين ، فلم يقبلوهم

ـ ألها أولاد ؟

قالت : زينب لها بنت واحدة ، وتعيش وحيدة في فيلا في حي بهية .. تزوجها أنت يا إدريس ما دمت أرملا مثلها .

قال بدهشة من العرض : أنا.. أنا الفقير الغلبان يا سيدة سمر !

قالت بنوع من الحماس المفاجئ : صدق إذا كان لك رغبة في الزواج أنا أتكلم معها .. أنا أو سوزان

قال بنفس الدهشة لتحول الموضوع إلى زواج : لن تقبل بي .. أنا ضعيف جنسيا .. وكنت أعاني من عدم القدرة على التلقيح والإخصاب .

قالت مشجعة الفكرة التي ولدت : اليوم لدينا التلقيح الصناعي، إذا كانت القضية قضية تلقيح أسمعت بطفل الأنبوب أو المختبر ؟

ـ أسمع ومن لم يسمع به ؟!

ـ نجاحه قليل ؛ ولكنه يثمر إذا حلمت بالزواج .. فالسيدة زينب جيدة ، وهي متدينة على غير عادة أهلها وحيها .

ـ ماذا تعنين بمتدينة ؟!

قالت :كان زوجها مسلما مصليا ويصوم .. علمها ذلك .. وترتدي الزِّي الديني .. وتفعل كما تفعل المتدينات .

قال بنوع من المزح : وهل تقبل بي ؟!

ـ أعتقد أنها تقبل إلا إذا نظرت إليك نظرة أرستقراطية .. فزوجها كان يعمل في الحقل الطبي فهو مثلنا مهندس طبي .. تعرف الطب اليوم آلات ماكنات أجهزة طبية كثيرة .

ـ أعرف هذه المهنة .

ـ فهو يعالج هذه الأشياء الوظيفية الكثيرة .. إذا قبلت بها مبدئيا سأسعى بنفسي بذلك

ضحك إدريس وقال : أتزوج بعد عشرين سنة عزوبيا ؟ ..أنا لا أصلح للنساء .

ـ أنا أدرك أن طبيعتك ضعفت أو ماتت إلا إذا ...

قال مقاطعا : بدون إلا إذا .. إنها تعيش في بيئة متحررة يا سيدتي .. أنا لا أشرب الخمر ، ولا حتى الدخان أقربه .. وأنا مدمن مقاهي ، وأجلس فيها يوميا ، ولا ألعب الورق وغيره ؛ إنما أتفرج على الناس .. أنت لماذا فتحت موضوع الزواج ؟!

ـ لما ذكرت أمر صلاتك وحجك تذكرت السيدة زينب .. فخطر في بالي الزواج وقلت أمها طلبت مني ذلك .

ـ أمها مهتمة بزواجها.

ـ نعم ، ومنذ هلك زوجها .. لا تريد زوجا منفتحا على الحضارة الغربية الخمر ولحم الخنزير والرقص .. تريد رجلا متدينا إلى حد ما .. وأنت مناسب .. وأعتقد أنها طلبت مني ذلك مع أنني لست متدينة ؛ ربما لأن لي أخا شيخا كبيرا .. شقيقي إمام مسجد كبير في المدينة .

ـ شقيقك إمام مسجد ..وأنت يسارية شيوعية !

ـ هكذا الدنيا ، فهي ظنت أن أخي الفاضل قد يستطيع تحقيق ذلك .

قال بتعجب : فهمت الآن!

شقيق سمر

تفاجأ إدريس بحق بأن يكون للشيوعية سمر

شقيق دكتور في الشريعة الإسلامية ، وإمام لمسجد
واليوم الشيوعية ماتت في بلادها الروسية ، وأصبح الحزب الشيوعي الروسي من أضعف الأحزاب ، ولم يعد يحقق نوابا في مجلس الدوما الروسي ، والشيوعية خفت على مستوى العالم بانهيار الاتحاد السوفيتي ، ورفضت سمر الحديث عن أخيها وعنوانه ومسجده ، واستعان بإمام مسجد الحي ، فتوقع عدة أسماء وقال : ما اسم السيدة كاملا ؟

ـ لا أعرف إلا اسمين سمر عمران .

ـ افتح دليل الهاتف ..أغلب الأئمة يملكون هواتف منزلية للتواصل مع الإدارة .. وغدا عند الدوام الرسمي سأتحدث مع الإدارة لمعرفة عنوان مسجده ومن هو ؟

ولكن دليل الهاتف الأرضي سهل المهمة ، واستجاب الرقم المنزلي ، وتفاجأ الإمام بالطلب ، واعترف بأن شقيقته كانت إحدى كوادر الحركة اليسارية الإلحادية في المدينة .. وذكر له السبب باختصار .. وطلب منه مقابلة شخصية قصيرة .. ووافق الدكتور سمير عمران ، وحدد أن تكون بعد صلاة العشاء في مسجده .

وفي الليلة التالية كان إدريس يصلي العشاء وراء الشيخ سمير في مسجد الأندلس العربي ، وبعد الصلاة صافح إدريس الإمام معرفا بنفسه . فقال الدكتور باسما : أهلا وسهلا ..أنا في انتظارك هيا إلى مكتبي في البيت .

كان الدكتور سمير يسكن في شقة ضمن نطاق المسجد ، وعرض الرجل العشاء على ضيفه ، فاعتذر إدريس وقال : الشاي يكفي . ثم بين له سبب المقابلة ، ثم عقب ختاما : حقيقة يا دكتور أصبت بالدهشة أن يكون هناك دكتور شريعة ، وشقيقته من الأسماء اللامعة في الحركة الشيوعية

ـ لا تعجب من ذلك يا سيدي! كان نوح مؤمنا ، وكان ابنه وزوجته كافرين .. هذا يحدث في دنيا البشر .. أليس كذلك ؟!

ـ صحيح ؛ لكن كيف ؟

ـ أنت تكتب كما فهمت منك بعض المقالات عن الشيوعية ، وكيف اعتنقوا هذا الفكر المريض اليساري الإلحادي ؟ وكيف يَرَوْن أنفسهم بعد زوال قلعة الإلحاد العالمي الاتحاد السوفيتي ذلك السقوط المدوي؟ لكن الشيوعية كفكرة لن تموت ، هي فكرة قديمة تطورت وستبقى ؛ لكن لن تعتمدها دولة كمنهج حياة حتى الصين خرجت من عباءة الشيوعية اللينينية والستالينية من أيام ماو وخروتشوف

ـ نعم ، هذان هما السؤالان اللذان سعيت للإجابة عليهما من تلك المقابلات والذكريات ؛ ولكن خلال الحديث تحدث قصص فرعية ؛ فإما أن

نتوسع فيها أو نختصرها ..فلما قابلت السيدة سمر أحد الأشخاص الأربعة الذين أجريت اللقاءات بهم ، كشفت لي أن لها شقيقا متدينا ، ويعمل في وزارة الدين فاستغربت فعلا .

قال سمير : ولماذا كشفت لك الأمر ؟وهذا ليس من عاداتها!

ـ هناك سبب لا أدري هل أتكلم عنه أم لا ؟

ـ هل هو سر ؟

فكر لحظات ثم قال : ما هو بسر .. سأقول لك .. هناك امرأة أرملة لديها بنت أرملة ترغب بتزويجها من شخص متدين ؛ لأن البنت متدينة إلى حد ما .. ورأت أختك أنني المناسب بصفتي أرمل من عشرين سنة .. ولما علمت أم البنت بأن لسمر شقيقا يعمل إماما طلبت منها ذلك .. وهي بالتأكيد لم تكن تعرف ابتعادكم عن بعض .. فهم يريدون متدينا بدون لحية وبدون ثوب قصير ؛ لأن الفتاة من طبقة ثرية وطبيبة صيدلة ومن سكان حي بهية التاريخي .. وسبب تدينها كما فهمت من السيدة سمر من زوجها المتدين .. فمنعها من السفور والتبرج ، وأثر فيها دينيا كما فهمت من سمر .. فهي بعيدة عن الخمر والدخان والمجون ؛ وكأنها ترفض زواج أحد من تلك المنطقة أو غير متدين .. فقد أرسلت لهم سمرا رجلين ، وتم رفضهما وكأن السيدة رأت فيّ زوجا مناسبا مع أني من طبقة متوسطة .. موظف متقاعد .. وأنا متأكد أن سمرا لم تتحدث معك في مثل هذا الموضوع .

قال مبتسما : هذا صحيح يا أستاذ إدريس! هل ذكرت لك سمر كيف كفرت بالله وأنكرت وجوده وتركت الإسلام ؟

ـ نعم ، ذكرت كيف أصبحت شيوعية ؟ لأن هذا جواب السؤال الأول للمقابلة .

ـ دعني أسمع ؛ ربما أضفت لك شيئا لم تذكره لك .. أكتبت المقال ؟

ـ نعم ، سهرت عليه أمس ليلة امس ، ولما يجهز ـ طبعا ـ سأعرضه عليها ، ثم يقدم لرئيس التحرير ، وقد يضيف أو يعدل .

ـ ماذا قالت عن بدايتها الإلحادية ؟

قال: تعلم أن كل من يتكلم عن نفسه سيبدو للقارئ بطلا.. القليل من يعترف أنه إنسان بسيط ونكرة ..كلهم أبطال .. ويتوهم أنه قابل خروتشوف وبريجنيف .

هز سمير مؤكدا هذه الملاحظة : الكل أبطال .. صدقت !

ـ أنت أكيد تعرف الشيوعية والماركسية ، وكيف نشأت ونمت في أوروبا ثم روسيا ؟

ـ لولا الحرب العالمية الثانية لماتت الشيوعية أو حصرت في الاتحاد السوفيتي .. الشعوب الأوروبية لم تقبلها ؛ لكن تحالفها مع الرأسمالية

ضد النازية والفاشية التي أرعبتا أوروبا رفع من شأنها .. فالانتصار أعطاها دفعة قوية على مستوى العالم .. وصارت حلما للشعوب المستعمرة من قبل الرأسمالية .. وظنت أنها الخلاص .. وخاصة لما تحررت الصين باسم الشيوعية .. وكما استطاع الروس الاستيلاء فور انتهاء الحرب على برنامج القنبلة الذرية فأصبحت ضخمة في عيون الضعفاء

قال إدريس : تكلمت السيدة أنها تعرفت على الشيوعية من بعض فتيات مدرستها الثانوية ، وأولئك الفتيات عرفن الشيوعية من آبائهن وأقاربهن ، وكانت تقرأ بعص البيانات الثورية السرية داخل المدرسة ..وكان حلمهم الكبير أن تعم الشيوعية العالم كله كما غمرت روسيا والصين وكوبا وأوروبا الشرقية .. ولما أدركت إحدى الفتيات حماسها ورغبتها ألحقتها بإحدى الخلايا السرية ، ثم اكتشفت أن قريبا لوالدها شيوعي ، فازدادت حماسا للانخراط في العمل الشيوعي، واهتم بها الرجل القريب ، ونشطت حركتها داخل الحركة الطلابية بنشر الأفكار الشيوعية ، وتوزيع البيانات والنشرات والتعليقات .. وتبناها الرجل وشجعها وبين لها محاسن وأحلام الشيوعية العربية بأن تلحق في ركب الدول اليسارية ، والتحرر من أذناب وبقايا الاستعباد الغربي .. وتعلمت منه ومن غيره رسائل ماركس وأعلام الفكر الشيوعي .. ولما دخلت الجامعة أصبحت منظرة نشطة في خلايا الشيوعيين في كليات الجامعة المختلفة .. واستمرت على ذلك حتى تخرجت ، ومن ثم نشطت داخل الحزب .. وظل نشاطها السياسي قويا ومعروفا حتى نام الاتحاد السوفيتي ، فخفت صوتهم ، ويعيشون على الذكريات .

قال سمير بعد تنهد وحزن : لقد اعترفت لك أنها الشيوعية الوحيدة في بيتنا .

ـ لا ، لم تتحدث عن أسرتها الكبيرة ؛ لكني علمت أنها تعلقت بشاب في الجامعة .. معذرة يا دكتور سمير .

ـ تكلم بكل راحة .. أنا أعرف أختي الملحدة .

ـ المهم علمت من بعض رفيقات السيدة أنها أحبت شابا له نفس الميول الإلحادية ، وكان الشاب كثير العلاقات الغرامية كغيره من شباب الجامعة تلك الفترة من حياتهم .. ومع ذلك استمر حبهما وتزوجا بعد التخرج ، ثم طلق الرجل الحزب الشيوعي ، وهاجر إلى أمريكا رأسماليا ، ثم تزوجت زوجها الحالي الشيوعي مثلها .. وأنجبت منه ثلاثة مواليد .. وهي اليوم حزينة لما آل إليه الفكر الشيوعي وسقوط الشيوعية كدولة في كثير من الدول الشيوعية ، وتحولها لأحزاب ضعيفة كما في البلاد العربية والإسلامية ..كانت تظن أن

الشيوعية الجنة الأرضية .

ـ ما زالت ملحدة لا تعترف بوجود إله .. هل أتكلم ؟

ـ تفضل

قال بنغمة بدا فيها الحزن لإدريس : كانت سمر الأولى في الأسرة .. أقصد المولود الأول للزوجة التي ولدت بعد ثلاث سنين من الزواج .. كان الأبوان ملهوفين عليها .. وبعد ثلاث سنوات أخرى جاءت أختي سحر .. وبعد تسع سنوات زواج ولدت أنا أستاذ إدريس .. الذكر الأول وجاء بعدي اثنان .. لقد كانت البنت المدللة في الأسرة .. ولم يكن والديّ بالمتدينين بالمعنى الشامل للتدين ، والمعنى المعروف اليوم .. كانا يصليان يصومان لنفسيهما.. ولم يربيا ابنتهما على التدين والإسلام وفهم الإسلام ككثير من الأسر والعائلات .. ولما وصلت الإعدادية لم تُمارس الصلاة واللبس الشرعي ، ولا الاغتسال من الحيض مع أنها دخلت مرحلة البلوغ الشرعي ،.. لم تهتم أمي بذلك ، معتقدة أن المدرسة تعلمها ذلك .. كانت تغتسل نظافة لا عبادة ككثير من بنات المسلمين اليوم ؛ لأن التي لا تصلي كيف ستعرف هذه العبادة الشرعية أو تفكر فيها أو تتعلمها ؟!" لما يكبر بصلي ، لما تكبر بتعرف " هذه الشعارات السلبية .. أين علموا أولادكم الصلاة على سبع، واضربوهم على عشر ؟ وكما قالت لك في الثانوية نضجت فكريا وجسميا ، وكانت تقرأ وتقرأ ، ولم يهتم أبي وأمي بما تقرأ وتطالع .. وأبي قارئ أما أمي فلا تقرأ ..كان أبي يخدم في الجيش الوطني عسكري ..كثير من وقته في المعسكرات .. وتقاعد برتبة عقيد يا إدريس وكما قال تفاجأ بأفكار سمر وإعجابها بخروتشوف والروس ؛ ولكنه لم يحاول ثنيها عن تلك الخزعبلات كما أخبرني فيما بعد .. فهو لم يقدر خطر الشيوعية يومذاك ..ويمكنك أن تقول أنه يجهلها جهلا تاما ؛ ربما اعتقد أنها حزب سياسي كالأحزاب الدارجة في البلاد ؛ إنما كانوا يَرَوْن صراعا دائرا بين أمريكا وروسيا .. والدولة تدور في الفلك الأمريكي الغربي تسليحا واقتصادا بسبب الحرب الباردة .. وقد تفاجأ بها شيوعية في الجامعة ؛ ولكنها قد خرجت عن السيطرة .. هذا طبعا نتيجة التساهل .. فانتبه لسحر ولي .. وأخذ ينفر من الشيوعية وفكرها .. ويحذرها من خطرها وقتلها للشعوب المسلمة في القوقاز والعالم .. ومنع سمرا أن تتحدث عن شيوعيتها في البيت وأمامنا ؛ لذلك لما أنهت سحر الثانوية العامة بدون نجاح ، لم يشجعها على الإعادة ؛ بل زوجها لقريب لنا لابن عمنا .. فكان زواجها كحماية لها من التورط في أحلام سمر وانزلاق سمر .. ونعم ما فعل .. وكان القريب الذي تحدثت عنه سمر وشجعها

على البقاء في الشيوعية لم يكن معروفا دوره لأبي إلا بعد دخولها الجامعة .. وهجره والدي هو وأسرته ولم يعد يُستقبل في البيت وغيره .. ولما نجحت أنا في الثانوية العامة كانت سمر قد أنهت جامعتها ، واشتغلت في أحد مستشفيات الدولة ومتزوجة من زميل جامعتها كما أخبرتك .. وأنا سافرت مصر للالتحاق في جامعة الأزهر الشرعية كطالب شريعة وحصلت الماجستير والدكتوراه منها أيضا واليوم أعمل محاضرا في كلية العلوم الدينية في المدينة هذه ، وفي نفس الوقت أقوم بإمامة الناس في المسجد .. طبعا سعيت مرات ومرات لانتشال سمر من أوحال وأوهام الحلم الشيوعي ؛ ولكنها تعتبرني رجعي وأحمق ..كل من يتعلم الشريعة عندهم جاهل وأحمق ومعقد .. ونتيجة فارق السن بيننا لم نكن أصدقاء مجرد أخوة .. ولما شببت كانت تعيش مع زوجها الأول .. وقد رحلت أمنا عن الدنيا وأنا أدرس في مصر القاهرة .. وتزوج أبي بعد وفاتها بأشهر .. فكان وضعنا الأسري مربكا إلى حد ما .. واستخدمت أسلوب الرسائل معها ومع زوجها دون فائدة وأثناء الإجازات حاولت ؛ لكنها تسخر وتهزأ مني ، وتدعوني للتحرر واعتناق الشيوعية .. ولما تزوج أبي لم يعد لها مكان في الأسرة ، ولم يهتم أحد بأفكارها حتى أخوي الأصغر مني تعلما ولم يتأثرا بها البتة بفضل الله .. وهي شبه مهجورة من الجميع .. ولما فشل زواجها لمسنا أملا بتوبتها .. ثم تزوجت ماركسيا أسوأ من الأول ، ومع الزمن أصبحت غير موجودة في حياتنا ، ربما حدثت بيننا بعض التلفونات بمناسبات مرضية .. وأنا كنت استغل مثل هذه الأمر معها للأسف دون فائدة .. الهداية التوفيقية بيد الله تعالى .. ومات أبي قبل عشر سنوات تقريبا .. ولم تلد امرأته الثانية له ، وما زالت تسكن في بيتنا القديم .. وما زلت أتفقدها .. فهي ليست بحاجة لمال ، فهي تعتاش على راتب والدي التقاعدي ، وما ورثته من مال أبي وتنازلنا لها عن البيت .. وسمر لم تهتم بميراثها ، وشرعا لا تستحقه لكفرها وضلالها ؛ ولكنها قانونا تعتبر مسلمة .. فهذه قصتي مع شقيقتي الكبرى .

ـ أنا أعرف الكثير من الحركيين ، وبعضهم تابوا وعادوا إلى حضرة الدين والإسلام .. وتاب الكثير منهم وثاب قبل سقوط الشيوعيين في روسيا وما حولها وموتها.

ـ هذا أمر متوقع وهو موتها ؛ لأنها تصادم الفطرة والعقل .. والدين ولو كان فاسدا تحتاج إليه الناس .. فالقرامطة طائفة الحادية ظهرت في التاريخ ثم هلكوا .. ولم نعد نسمع عنهم .. وهذه بقايا أفكارهم بثوب عصري واقتصادي .

قال : لا يسعني إلا أن أشكرك يا دكتور على هذا

الحديث الطويل .. أنا فعلا تفاجأت بأن يكون للسيدة شقيق كإمام، وإلا نحن نعلم أن في البيوت شيخ وملحد .

قال سمير : عادة يأتي اعتناق الشيوعية للبيت المهلهل دينيا .. والدين في البيت مجرد عادات وطقوس .. وكذلك تساهل من الأسرة ، وجهل بالشيوعية جهلا تاما .. والانحلال الخلقي يساعد على ذلك .

ـ والأصدقاء .

ـ وهذا سبب رئيس .. الصاحب ساحب .. البيت أساس التربية والأخلاق الحميدة والقدوة .

قال إدريس قائما : وساحات الجامعات مرتع خصب لكل فكر ، ولكل صراع فكري .. شكرًا دكتور سمير .. لقد تعرفنا على حضرتكم .. فهذا شرف لي ولعلنا نلتقي مرة أخرى .

دفع المقال الخاص بسمر إليها ، وطلب منها أن تقرأه لتضيف أو تحذف منه ، وأخذ بالحديث مع زوجها وابنها المتزوج منذ عهد قريب ، وكان ضيفا عندهما ، ولما انتهت القراءة وضعته على منضده أمامهم ، وقالت : حقا رائع جدا يا أستاذ إدريس ! رغم أنني أكتب مقالات وبيانات ؛ لكن أعترف ببراعتك في كتابة الفقرات ، وترتيب الأفكار للقارئ .. لست أول صحفي قابلني لكنك أروعهم ؛ ربما لأني من عشر سنين لم أعد أتقابل معهم .. اليوم لا أحد يهتم بِنَا ؛ كأننا متنا بموت الاتحاد السوفيتي .. هكذا الناس أليس كذلك؟!

أجاب إدريس : هكذا الناس .. عندما يكون الإنسان قويا مهما التفوا حوله ، وإذا ترك المركز والوظيفة هجروه .

قال الزوج مبتسما : كلامك صحيح إلى حد ما .. الناس يريدون أشياء فلما يصرف عن مركزه فماذا يريدون منه ؟! لماذا يلجأون إليه ؟ وأيضا يكون قد ظهر جيل جديد لا يعرفون الرجل القديم .. لماذا جريدتك مهتمة بقدامى المحاربين على رأي العسكريين ؟

ابتسم إدريس : هذا اهتمام شخصي مني ..الجريدة التي أكتب لها لا تهتم بهكذا موضوع .. هم المهم أن يجدوا مادة ينشرونها ؛ لأنها جريدة أسبوعية .. ربما تهتم بقضية رأي عام حاضرة .. أنا أكتب لها منذ ثلاثين سنة .

وشرح لهم علاقته بالجريدة والصحف ، وأنه يكتب بمزاجه ودون التزام دائم وقال : وأنا لست متفرغا ومحترفا وموظفا ، هي هواية فحسب . وبين لهم أنه يقدم المقال ، ولرئيس التحرير أن يرفضه يختصره يعدله ، وذلك حسب حسه الأمني وقال : تخطر في بالي الفكرة وأهتم بمتابعتها والبحث عن أبطال لها .. الصحف تهمها الصفحة

الرئيسية ، وما في داخلها مواضيع خاصة .. الرياضي يهتم بصفحة الرياضة .. بعضهم يهتم بأخبار الاقتصاد والتجارة .. بعضهم بالإعلانات ..وآخرون يهتمون بصفحة التسلية .. وبعضهم يقرأ لكاتب معين وتعليقاته السياسية والثقافية والاجتماعية .. بعضهم يهتم بالصفحة الدينية ، وما تطرحه من أفكار .. وبعضهم بصفحة النعي خاصة قراء الصحف اليومية .. وأحاديث الذكريات لها قراؤها ومحبوها ؛ لذلك ترى الصحف قد تشتري مذكرات سياسي زعيم .. وأنا كتبت خلال مسيرتي الكتابية كثيرا عن رجال ورموز وطنية ثورية قيادية عن نضالها وأفكارها .. وقد يهتم بها مراكز البحث المحلية والدولية والمؤرخون ومراكز التجسس والمخابرات .. فالشيوعية لم يعد لها ذاك البريق ببلاد العرب وغيرهم ؛ لكن ما زال لها أتباع .. ففي فترة الستينيات كانت قوية وثورية حتى ظن البعض أنها على وشك قيادة العديد من الدول العربية .. أما اليوم فشغل العالم الحركات الإسلامية والأصولية الإسلامية والإرهاب الإسلامي كأن المسلمين لم يكونوا في فترة ازدهار الاتحاد السوفيتي .. الكل متخوف من الإسلام السياسي القادم .. وسيظهر المقال في الصحيفة في الوقت المناسب .. وستكون بعض الأعداد بين يديك.. ألديك ملاحظات عما كتب ؟

ـ لا ، تمام هو كلامي وأفكاري .. مجلات الحزب ما زالت تقبل كتابتي وتعمل على نشرها .. وتتابع أخبارنا الاجتماعية وبعض نشاطنا الضعيف .. لم تعد مؤتمرات الحزب مهمة للصحافة اليومية اليوم .. مجرد خبر صغير ينشر في الصفحات الداخلية .. أيام العز ذهبت .. والمؤتمرات لا جديد حقيقة فيها ؛ إنما ذهاب وجوه ومجيء وجوه للقيادة ..كنّا خلال المقابلة تحدثنا عن قصة الصورة والسيدة نبيلة واهتمامك بأمر الصورة .

قال : صور نبيلة قصة غامضة!

ـ هل هناك ما يشغلك عنها ؟

ضحك وقال : عرفنا أن هناك عصابة كانت تحتال على بنات الجامعة والتغرير بهن وتصويرهن صورا فاضحة للإيقاع بهن في عالم البغاء والدعارة .. لم نصل لشخص عمل في هذا الإجرام أصابه الندم ، وكشف لنا المزيد من الحيل والمكر .. فلم نعرف كيف صورت ؟وأين؟ ولماذا؟!

قالت بكل صراحة : على كل حال أنا أعرف بعض الفتيات تلك الأيام شاركن في تلك الشقق طبعا هن اليوم عاملات أو متباعدات مثلي.. وسأتحدث مع واحدة منهن ؛ لعلها تقبل أن تكشف شيئا من أسرار تلك الحقبة ؛ ولعل عندها شيئا من قصة تصوير نبيلة .. هي من اللواتي سقطن في براثن

تلك القوى ، وعرفت ذلك منها فيما بعد ؛ وذلك خلال عملنا في أحد المشافي ؛ وذلك في ساعات الذكريات والندم وكشف الأسرار .. وأنا كنت أعرف نشاطها قبل العمل معها عندما يكون لدى الإنسان فضول ما نحو قضية ما يهتم بها ..قد تكون قد شاركت في عملية خداع نبيلة وجرها لوكر من أوكارهم .. قصة نبيلة بعد التخرج ضعفت في ساحات الكليات العلمية .. وجاءت أحداث أخرى .. هي لم تشر لقصتها يوما .. وأنا أعرف أنها متورطة مع عدد من فتيات الكلية

ـ إذا وافقت على المقابلة والإفادة ؛ فأنا مستعد لسماع ما عندها .. شكرًا لكم أيها السادة ، وأتمنى لكم السعادة .

قالت : عفوا يا إدريس لم تقل لي ردّك في الزواج من شقيقة هند غريب وابنة نبيلة خالد !

ابتسم ونظر لزوج سمر وقال : وهل أصلح للزواج ؟! لا أعتقد يا سيدتي ويا سيدي ..صحيح أنا أصلي وأصوم وأعبد الحي الْقَيُّوم ، وابن طبقة متوسطة .. ولا أملك القصر والسيارة والمال ولا أعتقد أنها ترضى بي .

قالت مشجعة : أعتقد أنها ترضى ؛ لكن القدرة الجنسية لا أدري أهميتها بالنسبة لها .. أنا أرى أن تقبل مبدئيا ، ثم تعمل الفحوص اللازمة ؛ وربما هي لا تفكر بالجنس ؛ إنما تريد زوجا .

قال زوجها مستغربا من تقريرها : لا تريد الحياة الجنسية ! ولماذا تتزوج ؟! ولماذا يتزوج الناس ؟!

نظرت إليه وقالت : وهل الكبار يتزوجون للجنس يا إياد ؟!وهل تبقى طاقة وقوة بعد الخمسين ؟!

قال إدريس : أكيد الجنس أيام الشباب ليس كأيام الكبر والسكري والضغط ؛ ولكن الشهوة والبنوة مطلوبان لدوام الحياة الزوجية .. لو كنّا زوجين ومرض أحدنا فعلينا بالصبر والصبر وكان ذلك مقبولا .

هتفت بإصرار : قل نعم أرغب بالزواج.. ودع الباقي عليّ.

قال بشك :آسف فعلا يا سيدة سمر ! لي أكثر من عشرين سنة لم أنم مع أنثى .. وقضيت عشر سنوات مع زوجتي في عذاب ، ولم تحبل امرأتي .

ـ يقولون الرجل قد ينجب ولو عمره ثمانون سنة

ـ والله أسمع بذلك ! بل رأيت زواج مشلول من أنثى .. شكرًا لكم .

ـ فكر فكر يا صديقنا .. وسأتحدث مع هند وأرى ردة فعلها .

ـ يا سيدتي اهتمي بموضوع المرأة التي عملت في خداع وتغرير الزميلات لتحدثنا عن تلك الحيل .

قالت بثقة : أعتقد بعد مضي ثلاثين سنة على تلك الحوادث يمكنها الاعتراف .. اليوم لم تعد

تحتاج الدعارة إلى شقق سرية .. اليوم التصوير بكاميرات الفيديو والصور المتحركة .

ـ اليوم يا سيدتي النوادي الليلة المرخصة والملاهي والحانات ! لم يعد العمل خفية.. فهذه المواخير مرخصة بالقانون ، ومحمية من قبل الشرطة للأسف .. نحن نتقدم عالميا بمثل هذه الأشياء من أجل خاطر السياح .. وضعفت مؤسسة الزواج ، وكثر الطلاق ، وزادت الدعوة للسفور والتبرج، ولم يعد ذلك عيبا !



تعشيا في مطعم في حي الشاعر ، وذلك عن اتصال بينهما ، وكان ذلك بعد صلاتهما العشاء في أحد مساجد حي الشاعر .. وهذه كانت أول صلاة لسيف بعد زمن طويل .. فهو لا يعرف الصلاة ولا الصيام ؛ إنما هو مسلم .

قال سيف لإدريس: أريد أن أصلي أول مرة في حياتي !

فطلب منه إدريس الاغتسال غسل الجنابة ، وشرح له كيفية ذلك الاغتسال .. فهو في حياته كلها لم يغتسل هذا الغسل التعبدي .. ووعده بتفصيل الأمر عندما يلتقيان .. ولا تستغرب أيها القارئ من جهل الكثير من المسلمين هذه العبادة الشرعية ؛لأنهم لا يفقهون الإسلام ، وربما يحسبون أن صلاتنا كصلاة اليهود والنصارى وغيرهم من العباد ، لا يعرفون الإغتسالات الشرعية ؛ إنما الصلاة حركات معينة وانتهى الموضوع .. هؤلاء لا يعرفون الوضوء والاستنجاء ولم يريا والديهم يفعلون ذلك .

كانت أول صلاة كما قال لإدريس في حياته التي تزيد عن الخمسين سنة .. كان إدريس يصلي ومثقفا وملما بمسائل شرعية ، وإن لم يكن شيخا ، ورجل دعوة إسلامية .. وعبر عن سروره تجاه صديقه الحديث ، وكان يرجو له الثبات والقبض على دينه وتوبته .. فالإسلام اليوم يتعرض لتشويه عالمي وإلصاق تهم الإرهاب والوحشية فيه .. كان حديثهم أثناء الطعام عن الصلاة والوضوء ونواقضه ، واستمر الحديث في ذلك بعدما رجعا لبيت إدريس .. وكلاهما يحب السهر وحضر إياد السهرة ، وتعرف الرجلان على بعضهما ، وشجع إياد المهندس على الاستمرار في الصلاة والتوبة .. وبين إياد لسيف صفة الطهارة بناء على رغبة إدريس الذي رأى أنه أقدر منه في الدين والعبادات ..وعلمه الوضوء النبوي والصحيح كما ثبت عن رسول الله ﷺ من النية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق وغسل الوجه واليدين إلى المرفقين ، ثم مسح الرأس مع التمثيل لما حصل ، وختم

بغسل القدمين إلى الكعبين وذكر الوضوء الثابت عن النبي ﷺ ، ثم مثل له الاغتسال دون استعمال الماء وأعطاه رقم هاتفه الخاص للاتصال به عند الحاجة لأي مسألة شرعية .. واستعار كتابا صغيرا من إدريس حول هذه العبادة .. ولما انتهى الدرس الديني حدثهم إدريس عن مقابلاته لسمر . وختم قائلا: أتعرفها أيام الجامعة ؟

فأبدى سيف معرفته لها وإن لا يتذكرها جيدا اليوم . فقال إدريس : إنها عاصرت فترة دراستكم في الجامعة .. وهي على معرفة وصداقة جيدة مع سوزان ونبيلة ومراد مع إنها طالبة تمريض .

فقال سيف معقبا : كانت تتردد كثيرا على كلية الهندسة من أجل الشباب اليساريين ..وتعرف نبيلة بحكم تدريبها في المستشفى التعليمي حيث كان والد نبيلة مدير المستشفى .. وكنا نتردد نحن على المستشفى لعلاج طارئ ومستعجل أثناء الدوام والمحاضرات ومعالجة الرشح والزكام والإنفلونزا الموسمية والجروح فعرفناها .

فقال إياد :إذن قابلتها .

قال إدريس : نعم ، قابلتها وزوجها .. وتحدثت عن الكيفية التي دخلت بها الحركة اليسارية والماركسية ، وأكدت لي موضوع الشقق السرية للسهرات واصطياد الفتيات ..وأنها التقت ببعض الضحايا ، وساعدت على إنقاذهن من العمل في الدعارة .. وأنها تعرف بعض المتورطات في اصطياد الفتيات والشباب.. وأنها ستحاول إقناع إحداهن بالحديث معي

فقال إياد بتعجب ظاهر : معقول ذلك !

ـ هذا ما وعدت به .. وأنا لا أعتقد أن إحداهن أو أحدهم يقبل ذلك .

ـ لا تنسى زوج وأهل الفتاة أو المرأة.

قال إدريس : العجيب يا إخوان أن لسمر شقيقا من أمها وأبيها إمام مسجد دكتور في الشريعة الإسلامية ، واضطررت لمقابلته؛ لأعرف كيف تحولت للشيوعية من بيت مسلم .

وتحدث قليلا حول مقابلته لسمير.

قال سيف : يبدو أن موضوع الشيوعية راق لك .

ـ كان هو سلم الوصول للمعلومات .. فمراد شيوعي يا مهندس سيف .. ولن نخسر بنشر بعض المقالات عنهم للأجيال القادمة .

وقال إياد : شقيقها شيخ حقيقي ، ولم يستطع إعادتها الدين .

ـ لليوم لم يستطع .

قال سيف : دنيا عجيبة فعلا ! لم يستطع نقلها من الفكر الأعوج.

قال : الأمر ليس سهلا يا سيف ! كان هذا الفكر في مطلع الستينيات مهوى الكثير من الشباب الجامعي على مستوى العالم .. غرق العالم بالمادية

والوجودية والإباحية .. والعالم الإسلامي كان يستفيق من سباته برحيل الاستعمار عن كثير من بلدانه .. فكان ينظر للفكر الماركسي هو المحرر لنا من ربقة الاستعباد ..كان الصراع محتدما بين الشرق والغرب .. أنا أقول أن ذلك العقد هو العصر الذهبي للشيوعية العالمية .. كوبا الصين فيتنام .. وكانت الدعاية قوية لبيان إنجازات الروس والقوة العسكرية الروسية .. والفتاة بينها وبين شقيقها ست سنوات كانت مغرقة في الإلحاد .. وهو على مقاعد الدرس الأساسي .. وهي اهتمت بالماركسية في المدرسة الثانوية ، وتغلغلت فيها بالجامعة .. ووالدها كان عسكريا جاهلا بخطر هذا الفكر ، وتقاعد على رتبة عقيد .. وبدا لي أنه كان متساهلا معها .. وقد ولدت بعد ثلاث سنوات زواج ، وهي البكر .

قال إياد : هو لم يكن شيوعيا ولا متعاطفا !

ـ في الجيش كما تعلم يمنع الالتحاق بالأحزاب السياسية .. أما التعاطف فلست أدري .. لم يقل سمير ذلك ؛ إنما هو تساهل وتهاون وجهل بماهية الفكر الماركسي .. والأمر الثاني أن السيدة سمرا ترشحني لأن أكون زوجا. صاح إياد : زواج ! زواجك أنت .. هل منها ذلك أو لمحت به أنت ؟! لم يعجب إدريس من دهشة إياد فمنذ ترمل وهو يحبب له تكرار الزواج . فقال : لم أطلب منها ذلك ، ولم ألمح بي ؛ لأني نسيت الزواج من قاموس الحياة .. ليس بغضا في النساء كما هو حال صديقنا سيف .. أنا لي عشرون سنة لم أقرب أنثى لما تخبره عني يا إياد .. وشطبت الموضوع من أفكاري ، مع أن الدين ـ يا مهندس سيف ـ يرغب بالزواج ؛ ولكني كما أخبرتم غير صالح للنساء والخلافة .

فقال سيف : وكيف رشحتك المناضلة الحمراء ؟!

ـ جميل ! المناضلة الحمراء .. هناك سيدة أرملة وغنية ، وعندها بعض التدين تريد زوجا عنده بعض التدين .. تريد مسلما محترما يصلي ويصوم

قال إياد : المناضلة تتحدث عن زوج كهذا!

قال إدريس : نعم ، دعني أذكر الأسماء ؛ ربما سيف يعرفها بحكم المجاورة .. السيدة نبيلة خالد زوجة سيف الأولى والأخيرة تزوجت من قريب والدها بعد الطلاق .. وولدت له بنتين هند وزينب وولدا نسيت اسمه .

قال المهندس سيف : أعتقد أنه خالد على اسم أبيها بسبب ولادته بعد موته .. من ستتزوج ؟!

ـ زينب أرملة وهي متدينة بسبب زوجها المتدين .. وكانت تلبس اللباس الشرعي المحسن .. ابتعدت قل عن السفور والتبرج الصريح كما فهمت من سمر.. وسمر صديقة لنبيلة وسوزان من أيام الجامعة ، وظلت الصداقة بعد الجامعة ، وتعرفت سمر على بنات نبيلة الطبيبة هند والصيدلانية

زينب ، وحتى أن شقيقهن طبيب .

قال سيف : أجل طبيب معروف في الحي .

ـ هند ترغب بتزويج أختها الأرملة ؛ وكأن المرأة تريده متدينا كزوجها يتمسك بمظاهر الدين كصلاة وصوم ولباس وبعد عن الخمر ، تعودت على ذلك .. ولأنهم يعلمون أن لسمر شقيقا يعمل إماما لمسجد ؛ فكأنهم لا يعرفون سوء العلاقة بين الأخوين .. أرادوا منها عريسا لزينب وكذلك طلبت أمها أم نبيلة أو نبيلة نفسها من سمر ذلك .. وأرسلت سمر لها عريسين ، ولم تقبل بهما الفتاة .. ومن خلال حواري معها عرفت أن أصلي وملتزم بالإسلام التقليدي وغير متشدد كما يقال عن أمثالي ، فعرضت عليّ ذلك ..وسمر تزوجت طالبا تعرفت عليه أيام الكلية ثم طلقها وطلق الشيوعية معها وهاجر إلى أمريكا ، ثم تزوجت رفيقا آخر .. ووالداها ماتا ، وعلاقتها ضعيفة بأهلها منذ اعتناقها الشيوعية وتخرجها وزواجها .. فهي لا تستطيع أن تطلب من سمير فرشحتني للزواج .. وتعذرت لها بهجري للزواج من يوم ترملت ولكنها مصرة على زواجي والسعي فيه .. ويا ترى أتوافق سيدة كزينب على متسول مثلي أم لا ؟! وهي من سكان حيكم يا سيف ؛ لتعيش في مثل شقتي .. وفهمت من سمر أن لها صيدلية كبيرة في الحي .

ـ أعرفها ؛ وربما ابتعت منها بعض الأدوية خاصة في ساعات الليل المتأخرة .. والله إذا قبلت بك تزوجها .. أنا رأيتها كذا مرة ، وحدثتني كذا مرة .. وهي تعرف أنني كنت زوج أمها في أيام الشباب .. وأعرف هندا ، وتكلمنا في مناسبات عرضية ، وأحيانا تمزح وتمازحني هند كيف حال زوج أمي الأول ؟ فأتطلع فيها ربما ابتسم .

وتابع سيف مفسرا : في مناسبات اجتماعية كنت اضطر لحضور بعض الوقت ، مثل زواج أخت، بنت وابن أخت أو زواج ابن وبنت أخ .. عزاء قريب جدا ..فكنت أصدف أفراد من عائلة الدكتور خالد .. مهما حاولت الاختفاء لابد أن تظهر لمناسبة ما ..وحتى نبيلة رأيتها بضع مرات ونحي بعضنا بالإشارة وهمس وتمتمات .. والحقيقة أن زوجها الدكتور غريب لم يكن عفيفا معها يا إدريس ويا إياد .

فعقب إدريس: كانت مجرد زوجة ..هو كان يحلم بالاستفادة من والدها بالتقدم إداريا داخل الوزارة .. وقد اتهم بالاعتداء على قاصر ، وأوقف عن العمل حينا من الزمن .

ـ صحيح ، سمعت بهذا.

ـ النساء يتكلمن ..وتزوج فور وفاة زوجته بأسابيع قليلة.

قال سيف : هو تزوجها بعد طلاقي رغبة من

والدها خالد .. وكان يطمع بها زوجة قبل زواجي منها ، وكان ظهوره كزوج من أسباب زواجنا ونحن في الكلية .. خدمه القدر وعينه المرحوم خالد في الحكومة وبعد الزواج في الإدارة فور تسلمه منصب الوزير ، بعدما كان يخدم في مستشفى كطبيب ..هو درس الطب في بريطانيا كما سمعت من نبيلة ، مثل أبيها .. وهو ما زال يمارس العمل الإداري.

قال إياد : المهم أنت لا ترغب بالزواج منها لماذا يا عزيزنا ؟!

قال سيف : إذا استطاعت هذه السمر أن تقنعها بك تزوجها .. هي فعلا متدينة .. تلبس الجلباب الطويل .. وهذا كان يثير استغرابي .. كنت أظنها موضة .. اليوم عرفت السبب أن ذلك بسبب زوجها المتدين .. وهذا نادر في بنات الطبقة الثرية والبزنس .. وحي بهية اليوم ليس هو الحي القديم .. ففيه من الطبقة الوسطى والأقل ماديا حتى الفقراء .

قال إدريس : وهل أستطيع العيش معها يا سيف ؟!

تبسم سيف وأجاب : تستطيع ..وما ينقصك ؟! امرأة في الأربعينيات أو قريب منها .. فهل ستتزوج صبيا أو شابا صغيرا ؟

ـ كم ترى عمرها ؟

ـ أنا تزوجت أمها في منتصف الستينيات ، وطلقتها في نفس العام .. وهي تزوجت الدكتور غريب في حزيران من عام ١٩٦٥ يبدو أنها أصغر مما حسبت.

ـ هي أصغر من هند بعام ونصف.. وقد تزوجت أثناء الدراسة في الجامعة مثل ما حصل مع أمها ..وهي درست في تركيا .

قال إياد: من أين حصلت على هذه المعلومات ؟

ـ من سمر.. هي تتحدث تلفونيا من أجل المقال ، ويعرج بنا الحديث حول زينب وموضوعها ولديها طفلة تعيش مع أم زوجها الميت بناء على رغبة الجدة .. وهي دون العاشرة ، وتقضي أيام العطل عند أمها .. وهناك أيها السادة أمل في لقاء امرأة كانت تشارك في الشقق السرية وتحاول سمر إقناعها بالحديث معي .

فقال سيف : أرى أنها صغيرة عليك .. كيف تريدك سمر زوجا لها ؟! ألا تعرف عمرك ؟

وعقب إياد: صغيرة فعلا .. المرأة إذا اجتمع إليها رجل ستطلب حقها الشرعي في المعاشرة ..

وأنت تحتاج لعلاج .. تحتاج لامرأة من سنك .

فقال إدريس : العلاج اليوم أفضل من الأمس .. اليوم تجد المنشطات الجنسية والأدوات المساعدة الطبية ؛ لكن هل هذا يقنع المرأة ؟وخاصة إذا كانت ترغب بالذرية والحمل .. لا أعتقد أنها تقبل

بي وأنا ابن ست وخمسين سنة .. وإذا فكرت بالزواج جديا سأتزوج امرأة تصغرني ببضع سنين .. امرأة يائسة من الخلفة والولادة .. وسمر تحدثني عن طفل الأنبوب والله حلو أن يصبح الرجل أبا يا سيف ! ولو على كبر ، كما حصل لسيدنا إبراهيم، ومن بعده زكريا .

قال إياد : فعلا اليوم نسمع عن طفل الأنبوب والتلقيح الخارجي ؛ بل نسمع عن حمل خارج الرحم واستئجار رحم وتجميد النطف في بنوك المني .

قال سيف : هل فكرت بالزواج قبل حديث سمر ؟

ضحك إياد وإدريس وقال إياد : منذ ترمل يا حضرة المهندس ونحن أنا وإخوته وأخواته نعرض عليه النكاح والتوكل على رب السموات والأرض .. إنهن لا يعرفن الضعف الجنسي وضعف الباءة .. عندهن الطب حلال المشاكل الإنجابية .. فلانة وفلانة عشر سنين ثم ولدت فلان نكح فلانة عشرين سنة ، ثم انفصلا ، هو تزوج وولد له ، وهي تزوجت وولد لها .. الصحيح يا سيد سيف الأستاذ العزيز إدريس قصر في ذلك .. الطب فعلا كل يوم يتقدم .

قال إدريس: فكرت كذا مرة بالزواج منذ ترملت ؛ لكن المعاناة التي كانت بيني وبين المرحومة بسبب ضعف الإخصاب تقف حاجزا لصرف النظر .. وكل مرة أهم بها أتذكر ذلك .. ثم أني مرتاح في حياتي يا سيف تأقلمت أو تبرمجت معها .. كانت مشكلة الخلفة مزعجة جدا لي .. صحيح النفس تتوق للنساء وللولد .. صحيح لما ير الإنسان الأطفال لإخوته وأخواته وجيرانه يتمنى أن يكون لديه مثلهم ؛ لكن قدر الله غالب .. الأمر له سبحانه .. أخذت بأسباب العلاج سنوات وسنوات دون فائدة .

قال إياد : كله بأمره .. ما أنزل الله من داء إلا جعل له دواء .

قال سيف: ما دامت سمر تريد ذلك ، وترى أنك مناسب ، فدعها تسعى لذلك .. فإذا قبلت البنت تزوجها .. وكما أشرتم الطب يتقدم ؛ وربما تتمكن من الإنجاب عن طريق الأنبوب .. من المهم أن تكون البنت على بينة من وضعك الجنسي وضعف الإنجاب .. فهي في عز الفترة لإنجاب الأطفال .. والله جميل أن يكون لك ولد يا إدريس بعد هذا السن ! أنا أعتقد أن لها أربع سنوات أرملة .. ووالدها هل يقبل ؟!

رد إياد فقال: أعتقد أن والدها مجرد ديكور يا مهندس سيف ما دامت علاقته بأمهم نبيلة ضعيفة ولم تكن طيبة ، وتزوج بعد موتها بزمن يسير

فقال سيف : هو تزوج لتغطية فضائحه ، لقد

كانت كثيرة ومنتشرة بيننا كعائلات .. هو تعلم في بريطانيا الطب ، وتعلم معه العيش مع الخليلات .. أنا الذي لا يهتم بحياة الناس أسمع قصصه ومغامراته النسائية .. فزواجه شكلا ، ومثله كثير في الحي .

تلقى إدريس اتصالا من الطبيبة هند غريب ، ولما انتهت المجاملات التقليدية ، قالت : هل جد جديد في شأن الصورة ؟

أدرك أن ذلك تبريرا للاتصال فقال باسما ومجاملا : لا جديد يا دكتورة هند ! وصرح قائلا : أنا على موعد مع إحدى فتيات ذلك الزمن اللواتي عملن في مثل تلك الشقق السرية .. ولعل لها دورا إذا وافقت على اللقاء والحديث عن ذكريات الماضي .. فالأمر حساس ودقيق .. وهذا بجهد من السيدة سمر صديقة أمكم في ماضي الزمان .

ـ حدثتني سمر عن لقاءاتك بها .. فهي صديقة لي بمقام الأم .. ونحن نعمل في القطاع الطبي ثم حدثتني أمرا آخر .

تجاهل الإشارة وقال : أمر .. ما هو ؟

ـ زواج شقيقتي .

ـ آ .. تذكرت .. لقد تحدثت سمر معي بمثل ذلك ؛ لكني بينت لها أن زمن الشباب ولى .. ولي عشرون سنة أرمل غير صالح للعمل يا دكتورة .. وإلا تزوجت من سنوات وسنوات .

ـ أنا أختي أصغر منك بكثير يا أستاذ إدريس ولديها ظروف .

ـ أنا دخلت في السادسة والخمسين .

قالت : هي تقترب من الثلاثين .. هي تزوجت صغيرة أثناء سنوات الدراسة الأولى لظروف معينة .. قد تعرفها في المستقبل .. قبلت في بعثة طبية في تركيا لعلاقات خاصة لأبي بالأتراك .. فزوجها أبي قبل سفرها .. وكان الأمر غريبا علينا .. ولكن الرجل قريب لأبي .. وقبل قبلها كطالب في تركيا في الطب البشري .. وعاشا هناك حوالي عشر سنوات .. كان والده يملك مال قارون .. عاشت بعيدة عنا .. وتدينا هناك .. فقد كان زوجها أحمد متدينا .. والتحق بإحدى الجماعات الدينية هو وهي .. وكانت جدته تركية الأصل .. ولما رجعا توظف ، ومرض ، ثم مات ـ رحمه الله ـ ولم تلد شقيقتي إلا ابنة واحدة .. وهي تعيش مع جدتها والدة الدكتور أحمد .. وأختي لما تحدثنا بموضوع زواجها بعد حين وافقت من حيث الفكرة على أن يكون متدينا غير متعصب كما ترى في بعض الشيوخ

ـ فهمت ذلك من السيدة سمر ؛ ولكني عجوز بالنسبة إليها يا دكتورة .. وأنا لم أستوعب اختيار سمر لي .

قالت : رأت أنك متدين بدون تعصب لفئة أو

حزب وبدون لحية ودشداش.. رأت فيك صفات قد تناسب في رأيها زينب أختي .. فهي كما قلت لك صديقة حميمة لأمي وللعائلة .. وأمي طلبت منها ذلك قبل موتها بأكثر من سنة ، وكانت جدتي والدة أمي ترغب أمي بتشجيعها على الزواج ثانية ..وقد يكون فارق السن مهما لو كانت زينب لا تعاني من بعض المشاكل المهمة .

ـ أنا أراه مهما يا دكتورة .. فأختك نصف عمري تقريبا .. وأنا قضيت عشر سنوات مع زوجتي في معاناة وتعب بسبب عجزي عن الإنجاب.. طبيب من هنا ، وآخر من هناك.. المهم شيبتني ولي عشرون سنة دون زواج .. كلما أهم بذلك أتذكر حياتي السابقة فاضعف .

قالت : نحن لم نفاتح زينب بالأمر .. هو كلام بدأت به سمر واعلم أن أختي لا تلد ، فبعد ولادتها لابنتها الوحيدة اضطرت طبيا لإزالة الرحم .. فهي لا يمكن أن تفكر بالحمل ؛ ربما هذا ما شجع سمر أن تعرض الأمر عليك .. فأنتما متساويان في هذه القضية . تنهد إدريس وقال : آ فهمت الآن ؛ إنما تريد زوجا فحسب .

ـ نعم ، زوجا يسترها وتستره .. زوج مناسب ، لا يهتم بالخلفة والولادة .. سمر فاجأتني باختيارها لك .. وطلبت مني الحديث معك لتأخذ الموضوع بشكل جدي .

بعد صمتها بلحظات قال إدريس : أتعلمين يا دكتورة أن المهندس سيفا تحدثت معه من أيام بهذا العرض فرغبني بالزواج من السيدة زينب .. وقال إذا قبلت بك ورغبت بالذرية فهناك طفل المختبر والأنبوب .. وذكر أنكم تلتقون في مناسبات اجتماعية وتسلمون على بعض .

ـ نعم ، نحن نعرف المهندس سيفا حق المعرفة .. هو الذي عزل نفسه عن الناس ، ويبغض الاختلاط بهم .. وكانت أمي تتألم له ومن أجله ، وتعلم أنه تعرض لكيد ومكر ، وتسرع في الطلاق .. على كل حال على رغم صغر أختي بالنسبة لك ؛ فإذا كان لك رغبة بالزواج من جديد فكر جيدا ومعمقا قبل أن أعرفك بزينب .. وهي تعرفك نظريا لاهتمامك بموضوع تلك الصورة المدمرة ، فقد حدثتها عن ذلك الاهتمام .. وهي بحاجة لبيت الزوجية .

قال : أشكر لك اهتمامك بنا وتوكلي على الله يا دكتورة .. وسأفكر بعمق بمسألة الزواج بعد سماع مشكلة الرحم .. أنا طبعا تعرضت خلال السنوات الماضيات لضغط من الإخوة والأخوات من أجل البناء من جديد .. ولكني صراحة تعقدت من زوجتي الأولى وإلحاحها القاتل على العلاج ، لم تيأس حتى ماتت فجأة .. تعالجت دون فائدة .

ـ ما دمت يائسا من الذرية فهذا مما دفع سمر لاختيارك زوجا لشقيقتي .. ولم تحب سمر أن توضح لك ظرف زينب قبل موافقتك وعرض الأمر عليّ .

ـ الإسلام كما تعلمين يشجع على الزواج وترك العزوبية .. سأفكر بجد كما طلبت ولكن ...

ـ ولكن ماذا ؟!

ـ أنا لست غنيا مثلكم .. أنا أعيش على قد الحال على راتب التقاعد .

ـ إذا حصل النصيب فزينب لا تنظر للمال وإلا تزوجت من أرامل الحي وأغنيائه .. هي ترغب بمتدين لتبقى على ما شبت عليه .. وهي ما زالت تزور تركيا لحضور مناسبات دينية عند تلك الجماعة التي انتمت إليها .. وهم ما زالوا يزورونها ويتواصلون معها .

ـ لم أفهم هذه الجماعة !

قالت : كأنها فرقة صوفية أو شبيهة بها ..لا أعرف تفاصيل مثل هذه الجماعات ؛ لكنها منتشرة في تركيا وبلدان أخرى .. المال ليس عقبة ، بس ربما تضغط للحياة في الحي في منزلها .. وقالت سمر إنك تملك شقة خاصة

ـ نعم ، لي شقة في حي الشاعر بنيتها أيام الشباب ..ورأي الدكتور الوالد

قالت : لا يتدخل فينا .. هو متفرنج أكثر من الغربيين .. مجرد أب كما نقول .. فهو يرى أن الأنثى حرة في حياتها ما دامت قد بلغت سن الرشد وكذلك الشاب .. فكرة أوروبية .. وأخي خالد أصغرنا .. وهو طبيب مثلي ..لا أعتقد أن يرفض وينظر لفارق اجتماعي ومالي .. اليوم الآباء والأمهات والأقارب تدخلهم بسيط ، وحتى في المشاكل الزوجية دورهم عندنا محدود كل واحد يدبر أمره .. وأنت أصبحت صديقا لنا .. فوالدي لم يكن اهتمامه بالأسرة كبيرا .. وتعلمنا من أموال أمنا .. وإن لم يقصر معنا ؛ لكن أمي عملت كمهندسة كما تعلم، وورثت عن والديها المال الكثير .. فكانت علاقتنا بأمنا أكثر قوة .. شكرًا .

وضع إدريس السماعة بعد هذه المكالمة الطويلة ، والتفت إلى صديقه إياد الذي كان في زيارته وقال : أمر محير ! هذه أخت العروس الدكتورة هند .. إنهم يرغبون بتزويجي من البنت ؛كأنني طلبت منهم ذلك .. عقلي يقول لي غامر .

وروى لإياد ما يتذكره من المكالمة ، فقال : شيء غريب فعلا يا إدريس ! هل خلت الدنيا من الرجال أم هو القدر ؟ تعرفك على سيف .. لقاءات مع رفاق سيف ، ثم حديث عن زواج .. وهذا العيب في الفتاة من حظك يا صديقي حتى لا تطالبك بعلاج ويتبعه علاج .. وهل تعلم سمر أنك لا تنجب ؟!

ـ أكيد علمت أو فهمت .. وأعتقد أنها تعلم من سوزان قبل اللقاء بها .

قال إياد مشجعا : عندما تقابل الفتاة ،وتتحدثان بكل صراحة ،وترى وجهة نظرها غامر ؛ لكن تسلح بالمؤخر ، لا تجعله كبيرا فوق الطاقة ، وهم ليسوا بحاجة لمال ؛ لكن الكبر .. أحدهم تزوج فتاة ، وطلب والدها خمسين ألف مؤخر زواج .. ومن أجل فلان وفلان تنازل عن خمسة

ـ أنت ترغب أن تراني زوجا .

ـ هذا من زمان .. وما زلت أتمنى أن تتزوج .. البيت مهما كانت الظروف يحتاج لقرينة .. فكلنا يرغب أن يراك زوجا .. والبنت ما دامت قد فقدت الرحم فسوف تقل رغبتها بالمعاشرة الزوجية ..فلن تتعبك يقال إن الرحم المفقود يضعف هرمون الأستروجين .. هرمون الغريزة الجنسية .

ـ شكرًا إياد إنك دائما تشجعني على ذلك .. سأتحدث مع سمر وهند وسيف وزينب، ثم مع أخي الكبير أبي نصر وأختي أم حاتم .. أنت موافق .

قال مبتهجا : طبعا موافق .. إذا حدث الزواج فأنت ستصبح من سكان حي بهية ومن الأثرياء ومن الروعة أن يكون لك صديق ثري ومن أهالي بهية تزوره .. ولما الواحد يزورك يصحب زوجته معه مثل باقي البشر .. ولا تجعل الشيطان يشرق بها ويغرب بسبب تأخره عن البيت .

ضحك إدريس وقال : معك حق.

وبعد انتهاء ضحكهما انصرف إياد مودعا وداعيا ، وقبل المقابلة الرابعة التي يسعى إليها في سلسلة المقابلات التي اخترعها ؛ ليعرف أحداث تلك الصورة تكلم مع السيدة سمر ، وحدثها عن اتصال هند الطويل ، وطلبها منه التفكير بعمق وجدية بموضوع الزواج من شقيقتها ، وأنها تراه الرجل المناسب لها ، وأنه يرغب بلقاء خاص بزينب لفهم وجهة نظرها بالاقتران به ، ويرغب بالحديث معها في أمور خاصة ، والتعرف عليها وجها لوجه .

هتفت سمر فرحا وقالت : ممتاز يا أستاذ إدريس ! صدق لما عرفت أنك أرمل ، وتعاني من زواجك القديم ، تشجعت لعرض زينب عليك .. أنت تحدثت مع سوزان عن حياتك الشخصية .. فوقع في نفسي أن أعرض عليك زينب ، فهي مثلك تعاني بسبب يأسها من الإنجاب بعد ولادتها وحيدتها وترملها المبكر ..قلت أنت الرجل المناسب .. وقلت لسوزان سأتكلم معه فهو أصبح صديقا لنا .. فهي لا تريد أطفالا ، تريد زوجا كسائر الناس يعيشان الحياة الزوجية .. الوحدة بالنسبة لها مؤلمة يا إدريس.. تعيش وحدها في قصر .. وهي غير

منسجمة مع بيئتها تتألم بصمت .. لا تحب السفور مثلنا ، لا تحب الشراب والسهرات .

قال: حدثتني هند عن إزالة رحمها ، وإن البنت الوحيدة تعيش مع جدتها.

ـ نعم ، أيها الصديق أنت المناسب لها بما أنك عاجز عن الإنجاب .. ستعيشان بسعادة .. وهي طيبة وتحب الخير والصدقة ، وتسافر إلى تركيا سنويا من أجل دفع المال لجماعة أو جمعية دينية تنتمي إليها.

ـ نعم ، أنا عاجز عن الإخصاب ، وعانيت منه في سنوات زواجي كلها .. علاجات كانت نتيجتها صفر .. وهذا كان يرهبني من تجديد الزواج ، حتى فكرت أن أتزوج أرملة ، وأربي أولادها .. ولم يتيسر ذلك يا سيدتي .. تحدثي مع هند الدكتورة وشقيقتها من أجل لقاء أولي لقاء تعارف .

قالت : لا بأس ، الآن سأتحدث مع صديقتنا هند .

انتهت الحلقة٣

روايات اجتماعية

امرأة نزيه

الحلقة الأولى

نزيه في الجامعة

لما التحق نزيه يوسف في كلية التجارة حسب رغبته كان معه ابن عمه رافع محمد كلاهما في نفس الجامعة ، ذهب رافع إلى كلية التربية تخصص الرياضيات ؛ لتحقيق رغبته بأن يكون معلما لهذه المادة في قريته جمالة أو ما حولها من القرى رغبة في التدريس والعمل مع أسرته في الزراعة والحقول ، لم يكن محبا للحياة في المدن الكبرى كابني عمه نزيه وإبراهيم .

كان إبراهيم الابن الذكر الأكبر ليوسف الجمالي ، وقد سبقهم بعام دراسي واحد ، فبينه وبين نزيه من العمر سنة وبضعة شهور ، وهو طالب في كلية الحقوق السنة الثانية ، وكان مستأجرا شقة مع زميل من جمالة ، ولما حضر نزيه ورافع للدراسة الجامعية ترك الشقة عن رغبة واتفاق مسبق بينه وبين إبراهيم ؛ ليفسح المجال لهما ، وانتقل للعيش مع قريب له كما كان مرتبا بينهم فقد سمح له إبراهيم للعيش معه بدون مقابل من باب الإحسان والجيرة . وكان مع نزيه في الجامعة من بلدة جمالة كثير من أبناء الفلاحين والقرية ، فكان معه سوى رافع زميل شاب اسمه نعيم أشرف درس الثلاثة الثانوية في مدرسة واحدة ، ودخل نعيم ونزيه كلية التجارة سوية كذلك ، فكانوا رفاق درب ، وكان معهم طلاب آخرون من القرية قد سبقوهم للجامعة ، وممن انهوا الثانوية معهم . كان أهل القرى والريف الفلاحون يحبون إعطاء أبناءهم فرصة للتعليم والدراسة اذا اجتازوا الثانوية العامة

، والناس تحاكي بعضها البعض ، وتنظر وتقلد لبعضها البعض ، والشهادات تحقق لهم المستوى الاجتماعي ، وتعلي من شأنهم أمام بعضم البعض ، ويفخر الأهل بتعليم الأولاد وتدريسهم ، وقد يملك بعضهم مالا أكثر من مائة شهادة وشهادة .
العادة أن أهل القرية والريف يعرفون بعضهم بعضا أكثر من أهل المدن ، فالقرية تعداد سكانها أقل كما هو معلوم ؛ فلذلك ترى الناس في القرية يعرفون بعضهم ، حتى أن بعضهم تراه يعرف نساء وبنات الناس ، هذه امرأة فلان ، وتلك بنت حمدان وهذه أخت زيد ، وحتى أنهم يمكنهم أن يعرفوا بعضهم بسبب اللهجة أو كلمات يلفظها سكان وأهالي منطقة ما فيعرفون أهل تلك البلدة ، فكذلك شبان وبنات جمالة تراهم يحيون بعضهم عند كل لقاء . أما من ولدوا في المدينة فيصعب عليهم معرفة أبناء قريتهم من لهجتهم وطريقة لفظهم الكلام فأهل المدينة لا يعرفون بعضهم إلا اذا جرى تعارف واحتكاك بينهم .
وممن كان في فصل وسنة نزيه من أهل جماله زميله في المدرسة الثانوية نعيم اشرف كما ذكرنا ، وممن رافقهم وصحبهم من طلبة المحاسبة في كلية التجارة الطالب سليم عبد الله ، وهو من سكان مدينة سلام الدين ، هؤلاء الأربعة كانوا رفاقا وقريبين من بعضهم بعضا ؛ كأنهم أشقاء ثلاثة في كلية التجارة ، ورافع محمد طالب كلية التربية ، وهو رفيقهم بحكم أنه ابن عم نزيه يوسف وصديق لنعيم اشرف ابن بلدة جمالة . ونزيه ورافع يعيشان مع إبراهيم يوسف طالب الحقوق ، وهو يسبقهم بعام واحد فحسب ، وكان بيته المستأجر من عام قريبا بضعة كيلو مترات عن الجامعة ، وذكرنا أنه سمح لزميل أن يحيا معه العام المنقرض ، ونعيم سكن مع قريب له في قلب المدينة ، وأما سليم فيعيش مع أهله وبيت والده وأسرته .
وكان الأربعة يلتقون في غير الجامعة في مقهى الجامعة الذي يقع في شارع الجامعة ؛ حيث يلتقي الطلبة من جميع الكليات للحديث والدردشة وشرب الشاي والقهوة والمثلجات بأنواعها ، والمقهى هذا يستقبل الجنسين لم يكن خاصا بجنس كما في بعض المقاهي في المدن ، وهذا كان في الثلث الأخير عام ١٩٦٠. يجلسون للحديث عن المحاضرات والمواد الدراسية ، ويعلقون ويسخرون على المحاضرين والمدرسين ، وتصرفاتهم وحركاتهم والطرائف التي تحدث بين المحاضرين والطلاب ، وما يحدث من نشاط بين الطلاب والكتل الحزبية والإدارة والأمن الجامعي والأمن السري، وما ينشر بين الطلاب من نشرات سرية وعلنية وبيانات سياسية حول قضايا الداخل والخارج .

كان نزيه مجادلا ومناكفا من ثانوية جمالة ، ومحبا للنقاش والجدل ، ولا يتقبل المعلومات بسهولة ودون معارضة وعقلانية قبل أن يستسلم للمعلومة المطروحة ، وهو من عشاق القراءة والكتب والمجلات والجرائد وسماع الأخبار ، ومناقشتها ، ويتحدث في السياسة والعلوم والفلك والنظريات والبديهيات وتحركات الزعماء والأعلام ، وكان الأحداث المهمة تلك الفترة من الزمن الثورات العربية في شمال أفريقيا والوعود الفرنسية لهم بالاستقلال ، وشغلتهم وحدة مصر وسوريا باسم الجمهورية العربية المتحدة ، وسعي إمام اليمن بالانضمام إليها ، وأن تحرير فلسطين قد اقترب ، وكان الاستعمار الأوربي يرحل عن البلدان العربية رويدا رويدا بعد أن زرع الحركة الصهيونية في قلب العالم العربي في فلسطين العربية فقد ظهرت قبل أعوام دولة اسمها إسرائيل على أرض اسمها فلسطين الساحلية ، واستولت مصر الملكية على غزة أو قطاع صغير من غزة التاريخية، وكانت الأحداث دائمة ومستمرة في هذا القطاع الجزء الفلسطيني على ساحل البحر المتوسط . وحديث فلسطين عنوان الصحف والمقالات والمجلات العربية والعالمية والإذاعات وهو الخبر المتصدر كتابة وصوتا ، والشباب والأحزاب ديدنهم نقل الأخبار والتعليق والتعقيب عليها ، كل حسب ثقافته وميوله الفكرية

ونزيه ورفاقه شأنهم شأن الشباب في ذلك الحين ، وكان الطالب سليم من شباب فلسطين وأحد المهاجرين من حرب ما يسمى النكبة ـ فقد سمي عام الخروج الفلسطيني من قراهم والساحل الغربي نكبة فلسطين ـ إلى مدينة سلام الدين احدى مدن العرب في القرن العشرين ، وهو شاب من أسرة وطنية ، له أقارب وأعمام قتلوا سواء في جيش الإنقاذ العربي أو الجهاد المقدس جيش عبد القادر الحسيني المناضل الشهير الذي قتل على أرض القسطل ، بلدة مقدسية . عام النكبة والهجرة الفلسطينية عام ١٩٤٨، فقد طرد ما يقارب المليون إنسان من قراهم ومدنهم التي تزيد عن ٥٠٠ قرية ومدينة ، هي كارثة بحق رغم استخدام العالم لكلمات وألفاظ لتهون الأمر على المشردين لليوم ؛ حيث تسطر قصة نزيه يوسف .سقطت البلاد والعباد على أيدي شرذمة من اليهود كما سماهم القرآن على لسان المجرم العالمي فرعون ، فهم يزعمون أنهم أحفاد وذرية يعقوب وهو إسرائيل . سبعة جيوش عربية سوى مجاهدي فلسطين سعوا إلى صد ومنع قيام دولة صهيون حتى أن رافعا قال لسليم بتردد وحيرة : أيعقل أن تغلب إسرائيل الناشئة سبعة جيوش عربية؟!

ضحك سليم وقال : صحيح وهذا هو الواقع ..

هزمت الجيوش السبعة يا أستاذ رافع!

ـ كيف تم ذلك؟!

ابتسم سليم لرافع قائلا: أنا كنت طفلا ابن عشر سنوات يا صديقي وأخي ! أدرك الرحيل من القرية مشيا على الأرجل ليلا نهارا إلى تجمعات شرقا.. حيث ما يعرف اليوم بالضفة .. ومنها إلى مدينة سلام مدينتنا هذه للحياة والعمل .. هذا ما حصل .. قام الجيش الصهيوني الهاجاناه بطردنا من قرانا ومدننا .. رحلنا عن الرملة .. مدينة مهمة وسط فلسطين غرب بيت المقدس مدينة شهيرة في التاريخ .. أول من أنشأها الأمويون خاصة الخليفة السابع سليمان بن عبد الملك وكما تعلم واشتهر تفرق أهل الساحل الغربي لفلسطين شرقا وشمالا وجنوبا وبعضهم ركب البحر جهة مصر خاصة من كانت جذورهم من مصر .. فلسطين تاريخ حافل وعجيب من الغزاة .

قال نزيه مؤكدا : فعلا تلك الديار كل أجناس العالم أو أغلبها جاءت إليها .. الحملات الصليبية جلبت بشرا من جل أنحاء أوروبا إليها.. تابع يا سليم.

قال : شكرا يا نزيه ! حتى من يسمون أنفسهم باليهود أجناس شتى فيهم الفرنسي الأمريكي الألماني الروسي البولندي .. يهود العرب المغرب مصر العراق .. الحديث ذو شجون كما يقال .. حقيقة حياتنا نحن الفلسطينيين عجيبة.. تشرد .. .. خيم .. مخيمات.. بؤس

قال نزيه مضيفا : طرد اليهود الملاعين يا رافع مليون فلسطيني سنة ٤٨ .. وانكسرت الجيوش السبعة .. وأصبح الفلسطينيون لاجئين هنا وفي الدول المحيطة بأرض فلسطين المقدسة .. حتى أننا سمعنا أن هذه الجيوش ذهبت للقتال بدون أسلحة وأدوات فعلية للقتال .. ظنوا أنهم ذاهبون لمصارعة الثيران أو شمة هوا أو فزعة عربية .. ولا ادري صحة ذلك !

قال رافع : معقول هذا!

قال سليم : هذا ما كان ! يبدو أن نزيها قرأ جيدا مادة القضية الفلسطينية .. الواقع أن هذه الدول كلها كانت تحت الحماية البريطانية والانتداب الإنكليزي وغيره .. وأسباب الهزيمة والنكبة الكارثة كثيرة .. سوريا ولبنان كما تعلمنا كانتا تحت الرعاية الفرنسية وإن كان ظاهرهما الاستقلال .. الأردن والعراق كان الضباط الإنكليز هم الذين يسيطرون على قيادة الجيوش .. كانت بالمجمل دولا ضعيفة .. يعتمدون على الحماس والشجاعة الفردية والفزعة .. والسعودية دولة ناشئة وبرعاية الإنكليز والأمريكان بعد الحرب الكونية التي انتهت قبل نكبة فلسطين بثلاث سنوات وقوات من السودان والمغرب

..واليمن الشمالي في حالة تخلف وجهل فظيع أيام الإمامة .. كان أستاذ التاريخ مدرسنا في الثانوية يسخر بشدة من هذه الجيوش السبعة ..كان قوامها كما يقول ثلث جيش إسرائيل .. وإسرائيل تسليح من أحدث وأفضل الأسلحة والذخيرة .. وحتى الروح القتالية أفضل مما في جيوش الجامعة العربية .. كانت مجال سخرية للعالم .. وأستاذنا كان يقول : نشأت هذه الدولة كالخيال ، لم يكن الكثير من الشعب الفلسطيني يصدق أن هذه الشرذمة سيقيمون دولة وكيانا ؛ لكن هذا ما حصل طردنا وشتتنا وصارت لهم دولة يا رافع .. وقد دق اسفين كبير في أمة العرب .. والحديث أكثر من ذي شجون اذا كان ذا شجون .

قال رافع حزينا : معك حق ! ففلسطين مأساة وكارثة كبرى ليست نكبة فحسب .. فآلاف من الناس يعيشون في عشرات المخيمات بعد العز والسعادة والفلاحة .. نحن في الريف لم نشعر بمأساتكم .. تأثرنا بما سمعنا من مدرسينا الأفاضل .. ولكن لم يكن هذا التأثير كما نرى منك كانت مادة تدرس .. لا يعرف الحق والألم إلا من كابده .. المخيمات مؤلمة ويا لها من مخيمات! فربما أنت تعرف عنها أكثر بكثير منا .. عشت في المخيم يا سليم !

رد بحزن فقال : نعم ، عاشت فيها الأسرة في أول الهجرة بضع سنين.. ثم اشترى جدي بيتا واسعا له ولأولاده الأربعة .. منهم أبي .. كان الجد من الملاك في الرملة ، وله أصدقاء في مدينة سلام الدين ، وعمي تزوج منها بعد الخروج الكبير ، هو الوحيد لم يكن متزوجا في البلدة ذات التاريخ العريق منذ شيدها الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك رحمه الله .

مقهى الجامعة

الشارع الممتد من وسط سلام الدين إلى بنايات وعمارات الجامعة شارع طويل عدة كيلو مترات وهو مليءٌ بالمطاعم والمقاهي والمكتبات ، وقرب الجامعة بيوت وشقق مفروشة لسكن الطلاب القادمين من الريف والمدن البعيدة أو المبتعثين من الدول الأخرى. وقرب الجامعة مقاهي كثيرة أحدها يحمل اسم مقهى الجامعة ، كان طلاب كلية التجارة وغيرها يترددون عليه لشرب الشاي والقهوة والمرطبات الشائعة ، ونهتم به دون غيره ؛ لأن نزيه يوسف ورفاقه يعتبرونه مقاههم المفضل ، سواء في العطل أو عند الخروج من أسوار الكليات وهو حمل اسم الجامعة فنال شهرة على غيره وربما هو أقدم مقاهي الشارع الذي يحمل اسم شارع الجامعة . ويتردد على هذا المقهى طلاب وطالبات القسم الداخلي ، وسكان الشقق المفروشة والمؤجرة للطلاب ، فهو مكان مناسب

للقاءات والمناقشات الطلابية ، وسهل اللقاء به لشهرته وقدمه ، وهو مكان متسع ، وبجواره عدد من المطاعم التي توفر الطعام والوجبات الخفيفة للزبائن ، فتسطيع شراء ساندويتش وتتناولها في المقهى مع كوب شاي أو عصير.

وفيه تجد الأخبار ونقلها ، والسياسة ودواوينها ، والصحف ومقالاتها ، وشباب الأحزاب والتيارات الفكرية والثقافية والعلمانية والدينية ، طاولات للجدال وإظهار الأفكار والأحلام ، وهنا يتبادل الطلاب المعلومات والحكايات والتعارف ، وما يحدث في الكليات من طرائف وقصص للطلاب والمحاضرين والإدارات فتعلم كل ما يدور داخل أسوار وقاعات الكليات. كان الحديث يدور تلك الأيام وذاك العام عن الصراع من أجل الاستقلال في الشمال الإفريقي ، والثورة الكوبية ، والصراع الكبير بين الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية والشرق والغرب ، فالحديث في السياسة والانقلابات العالمية والعربية مستمر ودائم ، والصراع بين العلمانيين والإسلاميين ، وبين القوميين والوطنيين وحتى بين التيارات والأحزاب والطوائف الإسلامية اليسار واليمين . للحق كما سبق وذكرنا أن في شارع الجامعة المار ذكره مقاهي أخرى حتى الملاهي والنوادي متوفرة على جوانبه ؛ وإنما ركزنا على مقهى الجامعة ؛ لأنه المقهى الذي يرتاده نزيه يوسف ورفاقه رافع ونعيم أشرف وسليم وعدد من أبناء جمالة الذين يتعلمون في تلك الجامعة ، ومن خلاله تعرفوا بشكل جيد على عماد مصطفى ونعيم احمد من كليات أخرى ، وهما من شباب حزب التحرير الإسلامي ، حزب إسلامي نشأ من قبل سنوات قليلة في الضفة الغربية ، وخلال القهوة والشاي والمثلجات والمشروبات يجري طرح القضايا الدينية والسياسية والعلمية والصراعات ، وأهمها الصراع العربي الصهيوني ، وكيف نجحت إسرائيل في قيام الكيان الصهيوني بين أمة العرب ، وهم لا يمتون للجنس العربي ، وهم بين الأغلبية ذات اللسان العربي ، وبين الصراع الغربي بزعامة أمريكا والاتحاد الروسي الشرقي ، ومشاكل الأحزاب العلمانية في بلاد العرب ، وفشلها في الحكم والاقتصاد .

وكان نزيه يرى أن حزب التحرير منشق عن جمعية الإخوان المسلمون ، وأنه يحمل أفكار فرقة المعتزلة في الصفات الإلهية ، واعتقاد عذاب القبر الذي لا يجزمون به ؛ لأن الاعتقاد يحتاج إلى جزم في الكليات العقدية ، واذا أنكر شباب الحزب ذلك ، التحرير والمعتزلة العقل هو عمود فقري ويقدمونه على فهم النصوص، وكان نزيه يحب ذلك ويقف معهم في أهمية العقل ومقارعتهم

للشيوعيين ، ويمدح المعتزلة في التحسين العقلي والتقبيح للأشياء ، فالحسن ما يراه العقل . كان نزيه يحب المطالعة كثيرا ، وكان معظما للعقل مثل شباب حزب التحرير ، ويحب الجدال والاقتناع اقتناعا حقيقا بما يطرح للنقاش ، ولا يقبل الحقائق بيسر وسهولة ، ووجد نفسه محبا لشباب حزب التحرير المنشق عن الإخوان أو المتأثر بهم في مطلع الخمسينات على يد القاضي تقي الدين النبهاني ، ولم ينتم له ، فأهل القرى لا يعرفون الأحزاب ولا وقت لديهم للسياسة والأحزاب والاجتماعات ؛ ربما يسمعون بها ممن يرتادون ويعملون في المدن لاعتناقهم لها أو جلوسهم مع الحزبيين . قلنا عماد ونعيم من رواد المقهى كانوا من حزب التحرير الذي يسعى لعودة الخلافة ولو بانقلاب عسكري يدعمه الحزب ، فكل كلامهم حول السياسة وأمريكا وبريطانيا .

ففي بعض الأحيان يدخل الشباب اليساري الشيوعي للمقهى للقاء شخص أو تناول قهوة وغيرها ، فيلتقون بشباب التحرير والإخوان ويحصل الجدل حول الماركسية واللينينية ، ويشترك نزيه ورفاقه معهم في الجدل والنقاش ، وعن فضائل الفكر اليساري والفكر الإسلامي، كل حسب وجهته وثقافته ، وماذا قدم المسلمون للعالم؟ وما قدمت المنظومة السوفيتية للعالم ومقاومتها للعلمانية والرأسمالية والليبرالية ، وكيف تحارب الشيوعية الاستعمار والاستبداد ؟ وما تكرسه الصوفية والدين لبقاء الطغيان والخضوع وإن الآخرة أهم وهم يشككون في العقاب والاقتصاص الأخروي .

فكان نزيه متشجعا ومبتهجا في مثل هكذا جدل ، ويحشر الفكر المعتزلي في الحوار والجدل والعقل وتمجيده وتفنيده لضلال الشيوعيين حتى لقبوه بالجعد بن درهم أحد رجال الاعتزال القديم ، واطلق عليه هذا الاسم تهكما ،فيقال قد جاء جعد نطق جعد ، وانتشر هذا الاسم في المقهى وساحات وقاعات الجامعة ، وعرفوه بهذه اللقب حتى من لا يعرف المقصود من هذا الاسم ؛ لأنه يدرس في كلية تجارية لا تعرف مثل هذه الأسماء بالمجمل، فهي كلية محاسبة وتدقيق وموازنة وشركات وأموال. انتهى الفصل الثاني ، وقفل الطلاب لقراهم وبلداتهم في إجازة صيفية ممتدة في فصل الصيف حتى الخريف ، وكان من المعتاد سخرية أبناء المدن من أبناء الفلاحين والقرى ويصفونهم بالرعاة والمزارعين والجهل والحمق والغباء والسذج ويعتبرون أنفسهم أذكى وأحضر .

كان رافع محمد قريب نزيه يقول له بعد تناولهم طعامهم في شقة إبراهيم طالب الحقوق ،وقد تركهم إبراهيم إلى حجرة النوم ليراجع ويذاكر

ويقرأ : أنا لم أفهم كلامك عن حزب التحرير والصوفية !

وقد دار بين إبراهيم ونزيه أثناء العشاء ذكر عن الفريقين أحدهم يتابع السياسة والآخر يتابع حلقات الذكر بالقفز . ابتسم نزيه لابن عمه وهو يترك كوب الشاي فارغا : هذان الشابان عماد ونعيم رفيقه يزعمون أنهم مناصرون متعاطفون أعضاء لا تعرف الحق أنهم في الحزب الإسلامي

قال رافع محمد : ما الفرق بينهم وبين غيرهم ؟ كل كلامهم في السياسة وأمريكا وبريطانيا والأذناب يقصدون أذناب الاستعمار .. الخلافة الحل لتمزق الأمة ويظنون أنهم بتنصيب الخليفة تحل المشاكل وتحرر فلسطين .

ضحك نزيه وقال : هذه الخلافة عقدتهم وديدنهم ؛ بل ظنوا أن الخلافة ستكون بعد ثلاث عشرة سنة من تأسيس الحزب ، واقتربت السنوات على الزوال ، هم قاسوها على مدة الدعوة الإسلامية في مكة .. هذه أحزاب برزت بعد سقوط الخلافة العثمانية في مطلع القرن كما قرأنا .. حزب التحرير قبل سنوات ظهر بعد نكبة صديقنا سليم أو نكبة العرب .. قبل سنوات ظهرت أحزاب إسلامية معاصرة لإحياء العودة إلى الدولة الواحدة إلى خلافة إسلامية ، وهو نظام الحكم الإسلامي بعد موت النبي ﷺ .. الاستعمار الأوروبي استطاع إنهاء نظام الخلافة في تركيا اليوم .. والخلافة كانت مؤسسة رمزية دينية قائمة في إسطنبول التي كانت تسمى الاستانة .. انتهت على يد شخص عسكري اسمه مصطفى كمال أعلن الجمهورية التركية العلمانية التي تعني فصل الدين عن الحكم والدولة .. وكان ذلك سنة٢٣ أو ٢٤ لا أذكر بالضبط .. أنشأ الرجل جمهورية كسائر الدول والجمهوريات الإسلامية .. النظام الجمهوري ، كما في وقتنا .. جمهورية في سوريا في العراق في لبنان في ايران .

وتابع فقال : بعضهم جهر بالعلمانية وأعلنها ، وبعضهم أسرها .. وكما درسنا وعلمت .. قسم الاستعمار الغربي البلاد إلى دويلات سوريا لبنان العراق الأردن وسعوا لتقسيم سوريا أقساما أخرى .. وفلسطين كما في قرار التقسيم الدولي عام ٤٧ .. قل غربها أعطوها لليهود لإقامة دولة صهيونية وقطعة من جنوبها لمصر وشرقها للفلسطينيين ثم ضموه لشرق الأردن .. وركزوا لنجاح مكرهم على الأعراق والجنس عرب ترك كرد أرمن وغير ذلك من الملل والأديان ، كما ترى اليوم .. المنتصر يفعل ما يريد .. وقبل العرب بهذا التقسيم والحدود .. ومصر كبرى الدول العربية والأكثر بشرا كانت محتلة قبل سقوط الدولة العثمانية .. وشمال أفريقيا خاضع لفرنسا إلا ليبيا حكمها الطليان .. وها نحن نسمع أن الجزائر

وتونس على وشك الاستقلال .. المهم من نتائج الحرب الكبرى تحول تركيا إلى جمهورية وقومية تركية.

قال: جيد الكلام ! ولماذا الخلافة ؟!

قال نزيه كأنه خبير تاريخي وفيلسوف : في رأيي أنا أن الخلافة الحقيقية انتهت بدخول المغول وأحفاد جنكيز خان بغداد بزعامة هولاكو عام ٦٥٦ هجري .. انتهت الخلافة الإسلامية العربية.. فلما ظهر المماليك كقوة في مصر مماليك الملك الصالح الأيوبي ابن أخ القائد الشهير صلاح الدين احتاجوا لدعم رمزي لتثبيت حكمهم فجلبوا عباسيا وتوجوه خليفة .. فسكت الناس فكان الخليفة كما نرى ملوك أوروبا ملوكا دون حكم .. شغل مراسم .. الذي يحكم ويرسم رئيس الوزراء وحكومته وحزبه المنتخب من الشعب .. وظل ظل الخلافة حتى فتح الترك القسطنطينية آخر معاقل الروم .. فغزا الغازي سليم الثاني الشام والعراق ومصر وضمها للحكم العثماني نسبة إلى عثمان بن طغرل ..فأخذ وساق الخليفة إلى الاستانة .. ثم تنازل الخليفة لسليم ؛ فأصبح خليفة المسلمين يا رافع يا ابن عمي .. وذلك قبل أربعة قرون .. وحكموا أجزاء من البلقان .. وبلاد العرب بلاد شاسعة .. حكمونا للحق باسم الإسلام .. وخضعت لهم أمم وأجناس شتى.. حقيقة انتهاء الرمز أصاب المسلمين في حسرة ذلك الوقت .. وحزب التحرير يسعى دون الأحزاب الإسلامية الأخرى لعودة الخليفة أولا .. أنت تعلم أن عرب الشام والعراق والحجاز انفكوا عنها تلك الخلافة خلال الحرب الكونية الأولى .. وقامت جامعة عربية لتوحيدهم .. وما زالوا يحلمون بذلك من سنة ١٩٤٥ أو من قبل .

قال رافع : لماذا جلبوا اليهود المناحيس الذين لا يتكلمون العربية مثلنا إلى بلاد العرب ؟!

رد نزيه ببطء : صنعوا هذا الكيان لأهداف خاصة واستعمارية ؛ لأنهم يدركون أنهم راحلون كما رحلوا عن الهند بعد قرون من ابتلاع خيراتهم وثرواتهم ، وقد قامت في الهند ثورات وحركات أدت لتحرر الهند واستقلالها عن التاج البريطاني ومن غاياتهم بقاء العرب منقسمون ومتفرقون .. فجلبوهم ؛ ليكونوا يدهم الطولى في بلادنا .. ظهرت حركات دينية وعلمانية تبغض المستعمر في وعي الشعب .. وهذا ما حصل .. وقيل خرجت القوات العسكرية وأبقت التوابع بأسماء مختلفة .. ظهرت جمعية الإخوان المسلمون على يد المدرس حسن البنا عام ١٩٢٨ وبعض رفاقه كجمعية دينية لإعادة الوعي الديني بين المسلمين والعودة للروح الإسلامية وتمهيدا لعودة الإسلام كمنهج حياة بين العباد وفي البلاد ، ثم جروا وانخرطوا في

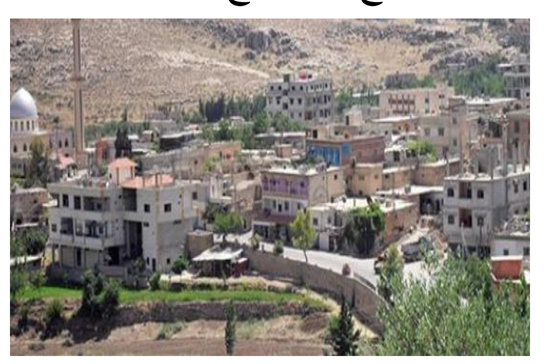
السياسة والعمل العسكري لإخراج الإنجليز من بلاد مصر .. وبعد الحرب الثانية تولدت حركات مشابهة في الفكر والعمل في بلاد الشام والعراق وبعض البلدان الإسلامية المستقلة .. وفلسطين قضية النظام العربي والفشل العربي ، حتى الكفاح المسلح الفلسطيني ضعيف ومشتت كما نقرأ ونسمع في الترانزستورات .. الراديو أقصد .. وأعتقد أن سليما ؛ ربما لديه معرفة عن قضيته أكثر منا .. والواقع كان الله في عونهم .. جزء ضم لشرق الأردن وجزء صغير ضم لمصر .. والقسم الأكبر أصبح دولة قومية لليهود الملاعين أخبث شعوب الأمم اليوم .. وحزب صديقنا عماد ونعيم كان مؤسسه الفلسطيني القاضي تقي الدين النبهاني من أسرة عريقة دينية دارسا الشريعة في أزهر مصر وتعرف على الإخوان ، ثم انشق عنهم حسب ما قرأت في بعض المجلات أو كما قيل ، وأسس حزب التحرير وشارك الحزب في انتخابات عام ١٩٥٥ في الأردن ؛ لأن القدس حيث عمل النبهاني قاضيا شرعيا في محاكم الأردن وفاز ممثلهم بمقعد عن مدينة قلقيلية وشعارهم طلب النصرة لإنشاء خلافة عربية تعم العالم ؛ لعلهم ينجحون يا ابن عمي والله أعلم حتى أنهم يؤيدون قيام انقلاب عسكري لهذه الغاية .. فالانقلابات تملأ الساحة العربية في مصر قبل سنوات وسوريا قبلها وبعدها .. وقبل ثلاث سنوات قاسم في العراق .. وفي وايران وأفريقيا السمراء .. انقلابات شغالة .

فلما صمت نزيه قال رافع : ما الفرق بين هذه المسميات ما دام كلها تعمل للدين؟!

تنهد نزيه وقال مفكرا في الإجابة : الفرق يا ابن عمي الإخوان يقال إصلاح من الفرد وتربية ، ثم الصعود .. التحرير إصلاح من الأعلى وفرض القوانين بقوة السلطة والحكم .. والناس تلتزم بها .. والصوفية والجماعات القادمة من الشرق لا يهتمون بالسياسة .. ويتعايشون مع كل النظم حتى ولو كانت كافرة في نظر الإسلاميين .. والصوفية طرق كثيرة يتوارثها الأبناء عن الآباء .. فموسى الطالب المعمم طرقي مختلف عن التحريرين .. والإخوان فيهم صوفيون وأشاعرة وسلفيون اتباع السعودية والخليج العربي.. اهتم الإخوان بإصلاح الفرد والتحرير بإصلاح الحكم ..والجماعة يقولون لو أمر الخليفة بإغلاق الخمارات نفذ وأطاع الناس فورا .. اغلق البنك يغلق البنك.. أما جماعة الشيخ حسن تربية الفرد على الخلق الحسن التمسك بالدين رويدا رويدا نصل للحكم ، ويعملون مع الأحزاب العلمانية كالوفد في مصر والبعث في سوريا ، ويعملون بالسياسة والنيابة وأقول وفق الله الجميع .. لقد تعبت يا رافع !

قال : عافاك الله .. أحسنت !.. أختم .. أنت مع من؟!

قال نزيه : أنا مع المحاسبة مع أفكار المعتزلة!!



الرفاق في القرية

انتهى العام الجامعي الأول لنزيه يوسف ورفاقه فرجع لجمالة لقضاء فصل الصيف في ربوع وشوارع القرية ومزارعها ، عاد لمسقط الرأس للراحة ، وشم هواء ونسيم الصيف ، هم طبعا لم ينقطعوا نهائيا عن القرية خلال العام الأول .

وبعد حين يسير من العطلة دعا نزيه ورافع ونعيم زميلهم في الكلية سليما ودعوا أيضا رفاق المقهى عمادا ونعيما ؛ لتناول الطعام في بلدتهم وقريتهم المدينة الصغيرة ، فالقرى تكبر كما المدن وكانوا في الترحيب بهم في محطة الحافلات في جمالة ، وتعانقوا عناق المشتاقين ؛ كأن لهم سنوات لم يروا بعضا. في مزرعة يوسف والد نزيه وعم رافع كانت حفلة الشواء والغذاء ، وسر الضيوف من الضيافة والفواكه الطازجة والطيبة من فواكه المزرعة .

فقال عماد : حتى نبقى على تواصل أيها الأصدقاء خلال شهور الصيف.. لماذا لم تشتركوا في نادي الجامعة.. نلتقي كل أسبوع مرة على الأقل .. فالحديث معكم ومع أفكاركم ممتع ومثري فنادي الجامعة لا يتوقف نشاطه صيفا .. فهو يعمل على مدار العام .. فنلتقي ونرى ونسمع بعضنا بعضا.

فقال رافع : حدثني عنه زميلي طلال ورافقته إليه أكثر من مرة .. الحق يا نزيه أن فيه مكتبة كبيرة وتقرأ الصحف المحلية والدولية مجانا .. وللعلم المشروبات والمطعومات بمقابل والتدريب الرياضي كذلك .. الاشتراك فقط للدخول فحسب.

قال عماد : صحيح الخدمة بمقابل .. الماء والوضوء دون مقابل .. والاشتراك دينار واحد في الأسبوع الواحد .. يمكنك الدفع أسبوعيا أو شهريا .. فالمبلغ بسيط قد يرى الطالب المبلغ كبيرا خاصة على البسطاء ؛ ولكن والدك صاحب هذه المزرعة لن يعجز عن دفعها.. بارك الله لكم فيها نقول ما شاء لا قوة إلا بالله!

قال نزيه : شكرا لكم

ودعا وبارك الجميع وقال نزيه : الحمد لله.. الأمور المادية طيبة .. والوالد سخي حقيقة .. واسأل جارنا نعيما .. فهو خير من يعرف الوالد .. فالوالد وأعمامي يقدمون ما تيسر لجمعيات القرية وحتى قرى مجاورة .. ونخرج الصدقة والزكاة .. فوالدي

متدين ومتعلم ويحب العلم وطلبة العلم .
فقال نعيم أشرف : والسيد الكريم يوسف أبو إبراهيم معروف بالجود ومساعدة الأيتام في البلدة والبلدات الأضعف منا .. ويشارك في مناسبات ونشاطات القرية والبلدية .
فقال نزيه ممتنا : شكرا نعيم ! ولا تنسوا أننا نسكن بيتا في سلام .. فالوالد يدفع أجرته ومصروفاته .. ورغم الصيف فما زال مستأجرا ، ويتردد عليه إبراهيم ويقضي كثيرا من الوقت فيه .. وفكرة الاشتراك في النادي راودتني من العام الدراسي الماضي .. وكان المقهى يغني عنها
وأنا على علاقة طيبة مع أبناء وبنات أخوالي وخالاتي في سلام فكنت أقضي معهم كل أوقات الفراغ ، وهم يرحبون بذلك .. ولم ألمس منهم الضيق .. ورافع يعرف ذلك .. فربما هذا سبب دفعني للتقاعس عن قضاء وقت في النادي وغيره.. ولكنكم شجعتموني الآن وصحبتكم مثيرة وممتعة .
تبسم رافع وعقب قائلا وممازحا : خاصة أن ابنة خاله باكر الآنسة مارينا تحب صحبته كثيرا .. وترافقه إلى المسرح ودور العرض .. وقبل ذلك إلى مطاعم وفنادق علية القوم .. الله أعلم أن الفتى راغب بالزواج منها كما يهمس إبراهيم .
ضحك الشباب ، وقال عماد: الكل يحب الزواج يا رافع ! البنت بنت خال .. بنت مال وجاه .
قال نزيه : نحن في الريف ليس من السهل إقامة علاقة عاطفية بين شاب وشابة .. ذلك يسبب مشاكل وحساسيات بين العائلات .. فقد يحدث الحب وينتهي بالزواج سريعا إلا اذا تدخل أبناء العم أو الخال ويتزوجون البنت سريعا .. تحدث القصص بحدود ضيقة.. أما في المدينة والجامعة كما سمعنا ورأينا فالأمر مقبول ، ولا وجود للأهل والعقارب قصدي الأقارب .
قال رافع : ألا تحبان بعضكم ؟
ـ الصراحة أنا أحب ذلك ؛ ولكن ليس بيننا قصة حب .. فعاداتهم يا عماد غير عاداتنا .. فلا أرى والدي يا رافع يقبل .
قال سليم مستفهما : الالتزام لا يوجد عندها!
ـ نعم ، هذا هو الإشكال .. هي مجرد صداقة وقرابة ..والحب وقصصه أستحي أن أفعله معها.. ثم مستواها الاجتماعي والمالي أكثر من أسرتنا .
قال رافع : هذا صحيح .. فعمها مليونير ، وكذلك والدها .. وهم من رجالات السلطة والحكم
عاد الكلام لنزيه : وأنتم تعلمون .. كيف أتعامل مع فتيات الكلية والجامعة ؟ أنا متدين مثلك يا عماد ويا نعيم .. لكني وكثير من أهالي جمالة معجبون بأخوالي وصعودهم الكبير في الإدارة

والمال .. شاكر نوار الجمالي وباكر نوار الجمالي من نجوم مدينة سلام . ولابد أنكم سمعتم بهذه الأسماء ما دمتم من سكان المدينة وتحبون قراءة الصحف .

هز عماد رأسه وقال : أنا أسمع بهما .. ولي قريب يعمل مع خالك شاكر .

وقال نعيم مؤكدا : نعم نعم ، فهم معروفون خاصة خالك شاكر فهو أحد رجالات المال والأعمال والدولة .

قال نزيه : أنا معجب بأخوالي وأعيش معهم خاصة العام الفائت ؛كأنني ابن لهم وابنة خالي التي أشار إليها رافع أنهت السنة الثانوية ، وستكون معي في كلية التجارة حسب ما قال شقيق أمي أما الزواج أيها الأصدقاء فأمره ليس سهلا رغم أن أمي أختهم.. فنحن فلاحون وأولاد قرى بالنسبة إليهم.

قال نعيم: الناس تتغير

قال سليم : كنا أبناء مخيمات ، ثم تعلمنا وتغيرنا إلى حد ما .

قال رافع : صحيح ما تفوه به ابن عمي .. فهم أخواله لزم كما يقال.. أبوه عمي يوسف متدين جدا .. وأخواله انفتاح كامل .. الإسلام في الهوية فقط .. رافقت نزيها مرة إلى مناسبة لهم فلم أعجب بتقليدهم للحضارة الغربية.

قال عماد مضيفا : قل الموضة الغربية !

قال رافع : اللبس والزينة والخمر عادة حتى أنهم سكبوا لنا خمرا حتى وقع في نفسي أن نزيها تعلمها منهم فصارحته بخاطري فأقسم أنه لم يتعاطها في حياته ، وهم لا يشربون أمامه إلا في مثل تلك الحفلة وما شابهها.

قال عماد مستهجنا : ابنة خالك عروس الغد تشرب ! أنت درويش يا صديقنا .

ضحك نزيه على وصفه بدرويش ونظر لرافع وقال : أنا لست درويشا .. هنا في القرية زاويتان فالزاوية زوايا عائلات .. حضرت بعض حلقاتهم من باب الفضول فلا أفكر بالدروشة يا سيد عماد .. وأما الأخوال فلي سنة أخلاطهم يا شباب.. نعم ، الشراب عندهم كالماء ؛ ولكن والله أعلم اذا صار نصيب بمصاهرتهم لا أقبل شربها.. أما اليوم فمجرد وجهات نظر .. لا سلطة وحكم لي عليها .

قال رافع محذرا : إلا اذا هزمتك ووقعت في حبها .. وجرفك تيار التغريب .. فهو محبوب من خاله باكر وزوجته .. وأغلب أبناءهم ، وحتى بنات خالك شاكر يتقربن إليك ؛ لكن مارينا أكثرهن اهتماما بصديقي نزيه .. أنا أقول ذلك أمام الأخوة حتى لا يصيبك الحرج في العام القادم أمامنا .. فهي سوف تلزق بك.

ضحك الشباب ، وقال سليم : ما دامت علاقتك بها قوية لهذا الحد سيحدث ما يتوقعه رافع! ما قولك يا نعيم بن أشرف .

تبسم نعيم وقال : أنا والأخ نعيم نحب الصمت

قال نعيم الثاني : معك حق يا نعيم ! فليقل خيرا أو ليصمت ، وقالوا الكلام من فضة والصمت من ذهب.

فقال رافع مداعبا : ذهب تركي عثماني ولّا ذهب محلي!

فقال سليم : الذهب ذهب في كل بلدان العالم

صاح نزيه معقبا على كلام ابن عمه عن مارينا : رافع صديق وأخ عزيز .. وكل أفكاري وأسراري معه .

ـ شكرا ابن عمي ! نزيه صاحب خلق ودين ..فعمي صارم في أمر الصلاة والصيام والدين عامة رافقهم للمسرح والسينما والمقاهي الخاصة بهم .. وفي الجملة هو معجب بحياة المدينة ربما أكثر منكم .. وهو يرغب بعد الجامعة بالعمل في المدينة بعكسي أنا .. أنا سأدرس هنا ـ إن شاء الله ـ بعد التخرج .

قال سليم عندما عم الصمت : الريف ممتع إلى حد كبير يا رافع ؛ لكن فرص العمل قليلة فيه للمتعلمين كموظف وصناعة .. هو مجتمع زراعي في الغالب.

قال نعيم اشرف: كلامك صحيح إلى حد كبير ! فأغلب مصانعه ورشات صغيرة لا تستوعب الكثير من الأيدي العاملة .. والمتعلمون أغلبهم يرحل للعمل في المدن .. ولكن بدأت القرية والقرى تكبر وتكثر المؤسسات والمهن والحرف والمصانع المهمة .. لم تعد القرية قرية يا إخوان بدأت مصانع تنقل مصانعها إلى أطراف البلدات.. والأسر تزيد وتزيد .. وتنتشر العيادات والمراكز الصحية والمجالس القروية لتطوير القرى.. وأخذ أبناء القرى الذين يعملون في المدن يستثمرون بعض أموالهم في قراهم لتخف الهجرة للمدن الكبرى .

قال نعيم الثاني : نفهم من كلامك يا رافع أن صديقنا عينه على ابنة خاله اذا سمح عمك العزير

رد رافع مبتسما من العودة لحكاية نزيه : تقول أمي إن امرأة عمي تريد ذلك بكل قوة وحماسة ، وتقول: كما تزوجني يوسف فلنجدد النسب والمصاهرة يا أم مروان مع أخي الكبير .

قال نزيه: أنا لا مانع عندي .. قلت لكم لعلي أهزمها وأعيدها لحظيرة المعتزلة أو .. أو حزب التحرير.

ضحكوا وقال عماد: لدينا نساء وزوجات وبنات وأخوات يحملن أفكار الحزب .. لكن هؤلاء يا شباب من الصعب عودتهم للتدين كما نقرأ

ونسمع ممن هم أكبر سنا وأكثر خبرة .. لكن ليس هناك على الله بعزيز .. قد يتوب أحدهم ويرجع .. وفي الغالب يتوجهون إلى الطرق الصوفية أو إلى جماعة محمد الياس الهندية .

قال نعيم وهو يقف وينفض سرواله مم علق به : حان وقت العودة لسلام يا عماد ! نحتاج إلى ساعتين للوصول لسلام.

قال نزيه : بإمكانكم المبيت .. فلكل عائلة كبيرة دار ضيافة في هذه القرى .. وبيوتنا أيضا ترحب بكم .

قال سليم : أنا أفضل العودة يا إخوان!

قال عماد واقفا : وأنا كذلك .. خلف الله عليكم خيرا .. نشكرك سيد جعد .. لا ندري أكان جعد القديم سخيا مثلك أم لا ؟!

قال رافع ساخرا : اسمه يدل على بخله ، والله اعلم !

قال سليم: أرى أن الاسم لصق بك يا نزيه ! ما تحدثت مع أحدهم في الكلية أو في المقهى وعطفنا على ذكرك إلا قالوا تقصد الشيخ الجعد .

تبسم نزيه وقال : صدقوا يا قوم لا أعرف الكثير عن هذا الجعد .. سمعت أنه ضحي به يوم أضحى

قال نعيم الثاني : يقال إنهم ضحوا به يوم أضحى .. هل يجوز ذلك يا عماد ؟!

صاح عماد : بالطبع لا يجوز لو صح ذلك .. الأضحية فقط من الأنعام الثلاثة .

قال رافع : ثلاث أو أربع!

قال سليم : سمعت أن بعضهم يجيز الأضحية بالديك والأرنب .

قال عماد: لا أظن ذلك صحيحا .. كيف سيوزع هذا الديك يا سليم ؟

قال نزيه: صدقوا لا أعرف الكثير عن الجعد وعن المعتزلة ؛ إنما رؤوس أقلام فقط وأظن أنها فرقة ضعفت أو اختفت ؛ ولكن إخواننا التحريريون يحملون بعضا من فكرهم في قضايا عقدية أشهرها إنكار عذاب القبر ، وجعلهم العقل الحكم على القضايا العقدية كما فعلت المعتزلة القديمة ؛ ربما احتاجوا إليه لمجادلة الملحدين والفرق الأخرى كالصوفية وغيرهم ومناظرة النصارى واليهود والعلمانيين.

قال عماد: التحرير يأخذ الكثير من الفقه من فقه الأحناف.. فالشيخ النبهاني قاضي شرعي وتعلم في الأزهر .. والقضاء ما زال في بلاد الشام والعراق متأثرا بالفقه الحنفي.. فقه الدولة العثمانية كما هو معلوم .

سليم : حان وقت الانصراف أيها الكرام ـ وتصافح الشبان ـ وقال كما اتفقت مع عماد ونعيم على دعوتكم إلى الغداء في بيت والدي الأسبوع

القادم .

قال عماد : أنا قبلت الدعوة .

وقال رافع رافعا سبابته : وأنا نيابة عن نزيه ونعيم قد وافقت.

نادي الجامعة

كان الشباب الثلاثة من جمالة يداومون كل نهار اثنين في نادي الجامعة ،فليتقون برفاقهم نعيم وعماد يتبادلون الأخبار، ونشاطهم الاجتماعي والسياسي ، خاصة نعيم وعماد ، فهما مهتمان بالسياسة والأخبار والكتابة في بعض الصحف اذا سمح لهما بذلك ، ويتابعان ما يحدث من قضايا وطنية أو عالمية ، وتعرفوا بشكل خاص على أحمد وفريد ومصطفى ، فهؤلاء من رواد النادي من طلبة الهندسة ومتدينون ، وسعت بعض الفتيات المترددات على النادي اختراق هذه المجموعة ؛ ولكنهم لأنهم جادون في القراءة ومناقشة الكتب الموجودة والقضايا السياسية والاقتصادية والثقافية ابتعدن عنهم ، وهم أيضا لم يفتحوا لهن المجال للحديث حول الفضائح والموضة والأفلام . كان رفاق الهندسة من أتباع حزب إسلامي نشأ من ثلاث أربع سنوات ، ليس لهم منهاج معين وواضح ، فهم حزب إسلامي قريب من السلطة ، ومدعوم من النظام بشكل واضح لكل ذي عين ، ويركز هذا الحزب على الأخلاق والصوفية أي البعد عن السياسة والبعد عن الحكم والتشريع الإسلامي الصريح .

قال احمد معرفا بحزبه وساعيا لتجنيدهم : بما أننا حزب فيحق لنا أن نتكلم في السياسة .. ولكن ليس كل حديثنا سياسة .. هناك أمور أخرى.. ثقافة الشعب اقتصاد الشعب .. أخلاق الشعب فالأخلاق السيئة تنتشر بقوة بين الناس الغش والغدر والخيانة .. فنحن نهتم بهذه القضايا التي لا تجد اهتماما كافيا من الفرق الأخرى .. إخواننا التحريريون ـ وأشار لعماد ونعيم ـ يريدون خليفة .. نحن جاء خليفة أو لم يجئ لا يهمنا .. وجماعة جمعية إخواننا الإخوان همهم السلطة ومجلس الشعب وتحرير فلسطين.. ولا ننكر جهادهم في مقارعة اليهود والإنكليز في مصر وفلسطين .. والخلاصة نحن نكمل بعضنا بعضا .. فنحن معترف بنا من النظام وبعيدون عن العنف والانقلابات كما رأينا في سوريا والعراق ومصر .

فقال نعيم : وهل لكم وزراء ونواب؟

قال مصطفى : لنا نواب .. أما وزراء لا.. فنحن حزب حديث يا أخ نعيم .. فنحن نمثل الإسلام في الدولة ؛ لنكون مع الأحزاب الأخرى .. أحزاب اليمين واليسار .. فنحن الحزب الإسلامي الوحيد في الدولة مع العلمانيين والاشتراكيين والليبراليين .

قال رافع مبتسما : عظيم ! .. هذا عندنا ديمقراطية يا نزيه !.. نحن في القرى لا نسمع بذلك .. أنتم تختلفون عن الإخوان والتحرير والدراويش .. نحن عندنا في جمالة زاويتان للدروشة والقفز

رد مصطفى قائلا : الإخوان لهم نواب في المجلس.. الإخوان ليسوا حزبا .. إنهم مجرد جمعيات منتشرة في البلاد .. لكنهم يعملون في السياسة .. لذلك لمخالفتهم أنشأ الشيخ تقي النبهاني حزب التحرير والدعوة للخلافة .. وشاركوا في الأردن في الانتخابات وفازوا بمقعد أو اثنين فهم يعترفون بالحكومات وقام الحزب في القدس ابتداء.

وقال احمد : سعى هذا الحزب ليصل للحكم عن طريق الانتخابات والصندوق يا نزيه ! ولكنه لحتى الآن لم يصل.. لم يجدوا من ينصرهم لتحقيق الغاية .. ويعتبرون الحكومة في بلدهم منحرفة لا تريد دينا ولا إسلاما .

قال عماد متحمسا : الإسلام سيحكم كل البلاد

ضحك احمد وقال : والشيوعيون يقولون مثل ذلك .. الشيوعية ستحكم هذا العالم

قال رافع متهكما : والرأسمالية تحلم بذلك .

وقضى الرفاق صيفهم في نادي الجامعة خاصة شباب جمالة ، فكانوا أحيانا ينتقلون لصالات الرياضة قاعة ألعاب الجمباز والرياضات الحركية وممارسة القفز والقفز ، ثم يجتمعون على طعام الغداء في مطعم النادي ، وعلى نفقتهم الخاصة ، وقبل الغروب وبعد صلاة العصر يغادرون النادي على أمل اللقاء الأسبوع القادم .

قال نزيه لرافع وهم يجلسون في الحافلة الذاهبة لجمالة والبلدات التي في الطريق : رأيتك تجلس مع ليلى .. وفي غاية الانسجام.

ردد رافع كلمة انسجام وقال : هي زميلتنا في الكلية ، وأحيانا أتحدث معها كما تعلم .. وقلت لك أنا فلاح ابن فلاح .. وهي ابنة المدينة .. وأبوها كما نعلم رجل بنوك .. وأيضا هي ملحدة ماركسية لينينية أحبت الحديث معي فقلت لها مستفزا : ألم تجدوا الاله بعد ؟ فضحكت وقالت : ليس لك إلا هذا السؤال يا رافع ؟ هل ترى أن لهذا الوجود ربا ؟ أنت تعلم أن هذا لا يشغل ماركس ولينين كثيرا .. فقلت لها للأسف ولدت بعد هلاكهما ، ولم أشرف باللقاء بهما ..وأنا يا ابن عمي اختلطت بها في نهاية الفصل عندما سمعتها ذات مرة تتحدث مع بعض الزملاء تشكك بالله أمام سارة وعيدة ، ثم رحبت بالحديث معي وتسعد بذلك كما عبرت وفرحت لما علمت أنني اشتركت في النادي .. وهي تطمع وتود بأن أتخلص من رواسب القرية وسذاجتها.

ـ وماذا قلت لها عن وجود الله ؟

قال : ماذا أقول؟ قلت لها مستحيل أن أرى هذا الكون سماء أرض بدون موجد يا ليلى .. العجيب أن الملحدين في الغرب وروسيا لا يفكرون في وجوده كثيرا ؛ إنما تشغل بال شيوعيي العرب وبلاد المسلمين .

قال نزيه : لأننا يا صديقي في بلاد لا تكفر بالله كما كفر أولئك .

ـ قلت المهم لا يمكن أن يكون هذا الكون يا ليلى بدون صانع .. لولا أن أبي تزوج أمي لم أكن أتحدث معك الآن .. هل رأيت مخلوقا بدون أبوين ؟ الكرسي الذي نجلس لا يقبل عقلي أو عقلك أن يكون بدون نجار أو حرفي صنعه وركبه .. لا أدري كيف تعتقدون أن الكون والقمر والأرض بدون مكون موجد ؟! كيف أوجد نفسه عشوائيا أو صدفة أو خلقته الطبيعة كما ترون فقالت : مذاكر جيدا فضحكت وقلت : لازم نذاكر حتى نستطيع الحديث مع أفكاركم الخبيثة والساذجة ، فقهقهت وقالت : لن تغلب.. نحن لا يهمنا وجود الخالق أو لا يوجد .. نريد أن نصبح أحرارا .. نأكل مما نزرع .. نلبس مما نصنع.. قلت :وهل الدين يعارض ذلك ؟ نتمنى أن نصبح أمة قوية قادرة على فعل ذلك يا ليلى . قالت: وما تقول في خلق الإنسان الأول آدم ليس له أب ولا أم ؟ قلت : هذا خلق خاص وبداية البشر .. لكل شيء بداية.. البرتقالة التي أمامك لولا المزارع والشجرة التي زرعها والماء والتراب والسماد والرعاية ما صارت برتقالة.. سيارتك التي ابتاعها والدك من صنعها واستوردها وهكذا كنا ندردش يا ابن العم

قال : المهم لا يوجد حب.

قال متعجبا : الحب تركته لك .. هل تريد أن يقضي عليّ أبي وعمي وحتى خالي الشيخ بالزواج من ملحدة ؟!

ـ قد تسلم من جديد.

ـ اذا تزوجت كما يحصل لكل ذكر .. سأتزوج من جمالة .. فبنات جمالة أفضل ونعرف عادات وطباع بعضنا يا بطل !

ـ أصيل يا ابن العم !



مارينا

منذ سكن نزيه المدينة مع شقيقه الأكبر إبراهيم أخذ يتردد على قصري خاليه شاكر وباكر ، ووجد منهم ترحابا وحفاوة ، وأكثر من اهتم به ابنة خاله باكر الآنسة مارينا التي تدرس في آخر الثانوية العامة ، ووجد انبساطا مريحا كذلك من والدتها ، فكان وجوده مقبولا من جميع الأسرة بشكل عام ، فهو ابن أختهم . وكان يسهر معهم خاصة مع

مارينا وأمها رغم أنها لم تكن قريبة لخاله ، وتنادى بأم رشاد ، وكانت تبش له وتستقبله بحماس ، تقول ؛ كأنها رضيت به زوجا لابنتها في المستقبل رغم أنه ابن قرية ابن الريف ، وهو شاب محافظ متدين على غير ما هم عليه أما إبراهيم فلم ينسجم معهم ومع طباعهم وتقاليدهم المفرطة في محاكة الغرب ، فلم يجازف بالزيارة إلا في المناسبات المهمة كالأعياد وعيادة المريض ، ولا يطيل الجلوس بعكس نزيه الذي قد يقضي ساعات من الليل .

كان الفتى نزيه معجبا كثيرا بأخواله وصعودهم الكبير في الدولة والإدارة والمال ، وكان طامعا بأن يصير مثلهم في تفوقهم المالي والاجتماعي ، وكان معجبا وشاكرا لمارينا التي تهتم به كلما قدم وتخدمه بنفسها ، وتتحدث معه بكل أريحية ؛ كأنها فعلا راغبة بالاقتران به ، وكان يكثر تعليقهم بأنها سوف تغير من عاداته وتقاليده القروية ، وكانت تخفف من التبرج والسفور عند مجيئه ، وفي الحقيقة كان يمني النفس بقبولها به قرينا ، وأمه تلمح له حول ذلك وتهيجه بهذا الاتجاه ، وبتجديد المصاهرة بين العائلتين .

كانت مارينا منذ ظهر نزيه في قصرهم لا تظهر أمامه إلا بثياب محتشمة ، لا تلبس القميص القصير الذي يكشف الذراع ونصف العضد أو الكتفين ، وتلبس الفستان الذي يغطي نصف الساقين على الأقل حتى يتحدثان بحرية ، وبدون نظر منه إلى الفراغ خجلا من أن تلتقي عيناهما ولا تستخدم المكياج سوى أحمر الشفاه كانت منسجمة معه وأخذت تخفف من جلساتها مع أقاربها وأصدقاء العائلة لتقضي أكثر الوقت مع نزيه اذا زار البيت ، وما أكثر الزيارات المسائية!

كانت تعلم أنه متدين ، وترى كما تحدث والدها وأمها أن ذلك يعود لطبيعة القرية والمحافظة على تقاليد القرية ، كأن الدين لأهل القرى فقط ، فتركا الشابة تتعامل معه بدون تلميحات وتحذيرات كأن حالهم يقولون إنه العريس المناسب في الغد .

اجتازت مارينا الثانوية العامة بنجاح مقبول ، كانت درجاتها أقل من نزيه وبمساعدة والدها ، وعمها الوزير شاكر في تلك الفترة قبلت في كلية التجارة حيث يدرس نزيه . وهنأها نزيه على النجاح ، وقدم لها هدية ، وبارك لها التسجيل في كلية التجارة ، واختارت إدارة العمل للعمل في شركات الأسرة ، كما فعلت أخواتها الأكبر منها وإخوانها .

رحب بها نزيه في مطلع العام الدراسي الجديد ، وفعل مثله رافع الذي تعرف عليها من خلال نزيه العام الفائت ، ورافقهم لحضور بعض الأفلام

والمسرحيات في المدينة سلام الدين . وأصبحت رفيقته في ساحات الجامعة والمطاعم والمشارب وأوقات الفراغ من المحاضرات.

وكان هو أيضا يجلس معها في أوقات فراغها ويترك رافعا ونعيما ، كان رافع يجلس قليلا معهم يتبادل معها التحية والصحة والأهل ، ثم ينصرف.

كان جل حديثهم حول الملابس والموضة والطعام والسهرات وآخر الأفلام والمسرحيات والنزهات ، واذا توقفت معها بنات الكلية والقريبات يتركهم نزيه ـ لا يحب البقاء في مجلس النساء وحوارهن ـ كانت ابنة خالتها نادية تكثر من اللقاء بها ، فهن في شعبة واحدة ؛ فإذا لم تكن مع شاب أو شابة ترافق مارينا .

وكانت لها ابنة خالة أخرى اسمها جميلة مع رافع في كلية التربية ، وقد عرف ذلك بدخول مارينا الجامعة . وجميلة تفاجأت بقرابة رافع لنزيه ، فهي تعرفت عليه في العام الفائت ، وهي عرفت نزيها من خلال زيارتها لبيت خالتها أم رشاد ، ونزيه عرفها من خلال مارينا والأسرة .

فرافع طالب نشيط في كلية التربية، وطالب رياضيات ، ومعروف بفطنته وذكائه بين الزملاء ، وهو كما علمنا راغب بالعمل مدرسا في القرية أو القرى المجاورة حسب الفرصة ، هو لا يحب المدينة بعكس نزيه ، هذا ما يخبر به ، وحلمه الزواج والبيت والسيارة ، لا يحب الصخب والانفلات ، ويشترك مع نزيه بحب القراءة والمكتبة والنقاش ، ولا يحب السياسة والأحزاب فهي لا تشغل بال القروي كثيرا.

علمت مارينا أن رفاق نزيه يسمونه الجعد بن درهم أحد زعماء الجهمية والمعتزلة في الزمن العباسي القديم ؛ لأنه اشتهر بالدفاع عن أفكار المعتزلة وتعظيمهم للعقل ويقدمونه على الحديث والوحي ، ويحسنون ما يحسنه العقل ، ويقبحون ما يقبحه العقل والفكر.

وكانت أيضا تكره الكلام عن الماركسية وداروِن ، كان أهم الحديث عندها الأفلام وآخر الأفلام والمسرح ، وآخر ما يعرض من اللباس والمكياج وقصات الشعر ، ولا تحب السياسة والمكتبة والكتب الثقافية ، تمارس الرياضة في الجامعة والنوادي الخاصة بالعائلة ، وكانت لا تفوت رحلة جامعية سواء في كليتها أو كليات أخرى مع صويحباتها ومعارف الأسرة اذا دعيت . أما نزيه يوسف فبعيد عن هذا النشاط ، وشارك مرات معدودة كل سنوات الدراسة في الرحلات الجامعية ، زار بعض المتاحف برفقة رافع ونعيم للفضول والمعرفة ، وكذلك بعض الأثار في سلام فكان رافع يقول لنزيه بحضور نعيم أشرف وسليم : لا أعرف كيف تنسجم معها ؟! لا عقل

لها .. الفلم المسرحية معرض فلان .. جلب ملابس من فرنسا

قال : ماذا تريد من بنت هكذا ربيت؟ سينما مكياج حفلات سهرات عيد ميلاد ؛ لكنني أستمتع بسخافتها .. فمعكم الجد ومعها الهزل والترفيه .. ما رأيك يا سليم؟

ضحك سليم وقال: منك مقبول ؛ بل يا رافع نزيه لا يفكر بابنة خاله .. هو يفكر بأخواله ومراكزهم وكيف يصير مثلهم ؟ وها هو خاله شاكر المليونير والاقتصادي يصبح ضمن الوزارة التي تكونت من شهور هذا المهم عند نزيه.

قال نعيم : هذا الصواب يا رافع .. هو يحب المدينة .. وسوف يعمل في المال مع أهل المال.

قال نزيه : هي تطالع ؛ لكن في مجلات الأزياء وحواء والأفلام يا رافع .. المال موجود .. والعمل لتمضية الوقت .. هل تظن أن راتب الوظيفة يشتري لها ثوبا أو بنطالا أو زجاجة شراب ؟ علينا أن نحمد الله كثيرا أننا ولدنا في الريف والدين .

ـ أخشى أن تذهب بك مع الوقت .

فكر رويدا وقال : عشت سنة معهم ، ولم أمسك كأس شراب ، ولم ألعب الميسر ولو عن درهم واحد .. الحامي الواقي هو الله .. وكما قال سليم أنا أحب أن أصل إلى ما وصلوا فنرفع من قريتنا وحياتنا .. أنت تعرف حياة الفلاح وكفاحه والمطر والموسم والجفاف .. حقيقة وليس سرا قليل من الفتيات جادات حسب علمي .. ومارينا يا رافع كغيرها من البنات جامعة وظيفة زواج وبعض الأطفال وأحلامها اللباس الأجنبي والمطاعم والمأكولات .. والمفاضلة بين المطاعم والطعام.. هل أحدثها عن المعتزلة والأشاعرة والتحرير والإخوان ماركس لينين ستالين خروتشوف الحروب .. هذه مواضيع لا تهتم بها هي وغيرها من الحريم .

قال رافع : ها هن بنات الجامعة ينشطن في الانتخابات ومجالس الجامعة !

قال : كم نسبتهن للذكور ؟ أنت تعلم حبي لطعام المدينة .. وأحب الطعام اللذيذ .. فما جئت المدينة يوما إلا زرت أفضل وأشهر المطاعم .. طعام الريف بسيط

ضحك نعيم وقال ضاحكا : والله سبب مقبول ! ومعقول للبقاء في المدينة يا رافع ! الحياة أكل وشرب ونوم وعمل لبضع سويعات.

ردد رافع: أكيد ابنة الخال تعرف ضعف نزيه نحو الأكل .. فهي تهتم بمعدته وطلب أفضل الأطعمة لعريس المستقبل.

قال نزيه باسما : دار خالي يا ابن عمي .. وهم يرحبون بي منذ وطئت قدماي ديارهم وقصورهم.

قال سليم : تزوجها وأنت تدرس .. فأنت تعلم أن راتبك الوظيفي في أي قطاع ما دمت تهوى أكل المطاعم الراقية لن يكفيك بضع وجبات .

قهقهة الشباب وتابع سليم: فهم سيؤمنون لك الطعام والبيت .

تنهد رفيقهم نزيه بعميق وقال هازّا رأسه : أبي يا سليم مع أنه نسيب وصهر لهم علاقته بهم ضعيفة وباردة ! .. ولا يراهم شيئا ، لا وزارة ولا رئاسة تعني عنده شيئا .. يرى حياة القرية أفضل حياة .. زراعة شجرة جديدة هي الدنيا والحياة ويقول: لولا الزراعة في رأيه لهلك الناس أمي الفاضلة ترى ذلك وترغبني في الزواج من بنات إخوانها .. وتردد من جاور السعداء سعد وأخوالي منذ هجروا القرية قلّ اهتمامهم ورعايتهم للقرية .. وباعوا أغلب أملاكهم وضعفت صلتهم بالبلدة .. فلا يأتون إلا في عزاء مهم أو فرح يستفيدون منه .. رغم مشاريعهم الكثيرة في المدينة .. في القرية ولا مشروع حتى زيارتهم لأمي قليل جدا .. لا في عيد ولا في مرض ؛ لكنهم لا يقصرون اذا زارتهم .. فيقدمون لها المال والهدايا.. ولا أدري وصديقي رافع يؤيدني أنني لا أعرف السبب الحقيقي لهذا التباعد والبرود بينهم وبين والدي العزيز .. فهل تراه يقبل أن أتزوج مدنية ومتبرجة ؟.. فأبي وعمي أبناء الريف منذ ولدوا وشبوا.

قال نعيم مواسيا ومشجعا : قد تسطيع تغييرها وتعيدها لحظيرة التوبة اذا كانت راغبة بك حقا وهذا الملاحظ هنا .. فهي كما يبدو لنا تلبس ثياب مستوردة؛ ربما من باريس...

قال رافع متهكما : قالت أختها إنهم عندما يذهبون لأوروبا لقضاء إجازة يشترون من باريس ولندن، وحتى طعامهم كثير منه مستورد .. فهم يحبون الأجانب ويمدحونهم كثيرا .. وأنا أشفق على نزيه منهم إن سيطروا عليه .. وتركه للقرية سيضعف مقاومته .. أتمنى أن تعيش البنت معه بسلام إن قدر لهما الزواج .. أقول لكم عمرها ما زارت القرية ..قرية جدها وحيث ولد والدها وعمها .. ولا رأيناها ابدأ تدخل قريتنا للتعرف على قرية أبيها أو تصل رحمها عمتها أم إبراهيم .. والله من كل قلبي أحب أن يحقق أحلامه في المال والمنصب الذي يحلم به .. ها نحن نرى خاله شاكرا وزيرا .

قال نزيه مبررا بذخهم وإسرافهم : هم مثل طبقتهم هنا .. ويشترون الثياب من هنا مثلنا ؛ ولكنهم يتعاملون مع محلات وأسواق تناسب مستواهم الاجتماعي أدعو لي بالزواج منها .. فهؤلاء هل يقبلون بشاب قروي مثلي ؟!

قال سليم ضاحكا : ولماذا كل هذا التقرب والاحتفاء بك يا نزبه لا تتغابى ؟!

قال رافع : وهذه العطور التي تعبق أنوفنا منها !

ضحك نزيه وعلق : أغلبها باريسي .. مدينة العطور .. أكيد أن راتبي لسنة لا يغطي ثمن زجاجة عطر من عطر خالي .. كيف أعيش معها حياة التبرج والبذخ يا رافع ؟!

فأجاب سليم : الحب والهوى يا سيد جعد يذلل كل العقبات .

رافع : كلام سليم .. نتمنى لك كل توفيق معها أو مع غيرها !

قال نزيه باسما :كلنا ـ إن شاء الله ـ سيتزوج يا شباب .. والنساء حظ .. أنا صريح معكم أرغب بها قرينة .. والتغيير بيد الله تعالى اذا نظرت إليّ على أني فلاح سيفشل الزواج بلا شك .. أنا فلاح أرضى بالكفاف والقليل .. المشكلة الكبرى أنها تشرب الخمر ليس الثياب واللباس فقط .. أخبرتني بذلك .. وقللت تعاطيها فقط في الحفلات.

قال رافع : وما أكثر حفلاتهم يا رفاق ! لا يخلو أسبوع إلا ويدعى نزيه لحفلة وسهرة من سهراتهم

تبسم نزيه معترفا : نعم : يتدربون على ذلك منذ المرحلة الثانوية لن تكون الحياة الزوجية معهم سهلة في نظري ونظر شقيقي إبراهيم .

المعتزلة

ورد لفظ المعتزلة وتردد أثناء حوارات الشباب نزيه وشلته الجامعية طالب كلية التجارة والاقتصاد فرع المحاسبة فمن هم المعتزلة ؟ المعتزلة فرقة من فرق المسلمين كما ورد في أحاديث افتراق الأمة المحمدية إلى طوائف وشيع وأحزاب وفرق ، وأشهرها الشيعة الروافض والقدرية والمرجئة والخوارج ، المعتزلة برزت في مدينة البصرة الكائنة في جنوب العراق المعروف لدينا ، ظهرت البصرة خلال الفتح الإسلامي لبلاد الرافدين فهي إحدى حواضر الإسلام وأمصارهم فقد كانت بدايتها في عصر الخليفة الكبير العادل عمر بن الخطاب ، وكانت من أوائل أمصار المسلمين التي شيدت في عصره وهي قرينة الكوفة.

البصرة مدينة العلم والعلماء والزهاد والفكر والفرق ، ففي هذه البلدة برزت طائفة المعتزلة كفرقة عقدية تخالف منهج وطريقة أهل السنة والجماعة في فهم العقيدة الإيمان والكفر والقدر والعقل والنقل والوحي والتحسين والتقبيح وفهم الصفات الإلهية، فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في أواخر العصر الأموي ، وقد ازدهرت في العصر العباسي ، وقد لعبت دوراً رئيسياً سواء على المستوى الديني والسياسي، ولقد غلبت على المعتزلة النزعة العقلية فاعتمدوا على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل، وقالوا بالفكر قبل السمع، ورفضوا الأحاديث التي لا

يقرها العقل حسب وصفهم ، وقالوا بوجوب معرفة الله بالعقل ولو لم يرد شرع بذلك ، وإذا تعارض النص مع العقل قدموا العقل لأنه أصل النص، ولا يتقدم الفرع على الأصل، والحسن والقبح يجب معرفتها بالعقل، فالعقل بذلك موجب وآمر وناه، لذلك فإنهم قد تطرفوا وغالوا في استخدام العقل وجعلوه حاكماً على النص بعكس أهل السنة الذين استخدموا العقل وسيلة لفهم النص وليس حاكماً عليه

ونسبت الفرقة إلى حركة قام بها إمام المعتزلة واصل بن عطاء ، فقد كان من تلاميذ إمام أهل السنة في البصرة ، الإمام المشهور الحسن بن أبي الحسن البصري تلميذ أنس وعدد من علماء الصحابة العظام ، فأنس بن مالك كان مستوطنا البصرة ، وكان الحسن كذلك ، والحسن كان واعظ زمانه في ذلك الثغر المهم في التاريخ ، وأدرك الحجاج طاغية العراق وبني أمية المعروف ، وابن زياد الثقفيان ، وحكم العراق الإمام الراشد علي على أثر اغتيال الخليفة الراشد عثمان بن عفان. كان واصل في مجلس للحسن أبي سعيد في حلقة علم فاعترض على مسألة مهمة وهي ما يقول السادة العلماء في الحكم على الظالم المسلم الذي يسفك دماء المسلمين على الشبهة هل هو مسلم أم كافر ، فكان الحسن يرى أنه مع ظلمه وبغيه مازال مسلما ، أما واصل واتباعه فرأوه في منزلة بين المنزلتين ، لا مسلم ، ولا كافر ، يعامل في الدنيا كمسلم ، وفي الآخرة كافر في نار جهنم واعتزلوا حلقة علم الحسن البصري فقال اعتزلنا واصل فسموا المعتزلة لاعتزالهم مجلس علم الحسن ، وقيل غير ذلك. أنكروا الصفات على فهم أهل السنة والجماعة وأهل الحديث كالبخاري ومسلم ، وبرعوا في المناظرات العقلية ، وانتشرت أقوالهم في التوحيد والقدر والعدل وخلق القرآن والمنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشاعت بينهم أقوال الجعد بن درهم وجهم وبشر المريسي في خلق القرآن حتى اقتنع بها الخليفة العباسي المأمون وخلفه ، وأرادوا إجبار العلماء على حمل ونشر مقالتهم ، وظهرت فتنة خلق القرآن في الأمصار ، واستشهد فيها علماء وأتباع العلماء ، وخاض فيها الخاصة والعامة ، واستمرت عقود حتى كان عصر الخليفة المتوكل ابن المعتصم وأوقف هذه البدعة ، وأحيا مذاهب أهل السنة ، وقدمهم على المعتزلة ، ثم أخذت تنحسر رويدا رويدا بدعة فرقة المعتزلة حتى أصبحوا مجرد تاريخ وتراث ، واليوم هناك بعض الفرق والأحزاب تحاول إحياء أفكارهم وأخبارهم بدعم من حكومات وجمعيات وتعظيم العقل، ودوره في العقائد؛ لكن إحياء الميت ليس

أمرا بسيطا وسهلا بعد قرون من ضعفه وموته ، حقيقة أن الأفكار والمبادئ الضالة لا تموت ولكنها تضعف وتجمد ، ثم تحور وتعدل ،فتجد من يهيم بها ويسعى لإحيائها وتنشيطها.

التخرج

علمتم أن نزيها يسبق ابنة خاله بسنة جامعية واحدة ، وكلاهما من طلبة كلية التجارة ، فمضت الأعوام المتبقية بين مارينا ورفيقاتها وبين رفاقه في الكلية والمقهى والنادي الجامعي ، وكان يتناقش مع الفتيات مع وجود مارينا المواد الدراسية والأسئلة ومراجعة معلومة وموازنة عامة

وكان يناقش ويحاور اليساريين والقوميين والناصرين وقبلهم التيار الديني ، وعندما فشلت الوحدة المصرية السورية ، كانت فترة من السخرية من الناصريين والقوميين والبعثيين والقوميين العرب حركة حداد وحبش الحركة القومية التي ظهرت على أثر نكبة فلسطين ٤٨ بين طلاب وخريجي الجامعة الأمريكية في بيروت . وكان يناكف الشيوعيين أتباع ماركس وأنجلز أصحاب البيان الشيوعي الصادر في ١٨٤٨، ورعاع الاتحاد السوفيتي ، ويذكر بجرائمهم اتجاه المسلمين في الشيشان وداغستان والقرم والقوقاز وأفريقيا وآسيا ، وحبهم لسفك الدماء مثل الرأسماليين وممتصي ثروات وخيرات البلاد والشعوب الضعيفة ، ولا يقلون عنهم إجراما .

ويجادل الإسلامين من تحريرين وإخوان وطرقيين والحزب الإسلامي، كان يهاجم الجميع دون هوادة ، ويدافع عن الفرق الإسلامية المنحرفة كالمعتزلة والشيعة الاثني عشرية والخوارج ، حتى اشتهر بين الطلبة بجعد بن درهم القائل بخلق القرآن ، حتى أنه كان يدافع عن عباد البقر وبوذا لإغاظة مناقشيه باسم حرية الاعتقاد ولا إكراه في الدين كما نصت آية البقرة . فكان رافع يطلق عليه المجادل الأول على مستوى الجامعة، وكما قلنا قضى سنوات الجامعة بين مقهى الجامعة والنادي وسهرات أخواله ومناسباتهم التي لا تنتهي ، وقليلا ما يفوت فرصة لزيارتهم حتى وضح واشتهر أن الشاب راغب بالزواج من مارينا ، وكانا كأنهما مخطوبان.

وهي نفسها كانت تحس وتشعر ؛ كأنها مخطوبة لابن عمتها بدون عقد ، وبدون خاتم ، ترغب بأن تتزوجه كفكرة مجردة ، وهي تزعم أمام صديقاتها وبنات العائلة بعدم رغبتها بالزواج المبكر والحمل والولادة .

إبراهيم سعى وكان يحاول كبح جماح نزيه عن ابنة خالها باكر ، ويحذره من التمادي في العلاقة معها ، ولا يعود لزمن المراهقة ، وقصص الحب الفارغة ، وكان معجبا بشقيقه بثباته على الصلاة والصيام حتى أنه في شهر الصيام لا يذهب إليهم إلا قليلا ،

فهم لا يوجد لديهم شهر رمضان ، وطقوسه وصيامه ، ومائدة إفطار لا أحد يصوم .

التقوا جميعا في مقهى الجامعة ، وكانوا يودعون أنفسهم بقرب التخرج والاندماج في سوق الشغل ، ويتذكرون الأيام والساعات الجميلة التي مرت بهم خلال السنوات الأربع والجدال والقيل والقال ، والأحداث الصاخبة، وهم على أمل أن تستمر الصداقة إلى النهاية ، وألا تدفعهم الحياة العملية على عدم اللقاء ، وعليهم الانضمام إلى نادي خريجي كلية التجارة الكائن في قلب مدينة سلام في شارع البحر الأحمر للحديث والحوار والتشارك في تناول وجبة جماعية ، فأيام الجامعة من اللحظات التي لا تنسى في تاريخ الطالب في المرحلة التي تفصل بين طلاب الثانوية والحياة العملية والأسرة والزواج.

جرت مراسم التخرج كما خططت لها إدارة الجامعة في حفل سنوي ، ولباس خاص ، ووزعت الشهادات ، وأخذت الصور الثابتة والمتحركة ، وودع الطلاب بعضهم ، وتمنوا لبعضهم النجاح والتوفيق والعمل . وتمنت مارينا وصديقاتها الحياة السعيدة لنزيه وابن عمه خريج كلية التربية وطلبت مارينا منه أن يزورها بعد عودته للريف ولا ينساها ، وأملت أن يوفق والدها بتعينه في وزارة المالية ، وتمنت أختها له ذلك .

قالت مارينا : أما زال إبراهيم في الشقة ؟

قال : نعم ، فهو يتدرب على المحاماة .. سنتا تدريب حتى يتمكن من مزاولة المهنة ، وهو يحلم بأن يكون قاضيا في الدولة، وسيحقق ذلك بمشيئة الله ، وهو على وشك الزواج من ابنة دكتور درسه فترة، فقد يلتحق بمعهد القضاء الوطني.

هتفت : يستاهل.. هو شاب جاد وناجح .. وأنت ماذا ستفعل بعد العودة إلى القرية؟ لا أدري كيف يعيش الناس في تلك القرى المغلقة؟!

نزيه يعلم جهل مارينا وأسرة خاليه بحياة القرى والفلاحين الشجر والبقر ، فهم يظنون أن سكان القرى في غابات وأدغال أفريقيا . أجاب مبتسما وعالما بضحالة فكر مارينا واختها : سأعود للقرية . وتنهد

قالت : مر علينا كلما تشتاق إلينا .. فنحن نرحب بك دائما .. فأنت كما تعلم جوليا أضفت لحياتنا شيئا جديدا .. فأمي وأبي يعتبرانك منا .. لقد فزت بقلوب الجميع .. وكنت فاضلا ومحترما ... فكم تحبك أمي !

ـ القلوب عند بعض .. لقد اعتبرتني كابن لها .. وأمي تعترف بفضلها ووقوفها وأسرتها وخالي باكر معي .

أكدت جوليا معنى كلام شقيقتها مارينا ، وكانت العائلة سعيدة بحبه لهم ، وأنها تهتم بسماع

أحاديثك وأخبارك في القرية أو المدينة .

فقال مفعما بحبهم له : أعرف عمق الود بيننا .. وأربع سنوات بينكم أمر مهم .. وخالي وعدني بالمساعدة للعمل في وزارة المالية معهم .. وأن اختياري للمحاسبة كان موفقا .. وبارك لي نجاحي .

قالت جوليا مؤكدة: أبي جاد في ذلك .. ليس مجرد مجاملة .. ويتوقع لك مستقبلا جميلا مثله في مستقبل الأيام .. ولابد أنه وضح لك ذلك .

قال : نعم ، نعم ، لم يقصر جزاه الله خيرا .

قالت جوليا :لا تنسى صداقتنا يا نزيه! فمارينا تراك بعين المحب .

ضحكوا على الغمز والتلميح وقال : قد يتحقق ذلك وخلال شهور ستلحق بي ثم أنت .

قالت : أكيد أكيد يا ابن عمتي ! الأيام تمضي كغمضة عين .

قضى أياما في المدينة للحصول على وثائق الجامعة من شهادات وكشوف الدرجات وودع خاليه والأسرة ذكورا وإناثا ، وترك إبراهيم ، وعاد للريف وقلبه معلق بالوظيفة الموعودة وفوقها مارينا رفيقة السنوات الأربع .

الزواج والحرب

رجع نزيه يوسف للقرية مرغما، فقد انتهت سنوات الدراسة ، وترك قلبه ورغبته للحياة في المدينة وآملا بالعودة السريعة ، وقد قدم طلب استخدام وعمل في وزارة المالية كمحاسب ؛ وذلك حسب تعليمات خاله باكر . وكان يساعد الوالد في إدارة المزارع والتجارة في البلدة ، حدثه والده عن الزواج والاستقرار في البلدة ، وأن يدع التفكير في الحياة في المدينة والعمل فيها وليعمل مدرسا في البلدة وما حولها من القرى .

وأراد يوسف تزويجه ، فتحدثت أمه مع شقيقها باكر حول زواج نزيه من مارينا ، فتعجب باكر من سرعة يوسف في تزويجه ، وأدرك غاية يوسف من العجلة ، فشدوا الأخوان شاكر وباكر الرحال للقرية ، وتناقشوا مع يوسف في زواج مارينا من نزيه، والشاب لديه رغبة فيها ، والبنت لها رغبة فيه ، وأن الشاب مستقبله في المدينة ، وأمامه المستقبل في الدولة.

قبل يوسف رغبة ابنه في زواجه من بنت أخ زوجته ، واعتذر لصديقه قديس وشاع خبر الضغط على يوسف في البلدة الريفية فتألم وقبل ، ورحل نزيه للمدينة وقد تعين موظفا في احدى دوائر المالية ، وتزوج في مطلع عام ١٩٦٥ قبل أن تختم مارينا جامعتها بفصل واحد ، وهو الأخير ، وقبل حرب ٦٧ حزيران الشهيرة ؛ حيث دمرت إسرائيل الدول العربية باحتلال الضفة الغربية من مملكة الأردن ، وسيناء المصرية ، وجبال الجولان السورية في

حرب سريعة ، أيام قليلة حرب سميت النكسة ، وآخرون سموها حرب الأيام الستة ، وكانت هزيمة فادحة ولم يقم بعدها للعرب قائمة ، ولليوم الجولان مع إسرائيل ، وكذلك الضفة، وسيناء أخليت من إسرائيل بمعاهدات سياسية ، وبدون جيش مصري فيها. كانت هزيمة ساحقة ما زالت تعاني منها الدول العربية ، ونشأت منظمات فلسطينية لتحرير فلسطين من النهر إلى البحر، ولليوم لم يتحقق هذه الشعار والهدف . نشأت في منتصف الستينات منظمة التحرير الفلسطينية ، وحركة فتح وغيرها من الحركات ذات توجهات أيدولوجية مختلفة إلى حد التناقض في الهدف والغاية والوسائل ، وزاد تشرذم العرب نحو الشرق والغرب والضياع.

اشتعلت الحروب الأهلية في الدول العربية في الأردن وسوريا ولبنان والعراق واليمن . الفلسطينيون خاضوا حربا مع النظام الحاكم في عمان ، وسحقوا ، ورحلوا إلى لبنان ، وهناك وقعت حرب بينهم وبين طوائف لبنان ، استمرت لعام ١٩٩٠ حتى هدأت بخسارة للجميع وطردت المنظمة لعدة دول عربية بعيدة عن حدود فلسطين. حرب لبنان شغلت دول العالم الكبرى ، تجمعت أجهزة مخابرات العالم ووكالات الصحافة والأنباء العالمية ، تورطت فيها إسرائيل سوريا العراق مصر الخليج العربي ، لقاءات اجتماعات لجان قمم عربية إسلامية اغتيالات انسحابات ، ولم يسفر ذلك عن شيء مهم .

وكان صاحبنا نزيه ـ كما سنفصل ـ قد اختفى وابتعد عن الحرب ، وعاش في الأرجنتين هاربا من مارينا وخاليه ،وفتحت عليه الدنيا والتجارة كما سيتبين في الصفحات القادمة.

تمت الحلقة ١

قصص وحكايات الفوارس



الحلقة الأولى

الحلم والكاهن

اللؤلؤ مدينة الملك زُرارة بن نُعيم ، كانت إحدى مدن ذلك الزمان ، مدينة جميلة واسعة ، تشقها عدة أنهار صغيرة ؛ ولكنها دائمة المياه ، تحيط بها غابات عميقة وكبيرة ، تجد فيها السهل والجبل قصورها عامرة ، وأسواقها تستقبل القوافل من شتى المدن القريبة والبعيدة ، كان أهلها ينعمون بالسعادة والخير والحياة الناعمة ، وغاباتها مرتع للصيد والقنص ، فكانت الفرسان تسير إليها برفقة السادة والأعيان في رحلات الصيد الممتعة .

رغم هذا الهدوء والسعد كان سيد البلاد الملك

زرارة في قلق وكرب وحالة انزعاج ، فقد كانت رؤية تنتاباه من حين لآخر ، رؤية سيطرت على دماغه وأفكاره مع قدمها ما زالت تزعجه وتؤرقه .. رؤيا بدأت عندما نكح السيدة عزوف بنت داود أحد سادة البلاد ، كانت تظهر له هذه الرؤية وتغيب حتى أصبحت حقيقة في كيانه وحياته ، وكلما يجري حديث عن زواج الأميرات بناته تسيطر على نفسه تلك الرؤية أو الحلم ؛ وبسبب هذه الرؤية يرفض زواج الأميرات حتى أن البنت الكبيرة وصل بها العمر الثالثة والعشرين والصغرى منهم ابنة خمسة عشر ربيعا .

كان يرى دابة غريبة لم يعرف لها اسما أو شبيها في دنياه ، كانت تكلمه هذه الدابة بقوة وغضب فتقول:" زرارة بن نعيم .. موتك على يد حفيدك" وتضغط الدابة بإحدى قوائمها على صدره بشدة يسمع لها طقطقة عظام صدره ، فيفيق صائحا ألما ورعبا .

لذلك كان الملك زرارة بسبب هذا المنام يرفض زواج بناته الأربعة ، وكان هذا يزعج ويؤلم الملكة عزوف أم البنات الأربع ، ويزعج الوزير الأكبر أوس ، وأعيان المدينة ؛ لأنه لم يحدث أن تأخر زواج فتاة في المدينة عن سن العشرين ، فما تكاد الصبية من بنات الأمراء والمدينة تبلغ السابعة عشرة حتى تجد لها زوجا من طبقتها الاجتماعية .. والكثير يتزوجن دون الخامسة عشرة فكيف ببنات سيد البلاد بنات الملك ؟!

للملك أربع بنات أمامة ابنة الثالثة والعشرين سنة ، وكل هذا السنين التي مضت عليها مذ بلغت الحيض ووالدها يرفض زواجها خشية أن تلد الحفيد الذي يكون موته على يده ،ويحدث الشجار بينه وبين الملكة على ذلك ، فيرفع أصبعه في وجهها مهددا ويصرخ" الحلم يا عزوف"

فترد بسخط ونكد : إن هذا وسواس شيطان .. ومن يعلم الغيب ؟وما ذنب البنات ؟ ومن منا يضمن حياته ؟!

والملك يصر على الرفض حتى أن الوزير الكبير أوس بين له شناعة هذا الحلم وقبحه ، وأنه أضغاث أحلام ؛ ولكن الكاهن الأكبر للمدينة يؤكد له أن هذه الرؤية حق ، وأنه معرض للخطر على يد حفيد من بناته ؛ بما أنه لم يوهب ذكرا واحدا يرثه ، ويرث الملك بعده .

وكلما يتجدد الحديث عن زواج الأميرات يتوهم الملك رؤيته للحلم ، فيذهب الملك مرعوبا قلقا إلى كاهنه غياث من جديد ويقول : يا غياث الملكة متنمرة تريد تزويج بناتها ، وغضبها شديد حتى بت أخشى على نفسي من غضبها وهجرها فراشي .. إنها على وشك التمرد على سلطتي ، تصيح : لقد تجاوزت البنات سن النكاح .. الحلم الحلم الحلم

قال الكاهن الأكبر بخبث : الملكة عدوة لك أيها الملك.. إنها تحب بناتها أكثر من حبها لك .. هكذا النساء يحببن فلذات الأكباد أكثر من الأزواج .. احذر مكر النساء وغدرهن .

ـ لقد مللت منها ، وصرت أخشاها على حياتي .. هل اطلقها ؟!

قال : لا داعي لذلك أيها الملك .. فأهلها سيغضبون ، وأخشى على حياتك منهم .. فالناس متعاطفون معها في قضية زواج البنات .. شقيقاتك معها غاضبات .. وأخوتك ناقمون .. وعلى رأس الناقمين الوزير .. وما أدراك ما الوزير ؟! فالأمير الشقيق غاضب مني ، وطلب مني أن أشجعك على تزويج بناتك .. وأفسر المنام بطريقة أخرى .. يريدون مني أيها الملك أن أساعد في قتلك يا مولاي

ـ أخي مرارة فعل ذلك !

قال ببغض بين : نعم ، يقول البنات كبرن.. وبنات الملك دون زواج إن هذا لعار وشنار .. وحياة الملك لا خوف عليها .. على الأميرات أن تتزوج .. ولا يتركن لوسوسة شيطان ، وحكاية شيطان .. يقول: بأني شيطان . وأخذه البكاء ، وأخذ الملك بتهدئته وتهدئة روعه وتطييب خاطره ، ويقول : اهدأ أيها الصديق المخلص سأتكلم مع مرارة بن نعيم .. وسيأتيك معتذرا نادما على تهديدك ووصفك بشيطان .. أما من حل لزواج البنات ؟

ـ لم أفهم يا مولاي الملك !

ـ أقصد هل ممنوع تزويجهن جميعهن ؟

قال : الحلم لم يحدد واحدة منهن "موتك على يد حفيدك" أي حفيد أنت في خطر منه

قال : الوزير عنده حل يا غياث .

قال بسخط : الوزير لعين .. ما هو الحل الذي عنده؟

قال : أنا اخشى على حياتي منهم .. الوزير يقول : عندما تزوج البنات يحبس الأحفاد الذكور عن الأمهات .. هذا إذا لم يكنّ عقيمات .. هناك عشرات السنين حتى يكبر الأحفاد .

ـ في ذلك مخاطرة أيها الملك .. أنت أصررت على تفسير الرؤيا ، وقلت لك الأمر واضح ...إذا كبر حفيدك سيقتلك.

قال الملك بضيق وخوف : إنه حلم مزعج منذ تزوجت عزوفا ، وهو يطاردني هذا المنام يا غياث

ـ الأمر جد خطير يا مولاي! لن تموت إلا على يد حفيدك .. لا تخشى من أحد .. موتك على يد حفيدك .. ما دمت بلا حفيد فأنت في أمان وسلام .. وستموت بأجلك بسلام .

قال : ما رأيك باقتراح أوس ؟

رد بامتعاض : هذا الوزير لا يريد لك الخير

والسلام .. إنه يريد زواج ابنه من ابنتك تحدث معي في ذلك .

ـ متى أتاك ؟

ضحك سخرية وقال :كأنني أنا الذي أمنعك من تزويجهن .. المنام الذي يحول ويمنع نكاحهن أنت الذي رأى الحلم .. قليل من الصبر والحيلة ينصرفون عن بناتك .. فبنات الأمراء كثيرات

تنهد زرارة حزينا : كبرت سني يا غياث ! لا أولاد ذكور يرثونني .. ورجال البلاط يسخرون من حلمي ومنامي .. والبنات تكبر الأميرة أمامة أمست ابنة ثلاث وعشرين سنة ، وبانة عشرين

ـ ولكن حياتك أهم من نكاحهن .

قال : قائد الحماية يخشى على حياتي بسبب ذلك .. يخشى من المؤامرات فللملكة غاضبة عليّ والوزير .. وتريد أن تتزوج ابنتها من ابن الوزير لؤي .

ـ أنا أيها الملك العظيم فعلت ما بوسعي ، وفسرت المنام .. وأدرك هذه الهمسات من ترددهم عليّ وإغرائي بالمال والجواري لأغير تفسيري ؛ لكنك صديقي منذ عهد والدك الملك نعيم ؛ فلا يمكن خيانتك والتواطؤ معهم.

ـ أنت موضع ثقة عندي ، وخصمك خصمي .. هل يقتلوني غدرا ؟!

قال : دع الخدم يأكلون من الطعام والشراب الذي يقدم لكم .. وانتظر بعض الوقت .. الشيطان عدو الإنسان .. وقابيل قتل هابيل .. وبغدرهم يغدرون بأنفسهم .

قال : ما الفائدة بعد الموت غدرا أيها الكاهن الكبير ؟!

ـ الله يحميك من الخونة .. وسأحرص على حياتك حرصي على حياتي فلديّ من السموم ما يقصف الأعمار .

الوزير أوس

لما جلس الملك على كرسي العرش في ديوان الحكم التفت للوزير أوس وحياه وقال : ماذا حدث لبني حنين ؟!

قال : يا مولاي ! لقد ذهبت بنفسي ، وقابلت سيد القوم ، وسيسلمون ابنهم للقاضي ، وبعد تحقيق العدالة سيدفعون الدية لأسرة الضحية .

قال الملك مبديا اهتمامه بأحوال الرعية ومعرفة مشاكل المدينة التي يحكمها : المهم أن المشاجرات والمعارك قد انتهت وتوقفت .

ـ على وشك الانتهاء أيها الملك .

قال : لم تنته بعد !

ـ على وشك ؛ لأنني هددت بتدخل الجيش الملكي إذا لم يلتزموا بالهدوء والسلام والبعد عن العنف .

ـ جيد أيها الوزير !

وبعد سكوت يسير قال الوزير : وماذا ستفعل بزواج ابنتكم يا مولاي الملك ؟ لقد علمنا أنك

التقيت بغياث الكاهن خلوة .
قال بنبرة حادة بعض الشيء : تتجسسون عليّ !
ـ لا أحد يتجسس عليكم .. غياث هو أخبر أعوانه بزيارتكم الملكية لمعبده .. وأخبر أن المملكة في خطر من الوزير والملكة عزوف .
ـ هو أخبر بذلك!
قال الوزير بسخط : هذا كاهن ضال فاجر ! ويشكل خطرا على الملك والبلاد .
رد الملك معترضا : إنه كاهن البلاد والملك .. ولا يشكل خطرا على البلاد ولا العباد .
قال الوزير بحدة : منع تزويج الملك لبناته بذلك الزعم .. أليس في هذا خطر على الأمة ؟ فهو نذير حرب وشؤم .. فأنت تعلم من شأنه أكثر منا .. وهذا خطر حقيقي على سلطة الملك!
ـ هون عليك أيها الوزير ! إنك تكرهه أكثر من اللازم أكثر مما ينبغي أيها الوزير!
قال : لقد نصحت مولاي أمس وقبل أمس .. نحن نكبر في السن فلا تدع هذا الخوف يحرمهن من الزواج .
ـ إنه الكاهن أيها الوزير !
صاح الوزير :إنه حقير ! ولا يهمني غضبه وشخصه .. شخص يمنع سعادة بناتك فهو خبيث ولئيم !
ـ الزوجة فقط غير سعيدة أيها الوزير !
قال : موقفها منه إنه شيطان رجيم .. ولولا حمايتك له لنال عقابا صارما .. نحن نبغضه .. يحرم أم من الفرح ببناتها .. فهو سبب المشاجرات بينك وبين الملكة عزوف أم البنات .
ـ هن بناتي يا أوس!
ـ أعلم مولاي الملك! ولكنك ترفض زواجهنّ ، وتمنعهن من أهم وظيفة خلقن لها .. ومن أجلها وجدن .. الزواج والذرية .
قال : لكن حياتي في خطر من أرحامهن !
ـ هذا غيب .. والمنام أضغاث أحلام أيها الملك ! كلنا نحلم .. وهذا تأويل الكاهن اللعين وحده الفتاة أهم فرح لها الزواج والولادة .. فابنتك الكبرى كان أن تتزوج من سبع سنوات .. وكذلك أختها .. من سيرث العرش بعدكم ؟
قال متهكما : ابنك !
قال : ابني قد يتزوج إحداهن.. وابني لن يرث العرش .. نحن فينا الوزارة أب عن جد أيها الملك! ومنذ نشأت هذه المدينة والملك في أسرتك .. ولولا العهد القديم بيننا لنزعت الكرسي عنا .. ونحن سنحافظ على العهد .. ولن نكون ملوكا وإذا تزوج ابني أمامة فلا يخوله ذلك أن يجلس على العرش، ولا حتى الوزارة فهو من أوسط الأبناء .
قال الملك مظهرا كرهه للوزير : فعلا لولا العهد الدارج بين أسرتينا لخلعتك عن هذا الكرسي

ولا أريد أن يكون الخلع والشر على يديّ وعهدي .. أيها الوزير لقد عاشرت عشرات الجواري والإماء ولم تلد أي واحدة منهن .. ولو أنجبت واحدة منهن لطلقت قريبتك عزوف ولكن العلة مني كما يقول الحكيم بوسام .

ـ يا مولاي ! ليس وحده من قال ذلك ..كلهم أكد هذه الحقيقة .. وهذا قدر الله .

قال بضيق بين : وهل قدر الله أن أزوج بناتي ليلدن من يقتلني ؟!

ـ هذا غيب أيها الملك! وأنا اقترحت عليك أنّ من تلد ذكرا يحبس ، ويعيش حياة خاصة بعيدة عن الحكم والسلطان .. وفرعون مصر الذي نقرأ قصته سعى للنجاة من الغيب ففشل .. وعاش موسى النبي في قصره .. وعندما يشب حفيدك قد نكون من الأموات .

قال ساخرا : قد أعيش مائة سنة إذا لم يظهر هذا اللعين .

ـ زوجهنّ وانفيهن من البلاد .. الملوك والشعراء يسخرون منا ومنك يا مولاي! ومن هذه الأفكار .. الملك زرارة يحرم بناته من الزواج لمنام سخيف .. ويقولون ولماذا يقتل الحفيد جده الملك ؟! وجعل من نفسه أضحوكة لكاهن دجال مريض لولا حرمة الدم لأمرت بسفك دمه

هتف : أنا قلت لك إذا أوذي الرجل فأنت المسؤول عن موته ودمه عندك .

تبسم الوزير : وهل اقتله بعد كل هذه السنين أيها الملك! لو أردت قتله لفعلت ذلك قديما .

ـ كانت الفتيات صغيرات ، وكنت تأمل موته قبل بلوغهن هذه السن .

قال متحديا : الأميرة أمامة كبيرة .. ولها أكثر من سبع سنوات وهي أهل للزواج .. والخطاب يتقدمون إليها فيصدمون بمنامك الكريه ... إنك تظلمها وتحرمها من الأمومة والذرية بحكم منام .. وبحكم تفسير كاهن حاقد على الملكة وبناتها .. حب النفس جبلة في الناس .. وكاهن الملك يحتمي بك .. فاليوم بناتك الأربع في سن الزواج .. لا تخش على كاهنك اللعين مني وأنت حي والأمر يعظم عند إخوتك وأقاربك من من بناتنا بلغت العشرين ولم تتزوج لتكون أما ؟!

قال مغلولا : ألا تستطيع أيها الوزير الاختفاء من حياتي ؟!

ـ ليتني أستطيع ذلك ..فالوزارة لنا دونكم .

ـ لو خلعتك ماذا ستفعل ؟

قال : ستخلع نفسك .. ولن يقبل الناس غيرنا في الوزارة .

ـ كم أبغضك!!

تبسم الوزير فهذا معلوم لدى الجميع : هذا لا يهم

ـ إذن لا تتدخل بيني وبين بناتي المظلومات .. فأنا

ظالم في رأيك!

صرح الوزير بجرأة معهودة فيه : أيها الملك ! هناك همس .. وقد يتم عزلك عن الحكم إذا أصررت على رفض زواجهن .

قهقهة وقال بغيظ : من يهمس بذلك ؟ أنت وقومك

ـ لا ، أنا ارفض هذا المنطق لليوم .. أهلك يهمسون ذلك

ـ عمي الشيخ العفن لا يستطيع .. أنا إخوتي حذرتهم من التدخل بيني وبين بناتي

ـ أرجو أن يكون الجميع قد استوعبوا التحذير ، لأني أخشى الفساد في البلاد .

قال : المهم أن يبتعد ابنك عن ابنتي .

ـ فات الأوان أيها الملك !

ـ لم أفهم

ـ ستفهم قريبا

ـ ويحك إنك تدفعني للفتك بك .

قال : أعرف حقدك عليّ .. وأنت تعلم أن الغدر بي يعني نهاية حكمك .. فهذه قسمة قديمة بيننا .. وقد حاول أحد آبائك الخلاص من وزيره ـ أحد أجدادي ـ فخلع عن الملك .. وكاد الملك أن يحبس لولا تدخل العقلاء من قومنا ، ورمموا الأمر والجروح والكسور.

تنهد الملك حزنا وقال: نعم ، ما زلت أسمع بهذه القصة القديمة ، وأشك بصحتها .. أفكر بأن اجرب بك أيها الوزير .. وأنظر ماذا ستفعل بي ؟

ـ ما حل بجدك .. وستحبس في سجن أو قصر مغلق .

قال : إنك لا تحسب لي حسابا ..آه أنت عدو !

ـ أنا الوزير .. ونحن ندير البلاد والعباد ، ونحكم بالحب والعدالة والعمل الصالح والنظام .. والفارس حجر قائد حرسك لا تسمع لوساويسه ، ولن يؤازره أحد من عشيرتنا .. وإذا كرر أقواله بالتمرد سأضع حدا له.. وأعزله ..لا تظن أن عيون الوزير غافلة .

ـ لا أدري هل أنا الملك أم أنت؟!

تبسم الوزير العجوز : أنت الملك أيها الملك ! وأنا الوزير أوس بن عثمان سليل الأسياد من آل سلمان

قال ضجرا : ليتك تغرب من مجلسي .

ـ لست مشتاقا له .. ونحن ندير البلاد من الديوان الخاص بنا .



الملكة

دخل الملك جناح الملكة عزوف ، وحضرت الملكة لمجلسه وبين يديه ـ وكان غاضبا حانقا كما بدا لها

ـ فقال : ألا تكفين ابن عمك وتحريضه عليّ ؟!

فقالت بتجاهل وعدم مبالاة مع غضب مكبوت :

من ابن عمي ؟ فهم كثر .

صاح : ابن عمك الوزير اللعين!

ـ الوزير أوس ما الخطب ؟

ـ الخطب أنه ما زال طامعا في تزويج ابنه من ابنتي التي سيكون موتي على يد ابنها حفيدي .

صاحت وزعقت : هذا كلام فارغ أيها الملك ! فإنهنّ كلهنّ في سن الزواج .. وأنت تحرمهن من حقهن الطبيعي الذي خلقن له من أجل رؤية شيطانية فسرها شيطانك غياث .

ـ قلت لن تتزوج بناتي .

وقالت : ولماذا تزوجت أنت؟! وقد سمعتك تقول إن المنام جاءك قبل زواجنا .. فكان الأولى ألا تتزوج !

فقال بسخط : وهل يعيش الملك بدون امرأة ؟!

فقالت بتحد : يعيش .. الجواري يملئن القصر .

ـ تسعين للطلاق .

قالت باستهتار : ما أكثر ما تردد هذه الكلمة ! أنا لا أخشى الطلاق .. أنا لا أرضى أن تبقى بناتي بدون أزواج ، وبدون أبناء .

قال : أنت حمقاء مثل ابن عمك ! .. أفكر بخلعه عن الوزارة ، ونفيه إلى مدينة أخرى .

ضحكت للحظة وقالت : لو أنك تستطيع ذلك لفعلته دون إخباري.. ولفعلت ذلك من سنوات .. وأنت متأكد أن خلعه خلع لنفسك .

صرخ بجنون : لن يوجد حفيدي يا عزوف!

ـ والعرش.

قال : عندما أموت بهدوء وسلام يرثه من يشاء .

صاحت : يا رجل البلاد ! حفيدك غيب في علم الغيب ، قد لا يولد، قد لا يعيش .. وهل نعيش حتى يشتد عوده ؟ .. ولماذا يقتلك ؟! أنس هذا الحلم الشيطاني .. الكل من الأمراء والسادة منزعجون من ترك البنات بدون زواج .

ـ هن بناتي يا عزوف

ـ وبناتي كذلك .

قال بعد سكوت : أنا أفكر حقا بالقران .. وسأتزوج الأميرة غزنة

ـ علمت أن والدها اعتذر عن زواجها .

ـ اعتذر خشية إخوتك ، وابن عمك الوزير وطلاقك .

قالت : طلاقي لا يهمني.. الذي يهمني نكاح البنات .. من هذه الجلسة طلقني

ـ وأهلك !

ـ هذا شأن خاص بنا .. ألست الملك والسيد المطاع أيها الملك ؟!

قال : لست مطاعا .. الملك الحق اللعين أوس بن عثمان .. حتى الحرس يخشونه أكثر مني .

ـ أنت إذن لست ملكا !

قال متحسرا : نعم ، منذ مقتل القائد ضرار ذهب ملكي .

قالت : على ذكره هل علمتم قاتله ؟

ـ الوزير اللعين أخبر أن الرجل قتل غيلة وغدرا عند الغدير ، لقد نصحت له أن لا يذهب إلى ذاك المكان .. ولم يسمع لي .. لقد هاجمهم الفرسان ليلا ، وقتل مع رجاله وحرسه وخدمه إلا ذلك الغلام الذي تسلق شجرة عالية وغفلوا عنه .

ـ ماذا كان يعمل تلك الساعة من الليل ؟

قال : كان يقضي حاجته عند الجبل ، ولما رجع للمعسكر سمع الصراخ فصعد أعالي الشجرة ونجا .

ـ كتبت له الحياة ..والقائد الجديد!

ـ ولاؤه للوزير أكثر من ولائه للملك .

قالت : كلهم ولاؤهم لك حتى الوزير .. وأنت تعلم أنه حسن الخلق على سوء خلقك معه .

ـ أنا لا أطيقه .. متعجرف .. حذرته اليوم من الغدر بالكاهن غياث .. وإذا أصابه مكروه فهو المسؤول عن ذلك .

قالت : لو أراد الوزير الفتك بغياث اللعين لفعل ذلك من قبل أيها الملك!

تنهد ضيقا وقال : وأنا هذا الذي يحيرني ..فهو يحقد عليه بقوة ! وحقده واضح .. وما زال مبقيا على حياته ؛ ولكن غياثا يحس بالخطر المحدق به كما يقول لي أيها الملكة .

ثم سأل :كيف تعلق ابن الوزير بابنتنا أمامة ؟ ولو قبلت بزواجها فلن يكون ابن الوزير أحدهم

همست : هو فارس شجاع ..والبنت تهواه وتعشقه

صاح : إنه شاب سيّء وقح !

ـ رآها صدفة من سنوات ، ووقعت من نفسه ، وهي قبلت به .

ـ قلت لن يتزوجها وأنا حي .

صرخت محتدة : هذا ظلم .. ظلم أيها الملك! ومنامك فاسد.. أهذا حلم أيها الملك ؟ من أجل حلم تظلم بناتك ، وتحرمهن من الأمومة .. فالأمراء يرغبون بهن زوجات .. زوجهن واحبس ذريتهنّ حتى يدركك الموت فيخرجون للدنيا

ـ لا يقبل الآباء والأجداد ذلك الشرط .

ـ شرط عليهم .. كل بنات المدينة تتزوج إلا هن محرومات مما فطرن عليه .

قال : إذا تزوجت إحداهن سأضطر لطلاقك .

ـ قلت لك ألف مرة طلقني قبل زواجهن .. المهم أن تزوجهن الأكفاء ، ويصبحن زوجات وأمهات مثل بنات المدينة .

ـ لن أقبل أي شفاعة لتعودي ملكة وزوجة .

قالت : سأعتكف في قصر والدي .

قال : لم أعد أراه في الديوان .

ـ مريض جدا .

ـ لم أخبر بذلك .

ـ بل أخبرت ؛ ولكنك تجاهلت الحديث عنه ..وقد بلغ من الكبر عتيا

غير الاستفهام وقال : شقيقك عادل هل من أخبار عنه ؟

ـ منذ اختفى لم نسمع عنه شيئا ؛ ربما غرق في البحر

قال : أين جثته ؟

ـ وهل كل من يغرق تظهر جثته ؟ وجدوا سفينته على الشاطئ محطمة

ـ والبحارة .

ـ اختفوا معه .. فالراجح أنه ميت .

ـ ولكنكم لم تعلنوا موته ، وتقسموا ميراثه .

ـ لم نتحقق من موته ..يخشى أبي فعل ذلك قبل التحقق من هلاكه .

لؤي ابن ا لوزير

دخل الأمير لؤي على مجلس والده الوزير ، وأعلن عن طلب خلوة ، فأخلى الجالسون الحجرة

وقال الوزير منزعجا : ويحك ما الأمر لتطلب إخلاء الحجرة ؟!

قال الشاب : هنا خطب خطير يا مولاي !

كان الوزير يحدق فيه : خطب ! تكلم إنني مصغ إليك .

قال : الملك يرفض زواجي كما تعلم من ابنته أمامة .. وقالت لي الأميرة قبل مجيء إلى هنا أن الملك يسعى لتزويجها من أمير غريب أمير من غير مدينتنا نكاية بنا .. وأقسم ألا يزوجها لي أو لأحد من بلادنا .

سكت الأمير ، ولزم الوزير الصمت لدقائق، ثم قال بهمس: الأميرة قالت ذلك .. إنه مصر على رفض الزواج .. فلن يأتي الأمير من مدينة أخرى .. كيف لو يعلم بزواجها خفية ؟ وإنكما زوجان .

تنهد بعمق وحزن : هذه الداهية ..والأميرة حامل يا مولاي!

دهش الوزير وقال : أوه حامل !!

ـ أليست أنثى كسائر النساء ؟

قال مؤنبا : تعجلتم بالحمل !

ـ قدر الله ذلك يا مولاي ! رغم استخدامها تلك العشبة التي أوصيت بها فالأمر خطير ومزعج

ـ نعم ، نعم ؛ ولكن لا تيأس ..كل قضية ولها ألف حل .. الملكة تعرف بهذه الأخبار الطيبة .

قال : نعم ، تقول الأميرة إنها على علم بحملها ، وبسعي الملك لجلب زوج لها من غير بلادنا ، وهي تراعي الأميرة وإبعادها عن لقاء الملك ومجلسه خشية فضح أمرها وسر زواجنا الخفي .

صمت الوزير لدقائق ثم قال : سنعيق هذا الزواج إذا جد ذلك ، ولن يحصل بالتأكيد .. فهي زوجك.. وسنترك الملك يدبر هذا الزواج الغريب، وينشغل بهذه القضية ..وقد تأخذ وقتا

طويلا حتى تتم إن صدق .. ثم نعيق الأمر حتى تلد الأميرة خفية عنه وعن عيونه .. فعلينا بالهدوء ولزوم الصمت والسكون حتى تضع حملها .. وسنبدأ حيلة ومخرجا .. وقد يكون هذا منه خدعة ؛ لنكف عن اللح عليه بتزويج البنات البائسات من حلمه .

قال : هذا هو الحل يا مولاي الوزير!

تريث الوزير قبل الرد ثم قال : نعم ، فليبحث عن الزوج الغريب .. وبعد الولادة يخلق الله ما يشاء أيها الأمير .. نحن أخوال الأميرات ، وعدم زواجهن عار علينا كالملك تماما.. فعلينا أن نكون معهن ، وندبر زواجهن رغم أنف الملك .. هذا أول ملك يحرم بناته من الزواج بحلم ومنام شيطان.. شجع الأميرة على الصمت ، وإخفاء الأمر وعند اقتراب الوضع فسأقوم بأبعادها إلى قصر صحراوي .. وستكون أمك والداية هناك .. سهل الله أمرنا .. وسيأتي يوم ويشهر هذا النكاح على العامة والأمة .. تعلم أن الملكة استغاثت بي بعد يأسها من زوجها بتزويج بناتها الكبريات .. وما كان إلا أن ألبي الاستغاثة يا لؤي .. وأنا أعلم هواك للأميرة ، وهواها بك.. واعلم عناد الملك وصعوبة تغيير رأيه ، وقد عشعش في رأسه موته على يد حفيده " موتك حفيدك " والكاهن اللعين سيطر على عقله وقلبه .. وقد حذرني من إيذاء غياث أو قتله .

قال : لقد راودتني نفسي مرات بسفك دمه والقضاء عليه .. وأن أغمد خنجرا في صدره .. لقد استغل الحلم أسوأ استغلال للسيطرة على الملك ، وملأ قلبه رعبا كما تقول أمامة من زواجهن إنه يتكلم عنه بخوف ورعب .

قال الوزير ببغض للكهنة : هؤلاء الكهنة والمنجمون يستغلون العقول والقلوب الضعيفة ، وقلوب الأسياد للسيطرة عليهم .. كان والده مثله يرتعب منهم ، ومن تكهناتهم ، لا يعمل عملا إلا بموافقتهم .. وقد حاولت ثنيه عن التعلق بهؤلاء الكهنة ولم أفلح .. فقد ترسخ في عقولهم صدق تكهنهن وخاصة هذا المنام الشيطاني.. لم يهتم برأيي ؛ بل سفهه ..وقلت تظل بناتك عوانس ومحرومات من الذرية من أجل هكذا حلم حلم تافه .. فيقول ألم ير ملك مصر البقرات السمان والعجاف ، فكان القحط ؟.. هكذا يقول له غياث اللعين إنه خبيث ماكر !

ـ إذن علينا لزوم الصمت يا مولاي ! إزاء ما يحدث في ديوان مولانا الملك .

ـ من يقوم بالمراسلة بين الملك والأمير الغريب ؟

قال :لا ندري الملك صرح للملكة ، ونقلته لإمامة ومن أمامة لي .

ـ تغريب النكاح ..إذا كان جادا سيجد ، ولن

يكون الأمر سهلا .. فهم يعرفون قلة تزويج بناتنا الأميرات من أمراء خارج بلادنا .. نادر أن يحصل ذلك.. ويحصل لأسباب حربية ؛ ولكنه يحصل أحيانا كتبادل بيننا لتقوية أواصر علاقتنا مع الملوك الآخرين .. وهذا لا يتم إلا بإعلامي وإعلام القاضي الكبير والسادة الأقارب من الدرجة الأولى .. علينا بالصبر لنرى تحقق ذلك .. وحين تلد الأميرة سنجد حلا لزواجكم الخفي .

ـ عليّ نقل ذلك للأميرة ؛ لتطمئن الملكة الأم .. سأبعث إليها الجارية محظية برسالة شفوية

ـ أما زالت البريد بينكم ؟

قال لؤي : إنها ذكية !

ـ ولكنها جارية

قال : ربنا الستير يا مولاي الوزير !



الحمل الخفي

قبل الفجر بوقت يسير انطلق الأمير لؤي إلى قصر الأميرات ، ومن مدخل خفي مشى نحو إسطبل الخيل ، والتقى بالأميرة أمامة زوجته ، وبعد عناق وإظهار مشاعر الحب والغرام ، قال لها بعد ذلك رأي الوزير بقضية الخطيب الغريب ، وإن عليها عدم الجزع والخوف ، والاستمرار في إخفاء الحمل والزواج ، وقال لها لن تكون هناك فضيحة ، ونحن تزوجنا سرا عن الناس والملك ؛ لأن والدك يمنعكن من النكاح بذلك المنام الشيطاني ، واستطاع تهدئة قلقها وخوفها وأن والده سيتحين الفرصة المناسبة لإشهار نكاحهما .

فلما اطمأنت روحها قالت : أمي تتحدث عن طلاقها .

قال مشجعا : هو يتحدث عن ذلك من عهد بعيد .. وأمك حسب علمي غير مبالية ، ولا يهمها طلاقها ، المهم سعادتكن.. ولم تعد تخشى مولانا الملك!

قالت بحب : كم أحس بالأمان وأنا بين يديك !

ـ سنحميك يا أمامة فأنت قرة العين .. ولن أتخلى عنك أبدا ـ إن شاء الله ـ وسيظهر زواجنا للعلن .. ونعيش كباقي الخلق .. ويبارك لنا الجميع بهذا الزواج .. ويقبل الوالد بهذا الزواج ، ويتخلى عن ذلك الحلم .

قالت وهي ترتعش : أيقبل أبي بعد كل هذه السنين التخلي عن حلمه ؟!

ـ أليس هو الذي بدأ يتحدث عن زواجك من أمير غريب ؟

ـ أنا عجبت من ذلك الكلام !.. ولزمت الصمت .. لا يمكن أن تتزوجي من ابن ذلك الرجل فكم يتحدث عن كرهه لكم ! وتمنيه اختفاء الوزير من

الدنيا .

تبسم لها : سنختفي كلنا يا أمامة من فوق الأرض .. وما دام الكره والبغض في القلب فلا خوف منه .. أما إذا خرج لليد والجوارح فهنا مكمن الخطر والضياع .. وعسى أن يفيق الوالد من منام الشيطان ، وتتزوج باقي البنات في أمان وسلام .

ـ ليتني أعيش بسكون وهدوء كسائر الخلق وبنات المدينة !

عاد لزرع الأمل : سيتحقق ذلك قريبا .. ثقي بي .. سنعيش هذه الحياة الهادئة والطيبة .. قد نعيش هذه الحياة عند ولادة ابننا أو ابنتنا يا أمامة .

ـ إني مرعوبة يا سيدي من افتضاح أمر الحبل .. وهل سيخفى على عيون أبي ؟

ـ حتى ولو علموا يا أميرتي لا يجرؤون على نقل ذلك .. فسيغضب الملك ، ويغضب الوزير .

ـ كم أنت رائع وأنت تبث الطمأنينة في نفسي ! رائع بهذا التشجيع ! أنا بحاجة أن أسمعك كل ليلة .

قال بثقة : سيحدث هذا أيتها الأميرة الغالية ! هي أحوال صعبة ..سنعيش تحت سقف واحد وستلدين غيره .. لولا حبي الصادق لما غامرت هذه المغامرة .. الحب الطاهر جمع بيننا .

قالت :أتمنى أن لا تكون غلطة الدهر .

ـ أنت مرعوبة جدا يا أمامة حسبتك شجاعة قبل هذا اللقاء!

قالت : الحمل مخيف أيها الشجاع ! حتى أمي بدأت أمس ؛كأنها نادمة على زواجنا

ـ نادمة ! أعتقد أنها قلقة فحسب .. أليست هي التي شجعتنا على الزواج ؟ واستغاثت بأبي وتزوجنا دون علم الملك .. لا تقلقي يا حبيبتي .. واعلمي أن السيد الوالد لن يتخلى عنا ..وقد شجعنا على الزواج لما رأى أن الكلام مع الملك بغير فائدة .. وكلام الملك عن زواجكم سيغير من عقدة الملك إذا سعى للبحث عن أمراء من خارج المدينة ويقرب فكرة زواج الأميرات .

ـ أخشى أن يكون ذلك حيلة حتى تسكت أمي عن اللح عليه بزواجنا ..وأن يصر على عناده وخوفه من الغيب .

قال : يا حبيبتي توكلي على رب البرية سيغضب سيغضب ، ثم يضعف ويرضى بزواجنا ، ويبارك لنا .. المهم أن لا يعلم بوجود الحفيد رغم أنفه كما يقال .. هذا غياث شيطان مريد كان يستطيع أن يغير فهم الملك في تفسير المنام ؛ ولكنه وجدها فرصة لتعزيز موقعه عند الملك لغاية في نفسه ، وجعل الملك ألعوبة بين يديه .. إنما هؤلاء الكهنة كان يستفيد منهم أجدادك عند الحروب عند زواجهم زواج بناتهم .. هل يخوضون الحرب أم يؤخرون المعركة لوقت وزمن آخر ؟ حسب

شعوذة الكهنة .. تقديم الزواج لفصل كذا .. شهر كذا .. هذا الزوج مناسب غير مناسب .. وكثير من الأمور كما يحدث أبي دخلوا فيها ، وخاب رملهم وخططهم أميرات تزوجن بمشورتهم ، ثم طلقن ، لم يلدن ..وأصبح هذا تقليدا متبعا في أسرة الملك والدك وأجداده .

ـ إنكم لا ترهبون هؤلاء الكهنة .

ـ نحن لا نهتم بهم ، ولا نعتمد عليهم في حياتنا ومغامراتنا .. فهم عدو لنا أيتها الحبيبة ! ولولا تعلق أسرتك بهم لطردهم أبي من البلاد .. إنهم دجاجلة يعتمدون على التخريف والحدس .. وكثيرا ما يخيب حدسهم .

الحبس

استطاعت الملكة عزوف وابنتها إخفاء الحمل حتى ولدت الأميرة مولودها في مكان سري بمساعدة الأمير ، لؤي الذي لما تسلم المولود دفعه لخادم أمين معد لهذا اليوم ، وغادر المدينة قبل انبلاج الفجر بحماية الأمير ، وخرج به من مخرج غير مطروق ، ولما عاد الأمير طمأن الملكة والأميرة على إخفاء الطفل .

وكان الملك خلال هذه الفترة يزعم أنه يراسل الأمراء والملوك لتزويج بناته ، وأنه أرسل بعض خدمه واتباعه لهذه المهمة الحساسة ؛ ولكن لم يصدقه أحد من الأمراء ، ولم يأخذوا كلامه على محمل الجد .

وذات ليلة بعد أقل من شهر على الولادة الخفية دخل الملك جناح النساء غاضبا ساخطا هائجا ولما مثلت الملكة بين يديه صاح فيها : لم أكن أعلم أنك خائنة وحقيرة لهذه الدرجة !

فصاحت دون تردد : احترم نفسك أيها الملك ! أأنا خائنة ؟! ما هي الخيانة التي تتحدث عنها ؟! لطمها غضبا وسخطا وصاح : أتلد ابنتك الفاجرة من ابن الوزير اللعين دون علمي ؟!

ـ ومن أخبرك بهذا ؟!

صرخ غضبا : ليس المهم من أخبرني ؟ المهم أنك خائنة مجرمة متآمرة .

قالت بهدوء : لست خائنة ، ولا مجرمة ، أنا تهمني مصلحة ابنتي .. لقد هرمت ، ولم تتزوج .. هي تزوجت ؛ لأنها كبرت وشاخت من وراء حلمك ومشعوذك غياث ؛ ولأنك كنت مصر على الظلم والعدوان .

ـ يا لك من حقيرة ! تزوجينها دون علمي أنا.. سأقتل هذا اللؤي اللعين .. يخون مولاه الملك

ـ أنت تسعى للفتنة .

قال : أنتم الفتنة ! سأقتله .. اعلمي أن ابنتك في الحبس حتى تموت ، لن تخرج إلا للقبر ، ولسوف أعرف مكانه .. أين أخفيتم الوليد ؟

ـ تحدث مع أوس .

ـ سآمر بحبسه ، وإذا لم يخبر بمكانه سآمر بقتله .

قالت : تسعى إلى حتفك ؛ كأنك نسيت حجمك ، ونسيت من هم قومه ! وإذا قتلت الوزير فسيقتلك حفيدك ،وتتحقق نبوءتك إذا لم يثأر قومه منك .

فكر الملك وقال : ويلك ! من يجرؤ على قتل الملك ؟!

ـ ومن يجرؤ على قتل الوزير ؟!

قال : عليّ بتطليقك الآن .

ـ الصفعة لن أنساها لك .

فلطمها ثانية وصاح : ولا تنسي هذه أيضا .

فصرخت وقالت : سوف ترى ماذا تفعل عزوف ؟ سيكون موتك على يدي

ـ ويلك يا امرأة ! ويا لك من وقحة ! تخون زوجها ، وتزوج ابنته بدون موافقته من ذاك الجبان غادر الأمير المدينة سيعود ويا ويله !.. واحذروا غضبي ونقمتي .. سوف ترون عقابي أيها الجبناء الخونة .. وابنتك لن تخرج من الحبس حتى تموت

تركته ولبست ثيابها وفارقت القصر حيث والديها ، وانتشر خبر طلاقها في المدينة ، وخبر زواج ابنة الملك خفية من ابن الوزير لؤي .. وشاع الخوف والترقب بين أهل المدينة لهذه الأخبار ، وانتشرت الإشاعات والأقاويل والعواقب المرتقبة ، وشاع أن الملك يخطط لاغتيال الوزير أوس والانتقام منه ، وأن قبيلة الملك غاضبة على الوزير وقبيلته ، وأن البلاد على وشك الصراع والقتال وأنصار كل طرف يهددون ويتوعدون .. وهناك خشية من نقض العهد بين العشريتين الكبيرتين بسبب هذه القصة .. الكل يعلم أن القوة الحقيقية في المدينة بيد الوزير أوس وقبيلته ، ولولا العهد بينهم وبين سائر قبائل البلاد لاعتلت قبيلة الوزير الملك منذ عهد بعيد .. وبعد حين يسير عادت الأمور للهدوء ، ولم تمس من الوزير شعرة ولا من ابنه لؤي ، وعلم أن أخوة الملك وأقرباءه حذروه من التمادي في عداوته للوزير وغضبه ، وأنه هو سبب هذه المشاكل بعدم تزويجه البنات المستحقات للزواج من الأمراء والسادة ؛ بل تعرض الكاهن للضرب من مجموعة من رجال قبيلة الملك ، وطلبوا من الملك نفيه من البلد ، وتعيين كاهن جديد للمدينة قبل أن يقضوا عليه .

وعاد الملك للسكون والصمت والاعتذار لسادة قبيلته ، وأدرك الملك من جديد ضعفه ، وأن الملك الحقيق للبلاد الوزير أوس ، ولم يعد الوزير يجلس في ديوان الحكم الخاص بالملك ولو ساعة من نهار ، رغم الشفاعات أصر الوزير على رفضه والعناد .. وخشي العقلاء من السادة من الحرب الداخلية .. وأمام إصرارهم وافق الوزير على الصلح التام بإخراج أمامة من الحبس وإعلان الزواج في البلاد

؛ ولكن الملك رفض بقوة العفو عن ابنته الخائنة ، وستبقى في الحبس حتى تهلك وتموت .. وكل ظل على موقفه المتشدد .. وانتقل الكاهن بعد البهدلة التي تعرض لها من أقارب الملك للحياة في جناح خاص في نفس قصر الملك .. وهو حانق على ضعف الملك، وعدم قدرته على عقاب أقاربه الذين آذوه .



بانة

لم يستطع عقلاء المدينة إصلاح ذات البين بين الملك ووزيره ، وكل واحد منهما متمسك بمطالبه وشروطه .. الوزير يصر على إخراج أمامة من السجن ، وإعلان زواجها من ابنه لؤي والملك مصر على حبسها ،وعودة حفيده من مخبئه.

وبينما الناس والسادة مشغولون بعداوة الملك ووزيره أخبر الملك بهرب ابنته بانة مع الأمير كساب ؛ وكاد يسقط عن كرسي العرش عند سماعه الخبر ، وكان أحد القادة قد وضع هذا الخبر في قلبه .. فأمر الملك بمحاصرة قصر والد الملكة عزوف لتفتيش القصر ، ولكن القائد الناقل للخبر أخبره أنهما خرجا من المدينة ليلا ، وعلموا بذلك صباحا عندما لم تحضر الأميرة لطعام الإفطار .

فصاح وهو يحاول الاتزان : هذا مكر من أمها مع الوزير ! حاصروا القصر سأذهب للقاء بها

الأمير كساب بن صلاح هو أحد أبناء الفرسان الكبار في المدينة ، ووالده خطب ابنة الملك لابنه كساب ، فرفض الملك متحججا بالحلم والمنام ، فعاد الرجل لقصره ، وطلب من ابنه صرف النظر عن ابنة الملك ، وتظاهر الشاب بقبول ذلك ، وظل على علاقة خفية مع الأميرة ذات العشرين سنة ، ولما رأى ما يجري في البلاد رتب مع الأميرة حيلة للهرب من المدينة والحياة كسائر الناس ، فوافقت الأميرة على الهرب معه وعلى ترتيبه ، ولما سنحت الفرصة وانشغال المدينة بالصراع بين الملك ووزيره غادرت القصر بعد نصف الليل زاعمة للحرس أنها ستزور قصر أمها فرافقها الحارس حتى بوابة القصر ورجع ؛ ولكنها لم تدخل القصر ، ولم تقرع قصر الأم والجد ، فبعد قفول الحارس اتجهت إلى أحد أطراف المدينة ، والتقت بالأمير كساب وتابعا سيرهما على جوادين ـ كان قد جهزهما لهذه المغامرة ـ وكانا يسابقان الريح للابتعاد عن المدينة ولما بزغت الشمس تخليا عن الجوادين ، وخلعت ملابس الأمراء ، وتابعا المسير سيرًا على الأقدام إلى إحدى المدن الكبيرة .

واجه الملك مطلقته واتهمها بالتآمر عليه ،

وأقسمت له بعدم علمها بغاية ابنتها وبهذه المصيبة الكبرى ، واتهمته بأنه السبب لفعلها ذلك لمنعهن من النكاح .. وكذلك أقسم والدها داود بأن ابنته لم تدخل القصر الليلة الماضية .. وأنها خدعت الحارس .. وأن ابنته لا دخل لها في اختفاء الأميرة .. غادر القصر حانقا ناقما حائرا .. وأمر بتشديد الحراسة على ابنتيه الباقيتين .. واجتمع بالكاهن غياث ، وأطلعه على هرب ابنته .. فاغتم غياث أو تظاهر بذلك .. واتهم الوزير بتدبير الأمر ومكيدة الهرب .. فأكد له الملك جهل الملكة باختفاء الأميرة وأن الهرب يسيء لها قبل أن يسيء له .. فطلب الكاهن المهلة للتفكير في الأمر والخطب .

أصابت الملك الحيرة بتطاول أعيان البلدة عليه ، وقال لغياث : ألهذه الدرجة يا غياث ضعفت ؟! وإن القوة بيد الوزير اللعين .. ابنتي الكبرى تتزوج دون علمي .. ولولا ذلك الخادم الناقم من صاحبته ما علمت بولادتها .. واليوم ابنتي الأخرى تهرب مع صعلوك .. تهرب لتتزوج دون رضاي .. إنني أكاد أجن أين فرساني ؟ أين أهلي ؟ قال غياث متملقا : أنت طيب أيها الملك ! لا تستخدم القوة مع الخصوم .. ركنت للسلام والهدوء .. لو أنت أدبت الوزير قديما لما تجرأ عليك اليوم .. الكل يهابونه ويخشون غضبه .. أنت لا تحكم بقوة حتى امرأتك لا تكترث لك .. معذرة أيها الملك أنا أقول الحقيقة .. الملكة جعلتك أضحوكة عندما زوجت ابنتك دون علمك ، وولدت ابنتك دون علمك ، وأخشى الحفيد الذي سيكون موتك علي يديه .

ـ هلاكي !

ـ نعم ، وإلا لماذا أخفوه ؟!

تفكر قليلا وسأل : وهل سأعيش حتى يكبر حفيدي ؟ أتراه كيف سينال مني ؟! ألست أنا سبب إخفائها الزواج ؟ وهرب الأخرى يا غياث ؟

قال الكاهن محذرا ومخوفا : هذه هي الرؤية .. حفيدك حفيدك .. رغم حرصنا أيها الملك ولد لحفيد واختفى ! عليك أيها الملك أن تبحث عن الحاقدين والناقمين عن الوزير وقبيلته ، وتحرضهم ، وتزيد النار في قلوبهم على الوزير وحاشيته .. ذاك الرجل المسمى شهابا ألم يحقد على الوزير عندما عاقبه وجلده في الساحة ؟ .. اتصل به بوسيلة ما وأثره على الوزير .. وتلك المرأة التي شكت قبل سنوات من الوزير ، وأنه استولى على بيتها بعد وفاة زوجها .. وأنا سأبحث عن كل من ظلمهم الوزير وأعوانه واحرضهم على الانتقام منه ومن أعوانه .. والمال أشتر به ذمم الفرسان .

ـ وإذا علم الوزير بذلك !

ـ ماذا سيفعل هذا الوزير سوى التهديد والتحذير

قال متمنيا : متى سيهلك هذا العجوز يا غياث ؟

ـ سيهلك .

تلاقت العيون :أتستطيع تدبير مكر فيه ؟

ـ أنا !

قال : أنت ..ألست تصنع الأدوية السحرية ؟

ـ أنت تحكم عليّ بالموت .. أعوان الوزير يرقبون أمري .

قال : أحد أعوانك.. أريد أن يموت هذا الوزير .

ـ سوف أفكر بالأمر مليا .

هدر الدم

ظهر ضعف الملك على مدينة اللؤلؤ عيانا ، فطفق يفكر بقتل الوزير الشيخ زاعما أنه وراء زواج ابنته الكبرى خفية ، وهرب بانة مع الأمير كساب ابن أحد كبار القادة .. واتفق على ذلك مع كبير الكهنة غياث ، وسيكون القتل بالسم .

وأصدر الملك إعلانا يهدر فيه دم الأمير كساب ، ودم ابنته الهاربة ، وأعلن عن جائزة لمن يحقق ذلك المطلب .

وعجب الناس من هذا الإعلان ، وكانوا يتوقعون أن يصدر الملك عفوا عنهم ؛ ليعودوا للبلاد وتهدأ النفوس ، وتصفو القلوب .. لكن الملك أخذ الخطوة الخطرة وهي الدم والانتقام .

وربما لو عرف الناس أن سبب رفض الملك زواج بناته منام رآه الملك ، وهو سبب هذه الأمور الخطرة .. فسيسخرون من الملك وحلمه ؛ و ينسبونه للحمق والجهل

وكان الوزير أوس منذ اكتشاف أمر زواج ابنه مقاطعا لمجلس الملك ، ولا يزور الديوان مقر حكم الملك.. وهو مصر على العفو عن الأميرة وإطلاق سراحها ، وإعلان الزواج من ولده .

وكلما مضى يوم دون خبر عن حفيده ، وعن ابن الوزير يزداد حنقا وغيظا وغضبا ، وأخذ يبحث عن أعداء الوزير والأشخاص الناقمين عليه ليقربهم ويستفيد من حقدهم وعدوانهم له .

كان قائد الجيش من أقارب الوزير وقبيلته القوية ، كان قد تعامل مع قائد الحرس الملكي بقسوة الذي حاول السعي والشفاعة بين الملك والوزير ، فأسقطه من ديوان الجند والجيش .. وحاول الملك بواسطة اتباعه استمالته لصفه بالوعود البراقة والأحلام الوردية ؛ لكن القائد اعتذر بقوة الوزير وسطوة قائد الجيش .. وكذلك رفض القائد الجديد للحرس الملكي التمرد على قائد الجيش والوزير .. فأدرك الملك مرة أخرى ضعفه أمام قوة الوزير ، وضعف آبائه وأجداده .. وأنهم مجرد ملوك لا حول لهم ولا قوة .

وخلال هذه الفترة من التوتر وجُد من الناس والأفراد من يتعاطفون معه ، ويريدون التعاون معه على أمل التغيير في نظام الحكم في البلاد ، وإضعاف

سيطرة الوزير على مقدرات البلاد والعباد .

اتخذ الملك قرارا خطيرا آخر ، وهو الأمر بنفي زوجته المطلقة ووالدها من المدينة .. وحصلت ضجة في البلد لهذا القرار .. وأمام إصرار الملك غادرت الأميرة وحدها البلاد إلى مدينة مجاورة ورافقها أحد إخوتها ، وبعض جواريها وخدمها ، ولم يحاول الوزير التدخل في هذه القضية ذلك الوقت ومنع النفي .

جاءت رسالة سرية من أحد الملوك للملك يُبدي استعداده لغزو بلاده ، وقتل الوزير أوس ، وكان غياث أرسل له أحد أعوانه خفية ويطلب منه هذا الأمر .

استحسن الملك زرارة الفكرة ؛ ولكنه خشي من استيلاء الملك الغازي على البلاد ، وأن يخسر هو الآخر ملكه ؛ لأنه لا يقاتل أحد بدون ثمن وجائزة ، وأنه بغير وريث ذكر ..وتشاور مع الكاهن بأمر هذه الرسالة الذي تظاهر بأنه يجهلها وتخابث الكاهن وشجعه على التحالف مع الملك نواس ، والانتقام من الوزير وحاشيته واتباعه لرد الكرامة والهيبة لعرش الملك .

فقال الملك : أخشى زوال ملكنا يا غياث إذا انتصر نواس ..فهو سيطمع بحكمنا ، ثم يرثني حيث لا ذكور لي .. وإذا انتصر الوزير سأوصم بالخيانة وأعزل إن لم اقتل .. هذه مغامرة خطرة

ـ سيعيد لك الكرامة المهدورة أيها الملك .. وتعود لك القوة والمجد .. إنه ببعض المال يغزو البلاد ويقتل الوزير ، وتصبح أنت السيد المطاع .

قال مشككا : ومن يضمن نجاحه وانتصاره؟! أنا أسمع أنه مغامر .. ليست جيوشه بالقوية .. وسمعت أن ابنه غزا بلدة وعاد خائبا .

ـ تلك مدينة قوية ، وغير منقسمة بين ملك ووزير كحالنا .. واعلم أن جيشها أقوى من جيشنا ولن تكون حربا طويلة إنها بعض المعارك ولسوف يستسلم جيش الوزير .. فلنا

أكثر من عشرين لم نخضع حربا .

ـ أحتاج لمزيد من الوقت لارتكاب هذه المغامرة .. أنا يهمني الآن جلب كساب والأميرة الهاربة وجعلها عبرة لمن اعتبر من أهل المدينة.. لقد أهدرت دمها .

البحث

لم يتشجع الملك لتدخل الملك الغازي نواس لغزو مدينته لإذلال الوزير واتباعه ، وخشي من فوزه ، وخشي من خسارته ، فهو الخاسر من كل الجهات ، فسيضعف الملك الغازي من سلطته الضعيفة أصلا ؛ وربما يرثه بحجة الدفاع عنه ، وإذا انتصر الوزير وجيشه قد يتعرض للقتل باسم الخيانة أو الخلع .. وكان يمني النفس بقتل الوزير بأقل الخسائر ، ودون أن يتهم بقتله غيلة وخفية ، ووكل

الكاهن غياث بتدبير ذلك بصنع ترياق سام .. وذاك الكاهن يخشى على نفسه من الفشل ، ومرعوبا من افتضاح أمره قبل القتل وبعده .. ولن يرحمه أبناء وأعوان الوزير ولن يحميه أعوان الملك ، وهو خير من يعرف ضعفهم وخوفهم من سطوة أوس .. فأخذ يفكر بحيلة يقتل فيها الوزير يصعب معرفة فاعلها .. فغادر البلاد بحثا عن سم لا يعرف ، ولا يعرفه أطباء وحكماء المدينة .

واجتمع الملك بعدد من الفرسان خرجوا يبحثون عن كساب وابنته ، وكلهم رجع خائبا سواء بمعرفة مكان اختفائهم أو قتلهم .. وكان يفعلون ذلك خفية عن أعوان الوزير وعيونه .. وسيادة الوزير لم يكن مهتما بهذه القضية كان همه أن يفرج الملك عن ابنته أمامة وإشهار زواجها من ابنه لؤي ، وعودة الطفل إلى المدينة ؛ ليعيش كسائر الأمراء والسادة .

كلّف الملك ثلاثة فرسان من مواليه وأتباعه بالذهاب لمدينة "ديك الصباح" حيث نفيت مطلقته للعيش والحياة فيها .. وكان قد وافق ملك تلك المدينة على حياتها في بلده ، وتحت رعايته كأحد الرعية دون حراسة وحماية خاصة .. وكلفهم زرارة بمراقبة بيتها طمعا بمجيء بنتها وكساب إليها عندما يعلمان بنفيها .

وبعد مضي أكثر من أسبوع من المراقبة رأوا ابن الوزير لؤيا يزورها ، ويقضي ليلة في بيتها ، فعاد أحدهم للمدينة مخبرا الملك بهذه الزيارة ، وأنهم لم يرصدوا الأمير كسابا ، ولا ابنته بانة .. فحثهم على الصبر والحذر ، وأنهم لابد لهم من زيارتها في يوم ما.. وفكر بدّس جارية عليها أو خادم ليعمل في قصرها ؛ ولكنه عجز عن وجود حيلة للوصول لبيتها دون أن تدرك أنه دسيسة منه .. فعزوف ذكية وشجاعة .. فلو أرسلها كهدية ستعرف .. فلابد من إرسالها عن طريق شخص تثق به .. وهو لا يهمه شخصها وحياتها الذي يهمه القبض على ابنته وزوجها كساب .. ففكر أن يرسلها كهدية من الوزير ، وفكر بتزوير رسالة على لسانه ويبعث معه الجارية وبعض المال ولما ارتاح لهذه الفكرة أخذ يفكر بالجارية القادرة على تنفيذ مخططه .. وأجل التنفيذ لحين عودة الكاهن غياث الذي ذهب يبحث في المدن والأمصار عن سم مجهول ليقضي به على ذات الوزير دون أن يعرف هذا النوع من السم في بلادهم ، وربما استعان بجاريته سمات ، فهي مثل سيدها قوية وذكية ، وسيعدها بالهبات والعطايا الملكية إذا نجحت بمهمتها .

ومضت شهور ثلاثة على غياب غياث عن المدينة ، وقد خشي الملك عليه الموت ، وما زال الفشل أيضا يلاحق فرسانه الثلاثة في اصطياد الأميرة بانة وزوجها كساب ، وحتى جواسيسه في قصر والد

كساب الأمير صلاح لم ينقلوا له شيئا عن ذاك الاختفاء ، فهو منذ غادر المدينة لم يتصل بهم
وكان غياب غياث قد أقلق الوزير وأعوانه ، فهو تحت عيونهم ، ولم يعرفوا سبب هذا الاختفاء وهو شخص لا يستغني عنه الملك منذ تصاحبا ، ومتعلق به تعلق العروة بالزر ، فأثار هذا الاختفاء الريبة في نفس الوزير وأتباعه ، ولم يستطع عيونه معرفة سر هذا الغياب حتى من بعض الكهنة الذين زعم لهم أنه راغب فيها بالحج لمكة المكرمة بمفرده ، وموسم الحج ما زال بعيدا ، لقد خرج وحده دون خادم يخدمه ، ولا يعلم أعوانه سبب هذا السفر المفاجئ .

وقبل الحج عاد الكاهن للبلاد ، ودخل المدينة ليلا ، وذهب إلى قصر الملك ، وفرح الملك بعودته سالما ، وقضى ليله في قصر الملك ، ولما وصل الخبر للوزير أدرك أنه ذهب في مهمة سرية للغاية لسيده الملك .

طمأن الكاهن الملك على نجاح مهمته ، وأنه أحضر الأعشاب الضرورية لتوليد السم ، وأن أيام الوزير باتت معدودة في نظرهم ، وأطلعه الملك على خطته في البحث عن بانة ، وأن رجاله فشلوا في ذلك .

ووافق الكاهن على إرسال جاريته الخاصة جدا سمات لبيت عزوف ، وسيعدها بالزواج منه شخصيا إذا نجحت في مهمتها .

فقال الملك دهشة: أنت تتزوجها ؟!

ـ أنا أتزوجها ؛ لتقوم بالمهمة دون خوف وقلق ، ولن تضعف إذا شكت عزوف بها .. وهذا حلم كل امرأة أن تكون زوجة للكاهن الأكبر .

ـ ولكنك رجل عجوز !

ـ المهم أن تكون زوجة لي .. وهي ستجتهد لتكون زوجة للكاهن .

ـ رتب الأمر .. وستكون الأموال بين يديك .

ـ نحتاج لمبلغ يثير اللعاب أيها الملك كم هدايا الوزير يا ترى ؟

قال : حسب الأهمية .

قال غياث : ألف قطعة ذهبية .

موت أمامة

كان الملك وغياث وأعوانهم يخططون للتخلص من الوزير الشيخ ، وصيد بانة الأميرة الهاربة من خلال زيارة لوالدتها المنفية .

وافقت جارية غياث على القيام بمهمة التجسس على الملكة عزوف ، وكانوا يفكرون بوسيلة للوصول لقصر الوزير ، وكان من الأفكار المطروحة تصالح الملك مع وزيره ؛ ولكنهم وجدوا أن هذه المصالحة قد تثير الشبهات حولهم ، وأن التصالح كان لتحقيق هذه الغاية الرهيبة ، وفكر الملك بإطلاق أمامة من السجن من أجل

ذلك الصلح ، وأنه رضخ لشرط الوزير .

وبينما الملك في هذه الهم أخبره أحدهم بمرض أمامة الشديد ، فهرع الملك لسجن القصر ، ولما رأى ابنته دمعت عيناه .

وقال للطبيب : ما الذي حدث ؟!

قال : ترفض الأكل .. وتعيش على الماء .

ـ لماذا لم تخبروني ؟

أجاب : أخبرناك يا مولاي ! فقلت دعها تموت .

قال : لابد أني كنت غاضبا ناقما .

أمر الملك بنقل ابنته إلى غرفة صالحة للحياة ، ولكن كان قد فات الأوان ، فقد ماتت بعد أيام مما أبكى الملك بحرقة .. فهي قد حبست، وهي في فترة النفاس ، فمرضت منه ، ولم تعالج بشكل جيد ، ولم تلقَ الرعاية الصحية كوالدة حديثا .

وعلى أثر موتها ظهر غضب في المدينة ، ونقمة على الملك ، وقام أعوان الوزير بنقل الجثمان إلى مقبرة آل الوزير ؛ لأنها زوجة ابن الوزير ، وتعرضت بعض قصور الملك للحرق من المتعصبين للوزير .. وكادت تحدث في المدينة ثورة عارمة لولا تدخل الوزير بنقل الجثة لمقابرهم باعتبار أنها زوجة لابنه وعقد الوزير اجتماعا مع القاضي وبعض الأعيان لخلع الملك وتنصيب ملكا آخر وبعد اجتماع امتد لأيام لم يروا فيه ضرورة لخلع الملك .. فالأميرة ابنته ، وهو وليها ، وأن زواجها كان خفية ولم يكن معلنا ، وأن خلع الملك قد يصيب المدينة بفتنة أكبر من التي يعانون منها ، وفيه ترك المجال للعامة بالتدخل والتطاول على الحاكم والسادة .

أصبح الانقسام بينا في البلاد على أثر موت أمامة.. الملك في جانب ،والوزير في جانب آخر ، وزادت الخصومة بينهما ، وارتفعت حدتها حتى أن بعض الملوك والأمراء في المدن المجاورة يسعون للتوسط بينهما ؛ لتخفيف حدة التوتر .

والوزير رفض أي شفاعة وتعاون مع الملك .. وكذلك الملك رفض بدوره أي شفاعة أو أي صلح مع الوزير ، وكان يلح على غياث بالعجلة في الفتك في الوزير حتى ولو افتضح الأمر .. وغياث يدرك أن الخطر الأكبر سيكون عليه ، وينصب على رأسه ، وأن الملك سيحبس حتى يموت .

فقال : ليس أمامنا إلا أن نبني صداقة جديدة مع الوزير.. الصلح ، ثم الفتك به .

فقال مشككا بجدوى الصلح : وإذا تصالحنا فهل يثق بنا !

قال : عندما نتصالح أيها الملك سنرسل له عربون الصلح .. عددا من الخدم كتعبير عن حسن النوايا ، ومن ضمنهم خادمنا الشجاع ،وبعد حين يدس له السم في شراب أو طعام .

ـ هذا سيأخذ وقتا .

قال : صبرنا سنينا أيها الملك ! ولتكن سنة أخرى في عمر هذا الوزير الظالم الباغي

ـ نحن رفضنا كل الشفاعات .

قال غياث : عن طريق كبير القضاة .. تظاهر بالندم والحزن على موت أمامة ، وعدم تمتعها بالزواج ..وكذلك هرب بانة .. والكلام لسان الشيطان .. وخاصة أن الوزير سوف يقدم على تزويج ابنه الأرمل ..فهي فرصة لإظهار الندم والأسف والصلح مع الوزير .

وقضيا أياما يتجادلان حول ذلك الخطب ، ثم قنع الملك بكلام الكاهن ووسيلته للوصول لقصر الوزير ، ولابد من مد جسور الثقة مع الوزير وأتباعه والتظاهر بالاستسلام والندم .

لذلك طلب كبير القضاة ، وتحدث معه حول زواج ابن الوزير الأرمل لؤي بعد وفاة أمامة ، فأكد القاضي صحة ذلك ، فأظهر الملك حزنه وندمه على موت ابنته وحرمانها من الزواج ، وكشف عن رغبته بالصلح مع الوزير بسبب هذه المناسبة والمشاركة في عرس الأمير لؤي ، وأنه مستعد لدفع المهر أو طعام ضيوف الوزير من أجل روح أمامة .. وبعد عدة جلسات أعلن عن الصلح في البلاد بسبب زواج ابن الوزير ..وأظهر الملك عن أسفه للسادة والأعيان عن تقصيره في حق بناته ، وأنه على وشك الانتهاء من عقدة الحلم ، وأن موت أمامة أصابه في الصميم ، وهو يفكر بالعودة عن طلاقه ونفيه لزوجته عزوف .

وكان العوام بين مصدق ومكذب لفعل الملك ..وقدم الملك الهدايا للأمير لؤي كغيره من السادة ..وكان من ضمن هداياه عشرة من الخدم ، نصفها ذكور والنصف الآخر جواري .. وقدم مثلهم للوزير والقاضي .. فقبل الوزير الهدية ، وأهدى هو للملك هدية مهمة .



زواج عزوف

وما كاد الملك ينتهي من المصالحة مع الوزير أوس باستغلال مناسبة زواج ولده من إحدى الأميرات الشابات حتى جاءه أحد جواسيسه الثلاثة في مدينة ديك الصباح ، ومن عند الملكة عزوف يخبره عن اختفائها عن البيت أكثر من ثلاثة أيام ، فاعتقد الملك وفسر الغياب أنها ذهبت لزيارة ابنتها بانة وكساب ، وأدرك أنها اكتشفت أمر عيونه ومراقبته لها ، وأدرك أنه كان عليه تغيير الجواسيس بوجوه جديدة .

وجاءت خادمة غياث سمات بعد أيام ؛ لتطلع

الملك وسيدها على اختفاء الملكة عزوف ، فلامها الملك على عودتها، وأمرها بالعودة قبل عودة الملكة لقصرها .

فقالت: أرى أنها لن تعود ـ يا مولاي الملك ـ لذلك البيت .

فتسأل عن السبب ، فقالت : قبل اختفائها بأيام كان يتردد على بيتها بعض الشبان ، وكانت تمنع الجواري من الاقتراب من غرفة اللقاء.

فصاح رعبا : أتزني ؟!

قالت برعب : لا ، لم يحدث هذا .. الآن أدركت أنها كانت تخطط للهرب .

ـ أين تهرب ؟

قالت وهي تتذكر الأيام الأخيرة مع الملكة : لقد حضر لبيتها رجل يسمى مناعا .. وكان من كبار لصوص مدينتنا هذه .

ـ اللص الكبير مناع ..وهل ينسى ؟!

ـ نعم ، رآها كرتين .

قال بألم : نعم أعرفه.. بينهم قرابة ؛ ولولا شفاعتها فيه لأعدمته الحياة ...كان لصا شرسا ومعروفا في المدينة ، ثم غادرنا بعد العفو .. إذن هربت معه .

قالت بعزم وقوة :أعتقد ذلك يا مولاي الملك ! لأنني سمعته مرة يودعها بقوله "نعم ، أنا اليوم السيد ، ولي مزرعة كبيرة "وذلك على استفسارها " ألعلك تركت اللصوصية؟" ثم حضر شبان آخرون ، ثم اختفت بعد لقائها بهم . . فهي لم تكن مطمئنة لي، ولا للجواري الأخريات

وبعد صمت وتفكير قال أمرا لها : عليك أن تعودي ..قد ترسل وراء الجواري

ـ سأفعل يا مولاي !

ورافقت الجندي إلى تلك المدينة ، ولما لم تحضر الملكة للبيت أو أحد من طرفها تفرقت الجواري في تلك المدينة ، وهجرن البيت ، وبعد شهور عادت جارية غياث لبلادها ، ورجع الفرسان الثلاثة سرا للملك وغياث .

وأصاب الملك وغياث الإرباك والسخط والحيرة من اختفاء حفيده ابن أمامة ، ومن اختفاء ابنته بانة ، وزوجته فقال لغياث : أترى أن الوزير يمكر بنا ، وأنه وراء اختفاء الجميع ؟!

قال مجيبا : الحق أن الأمر محير يا مولاي! وأنا عاجز عن دس السم للوزير .. فخدم مطبخ الوزير لا يسمحون لخادم جديد يعمل معهم أو يدخل مطبخ الوزير كما أعلمني خادمي الخاص .. فالأمر صعب بل أحد الخدم ارتاب في خادمي من كثرة اقترابه من المطبخ .

قال بغضب ولفشل الخادم : خادمك فاشل وجبان

ـ إنها الحياة التي لا يملك الإنسان غيرها .. إني أفكر بحيلة أخرى .. وقد طلبت منه أن يبتعد عن المطبخ والمائدة نهائيا ؛ لتعود ثقة خادم المطبخ

والمائدة به .

قال بحقد وجنون : نار الحقد تغلي في بطني وقلبي .. لقد أهملني أمام السادة والرعية ؛ كأنني لست سيده وملكه .. ماذا سنفعل بهده المرأة التي اختفت ، وكنا نطمع أن نصطاد بانة بواسطتها

قال : لا تنس أن امرأتك من الدواهي يا ملك الزمان .. لقد كنت أخشى عليك من غدرها .

ـ إني والد بناتها يا غياث.

فأدرك الكاهن قصر تفكيره فقال : هذا ما كان يطمئنني عليك .. سأبعث مجموعة من صغار الكهنة يبحثون عنها في المدن المجاورة .

ـ كيف سيبحثون عنها ؟

ـ عن طريق الأسواق ، وعن طريق ذاك اللص مناع .. ألم تخبر الخادمة أنه صاحب مزرعة سنبحث عن تلك المزرعة .. وعن طريقه سنعرف مخبأ عزوف اللعينة.

فرح بتلك الفكرة وقال : فكرة شيطانية ! نعم سنعرف مكانه من أقاربه عندما عفونا عنه آخر مرة تعهد بمغادرة البلاد ؛ ليعيش في بلاد أخرى .. فأقاربه يعرفون أين يعيش أين استقر ؟

قال : أحسنت أيها الملك! من كان أقرب الناس إليه ؟

قال : كان لديه عدد من اللصوص ..والظن أنهم لحقوا به .. هناك لص اسمه أو لقبه حمار كان يعمل معه في فترة ؛ ثم تكاسل بعد أن وقع عن جدار وكسرت رجله .

ـ حسنا أيها الملك ! سأتصل به أو أبعث أحد رجالي إليه .

ـ اللصوص يتتبعون أحوال وأخبار بعضهم كما يفعل الملوك والوزراء

قال : سيقوم شمر بالمهمة .

واستدعي الكاهن شمر أمام الملك ، وكلف بمهمة اللقاء بحمار اللص التائب ، ومعرفة المدينة التي هاجر إليها القاتل اللص مناع .

وصل شمر لحمار واستطاع معرفة اسم المدينة التي رحل إليها مناع اللص المشهور ؛ ولكنه قال له في ختام اللقاء : عاش فيها فترة ، ثم اختفى .

لما خرجت عزوف وخدمها من البلاد بضغط من الملك بعد اختفاء ابنتها ، وخشية منها على نفي والديها قبلت بالنفي إلى مدينة ديك الصباح ، وقد قبل ملكها وجودها ؛ ولكنه لم يهتم بأمرها وشخصها ؛ لأنها ملكة مطلقة ومنفية ، ولا أهمية لها في العلاقات بين المدن ، وكانت ترى أن الوزير بعد حين سيستطيع إرجاعها ، وإخراج أمامة من السجن الملكي .

واكتشف خدمها عيون الملك ، فطلبت منهم التظاهر بعدم معرفة ذلك ، ولما جاءتها هدية باسم الوزير عرفت أنها مكر من الملك ، وأن الجارية

جاسوسة عليها ، وتظاهرت بأنها بلعت الطعم .
زارها مناع قريبها وابن مدينتها لما علم بنفيها ، وهو لص مشهور في البلاد ، وتشفعت له عند الملك في قضية قتل ، وقبل بالنفي .. وكان قد كبر سنه فترك اللصوصية كمصدر رزق ـ وإن كانت علاقته باللصوص لم تنقطع ، فما زال له معرفة بهم ـ فقدم إليها ، وعرض عليها الزواج منه ، والحياة معه في مزرعة يملكها بصفته من أبناء أعمامها ، وبصفته منفيا مثلها .. وبعد تفكير وإهمال من قومها ومن الوزير قبلت ذلك العرض .. وقررت الخروج خفية ، فأخذت تخرج للسوق بنفسها بحجة التعرف على أسواق المدينة والتنزه .. وكانت تنقل المال عند أحد الحوانيت التي عرفها عليها رجال مناع .. ولما قلّ المال في البيت استعدت لتنفيذ الخطة المدبرة
وكان الحراس الثلاثة قد اعتادوا على خروجها وحدها أو مع أحد خدمها ، ولما اطمأنت على أنه لا يتبعها أحدهم دخلت حانوت أحد التجار الذي له مدخلان فدخلت من أحد الأبواب وخرجت من الباب الآخر ، ثم سارت حتى وصلت إلى أحد المنازل الذي وصف لها من قبل مناع وأعوانه ، فاستقبلت في البيت استقبال الضيوف الأغراب ، وأرسل سيد البيت رسولا لمناع مخبرا بوصول ضيف يخصه .. وخلال يوم كان مناع قد أقبل للبيت ، وبعد الغداء غادر مناع اللص القديم بيت صاحبه تصحبه الملكة عزوف متنكرة ، وركبا جوادين ورافقهم السيد حتى أحد أبواب المدينة ، ثم رجع ، وتابعا المسير حتى وصلا مزرعة مناع التي تقع في أحد أطراف عثمانية إحدى المدن في ذلك الزمن .
وبعد حين يسير تزوجا أمام قاضي المدينة على أنها من العامة ، وكانت الملكة عند الأربعين سنة ومناع قريب من الستين .. فهذه قصة زواج مناع وعزوف .. وكان الرجل يتوقع أن يبحث عنهما الملك وأعوانه ، فاشترى بيتا في قلب المدينة ، وجهزه ليعيش به وزوجته الجديدة بعيدا عن خدم المزرعة واتباعه وغلمانه .
هذا اللص له أكثر من عشرين سنة مغادرا مدينته الأولى ، ولما تشفعت له الملكة كانت في أول زواجها من الملك زرارة .. وقد تعرض مناع لحكم القاضي بالموت بسبب وفاة شخص على يديه وجاء والده لقرابة بينه وبين الملكة يبكون ويرجون شفاعتها .. وكانت تلك الأيام تلد للملك البنت الثانية ، وملكة شابة معززة .. وأمام توسلهما قبل الملك شفاعتها ، ودفعت الدية لولي الدم وجرى الصلح ، وخرج مناع من المدينة منفيا ومتعهدا ألا يعود إليها .. ومع الزمن تلاشت علاقته مع لصوص وزعران المدينة .. وماتت زوجته التي

رفضت الرحيل معه في البلاد .. وتبعها بعد حين ولده الوحيد بالموت غرقا في أحد انهار المدينة .
نسي هو مع الوقت البلاد والأهل والأصدقاء ..واشترى مزرعة وعمل بها ، وأصبح رجلا صالحا .. فلما سمع بقصة عزوف من بعض أهل مدينته أثناء تجارة لهم في مدينته الجديدة تعاطف معها ، ولم ينس معروفها القديم معه ، وتألم من الظلم الذي أصابها فزارها ، وراودته نفسه بطلب يدها ، وهو لم يتزوج منذ هاجر .. إنما كان يتسرى بالإماء الحسان .

وكانت الملكة بعد نفيها تمر بحزن شديد ، وقد تخلى عنها بلدها وأهلها ، وكذلك عيشها وحيدة فوافقت على العرض .. ولما زارها في المرة الثانية رتبا حيلة الخروج من المدينة سرا لاكتشافها عيون الملك في داخل البيت وخارجه .. ونفذت الخطة التي تحدثنا عن تفصيلاتها .

وبعد زمن يسير وجدت الملكة نفسها تحمل من مناع ـ وهي قضت سنوات لم تحمل من الملك بعد ولادة ابنتها الرابعة سفانة ـ وهو أيضا لم تلد له أي جارية من الجواري اللواتي عاشرهم معاشرة الزوجات ـ وكان الأمر عجيبا ، وولدت له ذكرا سماه رياضا .

وكانت الملكة عزوف ومناع حريصين على إخفاء أنفسهما خشية عيون الملك وجواسيسه .. وكان قيم البستان رفيق هو الوحيد الذي يعرف بيت مناع داخل المدينة .. وكان القيم مطلعا على الخطر المحدق بسيده نتيجة زواجه من سيدة من بلاده القديمة ، وإن لم يعلم أنها ملكة مطلقة

وكان يغادر الرجل وزوجته البيت في حالة تنكر ، ولما مضت السنة الأولى ، وولدت السيدة ارتفع الاطمئنان لديه إلى حد ما ، فقال : علينا أن نصبر على هذا الوضع بضع سنين .. فالملك لن يغفر لنا بسهولة حتى لو كنت مطلقة ، وأننا نعيش في بلاد لا يحكمها .. وبعد هلاكه قبلنا سنعود للحياة في المزرعة بين الخدم والحشم .

ـ أنا لا أنسى أنني اليوم أم ولدك .. واعدت لي الحياة من جديد يا مناع!

جنون الملك

استطاع مساعد الكاهن الأكبر من اتصاله بكبار السن من لصوص المدينة أن يعرف المدينة التي يعيش فيها مناع ، وذهب أحد خدمه متنكرا لتلك المدينة ، واستطاع معرفة المزرعة التي يملكها مناع في عثمانية ، ورصد المزرعة وقتا من الزمن ، ولم يتمكن من رؤية الملكة عزوف التي يعرف شخصها ـ فهو من خدم القصر قبل أن يهدى للكاهن الأكبر ـ ولما عجز عن الرؤية اشترى هدية ، ومشى بها للمزرعة بجرأة مدرب عليها ، وقدم نفسه لقيم المزرعة أنه يحمل هدية للسيدة عزوف ،

فأنكر القيم وجود سيدة بهذا الاسم ، وأنه أخطأ العنوان .. فعاد الرجل يقول: أليست هذه مزرعة السيد الكريم مناع من مدينة اللؤلؤ ؟

ـ بلى

ـ أليس الرجل متزوجا من سيدة من بلدته القديمة منذ عهد قريب ؟

ـ بلى

ـ إنها السيدة عزوف

ـ السيد ترك المزرعة ، وشارك فيها السيد خميس قريب الملك ، ورحل .. وهو فعلا تزوج من امرأة من مدينة اللؤلؤ .

ـ أين رحل ؟

ـ لا نعرف .. هو أصبح شريكنا فقط في ما ينتج من مال في المزرعة ، وعندما يحضر يأخذ نصيبه ، وليس له وقت محدد للحضور .. وهديته احتفظ بها أو دعها وعندما يأتي لقبض حصته من الغلة ندفعها له ، ونقول له عنها .. من صاحب الهدية ؟

ـ سيدي طلب مني أن أسلمها باليد أيها السيد .. فهي قريبة للملك زرارة ملك مدينة اللؤلؤ .

ـ لا نعرف زرارة ولا مرارة .

تعجب القيم من تعريف الرسول بأن زوجة مناع قريبة لملك تلك البلاد .

وغادر الرسول المزرعة حاملا هديته، وعاد للبلاد مخبرا لأسياده بما حصل عليه من معلومات ،

فجن جنون الملك من زواج طليقته من لص حرامي منفي .. لص يتزوج زوجة ملك زرارة ، ويختفى عن الأنظار .. وقال لغياث بجنون بين : اللعينة تتزوج من لص لعين !

ـ ألست أنت الذي أخرجها من البلد ؟!ولماذا تغضب من فعلها ؟

صرخ : أخرجتها لتتزوج ؟

همس الكاهن : ولماذا خلقت المرأة ؟ ألم يخلقن للزواج منا ؟ أنت تخلصت منها وكرهتها ، ثم نفيتها ؛ لتصطاد ابنتك الهاربة عن طريقها ، وهي لم يهتم بها أحد حتى الوزير فاستغل اللص هذا الوضع .

صاح قهرا : اللص ينتقم مني !

ـ له عمر خارج البلاد .. وكما قال الخادم : هو صاحب مزرعة كبيرة .. فلم يعد لصا .. وهي ليست على ذمتك يا مولاي ! فلا تتعب بدنك وروحك بزواجها .

قال مستصعبا زواجها من مناع : إنها امرأة ملك!

ألم تكن امرأة ملك ؟!

ـ وهل إذا طلبها الوزير العجوز ستمنعه من زواجها أيها الملك ؛ بل زواجها من لص إهانة لها لنفسها ولوالدها وقبيلتها وللوزير نفسه ، دعك منها .

تنهد وتأفف وقال : إنها أم البنات .

قال : أي بنات يا ملك الزمان! أمامة هلكت وتزوجت سرا قبل ذلك، وابنة اختفت .. ولم يتركن لك كرامة ، وإنهن بنات ملك.

صاح سخطة : تتزوج لصا يا غياث ! هذه إهانة لي ، واحتقار لي ، وانتقام مني أنا لنفي لها .. امرأة الملك ولو طلقت عليها أن تبقى مطلقة حتى تهلك

قال مهونا من غضبه : الظروف والنفي ..فهي تعيش وحيدة .. فاستغل ذلك اللص السافل وحدتها ونفيها.

قال بحزن : آه ! أكل ما أفعله غلطا ؟!

أجاب الكاهن مهونا الأمر على قلب الملك المشتعل غيظا على عزوف : ليس غلطا أيها الملك ! أنت طردتها ؛ لتكون وسيلة لمعرفة مكان النذل كساب والأميرة الخائنة لتقتص منهما .. والذي يظهر أن أمها لا علاقة لها بزواجها وهربها ؛ كما وقع في خلدنا لأول الأمر .. ظلت مهجورة ، لم يزرها أحد من أهل المدينة سوى ابن الوزير مرة أو مرتين .. وها هو تزوج ، ورحل عن المدينة ويعيش في مدينة عبسان في رعاية الملك حبيب بن عجلان ؛ كما أخبر جواسيسنا.

عاد الملك يتحسر فقال : أه ! كم أكره هذا الوزير! أصبح صهرا لعدد من الملوك حتى ابنته الكبرى تزوجت من الملك ضياء .

ـ إنها زوجة ثانية أو ثالثة .

قال : هل أخطأت يا غياث بعدم تزويج البنات ؟!

قال : أنت لم تخطئ أيها الملك ! الرؤيا هي التي منعتك من تزويجهن ، وحالت دون زواجهن صغيرات .

قال الملك : صار لي حفيد يا غياث رغم أنفي .. ابن أمامة اختفى ، ولم نعرف مكانه ؛ فإذا كبر هذا الحفيد سيحقد عليّ ؛ لأنه عاش منفيا ومختفيا بسببي وتسببت بموت أمه .. أمه هلكت في سجن الملك .

قال محرضا : ربما هو عند والده ، فربما خرج الأمير بزوجه ليرعى ذاك الطفل .. حاولت أن أتأكد من ذلك وفشلت .

صرخ الملك بجنون : غياث يجب أن تقتل عزوف ومناع والوزير .

ـ ولماذا نقتل عزوف ومناعا ؟!

ـ حتى لو كانت مطلقة ..كان يحرم عليها الزواج .

قال: فهما في المنفى ، وتحت حكم ملك .. قد يسبب قتلهما فتنة لنا ، وجيشنا غير موال لنا وأما الوزير فأننا ما زلنا نتحين الفرص لننال منه .. وما زال الخادم يقبع في قصره .

قال : ما زال الوزير لا يهتم بصلحي .. ولا يحضر ديوان الحكم ..وإذا جاء يسلم ، ويعاود الخروج إنه يذلني ويغيظني !

ـ ولماذا نريده في قصر الحكم ؟ !وهو طول عمره

يحكم من ديوانه .

ـ كان يحضر الديوان ، ويطلعني على أهم أحوال المدينة وأخبارها .

قال : لا أخبار مهمة أيها الملك ! الناس في أشغالهم وتجاراتهم ، والأمن مستقر .. ومشاكل الناس لا تنتهي .. والرجال يقومون بأعمالهم .

قال من جديد : أصابني الجنون لابد من القضاء على مناع الذي لم يجد امرأة يتزوجها إلا مطلقتي

قال : هون عليك أيها الملك ! دعنا منهما إذا قضينا على سيادة الوزير هان أمر القضاء عليهما ، وعلى كل خصومنا .

لم تعجب كلمات غياث الملك بترك عزوف وزوجها الذي حكم عليه بالموت قبل سنوات خلت لذلك استعان بأحد فرسانه الأخصاء جدا ؛ ليقوم بمهمة اغتيال عزوف ومناع ، ووعده بالمال والجوائز .

تحت جنح الليل غادر الفارس شهير المدينة متخف وبخنجره وصرة مال إلى المدينة التي فيها مزرعة مناع كما فهمها من الخادم ، وكانت الحيرة تنتابه من هذه المغامرة ، والفائدة المرجوة من تنفيذ الأمر ؛ ولكنّ الإغراءات التي وعد بها تشده ؛ لتنفيذها ، والعيش ثريا السنوات القادمة ، أدرك شهير قوة غيظ وحقد الملك الكبير من مطلقته ، وزوجها اللص القديم ، وإنه رجل خطير وقوي .. وهو يعلم أن الغدر أيضا سلاح قوي .

كان مناع الذي يدخل المزرعة من بابها الخلفي البعيد متسللا لقد علم من قيم المزرعة نجم قصة الخادم أو الرسول والهدية ، وأن الملك يتعقب زوجته ، ويغار منه ، ولن يهدأ له بال حتى يصيب منهما .. وهو كان من أحد أهدافه الخفية من الزواج من مطلقة الملك إغاظته وقهره ، واستغل هجرتها ووحدتها ، وضعفها للزواج منها .. وهي بدورها قبلت به ؛ لأنها تشعر بالخذلان وخيبة أمل من أهل مدينتها وأهلها وعشيرتها ؛ وربما هي نفسها لها رغبة بمضايقة الملك بزواجها من أكبر لصوص مدينتها في زمانه .

وكانت الملكة قد ذكرت له الجواسيس الذين يرقبونها أثناء خروجها ، ثم دسهم جارية عليها وتظاهر هو بأنه لم ينس معروفها بإنقاذ حياته ، وتقبلها توسلات والديه .

علم مناع بقصة الرسول والهدية التي رفض تركها في المزرعة ، ويريد أن يسلمها لشخصه وباليد ، أدرك أن الملك سوف يصل إليه ، فاستعد لذلك .. فكم سيرسل الملك من الرجال للنيل منه ؟ فهو لا يدري ؛ ولكنه اشترى لنفسه العداوة والحرب

وصل شهير لمزرعة مناع متنكرا على صورة بائع متجول، يسوق حمارا .. وبعد تتبع علم أن السيد مناعا منقطع عن المزرعة .. كما أخبر ذلك العين ..

وقال لنفسه لابد أن تكون بينهم وسيلة اتصال ولقاء .. من يقوم بهذه الحركة القيم أم أحد الخدم أم مناع أم شخص ليس له علاقة بالمزرعة كأحد التجار ؟

مضى الشهر على شهير ، وهو في جولات تنكرية دون فائدة مهمة . فقال : مناع من الأذكياء .. وهو معروف بذلك أيام المدينة .. لن يصاد بسهولة.. وألف قطعة ذهبية ثمن رأسه تحتاج لمغامرة المال سبب المشاكل بين الآباء والأبناء والأخوة والأخوات والملوك والسادة .

استطاع قيم المزرعة نجم بعد أن أفهمه مناع الخطر المحدق به أن يترصد الرجل رغم تنكره بصور مختلفة بين حطاب وبياع ومتسكع ومتسول ؛ لكنه لا يعرف كيف يتصل بالسيد ؟ ليخبره فالسيد هو الذي يأتي المزرعة خفية .. وأدرك أن الرجل يتنكر بهذه الصور رغبة في رصد سيده والسيد مناع كما نعلم لم يعد يأتي بانتظام ، ومن بوابتها الرئيسة كان يزورهم بدون ترتيب ، ومن الباب البعيد للمزرعة من حيث الجبال والأراضي الأخرى ، فلما أتى أخيرا فرح نجم ، وأخبره بالجاسوس الجديد .. فأثنى عليه مناع ، ووعده بمزيد من المال ، وقال: رائع يا نجم ! لن أنسى لك فطنتك عندما تزاح الغمة .. سأكرمك غاية الإكرام .. إياك أن تظهر أنك كشفته ، قد يكون معه آخرون.. وقد أستطيع من وصفك أن أعرفه إذا قابلته ورأيته.. أنا لا أريد أن يؤذي أحدا ، ولا أن أوذيه .

قضى بضع ساعات في المزرعة ، وقبل الفجر غادر المكان ، وركب جواده ، وعاد للمدينة ، وأودعه أحد الخانات ، وتسلل لبيته حيث كانت الملكة تنتظره على خوف وقلق ، ولما دخل تنفست الصعداء وارتاح بالها وخوفها .. وهذا الرعب يصيبها كلما ذهب للمزرعة .. إنهم ينتظرون تغير الأحوال .

فهم لم يهتموا بنفيها ، فهم لا يهتمون بحياتها ، وكانت تمني النفس بالعودة لبلادها ، وأن تعيش كسائر نسائها في قصرها وبين خدمها وجواريها وصديقاتها وبناتها .. وحزنت كثيرا لموت أمامة لما علمت به .. وفرحت لمشي طفلها الجديد .

قالت بعد الاستيقاظ من النوم : ماذا ستفعل مع هذا الجاسوس الجديد ؟

ـ لن أفعل معه شيئا سوى الحذر .. قلت لك أنا تبت إلى الله ، وتركت اللصوصية بعد خروجي من بلدي .. وإذا لم يتعرض لي بأذى سأدعه وأتجاهله.

ـ ألا تخشى أن يغدر بك ؟

قال : هو قادم ليغدر بي .. فليبق يدور حول المزرعة .. لو كان في بيع المزرعة نجاة من تعقب الملك لبعتها ؛ ولكنها مهمة لنا .

قالت بتعجب : إني أعجب من قدر جمع بيننا يا

مناع! .. لولا تلك الحادثة الرهيبة ما عرفتك ولا عرفتني !

تبسم لها : هكذا الدنيا يا مولاتي! هل يمكن أن يحلم شخص مثلي بالزواج من سيدة عظيمة في يوم من الأيام ، من ملكة أنقذت حياته من موت محقق!

ـ لم أعد ملكة يا مناع !



خلود

خرجت الأميرة خلود بنت زرارة الملك مع بعض رفيقاتها الأميرات ، وبصحبة الحرس والخدم في رحلة صيد في غابات تبعد عن المدينة بضع ساعات فقط ، تسمى غابات الشمس ، وهي دون أخواتها ممن عرفت بحب الخيل والفروسية والصيد والتنزه في الغابات .. فهذا الصيد والسفر ليس غريبا عنها .

وكان الخروج يبدأ في ليالي البدر من فصل الصيف ، وبعد نصف الليل ، وقبل وقت الفجر تتحرك الحملة والموكب ، ولما وصلوا للغاية المطلوبة كانت الشمس قد طلعت وأشرقت بنور ربها ، فيبدأ الغلمان والخدم بنصب الخيام ، ويبدأ الطهاة بإعداد وجبة الإفطار ؛ ليبدأ البحث عن الطرائد حول غدران الماء ومصاب المياه .. وعادة تستمر مطاردة الظباء والوحش حتى انتصاف النهار ، ثم يعود الفرسان للخيام بما صادوا من حيوانات مأكولة وغير مأكولة ، ولما اجتمع القوم عند الغداء والاستراحة لم تظهر الأميرة خلود ، وكذلك أحد حرسها ، فأصابهم الخوف والقلق على غياب الأميرة .

فقال أحدهم : رأيتها تطارد ثعلبا ، والحارس يتبعها ، ثم اختفيا عن الأنظار .

وبينما هم يرقبون عودتهم ظهر الحارس وحده ، وظلوا صامتين حتى وصل إليهم الحارس على جواده ، وسأله قائد الحملة عن الأميرة .. فقال : اختفت ذهبت تطارد ثعلبا ، ولما توغلنا في الغابة أمرتني أن ألف له من الجهة الأخرى ، ثم غاب عني جسمها .. وأنا حلقت له من حيث أشارت ، وناديت عليها ، فلم أسمع صوتها ، ولا حركتها ، فعدت إلى حيث افترقنا .. وبحث هنا وهناك.. فلم أجدها .. فعدت إليكم لأخبركم بما جرى لنعمل سوية في البحث عنها .

فقال قائد الحملة بخوف على حياتها : خذنا إلى حيث فقدتها .. نخشى أن تعرض لها وحش من بين الأدغال .. أسرعوا أيها الرجال !

فقادهم الحارس إلى مكان مطاردة الثعلب .. وبعد

تدقيق وتحر ، وجدوا آثار حوافر خَيل في المكان .. فقال القائد متشككا : هل تعرض لها لصوص أم هي حوافر فرسها فحسب ؟ .. نحن لم نطارد بجياد .

قال الحارس : كنت معها على جوادي ، وكانت هي تركب جوادها عند المطاردة .

قال القائد : هل هي آثار جواد الأميرة ؟! الأميرة تعرضت للخطف أو هربت بنفسها .. لقد تتبعت ..الأثر ما العمل ؟!

بعد مزيد من البحث والتوغل في الغابة قرروا العودة للمدينة ، واطلاع الملك على الخطب .. وبقي بعضهم في المكان ؛ لعل الأميرة تعود من تلقاء نفسها ، فهي فارسة وشجاعة .

الملك يعلم برحلات ومغامرات الأميرة في الصيد والتنزه عند تلك الغابات ،فلما أعلمه قائد الحملة بالخطب صاح بحنق وهياج : ويلك الأميرة خطفت ! لا يعقل هذا ..أين كُنتُم ؟!

قَص القائد القصة ، وأحضر الحارس المرافق ، وروى ما جرى من مطاردة الثعلب أمام الملك

فقال بهياج : اللصوص يتعرضون لبناتي أين الرجال والفرسان ؟!

ـ لم أسمع يا مولاي صوت استغاثة ! لقد نفذت أمرها في مطاردة الثعلب .. وسرت للجهة التي أمرتني أن أذهب إليها .

قال : الأميرة بنت الملك زرارة تخطف ! أين هيبة الملك والأمة أيها الناس ؟ أمامة تتزوج رغم أنفي .. وابنة تهرب مع عشيقها .. وخلود تخطف أمام أعينكم أيها الفرسان !.. لولا كثرتكم لقلت إنها مكيدة مدبرة منكم .. اطلب قائد الجيش ليرسل فرقة للبحث عنها ، ومطاردة اللصوص والخاطفين ؛ لعلها مقتولة في تلك الغابة .

قال قائد الحملة : يا مولاي ! تابعت الأثر والمكان لا دماء فيه ..وصلت لأبعد غدير دون دماء

صاح محتدا : ليكن القائد باسل الأحمق بين يديّ الآن .. هذا عار أيها السادة أين الوزير ؟

ـ الوزير !

قال : أليس هو حامي البلاد ومثبت الأمن والسلام والرخاء ؟!

ـ بلى يا مولاي ! إنما الحادث في الغابة .

ـ فليأت الديوان .. هذا حدث كبير !

حضر الوزير أوس بن عثمان ، وقائد الجيش باسل بن كيوان لديوان الملك عندما سمعا بجلية الخبر ، ثم قائد الحرس الملكي حجر بن زيد حضر مثلهم للديوان ، واطلع الوزير على الحكاية بالتفصيل من قائد الحملة والجندي الحارس ، ولما صمتا تبسم الوزير مما أغضب الملك وبعض أتباعه .

فقال : اغضب كما تشاء.. وأنا ـ كما ترى ـ مريض ومنهك ، ولبيت الدعوة يا مولاي ! الأميرة ابنتنا

كما هي ابنتك .. وكلنا أهل المدينة منزعجون من حدوث ذلك ؛ ولكن هذا ليس خطفا هذه الأميرة ـ كما سمعت من تفاصيل ـ تدل على هرب ؛ فإنها هربت كما هربت الأكبر منها .

جرت همهمة ودمدمة ودهشة في الديوان للنتيجة ولصراحة الوزير : ماذا ؟!

فقال الوزير بثبات أعصاب معروف بها : لقد دبر الأمر بليل يا ملك البلاد ! قلت لك من سنوات أمام سادة البلاد دع البنات تتزوج .. لا تحرمهن من النكاح .. هذا هرب على صورة خطف .. قلت لك لا تسمع لهذا الكاهن الشيطان .. الأميرة دبرت مع أحدهم هذه الحيلة .

فقال قائد الحملة : أظن هذا ما حدث يا مولاي ! لقد كانت مطاردة الثعلب فرصة للوصول إلى الرجل المنتظر للأميرة .. لم تطارده مشيا وتربصا ، ولما رأته من بعيد ، قالت هذا لي وانطلقت تطارده .. تبعها الحارس ، ثم خدعته بالالتفاف من جهة أخرى ، ثم ركضت إلى حيث التقت بالخاطف .. لم تصرخ ، لم تستغيث ؛ ليسمعها الجندي الحارس

أخذ الملك يتأمل المشهد ، ويراجع ما سمع من الجندي وقال : سأتحقق من ذلك بالحديث مع الجواري ..من الذي رتب معها الأمر أيها الوزير الفطن ؟!

ـ سيعرف لابد أنه أحد الفرسان والأمراء .. فارس قريب منها .. فارس يستطيع الحديث معها دون ريبة .. قد تجد علما عند جاريتها رغم أنني أرى أنها أذكى من ذلك أي تكشف نفسها لجواريها .. فهذا دبر من وقت حتى ينجح .. ليس ابن الساعة .. نصحتك بأن تسمح بزواجهن كالأميرات ؛ ولكنك لا تحب الناصحين

حسرة الملك

ضج الناس في المدينة لحادثة هرب ابنة الملك خلود ، وزاد حنقهم على الملك وأعوانه ، واعتبروا ذلك إهانة كبيرة لهم وللأمة كلها .

وخيم الحزن القاتل على الملك وقصره وخدمه وحرسه ، وأدرك بعد فوات الأوان أن سبب ذلك كله المنام الذي اعتقد صحته ، ورتب حياته على تفسيره ، فقد تزوجت ابنته الكبرى سرا ودون علمه ، وولدت حفيدا قد اختفى ، ولولا ولادتها ما كشف السر ، ثم بعد طلاق عزوف هربت ابنته الثانية مع كساب واختفت ، ثم نفى زوجته حتى نكحت لصا بسبب هذا الطرد والإهانة لمقامها الملكي .. وماتت أمامة في سجن القصر لإهماله العناية بها.. وقد خاب وفشل في الوصول لمناع وكساب والوزير أوس ..وها هي ابنته الثالثة تدبر حيلة خطرة للهرب مع عشيق أو زوج .

طلب الكاهن غياث اللقاء باللقاء بالملك فرفض بشدة أول الأمر ، وبعد إلحاح وتكرار قبل دخوله

عليه .. وكان قد اعتبره سبب هذه المحن بتفسيره للمنام .. وأصبح مهزلة أمام السادة والكبار من عشيرته والبلد .. وأبدى له حسرته وتعاسته مما حل .. وقال ساخطا : هكذا يفعل بي المنام يا غياث! لقد أخطأنا في فهم المنام ..وكيف أضطر لمنع البنات من الزواج وبظروف حسنة؟ إني أحس بأني سأموت من الغم والغل يا غياث ! الأولى تزوجت سرا والثانية هربا والثالثة هربا ومطلقتي تتزوج لصا .. إني أموت يا غياث حيّا .. المرأة لا تستغني عن الزواج إلا إذا كانت ميتة .

وأضاف غياث : أو مريضة يا مولاي !

قال : بناتي لم يكن مريضات .. ومطلقتي التي يجب أن تبقى بدون رجل تنكح لصا لعينا كاد أن يموت هنا .

ـ أخطأت يا مولاي بعدم قتله .

قال :لقد دفعت الدية لأسرة المقتول وعفوا عنه .. ولم أكن أحلم أن يتزوج امرأتي

ـ كان من الخطأ يا مولاي طردها وحيدة مع خدم وغلمان .

قال : كان عليّ أن أعرف مكان بانة .

ـ لقد تمكن اللص من استغلال وحدتها وطردها وأقنعها بالزواج .

قال : وأنت دفعتني للصلح مع الوزير للنيل منه وقد فشلنا .

ـ الخادم ما زال بين خدم الوزير ..لم يستطع الوصول لخدمة المطبخ .

قال : ماذا سنفعل في الهاربة خلود ؟

ـ خلود ! فكما اقتنعتم من كلام الوزير فمن هو الرجل الخاطف ؟

قال متأملا : لا ندري .. لم نعرف أميرا غادر البلاد .. ولم يظهر الخاطف .. أخشى أن تكون تعرفت على رجل من أبناء رحلات الصيد ، ورتبت الأمر معه ..كانت كثيرة الخروج للصيد في العام الماضي .. لم يبق لي إلا سفانة ..أتراها ستفعل مثل شقيقاتها ؟!

قال : إنها شابة ناضجة .

قال : هل سيعود ذلك الحفيد الخفي ويسبب موتي

ـ لا أعلم .. لكن حذرتك من الأحفاد كما فهمنا الحلم .

قال متحسرا : أين اختفى يا غياث ؟ قتلني المنام يا غياث! أكاد أصدق أنه من الشيطان .. ها هم الناس شامتون من فعلي ومن عقلي .. يسخرون من الملك الذي لم يمنع بناته من الهرب والزواج سرا مثل بنات السوقة والجهال .. هل من خبر عن الوزير ؟

قال : سمعت أنه على وشك الموت .. فقد زاد عليه المرض .

قال : إنه ذكي يا غياث ! له أكثر من أربعين سنة

يحكم البلاد .. أما زال خادمك عنده .
ـ ما زال .. وإذا مات هذه المرة أراحنا من اغتياله .. لا أخشى أحدا في الدنيا كخشيتي منه .. إنه فطن ماكر .
قال : أعرف خوفك وجزعك الشديد منه ، فهو لا يهتم بكلام المنجمين والكهنة ولا العرّافين
ـ يؤمن بالعقل والفكر .. كم كنت أحب أن أراه أمامي متوسلا لكشف حلم أو نبوءة .. إني ضعيف وجبان أمامه .
قال : وأنا مثلك يا غياث أخافه ! لولا حرمة العهد بين قبيلتينا من عهد بعيد لخلعني عن الحكم ؛ لكن قومه أهل وفاء .
ـ من سيكون وزيرا إذا مات ؟
رد قائلا : تجتمع العائلة ويختارون وزيرا منهم ..وقد يكون ابنه .. الوزارة تورث كوزارة فقط وإذا اختاروا من أولاده يكون البكر في العائدة .
لما أدرك الوزير أن أمره أشرف على الختام هذه المرة ، طلب اجتماع العائلة لاختيار وريثه في الحكم ، وتم اختيار أصغر أشقائه الأمير غالب بن عثمان وزيرا للمدينة .
واجتمع مع أسرة الملك ، وحدثهم عن سخط الشعب على الملك بهرب بناته .. وطلب منهن عزل الملك وحبسه في قصره .. وتنصيب ابنته الباقية سفانة ملكة على البلاد ، وتزويجها من أحد أبناء عمومتها .
وبعد تداول الأمر تمت الموافقة على رأي الوزير ، وأخبر الملك بالعزل والإقامة في أحد القصور وذلك بأمر من الوزير أوس وكبار عائلة الملك ، وأمر بحبس غياث المسيطر على الملك وأفكاره وإلغاء منصب وظيفة الكهانة في القصور الملكية .
وبعد حبس الملك في قصر من قصوره ، وحبس الكاهن في أحد السجون توفي الوزير بعد حكم طويل في مدينة اللؤلؤ ، وبعد الصلاة عليه ودفنه أعلن الوزير غالب وزيرا في البلاد خلفا لشقيقه
ولما انتهى الحداد لسبعة أيام أعلنت الأفراح لتنصيب الوزير غالب .. بدأت المدينة بالاحتفال بالوزير الجديد الذي سيكون لمدة سبعة أيام بلياليها .. استقبل قصر الوزير المهنئين بعدما استقبل من أيام المعزين .. واستقبلت وزراء وفرسان من المدن الصديقة .
وكان الملك زرارة في غاية القهر والغيظ والغضب من عزله وحبسه بقرار من الوزير الميت .. وبينما البلاد تحتفل بالوزير الجديد هرب غياث الكاهن المعروف من سجنه ، وغادر المدينة خفية بعد أن رشا عددا من حراسه ، وقد قبضوا الكثير من أمواله .
وتعرض هؤلاء المتواطئون للحبس في آبار السجن لحين الزمن ، وصودرت الأموال التي استولوا

عليها من غياث .

وأخذ الملك هو الآخر يفكر بالهرب من محبسه لما سمع بهرب الكاهن ، لقد منع عنه الاتصال بأتباعه ورجاله المعروفين ، وهربت إليه رسالة ترغبه بالهرب ، وترك البلاد ، وقال لنفسه : جاء عليّ الدور للهرب كما هربت البنات!

فنصحته إحدى الخادمات الخاصات اللواتي معه منذ زمن بعيد أن يصبر حتى تتوج ابنته ملكة على البلاد ، ويطلب منها حرية الحركة والسفر .

فوجد هذه الفكرة صائبة وارتاح إليها ، وأن النفي أحسن من البقاء رهين القصر .. فهو بسبب منعهن من الزواج اعتبره بعض أقاربه مريضا ، ولا يصلح للحكم ، واعتبر فاقدا للأهلية للحكم بسبب هربهن وهن بنات الملك .

وعرض عليه بعضهم تهريبه لمدينة جلال الدين للصداقة بينه وبين ملكها الملك حميد بن أحمدان

فقالت الخادمة المخلصة : الصبر يا ملك الزمان ..النفي خير من الهرب ..وتعود وقتما تشاء من المنفى ..الهرب سيعمق العداوة لك من الأمة والأقارب .

قال : قد تستطيع سفانة تحقيق رغبتي بالحرية والنفي .. فالعائلة تقف ضدي .. يعتبروني مريضا عقليا .. اطلبي منهم أن يكتبوا عن خطة إخراجي من المدينة .

أطاعت الخادمة ، وسربت رسالة تطلب منهم ما العمل للهرب من المدينة ؟

جاءت الخطة أن أحد حرس القصر سيتعاون معهم ، وسيقوم بإلباسه ثياب الحرس حتى يخرج من أبواب القصر .. وستظهر جارية قبل الهرب وتنفيذ الخطة أنه مريض طريح الفراش لا يخرج من غرفته ، ولما يصبح خارج القصر يذهب به إلى أحد المنازل ، وسيصحب قافلة تجارية ، ليخرج معهم من المدينة ، ثم يرحل برفقة فارس إلى الملك الصديق حميد .

اطلع الملك على تفاصيل الخطة واستحسنها ؛ ولكن جاريته المقربة قالت :أخشى أن تكشف يا ملك الزمان ! وتشدد عليك الحراسة .. ويعتبرون فعلك جنونا وتنقل إلى سجن بدلا من القصر الصغير .

قال ممتنا : أنا أعرف عمق حبك وإخلاصك لي من أيام طفولتي ..وأعلم أنك تخشين عليّ .. وتحزنين على ما حل ؛ ولكني ملك البلاد وتآمروا عليّ .

قالت : سفانة بعد ثلاثة شهور ستكون الملكة .. وستشفق عليك، وستطلب لك الحرية في التنقل والسفر ..لا تهرب مثل الأوباش .. سيغضبون عليك .

ـ كم بقي لتنصيب سفانة ؟

ـ شهر .

تنهد حسرة على حاله : شهر .. إنه طويل يا عروب ! حتى أنها لم تطلب زيارتي منذ خلعي عن كرسي الحكم .

ـ سفانة مترددة يا مولاي في قبول العرش !



تمت الحلقة ١

قصص وحكايات الفوارس



منام سماك

عندما استيقظ سماك الملك من نومه مهموما هلعا مما رأى من رؤى وأحلام استدعى خادمه الخاص صديق الراعي ، وقال له بضيق : هيئ لي يا صديق الشرفة .. لا أرغب بالنوم ثانية .. إنني أحلم أحلاما مخيفة منذ أيام خلت .

فقال الخادم الخاص : ما زال هناك متسع للنوم يا مولاي الملك .. فالفجر بعيد ظهوره .

فقال الملك الضجر والحزين : لا عليك .. اشعل الموقد إذا خمدت ناره ، وأشعل مصباح الشرفة لا أريد النوم .. افعل ما تؤمر أيها الرجل الطيب !

خرج الخادم الطيب من حجرة نوم الملك إلى حيث الشرفة التي يحب أن يسهر فيها صاحب التاج الملك سماك ، وكانت الشرفة مزخرفة وواسعة ومطلة على البحر الكبير ، فهذا القصر الملكي مطل على البحر الكبير ؛ بل مياه البحر تضرب جدرانه ، فكل مدينة الشواهد مطلة على البحر بل يحيط بها البحر من جهاتها الثلاث ، وهي مدينة كبيرة بل تجمع عدة مدن بحرية، ففي رأس المثلث مدينة الحزينة والضلع الشرقي مدينة خرم الحزينة والضلع الغربي مدينة سلة الملك ويقع بين هذه المدن الكبار عددا من القرى الصغيرة والبلدات وعاصمة الملك مدينة الحزينة ، وقصر الملك سماك بن صخرة ملاصق للبحر المحيط ببلاد الشواهد .

والذي يحزن الملك ويؤرقه منذ سنوات ذريته فمنذ أن هده المرض ، ولم يعد يستطع ركوب الخيل ، فقد استقوى عليه ولداه ؛ بل حتى ابنته لا تهتم به ، ولا ترعى أمره ، وكل فرد منهم طامع بولاية العهد والحكم من بعده ، ويحزب الأحزاب حوله وقصة هذا الملك تبدأ قديما عندما اعتلى حكم هذه البلاد الكبيرة منذ أربعين سنة ، فعندما كان والده يموت اختاره دون اخوته ملكا وريثا له ، وطلب منه والده الزواج من ابنة الوزير بشوم بن حمض وكانت تكبره بسنوات ، ولما جلس على كرسي وتخت الحكم نفذ وصية والده صخرة ونكح ابنة

الوزير بشوم الأميرة كرام ، وبعد زواج استمر خمس سنوات لم تلد له تلك المرأة ، فطلب منه أعمامه واخوته أن يتزوج من ابنة القاضي رسال بن جادي قاضي الملك وكبير قضاة البلاد ، فتزوج الملك سماك من الأميرة منيرة ابنة القاضي رسال ، وبعد سنين ولدت له ابنة القاضي ابنته البكر الاميرة زهرة ، وفرح الناس والملك وأهله بولادتها فرحا مشهودا ، وبعد سنوات أخرى ولدت الاميرة منيرة ابنة القاضي رسال ابنه قسيم ، وفي نفس السنة ولدت الاميرة كرام ابنة الوزير بشوم ولدا فسماه حازما ، وعندئذ بدأ الصراع والتنافس بين الوزير والقاضي ، فالوزير يرغب أن يكون حفيده وريثا لأبيه في الملك ؛ لأن ابنته الزوجة الأولى للملك ، وتزوجها عن وصية أبيه صخرة ، فهو الأحق بالخلافة ، والقاضي أيضا يريد أن يكون ابن ابنته وريثا للملك لأنه الابن الأكبر ولو ببضعة شهور ، بل بعض الأهل من وجدت لديهم رغبة بأن تكون الابنة زهرة الملكة بعد حياة والدتها وموته ، فللملك جدة كانت تسمى زهرة وقد حكمت البلاد قديما ، وما زال الناس يتحدثون عن عدلها وشجاعتها وفطنتها ، ولما ولدت زهرة بعد كل سنوات الانتظار اشيع بين الامراء بأنها الملكة المنتظرة ؛ بل سعت أمها منيرة تهيئة الناس لذلك ، وأخذت تجمع حولها الأنصار ؛ خشية موت سماك دون تسميتها ملكة ، ويعتلي العرش أشقاء سماك ؛ ولكنها لما أتت بقسيم خف حماسها لهذا الرأي ؛ فالذكر أولى بالقيادة والرئاسة ، وحق توريث الملك هو حق للملك ينفرد فيه ويختار من يشاء من أسرته كإخوته وأبنائه وأعمامه ، فكان القاضي الكبير رسال يحزب الفرسان والأمراء حول ابن ابنته قسيم ، والوزير بشوم يدعوهم للالتفاف حول الأمير حازم والأميرة زهرة كان بعض أعمامها يرغبون الملك باختيارها ليحي تاريخ الاجداد وجدتهم زهرة ، وليكف النزاع بين الأخوين وأنصارهم فتعلق قلبها بالملك مثل اخويها ، فلما هد المرض والارهاق الملك سماك زاد التنافس والصراع ، والملك يماطل ويؤجل الفصل في ذلك حتى تزف ساحة الرحيل ، ولكن ساعة الرحيل لم تأت كما توقع المقربون من العرش ، فقد حدث أن كان الملك يوما مع فارسه الخاص همام وبعض خدمه في إحدى قرى الصيادين وقد جلسوا على صخرة يشاهدون الصيادين ، وهم يرمون شباكهم لصيد السمك ، وبينما هذا الملك يجلس وحوله غلمانه يتابع الصيادين وأكوام السمك إذا رأى صبية حسناء جميلة تخرج من أحد الاكواخ وقد اقتربت من الشاطئ ؛ حيث رجل صياد ومعه أقرانه، فتحدثت معه فترك الشبكة مع أحد ابنائه وسار مع

الفتاة الحسناء نحو كوخهم ، شاهد الملك المتفرج الفتاة الحسناء فاستحسنها وراقت في عينيه فقال لفارسه همام : أيها الفارس .. إنها صبية حسناء وذات صوت جميل .. أهي ابنة الصياد ؟!

دهش الفارس لأمر الملك الشيخ فرد : أعتقد يا مولا ي أنها ابنته !

فقال الملك بصراحة ومن غير مواربة : أيها الصديق ! عشق القلب هذه المرأة .. بل ذكرتني بمنام قديم كنت أراه ..

قلق الفارس لهذا الخاطر ولهذا العشق المفاجئ والمتأخر ؛ فالملك الناس تنتظر نهايته ويتحلقون حول أولاده ينتظرون كلمة الفصل في ولاية الملك ، وها هو يفكر بالزواج فعقب الفارس همام على ما سمع من الملك والدهشة مرتسمة على محياه : منام قديم ؟!

فقال الملك بعدما أمر الخدم بالابتعاد عنها : نعم، لقد رأيت أن بلادنا تغرق وتغرق ولا يزيل عنها الغرق الا رجل من صلبي ، ولكنه من أبناء العامة ، بل قال لي شيخ المعبد " إنني سوف أتزوج من ابنة صياد ، وولدي منها سينقذ البلاد من الغرق " .. ولما رأيت هذه الصبية الحسناء اهتز لها قلبي الضعيف الوهن وتذكرت ذلك الحلم يا همام .. أعرف أنني رجل مريض والكل ينتظر هلاكي ؛ ولكني منذ شهور أرى أنني تحسنت يا همام .. دعنا نكلم الصياد .

فردد الفارس بقلق : مولاي الملك ! إنها ابنة صياد .. مسكين فقير !

فقال الملك بإصرار : نفذ أيها الفارس ألست صديقي وصاحبي وفارسي الخاص ؟!

فقال الفارس : إني خائف عليك !

فارتبك الملك للحظات ثم قال : ممَ ؟ من زوجاتي ؟ من آبائهن ؟ أم من الاولاد الظلمة الذين يعتدون على الناس والشعب ولا يرتدعون بكلام ولا تهديد ويريدون الملك للتجبر واذلال العباد ؟ أم من ضعفي وسقمي أيها الأخ الشجاع ؟!

فقال همام وهو يشغل فكره : إني خائف عليك وعلى الصياد وابنته يا مولاي ؟

فقال الملك بغضب ظاهر : وأنت وفرسان الملك ماذا تفعلون ؟!

ـ أنا خادمك المخلص يا مولاي ولكن

ـ لا داعي للكن هذه .. هيا اتبعني ..

مشى الملك بخطوات وئيدة ضعيفة تدل على تعب الملك البدني والحسي مشوا نحو الكوخ الذي دخله الصياد والفتاة ، ولما وصلوا إليه أمر الملك أحد الغلمان أن يستدعي صاحب الكوخ .. خرج الصياد ورأى الملك ولم يعرفه ؛ ولكنه أحس أنهم من علية القوم ، وخرجت الصبية ووقفت بباب البيت تنظر من هؤلاء القوم الذين يرغبون

بالحديث مع والدها الصياد ولما عرف الصياد أنه يكلم الملك خر مقبلا ليده ومرحبا به ومعتذرا له عن جهله بصورته ، فعذره الملك وخاطبه مباشرة بشأن الصبية أمام دهشة الفارس والغلمان ، فتعجب الصياد البسيط لطلب الملك مصاهرته ، فتلعثم لسانه وارتبك فهرعت إليه الصبية ظانة أن مكروها ألم به .. فبش لها الملك وحدثها بما طلب من أبيها ، فاضطربت هي الاخرى لما علمت أن هذا الرجل الذي يتحدث معهم هو الملك سماك بن صخرة وكادت لا تصدق .

ثم جرى زواج الملك سماك أمام دهشة رجال البلاط والامراء وحتى الشعب ، الملك يصاهر الصياد جرو البحر ، ولم يمت الملك كما توقع الكثير من الامراء والحاشية ، وبعد سنة تزيد قليلا أنجبت حورية الماء ابنة الصياد فتاة للملك ، فرح الملك بها وقال لنفسه : أيكون انقاذ مملكتي كما رأيت في تلك الرؤية على يد هذه الفتاة .

عاش الملك سنوات أخرى وكبرت الصبية المولودة وأصبحت ذات خمس سنوات وقد سميت كما أخبرنا بالأميرة " شما "

***

لما تجهزت شرفة جلوس الملك ترك مخدع النوم وذهب اليها ، فهو يحب الجلوس والاضجاع فيها ويأخذ بمراقبة البحر وسماع صوته الضخم عند ارتطامه في جدار القصر .. ويرى السماء ونجومها ويسمع اصوات الاطيار على الاغصان السامقة في عنان السماء ، وطيور البحر وزعيقها الذي يملأ الأكوان ، وتدثر الملك الشيخ بفراء سميك واقترب من موقد النار، ووضع له خادمه الكهل الوانا من الفاكهة والطيبات ، وأراد الجلوس أمام مدخل الشرفة كالمعتاد ليخلو الملك الهموم مع نفسه وأفكاره ، فدعاه الملك للجلوس بقربه فأدرك الرجل أن الملك يريد أن يسر إليه بشأن ، فتأدب وجلس بين يدي الملك سماك فسمعه يقول : صديق أنت خادم مخلص لي .. وقد خبرتك منذ أكثر من عشرين سنة .. ولا أشك في حبك لي .. فأظهر الخادم كلمات تؤكد الولاء والحب والإخلاص لسيده الملك ، ثم عاد الملك يقول : اسمع يا صاحبي .. سأكلفك بمهمة عظيمة أيها الصديق .

أظهر الرجل اخلاصه وامتنانه للقيام بهذه المهمة ولثقة الملك الكبيرة بشخصه الضعيف فما هو الا مجرد خادم في قصر الملك منذ وعى على نفسه وهو يعيش في قصور الملك ، ثم خصه الملك سماك بخدمته الليلية والخاصة ، فقال الملك هامسا : سترحل يا صديق الى بلاد بعيدة .. زوجتي حورية الماء حامل .. وأنا أحس بأن أجلي قد دنا واقترب .. وأنا خائف عليها وعلى ما في رحمها .. وأنت

تعلم كما يعلم الناس جميعا أن اولادي لا يكنون لي الاحترام والتقدير اللازمين .. وأنا خائف من غدرهم .. فقد طلبت من حورية أن تستعد للرحيل خفية والاختفاء دون علم أحد إلا أنا وأنت يا صديق .. ترحل بها الى بلاد عيسى وهناك تنزلها في بيت وتخدمها كما تخدمني حتى تلد ويكبر المولود الذي أراه في منامي ولدا ، وهو سيكون الملك من بعدي يا صديق .. سيكون أخي زيد الملك بعد موتي القريب دون اولادي وسآخذ منه عهد أن يجعل ولدي من ابنة الصياد ملكا عندما يكبر ويشب .. هل تسمع ما أقول ؟! .. ستسافر إلى باد بمركب تستأجره ومن هناك تركب الى حوت وبعدها الى جمار وهو مرسى سفن مدينة عيسى وفي عيسى تستقر وتختفي يا صديق سوف يبحثون عنك تنكر ودبر الأمر .. فهل أنت أهل لهذا الأمر العظيم يا صديق الشجاع ؟! .. وأنت بخدمتك لولدي ؛ كأنك تخدمني يا صاحبي الراعي .. عليك ترتيب أمر السفر خفية وسرا

تلقى صديق الأمر الخطير والمخيف بكل طاعة ، فدفع له الملك بعض عقود الجواهر والمال وأمره بالاستعداد للسفر .

ولم تكد تمضي بضعة أيام على هذا الاجتماع حتى غادر صديق بالأميرة الحسناء حورية الماء إلى مدينة باد ، ولما دخل مدينة حوت سمع الناس يتحدثون عن هلاك ملك بلاد الشواهد وتنصيب الامير زيد بن صخرة ملكا على البلاد وسمعهم يتحدثون عن غضب أولاد الملك الراحل على عمهم زيد لتقديمه ملكا على البلاد .

******

بعد سفر صديق بحورية بيومين أو ثلاثة طلب الملك سماك الوزير بشوم والقاضي رسال وقادة الحرس والجيش وكبار رجال البلاط الملكي وأعمامه الاحياء واخوته ورجال العائلة الكبار وفي اجتماع خطير عهد أمامهم بالحكم لأخيه زيد دون اولاده الثلاثة وصيا على العهد والعرش حتى تلد زوجته حورية ابنة الصياد جرو البحر ولده ويكبر ويبلغ سن الرجال فيحكم البلاد خليفة عن والده سماك ، فاشتد غضب ولديه الشابين وقام الصياح والهجاء فطلب الملك من قائد الحرس حوري بحبس اولاده الذكور في سجن القصر ، ثم أعلن لهم الملك ثانية ما قرره ورتبه وأخبرهم برحيل زوجته حورية الحامل من البلاد الى مكان مجهول حتى تلد ابنه وتربيه بعيدا عن أهله حتى يكون الملك من بعده وحفظا لحياته حتى يشب ويكبر ويعود للبلاد وأن وصاية زيد تنتهي بعودة الطفل الموعود .. وأخذ الملك المواثيق الغلاظ من الامراء والقضاة والجند وشيخ المعبد على تحقيق ذلك .. وبعد اعتراض من بعض الامراء والاقارب أقسم

الجميع على تنفيذ وصية الملك وإن أصابهم الغضب في نفوسهم وعقولهم ، وبعد انصرافهم دعا الملك ثانية أمير البحر وأمير العسكر وأمير الحرس وأمير فرسان الملك وأخذ منهم المواثيق والعهود على المحافظة على العهد فاقسموا له بالولاء وحفظ الامير وطاعته عندما يعود للبلاد وبعد يسير فاضت روح الملك سماك بن صخرة ملك بلاد الشواهد الى بارئها سبحانه وتعالى ، وشيع في جنازة حزينة ومضطربة وأعلن امراء البحر والجيش والحرس والفرسان الامير زيدا ملكا على البلاد والعباد حسب وصية الملك الهالك . وقد رفض اولاد الملك قسيم وحازم البيعة واعتكف كل أمير في قصر أمه وحوله انصاره واعوانه . فتحدث زيد الوصي مع الوزير العجوز بشوم وحذره من تمرد ابن ابنته كرام ، وكذلك تحدث مع القاضي العجوز رسال وبين لهم أن الملك الراحل فعل ذلك لمصلحة وحياة البلاد وأنه لم ير في ولديه الكفاءة للقيادة والرياسة .. فضحك الوزير بشوم وعلق قائلا : أما الابن الجنين اذا كان ابنا فهو أهل للملك والرئاسة يا ملك زيد ؟!

فقال الملك زيد بشدة : هذه وصية أخي .. أيام ثلاثة اذا لم يأت هؤلاء الصبية وأمام القادة والامراء لإعلان التوبة والبيعة فسوف أزج بهم في السجون .. أنا الملك اليوم وليس الجنين فطاعتي واجبة عليهم بوصية أخي وبأنني عمهم ..

فقال القاضي رسال : أهدأ يا صاحب السلطان .. فلا تعجل على بيعتهم أيها الملك .

فقال زيد الوصي : لم نعهد تمردا على اختيار الملك في أسرتنا أيها السادة .. فهذه سابقة خطيرة .

فأجابه الوزير بنبرة غاضبة ومتحدية : لم نعهد وصاية بهذه الصورة على الملك أيها الملك فهذه سابقة لم نسمع بها في مملكتنا .. وصاية على جنين مجهول !

فصاح الملك بحدة : أخي فعل ذلك لفساد ولديه ولتصارعهما أو تصارعكما أنتما على ولاية الأمر فأنتما السبب ؟! كل واحد منكم يحرض ابن ابنته ليكون هو الملك حتى أن الاميرة زهرة حفيدة القاضي الكبير طمعت في ملك اجدادنا قبل ولادة قسيم ولها انصار ما زالوا يحثونها على ذلك الشأن .. اسمعوا وعوا .. ثلاثة ايام أنتظر خضوعهما .. عندما يأتي المولود الهارب ويصبح ملكا فليتمردوا كما شاءوا .. أما وأنا الملك فعليهم بالولاء والطاعة .. انصرفا الآن لا بارك الله فيكما

مضت الايام الثلاثة ومازال ابناء سماك يرفضان الخضوع والبيعة لعمهما زيد ؛ بل ارسلا إليه سيلا من السباب والشتائم ، فجمع الملك زيد امراء الحرب واخوته الاحياء واعلن أمامهم عزل الوزير بشوم والقاضي رسال وعين الأمير رفيق بن

عديل ابن عم له وزيرا للبلاد وتعين القاضي فارس بن محمود كبيرا للقضاة في البلاد وفرض الحصار على بيت الوزير بشوم والقاضي رسال فرفض الوزير الشيخ الامر وانتقد الملك واتهمه بالطمع بالحكم ، فزج به في السجن هو وكل من معه ، وأما القاضي فأعلن الخضوع والولاء للعرش ورضي بالحبس في بيته كما يريد الملك زيد .

فلما عرف الاميران قسيم وحازم بذلك ازداد حمقهما وأتى قسيم للملك مبديا سخطه وغضبه ومهددا بالثورة على الحكم والعرش فصفعه زيد الملك ورماه في سجن القصر ثانية ، فأقبلت أمه منيرة وتشاجرت مع الملك ، فعذرها الملك كرامة لأخيه الميت وقال لها : ابنك يحتاج إلى إعداد جديد .. يشتمني ويتوعدني .. عندما ينصلح حاله سنعفو عنه وعن تطاوله .

أما الامير الشاب حازم حفيد الوزير لما رأى جلادة وقسوة عمه فر من البلاد هاربا ، وقد بحث عنه الملك زيد في أنحاء البلاد ، فلم يعثر عليه فأدرك أنه خرج من المدينة .. وبعد حين حاول الملك زيد البحث عن حورية الماء فعلم أنها اختفت قبل وفاة الملك سماك بصحبة الخادم صديق الراعي ، وحاول عن طريق إخوتها ووالدها جرو البحر كشف السر ومعرفة مكان اختفائها فأنكروا معرفتهم بذلك السر ، وكتم الامر في نفسه وتركه للأيام .

وأما الاميرة زهرة فلما رأت صرامة عمها أظهرت خضوعها وبيعتها للملك مع أن النساء لا بيعة عليهن ، فقبل منها زيد ذلك ، وحثها على الاقتران بأمير أو فارس والابتعاد عن حياة الرجال واطماع الرجال والانشغال ببعل وابناء ، فتظاهرت بالرضا والقبول والاقتناع وأنها ستفكر بالزواج ، وعادت لأمها باكية شاكية ذليلة وقالت صارخة : يا أماه .. لا حياة لنا في هذه البلاد .. فعمي حاقد علينا ولم يدع حرمة لأبينا الميت منذ أيام .. وأحس أن عيونه تطاردنا وسمعتهم يتحدثون عن محاكمة لقسيم فأخشى يا أماه أن يعدموه الحياة .. فيبدوا أن عمي طامع بالملك للابد .. فأفعاله ليست أفعال وصي .

فقالت الام : أنتم السبب ! أنتم دفعتم سماك أن يدفع الحكم والملك عنكم .

فهزت الفتاة رأسها بحقد وغضب وقالت : سوف يرى هذا الملك ما ستفعله بنت سماك !

فقالت الام منيرة : كان أبوك ذكيا ! كنت أراه ساذجا أحمق .. فقد عرف من يختار للملك ؟! أين أخفى حورية الماء ؟ وهل هي فعلا حامل ؟! أين ذهبت ؟! .. لقد دسست جارية على أهلها .. فأكدت لي أنهم لا يعرفون .. بل لم تخبرهم بخطة

الملك !

صراع على التاج

عقد مجلس القضاة في البلاد جلسة تمت بها محاكمة قسيم بن سماك ، فعرض عليه كبير القضاة الامير فارس بن محمود التوبة والندم والاعتذار لصاحب السلطان ، ولكن الفتى الشاب ركب رأسه وعناده وأصر على رفض البيعة ؛ بل زاد في شتم واتهام عمه أمام جمهور الحضور بالخيانة واتهم عمه بالتآمر على الملك سماك وأنه خدعه مظهرا ومتظاهرا أمامه بالبلاهة والبساطة ، وأمام إصراره على هذه العداوة والمعاندة أمر القاضي بحبسه عشر سنوات، فنقل إلى سجن البلاد الواقع في مدينة سلة الملك المدينة الغربية في بلاد الشواهد ، فألقي مع رعاع الناس والسوقة والمجرمين .

ولم يقبل الملك الوصي شفاعة أحد فيه ، وهو أصر أمام كل زائريه بعداوته وبغضه للملك الغاصب ، وهدد بالانتقام والقتل لعمه زيد ، وأما بشوم فقد أخرج من السجن ذليلا مهانا ومنع من مفارقة بيته ، فهو سجين بيته ، ولم تكد تنتهي هذه المحاكمات حتى حاول أحدهم قتل الملك زيد ؛ ولكنه نجا من طعنة الخنجر ، وقد قتل الغادر أثناء الجريمة ، ولم يعرف من وراءه ودفعه للاغتيال ، فأعاد الملك ورجاله ترتيب الحرس وحركاته .. وأدرك الناس أنهم مقبلون على أيام صعبة بسبب الصراع على الملك والعرش .

وأدرك الملك زيد بعد محاولة قتله الخطر المحدق به وأن أعداءه كثر ، وأن الخفي أكثر من الظاهر وأن هذه الطاعة تخفي وراءها ما تخفي من الحقد والحسد والثأر والانتقام ، فبدأ يستعمل أموال الخزانة لشراء النفوس والولاء لشخصه ، وأخذ يحدث تغييرات كبيرة في قيادات الحرس والبحر والعسكر ؛ ولكن رويدا رويدا .. وقد شكل فرسانا جددا للملك وكان يساعده في ذلك وزيره رفيق ابن عمه عديل ، وقاضيه فارس وولده البكر راهب ، وأما صاحب الحظوة لديه والمستشار الذي يسمع رأيه أولا فهو صديقه غضبان ، فهو مستشاره وأمين سره في المعمعة ، وما مضت السنة الاولى على الحكم والولاية حتى كان الملك زيد الوصي يتقدم الى الامام في تثبيت قدميه في ملك البلاد بلاد الشواهد ، وبينما الوصي يدعم ملكه ويشتري الانصار جاءه خبر فرار ابن أخيه قسيم من السجن ، ونبأ مقتل صاحب السجن الموالي له ، فغضب الملك وأجرى تحقيقا دقيقا في قيادات السجن والحرس ، ولم يكد ينتهي من هذه المشكلة حتى فوجئ بتعرض ولده البكر راهب لمحاولة قتل ، فارتبك الملك واعوانه فعزل صاحب الشرطة وعين رجلا مكانه ، وكان يتحدث مع

مستشاره غضبان بغضب وقلق فقال : ايها الامير ! إني اريد أن أعرف من وراء هذه الأحداث ؟ فبشوم اللعين تحت المراقبة والقاضي رسال مثله .. وهؤلاء هم اعداؤنا كما نعلم ؟ وابن أخي حازم هارب منذ سنة ولا أراه قرب البلاد فعيوننا ترصد الداخل والقادم .

فقال غضبان : اطمئن ايها الملك .. سيستقر العرش تحتكم يا مولاي ! .. إنما هذه تنفيسات من بعض الأشقياء لنتصرف بحمق وانفعال .. فالشعب ما زال هادئا وقانعا بكم ملكا على البلاد فأنتم الملك الشرعي رغبة ووصية من الملك الراحل وأولاد الملك ليست لهم شعبية لدى الشعب فتغطرسهم وأفعالهم القبيحة في حياة والدهم لم تترك لهم محبة عند العامة .. فاطمئن يا مولاي وقد أثرنا الشائعات والشبهات حول اولاد الملك الراحل رحمه الله ..رغم ما اصاب ابنكم من بأس فالأمور تصير لصالحنا ايها الملك .. سيشفى الامير الشجاع راهب وبعد عمر مديد سيرث هذا التاج وهذا العرش .. وما زلت أبحث عن تلك المرأة الهاربة حورية الماء وعن ذلك الخادم اللعين صديق الراعي .. فقد أرسلت عددا من رجالي يتحرون عنهم في المدن المجاورة .. فهم قد بان لي أنهم غادروا قبل وفاة الملك بيومين أو ثلاثة .. وما زلت آخذ الصياد واولاده باللين والمسايرة وقد ترجح لديّ أنهم لا يعلمون عن ابنتهم شيئا لا أدري لماذا تصرف اخوكم هذا التصرف الغريب في آخر ايامه ؟!

فقال الملك بحيرة : وأنا مثلك ! وعندما شرح لي رغبته بجعلي وصيا على العرش فاجأني حقيقة فأنا لست أكبر إخوتي الأحياء، ولست اصغرهم كما تعلم .. ولما اسر لي بأمر ابعاد زوجته حورية لم استطع أن اسأله عن السبب لهذا الإبعاد والإخفاء ، ولكنه أشار أنه خائف من أولاده

فعاد صاحب السر يقول : إنه أمر محير ؛ ولكنهم في حجرات النساء والخدم يتحدثون عن رؤيا رآها الملك قديما .. وسنصل إليها ونتخلص من المولود اذا كان ذكرا ؛ وليظل الشعب ينتظر عودة الملك الموعود وأما اذا وضعت انثى سنحضرهم للبلاد ونكرمهم غاية الاكرام كما أكرمنا الملك الراحل وجعلك وليا وملكا بعده .. فيرتفع مقامك أمام الأمة والأمم الأخرى.

فقال الملك الوصي : لا أظنها ولدت أنثى ، فلنا أكثر من سنة نجلس على هذا التخت ، ولم تظهر امرأة أخي ، ولو أنها وضعت أنثى لظهرت في البلاد .. بل حتى أن أخي لم يرسل ابنتها معها .

فقال غضبان : هذا ما وقع في نفسي أيضا لابد أنها ولدت ذكرا .. دع الامر لي .. علينا أن نستمر بالقضاء على خصومكم باللين والحبس والعزل

هرب الامير حازم مع بعض رجاله وخاصته إلى بلاد الملك ماوا حاكم مدينة غيمة ، وهناك عن طريق احد التجار الذين كانوا يترددون على مدينة الشواهد ولهم علاقة كبيرة بالملك أوصله لمجلس الملك وشكى له ظلم عمه واغتصابه لعرش والده ، فرحب به الملك وبرجاله وأذن لهم بالسكنى في البلاد ، وحثهم على الصبر والتأني حتى يحدث الله لهم امرا ، واعرض عن مساعدتهم في غزو بلاد الشواهد للصداقة الكبيرة التي كانت بينه وبين الملك سماك ، وأن الملك زيدا ملك وصي ؛ وليس ملكا دائما وغير مغتصب لعرش . . وكان حازم كلما تسنح له فرصة بالجلوس مع الملك ماوا أو حاشيته يتحدث عن ظلم عمه له ولأمه ولجده بشوم مما حدا بالملك ماوا أن يقول له : أيها الشاب لا تفتري على عمك كثيرا .. لقد أرسلت من أتاني بأنباء بلادكم .. ونحن ماذا نستفيد ونجني من غزو بلادكم ؟! فهل نخسر فرساننا لإعادة الملك لأولاد سماك ، وهو قد حرمكم من حكمها .. فإما أن تسكنوا بلادنا بهدوء وأمان وإما أن تغادروها بسلام وخفية .

رفض الملك ماوا الإصغاء وسماع حازم الهارب ومسايرته في تحقيق احلامه وطموحه ، فأصابه اليأس والإحباط وجلس في المدينة يسمع أخبار عمه الملك ، فجاءته الأخبار بهرب أخيه قسيم من سجن عمه ، ثم تعرض ابن عمه زيد الأمير راهب للقتل ونجاته من موت محقق .. فتعجب ممن فعل ذلك وأحس أن انصار أخيه يتحركون بقوة وعنف ، وأن أنصاره رضخوا وصمتوا وربما ناموا ويأسوا من تحقيق هدفهم ، فبكى وندم على عداوته لوالده الشيخ ولسماعه كلام ونصائح جده ومن قبله أمه كرام وأخذ يفكر بأخيه المجهول ابن ابنة الصياد .. ابن حورية الماء الأخ الخفي المجهول .

رغم سيطرة الملك الوصي زيد على مدن البلاد الثلاثة كان يلازمه شعور داخلي أن الامور تسير على غير ما يرام ومع تطمينات كاتم سره الأمير غضبان وصديقه الوفي منذ التقيا وتصاحبا .. ومع معرفته لقوة غضبان وحدة ذكائه ودهائه كان قلقا وخائفا على ملكه .. فهو قد تعرض للاغتيال وولده أيضا ، وقد هرب قسيم من السجن ، فهذا يؤشر ويؤكد أن لهم أنصارا داخل البلاد وإن كانوا قلة، وإن كل الجهد الذي بذل للفتك بهم لم ينقرضوا ولم يضعفوا ولسوف يتحركون في الوقت والظرف المناسبين .

حاول الملك الوصي معرفة أماكن استقرار ابني أخيه سماك ، فقد اضطربت الاقوال في ذلك فبعضها يقول " في غيمة " وبعضهم يقول " في باد " " وحوت " وسلباد " فجواسيسهم لا يعرفون أماكن اختفائهم بالضبط ..إلا أنهم خارج

البلاد .. فهم لم يصلوا لمجالسهم وأماكن سكناهم ،هذا ما يؤكده عيون عضبان ، وهناك بعض الاشاعات تردد أنهم موجودون داخل البلاد وإنما أشيع هربهم لبحث جواسيس الملك خارج البلاد .. فالشك ما زال في قلب الملك الوصي ..فعيونهم في القصور لم ترهم فيها؛ لأن من اعتاد حب الظهور والبروز في المجتمعات يصعب عليه الاختفاء الطويل داخل القصور والاخبية .

لما تماثل الامير راهب للشفاء من الضربة القاتلة التي اصابته اراد الملك الوصي ارباك خصومه من عائلته وحلفائهم فطلب يد الأميرة زهرة ابنة أخيه سماك لوريثه راهب .

اعجب أناس بهذه المصاهرة ورأوا في فيها حقنا للدماء ورغبة الوصي بالمسامحة والعفو ، وبعضهم اعتبرها سخرية ومهزلة بعد اراقة الكثير من الدماء والسفك .. فتركوا الامر للأميرة زهرة .. وهي أصابتها الحيرة فهناك رسائل تأتي من أخيها قسيم يشجعها على الهرب من البلاد وجاء عرض الملك الوصي وبعد تردد قالت لهم : دعوني اتحدث مع الامير راهب ثم أقرر المناسب .

فسيقت إلى الأمير الذي مازال يعاني من بعض آلام الغدر والاغتيال ، فلما رأته الاميرة اشفقت عليه وحزنت وظنت أنه يموت من قريب وإن ادعاءهم شفائه خدعة لإغرائها بالزواج منه .

تكلمت وإياه ثم سألته" لماذا اختارها من كل بنات المملكة ؟! المملكة المليئة بالأميرات والحسناوات " فما كان امامه الا أن يقول : " أبي يريد أن يقول العلاقة بيننا بعد هذه المحنة أو الفتنة طبيعية وحسنة ، ويرد بعض المعروف لوالدك الذي جعله وصيا على العرش ريثما يرجع أخوك المختفي من ابنة ذاك الصياد .. ابن حورية الماء ليكون سيدا للبلاد ، وايضا يا ابنة عمي لتهدئة النفوس ورفع الشحناء والبغضاء التي ألمت بنا ؛ ولتصل هذه الرسالة لإخوتك فيلتزموا ما التزم به الناس والامراء .. وعندما يعود ويظهر ابن حورية الماء ينازعونه الملك والسلطان ويأخذونه منه ".

ادركت الاميرة أن الامير تكلم بصراحة ومن غير لف ودوران ، ولابد أن في خلد والده وكاتم أسراره غضبان أمورا أخرى ، قد يجهلها هذا الفتى الجريح ،فطلبت منه مهلة للتشاور مع الاعمام والاخوال فقال الشاب : بعد أيام ثلاثة نسمع الجواب والقبول حتى يهدأ الشد والهياج الكامن في النفوس .. نفوس الاهل والعشيرة

فقالت : وانا مثلك حريصة على أمور البلد واستقرارها .

تشاورت الفتاة مع أمها مرة اخرى ومع الاقارب والاصهار فتركوا الامر لها مرة ثانية ، وكانت تنتظر رد قسيم على هذا الزواج ، وكانت لما طلبها

الوصي لولده قد ارسلت له رسولها الخاص الذي رجع قبل انتهاء الايام الثلاثة برفض قسيم لهذه المصاهرة لأن الامير سيقتل كل اولاد الوصي زيد فهم قد اصبحوا أعداء له ولأنصاره .. فنصحها ألا تتزوج وتماطل خيرا لها من أن تصبح أرملة .

لما علمت بجواب قسيم زادت حيرتها وارتباكها ، فهي تعرف قسيما وجنونه وأن الذي يفكرون به سيحققونه عاجلا أم آجلا ، وتعلم أن الوصي زيدا ورجاله سيقاتلون باستماته عن الملك الذي اخذوه على طبق من فضة أو ذهب فكتبت رسالة طويلة بخطها لأخيها واستمهلت راهبا أن يصبر عليها شهرا ؛ لأنها لم تستطع حسم الامر خلال الايام الثلاثة ، فدخل الريب في قلوبهم الملك وغضبان وأحسوا أن شيئا سيحدث خلال هذا الشهر ؛ ولكنهم رأوا الصبر والتريث لبث الطمأنينة في قلوب الخصوم .

فالأميرة رأت ما حدث لجدها القاضي ، ورأت هرب أخيها قسيم ، وصحة راهب لا تغري النساء ، فهو مازال ضعفه واضحا للعيان ، ولا يستطيع الظهور للعوام راكبا على الجواد ، ولكنهم كما ذكرنا يخشون من مكر يدبر بليل ، فشدد الغضبان عيونه واصحاب الخبر حول زهرة وقصرها وزوارها ، وكل هذا التحرس والتجسس لم يفت ابنة الملك سماك .

وهي كانت قد كتبت رسالة مطولة لقسيم ليرخص لها في هذا الزواج ربما استطاعت أن تخدمه فيه وتساعده في الوصول للتاج في أي لحظة ضعف تبدو من القوم ، ولم يطل للانتظار فجاءها رد قسيم سريعا وقال لها في رسالته : " انهم سيحبسونك في قصر كله جواسيس وعيون .. الخادم جاسوس .. الطاهي جاسوس ..الساقي جاسوس .. خدم حجرة النوم جواسيس .. الوصيفات جاسوسات .. الخروج برفقة حرس وجواسيس .. فهم لا يمكن أن يثقوا بك . . وإلا كانوا أغبياء وحمقى .. وافعلي ما شئت .. فأنا أرى أن هواك مع القوم ..ومع الامل في الوصول للتاج عن طريق راهب .. فإذا سبقتيني إليه .. سأكون أول رعاياك مبايعا ومسلما سيفي .. "

مضى الشهر وجاء الرسل والوسطاء يسألون عن آخر ما رأته الاميرة ، فأنهت اليهم موافقتها على الاقتران بابن عمها الامير راهب .. فأعلنت الافراح في البلاد ، وخلال أيام كانت الاميرة زهرة تنتقل إلى قصر الملك زيد .. الى قصر نساء الملك ؛ حيث تسكن نساء أبنائه، فهي ليست أول امرأة ينكحها الأمير راهب ؛ إنها كانت هي الثالثة .

ومع هذا الزواج استمر الهدوء المخيم على البلاد والعباد ، فزادت ثقة غضبان برجاله وحاشيته وقوته ، وظن الجميع بعد حين أن الاميرة زهرة

هدأت وسكنت أحلامها بالملك وأن إخوانها سيرضخون ويعلنون ولائهم ويذهب شبح الخوف والقلق عن المدن الثلاثة .

كانت زهرة تكره عمها زيدا كرها حادا لمَ فعله بأخيها الهارب من السجن والعقاب ولإيذائه جدها القاضي الكبير ولأمها كذلك ، ولكنها عاجزة وما زالت عاجزة عن الانتقام ؛ لأن أخويها مازالا يتصارعان على طلب الملك ، وإن هدأ حازم منذ اختفى ، ولم يعد يسمع عنه شيئا وكانت قبل زواجها على اتصال سري بأخيها قسيم الهارب ، وتتمنى أن يتمكن من الوصول للحكم ، ولكن بعدما فشل ورغب عمها بتزويجها من ولده البكر وارث أبيه .. فرأت أنها فرصة لتقترب من الحكم والتدخل في شؤون المملكة ومن عمها زيد ،وهي وارثة لراهب المريض منذ تعرض للقتل ، فهي لا تريد أن تدخل في صراع مع اخويها ، إنها تريد أن تصل للتاج بطريقة هادئة مهذبة على أن يتقبلها الشعب ويستقر لها الملك كما استقر لإحدى جداتها في الزمن الغابر فهي تحمل اسم تلك الجدة؛ فلعل الله يقدر لها ذلك التاج .

وكان يقلقها ويزعجها أن يقتل اخوها زوجها كما نبأها بذلك ، ثم تسلم امرها لرب العباد الذي يفعل ما يشاء ويقدر له ، بعد مضي أكثر من عام على الزواج ولدت الاميرة ابنها الاول الامير بشير ، فسر الملك الوصي بالمولود الجديد وزاد ثقة واطمئنانا لزهرة ، وأنها عادت امرأة وديعة هادئة لا مطمع لها بالسياسة والملك ، وكبر حبها في قلب الامير راهب زوجها العليل وزال الريب أو أكثره من نفسه ، وأحس أن الأميرة قد دجنت ، ولم تعد لها احلام بالملك وسياسة الناس ، والحقيقة أن زهرة لزمت الهدوء لترك الامر لأخويها حتى تتيقن من يأسهم في الوصول للتاج ، فأحلام الملك والسيادة ما زالت تتراءى أمام عينها وفي منامها .

وكانت تعمل بحرص وذكاء وحذر شديد ، فهي مدركة أنها محاطة بالعيون من الحرس والخدم والوصيفات والطهاة وحتى من ضرائرها .

حدثت في البلاد بعض القلائل من تعرض قوافل للسطو والنهب ، وحصلت قرصنة لبعض السفن في مرافئ البلاد ، ولكنها لم تؤثر على استقرار البلاد بشكل مزعج ، واعتبرت امورا عادية ولم تعجب هذه الافعال الاميرة زهرة واعتبرتها حركات يائسة وبائسة، فهذه المغامرات لا تؤثر على الملك وحاشيته . وبعد حين ولدت المولود الثاني الأمير رشاد ، وقد فرحت به ؛ ولكن احلامها لم تمت كما يظن الكثير ممن يعرفها ؛ إنها أجلتها إلى حين . ذات يوم قامت الأميرة بزيارة والدتها الأميرة منيرة وتناولت الطعام على مائدتها ، وكانت تقوم على المائدة خادمة جديدة ، ولما عادت لقصر الملك

الوصي ، كانت هذه الجارية التي تسمى " وداد " قد اهدتها أمها لها بمناسبة ولادتها للأمير رشاد ، وخصتها الاميرة برعاية الامير المولود من تنظيف ولباس ورعاية ..ومع أن اهداء الجواري كان امرا طبيعيا بين الناس وخاصة الاسياد إلا أن الغضبان شك في الأمر ، وأجرى تحريا سريا .. فوجد أنها جارية قد اشترتها الاميرة منيرة منذ حين يسير ، وأن الذي قام على شرائها قيم قصرها ، وقد احضرها من سوق النخاسة ..ثم اهدتها للأميرة زهرة بمناسبة الولادة الاخيرة .. فهي قد احضرت من سوق النخاسين ككثير من الجواري والعبيد .. وهي فتاة دون الثلاثين خفيفة اللحم بيضاء البشرة ، وهي خادمة نشيطة في جناح سيدتها زهرة تقوم بواجباتها على خير ما يرام .. كسائر الخدم وليس بينها وبين الاميرة علاقات خاصة .

قبض على عدة عصابات ممن يتعرضون للقوافل فتبين للغضبان أنهم من انصار واعوان الامير قسيم الهارب ؛ ولكنه لم يتمكن من معرفة مكان اختباء الأمير ؛ إنما كان يزورهم في الجبال والمغارات ، ثم يختفي من حيث اقبل ، فتيقن لكاتم اسرار الملك أن المعركة لم تنته ، ولن تنتهي إلا بهلاك ابناء سماك ، ورغم استمرار شكه بزهرة ؛ فكان موقنا بصعوبة وصولها للتاج بوجود قسيم حيا ؛ وربما ترى أن وصولها للحكم عن طريق راهب زوجها اسلم .. لكن الامير قد لا يصل للحكم فربما الملك زيد اوصى لغيره .. آه .. وربما يظهر لنا ابن حورية الماء عندما يبلغ مبلغ الرجال . كان غضبان يعامل انصار ابناء الملك الراحل بقسوة وشدة ، ومع تحرياته المتتابعة وثقته بأعوانه فشل فشلا ذريعا في القبض عليهما ومعرفة اماكن اختبائهما ، وبينما هذه القضية تشغل قلب وبال الغضبان تعرض سجن كبير في البلاد لغارة كبيرة هرب على اثرها كل المساجين وحرق السجن .

صعق الملك الوصي وهو يسمع خبر ذلك السجن وتلك الضربة القوية ، ولام الغضبان على ضعفه ونومه عن الاعداء . فقال غضبان مكفهر الوجه : أنا مثلك أيها الملك فوجئت بهذا العمل الرهيب !.. فقد مضت خمس سنوات على جلوسك على هذا العرش والأمور تسير على أفضل حال .. ولكن لا تقلق أيها الملك فأنا سيفك المسلول على كل الاعداء.. رجالي لم يناموا ؛ إنما كان هناك تدبير محكم .. مع الاسف الشديد يا مولاي لابد من سفك دم ابناء الملك سماك .. لابد من قتلهم ليضعف انصارهم واصحاب الطمع .. فهما لا يريدان الهدوء والاستسلام .. لابد أن تسمح لي بقتلهم .. حياتنا أم حياتهم ؟!

ـ دعني افكر .. فالأمر صعب يا غضبان ! .. أنا

أريدهم أحياء أموات في السجن .. لا أريد أن يصير بيننا دم .. فالدم بيننا يحرق الاخضر واليابس .. قتل أحد أجدادنا في ماضي الايام ..
فدفعت العائلة عشرات الانفس لتسكن روحه ..
ـ هم الذين حاولوا قتلك وقتل ابنك لولا عناية الخالق..
ـ دعني افكر ايها الامير ! أنا الملك فقتلي لهم غير قتلهم لي ولذريتي .
ـ لا يتأخر تفكير مولاي .. لابد من ارسال من يغتالهم ويخلصنا منهم .. فقتلهم اسهل من احضارهم وخطفهم .. فعجل أيها الملك في تفكيرك وردك !
كان الملك حائرا خائفا من الغيب فقال : إني أخاف الدم يا غضبان ولا ينفع الندم حينئذ .. فها أنت ترى قد اصبحوا أخوال أولاد الأمير راهب .. لو أن راهبا قتل ربما وجدت لنفسي عذرا بسفك دمهم بحكم الثأر .. فقتلهم سيدفع للقول أني أطمع بالملك وإنهاء الوصاية.. فزهرة قبلت براهب زوجا وبعلا وأنجبت منه ثلاثة انفر ..
قال الغضبان: ما زال في قلبي شيء نحوها .. فهي احيانا تتفوه بكلمات تهديد ووعيد وطمع في الملك .. ولكنها كما يقال مقصوصة الأجنحة .. وابتعد كل انصارها وانفضوا من حولها من بعد أن نكحت ابنك الأمير راهب ، فقد يئسوا منها ، فهم التموا حولها طمعا في المناصب والرتب .. فالخطر الداهم ليس منها ؛ إنما من أولاد أخيك ..وهي ليس من السهل أن تصل للملك واخواتها أحياء هاربين طامعين بالتاج ..ربما رضيت بأن تكون زوجة لملك المستقبل اذا شاء مولاي أن يجعل راهبا وريثه .. إن ما اخشاه منها المساعدة للغدر بنا من أجل أخيها قسيم فحسب .. هذا ما يجعلني اتابعها واراقبها لليوم ..
ـ اما زلت تحيطها بالعيون ؟!
ـ اجل يا مولاي ! لابد من ذلك .. لا احب أن تغفل عيوننا عن اعدائنا .. وسأعرف تفاصيل دمار السجن وآتيك بالتفاصيل والاخبار الواضحة أيها الملك العظيم !
وخرج الأمير غضبان ، ثم دخل الوزير رفيق ومساعدوه ليتشاوروا مع الملك في ادارة العباد والبلاد بعد كارثة السجن العجيبة وفرار المحابيس ، فقال الملك : ما يقول رجالك ؟ فقد شرح لي غضبان بعض الشيء .
فقال: الحق أن كثيرا من رجال الحرس والشرطة قتلوا وحرقوا فلم نعرف من بقي حيا ، وأن له يدا في الجريمة وتعاون مع الغزاة ويعتقد أنهم أتوا من مدينة باد ..
فقال الملك : باد ! ـ قالها الملك بدهشة واستفهام ـ كيف علمتم ؟!

قال الوزير شارحا :يا مولاي الملك .. لما قام الجيش بالبحث عن الغزاة وجدوا جريحا في احد الطرق يموت ، فقال لهم انه من مدينة باد .. ثم مات .

فقال: باد !! لم يقل غضبان شيئا عن باد ؟!

ـ ربما لا يعرف بأمر الجريح .

فقال الملك : أكيد ، فهو فعلا لم يخبرني عن الجريح .. قلت إنه مات وهلك لم يقل غير باد .. ومن قتله ؟! وما الذي جاء به بلادنا ؟

ـ عندما سأله الجنود من أي البلاد انت ؟ قال لهم " من باد " وحشرجت روحه وصعدت لبارئها .. فألقوه في البحر وتابعوا البحث والتعقب .

قال الملك : كيف حكمتم أنه مع المهاجمين ؟!

ـ الجنود الذين رأوه وجدوه مثخنا بالجراح والضربات ..فكأنه خاض معركة .. فوقع لهم أنه من المحاربين وفر معهم ولكنهم لما رأوه يموت تركوه أو اعتقدوا أنه قد مات اذا اغمي عليه من الجراح والدماء التي فقدها .

فقال الوصي وهو يفكر بما نقل إليه من امر السجن المدمر والرجل الجريح : كنا نرى قسيما ذهب لغيمة .. فغيمة غربنا وباد شرقنا .

ـ ربما اشتبه الامر على الجنود يا مولاي الملك .. فنحن لما بلغنا الحادث حرك قائد الجيش بعض السرايا في اتجاهات مختلفة .. نحن نشرنا العفو الملكي عن قسيم وحازم واعوانهم شرقا وغربا ومما يؤسف له أنه لم يتقدم إلينا احد لينال عفو السلطان .. فهم مصرون على العداوة والبغض.

فتنهد الملك بعمق وذرف بعض الدمعات وهو يقول بألم ولعله صادق : سامح الله أخي سماكا الذي حملني هذا العبء الهائل .. والذي يعاديني في هذا الملك ابناؤه .. لا حول ولا قوة إلا بالله كان الملك سماك يعرف أبناءه حق المعرفة .. ولكنه اتعبني أيها الوزير !

ومسح دمعات تساقطت على وجنتيه متظاهرا أنه يحارب ويقاتل من اجل وصية سماك ، وأنه يقاتل مرغما ، فأخذ الوزير يخفف من حزنه وألمه فقال : لا توهن يا مولاي السلطان ! .. سيضعف كيدهم بمشيئة الرب .

فقال الوصي : يا وزيري ويا أيها الرجال ! .. لي خمس سنوات اصارعهم متحملا لهم ، وتزوجت أختهم من ولدي راهب لحقن الدم .. وأنا مستعد للزواج من أمهاتهم ليستسلموا ويتوبوا .. أليس مؤلما أن يقتل هؤلاء الناس والجنود والحرس من اجلنا ؟! ألا يستسلمون لوصية سماك ؟! .. فكيف لو ظهر ابن حورية الماء يطالب بعرش أبيه الملك الحقيقي للبلاد ؟! ما أنا إلا وصي ! .. لو ظهر أيها الوزير لابد أنهم سيقتلونه وينازعونه الامر !

كان الوصي يحب دائما أن يظهر أمام رجاله بالرجل

المظلوم وأنه لولا وصية أخيه سماك ما رضي بالملك .. وأنه يقاتل مكرها أو مضطرا وأنه ينتظر عودة ابن الملك المختفي الفتى المجهول .. فهو يقتل ويسجن للوفاء بالعهد الذي أخذه على نفسه أمام السادة والقضاة والفرسان .. فيتعاطف معه السامعون ويتألمون لحزنه وضيقه وينشرون ما يرونه من حبه للرعية ورغبته الكبيرة بالسلام والصلح وأن أولاد أخيه هم الظالمون له بإثارة القلاقل والمعارك . وعندما يختلي بكاتم سره وذراعه اليمين غضبان يكشر عن انيابه ويحثه على الفتك بالخصوم وتعذيبهم .. فهم يخططون لبقاء الملك في سلالة زيد .. ولكن كما يمكر الإنسان للإنسان ، فهناك من يمكر لهم ويسعى لتدميرهم والخلاص منهم !

***

قسيم الهارب من سجن عمه زيد ما زال يقارع ويقاتل عمه وجواسيسه ، لم يهن ولم ينفض من حوله انصاره ، وغضبان رجل الوصي القوي ما زال يتعقب فلولهم ، ورغم الجهود الكبيرة التي يبذلها هذا الرجل لم يصلوا الى الرجال الكبار الذين يعاونون قسيما للاستمرار في المعركة ، فمعركة السجن كانت معركة كبيرة ، قذفت الرعب في قلب الوصي ورجاله ، ولولا تشجيع الغضبان للملك ؛ لربما تنازل عن العرش وترك السياسة والحكم ، فهو منذ نعومة اظفاره كان بعيدا عن الحكم والسلطة والولاية ؛ لأنه لم يكن يحلم يوما ما ولو حلما أن يصير ملكا لبلاد الشواهد ، فسماك الملك ورث الحكم عن أبيه ، وكان يعتقد بأن ينقل التاج لأبنائه .. أما أن يختار وصيا .. فهذا أمر عجيب .. فتعجب الرجل من قدرة الله ومن قدره .. ثم زاد طمعه بالاستقرار الدائم على سدة العرش وأن يحذف عنه لقب الوصي .. فهو مازال يقال له عند الاكابر الملك زيد الوصي .. فهو نفسه لا يستطيع خلع هذا اللقب عن نفسه ؛ لأنه يحكم بالوصاية .. وربما لو هلك أولاد سماك الهاربين؛ ربما استطاع التخلص من الوصاية ؛ لأنه لو زاح الوصاية عن نفسه وهم أحياء سيثيرون الأقاويل عليه ، ويثيرون الشعب عليه والحاقدين ايضا .

كان الوصي سعيدا بتدجين الاميرة زهرة وتزويجها من ابنه البكر ، فهي البنت البكر لأخيه الراحل ، وكان لها طموح ظاهر بالحكم ، وكان يعتقد بزواجها من ابنه بأن اخويها سيهدئان ويسلمان بالأمر الواقع بعدما اصبحوا اصهارا للملك الوصي .. ورغم هذا ذكرنا أن الامير غضبان ما زال حذرا منها .. فكان يرى أن الطمع في الملك والرئاسة ليس من السهل التخلص منها .. فالنفس جشعة وتتطلع للأعلى والسيادة .. وهو يعرف أن سبب فتورها عن المطالبة بالتاج أخواها

الحالمان بتاج أبيهما .. ورأى بزواجها من راهب أن ترضى وتقنع وتحلم بأن تكون ملكة مع زوجها راهب .. والايام تغير النفوس وتأتي بالجديد ؛ وكما هو معروف ومعلوم الأيام دول بين الخلق .

ست سنوات انقضت على حكم الملك الوصي ملكا حاكما على بلاد الشواهد ، واخطر حدث بعد فشل خصومهم بقتله وقتل ابنه كان حادث السجن .. من حرقه وقتل حرسه ؟ لقد فشل الغضبان ورجاله بالقبض على الاشخاص الذين حرقوا السجن وانقذوا من فيه من اتباعهم واهلكوا رجال السجن ..بعد هذه السنوات حدث في بلاد الشواهد حدث هزّ أركان مملكة الشواهد لسنوات .

كان من عادة الملك زيد أن يحضر للديوان مكان الحكم مبكرا صباحا فيخلو بكاتم السر الامير غضبان بعض الوقت ، ثم يدخل الوزير الاكبر والامراء واصحاب الحاجات ، فذات نهار حضر غضبان ووجد القوم في انتظار السيد الكبير .. فهو لم يأت كالمعتاد .. وبعد حين تململ الغضبان فقال للوزير الاكبر : سأذهب لقصر النساء فليلة أمس نام الملك عند نسائه .

رد الوزير : نحن بانتظاركم .. أسرع .

كان غضبان يظن وهو سائر لقصر النساء بأن الملك سهر ليلة امس فتأخر بالنوم ، فمشى نحو القصر وهو لا يبعد عن قصر الحكم كثيرا ، كان القصر هادئا فتحدث مع حرس الباب فقالوا " انه لم يخرج يا مولانا " . فسأل عن خادم غرفة الملك الخاصة ، فقيل له " خرج مبكرا عند الفجر ولم يرجع بعد " ، فظن الغضبان أن الملك زيدا أرسله في مهمة خاصة ، وهذا يحصل في بعض الاحيان فلم يستغرب الامير من هذا العمل .

فدخل وتحدث مع قيمة القصر وهي احدى الاميرات الكبيرة في السن فقالت له :جهزت الخادمات الطعام يا سيدي الامير .. ولكن غلام الحجرة الملكية لم يظهر فقيل لنا إنه خرج من القصر مع الفجر ولم يعد بعد .. وأنت تعلم أنه لا يجوز إيقاظ الملك إلا عن طريق خادمه الخاص ولما خرج الخادم من القصر ظننا أنه سيعود سريعا .. فننتظر حتى يستيقظ الملك من نومه ويدعونا .. وطال انتظارنا يا سيدي الامير ! .. ونحن في قلق فها هي الشمس قد ارتفعت ..

فقال غضبان : هل يمكنني أن اصل لغرفته واتحدث معه .. فالناس في الديوان قلقون لتأخره عنهم .. فهناك ضيوف ووفود قدمت لتحية الملك والحديث معه .

كان لا يسمح للرجال أن يدخلوا قصر نساء الملك .. فقط الخادم عيسى الذي يرافقه في تنقله بين قصوره حيث يرقد وينام .. وبعض غلمان القصور

ينقلون الرسائل بين الاميرات وزوجات الامراء كأبناء الملك واحفاده .

استطاعت قهرمانة القصر أن تقود غضبان في ممرات القصر محاولة قدر الامكان تجنيبه اللقاء بأي امرأة ملكة أو أميرة حتى وصلت به الى الحجرة التي يرقد فيها الملك .. لقد كان من الواجب أن يكون عيسى الخادم يجلس أمامها ليستأذن لمن يريد الدخول من النساء على الملك ولكنهم تذكروا أنه خرج مبكرا من القصر الملكي .. مكلفا بأمر من صاحب السلطان ربما رسالة هامة

طرق غضبان طرقا خفيفا الباب ، وفي نفس الوقت كان يحاول سماع نفس أو صوت في الداخل فقال للعجوز : أمتأكدة أن الملك يرقد هنا لحتى الآن .

طرقت العجوز الباب وقالت وهي تحاول فتحه : مغلق ! .. هل اغلقه الملك من الداخل ؟! .. أم هل اغلقه عيسى واخذ معه المفتاح ظانا أنه سيعود سريعا ..وحدث معه طارئ ؟!

زاد غضبان من قوة الضرب على الباب وحاول فتحه بكتفه .. اصابه الرعب والخوف على حياة الملك .. أين الخادم اللعين ؟! ولماذا غادر القصر فجرا ؟!

دفع الباب بقوة فانكسر الباب من قوة الدفعة .. دخل وخلفه العجوز المضطربة .. كان الملك نائما على سريره الذهبي .. مغطى بالثياب الخاصة .. المصباح غير مشتعل ..الشمس تدخل من بعض الطاقات والكوات .. كان غضبان يتقدم نحو السرير وساقاه متوترتان مضطربتان .. أيها الملك الكريم !. وكان يقول بصوت كأنه مبحوح أو يخرج من بطنه : أيها الملك الكريم ! أيها الملك الكريم !..وكانت العجوز تزيح الستائر عن نوافذ الحجرة فملأ النور الغرفة وصل الغضبان إلى سرير الملك ، ولم يتحرك الملك ، ولم يرد عليه فقرب الرجل رأسه وأنفه من وجه الملك .. لا نفس يتردد .. رفع يده إلى أعلى وتركها ، وهتف محدقا في العجوز : إنه ميت !! أنه ميت أيها العجوز !!.. استدعي طبيب الملك .. ربما لم يمت بعد !!

دب الذعر في القصر لتهامس الخبر .. وسمع الصراخ في بعض الحجرات .. ولبى الطبيب الدعوة بعد حين يسير ليؤكد أن الملك قتل مخنوقا .. صدم غضبان للوهلة الاولى .. وردد اسم عيسى عدة مرات وتسأل : هل يستطيع ذلك المخلوق خنق الملك ؟ إنه رجل شيخ ..! "

انتشر الخبر في سرعة بين القصور والاقارب .. والكل لا يكاد يصدق بموت الملك الوصي .. ووصل لديوان الحكم ، تفجأ الوزير رفيق وبعض ابناء الملك .. والقاضي الاكبر فارس بن محمود وكبار الفرسان والامراء .. ثم اعلن للناس بهلاك الوصي زيد بيد الغدر والخيانة .. وذهب الاتهام

على الفور إلى الخادم الخاص عيسى .. إلى خادمه منذ زمن بعيد .. والكل يتسأل " هل حقا القاتل عيسى الخادم القديم ؟! ولماذا ؟! .

اصاب القوم الذعر والوهن ، ولما تمالك غضبان اعصابه جمع الامراء والسادة واعلنوا راهبا ملكا على البلاد والعباد ؛ لأنه الابن البكر للميت .. وقد تردد البعض في هذه البيعة الخاصة ولكن عندما خوفهم غضبان من الاضطراب والفتنة بايعوا واعلنوا للناس بيعتهم للأمير راهب خليفة لأبيه .. فتوج الامير المريض ملكا على مدينة الشواهد .. في جنازة مهيبة شيع الملك المخنوق .. ووراوه الثرى .

واطلق غضبان رجاله يبحثون عن الخادم عيسى المختفي ، وادرك الغضبان ربما حينئذ قوة قسيم وانصاره رغم حادثة السجن الرهيبة .. ادرك أن الشاب يحاربهم بقوة وقسوة وجسارة فقد طوعت له نفسه قتل عمه بدم بارد .. فكان يرى أنه مصمم بالوصول للتاج .. وربما وقع في قلبه أنه سيصل إليه بهذه الجسارة والشراسة .. ولكنه أقسم لنفسه أن سيحرمه ويدمره ويقتله قبل أن يضع على مفرقه تاج بلاد الشواهد .. فزيد صديقه الوفي وهو الذي رفعه عاليا في بلاد الشواهد واعطاه سلطة اقوى من سلطة الملك نفسه .

وأخذ الامير الذي حافظ على مركزه وقوته بوجود راهب بن زيد وصيا وملكا ، يتابع البحث عن عيسى ومن جنده واقنعه للقيام بهذه المهمة الجبارة ..بل كيف استطاع خنق الملك فقوة زيد تفوقه عشرات المرات .. فزيد فارس وصياد ماهر .

عندما يتناقش مع أبناء زيد بهذا الموضوع يصيبهم الذهول ومحاولة معرفة الوسيلة التي استطاع فيها الشيخ من خنق زيد ..وفي نهاية الحوار يهز غضبان رأسه قائلا : عندما يقبض عليه الفرسان سنعرف الحيلة التي غدروا بها بالملك العظيم زيد بن صخرة ويأخذ بالبكاء ويذكر مناقب المذكور ، فيجاريه الاخرون ، فيتحول المجلس الى مجلس بكاء وحزن وندب . كانت جريمة مقتل الملك الوصي في بلاد الشواهد مرعبة ومخيفة ، فالوصول لحجرة الملك يدل على قوة الاعداء والخصوم ، وهذه أول مرة اصيبت المملكة بقتل ملك في قصره غيلة وغدرا ومن قومه ، فهذا الفعل الدامي سيزيد من حدة وشراسة المعركة بين اولاد زيد واولاد سماك .. والملك المتوج على رأس البلاد راهب عليل البدن طريح الفراش اكثر وقته فمنذ طعن وهو يتجنب الخروج لخارج القصور .. فما زالت الالام والاسقام تدهمه بين الحين والاخر .

وبعد هذه الضربة عاود الريب للأمير غضبان من الاميرة زهرة ، فأعاد التحري عنها من جديد فلم يجد لديها ما يريب ويدفعها لقتل الوصي غيلة ..

فهي منذ اقترنت براهب وقد انجبت له بشير ورشاد والاميرة رشا وحياتها ساكنه هادئة وإن يبدر منها ألفاظ في بعض المجالس تبدي رغبتها بالملك لتجدد عهد جدتها زهرة .. وأنه لولا أخواها لسعت إليه .

فلما هلك الوصي واصبح زوجها الملك الوصي فطمعت نفسها بالملك والجلوس على كرسي الحكم في مدينتها . وكان يخيفها للإعلان عن ذلك الطمع مقتل الوصي غيلة ، والكل يعتقد أن للأمير قسيم يدا في سفك دمه ، وما الخادم عيسى إلا منفذا للجريمة .

هي هذه الايام خائفة على زوجها أن يهلك على يد قسيم كما نبهها وحذرها في سابق الايام قبل زواجها من راهب ، وكانت ترى تحذيره شنشنة تعرفها من أخزم ..وأنه ضعيف يقول ما لا يفعل .. ولكن الوصول لحجرة زيد وخنقه اعاد لنفسها الرعب والخوف على راهب ، واولاده صغار فلن ينصبوا ملوكا ؛ بل أبناؤه من ضرائرها اكبر سنا وأشد عودا .. فاتصلت بغضبان صاحب الامر والقوة .. فقد منحه زيد الوصي قوة وسلطة لم يمنحها لأحد من رجاله وتركه راهب على ما كان عليه في حياة الوالد ..

فلما التقت به حدثته بصراحة بطموحها وحلمها ، وذكرت له ضعف راهب وعجزه عن الحكم لعلته ، وعللته بالمحافظة على مركزه وكل ما استفاد من الحكم إن ضمن لها الجلوس على العرش بعد موت الملك راهب .. فأعجب الفارس الرهيب من صراحتها ، وبعد نظر وجد أن مصلحتهما واحدة فقال لها : مصلحتنا واحدة كما ذكرت وأكدت .. وأنا اعلم الضعف الشديد للسيد راهب .. وأنا لا يمكن أن أصير ملكا ؛ ولكنني عندما أكون قريبا من الملكة ؛ فكأنني ملك .. وأنا اعرف أن خصومنا اقاربنا سيسفكون دم راهب في أي لحظة نضعف عن حمايته إن لم يمت من علته .. أتعاهدينني أن نبقى أوفياء لبعض وأصدقاء للابد .. فعندئذ سأكون لك كالخاتم في اصبعك يا سيدتي .. وسيكون الحكم لك دون اخوتك .. دون قسيم ودون حازم فهم لن يرضى الناس بجلوسهم للحكم بعدما سفكوا دم عمهم .. فهذه غلطة كبيرة منهم لم يفكروا فيها جيدا .. فأولاد زيد كما تعلمين لن يصفحوا عن دم أبيهم .. ولن يدعوا ثأرهم .. فجلوسك على العرش الحل الأسلم ، فأنت ابنة سماك وزوجة راهب ابن الوصي زيد .. سيكون لك التاج هنيئا مريئا .

فعاهدته أن تبقى وفية له ، ولن تغدر به وسيبقى سيفها القوي ؛ كما هو سيف عمها وابن عمها بل وعدته بالوزارة الكبرى على أن يخلص لها .

فوافق على العمل معها وقال : علينا أن نصبر يا

مولاتي الملكة حتى يرحل زوجك العليل بسلام وسأهيأ الأمر أمام الناس والسادة والفرسان .. وحتى لا تثار حولنا الاقاويل والاذاعات والشبهات سنبقى بعيدين عن بعض ريثما يصل العرش إليك .. فاطمئني فبمجرد رحيل الملك عن هذه الدنيا سأجعل الناس يسلمون بالحكم لك وأنك أولى شخص بالجلوس على عرش بلادنا حتى يظهر ابن حورية الماء .. فأولاد زيد سيرضون بك لأنك زوجه أخيهم وأولاد سماك سيسكتون لأنك اختهم .. ستكونين الملكة الوصية بإذن الله .

ـ أحسنت يا غضبان بدأت تطيع الاميرة زهرة بنت سماك حفيدة الملوك والملكات العظام .. فحيهلا !

قبل الامير يدها باسما وانصرف وهو يقول " لابد من هذه الصفقة ..لأنها اقوى الجميع اليوم فراهب لا يصلح للحكم .. ولكني رشحته دون اخوته ليكون خاتما في يدي .. بل ربما اصبح أنا ملكا في يوم من الايام .. ولكن لابد من قتل اخوتها .. ليستقر العرش ..فاذا مات راهب وتزوجتها يوما ما فسأصير السيد المطاع من ورائها.. فراهب سيموت قريبا .. وستصبح زهرة ملكة .. وأكون أنا حليف الملكة ..آه .. وزوجها .. رويدا رويدا سأتزوجها .. لو ورطتها بقتل زوجها ستسلم بالقبول والزواج مني .. لا .. اذا تعلمت القتل ؛ ربما تقلتني أنا الآخر .. فليمت على مهله !

بعد وفاة زيد

الحرب الخفية ضروس في مدينة الشواهد فما مضى على خنق زيد الوصي بضعة أشهر حتى اصاب راهب الألم والوجع ، فقد انفتح جرح الطعنة القديمة وعجب أطباء القصر من ذلك ، وادرك غضبان أن يدا ما وضعت سما لسيد القصر راهب ، قلب الشك في قلبه أن تكون زهرة تريد أن تعجل بموت بعلها .. وكان عند زهرة ريب أن يكون الأمير غضبان بعد الاتفاق السري بينهما فعلها .. فلزمت الصمت ، ولم تدقق وكذلك فعل غضبان ، فكلٌ كان يرى بموت وريث زيد الوصي الافضل والانسب له .

وكلما لملم الأطباء الجراح ، كان الوجع يعود إلى راهب حتى قضى ردحا من الزمن طريح فراش السقم ولا يستطيع الذهاب إلى ديوان الحكم ومقابلة السادات والضيوف والحكماء .. واذا تحسنت حاله بعض الشيء حمل على محفة لديوان الحكم فيقضي بضع ساعات متحاملا على نفسه حتى أن بعضهم طلبوا منه الاعتزال والعناية بصحته . وقبل أن يستوعب هذا الاقتراح وافته المنية ، فمات متأثرا بجرحه القديم .. وتم تشييع الملك راهب .. أصاب الناس الوجوم الرهيب وشاع القول بأن الملك مات بالسم، وأن الجرح لم

يفتح إلا بتجرعه لسم .
وتردد غضبان بترشيح زهرة للحكم لظهور بعض الشائعات أنها وراء قتل زوجها وأبيه من قبل .. وظهر الانقسام في المدينة.. فقد رفض اولاد زيد اعتلاء سدة الحكم .. ورفض اولاد راهب من زوجات الأخريات ذلك أيضا .. فطرح غضبان اسم زهرة مذكرا بجدتهم زهرة وقال : ربما توفق في حكم البلاد كما حكمت احدى جداتها .
فاجتمع كبير القضاة فارس محمود والوزير الاكبر رفيق وامراء الجيش والبحر والفرسان وغيرهم من الأكابر للتشاور ، ولما قدم غضبان الاقتراح قبله البعض ، والذين رفضوه لم يشيروا لاحد ما .. وذهب وفد برئاسة القاضي للقاء الاميرة زهرة زوجة الملك وعرض عليها غضبان رغبة القوم بجعلها الملكة الاولى بدلا من زوجة ملك .
فتلقت تعزيتهم بوفاة الملك وتظاهرت بأنها قبلت عرضهم على شروط وهي أن يبقى كل منهم في منصبه ومكانه ، وكان كل قصدها من هذا الكلام أن يبقى غضبان في مكانه فهم يعرفون قدرة وقوة غضبان ودوره في حياة الملك الوصي زيد منذ سبع سنوات وفي سنة حكم راهب . واعلن في البلاد والمدن الثلاثة أن الملكة زهرة ابنة الملك سماك بن صخرة هي الوصي على العرش حتى يعود الملك المعين للبلاد حسب وصية الملك سماك بن صخرة.

ودبت الحياة في انصار زهرة وعاد اعوانها يلتفون حولها وحاول بعضهم ازاحة غضبان ورفيق ومحمود واعادة القضاء لعائلة القاضي رسال ولكن الملكة قالت لهم " انها اتفقت مع القوم على أن يبقوا في مناصبهم وولاياتهم وحكمهم حتى تتصل بأخويها ويجري الصلح الكبير في البلاد اذا رحبوا بها ملكا عليهم .
وقبل أن تتصل زهرة بأخيها قسيم جاءتها رسالة منه يطلب منها التنحي عن كرسي المملكة وأن تمهد لعودته ليكون ملكا . فأرسلت إليه مخبرة له أن اولاد زيد الوصي واولاد زوجها يتهمونه باغتيال أبيهم وزيد الوصي وأن الملك لن يستقر له ، وأن بقاءها ملكة ربما يساعد في لملمة الجراح ويبرءهم من دم زيد الوصي وابنه .
وقبل أن تتلقى الرد اعلمها غضبان بأنهم مسكوا خادم غرفة زيد في احدى قرى الصيادين متظاهرا بأنه صياد وابن صياد ، وقد أنكر قتله للملك زيد فقالت زهرة بدهشة : أصدقته ؟ ومن قتل عمي الملك إذن ؟! ولماذا هرب ؟!
قال غضبان : صدقته ، الخوف سبب هربه .. أتحبين سماعه قبل أن نتهمه بالقتل ؟
تعجبت الملكة مما سمعت وقالت : صدقته !! وتريد أن تتهمه ؟!
قال : صدقته ؛ لأنه جبان لا يجرؤ على خنق الملك

، واتهمته ؛ لأنه وضع نفسه موضع اتهام وهرب
ـ أتقتل بريئا ؟!
ـ لن نقتله فورا ايها الملكة .. سنلقيه في السجن بضع سنين .. فهو في نظر الناس القاتل للملك زيد
ـ ولماذا هرب ؟ لماذا لم يبق ؟!
ـ يدعي أن احدهم أخبره بموت الملك قتلا ، وحثه على الهرب قبل أن يأتي موعد صحيان الملك ويتهم بالجريمة والإثم .
فقالت: أحدهم ! ومن هو أحدهم هذا ؟!
قال الغضبان: يقول " إنه كما هو معلوم للجميع أن مهمته البقاء امام غرف نوم الملك كحاجب وخادم ، فبعد نصف الليل أحس بمغص شديد ، ويظن أن احدهم وضع في الشراب مادة منومة ، فغلبه النوم بعدما رقد الملك وقبل الفجر ايقظه شخص مقنع وهمس بإذنه بأن الملك قتل وطلب منه الهرب والنجاة بجلده ؛ لأنه لن يصدق أحد بأنه لم يقتل الملك وابتعد الشبح وتركه في رعب وخوف لا يتحمله انسان .. دخل غرفة الملك بعد تردد ووجده مسجى ولا نفس له فاغلق الحجرة وخرج من القصر متظاهرا امام الحرس بأنه في مهمة ملكية ولما ابتعد عن القصر خلع ملابس القصر ، ومشى شبه عاري ، ثم لحق بقرية الصيادين متظاهرا بأنه صياد كاد أن يغرق فسبح حتى الشاطئ .

فقالت بقلق ظاهر : من إذن قتل زيدا يا أمير غضبان ؟! من هو الشبح الذي خنق الملك واسقى هذا الخادم المخدر ؟ .. قصر النساء لا يدخله رجال إلا غلمان صغار ، ولما يكبرون سنا يرحلون الى قصور اخرى .
ـ هذا ما يحيرني ! ولو أن الحارس رأى رجلا يدخل لذكر احدهم فأنا لي جواسيس بينهم .. بدأت اشك في رجالك أيتها الملكة ..أمعقول أن إخوتك لهم هذه القوة بيننا ؟!
وفاجأت الملكة الأمير قائلة : جاءتني رسالة من اخي قسيم
ـ جاءتك رسالة !!
فقالت: مالك دهشت ؟! يريدني أن اتخلى له عن العرش وأن اعود لحجرة نومي وأنه سيجد لي زوجا جديدا بعد أن حذرني من الزواج من راهب
ـ اين الرسول ؟
ـ غضبان لا تحاول معرفة الرسول حتى لو عرفته لن تنال منه شيئا .. هو لا ينقل الرسالة مباشرة منه .. تسلسل رسل .. وأنا طلبت من أخي الصلح وحاولت اقناعه ببقائي ملكة خيرا له ، ومصلحة لنا وأن أولاد زيد وراهب يحملونه دم الوصي وابنه بعد صمت قاتل قال غضبان :أيتها الملكة صارحيني ألك يد في قتل الملك الوصي زيد ؟
ـ ابدا أيها الأمير وأقولها لك بصدق ، ولست

خائفة منك، ولولا أن إخوتي وقفوا ضدي لتحديت زيدا قبلهم .. فزيد قتل من قبل أعدائه ؛ وربما يكون له أعداء في الداخل ، وليس إخوتي فقط

ـ والملك راهب ألك يد في هلكته ؟

صاحت : ويلك أتريد أن تقنعي أنك لم تدس له السم ؟

قال الغضبان: لا ، لم اقتله ، كنت اعتقد أن هلاكه عاجل لضعفه وسقمه ، والله ما دسست له سما ولا سعيت لقتله .

ـ ويلك أتشك بي ؟!

قال الغضبان: أنا وقع في نفسي ذلك ؛ لأنه ما كدنا نتفق حتى دب إليه الوهن وانفض الجرح القديم

ضحكت زهرة وهمست : وأنا شككت فيك وقلت أن غضبان بدأ ينفذ دوره

ـ اذن كلانا لم يقتله أيتها الملكة!

ـ أنا صادقة ؛ ولست خائفة ، ما سعيت إلى قتله .. مهما يكن من طمعي في الملك والتاج فهو والد اولادي يا غضبان .. ماذا أقول لهم عندما يكبروا

تنهد غضبان عميقا ورد : الذي يفكر بالحكم والسلطان لا يرى اولاده ولا يرى الرحمة في قلبه فأنا اليوم أخشى عليك من القتل .. فهم لهم رجال في القصور بيننا .. الخدم والغلمان تثير القلق عندما تتحدثين معهم تحسين بسذاجتهم وجهلهم ولما تحدث الأحداث تحسين أنهم يلعبون أدوارا كبيرة .. هذا الخادم الهرم ازعجني الآن موقعه ..فعمله بسيط ولكنه مخيف.. يقتلون الوصي ببرودة اعصاب ويضعونه في رمية السكين ، ويدفعونه للهرب لتلتصق التهمة به، فتعاون مع أعداء الوصي

ـ أتنازل عن العرش لقسيم ؟

ـ وهل يرضى اولاد زيد الوصي .. فهم يتهمون بجريمتي قتل أبيهم وأخيهم

فقالت: سيبقى الملك في اضطراب .. الناس يريدون ملكا قويا يرعاهم ويحافظ على املاكهم وبيوتهم .. دمرت البلاد يا امير غضبان

ـ لن يستقر الملك بقسيم بعد ما حدث في البلاد ما حدث حتى لو وضعت يدي بيده .. أنت تنسين أبناء زيد الوصي وأخوه حازم فهو طامع في الحكم .. فأنت خير من يحكم هذه البلاد

فقالت : أنا احب الحكم من زمن أبي .. وها هم أنصاري عادوا يلتفون حولي ؛ ولكنه ملك مخيف .. ومن دخل لحجرة زيد يستطيع دخول غرفتي ؟

ـ لو قضبنا على أخيك ألا يستقر الملك ؟

فقالت: ربما يحدث ذلك ؛ ولكن أنصاره أخرجوه من السجن ، وقبل موت زيد حرقوا السجن بعدما اخرجوا رجالهم .. فأنا لا يهمني قسيم ولا حازم إنما الصراع سيضعفنا ويزيدنا وهنا على وهن .


مشاهد تربوية
منشورات المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
نبوية
حق المسلم
حسن الخلق
ازدراء النعم
فليصل رحمه
حسن الاسلام
كل واشرب
مضغة
نفس كريمة
الزهد
المعروف
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الزمردة
حجر القمر
الجواهر العشر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
غربتي وابنتي
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
قصص
المصباح المضيء
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
وهج الحرب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
موقعة الثلاثة والعشرين
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
حضرم بن سلام
جمال شاهين
الفوارس
رُمان
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
القصر المهجور
جمال شاهين
قريشا ...
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
هو أنت لاجيء
جمال شاهين
الفوارس
عبد الله البحري
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
مملكة مالونيا والملك برابار
جمال شاهين
الفوارس
الأميرة نهر الأحلام
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
قطبة بن سنان
جمال شاهين
الفوارس
الأمير جفر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
٦
صورة الأم
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
٧
بصمة وراثية
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
٨
رجل اسمه سنار
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
حسان والطير الذهبي
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
زهلول في أرض الجآن
جمال شاهين
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
١
وصية جديدة
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
٢
مغامرة النادي
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
٣
مصرع المدير
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
٤
شارع البحيرة الخامسة
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
٥
ليموت الماضي
منشورات المكتبة الخاصة


مشاهد تربوية
منشورات المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
نبوية
حق المسلم
حسن الخلق
ازدراء النعم
فليصل رحمه
حسن الاسلام
كل واشرب
مضغة
نفس كريمة
الزهد
المعروف
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الزمردة
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حجر القمر
الجواهر العشر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
غربتي وابنتي
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
قصص
المصباح المضيء
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
وهج الحرب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
موقعة الثلاثة والعشرين
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
حضرم بن سلام
جمال شاهين
الفوارس
رُمان
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
القصر المهجور
جمال شاهين
قريشا ...
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
هو أنت لاجئ
جمال شاهين
الفوارس
عبد الله البحري
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
مملكة مالونيا والملك بربار
جمال شاهين
الفوارس
الأميرة نهر الأحلام
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
قطبة بن سنان
جمال شاهين
الفوارس
الأمير جفر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
صورة الأم
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
بصمة وراثية
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
رجل اسمه سنار
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
حسان والطير الذهبي
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
زهلول في أرض الجآن
جمال شاهين
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
وصية جديدة
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
مغامرة النادي
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
مصرع المدير
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
شارع البحيرة الخامسة
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
ليموت الماضي
منشورات المكتبة الخاصة

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ٢٢

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

جمال شاهين



قصص قرآنية

بقرة بني إسرائيل

أصل قصة البقرة أن قتيلا ثريا وجد يوما في بني إسرائيل زمن موسى عليه السلام، واختصم أهله ولم يعرفوا قاتله، وحين أعياهم الأمر سألوا موسى فلجأ موسى إلى ربه فأمره الله أن يأمر قومه بذبح بقرة غير أنهم بدؤوا بالمعاندة فاتهموا موسى بأنه يسخر منهم ويتخذهم هزوا واستعاذ موسى بالله أن يكون قد سخر منهم و بين لهم أن كشف الجريمة إنما يكون بذبح البقرة وهكذا يعاني موسى من إيذائهم له واتهامه بالسخرية منهم، ثم ينبئهم أنه جاد فيما يحدثهم به، ويعاود أمره لهم أن يذبحوا بقرة، وتعود الطبيعة المراوغة لبني إسرائيل إلى الظهور، فيتساءلون: أهي بقرة عادية كما عهدنا من هذا الجنس من الحيوان؟ أم أنها خلق تفرد بمزية!! فليسأل موسى ربه ليبين لنا ما هي هذه البقرة ويدعو موسى ربه كما طلبوا فيزداد التشديد عليهم، وتحدد البقرة أكثر من ذي قبل، بأنها ليست بقرة مسنة، ولا بقرة فتية بل هي بقرة متوسطة بين المسنة والفتية إلى هنا كان ينبغي أن ينتهي الأمر، غير أن مراوغة بني إسرائيل لم تزل مستمرة فقالوا ما هو لون هذه البقرة؟ فطلبوا من موسى ليسأل ربه ثانية عن لون هذه البقرة من غير أن يراعوا مقتضيات الأدب والاحترام اللازمين في حق الله تعالى وحق نبيه الكريم، و ومن غير أن يخجلوا من تكليف موسى بهذا الاتصال المتكرر مع الله حول موضوع بسيط لا يستحق كل هذا العناد والمراوغة ويسأل موسى ربه ثم يحدثهم عن لون البقرة المطلوبة فيقول لهم إنها بقرة صفراء لونها فاقع تسر من نظر إليها وهكذا حددت البقرة بأنها صفراء، ورغم وضوح الأمر، فقد عادوا إلى المراوغة فشدد الله عليهم كما شددوا على نبيه وآذوه عادوا يسألون موسى أن يدعو الله ليبين لهم ما هي، فإن البقر قد تشابه عليهم ََ فسأل موسى ربه وأخبر قومه عن البقرة بأنها ليست معدة لحرث ولا لسقي، سليمة من العيوب، صفراء لا علامة فيها بمعنى أنها خالصة الصفرة وأخيراً بدؤوا بحثهم عن بقرة بهذه الصفات الخاصة إلى أن وجدوها عند يتيم فاشتروها منه وذبحوها وأمسك موسى بجزء من البقرة بعد وضرب به القتيل فنهض (وقيل لسانها)ذبحها من موته فسأله موسى عن قاتله فحدثهم وقيل أشار إلى القاتل فقط من غير أن)عنه ثم عاد إلى الموت وشاهد بنو إسرائيل (يتحدث معجزة إحياء الموتى أمام أعينهم، واستمعوا بآذانهم إلى اسم القاتل فانكشف غموض القضية التي حيرتهم زمنا طال بسبب مراوغتهم وتعنتهم

قصة سبأ

في أرض اليمن عاش رجل يقال له سبأ وكان سيداً فيها تتبع له الكثير من القبائل وكانوا يعيشون في نعم عظيمة أرزاق واسعة وثمار وزروع كثيرة وكانوا مع ذلك على الاستقامة والسداد وطريق الحق كانت المياه في زمانهم تجري من بين جبلين عظيمين فأمر سبأ بإنشاء بناء بين الجبلين حتى ارتفع الماء إلى أعلى الجبل وسمي البناء سد مأرب وغرسوا البساتين والأشجار المثمرة على جانبي السد وامتداده فكانت بساتينهم ومزارعهم كالجنان وكانوا في عيش رغيد وأيام طيبة حتى أن المرأة كانت تمر بالمكتل على رأسها فيمتلئ من الثمار المتساقطة فيه من كثرته و نضجه ولم يكن في بلادهم شيء من البراغيث ولا الدواب المؤذية لصحة هوائهم وطيب عيشهم كما قال تعالى))لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ((فلما عبدوا غير الله وبطروا نعمته سُلبوا تلك النعمة العظيمة والحسنة العميمة بتخريب البلاد والشتات على وجوه العباد كما قال الله تعالى) :فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ (فأرسل الله الفار على أصل السد ، وهو الجرذ ويقال : الخلد فلما فطنوا لذلك رصدوا عندها السنانير فلم تغن شيئا إذ قد وقع القدر ولم ينفع الحذر فلما بدأت الجرزان تحفر في أصل السد سقط وانهار فسلك الماء القرار ، فقطعت تلك الجداول والأنهار ، وانقطعت تلك الثمار ، وبادت تلك الزروع والأشجار ، وتبدلوا بعدها برديء الأشجار والثمار َفعاقب الله من كفر به وكذب رسله وخالف أمره وانتهك محارمه بهذه العقوبة الشديدة وقال الله تعالى) : فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ (وذلك أنهم لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن يرتحلوا منها وينتقلوا عنها فتفرقوا في البلاد ، فنزلت طوائف منهم بالحجاز ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود : بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير فحالفوا الأوس والخزرج ونزلت طائفة أخرى منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد فتشتتوا في البلاد وتفرقوا بعد أن كانوا يعيشون جماعة واحد في عيش رغيد وهذه هي سنة الله في عباده سواء على سبيل المجتمعات أم الأفراد فمن شكر الله على نعمه فأدى حقوق هذه النعم فأنفق في سبيل الله ولم يسرف ولم يتكبر ولم يبخل زاده الله تعالى نعماً فوق هذه النعم ومصداق ذلك قول الله تعالى) :لئن شكرتم لأزيدنكم] (ابراهيم : ٧]ومن جحد نعم الله فلم يشكر الله ولم يؤد حقوق هذه النعم سلبها الله تعالى منه وأبدله مكانها خراباً ودماراً ومصداق ذلك قوله تعالى) :ألم تر إلى

الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار] (ابراهيم: ٢٨[

الملك طالوت

ذهب بنو إسرائيل لنبيهم يوما سألوه: ألسنا مظلومين؟ قال: بلى قالوا: ألسنا مشردين؟ قال: بلى قالوا: ابعث لنا ملكا يجمعنا تحت رايته كي نقاتل في سبيل الله ونستعيد أرضنا ومجدنا قال نبيهم وكان أعلم بهم: هل أنتم واثقون من القتال لو كتب عليكم القتال؟ قالوا: ولماذا لا نقاتل في سبيل الله، وقد طردنا من ديارنا، وتشرد أبناؤنا، وساء حالنا؟ قال نبيهم: إن الله قد اختار لكم طالوت ملكا عليكم قالوا: كيف يكون طالوت ملكا علينا وهو ليس من أبناء الأسرة التي يخرج منها الملوك – أبناء يهوذا– كما أنه ليس غنيا وفينا من هو أغنى منه؟ قال نبيهم: إن الله اختاره، وفضله عليكم بعلمه وقوة جسمه قالوا: ما هي آية ملكه؟ قال لهم نبيهم: أن يعيد لكم التابوت ـ وهو صندوق التوراة ـ الذي أخذ منكم ووقعت هذه المعجزة وعادت إليهم التوراة يوما ثم تجهز جيش طالوت، وسار الجيش طويلا حتى أحس الجنود بالعطش قال الملك طالوت لجنوده: سنصادف نهرا في الطريق، فمن شرب منه فليخرج من الجيش، ومن لم يذقه وإنما بل ريقه فقط فليبق معي في الجيش وجاء النهر فشرب معظم الجنود، وخرجوا من الجيش، وكان طالوت قد أعد هذا الامتحان ليعرف من يطيعه من الجنود ومن يعصيه، وليعرف أيهم قوي الإرادة، وأيهم ضعيف الإرادة يستسلم بسرعة لم يبق إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كان عدد أفراد جيش طالوت قليلا، وكان جيش العدو كبيرا وقويا فشعر بعض – هؤلاء الصفوة– أنهم أضعف من جالوت وجيشه وقالوا: كيف نهزم هذا الجيش الجبار؟ قال المؤمنون من جيش طالوت: النصر ليس بالعدة والعتاد، إنما النصر من عند الله قال تعالى)كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ" (وبرز جالوت في دروعه الحديدية وسلاحه، وهو يطلب أحدا يبارزه وخاف منه جنود طالوت جميعا وهنا برز من جيش طالوت راعي غنم صغير هو داود و كان داود مؤمنا بالله، وكان يعلم أن الإيمان بالله هو القوة الحقيقية في هذا الكون، وأن العبرة ليست بكثرة السلاح، ولا بضخامة الجسد وكان الملك قد قال: من يقتل جالوت يصير قائدا على الجيش ويتزوج ابنتي ولم يكن داود يهتم كثيرا لهذا الإغراء كان يريد أن يقتل جالوت لأن جالوت رجل جبار وظالم ولا يؤمن بالله وسمح الملك لداود أن يبارز جالوت وتقدم داود بعصاه وخمسة أحجار ومقلاعه تقدم جالوت المدجج بالسلاح والدروع وسخر جالوت من داود وأهانه وضحك منه،

ووضع داود حجرا قويا في مقلاعه وطوح به في الهواء وأطلق الحجر فأصاب جالوت فقتله وبدأت المعركة وانتصر جيش طالوت على جيش جالوت الظالم وبعد فترة أصبح داود – عليه السلام– ملكا لبني إسرائيل، فجمع الله على يديه النبوة والملك مرة أخرى

قصص من السيرة

غزوة بني النضير

العام الهجري : ٤ الشهر القمري : ربيع الأول العام الميلادي : ٦٢٥تفاصيل الحدث:

كان سببُها أنَّه لَمَّا قُتِلَ أصحابُ بِئرِ مَعونةَ مِن أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا سبعين، وأَفْلَتَ منهم عَمرُو بنُ أُميَّةَ الضَّمريُّ، فلمَّا كان في أَثناءِ الطَّريقِ راجعًا إلى المدينةِ قَتَلَ رجُلينِ مِن بني عامرٍ، وكان معهما عهدٌ مِن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأَمانٌ لم يَعلَمْ به عَمرٌو، فلمَّا رجَع أَخبرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم... فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النَّضيرِ يَستَعينُهم في دِيَةِ ذَيْنِكَ الرَّجلينِ، وكانت مَنازِلُ بني النَّضيرِ ظاهِرَ المدينةِ على أَميالٍ منها شَرقِيَّها. قال محمَّدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسارٍ في كتابِه السِّيرة: ثمَّ خرج رسولُ الله إلى بني النَّضيرِ، يَستَعينُهم في دِيَةِ ذَيْنِكَ القَتيلَينِ مِن بني عامرٍ، اللَّذينِ قَتَلَ عَمرُو بنُ أُميَّةَ الضَّمريُّ؛ للجِوارِ الذي كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عقَد لهما.... فلمَّا أتاهُم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَستَعينُهم في دِيَةِ ذَيْنِكَ القَتيلينِ قالوا: نعم، يا أبا القاسمِ، نُعينُك على ما أَحببتَ، ممَّا اسْتعَنتَ بِنا عليه. ثمَّ خلا بعضُهم ببعضٍ فقالوا: إنَّكم لن تَجِدوا الرَّجلَ على مِثلِ حالِه هذه –ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جَنبِ جِدارٍ مِن بُيوتِهم– فَمَن رجلٌ يَعلو على هذا البيتِ، فيُلقي عليه صَخرةً، فيُريحُنا منه؟ فانْتدَب لذلك عَمرُو بنُ جَحَّاشِ بنِ كعبٍ أحدُهم، فقال: أنا لذلك. فصعَدَ ليُلقِيَ عليه صَخرةً كما قال، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم في نَفَرٍ مِن أصحابِه، فيهم أبو بكرٍ وعُمَرُ وعليٌّ رضي الله عنهم. فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ مِن السَّماءِ بما أراد القومُ، فقام وخرج راجعًا إلى المدينةِ، فلمَّا اسْتَلْبَثَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أصحابُه قاموا في طَلَبِه فلَقوا رجلًا مُقبِلًا مِنَ المدينةِ، فسألوهُ عنه، فقال: رأيتُه داخلًا المدينةَ. فأقبل أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتَّى انتهوا إليه، فأخبرَهُم الخبرَ بما كانت يَهودُ أرادت مِنَ الغَدْرِ به، وأمَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالتَّهَيُّؤِ لِحربِهم والمَسيرِ إليهم. ثمَّ سار حتَّى نزل بهم فتَحصَّنوا منه في الحُصون، فأمَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقطعِ النَّخلِ والتَّحريقِ فيها. فنادوهُ: أن يا محمَّدُ، قد كنتَ تَنهى عن الفسادِ

وتَعيبُه على مَن صنَعه، فما بالُ قطعِ النَّخلِ وتَحريقِها؟! وقد كان رَهْطٌ مِن بني عَوفِ بنِ الخَزرجِ، منهم عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ بن ابنُ سَلولَ، ووَديعَةُ، ومالكُ بنُ أبي قَوْقَلٍ، وسُوَيدٌ، وداعِسٌ، قد بعثوا إلى بني النَّضيرِ: أنِ اثْبُتوا وتَمَنَّعوا فإنَّا لن نُسْلِمَكُم، إن قوتِلْتُم قاتلنا معكم، وإن أُخرِجتُم خَرَجنا معكم فتَرَبَّصوا ذلك مِن نَصرِهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبِهم الرُّعبَ، فسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يُجْلِيَهم ويَكُفَّ عن دِمائِهم، على أنَّ لهم ما حَمَلتِ الإبلُ مِن أموالِهم، إلَّا الحَلَقَةَ، ففعَل، فاحتملوا مِن أموالهم ما اسْتقلَّتْ به الإبلُ، فكان الرَّجلُ منهم يَهدِم بيتَه عن نِجافِ بابِه، فيضَعُه على ظهرِ بَعيرِهِ فينطلِقُ به، فخرجوا إلى خيبرَ، ومنهم مَن سار إلى الشَّامِ، وخَلَّوْا الأموالَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فكانت لِرسولِ الله خاصَّةً)، وقد ثبَت في البُخاريِّ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قد أَجلى بني النَّضيرِ. وفيهم نزلت سورةُ الحَشْرِ.

بناء المسجد النبوي

العام الهجري : ١ الشهر القمري : ربيع الأول العام الميلادي : ٦٢٢تفاصيل الحدث:

ركِب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم راحِلتَه مِن قُباءٍ فسار يمشي معه النَّاسُ حتَّى بَركَتْ عند مسجدِ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم بالمدينةِ، وهو يُصلِّي فيه يَومئذٍ رجالٌ مِنَ المسلمين، وكان مِرْبَدًا للتَّمرِ، لِسُهيلٍ وسَهلٍ غُلامَيْنِ يَتيمَيْنِ في حَجْرِ أَسعدَ بنِ زُرارةَ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بَركتْ به راحِلتُه: «هذا إن شاء الله المنزِلُ». ثمَّ دَعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الغُلامَينِ فَساوَمَهُما بالمِرْبَدِ، لِيَتَّخِذَهُ مسجدًا، فقالا: لا، بل نَهَبُهُ لك يا رسولَ الله، فأبى رسولُ الله أن يَقبلَهُ منهُما هِبَةً حتَّى ابتاعَهُ منهُما، ثمَّ بناهُ مسجدًا، وطَفِقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَنقُلُ معهم اللَّبِنَ في بُنيانِهِ ويقولُ، وهو يَنقُلُ اللَّبِنَ" :هذا الحِمالُ لا حِمالَ خَيبرْ، هذا أَبَرُّ رَبَّنا وأَطهرْ. ويقول: اللَّهمَّ إنَّ الأجرَ أجرُ الآخِرهْ، فارْحَمِ الأنصارَ، والمُهاجِرهْ"وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينةَ فنزل أعلى المدينةِ في حَيٍّ يُقالُ لهم: بنو عَمرِو بنِ عَوفٍ. فأقام النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فيهم أربعَ عشرةَ ليلةً، ثمَّ أرسل إلى بني النَّجَّارِ، فجاءوا مُتَقَلِّدي السُّيوفِ كأنِّي أنظرُ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم على راحِلتِهِ، وأبو بكرٍ رِدْفُهُ ومَلَأُ بني النَّجَّارِ حولَه حتَّى أَلقى بِفِناءِ أبي أَيُّوبَ، وكان يُحِبُّ أن يُصلِّيَ حيث أدركتهُ الصَّلاةُ، ويُصلِّي في مَرابضِ الغَنَمِ، وأنَّه أَمَرَ بِبناءِ المسجدِ، فأرسل إلى مَلإٍ مِن بني النَّجَّارِ فقال: «يا بَني النَّجَّارِ ثامِنوني بحائِطِكُم هذا». قالوا: لا والله لا نطلبُ ثَمَنَهُ إلَّا إلى الله. فقال أنسٌ: فكان فيه ما أقولُ لكم:

قُبورُ المشركين، وفيه خَرِبٌ وفيه نَخلٌ، فأَمَر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقُبورِ المشركين فنُبِشَتْ، ثمَّ بالخَرِبِ فسُوِّيَتْ، وبالنَّخلِ فقُطِعَ، فصَفُّوا النَّخلَ قِبلةَ المسجدِ، وجعلوا عِضادَتَيْهِ الحِجارةَ، وجعلوا يَنقُلون الصَّخرَ وهُم يَرتَجِزون والنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم معهم، وهو يقول: «اللَّهمَّ لا خيرَ إلَّا خيرُ الآخرهْ، فاغْفِرْ للأنصارِ والمُهاجِرهْ». قال عبدُ الله بنُ عُمَرَ، " إنَّ المسجدَ كان على عهدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مَبْنِيًّا باللَّبِنِ، وسَقْفُهُ الجَريدُ، وعُمُدُهُ خَشبُ النَّخلِ.

هجرة الصحابة

العام الهجري : ١ الشهر القمري : محرم العام الميلادي : ٦٢٢تفاصيل الحدث: لَمَّا تَمَّتْ بَيعةُ العَقبةِ أمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَن كان معه بالهِجرةِ إلى المدينةِ، فخرجوا أَرسالًا، كان مِنَ السَّابقين للهِجرةِ بعدَ العَقبةِ الثَّانيةِ مُصعبُ بنُ عُميرٍ، ثمَّ عامرُ بنُ رَبيعةَ حَليفُ بن بني عَدِيٍّ بن كعبٍ، معه امرأتُه ليلى بنتُ أبي حَثْمَةَ بنِ غانمٍ، ثمَّ عبدُ الله بنُ جَحْشٍ بأهلِهِ وأخيهِ عبدِ بنِ جَحْشٍ أبي أحمدَ، وكان ضَريرًا، وكان منزلُهما ومنزلُ أبي سَلمةَ بقُباءٍ في بني عَمرِو بنِ عَوفٍ، فلمَّا هاجر جميعُ بني جَحْشٍ بنِسائِهم فعَدا أبو سُفيانَ على دارِهم فتَمَلَّكَها، فذكر ذلك عبدُ الله بنُ جَحْشٍ لَمَّا بَلَغَهُ لِرسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم" :ألا تَرضى يا عبدَ الله أن يُعطِيَك الله بها دارًا في الجنَّةِ خيرًا منها؟ قال: بلى. قال: فذلك لك ."فلمَّا افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكَّةَ كَلَّمَهُ أبو أَحمدَ في دارِهم، فأبطأَ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال النَّاسُ لأبي أَحمدَ: يا أبا أَحمدَ، إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَكرهُ أن تَرجِعوا في شيءٍ أُصيبَ منكم في الله، فأَمْسَكَ عن كلامِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. وكان بنو غَنْمِ بنِ دُودانِ أهلَ إسلامٍ قد خرجوا كُلُّهم إلى المدينةِ، ثمَّ خرج عُمَرُ بنُ الخطَّابِ، وعيَّاشُ بنُ أبي رَبيعةَ في عِشرين راكبًا فقَدِموا المدينةَ، وكان هشامُ بنُ العاصِ بنِ وائلٍ قد أَسلمَ، وواعد عُمَرَ بنَ الخطَّابِ أن يُهاجِرَ معه، وقال: تَجِدُني أو أَجِدُك عند أَضاءةِ بني غِفارٍ، ففَطِنَ لهشامٍ قومُه فحبسوه عن الهِجرةِ. ثمَّ إنَّ أبا جهلٍ والحرثَ بنَ هشامٍ خرجا حتَّى قَدِما المدينةَ ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بمكَّةَ، فكَلَّما عيَّاشَ بنَ أبي رَبيعةَ وكان أخاهُما لِأُمِّهِما وابنَ عَمِّهِما، وأَخبراهُ أنَّ أُمَّهُ قد نَذرتْ أن لا تَغسِلَ رأسَها ولا تَسْتَظِلَّ حتَّى تَراهُ، فَرَقَّتْ نَفْسُهُ وصدَّقهُما وخرج راجعًا معهُما، فكَتَّفاهُ في الطَّريقِ وبلغا به مكَّةَ، نهارًا مُوثَقًا، ثمَّ قالا: يا أهلَ مكَّةَ هكذا فافعلوا بسُفهائِكُم كما فعلنا بسَفيهِنا هذا. فحَبَساهُ بها إلى أن خَلَّصَهُ الله تعالى بعد ذلك بدُعاءِ رسولِ الله صلى الله عليه

وسلم له في قُنوتِ الصَّلاةِ" :اللَّهمَّ أَنْجِ الوليدَ بنَ الوليدِ، وسَلمةَ بنَ هشامٍ، وعيَّاشَ بنَ أبي رَبيعةَ ." ولَمَّا أراد صُهيبُ بنُ سِنانٍ الهِجرةَ قال له كُفَّارُ قُريشٍ: أَتَيْتَنا صُعلوكًا حَقيرًا فكَثُرَ مالُك عندنا، وبلغتَ الذي بلغتَ، ثمَّ تُريدُ أن تَخرُجَ بمالِك ونَفسِك، لا واللهِ لا يكونُ ذلك. فقال لهم صُهيبٌ: أَرأيتُم إن جَعلتُ لكم مالي أَتُخَلُّون سَبيلي؟ قالوا: نعم، فقال: فإنِّي قد جَعلتُ لكم، فبلغ ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال" :رَبِحَ صُهيبٌ، رَبِحَ صُهيبٌ ."ثمَّ تتابع المهاجرون بالهِجرةِ إلى المدينةِ إلى أن هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

سودة بنت زمعة

هي سودة بنت زمعة بن قيس العامريَّة القرشيَّة أم المؤمنين)ت ٥٤هـ= ٦٧٤م(، وهي أوَّل امرأةٍ تزوَّجها النبيُّ صلى الله عليه وسلم بعد خديجة رضي الله عنها، وأمها الشموس بنت قيس بن عمرو النجارية.

إسلام السيدة سودة أسلمت قديمًا وبايعت، وكانت عند ابن عمٍّ لها يقال له: السكران بن عمرو، وأسلم أيضًا، وهاجروا جميعًا إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فلمَّا قَدِما مكة مات زوجها، وقيل: مات بالحبشة، فلمَّا حلت خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوَّجها. زواج السيدة سودة من النبي صلى الله عليه وسلمعن ابن عباس قال كانت سودة بنت زمعة عند السكران بن عمرو -أخي سهيل بن عمرو- فرأت في المنام كأن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل يمشي حتى وطئ على عنقها، فأخبرت زوجها بذلك، فقال: وأبيك لئن صدقت رؤياك لأموتَنَّ وليتزوجنَّك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: حجرًا وسترًا)تنفي عن نفسها ذاك .(ثم رأت في المنام ليلةً أخرى أنَّ قمرًا انقضَّ عليها من السماء وهي مضطجعة، فأخبرت زوجها، فقال: وأبيك لئن صدقت رؤياك لم ألبث إلَّا يسيرًا حتى أموت، وتتزوجين من بعدي. فاشتكى السكران من يومه ذلك، فلم يلبث إلَّا قليلًا حتى مات وتزوَّجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

قالت خولة بنت حكيم السلمية امرأة عثمان بن مظعون:)أيْ رسول الله، ألا تزوَّج؟ قال" :مَنْ؟"قلت: إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا. قال" :فَمَنِ الْبِكْرُ؟"قلت: ابنة أحب خلق الله إليك: عائشة بنت أبي بكر. قال" :وَمَنِ الثَّيِّبُ؟"قلت: سودة بنت زمعة بن قيس، آمنت بك، واتبعتك على ما أنت عليه. قال" :فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ ."فجاءت فدخلت بيت أبي بكر... ثم خرجتُ فدخلتُ على سودة، فقلتُ: يا سودة، ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة! قالت: وما ذاك؟ قلت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه

وسلم أخطبك عليه. قالت: وَدِدْتُ، ادخلي على أبي فاذكري ذلك له. قلت: وهو شيخٌ كبيرٌ قد تخلَّف عن الحج، فدخلتُ عليه، فقلتُ: إنَّ محمد بن عبد الله أرسلني أخطب عليه سودة. قال: كفءٌ كريم، فماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تحبُّ ذلك قال: ادعيها. فدعتها، فقال: إنَّ محمد بن عبد الله أرسل يخطبك وهو كفءٌ كريم، أفتحبِّين أن أزوِّجك؟ قالت: نعم. قال: فادعيه لي. فدعته، فجاء فزوَّجها إيَّاه .موقف أخيها عندما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة قالت: تزوَّج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة، فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل يحثو التراب على رأسه، فقال بعد أن أسلم: إني لسفيهٌ يوم أحثو في رأسي التراب أن تزوَّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بسودة بنت زمعة.

من ملامح شخصية السيدة سودة حبها للصدقة:عن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقلنا: يا رسول الله، أيُّنا أسرع لحاقًا بك؟ قال" :أَطْوَلُكُنَّ يَدًا ."فأخذنا قصبةً نذرعها، فكانت سودة بنت زمعة بنت قيس أطولنا ذراعًا. قالت: وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت سودة أسرعنا به لحاقًا، فعرفنا بعد ذلك أنها كان طول يدها الصدقة، وكانت امرأة تحب الصدقة.

فطنتها:آثرت بيومها حبَّ رسول الله تقرُّبًا إلى رسول الله، وحبًّا له، وإيثارًا لمقامها معه، فكان يقسم لنسائه ولا يقسم لها وهي راضيةٌ بذلك، مؤثرة –رضي الله عنها– لرضا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فعن عائشة أن سودة وهبت يومها وليلتها لعائشة تبتغي بذلك رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن النعمان بن ثابت التيمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسودة بنت زمعة" :اعتَدِّي ." فقعدت له على طريقه ليلة، فقالت: يا رسول الله، ما بي حبُّ الرجال ولكنِّي أحبُّ أن أُبْعَث في أزواجك، فأرجعني. قال: فرجعها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من مواقف السيدة سودة مع الرسول عن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال: قُدِم بأُسَارى بدر وسودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء في مَنَاخِهِمْ على عوف ومعوذ ابني عفراء، وذلك قبل أن يُضرب عليهم الحجاب، قالت: قُدِم بالأسارى فأتيتُ منزلي، فإذا أنا بسهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يداه إلى عنقه، فلمَّا رأيته ما ملكت نفسي أن قلت: أبا يزيد، أُعطيتم ما بأيديكم! ألا مُتُّمْ كِرامًا! قالت: فوالله ما نبَّهني إلَّا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من داخل البيت" :أَيْ سَوْدَةُ، أَعَلَى اللهِ وَعَلَى

رَسُولِهِ؟"قلت: يا رسول الله، والله ما ملكت نفسي حيث رأيت أبا يزيد أنْ قلتُ ما قلتُ.

وعن ابن عباس قال: ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت: يا رسول الله، ماتت فلانة. يعني الشاة، فقال" :فَلَوْلَا أَخَذْتُمْ مَسْكَهَا ."فقالت: نأخذ مسك شاة قد ماتت. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ} :قُلْ لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ]{الأنعام: ١٤٥[، فَإِنَّكُمْ لاَ تَطْعَمُونَهُ إِنْ تَدْبُغُوهُ فَتَنْتَفِعُوا بِهِ". فَأَرْسَلَتْ إليها فسلختْ مَسْكها فدبغته، فاتَّخذتْ منه قربةً حتى تخرَّقتْ عندها.

وعن عائشة قالت: استأذنت سودة بنت زمعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن لها فتدفع قبل أن يدفع، فأذن لها –وقال القاسم: وكانت امرأةً ثبطة؛ أي ثقيلة– فدفعتْ وحُبِسنا معه حتى دُفِعْنَا بدفعه. قالت عائشة: فلأن أكون استأذنت رسول الله كما استأذنت سودة فأدفع قبل الناس، أَحَبُّ إليَّ من مفروحٍ به.

مواقف السيدة سودة مع الصحابة موقفها مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه: روى الإمام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت" :خرجت سودة بعدما ضُرِب الحجاب لحاجتها وكانت امرأةً جسيمةً لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سودة، أَمَا والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين؟ قالت: فانكفأتْ راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وإنَّه ليتعشَّى وفي يده عرق، فدخلت فقالت: يا رسول الله، إني خرجتُ لبعض حاجتي فقال لي عمر: كذا وكذا. قالت: فأوحى الله إليه ثم رُفع عنه وإنَّ العرق في يده ما وضعه، فقال" :إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ."

موقفها مع السيدة عائشة رضي الله عنها:قالت عائشة رضي الله عنها: دخلتُ على سودة بنت زمعة فجلستُ ورسول الله بيني وبينها وقد صنعت حريرة، فجئتُ بها فقلت: كُلِي. فقالت: ما أنا بذائقتها. فقلت: والله لتأكلين منها أو لألطخَنَّ منها بوجهك. فقالت: ما أنا بذائقتها. فتناولت منها شيئًا فمسحت بوجهها، فجعل رسول الله يضحك وهو بيني وبينها، فتناولتْ منها شيئًا لتمسح به وجهي، فجعل رسول الله يخفض عنها رُكْبته وهو يضحك لتستقيد مني، فأخذت شيئًا فمسحت به وجهي ورسول الله يضحك.

موقفها مع السيدة عائشة والسيدة حفصة:عن خُليسة مولاة حفصة في قصَّة حفصة وعائشة مع سودة بنت زمعة، ومزحهما معها بأنَّ الدجال قد خرج، فاختبأت في بيتٍ كانوا يوقدون فيه

واستضحكتا، وجاء رسول الله فقال" :مَا شَأْنُكُمَا؟"فأخبرتاه بما كان من أمر سودة، فذهب إليها فقالت: يا رسول الله، أَخَرَج الدجال؟ فقال" :لَا، وَكَأَنْ قَدْ خَرَجَ ."فخرجت وجعلت تنفض عنها بيضَ العنكبوت.

بعض ما روته السيدة سودة عن النبي صلى الله عليه وسلمروى البخاري بسنده عن سودة أنها قالت" :ماتتْ لنا شاة فدبغنا مسكها ثم ما زلنا ننبذ فيه حتى صار شَنًّا."

وعنها رضي الله عنها قالت: جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: إنَّ أبي شيخٌ كبيرٌ لا يستطيع أن يحج. قال" :أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ دَيْنٌ فَقَضَيْتَهُ عَنْهُ، قُبِلَ مِنْهُ؟"قال: نعم. قال" :فَاللهُ أَرْحَمُ، حُجَّ عَنْ أَبِيكَ."

وعنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" :يُبْعَثُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ وَبَلَغَ شُحُومَ الآذَانِ ."فقلت: يبصر بعضنا بعضًا؟ فقال: "{شُغِلَ النَّاسُ} لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ]{عبس: ٣٧"[.

وعنها رضي الله عنها: أنها نظرت في رَكْوةٍ فيها ماء، فنهاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال" :إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْهُ الشَّيْطَانَ."

أثر السيدة سودة في الآخرين ممَّن روى عنها من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما، وممَّن روى عنها من التابعين يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن، ويوسف بن الزبير، ومولى الزبير بن العوام.

وفاة السيدة سودة رضي الله عنها توفيت أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها في آخر زمان عمر بن الخطاب، ويقال: ماتت رضي الله عنها سنة ٥٤هـ.

حكايات الحي أبو خروف

هجر المخيم ١٩٧٧

تقاعد حلمي

يعرف القارئ العزيز من قراءته لهذه الحكايات أن شارعا كبيرا يشكل قوسا لـ أبو خروف وهو شارع رئيس مثل شارع أبو خروف العام يحيط بالحي شمالا غربا ، ويأتي بعد هذا الشارع القوسي ساحات فارغة ، وبعضها فيها خردوات يجمعها باعة الخردة ، وهناك بجوارهم عشش مبنية من الواح الزينكو واللبن يسكنها الفقراء والمهاجرون من البلاد للعاصمة ، أو الأيدي العاملة القادمة من الأقطار المجاورة ، وهي زهيدة الأجرة ، وبعد هذه الساحات تهبط صفحة جبل فتجد أمامك مخيم العودة ، ويمكنك التنقل بين أبو خروف والمخيم عودة الأمل بسيارة خاصة أو مشيا على الأقدام ، وهذا المخيم أنشئ مع نكبة فلسطين ١٩٤٨،

ويقطنه اللاجئون الفلسطينيون ، وهو مخيم كبير ، وأقامت هيئة الأمم المتحدة لأولئك اللاجئين المساكن من الخيم ثم تحولت إلى أبنية من الطوب ، ثم البناء مثل باقي السكان ، وأقامت أيضاً ناديا اجتماعيا للمخيم لممارسة الرياضة والثقافة ، ومدارس المراحل الأساسية حتى التاسع أو الثالث الإعدادي والمدارس للجنسين ، وبجوار المدارس أقامت مطعما لتغذية الطلبة من الجنسين ، وهناك عيادة صحية أو مركز صحي لأهل المخيم ، ومن يحملون بطاقة إغاثة من الأونروا هيئة إغاثة اللاجئين الفلسطينيين كأنها أنشت عام ١٩٤٩ أو ١٩٥٠ ؛ لتقدم تلك الخدمات للناس والناس يطلقون عليها اسم الوكالة أو وكالة الغوث ؛ لذلك تجد في المخيم مركزا لتوزيع الدقيق والسكر والزيت ومواد تموينية أخرى ويسمونه المؤن ، وكان في أول الكارثة يقدم الكاز والدخان .. وتجمع الوكالة المال وتقدم كل هذه الخدمات لأهل المخيم ، خاصة الذين يحملون بطاقة الإغاثة ، وبعضهم يسميها كرت مؤن كرت وكالة ، وهذه المخيمات موجودة في فلسطين نفسها والأردن وسوريا ولبنان ، وطالت قضية اللاجئين وأصبحوا بالملايين ، فهي تقدم الصحة والتعليم والطعام ، والكادر العامل فيها أغلبه من اللاجئين الذين يعملون في العيادات الصحية بوظائف مختلفة ، ومدرسين ، وإغاثة تموينية ، ونظافة شوارع المخيم والنادي ، وتوفر لهم الوكالة التأهيل في معهد للمعلمين ،والتعليم يتبع الدولة المقام فيها المخيم كإدارة ومناهج ، وللمخيم مدير يتابع إدارة المخيم ونظافة المخيم وتوزيع الإغاثة الشهرية والصحية بالتحويل للمستشفيات حكومية أو خاصة بالوكالة ، وإضافة المواليد الجدد إلى سجل اللاجئين ، وهناك إدارة عامة تدير كل المخيمات في البلد الواحد تتبع لإدارة أخرى خارج القطر المضيف

قلنا للمخيم الفلسطيني مدير تابع للأونروا ، ومن مهام هذا المدير التنسيق مع البلد المضيف لإدارة المخيم وتوفير البنية التحتية للمخيم والأمن الشرطي ، وهو يساعدهم في توفير مواد البناء ، والبناء يتبع نظام المدينة التي أقيم مخيم اللاجئين فيها ، فمخيم الكرامة الذي أنشئ في مطلع الخمسينات في بلدة الكرامة الغور ، كانت بيوته من طوب الطين ، والأسقف من البوص وعوارض خشبية وفوقها طين ، واختفى هذا المخيم مع أحداث معركة الكرامة عام ١٩٦٨

أدخلت الدول الكهرباء لبيوت المخيم ، ثم حنفيات الماء المنزلي ، بعدما كان الناس يستخدمون فوانيس الزيت والكاز ، ثم ما سموه الشيشة واللوكس ، ثم اختفيا ، وحل محلها

مصباح الكهرباء وغاز النيون ، وكانت الماء غير متوفرة في البيوت ، وإنما توضع محطات ماء بين كل عدد من الشوارع ، وينقل الفتيان والنساء الماء إلى البيوت ، وكانت البيوت متلاصقة الجدار بالجدار ، يسمع الجيران بعضهم بعضا ، وهم داخل بيوتهم .. العيوب كثيرة ، كان الناس يقاومون السلبيات تلك بالقرابة وأبناء القرية الواحدة ، وكان للتقاليد الصارمة في أول الأمر صرامتها في حفظ الأعراض والغيرة على بعض ؛ ولكن مع الوقت ذهبت العادات الصارمة المحافظة ، ووجد جيل جديد دب إليه التحلل الأخلاقي في مثل هذه المجتمعات ، والمخيم قد يأخذ شارع رئيسي والمنازل على ضفتيه ، وقد يكون ساحة حولها البيوت تتخللها أزقة وشوارع ضيقة ويكون الشارع العام على طرفها وخارج المخيم ، ولا يوجد بين المباني تهوية وفصل ، تجد عدة وحدات متلاصقة كأنها عمارة واحدة بشكل أفقي ، ثم سمح ببناء طابق ثاني مع الضغط السكاني ، وهؤلاء قبلوا الحياة في هذه المخيمات على أمل العودة لمدنهم وقراهم في زمن يسير ، ثم طال المقام ، وكبر الفتيان وشاخ الشباب ، فتغير الحال وأصبح المخيم رمزا للجوء الفلسطيني والوطن الفلسطيني ، وابتعد الأبناء المتعلمون عن المخيم فبنوا على أطرافه ، وولدت ضواحي وأحياء جديدة ، وبقي الابن الفقير الأب الحان لفلسطين في المخيم

بعض المخيمات كبيرة المساحة قليلة العدد البشري ، وبعضها صغير المساحة كثير البشر ، وأكيد لكل مخيم قصة لاختياره وتكوينه في أرض ما ، وحكايتنا هذه ليست عن المخيمات وعمارتها وأسبابها ؛ لكن بدأت القصة من المخيم ، وانتهت مأساة حلمي عيسى في أبو خروف الذي كان يعمل موظفا في عيادة المخيم المذكور كممرض ، والعيادة مكان ترداد ذكريات الكارثة الفلسطينية .. يلتقي أناس من مدن وقرى فلسطينية شتى ، فيتحدثون عن ذكريات التشرد أثناء انتظار العلاج والدخول على الأطباء .. قصص الناس الفقراء والأغنياء .. أسرار الأسر تظهر في العيادة خلال ساعات الانتظار .. لابد للكلام أن يخرج كنا .. وكنا .. وحلمي موظف الأونروا من سكان المخيم ، وله وحدة من غرفتين صغيرتين ومطبخ صغير وحمام وصالة صغيرة لاستقبال الزوار .. العيادة في المخيم مهمة لهم ومكان حيوي للشعب المتشرد من نير الاضطهاد الصهيوني العالمي ، فهي تقدم الخدمة الطبية الأولى للمرضى ، تقدم الإسعاف الأولي للمصابين وتوفر العلاجات الشهرية المتكررة ، ورعاية الحوامل والأطفال ..وهي تحول الحالات إلى المستشفيات بعد

إجراءات ضرورية قد تستغرق وقتا .. فالموظف في العيادة ولو كان فراشا له قيمته عند أهل المخيم ، فهو يستطيع إقناع الطبيب بتحويل المريض إلى مستشفى .. والحكومة المضيفة تسمح للمرضى الفلسطينيين المعالجة في عياداتهم ومستشفياتهم

عيسى حلمي ممرض قديم عمل في الوكالة في سنواتها الأولى وهو اليوم يقرب الستين من العمر وهو على وشك إنهاء خدماته في العيادة .. والوكالة لا تصرف للعاملين فيها رواتب تقاعدية شهرية ، إنما يعطى العامل مبلغا قيما من المال حسب نوع العمل الذي مارسه خلال سنوات العمر وطول المدة التي خدم بها الوكالة ، ويعطى المال دفعة واحدة ، تدفع المكافأة والادخار له دفعة واحدة مع الأرباح التي جمعت له خلال فترة العمل .. وهو مبلغ كبير ومقبول وحسب الزمان الذي تقاعد فيه .. فهو في الأصل مبلغ مقتطع منه شهريا مع إضافة عمولة تشغيله ، وهو مال مستثمر في سويسرا والنمسا حيث مقر الوكالة الرئيسي .. قد يأخذ المتقاعد عشرين ألف دينار .. ثلاثين ألف دينار .. وأكثر من ذلك إذا كان طبيبا مهندسا .. فبعض عمال القمامة لما تقاعد حصل ثلاثين ألف بعد خدمة ، ربما ثلاثون سنة تقل لخمس وعشرين أنه مبلغ كبير .. على كل حال على المتقاعد حسن إدارته واستثماره

والذي جعلنا نكتب قصته ونضيفها لمآسي أبو خروف أن الرجل سكن الحي بعد تقاعده ، وكان يمتلك بيتا في أبو خروف ، ففي أثناء خدمته في عقد الخمسينات اشترى البيت وهدمه وبناه من جديد ، وهو يتكون من طابقين ، وكل واحد منهما شقتان ، وسبب شرائه في ذلك الحي دون غيره من الأحياء أن بعض أشقائه سكنوا أبو خروف في وسط الخمسينات ، وبنوا قبله فتأثر بهم .. فشقيقه مروان لم يسكن المخيمات أصلا ، ولم تطب له السكنى فيها ، فباع وحدته وسكن في أبو خروف ، وهو مدرس من قبل الهجرة الفلسطينية الأولى ، وشقيقه الأصغر منه أيضاً هجر المخيم ، وسكن في بيوت مستأجرة ، ثم استقر مالكا في أبو خروف ، ففعل حلمي مثلهم ؛ ولكنه بنى وأجّر العمارة وبقي ابن مخيم كعشرات آلاف الفلسطينيين ، وبقي في المخيم لضرورة عمله في عيادة المخيم كممرض أو تمرجي كما يقول بعضهم .. مهمته تنظيم المراجعين قياس الضغط تغيير على الجروح غز الإبر في العيادة وفي البيوت .. وله أشقاء آخرون ، وله شقيقة تعيش معه في مخيم عودة الأمل ، وغيرهن من الأخوات

ظل الرجل ساكنا في المخيم طول هذه السنوات وفيا له ، وطابت له السكنى فيه ، وعاصر الأحداث التي عصفت بفلسطين والدول العربية

المضيفة ، وما زال له الأمل أن يموت في فلسطين في يافا العربية بلد البرتقال اليافاوي ؛ ولكن عقد السبعينات أوشك على الأفول دون عودة دون رجعة .. وهو يعرف بحكم العمل في العيادة أغلب عائلات المخيم ، وكفاحهم من أجل البقاء والحياة .. يحزن بأحزانهم ويسعد بسعاداتهم ..والكثير منهم يحبون حلمي عيسى.. وهو يشاركهم أفراحهم وأحزانهم .. فأصبح وجها من وجوه المخيم .. ولما قرب إنهاء العقد مع الوكالة أخذ يستعد للرحيل لـأبو خروف حيث عمارته المؤجرة .. وبيت المخيم إما أن يبيع وحدته فيه أو يؤجرها لشاب على وشك الزواج أو متزوج يبتعد عن أهله .. إيجار البيت يدخل

على الفرد خمسة دنانير أو ثمانية في الشهر ، والطماع عندهم يؤجرها بعشرة ؛ مع معاناة التأجير

حلمي يرغب بالسكن في الطابق الثاني من البناية ، والمستأجران متمسكان كل في شقته ، ويعتذران عن الإخلاء ، كل واحد منهما يأمل أن يخرج جاره ، وحلمي مصمم على الرحيل ، وهجر المخيم حتى أنه عرض عليهما المال مقابل الإفراغ والبحث عن سكن جديد ؛ بل سعى هو بنفسه باحثا لهم عن بيت جديد في نفس الحي والأحياء المجاورة ، وعند الجد ينكسون ويحرجونه هو رغب في الانتقال من أجل الأولاد ، فقد شبوا

وكبروا ، ويتذمرون من العيش في المخيم ، ليس عندهم الحنين الكبير للوطن المسلوب كأبناء النكبة نفسها ، فأصبح المخيم لجيل النكبة رمزا مهما لمدنهم وقراهم وبواديهم ..وللسيد حلمي ولدان وبنتان فقط ، رغم أن العائلة الفلسطينية المنكوبة ولادة ، ربما ظل ذلك لمطلع التسعينات .. والأم تكثر من المواليد رغم الفقر والجوع والتشرد .. فكثير من العائلات تقارب العشرة أنفار وتزيد .. فالأول أسمر والثاني أزرق تعلم أسمر في معهد تعليم الوكالة لمدة عامين كمدرس ، ولم يستهويه التدريس كعمه مروان ، ثم سعى لدى منظمة التحرير الفلسطينية التي أنشت في أول ١٩٦٥ لتحرير فلسطين يافا عكا ثم تخلت عن ذلك ؛ لتحرير ما يسمى بغزة والضفة الغربية اللتين استولت عليهما إسرائيل عام ١٩٦٧ ، وما زالت هذه المنظمة تجاهد لتحقيق الحلم الفلسطيني بإقامة دولة مستقلة عاصمتها القدس .. سعى أسمر لدى فصائل هذه المنظمة ، خاصة ذات النفس اليساري منها ، وأرسل مبتعثا إلى إحدى دول أوروبا الشرقية حيث العلاقات المميزة مع الأحزاب الشيوعية المسيطرة على حال تلك البلاد ، وهو يدرس الهندسة ليتخصص في أحد فروعها خاصة الهندسة الصناعية ورجع من سنتين فقط ، وتعاقد مع شركة مهندسا صناعيا ،

وكان يضغط على والده قبل أن يعود وبعد أن عاد للرحيل من المخيم ، والوالد يؤجل ذلك حتى ينهي خدمته مع الوكالة ، وكان خلال السنوات الأخيرة يقارع المستأجرين ليرحل أحدهما في المرحلة الأولى ؛ لأنه سيزوج الأولاد.

والشاب الثاني أزرق لم ينجح في الثانوية العامة ، وتحول للعمل كميكانيكي سيارات ، وهو يعمل في هذه الحرفة من سنوات في منطقة حرفية ، ويرفض الزواج قبل شقيقه الأكبر أسمر

وأما البنات فالكبرى منهما فايزة فهي بين أسمر وأزرق تزوجت في المخيم ، وقضت مع الزوج سنتين أو ثلاث تقل شهورا ، وطلقها الرجل لتأخرها في الحمل على زعم أنها عاقر ، والصغرى دخلت الجامعة ولم تنتهي منها بعد .

تقاعد حلمي ، جاءت الموافقة ، وأخذت إجراءات إبراء الذمة مجراها ، وينتظر خروج المستأجرين للطابق الثاني من عمارته في أبو خروف ليرحل إليها ، والمهندس يهدد بالرحيل والعيش دونهم .

مناورة

زار حلمي عيسى منزليّ المستأجرين عنده في الطابق الثاني الذي يسعى لتفريغه من الساكنين ، وأعلمهما أنه تقاعد منذ أيام ، وأنه يريد إخلاء المأجور فورا دون مشاكل ؛ ليسكن في أحدهما ويزوج ابنه المهندس أسمر في الثاني ، وأنه سيباشر بتقديم شكوى لدى المدعي العام ، وتحدث مع محامي في الموضوع

فقال أبو رامي : نحن يا سيد حلمي ملتزمون بالأجرة ، فالقانون إلى صالحنا ، ولا يجبرنا على إخلاء السكن

صاح حلمي بحدة : أنا لم أقبض منكما درهما واحدا منذ سنة .. أنتم لا تدفعون .. أين عقد الإيجار الذي بيننا ؟ أول سنة كتبناه ، ولم نجدده أين وصولات القبض ؟ أنا لم أستلم شيئا

قال أبو فهد : أين ضميرك يا عم حلمي؟!

قال بلهجته الغاضبة : مات .. ضميري في إجازة .. أنا لي أكثر من سنة وأنا أترجاكم لإخلاء العقار .. أنا دفنت ضميري ، لا يلوم أحد إلا نفسه .. أنا بنيت الدار للحاجة .. ارحموني يا سادة أنا صاحب العمارة أم أنتم؟!

قال أبو رامي : يا أبا أسمر المستأجر مالك .. لو كل صاحب بيت وقتما يشاء طرد مستأجريه ستصير الدنيا فوضى خفض صوته وقال : يا إخواني أنا لي سنة أطلب إفراغ إحدى الشقق .. اليوم أريدهما الاثنتين كم مرة ناشدتكم المساعدة العون ؟ .. وذهبت بنفسي أبحث لكم عن شقق هنا أو هناك ، ثم تكسفونني أمام الناس.. أهذه أخلاق ناس محترمين؟! .. بيتي في المخيم على

استعداد أن يرحل إليه أحدكم
ضحكوا وقالوا: نسكن في المخيم يا أبا اسمر !
صاح فيهما: وماله المخيم ؟! لي ربع قرن أعيش فيه .. عار السكن فيه .. هو الذي يذكرنا بتراب بلادنا وأرضنا وعدونا الغاصب .. صدقا لولا الأولاد كرهوا الحياة فيه لبقيت فيه حتى أموت كما مات غيري .. الأولاد كبروا وتعلموا خاصة المهندس أسمر فهو مستعر من عيشة المخيم كان له عز المخيم قبل أكثر من عشر سنوات .. الأولاد لم يروا كم بذلنا لنعيش بكرامة في المخيم حملنا تاريخنا وذكرياتنا إلى المخيم .. المخيم قصة عشق بيننا يا سادة .. أبي مات في المخيم أيام الخيم قبل أن نبني اللبن .. أنا سعيت لكم في استئجار دور لكنكم تمردتم عليّ
قال أبو فهد مستسلما: يا سيدي أوجد لي بيتا في أبو خروف بنفس الأجرة أو قريبا منها وأنا على استعداد للرحيل إليه ، ومفارقتك يا عم حلمي .. صدق أني بحثت ، ولم أوفق أو يطلبون أجرة أكثر مما أدفع .. فإيجارات اليوم ليست كإيجارات قبل عشر سنوات .. نحن ندفع لك في الشهر عشرة دنانير منها الكهرباء والماء .. هل تجد لي مثل هذه الأجرة وهذه القيمة؟
– أنت لما استأجرت هذه الشقة كم كنت تأخذ راتبا ؟!.. كم كان دخلك قبل عشر سنوات يا حسن ، فاليوم دخلك زاد ، وبدأت معك بخمسة دنانير ليس بعشرة .. العشرة من سنتين ثلاث يا حسن .. أنا سأبحث لك عن بيت ، ربما تدفع بين الخمسة عشر إلى عشرين .. عشرة زيادة بالكثير
– أنا أقبل يا عم حلمي أنا لا أحب المشاكل .. وأنت الآن تركت الشغل .. وستطرق الباب كل يوم على أم فهد أين أبو فهد ؟ ألم ترحلوا بعد ؟! نحن بغنى عن هذا .
ضحك حلمي وقال: هذا الذي سيصير مع رفع القضية عليكم .. حسنا يا أستاذ حسن سأجد لك شقة هنا أو في حي النجمة الحي الذي قبل أبو خروف
– لا بأس
– وأنا اشكر لك هذه الهمة والتعاون .. وأنا سأدفع مائة دينار أو أجرة ستة أشهر مائة وعشرين هدية مني
– آسف يا أبا أسمر هديتك على رأسي وعيني .. اعذرني عن قبولها
عاد لحدته وقال : أقسم بالله إني سأفعل حتى تعلم أنني لولا الأولاد ما تركت المخيم .. الأولاد كبرت ، ويرغبون بالزواج .. اليوم لا تكفي زاوية في البيت للحياة كما كنا نعيش في أول الهجرة المخيم حياتي ؛ لكن الضرورة لها حكمها .. وأعز

الأصدقاء فيه والجيران .. الأولاد لا يحبون الحياة في المخيم ..وكل يوم منذ رجع المهندس من أوروبا ونحن في مشاجرات .. ويهددنا بالرحيل عنا ، ونحن كبرنا

قال أبو فهد: أنا أعرف عشقك للمخيم .. فنحن نعرف بعضنا من عشر سنوات .. وأنا بالنسبة لي قبلت بالرحيل إلى بيت آخر في أبو خروف أو غيره

- أشكرك مرة أخرى على تعاونك الكبير ، أنت أبدى من المحامي في الفلوس .. وأنت يا أبا رامي ألا تريد أن تشفق على رجل شاخ ؟!

قال أبو رامي: أنا من حقي البقاء يا عم حلمي ، ولن يكون أبو فهد خيرا مني ، وترك بيت بعد عشر سنوات أو تسع ليس هينا على النفس

- هل أنا منعتك من بناء بيت أو شراء بيت أو قطعة أرض كان يجب أن تفكر في هذه الساعة في هذا اليوم ، نحن عقدنا سنوي ونتعامل على الثقة والمعاملة الحسنة

قاطعه أبو رامي: على كل حال جارنا أبو باسل كلم زوجتي أنه قد يترك المنزل ، ويرحل عن الحي

- أعرف ذلك ، أتريد أن تنزل لأسفل ؟

- نعم ، نصبر حتى يرحل

- كأنك نسيت ابني أزرق

- فليبق في المخيم .. أنا لو أستطيع أن أعيش في تلك الأماكن الضيقة ، وعلب السردين لانتقلت إليها فإيجاراتها رخيصة.. أكبر وحدة بستة سبعة دنانير شهريا

- أنا أؤجرك إياها بخمس ليرات .. يا أخي أبا رامي أرجوك الأولاد يريدون الزواج .. المهندس عمره سبع وعشرين سنة ..يبغضون حياة المخيم .. وهم صبروا حتى أتقاعد ، لم يبق لي عذر بالمماطلة .. هم لم يعرفوا البلاد وبيارات البلد وزعتر البلد ، لم يعرفوا يافا .. لو قيل لهم سنعود إليها أتصور أنهم سيرفضون .. ألفوا هذه البلاد .. ولولا المهندس لما رحلت ؛ لكنه لما عاد واشتغل سكن في شقة كم شهر ، وأمام كلام الناس وأعمامه عاد للمخيم حتى أتقاعد .. وها أنا قد تقاعدت .. أيكون عندي هذه البناية ويسكنون بعيدا عني ؟ وهم في مطلع الشباب بل غاب شهرين في أوروبا الشرقية قبل أن يعود للحياة معنا .. وسمعتم بهذه الحكايات

- يسكن أزرق معكم ، تكفيه غرفة

- والبنات، فايزة مطلقة كما تعلمون ، والثانية تدرس في الجامعة .. واليوم الشباب تحب أن تسكن في بيت مستقل

- وماذا ستفعل بوحدة المخيم ؟

- ستباع أو تؤجر أتشتريها؟

عاد أبو رمي للسخط : أعوذ بالله من غضب الله أنا

اشتري في المخيم ؟! مرة جئت البيت من شوارع المخيم بسيارتي ما صدقت وأنا أخرج منه .. وأنا أتعجب كيف يعمل سواقين الأجرة في شوارع المخيم ؟! ساعة حتى تمشي عشرة أمتار .. حمدت الله أن خرجت سالما .. هذا يقفز من أمام السيارة ..وهذا يخبط ظهر السيارة لتقف ليقطع ..وذاك يطقق على الزجاج لتخفف السرعة كأنك مسرع .. وأنا أسوق على مهل .. هل استطيع الحياة في مثل هذا المكان ؟! سوف اختنق وأموت يا عم حلمي .. أنتم عجيبون بصبركم وحياتكم ..وهل يستطيع شرطي دخول المخيم؟!

– المخيم فيه نقطة شرطة ..الإنسان يتعود الحياة فيه .. وحياة المخيم بالنسبة لنا الذين حضرنا أحداث النكبة لها أحاسيس في وجداننا .. بيننا الألفة والحب والمواساة وشجون القضية ذكرى البلاد والقرى .. وأنا بنيت هذه العمارة للأولاد ، وأجدها عندما أكبر ويكبر الأولاد .. وفعلت كما فعل أشقائي .. قلنا دور المخيم لا تتسع مع الزمن

– تحل مشاكلك يا عم حلمي مع الأولاد على ظهري .. لن أكون نذلا ، سأكون مثل جاري أبي فهد .. وأنا تعودت هذا الحي رغم ما فيه من كوارث ومصائب بين حين وآخر ؛ لكن هذه حال الدنيا .. وهو مكان مناسب لمكان عملي .. وأمام هذا الضغط فابحث لي عن بيت مناسب

ولو كان في أبو خروف فذاك الفضل من الله

قال أبو فهد : استسلمنا لك يا أبا أسمر

قال حلمي: التعاون أيها الإخوان مطلوب .. أنا لولا الضغط عليّ من الولد ما هجرت المخيم لكن قدر لي العيش حتى يكبر الشباب ، وأترك ما أحب .. المهندس لم تطب له حياة المخيم أنا أعرفه بعد أن أرحل سيرحل .. سيختلق شيئا ليرحل ؛ ولكن عليّ أن أسايره ، وعلى أمل أن نبقى بجوار بعض كما عاش الآباء والأجداد .. لقد كبرت ودهمني العمر

– سلامتك يا عم حلمي

– سلمكم الله ، شكرا لتعاونكما

***

استطاع الممرض المتقاعد من وكالة الغوث الدولية بمساعدة معارفه في مقهى مهران أن يجد شقة في أبو خروف ، وقبلها أبو رامي وكانت بنفس الأجرة الأخيرة عند حلمي ، والذي اختلف وزاد أن يدفع فواتير الماء الفصلية والكهرباء الشهرية ، وقبل الرجل ذلك للصداقة بينه وبين حلمي ؛ والرجل له أقارب يعيشون في مخيم اللاجئين ، ويعرف أبا أسمر حق المعرفة ، وهو شخصية معروفة في المخيم ، وفي حل مشاكل ومشاجرات أهل المخيم ، وكذلك لمعرفته الشخصية بأبي رامي ، لقد جالسه على المقهى بحكم جيرة الحي ، وقد

كانا يركبان التكسي معا إلى مركز عمل كل منهما ، وكلاهما موظف في أجهزة الدولة ، ودفع أبو أسمر أجرة ستة أشهر عن الرجل كهبة ، وبعد تمنع سكت أبو رامي ، وقدم الشكر لهما ، وبعد إعادة تأهيلها رحل إليها أبو رامي خلال ساعات

ولما جهز حلمي الشقة الفارغة بإعادة تغيير دهانها وطلائها، وعمل صيانة لأدوات الماء ومفاتيح الكهرباء والإضاءة رحل إليها تاركا المخيم بعد ربع قرن من العيش فيه ، وقدم طلب خدمة الهاتف من شركة الاتصالات السلكية واللاسلكية ، واشترى عفشا جديدا ، غرفة نوم كاملة ، فهو كان ينام على الأرض في المخيم ، أغلب الفراش القديم وهبه لأخته وجيرانه في المخيم ، فقد ترك لهم الثلاجة والغسالة والغاز والمراوح .. وفرش غرفة بسريرين لأولاده وخزانة ملابس .. وما كاد يستقر فيها حتى وجد شقة أخرى للسيد أبي فهد في حي النجمة ، ورحل إليها أبو فهد فور تجهيزها بأجرة شهرية خمسة عشر دينارا مع الكهرباء والماء .. دفع الشهور الستة الأولى السيد حلمي كما وعد الرجل ، وتخلص الرجل من مستأجري الطابق العلوي ، وبقي اثنان في الطابق الأرضي ، وأحدهما سيتقاعد ويرحل خلال وقت يسير .

وكان حلمي راغبا في الطابق الأعلى ؛ لأن لكل شقة شرفة يستطيع أن يجلس فيها يشاهد الشارع والحي والناس في الصيف والربيع ، ومدخل عمارته على الشارع الرئيسي ، وبنيت قبل أن تظهر بناية المحلات التجارية ، وباستطاعته تحويل الطابق الأرضي إلى تجاري ؛ لكنه استغلها كسكن فحسب ، فعمار ته في آخر جزء من أبو خروف من الأعلى في المربع الذي يقع بين الشارع الرئيس الأعلى وشارع النحلة ، حيث تقع بقالة أبي صالح الذي مر ذكره في أول حكايات أبي خروف ومدخلها على الشارع الرئيس لأبي خروف ، لا يفصل باب الطابق الأرضي عن الشارع سوى عدة أمتار ، فإذا جلس في الشرفة يكون الشارع أسفل منه ، وهو يفكر بإغلاقها بالزجاج ليخف ضجيج السيارات عنها ، والجلوس فيها أيام الشتاء ؛ ولكنه أجل ذلك ريثما يزوج الأولاد ويخلص منهم.

ولما استلم مفتاح شقة أبي فهد قال لولديه : ها قد عدنا لقصرنا العتيد .. من منكم يرغب بالزواج أولا لنجهز له الشقة ، وليأخذ هذا المفتاح ـ وكان يلوح به بيده ـ ويبدأ بتجهيز الدار .. والأفضل أن أزوجكما في يوم واحد ـ إن شاء الله تعالى ـ لأخلص منكما مرة واحدة ، وتتحمل زوجاتكما خدمتكما ، وجارنا ـ وأشار للأسفل ـ كما اتفقنا على وشك الرحيل والعودة لبلده وأهله .. فهو سيتقاعد ويغادر خلال هذه السنة ، وسيكون

الزواج بعد رحيله .. فعلى كل واحد منكم أن يبحث عن عروس مناسبة

فقال أسمر: وهل من الضروري الزواج ؟!

– يا ابني عمرك سبع وعشرون سنة .. أنا في هذا السن كان لدي ثلاثة منكم مع الذين ماتوا ؛ لأنه ماتت بنت قبلك يا أسمر ومات آخر بعد فايزة

قال كأنه محتج : وماذا تعني هذه السنوات ؟! هناك بعد الثلاثين والأربعين يفكر الشاب بالزواج البنات أقل قليلا من أجل الولادة

رفع حلمي صوته فقال : يا ولدي هناك الزنا مباح .. يظل الشاب في الخمارات ودور البغاء حتى يهلك ، ثم يفكر بالزواج وينجب واحدا أو نص واحد وانتهى .. أتريد أن تبقى من غير ذرية ؟! متى سنرى أنا وأمك الأحفاد؟! لم يبق من العمر قد ما مضى .. وأخوك يرفض الزواج قبل زواجك ..وأنت تتعلم هناك وهو يرفض .. الكبير أولا .. وأنا معي بقية مال الوكالة .. وأنت تريده قبلك .. جميل أن يكون الرجل شبابا وقويا وابنه شباب مثله .. فرحونا بكم يا شباب

فقال أزرق : تكلفة الزواج غالية اليوم

– لو وصلت مليونا سيتزوج البشر .. والزواج أسهل وأرخص من أيام زمان .. اليوم يوجد فلوس .. أيام شبابنا كنا في جوع .. نعيش على أموال الوكالة كأساسيات للحياة ..أكلتنا البراغيث عند الهجرة والنكبة .. عشنا في الخيام وتحت المطر والغريق والحرائق من شدة البرد لا مجال للمقارنة يا أولاد .. أيام من الصعب نسيانها نسيان آلامها .. الأمراض والأوجاع والخوف والجهل والجوع .. كانت شدة قاتلة .. نعيش على مساعدة ومؤن الوكالة .. والمشاجرات على طوابير الطعام لا تنتهي .. لما سمح لنا بالبناء بالطوب في المخيم ظننا أن نعيش بقصور ألف ليلة وليلة .. اليوم أصبح لدينا عمارات وسفر ومهندسون وطيارون وأطباء .. أصبح أولاد الفلاحين أطباء ودكاترة ..كانت حياة عصيبة .. عشنا فترة تنقل ورحيل تدمي القلب .. عرفت مخيمات الخليل ورام الله حتى استقر بي الحال في مخيم عودة الأمل بحكم العمل والوظيفة .. فعمكم مروان أستاذ قديم قبل النكبة استطاع بعد عمله في الوكالة أن يجد لي ولغيري عملا معهم ، ثم ترك هو وتابع الدراسات العليا .. وصار التشرد مأساة .. لم نتعود في مدينتنا بعد ترك القرية على التشرد ولا البهدلة .. نعم ، يجب أن تتزوجا وتنجبان ذرية تتابع المسيرة والاهتمام بقضية الآباء والأجداد .. نحن شعب حي يجب أن لا نموت حتى تعود فلسطين حرة عربية لشعبها الوحيد يجب أن نتكاثر حتى نبقى ونحيا .. هذا عدو غاشم ظالم لا يرحم صغيرا ولا كبيرا

قال المهندس المتخرج من كليات أوروبا الشرقية :
كان قومك أصحاب الثورات يصدعون رؤوسنا بمحاضراتهم عندما يزورون تلك البلاد ، ولما نسمع كلامهم نتخيل أنفسنا عدنا لفلسطين إلى يافا واللد والرملة وعكا ، ثم نعود للواقع فنرى أن الأمر بعيد المنال .. أتظن أن تعيش لتعود لحيفا والرملة ؟

قال حلمي بحسرة يصحبها أمل : الله اعلم ! هذه علمها عند ربي ؛ ولكن الوضع العربي بعد كل هذه السنين لا يسر ولا يبشر بخير .. ونحن ما زلنا نعول على الأمم المتحدة والعرب.. ما زلنا نتصارع لا ندري على ماذا ؟! كنا قبل نظن العودة فعلا قريبة .. كان الكلام الثوري يدغدغ المشاعر ، ويثير في النفس الأمل القريب .. نحن نقترب من نهاية السبعينات دون أمل صاروا يريدون تحرير رام الله والبيرة ونابلس ، أما يافا وحيفا وعكا فأصبحت حلما بعيد المنال ، يريدون العودة للتقسيم قرار الأمم ١٩٤٧، فعكا واللد تركوها للتاريخ ، شبعنا كلاما عن الوحدة العربية ، واليوم لا وحدة ولا شحدة .. ماتت الوحدة بموت ناصر .. كل دولة تعمل وحدها وذا في فلك أمريكا ، وذا في فلك روسيا ، وذا في فلك الشيطان .. دول تتناحر بالإذاعات صباح مساء .. وقد تتناحر بالسلاح ..أنا أقرأ بشكل جيد .. أقرأ الجرائد والمجلات وحتى الثورية دون فائدة .

- والتفرق علامة اليأس والبعد

فعلق أزرق الصامت : المهندس يحب السياسة

فرد أسمر: والاقتصاد . يا سيد أزرق يبدو أنك صحوت

قال أزرق موضحا : لم أنم ، إنما أغمضت عيناي ؛ لعلي استوعب شيئا مما قاله أبي

ضحك أسمر وقال :

أكيد استوعبت القضية الفلسطينية المعقدة !

ـ عندنا في الورش كلام كثير عن القضية العربية الأولى .

الحياة في الحي

انتقل المهندس أسمر وشقيقه أزرق إلى شقة أبي فهد بعدما أعيدت صيانتها وطلائها ، فأصبحت لهم دار نوم حتى يتحدد موعد زواجهما ، ويفرغ المستأجر شقته في الطابق الأرضي ، وقد أصبح حلمي بعد الاستقرار في أبو خروف زبونا دائماً

يتردد أغلب الأيام على المقهى الذي يعرفه قبل رحيله ، لقد بعد عليه مقهى المخيم ، فالمخيم عادة يكون فيه عدد من المقاهي ، كل بضعة شوارع تجد مقهى أو أكثر حسب سعة المكان ، والمخيم طويل ممتد ربما يزيد عدد سكان المخيم عن خمسين ألف تلك الأيام ، والمقاهي الشعبية أصبحت أماكن التجمع ، وتبادل الأخبار الشخصية أو السياسية ، أولا لتوفر الراديو القديم فيها ، ثم التلفزيون قبل دخوله البيوت ، ولعب الورق وغيره ، وقد تجد في بعض المقاهي أناسا يلهون أكثر من رواد المساجد عند صلاة الفجر وغيرها من الصلوات ما عدا صلاة الجمعة ، فهو مشهود بالصغار والكبار ، وبعضها تسمح للنساء بالصلاة جماعة في هذه الزمن .. تجد المقاهي تعج بالبشر والرواد ؛ وربما يفترشون الرصيف للجلوس والثرثرة ، وتدخين النرجيلة وشرب الشاي بالنعناع ، وذلك في الصيف وأيام الدفء والمقاهي عادة قديمة ظهرت في المدن العربية وغيرها ..أكثرهم يلعبون الورق ويخترعون ألعابا أو يتوارثونها ، والتلفزيون اليوم يتوسط المقهى ويلتف قريبا منه حشد من الخلق لمشاهدة المسلسلات والتمثيليات .. والدخان يتصاعد في فضاء المكان كأنه سحابة تظللهم .. فهذا مما ابتلي به الناس في الأعصر المتأخرة وحتى أنك تجد المقاهي تنشأ قريبا من المسجد ؛ لتشجيع رواد المساجد إلى الجلوس فيها ، واختيار المصلين المقاهي القريبة من المساجد لعلاقة خاصة بينهما أو لأن المسجد يعتبر المركز للمدينة أو الحي الكبير

وحلمي له أصدقاء في أبو خروف قبل الرحيل بحكم عمارته ، وبحكم سكن إخوته أو أبنائهم وبحكم رحيل بعض سكان المخيم للحياة قبله في أبو خروف ، وبحكم مساعدته في حل المشاجرات الناشبة بين شبان المخيم وشبان أبو خروف ، فتعرف على أسرهم ، فهو يعرف سلمان أبا يوسف وشقيقه نعمان ، وأبا صالح كمال فدكانه قريبة من عمارة حلمي وغيرهم ، فهو محب للجلوس على المقهى ، يسمعون أخبار الوطن المسلوب ، يتذكرون أيام البلاد والبرتقال اليافاوي ، وعداوة الإنجليز للعرب ، وتمكينهم اليهود من السيطرة على فلسطين يوما بعد يوم وقد يشرب الشيشة [النرجيلة] كما يقولون ، ولا أدري هل لفظة يشرب تصلح لذلك ؟ كما يقولون نشرب الدخان ؛ لكنه لا يلعب الورق ، يحب الحواديث والتعليق والتحسر ، ومرات يأخذ بالجلوس في المسجد بين الصلاتين المغرب والعشاء إذا وجد من يتحدث معه بعد صلاة المغرب ، وأحيانا يقرأ وردا من القرآن أو شيئا من كتب المكتبة .. بدأت تشيع المكتبات في المساجد في الآونة الأخيرة أكثر من ذي

قبل .. خاصة تفسير ابن كثير الدمشقي فهو من التفاسير التي يحرص على وجودها في بيوت الله تعالى وكتاب رياض الصالحين للإمام النووي الدمشقي أيضا .

والسيد مهران يعرفه حق المعرفة ويحترمه ، فالرجل كان من رجالات المخيم خلال السنوات الماضية ، وتكونت له قاعدة شعبية مع الوقت ، وأتاحت له مهنته التعرف على الكثير من الناس والمخيم لا يوجد فيه إلا عيادة واحدة للإشراف على صحة ومعالجة الخلق ، فقد ساعدهم في حل الكثير من المشاكل سواء مشاجرات ومنازعات وحالات طلاق وحرد نساء من بيوت أزواجهن ، فكان مهران يتصل به للمساعدة ، فلا يخيبه العم حلمي ، ويمشيان في قضاء الحاجة وبحكم وظيفته وكبر سنه يجد الرجل قبولا لدى أهالي المخيم ، وكان محبوبا من أهل المخيم لصوته الجهوري ، ولحبه للنكتة والمرح ، والتعليق اللاذع على الأخبار السياسية والسياسيين .

كان يصلي العصر في البيت ولما يقترب الغروب يتمشى جهة الجامع ؛ فإن رأى الوقت للآذان قريب يدخل المسجد مباشرة ، وإن كان الوقت مبكرا على الصلاة دخل المقهى وشرب فنجانا من القهوة ، فهو من عشاقها ويشربها بكثرة ، ثم مع الأذان يدخل المسجد ، ويخرج بعد العشاء إلى البيت إلا إذا كانت هناك قضية يريدونه من أجلها في المقهى ، وقد يدخل بعض المحلات لشراء حاجة للبيت ، فخلال الشهر الأول تعرف على أغلب متاجر أبو خروف وأصحابها ، خاصة الذين في طريقه وعلى سوق أبو خروف ، بل زار مقر جمعية البر والإحسان ومكتب البريد وصحة أبو خروف ، وحتى المكتبات تعرف على بعض أصحابها ومعروضاتهم ، والرجل بحكم عمله في صحة المخيم يحسن التعرف على الناس ويصاحبهم كأنه عاشرهم طويلا ، وهذا لا يقدر عليه كل الناس ، مع الوقت يتكون عند الإنسان خبرة للتعامل والتواصل مع الآخرين ، ويفهم مفاتيح شخصياتهم ، وليس كل من يسكن المخيم اليوم فقيرا ، كما كان في أول إنشائه .. تعلم الأولاد وصاروا ؛ لكن الأغلب متوسطو الحال .. وهو عنوان الأمل والعودة لفلسطين

دخل حلمي المقهى وحيا مهران ، ومشى إلى طاولة سلمان وأبي صالح وسلم عليهم بالإشارة ، فهم مستغرقون في اللعب وسحب كرسيا واستراح عليه ، وقال لنعمان : الآن أصبحت من أهل أبو خروف ، وصرت لكم جارا

قال نعمان: لا يا حبيبي أنت صرت جارا لإخوانك مروان وعصام

- بالعكس بيتك أقرب من بيت إخواني ، ودكان

أبي صالح أقرب من بيت عصام يا سيدي .. أنا جاركم بالحي .. كان آخر بيت في المخيم جار لي .. والمخيم أكبر من أبو خروف .. وأنا الآن أسعى لتزويج الشباب .. والمهندس وأزرق انتقلوا للمبيت في شقة أبي فهد وننتظر رحيل جارنا أبي باسل ليأخذ كل واحد شقة .. وبيت المخيم أنوي بيعه فقد كبرت السن لم تعد بي قوة للنزول إليه ، وأخذ الأجرة .. فأحد أزواج بنات أختي التي بقيت في المخيم ينوي شراءه

فأوقف سلمان اللعب وخاطب حلميا : أنا مهتم بموضوع زواج الأولاد يا حلمي .. وأصبح لدي بعض العائلات ، هل أولادك يرغبون بالزواج عن طريقك وجادين في الزواج؟

أخذ نفسا عميقا وقال : المهندس أسمر كلامه لا يسر ، تعلم الفساد هناك ، يقول لماذا يتزوج الإنسان صغيرا ؟! هناك يتزوجون عند الأربعين .. سأعيد الحوار معه ثانية وثالثة .. أما أزرق فقد ربط زواجه بزواج أخيه الأكبر ، إنه لا يرفض الزواج كزواج .. وسيكون زواجهما في ليلة واحدة ـ إن شاء الله ـ فلم يقل لي أحد لا تبحث

– لا أحد يصلي من أبنائك

هز رأسه ألما وقال: كان أسمر يصلي قبل دراسة المعهد ، ولما دخل معهد الوكالة أصبح هواه مع اليسارين دون الإلحاد ، غير مبال بالقيم الدينية .. الحياة من أجل الحياة .. لماذا يترك الأبناء الصلاة والصوم لما يذهبون للتعلم في بلاد الكفر؟! كان قبل السفر للدراسة يقطع للصلاة ثم تركها نهائيا .. الله يهديه .. وأزرق أراه نهار الجمعة إذا لم يذهب الورشة يصلي الجمعة فقط

قال نعمان: أنت لا تعرف سبب ترك الأولاد الصلاة عندما يسافرون؟ السبب يا سيدي البنات والحب والجنس ..الزنا عندهم بدون فلوس ، بدون ارتباط ، بدون تكاليف وفتح بيت وأطفال المعاشرة عندهم كإبرة بيولوجية إبرة بنسلين.. وكل واحد في دار أهله ، ولما تكبر الأنثى ترتبط بشخص لتلد واحدا أو اثنين على الأكثر ..سيتعلم الشاب ويحصل على شهادة ويتعلم السهر والجماع بدون ارتباط .. ولماذا كلما جامع امرأته يقوم يغتسل من الجنابة؟ لا جنابة عندهم ..لا يؤمنون بآخرة وحساب وجنة ونار

– ولهذا السبب خمنت أنه لا يرغب بالزواج .. ولماذا الارتباط بأنثى للابد ؟ .. فعلا مثل الحيوانات .. وهل بنات البلد كهؤلاء يا شيخ نعمان؟

– بالتأكيد لا ؛ لكن لا تخلو البلد من الفاجرات الساقطات الخائنات

قال سلمان: أكد لي رغبتهم

– لابد من ذلك قبل التورط مع بنات الناس

أتت شركة تركيب التلفونات إلى بيت حلمي وركبت الخط السلكي ، ووعدوه بتوصيل الحرارة إليه ، إما مساء اليوم أو نهار الغد ، وكان حلمي قد اشترى جهاز الهاتف عندما قدم طلب اشتراك للمؤسسة المسؤولة عن تمديد الشبكات ، ودفع الإكرامية للعاملين ، وقال له أحدهم : عندما أصل المكتب أبلغهم عن تمديد الخط لبيتكم

شكرهم حلمي ، وقال لزوجته ـ التي كانت تلملم كاسات العصير ـ بعدما أغلق الباب خلفهم: غداً ستصل الحرارة للخط أو سأتصل العصر مع أحد المعارف يعمل في الاتصالات سأنزل لشراء بعض الفواكه ، وأتصل به من المكتبة أو من دكان أبي صالح .. ففيها تلفون بسقاطة .. هل كتبتم قائمة مشتريات اليوم؟

– إنها في مكتبك ومكتبتك

ومشى إلى الغرفة التي جعلها مكتبة ومكتب ، فوجد الورقة عليها أسماء أشياء ، فألقى نظرة عليها ، ورجع لأم أسمر فقالت : قد تحضر أختي وزوجها الليلة للسهر معنا .. وفوزية تحب البندق احذر من نسيانه

قال باسما : أعرف ، وقرأته في الورقة حتى تسمن أكثر .. بالك هل تدخل من هذا الباب ؟ ـ مشيرا لباب الشقة ـ كان بابنا في المخيم أوسع من هذا بقليل

– تدخل حرفا .. المشكلة صعود الدرج ، قد تستغرق ساعة وهي تصعد

– ينتهي وقت الزيارة قبل أن تصعد

– عندنا وسع .. الدار تسع بلد

– الحمد لله.. هذا من فضل ربنا

قالت : على كل حال زوجها راض بها

– أنا خائف عليها من الموت !يعني من السمنة والبدانة

ضحكت أم أسمر ، وقالت : الموت هو يعرف من هو نحيف ؟ ومن هو سمين ؟ ومن هو غني ومن هو فقير ؟ الأعمار بيد الواحد الأحد

– نعم ، الأعمار بيد الله ؛ لكن مراعاة الصحة والبدن مطلوبان يا بهيجة

– لا تنسى أنها ولدت لأبي فوزي عشرة بطون

قال معجبا بعديله : أبو فوزي فحل من الفحول .. من أختك عشرة ، ومن ضرتها ستة ، جيش عنده !

– الأولاد زينة الدنيا .. واليوم جلهم متزوج ، وأكثرهم متعلم .. وله ولدان في القوات العسكرية

– وله بنت في الطب العسكري أبو فوزي عديل وعز الأصدقاء .. لو يقبل يناسبنا في إحدى بناته

قالت بهيجة: بنات أختي كلهن تزوجن يا حلمي .. وبنات الضرة بعدهنّ في المدارس وإخوتهن يحبون تعليمهن مثل باقي البنات .. ويعملن في

الحكومة كما فعلوا مع بنات أختي

- أبو فوزي التعليم عنده سلاح للبنت قبل الرجل .. والكبير يعلم الأصغر منه .. وهكذا تعلم الجميع

- يكفي أنه خلفهم وكبرهم

- المهم أختك أم فوزي لازم تهتم بصحتها ، وتخفف من وزنها ، وكلما كانت تمر على العيادة إلا نصحتها بتخفيف الوزن .. فأمراض الضغط منتشرة ، وإذا صحبته السمنة قد يفتك بالبدن

ضحكت بهيجة وقالت : لما أقول لها هذا الكلام ستقول ماذا أفعل؟ هل ألبس بنطالا قصيرا وأجري في الشوارع مثل هؤلاء الأجانب الذين نصدفهم يركضون عراة ، ويتسكعون في شوارعنا

- هكذا لبس هؤلاء الملاعين حتى أثناء الشغل والعمل يلبسون الثوب القصير الذكر والأنثى.. أخذنا الكلام ألا تريدين إضافة أي شيء للقائمة ؟ .. أين فايزة؟

- ذهبت إلى المخيم

- وماذا بقي لنا في المخيم؟!

- لا شيء ، ذهبت تقيس قطعة قماش تركتها عند الخياطة جميلة ، فاليوم موعد القياس

- من اليوم فصاعدا عليها أن تخيط فساتينها وثيابها عند خياطات أبو خروف

- وهل المخيم بعيد ؟ ألست تذهب كل اثنين لزيارة رفاقك ؟

- بلى، أنا رجل يا بهيجة .. قطع الشارع للمخيم مرعب وأذهب بسيارة

- ربك الستير .. على البلدية إقامة جسر مشاة .. طالبوا

- وعدوا الناس بذلك ؛ لكن متى ؟ الله أعلم .. اطلبي منها أن تخفف رجلها عن المخيم

- هي أربع مرات تذهب في الأسبوع

- يعني كل الأسبوع يا بهيجة .. مرة عند عمتي ، مرة عند بنت عمتي ، مرة عند فلانة

- الله يستر على البنات

- آمين آمين



رجع حلمي من التبضع ، ووضع الأكياس على مائدة المطبخ وهو يلهث ، فأخذ نفسا عميقا ، وقال لبهيجة: كبرت فعلا يا بهيجة! كلما أصعد الدرج الهث ؛كأنني في مباراة ملاكمة ، وأشعر بالتعب

قالت باسمة لاعترافه : طبعا أنت كبرت ! أنت تفكر نفسك صغيرا يا حلمي! صور صدرك .. ولا تنس أنك منذ فارقت المخيم وأنت تصعد هذا الدرج ، لم يكن بيتنا هناك بدرج كبير ، درجة أو درجتان ثم تصبح داخل البيت .. هؤلاء يزدن عن

عشر درجات .. إنهن يتعبن الحيل

فقال بعدما التقط أنفاسه : آ ، فوزية قد نضطر لحملها .. كيف ستصعد بالشحم واللحم الذي تحمله كل هذه الدرجات ؟ كان علينا السكن في الطابق السفلي

– خلاص لما يرحل أبو باسل ننزل لتحت ، ويبقى الشباب هنا فوق

قال مستثقلا الأمر : ونعود لفك وتركيب الخزانات والأسرة

فأجابت : إذن بطل التذمر والشكوى من الصعود والنزول

– تكلمت مع صاحبي في شركة الاتصالات ، ووعد أن تصل الحرارة خلال هذا النهار .. أحضرت الغداء؟

– ألا تريد الأكل مع البنات ؟!

فصاح: أنا لا أدري ماذا تفعل البنت في المخيم حتى هذه الساعة؟!

– أكيد ذهبت لبيت عمتها بعد مرورها على الخياطة جميلة غير معقول يا حلمي أن تصل المخيم ولا تسلم عليهم .. اجلس سأضع لك الغداء ، وأنا انتظر البنات وأتغذى معهن

– سمعت عبير تخبر أنها ستتأخر اليوم ستذهب لزيارة صديقة جامعة مريضة ، طلبت بعض المال

قالت بهيجة : جميل ! إذن كل وحدك ، ولما يحضرن يأكلن .. إني أسمع خطوات على الدرج كأن فايزة عادت .. أكيد فايزة .. إنها وصلت الباب

فتحت فايزة ودخلت وألقت السلام ، وقالت: عسى صار عندنا تلفون . ولم تنتظر الجواب ، فمشت نحو المنضدة الموضوع عليها جهاز الهاتف ، فرفعت السماعة وبعد لحظات همست بفرح : يا سلام! أخيرا صار عندنا تلفون .. كنا مزهقين البقال أبي موسى

فقالت أمها: أفيه حرارة ؟ وهل كنا نتكلم ببلاش صدقة كنا نحكي بمصاري ؟!

أجابت فايزة عن السؤال الأول : نعم ، فيه حرارة التفتت إلى وجه زوجها وقالت : مبارك يا سيد حلمي علينا التلفون .. ها هي الحرارة دبت ووصلت

قال حلمي: كيف المخيم يا فايزة؟!

– ممتاز ! عشرة عمر يا أبي .. ولدت فيه وكبرت فيه .. ليس من السهل نسيانه ونزعه من القلب

ضحك حلمي وقال: أنت مثلنا تحبين المخيم بعكس الأولاد .. ما أخبار الجيران؟

– كلهم يهدونك السلام ويرسلون لك التحايا ، ومررت على عمتي ، وتسلم عليك ، وعلى أمي والشباب .. ويدعونكم للغداء معهم يوم الجمعة

قالت أمها: ولماذا؟

– لست أدري ؛ ولكن سمعت رائحة زواج

- زواج من؟
- ابنتها نبيلة
- نبيلة الصغيرة!
قال حلمي: صغيرة إيش! عمرها خمسة عشر عاما .. وماذا سمعت أيضاً؟
- سمعت ذلك ؛ لأنه تحدثوا به أمامي ، والعريس من هنا من أبو خروف
قال تعجبا: أبو خروف ! وكيف التقى نبيلة ؟!
- لم يلتق نبيلة ، ولم يرها .. خالته من سكان المخيم ، وأمه تبحث عن صبية صغيرة وحلوة .. فحتى العريس من كلامهم يبدو أنه صغير السن ولا يدرس، يعمل نجارا مع والده ، وهم من سكان أبو خروف
قالت الأم بحسرة : لم نعرف سكان أبو خروف بعد .. كنت أعرف أغلب نسوان المخيم من أوله إلى آخره .. على كل سنذهب يا حلمي .. متى؟
- الغداء يوم الجمعة ، أما الزواج متى فلست أدري؟! يمكن لأبي أن يتصل بالبقال أبي موسى ويتحدث مع عمتي أو أولادها يخبرهم برقم التلفون .. فراس في البيت
- التلفون الآن شغال والرقم يحفظه أبوك
ترك الطعام وقال وهو يغسل يديه وفمه : سنجرب هاتفنا مع البقال حصوة
اقترب من الهاتف ورفعه وهو يقول: أوه ! فعلا وصلت الحرارة .. أين دفتر الأرقام ؟ ولكني أحفظ رقم حصوة .. كان هو عنواني ، وبينما هو يفكر ويتذكر الرقم رن الهاتف فقال: الله ! من يعرف الرقم ؟!
رفع السماعة وقال : نعم ، آ .. الشركة نعم ، وصلت الحرارة .. هات ورقة يا فايزة .
كتب رقم الهاتف ، وشكر الرجل ، وضرب رقم حصوة : آ يا معلم حصوة ! أبو أسمر معك اكتب هذا رقم تلفوننا .. نعم أعطيه لكل من أحب أن يتصل بنا .. أنت أول شخص افتتح الاتصال به .. أعط الرقم لأم فراس شقيقتي .. دع فراس يتحدث معي ، بعد دقائق سأتصل شكرًا لك يا معلم حصوة
خرج حلمي عند الغروب جهة الجامع فقالت فايزة لأمها : لدي موضوع يا أمي أحب أن أتكلم فيه قبل مجيء أبي
هزت الأم رأسها بالموافقة على الاستماع ، فقالت فايزة: هناك رجل راغب بالزواج مني أخو جميلة الخياطة
- الذي ترمل من شهور ؟!
- ترمل من شهرين فقط .. قبل رحيلنا بأسبوعين .. تقول جميلة إنه يريد الزواج ، ولا بأس من الزواج مني .. وهو يعلم أنني لا أخلف .. وهو بحاجة لزوجة ترعى أولاده الأربعة

بعد صمت فايزة قالت أمها : أنت لا مانع لديك من الزواج منه

قالت بحياء : الزواج سنة الله ورسوله

قالت أمها بصراحة : أنت ستعشين خادمة لهم يا فايزة لست أما

– وماذا أفعل وأنا لا أنجب ؟! قضيت عند زوجي ثلاث سنوات ، وقد تزوج وخلف طفلا .. والرجل كما تقول جميله لا يهمه الخلفة

– قصدك ستعشين خادمة لهم ، أنت على علم بهذا مهما تغيرت الأسماء والجمل

– أكسب فيهم أجرا .. ويكون لي بيت وزوج ، ولا أحد يدوم للآخر .. والصغير عمره ثلاث سنوات ليس بحاجة كبيرة لي وظل راجل أحسن من ظل حيط .. والأعمار بيد الله سبحانه .. زوج خير من لا زوج .. أنا من ناحيتي قلت لجميلة لا مانع لديّ .. فالزواج شرعة الله .. ونحن نعرف جميلة وأهلها وإخوتها منذ سكنّا في المخيم ..وأنا من رأيي أن تقنعي أبي .. وأنا أرى نصيبي وحظي في الدنيا .. حتى أن جميلة لتقنعني تقول إن شقيقها سعيد سيسعى لمعالجتي من العقم ؛ لعل الله يهبنا طفلا تقر الأعين به

قالت الأم : أنا يسرني ويسعدني زواجك ، بس سعيد شقيق جميلة ـ وأنت تعرفين ما أقول ـ كان يضرب زوجته ضربا مبرحا كل الجيران يفزعون إليهم ..هو عصبي وامرأته ماتت مغلولة منه وماتت كما يهمس الناس من ضربه وعصبيته وغضبه

– أعرف هذا ، وأكثر الناس كانت تضع الحق على امرأته ، هي التي كانت تعصبه وتنفرزه ..

ونفسها كانت عصبية .. وأحسب نفسي أني أهدى وأصبر منها ، أم تريدين أن أبقى خادمة لنساء أولادك

قالت الأم : أولادي يا فايزة لم يتزوجوا بعد ، وكل واحد سيكون له بيت وحده ، وأنت لك أحد هذه البيوت .. وأنا أسعد بزواجك ، نحن تركنا المخيم ، ستكونين وحدك مع عائلة أبي سعيد ، وأخشى أن لا تطقين الحياة معهم

– بيتنا في المخيم موجود ، والحياة تجارب

– تجارب ، والسعيد من اتعظ بغيره إذا كان عندك استعداد حقيقي لتحمل أبي سعيد وأم سعيد وسعيد وأولاد سعيد سأضغط على أبيك وإخوتك وأشجعهم لهذا النكاح .. أمستعدة للتحمل والصبر والرضا؟!

قالت: فلن يتذكرني إلا إنسان مطلق أو أرمل أو من يريد التعدد .. والأهم في أمر سعيد أنه يعلم أن زواجي فشل لعدم القدرة على الإنجاب .. هل سيتزوجني السلطان يا أمي؟! لن يفعل ولست ملكة جمال العالم ، لابد من المغامرة

– حسنا يا فايزة سنغامر معك هذه المغامرة .. أرجو أن لا أراك بعد يوم أو أسبوع على الأكثر عائدة للبيت تبكين .. تسرعت يا أمي كان عليّ أن لا أقبل بسعيد وأهله

– كوني معي يا أمي .. أتحبين أن أبقى معك هنا ؟

– لا ، أنا أحب لك الزواج والستر ؛ ولكن من آخر أحسن من سعيد ابن مخيمنا ..جميلة سيدة فاضلة وزوجها محترم ، أما سعيد فكانت مشاكله ومشاجراته ومعاركه معروفة للقاصي والداني كان يضربها في الشارع أمام البيت وأمام الناس زاعما لنا أنها ساعة غضب وزعل .. في الليل يضربها ويزعجون أهل الشارع والنائمين .. غداً ـ إن شاء الله ـ تعطيني قرارك النهائي وإذا وافقت على الاقتران بالأستاذ سعيد والحياة مع سعيد كزوجة وأم لأولاده سأفاتح أباك وإخوتك ، ولسوف أجبرهم على القبول من أجل خاطرك

ـ جيد سيكون الجواب غداً ..سأحسم الأمر وأتوكل على ربي وسأستخير ربي .. وسيلهمني حسن الاختيار .. حتى جميلة أخبرتني أن سعيدا الذي أعرفه تغير ، وذلك بعد موت زوجته وأصبح يرتاد المساجد

ـ حر الصدمة .. الله يهديه ويتوب عليه .. غداً نحسم الأمر

يد فايزة

لبس حلمي بذلة جديدة ، وكان ينتظر صالح كمال السائق على خط أبو خروف النجمة وسط المدينة ـ حيث مجمع كبير للخطوط الناقلة للركاب إلى أحياء العاصمة ـ وهو يعرف صالحا قبل رحليه للمخيم ، وكان قد قابله في المقهى وربط موعدا بينهم ، وكانت زوجة صالح من بنات المخيم ، فلما سمع نفير السيارة أمام البيت قال وهو ينهض : جاء السائق يا بهيجة هيا هيا يا فايزة

– أنا جاهزة .. فايزة ستبقى في انتظار عبير قد تعود من الجامعة

لم يعلق حلمي وخرج هابطا الدرج حتى وصل بوابة البناية الرئيسة وفتح الباب ، وخرج منه ؛ فإذا هو على الرصيف وصالح يقف أمام سيارته يمسح زجاجها الأمامي ، فحياه ودخل الكرسي المجاور للسائق [الشفير] ، ولما جلست أم أسمر جلس صالح في مقعده ، فسمع أبا أسمر يهتف : كيف حالك يا صالح؟ أنت لك عنوان يتصل بك عند الحاجة

– لا يوجد لدي هاتف خاص ، استريح مرات عند مقهى مهران لشرب كوب من الشاي فاترك لي خبرا عنده ، ونحن ـ وأنت سيد العارفين ـ لا يسمح لنا بتغيير الخط ؛ لكننا نخالف النظام تارة وتارة في طلب خاص ، والشرطة تعتبره ظرفا خاصا ، فاترك الموعد عند مهران أو أبي سعود

المعلم الكبير بعد مهران ، فلما يرني سيتذكر الموعد ، فهو فطن وذو ذاكرة قوية ولا ينسى .. أنا عنواني المقهى .. نحن بعد نقل الناس إلى وظائفهم وأعمالهم يخف عملنا حتى موعد مغادرة الموظفين فينشط الشغل إلى ما بعد العصر بقليل .. ففي بعض الأوقات نتمكن من الخروج عن الخط .. وأنا سأعطيك رقم واسم سائق يعمل في مكتب جمعة لسيارات الأجرة الصفراء تجده عندك كلما تطلبه .. فهؤلاء كما تعلم لديهم حرية التنقل بين الأحياء دون مخالفة للنظام

كان هذا الكلام والسيارة منطلقة للمخيم ، فبعض الناس يذهبون إليه مشيا على الأقدام كما تفعل فايزة ، ولكن كبار السن يحتاجون لجهد للوصول إليه ، ربع ساعة مشيا يكون الإنسان على أطراف المخيم ، ولكن بيت شقيقة حلمي في وسط المخيم ، والرجل ذاهب لمناسبة اجتماعية سيأتي وجهاء لخطبة ابنة أخته ، فيحتاج لبعض الرسميات ، وتستغرق السيارة بسبب الشوارع واللف والدوران لعشر دقائق حتى تصل الهدف ، وبعد مضي تلك الدقائق كانا في المخيم ينزلان عند بيت شقيقته مريم ، ولما تركا السيارة نزلا درجا ، ثم مشيا في شارع حتى وقفا أمام بيت أبي راجي زوج أخته مريم ، واستقبلتهم أخته وزوجها ورحبوا بهم ، وأخذه أبو راجي لغرفة الضيوف

ورحب به الموجودون وشكروه على تلبية الدعوة ، وقال أبو راجي : بعد صلاة العصر سيأتي القوم ، وبعد الاتفاق سيكون الفرح ، وسيأتي الغداء بعد قليل من أحد المطاعم

وجلست بهيجة مع النساء ، وكان سعيد الأرمل بين الضيوف ، مما أدهش وجوده حلمي فسأل نفسه : ما علاقة سعيد وأبي سعيد بدار أخته بمثل هذه المناسبة ، هم جيران تفصل بينهم بضعة شوارع ، وتذكر أنهم من بلدة واحدة من قرى فلسطين ، فصافحهما ورحب بهما ، وبعد حين يسير قال سلمان أبو راجي: يا حلمي ابن عمي أبو سعيد يرغب بالحديث معك في موضوع خاص

التفت حلمي لعيني أبي سعيد وقال : تركنا العيادة يا أبا سعيد

- لا ، ليس الموضوع طبيا .. تفضل أبا سعيد بالجلوس قرب أبي أسمر

انتقل الرجل إلى كرسي فارغ بجانب حلمي وحياه من جديد ، وصارحه برغبة سعيد الزواج من ابنته المطلقة ، وشرح له الوضع ، وأنه بحاجة لزوجة ترعاه وترعى أطفاله ، فأم سعيد حرمة كبيرة ودهمتها الأسقام ، وليس لديه رغبة بالمزيد من الأطفال ؛ لذلك وقع الاختيار على فايزة حلمي ، وهي معروفة لهم ، وهم معروفون لهم ، وعدد محاسنه ومحاسن ابنه سعيد .. وحلمي صامت ،

وترى في الحجرة الدخان يملأ جو الغرفة ، وكان حلمي يسمع ويقول لنفسه : بهيجة أكيد تعلم بهذا الفِلم

ولما سكت أبو سعيد منتظرا رد حلمي ، قال حلمي: أنا فعلا أعرفكم خير المعرفة .. شارع بيننا في المخيم .. ولا أسرار في بيوت المخيم .. وأعرف أن ابنك سعيدا كان سريع الغضب ويضرب امرأته دون حياء من الناس.. وهو المربي لأطفال المخيم .. وأنه هو الذي قصف عمرها عمر زوجته

احتج أبو سعيد وقال: يا حلمي عيسى كانت سيئة .. وتتطاول عليه دون حياء ..لا تنكر ذلك أنت والإخوان .. كأن لا أحد درس في الدنيا إلا هي .. كل الشباب تعلم ورحل .. وسعيد مدرس في الوكالة كما تعلم .. لولا سوء خلق امرأته ما ضربها .. ونحن نطلب يد ابنتكم بحكم الجيرة والصداقة التي بين جميلة وفايزة فإنهن كالأخوات .. وجميلة هي التي اقترحت ذلك ..ولا تنسى أن ابنتك لا تنجب .. وسعيد يريد واحدة لها هذه الصفة .. فهذه فرصة يا حلمي للبنت أن تعيش كزوجة معززة مكرمة

قال حلمي باستسلام : هذا هو السبب الذي قد يدفعني للقبول يا سلمان .. الأستاذ سعيد على الرأس والعين ـ ووضع كفه على رأسه ـ على أن يتعهد أمام هذه الوجوه أن لا يضربها ويؤذيها ، وإذا دخلنا بالمعروف نخرج بالمعروف ـ كما يريد الله سبحانه ـ وإذا أساءت إليه فأنا وأنت نحل الإشكال

– أنا أتعهد لك بذلك يا حلمي نيابة عني وعن ابني سعيد

– لماذا تريدون ابنتي يا أبا سعيد وأنتم تعلمون أنها لا تلد ؟!

تنهد أبو سعيد وقال : أنت رجل غانم ..وسعيد عنده أربعة أطفال ، أكبرهم ابن عشر سنوات فهم بحاجة لأم وليس زوجة أب ، وهو لا يرغب بالمزيد من الخلفة .. يفكر بدراسة الماجستير والدكتوراه .. فهو من غير جيلنا جيل الهجرة .. وجميلة تحب فايزة جدا ، وكانت ترغب قديما بطلب يدها لأحد الأولاد ؛ ولكن سبقنا إليها .. وجميلة أخبرت فايزة بهذا الرغبة .. والبنت تركت الأمر للوالدين .. وأنا تكلمت مع أبي راجي صهرك وقريبي ..فذكر لي هذا اللقاء الطيب ـ إن شاء الله ـ فقلت أخاطبك مباشرة ، ونجعل الفرحة فرحتين .. ومسألة الضرب لن تراها من سعيد

– على كل حال نحن جيران وأهل ومعارف يا أبا سعيد .. وما دام أنك تعهدت لي أمام هذه الوجوه أن لا تضرب البنت على الحامية ولا الباردة .. ولا يضربها كلما يعصب ويغضب فسأشاور الجميع

ليكونوا على علم
- بارك الله فيك يا حلمي ..لا تتأخر في المشورة ..
فأم سعيد تعبانة من أولاد سعيد ..وأنت خير من يعرف أمراض الكبر فعندها السكري والضغط والمفاصل
قال سلمان: أنت عليك أن تتزوج يا حاج عبد القادر
- آه! لو تسمعك الحاجة أم سعيد .. لو كانت على فراش الموت لن تسمح لي .. مرة سعيد قبل سنوات ذكر لها ذلك .. فجن جنونها، وكادت تطرده من المخيم، ويبيع بيته .. ما زالت تظن نفسها ابنة اربع عشرة سنة .. أم سعيد لا تؤمن بالتعدد مع أن والدها تزوج أربع ، ماتت اثنتان منهن قبل النكبة ، ولم ينجب منهما إلا ولدا ومات عند الولادة ..وولدت الاثنتان الأخريتان خمس بنات وولد ، مات بعد الهجرة بسنة
دعا حلمي بالرحمة : رحم الله أموات المسلمين ..
تعال يا سعيد قرب مني
كان سعيد مصغيا لهم وسمع كل الكلام ، عندما يتكلم الكبار يلزم الأصغر سنا الصمت حتى لو احتد بينهم النقاش ؛ لأنهم يثورون ويتفوهون بما في قلوبهم ، ثم يعود الود إليهم وبينهم ، فاقترب سعيد منهما ، فقال له حلمي: أترغب بمصاهرة عمك حلمي ممرض المخيم أكثر من عشرين سنة ؟ ربما قدر لي أن أدخل الكثير من بيوت المخيم لضرب ابر البنسلين وغيرها للمرضى .. وأذكر أني فعلتها معك وأنت صبي صغير ، أنت موظف ، وأنا كنت مثلك .. أبوك كما سمعت تعهد لي بأن لا تضرب فايزة البتة إذا صار نصيب بينكم ، كما كنت تفعل مع الأستاذة أم عبد القادر .. أمام هؤلاء إن لم ترتاح للبنت تعال عليّ أنا ونحل المشكلة ولو بالطلاق دون أن تدفع شيئا .. إذا شكتك لو مرة واحدة أنك مددت عليها يدك بالضرب واللطم ـ وأتمنى أن لا يحدث ذلك ـ فسيكون لقاؤنا على باب المحكمة الشرعية .. وأنا سأوصي ابنتي بالصبر والتحمل إذا قبلت بك ، ولا أظن أنها ترفض ما دامت جميلة في الموضوع ، وهي المحرومة من الذرية .. فهي فرصة لتعيش كأم وتربي معك الأطفال ، مع أنهم كما نرى في واقعنا سيكرهونها ، ربما لأن أمهم ميتة سيتقبلونها ، فكن يا سعيد رجلا رجلا بمعنى كلمة الرجولة ، ليس الذكورة فحسب ومحترما لعمك الكبير حلمي عيسى جارك القديم ، ولا تنسى يا ولدي أنك مربي أجيال
قال سعيد بصوت مبحوح أو كأنه مخنوق : بليت بأم عبد القادر يا عم حلمي ..كانت سيئة الخلق .. كانت كثيرة التباهي بشهادتها وإخوتها ؛ كأن لا أحد تعلم في المخيمات إلا أسرتها وهي كانت

تغضبني بكثرة .. وأنا أرجو أن أكون عند حسن ظنك بي ، ولا تسمع عني إلا كل خير وسأهتم بمعالجتها من العقم ؛ لعل الله يحدث أمرا .. وتقوى الصلة بيننا بوجود الذرية وأمي تحب فايزة ، وخياطة المخيم أم محمد تحبها وتعزها ، وهي التي شجعتني على الارتباط بها

– الليلة بعد انتهاء جاهة نبيلة بنت أختي سأتحدث مع فايزة وأمها والأخوة ، ولا أحد يرفض بعد موافقتي .. اتفقنا على عدم مد يدك إليها ..وستقوم البنت بواجبها نحوك ، ونحو أولادك على قدر طاقتها .. وتذكر يا ولدي أنك أستاذ علمت وتعلم .. ويسرني أن أراك كبيرا في الدنيا والآخرة

قال سعيد شاكرا : أنا أعدك أمام هذه الوجوه وأبي بأن أكون الزوج الصالح الطيب المسالم .. ووصها عندما تراني غاضبا ومتضايقا أن تتركني وتبعد عني ، ولا ترد عليّ بجواب .. ولن يحدث إلا كل خير

قال حلمي: توكل على الله .. نحن جئنا لخطبة بنت أبي راجي فنكاد تخطيب ابنتنا ..وخطب ابنتنا يحتاج ليومين أو ثلاثة ، سأنقل لكم بنفسي موافقة فايزة والأسرة ـ إن شاء الله تعالى ـ فلقد ركبت تلفونا في الشقة يوم أمس

قال أبو سعيد: نقل النمرة لسعيد

قال سعيد: خذ تلفون المدرسة ؛ وربما ما زلت تذكره من عملك في العيادة فيمكنك الاتصال بي على رقم المدرسة .. البيت بدون زوجة ضيق يا عم حلمي

– عندي الكثير من الأرقام

قال أبو سعيد: بارك الله فيك يا سيد حلمي عيسى أنت أصيل !

عاد حلمي من المخيم في سيارة شقيقه الذي تقاعد من التعليم وأنشأ شركة كبرت خلال سنوات ، وتركه مروان وزوجته أمام بيته ، واعتذر لهما عن الدخول قائلا: أنا من رأيي يا حلمي أن تزوج البنت .. فهذه فرصة ، ولابد من غض الطرف عن بعض الأخطاء ، وأهل المخيم أنت تعرفهم أكثر مني

كان مروان أكبر من حلمي بثلاث سنين ، واشتغل مدرسا مع حكومة الانتداب على فلسطين وبعد النكبة عمل مع الأونروا ، ثم تركها واشتغل بالتجارة ، وأصبح له عدة شركات يديرها وأحب أبو خروف وبنى فيه ، وشقيقه الأصغر منه يعيش أيضاً في أبو خروف

دخل حلمي البيت تتبعه أم أسمر ، وفتحت لهم فايزة التي ما كادت تراهم حتى احمر وجهها ، وجلس في الصالة وطلب كأس ماء ، وقال لبهيجة: سمعت كلامي لمروان

شرب الماء ، وطلب كوبا من الشاي الثقيل ، فهو

عندما يشعر أو يصاب بصداع يطلب شايا ثقيلا ، فقالت بهيجة وقد شربت الماء هي الأخرى: أبو سعيد استغل زيارتنا وحدثك بالموضوع أم سعيد كأنها تعهدت بالصمت ، لم تتكلم بشيء استطاعت أن تصبر .. المهم أنت ما رأيك ؟

– أنا كنت أرى أنك تعرفين!

– أصدقك الحديث ؟

– نعم

– تعالي يا فايزة

جاءت فايزة بالشاي ، وسمع كلام بهيجة ، وقص عليهم مناقشته مع أبي سعيد بكل ما يذكره ومع سعيد ، وختم الحديث والمصارحة قائلا: أنا لا مانع عندي يا فايزة .. ونحن جيران من يوم بني ا المخيم ، ومن قبل أن تولدوا ..وأنت تعرفين سعيدا ومشاكله مع زوجته، وهو يزعم كما زعم قديما أنها هي السبب .. وأنا لولا ظروفك الخاصة ما قبلته لك .. أنا لا أحب ضرب النساء ، ولا احبه لبناتي ؛ لكنك امرأة مطلقة وعاقر .. فالزواج سترة وعفة وديانة ..وهل فكرت كما اتفقت مع أمك ؟ أنا متأكد أنها فرصة طيبة أن تقومي بحياة الأم الدور الحقيقي للنساء .. وهذا قدر الله

فاعترفت فايزة أن جميلة شجعتها على هذا الارتباط ، وقالت ذلك لأمها مساء أمس

فقال حلمي: إذا كانت لديك القدرة على الصبر والحياة مع الأستاذ سعيد وأولاده فعلى بركة الله هذه حياتك أنت .. لا أحد يبقى لأحد .. وابنه الكبير ابن عشر سنوات سينظر إليك نظرة عدائية ، وأنك أخذت مكان أمه .. فأنا خبرت الناس ومشاكلهم إن عمل العيادة جعلني أسمع هذا وأسمع ذاك .. فكري بشكل جدي .. وأنا حذرتهم من ضربك ، ومد يده عليك ؛ لكن العادة غلابة ، وإن فعل ذلك سيكون اللقاء على باب المحكمة الشرعية.. وأنت تسمعين ما أقول.. والمثل يقول من شب على شيء شاب عليه.. لكنه ذكر نصيحة طيبة وهي عندما ترينه في حالة غضب وعصبية الزمي الصمت .. لا تردي عليه ولو شتم أمك وأباك ..ودعيه والزمي حجرة أخرى حتى يهدأ الحنق والضيق .. أتستطيعين الصمت ؟! النساء من طبعهنّ الرد والنكد لو كنت ألاحق أمك بمطالبها وشكواها لافترقنا من أول سنة زواج .. الزواج طاقة وتحمل .. وصبر ومودة وسكينة

قالت بهيجة: فايزة موافقة يا حلمي .. لما صارحتني بالموضوع عصر أمس أمهلتها لليوم ؛ وانشغلنا بمشوار المخيم .. وها هو عاد علينا بفائدتين خطبة نبيلة والكلام على فايزة .. وأنا لم أحدثك ليلة أمس أحببت أن تأخذ فرصة في مشاورة نفسها .. وهي الآن سمعت وصاياك

وكلامك المفيد ..وعلينا أن نقبل ، فهي لا أظن أنه سيتقدم لها شاب لم يتزوج من قبل ، وقدرها عدم الإنجاب ، والرجل لا يرغب في الإنجاب ، فلن يعيرها بذلك ؛ بل وعد أخته بمعالجتها ؛ لأن الطب النسائي يتقدم يوميا ، وهاهم كرروا الكلام هذا أمامك

قال الرجل : آ يا فايزة أعتبر كلام أمك نهائي .. فكرت ليلة أمس بالمخاطرة التي أنت مقدمين عليها .. لولا معرفتنا بعصبية سعيد لقلنا له في نفس الجلسة مبارك .. فهم ينتظرون تلفونا مني حتى على المدرسة .. الزواج الثاني ليس لهوا ولعبا الفشل يعني قطع الأمل بزواج ثالث

قالت فايزة: أنا منذ تكلمت معي جميلة بالزواج من شقيقها سعيد .. وأنا مشغولة الذهن وأعرف كثرة مشاكلهم الأب والأم والابن

– لكنهم طيبون ويتصالحون بسرعة .. هكذا بعض الناس .. لديهم عنف ينفسون عنه بالصراخ والشجار ، ثم يعود الهدوء كأن لم يكن شيء بينهم .. وأنت ابنتنا وغالية علينا ومن حقك أن يكون لك بيت وزوج .. وأنت تحبين المخيم ليس كإخوتك ترينه جحيما كأسمر وعمتك وبعض أولادها بجوارك .. على كل حال فكري وقبل أن تنامي قولي القول النهائي والزواج قسمة ونصيب .. والصبر مفتاح الفرج .. وسنسمع قول إخوتك بعد العشاء .. وعبير لم تعد من الجامعة بعد

– عادت ؛ ولكنها نائمة عندها صداع شديد وربما إنفلونزا

– عندما يدخل الشتاء تكثر هذه الأمراض ـ شفاها الله ـ الإنفلونزا والرشح واللوز .. هذا موسم هذه الأوجاع .. سلامتها اطمأني عليها يا بهيجة ..اذا تلزمها إبرة أذهب وأشتريها لها .. أكلتم ؟

– أنا أكلت .. وهي رفضت الأكل .. شربتها ليمونادة، ثم كوبا من الشاي ، ودخلت الفراش

– العشاء نجتمع ونسمع رأيك الخطير يا فايزة .. وإذا فكرت ورأيت أن الزواج غير مناسب فالبيت بيتك ، لا نقبل لك الضيم .. الحياة الكريمة لابد منها .. ولا تعني الحياة الكريمة أن تخلو من المشاكل والنكد ؛ وإنما أمور طارئة وسريعة الزوال .. على المرء المزاوجة بين الحياة الزوجية والحياة في بيت الوالدين .. وضعي ثقتك بالله

– إني أستخير منذ أمس

اجتماع العائلة

اجتمعت العائلة على العشاء، ولما تناولوا طعامهم ، واستراحوا يشاهدون التلفزيون ويشربون الشاي ويأكلون الفواكه ، طرح حلمي على الشباب مشروع زواج فايزة من سعيد جارهم الأرمل قبل انتقالهم إلى أبو خروف ، وكانوا

يسمعون وهم ينقلون أبصارهم فيما بينهم حتى صمت الأب ، فقالت عبير وهي تحدق بفايزة : هذا الموضوع يتحرك سريعا يا فايزة!

ردت فايزة بسرعة : كان أبي اليوم في المخيم لحضور جاهة نبيلة بنت عمتنا ، والتقى بأبي سعيد وسعيد وتحدثوا في الموضوع

عاد حلمي يتكلم عن سبب ذهابه للمخيم ، وختم فقال: أنا شرحت لفايزة القضية ، فلا مانع لديها من معاودة الزواج ، والعودة للمخيم من جديد

فقال أسمر متهكما : وأمي موافقة ، فأنتم تعشقون المخيم كعشق الشعراء القدامى

فقال بهيجة مبينة فضائل المخيمات : المخيم ستر علينا بعد ستر الله .. أنتم لم تعيشوا أيام التشرد الأولى حيث النوم في العراء والبرد والمطر والثلج والبراغيث .. فكان المخيم جزءا مهما من حياتنا كان المخيم ذكرى قرانا وطفولتنا رغم قذارته .. كان من صميم حياتنا ..وفايزة لا ترى بالحياة فيه مأساة .. وكل صويحباتها متزوجات ويعشن في المخيم .. فأولاد عمتها وعمتها وبعض أبناء عمها يعيشون فيه .. وبعضهم مهندسون وموظفون كبار وصحافيون ولهم شركات وهو رمز العودة والأمل .. نحن لنا تعلق كبير وحنين لبلادنا خاصة قرى يافا حيث مسقط رأس أبيك ومسقط رأسي

فقال أسمر معقبا على حنين أمه ومشاعرها الرقيقة إلى مسقط رأسها: من الصعب اليوم العودة إلى يافا وقرى يافا .. فهم اليوم يطالبون في دولة في حدود [٦٧] فالرملة واللد وحيفا وهم .. التآمر العربي والدولي ما زال مستمرا يا أبي .. مللنا الحديث في السياسة .. وأنا في بلغراد أبوك عيسى مات ودفن هنا ، وأمك كذلك ، ووالدي أمي نحو ذلك .. فالعودة أصبحت من رابعة المستحيلات .. وها هو السادات في مصر يخرج من الصراع العربي الإسرائيلي وأصبح أمريكيا كأنه لم يكن قبل ذلك أمريكيا .. ستنسى الناس مع الوقت وطول الزمن .. تبقى ذكريات وأشعار وأغاني أعراس .

قال حلمي: يا ولدي ما دمنا نحافظ على المخيم في كل أماكن التشرد حتى لو سكنت فيه الغربان ستبقى فلسطين والساحل الفلسطيني في قلوبنا ونورثها الأجيال .. يقولون إن بيت المقدس مكث تسعين سنة مع النصارى الصليبيين ثم عاد .. المخيم يعادل أرض الوطن المسروق .. إذا ذهب المخيم ذهب الوطن.. المهم ما رأي الشباب في زواج أختهم من سعيد عبد القادر المدرس الأرمل ؟ ولا تنسوا أن أختكم عاجزة عن الإنجاب وطلقت بسبب هذا الأمر .

قال أزرق العاشق لقلة الكلام: هذا السبب الصعب الذي يدفعنا للقبول بسعيد الشرس الذي كان يزعج نوم الشارع بمعاركه مع أم العبد ..

ونحن ما صدقنا وأنتم تفارقون المخيم ؛ لكن هي حرة .. ألا تخشون أن يعيد الكرة فيها كما فعل مع نجلاء ؟ لا أنسى كثرة ضربه لي في المدرسة ؛ كأننا يهود ينتقم منا

قال حلمي: أغلب المدرسين يستخدمون الضرب والصفع واللكم في العملية التربوية ، فلو لم يضرب التنابل والمشاغبين لما تعلموا ولا سيطر على المدرسة ، ولم يحترم مدرس .. المضروبون أصبحوا مهندسين ـ وأشار لأسمر ـ وأطباء

- وأنا صرت ميكانيكيا

قال أسمر: الضرب لا يعلم شيئا ، فالدول المتقدمة في التعليم لا تستخدم هذا الأسلوب ، ولديهم أطباء وعلماء وصيادلة .. هذه حجج وتبريرات يا أبي ليستمروا في إهانة الطلبة وإذلالهم التيس سيبقى تيس لو جلد مائة عصا ..ولقد رأينا الكثير منهم .. فهذا أزرق كم صفع كما بهدل وغيره كثير

قال أزرق محتجا : لم تجد للتشبيه إلا أنا

تبسم أسمر وقال : ليعرف أبوك أن كلام المدرسين لتبرير الضرب والصفع كلام فارغ وواهي

الشاطر شاطر والحمار حمار .. فهؤلاء أساتذة معقدون ويخافون من التلاميذ .. فشعارهم خوّف اضرب صارع اضرب قبل أن يضربك .. وقد شاهدنا في السنوات الثانوية من الطلاب من يضرب المعلمين

قال حلمي ممتعضا : جميل جميل!! دعونا نعود لموضوع فايزة .. الجماعة يريدون ردنا على طلبهم وأنا حذرت أبا سعيد وسعيدا من استخدام الضرب لتأديب المرأة .. على باب المحكمة يكون الحل والجواب .. وقلت هذا لفايزة أيضاً .. فزعم كما كان يردد لنا قديما أنها هي السبب في نرفزته وغضبه وإثارته .. وأوصاني أن أوصي البنت عندما تراه ثائرا غاضبا أن تبتعد عنه وتتجنبه حتى يهدأ

قالت عبير : نحن كلنا نغضب ؛ ولكننا نملك أنفسنا ولا نؤذي .. هل لو غضب في المدرسة يضرب مديره ؟ تراه يملك غضبه

فقال أزرق متذكرا موقفا لسعيد المدرس : كاد مرة أن يفعلها يا عبير .. عندما كان المدير أحمد سوفير .. فقد آذى أحد الطلاب ونقل للعيادة ، لابد أن أبي يتذكر تلك الحادثة ، ثم أمر طبيب العيادة بتحويله للمستشفى فورا

قال حلمي: نعم ، أذكر ذاك الحادث ، وقد خرج عن نطاق المدرسة ، فقد ضرب الطالب وجاءت الصفعة على الأذن ، ووقع الولد على الأرض ، وكانت أذنه تنزف دما ، لقد جرى يومها صلح بين أسرة الأستاذ سعيد وأسرة الطالب ، ثم نقل والد الطالب ابنه إلى مدرسة الحكومة وكفر بالمخيم والمعلمين .. قصة لا تنسى .. ووصلت بين المدير أحمد وسعيد .. وتعرض أحد أخوة سعيد للضرب

من أخوة الطالب .. وسعيد نفسه أيضاً كأن أحدهم حاول لطمه لكنّ سعيدا طويل فجاءت الضربة في كتفه ، ولما تعافى الصبي هدأت المعركة .. فلنعود إلى معركتنا أختكم لها ظروف خاصة وعمرها خمس وعشرون سنة ، ليست صغيرة ، وليس أمامها في ظروف مجتمعنا اليوم إلا الزواج من أرمل أو مطلق أو معدد

فقال أسمر : ما دامت فايزة صاحبة الشأن قابلة بسعيد مع ما تعرفه عنه .. وأنتم راضون فأنا بالنسبة لي الأمر طبيعي .. وهذه حياتها ستعيشها بحلوها ومرها .. وأتمنى لها التوفيق .. وألف مبارك يا فايزة .. أنت أختنا ولن نتخلى عنك ، وإذا أساء إليك الرجل ، فكما قال أبي البيت موجود .. ولن نقصر معك .. فنحن أخوة وأهل .. والزواج عندكم نهاية المطاف .. ومتى سيكون هذا الزواج؟

قالت فايزة : شكرًا لك يا حضرة المهندس وعقبال عندك

هز رأسه بالشكر وقال : لا أحب الزواج .. الزواج عقدة عندي

قالت عبير مفسرة : لأنك عاشرت نساء أوروبا ، حيث لا زواج صحيح وخيانات زوجية .. بعد حين ستعود روحك إلى هنا .. وأنا أقول مبارك لك يا فايزة .. وعليك الاهتمام بكل النصائح التي سمعتيها من أبي وأمي وحتى سعيد

شكرتها ، وسمعت أزرق يهنئ قائلا : لم يبق إلا أنا .. أهنئك يا أختي العزيزة .. وأتمنى لك رحلة سعيدة مع السيد سعيد .. هو على الإجمال هادئ عندما يكون هادئا .. وهو فهمان وذكي لولا الثورة التي تجتاحه في بعض الأحيان .. وأستاذ رياضيات مادة الأذكياء .. فهو جارنا وأستاذي القديم في الوكالة.. وأرجو أن لا يظنك أم العبد .. كتب له أحد التلاميذ في صف من صفوفه على قصاصة ورقية .. يقال في الأمثال ذيل الكلب لا يعتدل هل هذا المثل صحيح يا أستاذ ؟ هو ذكر لنا ذلك .. وقال متحديا : لو عرّفني هذا الطالب على نفسه فليعتبر نفسه ناجحا في مادة الرياضيات الحساب والهندسة والجبر

قالت فايزة: شكرًا يا أزرق .. باب التوبة مفتوح .. والصلاح يحتاج لبعض الوقت .. والرجل من أهل الصلاة .. وقد سمعنا عن فاسدين وصاروا صالحين

قال حلمي: مبارك يا ابنتي يا فايزة .. إخوتك يحبون لك الخير والكرامة، وأيام ضرب النساء أخذت تولي .. وكل إنسان فيه الخير والشر .. فتارة هذا يقوى وتارة أخرى الآخر يقوى وأحيانا يتوازيان .. والصبر حلّال المشاكل والمصائب .. وغدا أيها الشباب إما أن أتصل بسعيد على المدرسة ليقوم باللازم وحسب العادات المتوارثة ، وإما أن

أترك خبرا في بيت أختي أم راجي .. وإن شاء الله تسير الأمور على خير ما يرام .. وتعشين معززة مكرمة ، وتنجحين في الحياة مع سعيد وأولاده .. وعرفنا الكثير من الحكايات عن بنات ربين أبناء أزواجهن .. وكانوا لهن كالأبناء من أرحامهن .. وستعودين للمخيم الذي تحبين .. ويبدو أنه لم يهن فراقه عنك وعليك ونحن هنا كأننا في المخيم ؛ لأن الكثير من العائلات هنا بدأت في المخيم

قالت فايزة بحياء: ربما لا نبقى في المخيم ، لقد سمعت جميلة تقول : إن سعيدا قد يغادر المخيم فهو ينوي شراء بيت ؛ لكنه قريب من المخيم ليبق قريبا من والديه

قال حلمي متشككا : أنا سمعت منه هذا الكلام قبل موت زوجته أم العبد ، وكان يقول ذلك عندما يتضايق من أمه وأبيه .. يهددهم بالرحيل .. وأكثر إخوته خارج المخيم .. العائلة لما تكبر لا يسع السكن .. واليوم الأثاث أخذ يزيد .. لم نكن نهتم بكنابيات غرفة الضيوف .. فرش على الأرض .. لم يكن طاولة سفرة لدينا كاليوم

قال أزرق : على كل حال سعيد زبون عندي .. لا يحب إلا أن يصلح

سيارته عندي ؛ لأنني كنت تلميذا عنده في يوم من الأيام .. وهو يدفع الأجرة دون مماطلة .. المهم أن لا أغشه في التصليح .. وهم يتمسكون ببقائه في البيت ، لأنه الكبير ، ومن أجل المدرسة القريبة

قالت الأم: عادة الكبير من المستحب أن يبقى مع الوالدين هي عادة حسنة ؛ لأنه كبير الأسرة بعد الأب .. اليوم الناس تبتعد عن هذه التقليد .. الكل يبعد وينفرد .. كان الكبير السيد في البيت ..اليوم الجد في غربة

قالت عبير: الزواج نعمة من نعم الله علينا كما نقرأ في القرآن ، نتمنى لك التوفيق يا أخت فايزة

***

لم تكمل فايزة الشهر الثالث في أبو خروف حتى كانت تعود إلى المخيم كزوجة لسعيد عبد القادر وهي كانت زوجة مع رجل آخر لمدة ثلاث سنوات ، وطلقت كما يعرف القارئ ؛ لأنها لم تحمل خلالها من زوجها ، فكان مصير الزواج الانفصال ، لم تعد أمه تحتمل عقمها وتأخرها في الحمل فإن للإنجاب في المخيم شأنا كبيرا ، وهو في غاية الأهمية لهؤلاء اللاجئين ، فهو من القضايا الكبرى عند تلك الأسر ، رغم أنهم لا يملكون أراضي للزراعة كما كانوا أيام البلاد ، فالتنافس بزيادة المواليد على أشده بينهم ، ربما تنشأ هذه اللهفة عند الناس عندما يتعرضون للإبادة والحروب ، فترتفع نسبة المواليد ، فالشعب الفلسطيني فقد الآلاف المؤلفة أثناء أحداث النكبة المشهورة في التاريخ المعاصر قد يصل العدد إلى

خمسين ألف نسمة ، وألمانيا واليابان رغم الموت الكثير أثناء الحرب الكونية الثانية فنسبة المواليد ارتفعت قبل أن تستقر وتهبط ..وكانت نسبة الوفيات عالية على مستوى العالم قبل تقدم طب الأسرة والتطعيم ، ويكون التطعيم من الأيام الأولى للولادة ضد الأمراض الكاسحة .. فكانت الحصبة لما تمر ببلدة كالعاصفة تفتك في الأطفال .. ولله في خلقه شؤون . ولما انتهى السيد حلمي من تزويج فايزة المفاجئ والسريع فكان يتلهف لتزويج الذكرين ، تقاعد الرجل المستأجر أبو باسل ، وطفق يعمل بإجراءات التقاعد بإبراء الذمة من دوائر الحكومة ؛ ليرحل إلى بيته في الريف ، حيث أهله وأقاربه ، وقد عاش في أبو خروف عشرين سنة أكثرها عند حلمي

كان أسمر ذات مساء يدخل أحد المطاعم وبصحبته فتاة يبحثان عن طاولة خالية ، فرأى عبير شقيقته جالسة مع شاب وفتاة أخرى يتناولون الطعام ، وكانت مندمجة في الحديث معهما ، كأنهم يناقشون موضوعا هاما ، فلم تهتم بدخوله ، فاستدار قائلا لرفيقته : لنخرج لا أراه مناسبا للعشاء والجلوس

وعاود النزول للطابق الأسفل ، مرتبكا بدا للفتاة ؛ ولكنه الداعي ، فتبعته بصمت دون تعليق وتركوا طابق العائلات ، فبعض المطاعم تحافظ على هذا النمط وتخص العائلات بقسم من موائدها وحجراتها ، فلما صارا في الشارع قالت الفتاة: هل من شيء ؟! ليست أول مرة نتعشى هنا !

- رأيت شخصا ، ولا أحب أن أراه

- شخصا .. من هو؟!

- ليس مهما لك

- ذكر أم أنثى؟!

- فارة لا دخل لك .. ذكر أم أنثى

- لا تغضب أنا آسفة

- شخص لا أحب أن يراني

وتابعا المسير بحثا عن مطعم آخر ، ولما جلسا وطلبا حاجتهما ، قالت فارة: هل صحيح أنك ستترك العمل ؟

- ربما ، هناك مشاكل كبيرة في المصانع والإدارة .. قدمت أوراقي لشركة ومصانع أخرى والراتب أعلى قليلا .. بعض المهندسين القدامى لا يحبون إتاحة الفرصة للمهندسين الجدد .. ومدير المصنع لا يريد التفريط بهم .. ففي المصانع الجديدة تعطى لمثلنا الفرصة أكثر من المصانع القديمة

- وأنا ؟!

- سنبقى أصدقاء

- ستصير حياتي خرابا

- وهل تظنين أنك الوحيدة في حياتي ؟ دعك من الفهلوة أتعلمين أن السيد الوالد يضغط عليّ

للزواج منذ جئت البلد؟
- تزوجني ، وسأكون مخلصة لك
- أنا لا أثق بأي امرأة .. دراستي في شرق أوروبا علمتني أن لا أثق بأنثى .. نصادق فتاة ونظنها أشرف من مشت في الأرض ، ثم نعود للسكن نجدها في حضن آخر حضن زميل .. الشيطان أغواني هكذا تقول .. أنا آسف حبيبي أنا ظننت أنك ستتأخر .. تلوم المجيء على غير الوقت ..
فهل أنت كل هذه السنوات لم تعرفي غيري؟!
- أنا لا أزعم ذلك .. أنا لما وجدتك لم أخرج مع غيرك .. هذا طريقي في الحياة رجل واحد
- كذابة
- أنا!
- طبعا أنت.. أنا أصاحب البنات للتسلية ، ليس للحب والزواج.. للتسلية فقط .. وأنت تعرفين هذا من أول ابتسامة بيننا .. فالسيد جلجل تعشى معك من أيام
لزمت الصمت فقال : أرأيت ؟! الشباب تتحدث وقضيتم ليلة سكر وعربدة فريدة من نوعها
- أوه ! أهو حدثك بذلك ؟ كذب
- أنا لا أغار ..كما أسمح لنفسي بالجلوس معك ومع غيرك .. فعليّ أن لا أغار .. وأنا أرفض الزواج لأني ضعيف من ناحية النساء .. فقد تعودت على معاشرة العدد منهن خلال فترة الدراسة .. لا أصدق امرأة وأعيش على واحدة .. فالزواج مشكلة وتقييد للحرية في نظري
جاء الطعام بعد هذا الحديث الساخن ، واشتغلت الأفواه وخيم الصمت ، ولما اقترب الختام قال: لا تحزني تمتعي ومتعي شبابك والتغيير أفضل لك
- هذا غير مهم يا أسمر .. المرأة تحب الاستقرار والبيت والأسرة .. هذا العبث لفترة ، ثم يأتي الندم .. ويهرب الرجال .. هناك الجديدات
- إذن عليك أن ترسمي على شخص مسكين .. يبحث عن فتاة مع مالها .. تعمل في مصنع مثل فارة .. ويشتهي المال قبل أن يشتهي الجسد
- لي خمس سنوات أعمل في المصنع كمهندسة .. لا يرون فيّ إلا الجسد .. وأنت على رأسهم
- أنت فرطت فيه
رحل المستأجر الطابق الأرضي ، وأعاد حلمي تهيئة الشقة للنزول والعيش فيها ، ليرتاح من صعود الدرج ونزوله ، واعترف بأن الكبر عبر ، وأن الوهن دب في بدنه ، ولما انتهى من أعمال الصيانة والطراشة استعان ببعض العمال والحرفيين ونقل الأثاث من الأعلى للأسفل ، ولما جهزت انتقل إليها ، وعقد اجتماعا هاما في نظره مع أفراد الأسرة معلنا لهم رغبته الجازمة والحاسمة بتزويجهم في مطلع الصيف القادم على الأكثر ، وقبل أزرق بالزواج وكلفهم بالبحث عن امرأة

تقبله شريك حياة ، واعتذر المهندس لأبيه قائلا: أنا لا أحب أن ارتبط بعقد زواج يا أبي .. فدعني على راحتي أتزوج وقتما أشاء .. وإذا صممت على زواجي أقول بصراحة ؛ كأنك تطردني من العيش معكم .. سأترك الحي وأرحل

قال حلمي: يا ولدي أنت ببلد شرقي وعربي وإسلامي .. ولا تظن أنني لا أعرف أنك ترافق بنات الهوى والليل .. فالناس في بلادنا تتكلم منذ كنت في المخيم والناس تهمس في أذني زوج أولادك يا حلمي الريحة فاحت .. فلان رآك مع فلانة ، وآخر رآك مع أخرى .. أنت لست في أوروبا والنساء مشاع .. للبنات هنا أهل وأخوة يتأثرون بأخطاء البنات وأفعالهم .. هناك لا يهتم الأخ بفعل أخته وشرفها

قال أسمر بضيق واضح : أنا قلت لك أعتبر كل النساء غير موثوقات لمَ رأيت هناك ، ولمَ اسمع هنا .. فلماذا أربط نفسي بواحدة منهن ثم اكتشف خيانتها ؟

صاح حلمي: هذا كلام فارغ.. الناس ليست ملائكة منزهة عن الشهوات .. والفساد يحدث في كل الدنيا وحسب مقاييسهم ونظرتهم للحياة .. الزنا موجود ولا ينظر إليه الناس نفس النظرة.. تسقط بعض النسوة في الرذيلة لأسباب متعددة ؛ لكن أغلب النساء في بلادنا صالحات.. تنتشر بعض الفضائح هنا وهناك ؛ إنما هي قليلة .. أما أولئك فلا يعتبرون علاقة امرأة برجل خارج الزوجية خيانة.. فتمر بدون فضائح .. فهذه أمك وخالتك وأختك أترى أنهن خائنات؟! فكذلك الآخرون لا يرون في بناتهم وأقاربهم ذلك

تبسم أسمر وألقى نظرة خاطفة لجهة عبير وقال : إنهم هم القليل .. لماذا تريد ربطي بأنثى أصرف عليها وأنفق عليها وهي تخزن مالها لغيري؟!

- من أين يأتي الأولاد ؟ هناك اللقطاء الدولة تتبناهم وتربيهم حتى أنهم في الغرب يأخذون الأبناء من آبائهم إذا أساءوا إليهم.. ألا تريد أن يكون لك ذرية؟!

- لا ، ولماذا الأولاد؟! بصراحة أنا تعرفت على أكثر من أنثى ، وتثق بالفتاة أنك الوحيد في حياتها ، وتتخذها صديقة على أمل الزواج منها عند التخرج عند العودة .. وقد تصادق أخاها وقريبها ، وتأخذك لبيتها ، وتتعرف على الأب والأم ، وتفاجأ بها في حضن صديقك في السكن أو الجامعة .. فما دام هناك بنات ليل يبعن أجسادهن بدراهم ولقمة طعام في مطعم أو خاتم من نحاس فلماذا يتزوج المرء؟!

- هذه القصص والحكايات تجدها في كل بقاع الدنيا ، وهذه من مهمات الشيطان .. فالخير موجود والشر كذلك .. فالنكاح حلال والزنا حرام ..

أنت التقيت بالنساء السيئات تريد منك اللذة وغدا سيرحل ويعود لبلده .. فلماذا تتمسك بك؟!
انظر إلى أمك وعمتك وخالتك الصالحات من نساء المسلمين .. لا يخفى شيء عن أعين الناس
– صدق يا أبي أني لا أرغب بالزواج ، ولا أريده .. فليتزوج أزرق وينجب لكم ألف طفل .. وإذا وجودي بينكم يسيء لسمعتكم فعندما استلم العمل في المصنع الجديد مصنع الأدوية سأفارق حي الشرفاء وأسكن في حي التعساء
قالت أمه: وهل هذا حل؟!
تنهد وقال : هذا هو الحل .. أنا أصاحب بنات الهوى .. أتريدين أن آتي بهن إلى شقتي .. ويتحول بيت حلمي عيسى إلى مأخور دعارة ؟!
قال حلمي: الفتاة التي جاءتك قبل أيام ماذا كانت تريد منك ؟!
– هذه الفتاة تعمل في المصنع ، علمت أني مريض أحبت أن تطمئن عليّ
– هذه الحجة فقط يا أسمر .. البعض يعرفون أنها فتاة غير طاهرة الذيل
– صدق أنها تعمل معنا في المصنع
– تعمل في المصنع ؛ ولكنها تمارس البغاء ، وهي معروفة لأهل أبو خروف ، وهي درست في كلية الهندسة ، ثم طردت ، ولم تحصل على الشهادة .. اسمع إذا رفضت الزواج يا أسمر فعليك أن لا تجاورني .. أنا راجل طول عمري أصلي وأعبد الحي القيوم .. وأنا نصحت لك قبل الهجرة بحجة العلم والشهادة أن تبتعد عن النساء والكحول والمخدرات .. أعرف لماذا سافرت ؟ سكرت وما زلت تسكر .. لا خوف من الله ولا خوف واحترام لأبيك.. فسكرت وزنيت قلت لما يتزوج يعقل .. والمخدرات لا أدري هل تعاطيتها أم لا ؟
– الفساد موجود في كل البلاد ، وحتى المخيم الذي تراه الجنة .. فيه الفجور والخمور والمخدرات
– المخيم مثله مثل باقي المدن والبلاد .. الناس ليست ملائكة ؛ لكنهم يتوبون ..نحن ندعوك للتوبة والأوبة والعفة .. يكفي ما ارتكبت من آثام ..والكفر والشيوعيون موجودون وأفسدوا على الناس دينهم وأخلاقهم
– يعني لو تزوجت يا سيد حلمي لا أستطيع الزنا
– الزنا الذي نعرفه معاشرة بدون عقد شرعي .. فسمعتنا تهمنا وعشنا عليها كل هذه السنين الحرية التي تنشدها ليست حرية بل هي فجور وانحلال .. هذا الوضع لا يرضيني
– حسنا! سأرحل أنا لا تهمني هذه السمعة والبعد عنكم يبعد عنكم الإساءة للشرف والسمعة اللتين ترغبان بها ؛ كأن الذي يسمع حديثنا يظن أني كل ليلة في حضن بائعة هوى

- الناس ترى وتتكلم .. اسمع بصراحة لقد رآك أحدهم في المخيم .. وأنت تتسلل يا شجاع إلى إحدى البيوت المشبوهة ، ورأوك تخرج من بيتها عند الفجر وغضضت الطرف

- ما دامت هي تقبل فلماذا أرفض ؟! والأمر لا يكلف مالا .. امرأة تبيع جسدها بدينار

- تبيع جسدها للفرجة والخونة لزوجاتهم .. بعض النساء لا تسمح للطبيب بمس يدها .. تطلب أنثى تكشف عليها .. هذه الإباحية تخرب البلاد ، وسيدفع الناس الثمن .. ها هي لبنان تدفع الثمن .. الشباب الفاشل يتبع الشهوات والانحرافات الجنسية

أسمر وعبير

كان حلمي كما ظهر لنا يعرف سوء أخلاق ابنه الكبير وفساده حتى أثناء الإجازة التي كان يقضيها في البلد أيام الدراسة ، هو فعلا لم يكن يرغب بسفره لأوروبا الشرقية حيث تأخذ الشيوعية الماركسية مجدها ؛ لأنه لم يكن ملتزما بالصلاة والصيام وشعائر الدين ، ولا يمارس هذه الطاعات منذ دخل في عمر المراهقة ، كان لحلمي أمل بصلاحه بتقدمه في العمر ومناكفته الحياة وفهمها ، والنجاة بعد غرقه في أوحالها ، ثم يكون الحل بالزواج الشرعي ، فيبتعد عن الخمر والنساء بائعات الهوى

ومهما حاول الفاسق والزاني إخفاء جرائمه لابد أن تشيع بين الناس إذا تكررت ؛ لذلك كان مصمما على تزويجه بعد تركهم المخيم ؛ لعل الزواج يصلحهما وخاصة أسمر

أما أزرق فهو كأخيه لم يكن متمسكا بأهداب الدين وشعائره ؛ ولكنه بعيد عن جو النساء والعربدة ، وسعى الأب سعيا حثيثا إلى تزويجه منذ فتح المحل أو ورشة تصليح السيارات ، والشاب أبى الزواج قبل شقيقه الأكبر ، وهو أيضاً لم يتفاجأ بما تكلم به أبوه وأسمر ، فقصة تسلل أسمر إلى بيت تلك المرأة الماجنة شاعت في المخيم ، خاصة الشوارع القريبة من بيتها ، وتلك المرأة كانت امرأة سوء معروفة للسكان ، وكل من يقترب منها يتلوث ، وهي لا تدخل لبيتها رجلا إلا بعد منتصف الليل ، فالكثير يعرف سيرتها القبيحة ، وهي أرملة منذ زمن بعيد كان لها ولد وحيد ، ثم هلك قبل أن يشب ، وهي امرأة غير سوية ، ولا تبالي بكلام الناس ، فأصبحت مع الوقت مبتغى كل فاجر أو فاشل في الحياة الزوجية .. فقصة اتصال أسمر فيها عرفت .. والمهندس بعد عودته من الدراسة ومعاشرته لأولئك الناس لم يعد يبال ويهتم بكلام الناس بهوس الحرية الجنسية والإباحية التي تجتاح العالم .

لما خرج المهندس إلى شقته فوق تبعته عبير ، فلما

صارا في جوف الشقة قالت في نبرة غاضبة: كانت عيناك تخاطبني كلما جاء ذكر خيانة النساء والزوجات أثناء حوارك الحاد مع أبي؟!

تبسم لها وقال: أترين أن هناك أمرأه صالحة وشريفة في هذا الكون؟

- أجابك أبي أمك خالتك - وأنت؟!

- وأنا .. هل رأيتني في حضن رجل يا أسمر؟ أريتني اعرض جسدي في ملهى ليلي في حانة من حانات المدينة؟!

صمت لحظات قبل أن يرد قائلا : لا ، لكني رأيتك مندمجة مع شاب في المطعم الأزرق

- وهل هذه جريمة في نظرك عندما آكل مع زميل لي في الجامعة وزميلة؟! لقد لمحتك ورأيت صديقتك فارة .. وكنت أنوي أن أحدثك عنها عندما تستقر جالسا ؛ لكنك هربت كالأرانب خجلت أن ترى أختك مع شاب في مطعم كبير وعام .. أليست فارة التي كانت معك ؟! وأليست هي الفتاة التي جاءت تزورك من أيام ؟ عندما مرضت وغبت عن عملك .. وطلبت لها العشاء من أحد مطاعم أبو خروف .. إنها مومس معروفة يا سيد أسمر

فرد بدون حياء وخجل من شقيقته فقال : وأنا للأسف أعشق المومسات ، فهن خبيرات في مضاجعة الرجال

لم تتأثر بوقاحته فقالت : لكنك هربت لما لمحتني ، حتى هممت أن ألحق بك .. أنت الذي تزعم نفسك حرا خجلت من رؤيتي مع شاب

- لم أحب إحراجك فقط

قالت بنبرة تهكمية : وهل إذا جلست أختك مع شاب معها في الجامعة إحراج ؟ فلماذا نذهب للجامعة ؟ فالجلوس مع الطلبة والشباب أمر مقبول في مجتمع الجامعة المهم الأخلاق

قال حائرا : لا أدري لماذا ارتبكت؟! حتى أن فارة دهشت من تصرفي

- لأن الدم الشرقي ما زال في عروقك .. ترضى لنفسك مالا ترضاه لأختك وأمك

عاد للصمت عدة ثوان كأنه يفكر : وأنت من أين تعرفين فارة ؟! أنا عرفتها ؛ لأنها تعمل معنا في المصنع

- فارة عملت في المصنع لتتعرف عليك

- كيف ؟! أنا في حيرة ودهشة حقيقية يا عبير

- فارة معروفة في المخيم ، معروفة في أبو خروف ، فارة كانت زوجة ؛ لكن جسمها النحيف يظهرها كفتاة صغيرة السن .. فارة سكنت المخيم ، ولكن لما فاحت سيرتها السيئة رحلت ، فنحن نسمع ونعرف عنها ، ونحن طالبات في مدرسة إناث المخيم ، وأنت تدرس في يوغسلافيا وأنت تعلم أن أصحاب المصنع من أهل المخيم

- فعلا السيد طارق حدثني أنه عاش فترة في المخيم
- والده ما زال فيه وأعمامه
- وأنا أبي أرسلني إليهم ، وهم كلموا طارق بتعييني
- وفارة تعمل في المصنع لمعرفتها الشخصية للمدير ، فهو مثلك ذو سمعة سيئة ، وهو أحد عشاقها القدامى

أخذته موجة من الضحك العالي لفترة وقال: ألم تسمعي أقوالي لأبي؟ .. النساء ماكرات ؛ لأني لا ألتقي بواحدة منهن وأثق بها إلا وأجدها خائنة .. أنا آسف يا عبير صدقي أنا لم أرد إحراجك ولم يقع في نفسي سوء بينك وبين الشاب .. كانت معكم فتاة أخرى.. ومع ذلك هذه حياتك.. أنا تركت الشرف في بلغراد ، لماذا لا نكون مثلهم؟

- لكنهم يقتلون نساءهم للشرف
- يحدث هذا في الريف حيث التقاليد البالية

بكاء حلمي

لما انتقل أسمر حلمي إلى مصنع الدواء كمهندس الآلات وماكنات ترك بيت الأسرة على الفور وقد حاولت أمه ثنيه عن الرحيل في محاولة أخيرة ، فكان رده قاسيا فقال : زواج نو (لا) يا أمي .. عندما آتي برفيقة لتبات معي في الشقة أتتحملين ذلك؟

فبصقت في وجهه فورا وقالت: نذل ! ليتني لم ألدك .. احذر أن تمشي في جنازتي .. إنك نجس أنا المرة الماضية صمت قلت لعلك تراجع نفسك .

قال حلمي : مع السلامة يا حضرة المهندس .. لما تصير إنسانا عاقلا سويا لا تعتدي على أعراض الناس ستجد البيت مرحباً بك مفتوحا لك

فقال وهو يمسح البصقة عن صباحه : وأنتم إذا مت وسمعتم بموتي فلا داعي أن تهتموا بجنازتي .. أنا عشت سنوات في صربيا دون وجود أب وأم وأخ واخت

اغلق حلمي الباب بعنف ، ودخل مكتبه وبكى قليلا ، ثم خرج وغسل وجهه ، فوجد بهيجة باكية فقال: لا تحزني يا بهيجة ! أنا يئست منه منذ ترك التدريس وسافر إلى أوروبا قلت يومذاك هنا وفسد فكيف هناك ؟! نحن لن نحتمل فجوره وانحلاله وكفره .. إنهم يذهبون لطلب الشهادات في بلاد متقدمة ليعودوا لتطوير البلد .. فيأتون فاسدين ضالين وينشرون الفساد في بلادهم .. لما محمد علي أرسل المصريين لفرنسا يتعلمون الهندسة والطب عادوا لنا بالمسرح والفن والرسم والنحت .. وهذا ديدن شبابنا .. وبعد زواج أزرق ـ إن شاء الله تعالى ـ علينا السعي لبيت الله الحرام لتختم حياتنا بالحج ..فقد حان الوقت

.. فشقيقي مروان يريد ذلك أيضاً ، ونوى عليه ، وشاورته في موضوع أسمر فقال : دعه يفعل ما يشاء .. ابنك كبير يتحمل مسؤولية نفسه، وعلاجه الزمن

قالت مستفهمة : وزواج أزرق ؟!

– صديقنا سلمان أبو يوسف جار أخي مروان مهتم بالأمر ، بل حدد لي الخميس القادم مقابلة من أجل هذا الزواج .. لسلمان رجل فاضل ومن قدماء السكان في حي أبو خروف ..

وذكرت له الصفات التي نحب أن تكون في البنت .. متربية صح وقادرة على الحياة الزوجية

– وشقة المنحوس ماذا ستفعل بها؟

– سعيد زوج فايزة طلب السكن فيها ، يريد أن يترك المخيم ، وسيستولي أخوه الأصغر على بيته والعيش مع الوالدين أو قربهما .. فأم سعيد لم تعد تطيق أولاد سعيد .. فهو كما تقول يكرهونها بعد موت أمهم ؛ ولكني وعدته بالبحث عن شقة في الحي خشية أن يعود المهندس آسفا نادما ؛ لأن فشله في الحياة وارد

قالت متشككة في عودته : مخه مثل الحجر ، لقد خبرناه قبل سفره وتعلقه بأوساخ أولئك القوم لن يرجع ابني واعرفه

– هل قصرنا يا بهيجة في تربيته؟!

– كيف قصرنا يا رجل ؟! لم نحرمه من شيء .. لا من مال، ولا من طعام ..كنا نعطيه مصروفا أكثر من أقرانه

تنهد حلمي عميقا وقال : كنا نغض الطرف عن مصاحبته لفتيات المخيم .. ونقول صغير لما يكبر

– أذكر لما قبل ابنة أبي ضحى أنك شبعت منه ضربا ، وكسرت عصا المكنسة على عظامه

– ولما كان يدخن صمتنا

– نصحته وقلت له أوله دلع وآخرته ولع .. فكان يقول الأستاذ يدخن وفلان يدخن وأبي يدخن فاضطر أن أقول له لما تكبر وتشتغل دخن .. وأكثر الناس تدخن .. واليوم نرى البنات صرن يدخن

قال حلمي بشعور النادم : أنا تورطت منذ الصغر في الدخان ، وتهاون المجتمع في تعاطي الدخان لم أتورط بالزنا والخمر .. وكنت أحتقر كل من يفعل ذلك من شباب المخيم ومن يشتهر بفجوره الدخان قضية تهاون بها الناس ..وأذكر في أول سنوات الوكالة أنها كانت تصرف للناس علب دخان لينفسوا عن غضبهم وبسبب فقرهم .. لم نكن نعرف ضرره مثل اليوم .. والحمد لله لي عشر سنوات لم أدخن من تلك المرضة التي تذكرينها .. فحرمته على نفسي ؛ ولكن الدخان ضرره أقل من الكحول والزنا.. لو وقفت على الدخان لهان الأمر .. شر أهون من شر .. ها هو أزرق يدخن ؛ ولكنه أصلح من أسمر لا يسكر ، لا يعرف طريق النساء

.. عساه بعد الزواج أن يعود للصلاة والصوم كما كان أيام الطفولة

– من ناحية التدين أصلحهم في ذريتنا فايزة منذ تعلمت الصلاة والصوم وقراءة القرآن وهي تحافظ على كل ذلك .. أما عبير فتصلي متقطعة ، ولا أظنها تصلي في الجامعة .. أما الصوم فهي ما زالت تحافظ عليه

فقال ويصحب سؤاله قلق : أتحدثك عن حياتها في الجامعة ؟!

– تقول إنها سعيدة والعام المقبل في الصيف ستتخرج بإذن الله .. والأمور معها تسير على ما يرام

– ليس لنا إلا نقول ستر الله عليها ووفقها في جامعتها وحياتها ورزقها الزوج الصالح .. يا بهيجة حياة المخيم تحتاج لبعض الخشونة .. فالعيش صعب ويحتاج لصبر ومجاهدة .. الفقر عدو للإنسان ؛ إنما بعد عشرين سنة من التشرد والضياع أوضاع الناس أحسن حالا .. تعلم الشباب وبعضهم سافر الخليج العربي حيث النفط والثروة .. وبعضهم هاجر أوروبا وأمريكا حيث الثروة أيضاً .. ولم ينسوا أهاليهم

– ابن أختي الذي سافر أمريكا لم يعد

– ولماذا يعود ؟! وهو يرسل لأهله المال باستمرار .. وعلم بعضهم بعضا

– لكنه لليوم لم يتزوج

– سوف يتزوج .. هناك ناس يتزوجون على كبر ، ويخلفون واحدا أو اثنين فقط

زواج أزرق

أعطى سلمان السيد حلميا عنوان أسرة متوسطة الحال ، لديهم فتاة تصلح للزواج من ابنه الميكانيكي ، ومساء الخميس أخذهم صالح كمال إلى ذلك العنوان ، فصالح أصبح تحت الطلب للسيد حلمي الذي لا يحسن قيادة السيارات ، وأزرق يملك سيارة صغيرة ؛ ولكنه غير متفرغ للبيت بحكم العمل ، ذهب حلمي وزوجته وابنته فايزة التي لبت النداء للمشاركة في رؤية العروس المتوقعة ، لم تكن العروس من أهالي أبو خروف ، إنما عن طريق قريب لها من رواد المقهى ، وصحبهم سلمان في هذه الرؤية

استقبلهم والد الفتاة وزوجته ، ومشت النساء إلى حجرة النساء ، وجلس الرجال في غرفة الضيوف ، الرجل وابنه الوحيد وشقيقه ، وذلك حسب ترتيب سلمان يوسف ، حدث التعارف وسمع القوم قصصا تعرفهم على بعض ، ووجد حلمي نفسه يعرف بعضا من أقارب محمد علي وله قريب يسكن في المخيم ، تذكره حلمي ، فالمخيم الفلسطيني ولاد ، وله استيعاب محدود من البشر ، فالجيل التالي الذي يتحسن وضعه المادي يهجر

المخيم إلى أحياء قريبة من المخيم ليبق قريبا من والديه وأسرته الكبيرة ، وبعضهم استقر في أحياء راقية إذ فتحت عليه الدنيا ، والفقير والمتوسط الحال يرتفع البناء عنده لأعلى أو يشتري بيتا آخر ويضمه لبيته أو يرحل إليه ابنه المتزوج .. المخيم له سعة وطاقة معينة من البشر ؛ لذلك كانت تقام بيوت عشوائية حوله غير خاضعة لمدير المخيم وخدماته ، وتغض البلديات الطرف عنها إلى حين

ولما انتهت النساء من رؤية الفتاة غادر القوم بيت محمد علي مع صالح كمال الذي عرفناه في بعض حكايات أبو خروف كسائق .

ولما مشت السيارة قال الحاج سلمان الجالس بجوار صالح وحده ، فسيارة صالح تستطيع حمل خمسة ركاب : آ .. يا أم أسمر كيف ترين العروس؟

تنحنحت أم أسمر وقالت : ناس طيبون يا أبا يوسف البنت عمرها ستة عشر عاما ، تركت المدرسة من سنة .. ليست بيضاء البشرة ، وما هي بالبدينة ولا النحيفة .. حلوة بشكل عام

ويبدو أنها متربية جيدا .. تبقى رؤية الولد يا عم سلمان .. يا بركة أبو خروف

أثنى سلمان على أم أسمر وقال : فليأت أزرق لمشاهدة الفتاة .. وها هو البطل صالح عرف البيت والناس بسطاء يريدون الستر .. والبيت رقمه خمسة .. فالسيد محمد علي أكرمه الله بسبع بنيات وولد واحد الذي جلس معنا .. وهو في الجامعة هذه الأيام .. الآن الكرة عند أزرق يا أم أسمر

قال حلمي: أتعبناك معنا يا حاج سلمان

– أبدا نحن في خدمة الأجاويد .. وأنت أخ عزيز يا حلمي .. وأنت اليوم

جارنا بلحمك ودمك .. ولا تنسى مساعدتك لنا في حل المشاكل التي تكون بين الحي والمخيم الله يبارك في زواج الشاب

– غداً يا صالح مر علينا .. وستكون أم أسمر وأزرق في الانتظار

قال صالح : ربما يريد أزرق أن يذهب بسيارته

– ستذهب به أمه إن شاء الله

قام أزرق في الليلة التالية عند الغروب بالذهاب ، ومعه أمه وأخته الثانية برفقة صالح الذي وضع نفسه تحت خدمتهم ، وقدمت لهم الفتاة القهوة ، وشربها أزرق وسمع الفتاة ترحب به فقالت أمه: هذه هي العروس يا أزرق .. تطلع فيها جيدا .. بطة هادئة .. أبو أحمد السماك قريبها من سكان المخيم .. وأنت تعرفه حق المعرفة

هز رأسه موافقا على أنه يعرفه ، ورحب بالفتاة ، ثم قال: أنا أستحي من النساء أكثر من الطبيعي هكذا يقولون عني .. لما تحضر سيدة لتصليح سيارتها أترك المهمة لشريكي ما اسمها يا أمي ؟

قالت أمه : قلت اسمها عالية عالية
قالت الفتاة : نعم ، اسمي عالية محمد علي
قال: كيف حالك يا عالية ؟
- الحمد لله .. أهلا وسهلا
كانوا يحبون كلام العروس أمام العريس وأهله ؛ ليسمع صوتها بعد أن يرى وجهها وكفيها وأنها حسناء ليست بعوراء أو عمياء أو مشوهة الوجه ويديها سليمتين ، وليست بخرساء فقال: أتسمحون لي بالدخان؟
وقبل أن يؤذن له كان يشعل السيجارة وسمعها تقول: تدخن يا سيد أزرق!
- نعم ، يا عالية .. الدخان نصف حياتي ..لا أريد أن أقول حياتي كلها .. تشرفنا يا آنسة
حضر الشاي ، ولما شربوه غادروا البيت ، وقام محمد علي وأسرته بتوديعهم وقال: حياكم الله وأهلا بكم ..ويشرفنا نسبكم .. شرفتمونا
قالت بهيجة: بارك الله فيك يا أبا عزيز .. يومان ثلاثة ويكون الرد عند حضرتكم الكريمة ولتسألوا عن حلمي عيسى وولده أزرق
- يا أختي ما دام أنتم من سكان المخيم سابقا ، ومن جيران أبي أحمد .. فنحن نعرف بعضنا البعض .. وأنتم خير وبركة ..وسلمي لي على الأخ حلمي
- شكرًا يا أبا عزيز

ووجدوا صالحا في انتظارهم ، لم يشأ أن يدخل معهم خشية الأحراج ، فقال لهم وهم يركبون سيارته : آ .. يا أزرق نقول مبارك .. أنت معرفة .. لقد صلحت السيارة عندك أكثر من مرة
- تذكرتك لما رأيتك
سنة ١٩٧٨ في نهاية حزيران كان زواج أزرق حلمي من عالية محمد علي ، وأقام حلمي حفلة شعبية ، دعا لها بعض الفرق الشعبية الشائعة بتقديم مثل هذه السهرات مقابل أجرة ، وكان الحفل كما كانت الاحتفالات في المخيم ، اجتمع الناس في ساحة من ساحات أبو خروف القائمة بين المباني ، ونصبت خيمة أو صيوان مصري ، وأقيمت منصة ، وكانت الدبكة الفلسطينية التقليدية مع الأهازيج والأغاني التراثية ، واستمر الرقص والطرب لمدة أيام ثلاثة وفي نهار الجمعة تناول المدعون الطعام عند حلمي عيسى ، وفي المساء ذهبت السيارات للإتيان بالعروس تصحبهم بعض الباصات الكبيرة ، ولما خرجت العروس من الصالون ذهبت لبيت أبيها للوداع ، ثم حملت بسيارة مزينة وبجوارها العريس أزرق ، وحملت السيارات بالعروس وأهلها إلى حي أبو خروف ، ثم صمدت العروس ، وأقامت الفرقة وشباب المخيم زفة العريس ساعة من الوقت ، وأدخل العريس إلى حيث تجلس العروس

مصمودة ، وتقدم الأقارب لتنقيط العروسين أو أحدهما حسب العادة والتقاليد ، وفي الليل انتقلت العروس وزوجها إلى شقة أزرق ، وجهز لهما طعام العشاء ، وبعد إدخاله عليهما ، أغلق الباب على الزوجين في ليلة تاريخية لها رهبتها عند الناس

كان صاحبنا أزرق كما عرفناه على العكس من أخيه أسمر الذي انحرف عن التقاليد والقيم بشدة ، وأصبح يحتقر الزواج والأسرة والتربية ، فكان متعلقا ببنات الهوى لحد أنه يعتبرهن أصدق وأشرف النساء مع أنه يعلم يقينا أن صحبتهن قصيرة ، وله شركاء في جسدهن ؛ لكن لما ينحط الإنسان يصبح يفكر تفكير الحيوان بحق ، وأنها غريزة حيوانية فقط ، وأما الأزرق فكان يرهب الفتيات لم يحاول حتى وهو فتى يافع أن يقلد الآخرين وطلاب المدارس في تكوين صداقات عاطفية ، يسمونها بريئة .. ولا أدري من أين جاءت البراءة ؟ إنه الشيطان يسول ويزين للصغير والكبير ، فلم يكن يؤمن بما يسمى قصص حب وعشق وحفظ الأغاني الغرامية الساقطة والذاهبة في الهواء بسرعة الريح ، حتى أن بعض الفتيات تقربن من أزرق فوجدنه أخجل من العذراء ، فيبتعدن عنه ، لا يصلح للغرام وسرقة خلوات في الشوارع الخلفية والمظلمة ، أما أسمر فكان سيء السمعة منذ دخل المرحلة الإعدادية ، ولما انتقل للثانوية ظل مشغوفا بمطاردة الصبايا باحثا عن الحب ، ولم يكد يتعرف على فتاة حتى يجدها صديقة لغيره ، فيتعقد ثم يبتعد عنها ، ويبحث عن غيرها

وجد الشاب السكينة في عروسه ، وجد المودة والطاعة والحب الصحيح النظيف والعفة والطهارة ، كان يكبرها بسبع سنوات على الأكثر ، كانت طيبة وهادئة كأنها بنت صغيرة ، فلم يجد صعوبة في الانسجام معها ، ويحبها الحب الشرعي الشريف النظيف

تغير نظام العمل عند أزرق كان يعود بعد أذان العشاء ، وتارة ينام في محل الشغل ، أما بعد الزواج فمع الغروب يغلق المحل ، وينصرف الشريكان ، عنده أنثى تنتظر غيبته .. فهو يخرج من الصباح حتى الليل ، وهي تقضي يومها في بيت حماتها ، تخرج عند الظهر لتصنع الطعام إذا لم يقصدا الأكل مع الأسرة الكبيرة بترتيب بينهم .

وشريكه فاضل محمود متزوج ، وعنده أطفال من سنوات، فكان يداعبه: والله صار عندك عيلة

– عيب أن تبقى المرأة وحدها ساعة من الليل يا أبا إلياس

– كلامك عسل ! ألا يكفي أن تبقى كل ساعات النهار وحيدة ؟ أتفطرك قبل الخروج؟

- بنت متربية على الأصول وتعرف واجبها

- ولكن أراك تفطر هنا

قال باسما : العادة يا أبا إلياس .. تسلق لي بيضتين وبعض الجبن وكأس الحليب .. عارفة واجبها آه ما أجمل الزواج يا لعلوع!

- أدام الله عليكم العافية وحسن العشرة .. منذ عرفتك وأنا أقول لك تزوج .. المرأة الصالحة من خير متاع الدنيا

قال أزرق : كان أخي الأكبر في طريقي ، واستحي أن أتزوج قبله

- يا عم ، كان أخوك يدرس في يوغسلافيا .. وها هو ترك الجمل بما حمل

قال مفكرا في حال أخيه : أنا أتعجب من حياة الرجل مع امرأة بدون زواج ! ولا يمكن أن يكون رجلها الوحيد ، لابد أن أحدا قبله نال منها

- هذه عادات أوروبا يا ولد .. الزواج الرسمي يكون في سن متأخرة .. يعاشر الرجل المرأة عقودا من السنين ، وينجب منها أطفالا ، ثم يكتبون عقد زواج شرعي ، ويتحول الأبناء من غير شرعيين إلى شرعيين .. الرجل قد يكون مجرد ذكر عند الأنثى لسنة لشهر .. ويهجرها في أي وقت .. لي أقارب يتحدثون عن هذه العادات .. لكن نحن عاداتنا مستمدة من الإسلام والدين .. نظام الأسرة عندهم رخو .. للزوج أن يطلب من ابنها من رجل آخر أن يغادر البيت عندما يبلغ الثامنة عشرة سنة .. فأسمر نعرفه من أيام المخيم كان صياد فتيات .. وعاش في أوروبا في مثل ذلك الجو الملوث ..فأنا أتوقع أن يهاجر إلى هناك .. عندهم الولد للأم

- والأب

- مع امرأة أخرى



في المدن الكبيرة خاصة العواصم من السهل أن يصاحب الرجل المنحرف امرأة على شاكلته ؛ لذلك لم يكن أسمر يجد صعوبة في التعرف والالتقاء بالنساء الساقطات المنحرفات ، وإن تسربلن بثياب الشريفات والشرف .. الطيور على أشكالها تقع .. فهن موجودات في أماكن انتشار العمالة النسائية في المصانع والمكاتب .. وصارت الفتيات تزاحم الرجال في المسارح والسينما والرياضة والمسابح والنوادي العامة والخاصة .. والذين يركضون وراء الشهوات تتوفر لهم الفرص في المدن كلما كبرت أكثر، فكان من السهل عليه أن يصطاد فرائسه ، ويتقرب منهن ، قد تعرف على امرأة في المصنع الجديد في أقل من شهر .. امرأة تعمل في قسم المبيعات والتسويق والصفقات .. ولم تكن فقيرة جائعة .. كانت

متخرجة من الجامعة وتحمل شهادة في المحاسبة المالية .. وتنقلت في عدد من الشركات ، ولما أعلنت شركة الدواء عن حاجتها لعاملات متعلمات ، فقبلت كموظفة في قسم المبيعات ، ولم تكن عزباء أو مطلقة ، إنها متزوجة ولديها أطفال طفلان جميلان ؛ إنما زوجها يعمل خارج البلاد ، يتردد على المدينة في كل بضعة شهور مرة ، يقضي إجازة قصيرة .. أسبوع أسبوعان أيام معدودة .. ثم يلتحق بعمله ووظيفته .. وهي تسكن شقة في عمارة ، فيها شقيق زوجها مع أمه في شقة في نفس الدور ، فكان الشقيق يقوم على خدمتها هي وطفليها .. تعرف عليها المهندس بالمجاورة في العمل في الشركة الواحدة ففي خلال الشهر الأول لمباشرته العمل تعرف عليها ، وعرف أنها أم ولها زوج يعمل خارج البلاد ، ولا تمانع في مصاحبته ومرافقته ، وهو الخبير في النساء كما يزعم أمام أصحابه .. وعرف غيرها من فتيات الشركة .. فالتعرف على النساء عنده كشرب الماء المرأة هذه سماها أهلها هيفاء .. قبلت دعوته للعشاء مرة وأخرى.. وهي تدخن وتشرب الكحول بدون كثرة كأس صغير .. فكانا بعد مغادرة المصنع يلتقيان في مكان اتفقا عليه خشية أن يلاحظ أحدهم هذا الترتيب ، وتثار حولهم الشائعات ، يفعل ذلك من أجلها ، فهو لا يهتم ، وفساده معروف لكل من يقرب منه ، والمصنع يعمل على مدار الساعة ، ولكل موظف جزء من اليوم والليلة .. ربما يبلغ لعطل معين في الليل ، فعليه أن يذهب للمصنع ، وعادة ترسل له سيارة من سيارات المصنع ومرات يذهب بسيارته .. فخطوط الإنتاج يجب أن لا تتعطل طويلا

وأصحاب المصنع لا يرون حرجا في علاقات الذكور والإناث كعمل ، أما الأمور الأخرى فيطلبون منهم أن تكون خارج الشركة ، من صدقات ودعوات وسهرات ، وبعد حين من الزمن أخذت هيفاء تتردد على شقة أسمر دون حرج ، واستسلمت له في مدة يسيرة ، ونسيت أنها تخون زوجها الغائب ، وربما لم يكن هو أول عشيق لها ، بل إن زوجها لما جاء لقضاء إجازة من إجازاته لاحظ التغير عليها ، وإنها لم تكن كما يعهدها عندما يأتي لقضاء أيام معها سهرات وعشاء .. في مطعم كذا أو مطعم كذا .. في مسرحية على مسرح كذا .. هناك فلم كبير ..لاحظ البرود جهته ، وحتى التبرج لم يجده منها .. فأحس بعد أسبوع أن شيئا غلط في حياتها ؛ لكنه نسبه للعمل والأطفال .. فكانت في إجازات سابقة تلح عليه للبقاء معها ، وأنها تحبه ، وأن يترك العمل في الخارج ؛ لكن بعد صحبتها لأسمر لم تعد تفعل ذلك ؛ كأنها نسيت الشغف والترجي فقد وجدت البديل ، بل لاحظ

الزوج أنها لم تأخذ إجازة يوما أو يومين تقضيها معه كما كانت تفعل في الإجازات الماضية .. الإجازة انتهت وسافر ثانية ، ولما وصل لمكان عمله فكر بذلك التغير ، وبعد شهر عاد للبيت على غير العادة .. كان يغيب بالشهرين والثلاثة قبل أن يعود لقضاء أيام مع الأسرة .. وكانت المفاجأة أنها طلبت منه الطلاق هذه المرة وسبب ذلك أنها سمعت من عشيقها أنها لو لم تكن على ذمة رجل لتزوجها ..وصدقت هذا الادعاء ؛ لذلك لما جاء الزوج ، وحدثها عن البرود الذي عاناه منها في المرة الماضية قالت: مللت من هذه الشكوى أرغب بالطلاق منك .. لم تعد الحبيب الغالي .. حياتي جحيم .. لو أنت تحبني كما تزعم لما

تركتني كل هذه السنين وحدي

أدرك الزوج أنها تغيرت فعلا وجادة في طلب الطلاق والفراق ، وتكره سفره وغيابه .. وسافر دون فعل ذلك ، وأجل الحديث للإجازة القادمة .. وأخبرت عشيقها بأنها تسعى للطلاق ، فلزم الصمت ..كانت المرأة تسكن في شقة في عمارة كبيرة ربما سبعة أو ثمانية طوابق ، وكانت حماتها تسكن في شقة مجاورة مع ابن آخر ، وكان الطفلان لما يرجعا من المدرسة الأهلية بالحافلة يقضيان وقتا عند جدتهما ويتناولان الغداء معها ، ثم عند الغروب قبل عودة الأم ينصرفان لشقتهم ، ومرات يناмان قبل عودتها عندما تتأخر في السهرة مع المهندس أسمر ، وأخذت تفكر بالتعاقد مع خادمة لترعى الأطفال ، فطلب منها أسمر التريث .. فكانت إذا كانت على موعد مع عشيقها تتأخر عليهما بحجة العمل والصفقات

ذات يوم أخذت إجازة على التلفون ، أصيبت بمرض ، ولما علم أسمر بغيابها اتصل بها على البيت يطمئن عليها .. فهي أصبحت جزءا من حياته في الشغل في الشقة في الشوارع .. فشكت إليه الوجع وأنها راجعت العيادة الخاصة بالشركة .. فوعدها بالزيارة بعد انتهاء عمله للاطمئنان عليها

وبالفعل لما هبط الليل والظلام اشترى هدايا مناسبة لها وللطفلين ، وطرق أسمر باب شقتها فاستقبلته كما تستقبل الضيف والزائر ، وجلست معه في صالة الجلوس ، وكانت تلبس ملابس الاستقبال ، وعرفت طفليها على زميلها في العمل ، وشكرته على هداياه لها وللطفلين ، وقضت نصف ساعة معه في الحديث ، ثم داعب الشيطان المرأة ، فدخلت غرفة نومها وحضرت بملابس النوم المثيرة للرجال ، ففهم أسمر الرسالة ونظر للولدين ، ففهمت قبوله بمضاجعتها رغم مرضها وأنها في بيتها ، فأشارت للصغيرين بالذهاب إلى بيت جدتهما لرغبتها بالحديث على انفراد مع

زميلها ، فذهبا على الفور ، وصدقا كلامها ، ولم يستوعبا الأمر ، أغلقت الباب وراءهما وخلع المهندس الجاكيت ، ومشيا إلى غرفة النوم نوم زوجها ؛ ولكنهما قبل أن يمارسا الفاحشة والزنا طرق الباب ، فظنت أن الأولاد عادوا لسبب ما ، فقالت : عجلوا بالعودة

وخرجت بثياب النوم التي لبستها أمام أسمر لتنظر الأولاد وسبب رجوعهم العاجل ، فهي عندما ترسلهم لا يعودون إلا بتلفون خاص منها أو تطرق الشقة على حماتها تطلبهم ، فلما فتحت الباب فوجئت بشقيق زوجها يدخل سريعا ويقول بغضب : أين الرجل الذي عندك ؟ شريف يقول : إن زميلا لك جاء يطمئن على صحتك

صعقت طبعا من المفاجأة ، ولم تحسن الرد ، فصاح الشاب فيها ، وقد سمع صوتا في غرفة النوم ولما سمع أسمر الصوت ظنها تحدث الطفلين الصغيرين ، فأخذ يلبس سرواله مسرعا ، وكان ينادي أسمر عليها ، فنظر الشاب إليها بسخط ، ومشى إلى غرفة نوم شقيقه المسافر ، وشاهد الرجل في ملابسه الداخلية منتظرا العشيقة ..

فصاح فيه: ماذا تفعل هنا يا بطل ؟!

فوجئ أسمر بالرجل ، وفوجئ ثانية بضربة قوية من الشاب ، وبطرحه أرضا قبل أن يكمل لباس السروال والقميص ، ثم ربطه من الخلف ، وذهب إلى المطبخ وجاء بسكين وانهال على أسمر بالطعن والسب حتى انتشر الدم في غرفة النوم ، والمرأة تصيح ، وأسمر يصيح ، ثم رمى السكين أرضا ، وخرج واتصل بالشرطة من شقة أمه ، وجاءت الشرطة فورا والإسعاف ، وكان أسمر في وضع سيء فاقدا للوعي فقد نزف الكثير من الدماء ، ونقل للمستشفى واقتيدت المرأة لنقطة الأمن ، وبعد ساعات مات أسمر متأثرا بالطعنات التي انهالت عليه كالمطر من يد شقيق زوج السيدة هيفاء

وأودعت المرأة الحبس على ذمة التحقيق ، وكذلك الشاب القاتل وعن طريق المصنع عرف عنوان أهل أسمر ، وانتشر خبر مقتل أسمر في بيت عشيقته هيفاء إحدى نساء المصنع ، ورفض حلمي استلام جثة ابنه القتيل إلا بعد أيام ، بعد تدخل الأقارب والأشقاء في أمره، وتم دفنه في مقابر المسلمين على أنه ابن مسلمين ، وجاء زوج هيفاء وقدم استقالته من عمله واتصل بالسيد حلمي ، وقال له: أنا خسرت شرفي يا سيدي ، وأنت خسرت ابنك ..وأنا على استعداد لدفع الدية .

فتنازل حلمي عن حقه الشرعي والقانوني ، وطلقت هيفاء وأخرجت من السجن ، وعادت لبيت أهلها تحمل عارها وفضيحتها ، وحكم على

شقيق زوجها ثلاث سنوات باسم الحق العام للدولة والأمة .. وذهب أسمر حلمي ضحية شهواته ومغامراته ، وقال حلمي : هذه هي نهاية الخيانة ، لم يكتف من بنات الهوى أصبح فاجرا بالمتزوجات .. أنا ذكرت له أننا لسنا في أوروبا كل الشعوب عندها شرف ، ويختلف هذا الشرف من بلد لآخر

خاتمة الحكاية

عرفنا أن السيد حلميا كان يذهب في المساء ويجلس في المقهى حتى يرفع النداء لصلاة المغرب فيدخل المسجد يتوضأ إذا فسد وضوؤه قبل الأذان ويصلي المغرب ، ويمكث فيه حتى يقضي صلاة العشاء ، فيقفل راجعا للبيت .. وذلك أغلب الأيام منذ استقر في أبو خروف وكان في الجامع شاب في الثلاثينات من العمر يجلس بين الصلاتين معلما للناس تلاوة القرآن صغارا أو كبارا يجلسون على شكل دائرة تسمى حلقة ، يجلس الشاب على خط محيطها ويتناوبون القراءة واحدا تلو الآخر ، والشاب الشيخ يصحح لهم أحكام قراءة القرآن .. فقراءة القرآن ليست كقراءة كتاب أو جريدة .. يقرأ الفرد نصف صفحة وهكذا دواليك ، وخلال القراءة يبين لهم أحكام التلاوة وآدابها أو يعقبون على معنى كلمة أو أية .. فيحدثهم عن الإظهار والإدغام والإقلاب والإخفاء وأحكام المد .. ويجري التركيز أثناء القراءة على الحكم الذي وضحه وشرحه .. واهتم حلمي بهذه الدورة الشرعية التي بدأت بعد رحيله بشهر أو شهرين .. فكان حريصا على الجلوس معهم .. والتعلم منهم رغم كبر سنه .. والشاب المدرس يبذل جهده بصبر وجلد وقصارى جهده ليوصل المعلومات إليهم ، ويرى حسن تطبيقهم لها .. فقد أعجب السيد بهذه المعلومات .. هو كان يسمع عن أحكام التجويد ؛ ولكنه لم يبذل عرقا لمعرفتها ومراعاتها عند القراءة ؛ فلذلك كان مبهورا من هذا العلم .

ولما تنته صلاة العشاء فيغادر للبيت ، وقد يأخذ شيئا للبيت من فاكهة من عصير من فول وحمص .. وصل الشقة القريبة من المسجد ليلة بعد وفاة أسمر بأسابيع .. ولما فتحت له بهيجة الباب وجد فايزة ابنته في وجهه واقفة خلف أمها .. فلما دخل وألقى السلام ، وقبلت فايزة يده كعادتها معه ومع أمها ، وعانقها الرجل مرحباً ، ثم تحول مصافحا لسعيد الذي قبل يده وتعانق الرجلان ، ولم يكد يجلس حلمي حتى دعتهم بهيجة لتناول العشاء الذي كان عبارة عن بطاطس مقلية وحمص مطحون وعليه فتات اللحم وبيض مقلي .. ولما انتهى العشاء بعد العشاء عادوا للجلوس في صالة الضيوف ، وتخلل ذلك السؤال عن أولاد سعيد

وعن والده وأمه وأهل المخيم والجيران .. ونزل أزرق وزوجته من أعلى للسمر معهم ، والجلوس مع سعيد ، وكانت جلسة طيبة ظهرت فيها المشاعر الحسنة ،وفجاءة دون سابق إنذار كما يقال هتفت بهيجة: يا حلمي ألا تعلم عظمة الله وأنه أكرم الأكرمين ؟

التفت إليها حلمي وأزرق ودهشا من انفعالها ومن كلامها وقال: وهل من شك في ذلك يا بنت الحلال ؟!

فقالت بفرح طاغ : أريد أن أخبرك أن عالية حامل ، وأن الله سيعوضنا خيرا في فقد ابننا أسمر وفايزة تريد أن تخبرك أن في بطنها جنينا يا حلمي

التفت ملهوفا إلى فايزة: أصحيح يا فايزة أنت حامل؟!

قالت : نعم ، يا أبي لقد تأكد الحمل منذ يومين فقط .. الله كريم

نهض حلمي معانقا لها من جديد ، ورفع بصره ويديه إلى السماء وقال: يا الله يا كريم ! أحلى خبر سمعته من سنين ، بل في حياتي كلها .. يا سعيد مبارك عليكما وعانق سعيدا ثانية

قال سعيد وهو يجلس: الحمد لله .. فايزة بنية طيبة .. وطاعتها لربها كبيرة .. وكان العلاج بسيطا بفضل الله وحده .. بعض الأدوية الخاصة وربنا سهل الحمل .. وبين الطبيب إمكانية تكراره .. وتحتاج إلى أدوية تثبيت

قالت بهيجة : الشكر لك يا الله.. ثم الشكر لك يا سعيد .. الله عوضنا اثنين عن أسمر

فقال حلمي سعيدا : وبمناسبة هذا الخبر العظيم يا سعيد ويا فايزة ، ولما لم يعد أمل بعودة أسمر بعد موته أن يعيش في الشقة فإني أسمح لكم بالعيش فيها بدون مقابل.. ولما تضعي المولود ـ بإذن الله ـ فسأكتبها باسمك يا فايزة يا غالية .. وأنت يا سعيد مثل ابني فعليك تقبل الأمر بدون حرج .. والبيت بيتك .. لن نمن عليك بشيء ، ونحن أهل

تطلع سعيد في عيني فايزة للحظات وقال: أقبل منحتك يا عم ..والشكر لكم .. ونحن أهل

– بارك الله فيك سعيد

وذهب إلى غرفة نومه ، وعاد يحمل مفتاح الشقة ، ووضعه في يد سعيد ، وقال: في أي ساعة شئتم ارحلوا إليها .. فلن يعيش فيها أسمر .. ذهب إلى رحمة الله الواسعة

كررت فايزة تقبيل يد أبيها وأمها تمتم بالشكر ، فقال حلمي: شرف لنا يا سعيد أن تعيش معنا والحياة بقربنا .. وأنا افكر بشراء عمارة بقرشين الوكالة واستثمرها بالإيجار .. فقد أدنت بعضها ..ولليوم لا أحد يسد .. فابن عم لي نصحني بذلك ما تقول يا أبا العبد

– فكرة طيبة .. ربما معاناة الإيجارات أهون من

معاناة المدينين

قال أزرق الصامت بعد ما هنأ أخته وزوجها بالحمل : هذا هو الحل الأمثل يا أبي ! حتى أنا لديّ بعض الزبائن يصلحون سياراتهم على الأجل .. ولا يعودون للأسف .. **تمت**

رواية اجتماعية

ذكريات أخيرة

هذه ليست مذكرات كاملة شاملة أو يوميات إنها مشهد مختصر من حياتي أو جزء منها ، لم أكتب عن كل الأصدقاء والأسر التي عرفتها وعرفتني ، لم أكتب عن صديقي الذي غرق ومات عندما كنّا صغارا ، ولا عن الآخر الذي صعق من أجل إنقاذ أمه من غسالة ـ رحمهم الله ـ وعن غيرهم ..كانت حياتنا في ذلك الحي صعبة فقر وتشرد وبؤس وخيم ومخيمات ومياه وسيول هذا ابتعد عنه القلم ، ولا حاجة لذكره .. فقط قصة أسرة أحببتها مراهقا وشابا، وما زلنا على الدرب .

إنها أسرة ثاني التي عرفتها أيام الجاهلية كما أحب تسميتها وأيام العودة والإسلام بعد فترة ضياع وتيه .. كان من حولي فرق الإلحاد والأحزاب الدينية .. وسبحان ربي لم أقع في شبكة هؤلاء ولا أولئك.

لماذا ؟ لا جواب.. ليس عندي جواب ..كان لي رفاق غرقوا في مستنقع الجنس والزنا .. ولي أصحاب استعفوا ونجوا .. كنت متفرجا على الطرفين حتى وصلت لمرحلة التوبة الحقيقية بعد إنهاء مرحلة الجندية الإجبارية .. هكذا كان يسمى التجنيد الإجباري ..لماذا ؟ لا أعرف .. كنت مغرما يوميا بالجلوس في المقاهي .. وكله مع التوبة مات واختفى ، والسينما وحتى الرياضة إلا لعبة الشطرنج ما زلت أهواها وأمارسها .

كل رفيق له حكاية ونوادر .. تعلقي بالدِّين دفعني لترك كل زملاء الماضي أفرادا وأسرا إلا ثاني وأسرته .. اتخذت رفاقا جددا .. لا أعرف من ماضيهم شيئا .. وهم كذلك جمعنا الدين والعلم .. إنهم ملتزمون .. بعضهم سار للجهاد ورجع ، وبعضهم مات هناك .. أقصد الجهاد في أفغانستان .. وبعضهم طلب العلم وأصبح دكتورا في الشريعة الاسلامية .. وبعضهم رحل عن الدنيا إلى رحمة الله .

وتعلقت في فترة التسعينيات بقراءة المجلات الإسلامية والثقافية وحتى السياسية والأدبية ، وجدت بعد حين لديّ ألف عدد منها.. منها العربي والفيصل والمجلة العربية والمنهل والحرس والثقافية الأردنية واليرموك وطبيبك وطبيب العائلة والحكيم ومنار الإسلام والأمة وماجد وأحمد والمستقبل وفصول والقصة والقاهرة وأسماء كثيرة لعلي اعمل بها قائمة للتاريخ ؛ لأن

بعضها عجزت عن الاستمرار في مطالعتها ، وعرفت سلسلة عالم المعرفة وغيرها .. العلم والثقافة لا يشبع منهما .. وعشرات الروايات والقصص الواقعية والخيالية قرأت وملكت .

وعليّ أن أختم هذه الذكريات بقصة ثاني وأولى توأمه ، فلم نتحدث عن أخيه ولا أخته علا ، لم تكن علاقتي بهما قوية ؛ ربما يعتبروني نكرة ولا يُستحق الجلوس والحديث معي .. لكل رأيه وشأنه .. لم أتحدث عن أسرتي أخوتي أهلي زوجتي فله مقام آخر .

كما توقعت أولى كان زواج ثاني الثاني جحيما حسب رسائل أولى ، وحسب ما يصلني من مقاطع .. بعد الزواج بزمن يسير بدأت المشاكل الزوجية بين ثاني والأرملة شقيقة مازن .. الأسرتان منفتحتان كما يزعمون بمعنى أن الدين لا أهمية له في حياتهم العامة والخاصة .. ومتشابهات بينهم كالسفور والخمور والصالونات واللبس والربا .. حياتهم الاجتماعية بشكل عام مفتوحة ومرنة .. الذوق العام عنوانها .. ومع ذلك لم يتقبل ثاني حياة زوجته العامة والخاصة فهي تحتفظ بكل أصدقائها وأصدقاء شقيقها مازن وآخرين وشقيقاتها وزوجها السابق في سهرات وحفلات داخلية وخارجية ، لم يحتمل ثاني هذه الحياة الصاخبة والمجون والاستهتار بالأجساد والشراب ؛ فكان زوج وليس بزوج ولا خصوصية .. شلة تدخل وشلة تغيب .. تسهر في البيت ؛ كأن لا زوج لها .. لم يستطع ثاني التأقلم والتكيف معها ومجاراتها كما تقول أولى سواء في البيت في الفنادق والملاهي .. وتريد أن ينفق عليها وعلى كل ذلك وشراء الملابس ودفع للصالون أجرة المكياج والتبرج وعلى أصحابها وسكرهم ومجونهم .

تدخلت أمه في الأمر ، فرفضت الأرملة السابقة نصحها والتدخل بينهما وحياتها.

غرق في المزيد من الشرب زاعما الهرب من الذل والهوان الذي يعيشه مع زوجته ، وأهملها ولم يعد يقربها كزوجة ، ولا هي سائلة عن ذلك ، ومضت سنة على هذا الحال الأسود ، لم تعد زوجة في نظره ، وضاق والده موسى من تصرفات زوجة ابنه الشاذة والمثيرة والماجنة ورغبه بالطلاق والخلاص منها ، ولم تعد تعجب ثاني حياتها المستهترة بكل الأخلاق والقيم على الأقل في البيت الخاص بهما بيت الأسرة بيت الأب .. وتضييع حياته بالسكر والمخدرات لا يحل مشاكله فما يكاد يهبط الليل حتى يغرق في الشراب والسكر حتى ترجع المرأة من سهرها أو يخرجون من بيتها .. والإزعاج للوالد والوالدة لا ينتهي فأصر والده على طلاقها أو يغادر بيت الأسرة وحتى أمه قريبتها لم تعد

تطيقها وتصبر عليها .. وكثرت المشاجرات والمنازعات بين الأسر دون فائدة .

استأجر بيتا عند مازن شقيق المرأة ؛ فكان ثاني يترك المرأة مع شلتها ويقضي ليله عند أمه طعاما وشرابا .. وقبل مضي السنة الثانية كان الطلاق ، ودفع الوالد كل ما يترتب عليه لإنقاذ ابنه ثاني .. وكانت سمعة ثاني في المدرسة والوزارة والجيران في أسواء سمعة .. ونتيجة لطلاق أخت مازن طلقت أولى هي الأخرى .. مأساة اجتماعية .. وكتبت لي الآن تحررت من سنوات العذاب يا مال .. صدق أنني كنت في عذاب .. وليس زواج .. كنت أعيش في الجحيم التي يتحدث عنها الشيوخ إذا كان هناك جحيما كما تقولون.

كتبت لها مضطرا عن حقيقة وجود الجحيم وأن جحيم الدنيا مع جحيم الأخرة لا يذكر .

فلم تتأثر من كلامي ، ولم تهتم برسالتي ، وكتبت ترد بعد حين لم يعد لكلامك تأثير عليّ كالماضي يا مال .. ولا أدري لماذا كان كلامك قديما مقدس عندي ؟ اليوم أنت لا شيء .

دعوت لها بالهداية وتوقفت عن الكتابة لها ناصحا ومرشدا ، وأحببت لها ما أحببت لنفسي ، وأشفقت عليها وعلى ثاني إلى أن سمعت بموت أمها وحضرت دفنها ، وتكلمت واعظا على قبرها لنفسي والحاضرين .. وبعد انتهاء العزاء فكرت باللقاء بها وبشقيقها.

ولكن يزيد رفض ذلك ، وأعلمني أن شقيقه يعيش في حالة إحباط ويأس ولا يفارق البيت ويعيش مع الخمر ليل نهار .. وأولى تعود من عملها وتفعل مثله شراب في شراب حتى أنها تطرد أولادها إذا جاءوا لرؤيتها ، وأن طلاقهما كارثة أكثر من كارثة الزواج .. فعجزت عن الحل والمساعدة .

الحق لم تكن تشغل حياة ثاني وأخته حياتي إلا قليلا ؛ إنما ذكريات سنوات الثانوية هي سبب اهتمامي بهم وتطاردني وتلاحقني للاهتمام بهما وبأخبارهما .. فنحن منذ فشلي الأول في الثانوية ضعف ما بيننا بشكل عام ؛ لكنها الذكريات واللحظات الممتعة لم تختفِ تماما .. فكنت اضطر للحديث هاتفيا مع يزيد للسؤال عنهما ، ويخبرني أن حياتهما مزرية خمر مخدرات .. وهي بعد الطلاق في حياة مزرية .. ليس كما كانت تزعم قبل الطلاق .. وكشف لي يزيد أمرا خطيرا حدث في البيت بيت الوالد .. فقد حاول ثاني الاعتداء جنسيا على أولى وضربته بسكين مطبخ .. وطلب مني يومها المساعدة ، فجئت البيت ، وكان الوالد الأرمل محطما حزينا ، وبكى وهو يتحدث عن فعل ثاني .

فقال : لقد حاول الملعون معاشرة أخته أثناء نومها تكلمت معه ، وكان في حالة سكر ورفض أي

مساعدة وقال : لا تصدق ذلك ..إنها هي التي تتحرش بي .. لقد اشتاقت لزوجها اللعين ، اشتاقت لعشاقها بعد الطلاق .

ـ ما هذا الكلام يا ثاني ؟

ـ كان مازن مجرما يا مال ، كان لا يغار عليها ، يسمح لها بالنوم مع العشاق.

ـ لا أحب أن أسمع هذا الكلام يا ثاني .. قبل سنوات نصحتك بالتوبة والتدين ، ولو فعلت لزوجتك زوجة عفيفة شريفة .

ـ ليتني أصغيت إليك ..كان مازن اللعين يرسم عليّ للزواج من أخته العاهرة .

ـ لم يفت الوقت والأوان .. دع الشراب والمخدرات .

ـ لا تصدق أنني حاولت الاعتداء عليها .. هي توهمت ذلك وصدقته .. أنا دخلت غرفتها لم أكن أظن أنها تنام عارية مجردة من الثياب .. ظننت أنها خرجت من الاستحمام لعارض ما .. فاقتربت منها .. فتوهمت أنني أريد اغتصابها فصرخت وصرخت ، وذهبت للمطبخ وأخذت سكينا ؛ كأنها سكين فواكه وضربتني بها على ذراعي .

ـ حسنا يا ثاني ! إنني أصدقك أين أولى ؟

قال : في بيت خالتي أم مالك .

ـ حسنا ! متى ستبدأ التوبة ؟

ـ عليّ أن أتوب يا مال .

ـ بعد هذه السمعة عليك بالتوبة يا ثاني .. أنت ما زلت شابا يا رجل لم نبلغ الأربعين بعد .

تحمس ثاني موسى وذهب للحمام بعدما ضعف السكر ، واغتسل ، وبدأت توبته بعد ذلك الحادث المؤلم ، وعاهدني على ترك الخمر والمخدرات .

وخلال أشهر كان رجلا آخر فعلا ، وتبين لي فعلا أن حادث اتهامه بمحاولة الاعتداء على شقيقته وهما منها ، للوضع المريب ، وهو نومها عارية ، فحسبها قد داخت أثناء الاستحمام ، فأراد مساعدتها ، وهي استيقظت فتوهمت أنه حاول الاعتداء عليها .

ترك بيت الأسرة لما ترك الخمر والمخدر ، واستأجر بيتا خاصا في وادي النزهات حينا القديم ، وفرح والده الشيخ الكبير بذلك فرحا لا يوصف .. واقتنع بأن أولى بالغت في اتهامه ، ثم درس ماجستير شريعة ودكتوراه شريعة .. وعدنا أصدقاء أنا إمام صغير .. وهو دكتور شريعة في إحدى الدول .. وما زالت صداقتنا .

وكتبت لي أولى رسالة ترغب بلقائي لكشف سر تلك الليلة السوداء في صداقتنا عندما أرادت تقديم جسدها على مذبح الحب والشهوات إذا قابلتها في بيت والدها .

وعليّ أن أترك الكلام لأولى ؛ لتكتب فصلا من حياتها أو جزءا من أيام عمرها كما اتفقنا مع راوي

هذه القصة صديقنا جمال شاهين .

أولى موسى

سأكشف أوراقي وأهم ذكرياتي لكاتب حياتي قبل الحياة التي تحدث فيها مال عن مراحل أيامه ومراهقته وتوبته المفاجئة .

أنا كنت في زمن تهرب فيه الناس من التدين والإيمان ، كان الصعود للفكر المزيف القومي والوطني واللاديني ، فليكن هذا معلوما لديكم ، ولا يعني هذا أنه لم يكن هناك متدينين وجوامع ومشايخ ، كان وجودهم صامتا خافتا ضعيفا ، لا اهتمام ولا اكتراث لوجودهم حتى معلمات التربية الدينية كان صوتهن خافتا ، ولا يبدين لك أنهنّ متدينات ، ولا تأثير لهن على الطالبات ، أخص من علمنني في المراحل الدراسية الثلاث .

نحن مسلمون بالهوية والاسماء فقط ، أنا دخلت المدرسة عام ستة وستين ، اليوم في نظري تغير الحال ، تغير كثيرا ، لما تعرفت على السيد مال الشاب الرفيع الأسمر كنا من أهل الدنيا ؛ وكأننا خلقنا لها فحسب ، ولا نعرف الآخرة ، وما فكرنا فيها إلا بقدر ضئيل وغموض ، لا أحد يتحدث بحرارة وقوة عن الدين ، أو لا يوجد حولك وقربك من يكلمك عن الدين .

قصتي تبدأ مع وجودي على ظهر هذه الأرض عندما خرجت صارخا من رحم أمي في مطلع الستينيات ؛ لذلك يجدر بي أن أتحدث عن زواج أبي وأمي ؛ لأنه كان لهم نصيب من الحديث في الفصل الأول من الذكريات .

عائلة أبي غنية ، وإن لم تكن من الطبقة العليا في المدينة ، وليسوا من الطبقة المتوسطة ،كنا بينهما ..كان والده موظفا في الدولة كما هو ، ويملكون عقارات وأراضي زراعية يتوارثونها ، وتدر عليهم مالا مستمرا .. هم من أبناء المدينة ، وإن تمتد الجذور إلى الريف.. فتاريخ العائلة يقول إنهم من الأسر الثرية ،لم يكونوا من أهل الفقر والفاقة كما علمت من تاريخ العائلة .. وبعض رجالها خدموا السلاطين الذين حكموا البلاد قديما ، وبعضهم كان يملك المراكب والسفن .. أقول ذلك الكلام ؛ لأن والدي موظف وزارة المالية ، ولا يعتمد على راتب الوظيفة والحكومة فحسب ، هناك دخل ودخول أخرى تمد بها الأسرة ؛ لأننا نعيش في بحبوحة من العيش .. وحياة المدينة تختلف كثيرا عن حياة القرى والريف والبادية ؛ لذلك تجد فيها عائلات لا تعرف دينها عامة وخاصة .. وقد يكون التدين في القرى أكثر ؛ ولكن الجهل يغمره أكثر .

أقول ذلك ؛ لأنه لم يكن في بيتنا دين ؛ انما نحن مسلمون فحسب ، فلا نعرف الصلاة والصوم وطقوسها .. فكنا نحتفل بالأعياد عادة ، من لبس وحلويات ، وتهاني ، وزيارات ، وقد يضحي

الوالد وأجدادي وأعمامي كما يفعل المسلمون الموسرون .

فأبي لا يعرف الدين ، ونحوه أمي ، فهي من عائلة شبيهة بعائلة أبي دينا ومالا .. الأخلاق هي الدين فقط .

تخرج أبي من الجامعة القسم التجاري والاقتصادي ، والتحق بالعمل فور تخرجه في وزارة المالية للدولة حتى أصبح مع الزمن مدير الموازنة العامة للدولة ، وذلك في آخر أيامه الوظيفية وقد حصل على الماجستير والدكتوراه في المحاسبة والضرائب تعرف على أمي من خلال الوزارة حيث التحقت هي أيضا كموظفة في نفس الوزارة ، ولما تعرف عليها وتعارفا ، وبعد قصة غرام قصيرة تزوجا .

أبي عمل قبل أمي في الدائرة المالية ، وبعد عام من تعارفهما العاطفي تزوجا كأي زواج ، وبمساعدة والده جدي أمير بنى والدي بيتا في درب القلعة حيث التقيت بهال الدين .. وهو درب تجد به أحياء يسكنها الأغنياء ، وحي أغلب سكانه فقراء ، وحي خليط من الفريقين .. نحن في قسم بدا بداية للموسرين .. ومنهم من يعمل مع والديّ في الوزارة .

كان والدي موسى مجتهدا في عمله ، ومثله أمي ، أبي أكمل الدراسات العليا ، أمي توقفت عند الشهادة الأولى .. فيعتبر الوالد خبيرا اقتصاديا في الدولة والمال .. كان السيد الوالد محبا لأمي ، وإن تخلل حياته قبل الزواج علاقات عابرة مع الجنس الآخر وخلال البحث عن زوجة وحتى بعد زواجه له سقطات وهفوات وغراميات مع العاملات ، أمي لم يحدث لها من ذلك شيء .. وهي صامتة عن حياتها الخاصة قبل الزواج ، وأثناء الزواج وأبي يثق بها ويحبها كحب الرجل لزوجته وأم أولاده .. لم نعرف عنها الكثير سوى أنها زوجة مخلصة لوالدي الغالي .. وأبي الرجل الصامت الذي لا يتكلم عن نفسه ، لكن نعرف عنه من سقطات اللسان من كلام وتعليقات بعض الأقارب وأصدقاء العائلة وزملاء العمل .. نسمعها على سبيل الدعابة والاستفزاز .. كان وما زال محبا للطرب وكبار المغنين الذين عرفهم في مطلع حياته .. وكان يحب السمر منذ أيام الشباب والمسرح والسينما خاصة الأفلام الكبيرة والمصحوبة بدعاية خلابة .

أبي يشرب الخمر أو الشراب ولا يكثر منها إلا في مناسبات وسهرات خاصة مع بعض رفاقه ، ويكثر منها في سهرات ماجنة ، وله براد خاص لها ، ولا يحب أن يشرب أمامنا .

ويقول : لما تكبروا افعلوا ما شئتم ، عندما تستقلون في حياتكم افعلوا ما شئتم ، لا يتعاطها أحدكم على حسابنا.

لم يحاول تعليمنا الشرب ، وأنا عرفتها بعد المرحلة الإعدادية خلال مناسبات عائلية وحفلات في النادي أو غيره ، وأحيانا أختلس من زجاجة أمي ، أمي تعلمتها من أبي ، ولا تكثر منها ؛ لكنها تشربها ، ولا تسمح لأبي أن يسكر أمامنا ، وهو غالبا في حجرته لما يستقر في البيت .

فالتدين كما نعرفه اليوم لم يكن له وجود في بيتنا ، ولا أقول ذلك لأبرر سوء أخلاقي فيما بعد ، فلا صوم ، ولا صلاة ، نسمع بها فقط .. عندنا سجادة واحدة ، لما يصدف وجود جدنا يستخدمها، ثم تخفى في خزانة حتى يأتي مرة أخرى ، حتى جدنا عرفنا أنه صلى على كبر .. وهذا حدث مع أبي وأمي أيضا كما سأتحدث .. ولما تعرفنا على مال الدين لم يكن متدينا بالنسبة لنا ، وإن يتحدث عن صلاته وصومه ، لم أره يصلي في بيتنا ، أما الصيام فبدا لنا أنه يفعل ذلك ، وهو في الغالب ما يأتينا مساء بعد الغروب أو بعد العشاء خاصة أيام الشتاء ذات النهار القصير ، وحديث الدين ثانوي بينه وبين مال أو تعليق على تدين رفيق لهما في المدرسة واتهامه بالتدين الكاذب والسخرية منه .. والحق كان الفتى إذا تكلم في الدين تراه مبدعا ، ويزعم لنا أنه جالس بعض الشيوخ وشباب التيار الإسلامي ، ولم يستهويه التدين والأحزاب الدينية ، أو نراه كذلك لجهلنا بالدين .

أقول ذلك وأكتبه ؛ لتعلم أن ما نفعله لا يحاكم دينيا ، نحن نفعله بحكم العادة والتقاليد والأخلاق التي تربينا عليها .

حياة مال تلك الأيام مثلنا أنا وثاني ؛ والحق أنه لم يشرب الخمر ، وصدقنا ذلك ، وأكد ثاني ذلك ولم يقرب النساء المتزوجات والعازبات كثاني، الذي له علاقات مع متزوجات ، وهو من مستوى اجتماعي فقير .. وفي البداية عجبت من صحبة ثاني له ، ولم نعرف أهله وإخوته ، أخي ثاني تعرف على بعض اخوانه فيما بعد ، فهو له أخوة كثر .

بعد زواج أمي هدى سالم وأبي موسى أمير بسنتين ولدتنا أمي ، كانت أول ولادة لها ، وضعت توأما ، خرجت أولا للدنيا ؛ ولذلك سميت أولى ، وبعد أقل من ساعة خرج شقيقي ثاني ، وقبلت العائلة هذه الاسماء ، ولدنا في مستشفى الأجنبي الامريكاني ، ويتعالج فيه الأجانب وجاليات السفارات من بلدنا ومن البلدان المجاورة .

لم نختار نحن أسماؤنا ، كان الاختيار لها من قبل أبي .

أبي كغيره من الرجال لا يحب الكثير من الكلام ، كان يحضر معه بعض الكتب والمجلات الاقتصادية العالمية يقرأها في المنزل ، كان عمله مستغرقا وقته ويتقنه ، وكان يملك سيارة منذ عمل موظفا صغيرا في الدائرة المالية للحكومة ،

وبعد ولادتي بسنتين ولدت أختي علا ، ثم كان يزيد ، ثم توقفت أمي عن الحبل والولادة .
وقالوا كفى ، كان تأثير الحضارة الغربية على أسرتنا بينا واضحا وكبيرا وحتى على كل العائلة عائلة جدي وأمي وكأعمامي وأخوالي وخالتي ناعمة لها ولد واحد فقط ، لم يكونوا يحبون الكثير من المواليد بعكس الفقراء في البلد .
درسنا كغيرنا في مدارس الحكومة ، لم ندرس في مدارس خاصة السبب في اعتقادي قرب مدارس الحكومة من بيتنا .. مدرستي تبعد عن البيت أقل من نصف كيلو متر ، والذكور تبعد عن الإناث مثل ذلك ، لم تكن المدارس مختلطة في الغالب .. كانت الصراعات العسكرية محتدمة لأن البلاد بعد تفكك الدولة العثمانية انقسمت لدول بعضها خاضع للاستعمار الانجليزي وبعضها للفرنسي خاصة بلاد الشأم والعراق .. وكانت الانقلابات العسكرية كثيرة هنا وهناك .
كانت الألعاب والأطعمة توفر لنا بشكل جيد ودائم .. والدراجات واللعب في الشارع ، وأحيانا يأخذنا الوالدان لنادي الوزارة أو نادي المقاصد الأكبر حيث هو نادي الطبقة الغنية في المدينة ثقافي رياضي واشتراكات ، ولا يدخله إلا الأعضاء المساهمون .
الملابس حدث عنها ولا حرج كثيرة ومتعددة ، والاحذية كذلك .. كنّا منعمين ، ولم نشعر بحاجة لشيء أو نقص .. النادي يوفر لنا مجالات اللهو والأصدقاء والرياضة والمكتبات وألعاب الصغار المراجيح وغيرها حتى صالة العرض والمسرح الصغير يوجدان في نادي المقاصد الأكبر وقاعة الألعاب الرياضية والتنس .. ويمكن للشخص أن يختلط بالشبان والبنات الأكبر منه سنا سواء من أقاربنا أو جيراننا أو معارف والدينا ؛ لكن الإنسان يجب أن يصاحب ممن من جيله وعقله .
أحسست في مرحلة الإعدادية بتغير النظام في حياتي وحياة ثاني ، وإنني أصبحت فتاة بالغة تأتيها الدورة ، فعليها أن تبتعد عن الشبان من جيلها .. وتغير نظام التعامل معي في البيت ، وأن البنت تختلف عن الرجل بسبب الحيض ، وعليّ الابتعاد عن الذكور والعبث ،المهم.. أنني أنثى وشابة عليّ مرافقة الفتيات من جيلي ، وكان ذلك .
بدأنا نسمع الغزل والحب بين شاب وفتاة .. وهناك أشياء على الفتاة مراعاتها .. ونسمع عن المعاكسات ورسائل الغرام من المراهقين ، وأشرطة الأغاني تهدى للمراهقات والمراهقين .
وبدأنا نتعرض للمعاكسات والاشارات ، ونسمع بعض مغامرات الفتيات عن عشاقهنّ واصطحابهنّ لدور السينما والمطاعم والمشي في الاسواق والمتنزهات .. كنت أحب أن أسمع ، ولم

أحب أن أمارس ذلك عمليا رغم محاولة بعض الفتيات جري لذلك الحب الساذج .. استسخفت الكثير من تصرفاتهن ومراهقتهنّ .. وحببتني أمي بالقراءة والقصص والروايات والكتب لتفريغ هذه العاطفة والرغبة .. فكان عشاقي وأصدقائي أبطال هذه القصص وصفحاتها ، واطلعت على قصص عربية وغربية وفرنسية مترجمة كأحدب نوتردام ، والكونت دي مونت ، والبؤساء المختصرة ؛ لأنني لما كبرت علمت أن هناك طبعة مطولة ، واكتفيت بالمختصرة ، وكثير من القصص غير المشتهرة قرأت ، وكنت أصحب أمي وأبي للسينما والمسرح ولم أجد البطل المشاهد في الروايات والافلام على أرض الواقع تلك الفترة من حياتي ولكني رغبت أن يكون لي حبيب وصديق أتحدث معه وأحبه ويحبني ويحلق بي في الفضاء الواسع .

حاول بعض أقاربي من أولاد أعمامي وأخوالي أن يكون ذلك الحبيب والبطل ، ولم أستسغ ذلك لم أجد أحدهم ذلك البطل الذي رسمته في وجداني وأحلامي ، وانتهت المرحلة الإعدادية دون حبيب وصديق ، لم أعمل علاقة مع أي شاب قريب أو غريب ، لم أجد ذلك الفارس القادم على جواده الأبيض ؛ ليطير بي إلى عنان السماء ، لم أجده حتى أنني كنت أسمع كلمات جافة وحادة من بعض الفتيات لفشلي في تجربة هذا الحب ، وهذه المغامرات .. فبعضهن تحدثك عن شاب اليوم بغرام ووله ، وبعد أيام تسبه وتخونه، وتخون صديقاتها بأنها استولت عليه ، وأخذته منها ، وضحكت عليها عندما صحبتها أثناء مقابلة لرفيقها فانقلب إليها .. وقصص كثيرة نحو ذلك ، ثم وجدت آخر ، ثم عاد لها الأول نادما ومعتذرا.. أهذا هو حب جولييت وروميو ؟ .. وإذا علقت الفتاة بشاب أكبر سنا منها تجده راغبا في جسدها ، ويرغبها بالاستسلام للجنس وقضاء الشهوة .. ويحدث الفصام إن لم يحدث الاستسلام .. فهل هذا حب أم زواج أم عبث وسخف ؟! فكانت تحدث مآسي ومحاولات انتحار أو زواج قسري .. وتنحرف فتيات صغيرات إلى الرذيلة .. وتنقل من شاب إلى آخر .. وتفسد بنات ، وتنحرف أخريات باسم الحب .. هذه علاقات المرحلة الإعدادية .. أقول مضت ، ولم أجد لي حبيبا كما فعلت أخريات .. ابنة عمي عزة أكثر من عشرة شبان علقت بهم ، رافقت بعضهم لوسط المدينة ودور السينما .

ظهور مال الدين

انتقلت إلى المدرسة الثانوية للبنات ..قد يكون فيها أكثر من عشرة صفوف أول ثانوي .. وانتقل شقيقي الغالي ثاني نصفي الثاني إلى مدرسة ثانوية

للذكور .. وقضى ثاني فترة عبث وتسالي كما يقول في فترة الاعدادية مع العابثات من بنات المدارس أو من بنات الجيران والشارع في درب القلعة .. عادة شبان الحي يذهبون لمصاحبة البنات في أحياء أخرى ، وكانت علاقته قصيرة معهن كغيره من الفتيان ، وحتى في النادي كانت حوله شلل من البنات .

انتقل إلى مدرسة بين درب القلعة ووادي النزهات في الحسينات وغيرها من الاحياء .. كانت تلك المدرسة تستوعب أيضا أعدادا كبيرة من طلاب الثانوية القسم العلمي ؛ لأن المرحلة الثانوية فيها عدة أقسام منها العلمي ويستطيع الطالب بعد الثانوية أن يتعلم كل التخصصات والقسم الأدبي يتعلم في الدراسات الأدبية والتجارية ، والتجاري يتخصص في أعمال التجارة .. وهناك القسم الصناعي والزراعي والفندقي والشرعي .. والبنات أيضا لهن تخصصات خاصة بهن كالخياطة والتمريض .

فيها مدرسة الحسينات التقى ثاني بمال الدين الشاب اليافع الأسمر النحيف الذي يشبه الهنود أو اليمنيين لونا وبنية .. التقيا لأول مرة ، فقد جاء من مدارس وادي النزهات للقسم العلمي .. فالناجح فيه يدرس طب هندسة قانون ادارة أدب مجاله واسع .. تعرف عليه في ملعب كرة اليد كلاهما يلعبها أو يهوى لعبها ، وثاني تعلمها في نادي المقاصد ، على أثر نزاع بينهما على هدف محسوب أو ملغي تعارفا ، ثم ترافقا وتصادقا فوق العادة ، وتطورت صحبتهما ، وجمعهما سوى الرياضة الدخان ، ثاني يدخن لإكمال صورته أمام حبيباته المراهقات ومال لم أعرف لماذا تعلم الدخان ؟ .. كان ثاني من النادر احضار أصحابه إلى داخل البيت ؛ لأنه لا يحب جلوس البيت كثيرا .. دائما خارج البيت مع أبناء أقاربنا أو أبناء الجيران من جيله أو من أبناء أحد الناديين .

كان مال من شباب المقاهي ، في فترة ما بعد المدرسة .. ويذهب لمقاهي وسط المدينة .. وله مقهى مفضل علمته طبعا فيما بعد اسمه مقهى الذهب في سوق الذهب .. مقهى كبير .. ويغلق بابه ليلا عند منتصف الليل ، وهو يجلس في مقاهي النزهات والحسينات وحتى درب القلعة .. فالمقاهي كالمساجد منتشرة في الأحياء للشباب والكبار .. يلعبون فيها ألعاب الورق والشطرنج وتدخين النرجيلة ونقل الاخبار والتعليق عليها .

لما يكون مارّا من دربنا نحو مقاهي قلب المدينة ، ومن أمام منزلنا يصفر لثاني فيخرج له في الشارع ، ويرافقه للمقهى أو وسط المدينة .. وأحيانا يرافقه للسينما إذا كان هناك عرض لفلم جديد .. كلاهما يذهب للسينما.. أما المقاهي فتعلمها ثاني من مال

ورفاقه في المدرسة أو الحي .. وأثناء العودة ليلا تراه يوصل ثانيا لباب البيت ، ويتابع طريقه سيرًا على القدم جهة وادي النزهات .. لا يهاب المشي في أنصاف الليل ، واعتاد على ذلك كما يقول ثاني .. وكان يقول لأمي زميل المدرسة وفي ملعب كرة اليد ، ومحترف في لعب الورق .. فأمي تلعب الورق مع بعض الزميلات.. أمي تدخن وتشرب القليل من الخمر، تزعم أنها تعلمت ذلك من أبي قبل نهاية الفصل الأول من الأول الثانوي دعاه ثاني لدخول البيت على غير العادة ؛ لكننا نعلم من كلامه معنا عنه قوة الصداقة بينهما خلال هذه الشهور ، فهما لا يفترقان في المدرسة إلا أثناء الدروس ، دعاه ثاني لشرب الشاي فهما مغرمان به ـ هذا طبعا علمناه فيما بعد ـ وكان معهما يومئذ شاب ثالث صديق لمال ومن حي النزهات ، وهي المرة الأولى والأخيرة التي دخل ذلك الشاب منزلنا العتيد ، نحن كان ينظر إلينا أننا أغنياء ومن الطبقات العليا مع أننا غير ذلك ؛ لكن ذلك الجزء من الحي هكذا كانت صورته عن باقي أحياء درب القلعة .. جلسوا في صالون البيت ، وقدمت لهم أمي الشاي ، وتعرفت عليهما ، وشجعتهما على الدراسة والمدرسة وبينت لهم أهمية النجاح .. وانصرفت ، وأثنت أمي أمامي على مال من أول جلسة .. كان يخجل كما تقول من التحديق والنظر إليها بعكس زميله الثاني ؛ كأنه كان متعجبا من جلوس أم ثاني معهم ولو لبضع دقائق .

أما أنا فلم أكترث لهما ، ولم يكن أمر دخولهما مهما لي ؛ ربما تسألت لا شعوريا كيف أدخلهما ثاني لبيته ؟.. نحن البنات أنا وعلا أمر دخول زميلاتنا وجاراتنا إلينا أمرا معتادا.. لم يكن حدث مهما وهكذا نظرت لزيارة مال ، لولا اهتمام أمي وحديثها عن مال أمامي لم أعر ذلك الزائر أي اهتمام .

فنحن لا نعرف أصدقاء ثاني من الحي أو النادي ، فهم يظهرون ويختفون مثل رفيقاته.. ليس له صديق دائم ؛ لكنا أدركنا أن علاقة مال وثاني فوق العادة وقوية .. فهو يتحدث عنه أمام أمي قبل أن يدخل البيت لشرب الشاي .. وكان ذلك من خلال الملعب والمقهى والرياضة والمدرسة .

بعد هذه الزيارة للبيت بأسبوع حضر مال مرة أخرى ، ورحبت به أمي مرة أخرى .. وهو كالعادة يأتي بعد الغروب إذا أراد الدخول .. أما إن كان لديهم سينما أو مقهى يلتقيان قبل الغروب ويمشيان لوسط المدينة .. فلا يبعد قلب المدينة عن درب القلعة كثيرا .. أما إذا كان السهر في البيت لدراسة أو اختبار يأتي بعد المغرب أو العشاء .. ويظل عندنا لنصف الليل وأكون عادة مستيقظة إما بقراءة رواية أو مادة دراسية .. وقليلا ما

يكلفني بصنع الشاي أو القهوة .. أمي تفعل ذلك حتى تنام .. وأحيانا ثاني نفسه يفعل ذلك عندما يدخل مال المرحاض .. أبي وأمي في بعض الأمسيات يذهبان للسينما أو المسرح أو زيارة أو مناسبة فيأتي مال ويسهر مع ثاني .

قبل نهاية الفصل أخذت زيارة مال تتكرر للبيت ، وإذا لم تكن أمي في البيت أنا أصنع الشاي لهما ، ويقدمه ثاني له لا أدخل عليهما ، ولم أفكر يوما بالتعرف عليه ، لم أكن قد وصلت لهذه المرحلة ، وكما لا أحب دخول ثاني عليّ وأنا مختلي مع صديقاتي .. فلا أسمح لنفسي بذلك ، ثم أنا بنت .. وصرنا نسمع باسم مال يتردد في بيتنا .. تعرف عليه والدي ، وأثنى عليه ووصفه بالجيد ، ويزيد أيضا تعرف عليه ؛ ولكنه ينسحب لغرفته .. يزيد لا يحب الجلوس مع ثاني كثيرا .. فهما لا يتفقان في الميول والطباع .. له رفاقه وشلته .

كانا يذهبان للسينما معا ، لم يعد ثاني يرافقنا إلى العروض الجديدة في البلد .. وهو من قبل مال كان مقلا من صحبتنا .. ويذهبان معا للمقهى مخبرا لأمي .. أو يذهبان لمطعم للعشاء .. كانت أمي تحب معرفة أين نحن ذاهبون ؟ ولم يكن ثاني يرى في ذلك تدخلا .. هو يعلم كم تحبه أمه ! وكم هي متعلقة به ! كان ذلك واضحا لنا في البيت ، ولا يعني ذلك أنها كانت تميزه عنا ..

كان ثاني معجبا بصديقه مال للغاية ، ويبدو أن مالا مثله في الإعجاب والصداقة رغم ما بيننا وبين مال من الفارق المالي ، وتكرار الزيارة يدل على ذلك ، ودخوله البيت يدل على ذلك ..كان يغيب أسبوعا أو أكثر قبل أن يزورنا في البيت ، ومرات يوميا ؛ كأنهما يتفقان على ذلك في المدرسة .. وقلت لكم كان سهرهما يطول لنصف الليل في الغالب ، وكلما مررنا قرب باب الصالون نشم رائحة التبغ ، ونسمع ثرثرتهما ومرحهما .

مضى الأول الثانوي دون أي اهتمام زائد مني بمال ، رغم كثرة تردد اسمه في البيت من قبل أمي أو ثاني .

حدثني ثاني عن شغف مال بالقصص والكتب خارج كتب المدرسة ، وعن حبه للألغاز والمغامرات وارسين لوبين وشارلوك هولمز وأجاثا وديماس وزيفاكو وغيرهم ممن تكثر ترجمات أعمالهم في المكتبات التجارية .

لم يظهر مال خلال عطلة الصيف إلا مرات معدودة ، علمنا من ثاني أنه يشتغل لينفق على نفسه ورواياته ، وأنه لم يكن من الأغنياء مثلنا يجد من يصرف عليه .

المهم أصبح مال معروفا داخل الأسرة نسمع ونهتم بأخباره من ثاني .. وهذا يتحدث به لوالدتي التي كانت تسأل عنه بشكل دائم ومعجبة بصداقته

لثاني .. فهو لا يشرب الخمر .. أمي لا تحب الخمر ؛ إنما تشربها مجاراة لوالدي وأصدقائهم نادرا ما تسكر وتثمل .. ولا يعرف البنات حتى أن ثانيا قلّت مغامراته النسائية ومواعدتهنّ .. فكنت أشعر أحيانا بالغيرة من حب أمي لثاني .. وكان ثاني يحدثها بكل شيء من أخباره في المدرسة والأماكن الأخرى .. ومرات بالتفصيل الممل وتصغي إليه بكل كيانها حتى يصمت ، أما أبي فلم يكن كذلك ، هو يجلس قليلا معنا أو يعالج مشكلة معنا ، ويدخل غرفة نومه ، ولا يخرج منها للعشاء معنا .. ونحن نرى أنه يفعل هذا ليسكر وحده ، فلا يحب أن نراه يشرب ، وأحيانا يخرج لنا وهو ثمل ويتحدث مع أمي بعصبية أو صراخ ويعود لحجرته ، وقد لا نعرف سبب هذا الانفعال ، ولا نهتم عادة لماذا فعل ذلك ؟

هكذا ظهر السيد مال الدين في بيتنا وبيننا كصديق لتوأمي ، كانت نفسي تراودني بالتعرف على مال والحديث معه كما تفعل أمي ؛ لكن كانت هناك حواجز لم تكسر .. هو صديق أخي .. وهو ذكر وغريب عن العائلة ، لا يمت للعائلة بأي صلة.. والذي دفعني لهذه التفكير أيضا طول صحبته لمال وحبه للقراءة ؛ كما يكثر ثاني من تكرار ذلك أمامي ؛ كأنها إشارات للقاء به .. أنا أبناء العمومة والخالات وغيرهم لقاءات قصيرة وعابرة تحية وسلام ووداع عندما يزورننا أو نزورهم أو نراهم في النادي أو في نزهة ورحلة عائلية .. أمي هذا ما كانت تسمح به .. أمي كانت تريد مني ومن شقيقتي أن نصل لبيت الزواج بدون مشاكل وذكريات سيئة وقصص لا أخلاقية، وتقول أهم شيء للفتاة سمعتها وشرفها ؛ لذلك ما كنت أحب التمشي مع الشباب أقارب أو أباعد ، وعندما أجلس في مكتبة النادي إذا حاول أحد الشباب الاقتراب وفتح حوار لم أرد أتجاهله أو أغادر ؛ لأن الشاب إذا وجد صمتا انصرف .. وأدرك أنني لا أحب مرافقة الذكور فينصرف .. البنت هي التي تسمح له بالتمادي ، وسيجد ضالته في غيرها ؛ فإذا تعلقت ببعض الفتيان ، ثم تركتهم أو تركوها تبين لها أنهم يريدون الجسد ليس الروح .. يتحول اللقاء معهم للحديث عن الجنس والاثارة سواء مع القريب أم البعيد .. وإما أن تستسلم الأنثى لهم للعبث بها أو تهرب قبل فوات الأوان .. قبلني أحد الأقارب فغضبت منه ، وغضبت أمي ، ولم يعد يسمح له بدخول البيت .. كانت أمي حريصة أكثر منا في مثل هذه العلاقات الطائشة كذا تسميها .

كما ذكرت لكم علاقتي مع الجنس الآخر من الأقارب لم تتطور مع أحدهم إلى علاقة عاطفية وغرامية ؛ لأن الزواج لم يكن في مقدمة أولوياتي ..

الجامعة أولا .

وذكرت لكم أن مالا دخل بيت الأسرة في الأول الثانوي لي ولثاني ، وأصبح صديقا للأسرة بشكل عام ومقبولا وعلى غير العائدة ؛ لأننا لم نعرف خلال السنوات الماضيات صديقا ثابتا لثاني ، صديقا دائما .. فهذا جعلنا نهتم بالأمر إلى حد ما حتى أن أمنا كانت تبش له وتقبله ، ولم يعترض هو ولا ثاني ؛ وكأنه ابن لها .. لم أفكر في ذلك إلا فيما بعد طبعا .

وكان أبي قد تقبله صديقا لثاني ، ولم يحتج أو يعترض هو الآخر رغم خطورة المرحلة ، واقترابنا من الثانوية العامة التي ستنقلنا لمرحلة مهمة ومصيرية .. فكان يخرج من غرفته يسلم والجلوس بعض الوقت ، ويدخل لحجرته ؛ فكان من طبع الوالد المكث في حجرته ، وأحيانا كثيرة يغلق الباب بالمفتاح ؛ ربما لمعاقرة الشراب دون ازعاج ، وتطرق أمي الباب عليه إذا أرادت الدخول ويفتح لها .. وعادة أمنا تبقى معنا حتى ساعة النوم نومها كنت أرى مالا من النافذة أثناء عبوره بوابة البيت ، فعرفت صورته .. فهو يقرع الجرس ، وهو يعلم أنه في البيت ، فيخرج له ثاني ؛ لأنه على ما أعتقد يرتبان لذلك في المدرسة ، لم يصدف أن رن الهاتف من أجل ذلك ؛ لأنني في الغالب من يرد على الهاتف ، ويزيد أحيانا .. يكون البيت خاليا في أول النهار غالب الأيام .. نحن نذهب إلى المدارس والأبوان للوظيفة إلا أيام العطل أو عطلة أحدنا لظرف ما ، ويرجع الأبوان مع العصر الرابعة مساء صيفا وشتاء

لم تكن لديّ رغبة في البداية إلى التعرف إلى مال الدين أولا إنه شاب وثانيا ثاني لا يحب ذلك ، ولم يحدث أن عرفني على شاب من معارف النادي وغيره وثالثا أمي لا تسمح بذلك لقريب فكيف بغريب ؟ لكن علاقة مال بالعائلة على غير ما عهد في الماضي .. والشاب له سنة في صحبة أخي ، وما زالت صحبتهما مستمرة ، وهذا لم يعهد في ثاني .

أبي لا يتدخل في حياتنا منذ الصغر ترك المهمة للوالدة هدى سالم . في عطلة الصيف لم يحضر مال لبيتنا إلا مرات معدودة ، وكانت يوم الجمعة حيث تخرج العائلة في رحلات خلوية أو حدائق عامة كبيرة ، وإذا لم يخرج ثاني معنا ندرك أن مالا سيزوره ويتغديان في مطعم ، ثم تكون الزيارة والسهرة .. فهما يهويان مشاهدة الافلام السينمائية وأكل المطاعم والمقهى يلعبان بعض الوقت ويقفلان للبيت وإكمال السمر .. كان ثاني يتحدث معي بذلك عن نشاطه وصاحباته ومعارفه وأنا أسمع ؛ وكأنني لا أسمع ، ولم أعجب بمال إلا أنه قارئ مثلي .. لا أهتم بالرياضة لعبا واعلاما أو لعب الورق .. كنت مرات أخذ سيجارة من أمي كنت

مدخنة ربما في الأسبوع مرة ولم يكن ذلك ممنوعا كان متروكا لذوقنا .. فكثير من فتيات النادي الأول والثاني تدخن .. نادي المالية فقط لأعضاء الوزارة ولعائلاتهم .

لما جاء الثاني الثانوي حدثت تطورات بالنسبة لي ، استمرت الصداقة بين ثاني ومال سواء في المدرسة في الشوارع في البيت والأخير هو المهم بالنسبة لي وكان يأتي وحيدا كما تعودنا في العام الفائت ، الشاب الذي رافقهم مرة لم يعد ؛ لذلك نسيناه .

كانت أمي ترحب بمال كما تعودت ، وأصبح صديقا لها ، وتطبع على خديه قبلاتها كما تفعل معنا .. كيف حدث هذا ؟! لا أدري ؛ بل تجلس وتتحدث معهم ؛ كما تتحدث مع رجال النادي كانت تدخل عليهم بالشاي والمكسرات ، وأحيانا تقدم لهما عشاء خفيفا ، وتجلس تسمع لكلامهم وتعلق وتناقش .. فأدركت أن الأمر تطور كثيرا ، وأن الشاب أصبح ابن العائلة ، لا صديق فحسب ، ولم تفسح لي المجال للتعرف عليه ، ومشاركتهم الجلسة مع أنني لمحت لها بذلك .. فلم تدعوني لفعل ذلك .. وثاني رغم أنه يحدثني عنه لم يدعوني لذلك ، ولم يمنعني .. وأبي أحيانا على غير العادة يطيل الجلوس معهم ، ويتناقش مع مال بأمور غريبة علينا حول الأخبار والسياسة وهذا لم يكن من طباع أبي في البيت ، ثم كان يشجعهم على الدراسة والاستعداد للعام القادم .. هذا التطور حدث من أول شهر في السنة الثانية ؛ إنهم لا يحبون السهر في الخارج لثاني ؛ فكأنهم وجدوا ذلك أفضل من خروجهم للمقاهي ، ولم يعودا يلحان على ثاني لمرافقتهم إلى مشواريهم وعروضهم المسرحية والزيارات والحفلات الغنائية.. فأخذت أفكر جديا بالتعرف على هذا الشاب الذي غير سلوكيات في البيت دون إرادته بالتأكيد ، وقلت ما دام الشاب صديق الأسرة لماذا لا أتعرف عليه مثلهم ، وقد أصبح مقبولا ؟

خرجت الأسرة لشراء ملابس وسهرة ، فآثرت البقاء ، واعتذرت عن الخروج معهم .. وجدتها فرصة بريئة للتعرف على مال ، وتطوعت لتقديم الخدمة لهما بدلا عن أمي ، ولم يعترض ثاني على ذلك ، لما جهزت لهما الشاي لبست ملابس جميلة ، لم أدخل عليهما بالبيجامة وثياب البيت ، طرقت الباب بلطف .

فقال ثاني : ادخلي يا أولى.

دخلت وسلمت ووضعت الشاي على طاولة أو منضدة وحييت الشاب وقلت بحياء قبل أن أصبه : أهلا بالأخ مال الدين .

فبادر ثاني فقال : هذه توأمي يا مال ، ولدت قبلي بزمن يسير .. نحن توأم .. وسبق أن حدثتك عن ذلك ؛ فسميت أولى ؛ لأنها ولدت قبلي، وسميت

ثانيا

كنت أسكب لهما الشاي ، وتابع : وهذا حبيبي مال الدين حسين رفيق المدرسة والملعب والصف .. لقد انتقل لصفي يا أولى .

تمتم مال مرحبا وفعلت مثله ، وأدركت بقوة عمق الصداقة بينهما ؛ كأنه يعرفه على زميل .

وعاد مال يقول : أهلا بالآنسة العزيزة أولى .. تشرفنا بالأخت العزيزة ـ وكان يشير إليّ بالجلوس ـ أخت حبيبي ثاني .. فأنا مثلك أحب المطالعة كما يحدثني ثاني عنك .

ثاني يحدثه عني عجبت ، وعجبت لجرأته أيضا فهو يتكلم ؛ كأننا أصدقاء منذ عهد بعيد .

نظرت لثاني الذي قال دون حرج وتردد : نعم ، هو مثلك في حب الروايات المملة .. يموت في القصص والقصص الفارغة منذ الطفولة .. نحن من نفس السن يا أولى ؛ وربما ولد يقرأ .

وضحكوا وتبسمت وتعجبت من كليهما ؛ كأني أجلس معهم من قبل قرن ، وكررت الترحيب بمال وشكرته وقلت وأنا أقف: تريد شيئا آخر يا ثاني .

فقال : ما دام أهلك في الخارج اجلسي معنا .. فمال أصبح من العائلة كما تقول أمك وابن لها ؛ ولعلك تجدين بعض القصص التي ليست عندك .

عدت للجلوس وأنا مصدومة من تصرف ثاني ، فجلست قبالتهم ، وعدنا أنا ومال نرحب ببعضنا ونختلس النظر ببعض .. وبدأ أنه لم يجلس مع فتاة قبل هذه المرة رغم جراءة كلامه لي في أول لقاء .. وأخذنا الحديث عن القصص والروايات بسرعة ؛ ولعل أول رواية تحدثنا عنها إحدى روائع يوسف السباعي ، وتحدثنا عن بعض مسرحيات شكسبير ، ووجدت لديه اطلاعا رائعا ، وبعد حين استنزفنا معلوماتنا واستعراضنا كمجاملة.

فقال لي ثاني : كيف ترين ثقافة مال يا أولى ؟

ضحكت وقلت : صاحبك قارئ عميق ! يقرأ شرقا وغربا .. فهو يقرأ عربيا وغربيا .

وبعد نصف ساعة استأذنت لأحضر لهم شيئا آخر فقال مال : الشاي يكفي يا عزيزتي أولى! أنا سررت بالتعرف عليك .. فقد أكثر أخي ثاني بالحديث عن ثقافتك وحبك للقصص .

شكرته وقلت لثاني: أتشربون القهوة ؟

قال : لا بأس .. أنت لماذا لم ترافقي العائلة ؟

فقلت دون تردد : شعرت بالتعب اليوم ، ولا رغبة لحضور المسرح .. وعدت نهى صديقتي في المدرسة بأن نحضرها معا .

ـ القهوة يا أولى قبل أن تنامي .

هكذا بدأ أول جلوس لي مع مال ، تعرفت عليه تلك الليلة مباشرة كضيف وصديق للعائلة ووجدته شابا مثقفا ومهذبا وحييا رغم تظاهره

بالجراءة للحديث معي أو هو جريء بالكلام حقيقة ؛ كأنه لا يخاطب فتاة لأول مرة يجلس معها أو من كثرة حديث ثاني له عني وحبي للقراءة بدا ؛ كأننا أصدقاء .. وثاني كما ذكرت سابقا كان يحدثني عنه بدون تحرج ، ولا أعتقد أن أخي يظن أنه ستحدث قصة حب بيننا من لقاء .. فأخي فاشل في علاقاته مع الجنس الآخر لم أسمع له قصة في ذلك تستحق الاهتمام ، صحبة سريعة وفراق .

أدخلت القهوة ، وخرجت متظاهرة بأنني شبعت من الحديث معهم عن الأدب والروايات .. الحق أنني كنت مبهورة بمال ، ورغم صغر سنه كان قارئا ممتازا بدا ذلك من خلال اللقاء ، لم يكن دعي ، وعلمت أنه لاعب شطرنج ممتاز من خلال كلامنا .

لما رجعت الأسرة تلك الليلة كان مال مغادرا ، وثاني نائما ، وأنا مستيقظة وظللت في انتظارهم لأرى الملابس الجديدة ، ولم أحدث أمي عن جلوسي لمال ، تركت ذلك لثاني الذي لا يخفي شيئا عنها .. لقد رغبت بالجلوس معه ثانية ، لم تكن رغبة حب وعشق ، فبيننا فارق طبقي كبير ؛ فأنا ثرية كما قلت لكم بثراء والديّ ، ومال فقير كما علمت من أمي وثاني ، واجتياز ذلك الحاجز ليس من السهولة بمكان .

غاب مال أياما قبل العودة لسهرة أخرى والحديث عن الأدب والقصص ؛ لذلك قلت لثاني: لقد وعدت ـ كما تعلم ـ مالا صاحبك بثلاث روايات .. هل تأخذها له ؟

قال : لا داعي لأخذها له في المدرسة عندما يأتي أعطيه إياها .. أنا لاحظت أنه أعجبك الحديث معه عن الروايات وانسجمتما معا .

أجبت ملاحظة أخي : كان واعيا يا ثاني لما يقرأ .. تظن أنه يحفظ الرواية عن ظهر قلب .. أنا بنت ووقتي في البيت أكثر منه كما بدا من كلامك فأتأمل وأدقق فيما أقرأ ، فظهر أنه يقرأ أكثر مني وأنا أقرأ أقل منه، ومع ذلك كان يعرف الكثير من التفاصيل في قصة شكسبير عطيل والملك لير .

قال معجبا : عندما يتحدث مال عن قصة يا أولى يستطيع تلخيصها بكلمات .. ويستطيع تفصيلها ؛ كأنه يقرأها لك بفقراتها .. حسب رغبة المستمع .. وهو يحب الشعر ، ويحفظ عشرات القصائد في الشعر القديم المعلقات والحماسة والحديث كشوقي والبارودي.. الشعر الحر يقرأ منه ؛ ولكنه لا يحبه ، ولا يراه شعرا .

ـ لا يراه شعرا ! وماذا يراه ؟

تبسم وقال : هبلا وضحكا على الناس ؛ لذلك يقول لي هذا عمره قصير لا يبقى إلا في المكتبات .

ـ شوقتني للجدل معه .

قال : اعلمي أنه يكره الجنس الآخر .

ـ يكرهنا !

ـ حذر .. لا صديقة له .. يكتب رسائل غزل للبنات لأصحابنا .

قلت : كيف كان يحدثني ؛ كأننا أصدقاء من قرن

قال : ربما من كثر حديثي عنك ؛ وربما لصداقته لأمي .

قلت : بماذا يتحدث مع أمي ؟

تنهد ورد : ألم تحدثك أمك عن ذلك ؟

ـ ولماذا تحدثني عنه ؟!

قال مؤكدا لي اعجابه بصديقه مال : لا أحد يجلس معه جلسة شاعرية إلا فتن به .. هو يحضر الفلم مرة واحدة يصبح ؛ كأنه هو كاتب سيناريو الفلم أو قصته .. لابد أن تجلسي معه أكثر ؛ لتستمتعي بالحوار معه .

فقلت : أمي قد تعارض جلوسنا مع غريب .

قال بثقة : لا، ذكرت أمامي كذا مرة ، لو جلست معك أولى لسرت من الحديث معك حول القصص والكتب .

قلت استغرابا : أمي قالت ذلك!

قال : أمك مثلي مسرورة بصداقتنا .. فهي تحدثه عن مشكلة بينها وبين صديقة لها في النوادي في الدائرة تجد لديه أفضل الاقتراحات لحلها .. فهو مثقف في الدين في المجلات والفن .

تفاجأت بما أسمع من ثاني ، وكدت لا أصدقه .. أمي تناقش مشاكلها مع مال الشاب الصغير !ولكن أعلم أن أمي تجلس معهم في الغالب إن لم تكن في خارج البيت .. ومهد لي ثاني بهذا الحوار العودة للحديث مع مال بدون أي حرج وأي محظورات .

وقال : تجدينه يعرف تفاصيل القصة رغم كثرة قراءاته .. وبعض القصص يقرأها أكثر من مرة ومرات .. ويعلق لو فعل المؤلف كذا لكان أفضل

قلت : أوه ! يريد أن يعدل على فكر الكاتب وخياله.

قال : هو يقول الكاتب يقول ما يقول ربما الفكرة التي عندي لم تأت بخياله .. ومرات يحصر الكاتب الحل باحتمال أو اثنين.. فيقول هناك احتمال ثالث ورابع ؛ لكنه أي الكاتب يعلم أن القارئ لا يهمه التفكير يهمه القراءة والانتهاء منها .

قلت : هذه فلسفة .. فعلا لمست بالوقت القصير معه أن عنده شغف .. وجدت من يسابقني.

ـ مال بعد انصرافه مغادرا من عندي يظل للصبح يقرأ لا ينام قبل قراءة رواية أو قصة كاملة .

ـ والمدرسة !

قال : يأتي .. لا يحب الغياب.. قد يقرأ بعض القصص ذات الحجم الصغير في المدرسة .. يقرأ ذلك أكثر من كتب المدرسة .. وعند اللعب يلعب حتى يمل .. سواء في ملعب السلة أو كرة اليد

حيث بدأت حكايتي معه .

سألت : ما الذي جمعكم ويجمعكم ؟

قال : أنا عرفته من خلال ملعب كرة اليد ،كنّا نلعب سوية ضمن فريق واحد أو خصمين .. وهو هذا العام انتقل لصفي .. فصرنا أبناء صف واحد .. وهو جيد في الدراسة ؛ لكن لديه ضعف في مادة اللغة الأجنبية ومادة الرياضيات إلى حد ما .. الكمال لله وحده .

عدت أقول : المهم لديّ روايات جديدة لو أعطيته إياها .

ـ عندما يحضر يا أولى أفضل ، وإذا أحببت فاستعيري منه .. فهو يملك الكثير ، ويفقد الكثير لدى الشباب .. فهو يوزعها بين زميل وآخر .

ـ أخشى أن لا تسمح أمك بالجلوس معكم .

قال كأنه غير مصدق بمنعها : أمي لا تسمح ! هي تجلس معنا .. هذا الأمر لك .. فهال شاب محترم ، وأثق به ، ويحترم التقاليد والبيت .. وهو يحب من يسمع له عن الأدب والشعر .. إنه يقول الشعر ، ويرسم أحيانا .. هواياته كثيرة يا أولى .. والشاب لا يحب البنات والمغامرات العاطفية .

ـ قلت ذلك ؛ ولكنه شاب مراهق .

تبسم وقال : هو يكتب الرسائل للعشاق كما قلت لك .. ويقول لي هذا دليل كذب هؤلاء المحبين .. غيرهم يكتب لهم فأين الحب والمشاعر ؟ هم يبحثون عن التسلية .. وهو لم يحاول لنفسه إلا مرتين ، ثم ندم كما قال لي .. وأبدى اعجابه بك خاصة حبك للقراءة .

ـ قال لك ذلك .

قال : نعم ، إعجاب قراءة ،لا إعجاب شاب بفتاة هوى وغرام .. فهو يفتن لما يجد من يقرأ مثله ويطالع مثله .. ولو كانت أولى .. ويحب من يسمع له ويناقشه في قراءته .. يقول نمتحن الذاكرة .. من أجل هذا أعجب بك .

ـ أخشى أن يحبني ما دام يكره جنس النساء!

قال : لا أعتقد أن يصل الأمر إلى ذلك .. هو لا يحب مرافقة الشباب لمدارس البنات للصيد كما يقول .

ـ ليصيد فتاة ! وضحكت أولى

وتابع شقيقي : وهذا ما يفعله بعض الزملاء .. بعضهم يذهب لمرافقة صديقته أو حبيبته لبيتها .. مال لا يستسيغ هذا الهبل كما يقول .. ويقول تضيع ساعة أو أكثر في التسكع والكلام الفارغ .. وأيضا نحن أصدقاء فلا أظن أن يغدر بنا .. وأنا أعتبرك أعقلنا في البيت .

ـ لكني أنثى ولي مشاعر وعواطف .. قد أحبه أنا .

قال بهدوء : ممكن .. لكني لم أسمع عنك شيئا من هذا القبيل .

ـ لم أجد الفارس الذي أهام به .. قد يكون مالا .

ضحك شقيقي وقال : لا أعتقد .. فالشاب محترم .. ونحن نحن.. وهو شاب فقير يعلم ما الفرق بين أسرتينا إلا إذا أنت عشقته كما يحدث في بعض القصص ..الأميرة تحب الفقير و .. و.. و ..

ضحكت وقلت : وهذا يحدث في الروايات وفي الواقع .. أنت تثق به لهذه الدرجة .. وهذا حب كبير منك له .

ـ أعز صديق ؛ بل هو صديقي الوحيد اليوم ، حتى أمي اقتنعت بصداقتنا ، وتحدثه عن صديقاتها ونوادرها في النادي ومع الجارات .

قلت : هذا ما يثير الدهشة !

فقال : وأنا أثق بك .. وأنا لا أمنعك من الحب ، ولا دخل لي بذلك ؛ لكن لا أحب أن أخسر مالا يا أولى .. وكثيرا ما ذكرت اسمك أمامه .. نحن توأم .. فهو يعتبرك أنا.. وأنا فكرت قبل نهاية الفصل الماضي أن أعرفك عليه ؛ لتتحدثنا عن هوايتكما المشتركة القراءة للروايات .

ـ أنت تغامر بعواطفي يا ثاني .

ـ صحيح لم يسجل عليك صحبة شاب في النادي أو الشارع ؛ لكنك تتحدثين مع أولاد العم والخال بأدب واحترام .

قلت : لم يعجبني أحدهم لأحبه .. أنا أرغب بالجامعة قبل الحب يا ثاني .

ـ كلنا يريد ذلك .

قلت لنفسي : عجيب أخي في هذا الحديث ! هل يرغب لي بحب مال.. هذا غير معقول طبعا .. ويتحدث عني لمال ؛ كأنه يتحدث عن فتاة لا تمت له بصلة .. وثاني نادرا ما يشرب الخمر لأقول كان ثملا ؛ لكني طربت لصراحته وشجاعته ؛ ليتحدث معي بهذه الصراحة عن موضوع حساس ودقيق في نظر الناس والأسرة .. فهو لا يخشى عليّ من عشق صاحبه .. هل لأنه لم يسجل عليّ قصصا قبل ذلك.. فرآني عاقلة ومحافظة إذا صح التعبير .. فها هو مال يرى مثلي سخافة هذه العلاقات ويعتبرها هبلا .. ويكتب رسائل ويسخر من ناقليها لمحبوباتهم وهي تحمل أفكاره ولغته.

فقلت : شكرًا ثاني إنني أحبك أنت .. وشكرا لثقتك بي .. أنا مثل صاحبك أعتبر هذه العلاقات أسخف من السخف .. عاطفة مزيفة يا أخي العزيز

قال : نعم ، بينكما أشياء متشابهة .. تعودنا على حسن تصرفك .

احتضنت شقيقي بحب ، وقبلته من رأسه ..كان لقاء غريبا من ثاني وجريئا وصادقا .

الصداقة

حضر مال بعد هذا الحوار الجريء والصريح بيني وبين ثاني ، وإنه لا يعتبر جلوسي مع صديقه محرجا له ، وسمحت أمي لي بالجلوس والحوار دون أي

مانع لما علمت عن جلوسي القصير معهم منذ فترة ، ودردشة مال معي.. لم تَر خطرا عليّ من الحديث معه ، والحديث يدور داخل البيت وبوجود ثاني .. وتقبل مال وجودي معهم ، ولم ير في ذلك أي حرج .. وهذا ما عبر به صراحة لأمي .

فقال : أولى أختي كما أنت والدتي . فهو يعتبر نفسه صديق لكل العائلة، وكان حديثنا عن الأدب والقصص ، وخرجت للقاء كالمرة السابقة بلباس الخروج من البيت ، كنت ألبس السروال الطويل عادة وبلوزة تغطي الذراعين ، ورأسي وشعري مكشوف .. نحن لا نلبس غطاء الرأس وكنا نتحدث نحن الأربعة ؛كأننا نجلس في النادي ، وكانت أمي تمدحني وتثني على عقلي وتربيتي المتزنة ، ومال يثني على تربيتها .

كانت أمي معجبة بمال ، ومحبة له حتى أن وسواسا دخل قلبي من هذا الحب لهذا المراهق ؛ ولكني طردت هذه الخواطر الرديئة لعدم وجود ما يدل عليها ، وثانيا وجود ثاني معهم ، وأخلاق مال ، وقبول والدي لجلوسها معه دون اعتراض ، ولم أعرف عن أمي قصصا سيئة بعكس أبي .

وقالت : العجيب يا مال إنك تزعم أنك تكره البنات ، وأنك لم تصاحب أي فتاة .. وأنت في هذه السن ، وتحفظ كل هذا الغزل ! كان قد أسمعنا بعض أبيات الغزل لشعراء الجاهلية .

فقال : الغزل كان كتمهيد للشعر والقصائد ، وكذلك وصف الناقة والاطلال .

فقال ثاني معلقا : يحفظه ؛ ليكتب رسائل الغزل للزملاء .

وتحدثنا حول هذا الموضوع ثم قال : شكرًا لكم .. أنتم كأهلي .. وثاني يعلم ذلك .

بعد هذا اللقاء الثاني الدافئ كانت أمي تعتبر خروجي للترحيب بمال أمرا طبيعيا عاديا ، ولم يعد خروجي لذلك محرجا لي .. وانسجمت حقيقة معهم في الحديث عن شأني الخاص والعام كما هم يفعلون .. فأمي تحدثهم عن مشاكلها في الدائرة أو مشاكل الموظفات وتسمع تعليقات مال وثاني ؛كأنها تتشاور معهم .. وكل جلسة تأخذ بعض الوقت للحديث عن الروايات والجديد منها في الأسواق ، ورأينا في هذه القصة وتلك ، وكانت أمي مسرورة من انسجامي مع مال حتى أني صرت أحدثه عن مشاكلي في المدرسة ومع الزميلات ، وأسمع حكمه ورأيه .. وأنا أتعجب من ذلك الانسجام والسماع حتى أني سألت نفسي لما كنت أتحدث معه عن أمور خاصة .. هل أنا مغرمة به من غير أن أشعر ؟! أهذا هو الحب الذي يتحدثون عنه ؟! هو لا يتحدث عن الحب كعلاقة معي .. فالفجوة بيننا كبيرة .. وصارت لديّ خشية من الوقوع في هواه.. أنا لم أفكر بذلك ؛ لكنه أصبح

هاجسا في وجداني ومخيلتي ، وقلت لنفسي : ثاني يتحدث عني معه بدون أي حرج ..كانت ثقته بمال كبيرة ، وحتى أمي تثق به من ناحيتي ، وتقبلت جلوسي معه بالبيجامة فعلت ذلك مرة ، ولم تهتم أمي ولا ثاني هل يرغبون بزواجي منه ويمهدون لذلك ؟ إنه فقير من الفئة الكادحة .. كيف سيوفر لي عيشا كما أعيش في بيت أبي ؟ كنت في حيرة في تفسير هذا السماح ..كنت أجلس معهم بثياب الخروج إلا مرة كسرت الحاجز ، ولم يحدث شيء حتى مال لم يعلق ، وقلت لنفسي سأكرر ذلك بعد حين .. لم أحاول الغزل معه أو اعطاءه فكرة أني أغرم به .. وهذا لم يكن بعد ؛ إنما صار هذا بعد .. وتجاهلني كليا لما أخذت أرسل له إشارات عاطفية ورغبة بعلاقة عاطفية ؛ ربما استاء وخشي من تطور الأمر .. صرت حقيقة أتشوق للقائه كالعاشق الولهان .. وخشيت الافتضاح وإدراك أمي لحركاتي أو حتى ثاني لما أبوح به له من كلام حب ومن غمز وجمل معلقة .. فكنت أتحدث عن غراميات فتيات المدرسة والجيران ، وما أسمع من قصص البنات ، وأتحدث معه صدقا ؛ كأنني أتحدث مع صديقة أو زميلة مدرسة ، وأتحدث مع ثاني عنه بدون أي حساب .

قلت لكم إن العائلة لتمضية حياتها تذهب للمسارح والسينما والحدائق والنزهات .. فأبي يحب ذلك ، وفي الغالب ترافقه أمي .. أما نحن مرة هكذا ومرة أخرى لا نذهب حسب المزاج والرغبة .. وتمنيت مرافقتهم لمال وثاني إلى السينما أو مطعم ، لم أكشف مكنون قلبي لهم .

وأصبح مع الوقت وجودي معهم أمرا طبيعيا ، ولو لوقت قصير إذا كانت هناك صديقة أو أقارب يزورونا من جنسنا النسوي.. لم أجد معارضة من أحد أو نقد .. وترى أمي أن ذلك طبيعي ما دمت أنا راضية به ، ويريحني من البقاء وحدي في غرفتي حتى لو بقيت لنصف الليل.

مال أحدث تغيرات لم أتخيل حدوثها في البيت ، حتى أبي لم يعترض على طول سهرنا معه ، كان يرى مالا رجلا ومهما في البيت ، ويعتبر مالا كنزا أن خفف من سهر ثاني في الخارج ، وإذا خرج مع مال نعرف مكانهما.

كنّا مرة أنا وثاني ومال وحدنا في البيت ، كانت النية أن يذهبا للمقهى لموعد مع رفاقهم في لعب الورق ، ولما علم مال بخروج العائلة واقتراح ثاني البقاء في البيت وعدم تركي وحدي ، وافق مال على الاقتراح ، وأنا أسمع بعد تردد قصير ، وقوله الأصدقاء سيعتبون علينا نعتذر لهم غدا ودخلا وقال ثاني : لغينا الخروج يا أولى .. لم نحب أن تبقي وحدك خوفا عليك من الغيلان يقال يا مال إن الغول حيوان خرافي !

قال : نعم ، هذا صحيح مع أن الأمهات تخوف صغارها بالغول والغولة .

حييت مالا كالعادة ، أصبح أمرا لازما الخروج للترحيب به ، وشكرت شقيقي على تعاطفه ، وقلت مازحة : لعلك خفت يا ثاني أن أدخل صديقا في غيبتكم .

ضحكوا وقال : لم يخطر في بالي ذلك يا أولى .. فأنت في الخارج لا صديق لك .

ـ القلوب تتغير يا مال أليس كذلك ؟

قال ثاني : أختي يا مال لم نسجل عليها صحبة شاب .. أنا فعلت وفشلت علا مثلي .. أما يزيد فله عدة رفيقات كما يزعم.. وتذكر يا صديقي أنه يصغرني بأربع سنوات ؛ ولكني لا أصدقه .. فهو إذا جلس مع فتاة اعتبرها حبيبة .. ادخل أيها الصديق !

بيتنا واسع يتكون من طابقين ، نحن الأولاد الأربعة لنا الطابق العلوي والأسفل للوالدين وغرف الاستقبال والمعيشة .. الذي تقدم في علاقتي بمال أصبحت أمد يدي لمصافحته ، وهو يفعل مثلي.. وأحيانا يمازحني بكلمة غزلية أو بيت شعر عاطفي ، ويقول : البنات تحب الغزل يا ثاني ولو نفاقا .

فيقول ثاني : أصحيح يا أولى ؟

رددت : قد يكون ذلك صحيحا كما نرى من بنات المدرسة .. ترى الشاب يكلمها بما يفعل مال .. فتذوب حبا ، وتصنع من الحبة قبة .

فعقب : إذاً يا مال احذر من الغزل بأولى ؛ لأنها إذا أحببتك ستغير حياتك

قال : بماذا ستتغير حياتي يا ثاني ؟

لم أشعر أن مالا يغازلني من خلف الستارة بما يفتتح حديثه معي ، فقد قال ثاني : إن مالا يكره النساء .. وكررت أمي ذلك .. فهل هو صادق بكره النساء أم هو زعم؟! لم أتناقش معه في ذلك لحتى ذلك الوقت .

كنت أفكر بهذه الكلمة والكره ، وما يعني الكره لنا عنده ؟ وهو منسجم معنا أنا وأمي ، ونحن من جنس النساء ، لم أشعر بأنه يكرهني ، ويعاملني بضيق أو بغض ؛ بل أراه فرحا وباشا لرؤيتي ، ويقابلني بالابتسام والغزل .. وفيه صفات جميلة وطيبة ، بل صرت أتخيله معي في السرير زوجا ويداعبني وأداعبه .. وأحلم به زوجا ، ثم أعترض على هذه الأفكار ، وهذا الخيال .

صنعت لهما الشاي ، ثم دخلت ولبست ملابس البيت ، خلعت ملابس الخروج ، وكان الأمر عاديا بالنسبة لهم ، لم يعلق أحدهم على فعل هذا .

وهما مغرمان بالشاي ؛ ربما يشربان إبريقا كاملا ، ويطلبان المزيد ، يتحدثان عن الرياضة ومنافساتها والنوادي الرياضية .

ويتحدثان عن المدرسة والطلاب والمدرسين والمدير ، وعن مغامرات الشباب النسائية ، ثم يفسحان المجال لي للحديث عما أشاء من قصص في المدرسة مع الزميلات في النادي كما يتحدثون .. نضحك نعلق ندخن .. أنا لا أكثر من الدخان سيجارة أو اثنتان طول الجلسة .. ثم نأخذ بالحديث المشترك بيني وبين مال عن آخر لغز بوليسي وصل البلد .. فهذه الألغاز كانت تصل شهريا للمدينة ، ونتحدث عن المؤلفين مثل هوجو وإسكندر وزولا والسباعي ، ومن يخطر على بالنا ، ثم سمعته يقول : أنت فتاة عجيبة وممتع الحديث معك !..لم أكن أتخيل فتاة في سنك تقرأ مثلي.. أغلب البنات يبحثن عن الأغاني العاطفية والمغامرات الولدانية.. أما الثقافة والجدية فهذا قليل .. أقول ذلك حقيقة .

قلت : كما تجد شبابا جادين .. هناك فتيات جادة ، ولا يفارقن المكتبات سواء في المدرسة أو النوادي .. وهناك الزاهدات في الثقافة .

ضحك وقال : حلوة كلمة الزاهدات يا ثاني ! لي صديق عاجز عن قراءة الرسائل التي تأتيه من الصبايا .. صدقوا أنني لا أبالغ سوى الهدايا والدفاتر التذكارية التي تهل عليه منهن .

أخذ ثاني يكيل له المدح حتى غرق بالخجل والحياء ولي .

فقال مال : أنا الحيي من النساء اندمجت في النقاش معك.. أنت ممتازة يا آنسة حقا .. ففي كتب المدرسة تتعمقين ، وفي القصص تقرئين بصورة جدية وتعين ما فيها .. هذا ذكاء منك!

قلت لنفسي : أهذا غزل فيّ منه ؟ هل هو حب مبطن؟! أمره يحير .

وهذا الكلام لما يصدر من شاب مراهق لفتاة مراهقة ، فهو خطير وجريء وأمام أخي، فقلت : شكرًا لكما .. أشكر لك هذا الثناء لي ولأخي الحبيب وتوأمي يا مال .

قال : هذه الهواية ليست لدى ثاني .

فقال ثاني : رغم سعي أمي لزرع هذه الهواية فيّ لم أنجح ؛ لكنها نجحت مع أولى .. وتعطيها لتشتري الكتب والقصص .. حتى يزيد وعلا ليسا مثلها

قال مال : متى تقرئين هذه القصص والكتب ؟

قلت : عادة في المساء قبل النوم أو قبل الذهاب للمدرسة إذا استيقظت مبكرة .

قال : تستغلين الوقت .

ـ أجل ، أستريح لما أرجع من المدرسة.. في العادة لم يكن والدي قد عادا من الدوام اليومي .. نتناول الطعام المعد ليلا أو فجرا ، ثم أراجع إن لم أنم بعض الوقت حسب إرهاق المدرسة ، ثم القراءة إلا إذا خرجنا في أمر ؛ ولكني أقرأ قبل النوم حتى لما أسهر بصحبتكم أفعل قبل النوم .. ولا يعني

هذا أنني محبوسة .. وأنا لا أخرج دائما معهم .. فاستغل خروجهم في المطالعة .. أخرج لتغيير الجو واكتساب المعارف من مخالطة الناس .. ولي منافسات في المدرسة وفي نادي المقاصد أو نادي المالية .

عقب مال : هذا أفضل شيء للفتاة .. أحسن من تضييع وقتها في التسكع مع شباب مثلج غير محترم يبحث عن الشهوات والوهم والضياع .

ضحكنا فقد قالها بعصبية وحقد بدا لي وقلت بمكر :كان ثاني يحب ذلك وما زال .

قال ثاني : لا ، يا أولى تغير الوضع منذ عرفت مالا .. لا أدري يا مال لماذا تهرب مني الفتيات سريعا ويبحثن عن غيري ؟! لست بشعا ، أنت الوحيد الذي لا يمل من سماعي .. قبل جلوسك معي كانت هذه ـ وأشار إليّ ـ تسمع خمس دقائق وتنسحب .. اليوم تجلس معي وتسمع بالساعات

فقال مال باسما : لأنني موجود ؛ ربما أنت وحدك ممل .

ـ لماذا أنت لا تمل من سماعي ؟!

ضحك مال وقال : لا أدري! .. أذكر أول مرة تعرفت عليك بجد كما تذكر عندما جرى بيننا نزاع على هدف .. هل هو صحيح أم لا ؟ ثم تصالحنا وأصبحنا أصدقاء .

قلت : تخاصمتا على هدف .

قال : أنا زعمت أن الهدف خاطئا ، وأصر ثاني على صحته ، وحكم الزملاء بيننا .. وجمعنا الدخان سرا في المدرسة .. هات سيجارة خذ سيجارة وصرنا زملاء صف بعد زمالة الملعب .

قال ثاني : وجدت فيك شيئا جعلني أرتاح لصحبتك .. وأنك لا تستسلم للخصم بسهولة ، ثم تقبل الاعتذار وتعتذر .

ـ شكرًا يا ثاني .

كانت سهرة ممتعة معهما وخرج الشاب ليلا ، وقد صافحني مودعا ، وهو يقول : الحديث معك في غاية المتعة.. أخشى أن أغير نظرتي عن النساء .

قال ثاني : ليتني أفهم هذه النظرة ! وأنت لم تصاحب فتاة .

ضحك قائلا : ها أنا صاحبت شقيقتك الغالية .. ومن خلالها سأفهم عقلية النساء .

فتجرأ ثاني فقال : هل تعتقد أنك ستصل يوما إلى علاقة غرام معها ؟

صاح :لا ، لا ، لست من أهل الغرام والهوى .

وقلت : أنا وأنا مثلك . ولم يكن ذلك صحيحا .

وسلم واختفى ، وأنا ذهبت لسريري أحلم بالغرام والهوى .. هل يتحدث عني هذا المراهق ؟ لقد أحببته فعلا إنه يدرك أنني وقعت في هواه ؛ لذلك يذكر الحواجز .. لا يريدني أن أتورط .

قضيت ساعة أتقلب في سريري وأتخيله ينام

بجواري .. هل ورطني ثاني وأمي بهذا ؟ لكني كنت أرغب باللقاء به من أجل القصص وهذه الهواية وقلت : لا يمكن أن يغامر معي ، فليس هناك أمل لزواج بيني وبينه ، ولا أظنه يقبل أن أكون عشيقة له .

أصبحت في مأزق حقيقي ، فقررت أن أتوقف عن الجلوس معهم ، فثاني يورط بي دون أن أشعر .. هل ما بي حب كالذي أسمعه من بنات المدرسة والنادي؟ لذلك لما جاء بعد ليال تظاهرت بالمرض ، وقاومت لم أشاركهم السهر .. وفعلا قضيت المساء مريضة بالصداع ، ثم القيء وبعد هذه المرضة خرجت ، وجلست وقتا قصيرا ، ثم اعتذرت بالتعب والصداع فرافقتني أمي لحجرتي وقالت : ما بك يا أولى ؟

ـ متعبة يا أمي ! دروس اليوم أتعبتني .

ـ هل أسأ إليك مال أو ثاني ؟

قلت : لماذا هذا السؤال يا أمي ؟!

قالت : أنت منذ جلستك الأخيرة معهم عند غيابنا مترددة في السهر معنا

ـ لا ، لم يغضبني أحد منهما ؛ بل أن أسر من الجلوس معهم .. وأنفس عن روحي .

ـ من أجل هذا سمحت لك بصحبتهم .

قلت : شكرًا لك يا أمي .. فرصة طيبة ؛ لكني متعبة فعلا يا أمي .

ـ حسن !

لما حضر مال في الزيارة التالية ـ كان يحضر في الأسبوع ؛ ربما ثلاث مرات للسهر ـ أيام الاختبارات كان يتوقف الشاب عن الزيارة ـ فلبست أجمل الفساتين ، ونزلت مرحبا به ، وحضرت أمي كالعادة بالشاي والمكسرات أو البسكويت، نهض مال مسلما ومسلما خديه لأمي أصبح طقسا مطلوبا بدا لي ، ولما عادوا للجلوس قال: أهلا بأمي الثانية .

رحبت به أمي من جديد ، وسألته عن أمه وأهله وقالت: كيف أنت اليوم يا أولى ؟

قلت : بخير يا أمي

قال : تركتها متعبة المرة الماضية الحمد لله على السلامة .

قلت : لي أسبوع منهكة يا مال .. لم أستطع السهر معكم المرات الماضية .

قال ثاني: أنت لا تنامين مبكرة عادة .

ـ نعم ، كان لدينا في المدرسة أسبوع نشاط متعب .

دعت لي أمي والشابان بالعافية والقوة ، وتحدث ثاني عن قرب امتحانات الفصل الأول والاستعداد لها ، ثم عقب فقال : هل فتحت كتابا يا مال استعدادا لها ؟

تطلع في عيني وقال :أنا لا أعرف كيف يقرأ الناس في كتب المدرسة ؟!

فقالت أمي : كما تقرأ في كتب غير المدرسة .

قال : هذا سر.. أنا أندمج في قراءة كتب علمية وأدبية .. ولما أفتح كتاب المدرسة أنعس وأحس بثقل .

قلت : كثير من الناس مثلك .. كيف تنجح؟

قال ثاني : فعلا كيف تنجح ؟ عمرك ما حملت مادة .. وأنت تعلم أن شرح الاستاذ لا يكفي .

قال: أتصفح الكتاب .. وقد أركز على أشياء معينة .. وربك يجبر .

قالت أمي : إلهام يعني!

تبسم وقال : تقريبا ؛ لذلك أترك الدراسة لثاني .

قلت : ألا تغش وتكتب رشتات ؟

قال : أبدا ؛ بل بعضهم يغش عني .. أنا فقط أسعى للنجاح ،لا أهتم بالعلامات العليا .. والأسئلة متنوعة للقوي والمتوسط والضعيف .

قال ثاني : الأسبوع القادم قد تبدأ الامتحانات حسب ما تسرب .. أين ستقضي أسبوعك ؟

ـ رفاق المقهى يتذمرون من غيبتي ..سأستغل الإجازة عنك معهم ..والنادي الذي أسسناه سأتفرغ له .

قالت أمي : أي نادي ؟

قال ثاني : أولاد حيه أسسوا نادي للعب كرة القدم نادي شعبي.. ومال له نادي شطرنج خاص.

تحدث الشاب عن قصة نواديه ولعبه فيهما ، ولما خيم الصمت ، قالت أمي بسؤال مفاجئ له ؛ وكأنه لي : ألم تعرف الحب يا مال ؟

تطلع إليّ للحظات ، وقال : عرفته كما عرفه ثاني ؛ لكني ما خرجت مع أي فتاة للمشي في شارع إلى مطعم إلى سينما .. تعرفت على بعض الفتيات في الحي ..نتحدث في ضوء النهار ؛ بل كتبت شعرا في واحدة منهن .. ولم أجلس معها في خلوة ؛ كأنها طلبت أن أكتب فيها قصيدة ففعلت .. ومرة فتاة دعتني لحبها فاعتذرت لما نقلت لي رسالتها .. وهناك فتاة أراها في السنة مرة عندما تأتي من السفر ، حب سنوي .. ويصدف أن أكون منتظرا رفيقا تقف قبالتي تبادلني حركة العيون وغير ذلك .. وأحيانا أشاركها الهبل ، ثم لما تسافر ينتهي الأمر جملة .

قلت : وكيف تزعم أنك تكره النساء ؟

قال : وما زلت .. ولا أعتبر هذه الوقفات غراما بالنساء أو حبا يا آنسة .. الحب الذي أعرفه غير ذلك .. ها هو ثاني التقى بعشرات الصبايا ، ولم يقع في حب إحداهن أو العكس.. الحب أعمق من ذلك.. لي أصدقاء سنوات يغرقون في الحب واللقاءات .. ويحلمون بالزواج من محبوباتهم يا أم ثاني .. أما لقاء فكيف حالك ؟ ما أخبارك ؟ يمسك يدها .. أهذا حب ؟ لا لا .. هذه سذاجة .

قالت أمي : وإذا كانت هناك فتاة تحبك ، وأنت لا

تستطيع حبها ماذا عليها أن تفعل ؟

قال ثاني : ولماذا يحبها يا أمي؟ وهو عاجز عن حبها والوصول إليها .

قلت لنفسي : هل تقصدني أمي وتريد نقل رسالة لي ؟

فقلت : ولماذا لا يستطيع حبها يا أمي ؟!

قالت أمي: امرأة متزوجة مثلا أحبتك ماذا تفعل يا مال ؟

قال باسما : أهذا لغز أم حقيقة ؟

ـ لنفرض أنه حقيقة .

رد بجرأة عرفتها فيه : هذه لا تحبه ؛ إنما تشتهيه ..تريد الزنا ، والله أعلم .

فقال ثاني : فعلا هذه امرأة شهوانية تطلب الفاحشة يا أمي .. ما دام لها زوج فلتحبه .. أما إذا لم تحبه فتطلب الطلاق .

قال مال :نعم ، تطلب الطلاق وتحبه .. وقد لا يقبل بها المحب زوجة .

تنهدت أمي وقالت : هذا إذا كانت متزوجة ، وإذا كانت عزباء أو مطلقة أو أرملة أحبت مالا وأنت لا ترغبها حبيبة ماذا تفعل هذه الفتاة ؟

فقال : ماذا تفعل يا ثاني ؟

رد : لماذا لا يستطيع حبها؟

قالت : أميرة ملكة غنية

ـ فعلا هذه صعبة يا مال .

فقال مال : يهاجر من البلد حتى تتزوج أو ...

وسكت فقلت : أو !

قال : لا داعي لأو .

قالت أمي : أو تموت يا أولى .

صحت : أوه ! حسن هذا له !.. وهي ماذا تفعل ليذهب عنها هذا الهوى ؟

قال ثاني : تنسى وتبحث عن ذكر آخر ؛ لنفرض أن الحبيب قد مات .. هل ستبقى من غير حبيب ؟ لا يصدق ذلك .

قال مال : عليها بنسيانه ، وكما قال ثاني تبحث عن رجل من مستواها الاجتماعي .

هل هذه كانت رسالة لي؟ هل أدركت أمي الحب الصامت في قلبي لحبيبي مال ؟ أنا أدرك تماما أن مالا يحس بحبي ..وأن كل هذه الأشعار الغزلية رسالة لي ..أنا غنية وهو فقير .. أنا أبي دكتور مالية ووالده عامل بسيط .. أحببته وسأظل أحبه وإن لم أتزوجه .. فهذا الحل عندي يا مال .. الأيام قد يكون لها أمر وكلام آخر .. حبيبي مال .. ألستم أنتم الذين سمحتم لي بالجلوس معه واللقاء به؟!

اختفى مال مع أيام الامتحانات ، قالت أمي : أتحبين الشاب يا أولى ؟

نظرت إليها مليا ثم قلت : ولماذا لا أحبه ؟ ألستم تحبونه ؟!

قالت بهدوء : نحن أحببناه كصديق لنا.. أما أنت

فتحبينه كحبيب ؟

قلت : لا أدري!

ـ أنا أمك يا أولى ، وأعرفك لست غبية .

قلت : والحل يا أمي!

كان الحديث بيننا فقط : أنت من جيله ..وأنت من تعرفين من نحن ؟وهو صديق ثاني ، ولا يقبل خيانته .

قلت : أنا حبي له في قلبي يا أمي ! وأعرف من أنا ؟ ومن نحن ؟ ومن هو ؟

قالت : فالزواج منه يا ابنتي صعب .. وأنت أمامك الجامعة قبل الزواج .

قلت : أعرف يا أمي .. لن أخلو به .. ولن أغازله .. ولن أكتب له .

ـ الأمر صعب عليك ، ولم أكن أتوقع منك ذلك .

ـ القلب بيد الله .

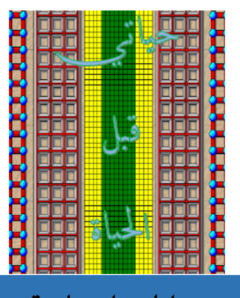
ـ العقل من الله .

قلت : لم يلمسني يا أمي ، ولم نخلُ ببعضنا .. فأحبه في الخيال ، وأعرف أنه لا يفكر بي زوجة أو حبيبة .

قالت : نسلم أمرنا لله أفضل .

قلت : أشكرك يا أمي ! وإذا ترين أن لا أخرج للحديث معكم أفعل .

قالت : لا أمنعك من ذلك .. فليبق الأمر بينكم حول هوايتكم المشتركة فثاني لن يتخلى عنه بسهولة .. فلنصبر حتى تنتهي هذه المرحلة .



روايات اجتماعية

الشفق

السوداء

الحلقة ٤

نظر إليها بتمعن وقال: هل قالوا لك إني صحفي ؟

ـ لم يقل لي أحد ذلك ؛ ولكني فهمت أنك تعمل في الصحافة .

ـ لست صحفيا يا سيدتي الكريمة ! أكتب كهاو وكتسلية .. أنا كنت موظف رقابة صحية مفتش صحة على المحلات الغذائية والمطاعم والمقاهي .. وتقاعدت منذ عشر سنوات .

قالت : كنت متزوجا وترملت .

ـ نعم ، تزوجت كما يتزوج الخلق .. وعشت معها عشر سنوات ، ثم ترملت .. ولي عشرون سنة بغير زوجة.

حدث صمت للحظات ثم قالت : أنا سمعت من شقيقتي هند عن اهتمامك بالصورة التي أدت

لطلاق أمي ـ رحمها الله ـ من المهندس سيف وردة ..ولماذا اهتممت أنت بأمر الصورة ؟

قال : سؤال كبير فعلا يا دكتورة زينب ! حاولت لما علمت بقصة الصورة أن أعرف كيف كانت الحيلة الماكرة ؟ لأخذ تلك الصورة قهرا وبصورة سرية .. فاكتشفت أشياء رهيبة كانت تحدث في المدينة ، ومع بعض طالبات الجامعة .. التفاصيل تحتاج لوقت .

رددت : تحتاج لوقت ! أنت تعرف المهندس سيف وردة ؟

ـ تعرفنا بسبب الصورة ، وصرنا أصدقاء ، وأطلعني على رسالة أمك التي كتبتها له قبل موتها التي تطلب المسامحة منه ، وتطلب معرفة كيف وصلت الصورة إلى رجل المقهى ؟ وكيف تم خداعها ؟

مسحت زينب دموعا تساقطت عند ذكر أمها وقالت : آسف .. هل أنت مستعد للحياة الزوجية بعد كل هذه السنين من العزوبية ؟

تنحنح وقال: أنا في البداية اعتذرت عن أي زواج ،كما اعتذرت طوال السنوات الماضية ؛ ولكن جاءت إشارات مشجعة بالزواج منك .

ـ مثل!

قال : مثل .. هل حدثوك عن ضعفي الجنسي؟

ـ ضعفك الجنسي .. هذا أنت صريح !

ـ ولماذا نضحك على بعض ؟ أنا تزوجت ، ولم أتمكن من الإنجاب لضعف الحيوان المنوي لديّ ورغم العلاجات الكثيرة لم يقدر الله لي الإنجاب ؛ وذلك سبب لي الكثير من المشاكل مع الزوجة وهذا مؤشر على ضعف الطاقة الجنسية ..وكذلك هجري للزواج كل هذه السنين ، وقلقي الكبير من الحياة الزوجية ، والعودة لمثل هذه الصراعات .. ولكنهم أخبروني أنك مرضت بعد ولادة طفلتك ، واضطررت لإزالة الرحم ، فلا تفكرين بالإنجاب.

تحدثت عن رحمها ، ومشاكلها الصحية ، واضطرارها لإزالته ، والتخلص من معاناته وهي تدرس في تركيا لإكمال الدراسة ، واستمع إدريس ، ولما انتهت قالت: لماذا تريد أن تتزوج؟!

تمتم حيرة من السؤال : لماذا أريد أن أتزوج ؟! وأنت لماذا تريدين الزواج؟

ـ لست أدري !.. أختي هند وقبلها أمي تريدان ذلك .. هند تقول : رغم أننا نعيش حياة منفتحة عن سائر فئات المجتمع ، ونعشق الغرب في لباسنا وطعامنا وعاداتنا.. فالزواج حماية من الشائعات والأقوال .. ولم يعد الحي الذي نسكنه يحوي أهل الثراء فقط .. إنها تُلِّح عليّ بالزواج حماية لسمعتي .. عليّ أن أكون زوجة أمام الناس ، ولراحتي النفسية أيضا .. أليس الناس يتزوجون من أجل

الولادة ؟

قال : هذا سبب مهم .. التناسل والمحافظة على النوع ؛ ولكن كم تلد المرأة في عمرها ؟ عدد قليل .. الاستمتاع والمتعة الجنسية هدف آخر ؛ ولذلك هي من متع الدنيا والآخرة حيث لا أولاد .. الولادة للمحافظة كما تعلمين على النوع .. والزواج كما بين النبي الحصان للفرج والغض للبصر عن النساء .

قالت بتفكر: صلى الله عليه وسلم .. وإذا ضعف الجنس هل من حاجة للزواج ؟

ـ أكيد نحن بحاجة للزواج ولو ضعف الجنس ..كلما يتقدم الإنسان عمرا تضعف قدرته الجنسية ؛ لذلك يلجأ الناس للأدوية والمنشطات والأجهزة الطبية .. هل إذا مرضت الزوجة وضعفت عن أداء واجباتها في المعاشرة ترمى في الشارع ؟ قد يكون الحل شرعا الزواج من أخرى ، وما يسمى التعدد عندنا ، وعند غيرنا الخليلات .. وإذا مرض الرجل وضعف هل يرمى في الشارع ؟ الإسلام إذا رأت المرأة أنها بحاجة للنشاط الجنسي أن تطلب الطلاق ، وبعد حين يحقق لها القاضي رغبتها حتى لا تقع في الزنا وتتخذ الأخدان .. وحسب مُشاهداتي أرى أن النساء تصبر على الترمل أكثر من الرجال ، وخاصة أن الكبر يؤثر مبكرا عليهن أو ما يسمى بسن اليأس وانقطاع الطمث وهرمون الجنس .

قالت : صحيح أنا صيدلانية وأنا مثقفة يا أستاذ إدريس .. وقرأت عن الإسلام وقضاياه المعاصرة ، وما زلت أقرأ ..وقرأت فلسفة التعدد في الإسلام .. ووجهات نظر القدماء والمعاصرين ، وأشكال الزواج الجديدة في المجتمعات الإسلامية من العرفي والمسيار .. وقرأت عن الزواج في المجتمعات الغربية وصوره المثيرة للدهشة.

قال : سيدتي معذرة ربما طال اللقاء ! فها أنت رأيتني وتعرفت عليّ ، وأنا قد تشرفت برؤيتك وعرفتك .. وسمر أو هند أو حتى أنت تتحدث معي لاستيضاح أي شيء عني عن شخصي الضعيف ؛ فإذا رأيتني صالحا للحياة معك فلا مانع من العودة للحياة الزوجية .

ونهض قائما ، فوقفت متضايقة وقالت : أراك متعجلا ؟!

ـ آسف جدا ..اقتربت صلاة العشاء يا سيدتي !

وتنحنح بصوت عال ، فأقبلت هند وسمر حيث كانتا يرونهما حيث تجلسان . فقالت هند: هل تحدثتم جيدا ؟

قالت زينب : الوقت قصير.. والرجل مستعجل.

ضحكت سمر وقالت : هند لم أفهم !

قالت زينب: لم نتحدث كثيرا .. سيغادر للصلاة .. على كل حال يا أستاذ إدريس هذا اللقاء للرؤية

والتعارف .. أنت لم تتكلم عن نفسك كثيرا .

ـ ليس لديّ الكثير لأقوله عن نفسي .. أنا أرمل ، ولم أتزوج بعد ترملي ، ولم أحاول لأني عانيت من زواجي الأول .. وجبنت عن تكرار الزواج ؛ ولكن اليوم الأمور في نظري تغيرت ؛ ربما ينجح الزواج .. وهذا لم يكن يخطر على بالي !

قادته سمر إلى مدخل الشقة مودعة ، وقالت : شكرًا يا أستاذ إدريس سمعت أنك ذاهب لمقابلة السيدة عبير .

ـ هي المرشحة الرابعة للحديث عن أيام الجامعة في الستينيات .. كان لديّ حوار مع رجل للتوازن رجلان وسيدتان .. السلام عليكم.

ـ مع السلامة.

وعادت سمر للصالون ، وقالت بدون مقدمات : يبدو أن عريسنا لم يعجب الدكتورة زينب .

قالت بتهكم : هذا عريس يا سمر !

ـ هو عروس!

ـ هذا لباس عريس جاء ليقابل امرأة!

ضحكت سمر وقالت : أعتقد أنه جاء بهذه الهيئة متعمدا ..ويبدو أنه نجح .

قالت زينب : هو لا يريدني !

قالت سمر : لم أقل ذلك يا زينب .. إنك من طبقة اجتماعية ، وهو من طبقة أخرى .. وإن لم يكن بيننا فواصل .. هند قالت : رجل متدين ، ليس متشددا ، ودون لحية طويلة وثوبا قصيرا كما نرى شبابا اليوم .. وكبيرا في السن إلى حد ما .. لا رغبة له بالولادة .

فصاحت هند قائلة : شكرًا لك سمر والشكر لزوجك .. فمواصفات الرجل مناسبة واعتذري للرجل نيابة عنها ، وعن أي جفاء بدا له منها .

قالت زينب : أنا لم أرفضه يا هند ! .. ولم أقبل .. قلبي لم يرتاح له .

قالت هند كأنها محتجة : لم يرتح له قلبك وأنت ترينه أول مرة ! .. نحن الذين بذلنا جهدا ليغير رأيه بالزواج ، ويغامر من جديد .. رجل لن يفكر بالخلفة والإنجاب .. وقد عرفناه جيدا بخاصة الأختان سمر وسوزان.

قالت سمر: صح هذا يا زينب! نحن بعد تأمل رأيناه زوجا مناسبا لك .. وإذا تيسر رجل أصغر منه قد يفكر بعد حين بالذرية .. نحن لسنا في أوروبا أن يكون للواحدة شريك إلى حين والعكس صحيح .. لكل مجتمع تقاليده ، وإن كنت أراها سيئة .. والرجل ليس قريب لي ، ولا صديق العائلة .. الظروف التي جمعتنا به معروفة لهند .. فلعلها تحدثت عنها .. وبالنسبة للمعاشرة الزوجية ـ وأنت الطبيبة الصيدلانية ـ ببعض المنشطات والمقويات تتمتعون بالزواج الكل يضعف مع التقدم في العمر والرغبة تقل .

ـ أنا لم أهتم بهذه الناحية .. فلي سنوات لم أعاشر أحدا .. ولما مرض أحمد لم يحصل بيننا أي اتصال واستمر مرضه سنتين ؛ لكني أهتم بشخصه ، وجعلني أن أراه عجوزا سيموت غدا

قالت سمر : هو ليس صغيرا ؛ كأنه خمس وخمسون سنة ؛ ولكنه نشيط يتحرك يكتب يقرأ يحقق لا يجلس في البيت نهارا .. أنا رأيته مناسبا لك مائة بالمائة حسب طلب هند .

قالت هند : صحيح .. وهو إنسان بسيط يا زينب ولين ومثقف .. سيفهم عليك طلباتك .. وأنا لست متعاطفة معه من أجل موضوع أمنا .. وهو ليس بالصحفي الكبير هو هاو .. هيا بنا

قالت زينب : على كل حال يا سمر سأفكر به بشكل جدي وعميق .. أرجوك لا تزعلي مني .

ـ أزعل منك ! أبدا يا زينب هذه حياتك أنت ليست حياتي ؛ ولكن المرأة لو تجد زوجا ولو ديكورا خير من دون زوج .. لو زارك أحد ليلا سيسبب لك الإحراج .. أنت تعرفين أقوال الناس .. ولو دخل أحدهم بيتك صباحا ، سيقولون قصة غرام جديدة رغم فسادهم وشرورهم من أجل ذلك هند تحب لك الزواج .. ليس من أجل الجنس والأطفال .. من أجل أقوال المغرضين .

ـ شكرًا سمر .

كانت هند تسوق السيارة عائدة وشقيقتها زينب جهة حي بهية حيث تسكنان منذ ولدتا ، وبعد مضي وقت قالت زينب : مالك صامتة ؟ كأننا عائدون من مأتم!

ـ مالي صامتة يا أختي ! ماذا أقول ؟ هذا هو الرجل الذي جاءنا عن طريق سمر .

ـ أنا راغبة بالزواج ، وكذا مرة قلت سأتزوج .. لكن أريد الزوج المناسب ، وليس أي زوج .. أنا قلقة .. أخشى الفشل والطلاق بعد الحصول على لقب أرملة .

قالت : سنة الحياة الموت والحياة .. ها هي سمر تزوجت بعد أن طلقها زوجها ، وطلق الشيوعية مع طلاقه منها كما تقول ، وهاجر لأكبر بلدان الرأسمالية .. ومن حسن حظها أنها لم تلد منه .. وها هي سعيدة بزوجها الثاني ، وزوجت أطفالها منه .. ومن الصعب أن نجد زوجا متدينا في حيينا يا زينب .. والرجل قبل من ضغط سمر عليه ..وأقنعته بصلاحه للزواج .. هو لم يوافق نهائيا .. ينتظر موقفك .. لم يفاتح أحدا من أقاربه .. هو تحدث مع المهندس سيف وردة الذي تعرف عليه من بضعة أشهر ، ورفيق آخر كأخ له .

ـ سيف زوج أمنا الأول .

ـ نعم

ـ هذا الرجل بدا لي غريبا .. فهو بدا لي كارها للنساء بسبب زوجته التي ماتت ، ومعقدا منهن

وسيف هذا رغم مجيئه للصيدلية وشراء أدوية له وللخادمة العاملة في بيته أسمع أنه معقد ويكره جنس النساء .. كذا مرة سمعت من أقاربه ذلك ؛ بل بعضهم يكرهه ويبغضه .

قالت هند : أمي درست معه وتزوجته .. وكتبت له الرسالة التي تخبرين .. فهو يعتقد أن أمنا هي التي دمرت حياته وكرهته في جنس النساء والإناث .. فهن في نظره فاجرات مومسات ولكني سمعت أنه صار يصلي .

ـ سيف يصليّ

ـ نعم ، يعلمه إدريس الدين .

ـ إدريس صاحبنا الذي قابلناه قبل وقت يسير !

توقف السيارة أمام بيت زينب فقالت : ادخلي لنتعشى سوية ..وأسمع منك قصة المقابلات مع هؤلاء الشيوعيين ..ولماذا فعل إدريس ذلك ؟!

ـ البيت !

ـ اتصلي وأخبريهم أنك في الحي وعندي .

قالت هند بتردد : ما رأيك أن نؤجل ذلك ليوم آخر ؟

ـ الأفضل الليلة ، فالوقت مبكّر ..قبل قليل أذن العشاء .

نزلتا من السيارة ، وفتحت زينب بوابة الفيلا ، وتبعتها هند ، وفتحت لهما الخادمة الخاصة بزينب باب الفيلا ، ورحبت بهما ، وقالت لها زينب: يا جوزفين اتصلي مع المطعم، واطلبي العشاء.

حنت الخادمة رأسها "بنعم"، ودخلتا غرفة الزوار ، واستأذنت زينب لتغيير ثيابها ، ودخلت هند الحمام ، وخلال ساعة كان العشاء قد حضر من المطعم ، وأخذتا بالأكل ، ولم تتحدثا عن سمر وإدريس وسيف والزواج ، ولما انتقلنا إلى غرفة الجلوس والسمر قالت زينب : يا هند لا تغضبي مني أنا أحبك ، وليس لي في الدنيا إلا أنت وأخي خالد وابنتي كريمة .. وأنا أعلم قوة حبك لي ، ورغبتك في سعادتي ، واهتمامك بحياتي وزواجي منذ فقدت أحمد ؛ لكن ألا ترين فارق السن بيني وبين الرجل ، إنه فرق كبير .

ـ الأعمار بيد الله أولا.. والرجل صحته جيدة كما علمت .. فهو لا يعاني من السكري أو أي مشاكل في القلب .. ولا أتصور أن يقبل رجل صغير السن الزواج منك إلا إذا كان طامعا بثروتك خاصة ممن نعرفهم .. ولليوم لم يتقدم إليك أي شخص من المعارف والأقارب ؛ ربما بسبب علمهم بتدينك ..فهم لا يحبون هذه الصفة في الزوجات .. يحبون التبرج والسفور واللهو وأنت تعلمين ذلك .. والرجل مثقف ومرح ومتدين بدون تشدد وتعصب وغير متزمت وتقبل الأمر من سمر وهي في نظره كافرة .. وهو لا يعرفها قبل انخراطه في المقابلات الخاصة بجريدة صاحبه أو قريبه ..

والأمر الأهم أنه لا يهمه أن تلد زوجته ؛ ولذلك تشجعت سمر لمساعدته ؛ لأنه عانى من زواجه القديم .

ـ لكنها حياة زوجية وبيت وطبيخ ونفيخ .

ـ يا سلام ! الخادمة ماذا تفعل عندك ؟! وحتى ونحن في بيت الوالد تعلمنا ذلك ؛ لأن ذلك من واجباتنا تجاه الزوج والأولاد ؛ ولكن طول عمرنا نأكل من تحت أيدي الخدم والمطاعم .. أنا استرحت للرجل ، ليس لأنه مهتم بقصة أمنا وسيف وبراءتها .. فأمي ليس بريئة تماما يا زينب فالصورة القذرة صورتها دون منازع ، لم تنكر أن الصورة لها ؛ لكنها ترفض فكرة أنها تعرت حرة أمام أحدهم ليصورها ..كيف خدعت ؟ كيف مكر بها ؟ هذا ما كان يغيظ أمنا يا زينب وماتت وهي لا تدرك كيف حصل معها ذلك؟ لذلك كتبت رسالة لسيف أن يذهب للمقهى ويبحث عن الرجل الذي باعه الصورة .. ويعرف منه كيف وصلت إليه الصورة ؟ ولكن الوقت تأخر للغاية .. لماذا طلبت منه ذلك؟ الله أعلم .. وتوصل إدريس إلى قصة الشقق السوداء التي تقاد إليها الطالبات الساذجات، ويخدرن ويصورن عاريات ؛ لابتزازهن للعمل في الدعارة أو الفضيحة .. وأمي لا تعرف بمثل هذه الشقق.. ولم تتحدث عنهن يوما وكانت تعرض الصور على الضحية بعد زمن حتى لا تتذكر وقت الخداع .. وأين ؟ وسقطت العديد منهن في براثن تجار الجنس والفجور .. وسيف كما فهمت كان يرى أمي ملاكا لا يمكن أن تقع في مثل هذه الهفوة أو الغفلة فصدم صدمة قوية .. وظن أنه خدع من قبل أمي وأهلها ؛ فكان الانفصال بسرعة ، وجنح به الخيال بما وراء الصورة من خبايا .. أنا لا أضغط عليك بالزواج منه .. هذه حياتك أنت ، لا حياتي ؛ لكنني أحب لك الخير والسعادة .. وأن يكون لك الزوج الطيب المحب ..لا تصلح الحياة لشابة صغيرة مثلك بدون زوج يعيش معها يجلس معها ، ويؤنسها يفرح لفرحها ، ويتعاطف مع حزنها.. يرافقها في الحفلات والمناسبات لو أنك كبيرة لربما كان الأمر أهون يا عزيزتي .. فكري بترو وعمق .. أنت لك ظروفك الخاصة .. وأنت تعلمينها أكثر مني .. وسيف الذي تعقد من النساء وأبى الزواج بعد الطلاق حبب للرجل الزواج منك .. لا أدري ما السبب ؟! فنحن ليس بيننا صداقة خاصة ، ولا عامة إنه مجرد جار له ذكريات مع أمنا أيام الجامعة ، وظلت أمنا تحتفظ بصوره تلك الأيام .. هذه الذكريات دفعتنا للتعرف عليه ، وليس بيننا سوى أهلا مرحبا كيف الحال في بعض الأحوال كالالتقاء في مناسبة اجتماعية كعرس أو مأتم اضطر لحضورها من مناسبات أقاربه الذين

نعرفهم .. فلا دخل لنا في زواجه ، ولا طلاقه .. قولي لي ما أخبار أبي ؟

ـ مريض .

قالت هند : أعرف هذا .. وتحدثت معه بالتلفون ، وطلب زيارتي وزوجي ؛ ولكن زوجي يرفض الزيارة ، وقال: اذهبي وحدك ..لا يريد اللقاء به .. وإذا فعلت ذلك سيغضب والدي وربما سيطلب مني أن أطلب الطلاق .. لم أكن محظوظة بالزواج منه ؛ ولكنه والد الأولاد.

ـ صار معك كما صار مع أمي ـ رحمها الله ـ تزوجت من لا تحب وترغب .. لا أدري كيف يحدث الزواج يا هند ؟! .. تحدثت مع طبيبه المعالج فقال بصراحة قاتلة : سيموت قد استفحل المرض في بدنه ، وأجهزة الدفاع تضعف يوما بعد يوم ..إنه السرطان .. ولم تعد تسمن المسكنات والمخدرات .. وقد يتعرض لجرعات من الكيماوي الطبي على أمل .. وهو ضعيف .. زوريه وحدك أو اقنعي زيادا بالذهاب معك .. وإنها قد تكون زيارة الوداع .

ـ سأفعل .. الآن اسمحي لي بالانصراف .

ـ الحديث لم ينته بيننا.

قبلتها مودعة وهي تقول : فكري بجد بزواجك ..أنا لن أغلق الملف حتى أراك زوجة ، ليس مهما من هو صاحب الحظ .. إلى اللقاء . وعانقتها مجددا مودعة وخرجت .

إدريس لم يفكر بلقاء هذه الفتاة عبير حامد ، وسمر عمران ، هو كان مخططا للقاء مراد وسوزان فالأول هو الذي كشف أمر الصورة لسيف ، ثم تبين أنه لم ير الصورة ؛ إنما استغل لنقل الرسالة وسوزان كانت صديقة لنبيلة ولمراد .. وكلنا يعلم أن سبب هذه اللقاءات هو معرفة كيف حدث التصوير الإجرامي ؟ ووجهت سوزان إدريس نحو سمر ، وتأكد من موضوع الشقق السوداء ، وسمر وجهته لعبير على أنها العضو الرابع للمقابلات .. وقد أدرك أن وراء الأكمة ما وراءها .. ظن أن لديها شيئا حول الشقق .. وهي في نفس الوقت عملت في الحركة الشيوعية كسائر الأسماء المختارة .

التقى بها في مقهى عام يجمع بين الجنسين، والسبب أن الآنسة عبير ما زالت عزباء عانس ـ كما يقال ـ منذ تخرجت من الجامعة ، وهي بدون زواج شرعي .. جرى التعارف والترحيب ، وقالت : لم أستطع استقبالك في بيتي؛ ولأنك رجل غريب عن الحي ، وأنا أسكن مع أمي .. ولي أخوة جيران في الحي .. فأنا لم أتزوج بعد ، ولن أتزوج .. وأنت خير من يعرف التقاليد رغم أن أهلي يعرفون أنني أجلس مع شباب الحزب ..فالتقاليد تحكمنا عندما يرونك مع رجل غريب عنهم يعتقدون فيّ السوء والزنا ..

لا يرون أن هناك حوارا بين رجل وامرأة.

فقال : نعم ، ما زالت التقاليد تحكمنا خاصة الأحياء الشعبية .

قالت عبير : وحتى أحياء الأثرياء صداقة رجل وامرأة تعني الفاحشة والخنا .. هذا المقهى يرتاده الرجال والنساء .. لا للعب الشدة كمقاهي الرجال .. هنا الدخان والثرثرة فقط .. ها هنّ فتيات يدخن النرجيلة .. حديثنا عن الحركة الشيوعية في الستينيات .

ـ العقد الذهبي على ما أظن .

ـ يمكنك أن تقول ذلك ..كان الفكر يتكلم فيه.. في السبعينات أصبح الرصاص يتكلم .. وفي الثمانينات الإصلاح والتقويم ، ثم انفرط الحزب الشيوعي السوفيتي ، والأهم في الحركة الشيوعية العالمية .. أنا صرت شيوعية لظروف معينة ، لا تعرف عنها شيئا .

قال بفكر وتأن : أنا رشحت لي للحديث عن فترة دخولك الحركة الشيوعية من قبل زميلتك

السيدة سمر عمران .. وهي تعرفت عليها عن طريق المهندسة سوزان .. اليوم الشيوعية

أصبحت هواية وتغني بالأمجاد

ـ تغني بالأمجاد !

ـ نعم ، عندي سؤالان سألتهما لرفاقك الأول كيف انخرطت بالشيوعية العربية ؟ وهي حركة الحادية صادمة للمجتمع المسلم ، والثاني هل ما زلت تؤمنين ومتمسكة بالفكر المادي وتلك الشعارات ؟

تنهدت وقالت : أنا عرفت الشيوعية ، وسمعت بها في الجامعة ، وعرفتها عن طريق سمر زميلة الكلية ، ولم أنخرط فيها إلا بعد أن تعرضت للاغتصاب ، وتصويري حيلة عارية وفي أوضاع جنسية لا تخطر في البال ؛ وذلك رغم أنفي .. فالتحقت بالشيوعية حماية لنفسي من الدعارة ؛ وذلك نصيحة من صديقتي سمر .. فالجنس مباح عندنا ولا أهمية للعفة .. والدعارة مرفوضة

أدرك إدريس حسن اختيار عبير لهذا اللقاء .. فها هي تعترف بالأذى الذي حل بها .

فقال : هل يمكن الحديث عن ذلك المكر في هذا المكان العام؟

قالت : يمكن.. أتصور لا أحد يهتم بما نتكلم .. قبلت طالبة في الجامعة في كلية التمريض كسمر ..كنت في نظرهم جميلة ..كنت أحب الثياب والعطور والتبرج ، وصحبت الشباب والشابات من السنة الأولى ، وكنت في نفس الوقت ساذجة حسنة الظن بكل شخص .. تعرفت على شباب الحركة الشيوعية ؛ لأنني لم أكن متدينة أصلا ؛ ولكني لم أكن أعرف الإلحاد هل هناك إله أم لا ؟ ولم أهتم بالتحزب .. فكنت بعد انتهاء

المحاضرات أعود لأقطن مع فتاة شريكة لي في السكن .. أنا عرفت الشباب من أيام المدرسة الثانوية أصاحب ذا فترة وأتركه إلى آخر .. ولما التحقت بالجامعة تجاهلتهم كلهم .. تعرفت على شاب في آخر السنة الأولى شابا أثار إعجابي .. كان جيدا وكان ينفق بسخاء عليّ من مرطبات كحول ساندويتشات هدايا من العطر .. تعلقت به .. ولم نفكر في الزواج طبعا صداقة كلية .. أمامنا سنوات للتخرج واستمرت العلاقة بعد انتهاء السنة الأولى .. وأثناء عطلة الصيف كنت ألتقي به في وسط المدينة ، نتناول الطعام ، نذهب السينما المسرح كان سامر يغمرني بالغزل والأحلام والهدايا ، وكنت عاجزة عن تقديم شيء له أكثر من بضع قبلات خلال كل هذه الشهور ..كان يتظاهر أنه مغرم بي .. حقيقة كنت مفتونة ومبهورة به وبكرمه ومطاعمه ، لم يتحرش بي جنسيا ..كنت أتوقع أن يطلب مني المعاشرة مقابل ما يقدمه ؛ لكنه لم يفعلها ، هل أحد يعطي بدون مقابل ؟! انتظرت عدنا للسنة الثانية ، وهو المحب الكريم .. ودعاني إلى حفل أول السنة في بناية راقية .. ورأيت فيها الكثير من فتيات الجامعة ..وسررت بوجودي في هذه الحفلة العامرة ، ثم تكررت الدعوة بعد ذلك لمثل هذه الحفلات الخاصة به ، ويرافقها طعام رقص غزل خمر دخان.. وكانت البنايات تتغير بين

حفلة وأخرى ، حتى أنني لم أكن أدري من الداعي لها ؟ هو يدعوني لمشاركته فألبي الدعوة إلى أن فاجأني يوما بصورة إباحية لي ، كنت بغير لباس عارية تماما .. صدمت لم أستوعب الأمر خلت الأمر خدعة أو لعبة ، واتهمني بالخيانة والغدر ، وأنني بعت جسدي لمحب آخر .. دافعت هن نفسي بشدة دون فائدة .. المهم اختفى من حياتي بعد عرض تلك الصورة ، ثم ظهرت لي بعد حين يسير فتاة تحمل لي عددا من الصورة العارية والإباحية ، وكلمتني بكل وقاحة وصراحة بأنني إذا لم أقبل العمل بالدعارة ستذهب تلك الصورة لأهلي وتنشر بين طلبة الجامعة .. وبعد رفض شديد وتمنع عرضت عليّ معاشرة رجل واحد مقابل أن يسلمني الصور .. المهم سقطت في براثنهم وشققهم حالمة بالحصول على الصور .. كانت أياما عصيبة وسقوطا مريعا في مستنقع الرذيلة .. فكانت سمر صديقتي ، وحدثتها بالورطة التي وقعت فيها ؛ وربما سمعت بما حل بي فكشفت لها الحقيقة التي أتكلم بها أمامك فضمتني للحزب الشيوعي حتى لا أشغل نفسي بالبكارة والعفة .. وتوقف هؤلاء عن تهديدي وفضحي لما لما أعلنت شيوعيتي ؛ لأن الحزب هدد بفضحهم .. ونشر قصتي في مجلات الحزب وبياناته .. وهكذا صرت عضوا في الحركة

الشيوعية العربية ، ولأنجو من بيع جسدي لمن هب ودب ..كنت كلما أقابل أحدهم لأخذ الصور يطلب مني المضاجعة والزنا .. ثم يرمي عليّ عشرة دنانير أو عشرين .. كنت رخيصة ؛ ولكنها ورطة لا تنسى .

فعقب إدريس : إذن نفذت بجلدك بدخولك الحزب .. ونجيت من الدعارة والإباحية .

قالت : الشيوعية لا يهمها الشرف والدعارة .. هي غير محرمة عندهم .. الجنس بالرضا والاقتناع بدون تهديد وابتزاز ..وأنا لليوم أرفض الزواج .. ولما كبرت سني ضعفت الرغبة بذلك ، وحرصت ألا يعرف أهلي أنني امرأة ، ولست عذراء

ـ لم يتقدم إليك أي شيوعي .

ـ سيرفضه أهلي ، وهم سكتوا على شيوعيتي على مضض للحرية التي نتمتع بها ، وللمال الذي أقدمه لهم .. فأنا تعلمت التمريض ، وعملت في قطاع الدولة ومشافي خاصة بعد التقاعد .. وما زلت أعمل .. وأنا اليوم غير شيوعية ، تركت الحزب في أواخر السبعينيات ؛لأنني غير مقتنعة بالإلحاد .. ولا يعني هذا أنني متدينة ، لم أعرف التدين يوما .. هذه قصتي يا أستاذ إدريس .. واعلم أنني ما زالت لي صداقات مع الرفاق وغيرهم ..هل بقي شيء؟

ـ والشاب الذي غرر بك ما مصيره ؟

ـ هو بعد أن مثل دور الصديق والسخي اختفى من حياتي .. ثم تبين لي أنه لم يكن طالبا معنا هو متخرج من زمن ..وكان يأتي الجامعة متظاهرا بأنه طالب ؛ ليصطاد المغفلات المراهقات مثلي .. فالعاشق الولهان الشريف مات .

ـ مات

ـ نعم ، مات ، والأصح لقد قتل .

ـ كيف ؟!

ـ لم أكن أول فريسة له ، كان يظهر في كليات مختلفة ، فهو مجرم ناعم .. الله أعلم كم يقبض أجر كل جريمة ؟! كرر العملية مع فتيات أخريات .. وهناك فتاة اعترفت لأهلها بما حصل معها من احتيال وخداع ، وجاءوا الجامعة والكلية التي كانت تدرس فيها الفتاة ، وأشبعوه ضربا ورفسا وطعنا بالموس ، ونقل إلى المستشفى ، ثم مات .

ـ والتحقيق !

ـ التحقيق حول الصور .. لا، كان التحقيق حول الجماع ، وعرضت على الطب الشرعي فبين أنها عذراء ، لم تفض بكارتها .. وقتل المخادع وراحت عليه .. وسجنوا الإخوة بضع سنين .. وسمعنا أنهم خرجوا ، وتزوجت البنت ، وأصبحت أما .

وبعد لحظات من الصمت ، وطلب المزيد من القهوة قال : يا أختي العزيزة كيف كُنتُم تصورون ؟! تخدرون تنومون .

ـ حسب الحفلة .. هناك حفلات تمتد للفجر .. أتوقع أن التصوير يحدث فيها .. نتعب من الرقص والشراب والغناء ، فينام كل واحد حيث يكون .. وهناك حفلات مختلطة ، وهناك حفلات قصيرة تنتهي قبل نصف الليل .. وأعتقد أن هذه الحفلات تغطية على حفلة التصوير من الصعب أن أعرف متى تم تصويري ؟ فأنا عندما أنام أحسب أن ذلك بسبب الكحول والتعب والأكل الكثير .. فتحديد حفلة التصوير إذا كنّا في حالة تخدير لا يعرف ؛ وربما تكشف لنا الصور بعد نصف سنة ..كيف سأتذكر ؟ لا يعرف المخدوع أي حفلة مكروا به .. إنهم شياطين وأرجح أنهم يستخدمون المنوم أو مخدرات غير خطرة كالتي تستخدم في تخدير الحيوانات الخطرة لعلاجها أو نقلها .. والصور تكون في غرف خالية من الأثاث .. سجادة على الأرض .. والمصور محترف في لقط الصورة .. وعندما نستيقظ سيذهب الظن إلى الشراب والرقص .. أنا عرفت فتاتين خلال الجامعة استدرجتا للفخ .. أنا ضعفت للحصول على الصور ولكنهم ماكرون .. فكان أمامي الحزب الماركسي للتوقف عن الدعارة والفضيحة .

ـ يعني أنك لا تذكرين ما حصل تلك الليلة .

ـ لا أذكر ليلة الجريمة ..فتكرار الحفلات بعدها لا يدعك تعلم .. ولا يكاد أسبوع أو عشر أيام تمر بدون دعوة وسهرة.

ـ ألا يحدث زنا ؟

ـ أنا لم أر ذلك .. كانت تحدث قبلات حركات .. أما تعري وزنا لم يحدث أمامي شيء ..الزنا له شقق خاصة .

قال : حدثت عن هذه الشقق من قبل سمر وسوزان قبلها ..ولم تعرفا مكان التصوير ، هل هو نفس الشقة أم تنقل لمكان خاص بالتصوير ؟

ـ أعتقد في نفس الشقة ؛ وربما تكون هناك شقة يجري فيها التصوير .. فشقق الحفلات كثيرة .. لا أدري كيف توفر؟! أنا شاركت في أكثر من خمس شقق كحفلات وسهرات .

لما رجع إدريس من المقهى حيث قابل الآنسة عبير اتصل بالسيدة سمر ، وقال بعد التحية : الآن عدت من مقابلة مع الآنسة عبير ، هل هي الفتاة التي عملت في تلك الشقق ؟

ضحكت وقالت : أنت فهمت ذلك ، لا ، تلك المرأة ما زالت ترفض أي مقابلة ، وأي حديث عن تلك الأيام .. الأخت عبير حامد هي ضحية مثل نبيلة خالد .

ـ أتعرفين غيرها من ضحايا الشقق ؟

ـ أعرف حوالي عشر فتيات أُكرهن على الفجور ؛ لكن الاتصال انقطع معهن بعد الخروج من الجامعة .. نبيلة المهندسة لم تعرف أنها صورت إلا

بعد زواجها من المهندس سيف .. أما عبير فاعترفت لي بذلك .. واستطعت إنقاذها.

ـ والشاب الذي قتل .

قالت : عندما تعرف عليها كان متخرجا من إحدى الكليات ، ولأنه وسيم وجميل ابتاعوه ؛ ليجر الفتيات إلى تلك الشقق بعد قصة حب رومانسية لفتيات متعطشات للأسف للحب والغزل .. ولما ينته دوره مع إحداهن ينتقل لكلية أخرى ، ويصطاد فتاة حددت له .. الحقيقة المرة التي علمتها أن عصابة رهيبة كانت تدير هذه المواخير .. والشاب الذي ورّط عبير قتل ؛ لأنه المورط وصياد .. المصور مجهول حسب علمي ، فالشاب صياد فقط .. لكن الفرسان كثر ربما لا يعرفون بعضهم بعضا .. هو يفعل ذلك مقابل أجرة .. فهم يدفعون ثمن غرامياته وحفلاته وثيابه وهداياه .. وظيفة يا إدريس .. لم يحزن عليه أحد لما قتل .. فقد كان مكشوفا في

تورطه في تلك القضايا الأخلاقية السيئة .. أفهم أنك لم تستفد كثيرا من عبير!

قال : استفدت طبعا ، استفدت قصة حياتها ، وكيف عملت معكم ؟ ولكنها خرجت من الحزب .

ـ نعم ، خرجت قبل سنوات .. هي كان نشاطها ضعيفا مجرد عضو .. كانت محطمة نفسيا .. وحتى أثناء عملها خاضت عدة مغامرات عاطفية فاشلة

ـ لم تتكلم عن ذلك .. ركزنا على قصة اصطيادها .. فعلا موضوع الصور والشقق مثير ؛ ولكنه قديم ، يبقى مجرد حكاية ومأساة لمن وقع فيه .. وهي ضحية كما قلت ، ولا تذكر كيف خدروهن أو نوموها ؟ لديهم مكر وخداع بارع .. وأين حدث التصوير ؟ لا تستطيع معرفة البناية .. وقلت تلك المرأة ترفض أي مقابلة أهي ذات بعل ؟

ـ لا بعل ، ولا بصل .. قوادة .. وهي نصف مشلولة ، لا زوج ، ولا أولاد .. كانت مشرفة على إحدى الشقق .. وأعتقد أنها تعرف كيف كان يتم التصوير والتنويم والتخدير ؟ صديقتي نبيلة كانت تتمنى لو تعرف كيف صوروها ؛ لتكتب لزوجها الأول الحيلة التي تعرضت لها كانت قلقة بشأنه ، وتشعر أنها سببت له عدم الذرية والنساء .

قال بشفقة : هو جعل كل النساء نبيلة ، وهو يعترف اليوم أنه تسرع ، وغلبه الانفعال والغضب وقد سيطرا عليه ذلك النهار عندما رأى الصورة القبيحة .

ـ أنت تعرفه سيد إدريس !

ـ نعم ، تعرفت عليه منذ عهد قريب ، وأصبحنا أصدقاء ؛ وذلك بسبب الصورة .. شكرًا عندما أنتهي وأعد القصص للنشر سأتحدث معكم ، سلمي على الآنسة عبير .

وقبل أن ينهي الاتصال سمعها تسأل : هل تحدثت هند معك بعد ذلك اللقاء ؟

ـ من أجل أختها أم من أجل أمها ؟

ـ من أجل الزواج !

ـ لم يحدث شيء بعد لقاء التعريف .

قالت مشجعة : سيحدث شيء يا أستاذ إدريس إنها خائفة فحسب ، إنها تعيش وحيدة ، وقد يكون مرض والدها مؤثرا عليها .

ـ وهل هو مريض ؟!

ـ نعم ، هو مريض منذ سنة.. سرطان في القلب ولا أمل في العلاج هنا ولا هناك .

ـ هو من جيلنا!

ـ أعتقد .. وهند مهتمة بزواج أختها لأسباب عدة

ـ منها!

قالت : الوحدة التي تعيش فيها زينب .. أنت كيف تعيش وحيدا ؟!

ـ حياة لا تسر .. إذا مرض الرجل قد يتضاعف المرض قبل أن يدخل عليه أحد ؛ ولكني تعودت عليها .. وجيراني في الحي أخي وأختي وبعض الأقارب .. تعودت على الوحدة عشرين سنة .. أحدهم يقرع الباب ...

وضع السماعة ، وخرج يفتح الباب ، فوجد سيفا أمامه ، ويحمل طعاما جاهزا ، فساعده في إدخال الطعام ، وقال : اتصلت بإياد وهو قادم .

قال : حسنا ! شكرًا يا سيف .. يبدو أن طعام مطعمنا لا يعجبك .

ـ لا ، لا ، بل طعامكم جيد .. ولكني أحببت أن أكرمكم.

ـ أكرمك الله .. بارك الله فيك .. ها هو صوت سيارة إياد يقف أمام العمارة .

ـ أنا كلمته من المطعم .

خرج إدريس لفتح الباب لإياد الذي زلف مسلما مصافحا ، وانتقلوا إلى حجرة الطعام وتعشوا وخرجوا لصلاة العشاء في المسجد ، ثم عادوا للسهر والسمر ، وحدثهم إدريس عن لقائه بالآنسة عبير في مقهى النضال العربي .

فقال سيف معقبا :يا الهي ! لقد كنت مغفلا تلك الأيام .. لم أسمع بهذه الأفلام الرهيبة أو لم أكن أركز على سماعها .. الحوادث كثيرة في الكليات .. هذا لا يخطر في البال!

قال إياد : إنه تدبير محكم ؛ ولكنه لا يخلو من ثغرات .. وماذا استفاد الشاب القتيل من تغريره بهن ؟!

ضحك إدريس تهكما وقال : المال والبدلات والحب .

قال سيف : الأشرار لا يفكرون في النهايات ..لا يفكرون في مصالحهم الآتية والشرعية .. ولكنها لم تعرف كيف وقعت ؟

ـ لا تعرف ، واستسلمت للتهديد على أمل أخذ الصور .. ولما خابت بذلك أنقذتها سمر بإدخالها في الشيوعية ، فابتعدوا عنها .

قال إياد : المهم أنها تعرضت للتخدير بطريقة لم تعرفها ، الشخص إما أن يصور بإرادته وعلمه أو رغم أنفه ويدرك ذلك بعد الاستيقاظ ، أو رغم أنفه خدعة وحيلة ولا يدرك ذلك وهذا ما حصل مع امرأتك يا سيف لم تدرك كيف صورت ؟كن ضحايا لعبة أكبر منهن !

قال سيف : للأسف لم أكن أسمع بمثل هذه الأشياء والشيطنة ، وحتى نبيلة كانت تجهلها أو علمت بها ، ولم تلق لها بالا .. لم تحدثني يوما عن مثل هذه الشقق السوداء الحمراء .. على كل انتهت القصة ها هنا .. ولم أكن أعلم بمثل الأوكار .. وأنا أشهدكم أنني سامحتها .

قال إدريس : أنت كنت طيبا يا سيف .. انعزاليا إلى حد ما .. فغفر الله للجميع .. وأهل الشر لا ينتهون إلى قيام القيامة .

قال إياد ملطفا الجو : قدر الله وما شاء فعل يا إخوان .. الآن ماذا جرى لك مع السيدة زينب ؟

تنحنح إدريس ، ومسح فمه من بقايا ما يأكله : تقابلنا في بيت السيدة سمر ، تحدثنا عن مشاكلنا الجنسية بكل وضوح .. وطلبت الحديث عن صورة والدتها ، وقصتي مع الصورة .. فاعتذرت بالوقت ، وكان وقت العشاء يقترب وخرجت للصلاة ..وأنا أنتظر الرد ليصبح الموضوع جديا لعلي أتزوج أنا وسيفا في ليلة واحدة .

ضحك سيف وقال: يا صديقي لا تربط نفسك بي .. أنا نسيت شيئا اسمه الزواج

ـ لا رهبانية في الإسلام .

ـ لن أذهب للدير يا صديقي! أنا طابت لي حياة العزوبية .. أنا أفكر بزيارة مكة .

قال إياد : الحج!

ـ نعم

قال إدريس مشجعا: فكرة جيدة ! أنا مثلك أرغب بذلك.. أنا حججت قديما مع إياد في بعثة البلدية .

قال إياد مشجعا لهما : اليوم الخدمات والرعاية للحملات أفضل .

قال إدريس : أتمنى لك التيسير يا صديقنا.. فالحج ركن عظيم من أركان الدين .. هل تصلي في البيت ؟

قال : بالتأكيد .. وأقرأ جيدا .. أنا أفكر بإطلاق لحيتي .

قال إدريس : لا تتعجل يا صديقي حتى تتقوى الطاعات عندك ، وعندما تجتاز الصيام ورمضان خاصة تتأسى بالسلف الصالح بشأن اللحية .

عندما رجع سيف للبيت بعد منتصف الليل

أخبرته الخادمة أن سيدة اسمها زينب اتصلت به وتركت رقمها ، وطلبت أن يتصل بها بأي وقت من الليل ، أخذ الرقم وتركه على مكتبه ، ودخل الحمام ، واغتسل وتوضأ ، وصلى بضع ركعات كقيام ليل ، ودخل مكتبته المنزلية ، وتناول كتابا كان يقرأ فيه ، وقرأ بضع صفحات ، وغفي على الكنبة ، واستيقظ على آذان الفجر وتوضأ وسار للجامع الذي يتوسط الحي .. وهذا أقدم مسجد في حي بهية ، ولم يكن المصلون بالعدد الكثير ، كانوا صفا واحدا ، وبعض أنفار في الصف الثاني ، ولما قضيت الصلاة غادر المسجد سيرًا على الأقدام إلى بيته .. وما كاد يستريح ، ويتناول القهوة من الخادمة حتى رن جرس الهاتف ، فتناول السماعة قائلا : نعم .. زينب أهلا صباح الخير أو السلام عليكم أحسن أنا بخير .. ترغبين بالحديث معي .. آ أنا دائما في البيت .. ليلة أمس كنت في زيارة .. بعد العصر

أمر على الصيدلية أذكر موقعها .. حسنا ، بعد الصلاة سأكون في الصيدلية إن شاء الله .

غادر المسجد بعد صلاة العصر ، وركب سيارته باتجاه صيدلية زينب التي تقع بين أول حي بهية وحي العرب الكبير ، دخل الصيدلية بعدما ركن السيارة أمامها ، رحبت به زينب ومساعدتها وقدمت له مقعدا ليجلس عليه، ولما أنهت الترحيب والجلوس قالت : كيف أنت؟

ـ بخير

ـ أنت تصلي يا سيد سيف!

ـ نعم ، من عهد قريب تعلمت الصلاة .

ـ هل أنت مرتاح في الصلاة ؟

قال بحماس: جدا يا سيدتي! كيف أنت ؟ وكيف الدكتورة هند؟

ـ كلنا بخير ..كنت أحب أن أسالك عن شخص تعرفت عليه حديثا .

ـ إدريس .

ـ نعم ، إدريس .

ـ نعم ، عرفته وأزوره في بعض الأمسيات ، وتحدثنا عن والدتك ، وما تعرضت له من مكر ، وتدبير شيطاني ؛ ولكنها لم تعرف من غدر بها .. ما زال الفاعل مجهولا

ـ هل تعلم أن هذا الرجل العجوز قد قدموه لي كزوج ؟

ـ أعلم ذلك .. وهو رجل جيد واجتماعي ومغامر وصحفي وفضولي ومتدين إلى حد جيد .

بعد صمت قالت : لو كنت ابنتك أتقبله لي ؟

ـ لم أفهم قصدك يا سيدتي ! أنت تزوجت وترملت ، وهو تزوج وماتت زوجته .. بينكم أشياء مشتركة قد تساعد على نجاح الزواج .. فكلاكما لا يسعى للولد .. وأنت ـ معذرة ـ كما

علمت قد أزلت الرحم ..وهذا يسبب الضعف الجنسي .. وهو يعاني من ذلك .. وأنت ترغبين بزوج عنده مسحة من التدين بمعنى أنه غير متشدد .

ـ مسحة من التدين ! هذا كله علمته من إدريس .

ـ نعم ، هكذا قالوا له يا سيدتي .. هو لا يعرفك ، ولم يقابلك إلا تلك الأمسية .. فمصدر معلوماته عنك الممرضة سمر زميلة أمك أيام الجامعة .. وعلمت حديثا أنها ظلت على صداقة مع أمك رحمها الله تعالى .

بعد صمت قالت : أنت طلقتها من أجل الصورة !

ـ نعم ، من أجل الصورة ..كان الموقف رهيبا يا دكتورة زينب ..عريس منذ أيام قليلة يتفاجأ بصورة لزوجته دون لباس عارية تماما ..كانت صدمة لي .. لم أستوعب الصدمة .. وتصورت نفسي مجرد ستار لشيء رهيب

ـ والحب!

ـ ما هو الحب ؟ يا سيدتي لما يكتشف الإنسان خيانة ماذا يبقى للحب ؟ إنها لم تنكر أن الصورة لها .. ذكريات مريرة .. ماذا تريدين أن تعرفي عن إدريس ؟

ـ أهو الزوج المناسب لابنتك زينب ؟

ـ حسب مواصفتك هو الزوج المناسب .. أنت ترغبين بالستر .. وهو كذلك .. هو ليس بالغنيمة يا دكتورة يعيش على تقاعده بعد خدمة عشرين سنة .. فهو راتب ضئيل ؛ لكنه يملك شقة تصلح للحياة الزوجية الهادئة .

ـ أترى أن الزواج سينجح ؟ ولن ننتقل إلا المحكمة بعد أسبوع زواج .

ـ إذا لم ترغبي أنت بالطلاق ، فلن يحصل من طرفه .. هو بعد موت زوجته لم يقبل بالزواج خشية الزواج من امرأة ترغب بالذرية .. ويعود للتحاليل والعلاجات

ـ يعني أتوكل على الله .

ـ اسألي أو تحدثي معه مرة أخرى .. وأعرضي شروطك عليه ..وأما الطلاق إذا لم تطلبيه أنت فلا أعتقد أن يفعله إلا مضطرا .

هتفت : مضطرا .. ما تقصد بمضطر ؟!

فجأة دخلت هند وهتفت فور رؤيتها المهندس سيف المهندس : سيف هنا .. مرحبا زينب كيف حال المهندس المعتكف ؟

مدت يدها لتصافحه فقال: آسف لم أعد أصافح النساء .

صاحت دهشة: ماذا؟!

فقالت زينب : المهندس تمشيخ من عهد قريب !

ـ آ .. وأنت شيخة ..فأنا آسف بإزعاجي لكم .

قال : كيف حالك يا دكتورة هند ؟

ـ أنا الحمد لله .. ماتت أمي وهي حزينة لك ، ومن أجلك يا مهندس سيف .. ما أخبارك ؟ ولماذا أراك هنا ؟!

قالت زينب : أنا طلبت منه المجيء .. ماذا تريد الأخت الكبرى ؟

ـ اتصل بي خالد .. يريد أن نلتقي عند الوالد الآن

ـ الآن يا هند !

ـ نعم .

قال سيف وهو يقوم عن الكرسي : كيف حال الوالد اليوم ؟

ـ حاله صعب يا مهندس سيف!

ـ شفاه الله .. سمعت بمرضه .. خفف الله عنه.

قالت زينب: شكرًا مهندس سيف على تلبية الدعوة ؛ لعلنا نلتقي مرة

أخرى .. كان موضوعنا يا هند عن السيد العجوز إدريس .. فهو كما تعلمين من أصدقاء سيف

قال سيف: صرنا أصدقاء بسبب المرحومة نبيلة والصورة الإجرامية .. وقد التقى بفتاة تعرضت لما تعرضت له أمكم ـ رحمها الله ـ الاستدراج إلى شقة وتصويرها بطريقة إجرامية ، ثم باعت نفسها للحصول على الصور وخشية الفضيحة ، ومع ذلك نالوا منها ، ولم تحصل على الصور ، فلجئت للحزب الضال الشيوعي ..وتوقف أولئك عن التعرض لها خوفا من صحف الحزب وبياناته الثورية ؛ لكنها لا تذكر كيف خدعت وصورت ؟

سألت هند : إدريس التقى بها ، وكيف وصل إليها ؟!

ـ عن طريق الممرضة سمر .. هي التي ضمتها للحزب لتحميها من الدعارة .. وظلت لليوم بدون زواج حتى لا يكشف أهلها أنها فقدت عذريتها من شلة مجرمين .

ـ لم تحدثني سمر عنها .

ـ وهل تحدثك عن كل شيء ؟ هي صديقة أمكم .

ـ أنا آسفة .. هي في الحقيقة صديقة أمنا .. فنحن صادقناها تبعا ؛ ولكنها قصة مهمة هناك ضحايا كثر .. سيف العزيز نحن بحاجة للجلوس معك

ـ معي ! هذا صعب يا دكتورة .

ـ أما زلت تكره جنسنا ؟!

ـ لحتى الآن لم أتخلص من كرههن أو عقدة الاتصال بهن ..وأنا قابلت الدكتورة زينب ؛ لأني أدركت أنها تريد أن تسأل عن السيد العجوز على رأيها .. فأنا شجعته حقا على الزواج إذا قبلته الدكتورة .. فهو ليس لديه عداوة نحو النساء عقدته الحمل .

رئيس التحرير

كان إدريس قد قدم القصص الأربعة لسكرتير تحرير الجريدة الأسبوعية ، وطلب تحديد موعد

لمناقشتها مع رئيس التحرير المحامي خلدون ، وبعد أن اطلع الرئيس عليها ، وعلى ما كتبه إدريس المعروف لهم ، اجتمعا لترتيب النشر ، فوضع الرئيس ورقة أمام إدريس ؛ لتكون مقدمة أمام تحقيقات إدريس . وقال : أحسنت الكتابة يا صديقنا كعادتك! .. وهل تعرفهم شخصيا؟

ـ لا ، أول مرة ألتقي بهم يا سيدي .. فكرة خطرت في بالي .. كيف قبل هؤلاء الشبان الصغار ترك دينهم والتحقوا بالمنهج الماركسي ؟ هل كان ذلك عن قناعة أم صداقة أم انبهار بالفكر الشائع وثورة لينين وكاسترو؟ ولماذا ظلوا موالين ومقتنعين بالفكر الشيوعي رغم موته في أقوى دولة ماركسية الاتحاد السوفيتي ؟!

ـ جيد أن يتحدث الناس عن ماضيهم .. هو للتاريخ مهم .. بعض القرّاء يحبون قراءة مثل هذه الصفحات من الماضي القريب .. اقرأ مقدمتي .

قرأ إدريس ما كتبه رئيس التحرير :

الماركسية منهج مادي الحادي ظهر في أوروبا ، وامتد لأنحاء العالم ، وأصبح منهج حياة لعدد كبير من القادة في الصين وكوبا وروسيا ، وكان له صدى في العالم العربي والإسلامي ، وتأثر به شبابنا وشباتنا ، واتخذه بعضهم منهج حياة ؛ ورغم زخمه وقوته وسرعة انتشاره لم يصل للحكم الصريح إلا في اليمن الجنوبي ، وبعض أحزابه شاركت في الحكم في بعض دول العالم العربي والإسلامي ، وبعضها دخلوا البرلمانات على شكل أفراد وأعضاء برلمان، وحكم بعضهم كأفراد وعضو برلمان ، وفترة الستينيات من هذا القرن فترة حماسية بالنسبة للشيوعيين العرب.

هذه نماذج لشبان اعتنقوا الماركسية في أول حياتهم لدوافع مختلفة ، أحدهم اتبع المنهج الماركسي حبا في النساء ، ودون الشعور بالإثم والمعصية ، وفتاة دخلت الماركسية لتحمي نفسها من شبكات الدعارة هربا من الجنس ، وآخر لحق بالشيوعية حماسة للفكر اليساري والتمرد على التقاليد المنتشرة في المجتمع ، فأرجو أن يستمتع القارئ بأفكار وذكريات هؤلاء الأربعة ، وقد يكون لنا حديث مع غيرهم .. وهذه الحلقة الأولى ... وضع إدريس الورقة ، وقال: أليست مقدمة طويلة يا أبا بسام ؟

ـ أستطيع اختصارها .. مقالك كبير كذلك .. وليأخذ المقال والمقدمة والإعلانات صفحة كاملة المهم هل تحب أن تضيف شيئا عليها ؟

ـ لا ، أنت تصرف كما يحلو لك ؛ لكن أعلمني عندما يبدأ النشر لأتمكن من شراء الأعداد اللازمة لإرسالها لهم ؛ لأنني وعدتهم بذلك .

ـ سيفعل زكي ذلك .. سأبدأ في نشر ذكريات سوزان ، ثم سمر ، ثم عبير ، ثم نختم بقصة

المهندس مراد .

قال : ليس مهما الترتيب عندي .. كانت فكرة وعملت عليها كل هذه الفترة .

ـ الدكتورة التي طلبت الحديث معك هل قابلتها ؟

ـ نعم ، قابلتها بعد اتصالك. وذكر له قصة أمها باختصار فقال : أنا سمعت بمثل هذه الشبكات من الدعارة ..كنت أظن أن الفتيات يذهبن بحريتهن ، وليس تحت ضغط الابتزاز والتهديد !

ـ هذا صحيح يا أستاذ ! لكن هناك فتيات جميلات كن يرفضن الانصياع لتلك الشهوات ، ويرفضن تسليم أجسادهن بإرادتهن ، فيتعرضن للتخدير والتنويم ، ويصورن عاريات ، ويقوم أحد الشبان بعرض صورهن تلك عليهن ، فيخضعن للدعارة أو يلتحقون بالأحزاب النشطة كما حصل لعبير .. ولليوم ترفض الزواج أو فات الزواج خشية أن يعرف أهلها أنها فقدت عذريتها من أيام الجامعة بطريقة منحطة .. احتمت بالحركة الشيوعية .. فبعض الأسر كما تعلم صارمة في مسائل الشرف ؛ بل الشاب الذي استدرجها وغرر بها كرر عملته مع غيرها .. وعرف أهل فتاة اعترفت لأهلها بجرمه.. فقتلوه بالسكاكين وسط الجامعة يا أبا بسام .

ـ أرجو أن يتقبل قراء جريدتنا مثل هذه المواضيع .. عندما نقوم بالنشر سأخبرك .. وإذا نجحت فكرتك ولقيت استحسانا ، سنطلب المزيد من المذكرات .. سلم لي على الدكتورة هند غريب .

ـ قد أتزوج من شقيقة لها .. مشروع زواج .

ـ زواج! أنت ستتزوج!!

لخص له حكاية الزواج الجديد ، فقال أبو بسام : هذا لو حصل كما يقال فتحت لك ليلة القدر ربما لا نعد نراك .

ـ هل يتغير الشخص بسرعة ؟!

ـ المال والجاه والزوجة يتغير الكثير .. لا تنسى من إخباري بكل تطور في هذا الزواج العجيب ولكنها صغيرة بالنسبة لسنك يا إدريس .

ـ صحيح .. ومنذ ترملت لم يتقدم لها أحد من مستواها الاجتماعي مع أنها طبيبة وغنية ..وقد ورثت عن زوجها ، وعن أمها .. ووالدها طبيب في الوزارة وهو على وشك الموت من السرطان .. وأمها مهندسة ، وأختها طبيبة ، وكذلك شقيقها الوحيد طبيب .. وتعيش في حي بهية .. وهو اليوم لم يعد كما كان .

ـ أتمنى لك التوفيق ، وإذا حصل الزواج وقبلتك .. فادعونا لحفل الزواج.

ـ حفل الزواج وهل سنحتفل ؟!

ـ أكيد سيكون هناك حفل في قاعة أو فندق ذي نجوم خمس .

نهض إدريس مسلما ، وشاكرا لرئيس التحرير .
بعد هذه المقابلة بعشرة أيام نشرت الحلقة الأولى على إحدى صفحات الجريدة الأسبوعية "الشرق المضيء" ونشرت المقالة الخاصة بالمهندسة سوزان ، نشرت المقالة مع بعض التعديلات الطفيفة ، وإضافة بعض الهوامش ، ولما استلم إدريس الأعداد ذهب بنفسه لشقة السيدة سوزان ، ووضعها في صندوق الصحف الموضوع أمام المنزل ، ولما اطلعت السيدة على الصحيفة ، وقرأت المقدمة المضافة اتصلت بإدريس شاكرة النشر ، وعقبت فقالت : لماذا هذه المقدمة الطويلة ؟
ضحك إدريس؛ لأنه هو نفسه علق على طولها، وكان متوقعا لمثل كهذا اعتراض فقال : هذا شغل رئيس التحرير ليس شغلي .. المهم أن المقابلة نشرت كما عرضت عليك .. أما المقدمة والعنوان فهي للفت القارئ وإثارته لقراءة كل المقال ، ولا يكتفي بالعنوان والمقدمة والتلخيص؛ لأن بعض القرّاء يكتفي بالعنوان .. بعضهم بالمقدمة .. بعضهم بالتلخيص.
اقتنعت بالتعليل ، وهي تعلم أن رئيس التحرير يجب أن يظهر بصمته على المقال : بدأتم بي مع أنك قابلت مرادا قبلي !
ـ هذا أيضا شغل المحرر وسكرتيره .. أنا حريص أن ينشر ما اتفقنا عليه يا حضرة المهندسة .. الأمور الأخرى من عمل التحرير .. فهم المسؤولون في النهاية عن النشر ونجاحه .. أنا فكري وعقلي في المقال نفسه ؛ وليكون سهلا ومقبولا من طبقات القرّاء المتنوعة لم أحاول مقارنة بين فكر وآخر .. جعلتها وثيقة تاريخية .
ـ الحق أنك بارع في الكتابة الصحفية !.. ولك خبرة كبيرة .. أنا عندما قرأتها رغم معرفتي بكل تفاصيلها ظننت أن هذه المعلومات عن شخصية غيري ، ولا أقرأ صفحات من حياتي أنا إنما أقرأ قصة صديقة ورفيقة لي .. ألم تنتم لحزب أخ إدريس ؟
ـ نعم ، لم أتحزب ؛ لكنني تعرفت خلال هذه السنين على اليميني القومي اليساري الديني .. وأحب الندوات الخاصة .. وكنت أكلف من قبل رئيس التحرير الأستاذ أبي بسام بحضورها وكتابة تقرير عنها .
ـ أحسنت يا أستاذ إدريس ! أتسمح بسؤال خاص ؟
ـ سؤالان يا مهندسة سوزان!
ـ أنت تعلم أني كنت صديقة المهندسة الراحلة نبيلة خالد ، وكذلك للممرضة الغالية الرفيقة سمر .
ـ أعرف ، وكانت السيدة نبيلة هي الرابط بين المقابلات الأربعة أو صارت هي الرابط .

ـ علمت أنك وافقت على الزواج من الدكتورة زينب .

ضحك إدريس للحظات قبل أن يقول: رفيقتك سمر ورطتني في هذه القصة ، وقابلت الفتاة الأرملة بعد أن راقت لي فكرة الزواج بعد عزوبية امتدت لربع قرن ، وتوقفت الحياة عند المقابلة قالت : الموضوع ما زال قائما ؛ لكن والدها في حالة مرضية صعبة يا أستاذ إدريس ، فالناس في ظروف كهذه تتوقف عندهم الحياة .. ويوقفون الزواج والأفراح .

ـ الأمر لله من قبل ومن بعد .

ـ ألا تقبل دعوة للعشاء أو الغداء بمناسبة نشر المقال ؟

ـ أقبل دعوة لشرب الشاي أو القهوة .

ـ سوف ارتب الأمر مع زوجي إياد .

ـ السلام عليكم .

ـ وعليكم السلام .

ترك السماعة والتفت لإياد قائلا : إنها السيدة سوزان تتصل بمناسبة نشر مقالها .. فقد أعجبها النشر .. الإنسان يحب أن يتحدث عنه الناس ، ويثرثرون أخباره وأقواله .. شهوة الشهرة .

ـ وكيف لا يعجبها ؟ ربما من سنوات وسنوات لم يهتم بها أحد .. أحد ليسمع حكايتها وتاريخها النضالي كما يزعمون .. تاريخ الكفر والضلال

ـ سألتها أثناء اللقاء هل تُحبين أن تعودي على ما كنت عليه قبل الشيوعية ؟

ـ ماذا ردت ؟ هذا لم ينشر طبعا .

ـ أكيد لم ينشر قالت : ماذا كنت قبل الماركسية ؟ لم أكن شيئا .. اسمنا مسلمون ، لا نعرف من الإسلام شيئا .. يا إدريس لا نعرف صلاة ولا صوم ولا دين .. في البيت حياة دون مبدأ ؛ ربما عرفت عن الإسلام عند اعتناقي للشيوعية الكثير من المعلومات من المناقشات مع شباب التيار الديني .. كانت حياتي فراغا ، فجاء ماركس وملأها .. ولا تنسى وهجها تلك الأيام وعلى مراهقة مثلي .. حملت الماركسية في قلبي ونفسي .. كان الانبهار بها جميلا وممتعا .

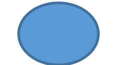
ـ هي من أسرة ماركسية!

ـ تستطيع أن تقول ذلك.. الفكر الإلحادي معشعش داخل البيت .. الأدهى سمر كان والدها ضابطا عسكريا ، وملتزما بالصلاة وشعائر الدين الظاهرة .. وكذلك والدتها ، واقتنعت بالشيوعية قبل الجامعة .. أما السيد مراد فكان يسمع عن الشيوعية قبل الجامعة في المدرسة الثانوية ، لم يكن شيوعيا ، كان معجبا بها متعاطفا .. ومن أول أيام الجامعة مشى مع الشباب الشيوعي دون اندماج حقيقي ، ثم انضم إليهم للتغطية على مغامراته العاطفية والجنسية فيما بعد كما يخبر من يعرفه ..

وفعل ذلك حتى لا يشعر بالندم والإثم من تلك العلاقات .. فالجنس حلال عند الشيوعيين إذا كان الرضا من الطرفين دون اغتصاب أو إكراه .. وتشجع الماركسية عليه للقضاء على مؤسسة الزواج والأسرة التقليدية .. ويعتبرون العفة مرض وتسلط .. ويرون أن النساء مشاع وحق لكل رجل .. وأن هذا كان في المرحلة الأولى من مراحل الشيوعية .. نظرة بهيمية كالحيوانات ؛ لتخليص الناس من عقدة الكبت والحرمان .. وهم في نفس الوقت يرفضون الدعارة والعمل فيها .. وهم يرفضون العفة والطهارة .. وسعى ستالين على ما أظن إلى نشر الشيوعية الجنسية في روسيا ، ثم ألغى البرنامج عندما تفشت الأمراض الجنسية بين الذين عاشوا تلك التجربة .. والإباحية بدون ماركسية شائعة في الغرب .. وأفلام الجنس صناعة تملأ العالم .. والمجلات الإباحية تباع على الأرصفة في أمريكا وأوروبا الغربية باسم الحرية الشخصية والشذوذ والانحرافات الجنسية .. واليوم الإجهاض في دول الكثلكة مباح ، وإن لم تبيحه الكنيسة .. فثورة الجنس والفجور تعصف بالشعوب حتى صرنا نسمع بالإيدز وصعوبة علاجه .. والإعلانات الجنسية التي تظهر فيها النساء

المتبرجات لإثارة الغرائز تملأ الصحف والمجلات

قال إياد : لا حول ولا قوة إلا بالله



أخذت الجريدة تنشر مقالات إدريس تباعا ، كل أسبوع حلقة ، ولما نشرت الحلقة الثانية كان إدريس وسيف وإياد يتعشون في أحد مطاعم حي بهية ، وبينما هم يتعشون دخلت الدكتورة هند المطعم ، فالتقت العيون ، فذكرت لصاحب المطعم ما تريد ، وتقدمت نحو مائدتهم محيية فرحبوا بها ، داعين لها مشاركتهم الطعام ، فشكرتهم ، وذكرت لإدريس أنها اطلعت على المقالات المنشورة ، وبينت إعجابها بيراعه وعقله ، وقالت لسيف : أرغب بمقابلة خاصة إذا سمحت .

ـ مقابلة .. لماذا ؟! ها نحن نتقابل .

ـ متى تكون في البيت ؟

ـ ها نحن بعد العشاء سنسهر بالبيت .

ـ جيد.. سأذهب بالطعام لبيت والدي ..وسوف أمر عليك .

ـ أنا في انتظارك إذا كان ذلك لا يسبب لك حرجا

ـ لا تهتم .. أنت بمقام الوالد .

بعد جلوسهم في بيت سيف بساعة أدخلت الخادمة الدكتورة إلى غرفة الاستقبال ، وقدمت الخادمة القهوة ، وتركتها وحدهما فقالت هند : أريد منك طلبا .

ـ طلبا بشأن زينب!

ـ لا ، موضوع زينب الآن في إجازة .

ـ لا تريد الزواج .

ـ تريد الزواج ، ويبدو أنها لا تريد السيد العجوز ..طلب آخر يا مهندس سيف .

ـ تفضلي بذكر الطلب .

ـ الطلب أن والدي الدكتور غريب يرغب بالحديث معك مباشرة وبلقاء قريب .

ـ طلب .. ولماذا يريد اللقاء بي ؟! أليس هذا غريبا ؟! نحن لا نعرف بعضنا .

ـ لا أدري ؛ لكنه سمع بلقاء زينب بك في الصيدلية فعلق عندئذ فقال : هذا الرجل ظلم لو أستطيع اللقاء به ربع ساعة من الزمان ؛ لو لم أتزوج نبيلة لردها إلى ذمته .. هل كنت ستردها يا مهندس سيف لو لم تتزوج ؟!

ـ لم أفكر بذلك يا هند ! كان الطلاق نهائيا، ومضت شهور العدة ، ولم تحصل الرجعة .. لم أفهم بعد قصد والدك باللقاء !

ـ هل أرتب لذلك ؟

انتفض وقال بانزعاج ظاهر : لا، لا ، أنا آسف يا هند .. أنا لولا قصة زواج إدريس وزينب أختك لما حدثت هذه اللقاءات أنا قبلت باللقاء كما تعلمين من أجل صداقتي مع إدريس .. أنا آسف يا هند .. أنا أعيش في الماضي .

ـ كما تشاء ، وإذا فكرت باللقاء بأبي وغيرت رأيك فاتصل بي أو بزينب .. شكرًا على الاستقبال وسلم لي ضيوفك .

جاءت الخادمة ورافقت السيدة إلى خارج الفيلا ، وعاد سيف للجلوس مع ضيفه ، وأشعل سيجارة من جديد، وظل صامتا وواجما لحين ، مما دفع إياد ليقطع الصمت قائلا : ماذا تريد ضيفتك ؟

نظر في عيني إدريس ، ثم قال : لم يكن الكلام حول زواج إدريس من زينب ..كانت تريد مني الموافقة على لقاء مباشر مع والدها .. له رغبة باللقاء الشخصي بي .. لقد اعترف أمامهم أنه ظلمني ، وأنه كان يتوقع لو لم يعجل بالزواج من نبيلة أن أردها زوجة .

قال إدريس : هو يقول ذلك! ولماذا صدر عنه هذا القول؟! أكان والد نبيلة يعتقد أن ذلك سيحدث ؟

ـ لا أدري يا إدريس ! كان الطلاق نهائيا ، ولم أفكر بالعودة ، كان الطلاق بسبب قضية خطيرة ولم تكن ساعة غضب وزعل فقط .."هذا الرجل ظلم " هكذا قال أمام هند .. ولو لم أتعجل الزواج ، لربما ردها إلى ذمته ، لو أستطع اللقاء به ربع ساعة من الزمان .. أنا يومذاك لم أفكر بردها ، حتى أن والدي ذكر ذلك فاستهجنت الفكرة .

قال إياد : رفضت مقابلته .

قال بعصبية : فورا .. وذكرت لها أنني لولا موضوع زواج زينب من الأخ إدريس لما تحدثت مع زينب ولا معها .. أنا منذ تلك المصيبة انصرفت النساء من نفسي .. جرح له ثلاثون سنة هل سيندمج بلقاء وابتسامة ؟! النساء سخيفات .. شر لابد من التعايش معه .

قال إدريس : هذه مقولة منتشرة حول الزواج من النساء .. شر لابد منه .. إنهن الأمهات يا سيف والبنات والأخوات والعمات والخالات .

قال سيف : ستقول لنا إنهن نصف المجتمع .. وكيف نعطل نصف المجتمع ؟ وها هن طبيبات ومهندسات وممرضات .. ماذا قدمن للمجتمع ؟ لا شيء .. إنما رفعن نسبة الطلاق في المجتمعات بسبب تملكهن للمال .. عدم احترامهن الحياة الزوجية .. سببن عطل كثير من الرجال .. سمعت أن عددهن في وزارات التعليم والمعارف يفوق الرجال ، وكذلك الصحة العامة .

قال إياد : والأطفال نصف المجتمع كذلك .

قال سيف : وأين نحن ؟

قال إدريس ساخرا : سمعت أن الرجال في بعض الدول ينشئون جمعيات تطالب بحق الرجال كما فعلت النساء .. وللمطلقات جمعيات ، وللعوانس جمعيات .

قال سيف: الناس كما يبدو لي لا يدرون ما هي حقوقهم ولا واجباتهم ؟

قال إياد : أمم وشعوب هلكت وانتهت .. ونحن سنلحق بهم ، ونسير على دربهم .. كل يغني وصلا بليلى .

إدريس : من ليلى ؟

ـ ليلى امرأة .

قال سيف : ما قصتها ؟

قال إياد باسما : يقال إن شابا اسمه قيس أحبها ، وغرق في هواها حتى صار مجنونا .. فيقال مجنون ليلى .

عندما انشغل إدريس بقضية سيف والصورة والمقابلات خف ظهوره في المقهى الذهبي ،كان يمر للاستراحة ، وشرب كوب شاي أو فنجان قهوة ، وينطلق في مهامه ، لم يعد يطيل الجلوس ولما انتهت التحقيقات والمقابلات عاد لبرنامجه القديم من التردد على المكتبة العامة ، ويقضي فيها بعض الوقت ، ثم يصلي في مسجد المدينة الكبير مسجد سيدي سعيد ، ويتغدى ويجلس في المقهى حتى الغروب ، والعودة للحي والسهر مع إياد أو مع سيف أو مع كليهما .

كان يجلس في المقهى عندما دخل سيف ، فانتقلا إلى الشرفة المكان المفضل لإدريس خلال كل الفصول إلا الأيام المطيرة أو الباردة جدا ، قال سيف : لم أصدف إيادا في المقهى .

ـ إياد لا يحب المقاهي .. أحيانا نلتقي بالمكتبة العامة أو أرافقه إلى النادي .. فهو عضو في نادي رياضي .. كان رياضيا أيام الشباب .. والنادي في مدخل المدينة من جهة الغرب نادي الشمس

ـ هل انتهت قصتنا يا أستاذ إدريس ؟!

ـ لم تنته بعد .. نحن عرفنا الكثير من الحقائق .. لا تنتهي الحكاية إلا بمعرفة من قام بالتصوير أو أمر به ومن خدر ؟ .. والآنسة عبير كما أخبرتكم لا تعرف كيف صورت ؟ هي رأت الصور الكثير من الصور القذرة .. الغريب أكرر أن في قصتك صورة واحدة ، لم يعرض عليك غيرها

ـ نعم ، صورة واحدة ومقطع من الفيلم .. أكرر صورة واحدة .. تحدثت معي السيدة زينب .

ـ ورطناك معنا !

ـ لا، لا ، أبدا .. أنا الذي ورطتك في الحقيقة .. تترجاني أن أقابل والدها .. فهو يلح عليهم بهذا الطلب .. وليس بيني وبينه أي لقاء أو كلام .. وأنا رفضت بشدة ؛ وربما بحدة .. أنا رأيته كذا مرة بمناسبات أضطر لشهودها .. ولم يحدث بيننا أي كلام أو حتى تحية .. فماذا يريد ؟ وهو يعترف بأنه ظلمني .. ولا أدري .. هل زواجه من مطلقتي ظلم لي يا إدريس ؟ وماذا سيفعل بعد ثلاثين سنة إذا وقع منه ظلم لي ؟!

ـ قد تكون رغبة مودع .. أليس هو على وشك الموت بسبب المرض العضال كما سمعت ؟ نسأل الله العافية .

ـ أنت تعرف لولا حديث الزواج لم أفتح مجالا نحو تلك الأسرة للقاء بي .. ما رأيك بمرافقتي إلى الحج ؟

ـ أنا حججت مرة ، وأرغب فعلا بالحج ثانية ولكن ...

ـ إذا تقبل أن أتكفل بحجتك أنا مستعد .

ـ تدفع عني رحلة الحج ؛ ولكن الأجر يذهب لك

ـ المال هبة مني .

ـ متى الحج السنة ؟

ـ نحن في شهر حزيران .. فالحج انتهى السنة .

ـ فعلا نحن في شهر حزيران ، غفلت على أننا احتفلنا بالعيد قبل شهرين .. السنة القادمة في شهر نيسان إن شاء الله .

قال سيف : نعم ، هكذا في الرزنامة ..وطبيب القلب يقول بإمكاني السفر دون عوائق وبالطائرات أيضا .. إذا قبلت يكون هذا غاية الإكرام منك لشخصي حتى إمام مسجد بهية قال لي : إذا ملك المسلم الاستطاعة وجب عليه الحج والأفضل أن يعجل به .

ـ نعم ، الفقهاء يرى بعضهم تعجيل الحج إذا تحققت شروط وجوب الحج .. وبعضهم يجيز التراخي في أداء فريضة الحج .. سأفكر جديا في

الرحلة .. أمامنا عشرة أشهر.
ـ خذ الموضوع بجدية كاملة يا إدريس .. أريد أن أعرف تلك الديار .. أعرف مهد الإسلام والدنيا
ـ لماذا لا تذهب عمرة ؟
ـ العمرة قال الشيخ ليست بفرض .
ـ صحيح ، ولكنك تتدرب وتتعرف .. أنا أعرف شركات تساعد على أداء العمرة وبالطيران
ـ والإعلانات تملأ الصحف .
ـ الإعلانات كثيرة ، والصادقون قلة والاختيار صعب ، سأتحدث مع بعض شركات السياحة أنت عليك أن تسافر مع شركة سياحية عريقة يا صديقي .. والعمرة رحلة قصيرة أسبوع أو أقل .
قال سيف : أترافقني فيها ؟
ـ أنا سوف أرافقك في رحلة الحج .. هيا نقابل إيادا في النادي .. أنا سمعته يتحدث عن عمرة من يومين لا أدري له هو أو لأخيه .
ـ وهل يسافر بالطائرة ؟
ـ تارة بها ، وتارة برا .
دفع إدريس ثمن المشروبات ، وغادرا المقهى إلى نادي إياد بسيارة أجرة ، ووجداه في حالة تدريب ، فتوقف ورحب بهما ، وقال باسما : هذه أول مرة يدخل المهندس نادينا !
ـ لم أكن أعرف أنك تهتم بالرياضة والنوادي .
ـ الحق على الإستاد إدريس الرجل العجوز !
فغمرهم الضحك ، فهذه الصفة التي ألصقتها زينب بمن تقدم لخطبتها ، وشرح إدريس سبب هذه الزيارة ، وقال إياد : أنا حجزت للعمرة وإنما عن طريق البر؛ لأني سأذهب بأمي وأختي كمحرم لهن ، ولكن يمكن أن أرتب أن نلتقي بمكة في نفس الفترة الزمنية .. وأنا أعرف شخصا يحب السفر بالطيران لجدة .
قال إدريس : هذا أفضل .. من هو ؟!
ـ لا أدري هل تعرفه أم لا ؟ إنه السيد خميس بدر معلم متقاعد ، وصحته معتلة ، فيعتمر بالطيران سأتصل به وأعرف منه وقت عمرته ؛لأنه عرض عليه مرافقته في عمرة هذه السنة .. فهو منذ تقاعد ويحرص على أداء العمرة سنويا .. وذلك من سنوات .
قال سيف : اتفقت مع إدريس أن أحج معه الموسم القادم في نيسان بمشيئة الله سبحانه .. تكلم مع الإستاد خميس ؛ فإذا وافق تعرفنا عليه ، ونترافق، ما دام صاحبكم .
قال إياد : الإستاد خميس منذ أيام المدرسة ، ونحن نصلي الفجر في المسجد المجاور .. وربما اعتمر خمسين مرة .

العمرة

عاودت هند الاتصال بسيف مترجية المقابلة مع أبيها ، فاستغرب هذا الإلحاح ، وفعلت زينب مثل

هند حتى شقيقهم خالد اتصل هو الآخر بسيف وعرف نفسه، وقال : لا نعرف السبب الوالد متلهف للحديث مع حضرتكم!

تنهد سيف وقال : أنا لم أتحدث مع أبيك يوما ما ..ولو التقيت به صدفة ؛ فأنا لا أعرفه.. لماذا يريد أن يراني ؟!

ـ منذ علم بلقائك بزينب في الصيدلية وهو متشوق للقاء بك ؛ ولكنه لم يذكر أي سبب أمامنا

ـ سوف أفكر .

استقبل بعد هذا الاتصال صديقيه إيادا وإدريسا ، وكانوا قد رتبوا لهذا اللقاء ؛ لأن إيادا قد التقى بخميس بدر ، ولما قاموا عن العشاء انتقلوا إلى غرفة الجلوس والاستقبال ، وضعت الخادمة أمامهم الشاي والمثلجات والفواكه والمكسرات ، واشتغلت بتنظيف المائدة بغرفة الطعام.

قال إدريس : لم تكن طبيعيا يا سيف أثناء العشاء!

ـ انتبهت لذلك! لم يكن هناك شيء إنما هذا الدكتور خالد شقيق هند وزينب اتصل بي راجيا الذهاب لمقابلة والده .. عمري ما تحدثت معهم ؛ ربما التقينا ببعض المناسبات كعزاء أو فرح خاص بأبناء الإخوة والأخوات، ولكني لم أتكلم معهم أو حتى أحاول التعرف على أشخاصهم

ـ منذ لقائك بزينب والرجل يرغب باللقاء بك .. اذهب إليه لتعرف أي ظلم ألحقه بك هذا الرجل .. وهل إذا تزوج الرجل مطلقة قد ظلم زوجها المطلق ؟! هذا يكون إذا أفسدها على زوجها وتسبب في الطلاق .. هل له دخل في طلاق لنبيلة ؟!

ـ هو الذي عجل بزواجي من نبيلة .. تزوجتها خشية أن يطلبها .. لم تكن أمها تطيقه واليوم ماذا سيفعل لي ليزيل أي ظلم لحقني منه ؟ فات الزمان أنا أتوجس شرا من هذه الدعوة .. لقد علمت أن امرأته التي تزوجها بعد ترمله بأسابيع قد هجرته .

قال : هي هجرته منذ أسابيع ، وعلمت من سمر أثناء حديثنا عن زينب أنها تركته منذ اشتد عليه المرض .. هي امرأة صغيرة ، وابنة أسرة غنية ، تريد اللهو والمتعة ، لا تريد أن تكون ممرضة

قال سيف : أنا علمت ذلك من أختي ؛ وربما حصل الطلاق .. يبدو أنها وجدت ذكرا جديدا وكما قلت ترفض أن تكون ممرضة له في ساعة العسر .

قال إياد بعد صمت : لابد أن هناك موضوعا بشأن الزوجة نبيلة خالد .. قد تكون أوصته بشيء قبل موتها .. وتناساه .. ولقاؤك بزينب ذكره بك .. ولا أعتقد أنه يفكر بتزويجك زينب فهذا شيء لا يحل ولا يجوز شرعا يا إدريس .

قال إدريس : نعم ، يقولون الدخول في الأمهات يحرم البنات ؛ كأنها قاعدة فقهية .. نعود الآن إلى

رحلة العمرة بعد أن عرفنا سبب هم سيف .. لقد تكلم إياد مع الأستاذ خميس بدر .

قال إياد : نعم ، اتصلت به فور عودتي للبيت ، ثم زرته ، وشرحت له المطلوب ، فرحب بذلك وأبدى عجبه منك يا سيف !

قال سيف : لم أفهم سبب العجب!

ـ يا سيدي الفاضل لما ذكرت له من أنت ؟ ووصفتك له ، قال : إني أسمع به ، وتعجب من رغبتك بالعمرة أو من توبتك .

قال إدريس : اشرح أكثر يا إياد .. هذا لغز جديد!

ضحك إياد وقال : يا سيدي الكريم! الرجل يعرفك من أيام مصنع الدواء الذي كنت تعمل فيه .. له شقيق يعمل في المصنع فني صيدلة اسمه ربيع .. وقد التحق بالعمل معكم قبل تقاعدك بسنوات ثلاث .. ويظن أنك تعرفه.

ردد سيف الاسم مرات قبل أن يقول : لا أذكره ، لم أكن أهتم بالأسماء والأشخاص .. كان يهمني العمل .. لكن أحمد أعرف بالاسم مني ، لقد كان يمارس عملا إداريا .

ـ المهم أن السيد خميسا يرحب بمرافقتك وصحبتك ، ويسعده التعرف عليك .. وسيرتب أمر الرحلة بحكم الخبرة ، وسيقدم لك كل العون والمساعدة .

ـ إني أحاول تذكر ابن أخيه ربيع ..عندما أراه قد أذكر صورة ابن أخيه .

ـ هو لما سمع اسمك سيف حاكم وردة .. فورا تذكر أنه سمع هذا الاسم أمامه أكثر من مرة قال : سمعت هذا الاسم من قبل .. وذكر أن ابن أخيه ما زال على رأس عمله في المصنع .

قال إدريس : متى سنذهب لزيارة الأستاذ خميس ؟

ـ متى شئتم ؟ والأفضل أن نرتب لموعد حتى لا يخرج يميناً أو شمالا .

قال سيف : غدا ما رأيكم .

ـ غدا لا بأس بعد صلاتنا العصر في حينا ..أقول لكم ما دمتم ستزورون الحي فليكن الغداء عندنا في البيت عند أم أحمد .. طبخة فلاحية ، ونصلي العصر في الجامع .. وإذا صلى خميس معنا نرافقه ، وإن لم يصل معنا نسير لبيته .

قال إدريس : أنا موافق يا سيف! لي فترة ما أكلت من طعام أم أحمد .. وهي ماهرة في الطهي خاصة الطبخات الأثرية والشعبية .. وستقارن بين طبخها وطبخ المطاعم والفنادق .

قال سيف : عليّ أن أقبل فالأخ إياد أخ فاضل .. سأمر على إدريس

وأصلي الظهر عنده ، ثم نمشي لحيكم إلا إذا كان عند إدريس خروج مبكّر .

قال إياد : جميل ! وأهلا وسهلا بكم .. دعني

أتصل بالسيد خميس .

انتقل لمكان الهاتف الأرضي ، وتحدث مع السيد خميس، ورتب معه الموعد ، ووعد الرجل بالانتظار وتناول الأصدقاء الغداء في اليوم التالي في منزل السيد إياد أبي أحمد ، وطاب لهم الطعام وخاصة سيف .. أما إدريس فقد اعتاد على ذلك بين الفينة والأخرى .. فهم أصدقاء منذ ثلاثين سنة .. وقدم الشكر لأبي أحمد وأم أحمد .. وكان سيف قد أحضر هدية لأم أحمد ، وتقبلها إياد شاكرا .

وصلوا العصر في جامع الحي ، ثم ركبوا سيارة سيف إلى بيت خميس الذي كان في استقبالهم مع ابن أخيه ربيع الذي أحب رؤية المهندس سيف بعد هذا الزمن ، وانقطاعه عن العمل في المصنع تعانق ربيع مع المهندس الذي عرفه فور رؤيته ، وتذكره وقال : أهلا بالأستاذ ربيع محمد ..

تذكرتك .. كنت تعمل في قسم صناعة الأدوية.

وبعد التعارف بين خميس وسيف وإدريس رتب خميس لرحلة عمرة مع إحدى الشركات التي يتعامل معها ، وطلب من سيف تأمين جواز السفر ليقدم للسفارة السعودية ؛ ليحصلا على تأشيرة دخول الأراضي السعودية المسئولة عن تيسير الحج والعمرة للمسلمين بصفتها الحاكمة للديار المقدسة .. وبعد الضيافة والاحترام ، قال إدريس : أنا سأمر عليك يا سيف وآخذ جوازك

قال سيف: بل أنا سأمر عليك .. ونذهب إلى أبي أسعد .

فقال خميس : ليكن قبل الظهر حتى أتحرك جهة الشركة .. ولو أحضرت معك بعض الصور الشخصية .

بعد صمت قال ربيع : اتصل بي عمي مخبرا بأمرك .. فسررت لتوبتك .. وعجبت من هذه الدنيا يا مهندس سيف!

قال سيف : كيف المصنع بعد تقاعدي ؟

ـ كما هو يا سيدي ! لكن هناك تحسينات في خطوط الإنتاج ، وإضافة نوعيات جديدة من الأدوية .. والحق أن المصنع يتقدم .. ولدينا كما هي العادة موظفون جدد.

ـ أكيد هكذا الدنيا .. أنا ما زلت صديقا للمدير الدكتور ابن خالي .. وهو حسب علمي اليوم يتردد قليلا على الإدارة .. ابنه استلم المهام الرئيسة

ـ نعم ، هناك عدد من أقاربكم يعمل في المصنع .

ـ ما شاء الله !

ـ أنا أعرفك ، لم تكن اجتماعيا .. كنت دائما رسميا .. وأيامها لم تكن تصلي.. تغيرت !

ـ نعم ، أنا أصلي من عهد قريب بسبب تعرفي على هذا الرجل ـ وأشار لإدريس ـ فتغير الحال والحمد لله .. إذا احتجت لمساعدة يا سيد ربيع أنا في الخدمة .

ـ تزوجت ..كانت لك حكاية تجاه النساء .. يتهامس بها الموظفون !

ـ لا ما زلت لهن كارها .. توقف بي الزمن عند الزوجة الأولى .

ـ سمعنا أنها ماتت !

ـ أجل ، رحلت . تمت الحلقة٤

روايات اجتماعية

امراة نزيه ٢

هجرة

القرية تكبر بكثرة السكان ، وبكثرة البناء السكني ، ولما تكثر الأسر بالزواج تكبر القرية ، تدخل فيها الصناعات الخفيفة والمشاغل والمتاجر تصبح نصف مدينة ، لم تعد جمالة قرية صغيرة ، كثرت المدارس ، زاد عدد الأطباء ، كثرت العيادات ، تقوم على أطرافها المصانع ؛ فتصبح ؛ كأنها مدينة صغيرة .. هكذا أصبحت قرية جمالة التابعة لمدينة سلام الدين قرية السيد نزيه يوسف الجمالي .. نسبة إليها، ولم يكن المولود الفرد لأبيه يوسف كما ذكر آنفا .

القرية الكبيرة جمالة تسكنها عائلات من أصول شتى ، لم تكن من عائلة أو حمولة واحدة ، بل من أسر كثير؛ ولكنك تستطيع أن تقول إن العائلات تصاهرت مع الكثير من الأسر الأخرى

عادة مشاكل ونزاعات القرية أقل من نزاعات المدن ، ولابد من المشاكل والصراعات ، والتنافس موجود في القرى كما هو موجود في المدن ، القرية مدينة صغيرة .

الحكومات تهتم بإنشاء الطرق والشوارع المسفلتة خاصة في القرى المهمة ؛ لتسهيل نقل الثمار والمزروعات إلى المدينة ؛ ولتقل حوادث الطرق ، المدينة بحاجة لخضار وفواكه من المزارع أغلب الأيام ، ومن الاستيراد الخارجي كذلك . كانت تتوفر الطرق والبنية التحتية في القرية جمالة ، وما جاورها من البلدات فكانت تتوفر فيها المدارس والعيادات والجمعيات وهي تابعة إداريا لمدينة سلام ، فبينها وبين المدينة سلام عدة بلدات.

والتنقل بينها وبين مركز سلام ميسور وسهل في أقل من ساعتين يكون الراكب في أحدهما . دخل نزيه الطفل المدرسة الأولى في البلدة مثله مثل سائر أبناء وأطفال البلدة وأخوته ذكورا وإناثا ، وتمتد الدراسة الرسمية عشر سنوات بعد سن السابعة وبعد انتهاء الثانوية ، إما أن يدرس في معهد فني حرفي لمدة سنتين أو يلتحق بالجامعة في مدينة سلام.

في القرية معاهد زراعية ؛ لأنها قرية تكثر فيها المزارع والحقول ، وتقام مثل المعاهد بين عدة قرى لخدمة أبناء عدة بلدات ، ومعاهد مهنية أيضا ، لا يوجد فيها جامعة ، فمن يرغب في تكميل الجامعة

عليه الدراسة في المدن الكبيرة ، وينتج عن ذلك إما السكن في المدينة لتوفير الوقت وقت التنقل بين البلدة والمدينة أو يسافر بأي وسيلة نقل بينهما كل نهار ، وكل الأهالي يكون لهم أقارب في المدينة للعمل كموظفين في دواوين الحكومة أو الشركات التجارية أو الصناعية . كانت الدراسة في القرى عشر سنوات بعد سن السابعة ، ويدرس الصغار في مدارس الروضة قبل المرحلة الأساسية ، ثم عامان المرحلة الثانوية ثم الكليات المتوسطة بعشرات التخصصات أو الجامعة بعشرات الاختيارات.

كان والد نزيه صاحب هذه الحكاية متعلما ، ومحبا لتعليم الأبناء بغض النظر عن الجنس ، وكان يقرأ في كتب القدماء ويقتني ما تيسر منها ، ومجالسا لشيخ الجامع وعلماء القرية أثناء تواجدهم في القرية لزيارة أهليهم وأقاربهم رغم العمل الزراعي والحيواني ، أهل الأرياف يقبلون على التعليم مثل أهل المدن ، والأنظمة المعاصرة قوانينها تلزم الآباء بتعليم أبناهم المرحلة الأساسية على الأقل ؛ لذلك تقوم الحكومات الحديثة والعصرية بإنشاء المدارس في المدن والأرياف إما بناء أو استئجارا ، وتمنع القوانين المعاصرة عمالة الأطفال ، وتعاقب أصحاب العمل والأهالي فالابتدائي إلزامي لكل الأطفال انتقل الشاب اليافع للمدينة مع الكثير من أقرانه للدراسة الجامعية في مدينة سلام ليدرس في كليات التجارة كما أحب واختار ، وكما شجعه أشقاء أمه عندما باركوا له بالنجاح .

كان والده يوسف الجمالي محسوبا من الأغنياء في البلدة جمالة وما حولها ، فهو تاجر مهم يتاجر في المواشي الابل ، ويتاجر في الأغنام والعجول والألبان والأجبان والسمن والزبدة ، ويملك أراضي خاصة به يقوم على زراعتها ومتابعتها ، ويصدر فواكها إلى المدن الكبيرة المحيطة في البلدة نقول هذا لتعلم ؛ أنه لم يكن الشاب يعوزه المال واللباس للدراسة والحياة في المدينة تحت رعاية أخواله وشقيقه الأكبر الذي سبقه لدراسة القانون في سلام ، كان يتردد على منازل أخواله وخالاته في كل المناسبات ، وكانت تعجبه حياة المدينة أكثر من حياة الريف ، وهو دخل كلية التجارة ليعمل في شركات أخواله أو الحكومة ، مع اندماجه في سهرات وحفلات خاليه شاكر وباكر ما ترك الصلاة والصيام ، ولم يقرب الخمر والزنا .. ومن البداية التقى بابنة خاله مارينا ، وكانت تقرب منه أكثر من غيرها من بنات العائلة ، وكانت تحرص على دعوته في كل مناسبة اجتماعية أو طعام في البيت حتى قيل إن بينهما مشروع زواج، مع أن هذا مجرد كلام رغم انسجامهما ، فالشاب بالنسبة

لهم متدين ، ومارينا لا تعرف صلاة ولا طهارة ولا صيام إنما حوارات واحاديث ؛ ولكنها كانت تراعي اللبس أمامه وفي حضرته ، وكانت الأسرة ترى أن تغييره وتقبله لعاداتهم وطباعهم بعد هجرهم للقرية قد تسمح باقترانه بها .. فهو ابن أختهم .. إذن كانوا يرون تغيره من صفات القرية المحافظة إلى سفور وانفتاح المدينة قد يوافقون على زواجه منها.. فتعلم منها الجلوس مع الفتيات في منازلهم أو في الجامعة .. تعلم منها ومن إخوتها ذكورا وإناثا الذهاب لدور السينما والمسارح ، حضور حفلات خاصة في نوادي أخواله .. رأى الحياة المنفتحة كما يدعون في المدينة .. وكان يرى الكثير من المواقف والمشاهد السيئة حسب بيئة القرية ، وقد ترتكب من أجلها المشاجرات والمنازعات لو جرت في الريف . تخرج الابن الأكبر ليوسف من كلية الحقوق وكان الوالد يخاطبه على انفراد بعدما انصرف المهنئون وكان الحديث في الدكان في سوق البلدة : إذن ستعود للمدينة للعمل في مكتب محاماة .

ـ نعم سأتدرب كم سنة ، ثم اشتغل في وزارة العدل ، ثم سلك القضاء مع مرور العمر اذا شاء ربي .

ـ والزواج !كنا نتزوج قبل بلوغ العشرين!

ـ الدكتور نوار صاحبك ، حدثني عن ابنته المحامية نجاح التي ستتخرج الموسم القادم .. قال أبوك صديقي وابن قريتي فأنا أحب أن نتناسب يا إبراهيم ..وأنا عرفت معدنك خلال سنوات الكلية .. ونجاح تحدثت عنك ..ففهمت مغزى كلامها .. شاور الوالد .

عادت الذكريات بيوسف إلى أيام الطفولة واللعب والركض واللهو مع الدكتور نوار ، ثم رحيل الأسرة لسلام والدراسة والزواج فقال : صديق عزيز ! ونعم النسيب .. اذا أنت لك رغبة بمصاهرته أنا لا مانع لدي يا إبراهيم !

ـ أنا ما زلت أفكر يا أبي .

ـ نزيه ما أخباره مع أخواله؟

بعد صمت يسير أجاب أباه : كما يقال هم يرسمون عليه .. وكأنهم يرغبون به نسيبا لهم .. فعلاقته مع ابنة الخال باكر قوية .. دائما تعزمه على الحفلات والولائم وهو مندمج معهم وحتى أنها بحضوره تلبس ملابس حشمة إلى حد ما .. لقد قبلت بعض مناسبتهم .. ربما يحتاجهم المرء في بعض الظروف والمعاملات .

ـ الصلاة .

ـ هذا هو العجيب .. هو ملتزم بالصلاة وفي رمضان نادرا ما يذهب إليهم .. يتبادلون الاحاديث على التلفون .. فهم كما تعرف هجروا الدين والعبادات منذ فارقوا القرية.. وتجارتهم

ومصانعهم كبيرة .. وخالي شاكر رأس كبير في الاستثمار وأوشك أن يكون وزيرا للصناعة .. والخال باكر رأس في وزارة المالية يشار له بالبنان.

ـ أنت غير منسجم معهم !

ابتسم إبراهيم : أخوالي ! ..لكن أحوالهم لا أرتاح لها الشراب والخنزير والتعري لا أحبه .. الناس تتغير لا تنحط هذا رأيي .. هم أحرار كما يقول نزيه هذا منهجهم وسلوكهم في الحياة تجد بناتهم وشبابهم في خلاعة .. لكن السيد جعد ـ ضحك ـ أعني نزيها الذي يتبنى بعض أفكار جماعة الاعتزال الذين يمجدون العقل والتحسين العقلي فرقة ظهرت قديما وقويت شوكتها من بعض أبناء الخليفة هارون الرشيد.. لابد أنك قرأت عنها .

ـ نعم ، نعم .. هم أتباع واصل بن عطاء .

ـ صحيح ! فنزيه يحمل بعض أفكارهم حتى يقال إن بعض رفاق الجامعة يسمونه جعد بن درهم الجهمي المعتزلي ؛ ربما مناكفة لزملائه .. ففكر المعتزلة أصبح ضعيفا .. ولا أحد يدافع عنه .. أصبح نظريا لا تأثير له على العوام ؛ وإنما حمله أناس سعيا للسلطة والحكم .

ـ اذا تحب الزواج فأنا جاهز والمال متوفر بفضل الله

ـ بنت الدكتور نوار تحتاج لسنة حتى تنهي كليتها .. ننتظر ربما تغيرها السنة .. والكلام لأبيها فحسب.

ـ وقتما تشاء.. فخير الله موجود ولو كانت ابنة صديقنا نوار.

فتخرج صديقنا نزيه يوسف من كلية التجارة كما تخرج سابقوه ، ويتخرج الدارسون بعد إكمال اربع سنوات في الكلية الجامعية ، وهو اليوم ابن ثلاث وعشرين سنة . عاد للقرية مستقرا فيها ليعمل مع والده في التجارة أو يعمل موظفا في ديوان الدولة أو شركات خاصة أو في أحد البنوك أو التعليم والمعارف إداريا أو مدرسا .. أمامه المجال واسعا. تعاظمت علاقة نزيه بأخواله في مدينة سلام خلال سنوات الجامعة ، كان يتردد على بيوتهم بأريحية ويجلس مع شبابهم وبناتهم بدون حرج ؛ كأنه يجلس في مجالس ومطاعم الكليات، يشاركهم الكثير من الاجتماعيات ..السهرات ..المناقشات .. طرفهم .. ومواقفهم.. وقصصهم ، لم يشعر بينهم بأي حرج .. يحدثهم عن أخباره في البلدة في الكلية .. كان يرغب بالعمل معهم بعد التخرج كما لمسنا في حديثنا عن حياته أثناء فصول الجامعة ، وكان يرى مستقبله في مجاورتهم أو التوظف في قطاع الحكومة ؛ ليكون مثلهم أو أكثر .. فشقيقه إبراهيم ظل يعيش في سلام ، ومازال يقطن البيت المستأجر ، وهو يفكر بالزواج من ابنة الدكتور نوار للبقاء في المدينة والدراسات العليا وهذا ما حصل فهم أي أخواله من أثرياء المدينة من رجالات

الدولة ، فهم باعوا أكثر أملاكهم في جمالة قديما وسكنوا المدينة وعملوا في التجارة والصناعة والقليل من الزراعة .. وكانوا أهل نفوذ مع رجالات الدولة .. وكانت ابنة خاله الأنسة مارينا تستلطف نزيه وقريبة منه خلال فترة الجامعة وكان معجبا بها ، وكانت أمه تود أن يقترن بها على غير رغبة والده يوسف الذي يراهم من غير أخلاق ،وهو من طبقة وهم من طبقة .. فحياتهم الخاصة خمور سفور اختلاط انحلال .. حياة لا تعجب الفلاح والقروي والمتدين .

كان خاله باكر قد أقنعه بالعمل موظفا في الحكومة ؛ ليكون شيئا ما في مستقبل الأيام مثلهم ..

وسهل توظيفه بنفسه ومعارفه وقوة شقيقه الأكبر شاكر. فرحل إلى المدينة بتشجيع من أمه

وموافقة من أبيه على مضض وعدم ارتياح ، اشتغل في دائرة مالية لوزارة التجارة حيث يعمل أبناء خال له . عادة موظفو الحكومة الرسميين مرتباتهم أقل من أشباههم في القطاع غير الحكومي فراتبه ضئيل مقارنه مع القطاع الأهلي .

أخبره والده يوسف بعد أسابيع من عمله رغبته بتزويجه من ابنة أحد العاملين معه في جمالة ابنة صديقه قديس الأنسة نهلة قديس ، فلم يبد رفضا فبدل أن يبقى في شقته وحيدا رحب بالفكرة والعرض .

قال الوالد : أحببت أن أزوجك ابنة صاحبي قديس لتقوية الصلة والمحبة بيننا ، فنحن نعمل سوية من سنوات كما تخبر .. وعنده خمس بنات.. وحدثته بالأمر فرحب بذلك .. وقال شاور نزيه وأنا سأتكلم مع نهلة.. فاسمها نهلة وهي ستنهي الجامعة مطلع الصيف .

قال نزيه مجاملا : العم أبو أحمد رجل فاضل .. إن شاء الله الرحمن الرحيم أفكر يا أبي .. ويكون الأمر كما تشاء وتحب .

قال الأب : فكر فكر .. أنا أحب صديقنا وشريكنا في بعض الأعمال منذ سنوات ولا تقول إني أضغط عليك .. بما أننا زوجنا إبراهيم .. وأنت تلي إبراهيم فأحب أن أقوي علاقتي بالسيد قديس بالمصاهرة ، ولا يعني هذا إجبارك .. يجب أن تكون مقتنعا بالأمر وبالبنت يا ولدي .. أنت تعلمت وتخرجت من الجامعة وموظف فتعرف مصلحتك.. فكر فكر مرة ثانية ، ثم أسمعني جوابك .. سمعت من أمك أن أخوالك يرغبون بتزويجك من بناتهم .. أنا لا مانع لديّ اذا كانت رغبتك حقا ؛ لكن لهم عاداتهم التي لا تروق لي .. لكن أنت الذي سيتزوج ..

ـ جزاك الله خيرا

تابع الأب : وأنا أحب تزويجك ؛لأنك تسكن وحيدا في شقتك أو بيتك المستأجر

ـ إن شاء الله

ـ الله يجمعنا على خير اذا كان لك نصيب في بنت أبي احمد .

عرض الأب على نزيه الزواج من ابنة قديس أحمد وترك له الخيار والتفكير ، وأن يرد عليه في زيارته القادمة للقرية .. فالشاب لما تدبر أخواله عمله في وظيفة مالية في المدينة سلام رحل إليها واستأجر شقة في حي جمال الدين الأفغاني والشارع يحمل نفس الاسم .

فلما سمع شاكر خاله الكبير بالمشروع ورغبة والده يوسف أقنعه بالزواج من ابنة شقيقه باكر مارينا ابنة خاله ، وهي متعلمة مثله وستعمل في شركات الأسرة ، ولها رغبة به ، كان بينهما ود أثناء إقامته في المدينة .

قال شاكر لشقيقه باكر بضيق : الرجل يريد أن يسبقنا .

وسافر شاكر للقرية ، وأقنع يوسف إبراهيم بحسن الزواج من ابنة خاله ، وزعم أن الشاب يرغب فيها منذ دخل سلام ، وأنهم سوى القرابة أصدقاء ، وأنهم سيدعمونه للزواج من ابنة شقيقه باكر ، وبعد جدل ونقاش رضخ يوسف لرغبتهم . فاضطر يوسف للاعتذار لصديقه قديس ، وحدثه عن رغبة أشقاء زوجته بتزويجه من ابنتهم ، وقبل الرجل الاعتذار .

والفتاة نهلة متعلمة ومتخرجة من جامعة الأندلس العربية فتزوجها ابن عمها خالد .

كانت مارينا باكر لديها هوى بنزيه منذ جاء للمدينة وحتى والديها كانوا يرونه زوجا مناسبا ، وأن تدينه سيذهب ويخف مع مرور الزمن كما حصل معهم .. فحياة المدينة تختلف عن حياة الريف ، ومشاغل المدينة أكثر من مشاغل القرية والرجل له سنوات قريبا منهم ، ولم يشكُ من طباعهم وتقاليدهم التي يعيبها المتدينون ويرونها بعيدة عن الدين . . والحق التدين في المدينة أوعى وأفضل من القرية ، فالجهل كبير في القرى ، وتدينهم فطري ، فتجد بينهم عادات وتقاليد جاهلية وبدع أكثر من المدن .

مارينا لم تكن متعجلة على الزواج ، وكانت أصغر سنا من نزيه بسنة تقريبا أي من نفس السن والجيل ، وكانا في كلية واحدة كلية التجارة كما مر معكم ، كان هو في شعبة المحاسبة المالية ، وكانت هي في شعبة إدارة المال والعمل ، ولقب نزيه بجعد بينهم ، وهو اسم أطلق عليه من رفاق الكلية لاهتمامه بفرقة المعتزلة القديمة أثناء محاضرة ، قال المحاضر : أنت مثل جعد بن درهم يا نزيه ! وانتشر الاسم كدعابة ونقلت هذه السخرية لخارج الكلية ،ولأسرة أخواله فأصبح ينادى بنزيه الجعد ، فقبل الأمر . وكان نزيه بالنسبة لأسرة أخواله وأقاربهم

متدينا وملتزما وشيخا حيث يطلق هذا الوصف على المتدين ، فهو يحافظ على الصلاة ويتردد على الجوامع ويصوم شهر الصيام هكذا تعود وتربى .
تزوج ابنة خاله ، واشتروا لها شقة خاصة كهدية ، فسكت الشاب فهو متخرج منذ شهور فقط ويعمل موظفا من شهور أيضا، وهم أهل، فأمه أختهم وعمة مارينا. كان سعيدا ومنتشيا بزواجه منها ، وقد راوده هذا الحلم عندما أكثر من الاختلاط بهم ، وكان يرى الأمر صعبا ، فلم ير أحدا تزوج منهم منذ تركوا القرية ، كانوا يرون أنفسهم أنهم أكبر من القرية وناسها، ولا يصاهرون إلا الأسر الثرية والنافذة مثلهم . كان نزيه يرى كيف يستقبلهم رجالات القرية عندما يحضرون لعزاء ، فيكون في رفقتهم سيد المجلس للقرية ويحتفون بهم كأنهم ملوك .
قبلت مارينا الزواج خشية أن تفقده ، لقد وافق هواها ؛ ولكنها كانت تفضل تأخر الاقتران ، فقد أحب والده أن يسارع في زواجه خشية زواجه منها ، وقد تدخل عمها شاكر بقوة من أجل ذلك ، وكانت أسرتها ترغب به قرينا لها عند الزواج ، ولدت له المرأة أربعة أطفال في بضع سنين في أقل من عشرة سنوات ، وكان الرجل محبا للذرية أكثر منها ، مثل والده ، وأهل القرى غالبا يحبون الذرية الكثيرة .
كان نزيه راغبا بابنة خاله باكر منذ وضع قدميه في دارهم وقصرهم ، وكانت أمها تحبه وتوده أيام الجامعة ، وتتصل بوالدته وتطمئن على صحتها وأحوالها باستمرار ، والشاب كان يأمل أن يؤثر على مارينا اذا نكحها أن تقلع عن عاداتها السيئة ؛ كأن تترك السفور ، ولبس ملابس التشبه بالذكور والخروج بالبنطال والقميص الذي يكشف الساعد ونصف العضد أو اليد كلها بحكم أنها زوجة ، وأصبح له عليها سلطة وقوامة ، لم ينجح ، لم تترك التبرج للشارع ، والاختلاط في الحفلات ، والرقص مع أصدقاء ، لم تترك شرب الخمر ولا التدخين ، وجد نفسه مجرد زوج وذكر ، لا صلاة ولا رمضان ، وجد نفسه ضعيفا أمام تيار التغريب ؛ بل وجدهم يسعون بقوة لتغريبه لتحويله إلى نمط حياتهم، فيدعونه لمصاحبة زوجاتهم وبناتهم والخلوة ، وأن هذا عين الحرية والحداثة والتقدم والحضارة ، رغم السنوات العشر من المعاشرة الزوجية وصحبته لها لم تتغير لم تتأقلم ظلت على ما شبت عليه ، وهو بفضل الله ونصائح إبراهيم ظل ثابتا على أصالته فمارينا لم تقم بزيارة واحدة للقرية لزيارة عمتها أو حماها ، وكانت عمتها تأتي بشخصها وذاتها لتهنئتها بولادة وبمناسبة .. كانت زوجة إبراهيم تجاملها في المناسبات كولادة وأعياد وتزورها في شقتها ، أما هي فلم تفعل ولو

مرة واحدة ، وتركت امرأة إبراهيم تلك المجاملة لما بدأت تنشب في حياتهما الزوجية النزاعات حتى لا يظن أنها تتدخل في شأنهم حتى إبراهيم كف عن تلك الزيارات الشخصية ؛ وإنما يطمئن على شقيقه بالهاتف أو يزوره نزيه أو يلتقيان في مكان عام .

ولدت مارينا بداية ابنها ناصر ، وبعد سنتين جاء سامي ثم ميساء ونداء وبعدئذ مرضت مرضا خطرا ، عجزت منه عن الحمل وهذا لا يهمها ؛ بل أسعدها وغم قرينها ، والأخطر أنها أصبحت كلما يحصل بينهما جماع واتصال جنسي تصاب بنزيف المهبل والرحم ، أصابها عقم ونزيف ، ولم يعرف سببه ، فبعد كل اتصال جنسي يحدث النزيف ، وتحمل للعيادات ، ولم يشخص الأطباء وأهل الاختصاص السبب ، وبعضم نسبه لمشاكل هرمونية ، وضاق الشاب بهذا الحال ، وأصبحت كل معاشرة فضيحة ودكتور ، وتبع ذلك نزاعات عائلية ، وكرهت المرأة أي اتصال جنسي وتعتبره اغتصاب ، وأخذت تشير له أن يبحث ويتصل بالخليلات ، فهي عاجزة عن تلبية حاجته تلك فيقول محتجا : أهذا حل يا بنت الحلال ؟! آلجأ للزنا والمومسات أنا لست عمك وعمي باكر .. أنا أصلي وأعبد الحي القيوم .. أنا لست في أمريكا أو فرنسا !

ـ ما الحل ؟! أنا أبحث عن العلاج والدواء ، فقدت الكثير من الدم جراء أي لقاء

ـ وأنا ما ذنبي ولماذا يتزوج الناس ؟!

قالت بصياح وحدة : الحل يا حبيبي الزواج عليّ .. أنا لا أقبل .. وأبي يرفض .. نحن لا نؤمن بالتعدد ..وليس عندنا دين.. أهلي تركوا الدين للمزارعين .. وعمي يرفض بشدة .. وكل إخوتي وأخواتي وأزواجهن .

قال بغضب وجنون : الزنا عندي مرفوض .. والخدن والعشيقات مرفوض .

ووصل الزواج لعشر سنوات دون شفاء مع كثرة المعالجات والفحوصات حتى أخبر الرجل أنه سيتزوج عليها ضرة وقد طفح الكيل. أخواله رفضوا هذا الحل ، وهي كذلك رفضت هذا الحل إلا بطلاقها ، ووالدها وشقيقه رفضوا الزواج عليها والطلاق .

زار شاكر الجمالي المليونير وباكر مدير الجمرك القومي بيت نزيه وبعد الترحيب والتظاهر بالغضب والضيق قال شاكر الذي كان وزيرا سابقا : يا سيد نزيه! نحن أحببناك لأنك ابن أختنا وعاشرتنا ولمسنا هواك معنا .. وكنا نراك قريبا من مارينا أيام انتقالك للدراسة .. ومارينا أعجبت بك .. فقبلنا أن تكون قرينا لابنة أخي ، وهذا المرض لم يجد له الأطباء لحتى علاج حاسم ..

ويقولون إنه مع الزمن يزول .. صحيح أن لك ثلاث سنوات تعاني وزوجتك من العلاقة الخاصة .. فعليك الصبر .. وأنت متدين .

ـ لي ثلاث سنوات صابر يا خالي الكبير.. تربيتي يا جماعة لا تسمح لي المبيت مع بنات الهوى .. وهذا لا يتوافق مع تديني

ـ والحل يا أبا ناصر

قال متوسلا : الحل أن أتزوج أخرى .. أفضل لي ولها .. الحل أن تسمحوا لي بذلك.

قال باكر : يا ابن أختي هذا لا يرضينا ، ولا يرضي مارينا أم أطفالك الأربعة

ـ هذا اضطرار يا خالي العزيز

ـ لا نراه اضطرارا .. كما قال لك خالك شاكر الأطباء قالوا سيزول.. أرسلناكم لفرنسا من أجلك ، وهم فشلوا في منع النزيف.. اصبر بضع سنوات

قال : أنا لم تعد عند طاقة للصبر ؛ ليكن زواجي حالة استثنائية

قال شاكر : هذا مغلق.. لن نقبل زواجك ثانية

ـ هناك الطلاق .. ننهي العلاقة بالمعروف

قال باكر : نحن عندنا الزواج على رأيهم كاثوليكي

ـ نحن عندنا الزواج إسلامي

قال شاكر : فكر بحل آخر لا زواج ولا طلاق دبرك نفسك

قال : الحرام

قال شاكر : تجنب الاتصال المباشر

قال : كيف ستلد ؟!

وأصبحت الزوجة عصبية ، وزاد شربها للكحول ، واشتهرت بذلك ، وشاعت المشاكل والنزاعات بينهم واشتدت ، وتدفعه للبحث عن البغايا وبنات الهوى لقضاء شهوته ورغبته الجنسية ، فيقول : هذا الحل عندك.. أنا المتدين أقضي شهوتي في أحضان المريضات بالزهري

ـ طلقني

قال : أبوك وعمك يرفضان والشرع يجيز الزواج ...

قطعت جملته صارخة : أنا كما تعلم لا أعرف شرعا ولا دينا.. أنا لا أدري كيف رضيت بك شريك فراش وأنت مجرد فلاح ؟

قال بجنون : بل أنا الذي عليه أن يسأل هذا السؤال .. وهو يعلم أنك تسكرين وتخالطين القريب والغريب.. ولا احترام لزوج وتقدير

أمست مارينا باكر عصبية جدا ومتوترة دائما ، وتغضب لأتفه المشاكل ، وأصبحت حياة جعد حياة نكد ، وهروب إلى المقاهي والتجمعات ، ولم تنته النزاعات والحرد والزعل بهروبه ، فلما يحضر في نصف الليل تتجدد الصرخات والسباب والتعيير ، أو يجدها ما زالت تسهر وتخمر مع

رفاقها وزوجاتهم وبناتهم .. فيتصايحون وينقلب إلى حجرته مغموما متمزقا .
فترك المدينة نحو القرية هربا من المشاجرات والفضائح والحياة الكئيبة، يغيب بضعة أيام ، وأكثر من أخذ الإجازات ، وترتب على ذلك كثرة الأخطاء في العمل فاضطرت الدائرة إلى تنزيل رتبته من رئيس قسم في دائرة المحاسبة إلى موظف في مكتب صغير ، وسمع من مديره أنه قد ينقل إلى قسم في احدى دوائر العمل في وزارة العمل والتشغيل في مدينة أخرى .
فقال ساخطا : أعرف أن السيد باكر الجمالي وراء كل هذا التضييق .. يريد أن يعرفني حجمي رغم كل هذه السنوات من العمل والانضباط !.. وكم أثنيت عليّ أنت يا عيسى .
ولما أصبح يكثر من المبيت في البلدة أشاعت مارينا أنه تزوج سرا في القرية ، واتهمته في ذلك رغم تأكيد والدها وعمها أنه لم يفعل ذلك ؛ إنما لجأ للقرية من التعب النفسي من المشاكل الدائمة بينهم ، وعجزهم عن حلها والتفاهم .
ذهبت مارينا لفرنسا للعلاج من النزيف ومشاكل الجماع ، ولم تخرج بنتيجة جيدة كما ذكرنا في سطور سابقة .وكان لنزيه ابن عم قد هاجر قديما للأرجنتين في أمريكا الجنوبية ، ولما جاء زائرا وسمع بمشكلة نزيه ، أقنعه بالهجرة معه ، ووجد ذلك ارتياحا لدى نزيه وتشجيعا من أبيه يوسف ، وكان الوالد يعلم شقاء نزيه مع زوجه وأهلها ، فوافق على رحيله خفية عن أهل امرأته وعن أمه أم إبراهيم ، وذلك نتيجة أنهم يرفضون زواجه عليها ، ويرفضون طلاقه لها ليتزوج أخرى .
وقدم استقالته للدائرة التي يعمل فيها قبل نقله لمركز عمل جديد ، وظن خاله باكر أنه يفعل ذلك للضغط عليهم ويغيظه ، وأنه ليس بحاجة للوظيفة ، وأنه سيعمل عملا حرا في القرية ، وتظاهر هو بذلك ، وطلب من مارينا أن تستعد للرحيل إلى القرية ، وهذا رفضته في أول زواجهما فكيف اليوم ؟ فهي مع مرور سنوات على الزواج لم تقم بزيارة واحدة للقرية ، فرفضت من جديد ، وهو يعلم ذلك ، وأصرت على البقاء في مدينة سلام ، فتظاهر بالغضب والسخط ، ورجع للقرية زاعما النقمة والحرد ، وعلى حين غفلة من أهلها سافر مع ابن عمه طلال إلى إسبانيا ومنها لبيونس آيرس . ولما علم والد مارينا بسفره ، وتيقن منه ذهب للقرية وتشاجر مع أخته وزوجها يوسف، فانكرا معرفتهما بخطة نزيه .
فقال يوسف بعصبية وردة فعل غاضبة : الحق عليك وعلى ابنتك .. الرجل لا يستطيع يا باكر العيش والعفاف بدون زوجة .. أولادي وأنت تعرف لا يقبلون العشيقات وبنات الليل ..

علمتهم على طهارة الذيل والعفة .. فابنتكم لم تعد صالحة للمعاشرة الزوجية .. وقد عالجتموها في داخل وخارج البلاد ولم تتحسن ولها أكثر من سنوات .. صحيح المرض قدر والعلاج قدر فالزوجة الثانية تؤدي الغرض المطلوب .. واعلم يا باكر بأنني سأتزوج على أختك قبلتم أو لم تقبلوا .. لم .. لم أعد أخشاكم واحترمكم .



الصراع في سوريا

كونت سوريا صداعا وصراعا لبعض الدول العربية مصر الأردن السعودية العراق منذ رحلة الاستقلال عن الاستعمار الفرنسي ، فكان المصريون يطمعون بحكم سوريا ، وتحقق لهم ذلك بما سمي الوحدة المصرية السورية ، عندما تنازل القوتلي لناصر وإعلان الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨ . الجمهورية العربية المتحدة هو الاسم الرسمي للكيان السياسي المتشكل إثر الوحدة بين جمهوريتي مصر وسوريا ، أعلنت الوحدة في ٢٢ شباط ١٩٥٨ بتوقيع ميثاق الجمهورية المتحدة من قبل الرئيسين السوري شكري القوتلي والمصري جمال عبد الناصر .

اختير عبد الناصر رئيسًا ، والقاهرة عاصمة للجمهورية الجديدة ، تم توحيد برلماني البلدين في مجلس الأمة بالقاهرة ، وألغيت الوزارات الإقليمية لصالح وزارة موحدة في القاهرة أيضًا .

أنهيت الوحدة بانقلاب عسكري في دمشق يوم ٢٨ أيلول ١٩٦١ ، وأعلنت سوريا عن قيام الجمهورية العربية السورية، بينما احتفظت مصر باسم الجمهورية العربية المتحدة حتى عام ١٩٧١عندما سميت باسمها الحالي جمهورية مصر العربية وذلك بعد موت الزعيم القومي ناصر . والهاشميون القادمون من الحجاز هم أول من حكم سوريا بعد الحرب الأولى وما سمي بالحكومة الفيصلية التي قضت عليها فرنسا ، واستعمرت سوريا عقدين من الزمان وشكلت جمهورية بعد فصل لبنان وفلسطين والأردن عنها ، وعجز ملك ومؤسس الأردن الحديث من ضمها لملكه ، والملك السعودي عبد العزيز وخلفه طمعا في السيطرة عليها ، فكان صراع كبير يدور حولها سرا وجهرا والعراق مرات وكرات سعى للوحدة مع سوريا ، نجحت مؤامرة سايكس بيكو في تفتيت أملاك آل عثمان ، تحررت سوريا من الفرنسيين ، وعاشت فترة انقلابات تقرب من العشرين حتى استقر الحكم للعلوين باسم البعث ، حزب قومي عربي

حكم العراق وسوريا ، وحاول في دول أخرى.

سقطت سوريا البعثية في مستنقع لبنان في السبعينات ، وفقدت الكثير من شبابها وثروتها فيه ، مرة تقف مع المارونيين حكام لبنان ، ومرة مع الفرق الأخرى وتصارعت مع إسرائيل على أرض لبنان ، وجرت حرب أهلية بعد الثمانين في ربوع سوريا مع الإسلام الإخواني ، وما زال حكم العلويين مستمرا باسم البعث ، وهي دولة غير مستقرة وفقيرة ، وقد فقدت جبال الجولان عام ٦٧، وما زالت لا تحرك ساكنا من أجلها ؛ ولكنها دولة يحسب لها حسابها في صراع الشرق الأوسط القائم منذ سقوط الحكم العثماني عن بلاد الشام ، وخضوع هذه البلاد للانتداب والاستبداد ، وفي سنة١٩٩٠ همدت الحرب الأهلية في لبنان باتفاق الطائف بين الطوائف . لبنان وبلاد الشام كلها دول هشة بالجمل سياسيا واقتصاديا ، تعتمد على دعم الدول القوية والدول الغنية بالقروض والمعونات والهبات . وسمع نزيه الكثير عن سوريا ولبنان في مهجره الأرجنتيني لوجود أعداد كثيرة من المهاجرين السوريين واللبنانيين في الأرجنتين ، وفي دول أمريكا الجنوبية ، فهناك جاليات عربية كبيرة ، ربما الشوام أكثرهم.

عرب الأرجنتين هم المواطنون الأرجنتينيون أو المقيمون بها ذوي أصول عربية قدموا خلال موجات هجرة مختلفة ، لديهم هوية لغوية وثقافية واحدة ، ينحدر أغلبهم من لبنان و سوريا و المغرب، يقال عرب الأرجنتين من أكبر مجموعات الشتات العربي في العالم حتى مع التنوع العرقي والديني و اللغوي للأرجنتين فإن العرب الأرجنتينيين يحملون تراثا تشترك فيه اللغة ، الثقافة والتقاليد السياسية.

الزواج المختلط عال جدا ما بين الأعراق عند الجالية العربية، بغض النظر عن الانتماء الديني معظم أفراد الجالية لديهم والد واحد من أصل عربي ، نتيجة لذلك ، ظهر تحول ملحوظ عن اللغة العربية ، قلةٌ من يتكلمون العربية، غالبا ما تقتصر هذه المعرفة في الكلمات الأساسية عكس الأغلبية خاصة الأجيال الأصغر سنا، والتي تتكلم الإسبانية كلغة أولى لأنها اللغة الرسمية الأولى للبلاد .

فنزيه يوسف منذ حط رحله هناك تزوج امرأة شامية ، ولدت له أربعة مواليد مثل مارينا ، والشوام فتحوا له المجال للتجارة والعمل في الغربة والمهجر .

هو سافر مطلع ست وسبعين ، فأهل الغرب العرب يسعدون بزواج بناتهم من أبناء العرب ، والمهاجرون يرونها فرصة للاستقرار ونسيان البلاد ، فهم يحبون ذلك لتقارب عاداتهم وثقافتهم

وديانتهم ، والاشتراك في اللغة العربية ، وتأتي الأخبار الحسنة والسيئة عن أهليهم وأقاربهم في أوطانهم ، وقصة الجاسوس الإسرائيلي كوهين وحياته وقتا في الأرجنتين قصة متداولة بينهم ، وجواسيس الأسد موجودة بينهم ، وسمعوا عن مذابح الأسد والبعث في حماة وعموم سوريا وتل الزعتر في لبنان ، تردد صدى هذه المجازر بين أبناء سوريا الكبرى في الغربة . هي أخبار مثيرة ومؤلمة للأسر العربية الشامية، فمنهم من فقد بعض أهله وأقاربه. ولا ينسى الشوام وصول كارلوس منعم ذوي الأصول العربية السورية لحكم بلاد الأرجنتين .

حدثت ثورة تاريخية في ايران هزت دول العالم عام ١٩٧٩ ، بزعامة عالم شيعي اسمه علي الخميني على ملكية ايران ، وهرب الشاه ، وتسلم الحكم حكومة دينية شيعية إسلامية ، اهتز الشرق الأوسط والعالم ، قدم الخميني من آخر منافيه في فرنسا على طائرة فرنسية إلى طهران عاصمة محمد رضا بهلوي وبلاد فارس ، وانتهى حكم السفاك جهاز مخابرات بهلوي.

وقام الثوار بسفك دم الكثير من رجال هذا الجهاز وضباط الجيش بعملية تطهير ضخمة ، واستطاعت أمريكا وأتباعها تحميس العراق لمحاربة الخميني بحرب دموية كانت خدمة للاستعمار اكثر من خدمتها للقضايا العربية ، دفع فيها العراق الغالي والنفيس والرخيص ، خسرت البشر والثروة الكبيرة ، وخرجت من الحرب مهيضة الجناح ، غارقة في ديون ومليارات تحتاج لمائة سنة لسدادها ، وسميت هذه الحرب الطويلة حرب الخليج الأولى . كانت ورطة كبيرة سقط فيها العرب ،كما سقطوا في حروبهم مع إسرائيل، دامت الحرب ثمانية أعوام ، خسر فيها الفريقان ملايين البشر ومليارات الأموال ، ولم ينتصر أحد على الآخر، وكان القتال ؛ لأن العراق تطلق على الخليج العربي والطرف الثاني يسميه الخليج الفارسي ، وبعض الأرض الحدودية مختلف عليها . وكانت الثورة والحرب بعد سفر نزيه بسنوات ثلاث

أصبح العراق بلدا فقيرا وضعيفا بعد أن كان دائنا، أصبح مدينا لدول خليجية وغيرها من الدول التي زودته بالسلاح ، والحرب مجهولة السبب الحقيقي في النهاية .

ولما سكتت المدافع شرقا دخل العراق في حرب الكويت ، وجيشت الجيوش لتحريرها من الغزاة العراقيين ، وهزم العراق هزيمة ماحقة ، وتعرض لغزو أمريكي شرس ، وحوصر حصارا قاهرا لسنوات قبل أن يدخل الجيش الأمريكي بغداد . كانت مغامرات عسكرية رهيبة لقادة العراق

أصابت الأمة العراقية بمقتل ، وحدث في مطلع التسعينيات انهيار المنظومة السوفيتية والشيوعية ، وسقطت سقوطا مدويا ، وأصبحت في خبر كان . وكل هذه الأحداث التي أشرنا إليها وغيرها وصاحبنا نزيه يعيش في الغربة وراء الأطلسي غربه في حياة هادئة سعيدة .

كان نزيه كغيره يتابع ويسمع الأخبار والانهيار ، ويفرح اذا فرح المهاجرون ، ويحزن اذا حزنوا على أحداث الشرق ودمار الدول ، فبعد عام ٢٠٠٣ وسقوط بغداد المدوي والسريع ، وقد احتلها الأمريكان ، وانهوا حكم البعث فكر نزيه بالعودة لسلام وجمالة ، وكان تحقيق ذلك في العام التالي ، عاد بعد غربة امتدت اكثر من خمس وعشرين عاما.

الابن الأكبر ناصر

إذن ترك جعد المدينة تحت ضغط الواقع ، وخشية اشتداد النزاع بينه وبين زوجته أولا وأخواله ثانيا ، وفي النهاية خرج خفية مهاجرا جهة الغرب إلى أمريكا الجنوبية للعمل مع ابن عمه طلال وذريته وأنسبائه ، وترك زوجة غاضبة ناقمة وأطفالا صغارا أربعة .

كان بكره ناصر عند الهرب والهجرة ابن عشر سنوات ، وكان يرسل المال لأبيه للإنفاق على الأولاد ، والشقة في سلام كما مر معنا كانت هدية للزوجة من والدها وعمها عند الزواج ، فالغربة لم تنسيه أطفاله والأمانة الملقاة على عاتقه والمسؤولية التربوية ، حياته أصبحت جحيما في المدينة . كتبنا أن باكرا وشاكرا الجمالي عرفوا بهرب زوج ابنتهم إلى الغرب ونجح بالانفكاك منهم وعنهم ، فاسقط في أيديهم ، وهناك لابد أن يتزوج ، وهذا دافعه المهم للخروج للغرب وربما تطلق البنت غيابا في محاكم الغرب التي ترفض التعدد طبعا ، وأصابهم الغيظ والسخط والغضب حتى تسببوا بزواج يوسف على أختهم ، ولولا تدخل أخوة نزيه وأهل القرية لساقوا أم إبراهيم أختهم للمدينة ، والمرأة أيضا للحق رفضت المسير معهم ، وأن أبناءها شباب يستطيعون الوقوف معها والقيام بالواجب اذا قصر يوسف ، ولم يحصل أن مد يوسف يده عليها يوما أو قصر في حقها ، فهي أم أولاده الثمانية ، فاضطروا للصمت رغم العداء السافر بين الفريقين ، وهم في قرارة أنفسهم يرغبون ببقائها ، فأم إبراهيم لها خمسة من الذكور وثلاث إناث فقد رفض الأبناء الطلاق والرحيل ، والأب لم يتحدث عن طلاق ما دامت قابلة زواجه فصمتوا على الهزيمة المعنوية التي أحاطت بهم .

ومارينا نفسها رفضت أن تطلب الطلاق، ولن تتزوج مرة أخرى كما تحدث بعضهم حتى ولو

جاءت قسيمة طلاقها من الغرب .

وقالت : سوف أصبر ، مصيره العودة .. ولن يطيق الغربة والبعد عن العائلة.

لم يصب ظنها وهاجسها، ولم تأت قسيمة الطلاق، بل أتاهم خبر زواجه فور استقراره في العاصمة الأرجنتينية. ولكن طال الرجوع ، ولم يأتهم كتاب بطلاقها حتى أنها كانت ترفض أن يكتبوا له ليطلقها ؛ لأنهم سمعوا من بعض إخوته أبناء أختهم أنه تزوج هناك ويحيا حياة طيبة ، ويتقدم في عمله وشغله .

أهملت مارينا في تربية الأطفال نتيجة تركها وصدمتها ، ولم تكترث لهم ؛ كأنهم أولاد نزيه فقط وكان شغلها الشاغل الانتقام الانتقام من أولادها نكاية بأبيهم الهارب ؛ لذلك كانت المربية هي التي تقوم على رعايتهم ؛ فلذلك شب الأولاد لا يرونها أما لهم . ولم تكن تكترث بهم وبهمومهم ومشاكلهم اليومية ودراستهم ، وأخوالهم وجدهم باكر مثلها ومثلهم ، وكانت تلوم أمها ووالدها بتزويجها له وهو القروي الفقير ، ونسيت أنها هي التي كانت تهواه وتراه رجل الغد والزوج المطلوب .. فتقضي وقتا بسبه وشتمه ولعنه ولعن الساعة التي تعرفت عليه فيها، كانت المرأة في بعض المناسبات العائلية وما أكثرها تشرب حتى الثمالة زاعمة لأهلها أنها تريد نسيان سنوات الظلم والاغتصاب من زوجها .

ترك ناصر المدرسة بعد فشله في الثانوية العامة ، ولم يسع للإعادة ، واتجه للعمل مصلحا للسيارات الصغيرة الصالون بمساعدة زميل سبقه إليها تاركا المدرسة قبل سنتين ، وناصر هذا أعجبته مهنة تصليح السيارات والتحق في محل صديقه لؤي ، وكان يتردد عليه سابقا ، فقد استهوته فكرة تصليح السيارات ومغرما بها ويحلم بصناعة سيارة تطير ، فلذلك لما رسب في الدراسة اشتغل مع زميله لؤي ، وبعد حين فتحا محلا أو محطة تصليح مع شاب أكبر منهما بسنتين وأقدم منهما وأكثر خبرة منهما .

وسكت جده باكر على اختياره وفشله ، واعتبره ابن أبيه الفاشل ، ولم يعتب على ابنته بكلمة ولوم ، وترك ابنته تفعل ما تراه من فجور وفسق .

أما ناصر فنهاره عمل وليله فسق وفجور ، فقد غرق في الدعارة والحانات والسفر لقضاء الشهوات والبغاء ، وأمه لم تهتم بسيرته ؛ لأنها مثله أصبحت تصادق هذا ثم هذا ، وعرفت بالسوء والطيش في وسط الأسرة ، لا هم لها إلا الشراب والسهرات والحفلات، تريد الانتقام من نزيه ومن نفسها ، وحاول والدها وأمها وإخوتها بعض الحين صرفها عن التهتك والمجون بدون مناسبة وهوس فتزجرهم بكل كلام نابي فيلوذون

بالصمت فهم مثلها في الانحلال الخلقي.. وفاقد الشي لا يعطيه . فكانت تعمل حفلات وسهرات في بيتها ، وتخلق مناسبات وأحوال لهذا الضياع والتهتك ، تساير عصابتها في المجون والفساد لا رادع لها ، وكذا مرة غازلت أزواج صاحبتها ، وقضت معهم مغامرات جنسية شاذة كلما سمح لها بدنها العليل بذلك، فكان السكر والطعام والغناء والطرب أهم أعمالها في الليل ، ومنها تعلم ناصر وسامي الانحلال والفساد والزنا .

كبر ناصر في هذا الجو الماجن ؛ لذلك كان يرفض فكرة الزواج ، لقد تعقد منه ، وأمام ضغط جده باكر وللتغطية على فجوره وسيرته القبيحة أجبروه على الزواج ، فرضخ واستسلم لهم ، وتزوج من فتاة على شاكلتهم ، وبعد شهور من العيش معها وجدها أفجر منه ، فلم يعد يطيق معاشرتها والحياة معها ، فطردها شر طردة بعد أن لطمها عدة لطمات أثناء سكره وسكرها ، وحدث الانفصال بدون طلاق ؛ ربما البعد يحببهم ببعض هكذا اقترحوا عليهما ، لقد رفضها بكل قوة ، وظل يعيش مع العاهرات وبنات الهوى المومسات حتى أصابه حادث سير وهو عائد لبيت أمه من حفلة ماجنة ، وسبب الحادث له إعاقة ، وأصبح عاجزا عن خدمة نفسه ، ويتحرك على عجلة ، فزادت مشاجراته مع أمه ، ولم يعد يصمت ويحتمل حفلاتها وسهراتها وعشاقها في البيت ، وصار يتهمها بالفجور والفحش مباشرة دون حياء أو خجل، وأنها تخلت عن العناية بهم صغارا ورمتهم للشارع ، ويدعوها لتمارس فحشها خارج البيت ، وأنها هي التي علمتهم على الفحش والنساء والسكر ، ومضاجعة بنات صديقاتها ونساء أصحابها دون حياء دون أخلاق بحجة الانتقام من زوجها الهارب منها.

وتحدث المشاكل والصراعات والصياح واللعن والقبح والدفع والزق ، ويحضر الأخوال والأجداد لتخفيف حدة النزاع أو نقلها للمستشفيات والعيادات، ومرات تتدخل الشرطة ، وأصبحت حياة الأسرة لا تطاق ، وسفروه أوروبا للعلاج ، وقضى عاما في ربوعها حتى استطاع المشي على عكازات ، وتخلى عن العجلة ، وسعوا لإعادة زوجته إليه ؛ لكنها رفضت

وهو رفض قائلا: وأنا قوي تفجر ! فكيف وأنا ضعيف عاجز عن خدمة نفسي .

وطالبت المرأة الطلاق الرسمي ؛ لكنه رفض الطلاق بشدة ، وهكذا كان وضعه عندما رجع والده من غربته وهجرته .

***

سامي أصغر من ناصر بسنتين كانت فترة مراهقته سيئة كشقيقه اختلاط بالنساء والبنات ، والشراب

كشقيقه وأبناء أخواله وخالاته في سلام ، بيئة لا تراعي السن والأخلاق الفاضلة.

لما نجح في الثانوية العامة التحق بكلية الحقوق في الجامعة الوطنية في مدينة سلام واستمر على منوال الأسرة ، يعني من التهتك والرضى بما يحدث في الشقة من حفلات ولعب ميسر وألفاظ بذيئة تقشعر منها الأبدان ، لا تحس أنك في بيت محترم حتى أن بعض الجيران تأذوا من سهرهم وصياحهم وطربهم ؛ كأنهم في ملهى ليلي صاخب . حتى أن باكرا تحدث معها أن تخفف من سهراتها البيتية وعبثها ، فقد تحدثت معه بعض دوريات ومرتبات الأمن والآداب ، والسيد شاكر أشار إلى ذلك في اتصال وقال: كأنك ما صدقت وتخلصت من نزيه .. أنت تنتقمين من نفسك ليس منه ! فغضبت منه فصرخ فيها هائجا : اعرفي مقامك يا ساقطة أنا عمك . وأغلق هاتفه في وجهها .

وجاءت الشرطة وأخذوها لنقطة شرطة ، وعملت تعهدا بألا تزعج الجيران ، ثم مشت بصحبة باكر إلى بيت أو قصر شاكر واعتذرت وترجت .

فقال مودعا : لك الحرية أن تفعلي ما تشائين ؛ لكن لا تؤذي الجيران حتى يصل الأمر أن تتكلم معنا الشرطة .. لعنة الله عليك مع السلامة .

لما تخرج سامي محاميا عمل في احدى شركات القانون ، وزوجه خاله شاكر من احدى بنات ابنه إسكندر الأنسة جود إسكندر ، وكانت معرفة بينهما قبل الجامعة فهي بنت ابن جده شاكر شقيق جده باكر ، وولدت له طفلا سماه ماهرا.

قال لأمه ذات مساء : سمعت أن جدي يوسف مريض فلدي رغبة بزيارته والاطمئنان عليه مباشرة.

صاحت صارخة : مائة مرة مرضنا ، وما زارنا ، وأنا ما زلت امرأة ابنه.

ضخك سخرية وقال : جميل ! جميل قولك إنك امرأة ابنه .. فعلا جميل قولك هذا ! هو الكبير يا مارينا باكر ، وهو والد أبينا يا سيدة مارينا!

صرخت : كلم جدك ووالد جود قبل الجنون.. فنحن من سنوات لا نلتقي حتى في جنازات القرية

قال : وما دخل هؤلاء في زيارتي يا مارينا ؟

ـ هم الذين اعتنوا بكم وزوجوك ابنتهم.

قهقهة عاليا وصرخ في وجهها : لا تكذبي ، لم يعتني بنا أحد .. ولم يربنا أحد .. هل تعلم الزنا والسكر اعتناء؟ .. دعينا من ذكرهم يا سيدة مارينا .. أنا قررت وسأذهب ؛ لكنني أحببت إخبارك حتى لا تسمعي من المغرضين .. هم أهلنا شئنا أم أبينا !

قالت بهزء : صار لكم أهل بعدما كبرناكم !

فصرخ في وجهها : على حساب من درست وتعلمت وأكلت ولبست وصرفت .. لم تدفعي

درهما واحدا أنت وأشقاؤك يا سيدة مارينا يا أم ناصر ! .. علاج ناصر كان من جيب أبي .. نحن كبرنا .. فسادنا وقبحنا أنت سببه .. انتقمت من الهارب منك منا نحن !

هاجت وماجت وشتمت ولعنت ثم قالت وهي تجلس نصف عارية : أبوكم تخلى عنكم .. هرب مثل الجبان .

صاح : أبونا لم يتخل عنا .. أنت تخليت عنا .. رفضت زواجه لما أصبحت غير صالحة للمعاشرة الصحيحة .. نحن لما كبرنا عرفنا التفاصيل .. فاضطر للهرب للأرجنتين .. أنتم منعتموه من الزواج والطلاق.. نحن اليوم نعرف كل شيء .. وضياع ناصر وهروبنا للسكر أنت سببه .. لما نراك تقبلين رجلا وتمزحين معه بشهوة .. كان علينا أن نصمت ونغمض أعيننا .. زوجتيه عاهرة.. بنت صديقة .. أبوها غني مثلنا أخوها كذا وكذا.. وفشل زواج ميساء أنت أيضا سببه حتى أنها كرهت الرجال والبيت الخاص .. وهي تعيش في وسط كومة من الرجال الذئاب ليس لهم إلا الحملقة في النساء والسعي للفاحشة منهن .

صرخت : كبرت فعلا يا سامي !

ـ قطعا كبرت وصرت محاميا وأفهم في القانون.

صاحت: لا تنسى يا حضرة المحامي أن زوجتك جدها عمي .

ـ ماذا يعني هذا يا أم ناصر نزيه ؟!

قالت : يعني أنك تغضب زوجتك وأباها وجدها

ـ كلام فارغ ! وهل زيارة الجد يوسف تضايق أباك وأهلك ووالد جود؟!

فقالت بضيق : طبعا هناك ضرر .. وسمعة وكرامة .. نحن أعداء .. ألم يرميني أبوك ؛ كأنني خرقة بالية بعدما عقمت ومرضت بسببه .

قال : من حقه الزواج .. هل يزني رجل متدين ؟ وأنت تزوجتيه وهو متدين يا أم ناصر .. لم يطرأ عليه التدين فجأة .. لم يتغير .. وتركك على ما ربيت عليه .. لم يصير مثله منا سوى نداء ضعنا وراء الكؤوس والفروج .. ماذا جنينا إلا الريب في زوجاتنا وأمهاتنا ؟! .. هو لم يهدد بالطلاق إلا للضغط عليك وعلى أهلك .

قالت : وهل من حقه طلاقي بعد أن جعلنا منه موظفا مهما ، وأتلف بدني بالخلفة ؟ يريد أن ألد كما ولدت أمه مليون بني آدم .

قال: للقربى لم يطلق كما علمت ..والدين يسمح له بالزواج عليك .

صرخت بغيظ وقهر : وهل له دين ؟ كان متخذا التدين تغطية لفحشه وتفحشه

قطع كلامها ليقول : لم يخبر أحد بذلك .. لا داعي للتبلي والافتراء.. أبي متدين منذ جاء لدراسة الجامعة في سلام .. ولقب بجعد المعتزلي ؛ لأنه

متدين ويكرر اسم جعد وأتباعه في كل حوار يجري بين الطلاب .. فهو كان يصلي ويصوم .. وعلمت أن كل أعمامي مثله وعلى شاكلته .

قالت بسخرية : هذا أنت مطلع على سيرة حياة أبيك وأسرته !

تبسم قائلا : لست طفلا غرا يا أم ناصر .. لم يصدف أن أراك تسجدين يوما لله

ـ تركنا الدين في جمالة قبل أن أولد يا حضرة المحامي الفاشل !

ـ هذا اختيارك .. وتركتينا نعمل بالفواسق حتى ترتكبين فواحشك بحرية

قالت بسخرية : صلي ومن يمنعك ؟

صرخ : أنت!

قالت بدهشة : أنا ! كيف يا لعين؟

قال مبينا : لقد نشأنا على استهتارك بالشرف والكرامة.. الحياة ملذات وشهوات

ـ العري القائم والاستهتار بالشرف والأعراض! هكذا نشأت وربيت

قال حاقدا : لم تراع لنا حياء وأننا صغار .. تبرجك الصارخ قدام زوارك وسكرك .. لا تجعلي من نفسك امرأة شهيدة وصالحة ومظلومة .. نحن اليوم نعرف بعض أكثر .. فنفهم معنى التعري والتبرج .. ولنا كما للناس أعين .. وأنا صغير كم مرة رأيتك تخرجين من غرفة نومك شبه عارية ذاهبة للحمام ، ويكون بعضهم في فراشك كنت أسمع بعض كلامكم القذر لما كبرت فهمته .

قالت بغير اكتراث : يا لك من شيطان !.. لم أكن أحسب لكم أي حساب .. أنتم أبناء اللعين

ـ إذن دعي الشرف يا ...

صرخت بغل وجنون : أنا حرة .. هذه حياتي .. والجسد جسدي

ضحك عاليا وقال: هذا قول كل ... لك حياتك ولنا حياتنا .. سأذهب ..

ولم انتشر خبر زيارة المحامي سامي إلى قرية جمالة وزيارة الجد يوسف خاصة انزعج الجد باكر الذي أعلن الحرب على زوج أخته وذريته منذ هرب زوج ابنته للغرب الأمريكي ، وقد علم جده باكر وشاكر بزيارته لجده خصيصا في القرية وبلدتهم القديمة من مارينا نفسها ، فطلب منه شاكر جد جود طلاق حفيدته مدعيا الغضب والنقمة .

ففعل سامي الطلب بكل سهولة ، ودون تردد ؛ كأنه كان ينتظر ذلك ، فلم تكن حياته مريحة معها ، وجود أيضا كانت تكرهه وتفضل الجلوس مع أصدقائها وصديقاتها من الجلوس معه وتزعم أنها تزوجته مكرهة لرغبة جدها بذلك . وترك الطفل لها على رغبتهم ، ولم يترج ، ولم يندم ؛ كأنه كان ينتظر هذه اللحظة بدا لهم ذلك ، فقالت أمه : أنت ما صدقت يا سامي !

فقال سامي وهو المثقف اليساري الشيوعي : ولماذا امرأة وبيت وطبيب؟! فالبغايا موجودات يا أم ناصر .. وفتيات الحانات يملأن الشوارع الراقية .. لما كبرت كرهتكم.. أسرة حاقدة ملوثة وهي قبلت الطلاق لما عرض .. وزعمت أنها تزوجتني مرغمة مع اني أنا قبلتها على مضض .. فهي سلمت نفسها لي قبل أن نتزوج يا سيدة مارينا ! بدل المرة مرات ، لم أتزوجها بكرا .

صاحت : يا الهي لم تتكلم بذلك!

رد قائلا : وبعد الشراب هل يبقى كلام ؟ وماذا ينتج عن مثل سهراتكم وحفلاتكم وتقليدكم للغرب إلا الانحلال والتهاون في مثل هذه اللقاءات .. عندما ترقصن شبه عاريات ماذا تردن منا ؟ وهل حقا هذه الحفلات بريئة ؟ مجرد غناء ورقص وطرب .. لا تتغابي وإلا كيف علقنا في هذه الأوحال والأهوال ؟

ميساء

أما ميساء فتخرجت من كلية الآداب ، وعملت في الإذاعة الوطنية قسم الترجمة ، لم تكن حياتها الخاصة بأحسن من ناصر وسامي ، عاشت شبابها في بيئة فاسدة في نظرنا ، تعلمت السكر والرقص والخلاعة والتبرج والسفور والسهر والهوى واللهو ؛ لذلك لما دخلت الجامعة كان حولها شلة من الفتيات والشباب ممن هم على شاكلتها الطيور على أشكالها تقع هكذا قال القدماء لم تتغير البيئة عن البيت والأسرة ، أحبها أحدهم اسمه أدهم أوهمها أنها أول أنثى في حياته ، ووعدها بالزواج بعد الحب ، وكانت قبل الجامعة تعلقت بصداقة وقصة حب مع ابن خال لها ، وتركها وتعلق قلبه بصديقة لها ، وهجرتها ولم تأسف على حب فاشل ؛ لذلك ادعت أنها أحبت أدهم رفيق الكلية وصدقته بزعم تعلقه بها ، وما فعلت ذلك إلا لتكون مثل رفيقاتها لها صديق وحبيب ، ولكنه ملّها سريعا ، قبل انتهاء السنة الأولى بشهور ، فاقترب منها زميل لهما يعرف علاقتها بالطالب أدهم ، وأشفق على حبها الفاشل من أدهم ، واستمر حبهما المزعوم حتى السنة الأولى ، ثم أعجب بفتاة أخرى ، واعتذر لها عن الساعات الجميلة التي قضاها معها ولم تطل الفترة فترة الانتظار فجاء فارس ثالث ، فهي تقبلهم كما تقول من باب المكايدة والمغايظة ، وحتى لا تبقى حياتها الجامعية خالية من حبيب ورفيق ككثير من طالبات الكلية ، وفي السنة الثالثة حدثها طالب عن الزواج فقبلت ، وتزوجا فعلا رغم اعتراض العائلة في البداية ثم سكتوا فالمرء حر ، وولدت منه طفلا على غير رغبة من كليهما ومن أسرته وأسرتها ، وقبل التخرج حدث الطلاق المتوقع ، فلما عملت بالإذاعة عرض بعضهم الزواج عليها

فرفضت ، ورفضت أي علاقة جنسية خارج الزواج التي يسمونها علاقات عابرة .

لم تترك الشراب والدخان ، ولا الاتصال بالذكور والإناث بزعم الصداقة والزملاء ، مشاكلها مع أمها لم تتوقف منذ أنهت الجامعة ..حتى فكرت بالحياة وحدها لترتاح من حفلات وسهرات أمها وكما كان سامي يتهم أمه بإفسادهم كرها وبغضا بأبيهم ، وزرعت فيهم عادات الغرب في

الأكل والشرب والعلاقات الجنسية المحرمة باسم الحرية الفردية ، وتسمح لها بحضور حفلاتها ومجونها في شقتها أو عند أصدقاء العائلة .. منذ كانت فتاة صغيرة ومراهقة حتى رسخت هذه القبائح في وجدانها وكيانها ، ومن العادات القبيحة إظهار بدنها أمام الرجال والفتيان دون اهتمام لخلق وحياء.. الغناء والغنج والمغازلة حتى صارت أمور طبيعية بالنسبة لها ، تعقدت من فكرة الزواج والارتباط برجل واحد وأسرة وحمل ، كلما يطلبها رجل للزواج ترفض وأنها تعيش على راحتها ، وكان أهل طفلتها أخذوا الطفلة ، ولم يطمأنوا لتربيتها المستهترة ، ولسمعة أمها السيئة وقبلت ميساء الأمر بعد تردد ؛ ولكنها في وجدانها رأت المصلحة للبنت عند جدتها خوفا من تكتسب أخلاقها وفسادها وتهورها ، وكانت تقول لسامي : لماذا نعيش هكذا يا سامي شهوات سهرات؟ هل هذه حياة ؟ لماذا زرعت فينا انحلالها ؟ فهل هكذا تنتقم ممن هو أبونا ؟

قال ربما بحسرة : ربينا على ما هو أسوأ من عادات الغربيين.. لم نرب جيدا يا ميساء .. تركتنا نرى في أفعالنا أنها هي الحياة الجميلة .. المتع فحسب .. كنا نرى أمنا وما تقوم به هو الحياة .. اللذة المادية فحسب .. الحرية في كل شيء في البدن والأخلاق والطعام .. لماذا نحرم ونحلل ؟ ما يباع في الأسواق يؤكل .. نأكل الخنزير أو لا نأكله .. الخمر كالماء .. كانت تريدنا كذلك حتى لا نعترض على زلاتها وعشاقها .. كانت ترى بذلك انتقاما من الرجل الذي رماها عظاما كما تقول .. كانت ترى أن فعلها هو الصواب والمناسب للعصر .. ولما صرنا في الجامعات لم يتغير شيء.. وجدنا الكثير ممن رافقنا وصحبنا على شاكلتنا .. لم تختلف حياة ومجون الجامعة عن مجون البيت .. فلماذا نغار ونعقد الأمور ؟ ولماذا نفكر بالشيطان وشجرة آدم ؟وجدنا الكثير مثلنا ..كنا نرى أختنا نداء معقدة .. مريضة نفسية .. ومضللة مع أنها الصغيرة .. لم تنحرف وتسقط مثلنا كما تبين لنا اليوم .. رفضت السقوط في الخمرة والاختلاط .. لديها نزعة دينية بنت أبيها يقال .. كنا نقول دعوها بنت مريضة معقدة .. لم تهتم بأجواء الإباحية في العائلة .. وها هي تدرس في كلية الشريعة على غير رغبة منا جميعا

.. ولا تتكلم معنا أو غيرنا إلا في الدين والإيمان .. قال الله قال النبي .. فنسخر منها وسميناها جعد الصغيرة تمييزا عن والدنا .. وكثيرا سمعت أمك تقول لا أدري كيف تعلقت بالدين يا نداء ؟ لا أحد يصلي أو يصوم في البيت ؛ وربما كلنا يشك بوجود الله .

وتابع : فترد عليها بقوة وشجاعة الله الذي تشكين فيه حماني من خمركم من مجونكم وتبرجكم لمن هب ودب .. الله بغض لي سهراتكم ومجالسكم السيئة .. وهو الذي حبب إليّ قراءة الكتب الدينية .

فسكت ثواني كأنه يتكلم مع نداء : فكنا نسخر منها في البداية ..واليوم نكتشف أنها أفضلنا .. وأكثرنا سكينة وراحة .. وهمها وحلمها أن تتزوج رجلا صالحا متدينا .. وأعتقد بعد آخر حديث لي معها أنها وجدته .. فصديقتها فاطمة محيسن لها شقيق متدين؛ ربما يقترن بها بعد انتهاء الجامعة العام القادم .

قالت ميساء بضيق وربما غيرة : هي معقدة ! وليست الدنيا صلاة صوم عمرة .. لم أعجب يا سامي بخط سير حياتها ، ولا حياة هؤلاء المتدينين.. كانوا يزعجوننا في الجامعة والكليات المختلطة .. ولم أعجب بمجالسهم وحواراتهم اللباس اللباس يقولون لنا : أهذا لباس أحفاد الصحابة أحفاد عمر وأبي بكر؟ يريدون أن نعيش حياة أولئك المخلوقات .

قال منفسا من ضيقها : كل حر في حياته واختياره يا ميساء.. لكم دينكم ولي دين.. أنا محامي ورأيت وقرأت الكثير من القضايا .. وأنت كموظفة إذاعة تعرفين الرجال شبانا وكهولا .. فأولئك في رأيي حياتهم أهدأ من حياتنا .. ولا يعني ذلك أنهم أفضل منا .. لكن عيش نداء في أسرة مفككة مثل أسرتنا تعد معجزة .. لا زنا ، لا شراب ،لا قمار ، لا سفور وتعري تعد آية من آيات الله .. بدون مكابرة يا ميساء .. لا تقولي إننا سعداء ؛ إنما نحن عائشين.. أنت نفسك تركت ابنتك خشية عليها من مثل حياتنا .. وأنا طلقت امرأتي جود والطفل حماية له .. لم أحب أن يعيش مع أمي وصديقاتها الفاجرات.. فنجاة نداء من حياة ساخرة مستهترة في نظري أمر عظيم .. علمنا أن أجدادنا باكرا وشاكرا خرجوا من القرية لفسادهم وتهاونهم في علاقة الرجال والنساء وذوبانهم في الترف والاستهتار والخمر .. الدولة فيها من أهل الريف وزراء ونواب ومحافظين .. الفرص هنا للمناصب أكثر .. لا أدري اذا كان هذا صحيحا .. فكانت المدينة أستر وخير لهم من القرية التي ما زالت محافظة إلى حد كبير.. وتدين الناس في القرى والريف بين ويستحي الشخص أن يفعل شيئا تعاب عليه كل العائلة .. فالتدين في القرى أمر

مهم ولو نفاقا

تنهدت ميساء وقالت كأنها تأسف على حالها : تأثرنا بدعاة حق المرأة .. بتقليد بنات أوروبا الغربية والعيش مع رجل بدون زواج .. وكلهم خوّان تضحك في وجهه صديقتك يغدر بها ، ويذهب إليها .. وينسى الوعود والكلام المعسول مما تعرفه يا سامي .. نحن في الهوا سوا .. كل كان يزعم أنك الحب الأول والأخير .

فقال مؤكدا المعنى : وحتى البنات يا ميساء تترك الزميل والرفيق بحجج واهية .. كلمة خرجت غيرة أو خطأ تنهي علاقة شهور وتفسدها.

ـ هل حقا ستذهب للقرية لتزور جدك يوسف ؟

ـ أليس هو الذي أرسل الأموال لندرس في الجامعات ؟!

قالت : لا ننكر هذا ؛ ولكنها أموال أبينا .. ليس بيننا زيارات منذ هاجر ما يسمى والدنا .

قال موضحا : كانت الأموال تصل لجدنا ؛ لينفق علينا .. ونتعلم على نفقة الوالد فجدنا باكر لا دخل له ولا حتى أمك .. فقد علمت من بعض أبناء أعمامنا الذين نلتقي بهم صدفة فيحدثوننا عن النفقة .. وعلمت منهم أن السيد الأب يعيش في بحبوبة من العيش .. ولنا أخوة هناك .. فله شركات وأعمال هناك .

قالت : أسمع مثلك .. فالأموال لابد أنها تأتي منه يا سامي .. سنرى ماذا سينتج عن زيارتك المرفوضة من قبل أمي التي طلبت مني إقناعك بعدم التهور والزيارة ؟

قال : سيرافقني قريب لأبي إلى القرية كما رتبت .. زميل في المهنة تعارفنا في احدى المحاكم وتبين لنا أننا أقرباء وأبناء بلدة واحدة .. ولما علم ذلك الجد يوسف حثه على الإتيان بي للتعرف عليّ بعد ما كبرت .. فنحن منذ هرب أبي للأرجنتين أبعدونا عنهم .. وقفت أمنا ضد أي فكرة للذهاب والالتقاء بهم .. منعنا من الذهاب للقرية يا ميساء .. ممنوع التعرف على أعمامنا

وأبناءهم .

ـ حق هذا ! أمر شائن وسيء يا سامي .. الغريب نتعرف عليه.. ما دخلنا نحن في نزاعهم !

قال بقرف وضجر : هذا البغض والانتقام من الضعفاء.. عادات بغيضة مقرفة.

***

رغم الفساد والانحلال في بيت مارينا باكر كانت نداء صغرى بنات نزيه تحب التدين منذ نعومة أظفارها متأثرة ببعض معلمات المدرسة الابتدائية ثم الثانوية ، كنا يتواصين على رعايتها فكانت ترى أن ما يحدث في البيت من سهر وخمر واختلاط وتبرج أمرا سيئا وقبيحا وانحرافا عن الفطرة التي جبل عليها الإنسان وهي الطهارة كما جاء في

الحديث النبوي عشرة من الفطرة ، لذلك كشفت بعضه لمعلمة الدين ، فاهتمت برعايتها ومساعدتها ودعمها نفسيا ومعنويا ، واتخذتها صديقة خاصة ، وتتصل بها هاتفيا لصلاة الفجر ، وتدعوها لحضور ندوات دينية ، وكانت معلمتها في الثانوية قدوة حسنة لها بتوصية من مربية المرحلة الأولى في التعليم ، وقد تغير نظام التعليم في البلاد ، سنوات الدراسة مرحلة أولى ست سنوات تبدأ من السنة السادسة حتى السنة الثانية عشرة ، ثم ثلاث سنوات مرحلة متوسطة إعدادية ، ومرحلة ثانوية ثلاثة أعوام ومنها للجامعة ، وتشجعها المعلمة على الصلاة ، وترك السفور والتبرج، وتدفعها للصبر والتحمل حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا، وأن الفرج قريب من المحسنين ، والفتاة تريد ذلك وترغب فيه ، الطهارة والصلاح ، فلم تنغمس بما يجري في البيت من موبقات واستهتار ، ولم تعر ذلك السفه اهتماما توفيقا وفضلا من الله ، وقد حاولت وسعت أمها الإيقاع بها ، وجرها لحماقاتها وفجورها ؛ لكن الله حفظها ، واستجاب دعاءها ، ودعاء معلمتها الخاصة ، لم تسقط في براثن الإباحية والمجون ؛ بل كانت تذهب سرا إلى قرية أبيها جمالة ، وتلتقي بجدها وأعمامها ، وتساعدها في ذلك قريبة لها من المدينة ابنة عمها إبراهيم يوسف ، وتعرفت على جدها وأعمامها واهتموا بها خفية . وكان الجد يدفع لها المال لتشتري الكتب الدينية والثياب الشرعية الحشمة ، وكانت تكتب رسائل لأبيها خفية عن أمها وتبعث له صورا لها ، ويرسل لها الهدايا الخاصة ، ولم تر رغبة أبيها بالمزيد من الذرية معيبا ؛ بل هو الأمر الشرعي ومباحا وغاية من غايات الزواج كما فهمت من معلمتها الطيبة .

وكان الأب المهاجر يوصي والده بالإحسان إليها ويدعمها بما تريد ، ويرسل له المال المناسب .

وكانت نداء تقدم النصائح السريعة لأشقائها كلما سنحت الفرصة والمقام ، وكانت ميساء تنهرها مرات بلطف ومرات بحدة عن تقديم أي نصح لها ودعوتها للصلاة والحشمة ، وكانت تسخر مما تلبس هي ومن على شاكلتها من بنات الجامعة والشارع. دخلت كلية الشريعة رغم اعتراض البعض ؛ ولكن جدها يوسف شجعها على ذلك الاختيار ، وتكفل بكل مصاريفها ورسومها وثيابها ، والحق أن والدها نزيه هو الذي تكفل برسوم الجامعة ومصاريفها كما أنفق على ميساء وسامي ، وهذا أكده الجد يوسف ، وأنه كان يرسل المال لعم أمها شاكر حسب الوصول والأصول .

كانت الفتاة تعيش في البيت في شبه عزلة ، شغلها الدراسة والقراءة ، ولم تقم يوما بدعوة زميلة جامعة أو مسجد لبيتها .

كانت فاطمة محيسن صديقتها الأقرب إلى قلبها وروحها في الكلية تعلم ظروفها البيتية ، وتدعوها كثيرا لبيتها للطعام للدراسة للنزهات للندوات والمحاضرات حتى أن فاطمة همست في أذنها أن شقيقها صديق يرغب بخطبتها بعد تخرجها . وفعلا حدث ما همست به فاطمة ، فلما تخرجت من كلية الشريعة خلال شهور أعلنت خطبتها ، الشاب الصيدلي صديق محيسن ونداء نزيه ، وقد وافق عليه جدها نزيه وأعمامها قبل أمهم وإخوتها.
وعملت في قطاع التعليم والتدريس متأثرة بمعلمتها في الثانوية السيدة الفاضلة أمية محمود معلمة التربية الدينية ، كما حلمت ورغبت ، وكان زوجها صديق قد تخرج من كلية الصحة والطب كصيدلي ، وكان يكبرها بسنوات قليلة ، وكانت تحبه كما أحبت شقيقته فاطمة وأسرتها والشاب رغب بها قرينة منذ وقعت عيناه عليها في رفقة فاطمة .
كانت علاقتها الاجتماعية بأمها وأختها وأخويها بعد الزواج ضعيفة ، وهم ربما ما صدقوا وخلصوا منها فكانت تزعج ضمائرهم ، وعلاقتها ببيت جدها يوسف أفضل وأقوى منذ مدت الجسور الرحمية بينهم ، ويدعونها وزوجها للقرية والمشاركة في مناسباتهم وأفراحهم وأعيادهم ويدعونها في شهر الصيام للإفطار هي وزوجها وحموها ؛ لأنه شهر تكثر فيه دعوات الإفطار ، وكانت تحبهم كثيرا وتفخر بهم . وسعد الجد يوسف بزواجها من صديق محيسن ، وأهداه سيارة صغيرة وبعد تردد قبلها ، وقال: أرى جدك يوسف يحبك حبا جما.
فقصت عليه فصلا من حياة أسرتها ، وأنها كانت تزوره خفية عن أمها ووالدها الحاقد على جدها وذريته ، فهم يبغضون أسرة جدها أشد الحقد والبغض لتركه وهجره أمها وهجرته للأرجنتين بعد أن رفضوا أن يتزوج عليها ولرغبته بالمزيد من الخلفة والبنين .
تعلمت القيادة للسيارة ، وقبلت عرض وهدية زوجها السيارة لما حصلت على الرخصة ، اشترى لها سيارة مما أغضب الجد يوسف من تصرفه .
فقال له: يا ولدي إن زوجتك درة في العائلة ، ونحن الله أعطانا الكثير رغم حياتنا في القرية الواسعة ، ووالدها صاحب أموال وشركات مع أولاد إخوتي هناك.. وله زوجة وأخوة لنداء وقد ولدت زوجة أبيها أربعة أخوة .. وهو سعيد بأخبارها .. وأخبرني أنها تكتب له من أيام مدرستها الثانوية ، ويتحدث معها في الهاتف عندما كانت تزورنا أو من بيت عمها إبراهيم .. فلإبراهيم بنت من جيلها .. وهما رفيقتان .. وقد يعود أبوها نهائيا للبلد .. وسيترك إدارة العمل

لزوجته وابنه الأكبر جعفر .. وأولاد أخي يعقوب لهم زمن بعيد هناك .. الله وفقهم خير توفيق وقد جاء بضع مرات بعد وفاة أمه.. وقد رأته نداء في كل زيارة .. ولما مات أخي نائل أتى أيضا لكنه لا يمكث أياما كثيرة خشية أن يؤذيه أهل زوجته أم نداء .. زوجته أم جعفر لا ترغب بالمجيء معه .. فهي غير مقتنعة ببلادنا .. هي من عائلة قديمة هاجرت غربا.. هي من أصول شامية هاجر أهلها قبل قرن ونصف ، فلا تعرف هذه الدنيا .. فلا تأخذ يا ولدي الأمور بحساسية .. فما نجمعه سيبقى في الدنيا ، لن يذهب معنا للمدافن .. ونداء كما تعلم هي خير أبناء نزيه في هذا البلد .. وهي بنت رضية وطيبة .. ونحن لسنا بيننا وبين أولاد نزيه معاداة أو حرب .. هم اختاروا البقاء في حضن أخوالهم ؛ بل لما زارني سامي نزيه قبل سنوات غضبوا منه.. وطلقوا ابنتهم منه .. وأحيانا يحتاج لبعض المال فيتصل بي.. وأساعده طبعا دون علم أمه فزوجتي المرحومة أختهم .. وهي عمة حماتك .. ولدي اضطر للهرب منهم يا صديق .. ووجد السلامة الخروج بدل الصراع .. وهم أصحاب نفوذ في المدينة .

تمت الحلقة ٢

قصص وحكايات الفوارس

الملك زرارة والملكة سفانة ٢

الملكة سفانة

كانت التقاليد المتبعة في البلاد أن ينصب الملك الجديد بعد تسعين يوما من وفاة الملك أو تنازله أو عزله .

أخذت المدينة تستعد لتتويج الملكة سفانة ملكة على البلاد والعباد ؛ لتقوم بواجباتها الملكية .. ومنها الموافقة على قرارات الوزير الأكبر للمدينة ..ومنها استقبال الملوك والزوار والمشاركة في الاحتفالات المهمة كالزواج واعتلاء العروش .

عندما تجلس على العرش سيكون بيدها سلطة مهمة ، منها الموافقة على موت قطاع الطرق واللصوص والمجرمين ، ولها سلطة العفو عنهم ، وسيكون لها رأي على أفراد عائلتها الخاصة بها ، ولها سلطة شكلية على تعاليم الوزير وتشريعاته وعلى كبير القضاة .

كانت سفانة تبلغ تسعة عشر عاما حينئذ وهي كأخواتها لم تتزوج بسبب ذلك المنام السيء الذكر.

كان بعض رجال الإدارة قد أخضعوا الأميرة خلال فترة الانتظار للتتويج على التعرف على سياسة البلد والحكم والمهام المطلوبة .

وبدأ الاحتفال في ساحة عامة أمام وحضور حشد كبير من عامة الناس ورجال البلد .. فجلست على عرش أعد لها وبجوارها الوزير غالب وأتباعه من

الكتبة وكبير القضاة وعدد من أعوانه ، وقائد الجيش وقائد الحرس الملكي الخاص بقصور الملك وأقسمت أمامهم جميعهم على كتاب الله المقدس على القيام بواجباتها وحماية الأمة ورعايتها والدفاع عنها ، والحكم بينهم بالعدل قدر استطاعتها .

وأقسم الوزير بالإخلاص للملكة والأمة ونصر الضعفاء ، وكبير القضاء فعل مثل الوزير ، وتبعه قائد الجيش والحرس وأهم رجالات المدينة .

وجرى استعراض للفرسان والشرطة أمامها، ثم انتقلت ومعها حرسها والأعيان إلى قصر الحكم حيث استقبلت كملكة ، وجلست على العرش تتقبل التهاني من السادات ورجالات الدولة والترحيب بضيوف المدينة الذي جاءوا للمشاركة في هذا التتويج من المدن الصديقة ، وظل ذلك حتى هبط الليل .

واستمر هذا الاستقبال لمدة ثلاثة أيام ، وكانت خلالها تقدم الأطعمة والأشربة للضيوف والعامة في ساحات أمام القصر قصر الحكم ، وكان كل هذا برعاية الوزير .

وكان على الملكة أن تحضر كل نهار ما عدا الجمعة للجلوس في الديوان .. ديوان الحكم لتسمع من الوزير أخبار وأحوال المدينة .. وإذا كان هناك سفارات زيارات تستقبلها وترحب بها .. وعند الظهر تنصرف لقصرها وبيتها للغداء وغيره .

والوزير بعد إطلاع الملك على أهم الأمور ينصرف لديوانه ، وقد لا يحضر الديوان الملكي إن لم يكن هناك ما يهم إطلاع الملك عليه .

والملكة ذات نهار تجلس في ديوان الحكم بين السادة وعلى رأسهم الوزير جاءتها رسالة من والداها كما أعلن الحاجب ، وكان يطلب فيها السماح له بترك محبسه .

فالتفتت للوزير قائلة : وهل أبي محبوس يا سيدي الوزير ؟

أخذ الوزير الرسالة وقرأها وقال : لا ، يا مولاتي ! حضرة الملك لما خلع عن الحكم فرضت عليه إقامة جبرية في أحد القصور .. فهو يشكل خطرا على النظام والمدينة

همست بشك : أبي يشكل خطرا على البلاد !

نظر في عينيها وقال : أيتها الملكة أنت لماذا جعلت ملكة مكانه وهو حي ؟!

ـ لا أدري !

قال : ألم يوضح لك المدربون ذلك ؟

رفعت صوتها وقالت : لا .

قال : أبوك يا مولاتي تسبب في موت أختك أمامة بحبسها ظلما ، وهي عليلة فماتت في السجن بعد أن منعها من حقها في الزواج حتى اضطرت للزواج دون علمه من ابن أخي ، وولدت سرا وذلك خشية تحقق منام رَآه الملك عندما تزوج

أمك .. وطلق أمك ونفاها بدون جريرة حتى اضطرت أن تتزوج من لص تائب ليحميها .. ثم هربت أختك بانة مع أحد رجال المدينة والاختفاء لليوم .. ثم هرب الأميرة خلود مع رجل مجهول .. وكل ذلك بسبب المنام المشهور فاضطررنا لعزله واعتباره مريض عقليا .

ـ أعرف كل هذا .

قال ؛ من أجل ذلك تم عزله وخلعه ، وتنصيبك ملكة ؛ لأنك الباقية من ذريته .

قالت : ولماذا كتب لي هذه الرسالة يستغيث بي لإنقاذه من الحبس؟! إنه يسألني الرحمة يا مولاي!

ـ قابليه ، وتحدثي معه عم يريد من هذه الرسالة ؟

قالت بتوتر بين : لقد حاولت ذلك قبل تنصيبي ملكة .. ومنعت إلا بموافقتك

قال : ولماذا لم تطلبي موافقتي ؟

قالت : لا أدري ! هل أذهب لرؤيته ؟

قال : اذهبي لرؤيته .

ونادى أحد القادة الذي لبى النداء ، فقال له الوزير : زيارة رسمية للملكة لزيارة قصر والدها لتقابله وتسمع شكواه .. رتب الأمور .

ـ أمرك سيدي الوزير .

وقال : ودع الملكة تتحدث مع والدها وحدهما خلوة .. ابعد الرجال والحرس عنهما .

ـ أمر سيدي الوزير .. متى ؟

نظر الوزير للملكة وقال : الآن هيا اذهبوا .

نزلت الملكة عن العرش ، وتقدمها القائد والحرس من خلفها .. وجاءت مركبة تجرها الجياد ؛ لنقلها إلى قصر والدها المعتزل فيه .

ولما وصلت للمكان ترجلت من المركبة .. وفتح لها القصر يتقدمها القائد ، وظل الحرس أمام باب القصر ينتظرون انتهاء الزيارة .

كان الملك علم بوصول ابنته الملكة للقصر من خادمته المخلصة ، وكان مستلقيا على سريره متوعكا ذلك النهار ، فجلس ووضعت الخادمة خلفه بعض الوسائد والمخدات ، ودخلت سفانة الحجرة ، وغادرت الخادمة ، دخلت وهي تلبس ملابس الحكم ، حيث أنها كانت في ديوان الحكم عندما أتت لتقابل الوالد ، قبلت يده ورأسه .

وقالت دامعة: أبي حبيبي عندما تسلمت رسالتك هرعت إليك مسرعة .

فقال بحزن بين : لم يبق لي إلا أنت .

قالت بدون ترو : ستعود أمي وبانة وخلود سنجتمع من جديد يا سيدي الملك .. كيف صحتك وطعامك ؟!

قال بنفس النغمة : الحمد لله ..كنت أرغب برؤيتك خلال الشهور التي مضت هل حرموك من ذلك ؟

قالت : ليتك أرسلت لي .

قال معاتبا : أتحتاجين لمرسال يا سفانة ؟!

قالت : لقد فوجئت بعزلك ، وجعلي ملكة ! لم أكن أحلم بذلك .. وكنت أمنع من زيارتك .

ـ أتعرفين مكان أمك وأخواتك ؟

قالت بحدة وحزم : لا ، يا أبي .

قال : هل ترين أني أسأت لكنّ ؟

قالت بتأن وتردد : لا أدري ! لكنك كنت تمنع زواجنا .

ـ أوجدوا لك زوجا ؟

ـ سمعت بذلك .

قال : من ؟

قالت : لا أدري ! سمعت الخدم يتحدثون عن ذلك الزواج .

قال كأنه آمر : هل سيأخذون رأيي ؟

قالت بصدق : لست أدري يا أبي ! إني أحبك كثيرا يا أبي! لقد حملوني عبئا كبيرا

قال وهو سارح : الشعب احتج على خطف ابنة الملك أو هربها فرأوا أني لا أصلح للحكم .. لقد أصبحت بناتي تشكل عارا عليّ .. يتعرضن للخطف ، والهرب كبنات العامة والسوقة .. أفكرت بالهرب مثلهن ؟

ردت : لا أدري !

قال : لا أدري .. أعلموك كيف تحكمين وتفعلين في قصر الحكم ؟

قالت : نعم ، خضعت لتدريب خلال التسعين يوما .. ماذا تريد يا أبي من رسالتك المبكية ؟

قال : يجب أن أعرف هذا العريس الذي سيقدم إليك وأوافق عليه .

قالت : ستعرف يا أبي ..ولن أقبل به إذا لم تقبل أنت به .. وسأبحث عن أمي وأخواتي ماذا تريد مني .

قال بتذمر : كنت أفكر بالسفر ونفي نفسي .. زهقت من الحبس .

قالت بحيرة : هل هذا حبس يا أبي؟ إنه قصر .

قال بغضب : إنه سجن .. لا يسمح لي بمقابلة أحد إلا بموافقة الوزير أو قائد الجيش .. لا يسمح لي بالخروج منذ وضعت هنا .. أريد حريتي من الملكة .

قالت : إنهم يخشون على حياتك من الخروج .. فأنت ملك .

قال : هم قالوا لك ذلك!

قالت : سمعتهم يتحدثون عن ذلك .. إنهم يخشون الدسائس والمؤامرات من خصومهم .

قال : لا حول لي ولا قوة يا سفانة !

قالت : للشيطان أعوان .. والكاهن هرب ، لابد أنك سمعت بذلك ، وقد طلبوا رأسه .

قال : الوزير الجديد .

قالت : القاضي ورئيس العسس والوزير الكل .

قال بثقة : لن يقبضوا عليه .. فهو أذكى وأفطن منهم .

قالت بتحد : لكنه قتلنا يا أبي! سبب طلاق أمي وموت أختي ، ولم تفرح بطفلها وزوجها ابن الوزير .

قال : لا داعي لتذكيري بجرمه .

قالت :آسف يا أبي ! كان أخطأ وأساء .. أتريد أن تنقل من هذا المكان ؟ أتريد أن تخرج بدون رقابة ؟

قال بتردد : أنا الآن أقول لا أدري ! كنت أظن أنهم سيمنعونك من الاتصال بي .

قالت بإنصاف : لا يمنعني أحد فلما قرأت رسالتك في الديوان، وقرأها الوزير قال اذهبي إليه فهو والدك .. أمن البلاد مطلوب كما يقول الوزير .. إنهم يَرَوْن أنك لا تصلح لقيادة البلاد .

قال : جعلوني مجنونا غبيا .. حسنا يا سفانة ! مبارك عليك هذا التاج .. سأصبر ؛ فإذا ضاقت نفسي سأهاجر وأرحل ؛ ربما أترك هذا القصر الصغير والعودة لقصري الكبير أيسمحون لي بذلك ؟

قالت بدهشة : يسمحون ! أنا التي أسمح .. إن حياتك في وطنك يا أبي خير لك ولنا .. ستعود أمي وأختاي .. سيجتمع شملنا .. إذا أحسست بظلم تجاهك فلن أقبله .. وسأترك هذا التاج وسأترك العرش .

قال رافضا ترك التاج : لا ، لا ، كنت أظن أنهم سينقلون التاج عن بناتي لأحد إخوتي أو أبنائهم الذكور .. المهم يا بنية أن أوافق على العريس الذي سيختارونه لك ؛ لأنني أنا مثلك سمعت عنه .

قالت : أذكر اسم العريس ؟

قال : لا ؛ لكنني علمت من بعض المخلصين أنهم سيزوجونك من أبناء العائلة من أبناء عمومتك .. ولم يذكروا اسما معينا .. وبما أنك ملكة سيكون من الأقارب من الأمراء الشبان لا تقبلي به قبل رضائي .. وإلا مت وأنا عليك غاضب يا سفانة!

قالت : سأفعل يا أبي ! وأنا قبلت بهذا التاج رغم أنفي يا أبي!

زواج سفانة

زارت مجموعة من النساء من زوجات وبنات وقريبات الملكة قصر الملكة ، وكان سبب اللقاء الحديث عن زواج الملكة ، وأن على الملكة الزواج ؛ لتلد للأمة ولي العهد ، وملك المستقبل .

ولما علمت الهدف المهم من النكاح تذكرت سفانة أن لشقيقتها أمامة طفلا ، وقد اختفى ؛ وربما أختها بانة أنجبت كذلك، وكذلك أختها المخطوفة خلود .

وبينت النسوة للملكة أن الزواج يجب أن يكون بأسرع وقت ، وأن يكون من قريب لها ، وأنهم سيضعون أمامها ثلاثة شبان ؛ لتختار واحدا منهم

فقالت : أنا لا أعرفهم ، ولم يكن والدي يسمح لنا باللقاء بأقاربنا الذكور .

قالت واحدة منهن : كان أبوك مخطئا وظالما لكنّ .

وأخذت النسوة يهاجمن الملك المخلوع ، ومنامه السيء الذكر ، وأخذت هي تدافع عن والدها وأنها لن تتزوج إلا من رجل يقبله أبوها .

فقالت إحداهن متهكمة : إيه .. هذا هبط عليك حب أبيك فجأة ! أين كان أبوك عن زواج أمامة ؟ وزواج بانة وخلود وطلاق أمكنّ .

قالت ثانية : التي في مثل سنك كان يجب أن تكون قد ولدت عدة ولادات يا ابنة أخي .

وقالت أخرى : يبدو أنك لا ترغبين بالبقاء ملكة .. اسمعي نحن أقارب أبيك .. ونعرف أنك قابلت والدك .

صاحت بحدة : نعم ، قابلت الوالد .

فقالت امرأة متهكمة : الذي لم يكن يراكنّ إلا في السنة مرة .. من العيد إلى العيد .. لا يريد أن يرى دموعكنّ .

قالت ثالثة : أصابنا من والدك العار يا سفانة ! كنّا نخزى عندما تزورنا بنات ونساء الأمراء والملوك الضيوف ..أصبح حبسكن سخرية ، ثم أصبحت سيرتكن سيئة .. أمامة تضطر للزواج سرا ، وبانة تهرب لتتزوج من أحد الشباب الذين لا يقربون لنا ، ولا يمتون لنا بصلة والثالثة تهرب مع رجل غير معروف لنا لليوم .. أي عار أصابنا منكنّ يا بنات زرارة ! والفضيحة أمكنّ تطلق وتنفى ، ولم تجد زوجا أمامها إلا لصا أنقذت حياته قبل عشرين سنة .. أين أبوك ؟

طفقت الملكة الشابة تبكي ، وهي تسمع كل هذا التجريح والتبكيت وتقول : إنه أبي ! إنه أبي!

ـ أبوك لا يريد لك الزواج .. يريد أن تخطفي وتهربي .

كان كلام النسوة قاسيا على قلبها ؛ ولكنه صحيح .. ومن قسوته على قلبها صاحت وهاجت فيهن: أنا الملكة أنا الملكة !

ضحك النسوة وقهقهن ، وقالت امرأة لها : والله نعلم أنك الملكة العزباء .. سيتقدم لك ثلاثة شبان تختارين أحدهم .. ابني أنا أحدهم ، والثاني ابن ابن عمتك مريم .. والثالث الأمير عز من أبناء العمومة ..وكلهم من جيلك .

ـ وإذا لم يوافق أبي .

صرخت فيها إحداهنّ : أنس أباك .. أبوك دمر البلاد ، وجعلنا أضحوكة لملوك الدنيا .. وأساء لسمعتك ، وسمعة العائلة والعشيرة .. الملكة تحتاج لزوج .. تحتاج أن تكون أما .. تحتاج أن تلد للأمة ملكا .. أبوك حبس ابنته حتى هلكت في السجن كالنعجة الجرباء !

قالت أخرى : سنزورك قريبا ، ومعنا الرجال

الثلاثة ، وكلهم أكبر منك بسنة أو سنتين .. وهم من أبناء النبلاء والسادة من أبناء عشيرتك .. واعلمي أنه لا تهمنا موافقة أبيك يا سفانة المهم موافقتك أنت واختيارك أنت .. وإذا لم تتزوجي ستخلعين عن العرش .. فحافظي على ملككي وعلى هذه النعمة التي جاءتك على طبق من ذهب صرخت في وجوههن : لن أتزوج دون موافقة أبي عليه .

ـ عجيب أمر هذه البنية !

قالت : أنا يهمني رضا الملك الأب .

قالت واحدة منهن : الملك كلنا يعرف أنه لا يريد الزواج لك ولغيرك ..إنه يخشى من ولادة حفيد ذكر يقتله .. أهذا يعقل يا بنية ؟ أليس هذا الحلم ما دمر أسرتك ؟ وسبب طلاق امّك حتى تزوجت لصا بسبب نفيها وحيدة دون أهل وأقارب .. عادة الملوك في بلادنا تهجر الزوجات ..من النادر أن يحصل الطلاق فينا .

قالت : أنتم لا تحبون أبي .

قالت ثانية : أنحن أسأنا لكنّ ؟ هو الذي فضحنا بين الأنام .. أختك بانة من أجبرها على الهروب مع فارس صعلوك .. وتتزوج بدون حفل وفرح وزفاف .. تتزوج كابنة صعلوك ومعدم .. وماذا فعل ليأتي بها ؟ لم يفعل شيئا ..طرد أمك معتقدا أن البنت هربت بمعرفتها .. وأنها ستلتقي بها بعد الطرد .. كان عليه أن يبحث عنها .. ويسفك دمها لخيانتها لقومها وعشيرتها ..وأمامة تزوجت بعلم أمها من ابن الوزير الأكبر سرا ودون علمنا .. وها هي أختك الثالثة تتظاهر أمام الصيادين بأنها مخطوفة ؛ لتهرب مع من ؟ لا أحد يدري .. أكل هذا وتقولين موافقة أبي ؟ أبوك أيضا لم يحرك ساكنا لإحضارهن.. استعدي لاستقبال من سيكون أحدهم بعلا لك ..وسيوافق أبوك على اختيارك إذا أحسنت عرض الرجل عليه ؛ لأنه يا بنيتي عدم زواجك معناه أنك تخلعين نفسك .. أخبري والدك بذلك .

قالت الملكة : لعلي لا أريد الزواج .

ـ وهل امرأة أو رجل تعيش بدون زواج .. ولماذا خلق الذكر والأنثى يا سفانة ؟ العاقل السليم الصحيح يتزوج .. وهذه سنة الحياة والدنيا .. لو كنت مريضة ؛ ربما صدقت أنك لا تصلحين للزواج والرجال .. عندما تحيض الفتاة يلزمها النكاح إن تيسر الطالب .

قالت : ولكنني أبغض الرجال .

قالت : ليس بالضرورة محبتهم .. الزواج غير الحب والميل .. المرأة التي لا تتزوج في عز شبابها ستبحث عن العشاق .

قالت دهشة من جرأتهن : العشاق !

قالت : وإلا ماذا أنت ستكونين بين الرجال يا

ملكة البلاد؟ ستجدين من العيون الخائنة التي تنظر إليك بشهوة .. لما تكوني ذات بعل يقل التطاول إليك بهذه النظرة ، ولا تتعرضين للغزل وغيره ، ولا الطمع ببدنك .

بعد هذا اللقاء العاصف والجريء مع الملكة الشابة رتب اللقاء بالشبان الثلاثة بينها وبينهم في قصر الملك الوالد والملكة عزوف .. وحضر اللقاء بعض أعمامها وبعض عماتها .. وبعض تلك النسوة اللواتي قابلنها من يومين فقال عمها معرفا بذوات الشبان : هذا ابن عمك الأمير يزدان عمره عشرون سنة ، ولم يتزوج بعد .

ووقف الأمير أمامها لتحدق فيه . ولما عاد للجلوس أشار عمها مرارة للثاني وقال : وهذا ابن عمتك الأمير سعيد بن يوسف ووالده من أبناء العمومة .

وتقدم الأمير ووقف أمامها ، ولما نظرت فيه بدقة عاد للجلوس .

وقال عمها وهو يشير للأمير الثالث : وهذا الأمير خالد بن عُمير أمه ابنة عّم لك .. وعمير والده من العائلة ، والوزير خاله ، فأمه ابنة الوزير غالب .

وفعل الأمير خالد كما فعل سابقوه ، ولما جلس حيث يجلس قال العم : وهذه أيها الشباب الملكة سفانة !

رحبت الملكة بهم وتأملتهم بشكل دقيق وحاد ، وحدقت في عيونهم من جديد ، وبعد صمت وتفكير .. قالت : كيف سأختار أحدهم ؟

قالت امرأة عمها أم الأمير يزدان وزوجة مرارة : القوم لا يريدون أن يفرضوا عليك أحدهم هؤلاء الأبطال أمامك .. فهم الأقرب إليك نسبا وسنا.

ـ ألا تسمحون بإعلام أبي وإحضاره ليراهم ؟

فقال عمها : يا بنية ! والدك الملك لا يعرفهم معرفة قوية ؛ ربما رآهم وصافحهم في مناسبة التهنئة بالأعياد .. وهو قد أساء للبلاد والعباد .. وألبسنا العار بهرب أخواتك ، وزواج أمك من مناع السارق المشهور .. لقد كان أن تتزوجي من خمس سنوات .. ولكان اليوم ابنك يرتع ويلعب مع الصبيان .. وتسبب أبيك في موت بكره بعد ولادتها .. وهو كما نعلم لا يرغب في زواجكن .. وتحدثت قديما معه في ذلك ؛ ولكنه بدل أن يقبل نصحي هددني بالطرد والنفي .

قالت بخضوع :إنه أبي يا عمي .. قابلته من أيام كان يفكر باللجوء إلى أحد الملوك والعيش خارج البلاد .. ولما علم أنني سأقبل من يوافق عليه من زواج .. قال سأبقى من أجلك يا سفانة

ـ هل اخترت أحدهم ؟

قالت : كلهم أبطال ، وسيراهم أبي ، وينصحني بحسن الاختيار .

قال العم : مسكينة أنت ! أنت لا تصلحين للملك

سيضيع الملك من العائلة.
همست بحيرة : لست متعلقة بالحكم ..لماذا جعلتموني ملكة ؟!
فكر العم وقال : جعلناك ملكة لأنك ابنة الملك .. والملك لم ينجب ذكرا يرثه .. والملك سينتفل لابنك الذكر .. أتحبين العزل ولا تريدين الزواج ؟
قالت : لا أدري يا عماه ! كأنني كرهت الزواج بسبب أخواتي وطيشهن .
قال بضيق : الحق على أخي .. اللوم على الملك في الأول ..أخواتك حرمن من الزواج .. فتزوجن رغم أنف أخي وبطرق مخزية .. الهرب .. كان أخي أحمق .. أغلق حياته على منام فاسد حلم شيطان .. وأنت تزعمين أنك غير راغبة بالزواج .. ألم يعجبك أحد من هؤلاء الشبان ؟
عادت تقول : لا أدري .. هل الزواج ضروري ؟
قال بامتعاض : ما دمت ملكة فهو ضروري ولازم .. حسنا ستذهبين برفقتهم لقصر أبيك !
قالت بسذاجة : أبي سيحضر هنا أليس هذا قصره يا عماه ؟!
صاح بحدة وملل : هذا قصر الملوك .. ومنام الملوك يا بنية من عهد بعيد .. سأرسل وراء الوزير يا خالد اذهب إلى خال أبيك وأت به .
صاحت منزعجة : وما دخل الوزير في هذا يا عماه ؟! أنا التي ستتزوج ..أنا الملكة أنا الملكة !
حدق في ووجها سخطا وقال : نعم ، أنت الملكة ؛ ولكنّ أباك يشكل خطرا على البلاد .. فهو محجوز في قصر صغير حتى يموت ، حتى لا يتصل بأنصاره والموالين له ، ويسبب المشاكل والقلاقل في البلاد .. نحن لا نريد حدوث فتنة يا ابنة أخي .. وأنت عُلمت ما هي واجباتك وحقوقك علينا .. أبوك أخي .. ومصلحة البلاد أهم من الأفراد .
قالت : لا دخل للوزير بزواجي .
قال : موافقة الوزير على زواجك أهم من موافقتك أنت وأبوك الملك .. الوزير رأيه الأهم ، وكذلك القاضي الأكبر .. وزواج ملكة ليس كزواجي وزواج الوزير .. وهؤلاء الفتيان الوزير قبل بهم ؛ ليكون أحدهم بعلا لك .
صاحت بحسم موقفها : أنا إذا لم يقبل أبي بأحدهم لن أتزوج .. اعزلوني عن الحكم ..لا أريد الملك .
قال الأمير : حسنا ! سيأتي مولانا الوزير؛ ليسمع هذا الكلام حتى لا أتهم بتضليلك والافتراء عليك .
جاء الوزير بعد وقت يسير يصحبه موكبه وحرسه ، وأخبره العم مرارة بكلام الملكة ، وأنها تطلب موافقة أبيها على العريس .
فضحك الوزير وقال بتهكم : موافقة أبيك الملك على العريس أو تتركين الحكم .. يا لك من طفلة !

ما زلت تفكرين بعقلية الطفلة .. أبوك لابد أنك تذكرين أنه لا يحب لكنّ الزواج .. وعمك بمقام والدك .

قال العم : يا ابنة أخي ! لقد أساء الملك للأسرة والبلد .. يا مولاي ما العمل ؟

قال الوزير : فلتذهبوا جميعا إلى قصر الملك .

قال العم : تريد أن يأتِ أبوها إلى هنا .

نهض الوزير قائما وقال :تذهب إليه وحدها ، وتتشاور معه ، ثم نرتب إلى اجتماع هنا .

زارت سفانة والدها في محبسه الخاص ، وأخبرته بأشخاص العرسان الثلاثة وعليها أن تختار احدهم ؛ ليكون شريكها وزوجها في الحياة ، وأنها لن تقبل بأحدهم دون موافقته هو ،

وفضلت ترك الحكم إذا لم يقبل هو بزواجها.

هز الملك رأسه عدة مرات وقال : لو الأمر بيدي لمنعتك من الزواج .

نظرت في وجه أبيها وقالت : إذا كنت لا تريد لي الزواج سأرفض يا أبي .. لست متعلقة بالزواج إنني أكرهه .

فقال : وهل يرضون بذلك ؟

قالت : لا أريد التاج ..لم أحبه .

فقال : ما دمت لا تريدين التاج فدعك من الزواج.. أنا بغض لي زواجكنّ .. وسعيت لذلك المنع .. لا أنكر ذلك أيها الملكة البارة بأبيها .

قالت : أنت الملك يا أبي .

قال : أتحبين أباك ؟

قالت : هل من أحد يكره أباه يا أبي ؟!

قال : أخواتك .. ألم يجلبن العار لأبيهن ويفضحنه بين القريب والغريب ؟ وتزوجت أختك الكبرى سرا دون علمي ..والأخريات هربن .. وأمك نكحت لصا .. مع من هربت خلود ؟

قالت : لا أدري .. ولا أحد يدري مع من هربت ؟ لم تخبر أحدا بسرها ..أنت ترفض زواجي يا أبي !

قال :ما دمت أنت مبغضة له ،ولا تريدين الزواج فأنا أرفضه .

قالت : ألا تخشى انتقامهم ؟

ضحك وهو يقول :ماذا يفعلون أكثر مما أنا فيه من الحبس والإهانة والخلع ؟ سيقتلونني لا يفعلون .. وأنا لا أخشى الموت .. لم يصدف أن قتل ملك من أجدادي قتلا في بلده .. إذا كنت لا ترغبين بالزواج فأنا أحثك على ذلك .

قالت : أخواتي تزوجن رغم رفضك ؛ بل إحداهن ولدت سرا .

عاد يقول : إذا أنت راغبة بالاقتران عليّ أن أوافق

عادت تؤكد :إذا لم تقبل أحدهم فلن أتزوج .

قال : الزواج كله مرض يا سفانة!

أخبرت الملكة عمها برفض أبيها زواجها ، وأنها

غير مستعدة للزواج دون رضاه ، وهي مستعدة للتنازل عن الحكم .

فقال مشفقا : أترين أن هذا من البر ؟!

قالت : إنه أبي يا عماه !

قام وقال: حسنا ! استعدي لخلع التاج ..وإذا أصاب والدك سوء أنت السبب .

بعد هذا الكلام قابل العم الوزير غالب بن عثمان ، وحدثه برفض أبيها زواجها من هؤلاء الشبان ومن غيرهم ، وهي جاهزة لخلع التاج الملكي .

فقال الوزير : دعني أفكر بعض الوقت .

اجتمع سادة البلاد الكبار ، وسمعوا كلام العم والوزير ، ورفض الملكة الزواج بدون رضا الملك المعزول زرارة ، وأمهلهم ثلاثة أيام للتفكير بالملك الجديد .

اجتمع القوم مرة أخرى لمناقشة أمر زواج الملكة وخلعها ، واتفقوا على توليه العم مرارة الملك حتى يظهر ويعود ابن أمامة الذي هو من نسل الملك زرارة من منفاه السري ، ويتولى مقاليد الحكم

وكان ابن أمامة كما نعلم قد هُرّب ليلة ولادته إلى مدينة مجاورة مع جارية وعبد من جواري وعبيد أسرة الوزير أوس ، ومن أجل حمايته تزوج الأمير لؤي أميرة من تلك البلاد ، ورحل إليها ؛ ليكون قريبا من ابنه .. وكان حذرا جدا في زياراته خشية أتباع الملك وأعوانه .. وكان يفكر بعد خلع جده بنقله لبيته ومنزله .. فكلنا يذكر تهديد الملك المعزول بالبحث عنه وقتله .

عزلت الملكة بعد رفضها الزواج ، ومنعت وحرمت من زيارة أبيها ، ورجعت لقصرها القديم حيث كانت تعيش مع أخواتها ، وشددت عليها الحراسة ؛ لأنها ملكة معزولة كأبيها فلا يجب عليها أن تتصل بأحد إلا بالحدود الدنيا.. ولما رأت هذا الحال والتضييق أحست بالندم والجهل والغباء .

عودة عزوف

بعد مضي فصل من الفصول سمح الملك الجديد لسفانة بزيارة الوالد حسب ترتيب وحراسة مشددة ، وصارحها الوالد برغبته بالهرب بمساعدة من أنصاره ، وأن أحد الملوك الأصدقاء رحب بلجوئه لبلده .

فقالت بقلق : ألا يغضب قومنا ؟

فعاد يقول : لكني ضعيف ، لم يعد بدني يتحمل السفر .

قالت : لماذا لا يسمحون لك بالسفر ؟! فليشفع لك ذلك الملك عندهم عند شقيقك الملك مرارة فالهرب سيّء يا أبي !

قال كأنه شارد الذهن مشتت الفكر : ألم تتزوجي بعد ؟

حملقت فيه استغرابا وقالت : لم أتزوج !.. ألم

تمنعني من الزواج ؟
قال : أنا منعتك من الزواج ! أنا قلت إنني لا أحب زواجك .. لم أمنعك من الزواج إذا رغبت بذلك .
قالت : ولكني تنازلت عن العرش حتى لا يحدث الزواج هناك خبر لا أدري هل نقل إليك ؟
قال : خبر .. ما هو ؟
قالت : كتبت أمي رسالة للملك تطلب العودة للحياة في بلدها في مدينتنا .. فقد ترملت من شهور مضت.
هتف شامتا : آه ! مات اللص .. نكحت أمك لصا !
قالت : علمت أنه تاب منذ فارق هذه المدينة يا أبي .. ولم يعد لصا .
قهقهة زرارة وقال : اللص يبقى لصا حتى يموت .. إذن هلك مناع اللعين .
قالت مستفهمة عن فرح أبيها بموت زوج أمها : إذا لم تكن ترغب بزواجها من غيرك لماذا طلقتها ؟! فكان عليك أن تهجرها كما يفعل بعض السادة
فكر قليلا قبل أن يقول : كانت ضربة قاصمة عندما علمت بزواج أختك سرا .. وبدون مشاورتي ..ولولا تلك الولادة لما عرفت بزواج تلك العاهرة .. وممن من ابن الوزير عدوي الأول .. كنت صغيرة يومئذ .
قالت : لم أكن صغيرة يا أبتي ..كنت ابنة خمس عشرة سنة .. وأعرف الأمور وما يدور حولي كانت أمي منزعجة من كبر سنها .. ولم تصبح زوجة وأما .. وأنت مصر على القلق والخوف من ذلك المنام البشع.. فاضطرت أمي للسعي إلى زواجها ممن تحب .
قال : أأنت تُحبين أمك ؟
قالت بحيرة : أحبكم جميعا .. إنها أمي ، كما أنت أبي.. لقد كتبت رسالة للملك تستعطفه بالعودة .. وكتبت لي رسالة تلومني على ترك العرش ، وعلى رفض الزواج .
قال : هي حمقاء ! لا تقدر ذلك المنام !
قالت : أما زلت تعتقد بذلك الحلم يا أبي ؟! قد خلعت عن الملك بسببه
قال بتحد : ما زلت ، وما زلت أعتقد أن ميتي على يد أحفادي .
قالت : أين هم الأحفاد ؟
قال : سيأتون .. ألم تلد أمامة أحدهم قبل موتها ؟ وقد أخفي عني، سعيت لقتله ، والغدر بالوزير أوس اللعين ، وفشلت .
قالت بحيرة : أردت قتل الوزير !
قال : نعم ، يا بنية ..كان عاقا لي ..أردت قتله بالسم ؛ ليموت .. وأخلص منه وأنتقم منه .. كيف تجرأ على النيل من بناتي وعلى شرفي ؟ كأنني غير موجود .. وأنا سيده وسيد هذه الأمة والبلاد

قالت : هذا كلام خطير يا أبي !

قال : أعرف ..كان عليّ التخلص منه .. كان زواج ابنه من ابنتي قاسيا على قلبي ، وجريمة كبرى في حقي وقد جرأ الناس على التغرير ببناتي ؛ لكنه كان حذرا وذكيا

تنهدت برعب : الحمد لله أنك لم تقتله ، وإلا كانوا قتلوك وأصابتنا حسرة عليك

قال كأنه حكيم : يا بنية الحكم والسياسة والتاج أحيانا تحتاج منا إلى قسوة وجبروت حتى تبقى الرعية في خوف ورعب .. وتبقى قوة الملك .

قالت : أهكذا السياسة يا أبي ؟

قال : ليست دائما هكذا ..بين الفينة والأخرى .

قالت بجفاء : هذا أمر مرعب !.. عمتي ودود زارتني وطلبت مني التفكير بالزواج من أجل الزواج ، وليس من أجل الملك .

صفن قليلا ثم قال : أترغبين برجل يا سفانة ؟

قالت بعزم : لن أتزوج قبل موافقتك ورضاك ..لن أكون مثل شقيقاتي .. قبولك المهم عندي يا أبي .

قال بدون تردد : أنا لن أوافق.. إذا لك رغبة تزوجي دون موافقتي .

غيرت الحوار : هل ستقابل أمي إذا عادت للبلاد ؟ لأني علمت أن الملك وافق على عودتها لقصر أبيها الذي يحتضر كما نقل لي .. وقد علمنا أن لها طفلا من ذلك الرجل .

صرخ زرارة بجنون : ولدت منه! .. يا الهي ! لك أخ من لص !جنت اللعينة !

قالت : هذا ما كشف لنا من رسائلها لأهلها .. وهو طفل يافع يمشي .

قال بضيق واضح : أرأيت ما يصنع الزواج من البلايا ؟!.. بنات الملك أصبح لهن أخ من لص وغلبه البكاء فأخذ بالبكاء من هول النبأ .

تفاجأت من بكائه ورددت : أتبكي يا أبي ؟ الملك يبكي !

استنشق دموعه وقالت :أبكي من القهر والغيظ .. لقد أخطأت بطلاقها ..كان عليّ هجرها ، كما كان يفعل آبائي .. لقد خالفت رأي غياث .

قالت : الكاهن !

قال : نعم الكاهن .. أمرني بهجرها .. لقد كنت معلولا منها لما علمت بزواج أمامة من ابن ذلك اللعين وولادتها .. أردت إذلالها .. أليس هناك أخبار عن ابن أمامة ؟

قالت : إنهم ينتظرون أن يكبر ؛ ليكون ملك البلاد

قال : نعم ، هو الأحق بالملك ؛ لأنه ذكر ، ومن سلالتي .. وأبوه من أهل المدينة .. فله الأولية عندما لا يكون للملك الميت أو المخلوع مثلي ابن ذكر .. وإن كان المولود من جهة الأنثى .. عندما تعود عزوف أتمنى اللقاء بها إذا رضوا بذلك .

قالت : سأسعى بذلك يا أبي !

بعد حين يسير من هذا اللقاء بين الملكين المخلوعين عادت الملكة عزوف من بلاد الغربة ، ونزلت في قصر والدها الذي مات قبل وصولها بزمن قريب .. واستقبلتها أمها وأهلها أحسن استقبال فور دخول البلاد ، ورحب الوزير بعودتها ، وعزاها بزوجها ووالدها عندما استقبلها في قصره .

وذهبت للديوان وقدمت الشكر للملك الجديد الذي تمنى لها حياة سعيدة في بلدها ، وبين أهلها وأقاربها ، وطلب منها المساعدة في عودة بناتها للحياة بين أهليهن ، فوعدت بالمساعدة في ذلك ، وبعودة حفيدها ابن ابنتها أمامة .

قامت سفانة بزيارة أمها لما سمحوا لها بذلك ، وأبدت المرأتان السعادة بهذا الاجتماع ، وعاتبت الأم ابنتها على خلع نفسها عن العرش ، وعدم الزواج بحجة طاعة الوالد وبره .. فذكرت تبريرها لرفض الزواج دون موافقة أبيها الضعيف الموقوف في قصره .. فاتهمت الأم ابنتها بالسفاهة والجهل ، وشجعتها على الاقتران بزوج صالح ؛ لتنجب منه ذرية طيبة ، وأعلمتها أن والدها يعيش في وهم وحمق مما دفع سفانة لتتشاجر معها .. ثم طلبت من أمها أن تريها أخاها ، فحضر فعانقته وقالت له : أنا أختك يا رياض ! وقالت : إنه طفل رائع وجميل يا أماه ! أصحيح أن والده لص حكم عليه بالموت ؟

جاءت رسالة من الملك حميد بن أحمدان ملك بلاد جلال الدين صديق زرارة إلى الملك مرارة بن نعيم ملك بلاد اللؤلؤ يطلب فيها العفو عن الملك ، والحياة في بلاده ..فقد أرسل له زرارة رسالة يستعطفه ويرجوه بالسماح له في العيش في بلاده للصداقة العميقة بينهما ، وبين البلدين من عهد الآباء والجدود .

اجتمع الملك بالوزير غالب ، وحدثه عن رسالة حميد ومناشدته ، فقال الوزير بعد تفكير : لا أدري خطر خروجه من البلد ! وهو كما علمت من طبيبه الملكي الذي يعوده يعاني من ضعف وإرهاق بدني .. لكن لديّ شرط إذا غادر البلد ، ومات هناك ستبقى جثته عندهم .. لن تقبله البلد ميتا .. فهو ملك حكم بلادنا عشرات السنين كما تعلم ؛ فإذا قبل الشرط فحيهلا .. فأرسله إلى الملك حميد بن أحمدان ملك بلاد جلال الدين ولتصحبه خدمه وغلمانه الذين يرغبون بالهجرة معه .. ونحن سنرسل له أمواله المخصصة له كل عام دون نقصان وأي زيادة وحذره من التآمر على البلد .

نقل الملك مرارة الشروط لشقيقه زرارة ، فقبلها ، ووافق عليها ، وطلب أن تصحبه ابنته سفانة التي قبلت بدورها مرافقته في رحلته ، والعيش معه في

تلك البلاد حتى الموت .

وتشاور الملك مع الوزير في أمرها فرأيا أن تذهب ما دامت موافقة على ذلك .

طلب الملك المخلوع قبل النفي الاختياري اللقاء بعزوف ؛ ولكنها رفضت هذا اللقاء ، ولم ترحب به ، وقالت للرسول : إنها ترملت على ذمة رجل غيره .

وحتى أنها لم تذهب لوداع ابنتها ، وغادر الملك زرارة ، وابنته بصحبة كوكبة من الفرسان والحرس إلى مدينة الملك حميد ، وصحب الملك عدد من خدمه ، وكذلك سفانة صحبتها إحدى مربياتها ، وبعض خدمها.

فكان الملك يهامس سفانة : أرأيت أمك أبت أن تودعنا ؟ إنها لا تحبنا .

قالت بحيرة : لقد طلقتها يا أبي ؟

فرد على حيرتها فقال : ولكنها امرأة ملك .. الحمد لله الذي أبقى لي سفانة .. أنت الابنة الوحيدة التي تحب أباها ومخلصة له .

قالت : بالتأكيد أني أحبك يا مولاي أنت أبي !

فقال سؤالا محيرا : أترين أني قصرت معكنّ ؟

قالت : لست أدري !

فقال : هل ظلمتك لرفضي زواجك من هؤلاء الأمراء ؟ وتسببت في تنازلك عن العرش والتاج

قالت : أنت أهم من العرش .

تنهد وقال : كلام طيب إذا كان صادرا من قلبك !

هتفت مؤكدة : أنت حبيبي يا أبي! صدق أن سعادتك أحب إليّ من الزوج والعرش .

فقال : ليت أخواتك كن مثلك ! لا أخبار عنهنّ يا بنيتي !



ابن الوزير

رجع الأمير لؤي بن أوس من مدينة عبسان إلى وطنه تصحبه زوجته وأولاده الثلاثة بعد غربة اختيارية استمرت لعدد من السنين .. واستقبله عمه الوزير في قصره ، ورحب به ، وشكر الله على عودته سالما ، واطمأن على أحواله ، وأحوال ملك تلك البلاد التي عاش فيها الملك حبيب

واستقر في أحد قصور والده ، وزارته الملكة عزوف ، مهنئة بعودته لبلاده سالما غانما ، ورحبت زوجته الأميرة ليلى بالملكة القديمة عزوف .. ورأت أولاده ، فلما سمعت أخباره وأسباب عودته سألته عن ابن أمامة .. وهذا هو أهم أسباب هذه الزيارة .

فقال : هو في أمان يا ملكة الزمان !

قالت : لم أعد ملكة يا ولدي .

قال : ستبقين في خلدي ملكة ..أنت أم أول امرأة

اتخذتها حليلة .. وكانت مغامرة مؤلمة رغم فشلها .. فأنت كنت سيدة فاضلة وشجاعة .. لقد أصر الملك على عدم زواج بناته .. وقد خرقت الحاجز ، وضحيت بملكك من أجل سعادة بناتك .. وقد علمت أنه حرم على سفانة الزواج ، وأخذها معه إلى حيث غربته ومنفاه.

قالت : لقد ترك البلاد .

قال :كانت تصلني أخبار البلاد من تجار المدينة .. وإن لم يسعوا إليّ أسعى إليهم

قالت : نسيت أنكم من أهل التجارات .

قال : عدت من أجل الأطفال ؛ ليكبروا في بلاد أبيهم ، ويعرفون أهليهم .. أما الفتى فهو ابن عشر سنوات .. ويستطيع الجلوس على سرج الجواد .. وكنت ألتقي بين الحين والآخر زاعما أني سافرت للتجارة .. ويعرف أنني أبوه وأن أمه ماتت .. وسيعود بعد زمن للجلوس على عرش البلاد .

قالت : سيقبلون به ملكا .. وقد عاش بعيدا عن بلاد أجداده .

قال بثقة : سيقبلون ؛ لأنه من سلالة زرارة الملك .. هو لو عاش هنا لكان الأحق بالتاج من خالته سفانة .. هل من أخبار عنها ؟

قالت بغم : لم تكن علاقتي بها جيدة بعد عودتي من النفي .

قال : سمعت أنك ولدت ذكرا .

قالت : اضطررت للزواج .. وكنت وحيدة غريبة .. وقدر لي أن ألد ذكرا منه .. كان نبيلا رغم ماضيه الأسود .

قال مواسيا : الناس تتغير .

قالت : هل من مجال لرؤية الولد أم عليه خشية من الظهور ؟

قال : الأمر صعب .. والخطر ما زال عليه من أعوان الملك زرارة .. فلنصبر حتى يشب ويكبر ويستطيع الدفاع عن نفسه أيتها الملكة الأم !

قالت : أنت شجاع يا لؤي ! كانت شجاعة منك أن تقبل بالزواج من ابنتي في تلك الحال المؤلمة وأنت ابن الوزير !.. لقد خشيت عليك القتل من الملك .

قال بأدب : الله الحافظ يا مولاتي ! كان علينا أن نتزوج ، وكانت هي شجاعة .. وقبلت المغامرة .. وأنت معها ، ووافقت على زواجنا ، وإغضاب الملك ؛ لكننا فشلنا في إعلان الزواج أدركنا الوقت ، ولم نستطع إقناع الملك، وظل على عناده ، وكرهه لزواج بناته .

مسحت دمعات سالت على خديها وقالت : لكنها ماتت ـ رحمها الله ـ ماتت مسجونة مظلومة محرومة من حضن وليدها وإرضاعه .

قال الأمير بحزن : غفر الله للملك .. لقد مات أبي مهموما من أجلها ..وأبى الصلح معه إلا بعد

العفو عنها ؛ لكن سبق الموت الجميع ..ولم يحب أبي استخدام القوة ضد والدها ..إنه أبوها وكان يخشى الفتنة الكبرى بسبب هذا الزواج الغريب ؛ ولكن سيكون ولدها الملك في قابل الأيام والزمان

قالت : عساه شجاعا.

قال : هو من ناحية الصورة شبيه بها .. وسيكون ملكا عظيما بأذن الله .. لمست الشوق عند السادة لعودته فارسا مقداما بطلا ؛ بل يفكرون بتزويجه قبل عودته فهم يدبرون ذلك .

قالت : علمت أن حفلة ستقام على شرف عودتك

قال : أتحبين الحضور يا ملكة الزمان ؟

قالت : ما رأيك أنت ؟ أنا لما عدت للمدينة لا أتصل إلا بعدد قليل من النسوة .

قال : إنهم يريدون تكريمي ؛ لأنني والد الملك القادم .. وليتعرف الأمراء الصغار على عمهم وقريبهم وأولاده وزوجته .. ووالدي هو الوزير الكبير أوس صاحب الحكمة والقوة المعروف لك

قالت : إذا رغبت بالحضور أرسلت لك خادمتي

قال : أنا رهن الإشارة .. فأنت حماتي التي لا تنسى

قال : كيف حبك لابنك ؟

قالت : سيكون بطلا ـ إن شاء الله تعالى ـ عدت أيها الأمير ووجدت ابنتي بانة قد اختفت ولم تظهر لليوم ، ثم خلود .. وها هي سفانة تلحق بهنّ مدعية حبها لأبيها الذي حرمها من الزواج تركت الحكم من أجل حبها كما تزعم لأبيها .

صاح الأمير : لعنة الله على ذلك المنام .. أين ذهب الأمير غياث ؟ رشا الحرس واختفى اللعين

قالت : شيطان رجيم .. لقد كان الملك مخدوعا به ومتعلقا به ، لم أحبه يوما ..كنت أتعوذ من الشيطان ومنه عندما كان الملك يدعوه لمائدته .. كان ينظر إليّ نظرات كلها حقد وحسد .

قال : ملعون لعله هلك .

قالت : الآن اسمح لي بالانصراف .. وشكرا على هذا اللقاء الطويل .. وشكرا لزوجتك .. وبارك الله فيكم وبأولادكم .

وغادرت عزوف الحجرة يرافقها الأمير حتى ركبت عربتها ، وتحرك الجواد بها وبخدمها إلى خارج القصر .

ولما عاد قالت زوجته : أهذه أم الأميرة المسكينة ؟

قال : نعم ، وستكون جدة الملك ؛ ولعل ذلك تعزية بموت ابنتها في سجن زرارة .

قالت : إنها ما زلت حسناء شابة !

ضحك وقال : ترملت منذ زمن يسير .. لقد نفيت بعد طلاقها من الملك زرارة .. كان زواج أمامة شؤما علينا .. وإذا رجع ابننا سيتحول الشؤم إلى نعمة ورحمة .

رفض الملك زرارة زواج ابنته بانه من الأمير كساب ابن أحد قادة الجيش الكبار والقدامى

بسبب المنام المشهور .
كان الأمير كساب في زيارة لخالة مريضة ، فرآها وأعجب بها ، وهي أعجبت به وبادلته الإعجاب ، وأصبحا عاشقين من نظرة واحدة يلتقيان خفية في ضواحي وأطراف المدينة والغابات ، وخطبها والده القائد صلاح من الملك ، فرفض أي زواج لبناته ، ولم يقبل أي شفاعات في ذلك .
وكان المنام قد انتشر وشاع في البلاد والعباد خاصة بين الأمراء والسادات ، ولما تزوجت أمامة سرا كانت بانة تعرف بهذا الأمر ، فأخذت هي وكساب يخططان للزواج سرا ، ووجدا أن الأفضل لهما الهرب من المدينة ، والزواج في بلدة أخرى فإذا هما يريان ابن الوزير لم يستطع إشهار زواجه فكيف هما ؟ فخرجا خفية ، وبعد أن ابتعدا عن المدينة تركا الجوادين لابن السبيل ، وخلعا ملابسهما الثمينة والقيا بها في إحدى الوديان ، وتزينا بزي البسطاء من الناس.
وكان القائد صلاح أخبر من ولده بأمره ، وأعلمه بزواج ابن الوزير لؤي من الأميرة أمامة سرا وبعد تردد سكت عن أمره ، وتظاهر بأنه لا يعلم شيئا ، ودعمه بالمال والمجوهرات ، وكان هروبهما بعد انكشاف أمر أمامة ولؤي .
وكان الأمير كساب قبلا قد ذهب لإحدى المدن ـ وهي جلال الدين التي تبعد عن بلدته اللؤلؤ مسيرة ثلاثة أيام بلياليها جهة الشمال الغربي ـ واشترى بيتا فيها ، وزعم لجيرانه أنه سيسافر والعودة بزوجته .. وفعلا أتى بها كما خططا ودبرا ، وبعد أيام ذهبا للقاضي ، وعقدا زواجهما الشرعي بشهادة القاضي وأحد معاونيه وولاية القاضي ؛لأنهما غريبان لا أهل لهما في المدينة .. وكان كساب تسمى بإبراهيم وبانة بشهد .. واشتغل كساب بالتجارة ، وبعد حين تم فتح دكانا في السوق ، واشتهر بالتاجر إبراهيم .. وكانت حياته بين السوق والبيت .. وتعرف على بعض الجيران في السوق والبيت .. وكان يتعامل معهم بحذر وإخفاء مسقط رأسه وسبب عيشه الحقيقي في هذه المدينة .. وأنجبت له الأميرة شهد ابنه الأول ، وسماه حماما ، طابت لهما الحياة فيها ، وكانا يتحسبان ويتحسسان لمطاردة من الملك زرارة ، ثم تفاجا بعد سنين بمجيء الملك زرارة منفيا أو مهاجرا للعيش في بلاد الملك حميد ، ومعه ابنته سفانة .. وحمدا الله تعالى بأنهما لم يتقربا لذوي السلطان والحكم .
وكان الشاب يلتقط أخبار البلد من التجار بسرية وحذر .. فسمع بخلع الملك وفرار خلود شقيقة زوجته مع أحد الناس .. وتربع سفانة ملكة ، وتنازلها عن العرش .. لذا تفاجأ من خروج الملك من بلده لعند الملك حميد ، وكل ما يسمعه ينقله لأم

حمام .

فقالت : أبي هنا !

قال : نعم ، يا شهد !

قالت : هل من خطر على حياتنا ؟

قال : لا أعتقد ذلك .. فهو قد ترك الحكم ، ولم يعد حاكما .. وهو رجل ـ كما أخبرنا ـ مريض وضاق به المقام في بلادنا ، وإلا ما هاجر .. هذه تصاريف القدر .. ومعه الأميرة سفانة .. فالتجار ينقلون أنباء المدن والسادة والقصص .

قالت : المهم سلامتك يا سيدي إبراهيم !

قال : لا أحد يعرف أننا من أبناء تلك المدينة .. ولليوم لم نلتق بأحد يعرفنا ؛ لأن أكثر من يتردد هنا التجار وأولادهم .. ونحن كنّا بعيدين عن التجارة بأشخاصنا كان الوكلاء والخدم يقومون بالعمل .

قالت بحسرة : أبي يعيش هنا ولا نستطيع مقابلته !

قال : لنا سبب .. ولو رخص لنا بزواج ما تشردنا واختفينا .. لقد جمع الحب بيننا .

قالت : لقد بذلت أمي كل جهد ؛ لتصرفه عن المنام اللعين .. وكيف يقتل حفيد جده بدون سبب ؟ وها هو قد كبر ، ولم يظهر حفيد ليقتله .

قال : ولما زارني أخي نبيل منذ زمن يسير .. وقد رافق إحدى قوافل بلادنا .. قال ما زال الوليد مجهول الإقامة .. وينتظرون بلوغه ؛ ليعود ويحكم البلاد .

قالت بحزن : أذكر أنك قلت لي ذلك ـ غفر الله لك يا أبي ـ دفعتنا لنتشتت في بقاع الدنيا .. طلقت أمي ونفيت وحيدة .. وماتت أمامة ، ولم تفرح بزوجها ، ولا بابنها ، ماتت في حبس أبيها الذي تهاون في علاجها .. وهي في حالة وضع .. وخلود اضطرت أن تهرب وتختفي .. وسفانة تركت الزواج من أجل رغبة أبيها ـ سامحك الله أيها الأب ـ سامحني يا كساب على هذه الذكريات والجروح .. أهناك أخبار عن أمي ؟

قال مجيبا : كما تعلمين أخبر أخي بعودتها للبلاد .. وعفا عنها الملك مرارة عمك .. وعرف الناس أن الملك نفاها ؛ لينصب لنا فخا إذا أقدمنا على زيارتها .. فتزوجت في الغربة ، ثم ترملت قبل العودة لأهلها .

قالت بشوق لأمها : كم أنا مشتاقة إليها يا سيدي الشجاع ! أليس هناك حيلة نزور بلادنا ، ونرى أحبابنا ؟

قال : الحيل موجودة .. والخطر موجود .. وأنا مثلك في شوق لأهلي ووالديّ .

قالت : ألا يصفح عنا العم ؟!

قال : هو يصفح ؛ لكن الخطر من الحاقدين من أتباع الملك الوالد .

قالت : الملك أصبح هنا .. وسفانة المسكينة هنا!

خلود

كانت الأميرة خلود كأختيها تشعر بظلم من والدها من عدم تزويجها ، وقد بلغت سن الزواج والرشد وترى الأميرات والقريبات يتزوجن ويفرحن بأطفالهن .. ورأت مغامرة أختها بالزواج دون علم الأب ، وموتها بعد الولادة .. ورأت هرب أختها بانة تتزوج من شاب ، وتهرب من البلد ، فوقع في نفسها فعل ذلك ، والخروج من المدينة ؛ ولكن أين الزوج والعريس ؟ وكيف ستجده ؟ لابد من جهد ومغامرة .. فمعاداة الملك ليست كمعاداة شخص من العامة .. فمخاصمة الملك تعني الموت والدمار .. ومصاهرة الملك ليست كمصاهرة غيره من أين ستأتي بابن وزير وأمها قد طلقت ونفيت ؟ وأختها وجدت أميرا وهربت معه .. ولاحظت سخط والدها على الوزير وأتباعه وحتى أسرته .. لم تكن العلاقات بينهم على ما يرام .. ولولا أن لؤي ابن الوزير لسفك دمه .

سمعتها جارية من جواريها ذات مرة تتمنى لو أنها تستطيع العمل مثل بانة بأن تجد زوجا تهرب معه .. وذكرت مثل ذلك بقصد أو غير قصد في أحد الحوانيت التي تبتاع منها الثياب الجديدة وجاريتها نور تردد ذلك.. فتشجع أن يساعدها في ذلك التاجر عمرو بن سنان لما سمعهما ترددان ذلك وحزن على حالها ،.. وهو يعلم الظلم الذي وقع على بنات الملك بسبب ذلك المنام الشهير حتى أن بعض الناس تمنى ظهور الحفيد؛ ليخلصهم من الملك وكهنته .. وأحب التاجر عمرو بن سنان أن يغامر لما حدثه ابن أحد التجار من مدينة أخرى برغبته بالزواج من فتاة غنية من بنات بلده .. فحدثه التاجر عمرو عن ابنة الملك ، ورغبتها بالزواج ، والخروج من البلد كأختها بانة فتحمس الشاب لهذه المغامرة الجريئة .. فالتقت الأميرة به في المتجر بعد أن أخبر التاجر الجارية .. فجاءت الفتاة والتقت بالشاب سرا .. وعرفها على نفسه والمال الذي يملكه في بلده .. وتواعدا على اللقاء في رحلة أخرى ؛ لتفكر بالمغامرة جديا .. وأرسلت جاريتها معه إلى بلده ؛ لتزداد معرفة به وبطباعه .. فوافق الشاب على ذلك زاعما أنه اشتراها .. وعادت الجارية بعد أشهر تقدم معلوماتها للأميرة عن الشاب .. فأثنت عليه خيرا وحضر للمدينة .. والتقى بالأميرة وزعمت الجارية للجواري أنها استأذنت الأميرة لزيارة أهلها وأمها واختفت .

ورتبت الأميرة مع الشاب خطة الاختطاف والهرب ، وكانت حيلتها بالهرب أثناء رحلة صيد رافقت الجارية الشاب إلى الغابة ، وبينت له خطة الأميرة .

وخرجت الأميرة بعد أن رتبت الأمور ، وقد اختفت جاريتها وسبقتها لبلاد الملك سعيد مدينة الرحمة ، وأثناء رحلة الصيد انتقلت خلود إلى حيث تواعدت مع الشاب ، وكان في انتظارها على جوادين أسرع من الريح ، وتخلت عن جواد بلادها ؛ ليظن من ظن أنها خطفت عندما يجدوه وحيدا ، وأنه هرب من خاطفيه .. وظلا يركضان حتى وصلا مدينة الشاب ، وكانت خلال الطريق قد تخلت عن ملابسها الملكية ؛ لتبدو أمام من يراها ؛ كأنها من عامة الناس .

ورتب الشاب أمر الزواج من الأميرة على أنها فتاة من بلاد الملك زرارة ؛ وأنها عن طريق التاجر عمرو بن سنان المعروف للكثير من تجار البلدة ومن أقاربه .. جرى احتفال بسيط للزوجين ..وأصبحت الأميرة زوجة للشاب محمد بن نجوان ، وتسمت بسلمى ، وتحقق لها ما تحقق لأخواتها ، وأرسل الشاب رسالة للتاجر طمأنه على زواجه ، ونجاح الخطة .

وفقد الملك بناته بسبب تشبثه بمنام ، فسره له غياث تفسيرا ماكرا ؛ ليصبح الملك ألعوبة بين يديه .

وكان والد الشاب المعلم نجوان أحد كبار تجار مدينة الرحمة يعلم حقيقة من هي زوجة ابنه ؟ وكان يدعي أمام المعارف بأنها قريبة للتاجر عمرو المعروف لتجار مدينتهم ، وكان يكرمها غاية الإكرام رغم الخطر المحدق بهم ؛ ولكنه يأمل أن تتحسن العلاقة مع الملك ، ويصبح زواج ابنه مفخرة لأهل المدينة وسادتها في مستقبل الأيام ، فهم أصهار أحد الملوك العظام في ذلك الحين والتاريخ .

لذلك تعجب أبناؤه وأقرباؤه من بنائه بيتا كبيرا وجميلا لابنه محمد ، وخصه به دون الآخرين ، خصه دون سائر إخوته الأكبر منه الذين هم بنوا بيوتهن بأنفسهم .. وكان يزعم لهم أنه تعهد للتاجر عمرو وأهل البنت بفعل ذلك .

وكانت الأميرة مسرورة بزوجها ، وتراه ملك الدنيا ، وقد خاطر هذه المخاطرة التي كانت قد تكلفه حياته وما زالت .. الخطر لم يذهب كليا رغم بعد المدينتين عن بعضهما البعض .

وحلت عليها السعادة أكثر عندما ولدا طفلتهما الأولى ، وقام الجد بذبح الذبائح الكثيرة على غير العادة حتى أن بعضهم قال مستغربا : والله لو أنك مزوج ابنك بنت ملك البلاد ما فعلت ذلك .

فأجاب أنه وعد عمرو أن تكون قريبته ؛ كأنها ملكة في بلادنا .. وفرح بالمولودة ؛ كأنها أول حفيدة له مع أن هذا الابن من جملة آخر الأبناء .

احتفل الأهل والجيران بحفل كبير على غير العادة بالطفلة أسماء ، سموها على اسم والدته .

وكان الناس في دهشة وعجب من كرم وسخاء التاجر نجوان مع كنته الأخيرة وولده محمد .

أما هو فهو يعرف ابنة من يكرم ، فهو صهر الملك زرارة بن نعيم ، وإن زرارة إلى موت وزوال وسيعرف الناس ابنة من نكح ابنه الصغير .

وكان الزوج يقول لزوجته : بارك الله لك بالمولود يا أميرتي سلمى . سماها سلمى أمام أهل مدينته .

قالت بسعادة غامرة : مبارك لنا جميعنا .. أرأيت ما أجملها ؟!

قال : أنت أجمل منها !

قالت : شكرًا .. لم ولن أنسى شجاعتك ومخاطرتك بحياتك من أجلي .. وأجل سعادتي أن أعيش كأي أنثى خلقها الله ؛ لتكون زوجة وأما ..



كان الخطر عليك كبيرا من رجال أبي !

قال : عجبت من منام أبيك ؛ ولكنه هو الذي أسعدني باللقاء بك ؛ لتكوني حبيبتي وحليلتي.

قالت : هو القدر .. كان ساحر أبي شيطانا ، فسر منامه بطريقة خبيثة ، ومنع أبي عنا الزواج خشية الحفيد .. وها هم الأحفاد يهلون ..فأختي الكبرى ولدت طفلا .. وأخفاه الوزير بسرعة الريح ..

ولابد أن أختي الأكبر مني سعدت مثلي بذريتها وعانقها بحب ووله ، وسمعها تقول : ألم تخلق النساء من أجل إسعاد أنفسهن وأزواجهن ، ومن أجل الولادة والأبناء ؟!

قال : نعم ، هذا أحد الثمار العظيمة للنكاح الأبناء والبنات .

كان التاجر نجوان محبا لزوجة ابنه محمد على غير العادة ، ويكثر من التردد عليهما متفقدا لأحوالهم ، معانقا لحفيدته أسماء حفيدة الملك زرارة ، مطمئنا على راحة وسعادة الأميرة .

وكانت الفتاة تكن له الاحترام والشكر ، ولا تظهر له أنها أعلى مقاما منه ، وأنها ابنة ملك ، وكان معجبا بتواضعها ، وحسن أخلاقها ، ومقدرا شجاعتها على هذه المخاطرة الكبيرة .

سفانة في بلاد الملك حميد

استقر الملك زرارة في مدينة الملك حميد ، واستقر في قصر من قصور الضيافة اسمه الغمام ، ووجد الاهتمام والراحة والحريّة في الخروج للغابات والمراعي بصحبة ابنته التي أوقفت حياتها على راحة أبيها .

وكانوا يستقبلون الزوار من بلادهم وأصدقائهم دون معاناة ورفض ، وكذلك رجال البلاط في هذه المدينة من الرجال والنساء .. فعلاقات المدينتين كانت علاقة قوية ومميزة ، حتى أن الملك زرارة

كان يرسل الجنود للدفاع عن المدينة عندما تتعرض لغزو واعتداء ملوك وأمراء المدن الأخرى نتيجة أحداث وصراعات تنشب بينهم .. وجيش بلاد زرارة من الجيوش المعروفة بالقوة والبسالة بالدفاع عن بلادهم ومن يتدخلون لحمايته .. فلهم هيبة معروفة وشائعة بين المدن والملوك حتى أن بلادهم لم تعد تتعرض لأطماع أحد منذ أكثر من خمسين سنة .

لذلك كان الملك حميد مسرورا بوجود الملك زرارة في بلاده ، فهو مقابل قبوله هذا النفي الاختياري للملك اعتقد أنه قوّى علاقته بالملك مرارة شقيق الملك ؛ ولكن الأمور لا تسير حسب شهوات الناس وهواهم .



كان يتردد على قصر الضيافة الغمام الأمير شداد بن عُمير بن حميد أي حفيد حميد ؛ لتفقد الملك وابنته ، وتقديم حق الضيف لهم ، والجوار ، وكانت قد مضت سنة على هذه الخدمات والزيارات ، ونتج عن هذا التردد المتكرر إعجاب الأمير شداد بابنة الملك ، وطمع بها زوجة .. فأعرب لها عن إعجابه بها ، وهواه لها ، وبجمالها وخلقها ، وأنه مستعد للزواج منها ،والتقدم لوالدها طالبا يدها إذا قبلت به فأخبرته أنها لا مانع لديها من الزواج ؛ إنما المشكلة مع أبيها الملك الذي خسر عرشه من أجل ألا تتزوج بناته .

فقال متحمسا : دعي هذا الأمر لي ولجدي الملك .. وستكونين الزوجة الأولى والمقدمة على زوجتيّ فهو متزوج من أميرتين ، وهي ستقبل به قرينا إذا قبل والدها .

تحدث الأمير شداد مع والده الأمير عُمير بما اتفق عليه مع الأميرة سفانة ، ورأى أنها فرصة لزيادة وتقوية العلاقة بين البلدين ، وقبل الأب ذلك ، وقال الكلام الفصل لجده والملك زرارة

فلما سمع الملك حميد رغبتهم ورغبة الأميرة . قال لهم : إن شقاء الملك وبؤسه رفضه زواج بناته لمنام رَآه وهو شاب صغير .

وترجى الرجلان الملك أن يتحسس ذلك ، وأن الأيام كفيلة بتغيير الناس والأفكار ، والأميرة لم تصرح بالقبول الصريح ؛ إنما تركت الأمر لوالدها ؛ ليقينها أن أباها سيرفض بقوة وشدة .

والشاب رأى لينها وسهولة الحوار معها قبولا وموافقة ؛ ولأنها أنثى فتحتاج للنكاح كسائر بنات حواء .

ذكره الملك زرارة بمنامه بعدما سمع رغبة حفيده شداد بالاقتران بابنته سفانة كزوجة وحليلة واعتذر له عن تدخله في هذا الطلب ، وهو ضيف

كريم عنده ، وأن هوى حفيده وقع دون علمه ورغبته .

وقضى الملك بضعة أسابيع يفكر في أمر زواجها ؛ ولكنه في النهاية استسلم وقبل بزواجها ، واحتفلت المدينة بهذا الزواج احتفالا كبيرا حتى شاع خبره في المدن والبلدان الأخرى .

ورفض كل سادة وأمراء وأقارب زرارة مشاهدة هذا العرس ؛ ورفضوا الدعوات من الملك حتى الطفل الصغير ، واعتبروه شاذا ومؤلما وإهانة لهم ؛ لأنه لم يقبل بزواج أي ابنة له كل سنوات عمره الماضية ، ودفع سفانة لترفض الزواج من أبناء الأمراء من مدينتها .. وقد أثر هذا الرفض الشديد على نفسية وحياة زرارة .. وحتى أن الملك حميدا أحس بأنه أخطأ بمسايرة حفيده شداد في أمر هذا الزواج ، وضغطه على الملك اللاجئ إليه ؛ ولكن الملك رغم الألم لم يهتم لرفضهم والكلام الذي أرسل إليه ؛ لذلك قال والد الأمير شداد لأبيه : لم تكن مسرورا لهذا الزواج يا مولاي الملك !

قال : تسرعنا يا عُمير .. نسينا أن الملك لا حيلة له ولا قوة في بلاده .. وخسرنا الوزير غالب ومدينته ..كان علينا بعث رسول يشاورهم قبل الزواج .. لقد طلبها أمراء منهم .. ورفض والدها ؛ لكنه خجل منا لما قبلنا حياته عندنا ..وإن يتظاهر أنه غير مهتم بقومه ..إنه منهم .. وملك كبير كان عندهم .

قال : هل من إصلاح ذات البين بيننا وبينهم ؟

قال : ماذا ترى لإصلاح ذات البين ؟ وتحدث الوزير وقال : الأيام دواء للجراح والأخطاء .. نحن لم نحسن تقدير الموقف أيها الأمير !

ـ نعم يبدو ذلك.. أنا رأيت أن ذلك يقربنا إليهم

وقال حميد : وهذا ما جال في فكري أيضا .. فإذا تعرضنا لغزو من اليوم فصاعدا فعلينا ألا نطمع بمساعدة منهم لقد تسرعنا فعلا .

ـ هل تريد أن يطلقها ابني ؟

ضحك الملك : لا ، الطلاق سيزيد الأمر تعقيدا .. ولا يحل الجرح ..كانت علاقتنا أفضل قبل استقرار زرارة بيننا .. نعم، قبلوا مجيئه على مضض وكره .

قال : أنرسل سفارة للملك مرارة والوزير غالب ؟

فكر الملك قليلا ثم همس : فكرة طيبة ! نعم ، جهز نفسك ؛لتكون على رأس هذه السفارة ، ودون علم زرارة الملك وابنته وحتى زوجها.

قام الأمير عُمير بالتشاور مع الوزير بأمر السفارة والاعتذار للملك مرارة ووزيره غالب .

رحب الوزير بهلول بن فراس بالفكرة ، وتحولت إلى واقع ، وجهزت الهدايا والقافلة ، وتحرك الأمير عُمير إلى بلاد الملك مرارة ، واستقبلت السفارة كما

تستقبل الوفود والضيوف ، وتحدث القاضي المرافق للسفارة مع المضيفين ، واعتذر عن تعجلهم بالزواج دون مخاطبتهم ، وسماع رأيهم ، وتأسف لهم بأشد عبارات الاعتذار والأسف .

فقال الوزير غالب :الأسف اليوم لا ينفع ، ولا فائدة منه .. نحن خلعنا البنت عن العرش

لرفضها الزواج بدون موافقة أبيها .. وكنا قادرين على إجبارها على الزواج .. لقد عرضنا عليها ثلاثة أمراء شبان .. أحدهم ابن الملك وابن عمها وابن ابن أختي .. ولماذا وافق على زواجها بعد كل هذا الرفض ؟! فأنتم قبلتم مقامه في بلادكم ؛ وقبلنا بذلك لقوة الصداقة بين بلدينا .. وشرطنا عليه إن مات في المنفى ألا يدفن في ديارنا ؛ ليتراجع ويبقي في قصره .. واعلموا نتيجة لهذا التراجع في موقفه من زواج سفانة ستضعف العلاقة بيننا للأبد .. وسنوقف التجارات بين بلدينا ؛ ولعلها توقفت من طرفنا .. وسنمنع بلادكم من ذلك ؛ حتى لو طلقتم الأميرة فهذا العمل إهانة لنا ولكرامتنا .. ولو شاورتمونا سلفا ما قبلنا زواج الملكة .. إنها ملكة وابنة ملك .. ما كان لها أن تتزوج خارج بلادنا ـ كما هي تقاليدنا ـ بنات الملوك عندنا يتزوجن هنا إلا القليل لظروف معينة .

تكلم القاضي ، وذكر بحسن العلاقة بين المدينتين والتعاون بينهم، فقال الملك مرارة : كلام الوزير هو الحكم .. وانتهى ما بيننا من حسن العلاقات والجوار وحتى التجارة ستضعف بيننا وبين بلادكم ؛لأن الأذى لحق الجميع .. واعتقد أن الزيارة قد انتهت .

وترجى القاضي والأمير ؛ ولكن الملك أمر بأنهاء الصداقة الحسنة بين البلدين ، وغادر الوفد خائبا وفاشلا من تضميد الجراح ، وترميم العلاقات .

ولما علم الملك حميد بفشل السفارة عض على أصابعه من الندم ، لقد خسر حليفا قويا أمام الغزاة والطامعين في خيرات بلده ، واستوعب شدة غضب القوم .

وتحدث الحفيد عن الطلاق أمام جده ، فقال الملك: يا بني لا فائدة من الانفصال ؛ ربما يزيد الهوة اتساعا .. أخطأنا في حق القوم وعدم اطلاعهم على الأمر ، ولو خفية .. فافرح بزوجتك وأسعدها ، فهي صارت منا ؛ ولعل الأيام تحدث أمرا بيننا وبينهم .. فكثير من بناتنا أمهات عندهم .. وهي ستعيش كل حياتها هنا بهذا الزواج .. ولن يسمح لها بالعودة إذا طلقت .. لقد أخطأنا وعلينا أن نتحمل خطأنا وتعجلنا بمثل الزواج

قال : أنا أعتذر عما جرى .

بينما الملك زرارة يعيش وحيدا بعد رحيل ابنته ، وقد استسلم لزواجها من حفيد الملك حميد ، وقد رفض قومه حضور الزواج ورغم الألم الذي

اعتصره لم يبال برفضهم ومقاطعتهم لزواج ابنته التي كانت حزينة لعدم وجود أمها وأهلها معها .. وقد رفضوا زواجها لما علموا بالأمر الواقع .. وقد علم بالسفارة التي ذهبت بلاده للإصلاح .. وخابت في مسعاها كما أخبرته ابنته التي علمت بالأمر من زوجها الأمير شداد .. وبينما هو في وحدته عنده خدمه دخل عليه الكاهن السابق غياث متنكرا بصورة حطاب ، ولكن خدمه يعرفونه حق المعرفة لما عرف بنفسه ومن صوته .. لما عرفه الملك أمر بإخلاء الحجرة من الخدم ، وعانقه ورحب به وقال جذلا : أين ذهبت ؟ وأين هربت ؟! لقد فرحت لهربك .

قال : خشيت الموت أثناء الحبس ، فرشوت الحرس ، وهربت .. لم تعد لك قوة لحمايتي يا مولاي!

قال بحسرة : لم تكن لي أيام عز ملكي .. الملك كان الوزير .. ما أخبارك ؟

قال : أعيش متخفيا .. أعمل منجما في الأسواق .. وأضرب الرمل والخط .. وأعمل حطابا أثناء الترحال بين المدن .. لم أستقر بأرض بعد يا مولاي الملك ! ولما علمت بوجودك عند الملك حميد رحلت إليك كما ترى .. فجئت مسلما ومباركا خروجك ؛ ولكنني حزنت لتزويجك ابنتك مكرها بعد أن تركت الحكم والملك حتى لا تنكح .

قال مبينا ضعفه : ماذا أفعل يا غياث؟ طمعت بمجاورة صديقي حميد الملك ؛ ولكن حفيده رأى البنية وهويها .. فخجلت من كسف الملك وشفاعته بعد أن قبل عيشي في بلده على غير رغبة قومنا .. وقد كبرت سني ورق عظمي .. ولا أظن أن أعيش حتى يكبر حفيدي .. وبناتي كلهنّ تزوجن رغم عني.. ورأيت أن للبنت هوى بالزواج من الأمير شداد .. فكان عليّ أن أقبل

تظاهر غياث بتفهم ضعف الملك فقال : لا بأس .. نسأل الله لك العافية أيها الملك .. الأيام تقسو علينا بعض الأحيان .. دمرنا الوزير أوس ، ولم نستطع النيل منه رغم قوتنا وبأسنا ؛ ولكن هل تعلم أيها الملك السعيد أن زواج ابنتكم من حفيد الملك خرب العلاقات بين الملك هذا وشقيقك مرارة ؟

قال : لم أفهم !

أدرك غياث أن الملك لم يعرف نتائج زواج ابنته من أمير غريب ، من غير وطنها الأول ، فوضح للملك الأمر .

فقال : تحدثت بشيء من ذلك سفانة .. إذن إذن قومي غضبى منا .. ولهذا ذهبت سفارة بقيادة كبير القضاة لمقابلة الملك .. أنا زياراتي لديوان الملك متباعدة ولم أعر رفض قومي أي اهتمام .. نحن خرجنا .. ولن نعود إليهم حتى شرطوا عدم دفننا في بلادنا إذا متنا هنا .

قال : حياة النفي صعبة .

قال : سنعيش في بلادنا كسجناء يا غياث .. ففضلت الخروج على البقاء حبيس القصر .. هنا نخرج للبساتين والرياض والولائم والأفراح .

قال غياث : كان عليها أن تبقى ملكة ، وتتزوج هناك يا مولاي ! ما دمت أنك قد تخليت عن المنام بعد زواج بناتك دون إرادتك .

قال مبررا أمره : لم أتخل عنه ،هو تخلى عني .. الكبر يا غياث والسن .. إني حزين بما حل بي من زوجتي وبناتي .. هل أخطأت في حقهم .. فكلهن تزوجن رغما عني .

قال بخبثه المعهود : أتمنى أن لا تقتل على يد حفيد فابن أمامة ما زال مختفيا أهو حي أم ميت ؟ لا أعرف .. وعلمت بعودة أبيه من منفاه الاختياري ؛ ليعش تحت رعاية عمه الوزير غالب .

قال : سيكون الملك إذا ظهر .

قال غياث : نعم ، سيكون الملك عندما يظهر .. وهم كما علمت من بعض أعواني ينتظرون ويرقبون عودته ؛ ليعود الملك إلى سلالتكم حسب القانون المتبع .

قال : أنت تعرف هذه الأخبار من أعوانك رغم هربك .

قال غياث متعجرفا ومتبجحا : نعم ، أنا لي أصدقاء وأتباع في عدد كثير من المدن .. ونتعاون ونخدم بَعضُنَا بعضا واعلم أني قد تزوجت جاريتي سمات التي كما تذكر وعدتها بالزواج عندما أرسلتها عينا على عزوف لحقت بي بعد هربي من المدينة ونكحتها وولدت لي طفلا وطفلة ..

ضحك الملك عجبا وقال : أنت أب اليوم يا غياث !

قال : نعم يا مولاي ! ولكني ذليل حقير ، ومطلوب دمي في بلدنا العزيز .. بعد أن كنّا سادة البلدة أصبحنا هاربين خائفين .. ذهب العز بذهاب ملكك يا سيدي الملك! لو ظلت سفانة ملكة كنت آمل بعد زمن أن تدبر أمر العفو عني .

قال : وهل يسمحون لنا بالعودة بعد زواج سفانة ؟ ذهب الأمل .

قال : الأيام تتغير .. والأفكار تتغير .. ما رأيك أن ندبر أمرا ؟ .. وتعود ملكا على البلاد بالقوة

قال مندهشا : كيف ؟!

قال : أبحث لك عن حليف كما أردنا أن نفعل ذلك ذات زمن مع الملك نواس .. أبحث لك عن ملك طامح بتكبير ملكه .. ويقاسمك البلاد ومالها .. وتنتقم من كل الخصوم .. ويخضعوا لك بكل قوة .

قال مسايرا حقد غياث : ومن الملك الذي يقبل بذلك ؟!

قال بمكر : المهم إذا وجدت لك مثل هذا الطامع

تتعاون معه وتطالب بتاجك المغصوب .. وتنال نصف الحكم .

قال : بعد كل هذه السنين من العزل والصمت .

قال : المهم الإرادة وليس العمر .

قال الملك : أفكارك عميقة وعقيمة يا غياث !

قال مشجعا : المهم من حيث المبدأ أن توافق لأسعى بين الملوك .

قال : وأعود ملكا على المدينة . قال غياث الخبيث : ومعك جيش قوي، وشريك قوي .

قال : إنها مغامرة كبيرة وخطيرة !

قال : سأتركك تفكر في هذا العرض ؛ فإذا وافقت .. سأخبرك بتدبيري وتفكيري المهم أن تتشجع وتقبل الانتقام .

تحذير

رحل غياث بعد لقائه بالملك ، وبعد أيام من رحيل الكاهن تفاجأ زرارة بزيارة الملك حميد ، وبعد أن اطمأن على حاله وعافيته ، قال : علمت من زوج ابنتك شداد ، وهو علم من زوجته أن الكاهن غياثا كان في قصرك زائرا .

وكان الملك حميد يعرف غياثا من خلال زياراته لصديقه زرارة في بلده . وقال : أليس هو الذي كان يمنعك من تزويج بناتك حتى فعلن ما فعلن أيها الصديق وهو الذي تسبب في خلعك عن الحكم في تفسيره لمنامك المشهور .

قال زرارة بحيرة من زيارة حميد : نعم ، وأذكر أنني عرفته لك في أكثر من لقاء .. وهو كان محبا لك ومعجبا بحكمك .. وهو كما تعلم ورثته عن أبي شابا فطنا ومنجما ذكيا حتى صار رئيس الكهنة في القصور الملكية والمدينة .. وهو صديقي ورفيق عمري .

قال : لكنه يا ملك الزمان هارب من السجن ـ كما تقول سفانة ـ وإنه شيطان كما يصفه العوام

قال : الحسد أيها الصديق الحسد ! كان له حظوة في البلاط وعندي .. وهو صديقي المخلص الوحيد للعرش ، لم يكن عدوا لي ، ولا لأبي من قبلي .. فحسده الناس والسادة على هذه الحظوة وأخذ يسرد على مسامع الملك قصصا من صداقته الطويلة للكاهن ، ولما سأله عن سبب مجيئه إليه بعد مرور أكثر من سنة على وجوده بينهم .

فقال : إنه مجرد زائر .. لما سمع عن رحيلي إلى هنا ومغادرتي بلادي جاء ليطمئن عليّ وعلى سعادتي .

قال حميد : ولكنه ـ كما علمت ـ يا صديقي الملك أنه رجل شرير ، ويحب الفساد .. وأخاف أن يؤذيك ، وأنت في مثل هذه السن .. فعليك أن تنسى بلادك والطمع بالعودة للملك .

صرخ الملك زرارة بغيظ وقال : أنت تضع عليّ الجواسيس .. هذا لا يجوز أيها الملك حميد .

نفى التهمة وقال : أبدا أيها الصديق .. أنت

صديقي قبل أن تكون صهري ؛ ولكني علمت أن الرجل شرير وحقود .. وتحدث إليك عن تقسيم الملك والانتقام .. نحن لا نتجسس عليك ..

هؤلاء الحرس ليسوا جواسيس ـ كما تعلم ـ لأنهم لا يدخلون القصر .. فمهتهم حماية حياتك فحياتك مهمة لنا ؛ لأنه إذا أصابك مكروه وأذى سيغضب قومك ويتهموننا بالتقصير في حمايتك .. فأنت ملك ولو كنت بدون رعية .

قال بحدة : أنا لا أفكر بالعودة للملك .. إنما هو كلام يخرج للمواساة ورفع الهمة والإحباط ؛ إنما هو من باب الشفقة يخرج أيها الصديق .. ومن باب الحزن والتعاطف .. ولم يكن كلامنا سريا وخفيا .

قال : هذا رجل هارب من سجن بلادكم لجرم ارتكبه .. وأنت رغبت بالعيش بيننا لكرهك لقومك .. كما كتبت لي .. وأنك ضقت من مدينتك التي عزلتك عن الحكم ، وقبلنا حياتك هنا لكن لا يجوز لك التآمر على بلدك من بلدنا يا صديقي العزيز .. ولا أحب أن تزيد الهوة بيننا .

قال : لقد علمت بغضبهم من زواج ابنتي من حفيدك .. وفشل سفارتكم في الإصلاح بين المدينتين .

قال : هذا أمر لم نفكر فيه .. وقدره الله .. كنّا نحب أن تبقى العلاقات طيبة بيننا .. ولكنهم اتخذوا موقفا حادا منا .. والأيام ستزيل الأسقام والأوجاع .. فصدورنا واسعة .. المهم أيها الصديق العزيز نحن لا نتجسس عليك .. ولكن هذا الرجل علمنا أنه ماكر خبيث .. وهذا قالته ابنتك لنا بكل صراحة وشجاعة .. فهي خائفة عليك من مكره وحقده .. وكان يسبب لك الكثير من المشاكل مع الوزير أوس ـ رحمه الله ـ وتسبب في عدم زواج أخواتها ، وطلاق أمها بأفكاره الشيطانية .

قال بضيق : كانت تسمع كلام أمها وأعدائي .. هم يكرهونه ؛ لأنه كان يحبني .. وصديقي الوحيد في البلاد والمخلص لي .

قال :عليك أن تعلم وتذكر يا صديقي الملك أن قومك يرفضون عودتك لبلادك ولو جثة وزواج ابنتك من حفيدي زاد الأمور تعقيدا مع أننا كنا نراه لمصلحة البلدين ، ولتقوية الأواصر بيننا بعد زواجها .

قال : حفيدك شجاع ! وبارك الله له في زوجه .. والمحيا محياكُم والممات مماتهم.. أنا لا أحب أن ينقل هؤلاء الحرس والخدم الذي يحدث عندي.. وإلا استغنيت عنهم .. أنا لا أعمل ضد بلدي ولا بلدكم .. وليس كل ما يقال ينفذ .. فأنا لم أعد استقبل تجار بلدنا.

قال الملك حميد : للأسف قومك حرموا التجارة معنا أيضا .. ومنعوا تجارنا من المرور على بلادهم

.. والأرزاق كثيرة والمدن كثيرة .. ولا يؤثر ذلك على تجارتنا ؛ لذلك قل أو اختفى زوارك .

قال : لقد تسبب هذا الزواج في عقد كثيرة!

قال : لا تهتم أيها الصديق ! الشاب تعلقت روحه بالفتاة .. وهي قبلت به .. فكان الزواج خير.. والأيام ستصلح بيننا .. هل تريد شيئا أيها الملك ؟

قال : المهم هؤلاء المحيطون بي لا تجعلهم جواسيس عليّ .

قال حميد : ليس هناك شيء نخشاه منك أيها الصديق .. لنضع عليك الجواسيس والعيون ؛ إنما هؤلاء الخدم سمعوا كلاما خافوا عليك منه .

قال : هناك الله يا ملك الزمان!

قال : بارك الله فيك .. وعش معززا مكرما بيننا .. ونحن لا نقبل قول الوشاة.

قال : أعلم ، وأعتب على ابنتي .

قال : هي تحبك ، وتخشى عليك من الكاهن وألاعيبه .

بانة وسفانة

وضعت سفانة مولودها الأول ، وكان ذكرا رائعا ، وفرحت به فرحا لا يوصف ، واحتفل والده به احتفالا بهيجا ، فهو حفيد ملكين ؛ ولكن الملك زرارة لم يحفل به .. فهذا أول حفيد يراه عندما قدمت به لوالدها؛ ليباركه وينظر إليه .

فقال لها ولزوجها بدون مبالاة لفرحهما وعواطفهما : أخشى أن يكون هلاكي على يده يا سفانة كطفل فرعون !

فتألمت من كلام والدها ومن سوء التشبيه ، وكذلك استأ زوجها ، ولزم الصمت ، وتجرع الألم لأن فرعون كان ملكا ظالما قاتلا للأطفال والذكور ، فسلط عليه موسى النبي ، ولم يقدم له الملك أي هدية ، أو تهنئة ، ولم يفرح به ، ولم يحاول حمله ومعانقته مع أنه مجرد وليد ضعيف ، لا يعرف خيره من شره .

فلما رجعا لبيتهما قالت معتذرة عن تصرف أبيها : ما زال أبي يعاني من ذلك الحلم مع أننا كل بناته تزوجنا حتى أمامة هلكت بسبب الزواج ، وبعد ولادتها طفلا ذكرا .. لابد أنه اليوم شاب صغير.

فقال شداد مواسيا : لا تحزني يا أميرتي من كلام أبيك .. فهو ما زال مرعوبا من ذلك المنام الذي رآه قبل عشرين أو ثلاثين سنة حتى أنه كان خائفا من حمله وتقبيله

قالت : أنت لا تزعل وتغضب من تصرف أبي بحفيده .. هو أول حفيد يعرض عليه يا شداد إنها عقدة المنام السيء .. أنا اعتذر عنه ، وعن هديته .

قال : حتى زوجته لم ترحب به .

قالت معتذرة : هي جارية تزوجها بعد عزله عن الحكم .

قال : أعتقها !

قالت : أعتقد .. وهي مخلصة له أقبل أن يتخذها زوجة .

قال : أصلح الله مولانا الملك .. المهم عندي أن تكوني أنت سعيدة بالمولود ، كما أنا سعيد .

قالت مبررة : أنا لم أرفض الزواج في بلدي أنا طاوعت أبي في رفض الزواج ؛ لأنني كنت مشفقة عليه يا شداد .. أختي الكبرى أمامة تزوجت دون علمه .. وبانة هربت مع أمير من بلادنا للتزوج .. وخلود فعلت مثلها .. ولا نعلم من تزوجت ؛ ولكن يبدو أنه غريب عن بلادنا .. ولما عزل أبي تألم قلبي عليه جدا .. فأحببت مطاوعته والتخفيف من الألم والحزن اللذين حلا به

طرق الباب ، ودخلت خادمتها تخبر عن امرأة غريبة ترغب بمقابلة الأميرة .

فقال : امرأة غريبة يعني ليست من بلادنا .

فقالت الجارية : غريبة ؛ لأني أول مرة أراها تأتي إلينا .. تريد الحديث مع مولاتي الأميرة .

فالتفت لزوجته وقال : امرأة غريبة يا سفانة !

فقالت : دعيها تدخل ؛ لعلها تحتاج لمساعدة بمناسبة الولادة كما فعلنا مع بعض الفقيرات .

خرج الأميران من الحجرة إلى صالة البيت ، وكان الأمير قد أشار للجارية بإدخال الزائرة الغريبة وشاهدا امرأة تدخل ـ وهي تلبس ملابس ثمينة ، ولا يبدو عليها الجوع والفقر والضعف ـ ولما دخلت باب الصالة التي يُستقبل فيها الزوار

صرخت سفانة استغرابا وفرحا : إنها أختي بانة ! إنها أختي بانة ! وركضت إليها تحتضنها وتقبلها .

ـ سفانة حبيبتي .

وعرف الأمير من هي بانة ، فهم قبل وقت قليل ذكرا اسمها ، ولما تركت الأختان العناق والتقبيل وقلت الدموع والشهقات قال سفانة مشيرة للأمير : زوجي الأمير شداد.

أحنت رأسها له وقالت : حيَّاك الله وبياك أيها الأمير إني بانة بنت الملك زرارة النزيل في دياركم

ابتسم لها وقال : أعرف .. مرحبا بك في بيتنا .

وغادر الأمير البيت ، وانصرفت الخادمات يعددن طعام الغداء ، وتشاكت الأميرتان همومهما لبعض ، وتذكرن أيام الصبا وحالهن .

وقالت : لما علمت بوالدتك أحببت المجيء إليك ورؤيتك والسعادة برؤيتك ومعانقتك .

قالت : شكرًا .. آه ! أنا كنت بشوق لك ولخلود .. أنا سعيدة بمشاهدتك .. ألك ذرية ؟

قالت : ثلاثة أطفال .

قالت : أكيد سعيدة بهم .. وكساب!

ـ نعم الرجل .. وأنت كيف حالك ؟

ـ بخير .. أبي يعيش هنا .

قالت : أعلم ؛ ولكن لن أذهب إليه .. سأعود لمدينتي .

قالت : أين تعشين ؟

قالت بحرج : اعذريني يا سفانة ! نحن غيرنا بلادنا وأسماءنا .. وتركنا الإمارة ؛ لكننا نعيش بمدينة قريبة من مدينتكم .. فلما علمت بحياتك هنا سعيت لرؤيتك .. وسعدت بولادتك .. فأنا أحبك .. هل من أخبار عن أمنا ؟

قالت بضيق : تركتها بخير.. وقد ولدت لنا أخا من لص .

اعترضت بانة على وصف زوج أمها بلص وقالت : لكنه ترك اللصوصية كما أخبرت من أخوة كساب الذين يزوروننا خفية أثناء مرافقتهم للقوافل ..فهو رجل شريف عندما تزوجها بل ترك اللصوصية منذ طرد من البلد .. لقد كان أبي قاسيا علينا .. ويحرمنا من أهم هدف لنا في الدنيا النكاح والذرية.

قالت : أبي مسكين ضعيف ! ليتك أحضرت أطفالك معك لأراهم وأقبلهم .

ـ سأفعل في مرة قادمة ؛ لعلي أحضر أحدهم ؛ ليتعرف على خالته إن قدر ذلك .. نحن ما زلنا نعيش في خوف وقلق من أعوان أبيك .

قالت : أتحبين أن تقابليه وأتشفع لك عنده ؟

ـ لست بحاجة لذلك ونكح جروح اندملت إذا اندملت في قلبه .. أنا منذ رحلت اعتبرت أن لا أب ولا أم لي .. وكذلك كساب .. لقد ظلمنا قومنا خاصة أبي .. رحم الله أمامة التي ماتت حزينة مريضة محرومة من معانقة وليدها .وبكت .

قالت : رحمها الله بكيت من أجلها كثيرا .. ستباتين الليلة هنا .

قالت : إذا أحببت ذلك .

قالت : أنا سعيدة حقا برؤيتك .. ومشتاقة للخلود أيضا .. لقد اختفت بعدك مع زوج يبدو أنه من غير بلادنا .

قالت بغصة : نعم ، وصلت إلينا قصتها .. كله ممن يقول إنه أبونا ؛ ربما أنت الوحيدة التي تزوجت برضا الوالد وتزوجت كأميرة .



حبس غياث

لم تخبر بانة شقيقتها أنها تعيش منذ هربت في هذه المدينة ، ترى أن الوقت غير مناسب لكشف هذه الحقيقة ، وقضت ليلتها في ضيافة سفانة ، ثم فارقتها على أمل اللقاء بها كلما تزور هذه المدينة الجميلة الوادعة .

وسفانة كانت في حيرة وارتباك هل تخبر والدها بلقائها ببانة ؟ وأنها سعيدة في منفاها الاختياري ونصحها زوجها شداد بكتمان الأمر عن الوالد حتى يأتي الظرف الملائم لكشف اللقاء .. فلن

يفرح ويسعد بهذا الخبر .. وسيهمس بذكر الأحفاد والموت والفتك به ..فلزمت الصمت .

علم الملك حميد بعودة الكاهن غياث لزيارة الملك فأرسل حفيده شداد ليتأكد من ذلك الخبر ، ولما رجع من زيارته ، أكد لجده صدق الخبر ، وإنه جلس معه ، وإنه سيعيش مع الملك في القصر دون إذن منا .

فأرسل الملك رسالة شفوية لزرارة مع غلام خاص به يطلب منه طرد غياث ؛ لأنه هارب من سجن الملك مرارة .

لم يهتم زرارة للرسالة ، وقال للرسول : أخي وصديقي المخلص في هذه الدنيا .

فلما رأى حميد عناد صديقه زرارة أرسل شرذمة من الفرسان لاعتقال غياث ، وأخرجوه من البيت عنوة ، وألقي في السجن ، وأخذ الملك يفكر بإرساله لمدينة اللؤلؤ ؛ لتحسين العلاقات بينه وبينهم على حساب غياث الهارب من تلك المدينة وحان الوقت لنوضح سبب حسن العلاقة بين مدينة جلال الدين ومدينة اللؤلؤ ، وإنها علاقة فوق العادة ، وكانت لحدث قديم .. وهو أن والد زرارة الملك نعيم أرسل جندا بموافقة الوزير أوس لوالد الملك حميد الملك أحمدان ؛ لإخماد فتنة جرت في البلاد قادها بعض الفرسان من داخل المدينة وخارجها ؛ نتيجة حادثة حدثت .. وهي أن أحد فرسان المدينة تعرض لفتاة كانت عائدة لبيتها من سهرة أو زيارة لأمها أو قريبة لها .. فصدفت أحد الجنود السكارى ، وحاول الاعتداء عليها في ذلك الليل البهيم ، وسمع صراخها أحد الشرطة ودافع عنها وأنقذها من براثن الجندي السكران وحبسه ، فقام بعض أهله وأصدقائه بقتل ذلك الشرطي غدرا وغيلة ، وألقي القبض على القاتل ، ومن عاونه .. وكاد أن ينفذ حكم الموت فيه وبمن ساعده ؛ ولكن عصابة من المدينة قامت بتهريبهم من السجن ، ومعهم الجندي إلى مدينة أخرى .. فاستعان والد حميد بالملك والد زرارة .. فجاءت كتيبة من الجيش وساعدت الملك ، وأخمدت الفتنة ، وطاردت العصابة حتى قبض عليها ، وعلى الهاربين والجندي ، ونفذ فيهم حكم الموت ، وتوقف قطع السبيل .. فعاد الهدوء والأمن بعد ذلك للبلاد .. وظلت العلاقات حسنة بين البلدين .. وهذا يذكره الملك حميد لوالد زرارة .. ولولا هذه الذكريات ما قبل من زرارة بالهجرة لبلده وما عطف عليه وقبله في بلده .. ولما حدثت المصاهرة أمل أن تتحسن العلاقة وتقوى بين البلدين الصديقين ؛ ولكنها ساءت ، وقطعت العلاقات التجارية إلا من النزر القليل ، وغفل حميد عن استشارة شقيق الملك والوزير غالب في مثل هكذا مصاهرة .

والملك يعلم أن غياثا هارب من السجن ، ومطلوب في تلك البلاد ، فأراد أن يسلمه للقضاء على أمل عودة العلاقات الحسنة والسلام والأمان للمدينتين ، فهو يدرك خطر المتربصين بملكه من بعض الملوك المجاورين ، ومن بعض أبناء عمومته ، وطمعهم أن يصيروا ملوكا بدلا من أسرته .. وتاريخهم فيه من هذه الذكريات والمؤامرات ، وبعضهم يطمع بخيرات وأموال البلاد

ولكنه يذكر أن القبض عليه كان وهو في ضيافة الملك زرارة ، فسيجد من يلومه على الاعتداء على ضيف وفد عليه .. وسيعتبر ذلك إهانة شخصية للملك ؛ رغم أن الكثير يعلم شيطنة غياث وفساده ومكره وخبثه ؛ لذلك حاول أن يطرده الملك بنفسه .. لو فعل لأراحه ، وأصبح غياث مطرودا من زرارة ، فتسوء العلاقة الشخصية بينهم ؛ ولكنه رفض إخراجه وطرده ، ورغم محاصرة القصر أصر على الرفض ، فاضطر لأخذه عنوة إما لسجنه أو طرده ، فاختار السجن .. وكلا الخيارين أغضب زرارة فتباطأ في نقله للملك مرارة .. وتشاور مع أركان الحكم الوزير بهلول والقاضي عزام ، وقائد الجيش وقائد الشرطة في مصير غياث .

فقال الوزير : أرى أن يبقى في السجن إلى حين .. فنفيه وطرده فسيعود .. فليبق في السجن لحين ثم نرسل رسالة للوزير غالب إن لهم رغبه في سجينهم الهارب .. فهو عندنا في السجن فليأتوا ويستلمونه .

ونطق القائد مؤيدا لخيارات الوزير .. ورأى زعيم الشرطة بقاءه في السجن ؛ لأن الملك زرارة في حالة غضب وسخط .. وهو صهرنا .. وقبل زواج ابنته من ابننا على غير المتوقع منه .. وهو الذي رفض زواج بناته حتى اضطررن للهرب .. وقبل البقاء عندنا حتى الموت .. وتخلت ابنته عن الملك ؛ لأنه رفض زواجها من أهله وقومه .

قال الملك : هذا لا ينسى .. والبنت ضحت .. ورفضت الزواج من ابن أخيه الملك الحالي لبلادهم .. هذا موقف لا ينسى ؛ ولكن هذا الشيطان من أهل الفساد والشرور .. فنحن عاجزون أمام قبولها بحفيدي .. وهذا الرجل ما جاء للعيش بهدوء ؛ إنما جاء لتحريض الملك ليعود للبلاد .. ويتفق مع بعض الصعاليك والمغامرين للعودة للملك .. فهو يمكر بالملك زرارة ويمنيه بالعودة للحكم والتاج .. هذا نقل لنا في زيارته الأولى قبل أسابيع مضت .. وتحدثت مع الملك لما وصلني هذا الكلام فحذرته من الإصغاء لغياث والتآمر على بلده من بلدنا .. يريد إقناعه بتقاسم عرش بلاده مع أحد المغامرين .. وسيظهره أمام الملوك أنه يطالب بعرش غصب منه . قال أحدهم : فليبق في السجن مع تشديد الحراسة عليه .

أبناء الملك سماك

الحلقة ٢ والأخيرة

قسيم وزهرة

لما تلقى قسيم رسالة زهرة جمع حاشيته وقال لهم : هذه ممن سمت نفسها ملكة ترفض التنازل عن الحكم ؛ بل تحالفت مع غضبان عدونا الاول .. تريد البقاء ملكة .. واهل زيد وراهب يتوعدوننا .. وهي اختي ولا تطاوعني نفسي لسفك دمها .. فأمي ستموت كمدا لو فعلت .

احتار هؤلاء الاوفياء لقسيم وقال احدهم : لو لم تقبل الملك لما اعتلى على العرش حاكم فأخوة زيد وأولاد راهب رفضوا الكرسي؛ بل الذين تحفظوا على اخت الأمير قسيم عفوا الملك قسيم ـ ينادونه بينهم بالملك من باب الفأل الحسن ـ لم يرشحوا احدا .. فاضطر غضبان أن يبايعها ويجعلها ملكة وصية ؛ بل وصلتني أنباء عن طمعه بالاقتران بها ..وينتظر مرور سنة على موت راهب .. فهو طامع بالملك عن طريقها .. ورجالنا لليوم لما ينالوا منه ، فهو يحيط نفسه بحرس شديد ، وكلهم أقارب وأخوة فلا يثق بالعبيد والخدم .. فهو الرجل القوي في بلاد الشواهد .

قال قسيم لأعوانه : علمت برسالة خاصة أن الملكة تريد الخروج من القصر .. ونحن لم نفعل شيئا للوصول للعرش أيها الأسياد فما العمل ؟

أجاب احد الزعماء : الجيش ما زال مواليا لمن يجعلونه حاكما ، وكذلك رجال البحر .. لم ننجح في تهيجهم للانضمام لثورتنا.

طال الحوار والنقاش بينهم وقال لهم في نهايته : سأعود للملك حمدان قد يوافق على إرسال حملة عسكرية معي .. فأخلع زهرة وأعلن نفسي ملكا على البلاد .. سأذهب إليه واحدثه بما صنعنا وأن الجيش والحرس على ما هم عليه ، لا يرغبون بالدخول في معارك حول العرش؛ فكأنهم ينتظرون ذلك الغلام المجهول .

ودع قسيم رجاله وركب البحر شمالا إلى ملك جزيرة حمامة ، ولم يكتب لزهرة شيئا ، فهو يعرف طمعها هي الاخرى بالعرش، ولابد أن انصارها وقد وصلوا للحكم بدون قطرة دم فرحين ومستعدين للدفاع عنها باستماته .. والذي يحيره حقيقة علاقتها بغضبان .. وكان يقلقه أيضا ظهور الأخ الخفي ابن حورية الماء بعد فعله كل ما فعل من قتل وحرق .

وبعد ايام دخل على الملك حمدان وقبل الايادي وقص ما فعله اعوانه وأنصاره على الملك ، ولما سأله عن ابنته قال : ما زالت جارية في قصر الملكة زهرة تنتظر جوابا في البقاء أو العودة

اجتمع حمدان بقادته وكبار فرسانه ، فوافق

بعضهم على إرسال حملة لاحتلال بلاد الشواهد واجلاس قسيم عنوة ملكا عليها . فارسلوا رسالة لوداد جارية زهرة للعودة للبلاد ، ولم يمض شهران حتى عادت وداد لمملكة أبيها وقد قامت بدورها بكل قوة وشجاعة .. فهي التي صرعت الملك زيد وابنه كما رسمت مع قسيم الذي لجأ لأبيها الملك وتزوجها على أن يصير ملكا لبلاد الشواهد ، وهي معه فقامت بدور الجارية التي اشتراها قيم قصر أم قسيم وهو احد الأنصار ، فلما صارت عند النخاس ذهب ، وتملكها بسرعة ومعها بعض الجواري لأم قسيم ثم اهديت لزهرة ، ثم وصلت لقصر الحريم ، فخدرت عيسى خادم الغرفة الملكية، وخنقت الملك وهو نائم ، وهي التي امرته بالهرب والاختفاء حتى لا يتهم بقتل الملك، ثم صنعت شرابا للملك الجديد حتى تجدد سقمه ، واستمرت في دس السم في الشراب حتى استوى وضعف جسمه ولحق بأبيه .

ولما رأت وداد تعقد الامور في الشواهد ، واعتلت سدة الحكم زهرة وأن قرينها لم يفعل شيئا ولم يظهر في البلاد احبت أن تعود لشخصيتها كأميرة وزوجة .. رحب بها قسيم وشكرها على جهدها وشجاعتها في قتل عمه الوصي وابنه راهب .. وقد تزوجها قسيم عندما لجأ لجزيرة حمامة هاربا من سجن الوصي واتفق مع الملك على أن يعينه إلى الجلوس على حكم مدينة الشواهد .. ووجد ذلك حماسا وشوقا لدى الملك ..وكان يطمع بامتداد ملكه لبعض المدن البرية الملاصقة للبحر وكانت الشواهد من اقربها لجزره .

فبعد عودة الاميرة المتنكرة للبلاد اخذوا يكملون تجهيز الحملة لغزو بلاد الشواهد .. استعد عشرة آلاف فارس للغزو وجعل نسيب الملك قائدا للحملة ونائبا له احد الفرسان المشاهير في المدينة .. انطلقت الحملة إلى سواحل بلاد الشواهد ، ورافقت الأميرة زوجها قائد الحملة .. وخلال ايام تم النزول على الشواطئ ليلا قبل انكشاف امرهم ..فاحتلوا الساحل من جهة شرم الخزنة من الجهة الشرقية ، فدب الرعب والخوف في المدينة ثم سرى لغيرها من المدن .. وكتب قسيم رسالة للملكة زهرة وسادة المدينة يدعوهم للسلم والتسليم وأنه سوف يحكم البلاد

شاءوا أم أبوا .

رفض غضبان والقادة الإذعان والابتزاز ، وقامت معركة كبيرة على سواحل المدينة ، فقد رفض الجند والقادة هذا الغزو ودافعوا بقوة وبأس شديد ودحروا الغزاة وردوهم للبحر بعد خسارة كبيرة فارين إلى جزيرة حمامة، فصعق الملك حمدان للهزيمة النكراء التي حلت بجيشه وأقسم بالرب المعبود ليغزون بلاد الشواهد وينتقم منها اشد

الانتقام ويبيحها لجنده ثلاثة ايام يعيثون فيها فسادا . وأما قسيم فعند الهزيمة اختفى عند اعوانه في المدينة حيث الجبال بين الخزنة ومدينة باد وقد تعرض لعدة اصابات وزوجته معه وقالت له باكية " إن قومك لن يسلموا لك الملك بسهولة .. وأبي سيغضب للهزيمة وقد يأتي بنفسه لمحاربتهم ولم يكد يتعافى من جراحه حتى سقط هو وزوجته في قبضة رجال غضبان ، وفرح الرجل فرحا كبيرا بصيده السمين وقال له " سأحرقك أنت وهذه اللعينة.. لقد وقعتم اخيرا "

فضحكت الأميرة وقالت " لا تفرح إن أبي قادم بجيش عرمرم .. سيحرق بلاد الشواهد بكل مدنها وعن بكرة أبيها "

انتشر خبر القبض على قسيم في البلاد طولا وعرضا ، وكانت الأخبار تأتي من جزيرة حمامة بأن ملكها يجهز جيشا آخر اكبر من الاول لغزو بلاد الشواهد .

كان الأمير غضبان متشوقا للفتك بقسيم ولو غدرا .. فقد خسر عددا مهما من رجاله في هذه المعمعة ؛ ولكنه اليوم صهر الملك حمدان فقتله أمر لا يستهان به .. فهو لا يريد امتداد الحرب للمدن والممالك الاخرى فتخرج عن نطاق السيطرة وتعم الفوضى .. ووضع الرجل في السجن امر خطير فقد سعى انصاره قديما بإنقاذه وحرق السجن في عهد الوصي زيد .

تحدث مع زهرة في شأنه فطلبت منه أن يبقي على حياته فالأمور تطورت فقد دخلت مملكة حمامة في آتون الحرب . والملك حمدان مشهور بمغامراته وتعديه على الجزر الاخرى وسواحل المدن ، علم حمدان بأسر ابنته وزوجها فكتب رسالة حادة شديدة اللهجة مكتوبة بالدم للملكة زهرة وغضبان يأمرهم بإطلاق الاسرى جميعهم .

فارسل إليه غضبان وفدا لتهدئة الحال وأن يكف عن الاعتداء على بلادهم مقابل العفو عن ابنته وختنه .. قابلهم الملك حمدان وسمع الرسالة من الرجل القوي غضبان وأن جيش بلادهم لم يقبل الاستسلام والخضوع لحاكم من غير بلادهم .

******

ملك جزيرة حمامة يمت بصلة قرابة لقسيم فهو من أبناء عمومة القاضي رسال ، فلما قبع قسيم في سجن الوصي زيد ارسل القاضي رسال رسالة سرية للملك حمدان يناشده فيها السعي لإنقاذ حفيده بما بينهم من صلة الدم .

وحمدان ملك يهوى المغامرة والتحرش ويحب الظهور والبروز على ملوك ذاك الزمان فقبل المهمة والشفاعة ، فعاد الرسول يطمئن القاضي لصلة القرابة بينهم وسينقذه ويزوجه من ابنته فرحب رسال بذلك وارسل رسالة شفهية لقسيم بهذا

المعنى فرضي بمصاهرة الملك حمدان وارسل الشاب رسولا سريا للملك حمدان يعلمه بالموافقة على الزواج .. وارسله حمدان بدوره للأميرة وداد يخبرها بقبوله الاقتران بها بعد نجاته من السجن .

فقام أعوانها مع أعوان الأمير بتهريبه من السجن الى جزيرة حمامة وتزوج من الاميرة ، وفرحت به ووعدته بتحقيق آماله في مملكة والده .. وكانت ترى في أول الامر اثارة القلاقل والشعب على الملك زيد قد يضعفه ثم تبين لها أن الشعب غير مهتم بمن يحكمه من اسرة الملك سماك فالرجل يحكم باسم سماك وما هو إلا وصي .

فرتبت حيلة للوصول لقصر زيد وفعلت ما يعرفه القارئ، وما يدل على قوة قلبها وجسارتها وحبها للمغامرة واقتحام الاهوال .. ولما اوردت زيدا المهالك واتبعته بابنه ، فلم تجد لدى الشعب استعدادا لقبول قسيم ملكا عليهم ، وأن الاتهام الاول وجه له وإليه ، واصبح في نظرهم قاتلا لعمه مجرما مع أنه لم يثبت عليه شيء إلا الظن والتهمة .. فقررت ترك دور الجارية بعد أربع سنوات .. واخذوا يفكرون بالاستيلاء على الحكم بالقوة .

وفعلوا ذلك كما رأينا ؛ ولكنهم هزموا هزيمة ساحقة اصيب فيه قسيم وأسر ومعه زوجه .. وظهر أن جيش بلاد الشواهد مازال قويا ومتماسكا ولم يتأثر بالصراع الدائر بين الأمراء والرؤساء ، ولم يسمحوا للغزاة بدخول بلادهم ، وقويت زعامة غضبان وزهرة وهو يساهم على حياتهم لمنع حرب أخرى .

شاور حمدان سادة قومه وفرسانهم الكبار ، فرأى بعضهم لابد من الانتقام لمن قتل من رجالهم ولإخراج المئات من أسراهم وعلى رأسهم قسيم وزوجته ابنة الملك .. ولما سئلوا كيف ؟ لم يجدوا حلا . فمعركة جديدة متعجلة لربما لا تحقق لهم ما يرجون من النصر وامتلاك بلاد الشواهد ، فهي بلاد كبيرة وكثيرة الخلق ، وهم يحاربون من البحر وأولئك من البر.

فعرض بعض خواص الملك الدعوة لقسم بلاد الشواهد إلى ممالك بين الأمير قسيم وزهرة وأحد أبناء زيد أو راهب ، طرب حمدان لهذا التقسيم وأعجبه لو قُبل .. وهل يقبل غضبان الرجل القوي الصنديد بهذا التقسيم للبلاد مقابل الاستقرار والهدوء ؟.. وذكروا أن هناك أخا ثالثا اسمه حازم ، وأنه اختفى وليس له حركة ، فلابد أنه يحلم بالتاج كغيره من أبناء سماك .. وذكر الابن المختفي ابن حورية الماء ، وهو المسمى ملكا شرعيا للبلاد ، وسيظهر في يوم الايام مطالبا بحقه الشرعي .

وبعد فكر عميق قال حمدان : الأمير حازم غير ظاهر فهو قد قنع بالبعد والسلامة .. والامير

المجهول عندما يظهر يقضى عليه .. المهم أن ترضى زهرة بإعطاء شقيقها ثلث المملكة .

دون حمدان اقتراحه لفرض السلام بتقسيم مملكة الشواهد بين المتصارعين في رسالة لزهرة وغضبان وإلا الحرب والقتال . تلقت زهرة الخطاب والتهديد وتشاورت مع غضبان ، فجمع رجال الدولة والحكم للتشاور فتركوا الامر له فاجتمع بأولاد زيد وراهب فقالوا : دم أبينا برقبة قسيم .. يعترفون أولا بالغدر والجريمة ، وبعدئذ نتشاور ونعفو ونقبل بالدية في الوصي وابنه راهب .

أرسل غضبان لقسيم السجين بأحد أبناء زيد ، فأبى أن يقر باغتيال الوصي وابنه وقال :إنني اكرههما وابغضهما ؛ ولكني لم اقتلهما . ولما ذكر بمحاولة الاغتيال انكرها ايضا ، وذكر أن له أعداء آخرين ؛ فليس كل من يقتل أن اعوانه قتلوه ونالوا منه .

فذكر له اقتراح صهرة لتقسيم البلاد الى ثلاث دول فقال : هذا ليس الحل الافضل واقترح أن يكون لها ملكا واحدا ولكل مدينة ملك خاص .

ولما لقيهم غضبان قالوا له : لم يعترف بجريمته .. ودم أبينا لن يذهب هدرا .. وأنت أولى الناس بالمطالبة بدمه .. لأن حمايته من واجباتك الأولى.

حثهم على الصبر إلى حين حتى تستقر البلاد والملك ، ثم يتخلصون من قسيم وزوجته ، ومن كل رجالهم ، فلم يرتاحوا لهذا الغدر السافر ، وذكروا حازما ، والابن الغائب ، وأن في التقسيم خطرا على البلاد فتصبح الدولة ضعيفة ، ولقمة سهلة للغزاة والطامعين .. وقد تكون هذه حيلة من حمدان ؛ ليصل بها قسيم لحكم البلاد كلها .

قال غضبان بعد كلام الحاشية واهل الوصي وابنه : الجيش لن يقسم، فقد فكرت بحيلة حمدان سيبقى الجيش تابعا لمملكة زهرة ؛ ليكون صمام أمان للجميع .. فالملكة زهرة راضية بالقسمة لحقن الدم وعلى أن يبقى الجيش لها .. ومهمة حماية المدن الثالثة تعود للجيش .

ارتاح اولاد زيد الوصي وزهرة لهذا الاقتراح ، وأما قسيم فقد رفضه وقبله حمدان ووافق عليه وطلب الافراج عن قسيم وابنته وأسرى الجزيرة .. واقنع قسيما وابنته بقبول هذا التقسيم المؤقت وبعد حين يسعى بالدس والحيلة لضم باقي المدن بإضعاف حكم شقيقته وجيش بلاده ومع الزمن يحكم كل بلاد الشواهد ويتخلص من غضبان ورجاله الاشداء ... وأن الحرب لن تحقق احلامه لقوة جيش بلاد الشواهد جيش متماسك جيش يحارب في البر ، والبحر يلعب لصالحهم دون خصومهم .. اقنع قسيم نفسه بأفكار عمه .. وأنه لن يحارب من جديد من اجله .. وجرت المفاوضات على تقسيم بلاد الشواهد إلى ثلاثة ممالك لكف الحقد

وحقن الدم بين أسرة الملك سماك بن صخر .. فكانت المدينة الحزينة لزهرة وهي المدينة الرئيسية ،وقسيم يحكم شرم الشفة ويختار أبناء زيد احدهم ليحكم سلة الملك .

ولما كملت الاتفاقات والمعاهدات بين افراد الأسرة الكبيرة عرض غضبان نفسه كزوج على زهرة ، واقنعها بذلك حتى يسد الطريق على أي طامع أو محتال .. وبعد تردد وافقت الملكة على الاقتران من غضبان . ولما ظهر ذلك للعلن حدث هرج ومرج في البلاد خاصة أن التقسيم لم يطبق على ارض الواقع بعد ، ولكن غضبان بسعة حيلته والإقناع وأنه بذلك يقطع حبل الطامعين والمتآمرين وخاصة قسيم وحمدان .

تزوج غضبان الملكة وأكد لها أنه ما زال لها حليفا ، وأن حياته مرهونة بحياتها.. فوجدت منه فارسا مغوارا وصديقا مهما قد خبرته من أيام الوصي .. وتصالح قسيم مع اولاد زيد ووعدهم بالمساعدة على كشف قاتل عمه .. فرضوا بالوعد ولزموا الصمت .. وتوج قسيما على المدينة الشرقية وسعد بن زيد بالمدينة الغربية وقبل بأن تكون تابعة لزهرة وغضبان .

ومضت سنة على هذا التقسيم ولم يرتاح الاهالي لهذا التقسيم فحدثت الفتن والقلاقل المستمرة والمتقطعة ، وكان قسيم يؤجج نارها ويزيدها احتراقا ؛ ليصل البشر فيها أنه لا يصلح لها إلا ملك واحد .



لما علم الأمير حازم بن سماك مآل بلاد الشواهد ارسل رسولا لأخيه قسيم يطلب منه العودة والحياة في كنفه .. فتردد قسيم بتلبية طلبه وخشي أن يفسد عليه آماله وأحلامه ، وأن تحدثه نفسه بالملك ، وبعد تشاور وتردد كما ذكرت رضي قسيم باستقراره في مدينته ، وأن الرجل سكن ، ولم يحرك ساكنا خلال السنوات الماضيات ، فقنع بالهدوء والسكون ، وترك الطمع بالحكم والكرسي الملكي .. فرجع وحده لينظر البلاد والحياة فيها .. وكان قانعا هادئا .. فلما لم يجد انصارا وحليفا يسانده لزم الهدوء .. وقد رحب به الملك ماوا ولم يشجعه على التمرد .. وكان يخشى من العودة للبلاد في حياة الوصي خوفا من الاغتيال والغدر .. عاد إلى قصر أمه ابنة الوزير بشوم فوجدها زوجة لأحد السادة ، وأنها ولدت ولدين الأمير سلمان والامير داود احدهما ابن خمس سنوات والآخر ثلاث سنوات .. ولامته أمه على ضعفه وسكوته عن الطلب للتاج الملكي فقال : يا أمي لم أجد حولي انصارا واعوانا اشداء وملكا يساعدني .. فقسيم وجد انصارا والملك حمدان صهره .. وقومك خذلوني .. واخوال قسيم نصروه جهرا وسرا .. ويئست

من الحكم .
حثته على العمل على تجنيد الانصار خفية لحين يضعف فيه الاقوياء فيصير ملكا . استخف الشاب بدعوة أمه وقال : لنا سنون في بلاد ماوا وكل من حولي وشد أزري ابتعد وانسحب ..
وليس لديّ أموال لأجذب الموالين والذمم .
سعت لتأجيج قلبه المكلوم وتقوية طموحه إلى التاج ، فلم تجد أذنا صاغية ، وعندما حدثها
بزواجه في بلاد الملك مايا وأنه يفكر بجلب الزوجة والابن منها .. ولما علمت أنها من بنات العامة وليست أميرة ضاقت منه ، وطلبت منه بتركها هناك ولا يحضرها ؛ لأن سادة البلاد سيسخرون من زوجته ومنه عندما يعلمون أن ابن الملك سماك يتزوج فتاة عادية من عامة الشعب . فذكر لها قصة زواج أبيه من ابنة الصياد .. فغضبت من دفاعه وسخطت عليه وقالت بقهر " وهو لليوم يعير بها أيها الأمير "
فأجابها قائلا : ابنة الصياد! جعل زوجك الملك ابنها خليفة له دوننا .. الناس تخلت عني .. من يزوج ابنته لأمير هارب ؟! أي أميرة تقبل بي ؟! أي أميرة تقبل بالفقر ؟ أنت لم تهتمي بي وبرأيي عندما تزوجت .. وقبل ذلك عندما هربت ؟!
تشاجر الأمير المسكين مع أمه وغادرها غاضبا ، وسعى لمقابلة الملك قسيم وشرح له قصة زواجه وطلب منه السماح له بإحضارها وولده منها للعيش معه .. ولما علم قسيم أنها من بنات العامة وليست أميرة استشاط غضبا منه هو الآخر ، ولامه على هذا الزواج وقال " ابن سماك الملك العظيم ينكح فتاة معدمة .. أنا لم جاءني رسولك تطلب الحياة هنا خفت منك ومن غدرك .. أما الآن فأنا مطمئن أنك لا تفكر بتاج تضعه على مفرق رأسك .. ادركت أنك ضعيف ولا مطمع لك في حكم بعد اقترانك بتلك الجارية ..
ـ تركت الحكم لكم يا سيدي فأذن لي بالعيش معهم
فقال: ابن سماك الملك يتزوج من بنات العامة !
ـ أبي تزوج من ابنة صياد
فقال: إنك تحاكي أبوك .. والله هذا عار علينا .. أنا لا أحب أن يقال أخ الملك قسيم تزوج من امرأة لا اصل لها ولا عشيرة ..فلتبق هناك يا حازم
ـ تطلب مني الرحيل إذن
فقال: أنا لو خبرت من تزوجت لما أذنت لك بالقدوم إلينا
ـ حسنا يا ابن أبي .. عليّ بالرحيل !
فقال: افعل ما تشاء .. أو دعها وتزوج أميرة من أميرات البلاد .
ـ أتزوج أميرة وأنسى زوجتي وابني !
فقال: تزوج ، ثم تفكر بأمر تلك المرأة .. طلقها

يا أخي الأمير وخذ ابنك منها
ـ رضيت بي هاربا مختفيا .. ولما أصبحت أخا الملك أتخلى عنها

فقال: إنها امرأة من الشعب .. ليست من الأشراف ، وهذه سبة يا حازم كما تعلم .. فنحن الامراء والملوك لا يجوز أن نتزوج بنات الشعب .. ألم تر ماذا حل بأبيك لما نكح ابنة صياد ؟! سخط الامراء والفرسان

طلب حازم من أخيه الامهال في التفكير ، فعاد لقصر أمه محزونا على حاله وهوانه ، وأخذ انصاره القدامى يترددون عليه ويدعونه لاجتماعات خاصة فيرفض ويعتذر بأنه صرف نظره عن التفكير بالحكم والملك ، وأن المملكة قسمت ثلاثة أقسام وهي ليست بحاجة لقسم رابع .

ذكرنا أن قسيما وأعوانه طفقوا يحركون ويهيجون العامة ضد النظام والانقسام واثارة الشائعات حول تقسيم المملكة ، اجتمع غضبان زوج أخت الملك قسيم بقسيم ونبهه وحذره صراحة مما يثيروه اعوانه من قلاقل وتعديات وأن النار اذا اشتعلت ستحرق الجميع وتهدم كل البنيان .. فتظاهر قسيم بالغضب والسخط من اعوانه وادعى ضعفا في مساعدة الشرطة والعسس في حماية المدينة والتجار مضت سنتان على تلك القسمة الثلاثية للمملكة الشواهد ، والأمور لا تسير لصالح قسيم وطموحه بضم الممالك الأخرى لحصته .. فالغضبان امامه بالمرصاد واخته لا تعاونه وهي مسرورة وسعيد بأنها ملكة .

الأمير حازم لم يتكمن من اقناع أخيه بجلب امرأته وابنه للحياة في بلادهم ، فرحل إليهم واستقر ضيفا على بلاد الملك ماوا ، وصمم على الاستقرار ونسيان بلاد الشواهد .. وقد سمح له قسيم وغضبان بأخذ ماله وميراثه من أبيه سماك للحياة الطيبة في بلاد غيمة ..ورحب به ماوا ضيفا عزيزا في مملكته .

ذات يوم دخل رسول من مملكة مدينة باد على غضبان دافعا له رسالة من مليكه سمعان وكانت رسالة تهديد ووعيد ، والسبب أن رجالا من الشواهد اعتدوا على قافلة تجارية تخص تلك المدينة ونهبوها وقتلوا عددا من رجالها وحرسها.

غضب غضبان ودخل على الملكة بكتاب سمعان فانزعجت الملكة من الخبر والجريمة ، فهذه أول جريمة من عهد بعيد ، فكلف غضبان رجاله بالقبض على اللصوص والعصابة المعتدية التي فعلت هذه الجناية البشعة والشنيعة ، فعجزوا عنهم فارسل غضبان اعتذارا للملك سمعان وأنه حقق في الأمر ، ولم يقبض على احد من بلادهم ، وسيرسل له أمير الشرطة وبعض اعوانه لمشاهدة افراد العصابة الذين بين يديه ؛ ليسمع أقوالهم

وحججهم حتى لا يكون بينهم مندس صاحب غرض وفتنة .

قبل سمعان العذر وحرص غضبان على السلام والأمان بين البلدين ، وجمع وفد غضبان برجال القافلة الناجين وجرحى تلك العصابة الأسرى ، فلما اجتمع مع الملك سمعان بعد التحقيق قال : بصراحة يا مولاي اظن انهم من بلادنا .. ولكن بلادنا اليوم ثلاث ممالك .. وهناك قوم يسعون للفساد بيننا .. فمنذ عشرات السنين السفن والقوافل تتنقل بين بلدينا في كل السلام والأمان . ووعده باستمرار البحث والتعقب لهذه العصابة لمعرفة دوافع هذا الاعتداء السافر وتقديمهم للقصاص العادل .

ورجع أمير شرطة غضبان وبين له أن المهاجمين من أهالي البلاد ؛ وربما يكونون من رجال قسيم واعوانه

قال الغضبان: هذا الشاب لا يريد الاستقرار للبلاد .. وأنا صاهرته ليعقل ويقنع بنصيبه ويترك شقيقته بسلام .

ـ الملك سمعان حذر من خطورة الامر .. ومن تكراره وأنه عوض القافلة وأهليها ودفع ديات الضحايا .. وأن تكرار الاعتداء سيؤدي لحرب لن يقبل قومه بالصمت الطويل

قال الغضبان: هذا ما يسعى إليه الخصوم .. يبدو أن نبوءة سماك ستتحقق وتتفتت المملكة .. فدع رجالنا أن يكونوا دائما على حذر وحرص.. فالبلاد مقبلة على شدائد من قسيم وانصاره رغم أنه خال ابني من أخته زهرة فأخشى من فقد أعصابي وعقلي وأثور عليه .. فزهرة تقول إن زوجته ابنة حمدان هي التي كانت تخدمها عندما كانت في قصر راهب .. أهدتها لها أمها .. فهي تعتقد أنها كانت متنكرة لغرض ما ؛ وربما لها الدور الأهم في قتل زيد الوصي وابنه .. ولما فاتحتها زهرة بتلك الشكوك انكرت وقالت " أيعقل أنا ابنة الملك حمدان أتنكر على صورة جارية لقتل زيد الوصي .. هذا جنون أيها الملكة ! .. ربما جارية أشبهت صورتي "

ولما بحثنا عن تلك الجارية وكيف جاءت وجدنا أنها اشتريت فعلا من أحد تجار العبيد وبعد هلاك راهب اختفت ونسي أمرها .. ولكن هل يمكن لأميرة أن تقوم بدور جارية خبيثة لتقتل بالخنق والسم ؟!..هذه الأميرة إن صح هذا فهي خطيرة جدا ! .. ضع هذا السر في قلبك يا صاحبي (الخطاب لأمير الشرطة سلمان) الملكة وردة بنت حمدان جارية كانت تسمى ودادا!

ورغم الاحتياطات التي أنشاها غضبان واعوانه الاشداء تكرر الاعتداء على القوافل السائرة إلى بلاد سمعان أو الخارجة منها .. فقام سمعان

باحتلال مدينة خرم الخزينة بدون تحذير ، وهرب قسيم لمدينة الحزينة زاعما أنه لا جيش عنده ليدافع عن المدينة .. ارسل غضبان مفاوضين للملك سمعان وليحدد شروطه للخروج من المدينة ، فكان شرطه الوحيد استلام قسيم ليحاكم في بلاده ، فأصابت الحيرة غضبان وزهرة فقال قسيم لهما " اذا اردتم تسليمي لعدوي فأرسلوني للملك حمدان والد وداد .. فهو سيدافع عني وعن ابنته "

فاعلم الملك سمعان بهذا ، فرفض إلا أن يسلم إليه وإلا الاستمرار بغزو بلاد الشواهد .. وتضايق الناس في شرم الحزينة من عساكر سمعان وثارت مشاكل متعددة ومتكررة بين الجند والاهالي وكثر القتل والغدر ، وأخذ الناس بالرحيل إلى المدن الأخرى لضعف الأمن والحمايات تقابل غضبان بسمعان وحدثه بالمشاكل التي تعصف في البلاد وانقسام مملكة الشواهد لثلاث ممالك ورغم كل الحجج والاعذار التي وضعها غضبان بين يدي سمعان أبى إلا أن يسلم إليه قسيم ليحاكم في بلادهم أو الحرب .

كان غضبان لا يريد الحرب ؛ لأن هذا ما سعى إليه قسيم وأنصاره ، فاجتمع أهل الحل والعقد وخيروا بين الحرب أو تسليم قسيم فقال بعضهم " نسلمه ونرسل لعمه أن ينقذه أو نرسل له ابنته لتشرح له الحال "

فانفذوا رسالة لحمدان ، وسلموا قسيما لسمعان الذي ساقه أسيرا ذليلا لبلاده .. وكان الرجل يكاد ينفجر من الغيظ والقهر ، ورأى أن تدبيره عاد لنحره .. وسخط على اعوانه وانصاره فاقسم بأن يقتل غضبان الذي حرمه من جيش أبيه ليدافع عن نفسه "

ارسل الملك حمدان رسالة تهديد لملك باد وطلب منه تسريح الملك قسيم قبل قراءة الكتاب والاعتذار له، وأنه صهره زوج ابنته ، واعلمه أن جيوشه زاحفة لبلاد باد .. لم يكترث سمعان بهذا التهديد والزعيق وطرح الأسير في السجن ؛ ليحاكم امام القضاة بالإفساد في الارض وقطع الطرق بواسطة أعوانه ولصوصه .

وادعى أمامهم أنه بريء ، وأن زوج أخته غضبان مكر به ؛ ليتخلص منه شريكا في الملك فقال القاضي " ثبت لدينا أن رجالك هم الذين تعرضوا للقوافل اكثر من مرة ، وأنهم نهبوا وسرقوا وقتلوا ."ثم قضى عليه بالسجن في بئر عميقة عشرين سنة فاسقط في يد قسيم لهول هذا العقاب فكان الموت خيرا منه .

زوجة قسيم

ولما علم غضبان بما حكم على قسيم ومن تهديد حمدان لملك باد أمر الجيش بالسيطرة على شرم الحزينة وطرد انصار قسيم منها ، وكذلك الحرس

الذي ارسله له حمدان والد الملكة وردة ، أعاد توحيد البلاد في مملكة واحدة تحت حكم الملكة زهرة بنت سماك ، وكان يقول لنفسه " عشرون سنة سجن ستقضي على حياة قسيم " .. حاولت زوجة قسيم التحدي فقال لهم أمير الجيش " اذا لم تسكتي سنطردك من هذا القصر وتعودين لأهلك " فلزمت الصمت بعد هذا التهديد الصريح ، وقد كتبت رسالة عتاب لغضبان فشجعها للعودة إلى بلادها ؛ لربما تيسر لها زوجا آخر فمدة حبس قسيم في بلاد باد طويلة .. فسكتت على مضض وكتبت لوالدها الملك بما حل بها من هوان ، وكيف اخرجوها من الحكم بدلا من زوجها حتى يكبر ولدها من قسيم

ارسل الملك وفدا لزهرة الملكة في هذا الشأن فأرسلتهم إلى الأمير غضبان ، فكتب إليه أن صهره سعى إلى إشعال الفتنة في البلاد ، ولقي جزاءه فلم يعد بنا حاجة لثلاث ممالك .

فدست وداد برسالة للملك سمعان متهمة غضبان بسبب المشاكل والاعتداء على القوافل ليتهم قسيما ويعيد ضم الممالك من جديد .. فأجرى تحقيقا سريا بعد أن دخل الريب على قلبه وقال " ربما تكون هذه الوشاية صادقة " ثم ترك التأكد منها للأيام ، فالظواهر بينت أن لقسيم اليد الطولى في الفساد والعبث ، وأخذ يستعد لحرب حمدان .

ولما رأت ابنة حمدان فشل مسعاها لدى سمعان ، واصم أذنيه عن رسالتها ولم يحرك ساكنا دست رسالة لغضبان تتهم زهرة بأن لها عشيقا منذ أيام الملك زيد الوصي .

استغرب غضبان لهذه الرسالة الخطيرة والوشاية الكبيرة ، فمن ارسلها ؟! لم يعرف مرسلها اعطيت للحرس على أنها رسالة من أحد الدواوين، فاستقبح ما فيها من اخبار واجتمع برجاله المندسين بين رجال القصور فجاءت الاخبار أن الملكة لها علاقات خاصة برجال من الامراء والفرسان . وخشى مفاتحة الملكة بذلك الشك والريب أن تطلقه ، فهي الملكة وهو يحكم ويرسم باسمها ؛ ولكنه لا يرضى بأن يكون جاهلا وله شريك أو اكثر في فراشه وإن كانت ملكة ، ولم يصل لحل فجاءته رسالة اخرى تثير الشك وتؤججه في نفسه وذكرت له اسم احد العشاق من أيام الوصي زيد .

فعجب بمن يعرف هذه المعلومات ؟! هل هي جارية حاقدة ؟ غلام غاضب على سيدته الملكة ؟ يعرف كل هذه الأسرار ولا يعرف أنه سيموت لو عرف اسمه وشخصه .. صحيح أن سيدة البلاد تحب الترف والحفلات والنزهات في حدائق القصور ، وأنه هو الذي يحكم ويرسم ويجلس مع كبار الضيوف والزائرين والعساكر .. إنه يعرف

الاسم الذي ذكر في الرسالة .. إنه أمير كبير ، وهو ابن أمير البحر الفارس سنان ..هو ماجن معروف في البلاد ، وله بعض الغواني المعروفات ..أيعقل أن يصل ليصبح عشيقا للملكة زوجة غضبان .. وغضبان معروف بشراسته لأهل البلاد الصغار والكبار .. وعشيق منذ الملك الوصي .. سأبعثه في حملة بحرية لاحد الجزر للبحث عن اعداء لنا .. وهناك يصرع ؛ ولكنه قد يكون بريئا وسيغضب والده غبار .. وهو أمير محبوب من رجال البحر ومسموع الكلمة ومخلص للعرش . هو حائر بالطريقة التي يتبعها في مراقبة الملكة زهرة.. هو يعلم أنها امرأة لعوب تحب اللهو والعبث منذ حياة الوصي زيد .. وسلمته زمام كل شيء للتفرغ للهوها وعبثها .. وتذكر أن الرسالة الاولى ذكرت أن لها اكثر من عشيق ، وهو لا يراها في الأسبوع إلا مرة واحدة .. تأتي للديوان ساعة من الزمن ، ثم تنصرف وينام معها ليلة واحدة في الاسبوع ؛ وربما اعتذر عنها .. ويقضي لياليه مع زوجتيه الاخريتين وأولاده منهن شبابا وفرسانا .. أيكون لزوجته عشاق دون علمه ؟! .. فهذا اكبر اهانة لفروسيته وقوته .

وبينما الأمير حائر بشكه جاءته رسالة من الملك سمعان تطلب المساعدة على محاربة الملك حمدان الذي يحشد جيشا ضخما للقضاء على باد ؛ وربما تطمع نفسه بالشواهد اذا انتصر عليه .

ارتبك غضبان وعرض الامر على رجال الحكم والسادة فذكروا أنهم في صلح مع حمدان .. وهؤلاء يعيشون في جزيرة داخل البحر فمن الصعب الوصول إليهم إلا عن طريق البحر وحروب البحر قاسية وصعبة وجيشهم يحسن الحرب في البر والسواحل .

ارسل وفدا يسمع من سمعان خطر حمدان على البلاد والصلح القائم بينهم فقال لهم سمعان : اذا انتصر علينا سيحتل بلادكم ويجعل قسيما عليها ملكا .

فعادوا لغضبان بذلك التحذير، فقرر المشاركة في الحرب ، واشهر الحرب على حمدان ملك جزيرة حمامة .. فلما خبر حمدان هذا التحالف ضده كتب لباد مطمعا لهم في خيرات الشواهد وغزوها وتقسيم خيراتها بينهم وسيعطيه حكمها نكاية بغضبان وحاشيته وسيأخذ قسيما معه إلى جزيرته . رفض سمعان هذا الغدر الصريح .. والتقت جحافل الجزر البحرية مع جحافل المدن الساحلية عدة جولات ، وكان حمدان يقود الجنود بنفسه ، واستمر القتال عدة اسابيع دون أن يظهر أحد على الاخر .. ولم يكن هناك نصر كبير .. وتعبت الجيوش كلها .. فاتفقوا على الصلح شريطة أن يطلق سراح صهر الملك قسيم من سجن سمعان

.. فقبل قوم سمعان هذا الشرط بعد أن كثر الموت في صفوف الجميع ، ووافق سمعان على ذلك على أن يذهب معه إلى جزيرة حمامة ، ولا يعود لحكم شرم الحزينة .. فقبل حمدان بذلك الشرط ولما انفصلت الجيوش عن بعضها وبدأت تعود لمدنها .. طلب حمدان من غضبان اعادة قسيم لمملكته وتقسيم البلاد فقال غضبان " إن سمعان سيغضب اذا ارسل لي بالموافقة سلمت له ما كان رفض سمعان هذا الغدر .. فساقه حمدان معه الى جزيرة حمامة ، وأخذ ابنته وردة ، وعاد بمن بقي حيا من جيشه لجزيرة حمامة ، وهو حزين لفشله في تدمير مملكة الشواهد وباد .. فمكث اياما ثم قضى نحبه مقهورا مغموما .

فبايع القوم ابنه عصاما ملكا عليهم ، وأخذ الرجل يلملم جراح الجزر التي يحكمونها وخاصة حمامة .. لقد خسروا الكثير من الرجال وإن لم يهزموا هزيمة كاملة .

وشاع في البلاد هم الثأر والانتقام للقتلى فوعدهم الملك الجديد بحملة قوية لتلك المدن . أما غضبان فبعدما عاد الهدوء للبلاد بعد هذه الحرب الشرسة عاد للشك في حياة زوجته الخاصة وكذلك بخطر قسيم الذي خرج من السجن ، وسيعود للمطالبة في الحكم والذي لن يهدأ قبل أن يثأر منه ..فقد زاد العداء بينهم ..فغير غضبان من نظام حياته فقرر قضاء كل الليالي في قصر الملكة زاعما لها أنه غضب من زوجتيه ، فشكت زهرة بهذا العذر، وعرضت عليه السعي بمصالحتهن فقال " دعيهن حينا من الزمن .. أريد أن أعيش بجوارك " وكال لها من الكلام المعسول والحب والغزل فكانت تضحك منه وقالت : ويحك نحن متزوجون من سنين .. فما ألم بك؟.. كنت لا تأتينا في السبع إلا ليلة .

قال : انتهت المشاكل والهموم

ضحكت وقالت : المشاكل لا تنتهي والهموم تتجدد .. فقسيم حر طليق ، ولن يغفر لك اخذ مملكته فاحذره

ـ اني دائم الحذر يا مولاتي

فقالت : اذاً ما الذي جدد الحب والشباب لقلبك ؟ .. أنسيت أنك شيخ ؟ وأنا رضيت بك زوجة لتتحد قوانا ويطمئن بعضنا لبعض .

قال الغضبان: هذا حق.. وأنت زوجتي وأم بعض اولادي

فقالت : أولادك مع المربيات اذا كان لديك شيء تخفيه عني فقله دون لف ودوران

قال الغضبان: لا شيء إلا الحب والشباب والعشق

ـ حسنا ! سنرى هذا الشباب اعلم يا غضبان لو جئت بشيء خطير سأسحقك

قال الغضبان: كل هذا لأنني اريد البقاء بقربك .

فقالت : هذا ليس من عادتك؛ فلابد أن احدهم

وضع في قلبك شيئا ؛ ربما زعم لك " ان لزهرة عشيقا أو عشاقا "

تظاهر بالسذاجة والبساطة: احدهم ! من هو أحدهم ؟

ـ جارية قديمة كانت عندي .. قتلت عمي وزوجي وتريد قتلك اليوم

قال الغضبان: زوجة قسيم وداد وردة ؛ ولكنها رحلت إلى بلادها



حذر غضبان

عادت المخاوف والشكوك لغضبان من غدر زهرة وما هو إلا مجرد زوج ، وهو لا يرضى أن تكون زوجته فاجرة ، وهو لا يستطيع التأكد من الاتهام ؛ لأن فشله معناه التخلي عنها أو الدخول معها في صراع ؛ ولولا قوته الظاهرة للعيان لاختفى منذ عهد الوصي زيد .

وزهرة حذرة من هداياه وجواريه وخدمه، ولا تقبلهم منذ عهد ابن الوصي راهب .. ومع قضاه اسبوعا لديها لم يثبت لديه شيء ، ولم ينف عنها الاسبوع شيئا ، واعتذر عن الكثير من سهراتها وحفلاتها الخاصة بحجة البقاء معها .. استدعى على خدمه الابالسة خادما اسمه نواس وصارحه بشكوكه في الملكة ..فوعده الخادم بالخبر اليقين خلال ايام .. ونبهه الأمير من الوقوع في الخطأ وأن تعرف الملكة مهمته .

غاب نواس فترة وجيزة عاد يقول لسيده " لها علاقات وصداقات كثيرة مع رجال البلاط من فرسان وامراء ومحظيات .. ويسهرون سهرات طويلة يلعبون ويلهون ويمزحون .. ولها صداقة عميقة بالمسمى سنان .. ولكن لم أر علاقة ما بين رجل وامرأة.. وزوجته الأميرة تصاحبهم غالبا

اشتاق غضبان لمعرفة من ألقى الحجر في الماء الراكد ، ويشعل النار في فؤاده وطلب من خادمه نواس الاستمرار في مهمته الدقيقة والذكية وحثه على الفطنة والحذر . وبينما غضبان يصارع الشك في خيانة زهرة له جاءت الاخبار أن عصام بن حمدان يستعد لغزو بلاد باد والشواهد لإرضاء شعبه الغاضب على ما قتل من أبناء الشعب في المعركتين الماضيتين فقال غضبان " ما دام قسيم عندهم ووداد سيبقى الشعب ثائرا على قتلاه وجرحاه "

ثم جاء الخبر الخطير أن عصاما استطاع إنشاء حلف كبير مع عدة ملوك لجزر كبيرة والاتفاق على تقاسم بلاد الشواهد وباد .. فالتقى غضبان

بسمعان امام الخطر الداهم وجددوا الحلف والدفاع عن بعضهم البعض وارسلوا لملك حوت للتحالف معهم فاعتذر عن هذه الخطة ، واعتذر عن الدخول في حرب لم يشهد أولها .

ذهب وفد لجزيرة عصام يعرف سبب تجدد العداء ، فلم يُرد على الوفد بشيء ، ولما عادوا لبلادهم وصل وفد من الملك عصام يدعوهم إلى الاستسلام والخضوع لحكمه مقابل العفو عن حياتهم ، وذكرهم بثأره عندهم بقتلهم الكثير من فرسانهم .

لم تفلح المفاوضات بوقف المعركة ، وأخذت تزحف إلى شواطئ المدن جيوش الجزر البحرية المتحالفة ضد مدن السواحل ، ونزلت تلك الجيوش الكثيرة بين حوت وباد ، ولما كمل وصولهم بدأت الحرب وطال القتال وضعفت جيوش باد والشواهد وتقهقروا لداخل باد وحوصرت المدينة بضعة أشهر حتى ضاق الناس بالحصار وقبلوا بالاستلام لشروط ملوك الجزر الثلاثة ، وسلم باد نفسه للملك مسعود ملك جزيرة سعدة فسيق اسيرا هو وأسرته ووزيره وبعض سادة المدينة إلى جزيرة سعدة وطلب اهل المدينة الأمان والخضوع للملك مسعود . وتحرك قسيم الذي ناب عن عصام في هذه الحرب نحو بلاد الشواهد ليخضعها لحكم ملوك الجزر ، وحاول غضبان التفاوض مع الملوك الاخرين دون قسيم فلم يوفق فتراجع الى مدينة غيمة . واستسلمت المدينة للجيوش الغازية وقد انسحب اكثر الجيش مع غضبان واحتلت الجيوش المدن الثلاثة ، وحدثت فوضى ونهب وحرائق وقتل ، وحاول قسيم حفظ بعض القصور ، فرفض مسعود وخالد ملك جزيرة الوردة .. وقسمت أموال المدن المغنومة بين الجزر الثلاث ، وتشاوروا على الاستمرار في متابعة غضبان أم الاكتفاء بما نالوا من نصر .. فخشوا طول المسافة بينهم وبين البحر فرضوا بالتوقف والكف عن زهرة وغضبان ومن هرب معهم أو دونهم .

واخذ خالد مدينة باد وجعل عليها نائبا عنه ، وقسمت الشواهد بين حمامة وسعدة ، وسعى قسيم لأخذ الشواهد كلها ليحكمها باسم حمامة ؛ ولكن مسعودا رفض التنازل عن حصته .. وترك مسعودا شقيقا له نائبا على حصته من بلاد الشواهد ، وغادر لجزيرته سعدة مسرورا سعيدا بمغامراته تلك . واعلن قسيم نفسه ملكا على حصته ، وانه نائبا للملك عصام شقيق زوجته وردة التي رحلت بدورها إلى قصرها في شرم الحزينة .

حاول غضبان بعد حين إقناع ملك غيمة ماوا في تحرير بلاده الشواهد فرفض الملك الدخول في هذه الحرب وأنزلهم في بلاده وأعطاهم الأمان .

سكتت الحرب ردحا من الوقت ، ثم اخذ الناس بالتمرد على حكامهم ، ثار اهل الشواهد على شقيق مسعود وقتلوه وقتلوا انصاره ، وهرب قسيم في الوديان والجبال ، وأقام الثائرون حاكما عليهم ممن ثاروا على حكم الأغراب ، واسمه شهروان وجعل أصحابه مساعديه والتف الكثير من الشعب حوله . ولما سمع غضبان بهذه الاخبار فكر بالعودة لبلاد الشواهد فقال له ماوا " اذا خرجت فلا تعد الينا .. فالملك مسعود لن يغفر لهم قتل شقيقه فأنصحك بالتريث وانتظر عاقبة مقتل أخ مسعود "

ولما علم خالد بمقتل رجاله في باد اخرج سمعان من السجن واتفق معه على السلام وقبول خراج سنوي منه ، فقبل سمعان هذا الشرط وعاد لمدينة باد ، ورحب به الشعب الثائر واعترضوا على الخراج ، وكان ذلك امام مندوب الملك خالد واعتبر سمعان نفسه اسيرا للملك خالد ؛ لأنه لا يستطيع اجبار الشعب على الدفع .. فارسل خالد جيشا لغزو مدينة باد وعزل الشعب نائب خالد وأمروه بمغادرة البلاد ، واستمرت الثورة بزعامة الثائر "نسيم البحري" احد الصيادين وتصدوا لجند خالد واوقعوا فيهم خسائر كبيرة اجبرتهم على العودة للبحر، ثم العودة لبلادهم خائبين فغضب الملك خالد منهم ومن خيبتهم فتمردوا عليه سخطا وقتلوه وعددا من أسرته واعوانه ، ونصبوا زعيما منهم حاكما على المدينة وتوترت الامور في جزيرة الوردة على إثر مقتل الملك ، وانقسمت البلاد بين المتمردين وانصار الملك المقتول وبعد حين استطاع العقلاء من تهدئة الاحوال واتفقوا على الصلح وعدم التدخل في شؤون الجزر الاخرى فقد جر عليهم الغزو الانقسام والحرب الاهلية .

ولما استوعب الملك مسعود ما اصاب الوردة من مقتل خالد تردد في العودة لبلاد الشواهد وخشي من انقلاب اهل القتلى عليه كما حصل في الوردة ؛ ولكن المقتول شقيقه فارسل حملة إلى بلاد الشواهد لرد الكرامة ولكنهم منوا بهزيمة شنعاء .. واتصل مسعود بعصام لعمل حملة كبيرة لتأديب المدن الثائرة .. فتردد عصام لم سمع من حال جزيرة الوردة .. وخشي أن ينتقل الثوار لبلاده .. فقد احس بتمرد يجري من تحت قدميه بسب هذه الحروب وموت الكثير من اهل الجزيرة .. فقد رأى أهل بلده أن غزو تلك المدن لم يعد عليهم بالثروة والأمان فقد تعرضت قوافلهم للثوار فنهبوها .. وحكامهم هناك ضعفاء لا حول لهم ولا قوة .. فاعتذر عصام للملك مسعود .

رجع قسيم الهارب ووداد لجزيرة حمامة بعد حين من الوقت ، وقد نجو من الثائرين عليهم وسعى

لإقناع الملك بغزو جديد وانتقام ، فبين له الخطر المحدق بجزيرته وما حل بجزيرة الوردة من صراع وموت ومقتل الملك خالد . واخبره أن الشعب ثار ورفض الخضوع فمن الصعب الاستمرار والاستقرار بين الاعداء فقال قسيم بغضب " أيبقى أولئك الثوار حكاما لتلك البلاد

رد عصام بغضب كذلك : دعك من هذا الكلام الفارغ .. الناس لا يريدونك مع أنك ابن ملكهم .. لما حبسك ملك باد لم يتحرك احد من قومك يا زوج اختي لمساعدتك .. أنت غير مقبول عندهم .. ولقد خسرنا آلاف الرجال لتكون ملكا .. ولم تستقر عليه ولم تخسر شبانا كما خسرنا .. فليبق هؤلاء الثائرين وليقاتلهم زوج اختك زهرة

غضب قسيم من جواب وكلام الملك ورفع صوته في حضرته فحنق الملك عليه وقال : لولا حرمة أبي الذي رحب بك ضيفا في جزيرتنا وزوجتك الاميرة وردة لسفكت دمك .

غضبت وردة من كلام شقيقها وغادرت وزوجها غاضبين ساخطين ، وكان عصام الملك يحسب لشقيقته وداد حسابا كبيرا .

***

راسل غضبان بعد علمه بهزيمة حملة مسعود شهوان شيخ الثائرين وحثه على التعاون معه لإعادة المملكة إلى ما كانت عليه قبل الحرب الأخيرة ، ووعد بجعله واصحابه من اهل المناصب المهمة في البلاد ، فحذروه من العودة هو وكل الهاربين وتركهم الشعب تحت رحمة الغزاة إلا اذا رغبوا بالحياة كعامة الناس ، فلا مكان لهم في البلاد إلا كذلك ، الجبناء لا مكان لهم .. فحز هذا في نفس غضبان ورجاله ؛ بل اعلن بعضهم الموت للثائرين .. وشاور غضبان ماوا فنصحهم بالبقاء ولزوم السكينة فما زالت البلاد مضطربة وقتل الثوار في هذه المرحلة قد يدفع مسعود للمجيء بجيش غاز من جديد .

لم يقنع غضبان بهذا الحل فدفع سفاكا متعاونا معه لقتل لشهروان أمير الثائرين ؛ ولكن هذا السفاح سلم نفسه لسيد الثائرين وأقر له بالغاية التي أتى من أجلها ، فكتب شهروان لماوا يطالبه بتسليم الأمير غضبان لخيانته وغدره .. فانكر غضبان هذه التهمة فقال شهروان في رسالة أخرى أن القاتل بين أيدينا فارسل ماوا وفدا للتحقق من التهمة فاجتمعوا بذلك السفاح واعترف لهم بمهمته لبلاد الشواهد الثائرة فطلب ماوا من غضبان بعد رجوع الوفد ترك المدينة بظلام ليل ، فأوصى الملك على زوجته وصغاره وخرج هاربا يصحبه عدد من اعوانه .. وما ابتعدوا مسيرة يوم حتى دهمهم رجال شهروان وأسروهم، ووضعوهم بعد حين بين يدي زعيم الثائرين ، وتمت محاكمتهم سريعا ،

وألقي غضبان بجب عميق .. فتعجب لحال الدنيا ومكرها باهلها من زوج ملكة إلى هارب إلى سجين بين يدي صبيان ، ولم يطل به السجن فمات قهرا وغيظا .. فلما علم أمير الثوار بموته أمر بدفنه أو رميه في ماء البحر .

كان الثوار يرغبون بتنصيب أحد أبناء سماك ملكا عليهم حتى يستقر الحكم وتتوقف الفتن ، ولا يزداد المتمردون والطامعون ، وليبقى ولاء الناس لهم فعقد زعماء الثائرين اجتماعا كبيرا بينهم يتشاورون فيمن ينصبونه ملكا عليهم ..فذكر بعضهم أن لسماك ابنا اسمه حازم يعيش في بلاد ماوا لو اتصلوا به وجعلوه ملكا فخريا ، وقد تزوج فتاة من عامة الشعب في بلاد غيمة فاتفقوا على ارسال وفد يجتمع به ، ويعرض عليه شرطهم الأهم ، فمشى ثلاثة نفر إليه ، ومروا وهم في طريقهم لغيمة على معسكرات جيش بلادهم التي انسحبت مع الامراء وغضبان قبل سقوط البلاد في أيدي الغزاة ، فوجدوا أن اكثرهم هرب وعاد للبلاد متخفيا بثياب العامة وأن كبار الفرسان حائرون في مصيرهم ويفكرون بالاتصال بالثوار للحياة في بلادهم مواطنين مسالمين .

بحث الانفار عن مسكن الأمير حازم بن سماك في مدينة غيمة وبعد جهد وصلوا إليه واسروا له بالرغبة بتنصيبه ملكا على البلاد ملكا اسميا لا فعل له، فاستشار بعض رفاقه القاطنين معه في بلاد غيمة ، فذكره بعضهم بأن زهرة حية وملكة على تلك البلاد ، ولم تتنازل عن الحكم لليوم فلتذهب إليها لتتنازل عن الحكم والتاج قبل كل شيء ، وذكره آخرون بوجود الملك قسيم الذي ينزل بلاد جزيرة حمامة وزوج ابنة الملك حمدان ، وذكروه بأن الثوار قد قتلوا شقيق الملك مسعود وأن الامور في بلاد الشواهد غير مستقرة واغلب الجيش ما زال يقبع في بلاد غيمة ،وقد يتحركون للقضاء على الثوار اذا رتبت امورهم .

احتار حازم بعد سماع كل هذه الإشارات فذهب إلى لقاء زهرة وحدثها بمطلب وفد الثوار اليه بعدما عزاها بوفاة زوجها غضبان فسألها هل يطيعهم أم يبقى في حماية الملك ماوا ؟ وذكر أمامها ايضا الاخطار الاخرى من قسيم ومسعود ، فأسرت له سرا أن الملك يرغب باتخاذها زوجة له وقد توافق اذا رد إليها تاج بلادها ، فلما سمع الكلام فهم الجواب ، واعتذر لوفد الثوار عن قبول عرضهم للإخطار المحيطة بالبلاد ، ونبنهم للخطر القادم عليهم من الملك ماوا ؛ لأنه على وشك الزواج من الملكة الوصية زهرة .

رجع الوفد وقصوا على أميرهم شهروان الخبر بالتفصيل ، وذكروا له طمع ملك غيمة في بلادهم فقام شهروان بجولة على الصيادين والفلاحين

يحدثهم بالأعداء الذين يتربصون بهم من البحر والبر فارسل الثوار وفدا محذرا لماوا من الطمع في بلادهم من اجل ملكة هربت هي وجيشها من أمام الأعداء ، فالشعب اقوى واهم من الجيش والملكة الهاربة .. من بلاد يأكلون خيراتها من مئات السنين غضب ماوا من هذا التهديد وأعلن زواجه من الملكة زهرة بوجود الوفد وعلى أن يكون مهرها ما اتفق عليه معها سرا ، وهو تاج الشواهد ويكون الغزو بعد الزواج بسنة .

ولما رجع الوفد بهذه الاخبار اصدر امير الثائرين امرا بالموت على الملكة الخائنة ، ووضع جائزة لمن يقتلها ، وامر شعب غيمة ببيان سري الثورة على ملكهم الطامع في جرهم لحرب على بلاد الشواهد ؛ ليقتل أبناءهم وفرسانهم من اجل تاج امرأة هاربة .

وانتشر هذا البيان بين افراد الشعب كانتشار النار بالهشيم والعشب الجاف ، واحدث بلبلة وقلقلة في المدينة ، وظهرت حركة تمرد عجب منها ملك غيمة ، وخشي على عرشه منها وأن تحدث ثورة شعبية كما حدث في الشواهد وباد وبعض جزر البحر وادرك أن لهؤلاء الثائرين امتدادات واسعة في المدن ، وأن هؤلاء الصيادين هم قادة هذه الحركات والتمردات فاعلن للشعب أنه لن يغزو أي بلاد لا الشواهد ولا غيرها ؛ وإنما يريد مساعد جيش بلاد الشواهد لاسترداد بلادهم من الاعداء ليعودوا لبلادهم .. فعاد الهدوء للشعب بعد ذيوع هذا النبأ عليهم وجيش الشواهد قد تناقص مع الوقت ، وقادته مترددون في العودة لبلاد يطمع فيها الكثير ..

فهم يسمعون أن قسيما ما زال يحرض اهل الجزر على غزو بلاده .

وأما زهرة فلما رأت تخاذل ماوا عن نصرتها عاتبته بحدة ، وذكرته بعدته لها مقابل نكاحها فطمأنها أنه على وعده وعهده ، وأنه ما زال يتحرى عن الزعماء السريين في صفوف الشعب الذين يحرضون الناس على التمرد ، وحثها على الصبر ، وذكر لها أن الملك قسيما شقيقها ما زال يحرض الملك عصام على غزو بلاد الشواهد ، وذكرها بالملك مسعود الذي يجهز حملة للانتقام من قتلة شقيقه وجنده ..فالانتظار خير في مثل هذه الحال المضطربة فقال : ننتظر حتى نرى ماذا سيفعل هؤلاء الناس ؟وانا افكر باغتيال زعيم الثائرين في بلادك ، فقد تمادى وتطاول على الاسياد .. وربما بموته يتشرذم الثائرون حول الزعامة فيفتكون ببعضهم البعض .

ـ اخشى أن يفعل رجلك كما فعل رجل غضبان فيصير بك بما صار به واعود للترمل من جديد

فقال: لا تخافي أنا ملك وحولي حرسي وجندي .. وغضبان اخطأ باختياره ذلك السفاح .. فقد اختار

الرجل الحياة على الموت ..
فقالت : سأصبر سنة أخرى أيها الملك .. أنا لا احب أن أكون مسخرة بين حاشيتي وفرسان بلادنا .. ملكة بلاد الشواهد تزوجت ماوا من أجل تاج بلادها ووعدها ولم يف بالوعد
فقال: أنا عند عهدي أيتها الملكة ..ولكن حسن اختيار الوقت مطلوب ..حتى يتحقق الانتصار الحقيقي .. الامور معقدة وجهات كثيرة تطلب حكم الشواهد
فقالت : ولا تنسى رأس شهروان .. فأنا لي عنده ثأر .. فأولاد غضبان مني عندما يشبوا يجب أن يعلموا أنني لم أتهاون في دم أبيهم .. فأولاده الاخرون يلومونني على عدم تحريك الجيش لقتال الثائرين والانتقام لمقتل أبيهم .. وأنه كان يعمل من اجلي .
فقال: الصمت سلاح قوي أيتها الملكة .. فالمعركة مستمرة ومرعبة .

ثورة الشواهد

كان الثائرون في بلاد الشواهد الذين يتزعمهم شهروان الصياد يرغبون بتتويج ملك عليهم من سلالة سماك بن صخرة .. فلما خابوا بإقناع الأمير حازم بذلك الأمر ، وأن زهرة تزوجت ماوا ليعيد لها تاج البلاد اثاروا الصيادين في بلاده عليه ، فكف عن تنفيذ الوعد خشية امتداد الثورة لبلاده كما حصل في باد وجزر البحر .. قد علم الصيادون أن للملك سماك ابنة اسمها شماء وهي حفيدة جرو البحر الصياد ، وله أبناء ثائرون معهم، فلما قابلوا جرو البحر قال : منذ تزوجت حورية الماء الملك سماك وولدتها لم نرها إلا مرات يسيرة .. زارتنا فيها حورية .. وحورية اختفت منذ عهد بعيد ، ومنذ اختفاء ابنتي لم نسمع شيئا عن شماء ولا عن أمها .
سأل شهروان عنها في قصور النساء ، فذكروا لهم أنها اختفت منذ اختفاء أمها ، ولما انشغل الناس بحكم الوصي واولاد سماك نسيها الناس .. وذكر بعضهم أن حاضنتها ماتت بعد سماك بسنتين أو ثلاث ؛ وربما سبيت مع الكثير من بنات واماء القصور عندما غزا ملوك الجزر البلاد أو هربت مع الأميرات قبل سقوط المدينة الى غيمة .
فارسل شهروان رجلا حاذقا لبلاد غيمة والبحث عن ابنة حورية الماء ، ولما رجع الرجل بعد حين أخبر أن لا احد يعلم عنها شيئا ، ولا يوجد أميرة بينهم تحمل هذا الاسم ، وأن الملكة زهرة لا تذكر أن لها أختا بهذا الاسم ، فمنذ موت سماك وقبل موته لا يذكرونها فهي ابنة العامة .. فعاد شهروان يبحث عنها في القصور ويسأل العجائز وخاصة خدم حورية الماء ووصل إلى أن الأميرة لا وجود لها بعد غزو ملوك الجزر للبلاد ، واختفت أيام الغزو هل سبيت ؟ هل قتلت لم يكن مهتما بها احد

حتى جاريتها عواد لا احد يعرف مصيرها ..
فيئس شهروان من وجودها
كان الثائرون في مدن الشواهد قد شكلوا مجلسا حاكما مهمته سياسة البلاد والعباد ، وكان يتكون اغلب هذا المجلس من الصيادين والفلاحين والتجار فاعلمهم شهروان بفشل البحث عن ابنة بنت الصياد جرو ، وقد فشلوا من قبل بعودة الأمير حازم لتولي حكم البلاد تحت رعايتهم واشرافهم .. واقترح عليهم الاتصال بزهرة واقناعها بالعودة للحكم تحت حرابهم ورماحهم فقبلوا مشورته وكلفوه بالعمل على ذلك، فانتدب رسولا سريا للحديث مع الملكة الهاربة ، ويعرض عليها العودة للبلاد وتنصيبها ملكة على أن تطلق من ماوا ؛ ليطمئن أهل البلاد على حرية بلادهم.. التقى الرسول بها خفية واطلعها على رغبة القوم بعودتها ملكة لبلادهم ، ووافق ذلك هوى عندها لما رأت من تخاذل ماوا عن نصرتها طلبت مهلة حتى تتخلص من ماوا ، فتركها تفكر بهذا الهدف ، وكانت قد ولدت للرجل طفلا فلما وضعته سليما ذكرته بوعده وبالانتقام من شهروان ، فرد عليها " إن البلاد ما زالت تعمها العصابات والفوضى " فطلبت الطلاق فرفضه وعيرته بإخلافه الوعد بعودة العرش ، فحبسها في قصر خاص فغضب اتباعها على فعلة الملك فأمرهم بترك بلاده فراسلوا شهروان فأذن لهم بالعودة للبلاد بدون سلطة ومناصب مجرد شعب ورعايا فقبلوا الشرط ، واخبروه عن احتباس الملكة في قصر خاص .
وجاءت رسالة لشهروان من زهرة تطلب مساعدته وتعده بالزواج منها ، فطمع شهروان بذلك ..فكتب لماوا مهددا بتدمير البلاد واثارة الشعب عليه .. فغضب ماوا وأراد أن يشن حربا على الشواهد لكن مستشاروه ذكره بحال الشواهد وأنها في حرب مع الجزر الثلاثة ولن يغنموا من حربهم شيئا مهما .. فطلق زهرة بعدما قبلت التخلي عن ابنه منها .. فرجعت الملكة إلى البلاد ، وبعد حين تزوجت من الأمير شهروان ، وأعيد تتويجها ملكة لبلاد الشواهد وزوجة لأمير الثائرين شهروان.
ولما علم قسيم الصامت كل هذه السنين بالخبر هو وزوجته وداد طار صوابه لقبول شقيقته الزواج من صياد من عامة الشعب وصاح في وجه وداد : ألا لعنة الله على شقيقك .. له سنتان صامت صمت الجبال ..أرأيت ما فعلت المجنونة ؟! خمسون زوجا نكحت من أجل الحكم .. راهب ..غضبان .. ماوا وشرهم هذا اللعين شهروان الصياد ؟! اصبحت ملكة ونحن لم نحرك حجرا أيتها الملكة !..ألست شريكة لي في الملك ؟!
قالت وداد بضيق من شتم شقيقها : المصيبة أيها

الرجل أنك غير محبوب من شعبك .. سيرتك قبيحة عندهم منذ عهد أبيك .. ولو أنت مقبول لديهم ما ثاروا عليك ولما تخلوا عنك عندما سلمك غضبان لسمعان .

تفاجأ قسيم بكلامها الشديد وقال مهدئا للحوار : وهل اذا كرهني الشعب والرعاع أن أتخلى عن الملك ؟! فهؤلاء الرعاع لا اعتبار لهم عند الملوك

ـ هؤلاء الرعاع اصبحوا ملوكا اليوم، ويتزوجون الملكات ، وستكون خال هؤلاء الرعاع بعد سنة من الزمان .. فأختك كأنها بقرة ولود .. لها اولاد من راهب ولها اولاد من غضبان ولها ابن من ماوا وغدا ستلد من هذا الصياد

تنهد قسيم وقال بنفرة : أوه ! إنك تثيرين غضبي اليوم .. أنا اطلب منك تشجيعي لنيل التاج ليعود على مفرق رأسك بدل أن نبقى أذلاء عند الملك عصام .. تحدثي مع شقيقك الملك على مساعدتنا ، فالملك مسعود يبدو أنه نسي دم شقيقه المقتول في بلاد الشواهد .. رحم الله الملك حمدان كان صاحب نخوة اصيلة وهمة علية

ـ يا قسيم لقد بذلنا الغالي والنفيس من أجل عودتك ملكا .. ضحينا بآلاف من الجند والناس ودون فائدة .. تزوجتك وقبلت بك سيدا وأبا لأولادي .. لصلة القربى التي شدتنا لبعض وذهبت بنفسي وخنقت عمك الوصي وابن عمك راهب .

فقال: أنت فعلت ذلك ؛لأنك أحببت أن تكوني ملكة ؟!.. لو قبلت أن تظلي اميرة ما فعلت ذلك .. أنت طمعت بتاج بلادي وتكونين ملكة واقنعت والدك العزيز بذلك .. لم يكن وقوفك معي إحسانا وجودا .. زهرة تعود ملكة وقسيم يبقى حبيس قصره ينتظر رحمة الملك عصام .. ألا ترغبين بأن تكوني ملكة ؟!

ـ بلادك لم يعد هواها يطيب لي

فقال: انتهى حلمنا إذن يا وداد البطلة المغامرة الشجاعة

ـ بصراحة اقول لك .. أخي الملك لا يريد الحرب ، وأنا لم اكف عن الضغط عليه كل هذه السنوات حتى صار يضجر من اللقاء بي ؛ بل هدد بتطليقي منك ، ومرة هدد بنفينا

فقال ساخطا : ألهذا الحد الجبن ؟!

ـ لا تغلط أيها الفارس بحق الملك فجواسيس وعيون الملك في القصر نحن نعيش في حمايته فانفعل فأخذ بالصراخ والصياح والقذف والسباب حتى أن بعض الخدم فزعوا إلى مكان اللقاء فصرفتهم الاميرة ثم قالت : اذهب بنفسك للملك قل يا ملك عصام يا شقيق الأميرة وردة ساعدني في استرداد ملكي مللت الصمت .

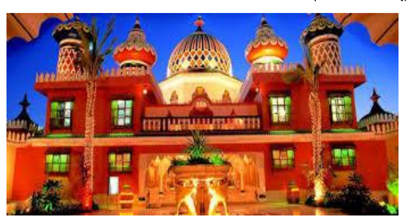
فهاج في نوبة أخرى وزعق وقال متحديا : سأذهب

اليه . ودخل على الملك عصام ساخطا غاضبا محمر الوجه والعيون وقال صارخا : أيها الملك !.. أين الوفاء؟ .. أين العهد؟.. أين الملك حمدان؟ قاتلت أهلي وقومي معكم من اجل العرش أن يكون مواليا لكم .. إنكم غدرتم بي .. هذا جبن !

وأخذ يصيح بكلام هائج من شتم وتحقير مما اغضب الحاشية كلها والملك نفسه ، فأمر الجند بحبسه ، ثم أمر بعد ايام ثلاثة بجلده أمام العامة، ثم رماه عند أخته وطلب منها مغادرة البلاد أو تطلق منه فاختارت الطلاق .. فحمل قسيم في سفينة صغيرة وألقى على سواحل مدينة باد مثخنا بالجراح ممزق الثياب ، فوجده أحد الصيادين الاثرياء فساقه لبيته وداواه ظانا أنه صياد تعرض للغرق أو قراصنة بحر . ولما استعاد عافيته بعد ايام من الانهاك والمرض وأخذ يتذكر ما حل به من هوان وذل وتخلي انصاره الذين لم يهلكوا عنه ، ويئسوا من عودته ملكا .. وتذكر حبسه وجلده امام العامة وتطليق زوجته منه ورميه على ساحل مدينة باد فانتكس ثانية وعاوده السقم لهذا الحال وفكر برمي نفسه في البحر ليموت وغلبه حب الحياة والحاجة للانتقام من كل اعدائه .. من عصام ملك حمامة .. فزيد الوصي قد هلك وتبعه ابنه وغضبان مات مسجونا .. وشهروان الثائر الشعب اختاره زعيما لطرد الغزاة وقد حقق ذلك فهو عدو .. وسمعان اليوم اسير عند ابناء خالد ..فلأبدا بعصام الذي اذلني وسحق شرفي .. شكر الرجل العجوز على مداوته وألقى على مسامعه كذبات وأنه تعرض لحقد من رفاقه فضربوه ورموه في البحر فسبح حتى وصل الشاطئ فصدق الرجل ما سمع وأذن له بالسفر لبلاده ، غير من هيئته المعروفة للناس ..ومشى جهة بلاد الشواهد والمسافة بين المدينتين خمسة ايام بالسفر الطبيعي والمتمهل ، فدخل وديان وصعد تلال وجبال حتى اقترب من بلدة صغيرة تسمى " نهبة " وبينما يسير نحوها دهمه رجال وصبيان وساقوه إلى شيخ القرية وهو في حال يرثى لها من الضرب والصفع واتهمه الشيخ وأهل القرية بأنه كان مع اللصوص الذي سرقوا بعض مواشي البلدة ، فانكر التهمة وشهد احدهم أنه رآه مع اللصوص وهذه الثياب الرثة تدل على أنه منهم وأنهم تخلوا عنه ، فاسترقوه ودفعوه للرجل الذي سرقت مزرعته وبعض دوابه ، وهددوه بالقتل اذا حاول الفرار ، فصمت ورضي بحكمهم ، ولم يستطع كشف شخصيته لهم ، وكان خلال مكثه يفكر بالهرب ، وقد وجد لدى صاحب المزرعة جوادا فرسم خطة بخطف الحصان والهرب عليه ويدخل على أخته الملكة مستجيرا معلنا التوبة والندم .

وفي اليوم الذي قرر الاختفاء فيه شعر به أهل

المزرعة وكشف امره فأوثقوه بالحبال وجلدوه وساقوه إلى مكان بين عدة قرى يتبادلون فيها الاشياء كسوق وباعوه لتاجر رقيق يتردد على ذلك السوق القروي .. وبعد أيام حمله التاجر إلى سفينة يجمع فيها العبيد والاماء لينقل للمدن الكبيرة ، وبعد زمن وجد نفسه يباع في سوق مدينة حوت واشتراه فلاح مع غيره ليعمل في الارض من حراثة وسقي واطعام الدواب .



اختلال البلاد

قلنا إن شهروان نكح الملكة زهرة مقابل عودتها للحكم وإخراجها من سجن ماوا ، وهدأت البلاد شيئا قليلا ، وأخذت قبضة الثائرين تضعف عن حكم البلاد يوما عن يوم ، وحتى مجلس حكم البلاد كاد يختفي بعد عودة زهرة وزواجها من السيد الجديد للبلاد ، وقد نال بعض الثوار زوجات وأرامل أميرات .. ثم حلت القيادة للثائرين بعد استقرار البلاد وضعف الخطر الخارجي .. وأنشئ حرس جديد للأمراء الجدد واغلبهم من الصيادين لعددهم الكبير في البلاد ولأن اكثر الثائرين كانوا منهم ايضا .

ولما اطمأنوا من عدم غزو ملوك الجزر تراخت قبضتهم نهائيا عن البلاد وانتشر بينهم الزواج من الاميرات والثريات ، وعاد الفرسان القدامى بسبب هذه الزيجات لحكم البلاد مع هؤلاء الناس .. واعيد احياء الجيش ولكن بعدد أقل كما أراد شهروان .. وخلال اقل من خمس سنوات من عودة زهرة انفض زعماء الثائرين من حول شهرون أو شهروان ، واخذ يستبد لتأمين المال لمتعته وشهواته ، فغضب التجار والفلاحون والصيادون الجدد من سياسات شهروان الظالمة وهددوه بالثورة عليه .. فاستشاط غضبا من تهديدهم .. فقد ذاق طعم الحكم والسلطة ، وتمادى في غيه .. فاجتمع الثوار من جديد .. وقام الثوار القدامى بعزل شهرون رغم أنفه ، ودفعوا زعيما جديدا لسيادة البلاد .. فدار صراع مرير بين الثوار .. فهناك من قتل واغتيل .. وهناك من هرب من نير البطش فاضطر الثوار خصوم شهرون بمحاصرة قصر شهرون وأسره وتثبيت فارسهم الجديد .. وحكم حكامهم على شهرون بالموت وإثارة الفتن والغدر والخيانة لثورة الشعب ، وقتلوه أمام أعين الناس مع أهم وأشهر معاونيه ، ولم يقبلوا فيه شفاعة الملكة وغيرها، وهددوا بخلعها وهكذا اختفى شهرون فجأة ؛ كما ظهر فجأة .. وعادت زهرة أرملة تنتظر عريسا خامسا.. وأهلك الكثير ممن عرفوا انصارا له .

واعتلى سدة الولاية في بلاد الشواهد الزعيم الجديد ، وهو رجل مسن اسمه سبع البحر وهو صياد معروف بين الصيادين ، وابقوا زهرة ملكة اسمية للبلاد ، ومنعوها من التدخل في شؤون المملكة والحكم والأمن والضرائب .. ما عليها الا الاكل والشرب واللهو ، فلزمت الهدوء وخشيت بأسهم اجتمع رجالات من الحرس والجيش خفية للتمرد والسيطرة على البلاد بقوة السيف وبعد نظر وجدوا انفسهم ضعفاء ، والملكة غارقة في ملذاتها وشهواتها المعروفة لأهل القصور والامراء فلاذوا بالصمت . سعى احد أبناء غضبان لإنشاء حركة سرية ، فعلم بها الثائرون فلقي جزاءه سريعا بالموت هو ومن التفوا حوله .. ونفوا كل سلالة الغضبان حتى أولاد زهرة منه ورفضوا أي استعطاف .. فصمت الجند والامراء من جديد .. وانتشر الرعب بين الناس لقسوة الحساب وقام سبع البحر بترتيب امور البلاد من جديد .. ولغى الجيش .. وزاد من افراد الحرس والشرطة .. وأهل مدينة شرم الحزينة طلبوا الانفصال عن الحزينة .. فدارت حرب بين ثوار المدينتين واتفقوا بعدما كثر القتل في صفوفهم إلى تقسيم الشواهد لثلاث مدن رئيسية وبقيت زهرة ملكة اسمية لكل المدن .. وكل مدينة وضعت زعيما وسيدا منهم .. واستقر سبع البحر بعد هذه الحرب القصيرة حاكما على مدينة الحزينة ، وحماد على شرم الحزينة وقروان ملكا على سلة الملك . ولتقويه حكمه وسلطته ، وتثبيت شرعيته كان الزوج الخامس ، تزوج سبع البحر الملكة الارملة ؛ فكان الزوج الخامس الشرعي لها ، وعاد الهدوء بعد هذه الصراعات بين الثوار وكل مدينة انشأت حرسها الخاص وشرطتها الخاصة .

ذات ليلة استيقظ سبع البحر من نومه فجأة ، ولم يجد الملكة بجواره وسمع صوتا في القصر فنهض، وتحرك بخفة نحو المكان الذي سمع منه الصوت ، وقف على باب الغرفة واصغى ثانية فسمع زهرة تتحدث مع رجل ، ففتح الباب فجأة وبقوة فوجد زوجته في ثياب فاضحة تجلس مع ذلك الشاب فصاحت : سبع البحر أصحوت ؟! فدخل للحجرة وقال والغضب يتطاير من عينيه : من هذا ؟

كان الرجل قد وضع يده على خنجره فتطلعت إليه وقالت : هذا ...

فصاح سبع البحر : من هذا ؟ عشيق جديد .. لقد قالوا لي إنك امرأة لا تشبع من الرجال .. امرأة فاجرة .. رفضت الزواج منك ولكنهم اجبروني .. من أنت أيها العاشق ؟

فما كان من العاشق حتى انقض على سبع البحر بخنجره، فابتعد سبع البحر عن طريقه

وعرقله فسقط الشاب على الارض فهجم عليه سبع وضرب رأسه في الأرض ، ولاحظ أن زوجته تحاول الغدر به وتساعد عشيقها فنهض مسرعا خارجا من الغرفة ، واغلق الباب عليها ثم استدعى حرس القصر فهرعوا إليه مسرعين ، وأمرهم بفتح الغرفة واخذ الشاب الخائن إلى سجن القصر . وانطرحت زهرة تقبل قدميه وتطلب العفو وتعلن الندم فقال : أنا اعرف سيرتك السيئة منذ عهد الملك راهب .. وقلت لك أنا رجل كبير لا أصلح للنساء ؛ ولكنك قبلت الاقتران بي امام رجال الحكم ..

أمرها أن تذهب لحجرتها حتى يجتمع بأمراء المدينة ، وينظرون امر هذه الخيانة الزوجية ، لا تطيعه نفسه بقبول الحياة مع امرأة لا تحترم الحياة الزوجية .. ولم تعتبر من حوادث الزمن ..ولا تهتم لعمر .. ناشدته العفو والصفح وأنها آخر مرة تسمح لنفسها بالخيانة الزوجية

فقال: هذا سقم فيك .. اغربي عن وجهي ولولا خشية الامراء لقتلكما سوية .. سيعرف الشعب كل شيء في الصباح .. مقامك ليس هنا

كانت تتوسل وتبكي فرفض الخضوع فامر الخدم بأخذها، فأخرجت خنجرا صغيرا لتطعن نفسها فقال ساخرا : دعوها تقتل نفسها اذا كانت عندها الشجاعة لفعل ذلك

لم تفعل بالطبع فعادت للاستجداء والرجاء فقال : أيتها المرأة .. كيف سأقبل أن تبقي زوجة ؟ ألم تتعهدي امام السادة بالمحافظة على الحياة الزوجية وألا تخوني سبع البحر ؟ وزعمت أنك كبرت عن الخيانة الزوجية والعشاق .. لن أقتلك سأطلقك فقط وأمر بحسبك حتى تشتهي الرجال من مدة الحبس ..

فهجمت عليه بخنجرها فأمسك بها الغلمان فقال : خذوها إلى حجرتها واغلقوا عليها لعلها تقوى على طعن نفسها لترتاح من الحبس والعشاق .

عقد مجلس حكم مدينة الحزينة مجلسا للنظر في هذه القضية بعد ثلاثة ايام من الحادثة استمعوا للشاب الذي وجدوه يجالس الملكة ليلا فلما أطمعوه بالعفو اعترف بالعلاقة الاثمة بينه وبين الملكة زهرة ، وحاولت الملكة التي حضرت اللقاء أن تنفي ذلك عن نفسها وبعد تشاور ومعرفة أن الشاب احد أبناء الأمراء القدامى ، وأن الملكة عرضت عليه الغواية فامروا بالعفو عن حياته وسجنه ، وامروا بحبس الملكة الخائنة اللعوب في قصر صغير خاص بالنساء المسجونات معروف من ايام الملك سماك بن صخرة .. ولم تهدأ الامور بعد صدور الحكم عليها فقد اجتمعوا بعد حين لعزل زهرة لسوء أخلاقها وسمعتها المشينة للتاج والحكم وللبحث عن ملك جديد من سلالة سماك

ورحب سبع البحر بحكمهم هذا الذي اعتبره قد رد إليه الشرف والكرامة التي اهدرتها بخلاعتها وعدم احترام شيخوخته الذي رفض ابتداء الزواج منها لما يعلم من خلاعتها ومجونها السافر في البلاد منذ عهد بعيد .

ارسلوا وفدا لمقابلة الأمير حازم بن سماك في بلاد غيمة فرفض الرجل وزعم أنه زاهد في الحكم والولاية الكبرى وأسف لما أصاب أخته من حبس وفجور .

عاد الوفد وعقد المجلس من جديد وسمعوا رفض الأمير للحكم والملك ، فسعوا عند اولاد الملك زيد الوصي فكلهم اعتذر عن حكم غير مستقر .. فذكروا قسيما فسعوا إليه ورجعوا بأخبار سيئة عن قسيم وأنه اختفى منذ سنوات وطلق امراته وغادر جزيرة حمامة .

فاستغرب أهل الشواهد من عدم عودته إليها بعد كل هذه السنوات وشكوا بأنهم قتلوه واخفوا بدنه ، ولم يأسفوا على هذا الضياع ، وأمام هذا الواقع أعلن اهل المدينة سبع البحر ملكا كبيرا على بلاد الشواهد الثلاث ، وبحثوا له عن أرملة من سلالة ملوك البلاد وزوجوه اياها ليسري الدم الملكي في عروق سبع البحر . وعاد السكون للبلاد بضعة أشهر حتى فوجئ أهل البلاد كلها في احد الايام بالإعلان عن اغتيال سبع البحر بخنجر داخل

الحكم والتمرد

حدثت على اثر اغتيال الحاكم سبع البحر فتنة كبيرة في المدينة، قام مجلس الحكم بتحقيق واسع لمعرفة الغادر ، وعين الصياد البحري " شبير" حاكما جديدا ، وأمر بحفر أخدود أججت فيه النيران ، وجلب كل من كان في القصر الذي قتل فيه سبع البحر وسألهم سؤالا واحدا " أتعرفون الجاني ؟" وكل من نفى علمه طرح في النار ، ولم يعف إلا عن أبناء وزوجات سبع البحر فاحرق الكبير والصغير الذكر والانثى ممن كانوا في القصر ليلة الحادث حتى الحرس على الابواب اهلكوا .. فكان حدثا مروعا في المدينة الحزينة اهتزت له الشواهد كلها والمدن المجاورة وحتى الجزر الثلاث، ووعد شبير بالمزيد من القتل حتى يكتشف قاتل الملك الشيخ سبع البحر فترك هذا الحادث المروع الجزع والرعب في قلوب الاهالي وبدأ البعض بالهرب والمغادرة إلى المدن الأخرى خاصة التجار والأثرياء ولم يبال شبير بهربهم وهجرتهم ، ثم تبين له بعد حين من الدهر خطأ الصمت على هربهم وفرارهم ، فقد قل المال الذي يدخل على خزينة المدينة ، وعجز عن دفع أجور الحرس والشرطة .. فأمام هذا الوضع المر عزل مجلس الحكم الحاكم شبير ، وخضعوا لحكم قروان وأعادوا توحيد الجزيرة لحاكم واحد .. وعندما

تولى قروان الحكم جاءته رسالة استعطاف من الملكة المخلوعة زهرة تطلب العفو والنفي .
فذهب إليها الملك بنفسه ولما رآها اعجب بحسنها ، وعرض عليها العفو مقابل الزواج منها وضمها لنسائه فوافقته على ذلك ، وحذرها من الغدر والخيانة فوعدته بالتوبة والندم .
فاصدر أمر العفو عنها ، وأشهر زواجه منها ، فكان الزواج السادس لها سوى عشاقها الذين لا يعرفهم احد . كان قروان رجلا دون الخمسين سنة وهو فارس قوي وصياد شجاع وشارك في التمرد والثورة من بدايتها ، ورفض مجلس الحكم اعادة تنصيب زهرة ملكة حتى يثبت لهم توبتها وحسن خلقها . كانت زهرة في الشهور الأولى نعم الزوجة وأثار الحبس ظاهرة عليها ، ولكنها بعدما حملت من قروان بدأت تحن للحفلات والسهر فولدت له بنتا ارسلها للمربيات من نساء الصيادين اقاربه . ثم رآها يوما تكلم شابا غريبا عن القصر خلسة فاستراب في شأنهم، ثم فاجأهم بالظهور وهددها بالطلاق اذا عادت للعب والدوران والعبث بشرفه وهددها بالحبس من جديد ، وحرم على ذلك الرجل الدخول للقصر بأي صفة كانت .. وهدده بالموت دون تفكير ، حاولت الدفاع عنه وأنه مجرد رجل صديق وتاجر تكلف بشراء ثياب لها ، فنهرها وأمرها بالصمت فغضبت وقالت بحنق " اخطف روحك كما خطفت روحه "
فقال محدقا : "أنت قتلت سبع البحر ؟!"
ادركت أن لسانها زل فحاولت الانكار والتملص من فلتة لسانها ، فامر بعض الحرس بحبسها وجمع مجلس الحكم وكشف لهم خطأ لسانها وتهديدها له بالقتل كما قتلت سبع البحر فقال شبير الذي حرق قصرا لمعرفة قاتل سبع البحر " من نفذ الجريمة ؟! هاتوا حرس حبسها .. فلابد أن احدهم أوصل رسالة للقاتل أو من دفع القاتل "
جلب حرس محبس قصر النساء واعترف احدهم انها كلفته برسالة لاحد الناس ، فجيء بأحد الناس واعترف بتجنيده رجلا من خدم القصر لقتل سبع البحر ، وقد قتل يوم حريق القصر فقتلهم شبير جميعهم ، وأمر بحبس زهرة مرة اخرى في ذاك المحبس .
ذات صباح استيقظ سكان مدينة الحزينة على صراخ وصليل سيوف وصهيل خيل فقد دهم احد السواحل غزاة اشتبكوا مع الصيادين في تلك الجهة ، ثم تقدموا لوسط المدينة يسفكون دم كل من وجدوه في الطريق، ففزع الناس إلى سيوفهم وخيولهم وصدوا الغزاة وقاوموهم حتى ردوهم للبحر حيث سفنهم ومراكبهم .. وعلم قروان أن أولئك المعتدين من جزيرة حمامة .. وأذن بقتل كل

رجل منهم واحرقت جثثهم .. وطلب مجلس الحكم تكوين حملة لغزو جزيرة حمامة والانتقام لهذا الغزو .. ونشط في هذا الامر ووجد الحماس لدى الكثير من الشباب الصغير وأبناء الصيادين.. وفتحت اماكن لتدريب افراد الحملة وبمضي عام عليها كانت جاهزة لغزو تلك الجزيرة ، وكانت حملة تتكون من اكثر من ألفي محارب فولى ابنا له رئيسا للحملة .. وكان الاصفر شابا قويا معروفا بالشجاعة والاقدام ابان الثورة الاولى .. ولما جاءت العيون بالأخبار امرهم الحاكم بالوصول لقصر الملك عصام وقتله او اسره وحرق القصر دون هوادة .

لم تسير الحملة لجزيرة حمامة مباشرة ابتعدت عنها عدة ايام ثم استدارت من جهة اخرى حسب الخطة الموضوعة للحملة ، وعند نصف الليل اقتربت السفن من شاطي الجزيرة المقصودة ومع تباشير الفجر كانوا قد وصلوا قرب قصر الملك حسب الأدلاء لهذه الحملة ، واشعلوا فيه النار بعدما نالوا من الحراس واصبح آخر الليل نهارا ، وجرت معركة حوله من المدافعين عنه ، وكانت معركة كبيرة استطاع الصيادون دخول القصر ونهبه وتركوه مسودا محروقا ، ولم يجدوا الملك عصاما فيه ..وعادوا للبحر بما غنموا .. وبعد حين وصلوا شواطئ بلادهم بمن نجو سالمين غانمين وخرج الشعب يرحب بهم .

وكان عصام في حمامة يهدر ويرغي ويزبد ويعض أنامله غيظا وقهرا على الكارثة التي ألمت بالجزيرة وغاضبا على شقيقته التي ظلت تطمعه وترغبه في بلاد الشواهد فتعهدت امامه بالسعي لقتل وتدير بلاد الشواهد .

خلعت ملابس النساء وتنكرت بثياب الفرسان فقاموا في منعها من مغادرة البلاد ، فأقسمت على صرع قروان والفتك به غيلة ، فخشي عصام من فشلها وافتضاح امرها ويعودون لغزو بلاده فقالت : سأدخل بلادهم متنكرة ،وقد سبق لي ذلك في الزمان الماضي حياة والدي الملك حمدان.

فتركها تفعل ما تشاء وبدأ يراسل امراء الجزر المجاورة لشن حملة على بلاد الشواهد .

أما قروان فبعد النصر وحرق قصر المعتدي عصام أخذ بإنشاء جيش ثابت وقوي ويخطط لغزو جديد لبلاد حمامة .. وقد وجدت هذه الحملة هوى لدى الشعب والصيادين لقلة التجار وكثرة الصيادين فقد هرب الكثير من التجار والعائلات إلى بلاد أخرى ..فكانوا يرون في الحملات العسكرية كسبا وثروة .. فكثر المتطوعون للحملة الجديدة وأخذ القادة في تدريبهم وتهيئتهم للغزو الجديد .

دخلت وداد متنكرة بلاد الشواهد التي تعرفها حق

المعرفة لقد سكنتها كجارية بضع سنوات وكملكة بضع سنين أخرى .. وقد علمت منذ حين أن زوجها قسيم لم يصل لبلاده فوقع في قلبها أن اعوان شقيقها قتلوه ورموه في البحر بعد جلده وطلاقه لها .. ولكن عصاما اقسم لها أنهم تركوه حيا على شاطئ باد . وبحثت عنه بطرق خاصة فلم تصل إليه ، لذلك كان من أهدافها عندما وصلت المدينة سوى قتل قروان البحث عن قسيم ومعرفة مصيره .. علمت أن زهرة محبوسة بتهم كثيرة في قصر حبس النساء والاميرات .

هي تسعى لدخول القصر لتفتك بقروان كما قتلت الوصي زيدا وابنه راهبا وتنجو بروحها في نفس الوقت .. أخذت تعمل شحادة متسولة في قلب المدينة ، وطفقت تسعى لمعرفة اقرب الناس لقروان من رجال ونساء ، وسمعت بالغزو الذي يجتهد له اهل المدينة لبلادها وغيرها من الجزر ورأت حماس الشباب لهذه الحملة ..وفكرت بالعودة للجزيرة وإعلام أخيها والسادة فقالت : ربما أقتل هذا اللعين قبل القيام في الحملة .. فالحملة تحتاج لوقت حتى تجهز كما يقولون . تعرفت على امرأة أحد رجال قروان ، وأخذت تتردد عليها طلبا للمساعدة والعشاء واشعرتها أنها فقدت زوجها في معارك المدينة ؛ وليس لها أسرة وأولاد ، فامتهنت التسول لسد رمقها .. وظلت تتردد عليها شهورا حتى غدت معروفة لتلك السيدة بأنها امرأة فقيرة أرملة وكذلك عرفها زوجها . ثم طلبت من المرأة أن تجد لها عملا كخادمة لدى الاميرات والامراء بدل التسول ومد اليد للأجاويد وأهل اليسار . فاستحسنت السيدة هذه الفكرة وكلمت المرأة زوجها بشأن تلك الأرملة .. حتى وجدوا لها عملا في قصر أم قروان وبعض نسائه القاطنات معها .. فذهبت بها المرأة بعد أن كستها ثوبا جديدا ، وزعمت لهم أنها طباخة ماهرة ..فقبلت للعمل في قصر أم قروان .. وسمح لها بالعيش مع الجواري والخدم ، واطمأنت لها نفوس القوم بعد حين . وكانت تترقب يوما يزور قروان أمه أو إحدى نسائه .. ولكن الوقت يمضي وزمن الحملة يقترب ، وتخشى أن لا يعلم أهل الجزيرة بما يدبر ويمكر لهم من قروان .. ففكرت ببعث رسالة سرية مع احد الصيادين .. فسعت للبحث عن صياد امين وماهر ورجل بحر .. تعرفت على بحار عجوز ويحب ركوب البحر ؛ كأنه شاب صغير ..ويحب الابتعاد في جوف البحر لصيد الاسماك .. وبعدما وثقت علاقتها معه، عرضت عليه حمل رسالة لسيدة لها في تلك الجزيرة ووعدته بجائزة ثمينة .. فقبل البحار القيام بهذه المهمة الخطيرة .. فبلاد حمامة في حالة حرب مع بلاد الشواهد فكتبت رسالة ووضعتها في جوف قصبة

.. وكانت قد اقنعت الصياد العجوز أن تلك المرأة سيدة قديمة لها وتسعى للعودة للعمل عندها .. فتسلم الصياد القصبة وقبل خاتما ثمينا منها وسر به . فقال الصياد : ستكون عند سيدتك الأميرة رحمة بنت حمدان.

وعندما كانت وداد في الليل تسلم الرسالة للبحار العجوز امام كوخه كان في الداخل رجل فسمع صوت المرأة وهي تسلمه الرسالة وتعطيه الخاتم وتعده بالإكرام بعد عودته .. فلما ابتعدت المرأة وعاد الصياد لداخل الكوخ سأله الرجل عن تلك المرأة فقال الصياد : إنها جارية كانت تعيش قديما في بلاد جزيرة حمامة عند اميرة من الاميرات كأنها ابنة الملك حمدان .. ولما تزوج قسيم ابنة ذلك الملك جاءوا بها الى هنا وعاشت بيننا وتزوجت وقتل زوجها .. ولا أولاد لها.. وتعمل طباخة في قصر أم الملك قروان .. عن طريق الفارس نشوان احد رجال قروان كما تعلم .. فلها رغبة بالعودة لجزيرة حمامة فكتبت رسالة لتلك الاميرة طمعا بقبولها من جديد .. فكتبت رسالة ووضعتها في هذه القصبة المغلقة والملفوفة بقماش جميل ـ واشار بها للضيف ـ وفي سفرة لي سأمرر هذه الرسالة الى تلك الجزيرة إما بنفسي أو اكلف احد معارفي من صيادي حمامة بنقلها لرحمة تلك .. لتوتر الامور بيننا وبين تلك الجزيرة ..

قال الضيف بعدما خيم الصمت : اخشى أن تكون هذه المرأة جاسوسة وتستغل طيبتك .. منذ متى تعرفها ؟

ـ من شهر .. وهي تعمل في قصر أم قروان

ـ نحن في حالة عداء مع جزيرة حمامة اليوم .. فانظر في الرسالة قبل نقلها .. فالخاتم الذي اعطي لك ثمينا وسمعتها تعدك بشيء ثمين

ـ هل يحق لنا فتحها ؟

خطفها الرجل ومزق القماش عنها وازاح الطين عن طرفي القصبة واخرج الرسالة وامر الصياد بإشعال النار ليحسن قراءتها ..وقد قرأها !

ابن بنت الصياد

بعد مضي كل هذه السنين سنعود بك أيها القارئ الفاضل إلى الوراء إلى المشاهد الأخيرة من قصة أبناء الملك سماك بن صخرة إلى صديق الراعي وحورية الماء التي خرجت من المدينة خفية تحمل في رحمها جنينا كان الملك سماك يعتقد أنه ولد ذكر سيكون ملكا على بلاد الشواهد في يوم من الايام . ومشى صديق بالمرأة حتى باد ، فعلم هناك بموت الملك سماك ، فسار بها إلى حوت التي تبعد عن باد ثلاثة ايام وتسمى ايضا بالبحر ، ومن ثم انتقل الى بلدة حمار التي تبعد عن حوت بضعة ايام ، وحمار هذه مرفأ مدينة كبيرة تسمى عيسى ، وقلب المدينة يبعد كثيرا عن البحر ولا يربطها بالبحر سوى

ميناء حمار . ويقال للميناء أحيانا حمار عيسى ، وبينه وبين موقع المدينة حيث السلطان عشرات القرى الصغيرة .. بعد وصوله إليها استأجر صديق بيتا صغيرا ، وبعد شهرين استأجر بيتا في حي آخر وترك الأول .. وقبل أن تلد المرأة انتقل لبيت ثالث ؛ حيث ولدت ابنها فيه وسمته " اسد الغابة" وكنته ابا يوسف .. وبعد انقضاء فترة النفاس التي تتبع الولادة رحل صديق إلى مكان آخر .. وكل هذه يفعله الرجل تنفيذا لخطة سماك لتضليل من يفكر يوما بالبحث عنهم . وكان كل من يتعرف عليهم من الجيران يظن أن المرأة الشابة زوجة للشيخ ، وأن المرأة ولدت له هذا الطفل ، واستقر صديق بالمرأة بحي يسمى النسران ، وفيه كبر الفتى ونشأ .

وكان لصديق في هذا الحي جارة قد ولدت بعد سكنهم بأيام وسمت وليدها "عفر" وتصادق صديق الراعي مع زوج المرأة وكذلك جيرانه الآخرين .. ولم يطل العمر بصديق ليرى أسد الغابة شابا .. فقد مات قبل أن يكمل الطفل السنوات الخمسة الأولى من عمره .

قام أهل الحي بدفن الرجل واعتبروا أنفسهم أهل المرأة بحكم الجيرة ، وصعبت الحياة اكثر بموت صديق صديق الملك سماك .. وكانت تهم بالعودة لبلادها ولكنها تتذكر الخطر المحدق بابن الملك سماك فتهدأ وتلجأ للصبر والتحمل .. واخذت نساء الحي يرغبنها بالزواج بعد حين من موت زوجها صديق .. كان الظن أنه والد الطفل وتحتج بالرفض بتربية وتنشئة وليدها اليتيم ، ولما كملت السنوات العشر للطفل رضيت بالزواج ، فتزوجها والد عفر جار صديق المفضل على غيره من الجيران .. وكانت حورية قد تسمت بشجرة وصديق بحسان.

أصبحت شجرة ضرة لمحبوبة زوجة جاد ، وكان لجاد سوى عفر ابن كبير اسمه ليل وابنتان حمراء وبيضاء ، وبعد ولادة عفر ولدت له طفلة سميت نهى ، وولدت حورية لجاد حساما وربيعة وأنثى سميت ذهبة .. اخفت حورية حقيقة والد اسد الغابة عن الجميع وظلت محتفظة بسرها حتى يشب الفتى .

كبر الفتى وتعلم القراءة والكتابة كسائر أطفال المدينة ، ولما بلغ العاشرة ارسلته كما يفعل الفرسان لتعلم السيف وركوب الخيل زاعمة لهم أنها محبة لابنها أن يخدم في الجند أو الشرطة عندما يصير شابا .

ورافق عفر صديقه هذه التمارين ، وتحمس جاد لعمل ابنه عفر في الجيش الملكي .. فهو يعمل في الزراعة في أطراف المدينة مع أسر غنية .. وابنه ليل ذهب لحمار ويعمل في الصيد البحري .. وحمراء

وبيضاء قد تزوجتا قبل زواجه من شجرة ..الاولى منهما أخذها ابن أخيه شاب فلاح مثله .. والثانية تزوجت قريب لأمها .. وكان يفكر بتزويج اسد الغابة من ابنته نهى عندما تشب

احب الفتيان مكان التدريب على المبارزة ، وتعلقا بالفروسية ، وكانا يعجبان من قوة الذين يكبرانهم في السن .. واستمر تدريبهم في مواقع التدريب حتى بلغ أسد الغابة خمسة عشر عاما فقوي عضله واشتد عوده ، واصبح يسابق الفرسان ، وزادت صداقته ومحبته لعفر واصبحا لا يفترقان ساعة عن بعضهما البعض . وسعى لهما احد مدربيهم لإدخالهما في معسكر الجيش للتدريب والمران حتى يلتحقان بالجند ليحققا شهوتهما بالخدمة في جيش البلاد .

وكانت شجرة وهي ترى ابنها يشب تطلب من زوجها السماح لها بالسفر لبلاد الشواهد لزيارة أهلها وأقاربها .. وتذكر له قصة زواجها المزعومة من حسان : إن زوجها العجوز نزل تلك البلاد في تجارة له ، وكان ضيفا على أسرتها من الصيادين وأحب والدها التاجر الجوال وأنه رآها عدة مرات، ثم طلبها من أبيها فقبل به رغم صغرها وكبره .. ولما علم بحملها استقر بها في هذه البلاد وكف عن السفر.. وإنها بشوق لزيارة أهلها بعد هذه السنوات الطوال وقالت له :

إن زواجي منك خفف من اللوعة والشوق لأبيها وأمها وأهلها "

ثم قالت له : إن أسد الغابة كبر اليوم .. وحسام وربيعة كبرت بهم الايام .. وإنها على استعداد لشراء جارية ترعاهم في فترة غيابها .

فكلما يتكرر هذا الكلام على مسامع جاد يعدها بتحقيق هذه الرغبة .. ويقول لها " بلاد الشواهد بعيدة كثيرا عن بلاد عيسى ..والرحلة البحرية اليها تستغرق وقتا كبيرا وكذلك البرية "

فقالت: سأذهب بخادمي قمص .. فهو خادم امين كانت حورية تدرك أن جاد لن يسمح لها بالسفر ، وإنما كانت تلح بذلك ممهدة ليعرف الشاب أسد الغابة أهله وحقيقة اصله .. وهي تريد السفر إليها لتعرف حال البلاد لتكشف له القصد من هذا الاختفاء ؛ ليتحمل الأمانة، ويعود ليكون ملكا على بلاد أبيه .. فهي نسيت البلاد والاهل لتنفيذ وصية الملك الذي احبها واتخذها قرينة وهي من بنات الشعب والعامة .

لذلك عندما أمسى اسد الغابة ابن ثمانية عشر عاما اصرت حورية على تلك الرحلة فابنها اليوم يصلح أن يكون ملكا لبلاده فأرادت السفر للتأكد من احوال البلاد وأن الرجال الذين عاهدوا سماكا ما زالوا على العهد وأن الوصي سيخلع نفسه لابنها .

وكانت تقول لنفسها " لا تخلو الدنيا من أهل

الوفاء ومن أهل الغدر " وكانت تراودها فكرة السفر بدون علم زوجها وابنائها بصحبة خادمها قمص .. يجب عليها أن تعرف حال البلاد قبل كشف الحقيقة لابنها وغيره .

وكانت ترى أن افضل فترة للسفر عندما يذهب اسد الغابة في رحلة صيد مع مدربه زيدان ، كان المدرب زيدان فارسا من فرسان السلطان ،وقد ترك الخدمة السلطانية وأنشأ مدرسة تدريب للفتيان على السيف وغيره .. وكان له بين كل فترة وفترة رحلة صيد في الغابات والوديان ، فيصحبه بعض الفتيان المتدربين في هذه الرحلات ، ويعتبر هذا نوعا من التدريب والبسالة ، ومكان الصيد في اطراف المدينة حيث الغابات والجداول والغدران وقد رافق عفر وأسد الفارس أكثر من مرة .. وقد يقضون اياما في الصيد .. فكانت حورية الماء تراها فرصة لمغادرة المدينة خفية ، فزوجها ما زال خائفا عليها ويتعذر بالأولاد حسام وربيعة وكان زيدان يقرع قرعة بين الشبان الفرسان الصغار الذين سيرافقونه في صيده ، فخرجت القرعة لأسد الغابة دون عفر ، فاعتذر أسد الغابة لمدربه عن مصاحبتهم بدون عفر ابن زوج أمه فتنازل احد الأخوة لعفر فهما يعرفان تعلقهما ببعض .. وكان عفر متقدما بعض الشيء عن أسد بالقوة والفروسية ، فقد كان اسمن بدنا وأشد منه عضلا وأطول منه رغم أنه يصغره بشهور . كانا رفيقين بمعنى الرفقة فوافق الفارس على أخذهم كلهم ، وباتا تلك الليلة في مقر التدريب لينطلقوا مع تباشير الفجر ، وكانت حورية تحب عفرا وتراه نعم الاخ والصديق لولدها فأوصته عليه كما تفعل كل رحلة .

وفي الصباح حملت الخيام والاطعمة على ظهر الدواب ، ومشت نحو الغابات ، واعتلى الفرسان والصيادون جيادهم ، وكانت المجموعة تزيد عن عشرين رجلا وشابا ، فعشرة كبار وعشرة من جيل عفر واسد وثلاثة من الخدم .

وبعد مسير استمر يومين تخللهما نوم دخلوا احدى الغابات التي يرتادونها دائما للصيد ومطاردة الظباء والغزلان والوعول أكثر من غيرها من غابات الصيد .. وهذه الغابة كانت أول مرة يذهب إليها الشبان الصغار .. وشاهدوا الحيوانات الكثيرة التي تجول في الغابة وتدنو من بحيرات ومستنقعات الماء الصغيرة ، ونبهم زيدان إلى وجود الحيوانات الضارية في هذه الغابة وتقترب من المستنقعات المائية لتصطاد الغزلان عند إتيانها للشرب .

وكان عفر قد طلب من مدربه السماح له بالنيل من احد الوحوش القوية ؛ ليظهر له شجاعته وقوته ، أما أسد فلم يكن يحلم بلقاء أسد أو ضبع وحده .

نصبت الخيام على تلة مرتفعة وأشعلت النيران ؛ لأنه وصلوا قرب الليل لهذه المكان ، وقدم لهم الخدم الطعام من الارانب والطيور التي استطاعوا النيل منها أثناء مشيهم لمكان الصيد .

فارتفعت رائحة الشواء في المكان فنبهم زيدان ؛ ربما تقرب منهم بعض الحيوانات على رائحة الشواء وعليهم ترتيب حراسة طول الليل .. وكل فارس سلاحه معه وبقربه وعلى أهبة الاستعداد .. ومن يذهب للخلاء يصحبه رفيقان .. ونبهم بخطر الزواحف كالأفاعي والعقارب وغيرهما ، وفي الصباح سيذهب فريق للصيد ويبقى آخر عند الخيام .. وهكذا يتبادلون الصيد والحماية .

وطلب أسد من مدربهم زيدان أن يكون هو وصديقه في فريق واحد، فابتسم المدرب وقال " ابشر أيها الفتى " ثم حثهم على العمل متفرقين وأن هذا لمصلحتهم .

وذكر عفر للمدرب خفية وصية أم أسد للمدرب ، وأن أباه غير أبيه فقال المدرب : اعرف أن أباه هلك ، وهو صغير وأن أباك زوج لأمه .. واعلم أن الانسان لا يهرب من قدره وحظه ، ولو كنت معه في كل لحظة ؛ فاذا جاء القدر بطل الحذر .. ويجب أن يتعود على البعد عنك .. هذه دنيا .. المرة الاولى سأسمح لكما بالذهاب معا.. أما المرة الأخرى فلا ..

تناوب الفرسان الحراسة الليلة ، ومضت الليلة بسلام وخير ، وفي الصباح خرج الفريق الاول للصيد .. فهم سيتجهون لبحيرة معروفة لهم أي الرجال الكبار ويتربصون للظباء عندها .. عندما تردها للشرب .. وبعد مسير لعدة ساعات وصلوا إليها .. فهي من الاماكن التي ترتادها الغزلان ، وهي معروفة لهم مع الزمن .. وعند الظهيرة رجعوا بصيد ثلاثة منها وصادوا ثعلبا كان يرابط عند الماء طمعا بصيد غزال صغير ، وارتفعت النيران وعلقت الغزلان .. وروى الفرسان قصة صيدهم لها والعقبات التي وجدوها أثناء الصيد . وكانوا يحاولون اقتناص بعض الطيور والأرانب ؛ حيث هم ومن حولهم ، وفي اليوم التالي سارت المجموعة الثانية وفي صحبتها عفر وأسد .. وربضوا للحيوانات عند البحيرة ووفقوا إلى صيد بعضها كأصحابهم .

وتقرر أن يكون الصيد في الغد على مرتين فرقة في الصباح وفرقة في الليل لمن شاء .. ذهبت فرقة الصباح وصادت ما تيسر من الظباء .. وقال زيدان " لقد قل ورودها فقد شعرت بنا.. ربما صيد الليل احسن الليلة .. وعلينا اصطياد بعض الاسود "

والمجموعة التي ذهبت للصيد في الليل لم تتمكن من صيد شيء لشدة العتمة وقلة الوحش عند

البحيرة فقال زيدان " يبدو أنهم رحلوا لبركة أخرى "

بعد السهر والعشاء ذهب قوم للنوم وبقي الحرس للحراسة. قضى الرجال عشرة ايام كاملة في الصيد ، وصادوا سوى الغزلان عددا من الثعالب للانتفاع بفرائها وجلودها .. وقد رأى اسد الوحوش الضارية من أسود ونمور وضباع وذئاب ولم يتمكنوا من صيد أحدها ، وكان تدريبا قويا للمجموعة كلها ، وسرتهم الرحلة وفكت الخيام وحملت على الدواب وتحركت القافلة للعودة للديار .

كانت حورية في خوف على ولدها ، فهذه أول مرة يغيب عنها كل هذه المدة من الزمن ، وكانت تتردد على مدرسة التدريب تسأل عن عودتهم .. فكم سرت عندما اقبل الشاب فرحا سعيدا من رحلته الطويلة جدا بالنسبة إليها وإليه فعانقها وقال : اشتقت إليك يا أمي .. كانت رحلتنا هذه المرة طويلة .. لقد تعمقوا بنا إلى جوف الغابة حيث الاسود والذئاب الكثيرة .. والغزلان اللذيذة .

هدأت روحها وتركته ، وعانقت عفرا الذي تحبه كابنها اسد لصداقتها وحبهما لبعض، وشكرت الله في قلبها على عودته سالما سعيدا ، واستمعت لهما بلذة عن صيدهما ومطاردتهم للوحوش والظباء وسرها ما فعله المدرب من التفريق بينهم أثناء مغامرات الصيد ، فهي تعلم قوة تعلقهما ببعض خاصة اسد .

***

بلاد عيسى بلاد كبيرة ويسكنها عدد كثير من البشر وهي ممتدة حتى تصل طرف البحر حيث ميناء حمار عيسى ، وهي سبع مقاطعات كبيرة محيطة بقلب المدينة حيث قصر الملك والوزراء والجند ، وتعتمد بساتينها وسكانها على مياه المطر والعيون والسيول والجداول الصغيرة ، ويحيط بها الكثير من القرى ، يعمل أهلها بالرعي والزراعة حتى أنك تجد لتاجر أو قائد أو أمير قرية كاملة يعمل بها الفلاحون له ولأسرته .. اكثر القرى تتبع لأسر تركت الخدم يعملون لهم وانتقلوا للتجارة في وسط البلاد .. حيث مقر السلطان وكان يحكمها قبيلة يقال لهم " بنو سامون " والمدينة تعتمد على التجارة البرية والبحرية .. فكان سماك عندما اختارها على البلاد لإخفاء ابنه لمعرفته بسعة البلاد وكثرة ناسها ويسهل الاختفاء فيها ورأينا كيف سعى غضبان في البحث عن هذا الابن وقبله زيد الوصي وقد ذهبت مساعيهم ادراج الرياح وحتى أن عيونهم لم يصلوا إليها لبعدها عن بلادهم كذلك .

وافق جاد لشجرة بالسفر لبلاد الشواهد بعد عودتهم من رحلة الصيد الكبيرة ، تفاجأت حورية

بقبوله ، فهي كانت تفكر بالسفر خفية عنه ، فغمرها السرور لرضاه ، وطلب منها أن تذهب بدون أسد ، وهذا ما كانت تريده .. فتقرر أن يرافقها عبدها قمص فحسب ، وكان قصد جاد من بقاء اسد لتفكر بالعودة له ولولديها منه .. وهي راغبة ببقائه لتنظر احوال البلاد لتكشف له امره الخطير وابن من هو حقيقة ؟

أقسمت حورية لزوجها بأنها ستعود إليه ولأولادها، ولن تبقى عند أهلها في بلاد الشواهد ، ولا تفكر بالهرب ؛ فليس لها في هذه الدنيا إلا هم ..ولكن الشوق يشدها لرؤية والديها اذا ما زالا على قيد الحياة . لما كاشفت الاولاد بقصة الرحلة تحمسوا للسفر معها ؛ لكنها رفضت ذلك لبعد المسافة وطول الرحلة ووعدتهم بزيارة معهم في قابل الأيام ، ورافقها الأولاد وجاد إلى حمار حيث ستركب البحر إلى المدن الأخرى ولما ركبت السفينة لحوت عاد جاد والأولاد لحي النسران ؛ حيث يعيشون حظهم من الدنيا .

وانشغل أسد وعفر بالمزيد من التدريب في معسكر الجند ؛ ليلحقهم زيدان بالجيش اذا اجتازوا تدريبات الجيش القوية . ومضت الايام وقاموا برحلة أخرى مع زيدان ، ولم ترجع أم أسد بعد مضى الشهر الاول والثاني ولا خبر عنها، فتسرب الخوف على حياتها في قلب جاد ومشى إلى البحر عدة مرات ، وطلب من ابنه الصياد البحري ليل عندما التقاه السؤال عنها فعجب الشاب بالطريق التي سيتحرى بها عنها ، وكان جاد يقضي اياما عند البحر يتحدث مع المسافرين عن اخبار بلاد الشواهد والكل يردد له أنها بلاد بعيدة عن عيسى والقليل من يذهب إليها . وقضى شهر آخر يتردد فيه على حمار دون أن يظفر بعلم عنها حتى راودته نفسه بالمغامرة إلى تلك البلاد ولم يجد احد يشجعه على هذه الرحلة لصعوبة وجودها في كل تلك الامصار هل هي حية أم ميتة

ربما غرقت سفينتها ؛ ربما تعرضت لقرصان المياه أو أنها نسيتهم عند لقاء الاهل ومنعوها من العودة لأولادها .. وذكر جاد أنها قضت سنوات بدون زواج ومع ذلك لم ترجع لبلادها .. لابد أن شيئا صعب اصابها .. حتى خادمها قمص لم يظهر ..

وأحس اسد الغابة بطول غياب أمه .. وأحس أن خطرا دهمها ، لقد طالت غيبتها عن المألوف فضياع أمه ضياع له .. فهو وحيد في هذه الارض .. لا أم ولا أب .. له أخوة من أمه ؛ لكنهم ليسوا كالأم والأب ..فهو لا يعرف أقارب أبيه ولا أقارب أمه .. أمه لم تحدثه عن أسرتها أو أسرة أبيه فكر جاد بعد ذهاب الشهر السادس لغيبتها بالسفر إلى الشواهد ، فوجد أنه لا يعرف شيئا

عنها يذكر أنها ذكرت له أن والدها صياد .. ولا يعرف اسمه ولا حتى اسم أبيها وأب حسان كانت امرأة غريبة وأرملة ولا تهم الأسماء عند النكاح .. حبطت همته .. ومضت السنة ، فزاد اليقين عنده بهلاكها وغرقها هي والعبد قمص ، فأصابه الحزن الشديد واليأس .. وحاولت محبوبة مساعدته والتخفيف من همه وحزنه على الزوجة المفقودة فيقول بحزن : لو نعرف أنها ميتة لارتاحت نفوسنا لقدر الله

وبينما هم في هذا اليأس القاتل دخل عليهم قمص الخادم ، وقبل يد السيد وأسد الغابة وذهب في بكاء ونشيج مسموع مما زاد الفزع في قلوبهم فقال جاد بلهفة : هاتوا الماء له والطعام .

فقبل الماء وشربه وقال مفاجئا لهم : لم تعد سيدتي إليكم بعد ؟

دهشوا لهذا السؤال وصاح جاد " ويحك ألم تركب السفينة معها ؟!"

فقال: لقد سألت الجيران عنها فقالوا " منذ خرجت لم ترجع " ..

ـ قص علينا الحكاية

فقال: ودعتنا يا سيدي في حمار كما تعلم، وركبنا السفينة لبلاد حوت التي دخلناها بأمان الله وسلامه ..وقضينا فيها يومين نستريح ثم ركبنا سفينة متجهة لمدينة باد وصلنا إليها بعد أيام بكل سلام وأمان ..وبعد راحة ركبنا الدواب مع قافلة برية سائرة إلى بلاد الشواهد ، وبعد أيام في الطريق دخلناها فرحين سعيدين ..ومشينا إلى قرية الصيادين في مدينة تابعة للشواهد اسمها الحزينة ، بحثت شجرة عن أسرتها ، فوجدنا رجلا يعرف تلك الأسرة فعلمنا أن أكثرها هلك في حروب بين اهل المدن انفسهم وفي محاربة المدن المجاورة لهم .. كانت تخرج ناحية البحر تبحث عنهم حتى التقت برجل يعرف أخبار أسرتها ، فقص عليها قصة بلاد الشواهد والصراعات القائمة فيها ..وقضينا زمنا نبحث ونسأل ثم ركبنا البحر الى باد .. واعتدى علينا غزاة في البحر وأخذونا رقيقا وساقونا إلى جزيرة اسمها سعدة .. وهناك افترقت عن سيدتي شجرة ، وبحثت عنها فلم أجد لها خبرا .. فصممت على الهرب والمجيء اليكم .. فهربت من سعدة بجنح ليل واليوم وصلت إليكم أيها الاسياد !

بكى جاد والاولاد على فقد شجرة ، وقال جاد : الحمد لله على عودتك سالما يا قمص .. إذن شجرة في مدينة سعدة أسيرة الغزاة

ـ يا سيدي جاد لما دخلنا تلك الجزيرة فصلوا الرجال عن النساء ، وباعونا للتجار كرقيق وإماء وبعد افتراقنا لا أدري يا سيدي هل بقيت سيدتي في الجزيرة أم نقلوها لمكان خارج الجزيرة ؟ لأني

بحثت وتعسعست أشهرا عنها دون أن أقف لها على خبر .. بل عرفت مكان هؤلاء المجرمين ؛ حيث يعيشون في الجبال في تلك الجزيرة ولم اجدها عندهم .. وعلمت أنهم عصابات من عدة جزر يستولون على السفن وبيع الركاب لتجار النخاسة والعبيد .. وعلمت أن حكام تلك الجزر يتشددون في عقابهم ويقتلونهم شر قتلة ؛ لأنهم يقللون من سفن التجار والركاب إلى مدنهم .. ولكنهم احترفوا هذه المهنة ويجدون من يبتاع منهم .

بكى القوم فقيدتهم واحتسبوا أمرهم عند الله ، ووعدهم الخادم قمص بالعودة للبحث عنها من جديد ، ولن يطيب له عيش حتى يعرف مصيرها أحية هي أم ميتة ؟

فأثنى عليه جاد خير الثناء وشكره على جهده والوفاء ، أما اسد الغابة فقد ركبه الحزن الشديد عدة أيام ، وكان يفكر بطريقة يصل بها إلى أمه المفقودة منذ شهور .

وكان جاد يعلم مقدار الالم في صدر اسد فقد امسى وحيدا في هذا الكون .. لا أم ولا أب .. فحثه على الصبر وعلى بقاء الامل في قلبه وأنها سوف تتحرر من آسريها في يوم من الايام كما فعل قمص . وشجعه على المتابعة للتمارين فقد اعلمه زيدان انهم بعد انتهاء التمارين سيلحقونكم بجيش الأمير (سلعود) ابن الملك وأن قمصا سيذهب للبحث عنها واذا وجدها أسيرة سيفتدونها بالمال .

وفعلا بعد مضي شهر على عودة قمص تجهز الرجل للسفر الى جزيرة سعدة ليعرف أين يبيع القرصان أسراهم .. أي الجزر تبتاع منهم ؟.. ليبحث عنها في تلك الجزر ووعدهم بالعودة بعد ستة اشهر فشكروه وودعوه .

الحزن سيطر على اسد الغابة وحتى عفر .. فالأم له معزة في قلب الابناء فكيف بأسد الغابة الذي ليس له في الدنيا إلا هي ؟.. أين أقاربه وأعمامه وأخواله ؟.. أكلهم هلكوا كما اخبر قمص ؟ فكان يكثر من البكاء على حاله ولم يعد تراه ضاحكا واخذ يفكر بالانتقام لها من كل غزاة البحر وقراصنتهم .. وحاول جاد مساعدته بترك الحزن الاسود والبكاء .. وفعل مثل ذلك عفر .. وسيطر عليه حب الانتقام .

مضت سنة ولم يعد قمص ولم يكتب رسالة ولا خبر من طرفه . بعد ما يزيد عن خمس سنوات ظهر قمص في مدينة عيسى وقد تفاجأ جاد واسد وعفر بظهوره بعد كل هذه السنين واخبرهم بأنه ظل يبحث ويسأل عنها حتى وجد السيدة شجرة جارية في بلاد حمامة ورحل بها إلى بلاد الشواهد حيث وجدت والدها الصياد جرو البحر وأنها ترغب برحيل أسد الغابة لعجزها عن السفر .

تحدث اسد وعفر مع قائدهم عن أمه فسمح لهما

بالسفر لبلاد الشواهد وقال : إذا احتجتم لمساعدة اكتبوا لنا ليساعدكم ملك البلاد .



قادهم قمص إلى بلاد الشواهد ، والتقى أسد بأمه وسط عناق وحب وعانق عفر زوجة أبيه ، ثم كاشفت حورية أمام ابيها جرو البحر أسد الغابة بمن هو وقصتها ، واكد جرو الحكاية لأسد وعفر ، وانتشر الخبر بين الصيادين بظهور ابن الملك سماك من حورية الماء ، ومشى الخبر إلى قصر قروان وظهرت شيماء بنت حورية وشقيقة اسد حيث كانت تعيش بصورة مختفية خوفا على حياتها ، ولما تأكد أهل البلاد من حقيقة أسد الغابة ، وتحدثوا عن نبوءة سماك تنازل قروان امام رغبة الصيادين وجلس اسد الغابة على عرش بلاد الشواهد واستعان بقائده زيدان وبعض فرسان مدينة عيسى لتأسيس جيش على غرار تلك البلاد ، ورحل جاد زوج حورية لبلاد الشواهد ، وقد صاروا أهل الملك والملكة حورية ، وكذلك زوجة أسد وطفله الصغير الشبل ، وعجب الناس لتصاريف القدر ، وتمنوا عودة الهدوء والسلام لمدينتهم ؛ كما كانت قبل هلاك الملك سماك بن صخرة والحمد لله رب العالمين . انتهت حكاية الملك سماك .

روايات اجتماعية

عرض زواج

الحلقة الأولى

دعوة الجد

كان أمين بشبش تاجر الحبوب أو أحد تجار الحبوب والبقول في وسط سوق المدينة توتة يجلس في متجره الكبير عندما سمع جرس الهاتف يرن فأشار لأحد العمال عنده بالرد ،ويسمع ماذا يريد المتصل ؟ ظانا أنه صاحب متجر صغير يطلب طلبية ، ولم يرد بنفسه ؛ لأنه كان يتحدث مع تاجر مجاور له في السوق اسمه حمدان .

فقال العامل أو الموظف : المعلم فريد ابن حضرتكم يا معلم أمين !

تناول السماعة هازّا رأسه بشكر الموظف وقال : أهلا فريد .. الحمد لله .. جدك يرغب بلقياك أنت وغسان .. ما الموضوع ؟!

قال فريد : لم يصرح بشيء ؛ ولكنه راغب برؤيتنا الليلة .

ـ أنتم فقط !

ـ نعم ، نحن الاثنان ما الأمر يا أبي ؟ اعتقدت أن لديك فكرة .

رد أمين باستغراب: لست ادري ! قد يكون

الموضوع عن زواجكم .. عن زواج لكما إذا كان هو نفس حديث قبل أيام .. فلزمت الصمت ؛ ربما هذا الموضوع .

ـ زواج من ؟!

ـ زواجك أنت وغسان باشا ، وليس زواجي بالتأكيد .. فأم حاتم حية بعد !

ضحك فريد وقال : جدد وعدد .

قال مجاملا : لو لم تمت أمكما ما جددت .. النساء غم ، ولابد منه .. فاعتقد أن هذا هو الموضوع

فقال فريد باستغراب وحيرة : وما دخل الجد في زواجنا نحن الاثنان ! أتراه مشفقا علينا من العزوبية ؟!

تبسم الوالد وقال : عندما ترياه سيتضح لكما الأمر وستفهمان القصة الغريبة

ـ أنا تزوجت ابنة الصياد صاحبك ، وفشلت وهجرتني أو طلقتني من سنوات؛ ربما خمسة أعوام

قال أمين مبررا فشل زواج ابنه من ابنة صديقه الصياد : تريد ذرية وأنت لا تريد !

قال : أنا أريد ؛ ولكنني لست مستعجلا قلنا على مهل .. لم أكن مرتاحا معها فخشيت على الأطفال

ختم التاجر قائلا : حسنا ، نلتقي بعد مجيئكما .. هل سيذهب غسان ؟!

ـ حدثني أنه سيذهب .. وهو مثلي محتار ومندهش من طلب الجد عيسى.. فهو من النادر أن يتحدث معنا .. مع السلامة

وضع أمين السماعة وقال لحمدان : فريد يحييك ويسلم عليك أبا وطفا .. من أين استوردت هذا الاسم ؟

ـ صدق لا اعرف .. لا ادري حقا أبا غسان ! كانت بكري فسماها أبي غفر الله له ولنا وطفا فقلنا ولا الضالين أمين يا حج أمين !

ـ أمين أمين

ولما انصرف حمدان لدكانه خاطب نفسه : هل هو نفس موضوع شقيقي عمار المهاجر إلى الغرب البعيد منذ عشرات السنين؟! هناك قصة بينه وبين أبي .. بنات عمار المطلقات .. لقد تعلمن تعليما عاليا طبيبات على ما اذكر وحسب قول الوالد .. ولم يرغبن بالزواج من أقارب أبيهن ؛ كما لمح أبي .. فأمهن كندية ومنفصلة عن عمار من سنوات طويلة ، وهن صغيرات ، وترك كندا وسافر إلى أمريكا هكذا كان يحدث أبي ومن قبله أمي .. أخي المهاجر حياته عجيبة فله ثلاثون سنة هناك ، ولم يأت توته ولو مرة واحدة .. ما الذي يعجبهم في تلك الدنيا ؟! أتختلف عن دنيانا هذه ؟

ثم عاد للبيع والوزن والحبوب والبقول .

***

غسان أمين شاب ممتلئ البدن ومعتدل الطول

يقف أمام محل التصليح الخاص به ـ فهو يعمل فنيا لتصليح السيارات الصغيرة الحجم مع ابن خاله طارق؛ وذلك بعد أن ترك العمل على الشاحنات والحافلات الخارجية ، فهو تعلم المهنة قبل الثانوية العامة وبعدها ، ولما رخص له بالقيادة للمركبات الأكبر ترك محطة التصليح ، وعمل على النقل الخارجي إلى العراق وسوريا ولبنان والأردن ومصر وليبيا وبعض دول الخليج العربي ـ فسلم عليه فريد وقال : آ .. يا صاح هل أنت جاهز للقاء الجد عيسى ؟ ألم يحدثك عن سبب اللقاء الخاص ؟!

قال غسان وهو يرحب بشقيقه الأصغر : لا ، سنرى بعد قليل .. وأنت هل علمت شيئا ؟

ـ أبونا يظن أنه مشروع زواج .

صاح غسان دهشا: زواج ! ..زواجنا نحن.. من سيزوجنا عيسى بشبش ؟!

ـ أبي يتوقع ذلك ، وأن الزوجات بنات عمك المجهول عمار .

قال : عمار الذي لا نعرف عنه شيئا ، ولا حتى نعرفه ، فقط نسمع باسمه .. عنده صبايا كبيرات هو اصغر من أبينا قال متذكرا : سمعت أن لديه بنتان .. سمعت ذلك قديما .. وانهنّ طبيبات ، وأمهم كندية عرفها في الأرجنتين ، وهي أخت امرأته التي قتلت ؛ كما سمعنا، فبعد مقلتها هاجرا معا إلى كندا وتزوجها بدلا من أختها ، وولدت له ثم انفصلا .. فغادر مونتريال أو تورنتو إلى نيويورك أمريكا

ـ هو بناته صغيرات ولم يتزوجن

قال مجيبا: كيف صغيرات وقد تعلمن الطب يا رجل ؟!لا اعتقد أنهن صغيرات أو متخرجات من الكلية .. ولا اعرف تفاصيل حياتهنّ .. فالكلام عن عمار ؛ كأنه مات منذ هاجر .. لا يتواصل إلا مع أبيه عيسى فقط .

ـ هذه حكاية يا أبا السعد !

ـ والله فعلا إنها حكاية ! متى ستغلق محلك ؟

صاح مناديا على طارق شريكه : طارق طارق !

خرج شاب من جوف المحل وقال : آ .. يا سيدي !

ـ هل سيتأخر عبده ؟

قال طارق مصافحا ابن عمته فريد : أهلا فريد كيف أنت ؟ لماذا؟

ـ ألم اقل لك أن الجد عيسى اتصل بي وطلب اللقاء بي لأمر هام أنا وفريد .

ـ قلت ذلك امس ظهرا يا ابن الأجاويد .. ما أخبارك يا فريد ؟وكيف الوالد وإخوانك ؟

قال : كلنا بخير وأنت كيفك والأهل ؟ وكيف الخال الأمير ؟

قال : بخير مثلك .. اذهب يا غسان وأنا سأغلق

المحل لما يحضر عبده وينور.

قال فريد : شكرا .. اركب يا غسان !

ـ سأتبعك بسيارتي .. عندنا الليلة سهرة مع عدون الضاوي والشلة .

قال : من عدون ؟

ـ عدنان يدلعونه بعدون .

***

كان الجد عيسى بشبش يسكن في فيلا كبيرة ، فهو من أثرياء توتة ، ومعروف للكثير من سكان المدينة ، وفتح الخادم جودة لهما البوابة الرئيسة مرحبا بهم ـ وهو معروف لهما فهو في خدمة جدهم منذ وعوا ـ وساقهم إلى غرفة الاستقبال ، وسألهم عما يشربون ، ورحبت بهم زوجة جدهم الأخيرة ، فالجد تزوج ثلاث مرات بدون تعدد ، أم أمين وعمار وعماد وبنات ، ولما هلكت تزوج الثانية ، وبسبب عجزه عن الخلفة تطلقت ، ثم تزوج هذه الأرملة أم سليم الحاجة فايزة ، فلما رحبت بهما ، وقدم لهما الخادم جودة القهوة والماء حضر صاحب البيت الحاج عيسى بشبش وهو يقترب من السبعين عاما ، وقام العناق والتقبيل ، ثم عادوا للجلوس ، وسمح لهما بالتدخين لعلمه بأنهما مدخنان ، ثم قال : أنتم لا تعرفون عمكم عمارا شخصيا .. فأنا لي ثلاثة ذكور وثلاث بنات من جدتكم بامية كما تعلمون .. فعمار هاجر قبل زواج أبيكم بأشهر ولم يأت زائرا ولا مرة .. فهاجر في البداية للأرجنتين ، وتزوج امرأة أرجنتينية من أصول كندية ؛ ولكنها قتلت لأسباب لا اعرفها بالتفصيل ، فرحل لكندا مع شقيقتها وهناك تزوجها ، وعاش في كندا وولدت له بنتين قبل انفصالهما حسب ما قال ، والبنتان عاشتا مع أمهما حسب ما قال وحسب قوانينهم ، وهاجر بعد الانفصال إلى أمريكا واستقر فيها لليوم حسب معلوماته ، وكبرت البنتان وتعلما طبيبتين وتزوجتا من أبناء كندا ، وأمهن وجدت من يعاشرها ، والآن البنات مطلقات ويرغبن بالزواج من أقارب أبيهم ؛ لأنهن طُلقن بسبب عربية أبيهم وأنه من أصول مسلمة وعربية ، فهنّ راغبات بالزواج من أقارب أبيهنّ كما يزعم عمار .. وتحدث معي بهذه الغاية ، فرحبت بالفكرة وقلت لأمين بذلك وأنني رشحتكما لهذه الغاية ؛ فأنتما مطلقون وهنّ مثلكن .. فإذا قبلتم بالزواج منهنّ ، فهو يبدو مستعدا للحضور بهن للزواج ، واذا أحببتم السفر للزواج والحياة هناك ؛ فهو مستعد لذلك ، وهو الأفضل والأحسن في رأيه .. والأمر ميسر فحسب كلام عمار يرغبن بالاستقرار العاطفي ، فلم ينسجمن بأزواجهن الكنديين .. فهؤلاء الكفار لا يرتاحون لامرأة واحدة ؛ كما هو شائع في تلك الديار .. وللأسف انتقل هذا التأثير لبلاد العرب والمسلمين

فأصبحت تستساغ الخيانة الزوجية ؛ فاذا وافقتما على الاقتران والزواج .. فنتابع المشروع ونتوقف عن عرضهن على غيركم من الأقارب .. فيمكنكم العيش بهنّ هنا أو العيش هناك اذا رغبتم بالزواج منهن .. فالاختيار لكم ولهن .. فبالزواج تحصلون على الجنسية الكندية أو الأمريكية جنسية عمار ..ويمكنكما العيش في أمريكا كما يفضل عمار .. فأمريكا وكندا تقريبا نفس الحياة والنظام والعادات .. هذا ما عندي .

خيم الصمت للحظات فقال غسان مذكرا جده : أنا لست طبيبا يا جدي !

تبسم الجد وقال : عمار يعرف ذلك .. ذكرت له وظيفة كلٌ منكما .. فقال عادي لا ينظر هنا للشهادة المهم العمل والمال .

فقال فريد : وهل هنّ يعرفن ؟

قال بحزم : الجد أكيد أكيد .. أنا لا اعرف البنات إلا في الصور التي يرسلها عمكم .. هات الألبوم يا حجة فايزة بارك الله فيك .

نهضت أم سليم وهي تبتسم ، فقال غسان : أيمكنهن الاستقرار هنا وهنات بنات كندا والغرب أم مجرد كلام ؟

رد الجد : الأجانب الغربيون هنا تهتم بهم الدول اكثر من المواطنين يا بني .. فسفاراتهم ليست كسفارتنا .. فهم يرعون مواطنيهم باحترام ومسؤولية .. فالسفير يهتم بهم .. هو اقتراح من عمك .. وقلت لكم هو يفضل الهجرة .. ومع الوقت قد يقتنعن بالعيش في بلادنا.. ومثله موجود في البلد .. فزهير حماد متزوج ألمانية وتعيش معه هنا .

فقال فريد : أنا تركت زوجتي مها الصياد لعدم رغبتي بالولادات وعكفت عن الزواج .. أفتراها تقبل بذلك الشرط ؟

قال الجد : هذا امر خاص بينكم .. فكروا بروية .. فمرة سمعت والدك يقول إنكم تفكرون بالهجرة مثل عمكم عمار إلى الغرب.. وهذه فرصة على طبق من ذهب كما يقال .

اهتزت الرؤوس تبسما فقال فريد: نطقت بذلك يا جدي العزيز ولم أحاول ! والله إنها فرصة لكن هؤلاء النسوة صعب إرضائهن ؛ فحتى العربيات المهاجرات تطبعن بأخلاقهن وعاداتهن .. لي اكثر من صديق هاجر وفشل زواجه منهن .

قال غسان: أنا سنحت لي فرصة للهجرة غربا مع صديقنا جهاد بعبع يا فريد وشجعني على ذلك كثيرا خاصة بعد طلاقي لسامية البيروتية .. ربما مواساة !

قال الجد : هذه هي الحياة بين فرح وترح وحب وكره وسفر واستقرار .. كثير من أهلينا ومعارفنا هاجر للخليج العربي للتعليم والتدريس والعمل

ويهاجرون لأوروبا الشرقية للتعلم والدراسة وقد تزوج بعضهم من بناتهم وللانبهار بالمعسكر الشرقي كما ترون بعضهم سعد وبعضهم الآخر شقي وطلق .. هذا الموضوع هو أيها الاحبة ..فأنا فكرت بكما أولا .

فقال غسان : وكيف اقتنع عمنا بزواجهن من أقاربه ؟

قال عيسى : هذا كلامه معي .. فأنا لا اعرف التفاصيل والسبب الحقيقي لرغبتهن من الزواج من أقاربه بالذات .. فتلك البلاد تكثر فيها الجاليات العربية والإسلامية .. قال إنهن مقتنعات بذلك .. وبعد الموافقة المبدئية قد نعرف وسنفهم سبب هذه الرغبة .

قال فريد: ليس لديهن أطفال من أزواجهن الأُول

_ نعم ، لم تطل فترة زواجهن ، ولم ينجبن حسب ما نقل .. عليكم بالتفكير فاذا لم تحسموا امر الزواج نبحث عن غيركم من أبناء عائلة بشبش

قال فريد : سأفكر يا جدي كما تريد.. وأدرس القصة والغربة .. وغدا سأتصل بك مخبرا برأيي

وقال غسان : وأنا مثله مثل فريد سأفكر وأقرر .

هجرة عمار

عندما كان عمار شابا في الثانوية العامة كره المدرسة والتعليم فتركها وانصرف لسوق العمل فكان الحال في مطلع الخمسينيات صعبا على العرب في الشام والعراق ومصر بسبب نكبة فلسطين ، وولادة دولة صهيونية مجرمة على ارض فلسطين ، دولة لسانها عبري ودموي ، وكان الشباب ساخطا ناقما على أنظمة حكمه ، وكثرت الانقلابات في سوريا وانقلاب في مصر وآخر في العراق واليمن ، وتشرد اكثر من نصف شعب ارض فلسطين ، وظهور بما يسمى مخيمات اللجوء في فلسطين وما حولها من تقسيمات سايكس بيكو ، وفتحت أبواب الهجرة للشباب العربي في الأميركتين ودول الخليج العربي وبعض أوروبا .. فتعلق عمار عيسى بشد الرحال للبرازيل أو الأرجنتين فكانت الهجرة إليهما ذلك الحين اسهل من دول الخليج ؛ حيث لم تكن ثروة النفط قد برزت بشكل كبير ، وكانت محتكرة من دول الاستعمار .. فتيسرت لعمار فرصة لمرافقة أفراد من عائلة بشبش وغيرها للهجرة إلى بيونس آيرس في الأرجنتين ، وكانت تلك البلاد مفتوحة للعرب والشوام من عهد الدولة العثمانية للهروب من الخدمة العسكرية الإجبارية ولضعف الاقتصاد العثماني ، فقد كانت الدولة تغرق بالمديونية.

للعرب تجمعات صغيرة وكبيرة في تلك البلاد الشاسعة في غرب الكرة الأرضية .. العمل متيسر للشباب العربي سواء مع العرب بأجناسهم المختلفة اللبنانية السورية الفلسطينية المصرية

المغربية لم يجد صعوبة في العمل في المطاعم الشرقية المقاهي الملاهي المحلات التجارية الصناعية الزراعية والمخدرات ونقلها بين دول أمريكا الجنوبية والشمالية ، ومن يشتغل بزراعة الحشيش فعليه بعمل يغطي عمله هذا ؛ لأن زراعتها ممنوعة والتجارة فيها كذلك ؛ ولكنها موجودة ، ولها عصابات منتشرة في كل بلدان أمريكا الجنوبية من بوليفيا وكولمبيا والبيرو وتشيلي لأن قادة العسكر والانقلابات متتابعة فيتبع ذلك الفساد والفوضى والفلتان الأمني .

كان عمار يعمل مع فتاة مهاجرة من كندا بصحبة أبيها في التهريب لكندا ونيويورك وتزوجها بأمر من والدها لتيسير انتقالهما للولايات المتحدة وكندا والمكسيك ، وصراع العصابات دموي ومرعب في تلك البلاد ، وتعرض والد الفتاة الكندي وزوجة عمار للقتل ، وحبس حتى برئته المحكمة من مؤامرة اغتيال الأب والزوجة ، وأن القتلة عصابة معروفة للبوليس ، فهرب مع البنت الثانية إلى وطنها الأول في كوبيك ، وهناك تزوجها رسميا ، ثم ولدت له تؤاما كاترين وجاكلين ، وكان عمار يتنقل بين نيويورك ومونتريال ؛ وكلما يعود يجدها بين يدي عشيق جديد فاتفقا على الطلاق خشية أن تلد وتنسبه اليه ، وانتقل إلى نيويورك إلى العمل في شركة ملابس كبيرة ، وظلت له علاقة ودية مع زوجته الكندية ، وترك الزواج بسبب تنقله بين الولايات في نقل البضائع وجلبها ، ثم امتلك شركة خاصة بنفس النمط ، وكانت هذه الشركة المملوكة تساعده في تهريب المخدرات بين الحين والأخر .

***

فهذا حديث يذكر عن الجريمة بأشكالها في الأرجنتين ثاني أكبر دولة في أمريكا الجنوبية بعد البرازيل ، وتخضع حدودها للاختراق من قبل عصابات التهريب والجرائم ، مما يسمح للمخدرات والأسلحة وغيرها من السلع غير المشروعة بالدخول إلى البلاد وعبرها بسهولة .

ساهم الفساد المتجذر في مختلف فروع الحكومة الأرجنتينية في تأجيج الإجرام المستمر في الأرجنتين ثاني أكبر دولة في أمريكا الجنوبية .

تنتشر في الأرجنتين العديد من الجماعات الإجرامية المحلية ذات الانتشار الدولي، لكن المنظمات الإجرامية قامت منذ فترة طويلة بأنواع مختلفة من الأنشطة غير المشروعة في البلاد.

الجماعات الإجرامية المحلية صغيرة نسبيًا إلا أنها طورت روابط مع جهات فاعلة، لذلك زادت تطورا وقدرة على العنف.

هناك عصابة مخدرات دولية يتركز نشاطها في منطقة لاماتانزا ، بمقاطعة بوينس آيرس عاصمة

الأرجنتين. قامت العصابة بعمليات اتجار مخدرات محلية في حي فقير يسمى لاس أشيراس. وقد صادرت السلطات كثير من جرعة الكوكايين ومن الماريجوانا وأسلحة من العيار الثقيل. . وهذا يتكرر بين حين وآخر .

نشرت العديد من وسائل الإعلام بأن عصابات أمريكا الوسطى المسماة ماراس قد أقامت عمليات في الأرجنتين، لأن هناك تواصلا وتعاونا دائما بين هذه المنظمات الإجرامية في كل القارتين شمالها وجنوبها وجيل يسلم لجيل .

أنشطة عصابات المخدرات فاعلم أنه يتم تهريب الكوكايين من بوليفيا المجاورة للأرجنتين عن طريق الجو والبر ؛ كما يتم تهريب الماريجوانا والكوكايين عبر الحدود الشمالية الشرقية مع باراغواي في المقام الأول عن طريق النهر.

بدأ سوق المخدرات المحلي في الأرجنتين في التوسع خلال فترة السبعينيات، وفي أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات، تواطأت الشرطة في المناطق الحضرية مع أفراد الجريمة المنظمة من خلال تعاونها لإنشاء مناطق محررة تشير إلى المناطق التي سمحت فيها أجهزة إنفاذ القانون للجماعات الإجرامية بالعمل مقابل خفض من أرباحهم غير المشروعة ، ويقال إن هذه الممارسة مستمرة حتى يومنا هذا ، وتلعب دورها في تسهيل نمو شبكات توزيع الأدوية بالتجزئة.

قامت عصابات اللصوص الأرجنتينية بإحداث فوضى في قلب الأراضي الزراعية في الأرجنتين، حيث قاموا بالعديد من عمليات السطو والسرقة المتمثلة في ذبح الماشية وسرقة الخيول علاوة على سرقة أطنان الحبوب من الصوامع. وقامت عصابة سطو مسلح بقتل سائح بريطاني بالرصاص استهدفه اللصوص لسرقة ساعته الراقية عند وصوله إلى مطار إيزيزا الدولي خارج فندق فخم في بوينس آيرس ، وأصابوا آخر في منطقة سياحية فاخرة تعرف باسم بويرتو ماديرو ، وتم إلقاء القبض على أربعة أعضاء من العصابة يشتبه في تنسيقهم للجريمة.

يمكن أن تحدث الجريمة في أي وقت وفي أي مكان في الأرجنتين حيث يرتدي المجرمون ملابس أنيقة لذلك يصعب اكتشافهم.. يبحث اللصوص عن المجوهرات والساعات والهواتف المحمولة والكاميرات باهظة الثمن، كما يستهدفون المحافظ وحقائب الظهر وأجهزة الكمبيوتر المحمولة والأمتعة، وغالبًا ما يستخدمون طرقهم الاحتيالية ، لذلك يستغرقون بضع ثوانٍ فقط لسرقة الأشياء الثمينة.

تركز عصابات السرقة نشاطها في سرقة الحقائب من الكراسي ومن بين الأقدام في المقاهي والمطاعم

؛ بحيث يكون اللصوص على الأقدام أو يركبون الدراجات النارية ويُعرفون محليًا باسم **motochorros** حيث يحتجزون الحقائب وحقائب الظهر وأجهزة الكمبيوتر المحمولة والأمتعة بالإضافة إلى استهدافهم السيارات خاصة خلال حركة المرور المتوقفة من أجل التحطيم والاستيلاء.

حدثت سرقة للشاحنات بشكل رئيسي على الطرق السريعة في مقاطعة بوينس آيرس الشمالية، خارج المدينة ؛ وعلى الطرق الجنوبية لمقاطعة سانتا في .. ويشار إلى لصوص الطرق السريعة باسم **piratas del asfalto** قراصنة الأسفلت .

العصابات الأرجنتينية والسياح على الرغم من ندرة محاولات السطو العنيفة ضد السياح في بوينس آيرس، إلا أن الجرائم تنتشر بصورة كبيرة ؛ حيث أصيب سائح سويدي برصاصة في ساقه خلال عملية سطو مسلح على الحي السياحي الشهير سان تيلمو ، كما تعرض رجل كندي للطعن في محاولة لسرقة هاتفه الخلوي في نفس المنطقة من المدينة.

تعد بوينس آيرس موقع تهديد خطير للجريمة الموجهة أو التي تؤثر على المصالح الرسمية للحكومة الأمريكية. يعد المواطنون الأمريكيون من أوائل ضحايا السرقة و السطو غير العنيف، خاصة في الأحياء السياحية.

تمثل جرائم الشوارع في المدن الكبرى (مثل بوينس آيرس وروزاريو وميندوزا) مشكلة مستمرة للسكان المحليين والسياح ، يجب أن ينتبه زوار الوجهات السياحية الشهيرة إلى اللصوص والنشالين والمحتالين وخاطفي الحقائب. حيث تزايدت عمليات السطو المسلح العنيفة في ضواحي بوينس آيرس الشمالية ، يجب على السياح الذين يسافرون إلى منطقة لابوكا في بوينس آيرس أن يقصروا زيارتهم على الشارع السياحي المحدد خلال ساعات النهار فقط.

وفقًا للأساقفة ، فإن تجارة المخدرات قد رسخت نفسها الآن في جميع أنحاء البلاد ، مع تغلغل قوي خاصة في أفقر الأحياء في ضواحي المدن الكبيرة ، مما أدى إلى تدمير العائلات وزرع الموت. وكتبوا : كل ما يتعلق بالمخدرات ينزع الصفة الإنسانية ، ويلغي هدية الحرية ، ويغرق خطط الحياة بالفشل ، ويخضع العائلات لتجارب قاسية . وبحسب المعلومات التي وردت وكالة فيدس ، يدور صراع دموي في روزاريو من أجل السيطرة على سوق المخدرات ، الذي يرى مهربي المخدرات من جهة وبعض أفراد الشرطة والسياسة والقضاء من جهة أخرى ، وكما تقول المذكرة: "لقد تحقق هذا الوضع الخارج عن السيطرة بتواطؤ وفساد بعض

القادة ، يشتبه المجتمع في كثير من الأحيان في أن أعضاء قوات الأمن ومسؤولي العدالة والسياسيين يتعاونون مع جماعات المافيا. تعرب اللجنة الأسقفية عن تضامنها وقربها من فريق أبرشية الرعوية الاجتماعية في روزاريو ، حيث تعيش المدينة في ظل حالة من الظلم ، بسبب عدم وجود إجابات من مختلف مستويات الدولة الممثلة في القضاة والمسؤولين في الديمقراطية. علاوة على ذلك ، لوحظ الارتباط بين هذه العصابات الإجرامية المنظمة وهياكل التهريب وغسيل الأموال وآليات التهرب الضريبي.. بالإضافة إلى ذلك ، يجب مراعاة أن هذه المنظمات الإجرامية كثيرا ما تشارك أيضا في الاتجار بالبشر لأغراض العمل والاستغلال الجنسي والاتجار بالأسلحة هذا ملخص عن الجريمة والعالم السفلي في الارجنتين إلى يومنا هذا .

جلسة مع أمين

ذهب غسان اكبر أبناء أمين إلى سهرته ، ودخل فريد بيت الأسرة ، وقالت له أخته مريم من أبيه : أبوك في انتظارك في صالة الجلوس .

لم يتجه لغرفته في بيت والده فإنما مشى جهة غرفة الجلوس ، وألقى السلام على الموجودين أبيه وزوجة أبيه أم حاتم ومن يجلس معهم .

فقال أمين مرحبا : عدتما من عند أبي .

قال : نعم ، وسلام الله عليكم جميعا .. كيف حالك يا أم حاتم ؟

قالت : تفضل بالجلوس يا فريد !.. أهلا وسهلا .. قبل أن أنسى ..حمزة الوائل سأل عنك ويسلم عليك .

قال : سلمكم الله .. كنا على موعد لزيارة أخ لنا مريض .. هو أستاذ معنا في المدرسة .

فقال أمين مستفسرا : ماذا يريد الجد ؟

ضحك فريد وقال : كما قلت .. زواج .. زواج من ابنتي عمنا المهاجر ابنتي أخيك .. فابنتاه ترغبان بالزواج من عربيين ؛ لأن والدهما عربي، ومن أقارب أبيهما العم عمار .. هل رأيته منذ هاجر ؟

ضحك أمين بدوره وقال : لا ، منذ سافر نسمع أخباره .. نسمع من أبي فقط ، وحتى لما ماتت أمك ـ رحمها الله ـ لم يعزينا .. لقد رحل في ظروف صعبة كانت تمر بها بلاد العرب خاصة المحيطة بفلسطين .. كانت نكبة فلسطين مأساة وصدمة لجميع العرب.. والعمل والوظائف كانت شحيحة .

قال فريد أستاذ اللغة العربية : كان عدد السكان قليلا .. وكانت دول إفريقيا العربية تحت الاستعمار الفرنسي ، وحتى الدول المستقلة كانت تخضع للسيطرة البريطانية فجاءت النكبة العربية كارثة لكل العرب والأنظمة .

قالت أم حاتم : صحيح .. فسكان قليل يحتاج

لوظائف اقل.. أليس هنّ متزوجات يا أمين ؟
قال فريد مجيبا : كانتا متزوجتين من أجانب ؛ ولكنهما مطلقتان اليوم مثلنا بسبب فساد أزواجهن وبسبب نظرة الأجانب العنصرية لجنسنا العربي.. وهنّ حسب كلام الجد طبيبات أي متعلمات وليس شرطا أن نكون نحن الأولى ؛ لكننا اختيار الجد عيسى ؛ فاذا لم نوافق سيتحدث مع غيرنا من شباب العائلة .
قال أمين : وأنتم ماذا قلتم ؟
ـ سمح لنا بالتفكير للغد ؛ لأننا قد نضطر للهجرة في مرحلة من مراحل الحياة لتلك الديار وهناك احتمال أن يعشن هنا في بلادنا اذا مالت قلوبهن لذلك .. وأرى ذلك استدراجا إما من الجد وإما من شقيقك عمار .
فقالت أم حاتم معلقة : حياة الأجانب أولئك غريبة وفيها كثير من الانحلال .
فقال أمين متذكرا عربية زوجة غسان : ما هي امرأة غسان فضحتنا !
فقالت محتجة : فضحت نفسها .. وهو التقطها من بار وخمارة يا أمين !
فقال فريد : كلام أم حاتم صحيح كان اختيارا سيئا كاختياري .
قال أمين محتجا على كلام فريد : لم يكن اختيارك سيئا .. المرأة تحتاج إلى أطفال لتسكن وتستقر والسيد الصياد رجل محترم وصديق فاضل .
ـ قلنا نصبر عشر سنوات قبل أول مولود .
قالت أم حاتم : لما تكبر المرأة يا أستاذ فريد يضعف الرحم ويفسد عن الحمل ..وهي اليوم قد تزوجت ولها طفل .
ـ الحمد لله .. خلصت منها .. لا ادري كيف تزوجتها ؟!
قال أبوه : كما يتزوج الناس .. أهلها أصحابي وناس محترمون ؛ لكن الذرية قضية مهمة في حياة المرأة كما أشارت امرأتك أبيك .
ـ أكيد .. أنا لست ضد مبدأ الولادة والحمل .. فهذه سنة الله في خلقه .. هذ هو موضوع الجد زواج بنات شقيقك منا .
قالت أم حاتم :الزواج هنا أم هناك ألم يحسم ؟ !
ـ محير .. غامض.. لم يحسم بعد.. والأغلب هناك ..فذكر هنا تشجيع واستدراج والله اعلم .

***

مضت أيام على سماعهم عرض جدهم ، ثم طلب عيسى من ولده أمين أن يحضر مع ولديه غسان وفريد للحديث حول زواجهما من بنات عمار ، فعيسى تلك الأيام يباشر العمل من داخل البيت ، فقد سلم التجارة لابنه الصغير عماد الذي عمل معه من عهد ليس بالقصير.
التقوا ليلا أمام قصر الجد ، وفتح لهم الخادم جودة

البوابة كالعادة ، والتقوا بعيسى في غرفة الاستقبال فجرى الترحيب والاطمئنان ، ولما وضعت القهوة أمامهم قال عيسى: آ يا أمين ما تقول أنت في هذه الزيجات التي لم تخطر على البال ؟
ضحك أمين ضحكة خفيفة وقال وهو يرفع كوب القهوة ويثني على الخادم : لست أنا من سيتزوج يا أبي ! الرأي للشباب .. ولهم أسبوع يفكرون .
التفت الجد جهة غسان الابن الأكبر لأمين : آ يا غسان كان موعدنا يوما ثم شغلنا بموت عصمت رجب ما قلت ؟
قال : الأمر جيد ! والعرض مقبول .. ولكن لا تنسى أنها طبيبة كما ذكرت لنا.. وأنا لا شيء ابن الثانوية العامة .. هل هذا مناسب يا جدي ؟
أجاب ببطء وتفكير : هؤلاء الناس لا يفكرون مثلنا بالشهادات والمستوى العلمي .. ممكن دكتورة عندهم تتزوج عامل ملهى أو حانة .. المهم أنه يعمل وله دخل .. فهم شركاء في البيت والنفقات.. لا يتكلف الرجل وحده بالنفقة مثلنا .. الرجل يعمل والمرأة تعمل .. فالمشاركة من الطرفين على حد سواء وبرضا .. فلذلك عندهم يعيش رجل وامرأة بدون عقد شرعي أو قانوني .. وممكن أن تنجب المرأة بدون زواج قانوني .. وبعد عمر يعترف بأنهم أولاد شرعيون واذا كان هناك عقد مدني أو زواج مدني فالانفصال سهل بتقاسم المال بينهم .. فهناك مسموح العقد بدون كنيسة وشريعة .. يسجل العقد في مؤسسة معينة بدون شهود بدون ولي كما عندنا هناك يكون الطلاق اعقد اذا عقد عن طريق الكنيسة والمؤسسة الدينية .. لكن نحن هنا أو هناك لابد من عقد زواج شرعي قبل القانوني .. فديننا يفصل وينظم ذلك .. لذلك تتحرك جمعيات النساء في بلداننا لفرض الزواج المدني في المجتمعات العربية والإسلامية ؛ ولكن الذي يقف ضده أولا الدين وثانيا العادات والتقاليد المعقدة .. الكاثوليكية الكنسية كما هو معروف تمنع الطلاق للابد إلا حالة الضرورة القصوى .. أما البروتسنتية فهي اسهل منها إلى حد ما .. عندما يسجل الزواج في سجل ومكتب الزواج المدني اصبحا زوجين بدون حفل أو رقص اذا أحبا ، ولهما أن يحتفلا بصالة ومرقص أو مطعم أو ملهى ليلي ويشهرا زواجهما بصحيفة محلية أو قطرية فالمرأة قد تجلب حبيبها وعشيقها للبيت والزنا رغم معرفة الزوج أو حتى بوجوده .. فالزنا مباح ما دام برضى الطرفين .. فحياتهم إباحية .. نحن نتميز عنهم في الزواج .. عندهم الزنا بالتراضي لا يعتبر زنا حتى لو كان لاحدهم صديق أو صديقة .. فزواجنا موثق بولي وشهود .
فقال فريد: ونحن كيف سيكون زواجنا منهن ؟
قال : على ديننا .. يسجل الزواج مدنيا كما عندهم

، ويوثق العقد شرعا حسب الشريعة والتقاليد الإسلامية كما تزوجتم هنا .. هم اخترعوا الزواج المدني حتى يتخلصوا من الزواج الكاثوليكي الذي يمنع الطلاق وغيره .. هل أنتم موافقون من حيث المبدأ ؟

فقال غسان مكررا : المستوى العلمي ليس ذات أهمية .

ـ لا ، لا ، وتناقشنا في هذه النقطة مع عمك .. وأنت يا فريد .

قال : إغراء الهجرة هذا ما يحملني على القبول والموافقة .

قال الجد : أنت يعني ترحب بترك الوطن ؛ ولكن ماذا ستعمل هناك ؟ أنت مدرس لغة عربية

قال فريد : نعم ، أنا أستاذ لغة عربية للمرحلة المتوسطة ، وهذا عمل موجود في كل دول الأرض

تبسم عيسى وقال : لكنهم لا ينطقون اللغة العربية والقواعد العربية ولا يهتمون بها كلغة علم

فقال أمين: ربما يحتاجها أهل التجمعات العربية والإسلامية

ـ صحيح هذا يا ابني ! لكنهم يهتمون باللغة الإنجليزية اكثر من لغتنا ؛ بل كما نسمع أن أبناءهم نسوا العربية .. فمن يتزوج أمريكية هل سيتكلم أمامهم بالعربية .. سيتكلم الأب المهاجر بلغتهم لتفهم عليه ، ويأخذ الأبناء ما يسمعون يا أبا غسان .. فحتى المهاجرين نسوا عربيتهم وتقاليدهم فلا اعتقد أن بنات عمار يعرفن شيئا عن العربية وعن الدين ؛ ربما بضع كلمات فإنهن كنديات عشن اغلب زمنهن في كندا الفرنسية ، فكندا لغتها الرسمية الفرنسية والإنجليزية ؛ لكن الإنسان يتعلم مع الزمن .. فستضطر يا فريد لتعمل عملا آخر .. هلا فكرت بذلك ؟ أما غسان مصلح السيارات فلغته عالمية .. كل البلدان تصلح السيارات .. فهي مهنة عالمية في الصين الصاعدة وفي أمريكا وفي أفريقيا

ضحك الجميع مع إعجاب بثقافة الجد وخبرته ، فقال غسان : معك حق ..أنا تعلمت المهنة قديما قبل العمل على الشاحنات الكبيرة ..وأحببت اخذ رخصتها للسفر للتنقل هنا وحول البلاد .. ولما تركت القيادة والشحن عدت إليها مع ابن خالي المعلم طارق من جديد

فقال فريد موضحا لجده : أنا فعلا منذ فارقتك من أيام .. وأنا أفكر بمهنة جديدة اذا لم يتيسر العمل في التدريس ، ففكرت أن اعمل في الترجمة فأني احسن الإنجليزية إلى حد كبير، واذا قويت نفسي بها وبلغة الأمريكان فهما من نفس الفصيلة والقرابة قد اشتغل مترجما .

فقال الجد : أكيد عمك سيساعدك في البحث والعمل .. وكذلك البنت .. فأنتم افهم لا تمانعون

من الهجرة إليهم ..وافهم أنكم موافقون على الزواج .

فقال غسان: مبدئيا نعم ؛ لكني أنا احب الرؤية قبل حسم الأمر .. أراها وتراني حقيقة .. ليس صورة كما شاهدنا المرة الفائتة

فكر الجد لثوان وقال : دون قبول أولي وحاسم فلا اعتقد يحضرن .. لماذا يحضرن ؟! هل يحضرن لمجرد رؤياكم ؟

قال أمين مبررا : سياحة التعرف على أقاربهن .. يتعرفن على جدهنّ وأعمامهم وعماتهنّ

قال بتأمل : سياحة.. تعارف علينا .. لم يفكر السيد عمار بزيارة منذ رحل .. كان يرفض فيقول لا شيء لي في البلد .. تعقد منا منذ قتلت زوجته الأولى في بيونس ايريس ويتهمنا بالتخلي عنه، ولم نساعده ماديا ولو بمليم واحد.. مع أنه لما سافر سافر على حسابي

قال فريد : وهل يسمح لنا بالزيارة ؟

قال أمين مجيبا عن أبيه : حسب ما اعرف أنه يسمح بالزيارة القصيرة بتقديم العم طلب للخارجية ونحن من السفارة الأمريكية .

قال الجد مستوضحا : هل معكم نفقات رحلة ذهاب وإياب؟ قد يحتاج النفر اكثر من ألف دولار .. فأمريكا بلاد بعيدة.. الوصول إليها يكون بالجو .. والتذكرة ذهابا وإيابا.. وتحتاجون لنفقات فندق وطعام فالرحلة حقيقة مكلفة.

فقال أمين: حاول مع عمار أن يرسلهن كزيارة .. فالمشاهدة افضل من الزواج دون معرفة ومقدمات.. والمشاهدة والمحادثة أفضل لهن ولهم .. أجرة الطيران يتكلفون بها .. والسكن والعيش لمدة أسبوع أو اقل نتكلف به نحن .. والمهر كم سيكون اذا وافقتا عند حضورهن .. فغسان دخله بسيط ، فهو ينفقه على الخمر والنسوان .. أحيانا يستلف مني ليدفع إيجار شقته الصغيرة والدخان .. فنهاره عمل وشغل وليله لهو ومسكر .

صاح غسان محتجا: كل ستة أو سبعة أشهر اشحذ منك .

قال : لتدفع أجرة هذه الشهور .. فريد وضعه احسن حالا .. فهو يدخن ولا يسكر.. والنسوان لا اسمع عنه شيئا .. ولكنه شغل مقاهي وملاهي وسينما ومطاعم ومسارح .. فلا تظن يا أبي أنهما يملكان الكثير .. فالمهر والطلاق يجب أن يكون واضحا قبل المغامرة .

تبسم فريد وفهم قصد أبيه والرسالة التي يجب أن يوصلها عيسى لعمار وابنتيه وقال على سبيل العتب : مغامرة ! .. يقال على قدر فراشك مد رجليك .. أليس هذا مثلا شعبيا يا جدي ؟ .. حسب ما نعلم أن أولئك النسوة مهورهنّ قليلة .. فلذلك يتزوج منهن الشباب المهاجر والمتغرب ..

إنما السكر والحفلات الكبيرة المترفة هي عند المشاهير والمليونيرات

قال الجد : سأتحدث مع عمار بمثل التفاصيل والرغبة بالمشاهدة لمجرد المشاهدة والرؤية وعن فكرة الزيارة لهن ولكم ونرى ما يكون الكلام .. قبل الجد هو مجرد كلام وثرثرة .

قال فريد مستفهما : هو عمي عمار متزوج بعد خروجه من كندا .

ضحك الجد وقال : بعد فشله مع الكندية أم البنات تركهن وهجر الزواج .. وأكيد اتخذ له صديقة أو عشيقة .. فعمار سافر وهو لا يفقه من الدين والإسلام شيئا .. وحتى وهو هنا لا يعرف الغسل من الجنابة .

فقال فريد : هجر الزواج فقط

عاد يقول متبسما وغامزا : نعم ، ولابد أنه يتسلى ببنات الهوى والمومسسات .. وهل يستغنى عن النساء يا فريد ؟

ابتسم فريد ورد : أنا بعد طلاقها لم أعاشر امرأة شريفة وغير شريفة .

التفت إلى عيني ابنه وقال :هل تصدق ذلك يا أمين ؟!

ضحك أمين وقال : بنات الليل موجودات في كل بلدان العالم جهرا وسرا ؛ والمواخير منتشرة ولكني لم اسمع صدقا عن فريد ، أما غسان فقد سمعت ، ونقل لي اكثر من مرة من اجل أن أزوجه من جديد .. وهو لا ينكر عندما يُسأل ؛ بل يذهب لقبرص واليونان للترفيه عن شهوته

فقال غسان مستفزا لهم : وتركيا مثل أوروبا

قال عيسى : تركيا بلد أتاتورك.. هؤلاء مثل العرب تراهم يطورون البلاد بالفن والخمارات ونوادي الماسونية والقمار !

***

مضت عشرة أيام على آخر من لقاء الأحفاد مع الشيخ عيسى بعد إظهار موافقتهم على الاقتران من ابنتي عمهم عمار ، واشترطوا على الجد أن يتيح لهما بمقابلة شخصية معهن ّقبل القرار النهائي والحاسم ، وسواء كانت الرؤية في توتة أم نيويورك ؛ حيث يستقر عمار عيسى وبناته بعد مضي هذه الليالي بدون همسة ، فتحدث فريد مع أبيه عن آخر التطورات مع أمريكا ، فقال له : لم يتكلم جدك معي منذ تلك الأمسية .. وقال ممتعضا : أنا هذه القصة لا تدخل مخي ، ولا تدخل لي من زور .. وظهرت ضحكة ساخرة : قلة رجال هناك .. فاليوم العرب منتشرون في كل بلاد العالم وبقاع الدنيا .. وما دمتم ترغبون بالزواج فبنات البلد أخير وأفضل !

قال فريد : هذه أظن رغبة عمي أكثر من البنات طمعا باستقرار حياتهن الزوجية ..وهنّ يبحثن

عن الاستقرار كما فهمت من أبيك .
فقال بحسم وشبه أمر : اسمع يا فريد ! أنا نصيحتي لك ولأخيك بغض الطرف عنهن ، وتزوج من بنات الأقارب ففي العائلة أحسن منهن .. فهواء بلادنا أطيب وألطف .
قال مبررا قبولهم بالزواج منهن : إنها أمريكا .. هذا عصر أمريكا .. هذا المشجع !
ضحك أمين : لا عصر أمريكا ، ولا عصر الاتحاد السوفيتي .. كلها بلاد كفار وضلال وملاعين لعنة الله عليهم .. وما حروبنا وأحزابنا المتناقضة إلا بسببهم .. قسم مدعوم من الغرب وأحزاب أخرى مدعومة من الروس والصين .. وهل الغربة مكسب ومربح؟ .. أبدا أبدا .. خسارة ما بعدها خسارة
عقب على فضفضة أبيه : إنهم يحكموننا ويصرفون علينا بأبناء من جلدتنا تارة باسم الأمم المتحدة وتارة باسم المعونة والهبات الدولية .. وهم الذين نهبوا خيرات البلاد التي استعمروها وأفقروها قبل أن نصير تحت ألويتهم الماكرة .
قال : هذا صحيح إلى حد ما ؛ وإن زعم غير ذلك .. اسمع عند صديقنا أبي بلال من أبناء العمومة بنات مثل العسل .. أكثرهن متعلمات والأهم متربيات .
ـ تعرفت على بعضهن في حفلة نجاح آخر واحدة نسيت اسمها .. رافقتك إلى فندق أو صالة الحفلة
قال : الآنسة إيمان .. لقد تخرجت من كلية التمريض في جامعة العاصمة .. لكني سمعت من أمها أنها مخطوبة قبل التخرج من ابن خالتها .. ثم اختصر فقال : على كل ظلك مع جدك حتى ينتهي الفيلم .. عمار رغم أنه أخي لا يُتاجر به ، ولا يشرفنا نسبه .
ـ أبي !!
قال : صدق ذلك .. لقد كان متعبا لأمي قبل هجرته .. أقول ذلك بدون تأنيب ضمير.. سفره كان خيرا لنا رغم قسوة الغربة والفراق .
ـ هل هو متعلم ؟
قال بضيق : درس الثانوية العامة ، وتوقف عندها .. لا ادري اذا تابع هناك .. ورافق أقارب لنا إلى بيونس آيرس في الأرجنتين ، وانقطعت أخباره إلا ما نسمع من الأقارب أثناء زيارتهم للبلد .
قال فريد : يبدو أنك غير متحمس لمصاهرة شقيقك !
قال : لا ، أنا عن نفسي غير متحمس ..الكلام لكم ولأبي .. هل تدخلت في زواجكم الأول ؟ لم أفعل .. أنا ناصح والاختيار لكم يا بني !
قال :الحصول على الجنسية الأمريكية جيد في مثل هذا الزمان
ضحك أمين عيسى لهوس الشباب العربي

بجنسيات الغرب وأمريكا : ماذا ستفعل بالجنسية الأمريكية ؟ أنت لست مطاردا امنيا ، ولست ممنوعا من السفر والحركة .. ولا تعمل بالسياسة والأحزاب ، ولست بالحاجة للعمل هناك .

قال : حيرتني يا أبي !

ـ لا تحتار ولا على بالك .. فعمار يبقى أخي ابن أمي وأبي .. وهو عاش معنا اثنتين وعشرين سنة .. فمنذ هاجر لم أره .. وأنا بالجملة لا ارتاح لبنات الغرب ؛ وربما مع السن تعقل أنت وأخوك وتصيران من أصحاب الصوم والعبادة بدل الرقص والطيش والأفلام

قال : هل أنت متدين من صغرك يا أبي ؟

قال باسما : ولدت متدينا .. ولست ملاكا.. الحمد لله على نعمة الإسلام والصلاة والصيام والعفة والشرف .. كان موت أمك كارثة بالنسبة لي ؛ لكنه قدرنا ورضينا به وصبرنا .. كنت ابن خمس سنوات عند موتها .. وقضيت خمس سنوات قبل أن أتزوج من أم حاتم .. لم أكن أتخيل أن أعيش مع امرأة أخرى .. رحمها الله رحمة واسعة .

محطة التصليح

كان فريد في منطقة تصليح السيارات ، فقد تعرضت سيارته لصدم وكسر احد الأضواء الخلفية فتركها عند كهربائي السيارات ومشى لمحل غسان وطارق ، فوجده تحت سيارة فحياه وصافحه طارق قائلا : أهلا بالمعلم فريد .. كيف حالك كيف الوالد يا ابن العم ؟

قال : الحمد لله .. وأنت كيف امك وأبوك الخال العزيز والعيلة؟

ـ الحمد لله كلنا بخير وعافية .. سمعنا أنك ستسافر أمريكا أنت والضبع .

تبسم فريد على لقب الضبع ، فهم يطلقون ألقابا كثيرة على غسان مثل الوحش الضبع وقال : لم يحدث شيء بعد .. لم تهبط السفينة على القمر .. أمريكا في آخر الأرض ـ وضحك وضحك طارق

ـ جئت أصلح السيارة .. ليلة امس باسني شفير طائش أو أنا نائم فانكسر ضوء خلفي ومصباحه فتركتها عند سميح جاركم .

ضحك طارق وقال مداعبا : أنا فكرتك جئت صلة رحم .. فأبي شقيق أمك رحمها الله تعالى

تهكم فريد وقال : هل تجوز صلة الرحم في الكراج ومحل الصيانة يا معلم طارق . وضحك ثانية وتابع : لا يا عمي جئت ادفع مالا .. نحن نجيء لهذه المنطقة للدفع وعلاج سياراتنا

ضحك وهو يقول : الله يعوضك خيرا .. أنت فريد وابن الحاج أمين .. آ .. ماذا صار في السفر ودندن بمطلع أغنية" أمريكاني يا سيدي أمريكاني "

قال مداعبا : من يغنيها ؟

قال طارق : أنا .. كلماتي والحاني يا معلم فوفو ! بس الأمريكان لا يتكلمون العربي .

عاد فريد للإجابة فقال : لا شيء حدث .. انتشر الخبر دون دخان ودون نار .. تحدثت مع زوج عمتك ـ رحمها الله ـ فقال : لا شيء جد .. يبدو أن عمنا مشغول بقضية من قضايا الأمة العربية أمة العجايب والمصايب . وضحك عاليا

قال : هو عمكم المنحوس ماذا يفعل هناك ؟ من يوم ما وجدنا على هذه الأرض ونحن نسمع أنه يعيش مع نسوان أمريكا ولا زار البلد يوما واحدا

قال بابتسامة : صدق نحن مثلك لا نعرفه حق المعرفة فقط اسمه .. فنحن وجدنا في هذه الدنيا بعد سفره فلا نعرف عنه شيئا .. يقولون يشتغل شغل حر ولا افهم ما معنى الشغل الحر هنا أو هناك .. يبدو أنه يعمل عملا قبيحا يستعرون من ذكره صريحا .

قال : أنا قلت فرصة منك نستفيد .. فالعم غسان لا يعرف شيئا إلا أن عروسا أمريكية أو كندية يبحثون لها عن ذكر قريب لها ولأبيها فوجدوا ضالتهم عندكم .

قهقه فريد وقال : آه ! وألف آه من لسانك يا طارق ! هل تعرف ما يعنون بطارق ؟ هلا سألت نفسك عن معنى أسمك ؟

أجاب بتبسم : نفرض انفسنا في درس معلم فريد .. هو سورة في القرآن ، ويقولون اسم نجم وبما أنك أستاذ قاموس .. هل هذا صحيح ؟ اعطنا درسا عنه يفيد ؟

غمر الضحك فريد وغسان وقال طارق : أنا بحكي جد

خرج غسان من تحت السيارة وصافح فريدا وقال : اشرح للطالب النجيب معنى اسمه .

قال فريد باسما : لا بأس فأنا مدرس عربي ولست قاموسا .. الأول : أن الله يقسم بالسماء والطارق ، والطارق هو النجم الثاقب ، أي : المضيء ، والثاني أي المعنى الثاني : الوافد ليلا يسمى طارقا ، وهو بمعنى اسم علم مذكّر عربيّ، ويقصدون أيضا : الرّجل الذي يأتي في وقت متأخر من اللّيل ويطرق الباب، وقد حدّد الوقت بالليل ؛ لأنها تكون مغلقة أي الأبواب .. هذا معنى طارق عند العرب .. وأنا مثل غسان لا اعرف شيئا إلا أن بنات العم المطلقات يرغبن بالزواج من عرب أو من أقارب أبيهن .. لماذا الغاية؟ الله اعلم .. الزواج من أقارب أبيهن العربي .. كأن العربية عند عندهم وصمة عار .

رد طارق بضيق : نعم ، العربية اليوم وصمة عار.. الحكام الفجرة يستعرون منها .. فيقول احدهم للغرب .. هو أنا عربي .. والسينما الغربية لما تريد تصوير مشهد حقارة يصورن خيمة وجملا وبدويا

.. صرنا سخرية لمن يسوى ولمن لا يسوى .
قال فريد مادحا : أنت فعلا مثقف يا طارق !
قال بنوع من العتب : هو الميكانيكي جاهل واحمق .. فيقال مئات الملايين من العرب عاجزون عن تحرير فلسطين ، وهم عدد اليهود عشرات المرات .. ولا يفقهون أن الأمور ليست بالعدد فالصين كانت قد اليابان عشرات المرات ومحكومة لهم .. وكذلك الهند محكومة بألوف من الإنجليز .
قال : العرب يا طارق يحاربون أمريكا والدول الغربية الظالمة .. وأحدث الآت الحرب .. المسألة لا تقف على محاربة إسرائيل وحدها .. كل أسلحتهم الفتاكة تستقر في إسرائيل ؛ لتجرب على العرب ودول الطوق .. لكن كل شيء له نهاية كما كانت له بداية .
قال طارق : أكيد كل شيء له نهاية .. هيا ندخل المحل لنشرب الشاي .. فإسرائيل لها اكثر من أربعين سنة تتربع في بلادنا ، وشردت الشعب الفلسطيني في بقاع الدنيا كلها .. فمتى نهاية إسرائيل ؟
ـ لا ادري ! ولا احد يعلم ! ما دمنا أعداء ومتفرقين ستبقى إسرائيل قوية تلطم بنا وتصفعنا لقد قرأت وقرأت وسمعت كثيرا عن صفة طرد أبناء اللد ويافا وحيفا من أرضهم قرى ومدن
فقال غسان : وقبل سنين قليلة رأينا كيف طردوا جيش فلسطين من بيرت ولبنان ولم يحرك العرب ساكنا؟ والعجب العجاب أننا نشتري أو قل يشترون السلاح من أمريكا وأوروبا الغربية وأكثر من إسرائيل .. فإسرائيل لديهم صناعة ذاتية .
قال طارق : هل الحرب أسلحة يا فريد ؟ وهو يقدم له كوبا من الشاي الثقيل ـ الحرب إرادة وعزيمة .. هل الفيتنام انتصروا على أمريكا الأقوى من إسرائيل بالأسلحة .. بالإرادة أولا
قال فريد : صحيح بس الفيتنام كان من يدعمهم ماديا ومعنويا الصين والروس .. من يدعم الشعب الفلسطيني بقوة وجسارة .. يدعمونهم فقط للدفاع عن النفس لا غير والكل يتاجر بقضيتهم.. فإنهم يحاربونهم ويتأمرون على قضيتهم
ـ والحل يا فريد !
ضحك فريد ورد : الحل بيد الله تعالى .. وهو معروف للجميع .. ولكل شيء نهاية مثل البشر وستصل السفينة إلى مرساها
ـ يا ترى هل نكون أحياء يا ابن العمة رحمها الله ؟
قال فريد : علمها عند ربي في كتاب لا يضل ولا ينسى
ـ هذا قرآن !
ـ نعم قرآن أجاب به موسى عليه السلام على

فرعون زمانه

قال طارق : كل زمن له أخيار وأشرار .. وله دول ورجال

ـ الأمر كله بيد الله أوله وآخره .. هل هناك مزيد من الشاي ؟

قال طارق : لدينا المزيد .. أتصلي يا فريد ؟

ـ لا .. منذ دخلت الجامعة تركنا الصلاة والصيام

قال :أتشرب ؟

قال باسما : لا .

قلق الشباب

مضى شهران على مشروع زواج غسان وفريد ، فكلما يتصل فريد بجده يعتذر بأن عمارا انقطعت أخباره ، ولا يرد على الهاتف ، ولا يعرف أرقام البنات ، وهو يجهل جهلا تاما لغة الأجانب فقال فريد لغسان : الأمر ملغوص كما يقال .. كنت أظن أن القضية عاجلة وما هي إلا أيام ويحسم الأمر ونعرف رأسنا من رجلنا .. حتى أن عزاما زميل المدرسة اشفق عليّ لما شعر برغبتي بالزواج من جديد .. ويقول :إن له أختا عزباء ممكن أن تقبلني ، وتعمل في التدريس مثلنا بدل بهدلة أمريكا ونسوان كندا .

قال غسان سارحا في النساء : تزوج .. تزوجها .. أنا لديّ البديل عن اقتناء زوجة

ضحك فريد وتابع : يقول ما دمت قد غيرت رأيك وتريد الزواج فأختي سأقنعها بك رغم معرفتها بقصة طلاقك وعقدتك من الخلف والأطفال .. لقد تحدثت أمامها والعيلة بعقدة تحريم الخلفة على نفسك .. وتسببت العقدة بترك امرأتك بنت صاحب أبيك الصياد .

قال بعد صمت فريد : فعلا نحن لا نعلم لماذا طال الجواب كل هذا الوقت ؟ لماذا كل هذا الغموض ؟ .. ها أنا افكر بإجازة لقبرص مع أخ طارق منذر هل ترافقنا ترفه عن روحك ؟

تطلع في عيني شقيقه وهتف : أنا لا اقرب بنات الهوى .

ـ ومن قال لك اقرب بنات الهوى .. أنت شم هوا .. هواء قبرص مثل هواء بلادنا

قال : أشمه هنا .. ولماذا ترحلون لقبرص ؟ فالدعارة في كل بلدان العالم .. صحيح بعضها سرا وخفية .. كم تكلفكم شمة الهواء القبرصية ؟

قال مجيبا مع ضحكة قصيرة : السبب لنا رفاق من أيام العمل على النقل الخارجي ..أما التكاليف فقد تكلف الشمة من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ دولار أمريكي لمدة أسبوع .. عندهم خمور من احسن طراز في العالم لو تتعاطها مرة واحدة لصرت تنافسنا عليها .. صناعتها جيدة !

ضحك فريد على حمق أخيه السكير وقال : الخمر خمر ، ولو تغيرت الألوان والزجاجات .. هذه

كلها تحسينات لا قيمة لها إلا الضحك على السكارى، سواء في نيقوسيا أم لارنكا أم تل أبيب أم القاهرة .. فهنا كل أنواع خمور العالم .

قال : عمرك شربت !

ـ مرتان أو ثلاث .. لست ملاكا .. في حفلات زواج لبعض الصحاب.. وكانت غلطات كبيرة

قال غسان ابن الثلاثين عاما مبررا عشق الخمر : الخمر تنسيك المشاكل والعالم .

قال فريد : ضحك على اللحى .. تنسى ساعة ساعات ثم ... هو أنت مسؤول عن مشاكل العالم .. المشاكل هي الحياة .. لا توجد حياة بدون مشاكل .

قال معللا لشربها : أنا تعلمتها أيام الشغل على الشاحنات الخارجية والسفر إلى العراق وسوريا ولبنان ومصر بزعم عدم النوم أثناء السير .

قال فريد : للأسف الخمور تباع في بلاد المسلمين بزعم دعم الاقتصاد والدخل القومي .. وتباع كما تباع الكولا والعصير بزعم خشية خروج ثروة البلد لخارج البلد مع أن البلد تستورد كل خمور الغرب وأمريكا .

غير الموضوع فقال : في فيلم جديد في سينما شيرين هل حضرته ؟

قال : الأفلام يا غسان ليست كالخمر والنسوان .. فيلم الغد ينسيك فيلم قبل أيام

ـ جيد !! نعود لقصة العم عمار وبناته .. ألم يخبر أبوك عن ذلك بشيء ؟

قال : أبونا غير مقتنع من البداية بهذا الزواج ، ولا يحب لنا الهجرة حتى لا يحصل منا ما حصل لعمار .. هجرة بلا عودة ، فقد خرج من توتة ولليوم لم يعد لتوتة ، ولو لشمة هوا مسقط رأسه وأبوك غير مقتنع بسعادة الناس في تلك المدن والديار يعتبرها بلاد فسق وفجور ومافيا

ـ هو بلادنا احسن .. بلاد الجوع والبؤس .. يغمرها البؤساء والفساد وما عم وطم .. عندهم مساجد ومعابد مثلنا ؛ كما نسمع ممن زارها وعاد

قال : متى سفركم ؟ لعلنا نسمع شيئا قبل رجوعكم

ـ عن قريب سنسافر بالطائرة ، وسنقضي أسبوعا على الأكثر في بارات وحانات قبرص

قال : حالنا مدهش يا غسان ! حياتنا اللهو والعبث

ـ وماذا سنفعل ؟ ولماذا نعمل ونحصل على المال ؟

قال متأملا كلمة المال : المال مال يا سيد غسان ! لولا المال ما رأيت قبرص وأثينا

ـ هل نتركه لأبيك وزوجه ؟

ضحك الأستاذ ورد : أبونا وأنت خير من يعلم ليس بحاجة لمالنا .. وهذه القصة اللعينة شغلتنا شرقا وغربا

قال بادعاء السخط : أنا صرفت نظر .. لا أريد

كندا ، ولا بنات عمي .. ولا اصدق أنهن يرغبن بالزواج من عرب !.. قلة عرب في أمريكا وكندا .. عشرات من العيلة في أمريكا الشمالية أو الجنوبية .. هذا فيلم من عمك يبدو أنه يريد مالا من جدك فاخترع هذه القصة

قال باستغراب لهذا التعليل : كيف ؟!

ـ لم افكر بكيف ؟

قال فريد : ما هنّ معهنّ مالا ما دمن طبيبات عاملات .

عاد مقترحا على أخيه فقال : واذا لك رغبة بالنساء الحلال تزوج شقيقة عزام الذي لا اعرف من هو عزام إلا أنه زميلك في المدرسة .

***

دخل فريد أمين مقهى زرقاء اليمامة في وسط العاصمة ، فقد كان على موعد مع رفاق الجامعة ووجد أصدقاءه الثلاثة في انتظاره فعانقهم جميعا ، وعادوا للجلوس والترحيب به ، ولما استقر المكان وعاد الهدوء ، وقد وضعت أمامهم أكواب القهوة ، قال عصام : أهلا بالعزيز فريد التقيت بصديقك حامد الوزة قبل أيام فحدثني عن زواج وسفر لأمريكا بلاد العم سام .*

ضحك فريد ضحكة قصيرة وتلفت في عيونهم الواحد تلو الآخر وقال : حتى أنتم وصلكم الخبر !

قال مالك : اخبرني عصام أنا وعبد .. فقلت له يا ابن الحلال قبل أيام أجريت اتصالا بفريد ولم يذكر شيئا عن السفر والزواج فاستغربت، فقلت لعصام رتب لنا لقاء وموعد .. فهل ما أشار اليه عصام صحيح ؟

فريد: صحيح وغير صحيح .

قال عبد : هذا لغز من الغاز فريد أمين !

مالك : ستسافر من اجل الزواج .

** يعود اسم العم سام إلى القرن ١٩ إلى حرب سنة ١٨١٢ ، الاسم مأخوذ من اسم جزار محلي أميركي يدعى صموئيل ويلسون ، كان هذا الجزار يزود القوات الأميركية المتواجدة بقاعدة عسكرية بمدينة تروي الواقعة بولاية نيويورك، بلحم البقر، وكان يطبع براميل هذا اللحم بحرفي **U.S.** (أي الولايات المتحدة) إشارة إلى أنها ملك الدولة ، فأطلقوا لقب العم سام على التاجر. فحرف **U** للرمز **Uncle** أي العم و **Sam S** أي سام. توفي بتاريخ ١٣-٧-١٨٥٤ عن عمر يناهز الـ ٨٨ عاما. ودفن في مدينة نيويورك.*

***

فريد : تقريبا . وقص عليهم مختصر عرض جده عيسى

فقال عصام : وهل انتهى الموضوع؟

فريد : لا ، لا كما يقول الجد .. فالعم بعد العرض وبعد الموافقة الأولية اختفى .. لم يعد يتواصل مع

أبيه .. ونحن أبي وأنا لا تواصل بيننا من ثلاثين عاما .

عصام : من المرة

قال فريد موضحا سبب القطيعة : من المرة .. فنحن ولدنا بعد هجرته .. هو يتواصل مع الجد من سنة لأخرى .. فأبي وعمي عماد فلا يتواصل معهم البتة

فقال العبد : وكيف هذا الزواج المفاجئ ؟ وهل لتجديد العلاقة المقطوعة ؟!

قال : بصراحة أنا وغسان هدفنا الجنسية الغربية أولا .. وافقنا جدنا رغبة بذلك .. جربنا بنات العرب قلنا نجرب بنات كندا

فضحك الرفاق وقال عبد معلقا : ماذا ستفعل بجنسية أمريكا أو كندا أو بجنسية العم سام ؟ فهي لا تنفع إلا الجنس الأبيض إلى حد ما .. ولم يعد احد يهتم بها.. والأبيض لا يهتم به احد إلا الكبار والرسميين .. أما الشعوب قاطبة في بلدان العالم الثالث أو الرابع فلا تحبهم ولا تكترث لوجودهم لعنصريتهم وتكبرهم ودعمهم لإسرائيل .

رد فريد وعلق : ما زلت تعشق السياسة ! وهل احد يهتم بجنسيتنا ويسعى للحصول عليها ؟ كم ولد عندك اليوم ؟

ضحك عبد ورد: ثلاثة، وأنت ولا واحد .

فقال مالك : فريد طلق من سنوات للتذكير .

فقال عصام : حضرنا العرس والرقص ، وسمعنا بحفلة الطلاق والمحكمة

قال : طلقت من اجل الخلفة .. تريد أطفالا وانا لست متعجلا وقلت بكير على الأطفال

قال عبد مستفسرا ومعلما: لماذا أولا تزوجت ما دمت لا ترغب بذرية ؟! وثانيا لماذا أنت لا تريد الأولاد زينة الدنيا ؟ وثالثا وهل يأتون بأيدينا يا عم فريد ؟ الأولاد هبة الله وعطيته وحده وفضله قد يخرج ويموت بعد الخروج أو حتى قبل الخروج من السبيل .

رد فريد : لم اكن بعجلة .. والزواج أيضا للمتعة وقضاء الوطر

قال عصام : لو امك حية ـ رحمها الله ـ لأجبرتك على الخلفة .

قال مالك : هذا حق يا عصام ! الأمهات الجدات يحببن الأولاد الأطفال بأسرع وقت.. فأمي يوم عرسي كانت تظن أن العروس ستلد بعد أيام ـ وقهقهه الشباب وطلبوا شايا من النادل ـ نعود لموضوع الهجرة .. ففريد له وجهة نظر معقدة ؛ كأن اليتم الذي عاشه عقده ويخشى على أطفاله من اليتم .

قال فريد : بالنسبة لموضوع الهجرة للنكاح انتهى الموضوع يا مالك وتوقف حتى يظهر العم من

مخبأه .. وزميلي في المدرسة يرغبني بالزواج من أخته المعلمة مثلنا الزميل عزام خازن .

قال عبد : من عزام خازن ؟

ـ مالك يعرفه أستاذ معي في المدرسة زميل وظيفة .. وما زلت أتهيب ولا ارغب بالذرية

فصاح عبد : لعلك مريض يا فريد ! فالعلاج حسن هذه الأيام .. تزوج أنت تقترب من الثلاثين

ـ نعم ثمانية وعشرون .

الرَّجُلُ وَزَوْجَتَاهُ

فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ، إِذْ كَانَ مَسْمُوحًا لِلرِّجَالِ بِزَوْجَاتٍ كَثِيرَاتٍ، كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ كَهْلٌ لَدَيْهِ زَوْجَتَانِ؛ إِحْدَاهُمَا عَجُوزٌ، وَالْأُخْرَى شَابَّةٌ، وَكَانَتْ كِلْتَاهُمَا تُحِبُّهُ حُبًّا جَمًّا وَتُرِيدُ لَهُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهَا. كَانَ الشَّمَطُ يَغْزُو شَعْرَ الرَّجُلِ، وَذَاكَ أَمْرٌ لَمْ تُحَبِّذْهُ الزَّوْجَةُ الشَّابَّةُ؛ لِأَنَّهُ يَجْعَلُهُ يَبْدُو أَكْبَرَ مِنْ أَنْ يَكُونَ زَوْجًا لَهَا؛ وَلِذَا فَقَدْ دَأَبَتْ أَنْ تُمَشِّطَ شَعْرَهُ وَتَلْتَقِطَ عَنْهُ الشَّعْرَاتِ الْبَيْضَاءَ.

غَيْرَ أَنَّ الزَّوْجَةَ الْكَبِيرَةَ كَانَتْ تَنْظُرُ إِلَى شَمَطِ زَوْجِهَا بِاغْتِبَاطٍ٦ عَظِيمٍ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تُحِبُّ أَنْ تَبْدُوَ كَأَنَّهَا أُمُّهُ؛ وَلِذَا فَقَدْ دَأَبَتْ أَنْ تُمَشِّطَ شَعْرَهُ كُلَّ صَبَاحٍ وَتَلْتَقِطَ عَنْهُ كُلَّ مَا تَسْتَطِيعُ الْتِقَاطَهُ مِنَ الشَّعْرَاتِ السَّوْدَاءِ. وَكَانَتِ النَّتِيجَةُ أَنَّ الرَّجُلَ سُرْعَانَ مَا وَجَدَ نَفْسَهُ أَصْلَعَ تَمَامًا.

يُوشِكُ مَنْ يَتَنَازَلُ لِلْجَمِيعِ أَلَّا يَعُودَ لَدَيْهِ شَيْءٌ يَتَنَازَلُ عَنْهُ«.

السُّلَحْفَاةُ وَالطَّائِرَانِ

أَرَادَتْ سُلَحْفَاةٌ أَنْ تُغَيِّرَ مَكَانَ إِقَامَتِهَا، فَطَلَبَتْ مِنَ النَّسْرِ أَنْ يَحْمِلَهَا إِلَى بَيْتٍ جَدِيدٍ، وَاعِدَةً إِيَّاهُ بِمُكَافَأَةٍ كَبِيرَةٍ عَلَى جُهْدِهِ. وَافَقَ النَّسْرُ وَحَلَّقَ عَالِيًا وَهُوَ قَابِضٌ عَلَيْهَا مِنْ دَرَقَتِهَا، وَفِي طَرِيقِهِمَا قَابَلَا غُرَابًا، فَقَالَ الْغُرَابُ لِلنَّسْرِ: »السَّلَاحِفُ طَعَامٌ جَيِّدٌ.« فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّسْرُ: »الدَّرَقَةُ صُلْبَةٌ جِدًّا.« فَأَجَابَ الْغُرَابُ: »الصُّخُورُ كَفِيلَةٌ بِأَنْ تَفْلِقَ الدَّرَقَةَ.«

فَهِمَ النَّسْرُ اللَّمْحَةَ، وَتَرَكَ السُّلَحْفَاةَ تَسْقُطُ عَلَى صَخْرَةٍ حَادَّةٍ، وَجَعَلَ الطَّائِرَانِ مِنَ السُّلَحْفَاةِ وَجْبَةً مُشْبِعَةً.

»لَا تُحَلِّقْ عَالِيًا عَلَى جَنَاحِ عَدُوٍّ.«

النَّسْرُ وَالسَّهْمُ

بَيْنَمَا كَانَ أَحَدُ النُّسُورِ يُحَلِّقُ فِي الْجَوِّ إِذَا بِهِ يَسْمَعُ فَجْأَةً أَزِيزَ سَهْمٍ وَيُحِسُّ أَنَّهُ أُصِيبَ بِجُرْحٍ قَاتِلٍ. تَرَدَّى النَّسْرُ رُوَيْدًا إِلَى الْأَرْضِ مُرَفْرِفًا وَدِمَاءُ الْحَيَاةِ تَنْزِفُ مِنْهُ. وَحِينَ حَدَّقَ بِعَيْنِهِ إِلَى السَّهْمِ الَّذِي اخْتَرَقَ جَسَدَهُ اكْتَشَفَ أَنَّ قَصَبَةَ السَّهْمِ مَرِيشَةٌ بِإِحْدَى رِيشَاتِهِ.

صَاحَ النَّسْرُ وَهُوَ يَلْفِظُ أَنْفَاسَهُ الْأَخِيرَةَ: »كَمْ ذَا نَمْنَحُ أَعْدَاءَنَا الْوَسِيلَةَ لِتَدْمِيرِنَا«!



حياتي
قبل الحياة

الحفل
بالقط الأسود

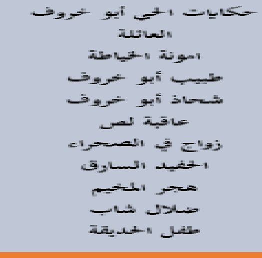
الشقق السوداء

حكايات
الحي أبو خروف





















قصص
المصباح
المضيء



	قصص وحكايات الفوارس		
١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جنر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بريار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز ووليدها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الحفل بالقط الأسود	١٠	الشقق السوداء
١١	حياتي قبل الحياة	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	



موت
جبل بن مجدو
العقرب الأحمر













قصص

المصباح

المضيء

الجزء ٢٣

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة



جمال شاهين

قصص قرآنية

قابيل وهابيل

يروي لنا القرآن الكريم قصة ابنين من أبناء آدم هما قابيل وهابيل، حين وقعت أول جريمة قتل على الأرض. كانت حواء تلد في البطن الواحد ابنا وبنتا، وفي البطن التالي ابنا وبنتا، فيحل زواج ابن البطن الأول من بنت البطن الثاني. ويقال إن قابيل كان يريد زوجة هابيل لنفسه، فأمرهما آدم أن يقدما قربانا، فقدم كل واحد منهما قربانا، فتقبل الله من هابيل ولم يتقبل من قابيل. قال الله تعالى وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27)لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) ٢٨ (انتهى الحوار بينهما وانصرف قابيل وترك أخاه هابيل مؤقتا. بعد أيام، كان هابيل نائما وسط غابة مشجرة، فقام إليه أخوه قابيل فقتله. جلس القاتل أمام شقيقه الملقى على الأرض. كان هذا الأخ القتيل أول إنسان يموت على الأرض، ولم يكن دفن الموتى شيئا قد عرف بعد، وحمل الأخ جثة شقيقه وراح يمشي بها، ثم رأى القاتل غرابا حيا بجانب جثة غراب ميت. وضع الغراب الحي الغراب الميت على الأرض وساوى أجنحته إلى جواره وبدأ يحفر الأرض بمنقاره ووضعه برفق في القبر وعاد يهيل عليه التراب. بعدها طار في الجو. حزن قابيل على أخيه هابيل وأحس بالندم و اكتشف أنه هو الأسوأ والأضعف. واهتز جسد القاتل ببكاء عنيف ثم أنشب أظافره في الأرض وراح يحفر قبر شقيقه. حزن آدم حزنا شديدا على خسارته في ولديه. مات أحدهما، وكسب الشيطان الثاني. صلى آدم على ابنه، وعاد إلى حياته يعمل ليصنع خبزه. ونبيا يعظ أبنائه وأحفاده ويحدثهم عن الله ويدعوهم إليه، ويحكي لهم عن إبليس ويحذرهم منه. ويروي لهم قصته هو نفسه معه، ويقص لهم قصته مع ابنه الذي دفعه لقتل شقيقه. وهكذا فإن كل نفس تقتل في الأرض إلى يوم القيامة فإن قابيل يتحمل شيئا من وزرها وقد قال رسول الله ﷺ"لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول ـ أي قابيل ـ كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل."

قارون

يروي لنا القرآن قصة قارون، وهو من قوم موسى. لكن القرآن لا يحدد زمن القصة ولا مكانها. فهل وقعت هذه القصة وبنو إسرائيل وموسى في مصر قبل الخروج؟ أو وقعت بعد الخروج من مصر في حياة موسى؟ وبعيدا عن الروايات المختلفة، نورد القصة كما ذكرها القرآن الكريم. يحدثنا الله عن كنوز قارون فيقول سبحانه وتعالى إن مفاتيح

الحجرات التي تضم الكنوز، كان يصعب حملها على مجموعة من الرجال الأشداء. وإذا كان حال الكنوز هكذا، فكيف كانت الكنوز ذاتها؟! لكن قارون بغى على قومه بعد أن آتاه الله الثراء. ولا يذكر القرآن فيم كان البغي. فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم، وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال، حق الفقراء في أموال الأغنياء، وربما بغى عليهم بغير هذه الأسباب. ويبدو أن العقلاء من قومه نصحوه بالقصد والاعتدال، وهو المنهج السليم. فقد حذروه من الفرح بما هو فيه من البطر الذي يؤدي بصاحبه إلى نسيان من هو المنعم بهذا المال، وينصحونه بالتمتع بالمال في الدنيا، من غير أن ينسى الآخرة، فعليه أن يعمل لآخرته بهذا المال. ويذكرونه بأن هذا المال هبة من الله وإحسان، فعليه أن يحسن ويتصدق من هذا المال، حتى يرد الإحسان بالإحسان، ويحذرونه من الفساد في الأرض، بالبغي، والظلم، والحسد، والبغضاء، وإنفاق المال في غير وجهه، أو إمساكه عما يجب أن يكون فيه، فالله لا يحب المفسدين. فكان رد قارون جملة واحد تحمل شتى معاني الفساد)قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي .(لقد أنساه غروره مصدر هذه النعمة وحكمتها، وأعماه الثراء. فلم يستمع قارون لنداء قومه، ولم يشعر بنعمة ربه. وخرج قارون ذات يوم على قومه، بكامل زينته، فطارت قلوب بعض القوم، وتمنوا أن لديهم مثل ما أوتي قارون، وأحسوا أنه في نعمة كبيرة. فرد عليهم من سمعهم من أهل العلم والإيمان: ويلكم أيها المخدوعون، احذروا الفتنة، واتقوا الله، واعلموا أن ثواب الله خير من هذه الزينة، وما عند الله خير مما عند قارون. وعندما تبلغ فتنة الزينة ذروتها، وتتهافت أمامها النفوس وتتهاوى، تتدخل القدرة الإلهية لتضع حدا للفتنة، وترحم الناس الضعاف من إغراءها، وتحطم الغرور والكبرياء، فيجيء العقاب حاسما)فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ (هكذا في لمحة خاطفة ابتلعته الأرض وابتلعت داره. وذهب ضعيفا عاجزا، لا ينصره أحد، ولا ينتصر بجاه أو مال. وبدأ الناس يتحدثون إلى بعضهم البعض في دهشة وعجب واعتبار. فقال الذين كانوا يتمنون لوأن عندهم مال قارون وسلطانه وزينته وحظه في الدنيا: حقا إن الله تعالى هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويوسع عليهم، أو يقبض ذلك، فالحمد لله أن الله قد تفضل علينا فحفظنا من الخسف والعذاب الأليم. إنا تبنا إليك سبحانك، فلك الحمد في الدنيا والآخرة.

مائدة عيسى

سميت هذه السورة سورة المائدة لأنها تتضمن قصة المائدة التي أنزلها الله تعالى من السماء عندما

سأله عيسى ابن مريم عليه السلام إنزالها من السماء كما طلب منه ذلك أصحابه الحواريون، ومضمون قصة هذه المائدة أن عيسى عليه السلام أمر الحواريين بصيام ثلاثين يوما، فلما أتموها طلبوا من عيسى عليه السلام أن يسأل ربه لينزل عليهم مائدة من السماء من أجل أن يأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم أن الله تعالى قد قبل صيامهم وتكون لهم عيدًا يفطرون عليها يوم فطرهم، ولكن عيسى عليه السلام وعظهم في ذلك وخاف عليهم ألا يقوموا بشكرها، فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك، فلما ألحوا عليه أخذ عيسى يتضرع إلى الله تعالى في الدعاء والسؤال أن يجابوا إلى ما طلبوا فاستجاب الله عز وجل دعاءه فأنزل الله سبحانه وتعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها كيف تنحدر بين غمامتين، وجعلت تدنو قليلا قليلا وكلما دنت منهم يسأل عيسى عليه السلام ربه أن يجعلها رحمة لا نقمة وأن يجعلها سلامًا وبركة، فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام وهي مغطاة بمنديل، فقام عيسى عليه السلام يكشف عنها وهو يقول))بسم الله خير الرازقين ((فإذا عليها من الطعام سبعة من الحيتان وسبعة أرغفة وقيل: كان عليها خل ورمان وثمار ولها رائحة عظيمة جدًا، ثم أمرهم عيسى عليه السلام بالأكل منها أمر عليه السلام الفقراء والمحتاجين والمرضى وأصحاب العاهات وكانوا قريبًا من الألف وثلاثمائة أمرهم أن يأكلوا من هذه المائدة، فأكلوا منها فبرأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزمن واستغنى الفقراء وصاروا أغنياء، فندم الناس الذين لم يأكلوا منها لما رأوا من إصلاح حال أولئك الذين أكلوا. ثم صعدت المائدة وهم ينظرون إليها حتى توارت عن أعينهم، وقيل: إن هذه المائدة كانت تنزل كل يوم مرة فيأكل الناس منها، فيأكل آخرهم كما يأكل أولهم حتى قيل: إنه كان يأكل منها كل يوم سبعة آلاف شخص. ثم أمر الله تعالى عيسى أن يقصرها على الفقراء دون الأغنياء، فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم منافقوهم في ذلك فرفعت المائدة ومُسخ الذين تكلموا في ذلك من المنافقين خنازير.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

العام الهجري : ١ الشهر القمري : ربيع الأول العام الميلادي : ٦٢٢ تفاصيل الحدث:

كان مِن آثارِ هِجرتِه ﷺ وأصحابِه إلى المدينةِ تلك المُؤاخاةُ التي حَدثت بين المُهاجرين والأنصارِ رضي الله عنهم، حتَّى كان يَرِثُ بعضُهم بعضًا في أوَّلِ الأمرِ. فعنِ ابنِ عبَّاسٍ رضِي الله عنهما}: وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ{قال: «وَرَثَةً} :«وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ{قال: " كان المُهاجِرون لَمَّا قَدِموا المدينةَ يَرِثُ المُهاجِرُ الأنصاريَّ دون ذَوِي رَحِمِهِ؛ لِلأُخُوَّةِ

التي آخى النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بينهم، فلمَّا نزلت﴾ :وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ{نسخت". ثمَّ قال﴿ :وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ»{إلَّا النَّصرَ، والرِّفادَةَ، والنَّصيحةَ، وقد ذهب الميراثُ، ويوصي له .«وعن أنسٍ قال: لَمَّا قَدِمَ النَّبيُّ ﷺ المدينةَ أتاهُ المُهاجرون فقالوا: يا رسولَ الله، ما رَأينا قومًا أَبْذَلَ مِن كثيرٍ، ولا أحسنَ مُواساةً مِن قليلٍ مِن قومٍ نزلنا بين أَظْهُرِهِم، لقد كَفَوْنا المُؤنَةَ وأشرَكونا في المَهْنَإِ حتَّى لقد خُفْنا أن يَذهبوا بالأجرِ كُلِّهِ. فقال النَّبيُّ ﷺ : «لا ما دَعَوتُم الله لهم، وأَثْنَيْتُم عليهم.« وقال عبدُ الرَّحمنِ بنُ عَوفٍ رضي الله عنه: لَمَّا قَدِمْنا المدينةَ آخى رسولُ الله ﷺ بيني وبين سعدِ بن الرَّبيعِ، فقال سعدُ بنُ الرَّبيعِ: إنِّي أكثرُ الأنصارِ مالًا، فَأَقْسِمُ لك نِصفَ مالي، وانْظُرْ أيَّ زَوجتيَّ هَوِيتَ نَزلتُ لك عنها، فإذا حَلَّتْ تَزوَّجتَها. قال: فقال له عبدُ الرَّحمنِ: لا حاجةَ لي في ذلك، هل مِن سوقٍ فيه تِجارةٌ؟ قال: سوقُ قَيْنُقاعٍ. قال: فغَدا إليه عبدُ الرَّحمنِ، فأتى بأَقِطٍ وسَمْنٍ، قال: ثمَّ تابع الغُدُوَّ، فما لَبِثَ أن جاء عبدُ الرَّحمنِ عليه أثرُ صُفْرَةٍ، فقال رسولُ الله ﷺ : «تَزوَّجتَ؟». قال: نعم. قال: «ومَن؟»، قال: امرأةً مِنَ الأنصارِ. قال: «كَم سُقْتَ؟»، قال: زِنَةَ نَواةٍ مِن ذَهبٍ –أو نَواةً مِن ذَهبٍ– فقال له النَّبيُّ ﷺ : «أَوْلِمْ ولو بِشاةٍ.«

شروع الأذان

العام الهجري : ١ العام الميلادي : ٦٢٢تفاصيل الحدث: عنِ ابنِ عُمَرَ قال: كان المسلمون حين قَدِموا المدينةَ يجتَمِعون فيتَحيَّنون الصَّلواتِ، وليس يُنادي بها أحدٌ، فتكلَّموا يومًا في ذلك فقال بعضُهم: اتَّخِذوا ناقوسًا مِثلَ ناقوسِ النَّصارى، وقال بعضُهم: قَرْنًا مِثْلَ قَرْنِ اليَهودِ. وقال عبدُ الله بنُ زيدٍ) :لَمَّا أَمَر رسولُ الله ﷺ بالنَّاقوسِ يُعملُ لِيُضرَبَ به للنَّاسِ لِجَمْعِ الصَّلاةِ طاف بي وأنا نائمٌ رجلٌ يَحمِلُ ناقوسًا في يَدِه فقلتُ: يا عبدَ الله أَتبيعَ النَّاقوسَ؟ قال: وما تصنعُ به؟ فقلتُ: نَدعو به إلى الصَّلاةِ قال: أفلا أَدُلُّك على ما هو خيرٌ مِن ذلك؟ فقلتُ له: بلى. قال: فقال: تقولُ: الله أَكبرُ، الله أَكبرُ، الله أَكبرُ، الله أَكبرُ، أَشهدُ أن لا إلَه إلَّا الله، أَشهدُ أن لا إلَه إلَّا الله، أَشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ الله، أَشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ الله، حَيَّ على الصَّلاةِ، حَيَّ على الصَّلاةِ، حَيَّ على الفَلاحِ، حَيَّ على الفَلاحِ، الله أَكبرُ، الله أَكبرُ، لا إلَه إلَّا الله. قال: ثمَّ اسْتأخَر عَنِّي غيرَ بَعيدٍ، ثمَّ قال: وتقولُ إذا أَقمتَ الصَّلاةَ: الله أَكبرُ، الله أَكبرُ، أَشهدُ أن لا إلَه إلَّا الله، أَشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ الله، حَيَّ على الصَّلاةِ، حَيَّ على الفَلاحِ، قد قامتِ الصَّلاةُ، قد قامتِ الصَّلاةُ، الله أَكبرُ، الله أَكبرُ، لا إلَه إلَّا الله. فلمَّا أَصبحتُ أَتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتُه بما رأيتُ،

فقال إنَّها لَرُؤْيا حَقٌّ إن شاء الله، فقُمْ مع بلالٍ فَأَلْقِ عليه ما رَأيتَ فَلْيُؤَذِّنْ به؛ فإنَّه أَندى صوتًا منك. فقمتُ مع بلالٍ فجعلتُ أُلْقِيهِ عليه ويُؤَذِّنُ به، قال فسمِع ذلك عُمَرُ بنُ الخطَّابِ وهو في بيتِه، فخرج يَجُرُّ رِداءَهُ ويقولُ: والذي بعثَك بالحقِّ يا رسولَ الله، لقد رأيتُ مِثلَ ما رَأى. فقال رسولُ الله ﷺ : فللهِ الحمدُ .

كتاب العهد

العام الهجري : ١ العام الميلادي : ٦٢٢تفاصيل الحدث: قال ابن إسحاق: «كتب رسول الله– ﷺ – كتابًا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرّهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم» . أي لمّا امتنعوا من إتباعه، وذلك قبل الإذن بالقتال وأخذ الجزية ممن أبى الإسلام، وقد أبى عامَّتُهم إلا الكفر. وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وحاربه الثلاثة، فمنَّ على بني قينقاع، وأجلى بني النضير، وقتل بني قريظة، وسبى ذريتهم، ونزلت)سورة الحشر (في بني النضير، و)سورة الأحزاب (في بني قريظة.

أم المؤمنين عائشة

السيدة عائشة وشرف نسبها هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأشهر نسائه. ولدت –رضي الله عنها– سنة تسع قبل الهجرة، كنيتها أم عبد الله، ولُقِّبت بالصِّدِّيقة، وعُرِفت بأم المؤمنين، وبالحميراء لغلبة البياض على لونها. وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية –رضي الله عنها– التي قال فيها رسول الله ﷺ" :من أحب أن ينظر إلى امرأة من الحور العين، فلينظر إلى أم رومان."

حال السيدة عائشة في الجاهلية ولدت عائشة رضي الله عنها في الإسلام ولم تدرك الجاهلية، وكانت من المتقدمين في إسلامهم؛ فقد روى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج رسول الله ﷺ قالت" :لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين."

قصة زواج السيدة عائشة من النبي في بيت الصدق والإيمان ولدت، وفي أحضان والدَيْنِ كريمين من خيرة صحابة رسول الله ﷺتربت، وعلى فضائل الدين العظيم وتعاليمه السمحة نشأت وترعرعت. وقد تمت خطبتها لرسول الله ﷺوهي بنت سبع سنين، وتزوجها وهي بنت تسع؛ وذلك لحداثة سنها، فقد بقيت تلعب بعد زواجها فترة من الزمن.

روي عنها أنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب بالبنات، فقال: ما هذا يا عائشة؟ قلت: خيل سليمان. فضحك.

وقد أحب رسول الله ﷺخطيبته الصغيرة كثيرًا، فكان يوصي بها أمها أم رومان قائلاً" :يا أم رومان،

استوصي بعائشة خيرًا واحفظيني فيها ".وكان يسعده كثيرًا أن يذهب إليها كلما اشتدت به الخطوب، وينسى همومه في غمرة دعابتها ومرحها .وبعد هجرة الرسول ﷺإلى المدينة، لحقته العروس المهاجرة إلى المدينة المنورة، وهناك اجتمع الحبيبان، وعمَّت البهجة أرجاء المدينة المنورة، وأهلت الفرحة من كل مكان؛ فالمسلمون مبتهجون لانتصارهم في غزوة بدر الكبرى، واكتملت فرحتهم بزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة. وقد تمَّ هذا الزواج الميمون في شوال سنة اثنتين للهجرة، وانتقلت عائشة إلى بيت النبوة .أهم ملامح شخصية السيدة عائشة «الكرم والسخاء والزهد» أخرج ابن سعد من طريق أم درة قالت: أتيت السيدة عائشة رضي الله عنها بمائة ألف ففرقتها وهي يومئذ صائمة، فقلت لها: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحمًا تفطرين عليه!! فقالت: لو كنت أذكرتني لفعلت. العلم الغزير فقد كان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض؛ قال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة رضي الله عنها من أفقه الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة. قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺحديث قَطُّ، فسألنا عنه عائشة -رضي الله عنها- إلا وجدنا عندها منه علمًا.

وقال عروة بن الزبير بن العوام: ما رأيت أحدًا أعلم بالحلال والحرام، والعلم، والشعر، والطب من عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

ذات مكانة خاصة أخرج البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ :"كَمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام."

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها- أنها قالت" :كان الناس يتحرّون بهداياهم يوم عائشة؛ يبتغون بذلك مرضاة رسول الله ﷺ

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي سلمة أنه قال: إن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله يومًا" :يا عائش، هذا جبريل يقرئك السلام ." فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى. تريد رسول الله ﷺ

بعض المواقف من حياة السيدة عائشة مع الرسول ﷺ ذكر ابن سعد في طبقاته عن عباد بن حمزة أن عائشة -رضي الله عنها- قالت: يا نبي الله، ألا تكنيني؟ فقال النبي ﷺ : "اكتني بابنك عبد الله بن الزبير"، فكانت تكنى بأم عبد الله.

وعن مسروق قال: قالت لي عائشة رضي الله عنها: لقد رأيت جبريل واقفًا في حجرتي هذه على فرس ورسول الله ﷺيناجيه، فلما دخل قلت: يا رسول الله، من هذا الذي رأيتك تناجيه؟ قال" :وهل رأيته؟"قلت: نعم. قال" :فبمن شبهته؟"قلت: بدحية الكلبي. قال" :لقد رأيت خيرًا كثيرًا، ذاك جبريل ."قالت: فما لبثت إلا يسيرًا حتى قال" :يا عائشة، هذا جبريل يقرأ عليك السلام ."قلت: وعليه السلام، جزاه الله من دخيلٍ خيرًا."

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت لي عائشة: يابن أختي، قال لي رسول الله ﷺ" ما يخفى عليَّ حين تغضبين ولا حين ترضين ."فقلت: بمَ تعرف ذاك بأبي أنت وأمي؟ قال" :أما حين ترضين فتقولين حين تحلفين: لا ورب محمد، وأما حين تغضبين فتقولين: لا ورب إبراهيم ."فقلت: صدقت يا رسول الله ﷺ

بعض المواقف من حياة أم المؤمنين عائشة مع الصحابة كان من أهم المواقف في حياتها -رضي الله عنها- مع الصحابة ما جاء في أحداث موقعة الجمل في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، والتي راح ضحيتها اثنان من خيرة أصحاب النبي ﷺ هما: طلحة والزبير رضي الله عنهما، ونحو عشرين ألفًا من المسلمين.

أثر السيدة عائشة في الآخرين من أبلغ أثرها في الآخرين أنها رضي الله عنها روى عنها مائتان وتسعة وتسعون من الصحابة والتابعين أحاديثَ الرسول ﷺ

السيدة عائشة والتعليم من الحقائق التاريخية الثابتة أن صحابة رسول الله ﷺ قد انتشروا في مختلف أرجاء العالم وشتى البلدان بعد النبي ﷺ للقيام بواجب التعليم والدعوة والإرشاد، وكان بلد الله الحرام والطائف والبحرين واليمن والشام ومصر والكوفة والبصرة وغيرها من المدن الكبار مقرًّا لهؤلاء الطائفة المباركة من الصحابة.

وانتقلت دار الخلافة الإسلامية بعد مضي سبع وعشرين سنة من المدينة المنورة إلى الكوفة ثم إلى دمشق، غير أن هذه الحوادث وانتقال دار الخلافة من مكان إلى مكان لم يزلزل تلك الهيبة العلمية والمعنوية والروحية التي قد ترسخت في قلوب الناس تجاه المدينة المنورة، وكانت المدينة المنورة حينذاك محتضنة عدة مدارس علمية ودينية يشرف عليها كل من أبي هريرة وابن عباس و زيد بن ثابت، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين

غير أن أعظم مدرسة شهدتها المدينة المنورة في ذلك الوقت هي زاوية المسجد النبوي التي كانت قريبة من الحجرة النبوية وملاصقة لمسكن زوج النبي ﷺ كانت هذه المدرسة مثابة للناس، يقصدونها متعلمين ومستفتين حتى غدت أول مدارس

الإسلام وأعظمها أثرًا في تاريخ الفكر الإسلامي، ومعلِّمة هذه المدرسة كانت أم المؤمنين رضي الله عنها.

هذا وقد تخرج في مدرسة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عددٌ كبير من سادة العلماء ومشاهير التابعين، ومسند الإمام أحمد بن حنبل يضم في طياته أكبر عدد من مروياتها رضي الله عنها.

السيدة عائشة رضي الله عنها والإفتاء قضت السيدة عائشة رضي الله عنها بقية عمرها بعد وفاة النبي ﷺ كمرجع أساسي للسائلين والمستفتين، وقدوة يُقتدى بها في سائر المجالات والشئون، وقد كان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ومشيختهم يسألونها ويستفتونها

السيدة عائشة تفتي في عهد الخلفاء الراشدين كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قد استقلت بالفتوى وحازت على هذا المنصب الجليل المبارك منذ وفاة النبي رضي الله عنها، وأصبحت مرجع السائلين ومأوى المسترشدين، وبقيت على هذا المنصب في زمن الخلفاء كلهم إلى أن وافاها الأجل.

بعض الأحاديث التي نقلتها السيدة عائشة عن المصطفى أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ -رضي الله عنها- أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رضي الله عنه سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " :أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ ." قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا.

وأخرج أيضًا عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أنها قَالَتْ" :كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ أَمَرَهُمْ مِنْ الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ. قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا."

من كلمات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه أخرج ابن سعد عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت حين حضرتها الوفاة: يا ليتني لم أخلق، يا ليتني كنت شجرة أسبِّح، وأقضي ما عليَّ.

متى توفيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؟ قيل: إنها توفيت سنة ثمانٍ وخمسين، ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، أمرت أن تُدفن ليلًا، فدفنت بعد الوتر بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله وعروة ابنا الزبير، والقاسم بن محمد، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله

بن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين.

رواية اجتماعية

حياتي قبل الحياة

الحلقة ٣ والأخيرة

النجاح والفراق

أحببت مالا حبا صامتا ، رغبت بأن أتمشى وإياه في حديقة ، أذهب معه إلى مسرح أو دار عرض .. الحواجز بين العائلات لا تسمح بذلك إلا إذا تحديت أسرتي.. وهل يقبل مال ذلك؟ لا أظنه يقبل ؛ لأن الحب بدا داخل بيتنا ، لم أعرفه في شارع أو نادي أو أي مكان ..نشأ الحب في بيتنا .. وهو صديق أخي الوحيد ..وأنا متأكدة أن الشاب يحبني ، عيونه تتكلم ، وحركاته وحديثه يقول ذلك ؛ ولكنه لا يريد خيانة صديقه الذي سمح له بدخول البيت والجلوس مع أمه وأبيه وأخته .. نعم عليّ أن أكظم عشقي لهذا الشاب كما يفعل هو .. الحب الصامت .

رضيت كما تريد والدتي بحبي الصامت والجلوس معهم ، وحصر علاقتي به بالقصص والثقافة لا مجال للخلوة والقبل والمداعبة تركتها للفراش والأحلام والخيال.

دخلت الثانوية العامة ، وبدا الاجتهاد لي ولثاني .. علينا أن نجتهد .. عرض الوالد علينا المدرسين الخصوصيين ، فقبل ثاني ورفضت أنا فلست بحاجة لهم .. قلّت زيارات مال .. لم تنقطع كانت ليلة الجمعة فقط ، ولم يحدث لحبي الصامت أي تطور .. اليأس فقط .. فنحن من جيل واحد ..وهو الفقير وأنا بنت الغني .. ومال لم يحاول جري لعمل يسيء للعائلة .. وجاءت الامتحانات بعد سنة طويلة .. نجحت بمعدل جيد جدا ، وثاني تقريبا مثلي وأما صاحبنا مال فلم ينجح .. وهذا كان متوقعا كما قال ثاني .. فهو ضعيف للغاية في مادتي الرياضيات واللغات الأجنبية .. كنّا نتمنى له النجاح مثلنا .. واتصل بي مهنئا وبأمي ، ووعد بزيارة من أجل ذلك .. وفعلا كانت بعد هدوء عاصفة نتائج الثانوية العامة .. حضر بعد أسبوع بعد ترتيب مع ثاني وقبلني لأول مره من ناصيتي وهو على البوابة مهنئا .. وقبل أمي مباركا .. وسهرنا معه ، وجاء والدي وثاني .. وتعشينا سوية بصحبته وواسيناه وحدثنا أنه يفكر بالذهاب لخدمة العلم ، وشجعناه جميعنا بالكرة ثانية .. وعرفت أنها زيارة وداع أيضا .

ولما انصرف شكرنا شكرًا أخجلنا .. فالرجل له لسان جميل ، وتمنى لي التوفيق في الجامعة ، وسمحت له بتقبيلي ثانية .

وقلت له : أحبك وسأبقى أحبك فقال همسا مثلي : وأنا كذلك . وأعطاني رقم صندوق بريده وقبل ثاني وأمي وقال : لعلنا نلتقي .. الأمور ستتغير .

قالت وقد دمعت عيناها : أحببناك يا مال ، ونتمنى أن لا يكون هذا لقاء وداع .

قال : لا أنساكم يا خالتي أبدا .. فأحلى ثلاث سنين كانت لحتى الآن .. واستوصوا بأولى خيرا .. فهي أعز صديقة ومعرفة لي . فقال ثاني : أحبك يا مال كما أحب أسرتي .. وأنت الصديق الغالي.. وستبقى صداقتنا ..فانت تعرف البيت والحي والهاتف.

اختفى جسد مال ، ودخلت حجرتي أبكي .. بكيت وكثيرا ما بكيت من أجل مال ..وكنت قد تصورت معه في البيت طبعا .. تصورنا ذات ليلة بكاميرا اشتراها يزيد ، فهو من هواة التصوير.

أخرجت تلك الصور ونظرتها من جديد ، وهمست : أحبك يا مال الدين هل تكون شريك هذا السرير يوما ما ؟ أليس ذلك نهاية الحب الزواج ؟

التحقت بكلية اللغات أدرس اللغة الفرنسية كما كنت أرغب ، وأخي كلية العلوم ؛ ليكون مدرس علوم .

يشعر الانسان بالفرق بين الثانوية والجامعة ، شعرت أنني كبرت سنوات .. الاختلاط لم يكن جديدا عليّ ، فنحن نختلط بهم في النوادي التي نشترك فيها ، لم أكون أي صداقة مع فتيان وشباب النوادي ، لم أجد من يهواه القلب .

كنّا نتابع أخبار مال الدين عن طريق ثاني الذي اشتغل مثلي في الجامعة ، وبدا يتلاشى مال من حياته ، فقد وجد في البنات وفتيات الجامعة هوى ورغبة أكثر ، فبدأت مغامراته سريعا .. وأمي تتابعه بحرقة وخوف .. فهي درست في الجامعة مثلنا ، وتعرف مغامرات الجامعة وبنات الجامعة حيث يضيع الشباب بين السيقان والخمور والفجور ، وتخاف عليّ أيضا من التعرف على شاب شهواني يفترسني كما تقول بكل صراحة .. الشباب عندها ذئاب يبحثون عن الرغبات .. والفتيات مستعدات لذلك ،وأنا لمست ذلك سريعا.

فكنت أكتب لمال بما أرى وأسمع ، ويقدم لي النصائح والإرشادات والمحافظة على نفسي وشرفي وعدم الانزلاق في مغامرات غير محسوبة .. وكنت أسمع ما يقول وينصح وأقبل به .. أكتب له وأنا في الحديقة ، وأنا في المكتبة .. كنت أجد لذة في الكتابة إليه وسماع أخباره .. وفرحت لما أخبرني أن أمه مصرة على أن يعيد ، وأنه سجل في مدرسة خاصة ، ثم علمت أنه ملّ وأخذ يعمل في مهن مختلفة، وأنه مصمم على الذهاب للجيش وأداء خدمة العلم .

الجامعة عالم جميل لمن أحب أن يكون جميلا ، وعالم بشع لمن أراد ذلك .. مطاردة الشباب للبنات أمر

تشمئز منه النفس .. ترى ذكورا لا هم لهم إلا البنات .. وبنات أيضا لا هم لهن إلا ذلك .. وهناك الجادون من كلا الجنسين فتعرضت لمضايقات ومحاولات تكوين صداقات همها العبث والشهوات قاومت وركزت على دراستي ؛ لكن فرعي كله شباب من أسر غنية .. الدراسة أمر ثاني لهم ..تصاحبه تجده يريد جرك لحفلات وسهرات ..وبعض الصديقات سقطن ، وصار همهن قضاء ليلة في حضن شاب فاسد شهواني .. ثم تنتقل لآخر .. وأخرى ترغب بزوج بعد التخرج.. فيقضي شهوته ويتركها تبحث عن غيره .. الوضع لم يكن مريحا لي .. وبعضهن تساعد الشباب في اصطياد الشابات لمثل هذه المغامرات .. استطعت اجتياز السنة الأولى بدون السقوط رغم فساد من حاولت صداقتهن .. لم تسمح لي نصائح وحماية أمي ورسائل مال بالانزلاق للهاوية .. ولم أجد الفارس الصادق الذي لا يريد الجسد .

لديّ جهاز مناعة ولكن الإثارة والرغبة تلتهب في الجسم مما تسمع وترى تظن أن الجامعة مرتع للبغاء .. تدخل حديقة تجد ما يريب .. تدخل المطعم كذلك .. وجدت النادي أهون شرا من ساحات الجامعة وخاصة كلية الآداب .

كنت أتحدث مع أمي عن ذلك ، وتنصحني بحسن الاختيار للزملاء والزميلات ، وأن الفتاة إذا سلمت نفسها لشاب سيهجرها بعد حين ويبحث عن غيرها .. وهي ستضطر البحث عن غيره لتجبر كسرها فالصبر والثبات هو الأفضل .. وأكثر أحاديث الشباب عن الرغبة والجنس والعلاقات العابرة ، وأن فترة الجامعة لن تعود .

دخلت السنة الثانية وعلاقتي بمال رسائل ، وهو يستعد للذهاب للجيش لأداء التجنيد الإجباري كما يسمونه .

ولما تجند دخلت السنة الثالثة في الجامعة ، أصبح لديّ الرغبة بقوة لإيجاد البديل عن مال ، وأن لا أمل بالزواج منه ونهاية لحبي له .. هو خرج من الدراسة ، وهذا سبب آخر يباعد بيننا سوى المستوى الاجتماعي والطبقي المصطنع والسن ؛ لكن حبه في القلب .. فحدثتني أمي عن زوج عن ابن خالتها مازن سميح درس الطب سنة ، ثم تركه ودرس القانون ، وهو يعمل محاميا في مكتب خالي هاني سالم .. وهو يرغب بزوجة بعد تخرجه وعمله .. أنا أعرفه جيدا ، دخل بيتنا ، ودخلنا بيت أمه خالة أمي ، وأعرفه من خلال النادي المقاصد الكبرى .. وكان ينظر إليّ حقيقة دائما بشهوة ورغبة واضحة في عينيه .. حاول معاكستي مرارا ؛ لكنني اعتذرت له ، وأخبرته أنا لا أحب هذه الأفعال الصبيانية ، وانتهى الأمر حتى دخلت في السنة الثالثة .. وكان هناك شاب جامعي يرغب بي

زوجة بعد التخرج ، ولم ينل مني قبلة فانقلب إلى فتاة تمشي معي ؛ ليدفعني للغيرة ؛ ليعود إليّ فتجاهلته .. فحاول ثانية فصرفته بالتي هي أحسن .. كان الأمل في الحياة مع الشاب الذي تفتح له قلبي يتضاءل .. مازن مصر على الزواج مني وخالة أمي تضغط على أمي وأبي .. وأن الشاب مستعد للصبر حتى أتخرج إذا حدثت الخطبة أو الزواج واكمال الدراسة .. وأنا الرغبة برجل تزيد في جسمي .. الجسم يصيح والشهوة تزيد والهرمون يرتفع لديّ .. مغامرات ثاني تعزز النار في جسدي .. أريد رجلا .. أريد حبيبا ..أريد أن أفرغ طاقتي التي زادت لديّ حتى أن أمي أدركت أنني على وشك السقوط ، وأنني ما زلت متعلقة بمال.

قالت أمي : تزوجي من مازن.. أليس هو رجلا كغيره ؟

قلت : لا أحبه يا أمي كيف سأسلمه جسدي قبل روحي ؟

ـ قد تحبينه بعد الزواج .

قلت : هل الزواج قضاء الشهوة فحسب ؟

ـ هذه أهمها.

قلت : أنا أريد مالا .. هو الحبيب الذي أحببته .

قالت : أمر الوصول إليه أمر لا تقبله العائلة يا ابنتي.. أما مازن فلن يعترض أحد .

قلت : هل أسلم نفسي لشباب الجامعة أفضل على أمل أن يحن أحدهم للزواج مني .

ـ لا شباب الجامعة ولا مال .. مال لا يقبل أن يتزوجك .

قلت بغضب : لماذا ؟ لأنني ابنة هدى سالم وموسى أمير .

قالت : لأشياء أخرى .

قلت : صدقي لو لم يجد رفضا منكم لقبل أن يبادلني الحب .. ولم ينظر للغنى والفقر .. هل سيبقى فقيرا يا أمي؟ .. وأنا سأعمل براتب كبير لما أتخرج .. ها أنت تساعدين أبي في مصروف البيت .. لو وجد تشجيعا منك لعبر عن حبه صراحة لي.

قالت : وكيف سيقبل بك وهو في الجيش بعشرة دنانير لا تكفيه سجائر ؟!

قلت : سيقبل .. أنا متأكدة أن الشاب يرغب بي ؛ لكن الحواجز التي كانت في طريقه دفعته أن يبتعد .. ولماذا يعترض ثاني على الزواج من صديقه ؟

ـ أنا أعلم رغبتك الشديدة به من تلك الأيام .. الظروف لم تكن تسمح .. أنتم صغار .

ـ دعيني أحاول ؛ فإذا رفضني سأقبل الزواج من قريبك مازن .

قالت : كيف ستحاولين ؟!

قلت : سأقنعه بالزواج مني وبحبي له .

قالت : افعلي ما تشائين يا أولى !

عانقت أمي وأخذت موافقتها على الاقتران بمال ، وقلت الآن جاء دورك يا مال .

تحدثت مع ثاني عن رغبتي بإقناع مال صاحبه بالزواج مني فامتعض ، وقلت : وافقت أمي على ذلك .. وأنا معجبة به .

ـ وهل وافق هو ؟!

ـ لا نتحدث بذلك.. وهو كما تعلم في الجيش .. وأنت منذ انتهاء الثانوية لم تعد تجتمع به إلا عرضا

قال : لم تجدي إلا مالا !

حدثته عن مازن وعدم رغبتي بالزواج منه ، وإذا وافق مال سأتزوج منه رغم فقره .

قال : لم أكن أظن أنك واقعة في هواه لهذا الحد .

ـ لم يظهر لي ذلك .. أنا التي أحببته ، ورفضته أمك

ـ وأبي .

قلت : ليس مهم رأي أبي .. الرأي لي يا ثاني .

قال : المطلوب مني .

قلت : أنا أريد أن يزورنا مال وأصارحه برغبتي هذه ، وأحاول إقناعه ؛ فإذا لم يوافق سأتزوج مازنا .. هكذا اتفقت مع أمك .

قال : البنات عجيبات .

قلت : لم أحب أحدا في الجامعة .. أريد مقابلته في البيت ؛ لأتحدث معه في الأمر ، وأحسم أمر مازن .. عليك أن ترتب دعوة له وأنا أحدد اليوم .

استسلم ثاني لرغبة شقيقته ، وخشي أن تقابله من دون علمهم ، وحدث مالا برغبته بلقائه ورغبة أولى أن تحدثه شخصيا بأمر مهم وشخصي ، وتحدد له وقت اللقاء.

اللقاء الحاسم

وافق مال على الزيارة واللقاء وبعد غروب الشمس في يوم ماطر ذهب لدرب القلعة ، وضغط على الجرس ، فتحت أولى البوابة ، ولما دخل عانقته ، واحتضنته وضمته لصدرها كغائب رجع من السفر ، وقلبها يخفق بشدة .. وارتبك مال لفعلها ، وكانت ترتدي فستانا فوق الركبة ، وتضع عطرا مثيرا للرجال ، كانت كأنها زوجة في استقبال زوجها العائد من السفر .

جلسوا في الصالون ورحبت أمها به وكان حديثا مطولا ، ثم خلت به وحدثته عن رغبتها بالزواج منه ، وكانت تقوم بحركات اغراء ورغبة جنسية واضحة ،وتكاد أن تسلم نفسها له ، وهو يتمالك رغبته وشهوته ويدافع عن نفسه ، ولا يحب الخيانة والزنا ، وبذلت جهدها لينام معها ، ولو ساعة ما دام لا يرغب بها زوجة ، وكانت ساعة عصيبة عليه مما دفعه أن يرفعها عن فخذيه ، فقد جلست عليهما ، وحاولت تقبيله من شفتيه وهو يمانع ، ووضعت يده على ثدييها فدفعها عن نفسه ، ونهض قائما وخرج مسرعا من البيت ، وهو لا يدرك ما حدث ، ويعجب من رغبتها واستسلامها لشهوة الجنس

، ولما اختفى دخلت أمها ، ووجدتها تبكي فصاحت : سلمته جسدي ورفض هرب .

ـ ماذا فعلت ؟

قلت : عرضت عليه بدني ورفضه .

قالت : ماذا أسمع ؟! هل جننت؟!

قلت بجنون الشهوة : أريد رجلا .

قالت : تريدين رجلا بالحرام !

صحت فيها : وهل نحن نعرف الحرام ؟!

قالت : هل فعل بك شيئا؟

صرخت : هرب .. رفض هذا الجسد .. سأتزوج مازنا لعلي أجد لديه ما لم أجده عند مال .. أأتخذ عشاقا لتهدأ النار في هذا الجسد ؟

قالت أمي وقد عاد إليها طبعها: وهل الجنس يهدئ النار ؟

قلت : الجنس حاجة ملحة للجسم .

قالت : أنت جننت .

صحت : وماذا يفعل ثاني ويزيد مع البنات ؟!

أخذت تبكي أمي ، وأنا أبكي .

ثم سكنّا ، وكان الحل قبول مازن ذكرا لي ، وكان ذلك خلال صيف العام الثالث لي في الجامعة .

لقد فشلت بإقناع مال بالزواج مع اعترافه بحبه لي واشتهائه لجسدي ، وقدمت له بدني على طبق من فضه ولم يقبل، وأعلم أنني أخطأت خطأ كبيرا في حقه .. وأما أهلي فليس لهم اهتمام عندي .

أتى مازن وأهله ، وقرأوا فاتحتي ، وقبلني الشاب بشهوة أشعلت الرغبة فيّ وأسرعنا بالزواج ، وسلمت نفسي لمازن البغيض لقلبي، ولم أحبه يوما ؛ إنما كان مجرد شريك فراش ، لم أجد عنده الحب ؛ إنما شهوة نقضيها معا ، ولما ينته اللقاء ؛ كأننا أصدقاء شارع أو نادي .. كنّا مجرد زوجين .. ولم يكن بالزوج المنشود ،ولم تكن معاشرته ترضي امرأة .. كله عيوب .. وأعتقد أنه عاشر نساء غيري .. فهو لم يكن شريفا وطاهرا .. وأنا منذ أول ليلة اعتقدت أن له عشيقات وبنات هوى .. كان مستهلكا أقول ذلك ؛ لأن هذا واضح وبان مع الوقت .

التخرج

بعد زواجي السيء من المحامي مازن سميح ابن السبع والعشرين سنة بسنة تخرجت من الكلية .. وكان أبي قد يسر لي عملا فور تخرجي في معهد تدريس اللغة الفرنسية للشباب العرب .. وكنت قد ذهبت عددا من المرات للمعهد ولي معرفة به .. وكان هناك شبه اتفاق على ذلك .. ورغم ما حدث بيني وبين مال كنت أكتب له ، واعتذرت له عن تلك الليلة السوداء ، وبدا أنه تقبل اعتذاري ورغبتي به زوجا أو عشيقا .

ولما تخرجت هو أيضا أنهى خدمة الجيش ، وقل رده على رسائلي ، وبعد تلك الليلة لم يطرق باب

بيتنا ، وخفت علاقته أصلا ببيتنا كما تعلمون منذ النجاح في الثانوية .. وظللت متعلقة به رغم زواجي ، ولم يكن مازن الرجل المريح لي .. فأنا كنت أسمع قبل الزواج عن مغامراته النسائية السيئة ؛ لكن الأسر عندنا تسمح بذلك للرجال وتغض الطرف عنه .. وقد حدث ذلك لأبي قبل استقراره العاطفي ، وسكتت أمي عن ذلك ..ولما دخلنا سن المراهقة لم يحدث ذلك من أبينا أو لم نسمع .. وقبلت بالزواج ؛ لأني احتجت لإشباع تلك الغريزة بالحلال قبل السقوط الذي أخذ يلح عليّ .

قلت يوما لمازن : هناك امرأة تتصل كثيرا بالبيت اسمها بلا

حك رأسه وقال : هل تريد شيئا ؟

تقول : إن لها قضية عندك .

قال : لها قضية عندنا ولماذا لا تتصل بالمكتب ؟

ـ وتقول إنها صديقة لك .

ـ صديقاتي كثيرات يا أولى .

قلت : ألا تريد أن تخفف علاقتك مع النساء وقد تزوجت ؟

قال : أرغب بذلك ؛ ولكن التخلص منهن يحتاج لوقت يا أولى .

قلت : لك اليوم زوجة وحبيبة .

قال : أنت زوجة .. لست حبيبة .. أنت حبيبك مال .

قلت : قلت لك ليس بيني وبينه أي علاقة جسدية يا مازن .. وأنا تعلقت به فترة الثانوية .. فقد اختفى من حياتنا بعد نجاحنا في الثانوية .. وما خرجت معه يوما ، ولا خليت به خمس دقائق يا مازن .

قال ببرود : ليتني أصدق .

قلت : ليس بالضرورة أن تصدق .. أنت لا تستطيع محاسبتي على عمل فعلته قبل زواجنا .. هل سألتك عن نسائك قبل الزواج ؟.. وأنت لليوم تُمارس البغاء معهن .

قال : أنا حر .

قلت : إذاً لا حق لك بمحاسبتي ، ولو اتخذت عشيقا .

قال بوقاحة : اتخذي عشيقا إلا مالا .

قلت : كانت لحظة ضعف عندما قبلت بك .

قال : أعلم ، ووقع في قلبي أنك سلمت لنفسك لرجل ، واحتجت لترقيع الأمر .

قلت : لو حدث ذلك ما تزوجتك ، ولو قبل بي مال ما تزوجتك يا مازن .

رد قائلا : أعلم .. متى ستحملين ؟

قلت : أنا لا مشكلة لديّ .. المشكلة عندك.. قلت لا خلفة قبل خمس سنوات زواج .

قال : غيرت رغبتي ، أمي وأمك يريدان الحمل .

قلت: سأتوقف عن أخذ الحبوب ؛ لعلك إذا صرت أبا تترك النساء والعشيقات .
قال : لا عشيقات لديّ .
قلت : لا تضحك عليّ .. أنا سمعت من أختيك شفاء وهناء وأخيك هاني
فقال ساخرا : هذا لا شيء يخفى .
هكذا كنّا نقضي أوقاتنا بنشر غسيلنا خاصة مازن .. وكان عليّ القبول بهذا الواقع المر ؛ لأنني لم أتزوج ملاكا كما تقول أمي .
شغل العمل في المعهد الفرنسي وقتي من المهاترات مع زوجي الشبق للنساء وهو ضعيف جنسيا لم أجد فيه الفحولة التي يتظاهر بها أو أنا مريضة جنسيا ، مع أنني لم أمارس الجنس قبل الزواج كنت عذراء لما تزوجت الفاشل مازن .
الدوام في المعهد يبدأ من العاشرة صباحا حتى الثانية بعد الظهر أربع ساعات التدريس .. هناك أنشطة أخرى رياضة مكتبة أبحاث ترجمات تأخذ المزيد من الوقت .. قد أعود مع الغروب للبيت أو أذهب في زيارات خاصة .. أصبح البقاء في البيت للشقاء والنزاع ..وكثيرا أذهب للمبيت عند أمي فأجدها وحدها تجلس مع التلفزيون ، وأبي في حجرته يخرج مرات ليرحب بي ومرات لا أراه ، هذا طبعه منذ دخلنا الجامعة .. رغبة القراءة استمرت معي طول سنوات الجامعة وفي المعهد ..كنت أقرأ الروايات باللغة الفرنسية .. فاطلع على طبعات أصلية لأدباء فرنسا .. بعد سنة من العمل ذهبت في رحلة لفرنسا وباريس على نفقة المعهد للمزيد من المعرفة عن فرنسا .
بعد عودتي بيسير علمت أنني حامل من المدعو مازن ، وفي عام أربعة وثمانين وضعت مولودي الأول .. كان ذكرا ، تشاجرت مع مازن على تسميته أردت أن اسميه مالا بدون الدين ، فرفض مازن بشدة ، وعيرني بأنه اسم عشيقي .. يا ليته كان عشيقي ! تدخلت أمي وخالتها وسميناه جلالا ، ولما انتهت اجازة الأمومة تكفلت برعايته حماتي أم مازن ، حتى أعود من المعهد ، فتركت العمل الاضافي ، ومع وجود الطفل لم نخلص من المناكفات مع بعض حتى وصل به الظن مرة أن يقول هذا الطفل من أين أتيت به ؟ فصعقت للاتهام ، وكاد الأمر يصل للطلاق والفراق ، وتم ترقيع الأمر ، وعدت إليه ذليلة .
أحببت طفلي ، ولم يرضع من صدري سوى أول أيام ، ثم كف صدري عن الحليب ، فتعود على الحليب الصناعي .
رغم ولادتي لجلال لم تنته المشاكل مع مازن ، وقلت له مرة : لماذا تزوجتني يا مازن ما دمت تراني مومسا ؟
فقال : انتقام .

دهشت وقلت : انتقام ! وماذا فعلت لك للانتقام مني ؟!

قال : أسأت لي مرة في النادي أمام حنان .

قلت : من حنان ؟!

ضحك وقال متهكما : لا تعرفين حنان !

قلت : لا أعرفها .

فصرخ في وجهي : بنت الدكتور باسم .

تأوهت وقلت : آه ! تلك السمراء .. وكيف أسأت لك ؟

قال : كنت أجلس معها نشرب الكولا ، وسلمت علينا من رؤوس مناخيرك ؛ كأننا حشرات ثم قلت لها: ألم تجدي إلا هذا المراهق تحبينه ؟ فقالت : نعم ، هو مراهق بغيض ؛ لكنه مسلي . . ثم ابتعدت عنا .

قلت : كم كان عمري يومها ؟

قال : ليس مهم العمر ..أسأت لنا ، وابتعدت عني قائلة قريبتك تحتقرك

قلت : ومن أجل هذا تزوجتني لتنتقم .

قال : نعم ، هذا أحد الأسباب .

صرخت في وجهه : يا لك من نذل ! خطر في بالي أنك أحببتني يوما ما دون أن أدري .. رغم سماعي الكثير عن قصصك من البنات والنساء المتزوجات قبلت بك .

قال : لتغطي على فجورك .

قلت : لست فاجرة أيها الفاجر الحقير ! ولكني سأصير فاجرة بسببك .

قال : غير مهم ؛ بل سأصاب بالسرور لو رأيتك في حضن رجل غيري .

طفح الكيل ، كان زوجي لا يقربني بالشهر أو أكثر بحجة معاقبتي ، وهو يعاشر عشيقاته والخائنات ، وأعرف بعضهن ، يدخلن بيت العائلة بثياب الشرف والعفاف ، وكانت أخته شفاء التي تبغضني أكثر منه توفر له مثل ذلك ؛ لأنها بغي وتخون زوجها .

كان أخي ثاني خلال سنوات الجامعة قد فسد ، وأكثر من الزنا حتى فاحت ريحته وتعالج من السفلس كما قيل .. التحق بالجيش بعد الجامعة كسائر الشباب ، ولما أنهى تدريبه الأولي عمل في المدارس العسكرية ، ثم تزوج من ابنة مدير مدرسة ، ووجدنا أنه من سكان درب القلعة .. فتاة اسمها ميساء وكان زواجه في منتصف أربع وثمانين .. وفي هذا السنة علمت أن مالا نجح في الثانوية ، والتزم بالدين والتدين .. وتفاجأت حقا بذلك .. مال يتمشيخ وكتبت له حول ذلك ، وكتب بصحة هذه الاخبار ،وأنه سيدرس معهد متوسط لتخصص المحاسبة في القسم التجاري ، ففرحت له من كل قلبي وأحببت لقاءه فاعتذر بشدة ، وكتب لا أنسى تلك الليلة السوداء ، فبكيت لكلامه ، وعلمت أن

الجرح كبير وذلك عندما أردته أن ينام معي ولو ساعة .

***

المعهد فيه رجال يعملون مثلي ، لاحظت أن أحدهم يطيل النظر إليّ ، ويحاول التقرب إلي أكثر فقررت أن أقبل صداقته ؛ لأخفف من التوتر الذي يحصل بيني وبين مازن .

فرافقته للمسرح والمطعم وخلال فترة قصيرة أصبحنا أصدقاء ، وانتشر ذلك في المعهد .. هذا الصديق وزميل العمل كان يكبرني بعدد سنين ، دخل في الأربعينات عندما صاحبته ، كان هدفي التسلية وإراحة أعصابي من مازن ، ولم يمض وقت طويل حتى أخذ يظهر لي أنه محب لي منذ التحقت بالعمل معهم ، ويرى أنني الصديقة التي كان يبحث عنها .. طبعا لم أصدق ذلك .. وأعرف رغبته في جسدي .. وأنا تقربت إليه من أجل هذه الغاية ؛ لكن عليّ تمثيل دور الساذجة والبلهاء .. المهم أخذ يمهد لذلك بلمسي برغبة ، ويدعوني لبيته وشرب كأس معه .. وعلمت من الأول أنه مطلق أو هاجرته زوجته ..وأنا كانت لديّ الرغبة أن أسلم جسدي لرجل غير زوجي .. وأرى هذه التجربة ؛ لكني لم أحب أن أبدو متعجلة .

وبعد ستة شهور صحبته للبيت ، وتناولنا العشاء والشراب ، ولم يحدث بيننا أي جماع مدح واعجاب بي وبجمالي.. وخلال شهر كنت عشيقة له في الفراش ، ولم يختلف كثيرا عن مازن ، لم يكن بتلك القوة الجنسية ؛ بل كان يأخذ أدوية لتقوية فحولته ؛ لكني رضيت به عشيقا يعبث بي كيف يشاء ؟ ورتبنا أن يكون لقاؤنا كل أسبوع مرة حتى يبقى الأمر خفيا عن زوجي مع أن ذلك لا يهمني .. فقد أصبح لي عشيق وإن كان يكبرني سنوات .. عشيق خير من لا شيء .

وكان يحاول إسعادي بهذا اللقاء وأن يظهر بالفارس القوي والعشيق الفريد مع أنني أرآه يتعاطى الأدوية لتقوية طاقته ، ولا يترك شيئا فيّ إلا قبله وداعبه موهمي بحبه وشوقه لجسدي .

قبلت به عشيقا مع أنه يكبرني بخمس عشرة سنة نكاية بهجر مازن لي ولكرهي لمازن .

كنت عندما أعود من العمل يوميا أمر على أمي إلا القليل من الأيام .. فلما أصبحت ذَا عشيق كنت استحم في منزلها قبل العودة للبيت ، وأتعشى معها واتصل بالبيت ؛ فإذا كان مازن في البيت أترك له خبرا بمكان وجودي أو أتحدث مع خالة أمي .. وهو لا يهتم بتأخري ؛ لأنه غالبا لا يعود للمنزل إلا بعد نصف الليل .. إما مع نسائه أو مع سهراته الماجنة .. فهو يسهر معهم في النوادي الليلية أو المنزلية .. وكانت والدته تعتني بالطفل أكثر مني بحكم أنني امرأة عاملة .

ذات يوم اتصلت بي امرأة تريد مقابلتي في البيت أو أي مكان .. وكان الموضوع عن مازن ، واتفقنا على مكان اللقاء في مطعم في أحد أحياء المدينة الراقية .

ولما التقينا وعرفتني على نفسها ، وأهم تعريف أنها صديقة لمازن ، ولها عليه أموال ، وأنها تفكر بتقديم شكوى ضده لدى المدعي العام.

فقلت لها : أنا لا أدري ما المطلوب مني ؟!

قالت : أنت زوجته فعليك التسديد عنه حتى لا يسجن .

ضحكت وقلت : أدفع عنه .. وهل هو معسر يا سيدتي ؟

قالت : لا يريد أن يدفع .. يتحداني ويقول : احبسيني .. وأنا من أجل خاطرك وسمعتك لم أقدم الشكوى .

قلت : ما طبيعة العلاقة بينكم ليستلف منك ؟

قالت : ضحك عليّ واتخذني خليلة ، وزعم حبه لي ، وأنه من غير امرأة ، وأخذ أموالا ؛ ليقيم بها مشاريع .. وأنا صدقت .. أنا امرأة مطلقة ؛ لذلك صدقته ، وظننت أننا في النهاية سنتزوج .

قلت : وبكم نصب عليك .

قالت : عشرة آلاف دينار .

قلت : مبلغ محرز .. هذا نصاب دولي وعلى مستوى .. ماذا تعملين أنت ؟

قالت : أنا طبيبة .

قلت دهشة : طبيبة .. وكيف تورطت معه ؟!

قالت : احتجت لحضرة محامي يا سيدة أولى .. فدلوني على مكتبه .. ورحب بي .. وأقنعني أن قضيتي ناجحة .. وإنني سأفوز فيها على زوجي الذي طلقني ، ويعيد لي الأموال التي أخذها مني ، وبعد عدة لقاءات أصبحنا أصدقاء ، ثم سلمته نفسي على أمل أن نتزوج ؛ لأنه زعم أنه غير متزوج .. وصدقت ذلك .. وأنت تعرفين كيف يضحكون علينا ؟

قلت : يضحكون علينا .. تابعي .

وتابعت : وخلال متابعة قضية طليقي أخذ يحدثني عن المشاريع والاستثمار وأنا مصدقة ؛ لأنني في النهاية سأكون زوجة له .. ثم عرفت أنه متزوج منك .. وأنا مجرد فتاة ليل وقضاء وطر ،فصممت على مقاضاته إن لم يدفع .

وبعد فترة صمت قلت : وهل تعتقدين أنني سأدفع عنه يا حضرة الدكتورة ؟ أتعرفين أين صرف تلك الأموال ؟

قالت : لا أدري .

قلت بزعيق وحقد : على السهرات الجنسية والقمار .

قالت : هو عرف كيف يضحك عليّ ؟ .. لعب على وطر الطلاق والزواج وهو محامي .

عدت للصراخ : هو فاجر ومجرم ، لا يمكنني أن أدفع فلسا .

قالت : وسمعة العائلة وابنك عندما يحبس أبوه .

قلت : أنا أدفع ثمن فجوره .. اذهبي لأمه فهي تملك الكثير من الأموال ؛ لعلها تصدق حكايتك وتدفع لك .. فهي يهمها سمعة العائلة أكثر مني .

قالت : أترين ذلك ؟!

قلت : نعم .

قالت : شكرًا لك .. يعني أنك غير مهتمة بحسبه

قلت : ولا موته .. ولست أنت أول عشيقة وخليلة له .

قالت بانكسار : عرفت ذلك مؤخرا .

وودعتها متمنيا لها النجاح ، وعدت لبيت أمي وقصصت لها هذا المغامرة لابن خالتها .

فقالت أمي : قد تكون كاذبة ، وطمعت بقرشين منك .

ضحكت وقلت : ممكن يا أمي !

كانت حياة شقيقي ثاني صعبة بعد سنة زواج ، كانت ميساء ترغب بالولادة فور زواجها ، وهي من أسرة تحب ذلك ، ومضت سنة زواج ، ولم يحدث الحمل ، وبعد سنتين من الزواج زادت المشاكل ، ورغبت ميساء بالانفصال عن زوجها ، وكان ثاني متمسكا بها .. فهو قد ملّ من الزنا والبنات لما انتهى من الجامعة والجيش .. والمفاجأة أني سمعت أن مالا تدخل في عدم طلاق أخي من ميساء .. ولجأ ثاني إليه للتدخل في قصته ، ونجح في تأجيل الطلاق لسنتين أخريتين ، وأن صلحا حدث بين ثاني ومال أو عودة لماضيهما .. وسافر ثاني إلى الخليج للعمل كمدرس متعاقد ، ولما قضى موسمين رجع ، وتم طلاق ميساء بعد فشلهم بالحمل ، وأخذ يفكر بالزواج من جديد كما كان يتحدث مع أمي وأبي.. وكان البحث صعبا عن امرأة تقبل به كشاب عقيم إلا امرأة لا ترغب بالذرية .

لما رجع ثاني من العمل في الخليج ، وقد طلقت زوجته عادت صداقته لمال وكان يذهب إليه رغم أن مالا خلال عمل ثاني في الخليج درس في معهد شرعي ؛ ليكون شيخا حقيقيا وحصل ذلك .. عادت صداقته لمال ، وكان ثاني يريد الزواج .. وأنا اكتفيت بساعة أو ساعة ونصف أقضيها مع عشيق المعهد في يوم من الاسبوع ؛ لذلك كنت غير مهتم بهجر مازن لجسدي فوجدت البديل كما يقال .. وكان الرجل يكتفي بهذا اللقاء ، ويرى أنه أشبع رغبته وقضى وطره .. وكان أحيانا يطمع بالمزيد من الزيارات فأقول يكفي مرة .. وكنا نرتب لهذا اللقاء من خلال المعهد .. وكانت أغلب زيارتي لشقته ليلة الجمعة ، فيجهز الشراب والدواء ولما يأتِ الليل أذهب لبيته بسيارتي ،

وأقضي معه الوقت والخمر والزنا وأعود لبيت أمي .. وإذا لم تكن لديّ رغبة اعتذر له فيقبل اعتذاري .

ولما حضرت عشيقة مازن الطبيبة تطلب المال مني ، ورفضت الدفع، ذهبت فعلا لأمه ولم تحصل على شيء ، فرفعت قضية على مازن ، ولما عرف جديتها بعودة فلوسها إليها ، تفاهم معها واضطر لمصالحتي وأن نعود للفراش من جديد ، وأن عليّ الحمل لطفل آخر ، فقبلت وساهمت بسد دينه ، وهجرت صاحبي ، وقلت حين تعود المشاكل سأعود إليك ، فعرف الرجل الهدف من إقامة علاقة جنسية معه ، وتقبل الأمر ودعا لي بالتوفيق ، وفعلا أصبحت حاملا خلال ثلاثة شهور من الصلح ، ومازن التزم الهدوء خلال هذه الفترة ، ولما علم بالحمل بدا يتهرب من النوم معي بحجة أنني حامل ويعود للسهر والحياة خارج البيت .

وبعد حين ولدت طفلة بصعوبة كادت تذهب بحياتي ، وفرحت بمولودتي الجديدة ، وتم علاجي من مشقة الحبل بربط المواسير كما يقولون لمنعي من الحبل ثانية ، وحمدت الله على نجاتي من الموت.

وكان ثاني ما زال يبحث عن امرأة ، فعرض مازن الزواج من أخته الأرملة شفاء التي ترملت منذ شهور بعد حملي بشهر أو أكثر ، ونصحت أخي رغم معرفتي بفساده الابتعاد عنها ، فهي مستعدة لإحضار رجل للبيت أمامه إذا أعجب بها ورغب فيها .. فهي مستعدة لذلك ، وكانت تفعل ذلك في حياة زوجها .

ومن المعلوم في نظري أن أي علاقة تقوم بين امرأة ورجل خارج العمل نهايتها علاقة جنسية ؛ ربما تبدأ سريعا أو رويدا رويدا .. أما صداقة وأفكار هذا استدراج وسخرية من بعض .. وهذا جربته لما تعاملت مع زميلي في المعهد بعد حين تكشفت نواياه ونواي .. وأنا قبلت ذلك ؛ لأني أريد ذلك وهو أكيد فعل ؛ لأنه يريد ذلك .. ولم أر أن مازنا يستحق المحافظة على شرفه .. وأنا لم يعد يهمني ما يقال عن الشرف .

منذ أن حملت ومازن ابتعد عني كزوج ، وعاد لمجونه ولهوه .. ولماذا الناس يتزوجون ؟ وأنا بدوري عدت إلى العشيق الذي تقبل العودة بكل فرح وسعادة.. أنا طبعا لم أزعم أني أحبه ؛ إنما هو شريك في السرير .. وكان يستقبلني كزوجة عادت إليه .. وأنا لا أعرف لماذا طلق زوجته أو طلقته ؟

في المعهد ذات يوم قلت له : قلت الليلة موعدنا .

فقال : أنا جاهز .

ولما ذهبت إليه ليلا وجدت أن لديه ضيفا ، فتظاهرت أني قادمة لزيارة عمل ، وسلمت على صاحبه ، وكان رجلا من جيله ، وبعد حديث يسير علمت أنه عاجز عن النوم معي ، وأن

صاحبه مستعد ؛ لأن يكون بديلا له هذه الليلة . ففكرت قليلا وبعد شرب قليل من الخمر ، وافقت وسلمته جسدي ، وودعتهما وأنا أزعم أني استمعت بصحبتهما .

وعاتبت صاحبي في اليوم التالي ، فقال : كنت مريضا ، ولن أحقق لك رغبتك وأنا أعرف رغبتك .. وهو مثلي من غير زوجة ويعيش على احسان الصديقات.. والرجل مستعد للعودة إذا قبلت ذلك .

قلت : سأفكر.. الرجل أقوى منك جنسيا .

أصبح لي عشيقان ، كنت أحيانا أقبل لقاءهما بي معا ، ومرات أكتفي برفيق المعهد ، لم يعد الجنس عقدة ومحرجا لي .. كانت أمي تحس بسقوطي وبيعي لجسدي ؛ لتعويض هجر مازن لي .. فاضطررت أن أعترف لها باتخاذ العشاق وسكتت فماذا ستفعل ؟ وهي تعلم ما بيني وبين مازن .

والفتاة أو المرأة إذا تناولت الشراب وسكَّرت ماذا يهمها من يقضي شهوته معها ؟ الخمر مصيبة .. فهي ؛ ربما لا تميز رجل عن آخر .

تابت أمي وأبي بعد عودة شقيقي من السعودية ، ترك أبي وأمي الخمر ، وبدأت أسمع برغبتهما بالحج لتكفير ذنوبهما ، وكان يكثران من الحديث عن مال الشاب الصغير كيف تاب ورجع للإسلام ودرس الشريعة وتعين اماما لمسجد ؟ وهذا كله ينقله لهما ثاني .. وتمنيت من كل قلبي أن تعود الأيام الخوالي ، وأن نعود لتلك الجلسات والمناقشات .. وأن يعود الحب الصامت لمال .. ما زلت أهواه رغم التغير الذي حل به .

ثم حدث الحج حقيقة ، ذهبت أمي وأبي للحج ، وأنا كانت حياتي رتيبة عمل في المعهد من الصباح حتى المساء ، أطفالي مع جدتهم منذ خروجي للعمل ، وفترة الصباح أجلس معهم بعض الوقت .. جلال دخل المدرسة .. وعشاقي لهم ليلة في الاسبوع أو ساعات .. وهكذا مضت الأيام .. وهجري من مازن كزوجة .. يزعم أنه لا يستمتع بمعاشرتي ، ويراني عجوزا .. وأنا تلك الأيام لم أبلغ الثلاثين من العمر ..وحاول عشيقي الثاني تكرار اللقاء مرتين في الاسبوع فقلت له : أنا أعرف أنني لست المرأة الوحيدة معك .. فلنبق على هذا الترتيب وإلا هجرتكما .

لما رجعت أمي من الحج مرضت ، وزارنا مال ، والتقيت به من جديد وعادت أحلامي القديمة والشوق للاستمتاع بجسده الشاب ،كما كان يحدث معي في السرير وأيام مراهقتي ؛ ولكنه أبعد ما يكون أن يحقق لي ذلك .. فهو اليوم متدين ومتمشيخ حقيقة وواقعا وإماما لمسجد ، ولا يعني هذا أن الشيخ ملاك ، ونصحت شقيقي ثاني أمامه بعدم نكاح أخت مازن ونصحه مال بعدما دار بيننا

حوار وعتاب .. وتزوج ثاني من الأرملة شفاء وعاش سنتين في جحيم وشقاء كما يقول وأصبح مدمنا على الشراب والخمر ليل نهار حتى اضطر لطلاقها ، وطلقت أنا معه .. وأنا عدت لبيت والديّ وإن كانت أكثر أيامي فيه .. ولم تمكث أمي طويلا بعد طلاق ثاني.. وماتت .. وحزنت على أبي حزنا شديدا .. فقد أصبح وحيدا في شقته حتى أنني فكرت بالتقاعد من أجله وقلت : ماذا أفعل له ؟ أنا ابنته الابنة ليست كالزوجة .. وكان والديّ تقاعدا منذ زمن قبل طلاق ميساء .

غرق ثاني بالشراب ، وترك التعليم بإجازة طويلة ، وذات يوم رغبت بالاستحمام وخلعت ملابسي كلها لدخول الحمام ، ولم أرتدِ الروب بعد وشعرت بدوخان .. وأنا كنت أنام في بيتي عارية من أجل إغواء زوجي وذلك في أول زواجنا ، ولما لم يهتم بي عدت للنوم بثياب النوم .

نمت أو ارتميت على السرير حتى تزول الدوخة وأعود للحمام للاغتسال وكنت ليلتها قد عدت من بيت عشيقي ، ولم اغتسل بعد ؛ وبينما أنا نائمة دخل ثاني لا أدري لماذا ؟ فوجدني عارية فاقترب مني ودنا وهمس أولى أولى ففتحت عيناي وظننته يحاول اغتصابي .. فصرخت ففزع أبي وظن ما ظننته ، وقمت عارية ، وأحضرت سكينا من المطبخ وضربته بها ، فتلقاها بذراعه وبرر ذلك فقال : فكرت أنها مغمى عليها . وأبي يصفع به ثم قال : لماذا أنت عارية ؟

انتبهت لنفسي ، فوضعت الروب على بدني وقلت : كنت سأستحم ، وشعرت بدوخة فطرحت نفسي على التخت .

فهذه قصة الاعتداء عليّ التي بررها ثاني فقال : دخلت الغرفة أبحث عن دخان . فوجدني على تلك الهيئة فظن أن شيئا حدث لي اثناء الاغتسال ، وحضر يزيد الذي يسكن في الطابق الأرضي مع أبي بعد وفاة أمي .

وبعد ذلك بأيام وأثناء ترحيلي لبيت خالتي لقضاء بضعة الأيام حضر ثاني لبيت الأسرة كما علمت ، وتحدث مع ثاني ، ثم حدثت توبة ثاني ، وهجر البيت ؛ لأعود للعيش مع أبي ويزيد ، وعاد للتدريس ودراسة ماجستير الشريعة والدكتوراه فيما بعد .

وأنا بعد الحادثة هجرت صديق المعهد ، فقد اتهمني ثاني بالفجور ، وبيع جسدي .. ولا أدري كيف عرف مازن أو هو ؟

وسافرت إلى فرنسا للعمل في معهد هناك ،وقضيت سنتين فيه ، وكان لي صديق على طريقة الغربيين ، ثم عدت للبلاد ، وقد أنهيت علاقتي بالمعهد ، ووجدت صديق المعهد قد مات ؛ بل علمت بموته وأنا في فرنسا أثر مرض عضال .

وكتبت لمال رسالة أطلب منه أن يجد لي زوجا صالحا، وإنني راغبة باللحاق بها .. فوعدني بذلك إذا تيقن من توبتي .
مات أبي موسى أمير ، ولبست الحجاب كما أراد مال ، وعرضت نفسي عليه زوجة ثانية .
فقال معتذرا : لديّ زوجي ، ولا رغبة لي بالتعدد يا أولى .. وأنت أختي وسأزوجك .
وتحقق ذلك بعد شهور ووفى بوعده ، وأنا اليوم زوجة سعيدة ، لم أكن أول زوجة للرجل ، كان متزوجا قبل ذلك ، ولما تدين تركته ابنة عمه لتدينه ، وعشت معه لليوم أحلى أيام الزواج ، وأصلي وأصوم ، ولم يسألني يوما عن الماضي ، ويقول : الماضي للعبرة يا أولى ! ونحن أبناء اليوم .. وكنت أتمنى أن تلدي مني ؛ ولكن مالا قال لي : إنك كدت أن تموتي في ولادتك لابنتك وحدث لك ما حدث .
قلت : يا حبيبي وقرة عيني لم أعرف الدين إلا منذ عهد قريب من سنة ، ولم يكن باستطاعتي عدم التوقف عن الولادة .. كانت حياتي في نظرهم أهم وإذا أنت بحاجة لأولاد فتزوج عليّ فمال حدثني عن ذلك ؛ فأنا لديّ شاب وابنة .
وضمني إلى صدره بحنان وهمس في أذني : عندما يشاء ربي !

حديث ثاني

قصتي مع مال قصة حياة ، لم يكن الفتى ابن حارتي ، ابن النادي المالي نادي العائلة بحكم الوظيفة ، ولا نادي الأقارب وبعض الجيران الأغنياء ، تعارفنا في مدرسة الحسنات الكبرى في المرحلة الثانوية ، وسأذكر من خلال القصة لمحات عن المرحلة السابقة ، المدرسة جمعتنا ، لم نكن أبناء فصل واحد ، كانت شعب الأول الثانوي كثيرة ، كنت أحب لعب كرة اليد ومارستها في النادي المقاصد ، وفي المدرسة الثانوية ، جميع الملاعب كرة القدم واليد والطائرة والسلة وقاعة جمباز وحفرة الرمل للقفز ، كانت مدرسة مهمة فيها مختبرات ومكتبة متميزة .
التقينا في ملعب كرة اليد ، ومن خلال اللعب والاحتكاك تعارفنا ، ثم ازداد التعارف نتيجة التمرينات ، حدث بيننا نزاع خفيف ، وحين انتهى أخذنا نعتذر لبعض ، وكل واحد يبرر انفعاله .
ونتيجة لهذه المنازعة أصبحنا أصدقاء ، وكبرت العلاقة بيننا ، ووجدت أن الشاب يدخن مثلي فصرنا ندخن سرا في المدرسة مع بعض رفاقه ورفاقي ، ثم تطورت العلاقة لما استثنينا من اللعب مع فريق المدرسة ، واكتفينا باللعب لمجرد اللعب ، وعرفني على مقهاه المفضل في وسط المدينة مقهى الذهب في سوق الذهب ، وكان له

رفاق يحبون الافلام السينمائية ، فشاركتهم تلك الافلام ، وكانوا لا يحبون المسرح كأسرتنا ، وتعمقت العلاقة بمال دون الآخرين ، ولما كان ينزل للمقهى ماشيا لوسط البلد يمر من عند بيتنا في درب القلعة ، ويأخذني معه إذا رغبت ،وكان من احترامه لي يعود معي حتى لا أرجع وحيدا في الليل يصحبني لبوابة البيت ويودعني ، ويتابع عودته لحي النزهات الكبير لوجود أحياء أخرى تحمل هذا الاسم .

وكان شابا مثقفا وقارئا ممتازا للكتب غير المدرسية ، وله هوايات أخرى ، وكان في الركض سريعا ، وكان في كرة القدم لاعبا ومشجعا للنادي الذي أشجعه ، فزاد تعلقي به ، وأخذ أصحابي في الحي يختفون من حياتي ، ويندر اللقاء بهم ، وخفت علاقتي مع البنات سواء في شوارع المدينة أو نوادي العائلة ، وقلّت زيارتي للنوادي ، وتلك الايام في الفترة الإعدادية لم أكن ناضجا جنسيا كما نضجت في أول الثانوية حتى أنني تورطت في علاقات جنسية كاملة مع نساء متزوجات يعملن في الدعارة مقابل بعض المال ، ولكني كنت مقلا من الاتصال بهنّ .. كان مال يحذرني بقوة من الانزلاق في الجنس والعلاقات الآثمة ، وأن هؤلاء النساء قد يحملن الأمراض الجنسية لكثرة ما يمارسن البغاء مع رجال دون فحوصات وعلاجات ، فاقتنعت بكلامه ؛ ولربما يمر أكثر من شهر دون الوقوع في الزنا ، وعجبت من عفة صاحبي رغم حبه وكتابته لرسائل الغرام لرفاقه ، أو معارفه بناء على رغبتهم ، ومع حفظه لمعلقة أمرؤ القيس التي تتحدث عن غراميات ذلك الشاعر مع عُنيزة وفاطمة وغيرهن من النساء كحادثة سرق ملابس السابحات .

نتيجة لذلك سمحت لصديقي أن يدخل البيت لرغبة أمي باستقراري في البيت ، والابتعاد عن البنات ، فقد كانت لي صديقات من بنات العائلة والنوادي ، ولي غراميات لطيفة لم يدخلها الجنس لعدم بلوغي ونضجي الكامل ، مع وقوع ذلك لبعض رفاق النادي الأكبر سنا ، حتى أنني رأيت شقيقتي علا أكثر من مرة تعانق أو يعانقها بعض الفتيان ، فيعتذران ويزعمون أنهما محبان لبعض ، أما أختي أولى فلم يصدف أن رأيتها تعمل علاقة عاطفية مع أحدهم ، ولم أسمع وأمي علاقتي بها قوية ، وأطلعها على الكثير من أفعالي ، وتنصحني بضبط علاقاتي مع الفتيات وحدثتها عن أفعال علا ؛ لأرى ردة فعلها فقالت: مراهقة ! والمراهقات يحببن سماع كلمات الحب والغزل كما تفعل مع صاحباتك .

رحبت أمي بدخول مال لبيتنا وأحبته كما صرحت لي بذلك ، وكانت تقوم على خدمتنا ،

وتجلس معنا ، ثم تقبل والدي هذه الصداقة ، ورآها جيدة لي للبقاء في المنزل وقتا أكثر والدراسة أكثر .

لم يكن مال صديقا ورفيقا مزعجا سواء في المدرسة أو الملعب أو المقهى اعتبرني أخا له وصديقا ويطلعني على أسراره وأخبار أصدقائه ،فكبرت الثقة بيننا حتى اعترفت له بمغامراتي الجنسية فلم يغضب مني ؛ بل أقر أن له أصدقاء وقعوا بما وقعت به ، وما كان له إلا أن ينصحهم كما ينصحني ، فقلّت ذكرياتي السيئة مع البغايا ، كنت أخاف من معاشرة الأبكار لصغرهن وخشية وقوعهن في الحمل ، والاساءة إلى ما يسمى غشاء البكارة ، ثم الاجهاض ، مع أن بعضهن فقدن ذلك لقضاء رغباتهن الجنسية أو محاولة إيقاع أحدهم للزواج منهن ، كما حدث مع أحد رفاق المدرسة ؛ لكني سقطت في براثن وحمى الاباحية ، وتمنيت وجود الجواري التي كانت في العهود القديمة التي قرأنا عنها في الكتب .

كانت علاقة مال في البيت في بيت العائلة محصورة بي ، وكانت أمي إذا لم يكن عندها أمر خارج البيت تسمح لنفسها بالجلوس معنا ، وكان مال يقبل ذلك ، ولا يتحرج منها ، ولم يعترض على ذلك .

ويقول : أمك خائفة عليك تخشى أن أفسدك بأفكاري وخيالي .

فأقول : ولا تهتم ، أمي تعرف من أنا ، وتعرف فسادي وغزلياتي ، ولا تقول شيئا إنها تريدني أن أنجح في الثانوية العامة ، وأتوظف مثلها ، وأدبر أمري في الحياة ؛ بل إنها حدثتني عن الزواج حتى ابتعد عن العاهرات .

فيقول: لو فعلت ذلك كان أفضل لك من الزنا .

كنت أرافق مالا للمقهى ، وذلك عصرا ، يمر عليّ إذا وافقت على ذلك في المدرسة ، وتعلمت منهم بعض الألعاب ، ولا أذكر أسماءها وقوانينها .

الحقيقة أن الجلوس مع مال ولو لدقائق ممتع تستفيد لعبا وثقافة وحتى أحيانا يتحدث في السياسة التي أمتعض من الحديث فيها ، ولا أحبها ، ممكن بسبب تكويني البيتي ، فلا ذكر وأهمية لها في البيت .

مضت السنة الأولى ثانوية بسلام ، وعلاقة حسنة مع مال ، وفي الصيف عرفت من مال أنه يعمل ويشتغل هنا وهناك ؛ ليصرف وينفق على نفسه ، فهو ابن أسرة فقيرة ، أولا بأول ، وله عدد من الأخوة والأخوات ، وقليلا ما يجلس في البيت ، النوم فقط ، وعلاقته جيدة مع الأسرة لكن الوضع الاجتماعي والحالة المالية تدفعه للعمل ؛ فهو يدخن ، ويشتري الكتب والروايات وغرامه بذلك عجيبا .

يقول : إنه يشتريها من الصف الخامس ويقرأها ، وحتى في مكتبة المدرسة الثانوية كان محبا لذلك ، فأتحرر منه لما يذهب إليها ، وأخبرني أنه قرأ فيها بعض الكتب عن الجزائر والاستعمار يهوى سوى الأدب قراءة كتب التاريخ وسير التاريخ سواء علماء أو قادة .

لا أنكر أن صداقتي القوية لمال في المرحلة الثانوية حمتني من المغامرات الجنسية كثيرا ، وقللت منها ، كانت ثورة الاباحية والشهوانية تجتاحني بقوة ، فكنت أغامر قليلا حتى أني ابتعدت عن شباب أفلام الاباحية ، ومجلات العري التي كنا نتبادلها أيام الثالث الإعدادي ، حتى في النادي كنّا نتبادل تلك الصور زاعمين ؛ بأنها خفية عن الآباء والأمهات ؛ لكن الشهوة والرغبة والتجربة عندما تعصف بالمراهق مثلي الذي لا قدوة له ، ولا مانع يمنعه ، ولا أحد يزجره ويحذره ، فالراجح أن يتلوث ويزل ويهوي إلى الرذيلة .. انتفعت بصحبته تلك الأيام ، في أشهر الصيف قلّ لقائي بمال إلا ببعض الجمع عندما يزورني في البيت ، وأتمشى معه أحيانا في شوارع الحي ، لا أريد أن تسمع أمي أو أحد في البيت همومي الجنسية وسقطاتي ، فكان يقضي الوقت في لومي وخشيته عليّ من النساء الفاجرات .

عدنا للمدرسة وعدنا للقاء في البيت بكثرة ؛ ربما ثلاث مرات في الاسبوع.. وأنا أحب ذلك ؛ لأنه يمنعني من مرافقة شباب الجنس وفيديوهات الاباحية ، ويكثر من لومي ، وأنا فعلا أشعر بحاجة إلى ذلك ؛ فلم يكن لأبي ولا أمي أن يمنعاني من ذلك ، رغم أن علاقتهم ببعض عادية وقليلة النزاعات بينهم ، ويذهبون لنادي المالية في الغالب معا ، ونحن نذهب بمعيتهم خاصة في فترة الطفولة الاولى .. أنا بعد المرحلة الابتدائية قللت كثيرا من مرافقة هؤلاء الفتيان للسينما أو المسرح .

عدنا لتلك اللقاءات والسمر في البيت ، وقلت لكم الأسرة أحبت ذلك ، حتى شقيقتي أولى رغبت بالتعرف عليه مباشرة .

وأخرجت توأمي من قممها لما أكثرت لها من الحديث عن مال وحبه للقراءة مثلها ، كنت أحب أن تجلس معه لتلهو بالحديث والكلام معه ، وأعرف أن مالا لا يحب محاورة البنات مثلي ولكنه استطاع الحديث مع والدتي ، وحتى والدي لما يكون تاركا للخمر ، ومحبا للثرثرة مع الشباب مثلنا ..فكنت أحزن على أختي المحبة للعزلة والانعكاف في حجرتها لقراءة الروايات وكانت أمي تقبل ذلك ؛ لأني مرة قلت لها : لا يمانع مال بحضور أولى جلستنا . فقالت : وأنا لا أمانع ، فالشاب محترم .. ما رأيته مرة يحاول الإساءة إليّ

بالكلام وحتى النظر ككثير من رجال النادي ، فهو يراني كما تراني أنت ؛ ولكن دعها تفعل هذا بنفسها بقناعتها . وحدث ذلك ذات ليلة عادة كانت تبدأ زيارات مال للبيت بعد آذان المغرب أو العشاء ، وكانت الأسرة في الخارج ولم ترافقهم الفتاة ، وتطوعت بخدمتنا بدلا عن أمي ، والتقت بمال وأعجبت به وأريحيته وحبه للقراءة والروايات ، وأفسحت ليلتها المجال لها للحديث معه ، وهو تحدث معها بكل انبساط وكأنه يحدثني ، وكان هذا عجيبا في نفسي ، حتى ظننت أن لمال صديقات يتحاور معهن ، رغم تظاهره بكره الجنس النسوي ، وانبسطت ليلتها أولى به ، وشكرتني فيما بعد على سماحي لها بالجلوس معه ومناقشته ومجادلته. وأصبح هذا أمرا مقبولا لدى العائلة .

ولم أدرك عمق علاقة أولى بمال إلا في وقت متأخر ، أحبت الشاب أكثر من المتاح ، أنا لم أكن ضد أي علاقة عاطفية لها مع أي شاب .. هذا أمر لم يكن يهمني كثيرا ؛ ليس قلة غيرة ؛ إنما هكذا تربينا أن البنت مثل الشاب ، وكنت أعجب من عدم تكوينها علاقات مع شباب الناديين وحتى مع أبناء الاقارب ، بعكس علا التي أعتقد أنها عاشت لحظات وقصصا عاطفية سواء في مرحلة الاعدادية او الثانوية ، كانت تصغرني بعامين ، كانت علاقتي بهم علاقة أسرة أبناء وبنات رجل وأم .. كانت أمي لا تحب تهورات علا ، وكثيرا ما سمعتها توجهها ، والمهم لأمي أن تصل البنت لبيت زوجها عذراء بكرا ، وتغض الطرف عن علاقتها مع أبناء الاقارب.. وكنت أرى أولى جامدة ؛ فلذلك رحبت بوجودها معنا ؛ لكن أن تحب مالا كما ظهر فيما بعد فهذا أدهشني حقيقة ! وهي اكتشفت صعوبة الزواج منه بنفسها ، كان المستوى الاجتماعي يمنع ذلك .. فقر مال ، ونحن أبناء سن واحدة أحد الحواجز الأخرى ، وعادة يكون عندنا الزوج يكبر الفتاة بسنة على الأقل إن لم يكن سنوات .. فكانت كما ظهر تحبه بصمت ، ومال لم يسع إلى ذلك ، ويعتبر فعل ذلك خيانة ؛ لثقتي وثقة أمي به ، حيث كانت تقبله وتستقبله كابن لها ، وتخدمنا بنفسها ، وتشاركه مشاكلها في النادي والعمل ، وتسمع رأيه ، وهو يبادلها الصداقة وكان الجنس بعيدا عنه وعنها ، رغم أنهما رجل وامرأة ، فلم أسجل عليه حكاية من ذلك ، فكيف مع أمي التي أحبته كابن لها واحترمته ؟ وحتى لو أحب أولى فعلا ما كان يقبل بالخيانة والعشق والمواعيد الخفية ، كانت صداقتنا قوية ، وأنا تساهلت مع أولى بالجلوس معنا ؛ لتنفس عن وحدتها وعزلتها ، وأمي وحتى أبي لم يبديا أي اعتراض على جلوسها وحديثها مع مال

، وأنا تفاجأت عندما رأيت رغبتها الشديدة فيما بعد للزواج من مال المجند بمبلغ بسيط ، لا يكفيه دخان ومواصلات ، ولما حاولت ذلك اعتذر لها ، وكان جيدا لها ولنا .

كانت فترة الصيف فترة انفلات مع الجنس الآخر ، بغياب مال أصدقاء السوء كانوا هم أصحاب النفوذ عليّ .. من أين كانوا يأتون ببائعات الهوى؟ لا أدري صدق ذلك ؛ لكنهن موجودات ، وبمبالغ بسيطة لا تكاد تصدق ..إنهن مومسات غير محترفات كما نسمع عن المحترفات .. ولا أرغب بالتوسع بالحديث عن هذا الالم القاتل .. مستنقع الجنس قذر وعذاب ..وكنت أعجب من مال وغيره ممن يملكون شهواتهم امام الموج الهادر من الاباحية.. لم يكن مال مسلحا بالحماية القوية للدفاع عن نفسه امام الاغواء والاغراء .

وجاءت السنة المهمة والاخيرة ، وعاد مال ؛ ولكن بزيارات أقل بسبب الدراسة المكثفة ، وكثرة دروس الخصوصي ومراكز التقوية لمادة الاحياء الكيمياء الفيزياء الانجليزية الرياضيات لم أكن ضعيفا دراسيا بكل هذه المواد ؛ ربما الموضة التي دفعتني لدراستها سواء في البيت أم مراكز تقوية كنت أعلم أن مالا لن ينجح ؛ لأنه هو يقول ذلك ، ولا يحب دروس التقوية رغبة أو قلة مال .. نجحت ونجحت أولى بعلامات أعلى مني ..

وكان الفراق شبه الكامل أو الكامل هي ـ أعني الصداقة واللقاء البيتي ـ خفت في فترة الدراسة ؛ ولكنها بعد الثانوية ستصبح ضعيفة بالتأكيد .. نحن سنصبح في الجامعة .. وهو إما أن يعيد أو يذهب للجيش .. وفرحت صدقا لما أخبرني بلقاء عابر أنه سوف يعيد لرغبة أمه بذلك ، فأبوه كما بدا من كلامه لا يهمه نجاحه أو رسوبه ، فله أخ شقيق ترك المدرسة قبل الثانوية العامة ، ولم يكترث له والده .

أنا بالنسبة لي مال أصبح خارج الأصدقاء ، وأما أولى فكانت تكتب له وتقول أحيانا يرد على خطاباتها .. أنا لم يكن بيني وبينه أي رسالة إذا التقينا بظرف ما نعاتب بعضنا بأدب ، ويتمنى كل واحد لصاحبه الخير والتوفيق .

علمت من أولى أن الرجل لم يكمل الدراسة ، وتركها والتحق بعمل الكهرباء والطوبار ، وكنت أسمع بعضا من أخباره من بعض معارفه الذين ألتقيهم بغير ميعاد .. وأنا ما زلت أحبه وأقول لأولى سلمي عليه عندما تكتبين له .

منذ وطئت قدماي الجامعة وكلية العلوم تعرفت على الجنس الآخر ، وبدأت أزعم لهن الحب والهوى ؛ وربما أمكث مع الواحدة أياما أو أسابيع ، وأنتقل لغيرها ، وهي تفعل مثلي ، وبعضهن أسهر معهن سهرات ليلية ، وراغبات بالعلاقة

الجنسية الكاملة ؛ وكأنها جاءت للجامعة من أجل ذلك ، وإذا تيسر المكان فلم أكن أقصر ، حتى علمت أنني أصبت بمرض جنسي بكتيري ربما كان في أواخر السنة الثانية ، يسمونه الإفرنجي والسفلس والزهري .

كانت صدمة صاعقة وقاتلة ، وتذكرت نصائح مال ، وأخذت بالعلاج سرا ، ووقفت أمي وأبي معي . وقالت :كم نصحتك يا ثاني من تلك الأفعال وتقول لي إنك تبالغين يا أمي ؟!

هجرت النساء والزنا مرغما كما يقال ، وأخذت بالعلاج ، وأخبرني الطبيب بالتحسن ، وأن عليّ أن لا أقرب الجنس قبل الشفاء التام ، في آخر السنة الثالثة رغبت أولى بالزواج قبل إنهاء الجامعة ..كان قريب لأمي قد أكثر من ذكرها ، وتحدث معي من أجل الضغط عليها ، وأنه مغرم بها ، وبأخلاقها وبعدها عن الرجال ، كما اشتهر ذلك عنها.

واعترفت لي بحبها لمال ، وأن حبه رغم بعده عنا ما زال في قلبها ، وكان ذلك مفاجئا لي حقا .. فمال ذهب للجيش ، وهو فقير لا يملك مالا ؛ ليتزوج ، ووضع أسرته لا يستطيع مساعدته في زواج ، وعرضت أنها ستعرض الأمر على مال ، وأنه إذا رفضها زوجة ستقبل بالسيد مازن المحامي المتخرج من سنوات ، ويعمل في مكتب خالي المحامي ، وكانت أمه خالة أمي ، ورتبت لقاء خاصا بين مال وأولى في البيت بوجود أمي ، ولما عدت في الليل ، وجدت أن الحزن يخيم على البيت ، وأن مالا رفض الزواج من الفتاة رغم محاولتها إقناعه بذلك ، وأنها ستساعده ماديا حتى يقف على رجليه ، وأن عملها سيكون فور التخرج .

رفض السيد مال لصداقته لنا ، ولمعرفته بمن هو ؟ أنا لم أحاول وأسعى لإقناعه بها زوجة ويا ليتني فعلت ! .. نحن الفارق المالي والاجتماعي بيننا للأسف كبير ، وكان مهما في العائلة، ولم يكن بينهم أي اتصال عاطفي أيام الثانوية ، ولا بعدها كان حب من طرفها وحدها ؛ بل علمت من أمي فيما بعد ، بعد سنين أنها حاولت إغوائه بمضاجعتها فأبى وهرب .

تزوجت أولى في الصيف ، وأنهت السنة الرابعة كزوجة ، وأنا أعرف مازنا ، كان أسوأ مني في علاقته بالنساء والبنات ، وسمعته معروفة في العائلات القريبة ؛ ونحن نغرش عن أي علاقات جنسية خارج الزواج لأي رجل في العائلة ، فهذا معروف في العائلة التساهل بعلاقة الرجال بالنساء ، حتى البنات نسكت ونتستر إذا حدثت أي إساءة لبنت من أقاربنا أدت لفقد بكارتها وزناها ، وهذا المسمى الصحيح ؛ لكن هكذا تعلمنا .

وكان حظ أولى هذا الانسان ، فعليها أن تتعايش مع هكذا رجل . انهيت الجامعة بسلام ، وتخرجت من كلية العلوم ، ويمكنني أن أعمل كمدرس أو في مختبر .

وكان التخرج في عام اثنين وثمانين ، بعد أربع سنوات دراسة ، ثمانية فصول عليّ أن التحق بالجيش ، وفعلا في شهر أيلول ذهبت لدورة مشاة أساسية هكذا تسمى ، تستمر ثلاثة شهور وبعدها عينت في مدرسة عسكرية لتدريس الطلاب في المرحلة الاساسية ، ثم نقلت إلى المرحلة الاعدادية .

وعاد بي الحنين للنساء ، فكان الزواج وعن طريق زميل في التدريس عرفني على مدير مدرسة لديه بنات في سن الزواج ، والغريب أو القدر أن هذا المدير يسكن في حي درب القلعة ، وذهبت مع أمي ورأينا العروس ، وكانت حسناء ، وقد درست معهد متوسط ، وتعمل في مستشفى محاسبة ، وتزوجتها فور إنهاء خدمة العلم .. زوجتي المحاسبة اسمها ميساء جميلة وذات خلق بمقياسي ؛ ولكن الزوجات ثقيلات في التعامل مع الازواج خاصة في العلاقة الحميمية ، تجده كأنه واجب عليها يجب أن تخلص منه ، لا يفعلن كما تفعل بنات الهوى من الإثارة والإغراء ، همها الأول من تلك العلاقة الحمل والولادة ، وليس إمتاع الزوج ، ومن كان مثلي قد يزيغ ويعود للانحراف ؛ ولكن مرضي الجنسي السابق دفعني للصبر ، وتحقيق رغبتها بالحمل ، قد فشلت ، فما زلت أعاني من تبعاته أقصد المرض .. وهذا أمر أخفيته عنها ورأيت بأن لا داعي لفتح صفحات الماضي ، وكانت الفحوص تؤكد أن الحمل قد يقع في أي لحظة ؛ لكن أسرة الفتاة خاصة أمها كانت تضغط عليها لتحقيق ذلك ، وأنا عاجز ، فمرات كنت لا أستطيع إكمال عملية الجماع ، فقدت الكثير من طاقتي الجنسية مع بنات الجامعة والنساء الماجنات .. كانت مأساة حياتي الجنسية أثناء الزواج .

علمت من أولى بنجاح مال في الثانوية ، وهو ويدرس المحاسبة في معهد متوسط ، يعمل لمساعدة نفسه وبمساعدة من أخيه بدفع تكاليف الدراسة والأهم أنه تدين.. وهذا أثار استغرابي .. وسعيت للاتصال به ، وتأكدت من تلك الاخبار علمت من والدها لميساء الاستاذ سعيد حسن أنه يعرف مالا كشيخ ، وأنه جاء لمسجد الحي لسماع بعض الدروس التي كان يقيمها إمام المسجد ؛ لذلك لما اشتد الضغط عليّ للانفصال طلبت تدخله ، وفعلا وفق بإصلاح ذات البين بيننا ، وأن أعطى فرصة أخرى ؛ لعل الحمل يحدث ، فتمدد الزواج لسنتين أو ثلاث .

وخرجت أعيش بعيدا عن بيت الوالد ، ثم تعاقدت للعمل في الخارج ، فغادرت لدول الخليج وعملت قريبا من خمس سنوات فيها ، وفي السنة الثانية لما عدت للبلد طلقت ميساء حسب الاتفاق ، وإنني عاجز عن تحقيق الحمل .

عدت من السفر نهائيا عام تسع وثمانين ، وأنهيت رحلة التعاقد ، وعدت مدرسا للعمل في مدارس الحكومة مادة العلوم في المرحلة الثانوية ، وعدت للقاء بهال ، وقد تعين إماما لمسجد في إحدى القرى البعيدة ، فصرت ألتقي به في دكان صاحبه حسين خلو ، ونتذكر أيام زمان ، وأيام الثانوية ، وحدثته عن رغبتي بالزواج .

فقال : يا حبيبي يا ثاني أنت غير متدين.. تدين مثلي لأسعى لك في ذلك .

تجادلنا حول هذه النقطة .. التدين .. وأهمها ترك الخمر والشراب ، واستصعبت التدين ، ووعدته بترك الخمر والشراب ، وكان يظن أنني تركت الشراب لعملي في السعودية ، فأخبرته أن ذلك يحدث وإن بصورة سرية ، وهناك من يهرب الشراب .

حياة أولى مع زوجها كانت سيئة ، وكنت أسمع عنها من أمي ، وأحزن عليها ، وأدركت أن زواجها من مازن غلطة كبيرة ؛ ولكن ليس بيدي حيلة .. والصفات الحسنة لا تباع في الاسواق .. والرجل زير نساء ، وليست مغامراته نزوات عارضة ، وسفري ساعدني أن أبتعد عن مشاكلها وسماعها ،وآلمني بأن الرجل هجرها في الفراش ، ولا يقربها بالأشهر ، وأنها ترغب بالطلاق .

تاب والديّ ، وهذا أمر نراه في العائلة الكبيرة ، بعد أن ينتهي الكبير من أعمال الدنيا ، ويدركه العمر الستين يترك الخمر والنسوان ، ويتوب ويسعى للحج ، فحجوا عام ثلاث وتسعين.

وزار مال أمي ووالدي ، وبارك لهم الحج ، ونصحني مال بعدم الزواج من شفاء شقيقة مازن لم أجد امرأة تقبل بي كزوج إلا هي تلك الفترة ، ولم أقبل اعتراض أولى ومال ، وسكنت مع والدي ، فشفاء شقيقة مازن وقريبة أمي ، ويومها بعد زواجي لأخته سعيت بعودة علاقته لأولى وتحسينها بحكم المصاهرة الجديدة ، ودعوته لترك هجرها في الفراش كما شاع في الأسرة ، فتظاهر أنه مضطر لهذا الهجر ، وأن السبب أنها تتخذ العشاق ، طبعا لم أستغرب ذلك الدفاع ، ففي النهاية أولى امرأة وأنثى ، ولها رغبات كغيرها من النساء ، وبما أن الرجل ابتعد عنها ستبحث عن ذكر غيره .. وبما أنه يخونها علنا ، فهي مستعدة لخيانته ؛ ولكنه أحب أن يؤكد لي أن زوجته تخونه ، كما يخونها ، وأن لها عشاقا ، وأنه مستعد أن يعرفني عليهم ، وليبين لي فساد أولى ، حتى لا أبقى مصدقا أنها له

وحده ، فدفعني الفضول لذلك ، وفعلا جمعني بصاحب أولى في المعهد . وقال لي : هذا الرجل العجوز عشيقها !

حاول الرجل في البداية تكذيب مازن ، ثم اعترف أن بينهما علاقة جنسية منذ سنوات ، وأن له رفيق يشاركه في النوم معها : فتساءلت أهناك امرأة شريفة ؟

ولما شككت بالأمر ، وأن الامر مرتب بينهم . قال مازن : أنت لم تصدق ذلك ، أنا لست مغفلا يا ثاني .. أنا الوحيد الذي لم أستطع أن اثبت أن له علاقة جنسية معها هو مال .. واليوم صاحبك شيخا وإماما للناس .

فرددت مقسما :أقسم لك إن مالا لم يعمل معها علاقة قبل الزواج ولا بعده .

قال :أنا قابلته قبل زواجي من أختك ، وأقسم لي كما أقسمت لي ؛ ولكنها تحبه ، وهي تعترف لي بذلك ، وأرادت أن تسمي ابني جلالا مالا .

قلت : سمعت يا مازن .. أهذا الرجل العجوز أأنت متأكد أنه عشيق لأولى ؟ كيف عرفت ذلك ؟

قال : الأمر ليس صعبا يا ثاني.. أنا لما تركت النوم مع أختك ، وهي لم تكترث ، ولم تسع لإرضائي .. عليّ أن أدرك أنها وجدت البديل ، وببعض الجهد وببعض الحوار مع موظفي المعهد الذين يعرفونني كزوج لها أخبروني عن أكثر الناس لقاء بها بعد الدوام والعمل ، وراقبت شقته ، وعرفت شريكي في الفراش .. والحق لم يكن بيننا فراش إلا أمام الناس .. المقربون يعرف أننا بعيدون عن بعض ، وإنني تصالحت معها بعد مشكلة تلك الطبيبة المطلقة ثم قابلت الرجل وبقليل من التهديد اعترف لي بما يجري في بيته ليلة الجمعة .

قلت : وهل يمكنني أن أتأكد بنفسي ؟

قال :إذا لم تصدق أفعل .

وأعطاني عنوان الرجل وموعد ذهابها إليه ، وفعلت ، ورأيتها تدخل وهي في غاية التبرج ؛ وكأنها ذاهبة للقاء زوجها ، لا تظنوا أنني تألمت ؛ فأنا أقبل ذلك ؛ لأن لي مغامرات حتى وأنا متزوج ، ولا يعني هذا عدم الغيرة ، ما دام زوجها يرضى بفجورها فهل أمنعها أنا ؟! وأنا الرجل الفاجر مثلها ؛ لكن لمعرفتي القديمة بأولى استغربت ، إنها الشهوة الفتاكة لمن أرخى لها العنان .. رأيتها تخرج بعد أكثر من ساعة من بيت عشيقها ، والرجل يوصلها لسيارتها ثم قبل يدها عندما تصافحا ، ثم رأيت العشيق الثاني يخرج بعد وقت يسير ، ويركب سيارته ، عشيقان في ليلة واحدة عدت مغموما ، وانتهى الموضوع ، وأن أختي كسائر النساء .

بعد عدة أسابيع من زواجي من شفاء بدأت

حفلات السهر والمجون في شقة شفاء .
لم ترع لي حرمة أو أني زوج جديد ، فبدا أصدقاؤها أيام زوجها الميت يهلون للشقة ، ويلعبون الميسر ، ويمارسون البغاء مع نساء بعضهم ، وعرضوا عليّ مشاركتهم المجون ، فاحتججت على ذلك .
فقالت شفاء : ثاني لا تعمل حالك شريف .
فقلت لها : أنا شريف ، ولم يحدث أن تركت ميساء مع رجل غيري .
صاحت : أنا لست ميساء .. وأنا أعرف شرفك .. ولا تنسى مرضك الجنسي أيام زمان .
قلت بذل : في البيت لا داعي لذلك ، لا أحب أن أكون قوادا .
انسحب الضيوف تلك الليلة ، وتعهد أحدهم بأن يكون السهر في بيته ، وبعد أيام عادوا ، وكان لهم ما لا يحتمل .
فهربت للخمر من شذوذهم ومجونهم حتى أنني لم أعد قادرًا على إقامة علاقة جنسية معها ، وكانت تعيرني : أرأيت أنك لم تعد ذكرا ؟
وزادت الخمر عندي ، فهذا كان الحل في نظري ، وافتعلت المشاكل والنزاع ، ومن ثم الشكوى لمازن وأمها ، فيقول : أنت لم تكن تعرف علاقات شفاء أيام زوجها جميل ؛ لكنه كان أنشط منك ينام مع نسائهم.. المعاملة بالمثل .
قلت : أختك شاذة يعني !
قال : ماذا يسمى تبادل الزوجات يا ثاني ؟
قلت : لا أطيق ذلك .
قال : مع الوقت ستتعود .
لم أستطع التعود على تلك الانحرافات ، وسكنا بشقة عند مازن ، ثم صار أكثر وقتي في درب القلعة عند أمي أشكو لها غمي وشذوذ ابنة خالتها ، فكعادتها تصمت ، صبرت سنتين دون حل ، أصر أبي على طلاقي لها قبل هلاكي أنا ، وحصل الطلاق ، ودفع والدي حقوقها ، واضطر مازن لطلاق أولى بالمقابل زاعما أن ذلك ارضاء لأمه وأخته ، وانتهى ما بيني وتلك الفاجرة .
وبعد طلاقنا بأسابيع ماتت أمي حزنا وكمدا على حالي وحال أولى ، فهي كانت تعرف من أولى نفسها عن علاقتها بالرجال والعشاق ، كنت أتسأل أين هي الحياة السعيدة ؟
جاء مال وقدم لي العزاء ، وعزى كل الأسرة ، وأشفق على والدي ، وحثني على التوبة والتدين وترك الخمر ، فبدأت مقتنعا بما يقول ؛ ولكني ضعيف وعاجز عن فعل ذلك ، وكانت حالة أولى بعد موت أمي صعبة ، وغرقت هي الأخرى بالإكثار من السكر والاعتزال بعد الدوام حتى أنها كرهت طفليها ، ولم تعد ترحب بهما .
ذات ليلة احتجت لدخان ، لم يحضر يزيد لي الدخان ، فذهبت لحجرة أولى لآخذ علبة منها ،

فوجدتها عارية تماما ، فظننت أنها كانت تريد الاستحمام ، وحدث معها شيء ، فاقتربت منها ؛ لأوقظها ففتحت عينيها ،وظنت أني كنت أرغب باغتصابها فصرخت وصاحت ، فجاء أبي الذي ينام في الطابق الثاني معنا ؛ لأن يزيد بعد موت أمي جاء وسكن في البيت ، وأنا ذكرت لهم أني دخلت أريد الدخان ، ولم يصدق أبي دفاعي ، وهي ذهبت للمطبخ وأحضرت سكينا وحاولت قتلي ، وجاء يزيد ، ولبست ثيابها ، وأخذوها إلى بيت خالتي خوفا مني ، وبعد أيام حضر مال ، وتحدث عن تلك المشكلة ، وبينت له أسباب ذهابي لغرفتها والحال التي وجدتها عليها ، وحدثني أن لا مخرج لي من هذه الورطة إلا العودة إلى الله ، وترك السكر وعاهدته على فعل ذلك ، واغتسلت وعلمني الصلاة والوضوء ، وكان كل أسبوع يأتيني لذلك ، وخلال شهور تخلصت من الشراب نهائيا بفضل الله ، وعدت للتدريس ، وكنت قد رحلت من البيت حتى تعود أولى إليه ، وعدت بتشجيع من العزيز مال إلى دراسة ماجستير شرعي ، ثم الدكتوراه وعرفني مال على بعض رفاقه الشيوخ والعلماء أو طلبة العلم في حي النزهات ، ثم سافرت للعمل في إحدى الجامعات في دول الخليج ، وكان والدي مسرورا مما آلت إليه حياتي ، وصدق طبعا أن أولى فهمت ما حدث خطأ .

ثم علمت من مال بزواج أولى وتوبتها ، وأنها سعيدة مع زوجها الجديد ، وأنها قد تركت المعهد والعشاق ، وعلمت بعد حوالي أربعين سنة أن السعادة والنظافة فقط بالتمسك بدين الإسلام فهو الذي يحمينا من الخدن والخليلات والعشاق والزنا والخمر والاباحية الجنسية .

ثم يسر الله لي أرملة لديها طفلان قد مات زوجها بحادث سير ، وهم مغتربون مثلي وقبلت بي تلك الأرملة عن طريق زميل لنا في الجامعة .

وكنت أكتب لمال وأسمع أخباره ، وهو يسمع أخباري ، ثم قررت العودة للوطن بعد اغتراب لبضع سنين ، وكان السبب موت والدي ـ رحمه الله ـ وحضرت دفنه ، ثم على أثر ذلك تصالحت مع أولى ، وبكت ندما على اتهامي ، وتسرعها تلك الليلة في اتهامي للنيل منها.

وحياتي اليوم تمضي مع الكتب الدينية والاصدقاء المتدينين ومناقشات علمية ومتابعة بعض القنوات الفضائية .. هذا مختصر حياتي .. ليس فيها شيء مهم ؛ ولكن كاتب هذه الرواية أحب أن أتحدث عن أهم محطات الحياة كما فعل مال ثم أولى ..وشكرا .

الفصل الأخير

احتفل رفيق دربي مال وبعض الأصدقاء بزواجه

من أولى ، وحملهم ثاني بسيارته من قاعة الحفل إلى بيتهما وشقتهما المستأجرة في درب القلعة ، ولما جلسوا في غرفة الصالون ، استأذن ثاني ، وغادر البيت ، وأغلق مال الباب عاد إلى حبيبته التي أخذت بخلع ثوب الحفل ، ثم قبلها قبلة انتظرتها أربعين سنة ، وضمها إلى صدره ، ووضع يده على رأسها وقال اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه

وقال : فلنتوضأ أيتها الحبيبة ونصلي ركعتين أيتها الحبيبة عملا بسنة حبيبنا محمد ﷺ فتوضآ ، وصلت خلفته ركعتين لله تعالى .

وقال بعد الصلاة : اللهم بارك لي في أهلي ، وبارك لهم فيّ ، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير ، وفرق بيننا إذا فرقت إلى خير .

وقدم لها قطعة من الشوكولاتة ، وهو يقول : كنت تحبين هذا النوع منها يا حبيبتي .. وحين نسهر في بيتكم كنت تقدميها لي . واطعمها إياها بيده وقال : حبيبتي !

قالت : كم أحببتك يا مال ؟

قال : الخيرة فيما يقدره الله .. لو تزوجنا قديما ؛ ربما تطلقنا عندما تدينت يا حبيبتي ! وضمها إلى صدره ، وأخذت هي تبكي وتقول : رحمك الله يا أمي !

فأخذ منديلا ورقيا ، ومسح لها دموعها ، وهو يقبل رأسها ويداعب شعرها : الأمر لله من قبل ومن بعد .

قالت :رجعت بي إلى أيام الصبا .

قال : الرسول ﷺ تزوج أغلب نساءه بعد الخمسين .. المهم السعادة .

ضمته لصدره من جديد وهمست : رضيت بي أخيرا يا مال !

قال :تغيرت الاحوال يا ملكيتي ! أنت تعلمين أنني أحببتك وتمنيتك زوجة ؛ لكن تلك الأيام كان زواجنا صعبا .

قالت : صدقت .. هل غفرت لي تلك الليلة ؟

قال : فعلت أيتها الحبيبة .. فأنت الآن لي وأنا لك .

عانقته وقالت: حياتي أسعدتني وانسيتني عذاب تلك الأيام من الجاهلية

قال : حياتنا الحق في إسلامنا .

قالت : الحمد لله رب العالمين .

حضر ثاني صباحا ، وجلب معه فطورا وحلوى ، وقال : لعلكما قضيتما ليلة سعيدة .

حمدا الله وشكراه وقال مال : عدنا لإيام الصبا يا أخي الكريم .

قالت : شكرا يا ثاني ! وكم ندمت عندما طعنتك بالسكين !

قال : تسامحنا يا أخية .. أنت خير أهلي لي اليوم .. وها قد عاد القدر وجمعنا جمعا ، لم نكن نحلم به .. وجئتم بخبر سعيد .

قالت : ما هو ؟

قال وهو يقبل يدها : كيف عروسك يا مال !

قال : قلت عدنا لإيام الصبا ، ما الخبر السعيد ؟

قال : لنفطر أولا قبل أن يقبل الاصدقاء والاقارب للمباركة لكم . دخلوا المطبخ

قال ثاني : هل قرأتم قرآنا ؟

قالت : الحمد لله صلينا الفجر معا ، وقرأنا ما تيسر منه .. وجلسنا نتغزل ببعض مثل تلك الأيام .. ما زال مال يحفظ تلك الاشعار عن حب عنترة وعبلة .

دارٌ لآنِسَةٍ غَضيضٍ طَرْفُها ...
طَوْعِ العِنانِ لَذيذَةِ المُتَبَسِّمِ
يا دارَ عَبلَةَ بالجِواءِ تَكَلّمي ..
وَعِمي صَباحاً دارَ عبلةَ واسلَمي
أنّي عَداني أَنْ أَزورَكِ فاعْلَمي ...
ما قَدْ عَلِمتِ وبعضَ ما لم تَعْلَمي
يا عَبْلَ لَوْ أَبْصَرْتِني لرأيتني ...
في الحربِ أُقدِمُ كالهزْبرِ الضّيغمِ

وقال :

وَلَقَد ذَكَرْتُكِ والرّمَاحُ نَواهِلٌ ...
مِنّي وبِيضُ الهندِ تَقْطُرُ من دَمي
فَوَدِدْتُ تَقبيلَ السّيُوفِ لأنّها ...
لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّمِ

وقال مال ضاحكا :

وَقَد يَجمَعُ اللهُ الشَتيتَينِ بَعدَما.......
يَظُنّانِ كُلَّ الظَنِّ أَن لا تَلاقِيا
لَحى اللهُ أَقواماً يَقولونَ إِنَّنا ......
وَجَدنا طَوالَ الدَهرِ لِلحُبِّ شافِيا

قال ثاني : أكيد قضيت ليلتك تقص عليها أشعار الغزل .

أكلوا وشربوا الشاي من أيدي أولى ، ولما رجعوا لصالون الشقة قالت : طال انتظارنا للخبر السعيد ..هل وجدت عروسا كصاحبك مال ؟

قال : سأجد ـ إن شاء الله ـ الخبر السعيد أن شقيقنا المهندس يزيد سيفارق البيت قريبا بسبب زواجكما وينتقل لشقة في بنايته في العريقات وسيضعها تحت تصرفكم أنت ومال .. وهكذا نعود جيرانا .

قالت : خبر سعيد .. الماضي يعود يا مال !

قال مال : أنتم لم تقتسموا ميراث والديكم .

قال ثاني : قسم قديما .. ولماذا السؤال ؟

قال : كنت أظن أن له الارضي ولك الثاني .

قال : لا ، هو البيت الوحيد الذي ترك بدون تقسيم يا مال ! ظل للجميع وقبل أن أنسى ابنك المحامي وابنتك سيأتيان ليلا لتهنئتك بالزواج ..

تحدثا معي بذلك .
نظرت أولى لمال ، وقالت : هددنني إذا تزوجتك سيقتلني !
قال مال باسما : أليس هو ابن زوجك الأول الذ ي كان يغار مني وأنا بعيد عنكم ؟
قال ثاني : لا تهتما بكلامه وتهديده .. هو فارغ مثل أبيه الميت .
قالت : يمر عليّ يا مال سنة أو أكثر حتى يزورني هو وأخته زاعمين أنني لم أربيهم ولم أهتم بهم قبل طلاقي من أبيهم ومن بعده .
قال مال : أهلا بهم ومرحبا يا ثاني .
قال ثاني : لم يكن من السهل نفسيا حضور زواج أمهم .
قالت : أنا لم أطلب منهم ذلك يا ثاني .
حضر جلال مساء وزوجته المحامية مثله لشقة أمه ليبارك لها زواجها ولما قرع الباب فتح له ثاني خاله وصافحه وحيا زوجته أم أمجد وتقدمها لصالة الاستقبال ، وصافح الرجل أمه ؛كأنه يصافح امرأة أجنبية وقال بصوت جاف متظاهرا بأن زواجها لم يرق له : مبارك يا أم جلال !
وأشار خاله لمال وقال : هذا زوجها مال الدين !
فقال : مرحبا . وجلس دون أن يصافحه متجاهلا يده التي مدت فقال مال : أهلا بالمحامي الغاضب
هنف الشاب :لماذا الغاضب ؟
وكانت زوجته تعانق حماتها ، وتبارك ، وتقول : لا تهتمي يا عمتي بحركات جلال الرعناء .. مرحبا أيها السيد الكبير !
قال مال : أهلا يا ابنتي ومرحبا .. تفضلي بالجلوس .
جاورت زوجها ، وقالت : كيف أنت يا خال ؟
قال ثاني : أهلا لمياء بخير .. وأنت ووالداك ؟
ـ كلنا بخير
رحبت أولى بلمياء وسألتها عن أهلها وعادت للصمت والوجوم ، وقال ثاني : أين أختك ؟
ـ لم تحضر من العمل ؛ لكنها ستأتي .. واجب علينا لابد منه .
ضحكت أولى : ومنذ متى وأنت تعرف الواجب ؟
قال مال : يا حبيبتي ! جلال مازال شابا صغيرا .
قالت لمياء : كيف أنت والسيد يا عمتي ؟
قالت أولى : أهلا بكم .
قال جلال : لا أدري كيف امرأة بسنك تتزوج ؟!
قالت زوجته ـ وهي تتناول العصير من خادمة ثاني التي أحضرها لما أحضر الغداء لصهره واخته
ـ : كما تتزوج النساء .. وهل للزواج عمر ؟
صاح الشاب : أنا لم أطلب الاجابة منك يا حضرة الدكتورة .
هي دكتورة في القانون قالت بحدة : ونحن منذ

متى نتدخل في حياة أمك يا جلال ! وكما قالت لك إنها تمكث بالشهور ولا تتفضل عليها بزيارة وقف جلال وقال : مبارك يا أم جلال ! واسمحوا لنا بالانصراف .

قال ثاني : هو الأفضل .. فأنت ابن من ؟

صرخ جلال : ابن الشيطان يا دكتور !

قالت أولى : أفعالك هذه لا تزعجني .. أنت ما زلت طفلا .. شكرا لك يا لمياء !

قال مال : عندما تهدأ أعصابك فأسمح لك بالحديث معي ، فلن أحدثك عن البر والاحسان .. فأنت جاهل فيهما مع السلامة .

فقال جلال بحدة : تطردني !

قال مال : هذا بيتي يا ولدي ! من لا يحترمه فلا يستحق الاحترام .

خرج ساخطا تتبعه زوجته ، وهي تعتذر لهم ولما خرجوا قال مال : فعلت ذلك ؛ لعله يعود للحديث معي .. فهو مسكين جاهل .

قالت : حبيبي مال لا تغضب .. فنحن علاقتنا مع بعض سيئة .. فقد أشبعه والده كلاما سيئا عني ، وأني تخليت عنه ، وعن أخته صغيرا وشابا .. وأنا لا أكترث ببره وإحسانه .. فهو لا يعرف مثل هذه المعاني .. وله قصص كثيرة مع والده وجدته خالة أمي .. هو قدم مجاملا ليس لي وإنما لأقاربه .

قال ثاني : علينا أن ننسى هذه الزيارة .

قال مال : بالنسبة لي هذا لقاء عابر .

وبعد حين يسير رن الجرس ، وفتح ثاني واستقبل ابنة أخته فقبلته ، ودخلت وقالت : زوجي يعتذر لأمر طارئ .

وسلمت على والدتها وقبلتها من وجنتيها وقالت : مبارك يا أمي ! مبارك يا شيخ مال !

وجلست ، ولما كررت التهنئة والمجاملة قالت : تحدث معي جلال وخرج غاضبا ما الذي حدث ؟

قالت أولى : اسمعي منه ، فلن تصدقي ولو قلنا شيء أنت ما أخبارك ؟

قالت : كيف حالك يا شيخ مال ؟

قال : أهلا ابنتي! أنا بخير ..وأتمنى أن أراك بلباس أجمل من هذا .. لباس الطاهرات .

امتعضت البنت للغمز وقالت : شكرا ؛ لعل ذلك يتحقق في يوم ما .. كان عليّ أن أزوركم بلباس شرعي ؛ لكني جئت من العمل مباشرة .

قال ثاني : للأسف أسرة صهرنا السابق لا يعرفون ذلك .

قالت فريدة : يا خالي نحن جئت لأبارك لأمي .. فدعنا من أسرة أبي وأسرة أمي .. مبارك يا أمي ! والسلام عليكم قد أتمكن من العودة مع نضال .

قالت : لا داعي يا فريدة! فقد قمت بالواجب على رأي أخيك مع السلامة .

ودعها خالها للباب ، ودعا لها بالهداية فقالت : آمين، شكرا لك يا خالي .. فزوجي نضال يصلي مثلكم ؛ لكنه غير متشدد .

قال : لا أعلم كيف نحن متشددون ؟ عليك أن تصلي مثل زوجك حتى لا يجد من تصلي ويطلقك

ضحكت وقالت : يطلقني ؛ لأني لا أصلي !

قال : قد يفعل .. عمره ما قال لك صلي!

قالت : إنه يصلي من عهد قريب .. ولا أدري كيف انقلب ؟!

قبلته وقالت : سيأتي نضال للتهنئة لأمي فهو يودها .

قال : أهلا وسهلا وتشرفنا.

كانوا يجلسون بعد زواجهم بأسبوع في نادي القراءة في انتظار الكاتب الذي دخل عليهم محييا بكل حب وقال : كيف عروسنا ؟

قالت : جزاك الله كل خير ! لقد حققت لي حلما ما كنت أظن أنه يحدث يوما ما ؛ فأنا مدينة بهذه السعادة .

قال : أنت لستِ مدينة لي بشيء ، ولم أتعب بإقناع مال الدين ، قلت له اليوم الفرصة متاحة لتعود مراهقا صغيرا ، فقال : كيف؟ قلت : ما دامت السيدة الفاضلة متدينة مثلك ، وترملت فتزوجها ، فستعود مراهقا . فقال : وهل تقبل بهذا الشيخ العجوز ؟ فقلت : ستقبل إذا كانت تحبك .

فقالت : ويلك !!

قال : يا سيدتي كثير من النساء تنكح من لا تحبه ؛ لأنها ترغب بأن تكون زوجة ؛ فإذا أتيحت لها الفرصة ؛ لتنكح من أحبيته لِمَ لا تقبل ؟

قالت : أي فلسفة هذه ؟

قال : وفقكم الله تعالى .. ودعونا من الفلسفة والحكمة .

انتهت قصة حياتي قبل الحياة

روايات اجتماعية

الشقق السوداء٥

بعد اكتمال نشر الحلقات التي أعدها إدريس للجريدة تابع كتابة المقالات الثقافية والعلمية من جديد ، ولقراءة الكتب وتلخيصها.. وقبل منتصف الليل بقليل اتصلت السيدة سمر ، ورحب بها ، واعتذرت عن الإزعاج فقالت: أما زلت مهتما بقضية الشقق السوداء مسرح الدعارة .

ـ الموضوع أغلق بعد مقابلة السيدة عبير ؛ لأنه لا معلومات جديدة ، وجاء الحديث عن الشقق بطريقة لا يعرفها إلا من علم بها .. فهي السبب كما تعلمين وراء انتقال عبير للحركة الماركسية خشيت أن تصير مومسا ما دامت قد دفعت الغالي دون استرداد الصور.. هل جد جديد ؟ هل تلك المرأة العاملة بتلك الشقق لانت وتريد الكلام ؟

ـ المرأة تلك لم أتصل بها منذ رفضت الحديث ، ولا

شيء عنها .. يبدو أن أحد الرفاق الذين قرأوا المقالات له معرفة بتلك الشقق تحدث معي راغبا بالاتصال بك.

ـ أتعرفينه ؟

ـ أعرفه كشخص حركي ، ولا أعرف مقدار معرفته بتلك البلايا ؛ كأنه قرأ ما كتبته عن الآنسة عبير والإشارات التي جاء ذكرها في المقال .

ـ الرجل يحب أن أقابله.

ـ يحب أن يتحدث معك على الهاتف ..هو من سكان مدينة أخرى وبعيدة عن مدينتنا.

ـ لا بأس يا سيدة سمر ..وإذا وجدت لديه معلومات مهمة حول الشقق سأجدد اهتمامي بها يبدو أن عملها ما زال لليوم ؛ ولكن بصورة أخرى.. فرئيس التحرير سمع عنها قديما وحديثا ويذهب إليها الشباب من الجنسين دون تخدير وتنويم .

قالت : يثور الأمر بين الحين والآخر دون متابعة .

ـ يثور عند حدوث فضيحة أو ضحية ..لا أدري ما دور الشرطة في مثل هكذا قضايا ؟

ـ الدعارة كانت قديما سرية .. اليوم مسموحة يا أستاذ إدريس أليس هناك بوليس آداب كما نسمع ؟!

ـ يغض الطرف عنها كما يغضون الطرف عن بيع الخمور.

ـ تقريبا متى تحب أن يتصل بك ؟

ـ الليلة بعد أن أضع الهاتف ..قبل الإغلاق أتسمحين بسؤال ؟

ـ آ .. تكلم.

ـ أنت تكلمت عن الشقق تلك ، وعرفت بها ، والسيدة سوزان كذلك، والآنسة عبير .. المهندس مراد لم يأتِ على ذكرها أله علاقة بها ؟!

ـ لماذا هذا الاستفهام بهذه الطريقة ؟!

ـ لماذا ؟ لأنه يا سيدتي هذا الرجل هو الذي أخبر المهندس سيف عن الصورة العارية لزوجته نبيلة .. وهو الذي أخبره عن المقهى ليلقى الرجل ويأخذ منه الصورة

ـ مراد قام بهذا الدور بناء على رسالة من مجهول ؛ لأنه لما طلقت نبيلة على أثر تلك الصورة تحدث مراد عن دوره معتذرا أو متبجحا .. هو برر أنه ظن أن أحد الطلاب في الكلية يعرف هواه لنبيلة وأراد أن يستغله بدون أن يواجهه مباشرة .. ونفذ ما في الرسالة ظانا أن سيفا قد لا يفعل ، ولا يقابل الرجل .. شخص استغل حقده على نبيلة وسيف .. وهو راوده أمل بعودة نبيلة إليه كحبيبة وصديقة .. وهو بين لنا ذلك ..وأنه فعل ذلك بناء على رسالة .. وليس على اتصال أو مقابلة .. هو لم يعش قصة حب مع نبيلة كما فعل صاحب عبير .. هو طاردها وفشل .. والفاشل يحب الانتقام .. هو

شاب في مطلع الشباب.. ونبيلة كانت مرحة وجميلة وفتنة للشباب ..حقيقة كانت تشعر كل من تعرفه بأنه صديق عزيز .. وتعلق بها مراد وكلنا كان يعرف أن هواها نحو سيف الذي لم يجرؤ أن يبادلها الغرام إلا بعد سنتين من الكلية وهي كانت تعيش الرومانسية والقصص التي تقرأها .. والحب أعمى .. وظل مراد متعلقا بهواها حتى انتهت سنوات الجامعة وكانت نبيلة على علم بتعلق مراد بها .. وكانت تشارك بالنشاطات والرحلات الجامعية والمناسبات والمهرجانات .. ولم يتمكن المهندس مراد من النيل منها ولو قبلة ؛ بل كان مجال سخرية لبعض الطلبة والطالبات بسبب ذلك .. كانت مخلصة لسيف الذي كان يتهرب كثيرا من المشاركات الطلابية والنشاطات المختلفة .. بصراحة كان مراد ضعيفا أمام إغراء الطالبات الماجنات .. ويمارس الحب دون إكراه وتردد .. ويستسلم لهن بسهولة .. وكان لا يرى حبيبة حقيقية له إلا نبيلة .. وفشل بفعل أي صداقة خاصة معها .. وكانت هي تتصرف مع بلطف وتصده بأدب.. ولما خطبت نبيلة واحتفلنا بذلك في مطعم الكلية يئس مراد من الفوز بها .. وكان واضحا للمقربين منه حقده عليهما ورغبته بالانتقام منهما ، ولم يكن أحد يعلم بالصورة قبل حدوث الطلاق .. ومراد نفسه لم يشاهد الصورة

.. ولما تزوجت بعد أشهر قليلة تحطم مراد كليا .. وتلقى مراد تلك الرسالة على بريد الجامعة من شخص يعرف تعلق مراد وحقده وكرهه لسيف .. وأكد لسوزان أنه لا يعرف المرسل ؛ ولكنه رأى تنفيذ ما في الرسالة فرصة للانتقام لعل وعسى؛ ربما هو غير مصدق لوجود مثل هذه الصورة .. كانت الصورة مفاجئة للجميع حتى نبيلة أخبرتني أنها تفاجأت بها وصدمت .. قال مراد : أحدهم يعرف غرامي بها فاستغل الغيرة والحقد على سيف .. وكانت الرسالة تبين أن هناك فرصة لطلاق سيف ونبيلة كانوا يعرفون ردة فعل سيف .. فهم يعرفونهم .. وفعل مراد ما في الرسالة مع سيف من ذكر الصورة والمقهى والوقت للقاء مالك الصورة .. لماذا أرادوا طلاقها ؟! لا أعتقد محبة بمراد .. وحصل ما تنبأت به الرسالة .. وقال مراد لنا : لم أكن أصدق أن يحدث ما حصل .. ومع الطلاق لم يفز مراد بنبيلة ..كان هناك رجل طبيب قريب للعائلة قادم من أوروبا وتزوجها ، وهو والد زينب وهند وشقيقهم خالد الدكتور غريب .. مراد لعب الدور على أمل أن يكسبها بعد الطلاق إذا حصل فيكون البطل المنقذ .

ـ لم يتكلم معي عن هذا التفصيل ،لم يهتم بقصة الصورة .. وكيف أفسدت حياة زوجية ؟! ولا عن الشقق السرية .

ـ لا أعتقد يا صديقنا أن الرجل له علاقة بتلك الشقق .. أي فتاة كانت تسقط في فخ الرذيلة كانت تصبح كمومس ، ويعرف الكثير من زملائها عنها هذا السقوط ؛ فإذا لم تجد من يدفع ستدفع .. أنا تدربت في كلية الجامعة للتمريض فنرى مثل أولئك الفاشلات ؛كأنها جاءت للجامعة للفجور والفسق ، وليس للدراسة .. ولا تنسى أن هناك فتيات يأتين من دول أخرى كبعثات أو على نفقة أهليهن ، والغربة تفعل فعلها .. لقد كنّا نرى بعض الطلبة من الجنسين يحملون مجلات الجنس والإباحية ؛ بل سمعنا عن أشرطة كاسيت لمثل ذلك .. كان دعاة الإباحية والفوضوية في ساحات الجامعة .. الإباحية كانت تجتاح العالم ؛ ربما كانت أشد من اليوم خاصة في المجتمعات العربية المبهورة بحضارة الغرب .. والبعض يعتبر سنوات الجامعة فرصة للخروج عن التقاليد والعادات والأخلاق الحسنة .. ومع استخدام موانع الحمل كالحبوب وغيره كان يحدث الحمل ، ويجري الإجهاض السري .. كانت تشيع بيننا ولو على استحياء شعارات الجنس الآمن ، كما يحدث في جامعات أمريكا وأوروبا .. كانت ثورة جنسية محمومة تغمر العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .. كان الشباب يتعرضون لحرب جنسية شعواء!

تنهد إدريس بعمق وقال : شكرًا لك يا سيدتي على هذا الكلام ! أنا عشت تلك المرحلة ؛ ربما لأنك عملت في المستشفيات رأيت من القصص والحكايات المثير .. وأنا أرحب باتصال الرجل أو الرفيق قلت ما اسمه ؟

ـ اسمه عارف فوزي .. سأتحدث معه ليتصل بك إلى اتصال آخر .

وضع السماعة وقال : رسالة .. سيف لم يسمع بتلك الرسالة ؛ لأنه لم يتصل بعدها بمراد من أجل الموضوع .. ونبيلة لم تهتم بكيف وصلت الرسالة لمراد ؟ وكانت قد طلقت قبل العودة للجامعة .. لا أدري كيف كان يعيش سيف في الجامعة ؟! من بعث له تلك الرسالة ؟!لابد أن يكون من طلبة الجامعة ، وعلى اطلاع بعشقه للفتاة .. وعلى معرفة بطباع سيف وردة فعله.. لماذا كشف أمر الصورة ؟! لم يكن هناك عرض زنا وضغط للفاحشة .. وكما قالت سمر كانت المطاردات للفتيات المتوسطات الحال والفقيرات المبتعثات على نفقة الآخرين .. رجل استغل حقد مراد .. هل من محب آخر لنبيلة لم يظهر على الشاشة ؟! كانت الفتاة جميلة ومثيرة للغرائز بلباسها وتبرجها وسفورها .. فلابد أن يشتهيها الكثير ، ويطاردها الكثير ؛ لكن لم أر في الذكريات إلا مرادا .. قيل أن هندا تشبه أمها إلى حد كبير ؛ لكن يبدو أنها لم تكن بالجمال الصارخ لأمها .. معروف بين طلبة الجامعة

من يريد اللهو والعبث والمغامرات ؟ سيجد ذلك وسيجد من يشجعه .. ومن يريد أن يكون جادا سيجد ذلك.. الرسالة هل ما زالت عند مراد ؟ لم يذكر لي عنها شيئا ..هو لم يولِ اهتماما لموضوع الصورة والسيف .. كان الموضوع الأهم عنده الحديث عن الشيوعية والعمل النقابي وضعف الحزب الشيوعي في روسيا والعالم العربي أم تراه اخترع قصة الرسالة للدفاع عن نفسه أمام زملائه ورفاقه الذين لاموه على تورطه في طلاق سيف ونبيلة سنعرف من كتب الرسالة ؟ سنصل إليه يوما .. شخص خبيث يعرف حب مراد لنبيلة ، ويعرف شخصية سيف ووسواسه القهري .

بينما إدريس يراجع المعلومات التي سمعها عن الرسالة التي تلقاها مراد من مجهول حول موضوع الصورة التي دمرت زواج جديد رن جرس التلفون ، فرفع السماعة مرحبا بالمدعو عارف ومعرفا بنفسه .

ـ قرأت مقالتك الأربعة ، وأعجبت بها وأعادتني للماضي البعيد ، والذي يهمني بالحديث معك ذكريات السيدة عبير وسبب انتمائها للحركة الشيوعية ، وذكرها للشقق السرية ، وحفلات الطلاب والطلبة فيها ، وحفلات الإباحية التي تجري فيها .. الرقيق الأبيض .

ـ نعم ، يا سيد عارف أشارت السيدة الجريحة إلى تلك الشقق الغامضة في رأيي .. ولم تفصح عن الكثير من المعلومات عنها .. ألديك معلومات مهمة كما أشارت سمر ؟!

فجر قنبلة عندما قال : قبل تواجدي في الحركة الشيوعية يا أستاذ إدريس كنت ابن إحدى تلك الشقق .. كيف سنلتقي مباشرة لأمتعك بما أعرف عنها ؟ أنا أسكن في مدينة بعيدة عنكم أحتاج إلى لقاء نهاري ومبكر .

ـ جميل ! وأنا ، ربما ذكرت لك سمر سبب اهتمامي بهذه الشقق ؛ لأني سمعت عنها منها .. ومن عبير وسوزان فاستغربت من وجودها .. واليوم أوكار الدعارة متطورة .. يجب أن نلتقي يا سيد عارف .. ماذا تعرف من معالم مدينتنا لنلتقي بالقرب منه ؟

ـ مسجد المدينة الكبير سيدي سعيد .

ـ حسنا .. في أي يوم ؟ ما تقول في الغد ؟

ـ ممتاز ممتاز كيف سنعرف بعضنا بعضا؟

ـ سأضع على رأسي قبعة حمراء .

ـ جميل يا سيد إدريس إلى اللقاء!

لما صلى الظهر جماعة في المسجد "سيدي سعيد" وخرج إلى الساحة الأمامية للمسجد ، وضع القبعة الحمراء على رأْسه ، وأخذ يضبطها يميناً ويسارا ، ويتمشى في تلك الساحة ، ولم يطل الانتظار ، فقد تقدم منه رجل من جيله أو أقل منه

بسنوات قائلا : الأستاذ إدريس !

ـ نعم ، أهلا بالأستاذ عارف !

تصافحا ورحب كل منهم بالآخر ، ثم ساقه إدريس إلى مطعم السيد سيف القريب من ذلك المسجد ، وتناولا الغداء وطول الوقت، وإدريس يرحب بالرجل ، ويشكره على شجاعته وحبه لإضافة جديد لموضوع الشقق ؛ لعل أن يكون تحقيق لإدريس حولها .. وبعد وجبة الطعام انتقل به إلى مقهى الكوكب الذهبي الكوكب الخالد بالنسبة لإدريس ، وجلسا حيث اختار إدريس ، وقدم لهما الشاي والماء ..وعادة المقاهي لم تكن مكتظة بالزبائن في أول النهار ووسطه ؛ إنما يكثر الرواد في ساعات المساء ، وأول الليل .. ولما أخذا بالشرب للشاي ، قال إدريس : كيف اهتممت بأمر هذه الشقق وتعرفت عليها ؟!

ـ عندما أخبرني بعض الرفاق عن النشر في جريدة الشرق المضيء أخذت أتابع ما كتب باهتمام وحنين للماضي .. وأنا أعرف الرفاق الأربعة شخصيا ، وإن لم نعد على تواصل من سنوات .. والمقالة التي تحدثت فيها عبير أثارت ألما وحزنا وتاريخا لديّ .. وذكرتني بتلك الأماكن وحياتي الماضية .. فتحمست للحديث مع سمر فرحبت بي وتذكرتني وشجعتني على الحديث معك وذكرت أنك اهتممت بموضوعها ، وليس لديك معلومات كافية للنشر عن الدعارة في المدينة، وهذه الأماكن ، وأعطتني رقم هاتفك الشخصي ، لأنك لا تعمل كموظف في الجريدة .. ومهدت لي الحوار معك .. وأنا عملت مع سمر في نفس المستشفى قبل أن استقر في قريتي .

ـ عملت في نفس المشفى!

ـ المستشفى الحكومي ، لم ندرس سوية ؛ لكن الحياة العملية عرفتني عليها .. أنا ممرض مثلها ، كانت في قسم وأنا في قسم آخر .. أنا تخرجت بعدها من الكلية ، وتدربت في مستشفى الجامعة مثلها .. ولم أكن شيوعيا تلك الأيام .. فأعرفها من خلال الكلية معرفة سطحية .. ومن خلال العمل بعد التخرج أكثر .. ومن خلال الحزب فيها بعد .. كانت ناشطة سياسية وما زالت ، وعرفت عبير من عملنا في المستشفى .. وعلمت قصتها .. لم أعرفها من خلال تلك الشقق .. فقراءتي للمقال أدركت أن لا معلومات تفصيلية لديكم .

ـ أنت أدركت ذلك من قراءة المقال!

أخرج الرجل جريدة وتابع إدريس : أنا كاتب المقال كما تعلم .. أكمل يا سيد عارف .

قال عارف : اتصلت بسمر كما قلت .. وقلت لها إن الصحفي أشار لموضوع الشقق السرية ؛ ولكن معلوماته مرتبكة ، وفيها ثغرات .. وشجعتني على الالتقاء بك شخصيا .. وأنك مهتم بالموضوع

جديا .. وتريد أن تعرف هل ما زالت هذه الشقق موجودة أم زالت واختفت؟

ـ صحيح .. المعلومات حولها شحيحة .. السيدة عبير لا أدري هل تعرف مأساتها مع تلك الشقق ؟!

ـ الناس تتحدث .. والإنسان يحب أن يتحدث عن نفسه .. تعرضت لتصوير سري واغتصاب وهي لم تكن بكرا لما دخلت تلك الشقق .. وهي خشيت من الدعارة فلجأت للحزب اليساري حتى لا تتحول لمومس .

ـ نعم ، لديك معلومات لم نتحدث عنها في المقابلة .. أنت درست التمريض قبلهن ، ولم تنتم لحزب .

ـ نعم أنا ابن الريف ابن إحدى القرى النائية تلك الأيام .. اليوم كبرت القرية ، وأصبحت نصف مدينة ، وزاد سكانها أضعافا، وشوارعها معبدة .. وإن كان أكثر سكانها يعملون في الزراعة .. رحلت للمدينة للدراسة على نفقة الوزارة وزارة الصحة لأدرس وأعمل في الوزارة حسب نظام الابتعاث ..والجامعة تحتاج لمال ، تحتاج للمتعة والمصروف .. المهم وأنا في السنة الأولى عرض عليّ العمل بعد الدوام من الساعة الخامسة مساء حتى الخامسة صباحا داخل شقة من هذه الشقق .. لم يكن العمل واضحا لي .. ظننته في البداية كحارس ليلي .. كان العمل ظاهره شريف وبريء.

ـ لم أفهم عليك بعد !

ـ ستفهم .. أتسمح لي بالدخان ؟

ـ دخن .. المقهى جعل مكانا للتدخين .

قال : العمل تبين هو كخادم في الشقة ، مقابل عشرين دينارا شهريا .. ونوم وأكل وأشياء أخرى وذلك بدل أن استأجر سكنا مع شركاء من الطلبة المتغربين عن قراهم ومدنهم .. سكن مجاني ، وطعام مجاني ، ومال ، وكل ذلك مقابل خدمة لرواد الشقة .. فهذا مغر لشاب ريفي يجهل المدينة جهلا تاما .

ـ ماذا يعمل حضرة الخادم في تلك الشقق ؟!

ـ أهم عمل هو خدمة نزلاء الشقة .. نزلاء الشقق أغلبهم من الطلبة ومن الجنسين .. يأتون للسهر والغناء والسكر والعربدة .. وأنا عليّ أنا أقدم لهم الشراب المسكر والقهوة وغيرها والطعام القادم من المطاعم .. وأنظف الشقة بعد رحليهم .

ـ يوجد شقق أخرى عملت بها .

ـ لا ، أنا عملت في شقة واحدة حتى أنهيت عملي معهم ؛ ولكنني أعرف شققا أخرى .. وأعرف بعض من عمل فيها مثلي .. وعادة تكون هذه الشقة ضمن بناية يغلب على شققها الشركات والمكاتب .. وأغلبها تكون مغلقة في الليل .. وعندما تبدأ السهرة من النادر أن تجد شقة مشغولة وحتى شقة اللهو لم تؤجر كسكن ، هي مؤجرة

كمكتب لشركة أو محامي .. وأنا الخادم للشقة ساعات الليل .. والبواب لابد أنه قد أطعم ليسكت ويتجاهل ما يحدث في الليل من صخب وضجيج وسكر .. والشقة خاصة الصالة عادة تكون معزولة ، فلا يخرج صوتها منها .. تأتي ليلة السهرة سيارة الطعام والشراب والحلوى ، وأدخلها مع عمال المطعم إلى المطبخ .. وتشرف على الحفلة أو السهرة امرأة شابة .. وأساعدها في تقديم الطعام للضيوف ، ثم أنصرف إلى المطبخ أو أي مكان ما عدا مكان السهر .. وعادة تبدأ السهرة بعد العاشرة ليلا .. وأكون قد قدمت الطعام ووضعت الشراب في مكانه ، وأختفي إلى حد ما ..وعليّ يا سيد إدريس إغلاق باب الشقة نهائيا بعد تناول طعام العشاء .. ولا أفتح لأحد أبدا .. ولكن هذا لم يكن صارما ، كان هناك من يتأخر وبناء على هاتف أفتح له .. وهناك من يخرج بناء على هاتف أو أصابه مرض مفاجئ بعد الأكل يبدأ السكر والرقص والأغاني من أجهزة التسجيل الحديثة في ذاك الزمن .. ويستمر السهر إلى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ..ويبدأ الضيوف بالانصراف خاصة الذين يملكون سيارة أو متفقين مع سائقين .. وهناك من يعجز عن الانصراف فيبقون حتى انصرافي صباحا وإغلاق الشقة .. والفتاة المشرفة على الشقة قد تسهر بعض الوقت ، ثم تغادر ، من النادر أن تمكث لآخر السهرة وهذا يحدث في الأسبوع مرة أو مرتان أو ثلاث فقط .

ـ هل يحدث دعارة ؟

ـ أعلم أن هناك شققا تحدث فيها دعارة وزنا .. أما مكان عملي فرقص غناء طعام سكر .. قد ينفعل أحد الشباب ، ويخلع ملابسه الخارجية ، ويبقى بملابسه الداخلية أو إحدى السكرانات تفعل ذلك .. قد يحدث لمس عناق مجون .. المسؤولة عن الشقة تحذرهم من الجنس والتعري الكامل .. وتقول لهم بصراحة من يريد ممارسة الجنس فليتحول إلى شقة أخرى .. أعتقد أن هذه الشقة كانت تمهيدا للشقق الأخرى .. فالذي يستسلم للإغراء خاصة الفتيات تنقل إلى مكان آخر .. وهذا كان معروف لنا شفويا.. وقد يثار أحدهم فعليّ منعه من ذلك، وطرده من الشقة أو أتصل برقم معين ، فيأتي اثنان ويقومان بطرده .. ممارسة الزنا ممنوعة سكر غناء رقص حتى أنه قد تقدم مدربة لتعليمهم الرقص .. إذا رغب البعض بذلك ، هي مثل الحانات شراب أكل متعة انصراف.. قد تسمع سبابا قبيحا ، وكلاما جنسيا وقذرا يقهقهون عليه ومنه .. هذا كله أسمعه من خلال مكان اختفائي عنهم .. أنا مجرد خادم لهم .. والأخطر عندي عندما تهيأ ضحية للتصوير ..

ويجري في الشقة التي أعمل بها ؛ لأنها شقة بريئة أمام الزبائن .

قال إدريس : جميل ! من أجل ذلك لا تُمارس فيها الدعارة ولمزيد من الثقة لدى الرواد !

ـ هذا ما يفهم من منع الجنس فيها .. وهناك ترتيب خاص من المشرفة ليلة التصوير .. قبل أن يبدأ التصوير تعلن المشرفة رغبتها بالمغادرة ، وتعلن أنها ستقدم لهم كأس الوداع ، ويصحب ذلك التصفيق والهياج .. وتكون قبل ذلك وضعت في الأكواب التي سأقدمها مادة التخدير هي عبارة عن كبسولات خاصة .. وتخرج هي من المطبخ أمامي وهي وتصيح فيّ قدم كأس الوداع للأصدقاء ، فأدور عليهم .. وبعد حين أفتح لها الباب ؛ كأنها مغادرة كعادتها ، وتتظاهر هي بالذهاب للمرحاض ، وغسل وجهها قبل الخروج .. وخلال وقت قصير يقع الساهرون نياما ظانين أن الخمر أثرت فيهم ، واللهو أرهقهم ، ثم يدخل أحد المصورين .. وتنقل الفتاة المقصودة إلى حجرة مجردة من الديكورات والأثاث وتفرش سجادة .. خاصة يجلبها الذين أحضروا المصور .. وتجرد الفتاة من ثيابها ، وتبدأ حفلة التصوير مدة دقائق ، قد لا تتجاوز العشر دقائق ، ثم تعاد الفتاة بعد إعادة ملابسها عليها إلى صالة الرقص .. ويجتهد أن توضع على الوضعية التي كانت عليها حتى لا يخطر في بالها أنها تعرضت للنقل والتصوير ويأخذ المصور ومن معه السجادة .. وينصرفون تصحبهم مديرة الشقة .. هكذا يحدث التصوير في الشقة التي أعمل فيها .. والمفروض أن أكون أنا خلال ذلك في المطبخ ، ولا أخرج حتى تطلب مني المشرفة الخروج لإغلاق الباب وراءها .. وعندما يبدأ انتهاء مفعول المخدر يبدأ الاستيقاظ والتثاؤب وينسبون نعسهم للشراب ، وعدم تحمل الكمية ، ثم يأخذون بالانتقال لمراحيض الشقة واحدا تلو الآخر .. والبعض ينصرف .. والبعض ينام حيث هو من جديد ..والصور المأخوذة كما أعلم لا تظهر للضحية إلا بعد عدة حفلات أخرى ، فلا تتذكر الضحية متى تعرضت للتصوير فعادة كان يستيقظ المخدرون بعد ساعة من الزمن والذي تعاني منه الضحية يعاني منه الآخرون الصداع والقيء والغثيان ..وعليّ تنظيف الشقة قبل مغادرتها صباحا بمواد كيمائية تستخدم للتنظيف وإزالة الروائح السيئة .. فربما بال بعضهم على ثيابه ومكانه ، وقد يقيء بعضهم ويستفرغ في الصالة .. ولا تنسى الشراب المسكوب وأعقاب السجائر .

ـ حقيقة هذا شيء مذهل ومقرف يا عارف ! كيف كنت تتحمل ذاك ؟!

ـ مع الوقت والمال والتعود عليه تستسلم ولا تبالي

بما يحدث .. هم طبعا يتظاهرون على أنني لا أراقب أعمالهم الخفية ؛ لكن الفضول وما فيه .. وربما لا يحدث التصوير إلا بعد زمن يطول شهران ثلاثة ويحدث مرة ؛

لأن هناك فتيات يسقطن في مهاوي الرذيلة سريعا بعد بضع حفلات يبعن أجسادهن مقابل المال أو الشهوات

تنهد إدريس قرفا وقال : طبعا هناك شقق أخرى !

ـ نعم ؛ لكني لا أعرف عددها ولا أماكنها ، وحتى لا يمكن نقلي للعمل في غيرها .. هذه يا سيدي شقق صيد الضحايا غير المستسلمات للعمل كبغايا .. وأنا أعرف أين تقع هذه الشقة ؟ لكنها اليوم لم تعد شقة فساد أصبحت مكاتب شركة أخشاب .

ـ لماذا استسلمت للعمل معهم لما علمت كيف يجبرون الفتيات على البغاء ؟!

ـ الغربة السبب الأول ، والحاجة المادية ثانيا .. وهم يعرفون كيف يوظفون ويختارون الشباب الفقير مثلنا ؟ القروي البسيط .. وأعترف لك أنني تعلمت شرب الخمر والزنا .. وقد أقمت علاقات جنسية عابرة مع المشرفة نفسها .. وبعض الفتيات .. وذاك خلال الأيام التي لا يكون فيها حفلات .. ومن تورط معهم يصعب عليه الفكاك ؟ كانت المشرفة كلما أقضي لها شهوتها تدفع لي ، وتوصيني بكتمان السر التخلص من الفجور ليس عملا سهلا خاصة عندما يكون

الشباب غير متدين وغير مكترث بالدِّين وأنا تركت العمل معهم في السنة الأخيرة للجامعة.

ـ ولماذا تركت العمل ؟

ـ عادة يمكث الخادم معهم كما علمت من المشرفة والمرتبة لتلك السهرات حتى يتخرج من الجامعة ويلتحق بعمل ؛ لأنه لم يعد بحاجة للعشرين دينارا إذا توظف .. ويصبح خطرا عليهم أنا تركتهم في السنة الأخيرة لكارثة حلت بي .. كانت ابنة عّم لي من ضحايا تلك الشقق .. صدمت لما رأيتها تدخل الشقة التي أعمل بها .. وهي صدمت لما رأتني .. كان المشهد قاسيا ولما عرفت المشرفة ذلك أمرت بإنهاء خدماتي خشية الفضيحة ، وهددت بالقتل إن تفوهت بشيء عن الشقة .. ونقلت ابنة عمي لشقة أخرى .

ـ هل عرفتك ابنة عمك ؟

ـ طبعا يا رجل ! وكيف لا تعرفني ؟ بل أخبرت أن الفتاة مومس ، فلا داعي للشرف والفضائح وكان عليّ أن أصدق .. فنحن سواء .. كانت تريد المال مثلي لتشتري المزيد من الثياب والزينة المال مأساة ومصيدة .. لزمت الصمت ، ولذت به حتى أتممت الدراسة .. وتخرجت وانتقلت للعمل في إحدى مستشفيات الحكومة فور التخرج لم تكن في

تلك الأيام بطالة أو شبح البطالة وفي ذلك المستشفى زادت معرفتي بالسيدة سمر ، ثم تأثرت بالحركة الشيوعية والإلحاد ، وصدقت أنه الجنة على الأرض .

ـ الكثير من الشباب الغلبان يعمل ما عملت .

ـ أنا لا أعرف كم عدد الشقق ؟ لكني علمت من المشرفة أن الكثير منها لديهم ، وأنها مسؤولة عن شقة ثانية .. قلت لك كانت تأتي إليّ في بعض الأيام التي تكون الشقة خالية من السهرات للزنا وتدفع .. القلب مات .. وأحيانا أسمح لبعض العشاق بالاستفادة من الشقة مقابل المال وكتم السر .. مع الوقت يصبح لدى الشخص جرأة وطمع بمزيد من المال .. وإذا كشف الأمر ليس هناك إلا الفصل أو الطرد .

ـ إذن كنت تساعد بوضع المخدر للجميع .

قال : نعم ، تحضره المشرفة على الشقة معها .. وفي الكأس الأخيرة يوضع ليلة التصوير .

ـ أتعرف الضحايا شخصيا؟

ـ القليل ؛ بل لم أصدف فتاة من كلية التمريض خلال عملي في الشقة.. فعبير لم يجري تصويرها عندي .. أغلب من كان يتردد على شقتنا طلاب الكليات الاقتصادية والاجتماع.

ـ أتعرف المهندسة نبيلة خالد ؟!

ـ نبيلة خالد لا أعرفها شخصيا ؛ لكني سمعت بقصة طلاقها ، وأنها كانت ابنة مدير المستشفى الجامعي .

ـ هل سمعت أنها ترددت على تلك الشقق ؟

ـ لا ، لم أسمع .. أنا أحببت أن أعطيك فكرة صادقة عن تلك الشقق تلك الأيام ، وكيف يجري تدمير أولئك الفتيات؟!

تفكير إدريس

رجع إدريس للبيت بعد توديعه عارف ، وقد أخذ عنوانه قد يحتاجه في معرفة جواب سؤال أو احتاج لسماع المزيد من قصص وجرائم تلك الشقق ، بعدما صلى العشاء تعشى، وجلس مفكرا فقال لنفسه: هل السكران لا يفرق بين المسكر والمخدر ؟ كلاهما يذهب العقل .. هل نبيلة خالد أعطيت مخدرا ؟ لم تذكر ذلك عندما داهمها سيف بالصورة ، وظلت تنكر ذلك ، وماتت وهي تود لو تعلم كيف خدرت؟ إنها تجهل جهلا تاما كيف صورت ؟ وأين صورت ؟ وهذا الرجل أعطاني صورة لما يحدث من أجل التصوير .. وعبير تجهل كيف صورت ؟ ولكنها تعلم أنها صورت في إحدى الشقق السوداء ، وباعت جسدها في تلك الأوكار .. فقصة عارف توضح ما حدث مع عبير وغيرها ؛لأنها اعترفت أنها كانت تتردد على تلك الشقق والسهرات .. هناك فرق واسع بين قصتها وقصة نبيلة .. هل كانت نبيلة تذهب لمثل هكذا

سهرات ؟ عبير كانت تذهب بصحبة الحبيب والحلم الواعد .. نبيلة لم تفعل ذلك الحبيب لم يفعل ذلك ، ولم يتحدث عن مثل ذلك .. لم تذهب لمثل هكذا شقق أو تنام في شقة غامضة .. وهي ليست بحاجة لمال لتمارس البغاء .. وأحبت سيفا ، وقضت سنتين وهي تطارد من مراد وغيره حتى اعترف سيف بحبها وقبلته .. وسيف ذكر لي أنها كانت عذراء عندما تزوجها .. القصة يكتنفها الغموض.. أتصنعت غشاء بكارة مزيف كما نسمع ؟ لا يحل الغموض إلا رجل كعارف رآها بأم عينه في إحدى الشقق .. من كان يدير كل هذه الشقق السوداء ؟! لابد أنها عصابة دعارة .. والغريب أنها صورت صورة واحدة .. فعبير عرضت عليها عدة صور .. وعارف يقول إن المصور يمكث عشر دقائق وهو يصور ..فهذا يدل على أكثر من صورة .. ولم تصور بأوضاع مختلفة كما حدث لعبير .. مراد لم ير الصورة ، نفذ تعليمات بناء على رسالة .. ولأنه يكره سيف ، ويحلم بنبيلة طيلة هذه السنوات غامر ونفذ ، ونجحت المهمة ، ولم يفز بالزواج منها ..لا هو ولا أحد الطلبة كانت من نصيب قريب والدها الدكتور القادم من أوروبا غريب .. أهذه الرسالة ما زالت حية يا مراد؟ لم يكن صريحا بالحديث عن تلك الصورة ، كان غامضا ولا مباليا .. هل تعلم سمر بمصير هذه الرسالة ؟ وهل رأتها ؟ سيف لا معلومات عنده عن تلك الرسالة .. واقتربت العودة من العمرة وسنسأله بعون الله.. ألم يسمع الطلاب يتحدثون عنها ؟ سيف انعزالي .. لو سمع لذكره لي ، وبما كتبه في الأوراق .. حكاية نبيلة خارج السياق كما يقال .. واللغز لماذا صورة واحدة ؟ وعبير عدة صور بأوضاع مخزية ؛ لتستسلم بسرعة .. لأن من يرى تلك الصور سيعتقد أن الفتاة خبيرة في الدعارة والفجور.

رن الهاتف فخمن المتصل ، وكانت سمر ، فقال بعد التحية والسلام : أنت الشخص الذي كنت أرغب بالحديث معه !

ـ لقد قابلت عارفا .

ـ نعم ، وحدثني عن عمله كخادم في إحدى الشقق ، وتحدث بالتفصيل عما كان يمارس داخل تلك الغرف السوداء من تحلل وإباحية وتصوير وتخدير ، خاصة في الكأس الأخيرة ، ونقل الضحية إلى حجرة لإجراء التصوير من قبل مصور وأعوان له ، وهي مجردة من ثيابها ، وفي أوضاع مثيرة ؛ لتخضع الضحية بسرعة عندما ترى الصور الفظيعة ..كان يقبض ويأكل وينام على حسابهم ، وتقابل مع ابنة عّم له في تلك الشقة فاضطر لترك العمل أو الطرد بمعنى أدق .. وهدد ، ولم يتعرض للقتل أو الأذى ؛ ربما خشوا ابنة عمه أن تتكلم ،

وتحدث فضيحة .. وهو جبن ، ولزم الصمت حتى أنهى تعليمه ، وتعين في مشفى ، ولم يتحدث عن حياة ابنة عمه ومصيرها أتعرفين ذلك ؟

ـ لا، لم يتكلم أمامي عن ذلك أبدا مع أني أدركته في بعض سنوات الجامعة .. وأنت قلت هددوه إنما المقال هو الذي ذكره بتلك الشقق السوداء .. وهو دخل الحركة بعد الجامعة بسنوات .. فعرفته من خلال الحزب أكثر من الجامعة ، ومن خلال العمل .. لم يعمل معنا كثيرا انتقل إلى عدد من المشافي والمراكز الطبية الصحية .. ولم أكن أستطيع هضمه مع شيوعيته هو يعرفني بحكم نشاطي البارز يا إدريس وحضوري للندوات والمحاضرات في عدة مواقع داخل المدينة وخارجها .

ـ المهم أن القصة أعقد من ذلك ؛ولكنه شاهد جيد ..وهذا يدل على وجود تلك الشقق حقيقة وهو يعرف بعض الخدم ؛ لكنه هذه الأيام لا يعرف مصيرهم ونهايتهم .. وأعتقد أنهم مثله من أبناء القرى والريف تورطوا من أجل المزيد من المال وتوفير ثمن الطعام والسكن حول الجامعة واستغلوا بطريقة جيدة وخبيثة .. ولا يذكر أنه التقى بعبير أو نبيلة في تلك الشقة العامل فيها كخادم .

ولما سكت قالت : ولماذا كنت تحب الاتصال بي؟

ـ لماذا ؟ آه لماذا ؟! ذكرت أن المهندس مرادا كشف أمر الصورة لسيف بناء على رسالة من مجهول

ـ نعم ، قلت مثل هذا الكلام .

ـ هل يمكنك معرفة مصير هذه الرسالة إذا ما زالت عند المهندس يحتفظ بها ؟هل مزقها ؟

ـ وهل هذا يقدم في قضيتنا شيئا ؟

ـ لعل كاتبها له علاقة بتلك الشقق .. أنا سألت عن هذه الشقق .. المعلومات ضئيلة .. بعضهم يقر بوجودها ؛ ولكن ليست بالصورة السوداء التي أرسمها .. فالمهندس سيف لا يعرف عنها شيئا .. اليوم الحانات والملاهي الليلية والنوادي الليلة تغني عنها ؛ بل السلطات تسمح بوجودها .. لم تعد الدول بحاجة لمواخير سرية لإيجاد ضحايا جدد .

ـ ما زلنا يا إدريس نسمع عن فظائع الجنس .. اليوم تصور الأفلام.

ـ اليوم تطورت فنون الانحرافات الجنسية والسادية والشذوذ ونكاح المحارم ، ولا يحتاجون لتخدير وتنويم ..اهتمي بموضوع الرسالة ، هل ما زالت موجودة ؟ لأنني وعدت سيفا إن فتح لي قلبه من أجل قصته مع نبيلة أن أعرف من صورها .. سأتصل بك بعد أيام .

أغلق الهاتف وأحضر سلة الفاكهة ، وبدأ يأكل ويمضغ ، وهو سرحان في قصة عارف .. وظل مسيطرا عليه لماذا صورة واحدة لنبيلة وصور

كثيرة لعبير ؟ أين باقي الصور ؟ ولماذا تنكر نبيلة تعرضها لتخدير وتنويم ؟ فعبير تعترف أنها تعرضت لمثل ذلك بدون أن تعرف متى وكيف وأين ؟ وعارف لا يعرف أولئك المصورين ؛ ولكنه بين أن أكثر من مصور تردد على الشقة خلال سنوات عمله .. ولم تذكر المشرفة له أي اسم ممن يأتون للتصوير ونقل الضحية إلى حجرة التصوير .. وكان يسمح لبعض الشباب بالاختلاء بالشقة دون علم المشرفة مقابل بعض المال حل لغز الشقق وطريقة الدعارة لم تحل مشكلة سيف ونبيلة ..ولا أعتقد أنه يستطيع معرفة كل زبائنه ؛ ربما الأكثر ترددا يعرفه أو من كوّن معه علاقة خاصة .. هل حقا نفذ مراد الخطة مع سيف عن جهل وبناء على رسالة من مجهول ؟! لماذا لم يتحدث معي عن تلك الشقق بصراحة ؟ أكان يجهلها حقا أم تظاهر بالجهل ؟ وهل ينفذ تعليمات من مجهول فقط ؟ وهذا المجهول توقع الطلاق وتدمير حياة زوجية عن حب من سنوات .. رسالة من بريد الجامعة .. قضية معقدة ولماذا الإباحية ؟ أين الزواج ؟ نسمع عن زواج عرفي زواج الفرند .. أصبحت حياة الزواج عبء على الشباب .. زواج المسيار .. زواج المتعة ينتشر بقوة .. حياتنا السرية تعقدت .. العفو العفو يا رب السموات والأرض .

كان إدريس يدرك صعوبة المهمة التي يقوم بها والوصول إلى مصدر الصورة والمصور ، وليس بالأمر السهل بعد ثلاثين سنة .. وهل ما زال البائع على قيد الحياة ؟ ولد ملايين ومات مثلهم إن المعلومة يجب أن تصدر من صاحبها .. من قام بها ؟ فالسيد مراد لم يتحدث أمامه عن رسالة ولا ذكرها ؛ إنما ذكر دوره بطلاق سيف ونبيلة .. وسيف نفسه لم يتابع موضوع الصورة ، كان الذي يهمه رؤية الصورة هل هي حقيقية أم خدعة فنية كما يحدث في الأفلام والمجلات من تركيب للصور والشخصيات ؟ والفتاة اعترفت بأنها صورتها دون إنكار ؛ ولكنها حارت بالكيفية التي صورت بها والمكان والزمان ..كيف صورت بدون علمها صورة خلاعية أدت إلى تدمير حياتها الزوجية وزرع الشك في نفس الحبيب ؟ رأت أن أحدهم خطط لتدمير حياتهم صورها وأعلم زوجها بأمر الصورة عن طريق مطارد لها رفضته مرارا وتكرارا .. نجح مراد ؛ ولكنها موقنة أنه مجرد رسول ، لم يصورها .. هناك من صورها ، وحصل ما أراده الماكر .. وبعد ثلاثين سنة وهي تموت كتبت رسالة لزوجها الأول تطلب المسامحة والتحقيق في حقيقة الصورة بالعودة للمقهى .. هل عرفت من صورها ؟ وباع الصورة لسيف وصمتت عنه .. من يريد من مطارديها الطلاب تدمير حياتها الزوجية ؟ لم

يتقدم أحد للزواج منها بعد الطلاق ؛ إنما أعلمها والدها أنه سيزوجها لقريبهم غريب الذي رغب بها بعد عودته من بريطانيا .. مراد أكثر مزعجيها لم يتقدم لخطبتها ..كان يهم بذلك ؛ لكنه كان ينتظر هدوء العاصفة ونسيان دوره .. لقد استطاع الخصم استدراجه ليخبر سيفا بأمر الصورة الشيطانية .. لا أعتقد أن لتلك الشقق الشيطانية دورا في فساد زواج سيف .. هناك شخص كان حاقدا على سيف ونبيلة أو على أحدهما هل كانت تعرفه ؟ هل عرفت من صورها وعجزت عن ذكره لأسباب قاهرة ؟ ..وكيف قبلت أن يصورها ؟ هي أنكرت علمها بالتصوير .. هل هي صادقة ؟ هل كذبت ولم تستطع التراجع عن الكذب ؟ الناس تكذب للدفاع عن نفسها في الوهلة الأولى .. الرسالة تؤكد جهلها مكان التصوير .. أخبرت سيفا أنها تجهله .. كانت متعجبة ومذهولة كما أخبر سيف ليلة رأت الصورة كيف لقطوا لها تلك الصورة التي دمرت حياتها ؟كانت مذهولة للغاية حتى أن سيفا ظنها تمثل من شدة الصدمة .. فقال إدريس : الاعتراف الاعتراف هو الحل أن يعترف الفاعل .. وهل يعترف بعد ثلاثين سنه من الجريمة ؟ لعبة كبيرة لعبت على الزوجين بدهاء ومكر .. هل لغريب يد فيها ؟ لأنه هو الذي فاز بنبيلة أليس هو سبب العجلة بزواجها من حبيبها وفارس أحلامها وزميلها في الكلية ؟ أمه قالت ذلك لأم نبيلة .. وأم نبيلة تعرف حب نبيلة لسيف وردة .. كان الرجل قادما بشهادة من أوروبا من بريطانيا مثل والدها .. ومراد كان يرغب بها زوجه كيف عرف غريب مرادا ؟ كيف عرف غريب سيفا وعقليته ؟ لماذا نفذ مراد ما طلب منه ؟ الحقد والغيرة والانتقام .. كيف استطاع غريب تصويرها تلك الصورة دون علمها أم كانت تعلم ؟ هل كان بينهما شيء من وراء سيف ؟ مراد كيف صورها وهو بعيد عن تلك الشقق السوداء ؟ لا حل إلا أن يعترف الفاعل والمدبر لهذه اللعبة .. لو كان وراء التدبير غريب لماذا تزوج نبيلة بعد زواجها ؟ التقرب للوالد والرغبة في المناصب .. لما أصبح خالد وزيرا لم يقدم له الكثير مجرد نقله للعمل الإداري في الوزارة .. وحياته لم تكن سعيدة معها .. كانا مجرد زوجين كما فهمت .. كان صاحب نساء وعشيقات كما تعلم في الغرب ، وقد اعتدى على قاصر وافتضح مراد له دور غير تلك الرسالة .. لم يسرع لطلب يدها ؛ بل كان يتجنب اللقاء بسيف وبها بعد الطلاق .. هل حاول ؟ لم يتحدث أحد بذلك .. من سيعترف يا إدريس ؟ ستبقى القصة غامضة .. غريب لماذا يرغب بمقابلة سيف ؟ أعنده شيء لحل غموض تلك الأيام ؟ بماذا ظلم سيفا ؟ أهو الذي سبب الطلاق ؟ ومن

ظلم سيفا ؟ هل لوالدها دور في تدمير زواج ابنته ؟ لم يظهر منه أي رفض له .. سيف لا يعرف غريبا قبل الزواج.

أراد إدريس إغلاق الملف بعد هذه المراجعات والاستفهامات، وقال لنفسه : لقد فعلت ما أستطيعه وما بوسعي .. عرفنا كيف كانت تستدرج الفتيات لتلك الدور ؟ وعرفنا كيف يخدعون ويصورون ؟ والضحية عرفنا جهلها بيوم التعرض للتصوير ..وأن هناك حفلات تمويه قبل أن تعرض الصور على الضحية ؛ لتستسلم لهم .. ومن يصور مجهول .. وقصة نبيلة تختلف عن قصة عبير .. العاشق الولهان الصياد هو الذي قدم لها الصور واختفى .. مراد حاول الحياة كعاشق ولاعب مع نبيلة ، ولم يحصل شيء بينهم .. ولم تصحبه لشقة وسهرة .. نعم يجب إغلاق الملف يا سيف .. والرجل قد سامح مطلقته عن كل الألم والجرح الذي تسببت له فيه .. ورجع للمقهى ، ولم يلتق بالبائع يا سيدة نبيلة ؛ ولكنه التقى بإدريس الذي بذل الوقت والجهد للوصول للمصور دون فائدة .. سيف أخذ الصورة ، ولم يحاول معرفة المصور أو البائع ، كانت متلهفا لشراء الصورة ، وعاد للبيت ، وعرض الصورة على نبيلة .. كان مصدوما مذهولا ، واتخذ قرار الفراق قبل العودة للبيت ، وسارع بمقابلة والدها ومبررا سبب سرعة طلاقه .. استغرب الوالد الصورة ، ولزم الصمت ، ووافق على الطلاق كما يريد سيف.. وهل صدق ابنته عندما حلفت له أنها لم تتعرى لتتصور ؟ وقبل زواج غريب من ابنته بعدما أطلعه على أمر الصورة ..وقبل غريب بها .. ولم تكن المرأة الوحيدة في حياته .. وقبلت العيش معه على علاته وفساده .. انتهى التحقيق يا مهندس سيف!

الموت

في منتصف شهر أب اتصل سيف بصديقه إدريس مخبرا بموت الدكتور غريب ، فاسترجع الرجل ، وأخبر سيف أن إحدى أخواته أخبرته بذلك ظانة أنه سيشارك في الجنازة بعدما شاع عن عودة اتصالاته بزينب وهند .. وكان غريب قد اتصل به مهنئا بالعمرة ، وراغبا بلقاء يجمعهم ، فتأسف له وشكره على الاتصال .. وبعد نقل الخبر ، قال : سيصلون عليه في جامع الحي .

شجعه إدريس على المشاركة في الصلاة من أجل خاطر البنات ؛ ولكنه قال : لا تطاوعني نفسي فماذا بيني وبين البنات ؟ كانت أمهن يوما ما زوجة لي .. واسمع بالمناسبة علمت أن موضوع الزواج ما زال قائما .. إنما الذي أوقفه اشتداد المرض بأبيهن .. فتعال ونذهب معا.

ـ ذهابي غير مناسب يا سيف .. سيُفهم أنني أفعل ذاك ليس قربة لله ؛ إنما لأجل زينب.. أما أنت

فجار لهم في الحي .

قال : ليست لديّ الشجاعة لفعل ذلك ؛ لربما لو قصدت الجامع دون العلم بجنازة لصليت كما يحصل عادة .

ـ أذهب معك للدفن نرقق هذه القلوب ساعة من الزمن .. هل سيدفن بعد الصلاة ؟

ـ نعم ، هذه العادة ، وسيدفن في مقبرة العرب حي العرب .. هذه مقبرة

أهالي بهية .. سيصلى عليه بعد الظهر كما قالت أختي غدا نلتقي ، سيأتون به من المستشفى إلى المسجد ثم المقبرة.

قال : المقابر تساوي بين الأغنياء والفقراء ، كما يفعل صف الصلاة في الجامع .. سأكون عندك بعد الصلاة ؛ لنذهب المقبرة .. يذهبون مشيا أم راكبين

ـ بعيدة المقبرة عن المسجد .

ـ نحضر الدفن للعبرة وتذكر الآخرة.

صلى إدريس الظهر في أحد مساجد حي العرب ، ثم مشى إلى حي بهية حيث بيت سيف ،

وكان في انتظاره ، فركب بجواره وقال سيف : المقبرة تحتاج لسيارة بالنسبة لنا .

وصلت سيارة الموتى إلى مكان الدفن المخصص ؛ وكانت تشرف على الدفن شركة خاصة بالدفن والتغسيل ، ونقل أشخاص الجثة إلى القبر الذي التف حوله المشيعون .. وتمت طقوس الدفن حسب الشريعة الإسلامية ، حيث ينزل لجوف القبر شخصان أو أكثر لتناول الجثة ممن حملوها من سيارة الموتى .. ويتم وضعها على جنبها الأيمن جهة القبلة .. وتحل أربطة حول الساقين والرأس .. ويقول أحدهم : على ملة وسنة رسول صلى الله عليه وسلم .. ويغلق القبر بعدد من البلاطات الإسمنتية ، ثم يهال عليها التراب ، ثم يبنى عليه في الأيام التالية الإسمنت والحجارة حتى لا تنبش .. وقد يقف أحد الشيوخ ليذكر الناس بالموت والزهد بالحياة الدنيا ويدعو للميت.. ويأخذ المشيعون بالانصراف ، ويتأخر أقرباء الميت حتى ينصرف أغلب الحاضرين ، ويذهبون لتناول طعام الميت في مكان معد لذلك .. ثم يجلسون في بيت العزاء لمدة ثلاثة أيام متتابعة.. واليوم المطاعم تعد هذا الطعام عن روح الميت مقابل أجرة يدفعها أهل الميت أو أبناؤه .

أما إدريس وسيف فبعد المشاركة بالتشييع ذهبا إلى أحد مطاعم المدينة ، وتناولا طعامهما .. وكان سيف يسأل : هل سنعزي البنات ؟

ـ سأتصل بهند وأُقدِّم لها العزاء هاتفيا فقط .. وأطلب منها تعزية أختها وأخيها.. وأنت !

ـ ليس بيني وبينهم رابط يا إدريس .. ولكني سأرسل لهم برقية عزاء ؛ لأنه إذا فرط موضوع زواجك من زينب سيغلق الملف كما أغلقنا ملف

أمهم .
ـ نعم ، انتهى ما بيننا وبينهم .. كنت أود لو أنك قابلت الرجل ؛ لنعرف الظلم الذي ألحقه بك ويريد الاعتذار عنه .
ـ ظلم من قبله ! لم أجلس معه في يوم من الأيام ، ولم أتعامل معه في صغير ولا كبير ، لو طالت مدة زواجنا قد نتعرف عليه .. ربما يريد أن يقول: إني ظلمتك بزواجي من نبيلة كما قالها مراد
ـ أعتقد أن الأمر أكبر من الطلاق .. الرجل عنده شيء كبير .. كان يرغب بمسامحته على
شيء كبير !
قال سيف بحيرة : شيء كبير ! أعندك معلومات عن ذلك ؟ ماذا تقصد ؟!
ـ أقصد أنه له دور خطير في الصورة والطلاق .. أنت ذكرت في صفحات المذكرات أنه السبب وراء تعجيل الزواج .. وأن أمها لم ترغب بأن يتزوج من بنتها ، وفضلت زواجك عليه لابد من سبب لم تذكره لك نبيلة بوضوح .. وأن والدها كان يميل لزواجها منه.. ويبدو أن الأم فرضت رأيها .. وأنك خير منه مع أنك ما زلت طالبا .. وهو متخرج كدكتور ؛ فلعله رأى أن زواجك منها تحدي له .. فخطط لطلاقك ، وتدمير زواجك ، والانتقام منها بالزواج منها .. فهذا الظلم الذي أصابك منه .. فمراد لم يكن له دور كبير في الطلاق ..كان مجرد ناقل رسالة .. أخبرك عن الصورة والمقابلة في المقهى الذهبي بناء على تعليمات وصلت إليه .. وهو كان طامعا بالزواج منها بعد أن فشل في اصطيادها كحبيبة وعشيقة .. وكان يرى أن ذلك سيكون بعد التخرج والعمل .
ـ قل لي كيف صورها غريب ؟! وكيف أقنع مرادا بلعب ذلك الدور ؟!
ـ هل تظن أننا نحن الأذكياء في العالم ؟ هذا ما استوعبته من اعترافه أمام بناته بأنه ظلمك .. استطاع أن يتزوج نبيلة .. وقد تكون نبيلة عرفت هذه الحقيقة بمرور السنين .. وكانت تريد منك الوصول للحقيقة من مقابلتك البائع المجهول .. لابد أن لها مقصدا بالطلب منك بالعودة للمقهى ، والبحث عن ذلك البائع .
ـ ولو سلمنا بصحة خيالك ، وبهذا السيناريو وحصل .. كيف صورها بدون علمها ؟ التخدير خدرها ولم تدرك ذلك !
ـ حيلة ما ؛ كأن يضع كاميرا سرية في حمام .
ـ لم تكن الصورة يا إدريس في حمام ..كانت الصورة في فضاء أو قاعة .. وكانت راقدة على ظهرها فوق سجادة تشبه سجادات الصلاة .. وكانت منفرجة الساقين عارية تماما .. والصورة توحي فعلا بأنها في حالة تخدير مستسلمة .. المصور أراد أن تظهر العورة والصدر والوجه ،

حتى لا أنكر أن الصورة لها .. هي زعمت أنها لا تعرف مكان لقط الصورة ، ولا أنها تعرضت لتخدير .. والرجل اليوم قد مات .. وإذا هذا الذي تشك به من تلك الجملة أمام بناته فقد رحل وأخذ سره معه .. وهل البنات يعرفن في رأيك ؟

ـ هند قد تكون تعرف ؛ لذلك اهتمت بالموضوع لما سمعت عن اهتمامي بالصورة .. وتكلمت مع رئيس التحرير كما تذكر .. واتصلت بها ، والتقينا ، وكان اللقاء عن الصورة .. ربما هي تشك كما نشك اليوم بالسيد غريب .. وربما الأم تعرف أنه الفاعل .. فقد يكون اعترف لها بتدمير حياتها معك في ساعة سكر في ساعة غضب وغرور .. فالمغرور أحيانا كثيرا يحب أن يتباهى بجرمه ومعصيته وحقده.

لما رجع سيف للبيت انشغل فكره بما سمعه من إدريس ، وشكه بزوج امرأته نبيلة ، وأنه قد يكون وراء مأساته ..وفكر بالصورة الوحيدة لها ، وبالصور الكثيرة لضحايا الشقق السرية .. وجد نفسه لا يعرف شيئا عنه ؛ لأنه لم يهتم به يوما ، ولم يتقابل معه في حياته قبل الزواج أو بعد الزواج ؛ ربما اشتركا في حضور مناسبة فرح أو موت ؛ ولم يجر بينهما أي تعارف .. عادت به الذاكرة إلى أيام الزواج والخطبة .. ذكر أنها أخبرته أن قريبا لوالدها عاد من بريطانيا كطبيب ، وأنه يتقرب من العائلة بالزيارات المكررة ، ويكثر من الجلوس مع والدها الدكتور خالد ، ثم تطور الأمر عن حديث عن زواجه من نبيلة كما حدثتها أمها ، وأنه يفكر بطلب يدها وخطبتها وأن والدها لا يعترض ويراه كابنه وبناته .. وحدثتها أمها بأن تشجع سيفا ليطلب يدها ؛ لتمنع زواجها من غريب .. ووافق سيف ، وتشجع والده لهذا الزواج لما التقى بنبيلة ، وحدثت الخطبة، ثم بعد حين تحدثت أن والدها أستشير ليكون وزيرا في الحكومة القادمة ، وأنه مرشح للوزارة وأن من الأفضل أن يتزوجا شرعا قبل التوزير خشية أن يرفض الوالد الزواج عندما يكون وزيرا وفعلا بعد طلاقه منها صار الرجل وزيرا حقيقيا كما أخبرت نبيلة .. مشى الزواج سريعا ، لم تظهر نبيلة أي علاقة وعاطفة لغريب سوى أنه قريب للعائلة كغيره من أقاربها .. إنها تريده هو زوجا لها .. رجل شاب يفعل ما كان يفعل طلاب الكلية من اللف والدوران حول نبيلة .. كل يرغب بإقامة صداقة وغرام معها أو حتى الجنس إذا قبلت كما كان يفعل مراد ، وشاع في الكلية كانت لها صداقات مع الجنسين ؛ لكنها لم تتهور إلى علاقات غرامية وحب .. صمدت سنتين حتى اعترفت لها بأني أريدها .. وظهر أنها كانت تحلم بي كما حلمت بها .. وأعلم أنها ظلت تطارد من قبل مراد وغيره ؛ ولكنها كانت تصدهم

وتعلن هواها لي .. وقلنا نصبر على مضايقات ومعاكسات الناس حتى نفارق الجامعة.. لم تعمل علاقة خاصة مع أي طالب قبل أن أعلن لها حبي ، ولا بعده ..وجرت التطورات الكبيرة في السنة الرابعة وفي مطلع الخامسة .. وكان الزواج القصير .. كيف سأعرف بعد هذه السنين أن غريبا كان مطاردا وخصما لي فيها ؟.. هو كان يدخل القصر ويسرح ويمرح قبل إعلان الخطبة وبعدها ..إنه قريب الدكتور .. والدكتور خالد أكاديمي ومدير مستشفى وثري جدا وابن الحضارة الغربية .. تعلم في بريطانيا .. وكان يزاوج بين عادات العرب وعادت الغرب .. ومحلا للحرية للجنسين ، لم يكن متعصبا ومعقدا كما كانت تحدث نبيلة .. وأن البنت كالشاب عنده حرة هم سواء تفعل ما تشاء .. وبعد فترة صمت عاد يقول : لا أدري ما دخل غريب في إفشال زواجي ؟! هو ليس بحاجة لواسطة للعمل كطبيب في الحكومة .. كل طبيب يقبل للعمل في مستشفيات الحكومة .. تنفع الواسطة للعمل في هذه المدينة ، وغيرها من المدن الكبيرة ؛ بحيث لا يخدم في المدن البعيدة كما هو معتاد في أول التعيين أو للعمل في الإدارة بدون المرور في مراحل الخدمة وقليل ذلك ..لابد للطبيب أن يعمل في مهنته لعدة سنوات قبل أن يحول لعمل إداري بحت .. لماذا فعلا أهملت موضوع الصورة والبائع ؟! لماذا حدثت نبيلة هندا عن الصورة وقبلها سوزان ؟! وبعد ساعات قضاها مفكرا ومقلبا للأمور ومتذكرا المعلومات طلب قهوة مرة ..وأخذ يتذكر الإلحاح من هند وزينب وخالد وحتى من غريب نفسه لإجراء لقاء به "هذا الرجل ظلم " من ظلمني ؟! هل هو الظالم ؟ كيف ظلمني ؟ هل كان هو سبب طلاقنا كما يظن إدريس ؟ وهل وهو يدرك أنه يموت ندم وأحب هو الآخر أن أسامحه ؟ هل اكتشفت نبيلة دوره ؟ لذلك طلب المسامحة منها ، ثم مني .. من أرسل الرسالة للسيد مراد ؛ ليخبرني بالصورة الحقيرة ومكان ووقت اللقاء؟ لماذا قبل مراد لعب هذا الدور ؟ أكان يأمل بالزواج منها ؟ هل الدكتور خالد هو الذي عرض ابنته على غريب بعد طلاقها العاجل أم أن غريب تظاهر بالشهامة والتضحية أمام الدكتور وبادر بطلب يدها ؟ هي كانت تقول إن والدها يريد تزويجها من قريبه .. لابد أن إشارات جرت بينهم .. أمه كلمت أمها ؛ لذلك طلبت السيدة من ابنتها مفاتحتي بأمر الخطبة ..كانت نبيلة تريدني أنا دون غيري زوجا .. ولكني خذلتها ؛ ولم أتحمل الصدمة والمكيدة !

انتهى شهر أب من عام ١٩٩٦دون أن يعرف سيف سبب ورغبة غريب باللقاء به دون معرفة

سابقة .. وهند وزينب لم تتحدثا معه ؛ كأن كل شيء انتهى بوفاة غريب .. فراجع طبيبه الخاص وقضى ليلة في المشفى .. ولما اطمئن على قلبه طبيا أقنع إدريس بالسفر إلى إسطنبول التركية لقضاء أسبوع لتغيير الجو كما يقال .. واستمتعا بتلك الرحلة ، ومضت الأيام سريعا ، ولم يفكرا كثيرا بغريب ودوره في إفساد حياته الزوجية ، واعتبر ذلك من الخيال الجامح ؛ ولكنه شعر بالندم على عدم زيارته لغريب ، ومعرفة الظلم الذي وقع عليه ؛ لذلك لما رجعا اتصل إدريس بهند معزيا مرة أخرى ، وزعم لها أنه حاول أن يقنع سيفا لمقابلة الراحل ؛ ولكن ما زالت طباعه تغلب عليه .. وخاصة صفة التردد الشديد .. وحاول استدراجها عن سبب هذا الطلب الغريب فذكرت له أنها لم تعرف السبب لذلك الطلب .. وأنه لما علم بزيارة سيف لصيدلية زينب والحديث معها أحب هو الآخر اللقاء به ..وتكلم عن الظلم لهذا الرجل ولم يوضح لهم الظلم الذي يقصده ..وطلب مني أن أقنعه بلقائه .. ومات والدي وهو يرغب بذلك.

وقالت : كما قلت ما زال السيد يعيش في الماضي.. الناس تتغير وتتقلب .

فتجرأ إدريس وقال: ألتلك الرغبة علاقة بالصورة القديمة التي دمرت حياة أمك الزوجية ؟!

لزمت الصمت لم ترد للحظات ، ثم قالت : صدق لا أدري ! نحن لما شببنا وجدنا أن العلاقة بين والدينا سيئة .. وبصراحة تبين أن لأبي علاقات قبيحة مع النساء ..ولم يكن ذلك يعجب أمي .. وكانت تمتنع عن فراش الزوجية بسبب علاقته الجنسية خارج الزواج ..كانت الأسباب في نظرنا تافهة يا إدريس لم نكن نعلم بقصة سيف وأمنا وسبب طلاقها ..كان ذلك متأخرا .. ولما أنهت زينب الثانوية سافرت للدراسة في تركيا كبعثة ، ولقرابة بين أم غريب والأتراك .. وتزوجت أحمد الذي درس هندسة الطب .. وأنا قبلها بسنتين دخلت كلية الطب لأن والد أمي كان وزير صحة ، فأحبوا أن يكرموه فقبلت بكلية الطب .. ربما لأبي دخل بذلك .. وابتعدت كلية عن نزاعات أمي وأبي وفضائحه .. وأنا أعترف بذلك ؛ لأنني اعتبرك صديقا عزيزا علينا يا إدريس .. وأنت اجتهدت في معرفة الذي خرب وفسد علاقة أمي بسيف المسكين .. إنني أشفق عليه كثيرا .. وخالد أخي أيضا دخل كلية الطب .. ونحن عرفنا بقصته مع أمي بوضوح عندما أراد شاب من العائلة الزواج من فتاة من آل وردة .. ورفضت جدتي هذا الزواج بشدة بسبب ذلك الماضي .

ـ نحن لما ذكرت الظلم الذي أصاب سيفا حاولنا معرفة أي ظلم يقصد الوالد ؛ لكن سيفا أبى

ورفض الذهاب لمعرفة الظلم الواقع عليه من أبيك أو من شخص يعرفه أبوك .. وأنا خطر في قلبي أن الأمر له علاقة بالصورة والطلاق .

ـ لم يتكلم أبي عن أي تفصيل ؛ إنما رغب بلقاء الرجل مباشرة .. وترجيت صديقك وفعلت زينب وأخي، ثم أبي اتصل به بعد عودته من العمرة من أجل اللقاء ؛ لكنه أصر على الرفض لم يتحدث أبي عن صورة ، ولا ذكر لنا شيئا من قصة أمنا مع سيف .

ـ شكرًا يا دكتورة هند! أنا سعيد بالحديث معك ؛ لأن قضية الصورة شغلت فكري لما عرفت قصة طلاق سيف خلال تلك التحقيقات .. أنا وصلت لمعلومات مهمة وتفصيلية بما سميناه بالشقة السوداء .. وكيف يخدعون الفتيات ؟ إذا التقينا في يوما ما سأسرد على مسمعك أهم التفاصيل والمكر بعد منتصف شهر أكتوبر تلقى السيد سيف بريديا رسالة غريبة وغامضة ، جاءت عن طريق البريد الرسمي ، ووجد داخل المغلف رسالة أخرى ، فلما اطلع عليها ذهل ودهش واحتار واتصل بإدريس على الفور ، وذاك لبى النداء بسرعة البرق .. كانت الرسالة من الدكتور غريب زوج نبيلة خالد ، ووصلت من مكتب أحد المحامين واسمه خليل سعيد برقع ، كان في رسالة المحامي بعد التحية والسلام كتب "طلب مني الدكتور غريب غنصرو أن أرسل لك هذه الرسالة المغلقة على هذا العنوان "وذكر عنوان بيت سيف .. وأن تصلك بعد موته بشهرين ، وشكرا" وضع إدريس رسالة المحامي ، وأخذ رسالة غريب بلهفة واضحة عليه "هذه رسالة قلت للمحامي أن تصلك بعد موتي بشهرين ؛ ولتعلم أني تركت لك أهم وأخطر رسالة في حياتي ، وستصلك بعد موتي بثلاث أشهر ، كما رتبت مع السيد خليل المحامي .. تحياتي لحضرة المهندس سيف حاكم وردة ..ولما خشيت أن ينسى محاميّ الخاص إرسال الرسالة إليك حسب الاتفاق بيننا كتبت هذه الرسالة ، وأعطيتها لمكتب محاماة أتعامل معه في بعض القضايا لأضمن أن تصلك الرسالة الأهم .. هناك حقائق عليك أن تعرفها .. قد أكون أنا الذي دمر حياتك وأفسدها .. والسبب أني أحببت المرأة التي تزوجتك ، ورفضتني ، واختارتك ، فلم أتحمل ذلك الفشل.

علمت أن نبيلة خالد كتبت لك رسالة تطلب المسامحة والاهتمام بموضوع الرجل الذي باعك الصورة تلك الليلة ..لابد أنك تذكرها ، ولم تنساها ؛ لأنها ليلة فارقة في مصيرك .. ووجدت أنني أحق منها بطلب العفو والمسامحة ؛ لأنك لم تتزوج بسبب تلك الحادثة، وطلقت واعتكفت دون امرأة .. ستعرف القصة مفصلة في الرسالة

القادمة إليك عندما يرسل إليك المحامي الآخر المظروف المغلق حسب الاتفاق .. اصبر "

قرأ إدريس الرسالة ثانية ، وتنهد قائلا: أنا أعرف ما سيكون في الرسالة القادمة بعد شهر .

ـ وأنا لما قرأتها عرفت الحقيقة التي كنت لا أريد أن أصدقها .. لم يخطر على بالي أن يفعل هذا الدكتور كل هذا الإجرام والكيد .. لم تكن صورته واضحة أمامي .. لم تذكر نبيلة الكثير عن

أخلاقه وصفاته وغروره .. إنه يكتب من باب الغرور والطيش .

ـ أنا لما التقيت بعارف فوزي كملت المعلومات عن تلك الشقق .. أما صورة واحدة فهي من شخص آخر .. باعها لك ، لم يبعها لصاحبة الصورة إذن المقصود إفساد الزواج .. ولا مصلحة لأحد في ذلك إلا لغريب ومراد .. ورجحت غريبا لقرائن أخرى .. هناك عاشق آخر لعب لعبته الذكية .. وهو قريب منها ، ومطلع على أسرارها وحياتها.

ـ أفكارك الأخيرة خشيت أن تصح .. نبيلة تعلم أن زوجها لعب لعبة كبيرة علينا ؛ لكنها كانت زوجة .. ولها أولاد منه .. كانت تعيش على الهامش

قال إدريس : إنك مثلها ضحية لم تتزوج ! ومضى قطار العمر وأنت معقد من ناحية النساء .. لا زوجة ولا أولاد .. أخيراً سنعرف كيف

خدعها الرجل وصورها تلك الصورة ؟

قال بحزن باد على وجه : أتراه يعترف بالحيلة الخبيثة يا إدريس ؟!

ـ لو لم يريد أن يعترف لماذا يكتب ؟ أتصور أن الطريقة بسيطة وسهلة .. استخدم عقارا معينا عقارا يستخدمه رجال المخابرات في التحقيق .

ـ لم أفهم .

ـ أخذت بالقراءة عن وسائل وطرق يصور بها الشخص ولا يدرك ذلك .. هناك يا سيدي عقارات تستخدم للسيطرة على المستجوب أي يفقد ذاكرته لزمن محدد .. وهناك من يستخدم التنويم المغناطيسي ليعترف المستجوب بمعلومات أو أنه عمل لجهة معينة .. فالدكتور غريب طبيب أعصاب ودماغ .. هناك أطباء يعملون مع أجهزة المخابرات الكبيرة والعالمية ، وكما نسمع ونقرأ يقوم أطباء تلك الأجهزة على إعطاء الشخص المُستجوب عقارا معينا .. فيستسلم للطبيب ، ومهما طلب منه سيفعل .. وهذه الأدوية ممنوعة ومحرمة دوليا ؛ لكنها تستعمل كما تستخدم عقاقير الهلوسة .. وهي ممنوعة .. نعم ، السيدة تعرضت لتجربة ذلك وتعرت لا إراديا وصورت .. ولما انتهى مفعول العقار ، لم تشعر بما حصل معها ، وأنها فقدت الذاكرة أو نومت مغناطيسيا .

خيم الصمت للحظات ، ثم همس سيف : ثقافتك واسعة جدا!

ـ نحن لم يخطر في بالنا أن الرجل زوجها هو الفاعل إلا لما أغلق ملف الشقق السرية ، وسماع عبارة " هذا الرجل ظلم ".. ذهبنا أن لمراد يدا ؛ لأنه الخصم لك ، وأكثرهم مطاردة لها .. لم يكن الرجل في الصورة ..لا في مذكراتك ، ولا رسالتها إليك .. ونحن ذهبنا أنه تزوجها ؛ لأنها قريبته ، ومطلقة في شهر الزواج الأول .. لم يخطر لنا أنه هو الذي سعى لذلك الزواج للانتقام منك ومنها .. والذي لفت النظر إليه مؤخرا رغبته بلقائك .. ووسط أولاده لتقبل اللقاء به .. وتكلم عن الظلم ، وليس بينك وبينك أي علاقة عمل صداقة .

ـ هل هذه الأدوية التي تتحدث عنها حقيقة أم شغل أفلام وسينما ؟!

ـ طبعا حقيقية يا سيدي! في الخمسينات كانت تجرى تجارب على أفراد وجماعات وسجناء وخصوم بهذه العقاقير .. المرضى النفسيون ألا يعطون أدوية وعقاقير للسيطرة عليهم ؟

ـ معروف هذا .

ـ فالمريض النفسي عندما يعطى مثل هذه العقاقير ماذا يحل به ؟ فعلم النفس وطب النفس للسيطرة على العقول والأدمغة والنفس .. لقد قاموا باختراع عقاقير تسبب فقدان الذاكرة ؛ ربما لم تنجح تلك العقاقير النجاح الكامل .. وهناك عقاقير تؤثر على العواطف والشعور بشكل جزئي أو كلي ..كبسولة مع الطعام فتؤدي إلى فقدان الذاكرة .. هناك يا سيد سيف عقاقير تظهر الشخص بأمراض صعبة للخداع .. وأعتقد أن غريبا لما فشل بالزواج من نبيلة بطريقة طبيعية وسارعت بالزواج منك قرر القتال .. وعمل معها شيئا فظيعا استطاع أخذ صورة لها بحيث لم تشعر بها .. لا تنسى أنه قادم من بريطانيا حيث كانت الحرب الباردة والصراع بين الشرق والغرب .. وكل الوسائل مباحة .. ستقرأ في رسالته فك غموض الصورة والبائع وتكليف مراد هل تعلم أني قرأت عن الغازات المضحكة والمبكية والمخدرة ؟ خلال الحرب الباردة استخدمت أشياء كثيرة ، ومواد أهلكت الملايين من البشر دون أن يدرك أحد أنهم هلكوا تحت التجارب سواء في الغرب أو روسيا والصين .. كثير من التجارب تجري على السجناء ؛ لأنه لا يكترث بحياتهم أحد .. سجين ومات .. لأنهم هناك عندما ينتهون من تجارب العقار على الفئران وغيرها يجرونها على البشر .

عندما عاد إدريس للبيت رن جرس الهاتف الأرضي ، وتفاجأ أن المتصلة هند غريب .. وبعد التحيات والسلام والترحيب سمعها تقول له : رأيتك اليوم في الحي !

ـ رأيتني!!

ـ رأيتك تخرج من التاكسي ، وتدفع له الأجرة أمام بيت سيف وردة .. كنت في الشارع أعاين مريضا

ـ آ .. فعلا كنت عند المهندس بعد الظهر بقليل .. ما أخبارك يا دكتورة ؟

ـ جيدة يا سيدي .. ما أخبار المهندس؟

ـ جيدة أيضا يا سيدتي!

ـ هل من جديد بشأن تلك الصورة اللعينة ؟

ـ هل من جديد ؟! أنا قلت لك إني قابلت إنسانا كان يعمل في إحدى تلك الشقق كخادم كحارس كمجرم .. وشرح لي ماذا يفعلون فيها ؟ وكيف يخدرون ويصورون الضحايا لابتزازهن وإفسادهن للعمل في الدعارة والفاحشة ؟ لكنه لم يصدف وأن رأى السيدة أمك في سهرة في حفلة .

ـ فعلا تلك الصورة لغز غامض! حتى أمي رغم زواجها من أبي كانت تشغل بالها تلك الصورة رغم مضي عشرات السنين كيف وأين ؟

ـ أسالك يا دكتورة بناء على الثقة الكبيرة بيننا والصداقة.. أمك ـ رحمها الله ـ لم تعرف سر تلك الصورة .. أم أنها لا تريد أن تعترف .. فقد أخبرت سيفا بأنها لا تعرف كيف وأين ومتى؟

ـ لا أعتقد أن أمي تعرف الحيلة التي فعلت بها لأخذ تلك الصورة وإلا قالت لأمها ولي .. كانت أمي بعد زواجها من أبي تقضي كل وقتها بعد العمل مع أمها .. كانت تحبها كثيرا حتى كان أبي يفتعل المشاكل معها بسبب ذلك .. ولما مرضت جدتي تركت العمل ، وظلت معها .. أعتقد أن أمي ماتت وهي تجهل الحيلة ؛ لذلك أنا اهتممت بالموضوع كما تعلم لما علمت أنك اهتممت بموضوعها كما أخبرت صديقة أمي المهندسة سوزان .. وسعيت للتعرف عليك والللقاء بك .

ـ على كل حال إذا حدث شيء مهم عسى أن أتحدث معك .

ـ شكرًا يا أستاذ إدريس شكرًا ..ولَك تحية من أختي زينب .

ـ من زينب .. شكرًا لكم جميعا .

ـ أما زلت راغبا بالزواج يا إدريس ؟

ـ لست أدري وأتمنى لها التوفيق والسعادة .

ـ هي لم ترفضك يا أستاذ إنما مرض الوالد واشتداده تلك الفترة دفعنا للتريث والهدوء ، ثم الموت .. فعلينا أن نحترم التقاليد الدارجة .

ـ أنا معتاد على العزوبية ، وأنت تعلمين ذلك من قبل أن تذكر العزيزة زينب .. والرجال تتزوج في أي سن .. ولما يصير الأمر جديا أفكر جديا .. سلمي عليها وعلى الدكتور خالد .. أنا أعرف جدك خالد .. كنت في أول تعييني بوازرة الصحة قبل العمل في البلدية كمفتش صحة ؛ لكننا لم نلتق

لقاء شخصيا.

ـ سلام عسى أن نلتقي يا أستاذ إدريس آسف على إطالة المكالمة .

ـ أبدا .. وعليكم السلام .

وضع السماعة ، ودخل مطبخه ، وأعد لنفسه وجبة عشاء من المعلبات ، وتفاجأ بعدم وجود

الخبز ، فاتصل ببيت أخيه طالبا الخبز ، وبينما هو يتعشى حضر إياد صديق العمر كما يقول ، فشاركه العشاء ، ثم انتقلا لصالة الجلوس والاستقبال، واطمأنا على صحة وأحوال بعضهما البعض ، وقال : قبل دخولك كانت تتحدث معي الدكتورة هند غريب .

ـ أخت زينب .

ـ نعم ، تقول عن أختها إنها ما زلت تفكر بالزواج

؛ إنها ظروف مرض الأب وموته هدّأت الأمر

ـ إذا كان لك نصيب بها سيحصل بأمر الله كم رفضت أن أزوجك منذ ترملت يا إدريس ؟ كم بذلت من الجهد والحيل دون فائدة وأصررت على الرفض ؟!

ـ أنا نفسي لا أعرف ما الذي جعلني أغير رأيي يا صديقي ؟!

ـ هل لأنها دكتورة ؟!

ـ لا أعتقد يا صديقي ؛ ربما لأنها عاجزة عن الحمل .. والشفقة أيضا .

ـ أأشفقت عليها ؟

ـ يمكنك أن تقول ذلك .. هناك أشياء تحدث يصعب تفسيرها .. رق قلبي لمأساتها.. وهي فتاة محافظة .. وعندها بعض التدين ؛ لأنها عاشت في تركيا مع أسرة متدينة.. بينهم قرابة واضطرت للزواج من قريبها زميلها في الجامعة .. كانت ابنة عشرين عند الزواج ، تزوجت صغيرة .. وهي لا تريد العودة للتبرج والسفور في الشارع .

ـ أنت مسكين ، وهي مسكينة .. تحدثت مع سيف عصرا ، وأخبرني بتطورات جديدة وغريبة وأن ملاحظاتك في الأيام الأخيرة حول غريب لها موضع من الصواب .

لخص له إدريس قصة الرسائل التي وصلت لسيف من غريب بعد موته .. وأنه يريد كشف الحقيقة لسيف زاعما العفو والمغفرة .. وقال : وأنا أقول الغرور والتشفي .

ـ معقول هو شيطان لهذه الدرجة!

ـ معقول يا صديقي! لم يتقبل الهزيمة وأن تتزوج سيفا ، وهو الراغب فيها ، هو العاشق المجهول بالنسبة لنا ..كان في الظل ، والمضحي بالزواج من مطلقة في ظروف فضائحية ..كان محبا للفتاة وأعتقد أن نبيلة حدثته عن حبها لسيف وعشقها له ، وحدثته عن مطاردات مراد لها .. فلعب على الجميع ، وتزوج منها ، وأصبح صهرا للدكتور

خالد المرشح للعمل كوزير ، قد يكون هو أكثر شخص تأثر بموت خالد المفاجئ .. ومغامراته النسائية والشهوانية تذكر بإجرامه وعدم احترامه للمهنة .. ووظيفته والشهادة مهما تكن لا تدفع الشخص لاحترامها .. الشهادة مكانة اجتماعية .. فقط الناس البسطاء يحترمون فلانا طبيبا فلانا مهندسا .. والنَّاس تهمها المكانة الاجتماعية في المجتمع .. والمهن في الحقيقة تكمل بعضها بعضا .. فعامل النظافة مهم للمجتمع كالطبيب ؛ وربما أكثر لو تترك النفايات فترة طويلة في الأحياء ستسبب أمراضا كثيرة .. هل نستطيع العيش بدونهم اليوم ؟ نبيلة عرفت الحقيقة المرة ، اكتشفت أنه وراء الصورة والطلاق ولكنّ هندا تنكر أن أمها تعرف من وراء الصورة ؟.. لكن لما نقرأ رسالتها لسيف اليوم توضح أنها تعرف الأمر ؛ ولذلك طلبت المسامحة بعد كل هذه السنوات من الآلام والضيق .. كانت تريد من سيف أن يتزوج ؛ ليكون أبا كما هي أم ؛ ولعلها تعرف بائع الصورة ، فأردت منه أن يذهب للمقهى ؛ ليتذكر ذلك البائع الذي أرسله مراد أو غريب ليقابل سيفا.. ويتظاهر أنه مشفق ويريد أن يبيع تلك الصورة .

ـ مراد هل تحدث لك عن الرسالة والصورة ؟

ـ هو رسول كما قال لسيف .. واعترف أنه فعل ذلك حقدا من سيف ، وعلى الزواج منها ، وعلل نفسه بالزواج منها بعد التخرج إذا طلقت .. وهو لليوم يذكرها ومغرما بها لولا موتها ، قال بدون مواربة : تمنيت أن أكون زوجها ..كانت فتنة لي .. وظل يطاردها حتى بعد أن تزوجها سيف .

من المعروف أن الانتظار لشيء يمر على المرء بطيئا وصعبا نفسيا ؛ ولكنه يمر .. الزمن لا يتوقف لما حل شهر نوفمبر تشرين الثاني كان الفريق في انتظار الرسالة .. وكان سيف قد طلب من إدريس أن يقرأ الرسالة قبله عندما تأتي .

اتصل المحامي المعين من قبل غريب بالسيد سيف ، وأخبره عن وصية غريب والرسالة ، فأعلمه أنه علم بوجودها من أحد المحامين ، وأعلمه المحامي بأنه تعهد للدكتور الغريب بإيصال الرسالة الخاصة بعد موته بثلاثة أشهر ، وأعلمه أن الرسالة بين يديه منذ ستة شهور فهو كتبها كما أخبره بعد اشتداد المرض عليه ، وأنه لا مفر من الموت ، والرحيل من عالم الأحياء إلى عالم الأموات ..وأخذ عنوان البيت ، واتفقا على اللقاء مكانا وزمانا ، وبدوره اتصل بإدريس وجلسا في بيت سيف في انتظار المحامي المكلف بنقل الأمانة ، وفي الخامسة مساء وليلا أدخلت الخادمة الزائر .. فالظلام يحل في فصل الشتاء مبكرا في تلك المنطقة .. استقبل سيف وإدريس المحامي وجرى التعارف .. وقدمت القهوة للضيف الذي أخرج

المغلف من حقيبته ووضعه على منضدة بينهم قائلا : ها هو يا سيدي المغلف مغلقا كما أودعه الرجل عندي !

ـ لقد أرسل لي رسالة بانتظار هذا المغلف .

ـ لا أدري .. وعندما تقرأ الرسالة رسالة صديقي غريب .. فهناك رسالة أخرى لك .. سأتصل بك بعد أيام من أجلها حسب ما طلب مني.

ـ رسالة أخرى!

ـ ستعرفها عندما تقرأ هذه الرسالة كما قال لي .

وغادرهما المحامي شاكرا حسن الاستقبال ، ولما عادا للجلوس بدأ الارتباك على سيف فعبر قائلا :

إني خائف منها يا إدريس !

ـ ولماذا تخاف ؟ هو سيعترف كيف مكر بنبيلة وصورها تلك الصورة التي عرضت عليك لتطلقها ؟ سيعترف بكيده ومكره وغرامه بها الذي اضطره لفعل ذلك .. أغلب ما فيها لدينا عنه معلومات .. فلا داعي للخوف والقلق والتوتر .. الرجل ميت، والمرأة ميتة يا صديقي!

فتح إدريس المغلف الأصفر بعد أن قرأ اسم الدكتور ، واسم سيف المرسل إليه .. ووجد أن الرسالة في مغلف آخر ففتحه ، وأخرج الأوراق البيضاء المسطر عليها الاعتراف .

بِسْم الله الرحمن الرحيم

المهندس سيف الدين حاكم آل وردة

السلام عليكم ورحمة الله

صحيح نحن لم نلتق وجها لوجه ؛ لكني أعرفك جيدا ..لم تقصر نبيلة بوصفك لي منذ عدت لأرض الوطن والتقيت بوالدها العزيز الدكتور خالد أسعد .. هي فعلت ذلك حتى لا أتهور في علاقتي معها .. أنا أحببتها من خلال زياراتها لندن .. كان والدها ينزل في بيتنا أثناء رحلاته إلى أوروبا ..لم أقتنع بحبها لك اعتبرته لهو وتسلية.

هذه قصتي معك أكتبها مضطرا ، ليس خوفا منك أو من ضميري .. من يعش هناك لا ضمير عنده ..أنت تعرف أن النساء هناك رغم الحرية مجرد سيدات للهو وممارسة الجنس باسم الحرية الشخصية ..هذه يوم وآخر مع غيرها .. المهم رضا الطرفين .. وكثير من الخيانة الزوجية يغض عنها الأزواج والزوجات .

أكتب لك مضطرا من غير ضغط من أحد ..أشعر قديما أني ظلمتك خاصة لما علمت أنك تركت النساء والزواج بسبب حبك لنبيلة خالد .. فعجبت من ذلك الحب .

أكتب إليك لأني أسأت إليكما .. وقد علمت أنها كتبت لك رسالة تطلب منك العفو والمسامحة وهي البريئة من ظلمك ، ومن عدم زواجك ، والاعتكاف في بيتك .. فقلت : وأنا أستعد للموت أنا أولى منها بالاعتذار ، وطلب العفو رغم الشر

الكامن في نفسي .. فأحب أن تعفو عني يا مهندس سيف ! الزمان لن يعود للوراء أعرف هذا ؛ لكن ما زالت الناس تتصالح وتغفر لبعضها البعض .

كنت مفتونا بالنساء منذ طفولتي ومراهقتي ..كانت النساء نقطة ضعف كبيرة في حياتي .. عرفت الزنا وأنا دون الخامسة عشرة .. كنت أصحب بعض أقاربي إلى بؤر الزنا مقابل مبلغ بسيط من المال كانت تقبل به البغي .. وبنات الهوى في أوروبا كثيرات وعجيبات في فن الدعارة ولا أدري هل سمعت عن سقطاتي هنا لما عدت ؟ الفجور مثل المرض يسري في جسم الإنسان عليّ أن أبدأ من البداية ، نجحت في الثانوية العامة ، وتيسر لي السفر إلى إنجلترا لدراسة الطب كغيري من الإخوة والأخوات والأقارب .. والدكتور خالد من الأوائل الذين تعلموا الطب في إنجلترا .. فأنا أعرفه قبل السفر .. أنا أكبر منك بخمس سنوات حسب حساباتي .. والرجل وأمي أبناء الخالات .. وتعلمت الطب كاملا في بريطانيا رغم ما أشرث إليه من ممارسة الزنا صبيا ..كنت ذكيا في المدرسة.. ونحن نتعلم بمدارس أهلية غير تابعة للدولة فنتعلم الإنجليزية بأحسن من أهلها .. درست سبع سنين طب ، وقبلها فصول في تعلم اللغة وتخصصت في طب الدماغ والجهاز العصبي ..وتفوقت وأبدعت كما يقال ؛ لأنني أحببت العلم والطب .. وأحبت أمي العودة للوطن لأتزوج من ابنة الدكتور خالد نبيلة التي عرفناها من زياراتها للندن مع أهلها، وهي شابة لم تنه الثانوية العاملة .. وهي طالبة في كلية الهندسة أعجبت بها ؛ ولكنها للحق لم تكن تستلطفني كزوج المستقبل .. نسبت ذلك إلى تقاليد الشرق وصغرها .. وحدث لي بعض المشاكل الأخلاقية أيضا أثناء العمل في المستشفيات البريطانية فقبلت بالعودة للوطن كإخوتي وأخواتي الدراسين في بريطانيا.. عدت في نهاية عام الستين وكانت العروس في أول سنوات الجامعة ، وإن والدها لا يريد تزويجها قبل إنهاء الدراسة .. فعملت في مستشفى أمراض عقلية وكان بيت الدكتور خالد كبيت أمي ؛ لأن أبي مات في بريطانيا أثناء فترة التعليم ، فاعتبرنا الدكتور خالدا بمنزلة الوالد .. وكان هو يقوم بمثل هذا الدور في المناسبات الاجتماعية السارة وغير السارة .

أمي تُلِّح عليّ بالزواج منها ، وأنا أخبرتها أن البنت تحتج بالدراسة ، ونبيلة هي الثانية في ترتيب أسرة الدكتور ، يكبرها نبيل ، ويصغرها باسم ، وهناك فتاة اسمها نوال ..أنا لا يهمني الزواج من نبيلة رغم حبي لها .. أريدها زوجة وتكوين أسرة .. أنا لديّ علاقاتي الجنسية الخاصة .. فلم تكن تزعجني قضية الزواج ..فصبرت على أمل الزواج منها في

النهاية ، وتحقيق رغبة أمي .. كانت تصارحني بمعاكسة الشبان لها منذ لحقت بالدراسة ، وخصت شابا اسمه مراد ..كان أكثر الناس لها تعقبا .. تجده أمامها في الساحة ، في القاعة ، في الكافتيريا المطعم هي تتحدث عنه وتصدت كثيرا له.. وهو لم ييأس من المحاولات .. وكنت أرى أن الدكتور يميل لتزويجي منها ولكنه يؤجل الحديث إلى ما بعد الجامعة .. كانت صريحة هي معي .. تقول: إياك أن تفكر بالزواج مني.. أنا أعرفك يا غريب لن أعيش معك رغم الحب الذي تزعمه لي .. وكانت أمها تبغضني جدا دون سبب أعرفه يا مهندس سيف ! ولا تحب أن تعد أمي بشيء .. في السنة الثالثة فاجأتني بأنها تعلقت بشاب معها اسمه سيف .. وكانت تتحدث عنك أمامي بوله وعشق لم أصدقه .. وإنها منذ رأتك في الجامعة وهي تحبك ، وأنت خجل من التصريح لها بذلك .. اعترفت لي بكل صراحة أنك اعترفت لها بحبها .. وكانت سعيدة بك حتى أنني كنت أغار وأضيق من ذكرك ، وأظل أسألها عن موقف مراد منك .. فتقول : يكاد أن يجن من الغيظ والقهر وأنا مثله ؛ لأنني أردتها من أعماق قلبي كحبيبة وسيدة بيتي ..وأمي تريدها لي ، وأنا أحب أمي ولا أدري ما ستفعل عند موتي القريب ؟ ولكن أرى أنها لن تعيش بعدي كثيرا ، فهي كبيرة في السن .. وتحدثت أمي مع ابن خالتها فوعد بزواجها بعد الجامعة .. فاستشاطت أمها غضبا وسخطا ، وطلبت منها أن تدفع سيفا لخطبتها كما علمنا ذلك عند الخطبة ..كانت أغلب سهراتنا في بيت الدكتور منذ عدنا من بريطانيا .. كانت تحدثني عن غرامها العنيف بك وأهمس بأنه حب جامعة ، لن يدوم مع التخرج سيذهب ونتزوج .. تفاجأت حقيقة أنها على وشك الخطبة منك .. وذلك في السنة الرابعة لها .. تحدثت مع والدها فقال: البنت هواها معه ، وأنت تعرف أننا لا نكره أحدا على الزواج ، وزعمت أنها تحبه ، ولا تريدك .كان صريحا ، وهذا أعرفه فيه .. وقال : إن والده رجل كبير في البلد ، وعالم التجارة والثروة ، ومن سكان الحي .

لم أستطع تقبل الهزيمة ، فزت عليّ ، صممت على الزواج منها غصبا عنها .. أنا أعرفك من كلامها ، وأعرف المهندس مرادا من كلامها .. وأنا طبيب أعصاب ، وأعمل في مستشفى أمراض عقلية .. بين يديّ عقاقير خطيرة ، وأخذت استدرجها بالحديث عنك ، وعن مراد وكيف فزت بها ؟ وكيف سيكون موقفه منكم إذا تزوجتها ؟عرفت كل ما أريد عنكم وعن زميلاتها ؛ كأنني أعيش بينكم ومعكم ..كانت ترى أني ضعيف ، وانتهى أمري؛ لكن حقدي كبير ويملأ جوفي ..لقد

استخفت بي ، وإنني قد هزمت .. فصممت أن ألعب معها لعبة كبيرة حتى تتزوج منك ، ثم تقبل بي صاغرة ذليلة .. أعلنت الخطبة رسميا ، فتيقنت أنك الفائز فكرهتك حقدت عليك ..وقبلت أمي بالزواج من أختها نوال فور دخلوها الجامعة .. فطلبت التريث .. وكيف أتزوج طفلة ؟! كان عليّ أن أجد حيلة يفرط ويفشل بسببها الزواج وقبل أن تزف إليك.. وكانت الحيلة أن تصور عارية ..وأبعث لك تلك الصورة بالبريد .. أنا عرفت شخصيتك المهزوزة والضعيفة من كثرة حديثها عنك .. أنا طبيب أعصاب ودماغ وأقرأ الأفكار وأرى ردة فعلك على الصورة .. هل تبتعد عنها أم يغلب عليك الحب وتغض الطرف عن عريها ؟ وذلك قبل أن أنتقل لحيلة أخرى ؛ ولكني تفاجأت قبل أخذ الصورة بزواجكم ..وكان المبرر أن والدها سيُصبِح في الفترة القادمة وزيرا .. وخشيت أمها أن يرفض والدها زواجك منها .. أمها لا تحب أمي وتضيق بها .. لولا قرابتنا للدكتور خالد لما سمحت لنا بدخول القصر كانت تعاملنا لاعتبارات اجتماعية .. والدكتور يحترم امرأته ولغناها الفاحش ..وربما أن لها جزءا كبيرا من القصر .. في القصر هذا قاعة رياضية يا مهندس سيف فيها بلياردو وطاولة تنس وألعاب أخرى ونصف ملعب كرة سلة .. كانت نبيلة تُمارس الرياضة في تلك القاعة ..وكنا أنا وبعض أخواتي وأقاربنا نلعب فيها أثناء الزيارات والسهرات العائلية .. كانت نبيلة تحب لبس ملابس الرياضة القصيرة أثناء وجودها في القاعة الرياضية ، وتحب التباهي بجسدها نصف العاري ؛ بل يعجبها الغزل فيه وبجمالها الفتان جدا .. وهي ماهرة بالسباحة حيث مسبح القصر، وتسبح كما تعلم أمام الرجال دون أي تردد بثياب البحر والسباحة .. الحقيقة أنها تربت على عدم الشعور بالفرق بينها وبين الرجل فتلبس السروال القصير .. وتنزل للعب كرة المضرب أو السلة دون أي تحرج منا فكان نزولها بتلك الصفة عاديا ..وهذا الذي دفعني للتفكير بصورة عارية لها ..كان الأمر سهلا بالنسبة لي.. لكن أريد فرصة .. ذهبنا ذات نهار إلى قاعة الرياضة كما نفعل ذلك .. فأخذت تركض في القاعة لمدة ربع ساعة قبل أن نلعب الطاولة .. لم تكن تخاف مني أو تحسب لي أي حساب أو أني رجل قد يثور غريزيا ويغتصبها ..كانت تشعر بالأمان كانت تعتبرني ابن أوروبا كوالدها الذي تعلم عادات الإنجليز ويمارسها في البيت وفي العمل .. منذ الخطبة وأنا أعمل لإفساد الزواج ؛ لأنها رفضتني كزوج .. في أوروبا كنّا إذا تعلق شاب بأنثى يكونان علاقة دون زواج ، ويعيشان بدون عقد بينهما .. وذاك المجتمع يتقبله

، وقد يفعله شبان من أصول إسلامية ..كانت تعلم أني مغرم بها وأشتهيها كما يشتهي الرجل الزوجة .. ولكنها مخلصة لك في الحب ، لا تسمح لأحد بلمسها وتقبيلها ، كانت تريد سيفا وحده. كانت تركض بالقاعة الخاصة بالقصر ، وأنا اتصلت بالخادمة طالبا للقهوة لي ولها .. رأيت أنها فرصة لتصويرها بالكاميرا الخاصة التي أحملها دائما .. والتي أحضرتها من لندن ..ولم ينقطع ترددي عليها خلال السنوات الماضية.. طلبت القهوة متظاهرا بالصداع، ولما جاءت القهوة وانصرفت الخادمة ، وضعت مسحوقا جهزته لمثل هذه اللحظة منذ بدأت أفكر بأخذ الصورة فيصبح الشخص بعد عشر دقائق خاضعا تحت السيطرة شربنا القهوة المرة حتى أن نبيلة اعتبرت القهوة مرة جدا فقلت لها: إن البن هذه الأيام تعيس مغشوش . قالت: بل نأتي بها من أجود المحلات .لما استقرت القهوة في بطنها ظلت جالسة على مقعدها، حيث كنّا نستمتع بشرب القهوة والاستراحة بعد جولة من الركض .. لما أدركت أنها تحت السيطرة ، طلبت منها أن تتبعني فقامت مستسلمة، وأمسكت بها، وخرجت بها من قاعة الطاولة إلى فضاء وأرض جرداء قرب القاعة ، وأحضرت بساطا صغيرا وقلبته ، وأمرتها بالنوم عليه ، وخلع كل ملابسها ففعلت ، ونفذت ما طلبته دون أي مقاومة .. ظهرت عورتها ، وهممت باغتصابها لفتنتها ؛ ولكن سيكشف الأمر بعد عودة عقلها إليها .. أخذت الصورة ، وأمرتها بلبس ثيابها ، وأعدت البساط الصغير من حيث أخذته ، وعدت بها إلى قاعة المضرب حيث كنّا نشرب القهوة وانتظرت حتى عاد إليها وعيها بعد نصف ساعة من بدء العملية .. نجحت الحيلة .. قالت: إني أحس بصداع يا غريب .. هذه القهوة فعلا سيئة ! قلت : أطلب لك المزيد .. قهوة بسكر ..لعبنا بعض الوقت ثم عدنا للقصر .. وشاركنا العائلة الغداء ..وكان جل حديثنا عن يوم الزفاف القادم في نهاية الأسبوع .. وهذه الأيام تستخدم هذه العقاقير في متابعة الإعاقات العقلية في مراكز العلاج ، وخبرتها أثناء عملي وتدريبي في بريطانيا عند معالجة الأمراض العقلية ، وكيفية السيطرة عليهم عند الهياج والهيجان والثوران .. ومكثنا لنصف الليل ذلك اليوم .. ولما رجع الدكتور غادرت أنا وأمي .. هكذا تم تصوير الآنسة الفاتنة .. أنا قاومت بشدة حتى لا أقع عليها يا مهندس سيف ؛ لكنك استمتعت بها عشرين يوما ..كانت الخطوة التالية أن أرسل لك أنت الصورة حتى لا يحصل الزواج ؛ ولكن تأخرت فرصة التصوير .. فعدلت الخطة قلت دعها تتزوج ، ثم نرسل الصورة الرائعة أنا أحسن التصوير الفوتوغرافي

تعلمت ذلك في بريطانيا .. كنت آمل أن تطلقها قبل الدخلة ، ولكنني قلت ربما بعد الدخلة أفضل .. فهي تصبح زوجة والغيرة أكثر ، والغضب سيكون أشد .. ورأيت أن زواجي منها بعد الطلاق سيكون أسهل ، وستقبله هي والدكتور خالد .. وهذا ما حصل ولما حصل الزواج حسب العادات وبعد أسبوعين كتبت رسالة لمراد زميلكم في الكلية أذكر فيها الصورة العارية التي أملكها ، وأنها قد تحقق الطلاق ويتزوجها بعد طلاقها .. وطلبت منه الاتصال على رقم هاتف ذكرته في الرسالة إذا أحب تحقيق ذلك .. وبالفعل اتصل على الرقم المذكور في الرسالة ، وبعد التفاهم والتبيان توهم أنني أحد الطلبة في الجامعة ، ولي قدرات غامضة .. ذكرت له مكان اللقاء والوقت ، وأن يتكلم معك في نهار ذلك اليوم ..وإذا لم تحضر للجامعة أن يتصل بي ؛ لترتيب يوم آخر .. وفعل كما خططت له، وتظاهر لك بأنه حريص غيور عليك ، ونقل لك الرسالة .. وهو يعتقد أن أحد الطلاب وراء العملية، ولا يريد كشف نفسه.. وتبين أن الرجل يحقد عليك أكثر من حقدي وغضبي .. وكان رقم الهاتف أحد هواتف المستشفى الذي أعمل فيه .. وحذرته من الذهاب إلى المقهى تلك الأمسية حتى لا يفشل المخطط .. أنا لا أعرفه شخصيا ، ولم أره في حياتي ..عرفته عن طريق فتاتك نبيلة .

لقد استطاع مراد كما أوهمته أن يشحنك شحنا شديدا على زوجتك التي أصبحت خائنة في نظرك ..وأنت تريد الدليل فقط .. ذهبت للمقهى وأنت غاضب ناقم ، ومغتاظ على نبيلة المخادعة الماكرة التي جعلتك غطاء على فجورها .. هكذا أوحى إليك مراد .. وأنا أعرف شكلك من الصور الكثيرة لك عند نبيلة ..وعندما جلست في المقهى جاءك رجل يضع شاربا سميكا ولحية قصيرة ونظارة خضراء على عينيه وباعك الصورة وقطعة من الفلم.. وأنت ذهلت فورا من صورة نبيلة مجردة من لباسها ..نبيلة الحبيبة الشريفة .. وهذا البائع هو أنا متنكرا .. ورأيت غضبك وسخطك.. فتيقنت أنك ستطلقها كما رسمت ودبرت ..كيف صورت ؟ هي لا تعرف .. أين صورت ؟ لا تعرف أنها صورت في قصر والدها .. نجحت العلمية ..وعلمت أنك قابلت والدها ، ورأى الصورة ، ووافق على الطلاق كما أردت أنت .. وعادت نبيلة للقصر مصدومة مذهولة ، وأشعرت الدكتور لما تحدث عن طلاقها بأني مستعد للزواج منها رغم الكارثة ..ولما انتهت العدة الشرعية ، ظهرت أمامهم بمظهر الشهم المضحي الذي يريد أن يستر على قريبته ..ووافقت نبيلة مكرهة ، وهي ما زالت تحت ظل الصدمة من

الزواج والطلاق والصورة .. فرحت أمي بزواجي .. وهي تتعجب من سرعة طلاق نبيلة .. عاشت نبيلة السنة الأولى في حالة دهشة وصدمة من حياتنا ..كيف صورت ؟ متى وأين؟ وهكذا أصبح جسدها ملكي بصورة ..كانت تبكيك عندما تحس أنني لا أراها .. ولا تهمني البكارة والعذرية المهمة لدى الشرقيين .. هذا في الغرب لا قيمة له ، وأنا منهم .. أدركت إدراكا تاما أن نبيلة لا تحبّني رغم مرور أشهر ؛ لم أظهر أمامهم بسرعة ، وانتظرت حتى تتخرج ثم تزوجتني .. وكانت الوزارة قد غيرت ، ودخل فيها حماي ، ونقلني إلى وظيفة إدارية في الوزارة حسب رغبتي ، وأنا صهره يومئذ .. لم تكن سعيدة نبيلة معي ، كانت تعيسة للغاية .. أنا مجرد زوج يداعب جسدها وأنا لم أكن مخلصا لها .. كان لي عشيقاتي وفتياتي .. ولم تدم وزارة عمي ، لقد مات في حادث فخسرت عونا كبيرا لي في الوزارة ، لم أكن قد عملت علاقات قوية ؛ ولكني صهر الوزير الذي مات شهيد الواجب .. أثناء ندوة عمل في أوروبا كان موته صدمة للعائلة وأمي التي كانت تتغنى بوازرة ابن خالتها ونسيبها .. ولدت ابنتنا هند بعد وفاة عمي بشهرين ، ومع ذلك ظلت علاقتنا باردة وحزينة .. وخلال خمس سنوات كانت قد ولدت ثلاث أولاد .. كانت نبيلة رغم الأولاد ترغب بالطلاق ؛ ولكنها لا تنطق بذلك ..كان يمر علينا شهور ولا تسمح لي بمعاشرتها كزوج .. كنت أشعر أن نبيلة تحس أن لي دورا في طلاقها منك .. تقول أمامي بحقد : كيف صورني المجرم ؟!وأين صورني تلك الصورة ؟! إنها صورتي . فأقول لنفسي : هل تتهمني بهذه الأسئلة ؟ وأرفع صوتي فأقول: صاحبك تخلى عنك ، لم يتحمل غلطة واحدة منك قارني بيني وبينه .. قبلتك زوجة مطلقة .. قبلتك رغم تلك الصورة التي حدثني عنها المرحوم والدك .

ـ كيف مكر بي ؟ كيف خدعت ؟!

أعترف أنها تشك بي كإحساس ؛ ولكنها لم تستطع تخيل ما حصل ..كانت جل وقتها مع أمها التي تكرهني وتكره أمي .. أختها سافرت بريطانيا لتتعلم ، وتزوجت هناك .. لم أعترف لها بأني وراء صورتها وطلاقها .. زادت مغامراتي النسائية ؛ بل كنت أسافر فرنسا ولندن لقضاء الشهوات .. كنّا مجرد زوجين وأسرة ..وكلما كبرنا كانت تقل المعاشرات الزوجية ؛ ربما مر عليّ سنتان دون أن تسمح لي بإقامة علاقة زوجية ، كنت بيننا دائما ، كنت أكرهك أكرهك ، وكنت أخشى طلاقها وأن تعود إليك ؛ لأنك لم تتزوج .. ومشت الحياة ودخلت زينب الجامعات التركية ببعثة خاصة ، وتزوجت عندما بلغت العشرين من قريب لي ،

وأصبحت معروفا أمام العائلة بزير النساء كما يقال .. دخلت هند كلية الطب ، وخالد سافر بريطانيا ليدرس الطب .. كانت علاقتي بالأولاد ؛ كأنهم أبناء رجل غيري .. عرفت الأسرة قصة زواج أمهم بعد طلاقها منك .. وقعت على فتاة دون سن الزواج القانوني ويريد أهلها أن أتزوجها سترا على شرفهم .. وهي التي قامت بإغوائي ، صدمت الأسرة بتلك الفضيحة .. وزاد النفور بيننا جميعا كعائلة.. النفس الشرقي ظل مسيطرا عليهم .

أنا الذي ظلمك يا مهندس سيف ..كنت شابا لم يحتمل أن ترفضه فتاة جميلة كنبيلة .. كرهتك بسببها .. ينشرون الإباحية في البلاد ، ولا يريدون لنا نقوم بها .. كانت نبيلة حزينة لك وعليك وتتمنى أن تسمع خبر زواجك .. فهي ترى أنها السبب في حرمانك من النساء راودتني نفسي أكثر من مرة بطلاقها لتعود إليك .. ولكني لم أستطع فعل ذلك .. لم أحتمل أن تكون بين ذراعيّ رجل غيري بعد تملكي لها باسم قانون الزواج .. أنا فكرت كذا مرة أن أعترف لها ولَك بما فعلته بكم .. ولكني أجلت ذلك لساعة الموت .. وهذا ما فعلته .. وتركت لك مالا لدى المحامي عسى أن تقبله تعويضا على ما ألحقته بك من دمار وحزن ، وإذا لم تقبله تصدق به أو أعطه لأي إنسان أو مشروع .. إذا كان الاعتراف يريح النفس فها أنا اعترفت لك وحدك ..لا يهمني غيرك أنا مسلم مثلك ؛ ولكني لا أعرف من الإسلام إلا كلمات تقال أمامي في العمل في العيادة في الإدارة .. لم أعرف الصلاة يوما ، ولا الصيام .. نحن نؤمن بالحضارة الغربية والعادات الغربية ربما أكثر من الغربيين شرب الخمر عندي كالماء .. لحم الخنزير من أفضل اللحوم .. أذهب للفنادق الكبيرة من أجل التلذذ بأكله .. وقد عرفت بريطانيين لا يأكلونه مثل المسلمين الملتزمين قد أكون أزعجتك بهذا الاعتراف .. نبيلة كانت تريد هذا الاعتراف ؛ لتبدأ حياتك من جديد علمت برسالتها ، وطلبها منك البحث عن بائع الصورة .. أخبرتني هند عن هذه الرسالة ..لا أدري هل كانت تعرف هي البائع ؟! فلا أحد يعلم ما فعلت بكما إلا الله .. علمت من هند أنك مشغول بالبحث عن مصور هذه الصورة .. فأحببت أن أريحك من البحث العقيم ..أنا بحاجة لمسامحتك .. ماتت نبيلة وهي تحبك أكثر مني .. نعم ، أجزم بذلك ، وأعترف به .. وقد كانت تحتفظ بصورك وتشاهدها ، ورسائلك وتقرأها ولم أحاول أخذها ، وكثيرا ما ترسم شخصك، وتكتب اسمك ؛ ربما لإغاظتي قالت : لن يموت حبي له ، ولن أحبك أبدا يا غريب !

إضافة

تعجبت من لقاء زينب بك ، وإنك تؤيد زواجها من ذلك الكاتب المغمور ، وعرفت أنه صديقك .. نعم ، هي بحاجة لرجل كما تقول هند .. وأنا قلت لها : الزواج لابد منه ..ورجل كهذا قد يكون مناسبا ؛ لأنك لا تلدين .. وهند تسعى لمصلحتك .. الزوج يحب الذرية ولا إمكانية للذرية عندك فهذا مناسب ..واعلم أن البنات يحببنك يا سيف ، رغم أنهن بناتي ، ومتعاطفات معك من أجل أمهن .. وهذه هي الأقدار ، وداعا.

يتبع في الجزء القادم بإذن الله تعالى

روايات اجتماعية

امرأة نزيه

الحلقة ٣والاخيرة

مارينا

لم تكن تربية مارينا بين والديها تربية إسلامية في مجتمع مسلم ، كانت تربيتها متأثرة بتربية الغرب ومحاكاة العادات والتقاليد الأجنبية ، المشاكلة في الطعام والشراب وطريقة الأكل والتعري شبه الكامل ، ولبس موديلات حديثة ، استخدام المكياج في كل وقت ، وأمام الأب والعم والأخ والأخت والأجنبي ، الاختلاط بجميع الأصدقاء شبانا وفتيات ، مشاركتهم في حفلاتهم في الرقص والغناء ، والمزح بالأشياء والألفاظ البذيئة دون أدب أو حياء ، وسكر حتى الثمالة ولعب القمار .

تقام الحفلات المختلطة في البيوت والنوادي العائلية ، تعرفت على نزيه عندما جاء المدينة ليدرس في الجامعة ، فأكثر من التردد على بيت خاله باكر وشاكر وخالته هيام وسلمى ، واحتك بهم ، وهم استلطفوه دون أخيه الذي سبقه في الدراسة في المدينة ودون الذين جاءوا من بعده .

أعجب الشاب القروي بمارينا من أول زيارة ، وكان معجبا بأخواله قبل الجامعة وقبل السكن في المدينة ، وهي كذلك أعجبت به ، ورأته شابا قويا ووسيما ، وحلمت به زوجا مناسبا عند الزواج. ولم تحدث بينهم قصة غرام وعشق ، وكانا يتحدثون عن الحشمة والسفور والمقارنة بين أهل المدينة وأهل الريف والقرى ، وطباع وعادات القرية والمدينة العصرية ، ورأت أن الإنسان يتغير مع تقدم الزمن والحياة في بيئة جديدة ؛ كما حدث مع أبيها وعمها ، وأن الشاب مع الوقت سيتطور ويتحدث ويتعصرن ، كانت الفتاة في نفس سنه تصغره بشهور ، وتدرس في نفس الجامعة كما سبق وفصلنا ، والإنسان في حياة منفتحة قد يزداد انحلالا وتقبلا لحياتهم الاجتماعية والثقافية وتنحصر تقاليد القرية مع الوقت .

وكانت تخصه بدعوات ومشاوير كابن عمة ، وبدفع وتشجيع من أمها ، وصمت من الأب ،

فاعتقدت أنهم راضون عن علاقتها وانفتاحها على نزيه، وهو الآخر فتن بها وبلطفها وحسنها وقبولها الجلوس والخروج معه ، وهو تمناها زوجة في يوم ما .. مجرد تمني، وشجعته أمه على الارتباط بها ؛ لعل خاله يقبله قرينا لها .

فهو يعلم يقينا أن والده لا يقبل بها وهي على هذه الهيئة السافرة ، سيقان مكشوفة ، نصف أفخاذ عارية ، قص شعر مثل الشباب ، أما هو فوجهة نظره أنه كان يرى أنها قد تتغير عند الزواج ككثير من الفتيات .. وتقل حركات لفت الذكور .

وكان باكر وزوجته يرونه العريس المناسب لها ، فأمه أخت باكر ، وشاكر عمها يراه مثلهم ، والفتاة لم تظهر الامتناع والنفور من زواجها منه ، كلما تشير أمها لذلك ، بل بشت في وجه وشجعته ، فهو في نظرها ونظرهم شخص بسيط طيب قادم من الريف ، وكان الشاب يومها يرى أخواله مهمين في مستقبله وعمله ، فهم سادة يجلسون مع الوزراء والحكومة ، وخاله شاكر كان وزير الجمارك ، وتذكر أن أهل القرية عملوا احتفالا كبيرا لما صدر قرار وزارته ، وظهر اسم القرية على خارطة البلد في الإعلام والصحف كبلدة الوزير الأولى ، وأضيفت إليه صفات كثيرة ، وفوق المنصب السياسي هو مليونير في مقاييس تلك الفترة من الزمن ، وخاله باكر موظف كبير في وزارة الاقتصاد والمال ، وتحدث والدها عن رغبته بتزويجه مارينا ، وأن لها ميلا نحوه ، ولم يعترض الفكرة، وشاكر خاله وعده بذلك بعد الجامعة . فلما تخرج من كليته يحمل بكالوريوس تجارة واقتصاد ، تم توظيفه في الدائرة المالية ؛ ليكون مسؤولا في الكبر كخاله ، كان يرى السعادة والطموح بقربهم ، والسعد بجوارهم وما هي إلا سنوات ويصبح رجلا مهما في الوزارة . واستقر في المدينة نتيجة العمل الوظيفي في الحكومة ، وأحب والده تزويجه من بنت صديقه قديس احمد ، واستطاع شاكر إقناعه بالزواج من ابنة أخيه مارينا ، وأن ذلك من مصلحته ، ومن رغبته بها ، وأن مستقبله الكبير مضمون ، ورضي يوسف من أجل خاطر أم إبراهيم زوجته التي كانت تميل إلى ذلك وقبل تدخل شاكر وضغطه.

وحصل الزواج كما ذكرنا في أول الحكاية ، وبعد أن وضعت مارينا ابنتها نداء بشهور أصيبت بداء هرموني كما تبين يسبب نزيفا في الرحم والمهبل، وأصبح اللقاء الزوجي يشكل عبئا وإرهاقا له ولها وللأسرة ، وتضطر لزيارة الطبيب عند كل جماع ولقاء ، مما أزعج نزيه والأسرة وتوقف الحمل والحبل ، فلم تعد قادرة على الإنجاب والمعاشرة الشرعية ، وأصبح النزف والدم حاجزا عن الحياة الجنسية الطبيعية، والعلاجات غير موفقة ، وهو

من محبي الإكثار من الذرية ، ولا يقرب الزنا والفواحش ، ولم يعرفها . ورغب نزيه بعد فشل العلاج بالزواج من أنثى أخرى ، وطلب منها أن تختارها هي بنفسها ، وفكرة التعدد غير مقبولة في وسطهم في وسط أخواله وخالاته ، الفكرة مرفوضة أساسا دون تفكير ودون تردد ، ووجد أن الطلاق مرفوض أيضا ، فالأحسن عندهم معاشرة البغايا وبائعات الهوى أو من بنات المعارف الساقطات أو بنات الحانات ، وهو لا يرتاح لهذا الخيار للقضاء على الرغبة والشهوة .

هو لم يقبل فكرة النوم مع امرأة متزوجة أو مومس ، والنوم مع إحداهن بالحرام والزنا ، وقد استهجن بشدة وقبح هذا التفكير المنافي للفطرة الطيبة ، وأنها ستغض الطرف عن مثل هكذا علاقات ، دهش من شدة تأثرهم بالغرب حتى في الجماع من مومس وبنت داعرة ، نزيه المتدين يقع في الزنا ، ورغم قضاء هذه السنوات معهم لم يضعف أمام انحلالاهم وسكرهم ، ولم يستسغ فكرة اللهو والسهر الممارس في حياة أخواله وذريتهم ، فكان يهرب منها ، وقد سكت عن سلوك زوجته في بعض المرات تجنبا للصراع معها ومع أخواله ، وكان آملا بإصلاح زوجته في وقت ما كانوا لا يعتبرون الزنا والفاحشة جرما ما دام كلا الطرفين موافق على هذا الفعل الفاحش ، فهذا مباح في

قانونهم الأرضي ، المهم رضا الطرفين .

أمام الواقع المر أكثر من الذهاب للبلدة ، هجر البيت ورحل للقرية ، التقى في إحدى الزيارات بابن عم له هاجر للأرجنتين قديما ، فحدثه عن همه وغمه ، فشجعه طلال يعقوب القادم في زيارة للقرية بالذهاب والسفر معه ، وترك البلد ، وأخذ بكيل المدح للهجرة والغربة والحياة في تلك الديار من العالم ، وأن أعداد العرب فيها في ازدياد ، وأنك تجد شوارع كلها من الجاليات العربية السوري اللبناني الأردني العراقي عرب شمال أفريقيا ، وتجد فيها مشروبات عربية وكل أصناف الطعام العربي واللباس العربي ، فما كاد طلال يسكت عن ذكر محاسن تلك البلاد والعباد حتى كان نزيه مقتنعا ، متقبلا الفكرة ، وأن الهجرة هي الحل السليم والصواب ، ورتبا لها سرا خشية أن يعرقل أخواله سفره وهجرته.

قدم استقالته من الدائرة زاعما الحياة في القرية تخلصا من المشاكل الزوجية، وظنت مارينا أنه يسعى للزواج في القرية ، وكان له الهرب دون علمهم.

فجن باكر وشاكر ومارينا لما عرفوا بفراره إلى الغرب ، وبعد حين نسيت الزوج والشرف ، وأخذت تزيد من تبرجها وعريها وخروجها وسكرها وسفرها ، واللقاء بالرجال وسيدات

المجتمع، وتقبل هذا وذاك، ويلمسها هذا وذاك دون حياء وخجل ، وحتى أنها سمحت لنفسها باتخاذ العشاق ؛ كلما سمحت صحتها الجنسية بذلك ، لا رقيب ولا حسيب ، أب لا يهتم ، وكذلك أم ، أبناء صغار فلا أحد يسأل ويعترض ، الطلاق لم يحصل لم تأت وثيقة الطلاق ، فتزوج هناك بدون اهتمام ، فلما تحركها الرغبة والغلمة تقبل أي عشيق وزان ، فصار الزنا أمرا طبيعيا في رأيها وحياتها ؛ بل كانت تترك أولادها وبيتها أياما وليال لتعيش مع الزناة في أكواخهم ونزهاتهم ورحلاتهم وشاليهاتهم ، وقيل إنها سقطت في وحل الرذيلة وهي في الثانوية قبل أن تلتقي بنزيه وتتعرف عليه ، لكن بعد هجرة نزيه لها اشتهرت بذلك الفحش ، فتسكر وتزني وتقامر ، ولا أحد يعترض على هذا الانفلات حتى أولادها علمتهم على تلك الأفعال الدنيئة وأوقعتهم في براثن الفسق واللذة المحرمة إلا نداء نجت من الانحلال الخلقي الذي عم البيت فدخل الثلاثة عالمها الفاسد القبيح باسم الحرية والديمقراطية ، وهي لم تكترث بهم وبنقدهم وتعليقاتهم ولهم ، حياتهم اللا مبالاة ؛ فاذا تحدث أحدهم واحتج تصرخ إنها حرة في حياتها وشهواتها فيلزمون الصمت ؛ فهم مثلها في الفاحشة والعلاقات الخبيثة فهم أتباع الهوى والشيطان ؛ فالذي يرضونه لأنفسهم عليهم أن يرضوه لأمهم ولأختهم ، استطاعت بفسقها أن توصلهم للهاوية وحب الشهوات والمجون ، فالكل في الهوا سوا ، وكانت تزعم أنها تنتقم من أبيهم عندما تكلمها أمها بالتخفيف من تهورها فبعض الشرف ، وأن أولادها كبروا.

لم ينجُ من نقمتها وغلها وحقدها إلا نداء كما علمنا ، فقد حفظها الباري في علاه ، ويسر لها من يوجهها التوجيه السليم ، فكانت القراءة ورعايتها من بعض معلماتها المخلصات في النصح والرعاية والإرشاد أن يوصلنها سفينة النجاة احفظ الله يحفظك

ومضت السنون بخيرها وشرها فبدت لهم في نظرهم وفكرهم أنها لم تكن أما صالحة ؛ إنها تكرههم وتحقد عليهم ؛ فلم تظهر حبها وحنانها وعطفها لهم أو تحس بهم حتى رأينا أن ناصرا يأخذ بضربها وصفعها ودفعها وشتمها عند كل نزاع وحوار حاد ، وخاصة بعدما تعرض لحادث ، وتعرض فيه لشلل ، وعجز عن العمل ، كان عائدا من حفلة سكر وعربدة ، فوقع الحادث بعد خروجهم من بيت أحد الأصدقاء الماجنين .

فيقول ببغض : أنت سبب تعليمنا الشراب والسكر لأقصى حد.. ألم تشبعي من الفواحش والرجال يا ... يا ... .

عشرات من الأوصاف يطلقها في وجهها : لقد

عجّزت.. ما زلت تزعمين أنك شابة بهذا التبرج والمساحيق والصالونات .

فتعود لكلمة الحرية وحقها في الاستمتاع بالحياة قبل الفناء ، وأن الأدوية تعيد لها قوة الشباب، ويبقى حولها الأصدقاء الذكور والإناث .

فيقول لها من غير أدب وحياء وبر أم : الذين ينامون معك كلهم عواجيز مثلك يا مارينا .. هل من شاب يغامر ويقضي شهوته في حضنك ؟ وضحك وتابع سخريته وتحقيره : لا أعتقد .. أنت أحقر أم في التاريخ القديم والحديث .

ويعود للشتم والسب فيصفها بأقبح الأوصاف ؛ كأنهما يجلسان في حانة من حانات السكارى وهي تصاب بالسرور مما توصف به لا تحتج ولا تتأفف ، وهو لم يشعر بأنه يخاطب أمه للحظة كان كأنه يخاطب فتاة في ملهى أو مرقص أو شارع بنات الهوى .

ويقول : أنت مجرمة وملعونة .. لقد نجا منك ذلك الجبان الهارب .. وهل ذاك الهارب يهمه فعلك فينا ؟.. وما تفعلين بروحك وشهوتك ؟..والذين يضاجعونك مجرمين مثلك .. يزعمون أن لهم قدرة وطاقة على الزنا، وهم يترنحون في مشيتهم وحركتهم .. هم يأتونك طمعا بالشراب والطعام والمال . هكذا كانت مجالسهم لما تعرض للحادث سامي ترك الزواج ، ولم يتصالح مع قريبته جود بنت ابن خاله شاكر ، وقال لأمه : عندما اشتاق للنساء فها هي نوادينا فيها من هي مستعدة لقضاء ليلة في حضني .. وهناك نساء ببضع دراهم يؤدين الغرض وانتهى الأمر .. لا تقلقي عليّ يا أم ناصر اعترضت وقالت بهمس : والأمراض الخبيثة !

قال بهدوء وعدم اكتراث : لم يعد للحياة قيمة .. وهل الزوجة شريفة يا شريفة ؟ ولماذا أنت لا تخشين الأمراض؟!

قالت بثقة : أنا أخشاها ، ودائما أقوم بالتحاليل والفحوص.

تنهد بأسف : الوحيدة التي نجت من قبحك وتربيتك الإباحية نداء .. لا أدري فعلا كيف نجت وفلتت من تربيتك الحسنة ؟وضحك .

سامي لا يخاطبها بأمي منذ عهد بعيد حذفها من قاموسه ، يناديها بأم ناصر أو مارينا ، وهي لم تعد تهتم بهذه الصفة العظيمة الأم ، وعندما يراها مقبلة من صالون التبرج والمكياج يصرخ : أنت مثل القردة ؛ ربما القردة أجمل منها كما يقول ناصر ! .. كيف ينظر إليك السفلة من الرجال؟! ألا تزهقون وتملون ؟!

قالت متحدية احتقارهم : مهما وصفتم وسخرتم ما زلت حية . . ولي رجالي وعشاقي .. ولن أغير طباعي ؛ فكما أنتم أحرار فأنا حرة .

قال بغيظ خفي : نعم ، أنت حرة.. المشكلة يا حرة

يتغزلون بك أمامنا .. كأننا حشرات .. أليست عندك مشاعر وقلب ؟ كم أبغضك أيتها الحشرة ؟

الطلاق

ذكرنا أن السيد نزيها ترك البلاد تحت الظروف التي أحاطت به ورغبته بالزواج من جديد ، ولما قابل ابن عمه طلال يعقوب وشكى له حاله ، ولما سمع طلال مشكلته شجعه على الهرب والهجرة والخلاص من مشاكله ونزاعه مع أخواله المتنفذين في الدولة ، ولما وصل تلك الديار الكبيرة في الغرب الأمريكي ، دبر له ابن عمه الزواج من فتاة عربية والدها من أصول سورية ، فالسوريون وأهل الشام وصلوا الأرجنتين والبرازيل في القرن الماضي ١٨٧٦ ، يعيشون في تلك البلاد من مائة سنة . وكان العرب يشكلون عددا لا بأس به من الناس في تلك البلاد الواسعة والكبيرة ، حتى أنك اليوم قد تجد أحياء كلها من الجاليات العربية ، وأغلبهم من الشوام واللبنانيين والفلسطينيين خاصة بعد نكبة فلسطين المشهورة وطرد الناس من أوطانهم ١٩٤٨ . الحروب الشرسة تسبب الهرب واللجوء ، كانت الفتاة متخرجة من الجامعة وتعمل مع والدها في مصنع اسماك ، ويملك مطعما مهما للعرب لطهي وشوي الأسماك المختلفة الألوان والأحجام والأشكال. اشتغل قبل ذلك مع ابن عمه فترة ، ثم مع والد زوجته وإخوتها فترة أخرى ، ثم أسس شركة مالية لتبادل العملة صرافة ، والمشروع يولد آخر حتى ملك مكتب محاسبة خاص . مع كل هذا الفضل والثروة والشركات والتجارة كان محبا للعودة لبلده والموت فيه ؛ فلذلك لما تسلم ابنه جعفر الابن الكبير من امرأته العربية ازداد تفكيره بالعودة للقرية بعد أكثر من سبع وعشرين سنة من الزمن ، واقترب من الستين من العمر حسم أمر العودة لجمالة مسقط رأسه ، والزوجة لم تقبل مغادرة البلاد ، وفضلت البقاء حيث ولدت ، وعاشت كل هذه السنين ؛ وكذلك فضل الأبناء الأربعة منها البقاء ، ورفضوا العودة لديار العرب المجهولة بالنسبة ؛ وحيث الصراعات التي لا تنتهي وتنتشر أخبارها في كل العالم ، وكان آخرها سقوط بغداد في يد دول التحالف الغربي ، وإنهاء حكم البعث فيها .

كما خرج وحيدا عاد وحيدا وسعيدا ، وكان والده وإخوته أقاموا وشيدوا له قصرا صغيرا من سنوات مضت ؛ لأنه كان يتحدث عن العودة منذ وقت قديم ، فلما كبر جعفر وتسلم الشركات والأشغال حسم أمره ، وغادر الديار للوطن .

فرح بعودته لجمالة محبوه ، والده الشيخ يوسف وإخوته وأخواته ، ورحبوا باستقراره بينهم ، حتى أن بعض صحف البلاد ذكرت عودته ، ورغبته

بالاستقرار بين ذويه باقي عمره ، وهو رجل أعمال ثري قادم من وراء البحار ، فقد قام بالمشاركة مع إخوته بإنشاء وإقامة بعض المشاريع المهمة في المدينة سلام قبل العودة . ولما استقر في البلاد قام بتطليق زوجته رسميا ، وأشهر طلاقه من مارينا حسب القانون ، ونشرت بعض الصحف هذا الخبر ، وتلقت المرأة وإخوتها ووالدها وعمها الكبير شاكر الأمر بالصمت ، فهي كانت تعتبر بحكم المطلقة منذ هرب كما يقولون ، ولم يجد جديد على الواقع المعاش بين جميع الأطراف .

وكانت الفكرة أن يتزوج من جديد مرة ثالثة ؛ ليستقر نهائيا في القرية وربوع الوطن ، وقام بالبدء بالتخطيط لبضعة مشاريع في القرية لإشغال وقته فيها ، إقامة مدرسة في القرية مدرسة خاصة ؛ كما فعل في الأرجنتين حيث أنشأ معهدا لتدريس اللغة العربية ، وخطط لأنشاء مركز طبي في الزمن القريب ؛ ليخدم القرية والناس والبلدات المجاورة .. هذا ما بدأ يرسم له

سعى أخواله عن طريق وسيط بعد أن هدأت زوبعة الطلاق الرسمي أن يعيد مارينا إلى ذمته من أجل خاطر أولاده ، ويبقى الحال كما كان أثناء الهجرة كل في بلده .. هذا ما نقله الشفيع له

فقال للوسيط متعجبا من شفاعته ورغبتهم : لنا عمر ؛ كأننا مطلقون .. أنا سأتزوج ثالثة .. وهم لا يرضون بأن تكون ابنتهم ضرة .. امرأتي هناك لم اطلقها.. ما زالت على ذمتي ؛ ولكنها أبت أن ترجع معي ، وكذلك أولادي منها .. ولا داعي للمشاكل .. ولي أشهر هنا ، ولم يطل عليّ ولد منهم يسلم عليّ باستثناء قرة عيني نداء كما تخبر.. فأي خاطر يهمهم.. ولا أرغب بأي علاقة مع أولاد أخوالي وأخوالي وخالاتي .. وسمعة مارينا في الحضيض .. وتزكم الأنوف ، حتى وأنا في تلك البلاد وصلتني أخبار طيشها وفسادها ، وأنها أفسدت ذريتي بزعم الانتقام مني إلا نداء الابنة الصالحة .. فأي خاطر يحتاجونه .. فالطلاق حصل هناك ؛ وإنما أعلنته هنا وشهرته ..ولا أعتقد أنها ترغب فيّ ؛ إنما هذه أفكار شاكر وباكر .

فبعد هذه الوساطة بأسابيع معدودة تعرض الرجل لمحاولة قتل في القرية من قبل مجهولين بعد خروجه من المسجد المجاور لبيته وقصره الصغير ، أغلق الموظف بوابة بيت الله ، وقف أمام المسجد بعد انتهاء صلاة الفجر ، وقف مع شابين كان قد رتب لعملهما معه في وقت سابق ، كانوا يتحدثون عن المركز الطبي الخاص ، وما تم إنجازه من بناء المدرسة والمركز ، وبينما هما يتكلمان أطلقت عليهم النار فأصابت أحد الشابين ، فصرخ ووقع أرضا ، وكانت سيارة تنطلق مسرعة لم يتمكنا من حفظ رقمها .

وعجزت الشرطة والأمن من معرفة الجانيين مطلق النار والسائق ، ومات الشاب قبل الوصول للمشفى ؛ لتأخر وصول سيارة الإسعاف لمكان الحادث ، وتحول المكان لمسرح جريمة .

وقال نزيه لمن اجتمع حوله : أعتقد أنني المقصود بالجريمة وليس المهندس . وهكذا ترجح لدى الشرطة ، فلم تستطع الشرطة اتهام أهل الحي أو البلدة ، وزعمت في النهاية أن الفاعل من خارج الحي ؛ وربما القرية كلها ، وأثار نزيه الريب والاشتباه حول أخواله وزوجته المطلقة. وترك الحادث الرهيب صدمة كبيرة في البلدة الريفية ، فجرائم القتل من الأمور النادرة فيها ، والكل اعتقد أن المقصود نزيه . وفقدت البلدة شابا مهندسا كان مشرفا على البناء الخاص لنزيه وترجح لدى نزيه وأبيه وأهله أن أعداء نزيه زوجته وأهلها هم وراء الحادث البشع ؛ لكن لماذا القتل اليوم ؟! فهو مفارقهم من عهد بعيد ، ومدينة سلام تأثرت بهذا الحادث الكبير وكتبت الصحف عن تعرض العائد من الغربة إلى محاولة اغتيال، ولم يعرف الدافع ولم يعلم الجناة لحتى اليوم .

فقلل نزيه نتيجة لهذا الإجرام السافر من الخروج للمسجد على الفجر والعشاء خشية تكرار الجريمة واستغلال العتمة وضعف الإنارة العامة ، كان نزيه يقول لنفسه ويجزم علنا أن الفاعل من طرف زوجته ومن والدها وعمها ، فهم أصحاب النفوذ والقوة ، فكلاهما اعتلى منصبا في الإدارة للدولة ؛ ولكن الاتهام بدون دليل لا يساوي فلسا عند القضاء والعدالة ، فسلم المتابعة للمدرسة والعيادة لوالده الشيخ وإخوته من زوجة أبيه أم نزار ، ورتب مع والده فقط للاختفاء من جديد متوقعا أن يعاود المجرمون الكرة بعد هدوء ونوم أعين الحكومة ، وسيعود حتما بعد انكشاف الغمة .. هذا ما رآه حلا عاجلا ومؤقتا في الزمن الحاضر .

وكان قد رتب مع ابنه جعفر في بيونس آيرس أن يتحدث مع محقق أرجنتيني سوري الجذر حول قضيته استعان به في قضايا في الأرجنتين ، وأعطاه الرجل عنوان صديق له في دمشق عمل معه في الأرجنتين قبل أن يعود للشام ويستقر مثله بعد غربة عمل فيها مع شرطة ولاية العاصمة وافق الوالد على اختفائه سرا حتى تظهر أشياء جديدة في الأفق ؛ على نظرية أن المجرم لا يقبل الفشل ، وقد وجد الفاعل كما يظنان من يغطي عليه في الجريمة التي حصلت وذهب ضحيتها شاب صغير يعمل مهندسا مدنيا ، وأخبره أنه سيكتب له من منفاه الجديد ومخبأه ، وطلب من أبيه أن يبدو الأمر كأن أحدهم اختطفه ؛ ليثير الرعب والاستفزاز في أخواله ومطلقته ، فعلى الأب أن يجعل ذلك

اختطافا كما سنرى ، فهما متأكدان أن القاتل سيكرر ما بدأه ، فهم يحقدون عليه حقدا شديدا ، حتى أنهم دمروا حياة فلذات كبده الثلاثة كما عرفنا ، واجبروه قبل ربع قرن على ترك الوظيفة بعد خدمة امتدت عشر سنوات ، والحياة تحت رحمة الاغتيال مقيتة وصعبة ، لم يتقبلوا الطلاق الرسمي واعتبروه إهانة لذواتهم وهيئاتهم فهي التي هاجر وهرب من الحياة معها .

اختفى من جديد على حين غفلة من أهل القرية والبلدة ، اختفى نزيه يوسف مع إشاعة وإذاعة أنه اختطف ليلا من بيته تحت تهديد السلاح ، وانتشر بعد ذلك أن الخاطفين قتلوه ، ولسوف تظهر الجثة ، ولو بعد حين ، ونجح يوسف ببث هذه الإشاعات دون أن تبدو أنها صادرة عنه ومن فمه . ارتبك الناس في البلدة ووجد الخبر صداه في مدينة سلام ، فهناك من صدق ، وكان ينتظر ظهور الجثة للصلاة عليها ودفنها ، وهناك من يشكك بحدوث شيء كهذا ، فالناس لا تعيش في الأميركتين حيث تكثر مثل هذه القصص والجرائم ، فالذي صدق حادث القتل دفعه للتصديق بقصة الخطف ، لم يطلب الخاطفون كالعادة فدية ، ولم تظهر جثة نزيه ، شك بوجود ذلك الخطف الكثير انتهى خطيب مسجد جمالة من خطبة الجمعة ، وقد كانت عن الإيذاء للمسلمين والتعرض لهم بالقتل غيلة أو الخطف لنزاعات دنيوية شخصية أو مالية ، ولما صلى الخطيب بالناس ركعتين صلاة الجمعة ، وسلم عن يمينه ثم يساره استدار بوجهه للناس فرأى الشيخ يوسف يصلي خلفه فأشار له بالانتظار . أخذ بعض المصلين بصلاة السنة البعدية للجمعة ، وفريق بذكر أذكار ما بعد الصلاة ، وفريق ثالث خرجوا من المسجد للصلاة في بيوتهم .

وحين قل المصلون نهض الشيخ وسلم وصافح الشيخ يوسف أبا إبراهيم الذي قام بدوره ، وكان معه ابنه نزار ، وبعد التحية والسلام قال الشيخ : ألا من أخبار عن أبي ناصر ؟

ابتسم يوسف : أنت ما أخبارك أولا ؟

ـ بخير .. كيف حالك يا أبا يزن ؟

ـ تمام بحمد الله .. سمعت من أبي أنك ستترك القرية وتعود للمدينة ؛ لعلك خفت !

ضحك الأمام عبد الله محمود : لي زمن في هذه الوظيفة .. وهناك موجة إحالات على إنهاء الخدمة .. هذا هو نظام الخدمة في الدولة والمساجد .. فكما يعلم الوالد الحبيب أنا لم أشهد الجريمة .. لما تنته الصلاة أذكر أذكار الصلاة البعدية ، وأغادر برفقة أبيك أو غيره حتى تفرق بيننا الطريق .. هل من أخبار عن نزيه ؟

قال نزار : لا أخبار .. ما زال مختفيا .. لا ندري هل حقا اختطف كما يتحدث الناس أم عاد للأرجنتين ؟.. لو خطف لم يطلب خاطفوه فدية ، ولم تظهر جثته لنقول كان مخطوفا صدقا وحقا.

الشيخ : الصبر يا أبا إبراهيم! هل توصلت الشرطة لجديد بشأن القاتل ؟

قال يوسف: يا أخي لا جديد .. لقد نجا الفاعل بفعلته .. وأشكر اهتمامك بنا .. سيعرف قاتل المهندس يوما ما.. الأمر لله من قبل ومن بعد يا شيخ عبد الله.. هل صدر كتاب التقاعد الخاص بك؟

ـ بعض الزملاء يخبرونني بذلك ، وبعضهم يخبر بعدم صدوره بعد .

الشيخ عندما جرى اطلاق الرصاص لم يكن في المسجد ؛ إنما الذي كان موجودا خادم المسجد وكان يغلق باب المسجد ، وقد غادر كل المصلين للجماعة ، وأخذ بإغلاق الأبواب بعد إطفاء الأنوار ، وأثناء غلق الباب الرئيس ، سمع صوت الرصاص ، ثم صرخ المصاب وترنح على الأرض أمام دهشة نزيه ومساعد المهندس ، وعاد الخادم وفتح المسجد ، واستخدم الهاتف متصلا بالإسعاف ثم الشرطة .

الإمام عبد الله له زمن يسير في المسجد من حوالي عشر سنوات ، نقل إلى القرية من سلام تأديبا ولأنه مزعج للأمن في خطبه ، فهو عضو سابق في حزب التحرير ، فهو يحب الحديث في السياسة والتعليق على أفعال النظام وسياساته؛ فلذلك تنقل في عدد من مساجد سلام ، ثم نفي لجمالة وتعرف على يوسف وبعض أفراد الأسرة ، تخرج من كلية الشريعة وعمل معلما بضع سنين ، وتحول لدائرة المساجد للعمل كخطيب جمعة وإمام .

تعرف على نزيه قديما عندما كان يأتي جمالة زائرا تعارفا ، وسر بعودته النهائية ، وكان يريد مساعدته بالزواج من احدى قريباته ، ولكن الحادث الغادر صرفهم عن الموضوع ، وكان مثل ناس القرية مستغربا لوقوع هذه الجريمة الغامضة ، فالمهندس القتيل متزوج وعنده طفلة من زوجته الطبيبة ؛ ليقال جريمة عرض وشرف ، وجرائم القتل عن العرض في الغالب فاعلها يسلم نفسه للشرطة .

تيسر له الحج أكثر من مرة مع بعثات الحج التابعة لدائرة المساجد، وكان يستطيع الفتوى اذا اضطر لها ، وكما قلنا هو مهتما بالقضايا السياسية مع بعده عن حزبه ونشاطه.

خرج الشيخ بصحبة الشيخ يوسف ونزار المهندس وتوقفا أمام بوابة المسجد الخارجية فقال وهو يشير بإصبعه : هنا جرت الجريمة .. اتصل بي بكر المؤذن وصوته يغمره الرعب شعرت به على التلفون .. وقلت أنا قادم وقد أخبرني بإخباره الشرطة

والإسعاف .. وصلت سريعا يا نزار وجدت جمهرة من الناس من ضمنهم الشيخ الوالد .. كان أحدهم يساعد الضحية بوقف النزيف والدم .. كانت أكثر من رصاصة ..كان صديقنا نزيه مصدوما وممتقع الوجه والدموع تسيل .. وقال : لما ربت على كتفه فداني الرجل ..كانوا يقصدونني .. فقلت بدهشة: من هم ؟ سكت . حضرت الإسعاف ومدير نقطة جمالة، وبعد حين حضر مندوبو مكتب مدعي عام سلام والتحقيق الجنائي .. ودخلت أنا ونزيه ساحة المسجد هذه ـ وأشار إليها ـ وجلسنا على تلك الدرجات ، ثم نقل نزيه والشاب غانم للعيادة لمعالجة الصدمة .. كان يوما عصيبا على نزيه والقرية ككل.

قال الشيخ يوسف : نعم ، أول مرة في حياتي أرى قتيلا بالرصاص .. شاهدنا الأموات .. حضرنا عددا منها.

قال نزار: أنا كنت في المدينة كما تعلم يا شيخ عبد الله !

ـ أعرف .. حضرت وإبراهيم وباقي الأخوة الكرام .. غمر الحزن البلدة كلها .. الكل كان يرى أنها ساعات ويعرف القاتل ؛ لكن مرت شهور.

ـ هذا يدل على أنها مخطط لها .. والوقت وعتمة ما بعد الفجر ، وخلو الشوارع من السيارات والمارة سهل إلى حد كبير بانفلات الجناة.

فقال نزار : هل فعلا استطاعوا اختطاف أخي ؟ فالأخ منذ عاد وهو يصلي خلفك يا شيخ عبد الله.. ويجلس معك ومع رافع ابن عمنا ، وذكر أن لك قريبا اسمه عماد درس معهم في الجامعة

ـ وهذا الاسم قوّى العلاقة السريعة بيننا .. ويوم الحادث تغيب رافع عن صلاة الفجر .. وعلمت من أخيه حامد أنه بات في سلام عند شقيقته.

قال يوسف وقد مشوا نحو منازلهم : كانت مريضة .. وأدخلت مستشفى نادي الرماية لعمل عملية .

فقال نزار : ألم يكشف لك نزيه شيئا عن خططه بعد الحادث؟

ـ كان راغبا بالزواج لما استقر بيننا ، وقد تحدثت مع ابن عم لي في شأنه .. وقبل الحسم جرى ما تحدثنا به من دقائق .. وتأجل الموضوع .. كان موت المهندس صدمة كبيرة بالنسبة لنا .. وكنا نفكر بسبيل حمايته من الغدر مرة أخرى .. ذكرنا لما ترجح لدينا أنه المقصود بأن المجرم سيعاود الكرة ما دام طليقا قبل أن يقبض عليه .. وكان حزينا جدا على زوجة المهندس الأرملة الشابة والطفلة .

قال نزار : ولماذا خطفوه هذه المرة اذا صحت إشاعة خطفه؟

قال الشيخ : لم يثبت الخطف ، كيف خطفوه ؟متى

خطف ؟ والشيخ يوسف لم يبلغ عن خطف؟

قال يوسف : عن ماذا ابلغ ؟ وأنت قلت لم يثبت الخطف .. ونزيه قد سافر للأرجنتين سرا قبل عقدين ونصف .. ويأتي دون إخبار ، ويسافر دون إعلام أحد .. العداء عميق بينه وبين أخواله وها هو تعرض لمحاولة اغتيال!

ـ هل تعتقد أن أخواله يفعلون ذلك؟

ـ أنا أظن فقط ؛ إنما هو شعور فقط ؛ لذلك لم نوجه لهم أي اتهام .. فنزيه كما تخبر ليس له أعداء إلا هم .. وأنا لا أعتقد أنه خطف فلماذا يخطف ؟!

ـ وأنا أظن ذلك .. فالقاتل لماذا يخطف؟! لا أدري كيف شاعت إشاعة الخطف والقتل وكيف بدأت ؟!

قال نزار بتردد : خطف وقتل وأخفيت الجثة ؛ كما نسمع ونرى في جرائم أمريكا والله أعلم .

كانوا قد وصلوا عمارة يوسف فقال : تفضل معنا يا شيخ عبد الله نفطر معية ونشرب الشاي .. ونسمع حكايتك مع المشيخة ، ونزاعك مع السلطة ، فكان نزيه يحدثني عن حزبكم العتيد.

الاختفاء

وصلت هذه الأخبار والشائعات لمارينا وأولادها حتى ناصر ، فقال لها : أرجو أن لا يكون لك يد في محاولة قتل أبينا .. فأنتما دون زواج منفصلان منذ أكثر من خمس وعشرين سنة .. فلا أعتقد أن طلاقه يسيء إليك ولجدي أو حتى عمك .. فأنت بحكم المطلقة منذ رحل غربا .. فأنا مطلق وسامي وميساء .. فكلنا فاشلون بالزواج .. ولم نقتل بسبب ذلك .. وسامي كان زوج بنت إسكندر ابن عمك شاكر .. واذا تأكد ذلك .. وصدق ما يهمس به الناس سنضطر لقتلكم أنت وإخوتك دون رحمة وشفقة .. هو في النهاية والدنا ..ولا يعني أني أمشي على عكاكيز لا أستطيع استعمال السلاح.. أنا يراودني شك كبير بأن لكم يد في محاولة القتل التي أدت لقتل ذلك الشاب .

قالت باحتقار : دعك من التهويش .. فأنا لماذا أقتل أباك ؟! وكما قلت فلنا زمن مبتعدون عن بعض ..كنا بحكم المطلقين .

قال بحدة : يا مارينا ! أنا أعرف حقدك وحقد أبيك وحقد عمك على أبي الهارب منكم ..ولما جاء للحياة في وطنه اختفى .. ويشاع أنه خطف وقتل.

قالت بتهكم وهزء : أين الشرطة ؟ لم نسمع أن الشرطة تدخلت للبحث عنه وعن خاطفيه وقاتليه .. إنما هو عاد للأرجنتين ؛ لأنه جبان.. والهرب أسلم له .

تنهد بعمق وتأوه وقال : ليتني أصدق براءتكم ؛ فأنا أعرف خبثكم ولؤمكم .. إنكم تحقدون على أبي وجدي وكل أسرة يوسف .. كم من الألفاظ الحاقدة وقعت في قلبي منكم.. أنت وأبوك

وعمك الحقود الأسود من زمن بعيد .. عمك سمعته يقول فلت اللعين مني .. كنت سأحرقه لكنه فلت وقال أبوك متبجحا أجبرته على الاستقالة ، واعتقدت أنه سيأتيني ذليلا لأعيده لمركزه.. استقال وهرب المنحوس .. وأنت أهملتي رعايتنا والعناية بنا .. وعلمتينا على كل قبيح لحقدك وبغضك عليه .. نحن دفعنا ثمن حقدك القذر وقذارتك ومجونك .. أنت والدة سيئة وهو أب جبان !

حركت رأسها مستنكرة : ولماذا نقتله يا ناصر ؟ فما بيننا انتهى قديما.

ضحك وقال : ما دمنا أحياء لن ينتهي ما بيننا ..فهو أبونا .. والرجل لم يقصر في الإنفاق علينا وتدريس سامي وميساء ونداء.

قالت : يا ولدي العاق صدق أنه لا علاقة لي به ..فقد شطبته من حياتي .

دخل سامي المحامي وقال : أسمع صوتكم مرتفعا ..هل من شجار جديد ؟ ألا تنتهي المعارك بينكم ؟! أعتقد أن كل سكان العمارة يسمعون صراخكم .

قال ناصر : ربما هذه أول لم نتشاجر .. لكننا تعودنا على الصوت المرتفع والصياح.

قالت : تعال اجلس أيها المحامي النشيط !.. أخوك العتيد أبو العكاكيز يتهمني بخطف أبيك وقتله قبل أسابيع كما يشاع.. أتصدق هذا الاتهام ؟ وكما ذكرت بعض الصحف اللعينة

فقال بعدما جلس وأخذ يشعل غليونه الإنكليزي: والله معه حق يا أم ناصر !

صاح ناصر محتجا : ليست أمي نادها بيا سيدة مارينا .. تسميني أبا العكاكيز التي سمحت لي بالسكر منذ الصغر بعد هرب الأب اللعين الذي تركني لأم مجرمة

قالت بالكلام لسامي : اسمع .. لا يعلم كم أنفقت عليه للعلاج من الحادث ؟

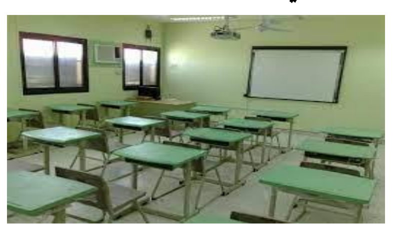
قهقهه ناصر عاليا : هذا زعم يا سيدة مارينا ..لقد علمت أن أبي الهارب منك هو الذي دفع الكثير..

قال سامي : لا أعداء لأبينا يا سيدة مارينا إلا أنت وأبوك وعمك وبعض أولادهم .. فطول عمر الرجل في الخارج في الأرجنتين .. فهل في هذه الشهور تكوّن له أعداء ؟ لم يكمل السنة هنا وأنا أشك لا أتهم .. المنطق يقول ذلك.. هل لأبي أعداء في القرية ولأعمامنا أعداء يتربصون به لم نسمع بهؤلاء الأعداء .. فعمي إبراهيم قاضي كبير اليوم في المحاكم .. كبرت الناس.. السؤال المثير فعلا لماذا اختفى أبونا من جديد؟ لم ينتشر خبر سفره وهجرته.. انتشر خبر خطفه وقتله ، وما لم تظهر جثته سيبقى كمفقود .. والمدهش حقا لماذا اختفى ؟ ! لي اتصالات مع أولاد أعمامنا وأكدت لي نداء

ابنة أبي أن والدها لم يعد في القرية .. فهي تتردد على القرية دائما وزوجها
الدكتور الصيدلي صديق صديق لجدي يوسف والد زوجك الشرعي
قال ناصر ساخرا : وهل لها زوج غير شرعي ؟ لم نحضر العرس يا سمسم .
تابع سامي السخرية : كان لها عرسان كثر يا ناصر علمتنا الوقاحة للأسف ؛ ولكنهم اليوم هجروها وملّوا منها ومن دعواتها .. أصبحوا ذكريات ورفقاء كأس فقط ، كما قال أحدهم العمر عبر.. والنساء تكبر بسرعة.
وتابع ناصر سخريته وقال : جميل يا سامي قولك زوجها الشرعي !.. اليوم لا أحد يتطلع في وجهها رغم تبرجها وصالوناتها وثيابها أمامهم عارية .. أمك أصبحت عجوزا يا حضرة المحامي .
ـ الحقيقة أمك عجوز منذ تخلص منها أبونا .
قال : لا ، لا ، ما زالت شابة .. أمورة وحلوة وتسهر وتلعب الورق والقمار.. بس دائما خسرانة آه لو تسمع ألفاظها الفاحشة مع شلة الأنس .. فتظن نفسك في كرخانة وسوق الخنزير في قلب المدينة حيث يجتمع الحشاشون وحثالة المجتمع حتى أنني مرات اضطر أن أخرج من غرفتي وأقف أمامهن ليخففن من قبحهن ويخجلن .. ومرات يتمادين بالقبح والزفت .. على كل دعنا من أخلاق هذه العجوز الشمطاء .
صاحت وماجت وقبحت ولعنت وقامت تقول : أنا عجوز شمطاء !! أنا أمكم يا ملاعين ! يا لكم من ذرية عفنة مجرمة !
غمرتهم القهقهة وقالوا: تربيتك يا طاهرة !.. أنت جنيت علينا .
عادت للجلوس وهي تشعل سيجارة من جديد وتقول موبخة : لا تلوموني يا همل .. لوموا أنفسكم .. أنتم جنيتم على أنفسكم .. ها هي نداء امرأة صالحة .. لو كنتم ترون أني أجرمت في حقكم كنتم أخذتم طريق نداء صغراكم .. كنتم قد جعلتموها هدفا ونصبا لسخريتكم .. كفوا عن تحميلي فشلكم في حياتكم وزواجكم .
قال سامي : أبناء من نحن ؟.. هل أنت فعلا بريئة مما يشاع يا سيدة مارينا أم ناصر
قالت بتأفف وضجر : ولمَ اقتله واشنق من أجل رجل تافه.. لن أرث عنه درهما واحدا .. أنتم ورثته .. فأنتم ربما تسعون للخلاص منه لترثوه.
قال سامي : لسنا وحدنا .. لنا أخوة أربعة في الأرجنتين .. فماذا سينالنا ؟ .. وأكثر مشاريعه شراكة مع ابن عمه الذي مات هناك كما خبرنا أو مع أهل زوجته الشوام .
قال ناصر : سمعت أنه انفصل عنه قبل موته .. فكل يعمل وحده مع ذريته .. هكذا علمت من

أختنا الصغيرة أم محمد .. فهل لديه ثروة كثيرة يا سامي لنهتم بميراثه؟

قال المحامي: لم تثبت وفاته يا ناصر .. لم تظهر الجثة لنطالب بحصتنا .. فالأمر يا أخي البكر غامض.. هو يعتبر الآن مختفيا مفقودا .. لم تقم الشرطة بأي تحريات .. ولم تخطر ببلاغ .. فدعك من أحلام الثروة .. فها هي ـ هذه ـ كنزك .



الابن الأرجنتيني

مضت ستون يوما على انتشار خبر خطف المهاجر نزيه يوسف ، حضر البلاد ابنه جعفر المعروف لأقربائه في جمالة ـ قد جاء به نزيه قديما وهو شاب صغير ـ والتقى بجده يوسف وبعض أعمامه وأقربائه في جمالة ، وشاع أن الرجل قدم من وراء المحيط الأطلسي يسأل عن أبيه المفقود ، ويتحر عنه عن اختفاء أبيه .

ونشرت بعض الصحف الخبر ، وذكرت القراء برجل الأعمال والمال نزيه يوسف ، وكرر خبر اختفائه قبل ستين يوما ، وأن الاختفاء حدث بعد أسابيع من محاولة اغتياله الفاشلة والتي أدت إلى قتل شاب ، وأن الشرطة لم تعرف لحد اليوم القاتل للشاب أمام أحد مساجد البلدة .

وتعرف جعفر في الزيارة التي لم تكن الأولى على أخته من أبيه نداء ، وعلى زوجها صديق وتذكرهما ، وسعد بالتعرف عليها وبقرينها واللقاء بهما ، ووعده بفتح مصنع دواء على مستوى البلد ، وتابع جعفر مبنى المدرسة والمكان الطبي، واتفق مع صديق على إقامة صيدلية مشاركة بينهم بجوار المركز الطبي .

وأدرك الشيخ ومن حوله أن الشاب حضر باتفاق مع والده المختفي من أجل المدرسة والمركز ولتحريك قضية اختفاء أبيه ، وظهر أمام سكان البلدة بثوب الباحث عن والده المفقود . امضى جعفر شهرا في ربوع وطن أبيه ، ثم ودع الأقارب وغادر إلى الأرجنتين. فكانت زوجة يوسف أم نزار تقول لزوجها بعد سفر جعفر : أنا في حيرة !.. هل حقا جاءنا يسأل عن أبيه يا حاج يوسف أم لمتابعة مشاريع أبيه ؟ أنا فعلا في حيرة يا حاج يوسف من اختفاء ابنك ، ولم تحرك ساكنا ، لم تشكو للشرطة حتى نزار ابني البكر قال : أرى يا أمي أن أبي لا يهتم بأمر اختفاء نزيه أم أن أبي اعتاد على فراقه .. ومجيء جعفر وتحدثه عن ذلك الغياب ، ولم يخطرا الأمن والبوليس ولم نعرف لليوم أعداء أخي ..ولم نر تحقيقا .. وسين جيم

ابتسم يوسف لقرينته التي تصغره بما يزيد عن عشر سنوات وقال : يا أم نزار نحن استيقظنا من

النوم ، ثم علمنا أن نزيها لا يوجد في البلدة ، لم نر جثة ، ولم نخبر بسفر أو وداع فماذا سنقول للشرطة ؟ هل هو صغير فاقد للأهلية ؟ لم يهدده أحد بالخطف.. هو رجل عاقل مدرك .. صحيح هو تعرض لمحاولة قتل، ولم تستطع الشرطة الوصول للجاني .. وما زال دم خالد معلقا وأهله يقولون لماذا يقتل خالد ؟.. وكلنا يقول لماذا يقتل المهندس خالد ؟.. لا نشاط سياسي له ولا علاقة له مع عصابات ومهربات

قالت : هذا المحير! أجمع أهل البلدة أن المقصود ابنك نزيه .. ولماذا ؟! وهو حضر من السفر من شهور قليلة .. وليس له أعداء سوى أخواله ومطلقته .. وتبين أن لا علاقة لهم بالمحاولة والجريمة .

قال بشك بين : لكن هذا لم يثبت ؛ لأنه لم يقبض على القاتل .. هذا ما يجعلنا في حيرة .. ولو قتل نزية لظهرت جثته .. وإذا كان خطف لم يطلب أحد فدية.. هل غادر خشية أن يقتل ويؤذى وهل له أعداء في الأرجنتين طاردوه إلى هنا ؟ .. ومجيء جعفر إلى هنا يدل على أنه لم يذهب إلى هناك إلى تلك البلاد .. لم يتخلص من مشاريع أبيه ؛ بل تابعها ، وكلف صديقا وحسنا شقيقه بالاهتمام بها

قالت بحيرة : رغم ما تقوله يا حاج يوسف أحس وأشعر أنك تعرف أين ذهب ولدك ؟ .. من البداية أدرك الجميع ذلك !

قال باسما : قد يكون شعورك صحيحا وصائبا

قالت : ألم يتصل ؟

ـ ولماذا يتصل ؟! الرجل كاد أن يقتل برصاص الغدر ، ورأى عجز الشرطة عن معرفة العصابة والجناة .. واختفى حتى يكتشف الجناة أو تمسك بهم الدولة .

****

بعد سفر جعفر بأيام حضر ضباط التحقيق الجنائي من مدينة سلام الدين بصحبة مدير نقطة الأمن في القرية وما حولها إلى منزل السيد يوسف الجمالي .

رحب الحاج بهم ، وهو على معرفة بزعيم نقطة الشرطة المحلية الذي عرفهم على بعض ،

وشرح للحاج الهدف من الزيارة من قبل رجال التحقيق ، وسألوه عن قصة اختفاء ابنه نزيه الذي أثار لغطا وإشاعات تنشرها الصحف والمجلات ومحاولة الاغتيال .

فرد يوسف :لا أعلم شيئا! لقد حققت الشرطة في جريمة قتل المهندس خالد أمام المسجد بعد انتهاء صلاة الفجر وانصراف المصلين ؛ كما يعرف حبيبنا الملازم أبو حسن .. فكان ابني نزيه والمهندس خالد ـ رحمه الله ـ وشاب ثالث عصام بناءة يتحدثون عن بناء مدرسة ومركز صحي جديد في البلدة ؛ وفجأة اطلقت عليهم النار من سيارة

سوداء وهربوا، وترجح للأمن أن المقصود ابني ، والواقع يؤكد ذلك ، ودفع ولدي ألف دولار مواساة لأسرة القتيل .. ريثما تعرف الشرطة الجناة .. وبعد ذلك بحين يسير استيقظنا على اختفاء ابني من البلدة ، فخرجت تلك الإشاعات التي يتحدث الناس على أثر الاختفاء .. لعله سافر خفية كما فعل سابقا .. فلم نر جثة ولم نتلق طلب فدية ؛ كما يكون العادة من الخطف .. فكيف سنبلغ الشرطة عن رجل بالغ عاقل ؟! فربما والراجح أنه هرب حتى لا يتمكن منه خصومه الذين لا نعرفهم .. والشرطة كما يعلم الضابط لم تعرف السيارة ، ولا المعتدين .. فهل نستطيع فعل شيء غير واضح قبل ظهور جسم ابني اذا كان ميتا وحدثهم ببعض حكايته مع أخواله وزوجته المطلقة ، وهجرته للأرجنتين ؛ ولعله كما قلت لأبي حسن اختفى بإرادته؛ للحفاظ على حياته.

قال المحقق : نحن تحدثنا قبل المجي للقرية جمالة واللقاء بك سيد يوسف مع ابنك القاضي إبراهيم يوسف في المدينة سلام .. التابعون أنتم لها إداريا .. قال لنا كما قلت إن شفيقه هرب قديما من أهل زوجته أخواله للأرجنتين للراحة من النزاع والقيل والقال .. وقضى ثلاثين سنة هناك .. في البداية وأول الأمر لم يعرف أحد قصة السفر خفية ؛ فلعله فعل كالسابق ؛ لكن لما حضر ابنه من هناك يسأل عنه ارتفع الشك لدينا في خطفه وموته وإخفاء جثته في قبر مجهول .. وقال لنا القاضي : إن الأمر محير ، فأولاده يسألون عنه ، ولم يتصل بهم كما أخبر حفيدك عمه .. أنت ما رايك؟

قال الشيخ : رأيي يا سيدي أن الأمر غامض .. منذ اختفى لم يتصل بي ، ولا بابنته الطاهرة نداء في مدينة سلام .. وهو يحبها كثيرا ، فهي الوحيدة من أبنائه هنا على علاقات طيبة معه ومعنا ، وهي الصالحة من ذريته هنا ؛ وإنما سعى جعفر ابنه الأرجنتيني لمعرفة مصير والده لما وصلت الإشاعات إلى بيونس آيرس .. فذكرنا له ما سمعتم .. ولم نجد شيئا يستدعي دعوة الشرطة .. ماذا نقول ؟ فالشرطة كما قال بكري إبراهيم أخبرته أن اسمه لم يخرج من الحدود البرية والبحرية والجوية .. ومن أجل ذلك لم نقدم شكوى للشرطة.. فلعله مختفي داخل البلاد يا أبا حسن والأخوة الكرام .. وذلك خوفا من اغتياله والمحاولة من جديد اذا ثبت أنه المقصود من الاغتيال الفاشل كما رجح الناس ونحن .. وأخطر أعدائه أخواله وهم أصحاب شركات ونفوذ في المدينة وأيضا مطلقته .. والشرطة قالت لا دخل لهم في الجريمة .. فهي جريمة ما زالت مفتوحة على ما أظن .

قال : الشرطة لا تستطيع التدخل بشكل رسمي إلا

باتهام معين أو معينين وبلاغ رسمي لدى المدعي العام أو الشرطة .

قال يوسف : نحن في الحقيقة تعودنا على غيابه .. فهو قضى نصف عمره اذا كان هناك نصف وربع للعمر في الأرجنتين وحضر من زمن قريب .. هو هاجر وتزوج وانجب في الغربة ؛ إنما أحب أن يكمل سنين عمره هنا بيننا .

فقال القائد : نعتقد من حديثك أنه اختفى بإرادته ، وما زلنا نبحث ونتحرى عن الجاني في قتل المهندس ابن هذه البلدة .. لم يستطع أحد أخذ رقم السيارة لسرعة اختفائها أو أخفي الرقم بطريقة ما .. وانشغال ابنك والشاب الآخر بالمصاب المفاجأة كان لها تأثير عليهم .. حتى اللون لم يتضح بشكل دقيق .. فعتمة الشارع وانطفاء أنوار المسجد ساعدت على إخفاء مواصفات السيارة .. ولم يكن أمام المسجد سواهم الثلاثة عندما اطلق الرصاص

عقب يوسف : كان معد للجريمة بصورة جيدة .

قال القائد : صحيح ! أنا بنفسي راجعت ملف القضية قبل أن أقابل ابنك إبراهيم ووجهة نظرنا قريبة من بعض .. علمنا أن ابنك قلل من الخروج بناء على نصح الأمن والضابط علي أبو حسن ؛ بل علمنا أنه كان يكثر من النوم في هذا المنزل بعد الحادث ؛ لأنه يعيش وحيدا منذ رجع من غربته يعني قل مبيته في بيته الخاص .. فنرى أنه أمام هذا الواقع فكر وهرب وخرج من القرية وكل البلد .. ما رأيك ؟

هز يوسف رأسه ورد : الواقع يقول ذلك ، ولم يخرج بشكل رسمي من البلاد خشية أن يعرف خصومه جهة هربه ..لديهم إمكانات لمعرفة جهة خروجه .. أو ما زال في البلد مجهول مكان الإقامة طالما القاتل مجهول .

ـ لم تثبت أي علاقة لهم بالحادث .. صدق أن مدير البوليس تحدث معهم بكل صراحة .

ـ ربما له خصوم غيرهم .. له شهران ونصف في البلد .. مهما فكرنا في الأعداء والخصوم والشر هل هناك غيرهم ؟

الضابط : أليس هم أخواله وأصهارك ؟ .. فهو تزوج ابنة خاله باكر .. حتى أولاده لم يلتقوا به عند عودته إلا ابنته الصغيرة.

قال: نعم ، كأنه ليس أباهم .. الشك موجود سيدي القائد ؛ لأنه لما حط قدمه هنا أول أمر فعله أشهر طلاقه من أمهم ؛ ربما أوقع لديهم ردة فعل .. وأرسل لها عقد الطلاق مع المحامي .. فهي كانت بحكم المطلقة منذ وطئت قدماه تلك الديار

قال : على كل ما زلنا يا أبا إبراهيم نتابع التحقيق والبحث عن قتلة الشاب، ولم تغلق القضية ، واذا جد جديد سيكون لنا حديث .. وفعلا نفى أصهارك بحزم أي علاقة لهم في الاغتيال .. ولا

مصلحة واضحة في المحاولة .. وقالوا ماذا نجني من قتله ؟ فهم لا يرثونه وأختهم زوجتك ماتت قديما .. وزوجته كانت في عداد المطلقات وموقف أولاده في السليم .. واستئجار قاتل يضع الجميع تحت الابتزاز فرقبته تحت حبل المشنقة لموت المهندس

قال: أكيد.؟ أنا أشكر اهتمامكم للقضاء على الشائعات.

إخوة المهاجر

أثارت رحلة جعفر لبلد أبيه إزعاجا وقلقا في أنحاء البلدة ، وتبعها مجيء الشرطة لبيت يوسف فزاد من الإشاعات والخوف والدهشة والحيرة بين سكان البلدة ، وما حولها من البلدات الزراعية ، وكذلك بين إخوة نزيه والعائلة الكبيرة ، في الأول غلب على ظنهم أنه عاد للأرجنتين سرا لدواعي أمنية بطريقة سرية وخفية ، وشاع وراج بين الناس أن الشرطة ربما وجدت جثة نزيه ، وجعفر أفصح لأقاربه بأنه لم يلتق أباه منذ ترك الغربة ، ولاحظ الأخوة أن والدهم لم يكترث كثيرا لغياب نزيه ، ولم يقلق فغلب على قلوبهم أنه علم بغيبته ومكان سفره ولكن مجيء جعفر وتر الأمر بينهم وأربك خواطرهم ، فتسألوا هل الاختفاء مدبر أم أن هناك جريمة قتل فعلا ؟! وجاءت الشرطة للبلدة فارتفع التوتر القلق بينهم ، وأجريت تحريات وسؤلات فزاد الغموض ، لا أحد لديه معلومات عن الاختفاء ، فهو بعد الحادث قلل الاختلاط مع ناس القرية إلا في منزله أو منزل أبيه من باب الحذر ، وقلل من الخروج للأماكن العامة ، كالمساجد والمقاهي والنوادي الثقافية والعلمية والشعرية ، وأوقف مشاريعه الجديدة حتى جاء جعفر ، وبدأ العمل فيها ، ودخل زوج نداء صديق في المشاريع والبناء والصيدلية ، والأب يوسف لم يتكلم لأحد بشيء خاص منذ اختفاء نزيه الغامض .

فقال أحدهم متمنيا : لو الشرطة ألقت القبض على قاتل المهندس المسكين لما وصلنا إلى هذا الوضع المحير والمربك !

قال إبراهيم : لو .. لو .. الشرطة عجزت فليس لديهم خيوط وإشارات عندما يصلون إلى جديد سيتحركون .. فاضطر أبو ناصر للاختفاء دون علمنا ، وليس له أصحاب ثقات ؛ ليكشف لهم أمره ووجهته .. هكذا فهمت الأمر ابتداء .. ولا أدري كيف شاع ، وبدأ أمر الخطف والقتل ؟ كيف بدأت الإشاعة ؟ ومن نشرها ؟! كيف قالوا قتل ولا وجود لجثة ؟ ولو وجدوا جثة في مكان ما لطلبوا منا أو من أبنائه مشاهدتها والتحقق منها .

قال نزار : ولكنك يا إبراهيم يومها لم تبد قلقا وخوفا وانزعاجا .. وأبي لم يهتم للأمر .. فترك ذلك لدينا انطباعا أنكما تعرفان شيئا وتكتمانه ..

واحترمنا سكوتكم أنا وبقية الأخوة والأخوات فقلنا بينكم سر خاص فلزمنا الصمت .

رد إبراهيم : قال نزيه تلك الأيام ما دام لم يثبت لدى الشرطة شيء لابد من حل .. لم يكن أمام نزيه البقاء ، فهذا ما خطر لي تلك الأيام العصيبة.. فالذي سعى لقتله أول مرة سيعيد الكرة .. فأصبحت حياته مقيدة كما تعلمون .. كان راغبا بالاستقرار والزواج حتى الموت وانتهاء الأجل لكنه لم يرد أن يموت مغتالا وغيلة .. وتألم وحزن كثيرا على اغتيال ذاك الشاب الطيب الذي أصابته رصاصات الغدر بدلا منه .. والشاب لم يكن غريبا عن البلدة ، فهو ابنها ولم نعرف له أعداء ؛ ليقال أنه المقصود .

قال نزار متمما : أجمع الناس والشرطة أن الهدف هو نزيه شقيقكم .. وأخوالكم هم أعداؤه وخصومه .. والشرطة تزعم وتؤكد أنهم أبرياء ولا مصلحة لهم في إيذائه وأبرياء من دم القتيل كيف تأكدوا لم يحدثوننا بذلك؟ .. والقاضي إبراهيم حاول معرفة أسباب ثقة الشرطة ، فأكدوا له أن مواقعهم الإدارية التي كانت لهم في الدولة تصعب مهمة إقدامهم على الجريمة .. خاصة أننا أقارب كما قالوا ، ولا فائدة تعود عليهم من قتله .. ولا دلائل على الجريمة سوى عداوتهم القديمة وإجباره على ترك الوظيفة .. أما نحن فلليوم لا نرى أنهم أبرياء .. وأن حقدهم دائم .. ومن أهم الأدلة على الحقد ـ ولو كان قديما ـ أنهم افسدوا ذريته عليه حتى مجرد سلام على أبيهم لم يفعلوا .. أليس كذلك أيها القوم؟!

قال زكريا : الظواهر تدل على ذلك ..لا يعقل أن ناصرا أو ساميا يستعجل قتل أبيه .. فناصر ضعيف الحركة وسامي محامي .. وله سمعة جيدة في المدينة .. ومطلقته مارينا ماذا تستفيد من مقتله ؟ فأمهم تملك الكثير من الأموال والأرصدة كما هو معلوم .. ودرس الشباب على نفقة أبيهم لم يقصر معهم ماديا .. وشارك في علاج ابنه عندما تعرض لحادث وهو سكران منذ سنوات .. والقاتل في الشريعة لا يرث مورثه كما هو معلوم في شريعتنا .. الصحيح أن لا علاقة بين القتل وأولاده ؛ لكننا خاصة من يعيش في المدينة يسمع أخبار أبناء أخوالنا وأخوالنا من قبل فهم نجوم وأصحاب مراكز علمية وتجارية .. فأخبارهم معروفة لمن يهتم بهم.. والشرطة أكدت لإبراهيم أن لا يد لهم في الجريمة .. فقلنا لعل له أعداء من الغرب مع صعوبة هذا الاحتمال .. فله هناك زوجة وأولاد وأقارب .

قال القاضي : كلنا يعرف هذا التحليل .. ما الحل ؟ الخطف جريمة كبرى .. والعصابات تخطف من أجل المال الفدية أو من أجل الشاهد أو إسكات

الخصم العدو بالخلاص منه .. وفي الغالب تظهر جثة المخطوف ولو بعد حين .. نحن نعيش في حيرة وارتباك أيها الكرام .. فسكوتنا عما حدث أصبح مزعجا لنا وللأقارب ولأهل القرية .. فكلما نقابل أحدهم يقول طال صمتكم .. يجب أن تتحركوا .. الابن البعيد حضر يسأل عن والده لما سمع بغيابه .. وأنتم صامتون .. ماذا نفعل لمواجهة الناس ؟ من أجل هذا طلبنا هذا اللقاء.

قال نزار المهندس : الحق أننا لا ندري ما يجب فعله! لو كان عند الشرطة شيء مفيد لأخبرونا به ؛ لأخبروا به على الأقل الدكتور القاضي .. فهو ابن الدولة مثلهم .. فعملك الكبير يلزمهم الهمس لك بما عندهم ولو مجاملة .. وأنت معروف لهم .. فلك عشرات السنين في سلك القضاء ولك أصدقاء في وكلاء النيابة .. هل فعلا أن السيد أبا ناصر مخطوف ومقتول .. عن نفسي من ناحية الإحساس لم أحس وأشعر بذلك .. والإحساس ليس دليلا على حياة البشر وموتهم.. صحيح أن بعض الجثث قد تختفي سنوات وسنوات ولا تظهر .. أنا متأكد أن هذا لم يقع في قلوبنا منذ اختفاء نزيه .. واعتقدت أن أبي العزيز بينه وبين الأخ المهاجر شيء خفي.. لم يظهر قلقا وخوفا وحزنا على غيابه.. واعتقدنا أنه عاد لزوجته وأولاده هناك.. ولا أدري لماذا يخفي الحاج الوالد عنا اختفاء نزيه؟؟!

فلما احدقوا النظر في وجه أبيهم تبسم وقال باسما : دعوا الكلام للزمن أيها الأعزاء فجعفر جاء كما فهمت منه لمتابعة مشاريع أبيه وموضوع الصيدلية الخاصة بصديق ؛ لأن نزيه تكلم مع صديق ونداء قبل الحادث .. وها أنتم ترون أن الرجل يتابع من مخبئه الأعمال والإعداد لإنشاء مصنع أدوية كبير على مستوى القطر والأقطار المجاورة كالأردن والعراق وبلاد الشام

قال القاضي : وليس كما أشاعت الصحف أنه أتى ليبحث عن أبيه !

هز رأسه وقال نافيا : هذا أمام الناس.. تحدثنا عن العمل، لم نتحدث عن الاختباء

قال إبراهيم بعد صمت أبيه : يمكن أن أقول لكم إن شقيقنا العزيز حي يرزق ؛ وربما هو في الأرجنتين ؛ فالوالد مطمئن جدا .. لكن كيف خرج بدون المرور على الحدود فهذا مثير .. فاسمه لم يظهر برا ولا بحرا ولاجوا لا بجوازه المحلي ولا الأجنبي .

قال نزار : ربما كان ذلك من ضمن الخطة بينه وبين أبي يا دكتور إبراهيم

إبراهيم : المهم أنه حي وموجود ، وأخفى أمره لحاجة في نفس يعقوب.

قال زكريا : نعم ، حاجة في نفس يعقوب.. وهذا

المهم وبيت القصيد أيها الأخوة الأعزاء.

***

بعد هدوء دام لأسابيع أتى جعفر للبلدة من جديد ، وعادت الصحف أو بعضها تتحدث عن اختفاء نزيه يوسف الغريب ، وزعمت أنه قدم لمتابعة البحث والتحري عن والده المختفي منذ عدة شهور. وعادت الشائعات والقيل والقال ، وكان صديق قد انتهى من بناء المدرسة والمركز الصحي والصيدلية ، واتفق مع جعفر وأخوة نزيه على متابعة التشطيب وإقامة الكادر وأن يكون العاملون ممن يرغب من أهل البلدة وعلى رأسهم زوجة القتيل الطبيبة النسائية سميرة حسين اذا أحبت ترك العمل في الحكومة.

فالمدرسة متهيئة لتدريس الطلاب الذكور من الصف الأول الأساسي إلى انتهاء المرحلة الإعدادية الأساسية ، وشكل صديق وصهره جعفر مجلس إدارة للمدرسة وآخر للمركز الصحي ، وأخبر صديق جعفرا أنه وجد قطعة الأرض المناسبة لإنشاء المصنع ـ مصنع الدواء ـ وأنه يستطيع المساهمة بثلث المصنع ، وعلى جعفر تغطية الثلثين ، ووعده بالرد سريعا ومن ثم تحويل الأموال ، وربما يقتسم الثلثين مع أبيه ، واعلمه أن أباه على وشك العودة كما قال في حديث بينهما . وكانت الصيدلية الخاصة في البلدة باسم صديق ، ولجعفر نسبة بسيطة في رأس المال اتفقوا عليها ، ورغبه جده يوسف بإقامة مدرسة مثلها للإناث.. فاليوم إقبال كبير على تدريس البنات في المدارس الأهلية .. وأقسم جعفر لعمه إبراهيم أنه لم ير والده منذ غادر الأرجنتين ؛ ولكنهما يتواصلان بالرسائل والهاتف في بعض الأحيان ، واعترف لعمه أنه في قطر مجاور ، وعلى وشك العودة للقرية تصحبه زوجة جديدة .

فسكت إبراهيم لثوان وقال : أصدقك ، وأنا الآن متأكد أنك جئت بأمر من أبيك الغالي . وبارك له على إكمال مشاريع والده ، وحياه على الاستثمار في البلد ، وأثنى على صديق زوج ابنة شقيقه نزيه.

كان جعفر على اتصال مع والده منذ حادثة الاغتيال ، وعلى علم بالمنفى الاختياري والغاية من السفر . وكان نزيه قد قطع الاتصال بوالده منذ خروجه ، وطلب من ولده جعفر متابعة المشاريع التي رسمها رغبة بعدم إشغال جده بمثل هذه الأمور ، وكان نزيه قد رتب لخروج سري وتهريب ؛ ليلتقي بضابط عربي أرجنتيني عمل في الشرطة الجنائية ، وصديق له في الشام عاد لبلده مثله الذي سلم أعماله إلى ذريته هناك ، يريد منه أن يكشف له من قام باغتياله ، وقبل الضابط المتقاعد خدمته مقابل أجرة ومصاريف ، وكان عليهما أن يلتقيا في دمشق الشام. قضى جعفر المهمة التي كلف بها من

قبل والده ، وودعهم وغادر جمالة ليلا وخفية كما جاء على غير ميعاد .

عايش وعريفة

نعود لنزيه المهاجر كما يحب أن يسميه إخوانه وأهل البلدة ، فقد سمعوا من جعفر أنه سيعود قريبا بدون تحديد وقت معين ، وتركهم ينتظرون عودته من مهربه ومنفاه الاختياري ، خرج من جمالة كمغامر بترتيب معين إلى مدينة عمادنا ، وهي بلدة حدودية عن طريق شاب تعرف عليه في أحد مساجد البلدة الذي وعد بمساعدته بعد نجاته من الاغتيال ، فهذا الشاب أوصله سرا إلى رفيق له في بلدة عمادنا الحدودية ، تعرف عليه أثناء عمله على الشاحنات الكبيرة التي تعمل بين الدول والأقطار لنقل البضائع والخضار والفواكه ، ورتب له الهرب إلى الشام دمشق عن طريقه بدون أن يعبر نقطة الحدود الرسمية حتى لا يختم على جوازه زيادة في الحذر ؛ ليلتقي بالضابط السوري الأرجنتيني الذي عرفه أيام الهجرة الطويلة كما روينا ، وعلى السائق ابن تلك القرى تهريبه لسوريا بدون العبور على حدود رسمية كما يفعل مهربو المخدرات والممنوعات ، فاستطاع زياد رفيق أحمد الجمالي إدخاله سوريا دون المرور على نقطة الشرطة والحدود ببعض المال داخل شاحنة محملة بضاعة ، ولم يختم على زواجه بالعبور ، فلم يسجل عبوره برا ولا بحرا ولا جوا وذلك كما يرغب ، ونزل في قرية قريبة من أبواب دمشق بضعة أيام ؛ لينتقل منها إلى شمال غرب سوريا مدينة قريبة من البحر الأبيض المتوسط في منطقة إدلب السورية ، وهناك تظاهر وظهر أنه سوري أرجنتيني كما ظهر في جواز سفره الأرجنتيني والتقى بتاجر اسمه عايش حسين زوده باسمه زياد سائق الشاحنة ، وبعد تعارف يسير شاركه في متجره على أن يتزوج أخته الأرملة والمطلقة السيدة عريفة حسين الإدلبي .. هذا رتب له قبل الرحيل السري ، بعد حين تزوج نزيه من المرأة شقيقة عايش ، وكانت تملك شقة أو بيت قريب من بيت أخيها عايش الإدلبي ، وكانت أرملة لديها بنت واحدة تدرس في الجامعة ، فساعد في تعليمها والصرف عليها كما اتفق مع أمها وخالها.

نزل نزيه بعدما تزوج الأرملة مدينة دمشق ، واتصل بالضابط البوليسي نواس العائد من الأرجنتين قبله بسنوات ، والتقيا في صالة فندق كبير وسياحي ، ولما انتهيا من الطعام ذهبا إلى غرفة نزيه ، وحدثه وروى له محاولة اغتياله في قريته الهادئة والوديعة ، ولما فهم المحقق القضية وما هو المطلوب منه غادر الفندق مستعدا للسفر إلى مدينة سلام .

وبعد أيام قضاها في ربوع دمشق رجع نزيه إلى

إدلب وبيت زوجته الأرملة التي كانت تحلم بالخلفة والولادة من نزيه ، فهي لم تكن صغيرة كانت في الأربعينيات من العمر ، ففرصة الحمل ستكون ضعيفة لمن في مثل سنها ؛ ولكن ممكن أن تحمل وتلد المرأة في مثل هذا السن .

ووجد نزيه أن لديها رغبة قوية في الحمل والولادة ، وكانت تضغط في هذا الاتجاه ، وهو لا مانع لديه بالحمل وأن تلد ؛ لكن كما علم من شقيقها عندها بعض المشكل الصحية ، فاهتم بعلاجها والإنفاق بسخاء ، وهو يعلم أنه أحد أسباب دوام العشرة بين الزوجين ، ويتنازلون عن المشاكل التي تعصف في الأسرة من أجلهم ، والرجل يعتبر مليونيرا حقيقة ، غني قادم من الأرجنتين ؛ حيث نجح ماليا واقتصاديا ، وأصبح دكتورا في المحاسبة والإدارة المالية ، ويتقن الإنجليزية والإسبانية لغة الأرجنتين المكتسبة من الاستعمار الإسباني للقارة الجنوبية .

ومع التردد على العيادات في الشام وتركيا المدن القريبة من الشمال السوري لم تثمر عن شيء من جهتها ، فتحدث نزيه مع عايش شريك التجارة في المواشي والصوف الطبيعي أن تكف عن طلب الولادة بعد عدم الفائدة والعجز عندها ، وقد رافقها عايش في السفر إلى الشام ومقابلة أخصائيين العقم والنساء . وخلال فترة البحث عن علاج كان نزيه قد التقى بالضابط المحقق كارلوس سعيد نواس الذي قال له: يبدو أنك أخطأت في اتهام أخوالك وزوجتك المطلقة يا نزيه فرد نزيه متأملا : أنا أثق بكلامك .. هناك قاتل وجريمة حدثت .. لا أعتقد أن أحدا أتى من الأرجنتين ليغتالني في بلدي يا كارل! لابد من عدو ..والقتيل لا أعداء له ؛ ليكون هو المقصود فلماذا يقتل ؟!

فقال المحقق المتقاعد : ظهرت في المجتمع المخملي كمهاجر غني قادم من أمريكا .. تعرفت على بعض أصدقاء أسر أخوالك مدعيا الرغبة بالاستثمار في البلد كما اتفقنا .. قدمت لي مشاريع متنوعة ، وخلال شهر دعوت للسهرات والحفلات بكل سهولة .. مستثمر قادم من الغرب .. حتى أنني شعرت بأنني مكشوف ومعروف رغم أني لم أر تلك الوجوه من قبل يا نزيه .. سهرات حفلات دون فائدة .. والتقيت بمطلقتك مارينا وابنك سامي المحامي.. ودعتني للبيت ساعية لعلاقة جنسية مع مستثمر أجنبي .. وبينت لها ولغيرها من نساء ذاك المجتمع كبري وضعفي فانصرفت عني.. كبيرة وما زالت تبحث عن لذة الجنس ..وتزعم أنها تلتقي بشباب .. ولن أصدق أن شابا يلتقي بها لمضاجعتها يا نزيه.. المهم أنها منحلة لأخر درجة كما ذكرت لي .. وابنك سامي

لا يُكن لها أي احترام حتى زعمت لناصر ابنك وسامي أنني التقيت بك أثناء زيارة لأقارب لي في الأرجنتين فاعلمني أنك عدت للبلد ، ثم هربت بعد محاولة أحدهم النيل منك.. لم أجد أثرا ولو صغيرا يبين محاولة الاعتداء منهم عليك .

قال نزيه وهو يحاول أن يصدق ما سمع : هل أعود للقرية وأنا مطمئن ؟!

قال كارلوس نواس مفكرا : لماذا يغتالون المهندس ؟ لم يشتغل معهم يوما ، ولا يعرفونه ؛ لأنه ليس من نفس قريتكم.. هو من قرية قريبة ، لما تزوج الدكتورة بنت بلدتكم رحل إليها وسكن في جمالة .. لم أجد له خصماء إن كان له خصوم.. الشرطة لم تصل للمجرم .

تنهد نزيه وقال : الجريمة مدبرة ومخطط لها يا كارل! .. كلنا أدركنا ذلك من الوهلة الأولى .. لم تجب على سؤالي هل أعود للوطن ؟

قال المحقق على مهل : حاول أحدهم قتلك حقيقة يا نزيه .. ثلاث رصاصات في مكان مهم لنزيه .. بعد صلاة الفجر ، وبقاء بعض العتمة .. والشوارع خالية من السيارات والمارة .. ومطلق الرصاص أخطأ الهدف بسبب العجلة .. فأصاب المهندس بدلا منك .. القاتل يعرف ما يفعل .. فلا أستطيع أن أبث في قلبك السكينة يا نزيه يا ابن يوسف!.. فالذي أراد قتلك، ولم يُعرف بالتأكيد سيعيد الكرة .. لكن لماذا ؟ لا جواب .. الدافع الإجرامي غامض .. ما هي الغاية من قتلك ؟ فقط الكره .. والحقد . . فزوجتك لك عقود هاجرها وشبه مطلقها .. فلماذا تنتقم اليوم ؟! فهي لا تعرف عنك شيئا بعد الرحيل .. وأخوالك لماذا يا صديقي ؟ فأمك همزة

الوصل بينكم ماتت بعد سفرك بسنوات.

ـ قبل الحادث لقد سعوا لإعادتها إلى ذمتي لما أشهرت طلاقي .. ولم يتضح سبب ذلك.. والشفيع لم يعرف السبب ، زعم أن ذلك من أجل خاطر الأولاد الذين لم يقدم أحدهم القرية للسلام عليّ أو حتى يكلف نفسه بالاتصال باستثناء ابنتي منها نداء .. وقالت نداء : لم يفعلوا ذلك عندما لامتهم بأنني تركت تربيتهم لمجرمة

قال كارلوس مبررا : هم خافوا أن يفعل غيرك ببناتهم مثلك يا نزيه ، وتصبح مثالا ونموذجا لمن بعدك .. هم يدافعون عن نظام بنوه من قبل أن تولد .

ـ لقد طلق ابني سامي ابنة ابن كبيرهم شاكر ؛ بل هددوا بموتي اذا لم أتراجع عن الطلاق الرسمي، لا يقبلون الهزيمة ، واعتبرت تهديدهم ساعة غضب .. وأفهمتني الشرطة أن لا يد لهم .. قلنا طيب من ؟.. مثلك سكتوا .. كما أخبرتك .. أنا أعرف عظم نفوذهم في الدولة .. وهذا أحد أسباب تشجعي

على قبول الزواج من مارينا طمعا بمنصب إداري كبير مع تقدم الزمن .

قال : فالغضب والكلام خلاله بالتهديد والوعيد والموت وجهة نظر مقبولة لدى الشرطة والبوليس .. بس فليس كل من يهدد يقتل .. يوضع موضع اشتباه فحسب.. الغاضب يكفر ويضرب وقد يقتل ويطلق .

قال نزيه منهيا العقد : غدا نلتقي لأقدم لك أتعابك كلها.. ومصاريف الرحلة انتهى أمرها أم بقي لك في ذمتي شيئا .

ـ لا ؛ بل زاد .

قال : مبارك عليك .. مسامح فيه ..غدا سأسحب من البنك وأسدد الفاتورة.

رجع للشمال حيث الزوجة وابنتها وشريكه عايش ، وكان محتارا في حسم الأمر وممن يريد تعجيل موته ؛ فإذا لم يكن والد زوجته وعمها من يكون ؟! هل أحد أبناء مارينا يسعى لذلك من أجل المال والميراث؟ .. والميراث .. لم يخطر ذلك في بالي .. هل يرغبون بميراثي ويتعجلون ذلك ؟ فسامي عمله جيد ومحامي ناجح .. وناصر يدير مصلحة ، ويأخذ من أمه .. وميساء أمورها سالكة .. وكلهم فشلوا في الزواج وتكوين أسر .. سامي طلق بنت خاله إسكندر ، وناصر طلق ويمشي على عكاز .. مارينا ماذا تريد من قتلي؟ أتريد الانتقام ؟ نحن عشنا عشر سنوات وآخر ثلاث سنوات منها أغلبها قضيتها في القرية ، ثم هربت لأمريكا اللاتينية مع ابن عم لي ـ رحمه الله ـ خلصني من وجع الرأس .. الأولاد هناك كانوا يحبون بقائي بينهم .. وهذه المرأة عاد بها الحنين لولادة ذكر .. والأمر بيد الله .. وسعيت بإخلاص لمساعدة عريفة على الإنجاب والحمل رغم بلوغي الستين.. الأمر بيد مولاي عز وجل .. الطب يقول: إنها غير صالحة للحمل .



الأرملة عريفة

طلب نزيه من عايش شقيق الأرملة عريفة أن يقنع أخته بالكف عن عرض نفسها على الأطباء وأن الزواج والحبل بأمر الله وقدره ، وقد رحلوا في أنحاء البلاد وجنوب تركيا دون فائدة حتى يبقيها على ذمته لتعود معه لجمالة ، هذا ما أخذه في قضية عريفة ، وبعد عودة المحقق كارلوس من سلام ولقائهما كما روينا قبل سطور أخذ يخطط للعودة لبلده سلام .. سأل نفسه كثيرا من الأسئلة .. هل يهرب أم يطلق أم يرحل للأرجنتين من جديد ؟ .. هو ترك الغربة ؛ ليختم حياته في جمالة ، ويقصد

الديار المقدسة والمساجد الثلاثة للحج ، يريد إقامة ركن الإسلام الخامس .. يريد الحياة في الوطن.. ملّ وشبع من الغربة .. أولاده في سلام نسوه ، ويحق لهم ذلك .. فقد ابتعد عنهم ثلاثين سنة .. وأولاده في الغربة رفضوا العودة ، فتلك الديار ديارهم .

فلما تحدث مع زوجته بما يفكر من العودة لموطنه ، فقالت : لماذا لا نذهب إلى بلاد الكفار ونحاول العلاج عندهم ؟

فابتسم لها قائلا : الطب هنا كما هو هناك .. الطب علم عالمي ؛ ليس خاص بدولة دون الأخرى قد تكون التطورات أو التقدم أكثر وأسرع من البلدان العربية ؛ لكسلنا ونومنا الطويل.. فالأدوية الموجودة هناك موجودة عندنا ..والعواقر بالملايين عندهم .. ليس مقصورا فحسب على بلاد العرب أوطاني .. وقد قام عايش بك بجولات شرقا وغرب ؛ لأنني أنا أحب الخلفة أيضا مع أن عندي ثمانية بين ذكر وأنثى .. أربع في بلدي وأربع في بيونس ايرس .. فأنت غير قادرة على الإنجاب .. والسن تقدم بك .. فالرحم شبه ميت .. ولم أبخل عليك بالمال والدراهم

قالت بصوت واهن وربما فيه حسرة أو خيبة أمل : لا أنكر فضلك يا أبا ناصر ، ولا كرمك معي مع ابنتي .. وحتى مع شقيقي الباقي عايش .

قال : الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات .. ماذا أفعل لك ؟ الأمر لله فهو صاحب الأمر.

تنهدت وبكت وقالت : أنا لما ترملت على هدى حزنت كثيرا ، وكانت رغبتي بالزواج من أجل الحمل والولادة .. مولود مثل كل نسوان العالم ، رغبت بمولود ذكر من أجل خاطري وخاطر هدى ، وتزوجت ثانية من أجل هذه الغاية .. ولما عجزت عن ذلك طلقني الرجل .

فقال بعتب : ولماذا قمنا بكل هذه الفحوصات وأنت عاقر ؟ .. هذا تصرف شائن يا عريفة !

هتفت بحزن : الأمل يا سيدي ! الأمل .. وسخاؤك شجعني على المحاولة.. فأنت صاحب مال كما قال عايش وكريم .. الحمد لله أن عندي هدى .

قال بقلبه الكبير : الحمد لله .. اهتمي بها ، وادعو الله أن يحفظها لك ، ويهبها ابن الحلال ، وتلد لك البنين والبنات ، وترين أحفادك .

قالت : إن شاء الله .. سامحني يا سيدي الكريم .. المرأة خلقت ؛ لتكون أما يا نزيه .. وعايش طلب من البداية أن أسلم أمري إلى الله .

قال مشجعا : وهو الأفضل أن نسلم أمرنا في جميع أمورنا إلى الله.. فهو يتولانا بفضله ورحمته

قالت : ما رأيك بالسفر إلى الأرجنتين ؛ لتغيير الجو ونرى أسرتك وأقاربك وتعرفني بهم ؟

ضحك قليلا ورد : ترغبين بالسفر إلى آخر العالم .. فقبل قليل قلنا دعي التفكير بالعلاج .. فهم بلاد ضعيفة مثلنا يحكمهم العسكر والجنرالات ..وطبهم مثل طب بلادنا .. سنسافر إلى بلدي سلام عندما يشاء ربي .. وبعد تخرج هدى نفكر بالأمر .. ولعل زواجها يكون قريبا فابن شقيقك حاطت عينه عليها كما تقولون

قالت بضيق : صحيح .. وهو من أجل ذلك يكثر التردد علينا ؛ لكنها ترفضه ، ولا تريده .. ولمحت لي وله أكثر من مرة أن لا يفكر بها كزوجة .. ولها صديق راغب فيها كزوجة بعد الدراسة .

قال : تريده أكثر من ابن خالها .. وعايش يعرف ذلك.

قالت بفتور : قلت له ذلك .. وجلال ابنه عنده أمل أنها ستغير رأيها عندما يبتعد عنها رفيقها في الجامعة .. وستجده أمامها .. فهو مصر .. والأمر دائما لله يا أبا ناصر

ـ الله يستر يا عريفة!

قالت : لا تخشى شيئا .. أنا كنت أرغب بابن خالتي نبيلة ؛ ولكن قبل زواجنا مات ، فتزوجت والد هدى الأستاذ عبد الحميد .. ولدت قبلها أنثى ماتت طفلة ، ثم جاءت هدى ، ثم لحق بابنته .. وبعد سنوات زوجوني من آخر .. وتبين أني غير قادرة على الحبل .. فبعد علاج فاشل حصل الفراق إلى أن يسرك الله من سنة زمان بعد ترمل أكثر من عشرين سنة .

قال : لم يتقدم إليك خلالها أحد .

قالت : النصيب يحكم .. تقدم الكثير ؛ولكن لم يحصل أي نصيب .. كلهم يرغب بالذرية .. وليس المتعة والمعاشرة فحسب .. أنت الوحيد الذي يريد زوجة والحلال .

قال : نعم يا عريفة ! أريد زوجة والحلال لم أعرف طول العمر بفضل الله طريق الزنا والفواحش وأمر الذرية أحببته ؛ ولكني سلمته لربي سبحانه وتعالى يا أم هدى!

***

هدى عبد الحميد ابنة السيدة عريفة لما نكحت أمها زوجها الثالث نزيه يوسف كانت تتعلم في الجامعة في المستوى الثالث ، وكان خالها عايش هو الذي يتولى الإنفاق والمصروف عليهما لفقر أمها وإحسانا عليهما . ولما التقى به زياد السائق وحدثه عن نزيه الشيخ وأنه يرغب بالزواج من امرأة أرملة أو مطلقة حدثه عن أخته ، وحصل النصيب المقدر ، وكان عايش ينفق عليها لتعيل أمها في المستقبل اذا بقيا على قيد الحياة .

كان ولده جلال يرغب بها حليلة ، وتخيل وتصور أن انفاق والده عليها سيدفعها للقبول به زوجا ؛ لترد على الأقل الجميل كما يقال ، وجلال يعمل مع

أبيه في تربية المواشي ، ولا يحمل أي شهادة علمية ، واعتبر ذلك مقايضة ، ولم أحست البنت بذلك ، وضحت له أن لا يحلم بها قرينة وأن هواها مع زميل معها في الجامعة ؛ لكن الشاب جلال مقتنع أن ما بعد الجامعة يتغير ، وأنه أكبر منها سنا ، وذاك من جيلها.

أحبت الفتاة ابن الجامعة محي الدين العبد ، وأنه أفضل وأنسب من ابن الخال ، وكانوا يرون الفصل بعد التخرج ، وأمها صارحت شقيقها بموقف البنت ، ولا يضيع جلال عمره في الانتظار ، ولا يزعل من فشلها بإقناع هدى بالزواج منه.

فقال جلال : يا عمتي حب الجامعة حب فارغ ، ولا يثمر .. ونهايته الفشل والضياع .. ولا أدري لماذا أنت صامتة على هذا العبث يا عمة ؟!

قالت معتذرة ومجيبة : بنات اليوم يا ابن أخي لسن كبنات زمان !.. اليوم الشبان أمامها كثر .. ولا غنى لنا عن تعليم البنات.. صار التعليم الجامعي خطوة لطلب يد البنات والوظيفة .. أيام زمان تغيرت وولت .

فقال بحزن : الصبر طيب .. بعد التخرج يكون للقصة بقية .. فلتحب من تشاء.. وأنا يمكنني الزواج في أي حين .. لقد أحبت شابا قبله ، ولما رأى حشمتها وزيها وتمنعها تركها .. هؤلاء يرغبون بالشهوات الحرام .. ولولا تربيتها الجيدة من قبلك لذهبت في درب الإثم والخنا والحرام ربنا يستر عليها .

قالت : أنا لا أريد أن أخسر والدك .. فلم يبق من ذرية أبينا إلا أنا وهو .

قال : أولاد أعمامنا موجودون .. وأبناء أخواتك

قالت : أنا أقول عن ذرية أبي .

***

قالت الفتاة لجلال بحدة : أنت لن تكون زوجي يا جلال ! لن يكون زواجنا مفيدا للعائلة .. لم أشعر بأنني سأكون زوجة لك.

قال : أنا أشعر بذلك يا هدى ! ستكونين زوجتي يوما ما .. ولن أتزوجك رغما عنك كما نرى في الأفلام والمسلسلات السيئة الذكر .. أنا كما تعلمين ورددنا مرارا من سنين صارحتك برغبتي الاقتران بك.. والتخرج على الأبواب .. وسيقع حبك لي مع الزمن .

قالت بسخط وعصبية :لا تريد أن تفهم !.. أي زمن يا جلال ! هل لأن والدك ينفق عليّ أصبحت زوجتك .. دعني وشأني يا ابن خالي .

قيل هذا قديما ، وهذا الوضع تغير ، جاء نزيه الزوج الغني ، وأنفق على الفتاة بسخاء واضح ؛ كأنها ابنة صلبية ، وزادت تجارة عايش تجارة الغنم والصوف والأعلاف بالتمويل الذي قدمه نزيه .

عارضت هدى في البداية نكاح أمها مرة ثالثة ،

وذكرتها بزواجها الثاني والطلاق.
فقالت : هذا حال الدنيا يا هدى! .. وأخي خالك يريد ذلك .. والرجل غريب عن المدينة ، فهو من بلدة سلام .. ونخفف من العبء عن كاهل خالك .. والرجل سيساعد خالك في عمله .. ويساعدك لإنهاء هذا العام .. والرجل سيشارك خالك في شغله وتجارته.. والزواج شرعة الله يا حبيبتي .. وعسى أن أطعم بشقيق لك.. وأنت تعلمين أن أباك لم يترك لنا شيئا إلا هذا البيت ، ولنا فيه شركاء بحكم الورثة لو فارقناه باعوه ثاني يوم ؛ بل الرجل كما قال أخي سيدفع لنا أجرة رغم أنه بيتي وينفق عليك حتى تتخرجي وتتزوجي ابن الحلال.
حصل الزواج كما تعلمون ، وأحب نزيه دفع الأجرة ، ولا يعيش على إحسان الزوجة في بضع دنانير أو ليرات كما يتعامل السوريون . ولما فشل كارلوس في مهمته البوليسية فكر بالعودة إلى جمالة مسقط رأسه ، ويعيش حياته آملا بالسلام والأمان أنهت هدى الجامعة تحمل شهادة لتدريس اللغة الفرنسية لغة المستعمر لشمال سوريا الكبرى ، ووجدت فرصة عمل في العاصمة في إحدى الصحف الأجنبية .
أبدى الخال والأم الامتعاض والاعتراض على بداية العمل خارج المحافظة ، ولما تحدثوا عن الزواج ، فأخبرتهم أن صديقها تخلى عن الزواج قبل التخرج بشهور ، ولا ترغب بابن خالها ، وأما نزيه فقال : الأفضل أن يكون الزواج برضى الطرفين .. واليوم لا داعي للضغوط والإجبار وعلى جلال أن يقترن بغيرها .. وأنا سأتحدث معه فهدى أخبرتني بذلك ، وأعلمتني بترك صديقها الزواج منها قبل تأمين مستقبله في سوق العمل .
وسافرت هدى للعمل في العاصمة ، والتحقت فعلا في الجريدة الأجنبية التي تكتب للأجانب في البلد العربي السوري باللسان الفرنسي . ومضت السنوات الثلاثة في سوريا ، وحسم الأمر وحان زمن العودة للقرية والتوكل على الله ، وأخبر عايش بالأمر ، ولما يستقر في جمالة سيبعث لأخذ زوجته عريفة ، وأنه ترك وتنازل له عن أموال الشراكة .
ولما نزل الشام التقى بهدى في شقتها المستأجرة ، وودعها وأعطاها بعض المال ، وسافر جوا إلى مدينة سلام ؛ لعله يلقى فيها السلام والإكرام ، وكان قد اتصل بأبيه وأخبره بقرار العودة لمدينة السلام . تفاجأ أهل البلدة بعودته ، كما تفاجأوا باختفائه ، ورحبوا به بحرارة ؛ كأنه ميت وعاد للدنيا من جديد ، وعلمت الصحف المحلية بالعودة ، ونشرت الخبر في ثنايا السطور والصفحات ، وتبين لهم أن الخطف والقتل

إشاعات وأباطيل .

***

لما استقر في البلد اتصل بأخ عريفة وطلب منه المجيء بأخته لجمالة حيث يعيش ، وطار بها عايش لسلام ، وصحب زوجته معه ، ورحبت بهم عائلة يوسف الجمالي خير ترحيب ، وقدمت لهم أفضل الضيافة وقدم عايش وزوجته الشكر الجزيل ، وتمنى له السعادة والحياة الطيبة برفقة وصحبة أخته.

وكان يهمس لأخته : هذا بيتك وقصرك الجميل .. وزوجك السخي الطيب وأهله الكرام .. حافظي على هذه النعمة .. واشكري العالي في علاه .. واعلمي أن سبب مجيئه بلادنا مشاكله مع أخواله ووالد زوجته المطلقة .. فاحرسيه قدر طاقك .. فالرجل كما حدث تعرض لغدر من مجهول ، ولم يعرف رغم مرور هذه السنين.

قالت : لم أكن أظن أنه سيد .. فأخوه الأكبر قاضي كبير في البلد ..وأخواله من كبار وعلية القوم كان أحدهم وزيرا .. وإخوته أصبحوا في مراكز متقدمة في البلد .

قال : لكنه أغناهم يا عريفة كما حدثني والده الشيخ .. فقد وفق كثيرا في هجرته لبلاد أمريكا .. ودفع بسخاء لعلاجك ولابنتك.. فقد كان سيدا كريما بحق .

قالت : نعم ، كان يتحدث عن أملاكه وأولاده في تلك البلاد البعيدة ، وأن زوجته أم جعفر من أصل سوري مثلي أنا.. وتحدث عن ضعف العلاقة بينه وبين أولاده من ابنة خاله باكر هنا .. وابنته الصغيرة نداء امرأة محترمة وفاضلة رحبت بي وتمنت لي التوفيق في الحياة مع أبيها .. أسأل الله أن يحفظه من يد الغدر .. وقد قام صهره بتشييد مصنع دواء كبير في طرف البلدة يتكلم عنه البشر فهم فيه شركاء .

قال: صحيح والفضل لله سبحانه ، وهو موفق .. وسوف يشرع ببناء مسجد عن روح الشاب الذي قتل غدرا نيابة عنه .. وتعهد لزوجته الطبيبة التي تعمل في المركز الطبي بتعليم ابنها وابنتها على نفقته عندما يدخلان الجامعة رغم أن زوجها الثاني رفض ذلك التعهد فالطفل ابنه .. هكذا المفروض أن يكون من يملك .. هل يأخذ الإنسان عند الدفن شيئا ؟!

قالت بصوت منخفض : هل زال الخطر عنه يا عايش ؟

ـ لا أحد يدري .. انتبهي لمن يزوره .. من يرقب البيت ؟ هو وضع ثقته الكاملة بمولاه عز وجل ولا يرغب بالعودة لبلاد الأجانب .

ـ الأمر لصاحب الأمر يا سيدي !

قال : نعم ، الأمر لله .. خذي بالك .. وعليك

برعايته ؛ لتدوم العشرة ، ولا تعودي لموضوع الخلفة والحمل .. أنا مسافر للبلد غدا أو بعده.

ـ والبنت !

قال لطمأنتها على هدى : البنت ـ يا عريفة ـ ليست بحاجة لك.. فهي تعيش في الشام وحدها منذ شهور .. بنات اليوم لهن طباع الرجال ؛ ربما تسعد برحيلك إلى جمالة .. وقد قل مجيئها إليك بسبب الشغل .. ولعلها تجد ابن الحلال .. وجلال يئس وتزوج بنت أختنا .. فماذا تفعلين لها ؟ والتلفون بينكم موجود .. اليوم الذكر لا يستطيع إجبار امرأته على أمر .. فكيف بابنة الجامعة؟ والطنطنة حول حرية المرأة وحق الإنسان شمخ بأنوفهن للسماء ؟ فكيف بابنته يا عريفة ؟!.. نقول الله يسنر عليها .. اشغلي بالك في نزيه

قالت : أمين أمين .. أسأل الله أن يكون قريبا ؛ لارتاح من همها يا عايش .. عاشت يتيمة كما تخبر.

قال مواسيا : كلنا أيتام .. كنت قلقا وخائفا من غضب نزيه عليك أيام فترة المعالجة من العقم

خفت أن يثور ، وقد ارتحت له وأحبه قلبي ، والمحبة من الله.

قالت : الأمل يا أخي الأمل وكرمه .. والطب يوميا يتقدم كما يزعم كل حكيم قابلناه وتعالجنا عنده .

قال : هو يتحدث عن الحج ؛ ربما يذهب بك للحج معه .. الناس تحب أن تختم كبرها برحلة البيت العتيق والمدينة فتصبحين الحاجة عريفة.

قالت : إن شاء الله .. الله كريم .. أشكرك أنت وزوجتك يا ابن أمي وأبي.. واذا باع البيت الورثة سأتنازل عن حصتي لك .

قال : قد أؤجره ..فهو لن يباع في ساعات.. حتى أتأكد من ثباتك على ذمة زوجك .. فالغربة مرة ؛ ربما تشعرين بالوحشة بعد حين .



الختام في سلام

كان نزيه يوسف يدرك أن عدوه الخفي الذي فشل في صيده والغدر به سيكرر فعلته رغم خروجه لمدة ثلاث سنوات قضاها في شمال سوريا سيحاول مرة أخرى ؛ فكان يقول لأبيه الشيخ : أحس أنني متبوع ومراقب .. ففي المسجد رجل غريب ومريب .. أنا أعلم عظم حقد مارينا عليّ قبل سفري القديم .. خشيت أن تضع لي سما في طعامي في ساعة جنون .. وكذلك والدها وأنه هو وراء الجريمة إحساس لا يفارقني .. هم أرسلوا القاتل المستأجر .. أنا عشت قريبا منهم يا أبي.. كان باكر شرسا حقودا منتقما مخيفا ، وكذلك شاكر ولكنهم خاليّ .. كانوا لا يسمحون لأحد أن

ينال منهم ..كان موظفو شركاتهم مرتعبين منهم .. ومن انتقامهم ، لا يسامحون المخطئ البتة.
قال الشيخ وهو يعود لستين سنة للوراء : أنا أعرف أخوالك الأربعة وأبناء عمهم حق المعرفة قبل أن تولد يا نزيه .. لقد رأيت وعرفت عنفهم هنا قبل أن يرحلوا للمدينة .. ويرتاح الناس منهم ومن شرورهم .. وأنا تزوجت أمك أختهم ـ رحمها الله ـ لمصاهرات قديمة بين عائلتينا ولظروف معينة ، ولكف شرهم عن أبي المسكين الذي ضغط عليّ لمصاهرتهم ولديون تراكمت عليه لوالدهم ووالده .. وكان بينهم عمل خفي شعرت به لما تزوجت أمك ؛ لكني لم أعرف تفاصيله ولم أفهمه حتى زوجتي أمك لا تعرفه .. المهم أن أبي تورط معهم في تهريب مخدرات أو سلاح بسيارته .. ومات بظروف مريبة يا نزيه.. ولم تعرف التفاصيل .. مرض ثم مات قبل أي علاج ناجع .. ولكنك لما سكنت المدينة هويتهم واستلطفت الفتاة .. أنا سعيت لإنقاذك سريعا وبطريقة أدبية ..ولكن كان هواك معهم ، وترى المستقبل معهم .. فقلت الناس تتغير .. فهم يرسمون ويدبرون لاختيار أزواج بناتهم وأخواتهم .. والناس تريد المال والشهوات .. أنت كررت حادث أبي ، صحبهم حتى زوجوني أمك بظروف غير ظروفك بالتأكيد ؛ وربما مات أبونا مخنوقا ، لم يكن مرضه خطيرا كما قال طبيب القرية .. لم يكن معه أحد تلك الليلة إلا جدتك الضعيفة السمع والبصر ، ولم تسمع حسا وصوتا ،ولم تر شيئا حتى وقع الموت .. ولم يعرض الوالد ـ رحمه الله ـ على الطبيب الشرعي قالوا وفاة طبيعية.. لم يخطر على بالنا القتل تلك الأيام ولم تعش أمي بعده كثيرا .. وماذا ستفعل أمام إحساسك المرعب مع ما قيل وقال عن موته ؟
قال نزيه : كنت أطمع أن أصير مثلهم ثريا من رجال الحكم. صمت لحظات ، وعاد يقول : لا داعي لنبش الماضي ، نكنت معجبا بهم وقوتهم .. صممت أن أعمل كمينا ؛ فإما أن أقتل أو أنجو .
ـ ولماذا لا تذهب إلى الأرجنتين ؟فلك أسرة وتخلص من الخوف من المجهول!
ـ وعريفة ؟
قال : تأخذها معك .
فكر قليلا وقال : هذا ليس حلا عدت لادفن هنا يا أبي !.. عمها كان يرفض الطلاق بشدة ؛ كأنني متزوج ابنته هو .. حتى لا أشجع غيري على فتح هذا الباب بزعمه .. ففرت إليكم تجنبا للمشاكل .. وابني سامي طلق ابنة ابنه إسكندر وصمت.. تشاطر عليّ فقط.
ـ ظرفك كان قبل ثلاثين سنة يا نزيه ! ولا تنسى أنه هو الذي جاءني ليمنع زواجك من ابنة قديس

شريكي رحمه الله وغفر له ..فهو الذي زوجك بنفسه .. على كل ما هو الكمين الذي تفكر فيه؟

قال صافنا : الكمين أن رجلا كما قلت سكن حديثا في البلدة ، ويصلي في مسجدنا ، وشعرت أنه جاء لأمر خفي .. فسألت عنه فقيل سكن من أيام رغم زعمه التدين والفقر والمسكنة .

ـ يستغل الدين للجريمة .

قال : المراقبة فقط ..للأسف مثله كثير .. يستغلون لمثل هذه الأعمال القذرة من التلصص والتجسس.

قال يوسف : ألا ترى أن خوفك وقلقك جعلك تفكر بذلك وتشك في الرجل ؟!

رد نزيه : الكمين سيكشف ذلك .. أراه يتابعني بعينيه في المسجد بحقد ومكر.

الرجل قلق على حياته ، وهو يعلم قوة حقد مطلقته عليه وتهديداتها بقصف حياته أثناء فترة زعلهما الأولى ، عندما كشف مرضها الجنسي ، وتلويحه بالزواج ، لم يتقبلوا الزواج عليها ؛ فكانت أشدهم سخطا وحمقا ا، وقد دمرت أولاده دون شفقة وعطف ، وتذكر كيف أجبروه على الزواج منها ؟ رغم رفض والده للزواج من بناتهم ، وسعى لتزويجه من ابنة صديقه قديس وصمتت أمه أمام ضغطهم ، وحدثته عن المستقبل أمامه بتقوية علاقته بخاليه .

وقال له أبوه مستسلما : تزوج .. أطعهم يا نزيه ! هم أخوالك تزوج كما تزوجت أمك .. نحن أهل وأقارب .

لما كبر عرف معنى هذه الجملة بشكل جيد ، فهجرته أنجته من مضايقتهم وحقدهم وبغضهم لهذا الخوف الذي تجمع في بدنه هرب سرا وخفية خشية الإيذاء البدني والعدوان ، كان يخافهم ومرعوبا منهم ومن تهديداتهم ، لم يعلم أن جده قد يكون مات خنقا وجناية ، الوالد لم يصرح بذلك إلا له ؛ فكان لديه شك كبير باغتيال أبيه ، فالذي يقتل مرة وينجو يفعل ذلك ثانية، بالتأكيد لم يفعل ذلك شاكر أو باكر .. قد يكون والده مخطئا في ظنه ، لكن أحاطت بجده ظروف سيئة جعلت أبي يشك ويظن .. ألم يتعرض هو لإطلاق النار أدت إلى موت المهندس خالد ؟.. الخال لا يقتل بيده ، يقتل بماله ونفوذه .. الشرطة لم تجد أدلة ملموسة على الجريمة ، لا تريد أدلة ظرفية يسهل إنكارها.

لما قرر نزيه العودة لجهالة كلف جعفر بإرسال سيارة مصفحة ضد الرصاص ، ومثل هذه السيارات منتشرة في القارة الجنوبية لسطوة وعنف عصابات المخدرات ، ووصلت بعد مجيئه بزمن يسير ، وأصبح يتنقل بها للمسجد والسوق والأعمال ، ولم يعد يمشي على القدم .. كانت هذه الوسيلة توفر الأمان بعض الأمان .

لما علم بمجيء الرجل للحي حديثا ، وتردده على

مسجد الحي أو المجاور بعد عودته من الشام اشتغل به ، وظنه جاسوسا من قبل أخواله ومطلقته . ولما سئل الرجل عن سبب سكنه البلدة ، ادعى أنه يعمل في مشغل على طرف القرية بينها وبين قرية أخرى ، وهو يعمل في تصليح الآلات المنزلية كالغسالات والمكانس الكهربائية وما شابهها ، والمحل تبين أنه قديم ، وفيه قريب للرجل الغريب ، وتشارك معه من زمن قريب ، فارتبك نزيه لما علم هذه المعلومات ، وكان كثرة اختلاسه النظر إليه شغله وأربكه ، وتبين أنهما قريبان يعملان في نفس الحرفة ، وأنه يعمل بيده كفني ، وأن نظره إليه مجرد فضول ، لما سمع من بعض المصلين أن هذا الرجل كاد أن يقتل على باب المسجد ، وقد قتل شاب بدلا منه ، فهو لا يستطيع قتل نملة، فكيف يقتل إنسانا خفية ويهرب ؟ فلم يبدو لنزيه بعد ذلك أنه عين لأخواله ، كان رجلا بسيطا ، فنزيه يعلم أن لأسرة أخواله علاقات جيدة مع أجهزة الأمن شرطة استخبارات ، فقد عاش بينهم عشرة أعوام ، ورأى قوتهم وعلاقاتهم ،وكيف يحلون مشاكلهم وقضاياهم مع الآخرين ، وكيف كان يعامل في وزارته ، فهو ابن أخت الوزير شاكر ، وحماه باكر ، فهم رجال مال وأعمال ، فكانوا يشكلون قوة اقتصادية في المدينة ، واليوم زادت وكثرت العائلات القوية والأسر الأخرى بزيادة عدد سكان المدينة ، وزادت المنافسات والمصالح بينهم على النفوذ والسوق والمال . كان نزيه يعلم قوتهم ومصاهراتهم وانحلالهم خاصة أبناؤهم وأحفادهم اليوم .. اعتقد نزيه أن خصوماته معهم انتهت بسفره إلى الأرجنتين ، وثانيا بفشل محاولة قتله ، وأصبحوا تحت عين الأمن ، وهو يرى نفسه أنه لا يقل عنهم ذكاء وفطنة ، وقد نجح نجاحا كبيرا في الأرجنتين ؛ ولكن لهم قوة في الأمن .

اختفى رجل المسجد رجل تصليح الآلات المنزلية ، وهل أدرك أن الناس يشكون بأنه عميل لأهل سلام أم أن الرجل شعر بضيق وعيون الناس ترنو إليه ؟ هل نقل إليه أحدهم قلق نزيه منه ؟ ربما .. فكما ظهر فجأة اختفى فجأة ، رحل قبل عمل الكمين ، وترجح لدى نزيه أن لا علاقة له بأخواله ؛ إنما تصادف سكنه برجعته ، وتوقف الكمين الذي كان يفكر بعمله .

وبينما هو في هذه الحيرة والارتباك ، اتصل به ولده ناصر دون إشارات ومقدمات ، وأنه أخذ رقم منزله من شقيقته الصغيرة نداء . وقال بعد التحية والتعريف بشخصه : أعرف أنك أبي .. وأنك هربت من أمي.. فلا داعي للعتب والاعتذار لا منا ولا منك .

وكان الاتصال دون تمهيد ، وطلب منه اللقاء لأمر

خاص ، فرحب نزيه باللقاء الخاص وسعى أن يكون اللقاء في البلدة ، فمن القلق والخوف همس لنفسه : هل هو شريك معهم رغبة بالميراث فهو ضعيف الحال كما فهمت من نداء الغالية ؛ ولكنها تقول إن علاقته بأمه وأهلها في غاية السوء ..كلها مشاحنات ومشاكسات .. وهمس : هل يستدرجونه للمدينة ؟

وكان اللقاء في القرية كما رغب ، وجاء ناصر بسيارة أجرة ، وجلسا في بيت أبيه يوسف وبعد الضيافة ، قال ناصر : أنا لا أزعم حبك .. فقد تعودنا على بعدك وغيبتك .. ولا أزعم الشوق إليك .. أنت بالنسبة لي مجرد أب .. قضى شهوته ممن هي أمي فجاء ناصر.. ولا انكر أفضالك على الإنفاق عليّ وعلى إخوتي وتدريسهم وعلاجي .. ولا أعتب عليك تركنا عند ممن تسمى أمنا .. وليس لي دين وأي مبدأ.. فأخوالي وأخوالك أعداء وخصوم لك .. وكرههم وبغضهم لك انتقل إلينا .. وحقدهم عليك وعلينا .. وربما وسوس لك الشيطان برغبتنا بقتلك من أجل المال ؛ كما لمحت بعض الصحف المجرمة .. صراع عائلي كاد يؤدي بمقتل نزيه يوسف رجل الأعمال القادم من الأرجنتين .. فأنا جئت إليكم رسولا منهم أحمل رسالة .. هم يعلمون أنك أرسلت لهم ضابطا غبيا عاش في وسطهم ؛ ليعرف دورهم في محاولة القتل .. الرجل الشامي الفاشل .. كما يقول خالك شاكر .. هم يرغبون في الصلح وإنهاء الإشكال والقيل والقال.

قال : الصلح ! أي صلح يا ولدي .. هم أعلنوا للبوليس أنهم أبرياء من دم المهندس خالد .. ولا يد لهم في مصرعه ، فهل سيدفعون الدية ؟

قال : لن يدفعوا دية ، ولا يؤمنوا بها .. أنت تعلم يقينا أننا لا دين لنا .. ولن يقروا بجريمة أنكروا فعلها قبل سنوات .. هم يريدون صلحا حتى لا تبقى الجرائد الحاقدة تتكلم في القضية وأن السيد امتلك سيارة مصفحة ناقلة جند يتحرك بها خشية الغدر به .. وهربك القديم والجديد.. يريدون فتح صفحة بيضاء .. لكم دينكم ولي دين .. أدركوا أن أمرهم مكشوف .. وأنك لو قتلت سيتهمون بدمك .. وأنك ربما تفكر بالانتقام .. ومن هي أمي كما تزعم فهي على وشك النهاية .. فيها علل كثيرة سوى أمراض الزمن.. أمراض الكحول والفحش .. فهي بعدك أصبحت عشيقة كل الرجال .. تنتقم منك بفعل القبح والفحش لا أدري كيف هذا الانتقام ؟! لا يمر علينا يوم ، ولا يدخل طبيب المنزل لمعاينتها وكتب روشته طبية ، ويعيب على وصفات من سبقه .

تنهد نزيه أسفا وقال بكره بين : هي لا تعرف شرفا ولا عفة.. همها القمار والتبرج والسفور وبعض

المخدرات .
قال : أنت أعرف بها منا .
فقال : وكيف يكون الصلح يا ناصر الذي سمحت لنفسك أن تكون فيه رسولا ووسيطا ؟ !
ومن يكفله ؟ ودم القتيل غيلة ...
قال ببرود : إن الإجابات والقصة القديمة لا أعرف عنها شيئا واضحا .. أنت كما علمنا شككت في جدي باكر وشاكر .. وأنا شككت في أمي التي كانت زوجة لك .. نفت أي علاقة لها في الجريمة .. وإنك بعيد عنها من عهد بعيد .. فلماذا تقتل اليوم ؟ .. وكما أحبتك شابا كرهتك وبغضتك كهلا وشيخا .
تنهد ثانية وقال : اذا لم يكونوا هم من يكون يا ناصر ؟ كيف الصلح ؟ ومع من ؟
قال : مع جدي الذي كلفني باللقاء بك وشقيقه اللعين .. آه كم أكرههم !.. أنا لا أحبهم .. ولكني اليوم عالة عليهم .
قال : أبهم قوة ومورة ؟
قال : بيتنا ميت ، وهما ميتان ؛ لكن عقلهما ما زال يمكر .. عقل مجرم .. ما زالا يديران الأعمال والمال ويسيطران على كل أفراد الأسر .
ـ وأنت ألم تفكر بالعودة للدين والحياة الهادئة والزواج ؟
قال : حياتي هادئة إلا اذا اعتبرت الشراب والبغاء ضد الحياة الهادئة.
قال بشفقة واضحة : الشراب الذي احترفته هو الذي حطمك.. ألم يكن هو سبب ما حل بك وبأمك كما قلت قبل دقائق ؟ .. والبغاء يجعل من الرجل حيوانا فحسب يتنقل من نعجة إلى أخرى .. الحيوان الذكر وظيفته النزو على الإناث والطعام .. الحياة في هذه البلدة هادئة جدا يا ناصر .. أنت ماذا تعمل اليوم؟ قالت نداء : إنك لا تعمل منذ الشلل الجزئي الذي أصابك ، وتعتمد على جيب أمك ، وكلفت أحدهم بالشغل في محطة التصليح ، وإنك لا تستفيد منها شيئا ؛ إنما وسيلة للخروج من البيت، وإنك تشتغل كباقي الناس .
قال : جيب أمي ممتلئة ! أليست هي التي علمتني الشراب والنساء؟ .. أمي جيبها كان ينفق بإسراف وجنون على مجونها ومكياجها وسفورها.. أنا أتاجر بالسيارات المستعملة أيضا .
قال : ارحل هنا ، وسأعمل لك أحسن مصلحة ، وراتب شهري ، ونجد لك زوجة.
قال : أعلم أنك رجل طيب وسخي وثري .. ماذا أقول لعم مارينا العجوز ؟
ـ دم الميت القتيل لم يبرد.. ماذا قالوا بخصوصه ؟
ـ اذا صح ظنك لن يعترفوا بالفاعل والمدبر يا سيد نزيه!
قال : يا ولدي الدم في رقبتنا .. أنا صحيح قدمت

للأرملة ووالديه مالا .. وهم يعلمون أن المقصود بالاغتيال نزيه .

قال : ماذا أقول لهم ؟

ـ أين اللقاء؟

قال : أنت أين تحب؟

قال باسما : هنا .. أتراهم يقبلون ؟

قال : ولم لا يقبلون ؟! هي بلدهم ، وما زال لهم أملاك فيها .

قال : رتب الأمر .. فأنا ليس لي عدو سواهم.. أنا ظننت أن حقدهم همد وبرد منذ مغادرتي أرض سلام .

قال بحقد وغيظ : هؤلاء عيلة لا ينام حقدهم وبغضهم إلا بزوال الخصم .. تعودوا على الظلم وسحق خصومهم .. فرغم كبر سنهم عندما تذكر أمامهم يفقدوا الصواب .. ويندهش السامعون لشماتتهم وبغضهم ، وأولادهم أسوا منهم حتى الأحفاد ورثوا كبرهم وحسدهم .. نحن من عاش في حضنهم .. قضيت عمري في النزاع والشتائم معهم ؛ لكنهم أقاربنا وأخوالنا إنهم في ضيق .. يبدو أن الشرطة لما عدت حذرتهم من المساس بك.. فالشك منطقا متجه إليهم واليوم شقيقك إبراهيم عمي رجل كبير في الدولة .. وكذلك ابنه القاضي أيضا .. فاللعب ليس لصالحهم .. فلذلك يريدان أن يظهر الصلح أمام الناس ، وتكتب عنه الصحف .

ـ التقيت بعمك؟

ـ مرات بسبب الكثير من القضايا المالية والأخلاقية .. وساعدني في قضية مالية ، ودفع أتعاب المحامي.

***

ذهب نزيه وشقيقه الأكبر إبراهيم وابن أبيهم نزار وثلاثة من أبناء عمومتهم إلى فندق ذي نجوم خمسة في مدينة سلام في قلب المدينة الزاهرة للقاء أخوالهم لإجراء مصالحة تاريخية وعهد بينهم ليعيش الكل في سلام . حضر من الفريق الثاني باكر وشاكر وابن لهم وبعض الأحفاد ، وكانت امرأة كبيرة بينهم هي سكرتيرة قديمة للسيد شاكر كان اللقاء في صالة من صالات الطعام في الفندق ، والتفوا حول طاولة كبيرة أعدت للقاء ـ فهذا الفندق ملك لهما ـ فبعد الترحيب والتذكير بالقرابة والخؤولة قال شاكر : نحن بيننا صلة قرابة تجمعنا .. وأمكم يا حضرة القاضي أختنا وابنة أبينا ـ رحمهم الله ـ وبيننا مصاهرات قديمة وحديثة .. وسامي ابن أخيك تزوج ابنة ابني ؛ كما تزوج أخوك ابنة أخي .. ونحن قبل ذلك أبناء قرية واحدة ، وهي بلدتنا ، وإن تركناها .. ولم يبق لنا فيها الكثير من الأملاك والأراضي.. ونحن هجرناها بداية شبابنا.. وكانت بلدة صغيرة ..

فطاب لوالدنا العيش في المدينة لخدمته في الجيش ، ووصل لرتبة عالية كما تعلمون ، ثم رحلت بعد استقراره في المدينة باقي أفراد الأسرة كلها .. أقصد فرعنا نحن .. والله أعطانا .. وصرنا على ما نحن فيه .. ولا داعي للخوض في تفاصيله.. ووفقنا في التجارة والصناعة بعد بيع الكثير من أملاكنا في القرية .. وقدر لنا الوصول لمنازل مهمة في الدولة .. وتزوجت أختنا من أبيكم الشيخ يوسف.. فنحن أخوالكم رغم أنوفكم ..ولم نكن نقصر في مساعدتكم بالتعلم والعمل في المدينة إلى أن جاء السيد نزيه المدينة وتعمقت علاقتنا به على غير ميعاد .. وهو ابن أختنا ، وكان محبا لنا ومعجبا ومتعاونا ، ولم ينتقد طباعنا وعاداتنا التي تختلف عن طباع وعادات القرية .. وكان بينه وبين ابنة أخي استلطاف منذ حل في منازلنا ، وأحبه باكر ورآه مناسبا ومقبولا لابنته .. لا نريد أن نقول حبا وغراما .. وهو يومها كان شابا ذكيا .. وكنا نرى له مستقبلا واعدا في الدولة والوظيفة العمومية ..وبمساعدتنا قلنا سيصل لهدفه .. فرأينا أن نزوجهما لامتداد الصلة بيننا وبين أختنا وبين عائلتكم .. ولم يعترض.. ولما هم والدكم يوسف بتزويجه اضطررت للضغط عليه وتزويجه من مارينا لما بينهم من استلطاف وحضوره بعض حفلاتنا ، وقبوله دعواتها وسهراتها ، واعتذر أبوكم من صديقه في القرية ، وتزوج نزيه من مارينا ، وعاشوا في انسجام ووظيفة جيدة ، وكما هو معروف رواتب الحكومة ليست كرواتب المؤسسات الخاصة .. ونحن كن نرسم له مستقبلا مهما مع تقدم العمر ابن أختنا وزوج ابنة أخي ..هذا كله تعرفونه أيها السادة ، ثم حدث بعد ولادة صغرى بنات مارينا باكر مرضا عجزت على إثره مارينا من الولادة مع أن أربعة مواليد كفاية في مثل هذا الزمن.. والأخطر المرض الجنسي وصعوبة الممارسة الجنسية كما تعلمون ..ولم يفلح العلاج وعانى نزيه .. وهو نظيف لم ير بجواز الاتصال بالنساء عن غير الزواج كما يفعل غيره .. فأخذ يفكر مبكرا بالزواج على مارينا .. وكانت مارينا ترفض بشدة .. وكذلك والدها وأنا .. فهذا أمر محذوف في قانوننا .. فرأى الطلاق ، وهذا رفضناه ذاك الزمن ؛ لأنه إساءة لنا قبل مارينا .. فمنذ رحلنا للمدينة حرمنا التعدد والطلاق .. ونزيه يعلم هذه المبادئ لمعايشته معنا .. وصبر قليلا .. ثم هرب إلى الأرجنتين كما خبرنا بعد حين .. وخف نزيف الدم عن مارينا ، لم تتعافى تماما رغم إرسالها للعلاج في فرنسا .. صحيح نحن قمنا بتهديده وتخويفه من الزواج عليها . . ومنعه من الطلاق ، ورغبناه عندما هاجر للقرية أن يعود لها ولأولاده الأطفال ؛ لكنه فضل الهرب ، ثم علمنا

بزواجه ، ولم تصل ورقة الطلاق ، فتركنا الأمر .. وظلت مارينا في نظرنا زوجة زوجها مهاجر .. وهذا موجود في واقع الناس .. ولما عاد كما تعلمون أول فعل فعله أشهر طلاقه زاعما أنه طلقها في الأرجنتين حتى تسمح له المحكمة بالزواج ؛ ليتزوج من جديد .. وتعرض كما يقال لمحاولة اغتيال .. وشكت الشرطة بأننا وراءها حتى سألتنا الشرطة على استحياء .. وبيّنّا لهم بعدنا عن الجريمة ..وصدقونا ؛ لأنه ليس لديهم شاهد أو دليل .. مجرد شك .. ولكن هناك جريمة .. هناك رجل محترم قتل .. فاتهام نزيه مجرد وهم .. والشرطة كما طلبت أنا منهم أن يتحروا جيدا .. فهناك ضحية .. ثم هرب أخوكم للشام ، وأرسل لنا محققا ساذجا وأحمق .. أراد أن يعمل هولمز علينا .. ومكث شهورا بيننا .. ويبدو أنه اقتنع ببعدنا عن الحادث الإجرامي .. رغم شدتنا في التعامل مع من يعمل معنا ويخدعنا .. ويبدو أن الشرطي الخاص اقنعه ببراءتنا من دم الرجل .

صاح نزيه : من قتله ؟.. هل انتحر ؟ أليس هناك قاتل ؟ .. رصاص أطلق علينا يا أبا سليم .. لماذا قتل ؟

قال شاكر بحدة : قتل نعم قتل ! هل يعني هذا أننا نحن قتلناه؟! اصمت والزم الصمت .. رغم سني ما زلت قويا ، وما زلت خالك.. نحن لم نقتله .. ولماذا نقتل؟! سألت نفسك .. وما الفائدة من قتلتك؟ .. لن نرث درهما منك .. لا نحن ، ولا مارينا .. الشك في أولادك أولى .. قد يستفيدون من موتك مع أنهم ليسوا في حاجة لمالك .. فسامي محامي كبير اليوم كما يعلم إبراهيم وميساء ناجحة ولها عمر في الإذاعة الوطنية .. وقد ارتكب سامي جرما كبيرا في نظرنا وطلق ابنة ابني ولم نقتله يا إبراهيم !

قال إبراهيم : العفو يا خالي ! المشكلة والقضية أن هناك قتيلا .. جريمة لم تكشف خيوطها .. ولم نعرف فاعلها .. هناك قاتل مجهول للعدالة .

قال الخال : ستصل الشرطة يوما ما إلى قاتله .. سمعنا عن جرائم في بلاد متقدمة كأمريكا وكندا بعد عشرات السنين عرفوا القاتل .. نحن نريد الصلح ليس ؛ لأننا قتلة .. نريد الصلح لنخلص نحن وأنتم من غمز الصحف ورجال الصحافة والأحزاب .. ونحن نقترب من الموت فنتعاهد على طي صفحات الماضي والهرب والجريمة .. فرأيت هذا الاجتماع ، وأننا أهل وأقارب وأبناء بلدة واحدة يا إبراهيم الغالي.. فأنت فخر لنا جميعنا ، ليس لنزيه ويوسف فحسب .. فأنت ابن أختنا .. ونتعهد بالاعتذار علنا ؛ لينشر في الصحف أنه لا شيء بيننا ، وكل في بيته .. وبالنسبة

لأهل المهندس القتيل سنقدم معونة ، وليست دية لوالديه وزوجته وابنه وابنته إلى أن يكشف المجرم

قال إبراهيم : ومن يضمن هذا الصلح يا خال ؟ ولا يتعرض شقيقنا نزيه للقتل

قال شاكر : كل الموجودين هنا

حينئذ انطلقت رصاصة استقرت في صدر شاكر ، وكانت امرأة تقف بالباب

فصاح باكر : ويحك يا مارينا قتلت عمك!

قال العم : إذن أنت المجرمة التي سعت لقتل نزيه!

كان أمن الفندق قريبا من مارينا فطرحها أرضا قبل أن تطلق الرصاص ثانية

قال باكر : لعنة الله عليك أنت المجرمة إذن ! لماذا ؟!

ردت بحقد وغضب : دعوني .. لماذا ؟.. أنت تسألني لماذا ؟كان يجب أن يموت نزيه .. صبرت سنوات وسنوات .. كنت في أفكر بقتله قبل سفره وهربه .. وكأنه شعر بذلك .. وهرب للقرية وسافر خفية .. كان حقدي كبيرا عليه .. جعلني حقيرة لكل الأقارب والصديقات .. أنا تعلمت الرماية في نادي الرماية.. فلما عاد تجدد الحقد في هذا القلب الميت .. لقد جعلني هربه عاهرة تنام في حضن من هب ودب .. صرت في نظرهم امرأة ميتة لا تصلح أن تكون امرأة .. كل من نام معي رفض أن يكرر التجربة .. هو السبب جرح كبريائي بهجري ؛ كأنني امرأة عجوز .

القرية

لما انتهى التحقيق مع نزيه رجع للقرية في سيارته المصفحة ، وقد انتشر خبر حادث الفندق في الأخبار المرئية ومواقع الشبكات والإنترنت والصحف المسائية . استقبلت الأسرة نزيه ونزار الذي رافقهم للقرية ، وكان من ضمن المستقبلين الشيخ الكبير يوسف ، والشيخ عبد الله إمام المسجد المتقاعد ، وظل نزيلا في البلدة حيث تزوج امرأة منها ، واستقر فيها ؛ حيث أن زوجته توفيت قبل التقاعد بأيام .

هنأ الحاضرون نزيها على نجاته مرة أخرى ، ولما سئل عن إصابة خاله أجاب بأن الوضع حرج فقد استقرت الرصاصة الوحيدة في وسط الصدر ؛ ولكنها بعيدة عن القلب .

وأعلن أنه سيقيم وليمة لأهل القرية شكرا لله على نجاته من الغدر مرة ثانية ، ولانتهاء الغمة ، وزوال الخطر .

قال الشيخ عبد الله : الحمد لله على السلامة ، لم تكن مفاجأة كبيرة لك أنها طليقتك .. هل لها شريك في الجريمة الأولى ؟

قال مجيبا : تزعم أنها قامت بالفعل وحدها ، حضرت مرات متخفية للقرية ؛ حيث راقبتني ، وعرفت ترتيب حضوري لصلاة الفجر ، وفعلت

فعلتها الجنونية ويبدو أن الشرطة لم يصدقوا كلامها ، ويعتقدون أن معها رجل ، لأن من عادتي الانصراف معك ومع أبي فور انتهاء الأذكار دبر الصلاة ونفترق قرب بيت وعمارة الوالد .. فكيف عرفت أنني سأقف أمام المسجد ؟! وذكرت أنها كانت تحضر مرتين للمنطقة عند الصباح ؛ لعلها تصدفني وحيدا خارجا من المسجد ..وجاءت الفرصة بأسرع مما توقعت .. وعندما أطلقت الرصاص تحرك الشاب فأصيب وأسرعت بالفرار ، وعادت لبيتها ؛كأن لم تفعل شيئا ، والأولاد لاحظوا في الشهر الأخير قبل القتل خروجها المتكرر ليلا ، فظنوا أنها تذهب إلى عشاقها للسهر والسكر إنما كانت تذهب إلى أحد الفنادق وقبل الفجر تأتي جمالة.

قال يوسف : هذه مجرمة كبيرة!

قال الشيخ المتقاعد : فكر شيطاني ! لعلها تقرأ أو تحضر أفلام ومسلسلات الشرطة فخططت ونفذت .

قضى القوم حتى الفجر يرحبون بالجيران والضيوف ، كلهم أقبلوا لتهنئة نزيه على نجاته ، والقبض على قاتلة المهندس خالد ، ولما ارتفع الآذان الكثير منهم انتقل للصلاة في مساجد البلدة.

أولم السيد نزيه وليمة كبيرة لأهل البلدة ، ودعا إليها كل من رغب حتى أنه دعا إليها عمادا وسليما ونعيما زملاء الجامعة ، وعلى رأسهم ابن عمه رافع. كان اللقاء ممتعا وحدثا لا ينسى في جمالة ، وكان نزيه يقول لنداء : لا تحزني يا أم محمد على إجرام أمك.. فهي لم تحاول قتلي فحسب ، فقد قتلت إخوتك الثلاثة من شدة غلها عليّ .. كنت أراها مجنونة عندما نتشاجر ونتنازع عند مرضها .. قضيت أياما فعلا عصيبة .. كانت تهددني بالسكين أكثر مرة .. كنت أهرب للقرية خشية أن تنفذ تهديدها .. كنت أنام في غرفة وحدي مغلقا الباب بالمفتاح .. لا أكل من طعامها اذا طهت .. عشت معها في رعب .. لا أحس بالراحة والأمن إلا في هذه القرية وأترك المدينة .. أنا قادر على ضربها وإيذائها ؛ لكن نفسي لا تطاوعني تعودنا على احترام النساء .. وأعلم سطوة والدها وخالي شاكر لو آذيتها .. فكان الهرب .. ولما عدت يا بنيتي حاولت قتلي كما تعلمين ؛ لكن لم يشأ الله ذلك وكررت ذلك أمام أهلها .. المهم أن أموت قبلها فآذت عمها ، لم أمت كما رغبت .. حقدها كحقد بعير .. فلا أحب أن تحزني كثيرا يا نداء

كان سليم زميل نزيه في كلية التجارة قد حضر الوليمة التي دعاه إليها نزيه بصحبة ابنه خالد ـ وهو طبيب عيون في مستشفى خاص ـ والسيد سليم أكمل الدراسات العليا وحصل شهادة

الدكتوراه ، وقد عمل أول أمره محاسبا في بنك ، وهو اليوم مدير عدة شركات ـ مجموعة من الشركات ـ واستمرت علاقته بنزيه ورافع ونعيم أشرف وعماد ونعيم محمد حتى اليوم وحتى ونزيه في الأرجنتين ، كانت بينهم مخاطبات ، تناول سليم الطعام وغادر عائدا للمدينة .

أما عماد فأصر الشيخ عبد الله على بقائه هو وزوجته في ضيافته ، ورتب لوليمة خاصة في بيته دعا إليها نزيه والشيخ يوسف والمهندس نزار وزوجاتهم. ولما تناول الضيوف الطعام ، غادر نزار وزوجته وأمه المنزل ، وكان عماد يستعد للعودة للمدينة سلام بعد تقديم شكره الجزيل لقريبه عبد الله محمود . ولما جلسوا يشربون الشاي قال عماد : كبرنا يا نزيه ! والله ألف حمد لله على السلامة .. لقد نجوت بفضل الله.

أجاب : صحيح .. أنا أعرف بغضها من ذاك الوقت .. وأبي يعرف ذلك .. لذلك فضلت الهجرة مرغما ؛ ولكنه قدري .

واختلط الكلام ، وتحدثوا في السياسة ـ الموضوع الذي يستهوي عبدالله وعماد ـ حتى قال نزيه : ما أخبار الحزب ؟ منذ ظهرت الحركات الجهادية وحبها للعنف خفت صوتكم.

فال عماد : قبل الحديث عن حزبنا يا أبا ناصر .. لي صديق صحفي يرغب بسماع سيرتك وسيرة مطلقتك ونشرها .. فكر بذلك .. أما حزبنا فما زال قائما ، ويصدر بياناته ؛ ربما صار عددنا قريبا من المليون على مستوى العالم .. وما زلنا نسعى للخلافة ، وليس على طريقة القاعدة وغيرها من الحركات الجهادية ، ولابد من ظهورها قريبا كما أخبر النبي ﷺ في أحاديث ثابتة كما يقول الألباني في بعض كتبه صح يا عبدالله !

قال الشيخ مجيبا ومتذكرا : هناك أخبار نبوية بذلك منها قول الرسول : قال يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك . ورد هذا الخبر في كتاب سنن الإمام أبي داود وهو كتاب يعمل به أهل السنة والجماعة

قال الشيخ يوسف : كتاب معروف ومعتمد عندنا .. وفيه يا شيخ عبد الله أكثر من خمسة آلاف حديث .

ـ صحيح يا أبا إبراهيم .. وفي كتاب الإمام المبجل أحمد بن حنبل حديث آخر يخبر النبي ﷺ الأمة عن الخلافة الراشدة في آخر الزمان قال: تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن

تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة. ثم سكت .

قال عماد : ولن تنسوا حديث فتح رومية كما فتحت القسطنطينية .

قال نزيه متعجبا من البشارة : يا الهي الإسلام يحكم روما!

قال يوسف : ألم يحكم هذه البلاد ويستقر فيها ليس على الله شيء بعزيز؟

قال الشيخ: نعم ليس على الله شيء بعزيز .. يرونه بعيدا ونراه قريبا.

انتهت الحكاية بحمد الله

قصة اجتماعية

عرض زواج ٢

جلسة عائلية

لما رجع فريد ليلا من العاصمة إلى توتة وقبل أن يدخل إلى غرفته الخاصة في فيلا والده - فهو بعدما طلق اجر شقته، ورحل للسكن مع والده ؛ كما كان قبل الزواج ؛ وذلك طلبا ورغبة من أبيه ومن زوجته أم حاتم السيدة عزيزة عبد الرحيم ؛ ليساعدها في تعليم الأولاد فوافق وقبل العرض ، أما غسان فهو قبل أن يتزوج يسكن في شقة صغيرة خاصة به مستأجرة ؛ لأنه يمارس الزنا ويسكر ، فطلب منه والده أن يستقل بحياته وسلوكه فاستقل عن الأسرة - توجه إلى غرفة الجلوس ؛ حيث يجلس الوالد وزواره ، وسلم على الجميع ، ثم جلس فقالت أم حاتم : أترغب في العشاء ؟

- شكرا أم حاتم ! كنت في العاصمة وتناولت الغداء متأخرا مع رفاق الجامعة ، فقد دعوني من أيام للقاء .. وهم يسلمون عليكم يا أبي !

فقال أمين : هل بينهم عبد ؟

قال : عصام ومالك وعبد الحليم .

- أما زال يتكلم في السياسة والأخبار ؟

ضحك فريد وأجاب : من شب على شيء شاب عليه

قالت مداعبة : ما زلتم شبابا في مقتبل العمر لم يغزكم البياض والشيب

قال فريد : هو يعتبر أن السياسة هي الحياة .. والذي لا يتكلمها ميتا غير حي .. ويزعم أن سبب ضعف الشعوب واستعبادها هجرها للسياسة فساسهم الأنذال .. ميت يمشي على الأرض

قالت : ميت يمشي على الأرض ! كيف هذا ؟!

قال أمين ضاحكا : يعني أن الناس مجرد أحياء يأكلون ويشربون وينامون فحسب .. مثل الحيوان اكل شرب نام .. السياسة والأخبار والأحوال هي الحياة .. ما أخبارهم ؟

فريد : كلهم بخير .. وسبب اللقاء حكاية الزواج

والسفر .. يرغبون بالتفاصيل والحقيقة ويرغبونني بالزواج من جديد ومن بنات البلد .

قال : جيد ! اتصل الوالد ، ويسلم ، ويرغب برؤيتكم من جديد .. اتصل معنا ها هنا تحدث مع أم حاتم

قال : هل جد جديد ؟

قال الوالد : لم يقل لها شيئا ؛ ولكن هذا الظاهر .. تحدث معه ، فقال لها لما يعود للبيت ليتصل بي فاتصلت به أنا لما عدت .. فقال ، لما التقي بهما يقولان لك .. فقلت له ظهر عمار فقال مجبرا ظهر كان في رحلة عمل خارج نيويورك ، ولا اعرف ما يعمل هناك هذا الابن .

ـ أخبرتم غسان ؟

قال : اتصلت زوجة أبيك أم حاتم به فقال : رغم أني نسيت الموضوع والأمر ؛ لكن سأذهب ونرى آخر أخبار العم والجد .. ظننت أن القصة انتهت .

قال :حسنا يا جماعة ! سأتكلم معه بعد قليل ؛ لعله ما زال مستيقظا .

قال أمين مفكرا بعادات أبيه : يتأخر عادة في النوم .. ربما ينام أو يغفو قليلا ثم يصحو طول الليل .. هكذا الكبار المسنون .. فاذهب واستريح لابد أنك متعب من طول الطريق .. وسلم على الرفاق عندما تتحدث معهم أو يتحدثوا معك .. فالسياسة عندي شغلة المفاليس .. الوزير راح الوزير جاء .. الذهب نزل الذهب ارتفع .. أمريكا عملت .. السوفييت عملوا ..بالمختصر المفيد نحن كباش صراعاتهم وجنونهم .. كان مسليا زميلك عبد اكثر من عصام ومالك

عقب فريد : الحياة كلها تسلية ! ولادة زواج طلاق ترمل موت حياة .. مشاكل لا تنتهي .. تصبحون على خير

قالت : وأنت من أهل الخير .. الحمد لله على سلامتك .. كان أخي إبراهيم يرغب بالحديث معك

قال باستغراب بدا على وجهه : إبراهيم أبو احمد ماذا يريد ؟!

ضحكت وقالت : مثل جدك لم يفصح .. هل بينكم موضوع؟

فكر للحظات ثم رد : إبراهيم.. لي شهر أو اكثر لم أره أو اسمع صوته، حتى هنا قلّ مجيئه

فسرت قائلة : مشغول في العمارة .. عقبال عندك حوار في المدرسة

كان فريد في غرفة المعلمين يشرب الشاي ومعه عزام خازن وأستاذ التربية الدينية فاروق السيد وكان الحديث بينهم عن زواج فريد والغربة وخطرها على الشباب المسلم ، فقال فاروق : حدثني زميلنا العزيز عزام عن قصة زواجك من

ابنة عمك المولودة في كندا ، ونيتك بالهجرة وترك الوطن لوطن آخر .. فمن حبي لك يا فريد أنصحك بالبقاء بيننا .. فأنت أخ عزيز على قلوبنا ، ولنا سنوات نعمل سوية ، فالغرب ليس كما يلمع لنا .. ستخسر نفسك ودينك أو الكثير منه مع الأيام .. ولي أقارب حدث لهم ما حدث لعمك من الذوبان في مستنقع الغرب والجهل والإباحية .. ستموت الغيرة عندك ؛ كما ضعفت وماتت عند غيرك ..في تلك البلاد لا تستطيع ردع زوجة ولا ابنة ولا ابن عن الفواحش والمنكرات .. مهما كثر المال فلا يغني عن الكرامة والشرف والعرض .. والزواج متيسر هنا وافضل .. والأخ أبو أنس قال لي إنه مستعد للمساعدة في زواج أخته منك اذا كان المقصد النكاح فقط .. ولا أقول هذا الكلام لترغيبك بأختنا أخت عزام .. فالبنات كثر هذه السنوات بسبب ارتفاع نسبة التعليم بينهنّ وتشجيعهن على الشغل فأصبحنا نلاحظ تأخر زواجهنّ .. فزواجك من أجنبية لا تدري لماذا تركها زوجها بشكل حقيقي وواضح ؟! .. كلنا نزعل ونتنازع مع نسائنا وأخواتنا وحتى أمهاتنا .. أنا افضل من باب الأخوة أن تفكر بعمق بالعواقب .. فأنا من انصار عدم ترك البلاد لأجل الدولار والعيون الزرق .

قال فريد مذكرا : إنها قريبة لي ومحسوبة على العيلة .. نصها عربي ومن العظم كما يقال

قال فاروق : صحيح ! أنا أقصد البيئة ..فهي أكيد تحمل عادات وطباع كندا ، ولا اعتقد أنها تحمل عادات المسلمين وطقوسهم .. فالقاعدة تقول فاقد الشيء لا يعطيه.. ففهمت من عزام أن شقيق أبيك هاجر بدون علم شرعي وشهادة .. فالكثير لا يرتاح مع نساء الغرب.. وسيتنازل عن الكثير من أخلاقه من اجل عادات وأفكار الغرب .. أعود وأكرر فكر ولا تتلهف على الهجرة والجواز الأمريكي .. وليست السعادة ببلادهم .. فالسعادة يا صديقي بالإيمان وراحة البال ومع الأهل ومع الصالحين

ـ أنا لم أسع لهذا المطلب .. هو جاءني كما يقال .. عمنا راغب بتزويج بناته من أقاربه ، وهنّ راغبات بذلك .. وعلى كل حال لم يحدث شيء ؛ كما أخبرت عزاما .. هو عرض لم نعرف نهايته بعد .. والأمر لله يا أبا يوسف شكرا على نصحك وغيرتك

قال عزام : كفيت ووفيت يا أبا يوسف .. وأنا تحدثت عن شقيقتي لفريد لعمق الصداقة بيننا ولمعرفتنا الفساد الكبير في تلك البلاد .. ولا يعني هذا أن بلادنا لا يوجد فيها فساد .. فالفساد نسبي كما تعلمون ؛ لأننا بشر ولسنا ملائكة .. وأنا أجدد القول عن محبتي لك يا فريد ! أحببت أن تسمع

نصيحة من الشيخ فاروق .
قال فريد : بارك الله فيكم .. والله يختار لي الأحسن .. وأشكركم شكرا جزيلا .. وأنا افكر بجد بزواجي من أختك يا عزام .. أنا مشكلتي كما تعلمون .. لم ارغب بالخلفة السريعة من مطلقتي بنت صديق أبي ؛ وليس بالطبع كرها بالأطفال .. رغبت بالتمهل حتى أتأكد أن الزواج سيستقر ولا يهتز من صدمات الحياة .
قال فاروق : هذه أمرها عند الله يا صديقنا .. يتزوج المرء عشرين سنة أو اكثر ولا يستقر زواجه تحدث مشكلة ويحدث الانفصال .. فهذه أمور غيبية الموت والطلاق والمرض والنكبات عامة

***

استقبل خادم عيسى حفيديه وساقهما مرحبا إلى صالة الاستقبال وأثناء تناولهما الشراب والترحيب قال فريد : علمت من أبينا أن عمنا ظهر .
هزّ رأسه وقال : نعم ، زعم أنه كان في رحلة شغل خارج أمريكا أو خارج ولايته ، ولما تحدثت معه عن موافقتكم على مشاهدة البنات قال غاضبا أو متظاهرا بالغضب إن واحدة منهن التقطت واحدا من الشارع أثناء رحلته أي خلال فترة غيابه ورحلت لتعيش معه .. هؤلاء يعيشون بدون عقود يسمونه بوي فرند .. صديق وصديقة وليس بعقد مدني فبقيت واحدة وتناقش معها فوافقت على الاستمرار بالزواج من أحدكم .
فقال غسان : الحمد لله .. ها هو فريد مستعد للزواج والارتباط !
فصاح فريد : تزوج أنت بنت عمك .. وأنا أتزوج أخت عزام زميلي في المدرسة ، فقد حدثني عنها لما سمع برغبتي بالزواج من جديد
ـ أنا ليس لي رغبة بالسفر لأمريكا فتكفيني قبرص واليونان .
فقال الجد بسخرية وسخط : ما زلت تعاشر البغايا
فرد بجفاء : احسن من الزواج وهمه وغمه والخلفة
قال الجد : لا مثيل للزواج والحلال .. الزواج ليس قضاء وطر فقط .. الزواج مودة وسكن وحب كما قال الله عنه .
ـ مات الحب بخيانة مطلقتي .
قال : يا ابني أنت لم تكن طاهرا ! فقد خنتها مرات ومرات رغم زواجكما .. هي قالت لي ذلك لما سعيت للإصلاح بينكم .. وكان إخبارك بذلك سيئا يا غسان ! .. من منكم يرغب بالسفر لرؤية ابنة عمه ؟
فقال فريد : الأفضل أن يذهب غسان ؛ لعله بالزواج يبتعد عن الفساد .. أنا لديّ عروس
فقال غسان : الأفضل يا جدي أن تبحث عن غيرنا طال الانتظار .. وعمنا يرغب بتزويجها من العائلة ؛ ولس بالضرورة نحن .. لا ارغب بالهجرة ..

ضعف تعلقي بها .

قال عيسى : أنا من رشحكم .. على كل حال فكرا وتشاورا وردا لي قراركم .

فقال فريد: لا داعي للتفكير أنا خلال هذه الفترة عرضت عليّ اكثر من عروس رغم أنني لا أريد النكاح

تبسم الجد مداعبا : وطاقتك أين تصرفها ؟

ضحك فريد : لم تعد لديّ طاقة .. ذهبت بزواجي الأول ؛ لكنهم يقولون لابد من امرأة في البيت .. ولكن بنات اليوم في الوظائف والعمل .. لا يقبعن في البيت ولا يقرن في البيت

تابع الجد سخريته منهما : غسان نفس عن نفسه مع الزناة والدعارة في أوروبا .. الزواج نعمة وفضل.. غدا تحدث معي يا فريد !

فقال غسان وظهر عليه الضيق بينا : حسن يا جدي ! الآن اسمح لنا بالمغادرة .. فالنساء بلى وهم وسم .. أريد .. أريد .. نسوان اليوم لا تشبع من الطلبات والأمراض .. وفي النهاية تجد في بيتك رجل طفران في فراشك .

قال : وهل ذلك يمنع الزواج ؟ ! والأمراض تصيب الناس بدون زواج .. الأطفال يمرضون وهم غير متزوجين

قال بحدة اكثر : وبعد سنة أو اقل من سنة تسمعها تعزف نزل في السوق موديل جديد دعنا نغير طقم الصالون .. نغير غرفة النوم

قال : هكذا السوق.. الموديلات والطرازات تظهر لدفع وترغيب الناس بالشراء والتغيير

دخل الخادم وسلم الرجلان على الجد ، وقادهم جودة إلى بوابة الفيلا وصافحهم ، واغلق البوابة الرئيسية وعاد لخدمة صاحب القصر وهو يقول :

انصرفا يا سيدي !

ـ أين سيدتك ؟

ـ مع التلفزيون

ـ هيا لغرفة التلفزيون

نصيحة أمين

استمع أمين لولديه وما جرى في نيويورك لبنت عمار فقال معقبا : اسمعا نصيحتي مرة أخرى فدعكما من الزواج بالأجنبيات الغربيات ، ودعكما من فكرة الهجرة والجنسية الأمريكية أو الكندية .

فقال فريد : أنا حسمت أمري سأتزوج شقيقة عزام ، ولا داعي لترك الوظيفة .. خلاص الأمر لك يا سيد غسان .. صدق أنني أتكلم من قلبي ؛ وليس إيثار وتضحية .. أنا لما تزوجت قديما أنهيت أي أحلام عن السفر والغرب .

قال غسان : حسنا ! سأفكر بعمق فإذا تكفل عمي أو جدي بمصاريف رحلة لمدة أسبوع أو عشرة أيام سأسافر لمجرد رؤية عمي وابنته ؛ فإذا ارتاحت نفسي للبنت احسم الزواج منها

قال أمين : تفكير سليم مائة بالمائة ! مطلوب المعرفة والنظر .. فهذا زواج على امل أن يدوم.. وأنا قلت رأيي ونصحي .. فتزوج أنت أيضا من بلدك ومن معارفك ودعك من أمريكا وحياة أمريكا فافعل كما فكر فريد .

قال غسان : يقال أن المال هناك بالشوالات .. هنا نعمل ونشتغل دون توفير فلس واحد .. الطايح رايح .. وما نشتغله في النهار نصرفه بالليل ، ولا مجال لتوفير قرش واحد

قال أمين مبينا : اقعد شهرا واحدا بدون سهر وخمر ونسوان ستجد معك مالا كثيرا .. حين تمرض من الكحول والزنا هل تجد مالا للعلاج ؟ تراك تستقرض من هذا ومن ذاك .. غير خطاك وفكرك للفضيلة والبيت المستقر .. أنا لو ساعدتك مرة مرتين ثم اقف .. وهكذا فريد والناس يا ولدي ! أصحا .. أنا عارف أن هذا لا يعجبك ؛ لكن مطلوب منا نصحك وتذكيرك لعل وعسى ألا يصيبك الغيظ .. تب إلى الله .. هناك اذا لم تشتغل باستمرار سترسل لنا ابعثوا لي حق تذكرة

قال معترفا : لقد تعودت على الفسق والخنا

قال الأب بجفاء : أنت تعودت قبل زواجك .. لم أعودك أنا .

قال بانكسار : اعرف! وكيف سأقبل خيانة الخائنة ولو كنت افجر البشر ؟ أنا كنت حسمت امري عند الجد بنسيان الزواج منها .. ولما رأيت فريدا قد حسم أمره ، ومصر على الرفض غيرت قراري وقلت لابد من رحلة قصيرة .. وفهم القصة على ارض الواقع .. رحلة تعارف ومعرفة قبل الإقدام على الزواج الفعلي .

قال فريد : قد لا تكون من أصحاب العيون الزرق

قال أمين: أمريكا .. شغل.. سكن .. ستعيش

قال غسان: لي معارف هاجروا ورحلوا إليها .. بعضهم سعيد .. وبعضهم أشقياء ومتعبون .. تكلم يا فريد مع جدي وبين له أن الاختيار وقع عليّ .. وأن عليهم أجور الرحلة الأولية

ـ غدا بعد العودة من المدرسة سأتصل بجدي أو نذهب إليه سوية في الليل

قال بحسم : اذا رأيت تحمسا لسفري لمدة أيام سأفعل واذهب للسفارة في حي السفارات

قال أمين: أمريكا ليست جنة الله في الأرض.. لا انكر تفوقهم ونفوذهم ؛ ولكنها بلاد كبيرة وواسعة وغنية .. وفيها السعداء والأشقياء والصناعات الكبرى والازدهار والإجرام والمخدرات والأفلام والعلم والثقافة والظلم والقتل وغير ذلك

فقال غسان : كل البلدان فيها العصابات والإجرام والمخدرات والقتل ؛ لكنها بلد الدولار وأنت

اعلم الناس بقيمة وأهمية الدولار .. عملة العالم .. أنا مسافر لست لأكون مليونيرا.. أريد أن اجرب كما يقال .. واذا فشلت فلن اخسر شيئا.. وها هو أخوك له قرن يسكن هناك ولم يحتاج إلينا حسب معلوماتي !

ـ أخي ليس قدوة يا ولدي !

***

حين غادر والده قرب نصف الليل ظنوا أنه منصرف لشقته القريبة من ورشات التصليح إنما هو سار نحو ملهى حيث ينتظره ابن خاله منذر الذي هو على شاكلته في الشراب والفجور واللهو ، وقد قيل قديما الطيور على أشكالها تقع ، بعد السلام وتناول أول كأس قال منذر الذي لم يكن وحيدا كان معه زميلان لهما : حان الرحيل وشد الأحزمة .

قال غسان : أي أحزمة ؟! عصفورة طارت .. التقطها رجل من الشارع على قول أبيها .. وظلت واحدة .. ورست القرعة عليّ .. فريد سيتزوج أخت زميله في المدرسة .. وأنا سأسافر للتعارف أولا اذا تأمن ثمن الرحلة .

منذر : ومن سيدفع عيسى أم أمين ؟

ـ لم ينتخ احد منهم .. فبقي العم أو العروس فهي تعمل بالطب .

علق احد السكارى : آخرتها تتزوج حكيمة !

وعلق الأخر : تتعالج ببلاش .

قال منذر : في أمريكا يا سادة لا يوجد شيء ببلاش ..كله بدولارات .. أنا قلت للشباب الليلة سنحتفل برحيل غسان وسأبحث عن رفيق لقبرص وتركيا واليونان

قال غسان : الله اعلم .. هل عادت ابنة العم ؟

ـ ما زالت حردانة عند عمي .. لماذا تزوجت أنا لا ادري ؟!

قال شاب : أبوك وعمك زوجوك ؛ لعلك تهتم في شغلك؛ ولكنك خيبت أملهم فيك

قال غسان : المشكلة أنهم يعرفونه حق المعرفة

قال الآخر : يا عمي تحدث الزوجات أحيانا للخلاص من البنت.. ظل راجل ولا ظل حيط

فقال منذر : الأمر لغز ! أنا رفضت وغسان بيعرف ؛ لكنهم اجبروني .. وهذه ليست أول حردة ربما تزعل في السنة كل فصل مرة

فقال سكير : تأخذ الأولاد معها

قال منذر : مرات واكثر المرات عند أمي

قال غسان : لماذا لا تتطلقان ؟

ـ سمعت بمثل ذلك ؛ لكن أبي يرفض وينتظر أن اعقل وأصير رجلا يملأ هدومه

قال شاب : ممكن يا عم منذر !

قال منذر متوجها بكلامه لغسان : الخيار وقع عليك .. أنا يعز عليّ فراقك يا ابن عمتي الله

يرحمها رحمة واسعة .

***

اتصل فريد في اليوم التالي بالقصر فاخبر أن جده ذهب للمركز الطبي لعلاج دوري ، فوعد بالاتصال ثانية بعد ساعات ، وكان ذلك بعد العصر مساء ، فلما اطمئن على صحة الجد عيسى فبين له الجد أن هذا خطب دوري ومكرر ، فحدثه فريد بأفكار غسان ورغبته بالسفر لرؤية الفتاة والجلوس معها قبل الزواج ، فوعد الجد بنقل الرسالة لابنه عمار وابنته ، واتفقا على الاتصال من جديد فقال فريد : أنا غالبا وعادة بعد العشاء أكون في البيت ؛ ليس عندي سهرة الليلة اذا حدث شيء اخبرني أو كلم غسان مباشرة ؛ لكنه في الغالب سيكون ليلا في ملهى أو خمارة أو مقهى .

في العادة الجد عندما يحتاج لغسان يتصل به في محله ومكان عمله ، فلا يعرف هاتف غسان البيتي ولم يهتم به ، ونادرا ما احتاجه لتصليح سيارة ، فلشركاته محطات تصليح خاصة بها ، فلم يتمكن عيسى شبشب من الحديث مع عمار إلا بعد يومين أو ثلاث ، ولما تم الاتصال وجد رد عمار غير مشجع وقال : ندفع ثمن رحلة من جيوبنا واذا لم تعجبه أو يعجبها كيف ستعود الأموال والتكاليف ؟! وتابع متعجبا : هذا ما معه مصاريف رحلة ! وهذا كيف سيعيش مع طبيبة ؟!

قال عيسى : كما يعيش البشر .. دع البنت تدفع .

احتج ورفع نبرة صوته فقال : تدفع ! ولماذا تدفع وهي لا تعرفه ؟! رجل ما معه ثمن تذكرة !.. يبدوا أنني تورطت معكم .. أنت اسلفه .

قال مجيبا ومعتذرا :أسلفه .. هو لا يسد .. كم شكى منه أمين ؟ يأخذ ولا يسد يا عمار .. وأنت لما سافرت سافرت على حسابي يا عمار !

قال بسخط : كانت يا عيسى أيام بؤس وفقر تحل بالوطن ..والحل؟!

قال عيسى بصراخ : الحل .. تتزوج رجلا من طرفكم .

قال محاولا تهدئة الوضع : راغبة أن تتزوج من أقاربي وأهلي ومصرة على ذلك .. وحسمنا هذه الإرادة فلنحاول يا ابي !

قال بحدة : اسمع يا عمار .. نحن أقارب .. وأنت ابني .. وفي الحقيقة نحن نجهل بعضنا .. اسمع سأعطيك رقم أخي عطوان .. آمل أن عنده من يملك المال ويسافر إليكم

قال : سأتشاور مع البنت .. أنا كنت راغبا بأولاد أمين .. على كل حال هات رقمه .. واذا وافق على تكاليف رحلته سأنقل لك الأمر .. فسلم على أمين وعماد والبنات وعلى غسان .. قلت لي يعمل ميكانيكي تصليح سيارات .

قال : نعم ، تعلم قديما وتركها وعمل على قيادة

الشاحنات وتزوج امرأة بيروتية ، ثم انفصلا وعاد للعمل في محطة التصليح مع ابن خاله هذه سيرة حياة ابن أخيك .. وكان قد دعس رجلا فدفع كل ما يملك .

قال : اذكر أن أمهما ماتت وهم صغار بعد سفري بشهور

قال الأب : صحيح .. كانت مريضة بعد ولادة فريد وعانت ثم هلكت بسلام رحمها الله

قال : هات الرقم .

بحث عيسى عن رقم شقيقه في دفتر أو سجل الهاتف المنزلي حتى وجده وقرأه على مسمع عمار ووضع السماعة وتنهد وقال للخادم بنكد وضيق : زواج شؤم .. قلة رجال هناك !!

علق الخادم مخففا عنه : هذا الأفضل !

امرأة في المطعم

كان غسان وصديقه منذر يجلسان في مطعم يغلب الجلوس فيه على الأجانب أي غير العرب ولهما عادة بتناول وجبة العشاء فيه بصحبة الخمر وفتيات الليل والفاحشة ، تلك الليلة لاحظ غسان على مائدة قريبة من طاولتهم امرأة متبرجة غاية التبرج بحيث تلفت أنظار رواد المطعم الأوروبي ، ويصحبها رجل بثياب راقية ، بذلة زرقاء وقميص وربطة عنق تلمع ، ورائحة عطرهما تفوح في المكان ؛ وبدآ لغسان ومنذر ؛ كأنهما يحتفلان وحدهما دون ضيوف بعيد ميلاد أو عيد زواج إن كانا زوجين .. وكانت المائدة في رؤية عينيه ، ولاحظ اختلاس المرأة نظراتها المتكررة نحوه فأبدى اهتماما بها ، وهي تفعل مثله ، وإن كانت تتظاهر بالأكل والشراب ، حتى أن منذرا قال : ما بك ؟! استحلتها عيناك .. معها رجل قد يكون زوجها .

قال مفتونا : إنها فاتنة بهذه الملابس المبهرجة ! هي عارية أم لابسة !

رد منذر وهو يحد النظر إليها : تبدو ساترة بدنها ؛ ولكن سيقانها واذرعها دون شيء .. وتضع عطرا يملأ أنوفنا .. تفوق على رائحة الشراب الذي بين أيدينا

قال : هي تنظر إليك أم إليّ !

تبسم منذر وهو يرد بخبث : علينا الاثنان ، حتى زوجها يلاحقنا بطرف عينيه .. هيا كُل قبل أن ندخل في عراك مثل عراك ليلة السبت .. اليوم الشر يملأ الأماكن .

علق غسان : كأنهما أول مرة يحضران إلى هنا إلى مطعم جوني .

بعد أيام كانت المرأة الفاتنة في المطعم وحدها ، والتقطت العيون الشهوانية بعضها ببعض ، فدعاها غسان للجلوس على مائدتها ، ففعلت دون تردد ، وعرف أن الرجل الذي كان في

صحبتها المرة الماضية زوجها ، وأبدت ترحيبا بالتعرف عليهما ، وعلما منها أن زوجها مدير شركة خاصة وأنها تعمل سكرتيرة معه من سنوات ، وعلمت أن غسان ميكانيكي سيارات ، وقريبه يعمل سائقا في شركة كبيرة ويحبان الاستمتاع بشبابهما وحياتهما .

لما خرجا بعد العشاء قال منذر مستغربا : ماذا تفعل بمثل هذا الوقت في مطعم جوني؟

أجابه غسان : هل من رأيناه معها فعلا زوجها يا منذر أم عشيق ؟!

ـ علينا الحذر .. فهذه امرأة لعوب من أول لقاء حدثتنا عن حياتها وعن زوجها

قال : لم نفعل شيئا !

قال منذر : إنها تمهد لفعل شيء .. العيون لها لغة يا ابن عمتي !

ـ وهل هي أول امرأة نلتقي بها يا ابن خالي ؟ في بيروت الجلوس معهن امر طبيعي خاصة قبل سنوات قبل الحروب الدينية .. تراهن يمزحن ويقهقنّ ويرقصنّ معك ، ويرفضن أي علاقة جنسية

قال : نحن في توتة ؛ وليس في عاصمة الطرب والصخب .

***

تلقى فريد هاتفا من أبيه طلب منه الاتصال بجده قائلا : يبدو أن مبادئ غسان رفضت ، فلن يدفع العم فلسا واحدا ولا البنت إلا اذا جاء للزواج دون تردد قد يساعدونه ببعض المال ، أما المشاهدة مجرد الرؤية فلا .

لما انتهى الكلام مع الوالد اتصل بالجد ليتأكد من الرد الحاسم ، فدعاه الجد للقاء جديد بعد صلاة العشاء ، وبالفعل زار قصر الجد ليلا ، ولما استقر بهما المقام قال الجد : عمك المحترم يريد زواج دون تفكير وفور وضع رجليه في أمريكا .. ويرفض دفع أي قرش لمشاهدة أو حتى الزواج فليذهب شقيقك على نفقته ، واذا وافق على الزواج فيتفق مع البنت على التكاليف والمهر والحفلة ، وهي كما قال عمار لا يمكنها الدفع لمجرد الدفع .

فاتصل فريد فورا بغسان من تلفون جده ونقل له التطورات ، فسمعوا غسان يقول بجفاء : انتهى الموضوع بالنسبة إليّ ادفع واستدين ثم اجد أمامي فيلا أو دبا أو لم تعجب بي البنت أنا ما صدقت وخلصت من دية الرجل الذي دعسته .. ربما تكون برميل يا فريد سلم على الجد والجدة وقل شكرا على جهده .. في ميزان حسناته .

فقال فريد للجد وكان قد سمح للجد بسماع الرد : هل انتهى الموضوع الآن ؟

قال الجد : بالنسبة لنا انتهى ، وتوقعت رده هذا .. في المرة الماضية أعطيت رقم هاتف شقيقي عطوان

لعمار، صل لعله يجد عنده من يدفع ويتزوج .. فهو الآخر لديه أحفاد وقد يقبل احدهم بالزواج من بنت عمار والسفر لهذه الغاية

قال فريد :الحمد لله على كل حال .. فهناك لطفي زياد ، فهو مثل غسان مضرب عن الزواج من العربيات .. فهو لم يتزوج لليوم وهو من عمر غسان .

قال عيسى : اعرفه شخصيا .. اشتغل معنا مدة .. وهل هو غير متزوج لليوم ؟

أجاب الأستاذ :خطب مرة ثم فسخ ولا اعلم السبب .. فنحن علاقتنا بهم رسمية مناسبات فرح وحزن .. ولقاءات عابرة سلام ومرحبا .. كل شيء من عند الله .

ـ أكيد .. أكيد .. نحن حاولنا معكم ؛ ولأن عمك ترجاني أن ادبر عريسين لبناته .. والآن حولناه لعطوان وذريته ؛ لعله يجد من يرغب بالهجرة والزواج من نص عربية .. سواء لطفي أم غيره

تنحنح فريد وهمس : هو المغري بالموضوع ليس الزواج بحد ذاته ؛ إنما الهجرة للغرب وجنسية أمريكا ؛ نعم ليس الزواج بحد ذاته .. هناك من يتزوج صوريا ؛ كما نسمع للحصول على الجنسية للولايات المتحدة

قال : سمعت كما سمعت .. زواج شكلي ؛ بل منهم من يدفع شهريا أو مرة واحدة للفتاة التي يتظاهر بأنها زوجته .. تحايل على قانون الجنسية .. فمشكلة العفة والطهارة غير موجودة عند بعض نسائهم .

قال فريد : بل كلهن في الغالب .. من النادر أن تصل بنت لبيت الزواج عذراء .. فمن النادر أن يتزوج الأمريكي بكرا ؛ وكأنهم لا يحبون ذلك .. لا يوجد لديهم عذرية .. على البنت الزنا قبل البلوغ وقبل الزواج والجامعة .. عليها أن تجرب قبل أن تستقر على ذكر واحد .

قال بقرف : حياة جاهلية ! وأنت ما جرى معك بأخت عزام زميل المدرسة .

ضحك فريد وقال : العرض ما زال قائما .. وما زال يضغط عليّ للرضا بها أو حتى من غيرها ولكني حقيقة مرعوب وخائف من الفشل

ـ هل أنت معاق جنسيا ؟

رد بدهشة :معاق جنسيا ! ما يعني هذا المصطلح ؟

ضحك الجد بدوره وقال : يعني أنك غير صالح للمعاشرة الزوجية ، وتتحجج بالخلفة والذرية

أجاب باسما :أنا عشت ثلاث سنوات زواج فقط .. وعمري ما راجعت عيادة إخصاب ونساء

قال : ما دمت صالحا تزوج .. فالزواج نصف الدين

أجاب : أنا لا يوجد عندي النصف الأول

ـ عاجز عن الصلاة !

قال بحيرة : لا ادري !

قال عيسى : أبوك من نعومة أظفاره يصلي ويصوم وقد حججنا معا

ـ اعلم ، وحتى زوجته أم حاتم شيخة

قال : يبدو أنك عامل شيئا خطيرا في مرحلة من حياتك !

قال ضاحكا : لم افعل شيئا استعر منه ، وقد تزوجت ابنة ماهر الصياد كما تعلم

قال الجد : تب إلى الله تعالى يفتح عليك من البركات والخيرات .

لطفي زياد

بعد أسابيع من صرف الاختيار عن غسان لعجزه عن تحمل نفقات الرحلة للغرب ، وبينما كان غسان في مشغله يدخن ويثرثر مع الزبائن توقفت سيارة خاصة أمام الورشة ، فلما التفتوا إليها ظانين أن احدهم قدم لتصليح سيارته ، نزل منها شاب تمطى قليلا ، وخلع نظارة الشمس وتقدم نحوهم باسما ومسلما ومصافحا لهم جميعهم ، فهمس غسان : أهلا لطفي أهلا وسهلا وقال معرفا : قريب لي

ولما انتهى من مصافحة الجميع قال : كيف حالك معلم غسان ؟ كيف الإخوان ؟

ـ أهلا بابن العم .. الحمد لله .. وأنت هل من مشكلة في السيارة ؟

نظر لسيارته الصغيرة ورد : لا ، لا ، المشكلة عندي أنا .

ـ ماذا ؟!

قال لطفي : معذرة يا شباب ! هل ممكن نتكلم في السيارة ؟

ـ خير !!

قال : خير يا معلم !

تعذر الشابان من الشباب ولطارق ، وجلسا في مقعد السيارة الخلفي واشتعلت السجائر وقال لطفي : معذرة جئت اسمع منك موضوع ابنة عمك الأمريكية عمك عمار .. حدثوني عنها عن الزواج منها .. فقد قيل إنها عرضت عليك قبلي .

هزّ غسان رأسه فتابع لطفي : فهمت أنهم يصرون على السفر والزواج منها دون مقدمات .. وعلمت أن عمك عرضها عليك أولا ولماذا رفضت ؟ أتعرفها ؟

ـ ولا عمري شفتها ، لا هي ولا أبوها . وقص عليه القصة من البداية للنهاية

قال لطفي : هكذا سمعت من جدي عطوان .. فقط الفلوس التي فشلت الموضوع ومنعتك من السفر .

ـ هذا المهم في القضية .. المال .. وهو زواج غامض ! أسافر وادفع مالا وأجدها فيلا أو دبا أو

مشوهة أو أي شيء آخر
قال مبررا تقبله الزواج : أنا المهم عندي الجنسية يا رجل ! فالجنسية أهم من المرأة .. لا يوثق بشرف نسائهم رأيتها فرصة لدخول بلاد العم سام .
ـ هل وافقت عليها أنت ؟
قال مجيبا : عرضت عليّ كما عرضت عليك .. رشحوني لذلك الزواج الغامض كما قلت
قال مشجعا : فاذا تهمك الهجرة والجنسية فاقبل .. واذا معك مال كافٍ للسفر اذهب ، وتزوج كما يرغبون .. اذا كان لا يهمك جمال وحسن البنت فقط الجنسية فتوكل على الله .. أنا فلوسي على قد حالي كما تعلم
قال لطفي مقتنعا بظروف غسان : أكيد اعلم واسمع وأعرف ظروفك وأحوالك فنحن من نفس العيلة .. جدك أو أبوك لم يقدما دعما أو حتى عمك
قال بحسرة وأسف :نعم ، أبي رفض من البداية .. من أول يوم .. وجدي لم يبدُ على استعداد لتقديم شيء أو تشجيع .. والعم عمار مثلهما
ـ أنا افكر بالزواج عندما أحط رجلاي هناك كما يرغبون .. فهي تحمل جنسية أمريكا ؛ وذلك سيسهل حصولي عليها .. وهجرتي لبلادهم حلم .. وأنا احلم بالحياة هناك من زمان ، وحاولت اكثر مرة عن طريق السفارة والهجرة العشوائية السنوية ؛ لكن بدون فائدة .. وهذه فرصة جاءت لباب الدار كما يقال
قال بفتور : اذا هذا هدف نبيل فتوكل على الله .. اذا كنت لا تفكر بحسن وأخلاق فتوكل على مولانا
قال مهونا على نفسه من الخيانة الزوجية الشائعة في تلك الديار :اذا لم تعجبني اطلقها بعد التجنس كما فعل زوجها الأول .
تبسم غسان وعلق : دخول البيت ليس مثل الخروج منه .. أنت لست في فيلم هوليوودي
قال باستهتار : ماذا سيفعلون لي ؟ لا املك الكثير لتأخذه مني .
قال مشجعا : على كل حال رحلة موفقة وزواج ممتع ! أنا سبب اعتذاري عجزي المالي؛ وليس بيننا معرفة ؛ ولست متحمسا للجنسية ؛ وفعلت مثلك عن باب السفارة وفشلت وحاولت من لبنان مرة دون فائدة .. رفضت الزواج الفوري .. قلت نتعرف نرى بعضنا .. نتفاهم قبل الاقتران ؛ لأنه غير واضح لي سبب رغبة عمي بتزويجها من العائلة .. قلة عرب هناك .. وهي تزوجت كنديا وطلقها أو انفصل عنها .. كنت سأذهب ضيفا وزائرا .. أنا لا اعرف عمي لأفهم الأمر ؛ لذلك قلت زواج غامض .. ولا اعرف البنت ، ولا سمعت صوتها ؛ لأنها لا تتكلم العربية

ـ تنصحني بها .
قال متعجبا : أنصحك ! أنا مثلك لا اعرفهم .. البنت كما فهمت ترغب بالزواج من عربي من أقارب أبيها بعد فشل زواجها من معارف أو أقارب أمها
قال لطفي : أنا كما قلت لك رغبتي الأقوى في الجنسية أكثر وأهم من الزواج .. شكرا إلى اللقاء
ـ مع السلامة
نزلا من المقعد الخلفي للسيارة وتصافحا وأشار لطفي لشباب المحل مودعا وانتقل لمقعد السائق وانطلق مبتعدا عن الكراج .

***

لطفي زياد قريب غسان وفريد فجديهما أخوان ، وهو ابن ثلاثين سنة ، تزوج فتاة بعد تخرجه من الجامعة ، صاحبها وصادقها أثناء الدراسة ، ثم فسخ الزواج قبل إتمام مراسيم الزواج الشرعية والقانونية ، ويعمل شريكا لأخيه الأكبر في متجر لبيع مواد الإنشاء كأدوات الصرف الصحي والمغاسل والأنابيب وأدوات الكهرباء المنزلية والدهانات والخردوات الخاصة بالإنشاء وهو شريك لأخيه جلال كما سبق آنفا ، فلم يعمل على شهادة الجامعة ، فلما قابل غسان أمين واستمع بوعي لسبب فشله بالزواج من ابنة عمه ، التقى ليلا ابن عمه محمود عليان وصديقهما جبر راعي ، فقد علما بمشروع زواجه من ابنة قريبهم المهاجر من عقود ، فنشطوا لزيارته لفهم القضية ، فجلسوا في غرفة واسعة ، فله شقة كسائر إخوانه في عماره أبيه ، قام بإنشائها على نفقته رويدا رويدا ، وصنع لهما شاي الضيافة والترحيب ، وصبه في الأكواب ، وتحدثوا عن السوق والعمل والأسعار ، فكلهم يعمل في التجارة ، فقال محمود : ماذا حدث بينك وبين غسان ؟ ولماذا تركها ؟
فقال جبر : هل يعرفونها ؟
ضحك لطفي ، وقال محمود: منذ هاجر السيد عمار عيسى لم نره في البلد ولو حتى زيارة .. هو سافر أولا للأرجنتين .. سمعت أبي قال ذلك أمامنا .. نسمع عنه طراطيش كلام وأخبار خاصة حين قتلت زوجته الأولى في الأرجنتين فعرفنا بوجوده ؛ لأن خبرها وصل إلى هنا ، ثم هاجر لكندا برفقة شقيقة امرأته ، ثم تزوجها وولدت له البنتين المعروضات للزواج بعد طلاقهنّ وتركهما لكندا ثم استقر في أمريكا ؛ حيث يعيش لليوم .. وها نحن نعلم إنهنّ تعيشان معه في نيويورك ، أخبار نسمعها من الكبار في مناسبات اجتماعية .
قال لطفي معقبا : هذا ما نعرفه عن ابن عمنا عمار عيسى ، لم يأت الديار ولا مرة ، حتى لما ماتت أمه يقولون لم يحضر البتة ، ولا أتت بناته للتعرف على أقارب أبيهن ، فهو غير متزوج بعد تركه الكندية

أم البنات ، ويعيش في نيويورك عاصمة المال العالمية كما نطق محمود ، ولا أحد سمعته يتحدث عما يشتغل فيها .

قال جبر : وقصة الزواج .

روى لهما لطفي القصة والعرض فقال محمود: المال هو الذي منع غسان من السفر !

قال لطفي : زعم هذا وأنا مصدقه ، وقال لي اليوم ظهرا ادفع واقترض ثم لا تروق لي واجدها فيلا أو ابشع أنثى على وجه الأرض ماذا استفيد ؟ الجنسية التي لن احصل عليها فورا .. المانع المال .. جده لم يتبرع ولا أبوه .. وهو غير متحمس لزوجة من أمريكيا ، ولو ابنة أخ أبيه .. كانت البنتان ترغبان بالزواج من أولاد العم أمين .. ثم وجدت واحدة منهنّ رجلا تعيش معه طبعا بدون عقد .. صديق عشيق .. فهؤلاء يقبلون العيش بدون عقد ودين أو ارتباط ما .. ويفترقان بلا حقوق والتزامات .. واذا ولدت المرأة يمكنها التخلي عنه للجمعيات والملاجئ أو لعائلة تتبناه .

فقال جبر : وأنت ما تقول ؟

قال : أنا احلم بالجنسية الأمريكية .. ومحمود يعلم ذلك الهوس .. وسعيت مرات نحو السفارة دون فائدة ونجاح .. فها هي الفرصة تحضر دون جهد يذكر .. فهي وأبوها تريدان زواجا سريعا دون مصاحبة وتعارف وحب وانتظار .. وأنا احسن الإنجليزية وسأتكلم معهم بالهاتف والقصة أن الجد عيسى تحدث مع شقيقه جدي عليان برغبة عمار بتزويج ابنته من أقاربه وعليان حدث أبي زياد وعرضت البنت عليّ .

قال محمود : وماذا ستعمل هناك؟

رد : أمريكا بلد الشغل كل أنواع الشغل فيها .. كل البلاد فيها شغل لمن يرغب فيه .. بعض من نعرف وسافر إلى أمريكا يعملون في المتاجر الكبيرة في محطات الوقود في النقل وسيارات الأجرة وأنا معي شهادة كلية التجارة

قال جبر مرشدا : لو تزوجت واستقررت هنا لكان افضل لك .. هذه أمريكا بلد الظلم وعدو الأمة العربية والإسلامية

قال بجفاء : العرب عدو بعضهم بعضا .. هل رأيت ولايتين تتصارعان منذ قرن منذ الحرب الأهلية الأمريكية ؟ الحرب ناشبة بين بلداننا .. لا تكاد تنتهي تهدأ في قطر وتنشب في آخر .. منذ أن تركتنا تركيا ونحن نتصارع على حدود سايكس وبيكو

فقال محمود ناصحا :فكر بتأنٍ يا لطفي ! فالغربة مرة ومعقدة .. فهل تظن بنات عمار يعرفن العربية ؟ .. سيضيع أطفالك كما ضاعت بنات عمار .

***

قام زياد وابنه لطفي بزيارة لبيت عمه الحاج عيسى

بشبش ، واستقبلهم الخادم كالمعتاد وأدخلهم لغرفة الجلوس، واخبر السيد بوصولهم ، فلما حضر قاموا يسلمون ويحيون العم وعادوا للجلوس ، واطمئنوا على صحة وأحوال بعضهم البعض ، وبعد قليل قدم لهم الخادم الشاي والماء ، وسألهم عن شقيقه عطوان وصحته ، ووصلوا للحديث عن سبب الزيارة ، فاختصر لهم السيد قصة رغبة عمار بتزويج بناته من أقاربه ، وسعيه مع ابني ابنه أمين واعتذارهم عن السفر للزواج .

فقال زياد : أنا تحدث مع أبي بذلك ، فاقترحت الأمر على لطفي ؛ لأنه الوحيد من أولادي الأعزب لليوم ، وكنت قديما اعلم رغبته بالهجرة ، ففكر في الأمر ، وأبدى استعداده للسفر والحياة هناك

قال عيسى : وهو المطلوب .. ونحن دائما نقول الزواج قسمة ونصيب

قال زياد : لماذا ترغب البنت بالزواج من شخص مجهول لها ولأبيها ؟

قال معللا : مجرد رغبة .. لم يتحدث عمار عن سبب آخر .. الذي فهمته منه أن البنات تزوجن في كندا حيث تعيش أمهن الكندية .. وعمار لم يكن لا دخل في زواجهن وربما حتى أمهنّ .. عندهم يتزوجون بدون ولي ، وبدون أب وشهود .. المهم الذكر والأنثى يتفقان على ذلك .. وهنّ درسن طبيبات أعني متعلمات .. المهم تزوجن حتى بدون علم عمار .. وعلم بزواجهنّ لما انتقلن لأمريكا .. اتصلن به وطلبن منه أن يسمح لهن بالعيش معه في نيويورك أي في شقته فرحب بذلك واشترط عليهن ألا يأتين بعشاقهنّ وأصدقائهن لشقته فوافقن .. وبعد حين جرى بينهم حديث عن زواجهن من أقاربه فرحبن بذلك .. وأخبرني بهذه الرغبة وأن انظر في شباب الأسرة الكبيرة بمن هو راغب بالهجرة والزواج من بناته ، فوقع الاختيار على أبناء أمين الكبار والفاشلين في زواجهم مثلهنّ .. وأثناء الترتيب لمثل هذا الزواج صاحبت ابنته الكبرى اسمها كاترين ذكرا ـ استدرك فقال ـ هي الكبيرة بزمن يسير ، فهن توءمان لكنها الأول ولادة ـ ورحلت عنده حسب تقاليدهم المعاشرة بدون عقد .. والصغرى ظلت مصرة على الزواج من أبناء الأقارب .. هذا فهمته فيما بعد ومن دردشاتنا المتكررة .. فريد انسحب فصديقه في المدرسة يلح عليه بالزواج من أخته .. وغسان يريد رحلة للتعارف قبل عقد الزواج ؛ لأنه ملسوع من قرينته المطلقة ..وهو كما تسمعون يعيش مع بنات الليل هنا وهناك .. وأنت يا لطفي لعلك فكرت جيدا

فرد قائلا : أنا لم أتزوج بعد .. كنت مرة سأتزوج ؛ ولكن حدثت ملابسات وفسخت وتركت

الزواج لليوم .. ولما حدثني السيد الوالد بالموضوع رحبت رغبة في الهجرة حقيقة .. فهجرة وزوجة امر جيد أليس كذلك ؟

قال : الله ييسر أمرك ؛ فاذا لديك المال .. مبارك عليك الهجرة والزواج .. أو نقول جرب لعلك تفلح في بلاد الأمريكان

قال زياد : أنا أشكرك يا عمي ! رغم مرارة الفراق ؛ كلٌ له حياته .. وأنا لا تهمني الهجرة الذي يهمني زواجه .. كلُ الأولاد والبنات الكبار تزوجوا إلا لطفيا

قال : جيد يا زياد ! وأنا حضرت رقم عمار ليتحدث لطفي معه ؛ كما رغبتم. وقدم لهم الرقم على ورقة

قال : شكرا يا عمي ! وسنطلعك على ما يجري إن شاء الله واسمح لنا بالانصراف .

قال عيسى : القهوة في الطريق

ودخل الخادم بصينية القهوة ووزعها عليهم وانصرف .

اتصالات

كان عمار يسكن في منطقة بريتون بتش ، واشتهر بالحي الروسي فيها ، وهو يطل على المحيط الأطلسي، وهو قريب من منهاتن الجزيرة حيث تمثال الحرية الشهير ومركز التجارة العالمي والأضواء المبهرة في ميدان سكوير وحديقة السنتراك ذات الألفي فدان .

ضرب لطفي رقم شقة عمار عيسى في مدينة نيويورك عن طريق مركز الاتصالات الدولي وبعد دقيقة أو تزيد سمع صوتا خشنا يقول : ألو ، نعم

قال : أنا لطفي زياد جدي عطوان بشبش

سمع ضحكة قصيرة وصوت يقول : أنت المرشح للزواج من جاكلين !

قال : نعم ، كيف الحال ؟ العم عمار عيسى

عمار : نعم ، نعم ، أنا عمار عيسى .. أهلا لطفي زياد ..كيف أنت كيف الأهل ؟ أنت اختيار عمي الحاج عطوان بشبش .

قال : نعم ، اختاروني لأكون نسيبك .. وليلة أمس كنت مع والدك عيسى بدل ابن أمين أخيك

ـ أهلا سيد لطفي .. هل فكرت؟ ومستعد للهجرة للعيش هنا .. وماذا تشتغل أنت ؟

قال : أنا شريك أخي في تجارة الأدوات الكهربائية والصحة المنزلية .

ـ هل أنت متعلم يا سيد لطفي ؟

رد فقال : تخرجت من كلية التجارة ..وعمري تسعة وعشرون سنة وشهور

ـ من سن جاكلين تقريبا فهي تقل عنك سنة .. ابنتي تعمل طبيبة في مستشفى هنا .. هل أنت راغب بالزواج منها فور وصولك والحياة معها هنا

قال : نعم ، أنا مستعد للزواج فور وصولي إليكم

اذا قبلتم بي .

ـ نحن المهم أن يحصل الزواج ؛ وليس تعارف ثم افكر .

قال : أنا قبلت بالزواج فورا .. فلديّ رغبة في ترك البلد

قال عمار : هل أنت عازب ؟

ـ نعم ، لم أتزوج بعد

قال : سبب السؤال ؛ لأنه هنا لا يسمع القانون بالتعدد ؛ كما هو عندكم .

ـ اعرف

قال : جيد ! معك فلوس السفر

ـ أكيد

قال : ليس مثل ابن أخي أمين الطفران

قال : مستورة

قال : حسن يا لطفي ! تحدث مع جاكلين الليلة.. فهي ليست هنا ..أنت تحسن الإنجليزية ما دمت متعلما

قال لطفي : إلى حد كبير

قال : حسن اذا كنت الليلة في البيت سأترجم بينكم .. يبدو أنك فهمان وراغب بالمجيء

قال : صحيح

قال : حسن ! لعلنا نتفق ويتم هذا الزواج .

ـ إن شاء الله

قال مفاجئا الشاب : أتصلي يا لطفي ؟

استغرب لطفي السؤال عن الصلاة وتساءل في نفسه : وهل هو يصلي ؟! ورد قائلا : لحتى الآن لا .. الله يهدينا .

قال عمار :جيد ! هدى الله الجميع.. إلى اللقاء .. اتصل في الليل على نفس الرقم سأتصل بها لتنتظر مكالمة منك .. واذا حضرت المكالمة سأفهمكم ما تحتاجون إليه من ترجمة .. كما ترى لم أنسى العربية رغم قلة الحديث بها ؛ ولكني اقرأ الصحف أو المجلات العربية التي تتوفر واسمع المحطات الإذاعية العربية أو التي تبث العربية من هنا أو أوروبا

***

تلقى لطفي هاتفا ، وكان من العم عمار ، وبعد لحظات سمع صوت ابنته تحييه وتعرفه بنفسها وترحب به في أمريكا ، وبينت له رغبتها الجدية بالزواج من أقارب أبيها العرب لأسباب ستذكرها له عندما يستقر في نيويورك ، فأبدى قبوله بها شريكة العمر ، وشجعته على السفر ، وسيحدث بينهما انسجام اذا هو فعلا راغب بالحياة المستقرة ، كما هي عادة نساء بلدهم ، ففهم الغاية من زواجها من رجل عربي مسلم .. الاستقرار في الحياة الزوجية، والابتعاد عن الخيانة الزوجية من الطرفين ، واحترام عقد الزواج .

فقال : كيف سيكون السفر ؟

قالت : سأقدم لك على تصريح زيارة عن طريق مكاتب الخارجية والهجرة وعندما تجهز المعاملة تذهب وتراجع السفارة لأخذ تأشيرة دخول الولايات المتحدة .

قال : هل انتظر ؟

قالت : انتظر حتى اتصل بك .

قال مستفهما : ستأخذ وقتا طويلا .

قالت بثقة : اقل من أسبوع .. المهم الجهة الأمنية والرقابية أن تقبل سفرك .. ألديك نشاط سياسي في بلدك ؟

قال : لا ، ولا اعرف السياسة ولا احبها .

قالت مطمئنة : حسنا.. أنا في انتظارك .. وجيد أنك تحسن لغة الإنجليز سنفهم بعضنا بسرعة

قال مبينا : تعلمتها في المدرسة والجامعة .

قالت : مرحبا فيك يا أستاذ لطفي .. ها هو والدي سيتكلم معك . وانتقلت السماعة لعمار وأبدى ترحيبه به في بلاد العم سام وأن تكون حياته معهم سعيدة وبسيطة ، فقدم لطفي شكره وتمنى أن يعيش معهم على خير ما يرام .

وتحدثا بأمور عامة ، وعن الحياة المالية في بلد المال ، وعن الشغل المتيسر خاصة الشغل الحر في المطاعم والنقل ومحطات الوقود وسيارات الأجرة ومحلات البيع والبقالة ، وأنه سيجد فرصا كثيرة للعمل والثروة ؛ وبما أنه يحمل شهادة جامعية قد تتاح له فرصة للعمل في مؤسسات رسمية أو خاصة كموظف في الحكومة أو غير الحكومة، وتحمس لطفي اكثر للرحيل والهجرة وترك الوطن وتوقف الاتصال على امل أن يرسل لهما صور جواز سفره على عنوان أعطاه إياه العم عمار وانتظار موافقة الجهات الخاصة بدخول الأجانب إلى بلادهم للسياحة والزيارة .

***

التقى جبر ولطفي في السوق فقال جبر : اخبرني محمود عليان ابن عمك أنك كلمت السيدة جاكلين وأن الأمور مشجعة وأن لديها أسبابا للزواج منك أو من عربي من أقاربها

رد لطفي : صحيح تحدثت مع محمود وجلال أخي وشريكي وحتى أبي عن الاتصال وترتيبات الزواج والسفر ، وادعت أن لديها أسبابا خاصة للرغبة من الزواج منا أي رجل من عائلة شبشب من أقاربها .

قال متأملا : لعلها حجة حقيقية .. متى السفر إن شاء الله ؟

ـ أرسلت صور المعلومات من جواز السفر الساري المفعول ، ولما يأت التصريح والإذن سأذهب لسفارتهم هنا للحصول على الموافقة .. وسيكون العم عمار عيسى في انتظاري

قال جبر : وهل سيتم الزواج فورا ؟

ـ إلى حد ما ستجري الإجراءات بعد الوصول بقليل حسب التساهيل

قال : المحل وشراكتك مع السيد جلال !

قال لطفي : سيشتري حصتي أخي جلال كما تناقشنا واتفقنا .

ـ وماذا ستعمل هناك ؟

ـ عمي أو من سيصير عمي يقول العمل كثير جدا .. عشرات آلاف الفرص موجودة .. يقول بعض المصانع تستوعب آلاف العمال والأشخاص .. إنها أمريكا يا جبر ! المهم أن يقبل الرجل ما يعرض عليه من شغل وما يناسبه .

ـ ماذا يعمل عمك ؟

قال متفكرا: لم يتحدث ، ولم يلق إشارة تشير لعمله ، ولا حتى ابنته أشارت بكلمة ، ولا أحد من العيلة يتحدث عن وظيفته وشغله هناك ؛ ولكن يبدو من حديثه المرن أنه يعمل والبنت فهمت أنها تعمل في مستشفى خاص .. وأكيد سنسكن وحدنا ، لا اعتقد أن نعيش في شقة عمار

قال جبر : هو غير متزوج !

ـ هذا ما هو معروف عنه بعد تركه أم البنات ..ولا نعرف أتزوج بعد ذلك .. لم نسمع بذلك أو أنا لم أسمع بذلك .. وهل له أولاد غير البنتين ؟ .. هذا سأعرفه لم اصل لتلك البلاد .

ـ لماذا لم يأت عمك للبلاد منذ سافر ؟ أليس هذا غريبا ؟

قال مفسرا : لا اعرف حتى أبي لا يعرف سبب هجرته إلا اذا كانت البطالة وقلة الأشغال قبل ثلاثين سنة هي السبب للغربة .. لما كبرنا علمنا أنه تحمس ورحل للأرجنتين أولا ، ثم تعرضت زوجته للقتل ، فهاجر لكندا ثانيا وتزوج من أختها هناك ، وولدت له البنتين ، ثم تركها وهاجر إلى نيويورك واستقر فيها لليوم .. لا يذكر أو يتحدث أحد عن التفاصيل أو لا أحد يعرفها ربما هو الأصح يا أبا سفيان !

قال متمنيا : والله أيها الصديق أتمنى لك الخير والتوفيق ؛ لكن لا تحلم كثيرا وتظن أن المال يغرف بالأكياس .. فلي أقارب ذهبوا لتلك البلاد وعادوا بدون شيء ، حتى أن بعضهم لما كان يأتي زائرا لمناسبة ما .. فرح .. عزاء .. صلة رحم لوالديه يأتينا ببذلة أمريكية آخر موديل .. ولما يأت آخر .. وتذكر سيرة فلان يبين لنا أنه يعمل هناك في مهن يستحيل أن يشتغل بها هنا إنما يأتي بملابس ثمينة للتظاهر بأنه باشا أو جنرال في تلك المدن ؛ ولكنه في الحقيقة يعمل بالمهن الدنيا .

تبسم لطفي : يعني ديكور !

قال : نعم ، يعني ديكور .. فأتمنى لك الغنى والتوفيق .. وأنت تحمل بكالوريوس اقتصاد ؛ وربما توفق كالذين وفقوا ونجحوا ؛ فليس كل

أمريكا سعادة وثراء
قال مؤكدا : هي أرزاق يا صديقي ! لكن مطلوب منا الحركة والسعي .
قال جبر منبها لإخطار الواقع الأمريكي :احذر أيضا الشراب والمخدرات والعصابات .

***

من المعروف أن ساعات الانتظار تبدو للمنتظر طويلة ، عائلة بشبش انشغلت بسفر لطفي زياد للزواج من ابنة قريبهم عمار عيسى ، خاصة أسر عطوان وعيسى الأخوان ، فكثرت بينهم التلفونات والهمسات ، منهم فرح له ليتزوج ، فهو مضرب عن الزواج منذ ترك خطيبة الكلية مضت اكثر من عشرة أيام دون اتصال فساوره القلق من الفشل في الهجرة من جديد .

التقى غسان ولطفي ذات ليلة في مقهى ، وجرى حديث بينهم حول الأمل في السفر فقال: تكلمت مع العروس .. أنت صحيح تتكلم الإنجليزية دارس كلية

فقال لطفي : وتحدثت مع عمك كذلك وأرسلت لهم صورا عن جواز سفري

تبسم غسان وهتف : جاءتك فرصة ذهبية للسفر والهجرة !

قال باعتذار : نصيب

قال : نعم ، والله نصيب.. موفق بإذن الله .

قال كأنه ما زال يتعذر لقريبه : حظي كما يقال ، لو سافرت أنت ما عرفت أو سمعت صوتها

قال مواسيا لنفسه : لم اكن متحمسا للسفر .. زواج غامض مشكلة يا لطفي ! أنت تحب المغامرة ولا ترى حرجا بمواصفات السيدة .

قال مبررا موقفه : ما هو الواحد هنا يخطب أو يتزوج ثم يترك أو يطلق .. فحياة النساء ليس لها في نظري مبدأ أو قاعدة ثابتة يا غسان .. ولا تخضع لأي قانون .. أنا عشت احلى سنوات العمر مع صديقتي في الجامعة .. وكنا على وشك تكوين أسرة ؛ فكان منها موقف خبيث طلبت فورا إنهاء الموضوع .. على السريع قبلت ، وفي اقل من شهرين تزوجت صديقا آخر زعمت أنها قدمتني عليه وتبين العكس .. هكذا نساء الجامعة تصاحبها أسبوعا ثم تراها مع عشرات غيرك أي قانون يحكمهنّ ..لا تعلم .

رد الآخر متذكرا زواجه الفاشل : وأنا مثلك حبيت سامية في بيروت وعطفت عليها ، ثم تزوجتها وأحضرتها لتوتة لتبدأ حياة نظيفة بدل العمل ساقية في خمارة ، ثم اكتشفت خيانتها مع شاب لا ادفع فيه ميلما واحدا ..مثلما قلت النساء لا قواعد ثابتة للعيش معهن .. كيف يفكرن لا تدري ؟

ـ ولا تفكر بالزواج من جديد .

قال : كل عاقل يرغب بالزواج ؛ لكن متى ؟ لا اعلم

ـ إذن أتمنى لك زوجة صالحة .

ضحك غسان : هذه المشكلة بالنسبة لي ! فأنا لست صالحا ! أنا اعلم أني غير نظيف

قال : اصلحنا الله

قال : إذن أنت تنتظر الموافقة على السفر

ـ نعم ، أرسلت الأوراق ، وانتظر وقت السفر والذهاب لمراجعة السفارة باسم السياحة

ـ ميسرة الزيجة والرحلة .

تصافح الرجلان ، وافترقا ، وعاد كل منهما إلى مجموعته في المقهى الواسع ليلعب الورق .

***

بعد اللقاء العارض بين غسان ولطفي اتصل عمار ببيت لطفي زياد وأمره بمراجعة السفارة لأخذ الموافقة بالسفر ودخول أمريكا بتأشيرة سياحية وزيارة لمدة معينة ، وفعلا بدأ لطفي يحضر نفسه للسفر ويودع الأصدقاء والأحباب ، وأخبر والده أنه اذا استقر دون عوائق سيسمح بالتخلص من ممتلكات الشقة ببيع أو إهداء ، ولما تحددت ساعة الرحلة عن طريق شركة طيران ورحلات دولية اتصل بعمار واطلعه على يوم الرحلة وساعة الطيران ، فبين له عمار أن الرحلة تحتاج إلى سبع ساعات قد تزيد ساعة أو اكثر إن لم تكن مباشرة ، وسيكون في انتظاره في مطار كنيدي الدولي ، وبما أنها رحلة سياحية فعليه أن يمتلك تذكرة ذهاب وإياب .

وقضى الشاب ابن الثلاثين سنة يزور ويودع الأحباب والأصدقاء حتى ازفت الساعة ، ونقله أخوه جلال إلى المطار الدولي في عاصمة الدولة ، وبعد منصف الليل ركب في الطائرة الأمريكية المغادرة إلى لندن ، ثم مطار جون كنيدي الرئيس المغتال سنة ١٩٦١، وهو اهم مطار في نيويورك ؛ حيث تعيش أسرة عمه وكثير من العرب والهنود والباكستان .

ولما وصل المطار الأمريكي كان عمار في استقباله فاحتضنه وعرفه من خلال الصور التي تبادلاها معا ، ثم أخذه إلى احد فنادق المدينة ، وكان قد حجز له غرفة بسرير واحد لمدة ليلتين حتى يهيئ بيته للعيش معهم حتى يتم الزواج ، وكانت البنت تسعى إلى استئجار شقة ؛ ريثما يتم عقد زواجها منه .

قضى اليومين حول الفندق حيث المطاعم وشوارع المتاجر والمباني الشاهقة والأضواء الفاتنة ؛ وبما أنه يحسن اللغة الإنجليزية لم يعانِ كثيرا ، فاغلب الناس يتحدثون بها خاصة القدامى ، ثم استقبله عمه في شقته ، وتعانق من أول لقاء مع ابنة عمار، فوجدها نحيفة وحجمها صغيرا ؛ ليس كما

توهمها غسان بأنها فيل أو دب قطبي ابيض ..
فقال عمار بعد التعارف : هذه ابنتي جاكلين تؤام كاترين التي ستأتينا للتعرف على قريب لأبيها ، فهما عاشتا طفولتهما مع أمهما في مونتريال الفرنسية ؛ حيث أن أمها من جذور فرنسية .
وكانت ذات العيون البنية تنظر اليه في ابتسام وتابع الأب : هي لا تعرف العربية ؛ فلذلك تجدني أتكلم بالعربية والإنجليزية .. ففي كندا على المثقف أو المتعلم أن يعرف اللغة الإنجليزية والفرنسية فهما لغتان رسميتان للأمة الكندية .. واقصد بالخلط حتى تفهم جاكلين معنى دردشتنا
قالت بإنكليزية كندا : أنت قلت لي تخرجت من كلية الاقتصاد في بلدكم !
قال محدقا بعيونها : اجل ؛ ولكنني لم اعمل عليها ، ولا في مؤسسة أو بنك أو شركة كنت اعمل مع أخي في تجارة الأبنية .
قالت : أنت اعزب كما ذكرت لنا .
ـ نعم ، سعيت للزواج ولم يكتمل
قالت : أنا لي سنتان عند أبي .. لما تطلقت وهجرني زوجي كرهت بلدي اذا جاز تسميتها بذلك ورحلت عند أبي الذي رحب بي .. ونحن كنا على تواصل وإن كان متقطعا يطول ويقصر ، وكان يساهم في تربيتنا وتعليمنا .. فنحن من اصل عربي من جهته .

قال عمار مضيفا : هكذا اتفقت أنا وأمها سونيا .. والقانون هناك قصدي كندا ؛ كما في اغلب سائر البلدان فترة الحضانة للأم حتى ينفصلا عنها ببلوغهما سن الثمانية عشر .. رغم طلاقنا كنا على اتفاق من اجل البنات .
قالت جاكلين : أبي جيد لما عاشرته وعشت معه وعرفته أكثر ! .. وكان يزورنا في كندا في المناسبات فلم يهجرنا تماما .. ظل على اتصال مع ماما .
فقال عمار : هن بناتي وحبيباتي ؛ لكنهنّ يا لطفي يحملن عادات بلادهن من لبس وصحبة وشراب .. فهذه مأساة الهجرة لبلاد الإباحية والحرية الشخصية .. فيعني هذا أنك قد تحتاج لزمن للتأقلم مع طباع الناس هنا ؛ فربما تراها تعانق صديقا زميلا .. فلا تدع الغيرة هنا كما في تونة .. وكذلك موقفك من الشراب والسهر وكثرة الحفلات .. عليك التأني في ردة الفعل وأشياء أخرى ستعيش معها ..حل مشاكلك بالتروي لا تكثر من الشكوى .. دائما تذكر يا ابن أخي أنك في أمريكا ولا تكثر من المقارنة بين طباع البشر هنا وهناك ومع الزمن ستزداد معرفة بعاداتنا هنا وتتأقلم معها
قضى أسبوعا يتلقى إرشادات ونصائح من عمار حول العيش والتكيف مع أهل البلاد وتقاليدهم

حتى يستطيع النجاح في حياته الزوجية ، ولما سأله لطفي لماذا لم يتزوج بعد رحيله من كندا ؟ فكر قليلا قبل الإجابة ، ثم ضحك : ستعرف ذلك مع الأيام .. الزواج ليس هدفا بحد ذاته .. مع الوقت ستعرفني اكثر واكثر .

قبل انقضاء الشهر كان لطفي يتزوج جاكلين رسميا في مكتب تسجيل الزواج ، واستأجرت الفتاة شقة ، ورحلا للعيش فيها كزوجين .

زواج فريد

التقى زياد عطوان وأمين عيسى في دعوة عرس لقريب لهم ، وعادة في مثل هذه المناسبات يتبادل الناس الأخبار حول الذرية حول الصحة والمرضى والموتى ، وهكذا مواضيع أو تعقيبهم على حادثة سمع بها احد المتكلمين ، فجاء ذُكر لطفي وسفره ، فأكد زياد لأمين زواجه منها ، وهما يسكنان معا دون شقيقه ، وأن ابنه يعمل في سوق خاص مع معرفة للسيد لعمار ، ومهمته محاسبة الزبائن وتصدير الغلة للبنك يوميا ، وهو مرتاح ومنسجم مع البنت ؛ مما دفع أمين أن يسأل : هل عرفتم لماذا رغبت وهي الأمريكية بالزواج منا ؟

قهقهة زياد قليلا ثم عاد يقول : الكل يسأل عن سبب هذا الاختيار .. وهذا بينه لي لطفي ذات ليلة ..فأنا في البداية كنت أتحدث معه شبه يومي .

قال : فعلا يا زياد كان الأمر غريبا بالنسبة لنا !

ـ السبب بسيط جدا .. فلطفي سألها هذا السؤال ؛ فكما تعلم لطفي يحسن اللغة الأجنبية بحكم تعلمه في الجامعة .. فسمع الجواب منها .. يا سيدي الفاضل هي وأختها التوأم كن ولدن في كندا ، وعشن مع أمهن ، وكبرن هناك بعيدا عن شقيقك عمار بانفصاله عن الكندية سونيا اسمها سونيا كانت متزوجة في الأرجنتين من أرجنتيني ، فلما قتلت أختها قرينة عمار قررت العودة لوطنها وتطلقت من زوجها ، وسافر معها عمار وتزوجا في كندا، وبعد حين وضعت البنتين وأثناء نزاع كما يحدث لكل الناس اتفقا على الطلاق ، وكان عمر البنتين ثلاث سنوات ، فغادر عمار البلد بعد ترتيب الطلاق والاتفاق على رعاية البنات، وتعلمن طبيبات ، وهن على اتصال مع أبيهن باستمرار، وتزوجن من زملاء كنديين من معارف امهن ، وكلما يحدث خصام بينهن وبين أزواجهن يعيرن بأن دمهنّ عربي ، وطباعهن طباع العرب مع أنهنّ ، لا يعرفن العرب ولا العروبة ، إنها العنصرية الغربية ! .. هن عشن في كنف أمهن ، ولا يعرفن كلمة عربية ، وطباعهن طباع الكنديين ، فلم يعشن بين عرب قطعيا ؛ فكلما يخون الزوج امرأته وتعاتبه وتعيب ذلك يقولون لهن أنت عربيات ودمكن عربي ، واستمر هذا الإشكال .. انتن عرب انتن مسلمات على هذه الصورة .. فتطلقن

ورحلن لأمريكا عند عمار ، وعملن هناك وأخذن جنسية أبيهن الأمريكية ، وخلال احاديثهن عن الزواج ، وما معنى تعييرهن بطباع العرب والدم العربي والإسلامي ، بين لهن عمار أن العرب يحافظون على الزواج حتى الموت .. في الغالب طبعا وحتى لو تزوج العربي بقانون التعدد لا يطلق المرأة إلا اذا رغبت بذلك ، ومع تكرار الموضوع في مجالسهم كما قال لطفي طلبن من شقيقك تزويجهن من أقاربه العرب طمعا بالاستقرار على رجل واحد ، فتشجع عمار وعرض الأمر على والدك .

كان أمين خلال الاستماع يهزّ رأسه باستمرار فعقب قائلا : شيء معقول ! شيء معقول !فربما العرب والمسلمون خاصة الأجيال الكبيرة اقل الناس طلاقا .. فالنساء الأمهات والجدات كن يقبلن أن يكون لها ضرة أو اكثر .. نحن لم نسمع مثل الكلام والتفصيل إلا الآن .. كيف لطفي معهن أو معها ؟

وعاد زياد يقول : وسمع لطفي من كاترين لماذا عادت للزواج من أمريكي بعد قبولها بالزواج من عربي ؟ زعمت له أنها خشيت من الفشل مرة أخرى وغضب أبيها منها .. وأما جاكلين زوجته فيقول إنها لا ترغب بالحمل قبل سنوات فقال لها لست مستعجلا .. هذه تفاصيل الرغبة للزواج من العرب ومن أقارب عمار ـ لحظة سكوت ـ سمعت أن فريدا راغب بالزواج من جديد كما قال لخالد وجلال .

قال : صحيح ! لما تزوجت كاترين كما قلت تخلى فريد لغسان عن الباقية ، وكان زميل له في المدرسة شجعه ورغبه بالزواج من شقيقته لما علم برغبته بالزواج من جديد .. وهذا ما سيحدث قريبا .. فقابلت والد الفتاة والفتاة نفسها وسيجري الأمر كالمعتاد .

عشيقة غسان

حضرت يارا لورشة غسان وطارق بزعم تصليح عطل تكرر في سياراتها ، وكان غسان وحده في المحل ، ففحص السيارة واجرى صيانة لماتورها الصالح ، وخلال عملية الفحص دار بينه وبين المرأة حديث عام فقال لها : لم أعد أراك تأكلين في ذلك المطعم مطعم جوني ؟

قالت : أما زلت تتذكرني يا سيد ...

ـ غسان

ـ أنا ذات زوج .

قال مفكرا : ذكرت ذلك لنا وأنك متزوجة ، وأول مرة رأيتك في المطعم الأوروبي كان معك وزوجك كما قلت مدير مؤسسة تعملين فيها سكرتيرة .. أذكر إنني سمعتك تخبرينا بذلك وكان بصحبتي تلك الليلة منذر .. وطابت جلستنا معك .

وعالج الخلل المزعوم وشارك المرأة السجائر وطلب لها من بوفيه الكراجات القهوة ، وأخذت رقم تلفون المحل ، وانصرفت بظهور عبده العامل معهم والشريك الثالث لهم .

ولما انصرفت عندما حضر عبده المعلم الذي يشتغل معهم قال : ماذا تريد مدام يارا ؟

حدق فيه غسان ، وقال متفاجأ : أتعرفها يا عبده ؟!

ضحك وقال : قبل أسبوع حضرت بزعم أن عطلا في سيارتها وأن احدهم دلها على محلنا وحاولت مغازلة طارق ، فصرفها بالتي هي احسن .

قال بحيرة ودهشة : حاولت مغازلة طارق ! ومن هو الذي دلها علينا ؟

صاح الشاب مستغربا سؤال غسان : أنت !

ـ أنا !

ـ هي قالت ذلك ، وإنها تعرفك وتعرف قريبك منذر .

قال مفسرا : فعلا أنا اعرفها يا عبده ! التقيت بها في مطعم وكان معي منذر .. كنا نتناول طعاما وشرابا

ـ وهل كانت سيارتها بحاجة لتصليح ؟

ـ كلا ، جاءت لتذكرني بنفسها ؛ ولكنها ذات زوج ، وهو مدير مؤسسة تستورد أدوية وحلوى

ـ يعني أنها تخون زوجها !

ـ هذا واضح من عيونها وحركات بدنها .

ـ أتراها تلف عليك إذن ؟

ـ هذه المرة الثالثة التي أراها فقط .

بعد يومين اتصلت به المدام عصرا ؛ حيث ادعت تعطل سيارتها في احد شوارع توته ، وطلبت مساعدته ، فركب سيارته مع بعض العدة ، ومشى إلى شارع العطل ، وعالج الخلل وصافحها مودعا وانصرف للورشة ، وبعد أيام تحدثت معه شخصيا ، ودعته لشرب كأس شراب معها في حانة في حي النوادي الليلة والخمارات ؛ لأنها تعلم أنه يتعاطى الخمر ويشربها كالشاي والماء فوافق على الدعوة ، وتناول معها العشاء ؛ كما فعلت قبل شهور عندما دعواها لمشاركتهما الطعام في ذلك المطعم والمشرب ، ثم انتقلا لخمارة في نفس الحي للسكر ، فعرف منها أن زوجها له أماكنه الخاصة للمتعة والشراب والقمار ، وأن حياتها غير مريحة معه ، ولم تنجب منه رغم زواجهما من عشر سنوات .

وتكرر اللقاء والطعام والشراب بينهما ، وهو بطبعه وخبرته الدنيوية ادرك أن المرأة لها أصدقاء يتمتعون بممارسة الفاحشة معها ، وكان غسان يتجنب الزنا مع المتزوجات في بيوتهن الخاصة ، ولكنه ضعف أمام إغراء وعرضها نفسها على عليه

، وأنها سترتب له زيارة لبيته وشقته ، فتردد كثيرا ، فهو من النادر بجلب بنت هوى لبيته ، فهو يعيش في شقة ضمن عمارة من أربعة طوابق لكنه أمام الرغبة الجنسية والاشتهاء مارس معها الجنس في بيته ، وبين لها أنه لا يحب إتيان النساء لبيته ، فهو في عمارة مسكونة ويطرقه أصحابه في هذه الحياة كثيرا في أي ساعة من الليل ، فعرفته على بيتها ، واتفقت معه على الاتصال به أثناء غياب زوجها في نواديه ، فقبل العرض رغم عدم ارتياحه لعلاقة مع متزوجة وفي شقتها ، ونصحه طارق ألا يفعل ويغامر بالتردد على المنازل الخاصة ؛ لأنه قد يداهمه أخ لها أو زوجها أو أقاربه وأقاربها .. فقال مشجعا نفسه : إنها وحيدة لا خلفة عندها ،وتزعم أنها تحبني وأنها اذا طلقت ستتزوجني ؛ كأني راغب بالزواج فاضطرت أن أوعدها بذلك الأمل .

قال طارق ناصحا : خليك على كارك .. النساء المتزوجات لسن كالمطلقات والعزباوات .. بنات الليل لا خطر عليك منهنّ .. كثيرا ما نصحتك أنت ومنذرا بترك الزنا والمواخير لكنكم لا تسمعون .. فاحذر منها .

منذ عهد بعيد لم يعد يستمع ويهتم بالنصائح والحذر من النساء ؛ لذلك كان كل أسبوع أو نصف شهر تسنح له فرصة لقضاء بعض الوقت معها ، واستمر الحال القذر لمدة لبضع شهور ولم يهتم بنصح طارق ولا عبده ، ولا بنصح رفاق الفجور وزملاء اللهو ،وظل يصاحبها ويلبي رغباتها ويصاحبها في نزهات إلى المنتزهات والحدائق العامة ؛ كأنهما متزوجان حتى فاحت ريحة حبهما حتى أنه قال يوما لطارق ؛ كأنه مقتنع : ربما لو تطلقت تزوجها ؟

ضحك طارق واستخف عقل شريكه وابن عمته فرد عليه : ولكنها خائنة كأمراتك السابقة ومن تخون زوجها ستخونك .. فكر بشيء آخر

فقال مبررا : لا ادري وجدت عندها ما افتقدته بسامية !

قال : لا شيء عندها إلا الفجور والإغواء لقد حاولت معي مرة فأنبتها

قال : معك ! مع انه لمح له عبده بذلك .

قال : نعم ، وقبلك

قال غسان : كيف ؟

قال : جاءت مساء بحجة عطل في السيارة ، وسألت عنك وأنها التقت بك في مطعم ومشرب نسيت اسمه ولما قلت لها أنك في عمل خارجي .. حاولت إغرائي بحركاتها المبتذلة ، وعادت مرة أخرى حتى صادتك .. وأنت لما ذكرت لي اسمها تذكرت أنها ذكرت نفس الاسم فعرفت أنك وقعت .. وعبده حدث بلقائك بها هنا

قال : هي تعترف أنها تخون زوجها ؛ كما يخونها ، فهي زوجة مدير مؤسسة

قال : هي تزعم ذلك لعلها أرملة أو مطلقة .

قال : لها زوج .. رأيت غرفة نومها وملابسه فيها .. وأول مرة رأيتها كانت معه في مطعم العشاء الأوروبي .. وفعلا هو زوجها .. رأيت صورا له في غرفة الصالون في شقتها .

فطارق يعرف ابن عمته منذ صغره وفساده : المهم خذ بالك سوف تملك كما ملت غيرك .

قال غسان : إنها تبحث عن المتعة مثلي ؛ وليس على المال كبنات البارات والنوادي الليلة .

ـ إني خائف عليك !

قال مستمتعا بالحديث عنها : وعدتها بالزواج ذات مرة .. فقالت تمهل سوف أسعى للطلاق عندما أتأكد من حبك لي وما زالت تتأكد

قهقهه طارق وقال : احمق أنت ! هذا أنت قد أصبحت ألعوبة بين يديها

قال بجفاء وإنكار : هذه حياتي .. هكذا حياتي شغل في النهار ومتعة ولذة في الليل

قال ساخرا : ماذا تراها تفعل لما علمت بذهابك لقبرص ؟

قال : تمنت أن تكون معي

ضحك طارق وقال : يا لها من أمنية يا غسان ! ألم تظهر الغيرة عليك ؟!

تبسم ورد : تظاهرت بذلك ..وأعلم أنها تمثل !

قال : مسكين أنت يا رجل ! هذه أكيد لها زبائن غيرك .

ـ بالتأكيد لست الأول .. أنا معرفة من شهور فحسب

قال : ولست الأخير .. ألم تكشف لك عنهم ؟!

قال : تحدثت مرة عن شقيق زوجها قبل أن نلتقي .

قال مصعوقا : يا لها من قحبة يا رجل ! ابتعد هذه غانية ومجرمة تجامع الأخوين

قال : لكنه مات .

ـ مات !! ...... تمت الحلقة

حكايات الحي أبو خروف

الإلحاد

طفق المد الشيوعي الإلحادي في ما يسمى الوطن العربي يندفع بقوة بعد الحرب الثانية بعد انتصار الحلفاء على المحور الألماني ، فبدأ الفكر الشيوعي يروج له في المدائن العربية بقوة ، بعد أن كان محصورا ضعيفا ، وإن بدا معروفا لبعض الناس من مطلع القرن العشرين ، كان على مستوى أفراد وخلايا متهالكة همها الانحلال والفسق والإباحية والمخالفة ، ومع بزوغ شمس البلشفية في روسيا وظهور ما يسمى الاتحاد السوفيتي برزت الشيوعية أكثر على مستوى العالم ، ومع نصر

الحرب الثانية برزت روسيا بقوة ، وقويت الأحزاب الشيوعية ، وأصبحت في صراع دموي مع العالم الحر والغرب ، فدخلت حياتنا ومدارسنا وتجمعاتنا وجامعاتنا ، ورغم الحظر الرسمي في بعض الدول تمادت الشيوعية ، وصار لها أنصار ودعاة جهارا ونهارا ، وتلقف هذا الفكر المنافي لعقيدة المسلمين عددا من الشباب والكهول للتخلص من عبق الدين وربقته لكسلهم وشهواتهم الحيوانية ، باسم المبادئ والأفكار بدأ يلاحظ الفكر الشيوعي بين الناس ، والكفر بالله علنا ، وإنكار وجود إله ورب لهذا الكون ، والمآسي الكبرى تشجع ظهور مثل هذا الكفر البواح ، واعتنقت بعض الفتيات العربيات هذا الفكر ، وروجن له باسم معادة الغرب والأديان وكان التيار الإسلامي موجودا على الساحة الفكرية أيضاً وينافس ويخوض معركة إثبات وجوده ، وهذا الفكر الشيوعي المعتنق وجد له مكانا في أبو خروف ، وكانت العامة تسمي بيت نضال الكلبي بيت الكفار ، وإن لم يكن هو البيت الوحيد الذي يحمل راية الإلحاد ، فقصة هذه المأساة كان مسرحها هذا البيت ، فهو في فترة ما كان من أنشط البيوت في نشر الكفر في الحي ، كان يجتمعون في بيت نضال الكلبي ليتعرفوا على الإلحاد ، ثم ينشروه بين الشباب في المدارس والجامعات والأسواق في المقاهي والنوادي ، ويتحدثون عن أحلام الاشتراكية التي ستحكم وتسود العالم ، وتدمر أمريكا وتتحول من الرأسمالية إلى السوفيتية ، وتزول الطبقات الاجتماعية ويصبح الناس سواسية كأسنان المشط العربي ، ورغم الجهد المبذول في دعوة الناس إلى الإلحاد وإنكار وجود الخالق العظيم ، ونشر البيان الشيوعي بين فقراء أبو خروف وطلابه لم يتحول للإلحاد إلا العدد اليسير ، حتى أن أناسا لا يصلون ولا يهتمون بالدين والآخرة رفضوا الانتماء لهم ولإلحادهم ، وجدوا ضالتهم في بعض الأسر المنحلة أصلا وسمعتها سيئة أخلاقيا وغمرها الفساد والفجور ، وشباب غاوي الانفلات والتحرر الكامل ، فالتقى الطرفان كل له غاياته ، فكانت تشيع في الحي عن بيت نضال الليالي الحمراء والشيوعية الجنسية وترهاتهم الإلحادية ، والله اعلم بصحة ما يقال ، ولم يقتصر بيت نضال على فتيات أبو خروف وفتيانهم ، بل كانت ترد إليه فتيات من أحياء أخرى قريبة أم بعيدة ومن جامعات ، وجوه تظهر لحين ثم تختفي ويظهر غيرها ، فكان البيت قبلة الشيوعيين في أبو خروف

الإلحاد وجد قديما ومع الصراع الحاد في أوروبا ، وظهور الحركة العلمية التي استطاعت تفسير بعض قوانين الطبيعة والكون ، وأن قوانين تحكم

هذا الكون وتسيره ، قال بعضهم لا داعي لإله يحكم الناس ويخضعون له ، وبدخول القرن العشرين شاعت مقولة كارل ماركس الدين أفيون الشعوب وقصد من إطلاقها أن الأغنياء والحكام يستغلون الدين الكنيسة لتخدير الشعوب والفقراء ويدفعونهم لقبولهم البؤس والفقر كأمر واقع طمعا في جنة الدين بعد الموت وشاعت كذلك مقولة فريدريك نيتشة هل مات الاله ؟

فهم يزعمون أن الكون نشأ عشوائيا دون الحاجة لصانع ، والحياة برزت من المادة عن طريق قوانين الطبيعة ، والإنسان عبارة عن جسد مادي ، ليس هناك روح إلهية فيه ، والموت نهاية لهذا الإنسان لا بعث ولا نشور ولا حساب .

شكل الإلحاديون ثلاث مجموعات : علماء فلاسفة تبنوا الإلحاد ، شيوعيون يريدون تحويل المجتمع إلى مستعمرات نمل ونحل مزارع حيوان ، والفريق الصامت .. فالملحد هو المنكر لدين الله ولوجود إله

القصة هنا لشاب اسمه باسل سمع عن البيت الكلبي ولم يقربه ، فصمم أن يعرف حقيقة ما يجري في بيوت الشيوعيين في أبو خروف ، خاصة بيت كبيرهم نضال الكلبي ، وأن يتعرف على الفكر الشيوعي المنتشر في أنحاء العالم ، ويفهم الشيوعية والاشتراكية من أصحابها والعاملين بها ، كما اخبرني فيما بعد بقصته معهم ومع فتياتهم ، وبدأت الحكاية عندما كان طالبا في السنة الثانية من جامعة الآداب ، وقرر التعرف على ماركس وإنجلز ولينين وستالين ، قرأ بعض الكتب الشيوعية ، وبعض المعارف عنهم في المجلات المتوفرة في مكتبة الجامعة ، ووالد باسل رجل فاضل له مجموعة من المصانع في أطراف العاصمة ، وترتيبه بين إخوته الخامس ، والذي استهواه وشجعه على خوضه ذه اللعبة الاستكشافية أن تعرف على فتاة تتردد مثله على مكتبة كلية الآداب ، وهي طالبة كلية آداب سنة ثانية مثله أيضاً ، ولما عرفت أنه من أبو خروف تفاجأت بأنه لم يلتق بنضال الكلبي .. فقط أنه سمع باسمه ، لم يره ، لم يحدث بينهما مقابلة دعوة فهو شيخ الشيوعيين في الحي ، وناقشته في الفكر الشيوعي والمراحل التي سبقت الطبقة الشيوعية التي يعيشون فيها ، والتي ستنتشر حتى تعم الأرض جميعها ، وحدثته عن المساواة بين أفراد الشعب حق المساواة ، الكل سواء أمام القانون أمام الدخل أمام متطلبات الحياة السكن والملبس والطعام ، المساواة بين المرأة والرجل يأكلون مما ينتجون لا ما يستوردون ، المساواة في العمل والشغل ، الكل يبني الدولة الاشتراكية ، فصار يقرأ في كتب الماركسيين ـ نسبة لكارل

ماركس ـ بحماس وهمة وقوة ، ويقرأ ما تشير له بقراءته ـ فلنسمها سمرا ـ فيقرأه ، فبعد أن قرأ مجموعة منها ، وقرأ عن مراحل تكون المجتمع والتاريخ ، وأن العالم على وشك الوصول للمرحلة الأخيرة ، وهي سيادة الشيوعية التي في روسيا والاتحاد السوفيتي والتي ستمتد إلى باقي بلدان العالم ، وأن عليه أن يكون لبنة في تحقق ذلك ، وأن يكون شيوعا لتصبح بلده بعد حين ضمن العالم الشيوعي .. تأكل وتلبس مما تنتج .. والناس شركاء في الحاجات .. وأن الحياة مادة .. لا إله والحياة مادة .. المادة هي الحياة والدنيا والآخرة .. ولا بعث بعد الموت ولا قبر ، ولا حياة أُخروية .. فتقول لي : كنت أجد صعوبة طبعا في قبول هذه الأشياء والاقتناع بها .. وأنت ترى أن مؤسسة وشركة ومدرسة تحتاج لسيد لمدير لقيم فكيف تكون سماء وأرض وليس لها سيد ولا مدير؟

قال : استسلمت للفتاة كطفل صغير يذهب للروضة ، فأخذت أجري بيني وبينها مناقشات وحوارات في المكتبة وخارج المكتبة حول التاريخ وبداية الفكر الشيوعي الذي يشيع اليوم ، وعن البلشفة الروسية التي تحكم الناس بالقوة والنار والديكتاتورية والجاسوسية والتعذيب والحبس والنفي والتشريد ، وكانت فتاتي تدافع بقوة عن أفكارها ومبادئها ، وأنها ولدت في أسرة تغلغلت في الشيوعية ، طبعا أن أجهل أسرتها كل الجهل ، ولا أعرف والدها رغم شهرته كما زعمت ، أو كما عرفت لاحقا ، تحدثنا عن كارل ولينين وأهمية الاشتراكية لتحقيق العدالة الاجتماعية للشعوب المقهورة وتوزيع الثروة على الأمة ، حتى لا تتكدس في يد طبقة واحدة ، وأن الاشتراكية تحتاج قوة وجيشا قويا يحميها ويعززها في هذا العالم ، ويدافع عنها ضد قوى الاستكبار والرجعية العفنة ، وتحدثت عن قوة الجيش الروسي في الحرب الثانية والشيوعية التي انقضت الصين من الاستعمار ، وحررت فيتنام من قبضة الغرب وكوبا ، فلولا الشيوعية لظلت هذه البلدان تحت نير الاستعمار والاستعباد ، وتحدثنا عن أهمية العمال في الحركة الشعبية ؛ لأنهم هم الذين يديرون المصانع والمكائن ، وتحدثنا عن قبول فلاحين روسيا والصين بالانخراط بالشيوعية رغم أنهم لم يكونوا عمالا ، فكنت أجد لديها من المبررات والحجج المستميتة في الدفاع عن الشيوعية .

وقسم ماركس شيطان الشيوعية : الحياة البشرية إلى خمس مراحل حتمية: هي الشيوعية الأولى والرق والإقطاع والرأسمالية والشيوعية الثانية والأخيرة.

وجعل الانتقال من كل طور من هذه الأطوار إلى الطور اللاحق له حتميا من جهة، ومردودا إلى

أسباب مادية واقتصادية من جهة أخرى.

فالشيوعية الأولى هي الأصل الذي عاشت عليه البشرية الأولى في بدايتها، وجوهرها المميز هو عدم وجود ملكية فردية لشيء على الإطلاق، وقال: ولا النساء أيضا، فقد كان الجنس يمارس على المشاع، كل النساء لكل الرجال على السواء، والأرض ملك للقبيلة بأكملها، والطعام يتناوله الجميع معا والسلاح مملوك للقبيلة سواء سلاح الصيد أو الحرب.. والحياة ملائكية شعارها التعاون والحب والتناسق والانسجام!

ثم اكتشف الإنسان البسيط الزراعة وضعف تعلقه بالصياد ، فأدى هذا الأمر المادي البحت إلى الانتقال إلى طور اقتصادي جديد تبدل فيه كل شيء تبدلا كاملا فراحت القبائل القوية تقاتل القبائل الضعيفة وتسترقها وتشغلها في فلاحة الأرض ، فنشأت طبقة الرق ونشأت الملكية الفردية وانتهت الفترة الملائكية التي عاشتها البشرية في فترتها الأولى.

ثم في المرحلة الثالثة اخترع الإنسان المحراث ، وأدى هذا الأمر المادي البحت إلى الانتقال إلى طور اقتصادي جديد، فقد اكتشف الإنسان أنه يستطيع أن يزرع - بهذه الآلة الجديدة- مساحة أوسع بكثير مما كان يمكن زرعه بالآلات السابقة ؛ فنشأ نظام الإقطاع ، ونشأت معه أفكار وعقائد ونظم ومؤسسات جديدة مختلفة تماما عن السابقة.

ثم اخترع الإنسان الآلة الصناعية فنشأت الرأسمالية - بسبب مادى بحت- وانتقلت صورة الملكية الفردية من ملكية زراعية إقطاعية إلى ملكية صناعية رأسمالية، ونشأت أوضاع فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية جديدة بالمرة، فتغيرت الطبقة ذات السيادة فلم تعد هي طبقة الأشراف أمراء الإقطاع إنما أصبحت طبقة الرأسماليين أصحاب المصانع وأصحاب رءوس الأموال، ولم يعد الشعب في مجموعه فلاحين إنما صار عمالا صناعيين، وتغيرت مفاهيم هؤلاء وهؤلاء وتغيرت نظرتهم إلى كل القيم التي كانت سائدة من قبل في المجتمع الزراعي.

ثم نشأ الصراع القوي بين العمال وأصحاب رءوس الأموال فنشأت الشيوعية وهي المرحلة الخامسة والأخيرة ؛ لا لأسباب مادية في هذه المرة إنما لأسباب اقتصادية - وهي صنو الأسباب المادية في نقل الناس من طور إلى طور- ولكن في هذه المرة لا يحدث تطور ينقل الناس إلى طور جديد بعد الشيوعية، إذ الشيوعية هي المستقر الأخير للبشرية ، كما كانت بدايتها هي الشيوعية وتحدث في داخل الشيوعية تغيرات ولكنها لا تغير المبدأ الرئيسي لها، وهو إلغاء الملكية الفردية وإقامة الملكية الجماعية بدلا منها ، وفي النهاية - نهاية كل

تطور وتغير- تلغى الدولة لانتفاء الحاجة إليها، ويزيد الإنتاج بالدرجة التي تسمح بتطبيق مبدأ كل حسب طاقته، ولكل حسب حاجته ويزول الصراع نهائيا من حياة البشر، ويعيشون في حالة من الملائكية كالتي بدأوا بها حياتهم أول مرة.

ويركز ماركس في كلامه من مراحل التطور الحتمية وأسبابها المادية والاقتصادية على الانتقال من مرحلة الإقطاع إلى مرحلة الرأسمالية؛ لأن هذا هو الطور الذي كان قائما في وقته؛ فيقول: إن من سمات المجتمع الإقطاعي الزراعي: التدين، وترابط الأسرة، وسيطرة الرجل على الأسرة بكل أعضائها، أي: على الزوجة والأولاد، ويرد هذا كله إلى أسباب مادية واقتصادية.

فاستسلم باسل لأفكارها ووجهة نظرها فقال : كأنني مقتنع بها تقول حتى أنها تنبأت أني سأكون شيوعيا عالميا ، وعليّ أن أسعى للتعرف على نضال الكلبي ، وأنها ستقدمني إليه في أقرب فرصة متاحة لأنهل من شيوعيته العالمية ، فقررت أن ألعب هذه اللعبة الخطرة ، وادخل دهاليز شيوعية أبو خروف بحجة التعرف والغرف من أفكار ستالين وإنجلز وماركس وكاسترو وماو وهوشي منه الذين لا أعرف لغاتهم بالطبع .. سأطلع على ما ترجمه شيوعيو العرب عنهم ، واعترف لكم أعجبت بسمر رفيقة الجامعة ، حتى أحببت أن أسألها صراحة وإحراجها: هل صحيح ما يقال عن الشيوعية إنها تجعل النساء مشاعا للرجال للأخ والعم والخال والابن وماذا النتيجة ؟!

فأجابت دون مواربة: هذا كان في الشيوعية الأولى البدائية حيث لم تكن هناك طبقة عاملة ، فالمرأة تمارس الجنس مع كل الذكور ، والرجل يعاشر من شاء من نساء حيث لا أبوة ولا أمومة الكل آباء والكل أمهات كما يحدث في بعض عائلات الأسود ، ثم تابعت بعد صمت حتى استوعب الفكرة: الأمر بسيط حيث لا زواج ، ولماذا الزواج ؟ والكل يعيل الكل .. والجنس الهدف منه المحافظة على النوع ، ثم المتعة .. سعوا في روسيا إلى فعل هذا ، ثم عادوا عن ذلك خشية انتشار الأمراض الجنسية ، وعادوا إلى مؤسسة الزواج دون تجريم للزنا .. المولود ابن الدولة ..الأم حاضنة والأب لا ينفق .. الدولة تنفق على الابن الشيوعي فهو ابن الحزب والأمة كلها .. والفتاة الشيوعية تمارس الجنس برضاها ليس كل شخص له الحق بمضاجعتها .. يشير إليها فتلبي الطلب كالجواري في القديم .. رضا متبادل ، والحمل برضاها .. الجنس لا يسمى زنا عند الشيوعي .. فلسنا بحاجة لعقد وتوثيق .. فالمولود ابن الدولة الشيوعية .. الأكل والشرب هل يحتاج لتوثيق وعقد ومحكمة ؟ والجنس حاجة مثل ذلك.. ولماذا التفريق؟ تختار شريكها وهو

يختار شريكته للأبد لسنة لعشر سنين لا طلاق .. ولا محاكم كما تحيا الحيوانات والطيور في الغابات والبحار

- أهذا من الشيوعية ؟! اسم على مسمى أتعنين؟! أهذا في الاتحاد السوفيتي؟!

- لمن هو شيوعي حقيقي فتجد هذا .. فروسيا فيها أناس لم يقتنعوا بالشيوعية كفكر ومنهج حياة ، ففيها الرجعيون ورجال الكنيسة وحتى هناك مسلمون في نفس روسيا والقوقاز ، فلا إجبار على اعتناق الشيوعية الحكم شيوعي البلشفي ، المدارس تعلم الشيوعية والاشتراكية ، ومع الوقت سيدخل الجيل الجديد كله في الشيوعية ولو نفاقا من أجل الوظيفة والسلطة .. والزواج موجود بينهم ؛ ولكن الشيوعي الحقيقي لا تهمه هذه المؤسسة ، ومن حق المرأة الاحتفاظ برجل واحد والرجل كذلك ، لكن لا تجرم الزانية والزاني وينسب الابن لأبيه ، ويجوز اتخاذ العشيق والعشيقة دون تعصب ، فالانفصال سهل ، فهناك شيوعيون يحبون الحياة الأسرية الصغيرة .. أنت عندما تجالس نضال الكلبي تسأله ما تشاء ، فهو أخبر مني ، فقد زار الاتحاد السوفيتي أكثر من مرة ودول أوروبا الشرقية ، وستعرف الكثير من الأسرار أسرار العالم الشيوعي .. فكر يا رفيقي بحسم قرارتك ، وستجد في الاشتراكية والشيوعية حياتك وشخصيتك

- أأنت شيوعية مائة بالمائة ؟

- تقريبا ؛ ولكني في أول الطريق وإن انحدرت من أبوين اعتنقا الشيوعية بقناعة وقوة .

وتجرأت وقلت: وهل تسمحين لشيوعي بمعاشرتك جنسيا؟

- لا ، ليس كل شخص ، ولا حرج في فعل ذلك مع أحدهم إذا راق لي ذلك ، ولا تنس أننا في بلاد العرب ، بلاد لا تحكمها الشيوعية ، فالعلاقات بين الجنسين فترة حساسة حتى في الغرب من النادر أن تصل فتاة لسن ثماني عشرة سنة وتبقى عذراء ؛ فإنها في نظرهم معقدة .. والشيوعية لا تركز على الجنس كما يشاع عنا ، إنما تسعى للحياة الفضلى ، والمساواة بين أفراد الشعب ، والقضاء على الطبقات والفوارق الاجتماعية .. ولكني لست عذراء ، ولا تهمني عذريتي وبكارتي ، ويمكنني فعل ذلك دون حرج من أب أو أم.

- أهلك يعتبرون هذا أمرا خاصا وطبيعيا!

- لا دخل لهم بأفعالي هذه

- ومن ينفق عليك ؟!

- أهلي ليس الحزب ، ربما بعد الشهادة الأولى أسافر للدول الشيوعية رومانيا بلغاريا

الشيوعية

فلسفة العفة لدى الشيوعيين : إن الرجل في

المجتمع الزراعي هو المتكسب ، وهو الذي ينفق على الزوجة والأولاد ، ومن ثم يسيطر عليهم ويبسط سلطانه بسبب هذا الإنفاق ، ويكون سلطانه أشد ما يكون على الزوجة الضعيفة ، فيفرض عليها أن تكون له وحده فقط ، ومن ثم تصبح قضية العفة والمحافظة على العرض ذات قيمة كبيرة في المجتمع الزراعي ، ويفرض على المرأة أن تحافظ على عرضها وشرفها إرضاء لأنانية الرجل المتكسب المنفق الباذل ويضفي على ذلك ثوب الدين والأخلاق ، فتصبح قضية العفة قضية دينية وأخلاقية في حين أنها مجرد انعكاس لوضع اقتصادي معين يكون الرجل فيه هو المتكسب دون المرأة ، هذه هي فلسفة الشيوعية نحو العفة .

ومن جانب آخر فإن المرأة تستقل اقتصاديا ؛ لأنها تعمل وتتكسب ، ولا تعود عالة على الرجل كما كانت في المجتمع الزراعي ، ومن ثم يفقد الرجل سيطرته عليها ولا يعود في إمكانه أن يفرض عليها أن تكون له وحده ، كما كان يفرض عليها في المجتمع الزراعي ، فتتحرر من القيود وتفقد قضية العفة أهميتها في المجتمع الصناعي المتطور؛ لأنه أصبح من حق المرأة أن تهب نفسها لمن تشاء دون سيطرة للرجل عليها.. والرجل غير مربوط بأسرة تقيده

فمن طبيعة المجتمع الزراعي أن تتكاثر الأسرة وهي في البيت الواحد أو في بيوت متلاصقة متقاربة، لا لأن ذلك فضيلة في ذاته أو شيء مستحسن، لكن لأن ذلك من طبيعة الطور الاقتصادي ومستلزماته؛ لأن رجال الأسرة كلها يتعاونون في الزراعة ، وكلما كثر أفراد الأسرة زاد إنتاجها الزراعي، فيحقق ذلك مصلحة اقتصادية للأسرة ، أما في المجتمع الصناعي فكل عامل شخصيته مستقلة لا ارتباط بينه وبين غيره من الناحية الاقتصادية، ومن ثم تستقل كل أسرة صغيرة - أي: الأب والأم والأولاد- ببيت مستقل، وكلما كبر أحد الأولاد وتزوج استقل بأسرته الصغيرة في بيت خاص ، وتفقد الأسرة الكبيرة ترابطها مع الزمن ، ولا يعد ذلك عيبا ولا رذيلة ؛ لأنه هو الانعكاس الطبيعي للطور الاقتصادي القائم ، بل إن الأسرة الصغيرة ذاتها تتفكك روابطها بسبب العمل، عمل الرجل والمرأة كليهما، كل في مكان يعمل فيه ، وعدم ارتباط الزوجة بالبيت وتربية النشء، ولا يعد ذلك عيبا كذلك ولا رذيلة ؛ لأنه لا توجد قيم ثابتة في حياة البشرية ، لا توجد فضيلة ثابتة ولا رذيلة ثابتة ، إنما الفضيلة ما يوافق الطور الاقتصادي القائم والرذيلة ما لا يوافقه ، فكما كانت العفة هي الفضيلة في المجتمع الزراعي يصبح التحلل هو الفضيلة في الطور الصناعي أو هو الأمر الطبيعي

على أقل تقدير.

وكما كانت سيطرة الأب هي الفضيلة في المجتمع الزراعي يصبح فقدان سيطرة الأب هو فضيلة المجتمع الصناعي أو هو سمته الطبيعية ، كانت الأسرة المترابطة قيمة من القيم الاجتماعية المستحسنة في المجتمع الزراعي، وتصبح الأسرة المفككة -حتى على النطاق الصغير- هي القيمة الاجتماعية المستحسنة في المجتمع الصناعي أو هي السمة الطبيعية على أقل تقدير!

فإذا جاءت الشيوعية ـ وهي المرحلة الحتمية الأخيرة في حياة البشرية ـ فلسنا في حاجة إلى تعديل جذري في القيم والعقائد والأفكار.. تتغير فقط الصورة الاقتصادية فتلغي الملكية الفردية إلغاء كاملا ، وتصبح الدولة هي المالك الوحيد.. ولكن القيم المباركة التي أنشأها المجتمع الصناعي تظل قائمة ويزاد فيها فقط حتى تصل إلى نهايتها ، فالدين يلغى إلغاء كاملا، ويقضى على البقية الضعيفة الباقية منه في المجتمع الرأسمالي؛ لأن مهمته التي يقوم بها هناك – وهي تخدير الكادحين ليرضوا بالظلم الواقع عليهم– تنتهي في المجتمع الشيوعي الملائكي الخالي من الظلم ، فلا يعود للدين حاجة ألبته.. وتفكك الأسرة تفكيكا كاملا ؛ لأنها بقية – سخيفة– من بقايا العهود الرجعية التي كانت تمارس فيها الملكية الفردية ، فتتربى الأثرة في نفوس الأبوين رغبة في توريث أبنائهم.. فالآن وقد ألغيت الملكية الفردية فالأسرة نشاز في المجتمع الجديد المتطور والأولاد ملك الدولة، هي التي تملكهم -ملكية جماعية! مزرعة دجاج أو حيوان – وهي الدولة التي تنشئهم التنشئة الصحيحة، وليس لأبويهم إلا ولادتهم لحساب الدولة.. حظيرة خنازير وأما العلاقات الجنسية فهي حرة حرية كاملة؛ لأننا عدنا – عودا على بدء– إلى الشيوعية الأولى[التي لم تثبت تاريخيا ولا علميا] ، إلى تناول حاجات الحياة كلها على المشاع. الكل للكل .. وهنا تصل البشرية إلى قمة التطور الذي ليس بعده شيء!

وأشاعوا الفوضى الجنسية والانحلال، وحاربوا قيد العفة الذي يحول بينهم وبين تنفيذ مخططاتهم الواسعة لتحويل الآدميين إلى دواب تدور في طاحونتهم، فيجيء فيلسوفهم فيقول إن قضية العفة إنما أخذت أهميتها من أنانية الرجل في المجتمع الزراعي المتأخر باعتباره هو المتكسب والمنفق .. كل المبادئ المادية تركض وراء الشهوات الجنسية وعدم تحمل مسؤولية الأبناء .

كان باسل قد عرف وتعرف على بعض الشباب الشيوعي والحركة الشيوعية العربية في المدرسة الثانوية ، فهم يوزعون البيانات والنشرات الشيوعية خفية بين الطلاب ، فالحزب الشيوعي

كان موجودا في الساحة دون ترخيص رسمي لنشاطه ؛ للقانون الذي يحظر الحزب الشيوعي ، أما على مستوى فردي شخصي فلا تمنع الدولة العربية اعتناق الفرد للفكر الشيوعي والوجودي والإلحادي والقادياني والبهائي .. وكانت أيضاً حركة الشبيبة الشيوعية ثم ذاعت أسماء كثيرة كلها تصب في خانة الشيوعيين ؛ لأن هناك شيوعية روسية وشيوعية صينية وشيوعية كوبية حسب مصدر الدعم المادي .. تسمع فكر شيوعي متطرف ، وشيوعي معتدل وكانت القضية العقدية التي تثار بين أصحاب الفكر الإلحادي والفكر الإسلامي قضية الوجود الإلهي ، فالشيوعية لا تؤمن بإله للكون والخلق ، ولا تؤمن بدين ، والإله عندنا فطرة ، فصعب حتى على من يحمل أفكارا شيطانية أن ينكر الله ؛ لأن لإبليس زعيم الشر يؤمن بالله { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} .. وكفر بعضهم بالاتحاد السوفيتي ؛ لأنه كان من أوائل من اعترف بدولة إسرائيل عندما أنشئت على البلد الفلسطيني ، وطرد أهلها .

الجدل يدور بينهم على وجود الله أم الكون بدون إله ، فهم يقولون لا إله والحياة مادة ، وكبار الشيوعيين في أوروبا هم يكفرون بالدين ، ويعتبرونه أفيون الشعوب والحكام ، وهؤلاء لا يهتمون بقضية الوجود الإلهي لا إيمان عندهم ، إنما القضية مهمة في الشرق لأن الوجود الإلهي قضية مسلم بها ، وفطرة لا تحتاج إلى مناقشة .. فالإسلام دين أغلب سكان الشرق العربي والإسلامي .. فاهتم المفكرون المسلمون في تفنيد ضعف نظرية إنكار الخالق فهي فكرة فطرية قبل أن تكون عقلية ، وحتى الفلسفة الإسلامية التاريخية لم تناقش فكرة وجود الخالق إنما الصراع الفكري كان قائما وما زال بين تقديم العقل على الوحي والنقل على استنباط الأحكام فقصة ابن طفيل حي بن يقظان تعالج الفكرة هذه ، فلذلك عرف حي خالقه بالنظر إلى المخلوقات والفكر والحياة والكون ؛ ولكنه لم يعرف كيف يعبد هذا الإله ؟ كيف يخضع له خضوعا صحيحا ويعبده عبادة صحيحة ؟ فاحتاج للوحي والنقل .. فالعقل يؤدي إلى معرفة الخالق القادر ؛ لكن كيف يعبده ؟ فهذا يحتاج لرسول ونبي .. فهذا ما شغل الفكر الإسلامي في وقت من الدهر .. لابد للكون من صانع خالق هو الله ؛ لأن العدم لا يخلق شيئا ، وله مدبر يدبره ويسيره .. فالعقل وحده كيف يعرف صفة الصلاة والصوم والحج ؟ .. ولكن الفكرة الشيوعية الإلحادية شوشت على الناس أفكارهم ، وضعف المسلمين أمام الغزو الغربي الاستعماري أوجد قبولا لدى بعض الناس للفكر الشيوعي الضال الزائغ .. فهم ينكرون الدين والإله دون إعمال

الفكر في صواب هذا الدين ؛ لذلك البسوا الشيوعية لباس العلم ، لذلك كتب أهل العلم والفكر الإسلامي كتبا في هذه القضية لإعادة الشباب المسلم التائه إلى الإسلام ودينه ، فكان النقاش والحوار والجدل حول قضية الوجود التي يجب أن تكون بدهية ، فعبدة الأصنام قديما وحديثا ما كانوا ينكرون وجود الله ؛ إنما كانوا يشركون معه آلهة أخرى لتقربهم إليه زلفى ، فهم يعترفون بربوبية الله ، وقلة من كانت تنكره سبحانه وتعالى ؛ ولذلك كانت كتب ومناهج التعليم تتكلم عن الوجود والدهرية القدماء حماية للشباب من الافتتان بالشيوعية السوفيتية أو الشيوعية الصينية إذ كانا على خصام وتناحر ؛ لذلك كانت تشتهر بين الطلبة قصة الإمام أبي حنيفة مع جماعة من الدهريين ، وهم أجداد أهل الإلحاد ، فضرب بينهم وبين الإمام موعد للمناظرة ، وانتظروه في المكان المتفق عليه ، فتأخر الإمام عن موعده ، وجاءهم متأخرا وكانوا غضابا عليه ، وكيف تأخر عنهم كل هذه الوقت ؟ فقال لهم بما معناه : هونوا على أنفسكم أيها السادة كنت قادما إليكم ، ولما شئت أن اقطع النهر راكبا ، لم أجد قاربا يقلني إليكم ، ثم رأيت الريح قد اشتدت وهاجت وقلعت الأشجار من الأرض ، واصطفت بعضها جنب بعض وجاءت الحبال والمسامير حتى أصبحت قاربا ، فركبته وجئت إليكم ، فعجبوا من كلام الإمام ، وأنكروا حدوث هذا ووجود هذه السفينة ، فقال باسما: أنتم تقولون ذلك . فازداد عجبهم من الشيخ فقال : ألستم تقولون إن هذه السماء وهذه الأرض والجبال والأشجار خلقت نفسها ، ووجدت من دون موجد ، فكيف سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج تكون من غير خالق ؟ فرجعوا أو دخلوا دين الإسلام ، وغير ذلك من القصص الدالة على الوجود الإلهي .. فالشباب المسلم عنده قضية الوجود قضية فطرية مسلما بها ، والعقل يقر بها ويدعمها ، فلكل فعل فاعل ، فهل يمكن أن تصدق إذا طرق عليك الباب أن يكون بدون طارق له ؟! والصدفة طرقته .. والصدفة خلقت هذه السماء والأرض .. والجبال يستحيل وجودها صدفة ، وتدل على عناد وجهل وحمق فاعل ذلك .. فكما لا يمكن أن يكون إنسان في مكانين في نفس الزمن ، فلا يمكن لهذا الوجود أن يكون بدون مدبر ومكون وخالق حكيم .. العقل السليم يرفض ذلك مهما تمسك الملحد ببراهين وهمية وأدلة لا تغني ولا تسمن من جوع

فهذا الإله يجب أن يكون قادرا قويا حيا حكيما عليما .. الجاهل لا يخلق شيئا ، والضعيف العاجز لا يمكن أن يوجد كونا عظيما .. فالطبيعة المزعومة

عند الماديين أصبحت إلها تخلق المادة ، والمادة تخلق المادة ، تخلق نفسها .. فالمادة مخلوقة فلابد لها من خالق

لقد كان باسل على موعد مع سمر زميلة الكلية أو مكتبة الكلية لتعرفه على نضال الكلبي ابن أبو خروف ليأخذ عنه الفكر الشيوعي على أصوله ، وأن الشيوعية هي المرحلة الأخيرة من مراحل التطور الاجتماعي ، والتي يسعى إليها كل العالم ، لا أعلم أي عالم يقصدون ؟ فأمريكا الشمالية أضعف شيء فيها الفكر الشيوعي والاشتراكي .. فالسعادة لا تتحقق إلا بوصولنا للمرحلة الشيوعية الحديثة ، وتلغى وتتوقف الطبقات ويتساوى جميع الناس في الثروة والحقوق والأحلام ، لا يبقى أغنياء ، ولا يبقى فقراء .. الاتحاد السوفيتي أبو الشيوعية المعاصرة فشل في الوصول لهذه المرحلة لضعف الإنتاج وضعفت القوى العاملة حتى اضطر لوضع الحوافز وإهداء السيارات لبعض المديرين والتململ في بلدان أوروبا الشرقية وإعدام الفاشلين كما يحدث في الصين ، حتى أن الصين ابتعدت عن شيوعية ستالين ، واعترف خروتشوف بأخطاء ستالين الكبيرة والمدمرة ، فأصبحت الشيوعية اسما في بعض الدول التي اقتنعت بالشيوعية ، لا يركز فيها إلا على الجانب العقائدي فقط .. الجانب الاقتصادي على وشك السقوط .. مساوئ التطبيق هي التي تكشف عوار الأفكار والإلحاد وعجز النظريات ، قامت روسيا بمشاعية النساء ، ثم عصف الأمراض الجنسية بهذه الفئة ، فأوقفوا المشروع زاعمين أن هذه مرحلة مرت على المجتمع الشيوعي البدائي ، وظهر مثل ذلك في الفرس والقرامطة ، وعادوا كما يفعل الغرب زوجة واحدة وعدد من الخدن والعشيقات ، وزادت عيادات المعالجات الجنسية ومراقبة دور الدعارة والبغاء ، وعرض أنفسهم على الطب باستمرار خشية تفشي أمراض الجنس والإباحية

في بيت نضال

التقى باسل وصديقته سمر عند دوار أبو خروف كما اتفقا ، وبعد السلام والمصافحة ، مشيا إلى بيت نضال حيث يقع في الجزء الشرقي من أبو خروف قريبا من الدوار في القطعة التي بين شارع النخلة والرأس ١٠٢ قرب مدرسة الذكور الأساسية ، وحتى باسل لا يفصل بين بيته وبين نضال إلا شارع أبو خروف الرئيسي ، لذلك قال لما وقفا أمام بيت نضال : بيتنا في المربع المقابل

كان الوقت عصرا ، فاستقبلهم الكلبي مرحباً بهم وبالعضو الجديد وساقهم إلى غرفة الاستقبال الواسعة ، ورأى باسل عددا من النساء والشباب مجتمعين في الغرفة ، وكان الدخان يملأ فضاء

المكان ؛ كأنه غمامة ، وعرفهم نضال بحماس ظاهر على الزميل الجديد المبتدئ وقال بصوت خطابي : تأمل الرفيقة سمر أن تضم إليكم عضوا جديدا السيد باسلا .. وهو من سكان هذا الحي الشامخ حي الشباب الثائر على التقاليد وعلى الدين الظلامي دين الجهل والتخلف والرجعية أفيون الشعوب .. إنه طالب كلية الآداب مع الرفيقة سمر

رحب الجلوس بالزميل الجديد ترحيبا حارا ، وأشار نضال لهما بالجلوس على أحد المقاعد الكبيرة في صالة البيت ، وأخذ الرجل يذكر لهم المعلومات التي روتها سمر عن باسل وباسل يراقبهم بعينيه ويسمع بأذنيه ، وقال أحدهم : مرحباً ، ستجد ما يسرك في شباب الحزب الشيوعي في هذا البلد ، وعندما تتحقق الرغبات الكبيرة ، ستجد مكانا يليق بدراستك يا رفيق باسل

لما سمع كلمة رفيق من الرجل وبطريقة مضحكة كاد يضحك أو ينفجر ضاحكا .. فهؤلاء لا يعرفون من الشيوعية إلا مصطلحات ، وأهمها رفيق البروليتوريا العمال ، ويقصد كارل ماركس بالبروليتاريا الطبقة التي لا تملك أي وسائل إنتاج وتعيش من بيع مجهودها العضلي أو الفكري ، ويعتبر ماركس البروليتاريا هي الطبقة التي ستحرر المجتمع وتبني الاشتراكية بشكل أممي .. ماركس هو صاحب البيان الشهير مع رفيقه فريدريك انجلز ١٨٤٨م وهو ما يسمى عربيا البيان الشيوعي وهو مبادئ الشيوعية ، ولكنه كما اخبرني أحب أن يستمر في التجربة ، العالمية الاتحاد السوفيتي هو الصنم الجديد لهم ، ثم سمعهم في أول جلسة له بينهم يتحدثون عن أبطال روسيا في الحرب الكونية الثانية ، وكيف سحقوا النازية ؟ وأخذوا نصف ألمانيا .. والغريب أنهم سموها ألمانيا الديمقراطية .. ومن المعروف أن الحزب الشيوعي أبعد الناس عن الديمقراطية .. فهم كالنازيين حزب شمولي ديكتاتوري .. وذكروا أمامه قامات شيوعية مشهورة على مستوى العالم والأممية الأولى والثانية وعظمة الاتحاد السوفيتي .. ولولاه ما انتصر الحلفاء على الرايخ الثالث .. ودخلوا على الحرب الباردة ، وتحدثوا عن دعم الروس للمد الثوري العربي لنيل الاستقلال والثورة على الأنظمة الرجعية وتحرير الشعوب ونشر الاشتراكية العربية .. فتحقيق الاشتراكية هو الدرب إلى مرحلة الشيوعية حيث يتساوى المجتمع الشيوعي في الإنتاج والحياة والرفاهية والعمل.. وتحدثوا عن اشتراكية ناصر في آخر الخمسينيات والستينيات وانتهت بهلاكه سنة ١٩٧٠ ، وبعد حرب تشرين ذهبت

الاشتراكية وبدأ التقارب بين مصر وأمريكا وإسرائيل .. وهم اليوم ١٩٧٨يتحدثون عن السلام فيقول باسل : ورأيناه بأم أعيينا ، وهؤلاء ليس لهم من الاشتراكية إلا الاسم .. والشعب ما زال حانقا يصارع من أجل لقمة العيش ، والروس وصلوا الفضاء .

وكانوا يمجدون الروس تمجيدا عجيبا فقال أحدهم : مالك صامت يا رفيق باسل ؟!

التفت باسل للسائل وابتسم وقال: أنا ضيف أحب أن أسمع أنا حديث التجربة في الشيوعية ، الرفيقة سمر أحبت أن أتعرف عليكم ـ إنهم يحبون تذكير لقب رفيقة حيث لا يحبون التفريق بين الجنسين كما في اللغة العربية ـ وأزداد معرفة في الكفاح الشيوعي ، ولكن ما قرأته عن الشيوعية أنها نشأت ضد النظام الكنسي في أوروبا ، وضد الدين في أوروبا بزعم أنه محارب للعلم داعي للجهل ، وظهرت الاشتراكية ضد النظام الرأسمالي ، وذلك في عصر النهضة الصناعية ، وقد ظهرت طبقة العمال في المصانع .. يعملون ويكدحون ليل نهار ويأخذون الفتات ويهملون في المرض والكبر ..وأصحاب المصانع يأخذون الذهب والكثير .. فظهرت نقابات العمال التي تطالب بتحسين أوضاعهم المادية ، ورعايتهم مرضى وشيوخ ، وتطالب بحقوق العمال .. وأنا راغب بمعرفة المزيد منكم عن طبقة العمال يا عمال العالم اتحدوا .. وعلى ماذا يتحد العمال ؟! وما المقصود بقولكم الدين أفيون الشعوب ؟! فالكنيسة ما زالت تعمل وموجودة في الدول الاشتراكية والشيوعية وفي أوروبا والفاتيكان .. وقرأت أن دولا أوروبية غربية كانت مرشحة لتنجح فيها الثورة الشيوعية .. ونحن في آخر سبعينيات القرن العشرين ولم نر هذا التحول ، ولم تصبح فرنسا رغم وجود قوى اشتراكية فيها شيوعية .. أريد أن أفهم لأرد على الإسلاميين والتحريرين وغيرهم من الخصوم

سكت الجميع عدة دقائق يتبادلون النظرات ، وقال نضال كأنهم كانوا ينتظرون رده : نعم معلومات جيدة يا رفيق باسل .. ومن حق كل شخص الاستفهام عنها .. حدثتني الرفيق سمر عن الحوارات الساخنة والحادة بينكم عندما تقرأون كتابا .. نعم ، يجب أن نقرأ ونرد وندافع عن منهجنا وبرنامجنا .. ونحن نحب أصحاب الفكر حتى يكون المرء متمكنا مما يدعو إليه الناس ، ويبدد الجهل والظلام .. فتحرير الشعوب يحتاج لفكر وأدب ونشاط وحتى يستطيع مناقشة أهل الدين وأهل الرأسمالية .. طبعا أنت تعلم أن الاشتراكية نظام اقتصادي ليس ديني ولا سياسي .. مرحلة من مراحل كفاح الشعوب ؛ فإذا وصل

الشعب والأفراد إلى هذا المرحلة أصبحوا في المرحلة الأخيرة من مراحل النظام الاجتماعي الشيوعية الجديدة .. كانت مرحلة الشيوعية الأولى ثم مرحلة الرق والزراعة ثم الإقطاع ثم مرحلة الالة والرأسمالية الصناعية وظهرت الاشتراكية بديلا عن الرأسمالية ..ظهرت للدفاع عن الظلم الواقع على طبقة عمال المصانع والمناجم في أوروبا ، وكانت البداية في ظهور نقابات المهن القوية تطالب بحقوق هذه الطبقة ، والنظام الاشتراكي نظام يدعو لأن يكون أهل الدولة شركاء في الموارد والإنتاج ، وألا يذهب الإنتاج الصناعي إلى طبقة الأغنياء والأثرياء كما في الولايات الأمريكية المتحدة وأوروبا الغربية ، حتى الإسلام دين أغلب الشعوب العربية منه جانب اشتراكي ، وأبو ذر صاحب رسول الله كان الاشتراكي الأول في الإسلام ولكنهم نفوه من مسرح الأحداث حتى لا ينتشر الفكر الاشتراكي بين الشعوب العربية .. والملكية الخاصة مرفوضة في الفكر الشيوعي.. الموارد لكل الناس ، الإنتاج لكل الناس .. والتدين يا رفيق باسل ضد التطور ضد التقدم ضد الاشتراكية .. التدين يدعو للجهل أو الظلم والسكوت على ظلم الحكام ، والجزاء يكون في الآخرة بعد الموت ، والرضا بكل ظلم الرأسماليين والحكام .. والسكوت على ظلم أصحاب الأموال .. فالتدين لا يدعو للثورة على الحاكم الظالم ، يدعو إلى الرضا والصبر والخنوع .. فالأفيون مادة مخدرة للذي يدمن عليه .. يدعو الشخص أن يصير عبدا لهذه المادة خاضعا لها ، ولا يريد إلا هذه المادة .. وكذلك التدين اخضع اخضع اقبل الأمر الواقع .. لا يتردد إلا على الكنيسة والجامع .. صحيح أن الاشتراكية والشيوعية دعوة للتمرد على الدين وعلى العبودية وعلى الكنيسة .. فكل أديان العالم كذلك تدعو اتباعها للخنوع والخضوع للكاهن للشيخ للملك .. ثم لماذا نؤمن بشيء غير موجود غير ملموس غير معروف سموه إله ؟! قالوا لنا إن هناك الله أين هو هذا الإله ؟ أين يسكن ؟ كيف يفعل ؟ بفهم قوانين الكون والطبيعة والمادة مات الإله .. الأسئلة تلك لا أحد يجيبك عليها إلا بتفاهات وخرافات .. ولماذا نؤمن بوجوده لا إله والحياة مادة .. نحن لا نعرف إلا المادة المدركة بالحواس .. نراها نلمحها نملكها نستخدمها .. أين الله ؟ عندما نرى دولا كأمريكا وبريطانيا وفرنسا تقهر الشعوب الضعيفة في أفريقيا وآسيا .. الاستعمار والاستبداد دمر العرب ، دمر المسلمين .. خضعت هذه الشعوب للاستعمار والاستبداد العثماني والإنجليزي ..ولم تحرك ساكنا حتى ظهرت الحركات الثورية .. والحكام مثل باقي الناس

كلهم سواسية .. قامت الحركة الثورية الشيوعية بثورات حتى كانت الثورة البلشفية الكبرى في أواخر الحرب الأولى وصارت للبلشفية دولة تحميها ، وتنشر أفكارها وتطبقها على أرض الواقع .. فالشيوعية حررت الشعب الصيني من الاستعمار الياباني والأوروبي {١}

{1} البلشفية الروسية أو البلاشفة أو البلشفيك التي تعني الأكثرية وقد أطلقت جماعة الجناح اليساري من أنصار لينين، في حزب العمل الاشتراكي الديمقراطي الروسي هذا التعبير على نفسها عام 1903 و كانوا يشكلون الأكثرية في الحزب، بينما سمي البقية بالمونشفيك أي الأقلية ، وكانت الأكثرية تسعى للحل الثوري بينما الأقلية تسعى للتغيير السلمي ، إلى جانب هذا كون البلاشفة جيشا يسمى بالجيش الأحمر الذي خاض حروب أهلية مع الجيش الأبيض و هذا الأخير الذي كان مدعوما من الغرب بريطانيا - فرنسا ، وكانت الغلبة للبلاشفة حينها سيطر على الحكم في روسيا في ظل الحكم الاشتراكي وقد ظلت تلك الجماعة تعرف بهذا الاسم حتى بعد نجاح ثورة أكتوبر عام 1917 التي عرفت باسم الثورة البلشفية.

***

مزيد من الشيوعية

أخذ باسل يتردد على منزل نضال ليلا بعد أن أظهر ميوله للالتحاق بالحزب الشيوعي وأنصاره في أبو خروف ، كذلك ظل مستمرا في المجادلات والمناقشات مع سمر في ساحات الجامعة ومكتبتها ، فقد كانت الآنسة ناشطة بقوة في وسط الطلبة في مختلف الكليات ، فكانت معروفة حتى لرجال الأمن السياسي ، فكان ليله مع رفاق الحي ، ونهاره مع سمر فقال لنضال: يا رفيق نضال قد تبدو أسئلتي مؤلمة أو في غير محلها أحب سماع ردكم عليها ، وهذا ليس تشكيكا في نضالكم وعلمكم ؛ إنما المعرفة والرد على الخصوم الذين نلتقي بهم في ساحات وميادين الجامعة

- خذ راحتك في الأسئلة ، وعندنا لكل سؤال جواب ، وعليك أن تعرف ردنا لترد على أعداء الفكر اليساري .. فنحن عندما يزداد عددنا ويكبر ، ويقتنع الشعب بأفكارنا الاشتراكية سنستلم الحكم والسلطة ؛ لندافع عن حقوقنا وحقوق الطبقة الكادحة عن حقوق الفقراء .. نلغي الطبقة الرأسمالية، وتصبح الموارد والإنتاج مشاع للجميع .. هل تعلم يا رفيق باسل أن كلمة رفيق استخدمتها الفرقة الإسماعيلية قديما قبل أن يستخدمها الشيوعيون ؟ والله معبود المسلمين هو الرفيق الأعلى .. ماذا تريد أن تفهم يا رفيق باسل ..صاحبتك سمر معجبة بك وتراك مكسبا كبيرا للحزب ومفكرا قويا في المستقبل القريب .. اسأل يا رفيق

تنحنح باسل وابتسم للجميع : أنتم تعلمون أن العرب ومن عقود يتحملون هم القضية العربية الكبرى في ضياع فلسطين ، ونعتقد أن اليهودية العالمية عدو الشيوعية وعدو الاشتراكية قد أخذت فلسطينا وطنا قوميا للجنس اليهودي ، وبمساعدة الإمبريالية والرأسمالية البريطانية ، وأمريكا ، وأقيم الوطن اليهودي والكيان الإسرائيلي على جزء مهم من بلادنا فلسطين ، وقبل سنوات استولي على الباقي فلماذا اعترف ستالين البلشفي في هذه الدولة اللقيط فور إعلانها دولة ضمن الأمم المتحدة ؟! حتى أني سمعت أن الشيوعية العربية صدمت وأحبطت من هذا الاعتراف العاجل

بعد صمت خيم على المكان ولا ترى إلا سحائب الدخان من الرجال والنساء ، ولا تسمع إلا سحب أنفاسها قال نضال: سؤال مهم وجميل ورائع رفيق باسل ! اعلم أن الحركة الصهيونية عدو للإنسانية كلها ، وليس للحزب الشيوعي فحسب .. وأنا سأبرر لك الموقف السوفيتي عام ٤٨ من إنشاء دولة إسرائيل عدونا إلى الأبد ..وهذا التبرير من لدني .. وبعد مطالعات كثيرة حول هذا الموضوع .. جاء الاعتراف السوفيتي والأمريكي بدولة إسرائيل مبكرا وموقفا مقابل دعم الصهيونية للحلفاء في الحرب الثانية ، فالحرب كانت ساحة ابتزاز للحلفاء حتى يستطيعوا الانتصار على هتلر .. سبب هذا الاعتراف ما قدمته الصهيونية العالمية للحلفاء الجواسيس والخبرات والأسلحة .. فاليهود كانوا مع الحلفاء .. والعرب إما محايد وإما مع النازية خاصة الحاج أمين كان في برلين أثناء سنوات الحرب الأخيرة .. فالاتحاد السوفيتي كما تعلم تاريخيا تعرض لهجوم كاسح من قبل الجيش النازي ، واقترب من موسكو ، وقصد القضاء على الشيوعية في أهم نجاحاتها في روسيا .. فستالين أمام ذلك اضطر لتقديم تنازلات للصهيونية لتوريط أمريكا في الحرب ودعم الحرب ماديا .. فالعرب ماذا قدموا ؟! الانتظار ؛ بل في العراق حدثت حركة رشيد الكيلاني للوقوف مع ألمانيا .. هذا موقف سياسي مقابل موقف ودعم يهودي للحلفاء ..والمناضلون احتجوا على هذا القرار ، وبعضهم غادر الحركة الشيوعية العالمية بسبب ذلك ، حتى أن الروس خلال الحرب أوقفوا منظمة الكومنترن التي أسسها الرفيق الكبير لينين عام ١٩١٩ لتجمع الشيوعيين من أنحاء العالم .. واليهود يهود فلسطين حاربوا مع الحلفاء تطوع منهم حوالي ثلاثين ألف مع الجيش الإنجليزي ، ثم أصبحوا نواة جيش إسرائيل الهاغانا .. في الحرب تتحالف مع الشيطان لتحقيق النصر

والدعم المالي .. وكان الاعتراف بإسرائيل كدولة حسب قرار التقسيم .. لم تعترف روسيا باحتلال باقي فلسطين وقرار التقسيم هو الذي اعترف بإسرائيل ، والأحزاب الشيوعية العربية في ذلك الوقت كانت ضعيفة على الهامش ، لم يكن لنا ثقل وأهمية لدى ستالين .. تستطيع أن تقول إنهم مجرد أفراد وحتى الدول العربية وقادتها كانت تحت الانتداب والاستعمار .. لا حرية في قرارها السياسي أو السيادي .. مصر كانت تحت السيطرة البريطانية والعراق والأردن ودول شرق الخليج العربي ودول شمال أفريقيا مازالت ترزح تلك الفترة تحت الحكم الفرنسي .. وحتى الدول المستقلة كانت ضعيفة وتابعة للدول المستعمرة ، وتحت الوصاية .. كانت فترة تحرر .. هل يحسب لهم الروس قوة وأهمية ؟ لكن في حرب ٧٣ قبل سنوات رأيت وسمعت ما قدم الروس للحرب من صواريخ وخبرات .. وقدم للجزائر حتى تنال الاستقلال واليمن الجنوبي .. ومع ذلك لام العرب اليساريون الروس على هذا الاعتراف بصفتهم دولة كبرى وعضو دائم في مجلس الأمن الدولي .. والنضال الفلسطيني مدعوم من الدول الشيوعية والاشتراكية دعما واضحا للعيان وأكثر من دعم العرب لهم .. السلاح الفلسطيني روسي صيني كوري .. لم نكن بالقوة التي تؤثر على القرار في موسكو .. فالأحزاب الشيوعية الناشئة في الدول العربية ممنوعة ومضطهدة من قبل السلطات والإدارات الحاكمة ، مجرمة في بعض قوانين بعض الدول العربية ، وإنما أفرادها قلة لا يشكلون خطرا ايدلوجيا على تلك الأنظمة ؛ ولكنها تعاملهم بقسوة حتى من بعض الدول التي كانت تزعم أنها اشتراكية الهوى والاقتصاد .. والحركة الصهيونية منذ نشأت أواخر القرن التاسع عشر وهي نشطة مشرعة لها الأبواب في الغرب كله والعالم ، وهي قوية في الإعلام والمال واسعة الانتشار .. فهذا سبب وقوف الاتحاد السوفيتي مع الاعتراف الإسرائيلي حتى إسرائيل تعترف بالحزب الشيوعي الإسرائيلي ، ثم إن الاتحاد السوفيتي دعم فيما بعد القوى الثورية العربية حتى ولو لم تكن شيوعية .. وأظهر لنا ندمه وخطأه .. وهذا لا يغير من الواقع شيئا .. وها نحن بعد ٧٣ نسمع أن العرب يسعون للسلام مع إسرائيل ، وقد اعترفوا بـ٢٤٢ و ٣٣٨ .. فالظروف أحيانا كثيرة تدفع الدول الكبرى وحتى الأفراد إلى اتخاذ قرارات ومواقف مؤلمة لأحزابها .. والحزب الشيوعي السوفيتي نفسه لا يعترف بإسرائيل ..الدولة هي التي تعترف بدولة إسرائيل كدولة حسب قرار التقسيم عام ١٩٤٧ ، نحن لا ننكر أن الموقف كان صدمة لنا ، وكنا في بداية اعتناق مبادئ الشيوعية ،

والسياسة شغلنا الشاغل أكثر من الاقتصاد وعلينا أن لا ننسى دور الاتحاد في انتصار أكتوبر على رأي المصريين ، وتشرين على رأي السوريين ورمضان على رأي الإسلاميين .. فهم سلحوا مصر وسوريا والعراق واليمن الجنوبي ، ولا تنسى مواقفهم تجاه القضية الأولى للعرب وحركات الفدائيين الفلسطينيين .. كل أسلحتهم شرقية على رأسها موسكو ، ولا تنسى دعمه للقضايا العربية كلها في مجلس الأمن والعالم وتحرر الشعوب العربية والأفريقية والآسيوية وأمريكا اللاتينية من ربقة الاستعباد والاستعمار والقبضة الأمريكية بعد ضعف بريطانيا وفرنسا عن مستعمراتها القديمة

جلسة في الكلية

كانت سمر تجالس باسلا في ساحة من ساحات الكلية وتقول مشفقة: لا تسمع لكلام هؤلاء الطلاب الشرعيين طلاب كلية الشريعة .. فهل كانوا يجالسونك قبل التعرف عليّ ؟ اليوم يخشون عليك من أفكاري السامة المستوردة .. فالشيوعية لا تعارض الإسلام كإسلام .. فالشيوعية تدعو الناس إلى العدالة الاجتماعية لكل الناس دون النظر لدين وجنس وعرق ولون تدعو إلى رعاية كل أفراد الشعب والأمة.. عند هؤلاء الإسلاميين الشيوعية كفر .. ومعتنقها كافر .. وبعض كتاب الإسلام السياسي كتبوا عن اشتراكية الإسلام .. فالشيوعية لا تمنع المسلم من الصلاة والصوم .. المهم نشر الشيوعية الاقتصادية بين المسلمين والشيوعية العلمية

لما صمتت قال باسل : أنا رغم ثقافتي الدينية البسيطة يا سمر لا أستطيع أن أدافع عن الشيوعية وأنها تتفق مع الإسلام .. فالإسلام كما تعلمين دين سماوي دين إلهي كما اليهودية والنصرانية .. والشيوعية دين مادي دين بشري إذا صح تسميتها بدين .. هل نستطيع أن نكون شيوعيين ثم نظل مسلمين ؟! وما دمنا قد رفضنا الدين فلا يجب أن نؤمن بدين.. قال : ماركس الدين أفيون الشعوب .. فالشيوعية تقوم على فلسفة مادية تؤمن بالمادة فقط ، لا غيبيات ولا وحي .. فهؤلاء يأخذون دينهم عن الوحي والسنة .. فلسفتنا لا تؤمن إلا بما تراه الحواس .. الغيبيات مرفوضة في الماركسية ، إن الشيوعية قائمة على فلسفة مادية بحتة ، لا تؤمن إلا بما تراه الحواس الخمسة فقط ، وكل مالا تدركه الحواس فهو خرافة لا وجود لها، ألم يقل انجلز إن حقيقة العالم تنحصر في ماديته ؟ ويقول الماديون: إن العقل ما هو إلا مادة تعكس الظواهر الخارجية ، والروح مناخ المادة ، والإسلام دين يؤمن بالغيب .. ماركس هو الذي يقول : إن الإنسان

مخلوق مادي همه إشباع المطالب الأساسية الغذاء السكن الإشباع الجنسي .. فالشيوعيون يومنون بالمادة ، والصراع الطبقي بسبب النزاع الاقتصادي ، ويؤمنون بأن صراع المتناقضات هو وحده العنصر الكامن وراء التطور الاقتصادي والبشري من المرحلة الشيوعية الأولى والرق والإقطاع الرأسمالية إلى الشيوعية الثانية والأخيرة، الماركسية نظرية اقتصادية تقوم على أساس

من الفلسفة المادية الجدلية، وعلى التفسير المادي للتاريخ الذي هو.. الصراع بين الطبقات.

قالت سمر بعد صمت باسل : نعم ، فلم تعد مطالبه في الحياة سوى ما حدده ماركس من الغذاء والسكن والإشباع الجنسي .. وفي سبيل الوصول إلى هذه المطالب والحاجات لا بد من الصراع والأخلاق والقيم لا وجود لها أو لنقل: إن لها مفاهيم جديدة، هذا أفضل كما قال ستالين: الأخلاق الصالحة في نظرنا تلك التي تيسر القضاء على النظام الرجعي القديم، وهي التي تدعم النظام الشيوعي ، ولا شيء غير هذا يمكن أن يسمى أخلاقًا فاضلة ؛ ولتحقيق قيام الشيوعية – كما يقول لينين – يجب علينا أن نتوسل بكل أنواع الحيل والمناورات والوسائل غير القانونية لتحقيق أهدافنا .. وينتهي دور الأسرة بقيام الشيوعية – كما قال ستالين -: ما دمنا ننكر الأديان فإننا لا نستطيع أن نأخذ بالآراء القائلة بأن للأسرة قداسة، فكل القداسات زائفة

وتابع باسل بعرض أفكار الستالينية واللينية : والعنف هو الذي بموجبه تقوم سلطة الدولة كما يقول الرفيق ستالين نقلاً عن الرفيق لينين: إن دكتاتورية البروليتاريا هي سيادة البروليتاريا على البروجوازية .. سيادة لا يحدها قانون ولا أخلاق ، وهي تستند إلى العنف.. والمقصلة ضرورية لإلغاء الملكية الخاصة، كما يرى مؤسس المذهب ماركس غمر الإقطاع أوروبا وروسيا القيصرية ثم جاءت مرحلة الرأسمالية التي تكونت مع الثورة الصناعية والمناجم .. والمرحلة الأخيرة هي الشيوعية الثانية التي انتصرت في روسيا والصين ، والتي يعيش في بعض بلدانها المسلم على رأسها روسيا والصين الشعبية .. وهذا الربط كما نرى يا سمر لا دخل إلى الله فيه ، فكيف ستجتمع المادية مع الإلهيات والغيبيات ؟ وماركس هو الذي يقول : الإنتاج الاجتماعي الذي يزاوله الناس تراهم يقيمون علاقات محدودة لا غنى عنها.. وهي مستقلة عن إرادتهم .. ليس شعور الناس هو الذي يعين وجودهم، ولكن وجودهم هو الذي يعين مشاعرهم .. الإنسان لا إرادة له أمام قوتي المادة والاقتصاد

فهؤلاء المسلمون يقولون : الفلسفة الشيوعية تجعل الإنسان كائن سلبي لا إرادة له إزاء المادة وقوة الاقتصاد ..هم يعتبرون المادة والاقتصاد مسخر لقوة الإنسان وإرادته

وبعد صمت، ولما لم تعلق سمر على دفاع الإسلاميين الذي تحدث عنه ، تابع باسل فقال : لذلك هؤلاء الشبان محقون في تخوفهم وقلقهم ؛ فإذا أخذ الناس بالاقتصاد الشيوعي والماركسي ، فسيأخذون فلسفة ماركس .. ويقولون الإسلام يقر الملكية الفردية والفكر المادي الماركسي يرى أن المجتمع هو الأصل، والفرد لا كيان له بمفرده، وهو مجرد فرد في القطيع ، فهي تضع الملكية في يد الدولة ممثلة المجتمع، وتحرم منها الأفراد.. نحن يجب أن لا نكون على لا تناقص في دعوتنا نقول لا إله ونقول لا تعارض مع الدين .. الشيوعية مادية والدين روحي يا سمر .. فالشيوعية اقتصاد وتسخر العلم للاقتصاد ، فالعامل الاقتصادي هو عمود الفكر الشيوعي .. الإسلام كما تعلمين لا يجيز خروج المرأة للمصانع والمناجم .. فهناك من يعيلها ويكفيها.. في الشيوعية المرأة شريكة الرجل في الإنتاج والثروة والمصانع .. فالإنتاج يجب أن يزيد فلتخرج المرأة.. لا تعطيل لنصف المجتمع .. فالنظام الاقتصادي الشيوعي يعتمد على الدولة التي تعين الأعمال للمجموعات

قالت سمر معجبة برفقيها وزميل كليتها: رائع! إنك تقرأ بعمق .. سيكون لك دور كبير وبارز معنا إذا قبلت البقاء في صفوفنا .. ما رأيك بالرفيق نضال فهو شيوعي مخضرم؟

تمهل رويدا قبل الرد فقال : أنا قلت لك إنني أذهب إليه للاستماع أكثر من الجدل والمناقشة .. فهو يقرر دون نقاش عليّ أن أستمع قبل الالتحاق بكم .. ولعلي أصبح فردا منكم قلبا وقالبا

قالت : أبي كما ذكرت لك سابقا شيوعي قديم قبل نضال ، وسجن أكثر من مرة بسبب الفكر الماركسي ومعاداة النظام العربي الحاكم ، وزار الاتحاد السوفيتي وكوبا ، والتقى كبار الرفاق ، وعمل مع المجموعات الفلسطينية اليسارية ، وقد ذكرت له أنك ترغب بلقائه

– لا بأس .. أسمع تجربته العميقة في الحركة الشيوعية العربية ، ولماذا لا نراه في بيت نضال؟!

– أبي شيوعي كبير في الحزب الشيوعي العربي ؛ ولكنه تعرض للاغتيال في بيروت عام ٧١ فأصبح نصف مشلول

– ماذا تقولون عندما تدعون لشخص بالشفاء ؟!

قالت : نرجو له الشفاء ، حتى لو قلنا شفاه الله .. لا حرج .. أنت تعرف أننا لا نستطيع التخلص من عاداتنا بسهولة ..حسنا يا رفيق إلى لقاء

***

كما ذكرنا قبلا أنه لا يفصل بين سكن باسل ونضال سوى الشارع العام ، فكان الذهاب يوما بعد يوم ، وربما أكثر .. فالناس تذهب لصلاة العشاء ويذهب باسل للتزود من الفكر اليساري ويسمع الأخبار الثورية والنشرات التي يصدرها الحزب وتوزع خفية ؛ لأن القانون العام يمنع وجود الحزب الشيوعي وغيره من التواجد على أرض البلد علنا ؛ولكن الحكومة لا تستطيع منع الأفراد اعتناق أي المبادئ شاءوا .. فحرية الفكر مسموح بها

وكان جل حديثهم في السياسة سياسة أمريكا الاستعمارية مع أن أمريكا ظهرت على مسرح الأحداث في الحرب الثانية ، وداعية لتقرير مصير الشعوب إلا الشعب الفلسطيني ، ولا تستعمر دولا وبلدانا ؛ إنما تخوض حربا باردة مع الشيوعية ، ولها قواعد عسكرية أمريكية منتشرة في دول العالم ، ويتحدثون عن قوة الروس والجاسوسية الروسية ومحررة الشعوب من الاستعمار ، وهي تستعمر دول آسيا الإسلامية والقوقاز باسم الاشتراكية والشيوعية العالمية ، ويتابعون إضرابات وتحركات العمال في العالم وأمريكا اللاتينية ، ويحلمون أن الشيوعية كما سيطرت على اليمن الجنوبي ستحكم مصر والدول العربية ، وتخضع كلها للثورة اليسارية العالمية والمد الاشتراكي ، وتتحول المساجد إلى حانات ومراقص ، كما تحولت مساجد آسيا الإسلامية والقوقاز ، وكما تحولت كنائس أوروبا الشرقية والبلاد الروسية إلى مثل ذلك من قبل ، ويتحدث بعضهم عن الدعم المادي والعسكري المقدم للدول العربية المحسوبة على الاتحاد السوفيتي كمصر والعراق وسوريا والجزائر ، وأن إسرائيل عدو للروس ، ويأخذهم الحديث عن بطولات كارل ماركس وفريدريك انجلز وشجاعتهما في إصدار البيان الشيوعي قبل قرن من الزمان ، وعن لينين الثائر على القيصر نيقولا الثاني ، والقضاء على آل رومانوف القضاء المبرم ، حتى لا يحلم بعودة هذه الأسرة للحكم في يوم من الأيام ، يتسامرون عن بطولات ستالين في القضاء على النازية وهتلر وربما يتطرق الحديث عن اعتقال الشرطة أو أجهزة المخابرات العربية لأحد عناصرهم بعد إلقائه محاضرة في مقهى في شارع بعد عودته من رحلة إلى سوريا إلى العراق ، ويتكلمون أن المساجد والكنائس سبب تخلف الأمة العربية عن اللحاق بالثورة الشيوعية وأنها ستتحول لمواخير ودور بغاء ولهو ، وأنها وحدت بين المسلم واليهودي والنصراني .. فالشيوعي لا يهمه الدين والجنس واللون .. فهو لا يهتم بالدين الموروث .. وبينما الكل يتمتم ويدلي بدلوه وحقده على الدين والمتدينين سمع باسل اسمه يتردد ،

فانتبه للرجل الذي ذكر اسمه وسمعه يقول: لقد أخبرت سمر أنك تسعى لمقابلة والدها نجيب
أجابه موضحا : سمر طلبت مني ذلك يا رفيق عامر ، وحدثتني أن والدها رجل كبير في الحركة الشيوعية العربية، وزار رأس الشيوعية موسكو ، والتقى الرفيق ستالين أيام منظمة الكومنترن وزارها في عهد خروتشوف ، والتقى برجال الحزب الكبار ورجال الدولة ، والرفيق الأمني الكبير لافرينتي بيريا قبل إعدامه .. وشجعتني على اللقاء به
فال نضال مادحا : والد سمر بطل عظيم في الحزب الشيوعي العربي ، ومناضل قوي ، وناضل بقوة ، واعتقل وسجن في عدة دول عربية ، والمأساة أنها كلها تدعي التقدمية والاشتراكية ، ربما الدول الرجعية معذورة أما مصر سوريا العراق .. الأنظمة الرجعية فكانت تطلب منه العودة من حيث شاء فقط .. وزار الاتحاد السوفيتي وألمانيا الشرقية ، وذهب لبنان بلد الحريات العربية ، وله علاقات بالفصائل الفلسطينية العاملة على الساحة اللبنانية واليسار اللبناني والسوري ، وله علاقات جيدة مع القوميين ، وساعد بتقديم الدعم السوفيتي لهم ؛ ولكنه تعرض لمحاولة اغتيال نجا منها بأعجوبة ، واستقر هنا في هذا الجزء من العالم ، وهو اليوم مقعد على السرير ؛ ولكنه ما زال قويا نشطا بأفكاره ومقالاته للجرائد والمجلات الثورية ، ولديه مثلنا أمل بوصول الأحزاب الشيوعية العربية لسدة الحكم ، كما في اليمن السعيد وسينتشر الفكر الشيوعي ويصبح فكر كل الشعب .. والاقتصاد الشيوعي هو منقذ الأمة من التبعية والخضوع للرأسمالية .. والفلسفة الماركسية ستسود هذه الشعوب الضعيفة المهلهلة ..هذه التي ما زالت مستعمرة ، وبدلت مستعمرا بمستعمر .. نعم ، نجيب رجل مهم وشجاع في تاريخ حركتنا الشيوعية العربية.. نعم ، فسمر ابنة رجل مهم وشجاع في حركتنا .. والفتاة معجبة بك جدا .. وتتحدث عنك بإعجاب الولهان.. وشرف كبير إن قبلت بك
– لكنها لا ترى الزواج شيئا مهما يا رفيق .. مؤسسة الزواج عندنا دينية
قال نضال : هذا عندنا ، وكلنا نتزوج حسب التقاليد السائدة حتى يحكم الحزب ، وستلغى المحاكم الشرعية ودار الفتوى .. الاتفاق بين الرجل والمرأة يكفي للزواج .. فالمرأة جزء مهم من الإنتاج والاقتصاد الشيوعي .. لا تعطيل لنصف المجتمع .. فلها ما للرجل .. أما أن تجلس في البيت لتأكل وتشرب وتلد فهذا مرفوض .. المرأة الشيوعية كالرجال في الإنتاج .. والحاجة الجنسية عندنا كشرب الماء ؛ لكن برضا الطرفين

وليس مهما أن ترتبط برجل واحد أو أكثر ، ولا الرجل يرتبط بامرأة واحدة فقط طول العمر ؛ لكن لا بأس بهذا الارتباط خشية انتقال أمراض الجنس المهلكة .. يعيش شبابنا تحت ضغط قانون الزواج الإسلامي الصارم ؛ لذلك تجد لديهم عقدة الجنس والكبت والحرمان الجنسي .. المهم الرضا والقبول .. فالعذرية قضية نفسية كبيرة عند الشرقيين ، ولدت في فترة الرق والإقطاع ..فلو تزوج أحدهم فتاة ووجدها غير عذراء يفسد الزواج ، وتتهم الفتاة بالخيانة وبيع نفسها ، ويحصل الطلاق والمشاكل بين الأسر على قضية تافهة ، إنما تفرق الفتاة البكر عن غيرها الثيب ببضع دقائق أو ليلة الدخلة ، وتصبح مثل الأخريات ..أهذه قضية تحتاج للتفكير والشرف والقتل والدمار ؟! فالبكارة قضية رجعيه .. فالإشباع الجنسي حق لكل شيوعي ، ولكل أنثى ولو بدون عقد زواج ؛ ربما الزواج لا يتحقق معه الإشباع الجنسي لضعفه الجنسي ومرضه .. فلمَ لا تعاشر غيره ؛لأنه لم يحقق لها الغاية من الزواج .. فتصبح محرومة من الإشباع الجنسي .. عليها أن تصبر وترضى بقدرها ونصيبها .. هذا الظلم بعينه ، هم يسمونه خيانة زوجية .

– الإنسان لا يحب أن يشاركه أحد ملكيته

– هذا ما تحاربه الشيوعية الملكية الفردية .. وهؤلاء يسمحون للرجل أن يمتلك عدة نساء باسم الشرع. قال باسل : وإذا حملت من غير زوجها الرسمي

– إذا لا يريد أن يحمل اسمه .. الدولة تتبناه وتنفق عليه ، حتى عند طائفة من المسلمين يسمون الشيعة يجيزون حمل المرأة من زواج مؤقت يسمونه أو يسمى نكاح المتعة .. ينسب المولود لأمه وتعتني به ..كثير من نساء المسلمين لا يعرفن الإشباع الجنسي طول عمرهن ، ولولا الأمراض التي تنتقل بسبب الجنس لانتهى أمر الزواج كليا في الاتحاد السوفيتي .. فبلغوا المشاعية الجنسية وأنت لا تريد أن تتحرر من عقدة عدم شرب الخمر وإتيان النساء ، ولا أعتقد أن سمرا ستبخل عليك بجسدها من حين لآخر ، حتى هؤلاء الرفيقات اللواتي يسمعن حديثنا ، فلدينا حجرة هنا لقضاء الغريزة دون أي حرج بين رجل وامرأة ، لا ننظر للقضية كحرام وحلال كما يفعل المسلمون .. عليك أن تكسر هذا الحاجز .. فهذا يسبب لك الكبت والضيق .. فهذه غريزة أوجدتها الطبيعة تحتاج لتفريغ .. فكل هؤلاء الصبايا مستعدات لخوض التجربة معك دون خجل وخوف .. ومستعدات لتعليمك الحياة الجنسية الصحيحة والصحية ..ولكن نترك هذه المهمة للرفيق سمر

..فهي معجبة بك إعجابا لا مثيل له ، وترى أن لك مستقبلا واعدا في الحزب الشيوعي العربي .. وقد تساعدك في الرحيل إلى موسكو للدراسات العليا على نفقة الحزب كبعثة .. ونحن نحب أهل العلم والفكر والطموح والذكاء .. والسيد نجيب قادر على تحقيق ذلك

أقوال شيوعية

قال فيلسوف الشيوعية انجلز: (إن كل القيم الأخلاقية هي في تحليلها الأخير من خلق الظروف الاقتصادية .. فالتاريخ الإنساني هو تاريخ حروب الطبقات التي امتص فيها البورجوازيون دماء الفقراء فهم يرون أن الدين وضع لحماية حقوق البورجوازيين.

لذلك قالوا فيما يسمى البيان الشيوعي : إن الدستور والأخلاق والدين كلها خدعة البورجوازية ، وهى تتستر وراءها من أجل مطامعها .

ويقول لينين في خطاب له ألقاه في المؤتمر الثالث لمنظمة الشباب الشيوعي في أكتوبر سنة ١٩٢٠ : إننا لا نؤمن بالإله ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والإقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الإله إلا استغلالا ومحافظة على مصالحهم ، إننا ننكر بشدة جميع هذه الأسس الأخلاقية التي صدرت عن طاقات وراء الطبيعة غير الإنسان والتي لا تتفق مع أفكارنا الطبقية ونؤكد أن كل هذا مكر وخداع ، وهو ستار على عقول الفلاحين والعمال لصالح الاستعمار والإقطاع ، ونعلن أن نظامنا لا يتبع إلا ثمرة النضال البروليتاري فمبدأ جميع نظمنا الأخلاقية هو الحفاظ على الجهود الطبقية البروليتارية.

وقال أحدهم : (لقد أثبت العلم أن الدين كان أقسى وأسوأ خدعة في التاريخ)

الحركة الشيوعية استغلت نظريات واكتشافات علمية لإنكار الدين ، وإن الدين خدعة تاريخية وهي تنظر إلى التاريخ في ضوء الاقتصاد ، وهى ترى أن العوامل التاريخية هي التي خلقت الدين استغلوا نظريات نيوتن قال (إذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعية فلا ينبغي أن ننسبها إلى أسباب فوق الطبيعة).

واعتمدوا على أقوال وأبحاث لسيجموند فرويد في علم النفس ، واعتمدوا على التاريخ قال جوليان هكسلي: (فالدين نتيجة لتعامل خاص بين الإنسان وبيئته).

ويقول أيضا: إن هذه البيئة قد فات أوانها أو كاد ، وقد كانت هي المسئولة عن هذا التعامل ، فأما بعد فنائها وانتهاء التعامل معها فلا داعي للدين ، ويضيف: لقد انتهت العقيدة الإلهية واستغلوا أقوال داروين في التطور والبقاء للأقوى واصل

الأنواع .

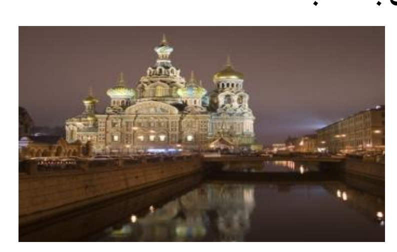
إن الفلسفة الشيوعية الملحدة اعتمدت على نظريات علمية ، بعضها ثبت ، وبعضها مجرد نظريات وتخمينات وأوهام ، وصنعوا قوة شيوعية وحركة عمالية ، ومع ذلك لم يقبل الشعب الأوروبي هذه الأفكار على مستوى الأمة ، ونجحت الثورة البلشفية في روسيا القيصرية لظروف لم يكن المد الشيوعي هو السبب الرئيسي ؛ إنما الظلم والاقتصاد والحرب العالمية الأولى ، فاشتركت عدد من الأحزاب لتقويض الإمبراطورية الروسية ، ثم انقض الشيوعيون على المتحالفين معهم ، وسفكوا دماء خصومهم ، وسيطر الحزب الشيوعي على مقدرات روسيا ، وأصبحت روسيا قبلة الشيوعيين واليساريين ، ولظهور الفاشية والنازية في ألمانيا وإيطاليا صمدت البلشفية ، ومع انتصار الحلفاء الرأسماليين والشيوعين الروس على الفاشية والنازية تضخمت الحركة الشيوعية على مستوى العالم ، وزادت الأحزاب الشيوعية في دول العالم لمقاومة الاستعمار والاستعباد ، ونتيجة للحرب الباردة أخذت الشيوعية بعدا سياسيا كبيرا ، وسيطرت على دول شرق أوروبا بواسطة الأحزاب الشيوعية ، وكان لها أحزاب شيوعية في دول العالم الأخرى تدعمها للوصول إلى السلطة والحكم ، وفي بعضها نجحت ، وفي الكثير أخفقت ، وبعضها مجرد أحزاب عميلة للاتحاد السوفيتي لا أكثر ، حتى أن أحزابا ظهرت تحمل الاشتراكية ولا تهتم بالدين ولا الإلحاد .. فنحن نرى أحزابا اشتراكية وعمالية في أوروبا الغربية ولكنها غير ملحدة علمانية

قال باسل لسمر وقد التقيا في مكتبة كلية الآداب: لقد خاض الشيوعيون الأوائل معارك شرسة لإنكار الدين ، وجعلوه سبب الحروب الدينية في أوروبا بين الكاثوليك والبروتستانت .. كان صراعهم ضد الكنسية قويا وحادا ، وحتى ثورة الروس والبلاشفة كانت ضد الكنيسة الأرثوذكسية ، لم تكن جرائمهم مع الإسلام وحده

قالت سمر : كل الأديان واحد ، فدين المسلمين لا يختلف عن دين النصارى اسمه دين ..

والناس تخضع له ، تقبل بالذل والخنوع ؛ لأن الحاكم يتكلم باسم الدين باسم الإله ، والكاهن يتكلم باسم الدين .. ويسيطرون على الناس باسم الدين .. في الصين الوثنية يسيطرون على العامة باسم الدين.. فالشيوعية حررتهم من استعبادهم باسم كونفوشيوس وبوذا .. فالدين أوهام وخرافات وسحر .. أين هذا الإله الذي يرى الظلم والاستعباد ويصمت ويظل صامتا؟ استطاع باسل في فترة وجيزة وبصحبته لسمر أن

يصبح عضوا فعالا ونشطا في الحركة الشيوعية في أبو خروف ، فكان يجد حفاوة في منزل الكلبي ، وجل حديثهم الإعجاب بموسكو وسياستها مع الشعوب المقهورة بزعمهم ، ويستغربون من الأصوات التي تنكر وقوف موسكو مع العرب في حرب ٧٣ ، وكيف خذلت موسكو العرب ؟ وهم حاربوا بأسلحتها وترسانتها وأن النفط الذي هدد باستخدامه العرب كان تهويشا وجعجعة دون تنفيذ ، مع أن النفط في الحرب استخدم كسلاح ضغط على الإدارة الأمريكية وإسرائيل لوقف الحرب حسب رغبة الأمم المتحدة ، ثم ينحرف النقاش للنيل من شرعة الإسلام ؛ لأنه دين وهو الحاكم ولو اسميا على البلدان العربية والإسلامية .. وكيف أقر الدين الإسلامي نظام الرق ؟ولم يحذفه من حياة الشعوب .. فالشيوعيون يعتبرون الرق فترة من مراحل التطور التاريخي والاجتماعي للبشرية ويعتبر الطبقة الثانية من الطبقات الشيوعية ، وكان بعد مرحلة الشيوعية الأولى ، وفي نظرهم القاصر أن الإسلام لم يلغ الرق ، فهو ضد الشيوعية والحرية وحقوق الإنسان ، مع أننا نسمع آهات الحرية الشيوعية في موسكو والقوقاز الرق نظام موجود كما يقول التاريخ قبل وجود دين الإسلام وظهوره دينا خاتما ، وسعى الإسلام بقوة إلى القضاء على العبودية والرق بأحكام شرعية من التشجيع على العتق والمكاتبة والكفارات ، ولم يخلق الإسلام هذا النظام ، هو نظام قديم موجود ظهر في عصور غابرة ، فجاء الإسلام وهو موجود كغيره من الأنظمة والتقاليد والعادات والبدع ورويدا رويدا قضى الدين عليها أو قلل منها ، ولم يظهر في تاريخ الإسلام طبقة اسمها طبقة الرقيق والرق ، فباب العتق مفتوح بالكفارات بالشراء والعتق بالمكاتبة



فقضية إثارة الشيوعية أن الإسلام لم يحارب هذا النظام ، فليست مهمة الإسلام أن يمنعه في بلاد لم تخضع لحكم الإسلام ، ونظام الرق نظام انتهى في مطلع القرن العشرين في أغلب البلدان ، وقبل المسلمون بكل أريحية إلغاء هذا النظام ولم يقفوا حجر عثرة في إلغائه ، وليست الشيوعية هي التي قضت عليه ، فهي اليوم تسترق كل شعوب أوروبا الشرقية فيما يسمى بالستار الحديدي ، وتسترقهم باسم الحرية والأحلاف .

قال نضال : هل علمت أن سمرا مريضة؟

قال باسل بنغمة حزينة : نعم ، إنها ترقد في مستشفى الجامعة

- أقابلت أباها؟

- أجل الموعد بسبب مرضها ، اتصلت بي رفيقة لها في الجامعة وأعلمتني بمرضها وتأجيل لقاء أبيها ، وذهبت معها لزيارتها وهي ترقد على سرير الشفاء .. وحتى الآن لم يشخص الأطباء أسباب المرض

- نتمنى لها الشفاء العاجل .. فسمر نجمة من نجوم هذا المنزل ، فهي تتردد علينا منذ كانت طفلة صغيرة ، كان والدها يصحبها معه إلى أغلب مجالسنا .. وكان خالها يأتي بها حتى شبت على حب الشيوعية والثورة ضد البرجوازية العربية

- ألها خال هنا؟!

- كان يتردد علينا من سنوات ، ثم سافر للخارج ، وللأسف استطاع أحد الرجعيين إعادته للرجعية الدينية

- عاد للإسلام ! كيف لم يقتنع بالفكر الشيوعي التحرري وسعيه لقيادة العالم الحر إلى الرفاهية والشيوعية العالمية ؟

- كان مقتنعا ، لأن شقيقته أم سمر شيوعية كبيرة وقديمة ، وتزوجا من خلال الحزب الشيوعي

كان الرجل مقتنعا بهذه الأفكار ويناضل عنها بقوة وعقلية كبيرة متفتحة ؛ لكن كما يحدث في كل الحركات التحررية تحدث ردة وخروج ، وهو منهم ، وكان جل اتباعنا مسلمين ، ثم تركوا إسلامهم وانضموا إلينا ، فنكص البعض .. ليس هنا فقط ، وهذا يحدث في كل العالم الشيوعي وربما يترك أحدهم الحزب بسبب خصومة شخصية ، والحزب أحيانا يطرد أعضاء منه لمواقف أحادية تصدر عنهم ، فكان السيد عيسى منهم ، فكان ضعيفا أمام أشقاء امرأته ، فهو تزوج امرأة غير شيوعية يا باسل.. إنها لم تكن تعرف هويته ، فلما عرفت أنه ملحد طلبت الطلاق؛ لأن الشيوخ لا يجيزون زواج المسلمة من الشيوعي ، ويعتبرون العلاقة بينهم علاقة زنا ، والأولاد أبناء زنا .. هو كلام لا يهم الشيوعي ، والرجل كان مغرما بها مفتونا بحسنها وأمام ضغطها وضغط أهلها هجر الحزب ، زعم أنه خاض مناقشات مع بعض أفراد الفكر الرجعي ، واقتنع بكلامهم وبراهينهم ، وأن لهذا الكون ربا ، ولابد له من إله ، لابد من الله ، وأننا ندلس على الناس بزعمنا أن العلم التجريبي ينفي وجود الله .. المهم أنه هجرنا وتخلى عن الحزب من أجل امرأة .. فلذلك يا رفيق باسل عندما ترتبط بأنثى ارتباط زواج أحسن الاختيار .. تزوج من الرفيقات مع أننا صد مؤسسة الزواج القانونية ؛ ولكننا لأننا نحيا في بلد يحكمها الإسلام نضطر للاستسلام لقانونهم ؛ لأن نؤسس عائلات على حسب قانون ودين البلد ..ونتزوج على طريقة المسلمين إن كنا ذوي أصول إسلامية ، ومن أصله مسيحي يتزوج على نظام كنيسته والمؤسسات النصرانية .. ولو نكحت

الآنسة سمر فخير لك
- لكنها غير عذراء كما حدثت وضحك
وتضاحك نضال وبعض السامعين وقال : وهل في هؤلاء الرفيقات عذراء ؟ .. هذه عقدة الشرقيين .. فالبكارة عقدة شرقية .. ألا يتزوج المسلمون المطلقة والأرملة ؟ أفهؤلاء عذارى ؟! بين البكر والمرأة المتزوجة ليلة أو ساعة زواج .. فأنت في قانوننا تستطيع النوم مع أي واحدة دون ارتباط مقدس .. لكن الزواج يحصل من أجل ولادة أسرة شيوعية أو خلية جديدة .. والأبوة والأمومة فهذه حاجة للناس أوجدتها الطبيعة فينا للنوع والتكاثر
- عندما أفكر في الزواج سيكون هذا في ذهني .. وسمر إنسانة رائعة .. ولديها روح شيوعية قوية .. وأتمنى لها الشفاء والعودة لمجالسنا هذه
ذهب باسل مساء إلى عيادة الأسنان القريبة من المسجد التي يملكها الدكتور مصطفى وهو طبيب معروف لباسل ، وباسل معروف للطبيب ، فهو يتعالج عنده منذ طفولته ، رحب الطبيب بالمريض ، وفحصه فحص اللثة والسن المضروبة ووصف الدواء وقال: كان والدك عبد المعز هنا قبل أيام وكان يشكوك لي
ابتسم باسل وهو يترك كرسي العلاج ، وينتقل لكرسي الجلوس قائلا: أبي يشكوني لك أليس هذا غريبا يا دكتور؟!
- كلام بمعنى الإخبار ، ليس كشكوى بمعنى الشكوى ، يقول : إنك تتردد على منزل الفاسق الملحد نضال الكلبي
تنهد باسل وقال: آ ، وماذا يقول الوالد العزيز؟!
- يقول : إنك قد تصير مثله ، وتنكر وجود الله الخالق مثل هؤلاء
الشيوعيين الملاحدة مع أن هؤلاء الملاحدة لما يموتون يأتون بهم إلى الجامع للصلاة عليهم صلاة الموت المعروفة .. أي صلاة ستنفعهم وهم كفرة .. فما صحة الأخبار هذه عنك؟!
قال باسل مبررا : أحب أن أعرف الشيوعية من رأس النبع يا دكتور . وقص مختصرا قصته مع سمر ونضال واتباعه
قال الطبيب محذرا : اللعب بالنار يؤذي يا باسل .. أنت محترم ، وأهلك ناس محترمون مثلك وأولئك ناس شواذ منحرفون يسعون وراء النساء والشهوات والإباحية باسم الفكر والنضال وتحرير الأمة .. فهم ثوريون بالاسم ، إنهم عملاء خونة للاتحاد السوفيتي باسم الشيوعية العالمية الانتماء للكفار فيه خطر كبير ..أنا لا أدري كيف يقتنع عامل بكلامهم ؟! لقد خبرتهم أثناء دراسة الطب .. إنهم من أحسد الناس ، ويحملون هذه الأفكار والشعارات لمحاربة الدين باسم الشيوعية

.. الاتحاد السوفيتي الذي حارب الملكية الفردية عاد يسمح بالملكية الفردية ؛ ولكن على استحياء لبعض الأفراد .. الدولة كل شيء غير صحيح .. أقول لك نضال هذا امرأته تركته منذ سنوات .. لما كبر ابنها ماهر وتخرج مهندسا وتحمل مسؤولية العائلة هجروه

قال شبه مصدوم : ولكن ابنته معهم ، عرفتها في المنزل

صاح الطبيب غضبا : فاجرة ! سقطت في الرذيلة فزعمت أنها شيوعية ، وعادت لأبيها .. أنا سأرتب لك لقاء خاصا مع ابن السيد نضال ؛ لتسمع منه قبل أن تتورط .. فهو ما زال صديقا لي ونتواصل .. هؤلاء النساء يجتمعن عنده للفجور والترفيه عن الذكور .. فأغلبهم مطلق أعزب مثلك .. يتجمعون للدعارة باسم ماركس ، لا للثورة ، ولا للحرية .. كلما تحدث انتخابات يفشلون ، وإذا نجحوا ينجحون بمقعد أو اثنين .. وماذا سيفعلان في التغيير ؟! الثورة الشعبية أين شعبيتهم ؟ هم أدوات إياك أن تتورط

قال باسل مدافعا عن عفته : لحتى اليوم لم أقرب أنثى منهنّ ؛ لأنني التحقت بهم للتعرف على هذا الفكر ، والحذر من الاتصال ربما أيضاً خشية الأمراض التي نسمع عنها

– هم يزعمون أنهم يعطون المرأة الحرية ، والمرأة نصف الإنتاج ، وشريك الرجل في المصنع والمزرعة .. كله كلام فارغ .. لم نسمع أن امرأة تبوأت مركزا كبيرا في الحزب الشيوعي الروسي لكن يظهرن في الإعلام جاسوسات ولإغراء رجال الحزب والتجسس عليهم لأمن الرئيس والزعيم الأوحد .. عليك أن تقابل ابن نضال ؛ لتعرف حقيقة الرجل .. وماذا كان يفعل بأمه أم ماهر ؟ لأنها لم تقتنع بأفكاره وشيطانه ، بل كانت تصلي وتصوم رغم أنفه ..ومارس البغاء في بيتها باسم الشيوعية والثورية والشعبية ..وقال متهكما : أنا معجب بك يا رفيق هيا .. ألم تلاحظ مثل هذه الهمسات ببيته ؟

– لم أتورط بعد ..كما قلت لك في بداية الكلام أرغب بالتعرف عليهم عن قرب دون واسطة فالحركة الشيوعية صوتها عال في بلاد العرب والمسلمين ، وقد خضت نقاشات مع بعض شباب الكلية والجامعة بشكل عام ، وقرأت ما يسمونه بالبيان الشيوعي الأول .. وقرأت الإسلام يتحدى للهندي ظفر الله خان .. أنا لم أعترف بأني شيوعي أصيل رغم الجهد الذي يبذلونه معي ..ويريدون تسفيري إلى أوروبا للدراسات العليا على حساب الحزب

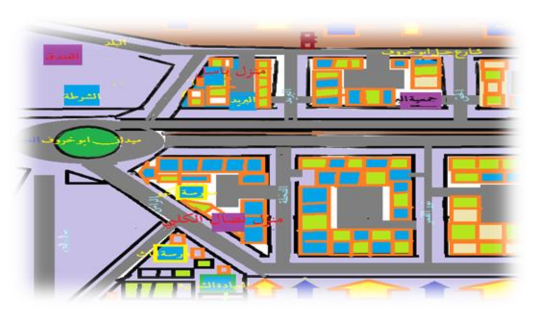
ـ يريدون إرسالك للضياع والهلاك .. هل سمعت بشخص اسمه نجيب موسى ؟

– أجل

– هذا كما يقولون عنه ولد شيوعيا ، وعاش في أحضان اليسارية منذ تركه قريته الصغيرة وانضم لخلية شيوعية قديما ، وفعل لهم الكثير الكثير ، وكاد يذهب إلى الجحيم بحادث اغتيال في بيروت منهم .. أصبح عبئا عليهم .. يذكرون أمجاده فقط .. لا يزورنه هو قال لي ذلك .. يتحدثون عن أمجاده وبطولاته ومقابلاته لزعماء الكرملين .. وهم يهملونه كأنه نفايات حتى صحف الحزب في السنة تقبل نشر مقال له ذرا للرماد .. صحف الخصوم هي التي تنشر له .. السبب لقد انتهى دوره

– هل تعلم أنه والد الفتاة التي تحب أن أتعرف عليه وألتقي به ؟

– احترس يا ولدي فأبوك رجل طيب .. أحذرهم يا باسل



ابن نضال

كان الدكتور مصطفى جادا في إنقاذ باسل عبد المعز من الوقوع في براثن الشيوعية ، ويخشى أن تتحول التجربة إلى خضوع كامل لها ؛ ولأنه صديق العائلة أخذ الأمر جديا ، فرتب للقاء سريع بين ابن نضال الكلبي وباسل ، وكان اللقاء في مقهى وسط المدينة ، وتفاجأ باسل عند رؤيته لابن نضال الشاب المهندس ملتحيا وشيخا حقيقي المظهر ، وجرى التعارف سريعا قال مصطفى: هذا هو ابن نضال الكلبي المهندس ماهر .. فهذا الشاب ولد في بيت تصفه بأنه شيوعي ، ورأى المشاكل القائمة بين والديه ، لتمسك أمه بالصلاة والدين ..ولما تخرج من الجامعة طلبت أمه الطلاق من أبيه برغبة من هذا الشاب ؛ لأنه بين لها عدم جواز الحياة مع ملحد شرعا ، ولا تجوز معاشرته لها ، فهو إنسان يوصف بالكفر ولو عقد عليها في المحكمة الشرعية وافق الأب على الطلاق على الفور ، وذلك منذ أكثر من عشر سنين حسب معلوماتي يا مهندس

أكمل المهندس قصته : نعم ، لما أنهيت الجامعة كان يجب عليّ أن أتحمل المسؤولية ، وأنقذ نفسي وأمي مما نحن فيه من جحيم الدنيا .. فشقيقي الأكبر مات صغيرا ، وكنت أنا وأمي وأخي الأصغر وأختا شقيقة لنا فرحلنا جميعا ، وسكنّا في حي المدينة .. فأنا يا أخ باسل عرفت الشيوعية ورضعتها من أبي .. كنت أعجب لعدم اقتناع أمي من أفكار أبي وشيوعيته .. وهو تركها ولم يطلقها ؛ لأنها ابنة عمه ..وأمي سلبية وترى الشيوعية كحزب من الأحزاب التي يتردد اسمها في البلاد

العربية الحزب القومي والوطني والوسطي الاشتراكي العمالي السلطاني ، فلما أخذت أعلمها بكفر الشيوعيين ، وأنهم من أصحاب الجحيم إذا ماتوا على ذلك المعتقد ، أخذت تفكر بعمق وزالت السطحية ، وأخذت تراجع موقفها من الشيوعية ، ثم حسمت الأمر ، وقلت لها : إن الكافر لا يحل كزوج للمرأة المسلمة التي تشهد بالله ربا وإلها وبمحمد رسول الله.. وهو يحارب الإسلام بغير هوادة ، وينكر وجود الله والدين الإسلامي ، فحصل الطلاق ورحلنا إلى حي ضمن منطقة المدينة ، وأخي تعلم وسافر ولليوم لم يعد للبلاد ولو زيارة .. وكما يعلم الدكتور لي أخت شقيقة فشلت في الثانوية العامة ، وكانت متأثرة بوالدها وشيوعيته .. وقالت للآسف : إن المرأة حرة في فرجها ، تهبه لمن تشاء .. ورجعت بعد انحرافها الجنسي للحياة مع أبيها .. وبما أنك تتردد على بيت الوالد لابد أنك رأيتها والتقيت بها

– نعم ، أعرفها إنها روضة ، وهي هزيلة .. هل هي مريضة؟

قال المهندس بشفقة وأسف : اعتقد ذلك ، فهي منذ غادرتنا لوكر أبيها لا تتصل بنا ، ولا حتى بأمها .. فأنا أنصحك ولمحبة الدكتور لك سارعت للقاء بك .. والمزاح قد يتحول إلى جد وطمأنني الدكتور أنك لم تنغمس في شهواتهم .. دعك من أوهام الشيوعية العالمية والمراكز التي ستتبوأها .. وهم لليوم لم يتبوأوا أي منصب.. وسيحررون الشعوب العربية من الاستعمار .. لم نعد نرى في بلادنا استعمارا ، وحتى اليمن الجنوبي يعيش في تعاسة وفقر .. هم طلاب حكم وسلطة .. فالشيوعية فكر مريض مادي ، سببه العداء للكنيسة والدين والإقطاع ، وهذ لا يوجد في بلاد المسلمين .. الحكام في واد والشعب في واد .. العربي يعشق الحرية من أيام القبلية .. أين الإقطاع الإسلامي ؟ فالشيخ لا يتدخل في توبة المسلم ومعصيته وفي تربيته ؛ إنما هو واعظ مذكر مرشد .. والاقتصاد ناتج عن تجارب الشعوب .. والاقتصاد الشيوعي يلغي الملكية الفردية ، وأن الاقتصاد ملك الدولة .. ومع التجربة وجدوا أن هذا يضعف الإنتاج ، ليس كما زعمت نظريات ماركس وإنجلز .. لذلك الصين خلطت بين الاقتصادين وحتى الاتحاد السوفيتي تراجع في بعض الاقتصاديات والإنتاج .. فالإنسان عندما يتوفر له الحذاء واللباس لماذا يعمل لماذا ينتج؟ وليس للعامل حرية اختيار العمل المناسب له .. الحزب يوجهه للعمل الذي يريده وقد لا يلائم قدراته البدنية والعقلية .. المهم أن يعمل مهما كانت طبيعة العمل.. إنما هو أداة مثل سائر أدوات الإنتاج .. الاقتصاد الماركسي اقتصاد فاشل

وأفضلها الاقتصاد الإسلامي الذي يجمع بين النوعين الفردي والجماعي

قال باسل: لم أسمع عنك شيئا في بيت الوالد ، خاصة أنك متدين ، لم يقل أحدهم أن للسيد نضال ولدا متدينا ، أو أن أمك مطلقة بسبب الاعتقاد

– بالتأكيد لن يقولوا الحقيقة ، لابد من الغيبوبة لنا .. فكيف أقرب الناس للرجل يرفضون ماديته وشيوعيته ؟ ألم يكن فرعون يزعم أنه رب المصريين ؟ولكن امرأته كانت كافرة به وتؤمن بموسى .. فعليك يا باسل أن تهتم بجامعتك .. ولا تحلم ببلغاريا ورومانيا .. فهنا جمعيات إذا كنت بحاجة مالية تساعد في التعليم العالي ، والقروض بدون فوائد ربوية .. اخسر كل شيء إلا الدين .. سعى أبي لعمل محاضرات حول الشيوعية في مقهى مهران عندكم في أبو خروف فطرده مهران ، وقال له ولأتباعه: بجوارنا جامع ، ونفتح المقهى للإلحاد .. عيب يا ناس

سمر نجيب

قضت سمر نجيب أسبوعين في المستشفى ، ولما خرجت كانت منهكة للغاية ، وكان جل حديثها عن الموت واليأس من الحياة ، مما دفع باسل أن شجعها للذهاب للعلاج النفسي، وقال كنت أرافقها يوميا لعيادة الطب النفسي في المستشفى التابع لكلية الطب في جامعتنا ، ثم تركتها بعد حين الذهاب وحدها ، وأنا ما زلت أتردد على منزل نضال رغم نصيحة ابنه ماهر والدكتور مصطفى .. وكانت لقاءاتنا عند السيد الكلبي كالعادة التعليق على خبر صحفي مثير عن نشاط الشيوعيين في البلد وخارج البلد عن سمر وآخر أخبارها ، فهي منذ مرضت لم تأت المنزل ، ونتساءل عن مرض سمر والغموض المحيط به ، وكيف ألم بها فجأة ؟ والذي أصابها بعدة نوبات إغماء ، فقيل سحايا ، مرض دماغي ، وقيل نقص تروية في الدماغ أي نقص في الأكسجين مما يؤدي لفقدان الوعي، ولم يعرف أسبابه رغم استمرار المراقبة لأسبوعين ، وستبقى تتردد على عيادة الأعصاب والدماغ حتى يعرفون الأسباب .. وهي أنكرت كليا تعرضها لضربة قوية على دماغها..فلماذا يتكرر الإغماء؟ فهل المرض في الدم ؟ في الأعصاب ؟ في الهرمونات؟ الأطباء يبحثون عن الجواب .. حتى أن بعضهم قال : يجب أن تتعالج في أوروبا الشرقية أو موسكو ، فطبهم متقدم عن طب بلادنا .. وكان الموعد مع أسرتها ما زال قائما حين تسترد عافيتها ، وكان هذا الموعد يأخذ من حوارنا بعض الوقت ، وكان الرفاق يطلبون مني دعوتها لجلساتنا التعليمية على مبادئ الحزب ، وطرق تحقيق النصر على الظلامية

والرجعيين .. فحديثنا سياسة سياسة أخبار بريجنيف إساءات خروتشوف لستالين.. وكنت أنقل لها رغبتهم برؤيتها ووجودها معهم ، فتقول: لديّ لهفة للجلوس معكم ؛ ولكني مشتتة الذهن ، وحالات فقدان الوعي الملازمة ؛ لذلك لا رغبة لي بسماع شيء عن الحزب والحركة الشيوعية ..إني افكر بالموت ..وهل هناك حقاً شيء اسمه البعث ؟! كما يخبر المسلمون .

فأرد عليها بنوع من التهكم: هكذا يزعم المسلمون وكتب الدين .. قد درسنا أن بعد الموت بعث وحساب وسؤال في القبر وجنة ونار

- أكنت تؤمن بهذا قبل أن تعرف الفلسفة الماركسية المنكرة لكل الغيبيات والروح ؟

قال بعد تأمل : ليس من السهل يا سمر تجاهل ما نشأت عليه وتربيت عليه .. حتى في جلساتنا عند الكلبي أسمعهم كثيرا يحلفون بالله .. ويسبون الرب رغم أننا نعتقد بعدم وجوده فماذا نسب ليس من السهل التخلص مما تعودنا عليه .. حتى أنت رغم أنك ولدت في بيت يحتضن الشيوعية منذ الصغر الأب والأم فتلفظين لفظ الجلالة

- وكما نرد على بعض الناس السلام عليكم ورحمة الله .. هذا بحكم العادة والمجتمع .. ليس لأنها تحية الإسلام يا سيدي .. لو كان الله موجودا .. الله إله المسلمون لماذا يعاقب الناس وهو خالقهم؟!

- حسب معلوماتي القديمة إن الله لا يظلم أحدا مثقال ذرة .. والناس ملكه فمن شاء عذبه ومن شاء رحمه هذا أولا، وثانيا المطيع يجزى على إحسانه والمسيء يعاقب على إساءته وظلمه .. فالمدرس لماذا يعاقب بعض الطلاب ؟ هل يترك المجرمون والظلام بدون عقاب ؟! لماذا وضعت القوانين والأنظمة ؟ لو لم يكن هناك عقاب ، فسائق السيارة يمشي بعكس السير ولا يبالي بالآخرين ، وتعم الفوضى .. وأنا كما تعلمين وذكرت لك قديما ثقافتي الدينية محدودة ؛ إنما من السماع وجئت كلية الآداب لأكون مدرسا للغة الإنجليزية

- صدق أن إجاباتك جيدة ومقنعة .. المقصر والمؤذي والظالم يحتاج إلى جزاء.. اللص لو ترك بدون عقاب لاستمر في اللصوصية ، وكذلك القاتل ، والمجرمون يعاقبون في النظام الشيوعي ويعدمون .. أنا عندما أرى فتيات وشبانا معنا في كلية الآداب يصومون عن الأكل والشرب بزعم التقرب إلى معبودهم أتعجب من تعذيبهم لأنفسهم .. أيوجد دين يمنع الناس عن الأكل والطعام ؟! ماذا يستفيد الإله من تجويعهم لأبدانهم ؟! يقللون من الوجبة خلال النهار .. أنت تصوم يا باسل؟

- نعم ، تربيت على ذلك ولحد الآن أصوم عندما يحضر شهر الصيام لا أحد يفطر في البيت حتى الصغار يفعلون هذا .. إنما تركت الصلاة لما التحقت بالجامعة أترك صلاة وأصلي الأخرى رويدا رويدا تركت كل الصلوات

عقبت على فعل ذلك قائلة : البيئة المحافظة .. لم تفعل ذلك عن عقل وتفكير .. أمقتنع بعدما عرفت المادية الشيوعية أن للكون ربا؟ وأن الطبيعة هكذا وجدت خلقت نفسها بنفسها

تمهل في الإجابة ثم قال : أصدقك القول أنا ما زلت مقتنعا من وجود إله لهذا الكون .. لم أحسم أمر إنكاره .. لا تنسي يا صديقتي أنني حديث عهد بالشيوعية .. لو بعدت الشيوعية عن الإله ربما وجدت قبولا أكثر عند الناس ، مثل العلمانية ما لقيصر لقيصر وما لله لله .. رغم الدروس في الفلسفة والفكر اليساري المادي أنا محتاج لزمن حتى أنسى هذا الإله

قالت فجاءة دون مواربة: أفضل لك أن لا تنساه يا باسل .. نعم ، لا تنساه .. أنا لما مرضت وبقيت في المستشفى فترة طويلة ، ورأيت الأطباء والممرضات واهتمامهم بشفاء المريض ودعائهم له بالشفاء .. قلت لابد من دعاء شيء من دعاء قوة قادرة ؛ لعله الله .

بعد الحوار الأخير بين الطالبين باسل وسمر الذي ذكرناه في الصفحة السابقة اتفقا على اللقاء في منزل نضال ليلة الجمعة ؛ لأن القوم لديهم رغبة عارمة برؤية سمر بعد هذا الانقطاع بسبب المرض ، فقبلت سمر هذه الزيارة ، في التاسعة ليلا التقيا على دوار أبو خروف حيث استقبلها باسل ومشيا إلى شقة نضال في الطابق الثاني من عمارة مكونة من ثلاثة طوابق يملكها السيد نضال

استقبل القوم الفتاة بالهتاف والترحيب العالي ، وبعضهم بالعناق والقبلات حتى ابنة الكلبي روضة التي كانت تستقبل سمرا ببرود واضح احتضنتها وقالت: آه ، تعودنا على سماع كلامك وتعليقاتك .. سلامتك أيتها الرفيقة الغالية .. هذا المرض بين كم نحبك بيننا ! كيف أنت اليوم؟!

ردت سمر وقد بدا عليها الإعياء : أشكركم جميعا، كان رفيقي باسل ينقل لي شوقكم لي وحبكم لي .. ما زال هذا المرض غامضا أصاب بغيبوبة وفقد الوعي لدقائق ثم أعود للحياة الأطباء يخبرون أن المرض سيزول مع الوقت .. وأبي يفكر بتسفيري للاتحاد السوفيتي للعلاج إذا لم يخرج أطباء البلد بشيء

تمنوا لها الشفاء، وشكروها على ضمها باسلا لمجموعتهم ، وعادت سمر تتحدث مع ابنة السيد نضال التي لاحظت أنها مريضة فوق العادة ، فهي

دائماً متوترة وقلقة ؛ ولكنها بدت لسمر متعبة أكثر من اللازم ، وظهر هذا من ترحيبها بها على غير المعتاد منها ، فهي تعلم المشاكل البيتية التي عانت منها بسبب طلاق والديها ، فلما بدأ الحديث قالت سمر لها : أتحبين أن أتحدث معك على انفراد ؟!

جاء الجواب من نضال : أفضل ذلك يا رفيق سمر ، فلها عدة أيام في وضع غير طبيعي .. اذهبا وتحدثا معا

أمسكت سمر بيدها وساقتها إلى مكتب نضال ، ولما جلستا قالت سمر : أحسست أنك غير طبيعية الليلة

أجهشت الفتاة بالبكاء على أثر سماع الكلام ، فأخذت سمر تخفف عنها ، ومن توترها الغامض بالنسبة لها ، وأخذت تردد كلمات المواساة ، وقالت الفتاة بعدما خف تساقط الدموع : أنت ذكية يا سمر .. أحس أنني تعبت من هذه الحياة

- تعبت ! ماذا تقصدين يا روضة؟!

قالت بتشكك : هل الشيوعية التي نعتنقها تحقق السعادة للمرء ؟

- لم افهم ؟!

قالت بحدة : إنني بدأت اكفر بشيوعيتي

- لم افهم ؟!

قالت : لا نسمع إلا الكلام ..وغدا سيتحول الشعب إلى مناضل من أجل الوصول للمرحلة الشيوعية التي ستسود العالم .. نسمع كلاما ، ونمارس الجنس كالحيوانات .. هل هذه هي الشيوعية؟! الزواج رجعي .. الزواج يعني بقاء المرأة في البيت ، حتى هؤلاء الرجال ملوا منا بعد أن ضحينا بأجسادنا من أجل الشيوعية .. أصبحوا يبحثون عن فتيات جدد وأخريات حتى لما رأى أبي ملل الرجال من جسدي يريد أن يعوضني بنفسه .. تحرش بي من فترة .. أنا تعبت من الكلام .. ولم تحدث السعادة المنشودة

قالت سمر حالمة : لقد جاهد الأوائل وناضلوا وعذبوا وسجنوا وماتوا قبل أن يصلوا للدولة الشيوعية في الصين وكوبا وروسيا الشيوعية.. وهذه الأمور يجب أن تمر على حياتك مرور الكرام ، لا ترغبين بمعاشرة أحد كفي عن ذلك ..لا أحد يجبرك على مضاجعة الرجال .. الشيوعية ليست جنسا وزواجا .. الشيوعية سيطرة على الإنتاج والموارد يا روضة حتى المتزوجين يملون من أجساد بعضهم بعضا .. لماذا خلقت الأسفار والرحلات ؟ أنا حزين من أجلك هل يمكنني مساعدتك بشيء ؟!

بعد سكوت قالت : بماذا ستساعدينني ؟! ولم يبق شاب ورجل منا إلا نال من جسدي شهوته جنس آمن .. احذري الحمل .. قلت لأبي : دع أحدهم يتخذني زوجة رسمية قانونية . فقال :

ستطلقين بعد أيام .. فأنت اليوم زوجة الجميع.. ألا يحق لي أن أكون أما ؟! أنا أحس بتعب شديد وضياع شديد ، لم يعد للحياة عندي طعم وأي قيمة؟! سمعت أخي يقول : دعِك من شيوعية أبيك .. هؤلاء طلاب فاحشة .. أهؤلاء سيقودون الناس إلى الحرية ؟ ونحن نسمع أنأت الشعوب المسلمة في الصين والاتحاد السوفيتي.. ثورة قامت على إهلاك ثلاثين مليون مسلم .. أدرك اليوم يا سمر الشر الذي اخترته .. أقول اليوم ليتني بقيت في حضن أمي وأخي

أدركت سمر حجم اليأس في قلب روضة ، فقالت : أخوك المهندس ما أخباره ؟

– لست أدري ، لا اتصال بيننا منذ التحقت بكم وبأفكاركم وجئت للعيش معكم ، رغم ما قرأت وسمعت وحفظت لا أرى نفسي بين هؤلاء إلا دمية وغانية حتى أنهم يقرفون من معاشرتي ، ويتهربون منها ، صرت عبئا على المجموعة ، لا سهرة لا سينما لا مسرح ، لم يعد أحد يدعوني لذلك أو لعشاء .. لقد استنفدت طاقتي .. ملوا مني ، أصبحت باسم الشيوعية كفتيات دور الدعارة بضع سنوات ، ثم تلفظ إلى الشارع ، وتعود لقريتها ، ويؤتى بأخريات أهذه شيوعية ماركس وإنجلز والبروليتريا ؟! أهكذا نساء روسيا اليوم؟! وفتيات الأحزاب الشيوعية ؟ فقالت: أترغبين بالزواج والأسرة والأمومة؟!

– أبي لا يرى ذلك مناسبا لي .. يجب أن أبقى حرة ملك للجميع .. وإذا قلت غير ذلك اعتبرها ردة ورجعية ، أهذا أب ؟! هذا قواد يا سمر .. لماذا الدعارة يا سمر ؟! بهذا سنقيم الثورة الشيوعية العالمية؟!

بعد منتصف الليل غادرت سمر وباسل منزل الشيوعي العربي نضال الكلبي ، ورافقها باسل إلى الشارع العام لتركب سيارة أجرة ـ تكسي أصفر ـ لينقلها إلى بيت والديها ، وقبل أن يفترقا ويوقف لها سيارة قال بفضول : طال مقامك مع ابنة نضال. صمتت لحظات كأنها تفكر بالجواب أم لا ، ثم قالت: إنها تعيش في حالة يأس وإحباط وصلت إلى مرحلة الكفر بالشيوعية والنضال الشعبي أتصدق أن والدها يتحرش بها جنسيا؟!

– معقول!

– نعم معقول ، نضال معروف بشهوانيته بين أعضاء الحزب الكبار ، ولا أتخيل فتاة ممن جئن هنا لم ينل منها شيئا .. لقد حاول معي في أول أيام التعارف به وترددي عليه ؛ لكني رفضته ، وأخبرته أني أحمل فكرا لا أحمل جسدا .. فترك ذلك للأيام ؛ لذلك أكاد أصدق كلامها ، والسبب في نظري أن الشباب هجروها ، وهي تعلقت بالشيوعية

وغيرها كثير من أجل الجنس وليس من أجل الفكر .. فالجنس قضية ثانوية .. فكان والدها ـ وحتى أنها قبل أن تنفصل أمها عن أبيها ـ لا يلومها على ذلك بحجة الحرية الجنسية للرفيقات ؛ فكان الجنس عندها أهم من الفكر ، لا أحد يحاسب ولا أحد يلوم .. المهم رضا الطرفين .. ولما تخرج المهندس ماهر خرج بهم من بيت نضال ، ولما علم بفعلها ما يسمونه الزنا هربت إلى أبيها ولما لم تجد الزوج الثوري عادت لمضاجعة الرفاق ، فهي لم يهمها الفكر الشيوعي كما يهمنا نحن ، ومنذ سنة أو أكثر أخذ الشباب يهربون عنها ويهجرونها ، كعادة البشر تحب التغيير وتظهر حسناوات جدد ، وخشية انتقال أمراض الجنس ، فأصبحت دون عشيق أو عشيق يهرب منها سريعا .. أنا ألاحظ هذه الأشياء واسمع بعضهم يتحدث بها ..كان على نضال أن يزوجها من أحدهم ـ أي زواج ـ قبل الوصول لهذه المرحلة ؛ لذلك على الفتاة ألا تسلم نفسها للرجال بسهولة ولكل طارق والدها الآن يدرك الحالة التي وصلت إليها من الإحباط ، فلم تقبل أن تسلمه نفسها مع أن الشيوعيين لا ينظرون لنكاح المحارم كنظرة المسلمين إليه .. فهم في قضية الجماع مثل الحيوانات أو بعضها فعلا .. فترى مجموعة لبؤات يخضعن لذكرين على الأقل ، والقرود الأقوى يسيطر على المجموعة .. فكان حديثي معها في تحسين نظرتها للحياة ، وأن الجنس ليس كل شيء ، وأن تهتم بالنضال والفكر فستر تاح من التفكير بالجنس ، وأن هذه مهمتها الأولى في الحركة الشيوعية .. وأنا في النهاية أدركت أن حالتها النفسية سيئة وتفكر بالموت كما فكرت فيه أثناء مرضي الغامض كما تذكر يا رفيقي كلما سهل على الإنسان الحصول على الشيء يسهل عليه فراقه كانت سهلة الاستسلام للأسف أنا جئت إليهم بشكل دائم منذ دخلت الجامعة أثناء الثانوية مرات متباعدة أتيتهم وسمعت منهم الكثير فأصبحت لا شيء عند الشباب .. وشبابنا لا يتزوجون في سن مبكرة ، خاصة من اعتنق الشيوعية مبكرا

أشار باسل لسيارة أجرة ، فركبت الفتاة في المقعد الخلفي شاكرة لباسل وملوحة بيدها ، ووعدها بلقاء قريب ، ومشى لبيته وهو يقول : هذه الشيوعية التي يدعونني إليها ، منذ عرفت مجلس والدها وأنا أراها قليلة الكلام كئيبة ، ولاحظت دفعه لبعض الشباب إليها دفعا يا لها من حرية إباحية ! بنات الغرب يفعلن ذلك بدون ماركسية وشيوعية .. ماذا يفرق هذا عن [البوي فرند] ؟ صديق لشهر لسنة شريك الفراش .. أليست المجوسية المزدكية تبيح المحارم والأمهات ؟ وسمعت أن القرامطة وجد ذلك لديهم .. يا الله!

أيصل الانحطاط بالإنسان إلى هذا الحد ؟! التحرش بابنته أم أنها كاذبة ؛ لكنّ سمرا تصدقها ، لابد أنها تعلم أشياء أخرى عن نضال ، عندما تكون المبادئ أرضية ليست من عند الله يصل الانحطاط بالإنسان إلى هذا الحد .. ألا نسمع عن الاحتفالات الإباحية التي تجري في بعض البلدان في مواسم الربيع وغيره في الهند في أفريقيا في اللاتينية ؟ .. الدين هو الحياة.. الدين هو النظافة لماذا نضحك على بعضنا البعض؟!

استيقظ سكان عمارة الكلبي على حريق هائل أصاب شقة الكلبي نفسه قبل صلاة الفجر بساعتين ، وهرع الناس وسكان الشارع لإطفاء النار قبل الوصول إلى الشقق الأخرى وحضرت المطافئ والإسعاف السريع والشرطة بعد زمن من الحريق ، وتم إخماده وأخرج الموتى والجثث المحروقة والمصابة إلى سيارات الإسعاف والمستشفيات ، وقام التحقيق الشرطي بالتحقيق باحثا عن الأسباب للحادث ، وتبين لهم تعمد الحادث ، وأن ابنة الكلبي حرقت نفسها بمادة الكيروسين الكاز ، ثم انتقل الحريق إلى باقي الشقة ..ولما لسعتها النار مشت إلى غرفة أخرى ، وأصابت النار الستائر والسجاد ، فقتل معها فتيات، وأما السيد نضال اختنق بسبب الدخان ، ونجا من الحادث .. وأصاب الشقة ضررا كبيرا ، هذه المعلومات التي أخبرت بها الشرطة الرأي العام ، ولما سمع باسل الذي استيقظ مع الظهر بهذا الحادث ، فلم يتفاجأ كثيرا فكانت ليلة أمس توحي بمأساة قادمة ، وكان عجبه للطريقة التي اتخذتها الفتاة للانتهاء من حياتها وبؤسها أرادت قتل الجميع الأب والنائمين في الشقة ، اتصل بسمر ونقل الخبر بدون تمهيد وسمع بكائها وقالت باكية : كانت بائسة يائسة!! وحاقدة وناقمة يا باسل .. نضال بقي حيا

– الحادث بعد مغادرتنا بساعة ونصف ، والسيد وضعه حرج ، لقد ابتلع الكثير من الدخان

قالت بحزن : كانت محطمة ليلة أمس ، بذلت جهدي ، وأنا قلت لك حالتها كانت صعبة توحي بشيء ، حاولت صرفها عن الموت ، لم أدرك أنها ستفعل ذلك بمثل هذه السرعة .. وبهذه الطريقة الحرق .. قد تنشر الصحافة صباح الغد تفاصيل الحادث .. فاليوم لم ينشر شيء.. الجريدة لديّ .

– صحف السبت ستفعل ذلك؛ لأن الحادث حدث قبل الفجر ، وتطبع الجرائد بعد منتصف الليل ، وتوزع مع الفجر قالت: سأراك اليوم ، إني بحاجة للجلوس معك

التبرير

نجا نضال الكلبي من الحادث الرهيب ، وعرض

العمارة للبيع ، وغادر أبو خروف ، ربما للأبد وربما لحين من الدهر ؛ لذلك كان يقول لسمر وباسل وهو يغادر المكان : كنت أتوقع إقدامها على قتل نفسها ، لست غبيا ، كانت منهارة نفسيا ، تحتاج لصديق جديد ، قل لعشيق جديد ، هي جاءت إليّ بعد طلاق أمها ، ليس على اقتناع بالفكر الذي نحمله ، وقعت في الخطيئة ، فاتخذت الشيوعية تغطية لخطئها ، وأبوها رجل معروف لها منذ كانت طفلة أنه يعاشر النساء دون رابط مقدس .. وأنتم تعلمون كيف ننظر لقضية العلاقات الجنسية ؟ هي مسألة مثل الأكل والشرب ، تأكل ما تشاء ، تشرب ما تشاء ، هم يسمون الخمر حراما ، عندنا لا حرام إلا ما حرمه الحزب ، قبلتها وعاشت معي ، فما كان لي أن أمنعها من عمل علاقات حميمية مع الشبان والرجال الذين يرتادون بيتي .. هل أحرم عليها وعليهم ما يباح لنفسي ؟! وجاء السيد باسل قبل عدة شهور ، ولم توفق معه بصداقة جديدة ، وأنت لم تكن تكترث بالنساء حتى من سمر ؛ إنما هي صديقة في الجامعة والحركة .. وأنا أعلم أن بعض شبابنا يعملون معنا من أجل شهواتهم ، ولا أحد يحاسبهم ؛ لأننا من دعاة مشاعة النساء حتى ولو كنا مسلمين في الأصل ، وكل حركة في العالم لها اتباع دون فهم الفكر والانقياد له .. مبادئ عامة فكرة عامة يتمسكون بها .. لكن أن تحرق نفسها والآخرين ووالدها .. ما كان يخطر لي في بال .. والكاز المستخدم في البيت إننا نستخدمه من أجل المدافئ [الصوبات] كما تعلمون .. كانت صدمة عنيفة لي لما أفقت من الأغماء .. كان هذا قاتلا مرعبا .. عرضت عليها أن أعيدها لأمها من زمن ، لما أدركت تعبها النفسي الشديد ، رفضت قائلة: لم يبق لي شيء أعود به إليهم ، لم أعد إنسانة ، لقد جعلتني دابة يا من تسمى أبي .. وهل أنا الذي سمحت لها بممارسة الجنس ؟! أنا غضضت الطرف للمبادئ الثورية التي أحملها وعشت لليوم من أجلها ، ومن قبل أن أتزوج أمها ابنة عمي .. ها هي الآنسة سمر لا تسمح لأحد بمعاشرتها .. هل أحد يجبرها ؟ هذا شأن خاص لا دخل للحزب فيه .. لا تجريم بفعله .. هذه أمور شخصية الإنسان عندما يصبح عبد الشهوة لا يحب انقطاعها عنه ، يحب الاستمرار فيها .. والناس تحب التغيير ، وتمل من الشريك الدائم لم يرد باسل ولا سمر وتابع نضال التبرير والدفاع عن نفسه: أنا اليوم نزيل فندق الجمهرة في مركز المدينة ، ولما اشتر بيتا بعد بيع هذا البيت سأتصل بكم ؛ لتعود الليالي الجميلة ، وسوف نبقى ونواصل الدفاع عن قضيتنا حتى آخر نفس يا سمر .. رغم فارق السن الكبير بيننا فأنا معجب

بك ، ومعجب بمناصرتك لحركتنا الشعبية .. وأتمنى أن تتزوجا .. فأرى لك مستقبلا واعدا معنا يا باسل في الشيوعية العربية مع أننا في السبعينيات من القرن العشرين ، فما زال نضالنا الشيوعي في أوله .. الأنظمة العربية تحاربنا بقسوة وشدة .. فالبيان الشيوعي الأول لرابطة الشيوعيين الأوائل اعلن في القرن الماضي عام١٨٤٨ ، عندما اجتمعت الرابطة في لندن نوفمبر ١٨٤٧وكلفت كارل ماركس وفريدريك انجلز بكتابة المبادئ العامة للشيوعية العالمية على أن تكون هذه المبادئ البرنامج السياسي للحركة الشيوعية ، وصدر بيانهم كما تعلمون بألمانية في ١٨ آذار ١٨٤٨ ، وختم البيان بالعبارة الخالدة يا عمال العالم اتحدوا ، ولم يكتب البيان باللغة الروسية ، وجاءت الدولة الشيوعية في روسيا القيصرية بعد البيان بسبعين سنة.. فليس لنا سبعون سنة نناضل .. والشيوخ يستمتعون في إفساد شبابنا ، وتحديثهم عن عذاب القبر وتخويفهم بعذاب القبر ..وفتحت عشرات القبور ، ولم نر فيها محروقا ومعذبا .. عظام بالية رمم أكلتها الجراثيم كيف يؤمن هؤلاء بالغيبيات والخرافات ؟! قالها بعصبية

قال باسل : هدئ أعصابك يا رفيق نضال .. سنكون على اتصال .. ولليوم لم أقابل والد سمر تأخر اللقاء بسبب دخولها المشفى .. لقد قرأت عن الرجل ، وعلمت أنه من أوائل المناضلين اليسارين في المنطقة، وأنه منذ حادث بيروت بعيد عن الأضواء ؛ كأنه في عزلة .. نشاطه قليل مقالات في الصحف .. وهي قليلة يا سمر

قالت سمر بحزن وشرقت بدموعها : عندما نجا أبي من الحادث قضى أكثر من سنتين لا يتكلم كان مصدوما ومذهولا ؛ لأن الشيوعيين هم الذين حاولوا تصفيته قيل جناح شيوعي متطرف للأسف الشيوعية أجنحة وعندهم ميكافيلية الخصومة بينهم شديدة.. ستالين سرق البنك ليمول الحزب والشبيبة الشيوعية فالشيوعيون يا سيد باسل وكما يعلم الرفيق نضال لا يخلون من شهوات الدنيا والصراع .. فلدينا شيوعية لينين وستالين وشيوعية ماو ، ومنهم من يخلط بين الشيوعية والقومية

فقال نضال : وهذا ما يؤخر نصرنا ووصولنا لحكم العالم العربي .. الصراع مرير والتمزق موجود ، ونتيجة لهذا المرض ابتعد الرفاق عنه ، فماذا سيجدون عند رجل محطم وتمثال صامت وحتى بعد أن تعافى وتحسن السيد أصبح ذكرى وتاريخ عندنا للأسف .. تحياتي لك وللوالد وسنبقى على اتصال ، وننقل الراية من جيل لآخر ، وقد تكونين رفيقة عظيمة لنا كوالدك وأمك لقد كانت أمك نعم الرفيق ، ولا تقل قوة ونضالا عن والدك ، فهي

شريكة نضاله وكفاحه من أجل تحرير الشعب المسكين الحائر بين قوى الظلام والجهل والطغاة.. وقد صدمت أمك من الحادث الغادر وغدر رفاقه به ، وهم الذين أرسلوا إليه للقاء عاجل .. ومع ذلك ظلوا أوفياء للحركة الشيوعية العالمية .. سنلتقي يا سمر سنلتقي يا باسل .. اثبت يا باسل عقلك متفتح على الفكر الشيوعي وهذا النضال العريق ، وسيأتي النصر ولابد منه ، وقد تمسكون الراية بعد هلاكنا ، فنحن لم نحقق لكم الدولة الشيوعية العربية الدولة الحلم أصبحنا شيوعيين قطريين ..كل شيوعي يهمه شيوعيي بلده ، الاتحاد والعالم العربي وحدة واحدة ضعف ذلك بيننا وحضور مؤتمرات الحزب في بلد آخر نحضرها كضيوف.. أهل مكة أدرى بشعابها .. أصبح شعارنا اليوم الشيوعي المصري بدل العربي العراقي بدل العربي ، لم نعد نعمل كوحدة واحدة ، لم نعد نعمل للشيوعية العالمية .. هذا لروسيا هذا للصين .. كانت فترة الخمسينيات ولمنتصف الستينيات همتنا عالمية ؛ كأن اليأس من وحدة الأمة العربية انتقل إلينا أيضاً ، كبرت بيننا القطرية فكان الاعتداء على نجيب من نتائجها ، حقيقة أيها الرفاق الإمبريالية الغربية تحاربنا بدون هوادة بأبناء جلدتنا منا فينا .. أي انقسام يحدث بين الكبار يؤثر على الصغار تلقائيا ، فالاتحاد السوفيتي لم يعد يهتم بنا كما في فترة ستالين وخروتشوف ؛ كأنه يأس هو الآخر من سيطرة الشيوعية على العالم .. إنما هي أقطار متفرقة في قارات العالم .. فكل يوم نسمع عن هرب ألمان شرقيين إلى الجزء الغربي من ألمانيا هربا كما تزعم الصحف الإمبريالية من الاضطهاد الشيوعي.. أما اضطهاد هتلر النازي لم يهربوا منه لابد أن نلتقي ولنتابع النشاط الشيوعي عسى أن تظهر قيادة جديدة قوية تقود الحركة الشيوعية العالمية

أدرك باسل الذكي الفطن المثقف بعد حادثة حريق شقة نضال الكلبي أن الشيوعية العربية والعالمية أنها مجرد شعارات لا تغني ولا تسمن من جوع ، وقد تكون مستمدة من الإباحية والمزدكية بثوب الفكر والفلسفة ، وأن المرحلة الشيوعية خيالية لن يصلوا إليها كما يزعمون فالاتحاد السوفيتي مثالهم الأكبر في نجاح الثورة الشيوعية يستخدم القوة والعنف والشدة مع الروس وشعوب الاتحاد لتثبيت أركان النظام ، والصين كذلك وكوريا الشمالية نحوهم مفروضة على الشعوب بلا إقناع وبلا فكر .. والاشتراكية كمذهب اقتصادي براقة وحسناء ولكنها كواقع فاشلة ، ولم تحقق الرفاهية والعدالة المرجوة منها ، بل زادت الأزمات الاقتصادية لدى الشعوب .. التطبيق ليس كالتنظير والقول إنما تضليل وتهويل حتى التعديل

لأنظمة الشيوعية مستمر حتى الشعوب المحكومة بالشيوعية غير مقتنعة بها .. الإنسان فيه جانب روحي

التقى الطالبان في مكتبة الكلية فقال لها: ما دمت جئت اليوم فلنخرج ولنجلس في إحدى الحدائق .. أنا لي أكثر من ساعة هنا .. أراك حزينة؟!

– ما زلت متأثرة بموت روضة ومصدومة ، ونظرات عينيها الغريبة تلك الليلة تلاحقني تنظر إليّ وتبحلق فيّ . ولما أصبحا خارج المكتبة قالت: اليوم ما رأيك أن تذهب معي للبيت ؟ فأبي يرحب بك ويرغب بالتعرف عليك ، وكذلك أمي أعندك شيء بعد المحاضرات ؟

– لا شيء عندي سوى درس تدريب بعد الخامسة في النادي ؛ ولكنهم اعتذروا عنه بسبب مرض محمد المدرب فهو في المستشفى

– ماذا يدرب هذا النادي ؟ أفيه نساء ؟

قال : هو نادي يفتح مساء من الخامسة حتى العاشرة ليلا أي بعد دوام الموظفين والعمال الدوام الرسمي لإتاحة الفرصة لهم بالالتحاق فيه .. يعقد دورات كارتيه كونغ فو ملاكمة ، وفيه طاولة بلياردو ، وطاولتان لتنس الطاولة ، وفيه شاي قهوة وفي أسفل منه مطعم يقدم الساندويشات والوجبات الخفيفة ، ولا يوجد فيه فتيات ؛ لكن ليس ببعيد عن نادينا يوجد نادي للسيدات أترغبين بتعلم الكراتيه؟!

قالت بابتسام : تمنيت ذلك قبل دخول الجامعة ، أما اليوم فأحب الكتابة والفكر ، لقد كتبت رواية متوسطة على وشك إنهاءها ؛ فإذا وجدت لديك وقتا نقرأها معا

ـ هواية جميلة ! يسرني قراءتها أكتبتيها بالعربية أم الفرنسية لغة تخصصك؟

– بالعربية ، أنا طلبت التخصص الفرنسي لمحبتي للأدب الفرنسي ، كتابات المنفلوطي جميلة وترجمته رائعة ، وثانيا لسهولة العمل على الشهادة الفرنسية سواء في الداخل أم الخارج فالصحافة مجالها جيد .. ستتناول الغداء معنا اليوم

– لا داعي للأكل يكفي التعرف على حضرة الوالد الرجل التاريخي في نظري في الشيوعية العربية

رافق باسل الفتاة إلى بيت أسرتها ، كانت فيلا كبيرة وأمامها تقف سيارة ، فقالت سمر: سيارة أمي ، وهي قد عملت في قطاع التدريس ، ثم تقاعدت قبل دخولي الجامعة . ضغطت على الجرس ، وفتحت البوابة دخلوا مدخل البيت المبلط بالرخام ، وصعدوا درجتين وكانت فتاة تفتح لهم باب الفيلا الرئيسي زلفوا الفيلا ، وقالت سمر: أختي الأصغر مني في الجامعة مثلي ، لكنها سنة أولى كلية العلوم الاقتصادية هذا باسل يا أمل رفيقي في الجامعة والحزب .

صافحها باسل مبتسما وقال: أهلا بالآنسة أمل ابتعدت عن طريقهم قليلا ، وكانت إضاءة المدخل ضعيفة ، ومشوا إلى صالة الاستقبال ، فشاهد رجلا يجلس على كنبة ، وأمامه منضدة طويلة عليها مجلات وصحف ، ومنفضة دخان وعلبة سجائر وعلبة كبريت ، وكأس قهوة فارغ ، وسمع سمر تقول بصوت مرتفع: أبي صديقي باسل الذي ذكرته لك .

وقف الرجل ببطء ولما اعتدل قائما كان باسل أمامه يسلم عليه ويصافحه متمنيا له السلامة والعافية ، فأشار له بالجلوس مرحباً ، وكل يرحب بالآخر بكلمات الترحيب المعتادة : أهلا بك يا بني

وقبل أن يستقر جالسا دخلت أم سمر باسمة مرحبة ، فقد التقيا أكثر من مرة عند سرير شفاء سمر ، فصافحها وكان مبهورا من جمالها عندما رآها في المستشفى ، فقد كانت تملك حسنا مثيرا رغم تجاوزها الأربعين عاما ، فأعاد الترحيب بأم سمر وجلس ، فقالت أم سمر: الغداء جاهز يا سمر

التفتت سمر لباسل وقالت: ما رأيك يا باسل ؟

– نتمهل قليلا حتى نتعرف على الوالد

قال الأب: مرحباً بك يا بني .. تسرني صداقتك لسمر .. فهي تتحدث عنك بإعجاب مع أنك لا تدرس نفس تخصصها آداب إنجليزي

– نعم ، آداب إنجليزي في نفس الكلية ، تعرفت على الآنسة في مكتبة الكلية ، كلانا شغوف بالقراءة والفكر الإنساني ، وهناك محاضرات مشتركة بيننا ، وصار خط مشتركا بيننا الفلسفة المادية والفكر المادي.. بينت لي الفكر المادي الشيوعي الذي ينكر الروح والقيم الأخلاقية الدينية ، وأن الدين بدعة اخترعها الحكام والملوك للسيطرة على الشعوب بالخرافات والأساطير وقد علمت أنك رجل مهم في الحركة الشيوعية العربية ، ولك شأن هام فيها فأحبت الصديقة أو الرفيقة أن أتعرف على والديها ، فقد جالست صديقك القديم نضال الكلبي

تنهد نجيب وقال: نعم ، لقد علمت من سمر والصحف أن ابنته حرقت نفسها وبعض رفاقها أنا كنت قامة شيوعية قبل رصاصات الغدر ، كنت عضوا في التنظيم الشيوعي العالمي الذي أسسه المرحوم لينين بعد انتصار أكتوبر ١٩١٧ فأسس الكومنترن ١٩١٩ ، واضطر الروس للغائه عام ١٩٤٣ بسبب دخولهم الحرب العالمية الثانية ، وأسس الكومنفورم عام ١٩٤٧بعد نهاية الحرب كمؤسسة تنسيقية للأحزاب الشيوعية في العالم ، وعملت فيها ؛ ولكن خروتشوف أنهى الكومنفورم ١٩٥٦ مع عقد المؤتمر الشيوعي العشرين للحزب الشيوعي

السوفيتي ، وبعدها أصبحت الأحزاب الشيوعية أداة للغير ؛ ولكن لم ندرك ذلك إلا بعد سنين أقرأت جيدا عن الماركسية ؟

قال باسل : أقرأ وما زلت أقرأ ، وخضت نقاشات ومحاورات عميقة مع الرفيقة سمر ، فهي تعرف الكثير من المعلومات الفكرية وعن رموز الفكر الشيوعي بعكس الرفيق نضال ، فكل اهتمامه بالفكر السياسي مع أنه يحسن الدفاع عن الشيوعية ولكن مع الشيوعيين ، ولما يدخل في التفاصيل لا يكون مقنعا مع حسن دفاعه ، يستخدم العاطفة أكثر من العقل .. العاطفة مهمة في الخطابة للجماهير ؛ لأن بينهم وربما أكثرهم عوام .. والآنسة ترد ذلك لسنه ، ولم يعد يتذكر العبارات الشيوعية القديمة ، فهو يهتم بالسياسة والأخبار

قال نجيب معجبا : عظيم ! أنت شاب نابه .. أنا معجب بك قبل أن أراك وأسمع كلامك .. تكاد سمر تحفظ كل ما تتفوه به ، وتنقله لي .. نتسلى ؛ لكن عليك أن تفرق يا رفيق باسل بين الفكر التنظيري حول الشيوعية والأحداث والصراع التاريخي والطبقي .. فهناك عمالقة في الفكر الماركسي مثل ماركس نفسه وإنجلز وغيرهم الكثير ، هؤلاء قدموا فكرا وأحلاما ، ولينين حول الفكر إلى ثورة وواقع ونحوه ستالين وماو في الصين ؛ لذلك تجد عثرات خلفائهم كثيرة ..

التطبيق ليس كالتنظير

– أنا أدرك الفرق بين من يقول وبين من يفعل ، وأنا اعتقد أن الرفيق نضالا من الصف الثاني يحفظ نصوصا ، وقد ينساها عند الحاجة أو ينسى جزء منها ، والأخت سمر تحب الفكر العميق وأنا طالب مبتدئ

قالت أم سمر: ستكون عملاقا يا رفيق باسل ، فأنت تقرأ بوعي وتركيز كما بدا لي في هذه اللحظات .. أنت لا تقرأ مجرد قراءة ولتحفظ .. أنت تقرأ لتعرف كيف ولماذا؟!

قال باسل : شكرًا لك يا سيدتي .. قلت لسمر من بداية تعارفنا قرأت قبل الفكر الماركسي الفلسفة اليونانية القديمة الفلسفة التي يستمد منها الغرب والرأسمالية الأفكار .. وذلك شجعني للتعرف على فلسفة الماديين ومنها الشيوعية

ابتسمت أم سمر ونهضت قائمة تقول: الغداء يا سمر

قال باسل : قبل الغداء أريد أن أسأل السيد الرفيق نجيب والد العزيزة سمر .. سمعت أنك عانيت من رفاق الدرب رغم الجهود الكبيرة التي دفعتها والتضحيات في المعتقلات والسجون ومع ذلك غدروا بك .. وقد يكون الغدر ليس بسبب الفكر ؛ إنما بسبب أمور ومصالح وشهوات السؤال خاصة أنني في أول الدرب والنضال ، لم أتعمق في

ردهات الحزب الشيوعي ونضالاته وأنت تعيش في بلد مسلم وغالب سكانه من المسلمين .. أفي الشيوعية والاشتراكية أمل الأمة في رفعتها وعزتها ونهضتها يا أستاذنا الكبير؟!

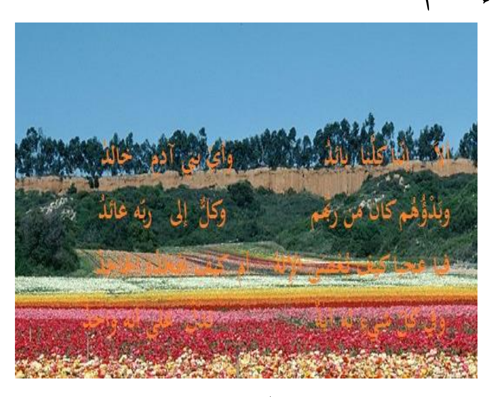
غمرهم الصمت جميعهم للسؤال ، أطفا الرجل سيجارته التي أشعلها قبل لحظة ، وحسن من جلسته وقال باهتمام : سؤال كبير في نظري! أنت تريد الخلاصة لتستمر في هذا الدرب أم تتوقف؟!

- نعم ، هل أسير على خطاكم أم أعود لحضن الإسلام؟

قال نجيب : سؤال خطير !! أنا ابن خمس وخمسين سنة يا باسل .. عرفت الشيوعية طفلا مراهقا شابا متعلما ومتنقلا في البلدان من أجلها ؛ ولكني لم أعرف الحقيقة إلا عندما تلقيت رصاصات الغدر .. أدركت أنني كنت أعيش في وهم في وهم .. وأن الشيوعية ميتة في بلاد المسلمين والبلاد العربية هذه هي الحقيقة ..وزوجتي تدرك هذا .. وتؤيدني في ذلك .. وأننا أمضينا عمرنا في الدفاع عن الشيوعية .. كنا واهمين ، وعلمنا بناتنا هاتين الاثنتين كل المبادئ الاشتراكية والمادية ..كانت حياتنا في النهاية وهما ؛ لكن عشنا وشبنا على ذلك ، وعلينا أن نموت على ذلك فأنت سألت سؤالا ولا أحب أن أكذب عليك ، لقد أهدرت عمري في سراب ، في لا شيء في لا شيء .. فكر بعمق قبل أن تتابع السير .. قد تجد خيرا مما وجدنا قبل أن تغرق في أوحال الماركسية ودهاليزها السياسية

فقالت سمر بحدة واضحة: وعذريتي يا أبي التي فقدتها على مذبح الشيوعية واللينينية

التفت إليها بضيق وأجاب: يا ابنتي هل أنا قلت لك عاشري فلانا من الناس .. أنت تعلقت به وعلمت أنه يريد جسدك لا يريد عقلك .. هل أمنعك ؟! وأنا داعية للإباحية وعدم الاكتراث للبكارة .. قلت لك هذا جسدك وهو ملكك أنت تفعلين به ما تشائين .. والرجل طلب الحقيقة فهل تقبلين أن اقنعه أن الشيوعية فيها خلاص العالم من أمراضه وفقره وجوعه ؟ ونحن لنا من مطلع القرن نعمل ونعمل ، ولم يقبل الشعب المسلم ترك الإسلام



النهاية

عاد باسل للحي وهو يحمل أفكارا عنيفة وتجربة كبيرة قضاها والد سمر في الشيوعية والأحزاب الشيوعية والتنظيمات الشيوعية العالمية ، واعتبر كل هذه السنين وهما وخيالا ، والذي يمنعه من

الردة عن شيوعيته أنه غارق فيها لأذنيه كما يقال ، ولا يستطيع الكفر بها لذلك قضى ساعات من الليل يفكر بالقرار النهائي لهذه التجربة ، هل يستمر ويغرق كما غرق والد سمر أم يتوقف ويعود الإسلام الحضن الدافئ ؟

اخرج كتابا إسلاميا في مكتبته يتحدث عن الشيوعية المادية وظلمها للفكر العالمي ، وماذا فعلت الشيوعية الستالينية في مسلمين القوقاز والشيشان ، وتهجيرهم لسيبيريا الثلجية ، وما فعلت الصين الشيوعية في مسلمين تركستان الشرقية من إجرام وقتل وتشتيت الأسر ، لم تكن الشيوعية رحمة لهؤلاء الشعوب ، بل ظلما وسفكا للدماء دون رحمة أو هوادة

قلب الصفحات تلو الصفحات واطلع على الرد على شبهاتهم ، ظل للفجر يقرأ ويقرأ ، ويشرب قهوة ، فلم يذهب في الصباح إلى الجامعة كان ينتظر اتصالا من سمر لمناقشة ما سمعاه من الأب فقال: لقد صدمت الفتاة عصر أمس ، لقد ضحت بعذريتها لتثبت لنفسها أنها شيوعية ، وأن الفكر الذي يهمها ، وليس الجسد ، لقد سقطت بكارتها على مذبح الشيوعية كما قالت غاضبة عصر أمس لقد أدركت أنها تعلقت بوهم

بعد أن قرأ وتأمل اتخذ القرار الحاسم ، وسيناقش به سمرا ويخبرها بقراره الحاسم ، فهو سيعود للفكر الإسلامي فكر الآباء والأجداد المتأصل في الجذور ، وتذكر الدكتور مصطفى وخشيته عليه من الضياع والانحراف وراء ترهات وخدع الشيوعيين ، فتبسم وهو يذكر كفر زوجة نضال به ، وكذلك ابنه ، وذكر كفر ابنته به قبل حرقها لنفسها وبيت أبيها

مضى في الصباح التالي للجامعة وكله حماس ليقول لسمر : انتهى ما بيننا لك درب ولي درب وصل الجامعة ولم يجد سمرا في انتظاره ، حيث يصبحان على بعضهما البعض ، ويسمعها تهمس صباح الخير يا رفيق باسل ، وعلم من زميلتها أنها لم تحضر أمس مثله ، لقد تغيبت فهي مثله حائرة مضطربة بعد الوهم الذي عاشت فيه بانتصار الشيوعية وسيطرتها على العالم ؛ لترفرف السعادة على الدنيا، انتهى الدوام ولم تحضر سمر ، هل يتصل ببيتها كما اعتاد ليطمئن عليها؟ أم يصبر للغد .. عليّ أن أجاملها وأتحدث معها لعليّ استطيع إنقاذها كما سأنقذ نفسي من الوهم .. ولماذا أعيش الوهم؟! مسكينة سمر ولكن كان والدك صادقا ومجروحا ومخذولا

لما تناول الطعام في البيت قالت له أمه: اتصلت فتاة بعد خروجك للجامعة راغبة في الكلام معك لتخبرك بأمر وتريد منك أن تتصل بها بعد عودتك من الكلية

– أقالت اسمها سمر؟

– لم تذكر أي اسم ، وقالت إنك تعرف الرقم

– لابد أنها سمر .. شكرًا يا أمي

لم يتصل من البيت خرج للشارع ، مشى لمكتب بريد أبو خروف ، واتصل ببيت سمر بالرقم الذي يحفظه ، وقال بعد التحية : أريد الحديث مع الآنسة سمر .

– ألم تعلم أن سمرا قد ماتت أمس؟!

– ماتت!! كيف ماتت؟!

ـ انتحرت !!

ـ إنا لله وإنا إليه راجعون !

انتهت قصة ضلال شاب

قصص وحكايات الفوارس

الملك زرارة والملكة سفانة ٣

غضب زرارة

جن زرارة على حبس غياث ، وكان يصيح ويصرخ ، ويطلب لقاء الملك حميد ، ونقل للملك أن الرجل يريد العودة لبلاده ، فقد أخبر طبيب القصر بمرضه وإغمائه ، فاضطر الملك بعد أيام من زيارته محاولا تهدئته خشية موته فجأة من شدة السخط والغضب والحنق ، فهدد زرارة بالهرب سرا من المدينة والعودة لبلده ، فبين له الملك خطر هذا الكاهن عليه وعلى المدينتين ، وأنه لا يرغب بوجوده في بلده ، وخلال الحديث فقد الملك الوعي ثانية ، وحضر الطبيب ، وعلم الملك بأن الملك سيغادر خلال أيام ، فلعن الملك الساعة التي قبل فيها حياته في بلاده ، وعودة الملك لبلاده بهذه الطريقة ستسبب حربا بين البلدين ، فهو الذي رحب بحياة زرارة في بلاده أثر تلقيه رسالة ترجوه قبول حياته بينهم رغم كراهية قومه ذلك ؛ لأنه ملك مخلوع .. وهو فعل ذلك للعلاقة التي كانت بين والده ووالده زرارة .. وستفسر عودته بأنه مطرود بحجة غياث .. ولازم المرض الملك ، وتكرر الإغماء من الغيظ والغضب حتى خافت سفانة على والدها الموت من الغل .. وترجت الملك حميدا أن يفرج عن الكاهن غياث ؛ لأنه هو متعلق به .

فعاد حميد لزيارة زرارة مرة أخرى فقال : أنت سخرت مني للحياة هنا ؛ ليتزوج حفيدك ابنتي بالحياء .. فكان شداد يتردد علينا كل الأيام ؛ لتحقيق هدفك هذا يا حميد .. فجعلتني سخرية للملوك والنَّاس .. الملك يرفض زواج ابنته من أقاربه ، وزوجها لأمير غريب .. وضحت لي خطتك الخبيثة .

وأقسم له حميد بأنه ما كان يعلم أن ابنته ستصحبه إلى منفاه ، وأنها ستغادر بلادها ، وأن حفيده تعرف عليها لما قدمت البلاد ورآها ، فأحبها فجأة دون تواطؤ ، ووجد لديها الرغبة بالزواج إذا وافق

أبوها ، ولو كانت غير راغبة بالزواج ما أحد أجبرها ، وأصرت على الرفض كما رفضت أقاربها الثلاثة .. وقال : وأنا مستعد للإفراج عن هذا الرجل الشرير شريطة أن يغادر البلاد .

رفض الملك الخضوع لهذا الشرط ، وقال : هذا صديق وضيف .. جاء يواسيني في أيامي الأخيرة كيف اطرده ؟! هل تقبل أن تفعل ذلك بضيفك أيها الملك!

قال حميد : هذا ليس ضيف ؛ إنما جاء للفساد في الأرض والتآمر على شقيقك الملك .. ألم يحدثك عن العودة وتقسيم الملك بينك وبين المتآمرين ؟!

قال : هذا كلام مواساة ! وإلا كيف يساعد ملكا بعد هذه السنين العجاف ؟ أنا لم أعد أصلح للملك والحكم بعد أن سودن صفحة حياتي ، وتزوجن دون مباركتي .. وسفانة لم يكن أمامي إلا أن أقبل بزواجها من حفيدك ، وأنا في هذا الظرف والحرج والنفي وإلا خلقت سببا لطردي

قال : ما كنت لأفعل .

قال : ظللت تضغط عليّ بأسلوب ناعم والمصاهرة وحفيدك وتقوية أواصر صداقة الآباء .. وأنت تعلم رفضي الشديد منذ عهد بعيد بتزويج البنات؛ لذلك المنام القديم .. صمت لإيام لعلك تكف .. والبنت لا رغبة لها بالزواج بالولادة حتى قالت البنت : وافق يا أبي وافق يا أبي نحن مقامنا هنا وحياتنا ستنتهي هنا .. ليس أمامنا إلا أن نوافق والا أصبحنا أذلاء وشمت بنا قومنا أو نطرد لبلادنا أذلاء مُهانين

صاح حميد : لو سمعت هذا الكلام قبل الزواج ما تزوج حفيدي شداد ابنتك .. أنا ظننتك وافقت عن طيب خاطر وللصداقة التي تربط بيننا أيها الأخ العزيز ..كنت أظنها سعيدة بالزواج

قال : كل أنثى تحب الزواج إذا لم يكن هناك موانع يا حميد .. منامي كان المانع .. وهي كانت ترفض من أجل أبيها المسكين المحبوس في قصر صغير ؛ لأنه رفض زواجهن .. زيارتك لبيتي هذا جعلتنا نقبل .

تنهد حميد وقال : أقدر لك هذا الموقف الكريم يا زرارة ! وأنا ما زلت أكن لك ولوالدك الضرغام الحب والاحترام .. وأنا أحببت هذا الزواج عندما رأيت إعجاب شداد بابنتك.. وهي قبلت إذا قبلت .. ولم أفكر بغضب قومك منا .. حسبت أنهم سيباركون ويفرحون لما بيننا من صداقة ومعروف.. فلا أريد هذا الشيطان أن يزيد الجرح بين بلدينا ، ويتآمر على بلدك من بلدي.. هذا عار وعيب في حقنا يا زرارة الحبيب !

قال الآخر مدافعا عن كاهنه : هذا رجل مسكين ! هل سمعت أنه فعل شيئا لبلادنا وأنا ملك ؟ هو إنسان ضعيف ، غارق في التنجيم

والغيب .. فمنامي كان واضحا موتك حفيدك هو أكد على هذا المعنى .. عرفت أن الخطر على حياتي من جهة ذريتي .. وما زلت خائفا من الأحفاد!

قال : لا يا صديقي الملك! هذا وهم كبّره في دماغك السيد غياث .. هو وسواس شيطان .. لو بنينا حياتنا على منامات ما عمر الكون والحياة .. لو كل منام يتحقق لدمرنا أنفسنا بأيدينا .. الأحلام أكثرها أضغاث أحلام .. كلنا نحلم ونرى في الليل ، وننسى في النهار .

قال : يبدو أنك نسيت حلم الملك في سورة يوسف في كتاب ربنا أيها الملك !

قال : وأنا قلت أكثر الأحلام أضغاث وأوهام .. هل إذا رأيت أني أقتل زوجتي ـ وقد رأيتها تزني في المنام ـ هل أقوم على قتلها أو أمي أو أختي ؟وأقول رأيتكن في المنام أنكن تفعلن كذا وكذا .. هذا الجنون بعينه يا زرارة .. هل إذا رأيت نفسي مسجونا أذهب وأسجن نفسي؛ ليتحقق المنام .. الكثير منها وهم .

قال زرارة مصرا : لا ، حلمي ليس وهما .. تكرر معي عشرات المرات ..كان حقيقيا .. رأيته قبل الزواج من عزوف اللعينة ورأيته بعد الزواج عددا من المرات .. وها أنا أرى الأحفاد يولدون ، ولابد أن بناتي الهاربات ولدن المزيد من الأحفاد

قال : أنت تمنع قدر الله! .. منعت بناتك من الزواج لتمنع ولادة الأحفاد ؛ ولكن الله يريد لك الأحفاد والذرية .. من أي البنات سيكون الحفيد القاتل ؟! ولماذا يقتلك ؟ لأنك منعت أمه من الزواج .. أنت لم تعرف من أحفادك إلا ابن سفانة وهو رضيع .. وهل لو ولد لك ذكور كنت تستطيع منعهم من الزواج ؟ سيفعلون كما فعلت البنات .. هذه شهوة وضعها الله في الناس .

قال برجاء : أرجو أن تعيد لي الكاهن ، ونعيش بسلام ما بقي لنا من العمر والأيام.

قال : هذا الكاهن مطلوب في بلدكم ؛ فإذا عرفوا أنه هنا هل سيسمحون له بالبقاء عندك ؟ فسيسبب لي ولَك من الحرج والضيق ؛ وربما الحرب ، ويغزونا قومك بسببه .. وكيف إذا علموا أنني أنزلته قصر الضيافة ؟ سيشتد غضبهم وسخطهم علينا.

فقال محتدا صارخا : فليغضبوا

رد حميد : إنهم أهلك .. وشقيقك الملك وقريبك الوزير .

صرخ بزعيق وقال : أنا لا أهل لي منذ فارقت الوطن .. أنا ليس لي إلا سفانة فحسب والكاهن غياث .. اعلم أيها الملك الصديق إذا لم يكن غياث معي خلال أيام لا مقام لي عندكم سأغادر المدينة .

قال : إلى أين ؟

قال : لا أدري .

طلاق سفانة



تأثرت سفانة بحال والدها تأثرا كبيرا ، وأزعجها تجاهل جد زوجها في الإفراج عن الكاهن الذي تبغضه أشد البغض من أيام طفولتها ؛ ولكنها تشفق وترق من أجل أبيها .. وهو مصمم على إخراج غياث من محبسه .. وعلمت من زوجها رغبة جده بتسليم غياث لبلدها اللؤلؤ آملا إصلاح ذات البين بين البلدين الذي تسبب به زواجها دون رغبتهم .. وهي تعلم أن هربه كان في فترة انتظارها لتسلم الحكم في المدينة .. وعلمت أن الملك حميدا أرسل رسولا بهذا الأمر للملك مرارة عمها.

ولما علم زرارة بذلك زاد غضبه ونقمته على الملك حميد ، وأمر ابنته بالطلاق من حفيده شداد ؛ لأنه سيعود لبلاده .. وقبلت سفانة الطلاق ، ولما رأى حفيد الملك رغبتها بالفراق ومصرة عليها أشهر الطلاق في المدينة .. وفرح وسعد زرارة بطاعة ابنته وقبولها الطلاق .. وأخذ يراسل شقيقه مرارة للعودة للبلاد لعدم راحته في منفاه .. وأن الحبس في القصر الصغير خير من الحياة في بلاد غريبة .

وجرى نزاع بين سفانة وزوجها على حضانة الطفل أسامة ، فأخبرها القاضي بأنها إذا رحلت عن المدينة لا حق لها في حضانة الطفل ؛ لأنهم أحق به ، أما إذا ظلت هنا ، ولو مطلقة سيبقى معها حتى يكبر ، ويخير بين العيش معها أو مع أبيه شداد .

وكان زرارة يحثها على التخلي عنه ، وسيسمح لها بالزواج في وطنه ، وتلد غيره ولكنها تمسكت به ، وإنه ابنها فلذة كبدها ، ولا تريد التفريط فيه ، وقالت : فلذة كبدي يا أبي ! وقد تعلقت به ولن أتخلى عنه قبل أن يكبر ويمشي .

وبذل الملك محاولات كثيرة معها ، وهي تصر على حضانته ، وجرت مراسلات بين الملك وشقيقه للعودة لمدينته ، ويعتذر فيها عن خروجه ، وتسرعه في طلب النفي والهجرة .

والتقت بانة بسفانة ولامتها على طلب الطلاق إرضاء لأبيها ، وكانت قد جاءت إلى قصر أبيها على أنها جارية من جواري صديقات سفانة من أهل المدينة .

فأجابت على لوم أختها : إنه أبي ! وأن طاعته فوق كل طاعة .. وليس له عضد هنا إلا أنا .

قالت : لماذا قبلت الزواج ؟!

قالت : لأنه قبل واستسلم لضغط صديقه الملك حميد .

قالت بانة : هل سيقبل قومنا عودتكم ؟

ـ لا أرى أنهم سيقبلون ..فلم نسمع منهم ردا .
قالت : ألا مجال للصلح بينك وبين زوجك ؟
ـ أبي أبي يفكر بالهرب سرا .. وسيأخذون ابني إذا رحلت لا يريدون أن يتربى في بلاد غريبة .
قالت بانة : أبي مصمم على العودة .
قالت سفانة : إلا إذا عفوا عن غياث اللعين.. تنهدت ضيقا وتابعت : كله شر وفساد .. ما زال مدمرا لحياتنا ومستقبل أيامنا .
قالت : أبي الضعيف .. هذا صعلوك شرير .. ستذهبين!
قالت : لا أدري ! أنا لا يمكن أن أتنازل عن ابني . وأخذت بالبكاء والنحيب .
وبعد أن ذهبت موجة البكاء ، وهدأتها بانة ، وحثتها على الصبر ، وأن الفرج قريب غادرتها ، وقد وعدتها بزيارة أخرى ورفضت ذكر مكان سكنها، وأين تعيش؟
ولما سألها الملك عن هذه الجارية التي طال الحديث بينهما ، قالت : إنها من جواري زوجي ، كانت تحاول الصلح بيني وبين زوجي .
قال : لا ، لا ، لا ، أنا ضحيت من أجل البقاء هنا ؛ ولكنهم نكروا الجميل والمعروف يا سفانة ! غياث ما زال في السجن .. وقد أرسلت له الخادم بطعام فأخبره أنهم سيرسلونه لبلادنا ليموت
قالت : أجاء الرد من عمي ؟
قال : ليس المهم رد عمك .. المهم رد الوزير .. لقد ذلوني يا ابنتي ..أصبح الموت أحلى من الحياة مع هؤلاء الأنذال .
قالت : أليس هم الحكام من عهد والدك وأجدادي ؟
قال : كانوا يقبلون الذل والخضوع والخنوع .
قالت : أنحن هنا أعزاء ؟ ! يريدون أخذ طفلي إذا رحلت معك .
صاح : لا نريده .. ضعفت أمام ضغطهم يا سفانة .. ما كان لي أن أوافق على زواجك .
قالت : هذا هو الذل يا أبي !
قال : كنت محبوسا في بلادنا .. كنت مهانا من أجل ذلك يا بنية رضيت بالنفي الاختياري .
قالت بحيرة تنتابها : لا أدري أحق هذا ! مضى عام على زواجنا .. منامك كان فتنة لنا .. ليتك رفضت بحجة المنام .. أنا لا أرضى بأن أتخلى عن ولدي .
قال : إنه ابنهم .
قالت : إنه ابني .. حملت به تسعة شهور.. ولي شهور أرضعه .. سيرحل معنا .. سيرحل معنا
تنهد حزنا وقال بضيق : إذا رحلنا سنتركه هنا .. سيصبحون لنا أعداء يا سفانة .. أتريين ابن العدو ؟
قالت : عيشتني في حيرة يا أبي! أرجو أن يقبل قومنا عودتنا .. فظلم ذوي القربى أفضل من ظلم

غيرهم .. هنا لا تجد مواسيا مشفقا وباكيا .. إني أتألم أتمزق يا أبي !
قال بعطف وتوسل : أنا حزين من أجلك ! هذا قدرنا يا سفانة! ظننت راحتنا هنا .. عند أصدقاء أبي وأصدقائي .. رحلنا وتنازلت عن الملك لتبقي العذراء .. ثم ضعفت أمام ضغط حميد .. لقد كان شجاعا عندما قبل لي العيش هنا ..كانت نخوة وشجاعة .. استنجدت به من ظلم ذوي القربى .. لا تبكي يا حبيبتي .. دموعك تسقط على قلبي ليس على خديك .. ما زلت عاقلا أترضين أن أعيش أسيرا ؟ أترضين أن يكون ضيفك سجينا ولا نفعل شيئا من أجله ؟!
قالت : لا أرضى .. وأنا في غاية الحزن والألم .. متى سيحكم ابن أمامة البلاد ؟ فأنا سأكون خالته يا أبي

هرب غياث

بينما الأمور محتدمة بين الملك وابنته بسبب زواجها ، وبسبب طلاقها ، وكذلك عدم وصول رد من شقيقه الملك ، مما اضطر الملك ودفعه أن يكتب رسالة لأحد الملوك الذين له صداقة وود معهم أيام عز ملكه وشبابه آملا أن يقبل حياته في مدينته .
والطفل المولود مع من سيبقى إذا رحلت سفانة .. وهي مصرة على التمسك به ؛ بل هناك حديث عن الإصلاح بين الزوجين .
وكان الملك حميد مشغول الفكر في حل معضلة غياث في تسليمه للملك مرارة حالما بعودة العلاقات الطبيعية بين البلدين قبل لجوء زرارة إليه ؛ ولكنه متردد في حسم الأمر .. وتبين له خطأ قبول الملك ضيفا في بلاده دون طلب من مرارة .. وزاد الطين بلة زواج سفانة ثم طلاقها والنزاع القائم على المولود لمن يكون ؟ وكان مستغربا لعدم رد الملك مرارة على أخيه كل هذه الفترة .
وبينما هو حائر في حل هذه الإشكالات أخبره قائد الجيش عن هرب عدد من السجناء ومن بينهم الكاهن غياث .. وأنهم فشلوا في القبض عليه .. والراجح أنه غادر البلاد .. ورغم تظاهره بالغضب فرح بهذا الحل .. وهو أفضل الحلول ؛ ولكنه أمر بإجراء تحقيق في هذا الهرب للسجناء فتبين أن رشا وخيانة من بعض الحرس وتوفير خَيل للهاربين من قبلهم .
ولما علم زرارة هو الآخر بهرب الكاهن أصابه الفرح والسعادة ؛ لأنه كان يخشى من تسليم الكاهن لبلده فيعدم لهربه من الحبس .. وقد أدرك أيضا أن اللقاء به في هذه المدينة أصبح من الصعوبات .. وهو قد بذل جهدا لتحريره ، واضطر لتطليق ابنته من حفيد الملك من أجل إخراجه من الحبس .. هكذا واسى نفسه ، وأمل أن يقبل به الملك حبيب الدين بن سالم نزيلا في بلاده ، فكان يقول لسفانة : كان هربه حلا لي

ولحميد .

قالت : أنت سعيد بهربه ! ولكنه أصبح عدوا للملك ، وقد يطاردونه .

قال مطمئنا لها : إنه داهية من دواهي الزمن .. الآن لا يهمني رد شقيقي ووزيره الملعون .

ـ وأنا !

قال : ستعودين لزوجك .. فالشاب يحترمك ويحبك ، ولولا الإجبار ما طلقك .

قالت : هل ترى أنني سأعيش سعيدة بعد هذا الجرح بيننا ؟

قال : عليك أن تتحملي من أجل الطفل كما تزعمين .

قالت : كنت أفكر يا أبي أن أختار الرحيل والهرب به .

قال : حمقاء !

قالت : حمقاء حمقاء! ولا أكون ألعوبة بينكم .. بين ملك وأمير .. ليتني تزوجت ابن عمي .

قال : لا ينفع الندم اليوم .. فإن قومك لم يردوا على طلبنا بالعودة لبلادنا ، وحتى لم يرفضوا .. إنهم يحتقروننا يا سفانة ! لا تفكري بالهرب .. فأنت الخاسرة .. زوجك لديه نساؤه ، ولديه أطفال .

قالت : طفلي لن أتخلى عنه .

قال بثقة : ستعودين له .. حدثني بعضهم عن ذلك

قالت : أعرف وأرسلت لي الجواري والبنات .. وأعرف أنه محب لي ولولده ، وقدر لي الوقوف معك في هذه المِحنة .

قال : نعم ، إنه شاب عاقل بطل .. لقد أعجبت به منذ تعرفت عليه ؛ إنما هي تقاليد الأسر والسادة .

وفعلا بعد هدوء زوبعة هرب المساجين تدخل بعض الفضلاء بالصلح بين الملكين ، وجرى حفل زواج جديد لسفانة ، وعادت زوجة لشداد .

وقال وهو يرحب بها : صفحة وانطوت أيتها الأميرة الشجاعة .. نعم ، نحن ضعنا بين الفريقين

قالت : أنت تعلم أنك الرجل الوحيد الذي أحببته وقبلته بعلا ؛ ولكنه يا سيدي الأمير أبي .

قال : أنا أقدر لك شجاعتك .. وقدرت موقفك ونبلك وطاعتك لأبيك .. ولو كان الأمر بيدي لعفوت عن غياث ، وأبقيته لدى أبيك .. والإنسان ما دام لا يتدخل فعليا وبيده فهو مازال بعيدا عن الخطر والضرر .. فليس كل ما يقال ينفذ .. وأما الوشاة فينقلون الكلام حسب فهمهم وأهوائهم ، وحسب رغبة من ينقلون إليه الكلام .

قالت : أشكرك على تفهمك موقفي وعصبيتي ، وعلى حسن خلقك معي وصبرك عليّ .. أنا أكره الكاهن أكثر من إبليس اللعين ؛ لكن أبي متعلق به لحد الجنون .. إنه أبي سيدي الأمير !

قال : مرحبا بك في بيتك ! هي غمة وذهبت ـ إن شاء الله تعالى ـ فأنت في بيتك بين أهلك

وجواريك .. وأمي تقدر لك شجاعتك ، وتضحيتك من أجل الوالد .

قالت بحزن : لقد أصبح الوالد ذليلا بعد خلعه عن الحكم والملك.. يشفق الناس عليه ؛ بل تراه يتمنى الموت .. فعندما الإنسان يترك السلطة والحكم يصبح ألعوبة وسخرية ؛ وربما لا يحسّن التفكير والنظر .. لقد كان مصدوما أن تتزوج ابنته الكبرى سرا من ابن الوزير، وتلد دون معرفة .. وهي ابنة ملك كأبي .. ثم تهرب بانة التي تعرفها مع أمير للتزوج رغم أنفه ـ وقد زارتني في قصر أبي متنكرة ، وحثتني على العودة إليك ـ ثم فعلت أختي خلود مثل بانة ؛ فذلك يجعل العاقل مجنونا .. فهذه ضربات قاسية تلقاها أبي .. وأنا أحبك وأحب أمك الغالية على قلبي .

رفض العودة

لقد رأينا الملك زرارة مسرورا من هرب غياث من سجن الملك حميد ، ولقد كان يتمنى أن يفرج عنه بشفاعته ، ويعيش معه بقية حياتها ، ولكن أهل السلطة لا يرغبون بوجوده في بلادهم .

وفرح أيضا بعودة سفانة لزوجها ، وهذا يعطيه مكانة بين أسياد المدينة بأنه ما زال صهرا للملك الشيخ حميد .

وجاءت الأخبار بعد حين ترفض عودته لبلده الأول بسبب تزويجه لابنته لرجل غريب بعد أن رفض تزويجها من أقاربها ، وجاء في الرسالة أن لا يفكر بالعودة قطعيا ، لا هو ولا ابنته ولا أحفاده من سفانة ، وجاء في الرسالة أنهم ليسوا بحاجة إلى استلام الكاهن الهارب .

فوطن نفسه بعد هذه الرسالة الحاسمة والقاسية على عدم التفكير في العودة لمسقط رأسه ، وعليه أن يقضي ما بقي من العمر في المنفى .

وجاءته رسالة من صديقه الملك الآخر يرحب بزيارته لمدينته دون الاستقرار فيها لأهمية الصداقة بينهم وبين مدينة اللؤلؤ ، وأن ابن الوزير متزوج من امرأة من مدينتهم .

فخاطب نفسه : لقد نسيت ذلك .. نعم ابن الوزير لؤي صاهرهم بعد موت أمامة تذكرت ذلك

فلما رأت سفانة والدها بعد هذه الخطابات قال : رفض قومك أن نعود إليهم بأي حال من الأحوال ، لقد اعتبروننا مجرمين في حق المدينة ، وتقاليد الزواج .

فواست والداها كعادتها منذ قويت العلاقة بينهم ، وقالت : رضينا بالحياة خارج مدينتنا .. فلنرض يا أبي بقدرنا ونصيبنا .. وأنت إذا مللت من العيش هنا فسافر إلى الملك حبيب فهو يرحب بك لعدة أسابيع زائرا ضيفا .

فقال متحسرا : التنقل بين المدن يحتاج لمال وحرس وهدايا يا بنية .. وكما تعلمين أن حقنا المالي توقف

لما انتشر خبر زواجك .. فأصبحنا أغرابا عند بني قومنا .. فأنت زوجك ينفق عليك .. وأنا أعيش على ما بقي معي من مال ومجوهرات ، وبعض إحسان الملك حميد بعد أن علم بقطع ما خصص لي من مال للحياة الكريمة في المنفى .

قالت : عليك أن ترضى بذلك ما دمت قد قبلت النفي الاختياري .

قال : قبلت وصبرت .. وشكرت ربي .. نعم ، صدقت .. على الإنسان أن يقبل ما اختاره بنفسه ويتحمل عاقبة الاختيار بطيب نفس.. لقد كنت وفية لأبيك يا سفانة !

وسمح له الملك حميد بزيارة الملك حبيب لما اطلع على الرسالة ، وأرفق معه كوكبة من الفرسان في تلك الرحلة سوى الهدايا ، وقضى الملك عشرة أيام في ضيافة الملك حبيب الدين ، ثم كَر راجعا لمنفاه ، وقد أحضر معه عددا من الجواري والغلمان هدية من ذاك الملك ، وقدم بعضها للملك حميد وابنته وزوجها شداد ، ووالده عُمير وللوزير ، واتخذ جارية منهن كسرية مما أثار حفيظة زوجته الجارية المعتقة ، فوعدها أن يتركها بعد حين ويعتقها ، فهو لا ينسى خدماتها وتعلقها به بعد طلاقه لعزوف .

بعد شهر على هذه الزيارة جاءت سفانة تزور والدها كما درجت العادة ، فوجدته مريضا مرضا شديدا ، وقد عاده أطباء القصر كل يوم ، فقال لها : أحس أن أحدهم يدس السم لي .

قالت : هل حدثت الملك بشكوكك ؟

قال : أخشى أن يكون له يد بذلك .

قالت بحيرة : لا ، لا تسيء الظن به .. فلنا سنوات في كنفه .. ونحن أصهاره .. وعادى قومنا من أجلنا .. فعلى أطباء الملك التحقق من ذلك .. ويفحصون ما يقدم لك من طعام وشراب .

تحركت سفانة ، وأخبرت زوجها بشكوك والدها بفساد طعامه ، والأمير أخبر جده الذي انزعج وكان يعتقد أنه مرض تقليدي ، فأرسل رئيس الشرطة وكبير أطباء القصر لمعاينة الملك زرارة الذي رجع وأكد للملك تعرض الملك لمواد سامة ، فتعرض الطهاة والخدم للمسألة والتحقيق والاستفهام .

فكان الملك يقول لوزيره : الطبيب يؤكد أن الرجل دس له في طعامه مواد سامة .. ويستخدمها الطهاة دون علم على أنها مواد سامة .. فقد أرسلت للقصر على أنها هدية من طهاة قصرنا .. وطاهي القصر أنكر إرساله هذه المواد .

ـ وماذا يقول رئيس الشرطة ؟

قال : يقول إن خادما زارهم ذات نهار زاعما أنه من خدم القصر ، وأنه من الخدم الجدد ، وقدم لهم مجموعة من الأعشاب ، وأنها خاصة بطعامي ، وأحب أن يخص بها الملك زرارة .. فصدقوا ذلك

.. والملك لم يخبرهم عنها عن مرضه منها ؛ لأنه لا يعلم بهذه الأعشاب .

قال : يعني أنهم غير متآمرين . . من يريد اغتيال الملك ؟!

قال : هذا ما يحاول معرفته رئيس الشرطة .. فالأمر جد خطير ! هل أصبحت حياته في خطر أيها الوزير ؟

قال : الأمر محير .. من يريد موته ؟ وهو لا خطر منه على بلاده كما تعلم ونعلم .. وله ضيف سنوات لدينا .. فقومه لماذا يفعلون ذلك ؟ فهو ملك وابن ملك وشقيقه الملك .. فالخطر عليه من عندنا .

قال : هل من عدو له بيننا يا مولاي ؟

قال حميد : هل من خطة لحمايته ؟

قال : علينا كشف الخادم الذي ذهب إليهم بتلك المواد السامة .



ابن أمامة

يعلم قارؤنا الطيب من خلال سطور القصة أن الأميرة أمامة بنت زرارة لما كبرت واقتربت من الخمس والعشرين سنة ، وكان والدها يرفض زواجها اتفقت أمها عزوف الملكة ، والوزير أوس على زواجها خفية دون موافقة الملك ، وحملت من زوجها خلال أسابيع من الزواج ، وولدت سرا برعاية أمها والوزير ولؤي وبعض الخدم الثقات ، وفور الولادة قام أحد فرسان الوزير الفارس ليث العامر بأخذ الطفل إلى مدينة الملك حبيب الدين ، وفي إحدى القرى دفع الرضيع إلى امرأة تهتم به وترعاه مقابل المال ، ودون أن تعرف هو ابن من ؟ وهناك خادمة وشت للملك بزواج ابنته وولادتها بعد حين ، فغضب الملك أشد الغضب ، وحبس ابنته النفساء ، وأهمل رعايتها الطبية حتى هلكت ، وكان يقصد ذلك ويعمده انتقاما لنفسه والإهانة التي لحقت ، وبحجة أنها لم تفصح أين أخفت ابنها ؟وهي لا تعرف مكان إخفاء الوليد سوى أنه خارج بلادها .. وود لو قتل الوزير من شدة الغيظ والحقد .

وكان لؤي عندما أهل الوليد صارخا حمله إلى ذلك الفارس ليث العامر ، ونفذ الخطة المدبرة لهذا اليوم العصيب .

وكان هذا الفارس يغيب عن الوزير أوس مع القوافل والحجج الأخرى لمتابعة حياة الطفل الرضيع ، ولما فطم الطفل كانت أمه قد هلكت من عهد قريب من العامين .

ونعلم أن لؤيا تزوج من مدينة الملك حبيب ، وكان يذهب برفقة ليث أو يأتي به ليث إلى مكان متفق عليه ، ويحتضنه ويقبله ، ثم يعاد لمكان اختفائه

خشية عيون الجد زرارة ، وحاولت زوجه الأميرة معرفة مكانه ، وعجزت عن ذلك خاصة عندما عادت للحياة بعد الزواج في بلدها ، ونجح لؤي بإخفاء الأمر عنها وعن غيرها بسبب الخطورة المحيطة بالطفل .

ولما شب الطفل رجع به ليث العامر إلى المدينة في بيت مستقل ، وتظاهر ليث أمام الفضوليين أنه ترمل من سنوات ، وأن هذا الفتى ابنه الوحيد ، واشترى جارية وغلام لخدمة الطفل .

وتزوج ليث بعد رحيل لؤي للمدينة ، وعاش الطفل مع أولاده ، ونشأ بينهم كأنه شقيق لهم ، ولم يشعر أنه ابن رجل آخر ، وكان يعتقد أن الرجل لؤيا عندما يتقابلان عّم له وشقيق والده ، ولما كبر وشب علم أن أمه ماتت ، وظن أن ليثا هو والده ، وكان الأمير يقدم المال للفارس ليث باستمرار ، ولما مات الوزير أوس كان عمر سيف الدين عشرة سنوات ، ورجع الأمير بعد موت والده لبلاده موصيا ليث على ولده ، وأنه قد يصير ملكا على البلاد ؛ لأنه حفيد زرارة الأول .

ولما بلغ الفارس سيف خمسة عشر عاما كان قد تعلم الكتابة والقراءة والفروسية في مدراس المدينة ، وأنديتها المهتمة بذلك .. وعشق الصيد مثل أقرانه في المدرسة التدريبية .

ولما أصبح في هذا السن جاءت رسالة لليث من الأمير لؤي مع ثلاثة فرسان يطلب منه إحضار الشاب للمدينة بدون زوجته وأطفاله إلى حين يسير ، وبعد رحلة استمرت أياما استقبل الشاب في قصر خاص من قصور الوزير غالب عم لؤي ، وقدم الوزير والملك مرارة للقصر ، وتم كشف السر للفتى الذي لم يتفاجأ بذلك ، وقد كان يحس بأنه أمير من تصرفات أبيه ليث معه ، وسمع قصة أمه وأبيه .. وكان الفتى يذكر لقاءته بالأمير لؤي ، ويرى الاحترام الذي يلقاه الرجل من ليث .. والحنان من الأب له .. وكان كل ذلك خوفه على حياته من جده زرارة الملك المنفي برغبته .

ولما عرف تفاصيل حياته وسبب إخفائه وإبعاده عن البلاد بكى امه ، وطلب زيارة قبرها .. وعانق الملك مرارة الذي هو بمقام جده ، وفعل مع الوزير عم والده كما فعل مع الملك .. ثم حضر القاضي الأكبر ، وتعرف على الشاب وبارك له حياته .

وقام الوالد وبعض الحرس والفارس ليث بزيارة قبرها ـ قبر الشهيدة كما يسمونها ـ وبكى الشاب ، ودعا لها بالرحمة والمغفرة .

وأعلن الوزير في نهاية اليوم أمام الأمراء والأعيان والسادات عودة الأمير سيف بن لؤي حفيد الملك زرارة .

وعانقه الملك والوزير وكبار السادة والأمراء من

أقاربه وأقارب والدته أمامة ورأوه فتى قويا جميلا .. وانتشر الخبر في المدينة بعودة ابن أمامة لتولي الحكم .. وعزل في قصر خاص تحت حماية قائد الجيش ووالده واتباعهم ؛ ليخضع لتدريب على الحكم ومهام الملك لمدة تسعين يوما يتم خلالها الاستعداد لتنصيبه ملكا جديدا على البلاد .. فالملك في هذه المدينة ملكا تشريفيا وكل المهام الإدارية والتجارية والحربية موكولة للوزير وأعوانه .

وخضع الأمير للتثقيف والحكم وواجباته .. وكان يخضع لحراسة مشددة خشية على حياته من الحساد والغادرين .

وقد زارته جدته عزوف ، وعانقته بحب وبكاء ، ودعت له بالبركة والتوفيق في رعاية الأمة والبلاد وقامت الاحتفالات في كل المدينة لتنصيب الشاب الصغير ملكا على البلاد ، وقد تنازل الملك مرارة حسب التقاليد عن العرش ، ولما مضت الشهور الثلاثة توج الأمير سيف ملكا على بلاد اللؤلؤ ، وأقيمت الولائم عدة أيام .

وأخذت المدينة تستقبل الوفود من الأصدقاء للتهنئة بهذا الملك الجديد ، وانشغلت المدينة بالاستقبال والتوديع .

وعين للملك سبعة مستشارين ، وعين له حرسا ملكيا من اتباع الوزير فهو عم أبيه ، وكان القصر الملكي قصر زرارة قد أعيد تحصينه وصيانته وتجهيزه ليكون قصرا للملك سيف ، ورتب له الخدم والطهاة .

وأصبح الملك الشاب يتنقل بين قصر المنام وقصر الحكم ، ويحضر الوزير لديوانه ويطلعه على ما يهمه سماعه ، ثم يغادر سيف ظهرا القصر وديوان الحكم لقصره ويفعل ما يرغبه من اللعب والسمر .. ويستقبل السفراء والأدباء والشعراء والقصاص والحكماء في ديوان قصر المنام ليزداد معرفة وعلما ؛ فإذا رغب بسماع الشعر أبلغ قيم القصر الشعراء برغبة الملك ، فيتجمع عدد منهم في قاعة خاصة حتى يحضر الملك ، فيبدئون بإلقاء أشعارهم .. وهكذا باقي الأصناف .

خلود

قلنا إن الأميرة خلود بنت زرارة تزوجت ابن أحد تجار مدينة الرحمة عن طريق التاجر عمرو بن سنان ، ودبرت وإياه حيلة بدأت لقومها أنها خطفت ، وانتقلت إلى تلك المدينة ، وتزوجت ولا أحد يعلم أنها ابنة ملك إلا زوجها ووالده والتاجر عمرو وجاريتها لبانة .

ولما انتشر خبر اعتلاء الأمير المختفي سيف ملكا على بلاد اللؤلؤ في المدن والبلدان القريبة ، وعلمت خلود من زوجها وعمها هذا الخبر اشتاقت لبلادها ورؤية ابن أختها الذي أخفي من أول يوم

ولادة ، فكتبت رسالة شخصية له تطلب منه أن يسمح لها بزيارته وزيارة أمها وبعض أقاربها .. ونقلت الرسالة مع التجار للتاجر عمرو ، ولما تسلمها انتقل بها لديوان الملك ، ولما قرئت على مسمع الملك أوضح له الوزير قصة خالاته همسا ، ثم قال : نحن منذ تظاهرت لوالدها أنها خطفت ، ولا نعلم عنها شيئا .. هذه أول مرة نسمع عنها حسب علمي .. وأنا شرحت وبينت لك ظروف زواج أمك وخالتك بانة وخلود .. ونحن كنّا نلوم جدك الملك زرارة في ذلك حتى اضطرت البلاد لعزله عن الحكم بعد اختفاء الأميرة خلود .. وأطلعناك على قصة المنام الذي جعله يحرم بناته من حقهن الشرعي والأدبي من الزواج والإيلاد .

قال : ألا تسيء عودتها وزيارتها للبلاد حفيظة الناس وأقارب جدي زرارة ؟

قال الوزير : نحن أوقعنا اللوم كله على الملك جدك يا سيف .. واضطر أخي ورجال الدولة على خلعه .. وهن كنساء لم يجدن أمامهن إلا أن يتزوجن بهذه الطريقة المؤلمة .. فكان زواج أمك من ابن أخي الوزير أوس سرا .. ثم هربت خالتك بانة مع الأمير كساب .. وخلود لم نعرف مع من هربت ؛ ولكنه من غير أهل البلاد .. أنا أعذر البنات في فعلهن سواء كان صحيحا أم خطأً أيها الملك ! ولا أعتقد أن ينزعج الناس من زيارة البنت لأمها جدتك الملكة عزوف التي اضطرها جدك للرحيل ونفيها وحيدة بعدما طلقها مما اضطرها أن تتزوج من رجل اشتهر باللصوصية في بلادنا .. وذلك في منفاه ومنفاها ، حتى خالتك سفانة صغرى بنات جدك نصبناها على البلاد ملكة للتقاليد والقوانين المعتمدة في نظام الملك .. وعرضنا عليها ثلاثة أمراء ليكون أحدهم زوجها ، وأحدهم ابن الملك مرارة .. وآخر ابن أختي من أقارب جدك .. رفض الملك المعزول زواجها .. ورفضت الزواج مما دفع القوم إلى خلعها ، ووضع شقيق الملك زرارة ملكا ريثما تظهر ؛ لأنك من أحفاد الملك .. وطلب جدك وسفانة النفي الاختياري .. وهناك قبلت الزواج من حفيد الملك حميد ـ وقد حضر وفد منهم للتبريك والتهنئة بالملك ـ وقبل والدها بزواجها من الغريب .. وهذا لا يجوز في حق بنات الملك يا أيها الملك ! ثم طلقت، ثم ردوها بعد تصالحهم .

قال الملك : نرحب بها يا سيدي الوزير!

قال : نعم ، يا مولاي ! فأمها كبيرة في السن .. ورؤية ابنتها ستحقق لها السعادة .. وأمها سيدة عظيمة وشجاعة .. وخالك سيكون فارسا بطلا .. وهو شاب صغير في الجيش .

قال الملك وهو يتذكر أول لقاء بالملكة عزوف : لقد بكت كثيرا لما رأتني أول مرة وتمنت لو تربيت

بينكم .. وعرفتني على ابنها رياض الفتى الصغير ؛ ولكنه خجول

قال : ربما من ماضي أبيه مع أن والده كان لصا كبيرا وشجاعا في مجال اللصوصية ؛ ولكنه تاب ورحل .. وكان ثريا عندما نكح جدتك ، ويملك مزرعة كبيرة في بلاد عثمانية ، وما زالت أموالها ترد إلى جدتك زوجته ، ورفضت بيعها .

طلب الحاجب الكاتب ، فجاء الكاتب ، وكتب رسالة ترحيب بالأميرة خلود بنت زرارة في بلدها ، وختمها الكاتب بخاتم الملك ، ودفعت للتاجر عمرو الذي كان يرتقب الرد .

ولما عاد لمتجره الكبير دفعها لأحد رجال القافلة ، ولما استلمت الأميرة الرسالة ذهبت تبكي وتبكي ، وقد تذكرت أختها أمامة التي كانت صديقة لها ؛ لأنهما متقاربتان في السن ، وشهدت زواجها السري والخوف الذي ركبهم من تلك المغامرة ، فأمامة تكبرها بثلاث سنوات ونصف ، وقالت لزوجها بعدما هدأت عواطفها إنه يرحب بِنَا جميعا

قال محمد : بارك الله فيه ! فأنت اليوم خالة الملك ؛ لعلنا بعد هذه الزيارة نكشف أمرنا للناس ؛ ليزداد لك الاحترام بين الأهل ورجال الدولة .

طلب منه والده بألا يصحب كل ذريته معه خشية غدرات الطريق واللصوص فأخذت الطفل الرضيع فقط .

وكان الملك يقول لجدته : خالتي خلود ترغب بزيارة البلاد والظهور ، وكتبت رسالة بطلب الزيارة للقاء بك وبنا .

تفاجأت الملكة بالأمر ، ودمعت العيون وقالت : منذ خرجت مطرودة من هنا لم أرها أيها الملك ـ رحمك الله يا أمامة ـ لم تعش لترى ابنها سيدا وملكا ؛ بل لم تحضنك إلا بضع دقائق .. كان يجب أن تختفي من البلاد خشية أن يعرف الملك والدها .. ولما عرف رماها في السجن وهي نفساء دون عناية .. كان موقفا قاسيا ظالما ، ثم ماتت رحمها الله .

تنهد سيف وقال : رحمها الله رحمها الله .. ستنزل الأميرة ضيفة في قصري هذا قصر الملك وإذا رغبت بالعيش في بلادنا سأرحب بذلك .

قالت عزوف : يسرني ذلك يا ولدي العزيز .

قال : وأنت إذا أحببت العيش معي هنا فعلى الرحب والسعة .

قالت معتذرة : يسرني ذلك يا ولدي ؛ لكن أمي مريضة وعجوز أكثر مني .. وخالك عزيز النفس ، وبعض أهلنا لا يعاملونه أنه ابني أنا ؛ إنما يعاملونه ابن ذاك الرجل الشجاع .

قال سيف : على كل القصر مفتوح لك .. وعندما نكبر أنا ورياضا سيكون قائد الحرس إذا قبل ذلك .. فهو خالي وابنك .. وأحببته يا جدتي!

مسحت دمعات سقطت على وجنتيها وقالت :

شكرًا على عطفك الكبير علينا ـ وإن شاء الله ـ ستكون ملكا عظيما رغم صغر سنك .. فأنت سيد الرجال والملوك .. وسنفخر بك ما حيينا فأنت تاج رؤوسنا .

تعانق مع جدته ، وأمر الغلمان بعودتها إلى قصرها كما أحبت من أجل أمها وابنها .. ولما جهزت مركبتها ، خرجت وعادت لقصر أمها حيث تعيش هي وولدها رياض بن مناع .

بعد مضي شهر من رد الملك على رسالة خلود دخلت البلاد مع إحدى القوافل التجارية

يصحبها زوجها محمد وابنها الرضيع .. وأستقبلهم التاجر عمرو ، ورحب بالأميرة .. وكان قد زارها بضع مرات عندما يسافر لمدينة صاحبه واستضافهم ليلة .. وفي مطلع النهار أخبر الملك بمجيء خالته بصحبة زوجها وابنها الرضيع .. فترك ديوان الحكم ، وعاد لقصره الخاص ، واستقبل ضيوفه خالته وزوجها .. ورحب بها بكل حب .. وكانت تبكي وهي تعانقه وتشكره وعرفته على زوجها الذي قبل رأسه ويده كعادة السلام على الملوك ، وقبل الملك الطفل .

ثم حضرت الملكة عزوف وبعض أخواتها وإخوتها لقصر الملك ، وتجدد البكاء والفرح بهذا اللقاء والشكر للملك على قبوله هذه الزيارة .

وأخذ أقارب الأميرة يتوافدون للقصر لتحية الأميرة العائدة بعد اختفاء طويل .

وقضت عدة أيام تستقبل أهلها وصديقاتها حتى الوزير غالب وزوجته وبناته جاءوا للترحيب بالأميرة وزوجها الشجاع الذي تجرأ على خوض هذه المغامرة الخطرة والصعبة والقبول بالأميرة زوجة رغم الخطر الكبير على حياته .

وأعجبت بأخيها الذكر وأحبته ، ولم تنفر منه ، وصنع لها الملك الصغير ، ومثله الوزير وعمها الملك مرارة وغيرهم الولائم ، وأعلمها الملك أنه يرحب بحياتها في البلاد ؛ ولكنها اعتذرت عن ذلك ، وأنها تعيش سعيدة في بلاد زوجها .. وعليها أن ترضى بقدرها .. وأنها ستتردد بين الحين والآخر إليهم ، وقضت الأميرة شهرا من الزمن في ضيافة أهلها ، وصحبتها الهدايا الكثيرة عند مغادرتها البلاد ، ورافقتها كوكبة من الفرسان حتى أطراف البلاد ، وكان والد زوجها في الاستقبال .. وقدم الشكر للفرسان ، وانتشر خبر الأميرة في بلادها حتى أن الملك الذي يعرف التاجر نجوان طلب اللقاء بها .. والتعرف عليها هو ونساؤه لما شاع خبر الأميرة وعلم من هم أصهاره .. وأدرك أقاربهم وأصدقاؤهم سبب تصرفات التاجر مع البنت منذ دخلت المدينة .

زرارة يطلب العودة

الملل والضجر من طبيعة البشر ، فلما تيقن لزرارة

الملك اعتلاء حفيده ملك بلاد اللؤلؤ مكان شقيقه مرارة لعب في رأسه العودة للبلاد .. وكنا ذكرنا أن الملك تعرض لمحاولات السم مرتين ونجا من الموت منهما ، ولم يعرف الجاني .

فقال لسفانة : الأخبار أتت من البلاد باعتلاء حفيدي عرشي .. ولي رغبة بالعودة .. بت أخشى على حياتي هنا .. فالموت عند الآباء والأجداد خير

قالت : ألا تخشى نقمة سيف عليك ؟! وقد أردت قتله وليدا .. وسعيت لذلك .. وماتت أمه دون علاج .

هتف بحدة : إنه ابني يا سفانة ! هي تزوجت بطريقة لا تليق ببنات الملوك والأمراء .. وهذا له سنوات وسنوات .. وأنا لم أقتل أحدا .. هي ماتت بضعفها وغضبي عليها .

قالت : لكنها أمه .. وقد حرمته منها .

صاح : هي حرمت نفسها من نفسها .. تتزوج غصبا عني .. ولا أفعل شيئا أأرقص وأغني يا سفانة! أنا حبستها فقط .. لم أضربها لتموت .

قالت : والحفيد والمنام!

قال : هل يقتلني يا ترى ؟

قالت : لا أدري ! ربما لأنك قتلت أمه .

خيم الصمت لدقائق بينهم ثم قال : يبدو أن منامي كان وهما كما قال الوزير وأمك عزوف زوجة اللص مناع .

ردت تسأل : هل يقبل الوزير عودتك ؟!

قال بقوة : سأكتب للملك نفسه .. سأخاطب حفيدي سيفا .

قالت : اكتب .. وأنا سأرسلها مع إحدى القوافل

كتب الملك رسالة يستعطف حفيده بالسماح له بالعودة للبلاد لرغبته أن يدفن فيها حينما تحين ساعته .. وكتب فيها أولا تهنئة بالملك والسلام .. ثم ذكر أن تعرض للتسمم مرتين في قصره وأنه يخشى على حياته .. وذكره بأنه جده رغم كل ما جرى بينه وبين أمه وجدته .. وذكر أنه ضعيف ويحتاج لرعاية وراحة .. وأنه يعيش في بؤس من الوحدة والعزلة .

لما قرأ سيف الرسالة بكى بعمق وحزن شديد لحال جده الذي ورث عرشه وهو حي .. ورق قلبه ونسي إساءته لأمه وجدته وله أيضا.. ونسي تهاونه في علاجها حتى ضعفت عن المقاومة وجاءها الأجل.. ونسي أنه سبب غربته وحياته بعيدا عن قومه ..نسي الحسرات وهو يقرأ الاستعطاف من جده الملك .

اطلع الوزير على الرسالة واستاء من تعرض الملك للتسمم ، ولم يكشف فاعل ذلك .. وبما أن صاحب الشأن الملك يرغب بالعفو والمسامحة .. وقد فعل ذلك مع خالته .. ويقال الأيام دواء الهموم والحزن والجروح .. وافق الوزير على رغبة

الملك والسماح بعودة الملك المنفي وابنته سفانة إذا أحبت ذلك .. وأرسل رسالة وفارسا ليحقق في الجهة الغادرة التي تعرضت لتسميم الملك ووعد الوزير بتحسن الصداقة بين البلدين إذا تم الكشف عن الخائن .. وأرسلت الرسالة مع الفارس وغلامه وخادم سفانة .. توجه الخادم بالرسالة لما دخلوا البلاد إلى مولاته

وتوجه الفارس عبدان وغلامه إلى قصر الملك حميد لنقل رسالة الوزير .

ولما تسلمت الأميرة الرسالة ذهبت بها لوالدها بعد أن أخبرت زوجها بمجيء الرد ، ليخبر جده الملك ووالده .

قرأ زرارة الملك الرسالة ، وفرح فرحا شديدا ؛ كأنه طفل صغير وبكى فرحا .

فقال لابنته : أرأيت ابن أختك الكريم الشجاع رغم أنه لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره يقدم لي كل الاحترام والترحيب بالعودة لأرض الوطن والعيش بحرية كاملة .. لا يقبل أن يكون عدوا لجده الذي ورث عرشه .. وهو حي يرزق .. بطل ـ رحمك الله يا أمامة ـ نعم ، قصرت في حقك كان عليّ أن أقبل بالقدر وزواجها .

قالت : وأرسل الوزير فارسا ورسالة للملك حميد يطلب الأخبار حول حادثة التسمم التي تعرضت لها .

قال : هناك فارس يطلب ذلك .

قالت : أجل يا أبي ! أنا سعيدة لسعادتك ، ولا تنسى سفانة لما تستقر في بلدك العظيم .

قال : أتحبين الرحيل معي ؟

قالت : لا ، لديّ طفلان يا أبي وحامل بالثالث .. أنا أم .

وبدأ الاستعداد لرحيل الملك عن بلاد الملك حميد ، وأوصى الملك حميدا على ابنته وحياتها وراحتها وذريتها ، وشكره على تعاطفه معه ، وتحمله كل هذه السنين وطمأنه الملك ، واعتذر عن كل تقصير حدث ، وأنهم ما زالوا يبحثون عن الخادم الذي أحضر الأعشاب الضارة للملك وهكذا كتب للوزير غالب مع الفارس عبدان الذي أرسله ، وأنهم لم يقبضوا على الخائن .

ولما تجهزت قافلة الملك للرحيل تقدم الأعيان والسادة لوداع الملك زرارة ، ورافقه الملك وابنته وزوجها شداد إلى أطراف المدينة ، وكان الملك يركب عربة ملكية خاصة من الملك حميد يجرها جوادان قويان ، ويصحبه ثلاثة فرسان غير خدمه وغلمانه وطاهيا يخدمهم طوال الطريق الذي يمتد لمسافة ثلاثة أيام بين المدينتين ؛ لأنه في كل مرحلة ستكون راحة وطعام ونوم .

ولما ابتعدت القافلة عن عيون المودعين رجع حميد وسفانة إلى قصورهم ومعايشهم يدعون للملك

بالوصول سالما معافى .

فقال الأمير لزوجته : إن شاء الله يصل بالسلامة للوطن .. ويذهب خوفك وقلقك من الطريق الطريق مطروقة من القوافل والتجار ؛ ربما خفت القوافل بسبب انقطاع التجارة بيننا وبينكم ولا تكاد تخلو الطريق من عدد منها ذهابا وإيابا .. وإن شاء الله بعد وصول الملك تعود التجارة بيننا وبينهم .. اني أراك ما زلت حزينة !

قالت بخوف أصابها منذ استعد والدها للعودة لبلدة : أحس أنها ستكون آخر مرة أرى فيها أبي حيّا يا شداد .. رغم فرحه الشديد للعودة أخشى ألا يصل إليها .. قلبي منقبض من هذه العودة

قال مبددا لخوفها : سنسافر إليهم بين الفترة والأخرى بإذن ربي .

قالت : أرجو أن يصل سالما ؛ ليطمئن قلبي المحروق .

قال : أنت قلقة ؛ لأنك الوحيدة التي عشت معه كل هذه السنين هنا وهناك .. الوداع والفراق يترك أثره على النفس البشرية .. سيصل بالسلامة يا سفانة !

قالت : أرجو ذلك أخشى أن يموت قبل أن يصل لبلده المشتاق إليها .. ألم يسع أناس لقتله بالسم أيها الأمير ؟!

قال : هذا قلق طبيعي أيتها الأميرة .. علاقتك كانت به قوية دون سائر أخواتك .. وهو أحب أن يموت في بلاده .. والملك سيف تناسى كل الماضي.. وعندما نرى سعادة الوالد بين أهله سنذهب إليهم .. ونقابل الملكيين وأمك الملكة عزوف ونتصالح معها .

قالت : لابد من ذلك .. أنا رحلت وأمي غاضبة عليّ ؛لأني لم أتزوج من أبناء العائلة .. كان نصيبي وقدري هنا أن أتزوج من الفارس الشجاع شداد بن عُمير .. أنا مسرورة للملك ابن أختي سيف ..أرجو أن تكون بانة قد سمعت بعودته ؛ لتعود والعيش مع أهل المدينة كأميرة بدل هذا الاغتراب .. وهي متزوجة من أمير من بلادنا .

قال : أرجو ذلك .

قالت : ولد الأمير وأخفي .. خافوا على حياته من غضب أبي ومنام أبي .. لقد كاد أن يجن أبي لما علم بولادة أمامة دون علمه وزواجها سرا .. كانت أياما عصيبة على أبي وأمي .. ولو وجده لبطش به من الغضب ؛ لكن الوزير أوسا ـ رحمه الله ـ كان مدركا لخطر بقائه في البلاد .. لقد خشينا نحن البنات على حياتنا تلك الأيام من غضب وعصبية الملك .. كان يصرخ ويتهم أمي بالخيانة .

قال : الأمر أيتها الأميرة لم يكن هينا .. فهو صعب على إنسان عادي فكيف على ملك ؟

قالت : لقد سعى والدي بحثا عنه .. وطلق أمي

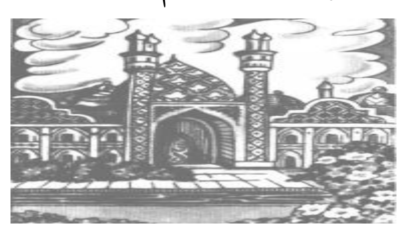
وطردها ؛ ليصل عن طريقها إليه وإلى بانة .. كان مناما بشعا .. وذاك الكاهن اللعين هول الأمر على أبي حتى أصبح يقينا أن المنام سيحدث ويقتل الجد بيد حفيده .

قال : كيف سيقتل الرجل جده بيده وهو سيرث الملك منه ؟!

قالت : لا يعقل ذلك إلا من حفيد حاقد مجرم .

قال : قد يحدث هذا في أيام فوضى وصراع على الحكم.

تنهدت حسرة وقالت : رحم الله أمك يا سيف !



القتل

مضت القافلة الملكية تقطع المسافات حتى دخل بعض الليل فتوقفت للراحة والطعام ، وعند منتصف الليل نام من نام ، وظل مستيقظا من لم يرغب في النوم .. وتناوب الفرسان الحرس على النوّم حتى الفجر ، وقبل بزوغ الشمس فكت الخيام ، وحملت على الدواب ، وركب الملك مركبته الملكية ، وانطلقت القافلة من جديد تجد في الوديان والسهول حتى دخل الليل كالليلة الماضية ، ونصبت الخيام للمبيت والطعام .

ونزل الملك وزوجتيه في الخيمة الملكية للراحة وانتظار العشاء، وبدأ الطاهي بإعداد طعام العشاء هو وزوجته والخدم .. ولما كمل قدم للملك والفرسان والجواري والغلمان .

وعند منتصف الليل ابتعدت زوجة الملك جاريته القديمة ، وجاريته الزوجة الثانية ، وبعض الغلمان والجواري لقضاء الحاجة في مكان بعيد عن الخيام ، وكانت بين أيديهم شعلة من النار ـ وكان قضاء الحاجة يتم في أبعد مكان عن الموقع وخلف التلال ـ وبينما هن يفعلن ذلك سمع صراخ في معسكر الملك وخيامه .. وسمعت أصوات خَيل تركض ، وغبار يرتفع في الفضاء .

فقال أحد الغلمان : أسمع صوت جياد ؛ لعلهم لصوص وقطاع طرق ..أبقوا هنا حتى أنظر الأمر ألزموا الصمت والحذر .

عاد الغلام جهة الخيام ، وشاهد الخيام تحترق ، والصراخ يرتفع أكثر فأدرك أن لصوصا داهموا المعسكر والقافلة ، فانبطح على الأرض خشية أن يروه ، ورأى على شعاع النار القتال بين الفرسان الثلاثة ، ورجال العصابة ؛ ولكنهم سقطوا موتى أو جرحى .. لقد كان اللصوص أكثر منهم ، وزحف للوراء حيث النساء ، وهمس لهم بالخطر الذي دهم القافلة ، وطالبهم بالصمت حتى يبتعد اللصوص وقطاع الطرق ؛ لينقذوا من كتبت له الحياة .. وكان يحدثهم عن معركة بين الفرسان

واللصوص .. وأنهم سقطوا أرضا .. وسمعت أحدهم يقول : لقد طعنت يا فواز .. وآخر صاح : قطعت يميني يا جعفر ..لابد أنها أسماء لصوص أحفظوها ؛ لعلنا بعد انجلاء المعركة نعرف من خصومنا ؟!

لما خمدت النار عاد الغلام بلبل ومعه آخر نحو الخيام متسترين بالظلام .. وكانت بقايا النار تخبو رويدا رويدا .. وكانت هناك بعض أصوات أنين الجرحى .. وقد اختفى من ظل حيّا من اللصوص .. وقد سرقوا العربة الملكية والدواب التي لم تهرب .. وكان الجرحى عند طلوع الفجر في الرمق الأخير .... وكانا قد تابعا انسحاب الغزاة .. وقد تخلصوا من جرحاهم بالقتل دون شفقة .. ولما وصلوا الخيام وجدوا الفرسان قد ماتوا كلهم وتعرضوا لطعنات كثيرة حتى الموت .. والملك زرارة مقتولا .. وكان جثة بدون رأس .. وجاءت النسوة ورأين الفظاعة التي حلت بالملك والقافلة .. وجرى البكاء والعويل واللطم وشق الثياب .

فأدرك أحد الخدم الناجين أن كارثة وقعت ، وأن عليهم أن يعودوا لبلدهم مشيا على الأقدام وبينما هم في حيرة عادت إحدى الخيل الهاربة فاقترح الغلام أن ينطلق بها للبلاد طالبا العون والنجدة .

ومع ظهور الشمس ظهر حجم الكارثة التي حلت بهم .. فقد قتل الفرسان الثلاثة .. وسائق خَيل العربة .. وسرقت العربة .. وجل الخيام تعرضت للحرق .. ومات الجرحى ، ولم يبق حيا إلا من ذهب لقضاء الحاجة تلك الليلة .

فقال الخادم بلبل :هل أذهب لبلاد الملك سيف أم أعود للملك حميد ؟!

فقالت زوجة الملك : اذهب للملك سيف فهو صاحب الثأر اليوم .

لملم القوم ما بقي صالحا من قرب الماء ، وما بقي من الطعام ، وذهبت بعض الجواري لملء القرب الصالحة من عين الماء القريبة من منازلهم .

وكان الملك حميد قبل تحرك الملك بيومين قد أرسل رسولا للملك سيف مخبرا بموعد رحيل جده ؛ ليكونوا في استقباله كما جرت العادات والتقاليد .

ومضى الزمن ، ولم يصل الموكب الملكي.. فأمر الملك سيف بعض الفرسان في التقدم في الطريق لعل أمرا آخّرهم .. وبينما هم يمشون رأوْا الخادم .. ورآهم الخادم ، فلما علم أنهم من مدينة اللؤلؤ أخبرهم بالكارثة والنكبة التي حلت بهم فأمروه بمتابعة المسير للبلاد ورافقه

أحدهم .. وهم مشوا إلى المكان الذي ذكره لهم .. ودخل الرجل المدينة .. وهو بغير رداء .. وهو يصيح قتل الملك زرارة .. وتبعه الناس والعوام .. وكان صوت الضجيج وصل الديوان قبل دخول الخادم حتى وصل لديوان الحكم ..

وصاح وهو يظهر جبة ملطخة بالدماء : هذه جبة الملك زرارة أيها السادة! لقد قتل الملك زرارة غيلة وغدرا!

تجمهرت الناس حول الديوان ، وسمع الملك والوزير الخبر والنبأ الصاعق .

وتحدث الرجل بالقصة واللصوص وقطاع الطرق الذين هجموا على القافلة وقتلوا الملك ومن معه ، وما نجا إلا الذين كانوا في الخلاء تلك الساعة .

ولما علم الوزير بقطع رأس الملك قال : هذا ليس عمل لصوص .. هذا أمر مدبر أيها السادة الكرام

وتحرك ألف فارس إلى مكان الاعتداء ، يرافقهم عدد من رجال الشرطة للنظر مكان الحادث ، ومعهم عدد من قصاص الأثر البارعين .

وانتشر خبر الجريمة في كل المدينة وقراها . وقال الملك سيف: فقط ثلاثة فرسان لحماية قافلة الملك أيها الوزير !

قال الوزير بأسف بين : كان علينا نحن أن نرسل فرسانا لحمايته .. هو عندما رحل منها كان يرافقه عدد قليل من الفرسان .. فهو لم يكن ملكا عندما غادر .. ولما عاد لم يكن ملكا ؛ فلذلك لم يظن أن حياته في خطر .. كان علينا أن ندرك أن حياته في خطر من قصة السم ؛ ولكن وقع في نفسي بعد عودة فارسنا عبدان أن الأمر من الملك حميد لدفع الملك بالعودة والرحيل .

قال الملك : ما العمل ؟!

قال الوزير : سنعرف الحقائق بعد العودة بجثة الملك.. ونسأل عن فواز المقتول وعن جعفر لمن يتبع هؤلاء ؟ وإذا استطعنا تحديد المدينة التي أتوا منها سندس بعض رجالنا والعيارين والشطار في تلك المدينة .. لن يذهب دم زرارة هدرا أيها الملك .. هذه مصيبة على كل أهل المدينة ..

وليست عليك وحدك هذه إهانة كبرى لعرشك وحكمنا .

ولما وصل الخبر لسفانة أصابها الجنون والصراخ حتى صعب على زوجها وحماتها تهدئتها .. وهي تشد شعرها وتولول وتحثو التراب على رأسها وتلطم خديها وتضرب رأسها بالجدار ، وتقول : ألم أقل لك يا شداد إني أحس أني لن أرى أبي بعد الوداع ؟! آه .. لقد انقبض قلبي وصدري تلك الساعة مع شده فرحي لعودته . شقت الثياب ولطمت الخدود من سفانة وجواريها ، وأبكت كل من أتى إليها من نساء السادة والأمراء .

وأصيب الملك حميد بصدمة شديدة ، وندم على عدم إرساله كتيبة لمرافقة الملك ، وما كان متوقعا لمتربص ما جرى ، وأعلن الحداد أربعين يوما في المدينة ، وما يتبعها من قرى وأرسل الفرسان لمكان الحادث .

وأقسم الملك سيف لما دخلت جثة جده المدينة أمام

الشعب إنه لن يرتاح له بال ، ولا راحة حتى ينتقم لجده الملك زرارة ..وإن قلبه يغلي من النار .. وأمر أن تقام أعظم جنازة له في تاريخ مدينة اللؤلؤ وقال : ويا وَيل الذين غدروا به .. وسيبكون دما بدل هذه الدموع التي نقدمها للملك الراحل .

وأحضرت جثة الملك ودفنت في حفل كبير ، حضره كل الشعب والأصدقاء من الملوك والوزراء ، ودفن في مقبرة الملوك حيث آباؤه وأجداده .

وعم الحزن جميع الناس بسب هذه النهاية ، والكل يتسأل أين ذهب رأس الملك ومن أخذه من الناس ؟!

ومع الحزن الشديد الذي أصاب الناس كانت نار الانتقام والثأر والسخط تعم الناس ، ولما رجع المهتمون بتتبع الجريمة أكدوا أن الجريمة مدبرة ومحكمة ، ولم تكن عفوية ، وكانت قافلة الملك صغيرة ؛ ليطمع بها قطاع الطرق واللصوص وتبين أن الغزاة كان بعضهم يركب البعران ، ومن براز الدواب تبين أنهم أتوا من مدن قريبة من مكان الحادث ، ولم تحدد المدينة التي جاءت منها تلك الدواب ، وهم كانوا يعرفون بمغادرة الملك عائدا إلى بلاده .

فقال الوزير : سنتهم الملك حميدا حتى نجد أدلة تشير إلى غيره .

ـ ولكن رأسه يا مولاي !

قال : هو الذي سيدلنا على عدونا .. سنبحث عن الرأس.. لابد أن أحدهم طلب رأسه .. وإلا لو قطاع سبل لماذا يأخذون الرأس ؟! .. ولم يقطع إلا رأسه .. ناس تتعقبه .. والحكاية لابد أنها بدأت في بلاد حميد نعود للسم السم .. من وراء هذه الحادثة ؟ يجب أن نعرف المخاطر التي أحاطت بالملك وهو عندهم .



قال الملك : نعم ، لن أتزوج حتى أعرف فاعل هذه الجريمة أيها الكرام .. لا أحد يحدثني عن زواج الملك.

غضب سيف

كان الحدث صدمة قوية للملك سيف ، كان في شوق للقاء جده الملك بعد أن سمع قصة منامه وحرمانه بناته من الزواج خشية أن يلدن حفيدا يقتله ، فتزوجن رغما عن أنفه ، وكانت أمه بكر الملك تزوجت من أبيه لؤي ابن وزير البلاد خفية ، ولما ولدت علم بقصة زواجها ، ثم هربت خالته بانة ، وتبعتها خلود .. كان في شوق حقيقي للقاء الجد رغم الإساءة القاسية لأمه بإهمال علاجها ؛ ولكنها ابنته كما هي أمه .

فقال مخاطبا الوزير : لماذا جزوا رأسه أيها الوزير

الحكيم ؟!

قال : هذا يدل يا مولاي أن أحد السادة يطلب دمه .. هل هناك ملك دفع لهذه العصبة من اللصوص لارتكاب الجريمة ؟ فالرأس يؤكد له تنفيذهم الجريمة والقتل .. وهو يريد بذلك إثارة الحرب بيننا وبين الملك حميد.. وهذا سيساعدنا بإذن الله على معرفة من هم من وراء الجريمة !

قال سيف : ألا يكون الملك حميد وراء ذلك ؟

قال : لا ، لا .. فهو صديق قديم .. صداقتنا منذ حياة والد جدك الملك نعيم .. وأنا أتهمه فقط بالتقصير في حماية الملك أو سوء تقدير ؛ لأن الملك تعرض للسم كرتين .. ولما أرسلت فارسا يتحقق من ذلك تبين أن أحد الخدم قدم بأعشاب سامة زاعما لهم أنها من طاهي القصر ـ قصر حميد ـ ويريد الملك أن يخص بها طعام نزيله وصديقه .. ومرض الملك على أثرها وتحدث مع ابنته وظن كما فهم الفارس أن الملك ظن أن حميدا وراء ذلك .. فقالت البنت خالتك لزوجها ، فأخبر جده الملك وقدم كبير الأطباء ، ورئيس الشرطة ، وعرفوا القصة .. والملك حميد حفيده تزوج خالتك سفانة فلا يقدم على اغتياله .. إنما العتب أنه كان عليه أن يرسل معه عددا كبيرا من الجند .. ونحن أيضا قصرنا في إرسال سرية لمرافقة الملك .. في النهاية نقول جاء الأجل .. فهناك من يريد أن ندخل مع مدينة حميد في صراع وقتال سيتكشف ذلك مع الأيام .. وتفحص رجالنا طعام دواب الغزاة ؛ ولعلهم يستطيعون معرفة المدينة أو المدن التي أتى منها القتلة .. لقد أرسلنا رجالا لجلب بعران وروث من تلك المدن ؛ لعلنا بعد حين نستطيع تحديد المدينة المجرمة وسيكون ثأرنا شديدا ومدويا .. وسنركز بعد حين رجالا أذكياء للتلصص والتبصبص في المدن لعلهم يسمعون شيئا .. وهذا يحتاج لوقت حتى يثمر إلا إذا عرفنا الخصم سريعا باعتراف القاتل والجهر به .

قال : لن يهدأ لي بال أيها الوزير حتى أعلم قتلة جدي المسكين .. لابد من القصاص من كل هؤلاء القتلى .

قال غالب بعمق : هذا الاعتداء له أهداف ستتكشف قريبا ، لم يكن مجرد حظ عاثر .. حتى اللصوص لما يصدف ويلتقون بقافلة ملكية يتريثون في الجريمة ؛لأن عواقبها ستكون وخيمة عليهم أيها الملك .

قال : لابد من القصاص أيها الوزير .

أكد الوزير فقال : نعم لابد منه .. وسيعرف عيوننا وجواسيسنا وأصحاب الخبر من أين أتت اللصوص ؟ ولن نجر لمعركة مع الملك حميد .. فنحن لنا تاريخ طيب معهم ، ونساعدهم ضد الغزاة عليهم .. وابنتنا متزوجة لديهم ، وغيرها من

نساء بلدنا متزوجات بينهم ، وكذلك بناتهم فلنا تاريخ مشترك منذ حياة والد جدك زرارة ؛ ولكني أشعرتهم بأنهم قصروا في حماية الملك .. وهناك تهاون واستخفاف في الحراسة ؛ ليساعدونا بقوة في البحث والتحري عن الخصم المجهول وسيذهب بعد حين قائد الشرطة وعدد من أفضل رجاله للبحث والنظر وسيهتمون بإثبات براءتهم من دم الملك .

قال : قواك الله أيها الوزير الحكيم ! نعم ، علينا أن نكون أقوياء .. وليستعد الجيش لأي غزو أو مطاردة .

قال : اطمئن أيها الملك ! الجيش متشوق لمعركة الثأر.. ونحن لا نقبل الذل مهما دفعنا من ثمن لكن الحكمة والحذر مطلوبان ، سنعرف الظالم حتى إذا حاربناه لا يبدو أمام الملوك مظلوما .. ويحرض الناس علينا .. سوف ترى بأس قومك وجندك أيها الملك الشجاع!

محاولة الصلح

أرسل الملك حميد وزيره بهلول بن فراس لبلاد سيف للعزاء مرة أخرى ـ فهم بعثوا القاضي الأكبر بوفد للمشاركة في التعزية العامة والدفن ـ وذهب الوزير للتعزية والاعتذار عن التقصير في حماية قافلة الملك لعدم توقعهم لمثل الأمر ، فقد قام الملك بأكثر من مرة بالخروج من المدينة لزيارة بعض الملوك والأصدقاء .

استقبل الوفد حسب الأصول والتقاليد ، وتقبل الملك سيف العزاء وقبل الاعتذار ، وطلب منهم التعاون في التحري والبحث عن الغزاة والقتلة للقصاص منهم سواء من بلدهم أو بلده أو أي بلد أخرى ، ووعدوا بكل تعاون واهتمام ، وأن الاعتداء على ضيفهم كأنه اعتداء على الملك حميد والمدينة كلها .

وقال الوزير للوزير : لم نكن نرى خطرا على حياته ، فلهم عدة سنوات بيننا ، وزار الملك حبيب ومكث عنده أياما دون حراسة مشددة ، ولم يكن ممنوعا من الحركة .. وهو صهرنا وجد أولاد الأمير شداد كما جد الملك سيف ، ولما رغب بالعودة إليكم فعل دون تشاور معنا ؛ إنما هو راسل حفيده الملك سيف ، وأعلمنا بموافقة الملك على العودة .. وليس من حقنا منعه

ردد الوزير : نعم ، ليس من حقكم منعه .

قال بهلول : وجرى لهم حفل وداع من أمراء وسادة البلاد ، وفيهم مولانا الملك ، ورافقه الملك وابنته وبعض الأمراء حتى أطراف المدينة ، ولما غاب عن الأنظار قفلنا راجعين .. وهو سار على طريق القوافل المعتاد بيننا وبينكم ، ولكن استغل القتلى خلو الطريق من كثرة القوافل .. فهذا يدل على أنه عمل مدبر ومرسوم .

فقال غالب : وهذا مؤكد لدينا من قطع رأسه ، لابد أنه أخذ لجهة ما ، وسيقوم رئيس الشرطة ورجال له بزيارة مدينتكم لمعرفة قصة تسمم الملك في محاولتين .. ولولا سرعة الأميرة بالشكوى للملك حميد ؛لربما كررت المهمة .

قال : نعم ، تحرى رئيس الشرطة في القضية ، وكشف عن وجود خادم قدم لهم أعشاب كهدية من مطبخ الملك حميد ، ولم نصل لهذا الخادم فهو خادم مزور ؛ بل هناك كانت شكوك في زوجاته

قال غالب دهشة : زوجاته كيف ؟!

أخذ بهلول نفسا وشرح :كيف ؟ عندما ذهب الملك في زيارة للملك حبيب وقضى ضيفا عشرة أيام في عبسان ، عاد ومعه جواري وغلمان كهدايا ، ووزع بعضها علينا ، واتخذ واحدة منهن سرية ، فاحتجت زوجته ، فوعدها أن يعتقها بعد حين ، ولم يفعل .. فكانت تحدث منازعات بينهن .. وكما نعلم أن زوجته كانت جارية مخلصة ، فلما طلق الملكة عزوف تسرى بها ، ثم أعتقها وتزوجها .

قال غالب: نعم ، هذا معروف لنا ؛ ولكن هل يصل التنافس بينهن لقتل الملك بالسم ؟

قال : رئيس الشرطة راودته هذه الشكوك ؛ لكن لم يتم القبض على الغلام .

قال : الأمر مثير أيها الصديق ! لكن قتله بذلك العنف يخفي محاولة حقيقية لقتله بالسم .. وبعد معرفة الجناة ستتحسن العلاقات بين بلدينا كما ترغبون ؛ لأن الناس غضبى اليوم .. وستهدأ الأمور في مستقبل الزمن .

قال بهلول : سنتعاون معكم لأقصى طاقة لمعرفة الجناة .. ونرحب برئيس الشرطة في إجراء البحث والتحري .. فكما يهمكم القبض عليهم يهمنا ذلك ، فهو جد أبنائنا كما هو جد الملك سيف !

قال غالب : مع عودة سيف كملك وحفيد أحب أن يفتح صفحة جديدة مع جده وخالته ، وأن ينسى الأحقاد ويثبت لجده أنه لن يموت على يديه لما طلب هو منه العودة .. ويريد أن يتسامحا عن دم أمامة أم سيف وابنة الملك الشهيد .. كنّا نسعى للود والصفاء والحب مهما حدث .. فهن بنات الملك شئنا أم أبينا ؛ لكن أحوال زواجهن كانت غريبة كما تعلمون .

قال بهلول : نعم ، ذلك المنام اللعين !

واعترف غالب قائلا : نحن أيضا قصرنا في حماية الملك على أساس أنه رحل عنا غصبا عنا .. ورافقهم عشرة فرسان فقط عند رحيلهم .. ولأنه لم يكن ملكا ليخاف عليه من الغدر .. فقد قضى سنوات معزولا قبل سفرة لبلادكم .. إنه القضاء والقدر يا وزير بهلول .

قال : نعم ، حكم القضاء والقدر .. ولن يفلت المتربصون بأذن الله من العقاب .

قال : ونحن لما وصل رسولكم بخروج الملك من دياركم أرسلنا مائة جندي للالتقاء بهم في الطريق ..وإنما ذهبوا لاستقبال الملك ، ومن معه وإلا لساروا مسرعين .

قال معتذرا : نحن لم نأخذ حادثة السم بصورة جدية أو قصرنا في فهمها ؛ لأنه في المحاولتين مرض المرض وتعب ، وعالجه الطبيب في الأولى على أنها وعكة عارضة لم يتحدث فيها عن السم ولما خف المرض عاد إليه .. فهو حدث الأميرة سفانة عن السم .. فأسرعنا بالتحرك ، وصادرنا الأعشاب السامة .. وهي بفضل الله لم يكن مفعول سمها سريعا ؛ لذلك في المرة الأولى ظن الطبيب أن الأمر مرض كما نمرض نحن من الأكل من الجو .

فقال الوزير معترفا : أحدهم يريد الفتنة بين بلدينا .. سيكشف نفسه بصمتنا في الوقت الحالي وسأهتم بأمر الزوجات .. فهن يعشن في قصر الملك الصغير ـ قصر زرارة حيث تقرر عزله ـ علينا أن نتعاون في كشف الخطر المحدق بِنَا وبكم .. وعليكم أن تعدوا جيشكم ؛ ربما تنشب حروب بسبب اغتيال الملك .. هناك تدبير أقوى من نساء الملك إلا إذا مكر بهن ، واستغل أحدهم ما نشب بينهن من غيرة فَلَو قتل الملك ومات بينكم ؛ ربما جرى نهر من الدم بيننا وبينكم قبل أن تكشف الغمة .. ولما فشل القتلة بقتله سما وعودة سيف والسماح لجده بالعودة غيروا الخطة والمكيدة .. لسنا أغبياء يا وزير بهلول .. نعم مكر وكيد ستكشفه الأيام القادمة سيكون غزو على بلادكم إني ألمح هذا التدبير !

قال بهلول دهشا من تنبؤات غالب : غزو على بلادنا ..لم أفهم وكيف؟!

قال وكأنه ينظر في كتاب الغد : لن يكون قتل زرارة مجرد قتل واغتيال ملك ! كونوا على حذر

ـ إنك تثير الرعب في قلبي !

قال : نعم ، هناك عدو يريد قتل زرارة في بلدكم فَلَو مات زرارة بينكم ستتهمكم بقتله ، وسيطالب أقاربه والشعب بالثأر منكم ؛ ربما دارت بيننا معارك ، ثم توقفت .. فسيقوم قتلة زرارة بغزوكم بعد أن أضعفت الحرب جيشكم وجيشنا علينا أن نعرف من وراء القتل والاغتيال الجبان .

قال : أفكارك غريبة أيها الوزير الحكيم !

تمهل سيادة الوزير في الإجابة ثم قال : أنا منذ سماع نبأ الجريمة وأنا أدرس وأفكر في ذلك .. ولماذا قتل ؟ ولماذا سمم ؟ نحن نريد رأس الملك حتى يدفن مع جثته أيها الصديق ! عندما تعود للبلاد تحدث مع قائد الجيش بالحذر والاستعداد ، وإذا احتاج الأمر لجنود سنرسل لكم ألف جندي .

قال بحيرة : ما زلت لا أدري كيف تفكر أيها الصديق ؟!

قال غالب : ستعرف كيف أفكر عندما ترى الأمر على الأرض ؟

قال الآخر مؤكدا التعاون : سنكون معكم في البحث عن الجناة .. وسأوصي قائد الجيش الأمير أبي يزيد بزيادة الحذر لحين من الزمن .. وسنرحب بفريق البحث الذي سيصل من مدينتكم ؛ لأنه كما سلف يهمنا معرفة الغزاة والقتلة ، ومن دفعهم لهذه الجريمة العميقة على ما يبدو من كلامكم العظيم والتفكير العميق ؟!

قال : لن ننجر لحرب معكم .. فنحن بيننا نسب وحسب .. فالملكة سفانة نزيلة عندكم .. وهي أثنت على كرمكم وشجاعتكم كما كتبت لي ولسيف ابن أختها وأنكم بريئون من دم الملك .

قال بهلول : حتى حرس القصر الخاص بزرارة الملك كان عددا بسيطا ؛ لعلك تذكر الكاهن اللعين غياثا .. لقد جاء للحياة مع الملك ، وصمم زرارة على ذلك .. وحبسه ملكنا .. وغضب زرارة ، وكتب إليكم يريد العودة أو نفرج عنه ورفضت تلك الأيام عودته .. واحتار ملكنا .. ثم هرب اللعين من السجن كما هرب من سجنكم .. فهدأت الأمور حتى ظهر الملك سيف فرغب الملك بها تعلم .

قال : نحن نعرف ذلك الكاهن الشرير حق المعرفة ، والملك الشهيد متعلق به أو تعود عليه عندما كان ملكا هنا .. فصعب عليه فراقه .. وذاك رجل خبيث يستغل عاطفة الملك نحوه.. ألم تعرفوا أين ذهب ؟

قال :لا ، رشا بعض المساجين والحراس ، وتعاونوا على الهرب ، وعلمنا أنهم خرجوا من المدينة فور هرّبهم ، ولم نعد نسمع عنه ، ولم يحاول العودة للملك ؛ لأنه أصبح طريدا ..كان الملك الشهيد يرسل له الطعام إلى السجن ، وطلق ابنته ليفرج عنه الملك ، ولما هرب حلت المشاكل هدأ زرارة ، وعادت الأميرة لزوجها .

قال : وهربه أيضا أراحنا من عودة زرارة .

قال : وبعد هربه خففنا من حرس القصر حتى لا يضيق زرارة من ذلك .

ولما أراد الوفد الانصراف، ودعوا الملك سيفا ، ووعدهم بتحسن العلاقات عندما ينجلي أمر اغتيال جده زرارة .

شكر بهلول الملك :شكرًا يا سيدي الملك على ضيافتكم وحسن استقبالكم لنا كل هذه الأيام ! ونتمنى مثلكم القبض على عصابة المجرمين، وأن نعرف من دفعهم وحرضهم على ارتكاب هذه الجريمة النكراء ؟ إنه أمر دبر بليل ، وسيكشفه الله ؛ لينال المجرم جزاءه وعقابه .. نعم أبشركم أن دم جدكم لن يذهب هدرا ما دمتم تجلسون على هذا العرش.

الوفد

كان لزيارة الوزير بهلول صدى طيب في بلاد اللؤلؤ ، وعلى أثر هذه الزيارة وبعد انتهاء مدة الحداد الملكي الأربعين يوما ، أرسل الوزير غالب وفدا كبيرا وسرية من الفرسان رافقتها لبلاد جلال الدين ، وكان الوفد برئاسة الملك مرارة الذي تنازل عن العرش لحفيد أخيه زرارة حسب القانون والنظام في بلاد اللؤلؤ .

وكان الملك حميد ورجال الحكم في الاستقبال ، وجلسوا جميعهم على مائدة الملك ، وبعد الراحة تذاكر الكبار ذكريات الماضي والصداقة الكبيرة التي كانت تجمع بين البلدين ، ثم تحدثوا عن حياة زرارة في بلدهم ومقتله وسعيهم في كشف غموض الجريمة .

وزار الملك مرارة ابنة شقيقه زرارة في بيتها وعزاها في والدها ، وكان قد طلب منها أن تنتظره في قصرها ، ولا تأت للسلام عليه ، وسيقوم بزيارتها بنفسه ، وبكت الأميرة بين يديه ، وواساها ، وندمت على رحيلها عن بلادها ، فبين لها أن هذا قدر الله ، ولا مفر منه ، لو لم ترحل سيحدث القضاء ، ويقتل الملك ، وأن المهم الوصول للجناة الذين هم وراء هذا الظلم الغاشم .

وزار الوفد القصر والبيت الذي عاش فيه زرارة سنوات الغربة والنفي ، وكان المكان مهجورا إلا من بعض الحرس .

وأعلن الملك حميد أمام الوفد براءته من دم الشهيد زرارة ، ولا يمكن أن يفكر بالخلاص من صديقه بهذه الطريقة العنيفة ، وأن أناسا أرادوا الفتنة والحرب بين البلدين ، ولم ينجح كيدهم لوعي الطرفين للمؤامرة ، وأنه قبل مجيئه من باب الصداقة التي كانت بينهم والذكريات التاريخية والرجاء والتوسل الذي كتبه الملك ، وأطلعهم على رسائله إليه ، وأنه هو الذي طلب الحياة في ضيافته ، وأن الأزمة التي حدثت بسبب الكاهن انتهت بهرب الكاهن الذي كان يسعى للفساد بينهم ، وإقناع الملك بغزو بلاده بالتحالف مع أحد الملك المغامرين ، ويقاسمه العرش ، واهتم الوفد بهذا الكلام الجديد على مسامعهم ، وأخذ زرارة هذا الكلام من باب الهزار ، ورفع الروح النفسية للملك .

ولما رحل الملك لم يطلب المزيد من الحرس للحماية ، كان متلهفا لرؤية حفيده أكثر من شوقه للعودة نفسها ، وكان يذكر من أسفه في حق ابنته أمامة ، وأنه قصر بعدم تزويجها كما تتزوج بنات الملوك ، وأنه قصر في رعايتها الطبية ؛ فكان مشتاقا لرؤية الحفيد ، وطلب السماح منه في حقه ، وحق أمه .. هذا من آخر ما كان يتكلم به .. وجرى له حفل وداع في قصره ، وودع إلى أطراف المدينة .

واعترف الملك أن الرجل تعرض للسم مرتين في الأكل، وقد قدم للطهاة عشبا ساما على أنه هدية من طباخين القصر الملكي ، ثم تبين لهم أن الخادم الذي أعطاهم العشب مجهولا ومتنكرا وبعد شهر أو أكثر قدمت حلوى على أنها هدية من ابنته سفانة .. وكانت الأميرة تفعل دلك بين الحين والآخر .. وكانت تذهب بها بنفسها إلا تلك المرة مما أدهش الحرس ورفضوا إدخالها للملك ، وكانت جارية قدمتها لهم على أنها من خادمات الأميرة ، وذكرت أن الأميرة كانت تريد أن تأتي بها ، وحدث أمر منعها من المجيء، وتبين أن الحلوى مسمومة ؛ لأننا قررنا عدم إدخال أي شيء على القصر إلا بموافقة الطبيب وإشرافه ، وتبين أنها دسيسة ، ولم نعرف من وراء هذه الحلوى أيها الأخ العزيز ، ثم لم يتكرر الأمر بعد ذلك حتى جاء موعد قبول عودته إليكم بعد تنصيب حفيده ملكا على البلاد شكر الملك مرارة الملك حميدا على ضيافة شقيقه كل هذه السنوات وقال : ونحن لم نرغب بمنعه من تحقيق رغبته بالخروج لبلادكم ؛ لأنه عندنا إذا عزل الملك لأسباب معينة كما حدث لشقيقي عليه أن يبقى محبوسا في قصره .. وأي زيارة له تكون تحت علم الوزير والدولة خشبة المفسدين والمتربصين .

قال حميد : كان الملك أثناء وجوده يحب الشعراء ..فكن نرسل بعضهم لفعل ذلك .. وكان له الحرية في الذهاب والحركة ، لم نحب أن نحبسه ؛ لأننا لم نكن نعتقد أن أحدا يفكر بقتله وموته وهذه الأحداث كلها جاءت مع مجيء صديقه غياث اللعين .

قال : لقد جاء معي رئيس الشرطة الخفية القائد عسكر ، وبعض رجاله لتسمح لهم بالحديث مع من يحبون ممن قاموا على حراسته وخدمته .. أيمكن أن يكون أحد الشعراء الذين يرتادون قصره جاسوسا لأحد ؟!

قال : الشعراء جلهم من بلدنا ؛ لكن قد يضيفنا شاعر من مدن أخرى فيرافق شعراءنا إلى مجالس الملك .

وعرف مرارة الملك على أحد الرجال من أعوان عسكر ؛ ليقوم بالتحقيق مع من كان قريبا من قصر الملك .

رحب الملك بذلك وقال : وسيكون معه الأمير شداد ويبذل كل التعاون .. فزرارة صديق عزيز على نفسي .. ومناي أن أشهد قتلته يقتلون أشد العذاب والقتل .

قال : بوركت أيها الملك الصديق !

وافق الملك حميد على التعاون الكامل في تعقب قتلة الملك ، واجتمع قادة الحماية السرية وأصحاب الخفية لتبادل الأنباء المتوفرة لدى كل فريق ، ثم

رتب القائد عسكر بن ظافر عيونه في المدينة ، ورجع لبلاده واثقا من قدرة رجاله على التعسعس والتلصص ، وأطلع الوزير على ما فعل .

وقال بعدئذ : رغم تكرار محاولات الاغتيال بالسم لم يتابع رجال الخفية لديهم القضية .. كان هناك من يتربص بالملك بحياته .. تأكدت أن ذلك لم يفعل لإرغام الملك على الرحيل .. كان الملك مقدرا بقاءه حسب الاتفاق بينكم وبينه .. ولما علم الجاسوس أن الملك سيعود لبلاده رتب أمر الاعتداء على القافلة ليبدو الأمر أن لصوصا استولوا على القافلة ؛ ولكنه أخطأ بطلب الرأس ، وظن أن النار والحريق ستخفيان قطع الرأس ؛ ربما طلبه من القتلة ليتأكد من تنفيذ الخطة .. وأنهم قتلوا الملك.. هو يقصد الملك ؛ لأن باقي الأشخاص خدم وحراس .. فنحن نبحث عن شخص كان يكثر التردد على مجلس شعر الملك .. عن شخص غريب كضيف على أحد الشعراء الذين أمرهم الملك حميد بزيارة الملك وإلقاء القصيد أمامه .. وأعتقد أن لمدينة حمصان علاقة بالجريمة ، وأرسلت إليها عشرة جواسيس ؛ لأن بعض شعرائها زاروا الملك بصحبة شاعرين من بلاد حميد .. وتردد عليه بعض تجار بلدنا في الأيام الأولى لرحيله .. وبعد زواج سفانة انقطعوا عن مجلسه .. وزاره تجار من تلك المدينة .. وكان يوصيهم على ألبسة معينه لإهدائها للشعراء والأصدقاء ..ويقوي هذا الشك هرب غياث ومن ساعده على الهرب إليها وكذلك أعداء حميد يلجئون إليها .. ولا تنسى العداوة المتأصلة بين المدينتين .

وتابع بيانه : وعلمت أن علاقات مدينة حميد مع تلك البلاد والمدينة حمصان ضعيفة بسبب الماضي السيء بين البلدين ولهروب عدد من مساجين حميد إليها .. ورفضوا التعاون معهم في البحث عنهم وإعادتهم .. وهناك تحرشات بين رعاة البلدين على المراعي المشتركة .. والصلح بينهم هش .. ممكن أن يحدث بينهم في أي وقت حرب خاصة بعد اعتلاء عرش البلاد ملك جديد منذ سبع سنوات .. وأرسلت عيونا لي إلى قصره ، وتلقط أخباره ومغامراته .

قال الوزير بعد سماع تحليل القائد : المهم أن مدينة حميد بريئون من دم الملك .

قال : إنهم بريئون ؛ ولكنهم لم يتابعوا قصة السم الذي تعرض له الملك .. واكتفوا بمنع دخول أي مادة دون مراقبة .. وهذا إجراء احترازي جيد على الحكمة التي تقول درهم وقاية خير من قنطار علاج .

قال :وحكاية الكاهن اللعين غياث .

قال : هذا ـ كما نعلم ـ حبسه الملك حميد ؛ لأنه كان يحرض الملك على الاتفاق مع أحد الملوك على أن

يقاسمه العرش ؛ ليعود إلى العرش ، ولم يعرف أي ملك سيتفق معه .. نقلت الأميرة سفانة هذا الكلام لزوجها ، وقاله للملك ، فاجتمع الملك معه ، وحذره من الدسائس لبلاده ، وألا يستمع للكاهن ، وغضب الملك من حميد .. ولما رجع الكاهن للمكث مع زرارة حبسه حميد ، وأراد تسليمه لنا ؛ ولكن زرارة جن جنونه ، وأجبر ابنته على الطلاق ، وأرسل إلينا يطلب العودة ، ورفضنا كما تذكر ، ولما هرب غياث من السجن كما هرب من عندنا عادت الأمور إلى الهدوء والسلام ؛ ولكنهم علموا أنه التقى به عندما زار زرارة مدينة الملك حبيب .. ولما رجع ، لم يلتقيا كما أخبر الحرس بالقصر الملكي .

قال الوزير بحسم : هذا الكاهن الشيطان أريد أسره يا ابن ظفار قد نجد لديه أسرارا وأنباء .

قال : هل يشكل خطرا على الملك سيف ؟

قال : قد نجد عنده معلومات فحسب.. هو إنسان في هيئة شيطان ، كان زرارة مهووسا به ، ويسمع كلامه ..كان شقيقي أوس يرغب بسفك دمه بسبب منعه الملك من تزويج بناته ، وليبعده عن الملك ولو بالموت ؛ ولكنه يخشى من تعلق الملك به فيموت أو أن يجعله شهيدا .

قال : هل من فكرة لديك للوصول إليه ؟

تبسم الوزير ورد : أنت رجل الأفكار والحيل يا ابن ظفار .. قد يكون ميتا.

قال : ممكن ! هذا الرجل لم نسمع أنه تعرف على ملك أو وزير لنقول إنه يعمل معه .. قد تلد حيلة في ذهني وفكري ودماغي .. سأضعه في تفكيري أيها الوزير ..علينا أن نصطاده قد نعرف مع من كان يحاول إقناع الملك بقسمة الملك والتاج .

قال : أجل عليك باصطياده ..استعن باللصوص في البحث عن قتلة الملك .. فهؤلاء اللصوص تجد لديهم قصصا وحكايات أغرب من الخيال ، ولهم صداقات مع لصوص المدن الأخرى .

قال : سأفعل سأدس بينهم عددا من أعواني على أنهم لصوص من مدن أخرى

قال غالب : نحن نثق بذكائك أيها الشجاع!

قال بحماس : سأكون عند حسن ظنك ـ إن شاء الله تعالى ـ وكما صدقت الهمة مع شقيقك سأصدقها معك .

قال :لقد أثنى عليك شقيقي أوس أكبر الثناء .. وقال أنت رجل المهام العظيمة والغايات الكبيرة .

ترحم على الوزير أوس فقال : رحمه الله كان سيدا عظيما ومخلصا للبلاد والعباد ؛ لعلي أتحرك بنفسي أيها الوزير الشجاع ، لابد من معرفة قتلة الملك ، ومعرفة الغاية من القتل .

قال : الغاية كما رجحنا لإثارة الفتنة بيننا وبين الملك حميد ، وذهبنا للحذر وعدم التسرع في الاتهام

والحكم حتى تخيب غايتهم ويفضحون أنفسهم .

قال : هذا يثبت مع الأيام .. بعض المدن تعيش على الحروب والصراعات والمعارك .. لا يحبون السلام .. حياتهم المكر والدسيسة بين الأمراء والمدن .

قال : نحن بعيدون عن تلك المدينة خاصة مدينة حمصان ، هم يطمعون بضم مملكة حميد إليهم لحياة بعض عائلته عندهم لأحداث قديمة طردوا من أجلها من بلدهم.

قال عسكر: صحيح ! علينا إثبات يدهم في الجريمة .. فهم لولا تعاوننا مع مدينة حميد ومعرفتهم لشدة بأسنا لتحركوا إليهم .. هم يعلمون أننا في لحظة ما سنقف معهم ، ولن نتخلى عنهم .. وأيضا علاقتهم سيئة مع مدن أخرى قريبة منهم ؛ لذلك أرسلت عددا من رجالنا إلى تلك المدينة أكثر من مائة عين يعملون هناك .. سيعود رأس زرارة بإذن الله . . وأنا تحدثت مع قائد الجيش عن غزوهم إذا ثبت لدينا شيء .. وعلى الجيش أن يكون مستعدا للغزو ، وللمحافظة على المدينة من أي غزو .

قال مشجعا ومهيجا : هذا يومك يا ابن ظفار الهمام .. الملك الشاب يريد منا الكثير .. فهذه أول قضية في ملكه وحكمه .. كان مشتاقا لرؤية جده الذي حرم أمه من الحياة ، وحرمه من العيش في هذا الوطن .

قال : قدر الله أيها الوزير ألا يرى جده إلا ميتا!



طلاق سفانة

منذ موت الملك لم تعد سفانة لطبيعتها ، كانت حزينة كثيرة البكاء تقول : إنها هي التي سببت قتل والدها ، لا تخرج من البيت لزيارة لأمر ما ، حتى أنها لم تعد تهتم بأطفالها مراقبة ولعبا ، تركت كل ذلك للخدم ،لم تعد تمكن زوجها من نفسها ترفض أي معاشرة زوجية ، صبر على ذلك الأمير شداد ستة شهور ، ثم أخذ يطلب حقه كزوج .

بين لها وذكرها أن الموت سنة الله في خلقه ، وكل مخلوق لابد من موته ، وأن الحزن لا يجب أن يدوم ، وعلى الحياة أن تستمر ، ولكنها مصرة على الحزن ، وجعلت نفسها أنها السبب في موت والدها ، وسعت أمه لرفع الحزن عنها دون فائدة ، واستمرت في عزلتها . فقال لها الأمير : الأمر لا يُطاق أيتها الأميرة كل الناس تحزن وتبتلى وتموت نظرت إليه بسخط وصرخت : إنه أبي ! أبي الملك يموت هكذا !

قال : كله موت. .أهل الشر كثر كما هم أهل الخير كثر انتهى الأجل.

صاحت : أبي أبي المسالم يموت قتلا وتجز رأسه

كجدي !

أجابها : أهل الغدر لا ينتهون .

قالت : ماذا تريد مني ؟! ألا تريدني أن أبكي أبي المقتول ظلما وخيانة ؟!

قال :قلت احزني . .كلنا يحزن ونبكي ؛ لكن لكل شيء أمد يقف عنده .

قللت متحدية : سأبقى حزينة حتى أموت حتى أموت .. اعتبرني ميتة !

قال : والأولاد يشكون منك .. تصرخين في وجوههم .

قالت بحنق : اسمع أيها الأمير .. أنا لم أعد أصلح زوجة ، ولا أما .. الحزن يغمرني الحزن يقتلني الندم يذهب بعقلي .

قال مستغربا : وما ذنبك أنت؟! اعقلي أيتها الأميرة .. الحياة أقوى من الموت والحزن ..لو كل إنسان يفقد عزيز تتوقف حياته لخربت الدنيا وإعمارها .. صبرت على حزنك ؛ ولكنه طال والنَّاس تتحدث بذلك .. الموت حدث يومي .

رددت : الملك ليس ككل الناس .. أبي العظيم يموت قتلا !.. ويقطع رأسه أين رأسه يا شداد ؟! ستة شهر انقضت والرأس لا يعلم أين هو ؟ أين الرجال ؟ أين الفرسان؟ أبي يذبح كالخراف في حظيرة الجزار !

قال بصوت منخفض : أهلنا وأهلك يبحثون عن الرأس والقتلة .

قالت : ستة شهور مضت دون خبر أي بحث يحدث ؟!

قال : لم يكشف أحد ممن حولنا عن جريمته ..الأمر يأخذ وقتا ..أتريدين أن أتزوج عليك؟ أنا أريد زوجة في بيتي .

ـ وزوجاتك !

قال : منذ تزوجتك هجرتهن .. وأنت تعلمين ذلك فكيف أرجع إليهن بعد هذه السنوات ؟!

قالت : وأنا لم تعد لي رغبة بالرجال .

قال : أتقصدين الطلاق ؟!

قالت : إذا كان هو الحل فأنا راضية به .

قال : أتسمحين لي بالزواج عليك ؟

صاحت وهي تضرب رأسها ضجرا : تزوج يا شداد .. والأفضل طلقني ؛ لأنني سأعيش بقية العمر في بكاء على أبي ..لا أحد حزن عليه مثلي ..كلهم يكرهونه .

خيم على الجو الصمت لبعض الوقت وكانا ينظران في عيني بعضهما ثم قال شداد : أطلقك وتعشين مع الأبناء معززة مكرمة !

صاحت بنبرة غاضبة : ولماذا أعيش هنا ؟! فبلادي مفتوحة لي .. والملك فيها ابن أختي .. وأنا خالة الملك يا سيادة الأمير !

ـ وأولادك !

صاحت بصوت أعلى من الأول : لا أريدهم .. فليبقوا عندك .. عند أمك برقوقة .. سأعود لبلادي ، لم يعد لي رغبة بالعيش في بلادكم بعد أن خسرت أبي .

قال بضيق : إنه كان راحل عنا يا سفانة .. ونحن لم نقتله أو نتآمر على حياته .. هو أحب العيش معنا .. سأتحدث مع أبي وجدي بأمرك .

قالت : تحدث مع من شئت ..لم أعد أصلح زوجة لك يا شداد .. ولا حتى أما .. ستبقى بيننا الذكريات الحسنة .. عندما يعود رأس أبي ويقتل قتلته .. قد أكف عن الحزن والبكاء.

قال بعطف وأمل : لقد أحببتك ! .. قالت : وأنا أحببتك !.. قال : ولقد ولدت لي .

قالت : سأتركهم لك مكرهة يا شداد ! كان أبي كل حياتي .. تعلقت به منذ خلع عن الحكم كم بكيت يومئذ من أجله ! . .لم نكن نراه كثيرا يا شداد أثناء حكمه وسلطته .

قال : تعلقك بأبيك مضرب المثل يا سفانة ! وتخليك عن العرش يدل على ذلك .. وهو معروف للناس .. وكلنا استغرب ذاك الحب منك لما علمناه من حرمانكن من النكاح !

قالت : لذلك لم أعد أصلح أما وزوجة .. أحببت أمي ؛ ولكنها خذلتنا وتزوجت لصا ، فذهب حبها من قلبي وروحي .

قال مدافعا عن أمها :لقد تاب ذلك الرجل قبل أن يلتقي أمك بعشرات السنين .. وأنجب لك أخا .. وهو قريب أمك .. لم يكن شيطانا يا سفانة ! أمك امرأة شجاعة .. ولولا شجاعتها ما جاء الملك سيف !

قالت : إنك تدافع عنها كأنها تعرفها !

قال : التقيت بها عندما ذهبنا لدفن والدك ـ رحمه الله ـ وتحدثت عنها أختك بانة مرة بتقدير عظيم عندما باتت عندنا .. وحدثتني عن شجاعتها في تزويج أمامة من ابن الوزير .

قالت : بانة تحب أمي أكثر مني وأمي شجعتها على الزواج من فتاها كساب قبل أن يطلقها أبي

قال : مصرة على الفراق !

قالت : لست مصرة ؛ لكن لم أعد أصلح زوجة ..وأهلي أولى بي .

ـ وأولادك !

قالت : لم أعد متعلقة بهم ..لن يطيب لي عيش قبل رؤية قتلته هلكى .

عودة سفانة

لما عجز الملك حميد وولده عمير وزوجته برقوقة من الإصلاح بين الأميرين ، وأمام رغبة الأميرة الصارمة للفراق للعودة لبلادها تحقق الطلاق الشرعي ، وأرسلت إلى مدينتها اللؤلؤ بحراسة مشددة ، ومن ضمنهم بعض رجال عسكر وعيونه

استقبلت في قصر الملك سيف ، والتقى بخالته سفانة ، وتناولت العشاء على مائدته ، وكان قد عزاها بوالدها فور لقائهما ، وهي عزته بجده وأمه ، وسمعت منه عن الجهود التي تبذل للقصاص من القتلة ، وسمعت عن الهدف من مقتله لأثارة الحرب بين المدينتين ؛ ولكنهم أفشلوا هذا المكر ، وأن رجال الوزير يبحثون في كل المدن عن قاتل الملك .

وتمنت له السعادة ودوام العافية والانتصار على أعدائه ، وأن يدوم ملكه .

وفي الصباح التالي قدمت الملكة عزوف للسلام عليها وتعزيتها بأبيها ، وكان بينهما عناق وبكاء وأخبرت أمها أنها قامت بزيارة قبر والدها منذ ساعات الفجر الأولى ، وستفعل ذلك كل صباح

وقالت بعد ذلك : قتل أبي يا أمي ! مات قتلا !

قالت عزوف : رحمه الله ما كان له أن يترك مدينته وأهله وعشيرته وجنده .. كان عليك يا سفانة أن تمنعيه من النفي ..كان يحبك كثيرا في الزمن الأخير !

قالت : لا أستطيع يا أمي ..كان يحسّ أنه محبوس سجين معتقل .. كان في عزلة .. ولا أحد يدخل عليه إلا بأذن الوزير حتى أنا !

قالت عزوف : هذه سنة الملوك إذا خلعوا عن العرش .. وقد أساء للأسرة كلها .. ومنعكن من الزواج ، وأنتن بنات الملك .. أيفعل ذلك ملك ؟ ! حتى لو كانت إحداهن عاهة ومريضة عليه أن يزوجها .. ولو لم يخف الوليد تلك الأيام ؛ لقضى عليه كما قضى على أمه .

قالت مبررة : إنه ملك يا أمي ! كيف يرضى ويستسلم لزواج ابنته خفية ؟ !وأن تلد سرا هذا أمر عير مقبول ولا معقول !

قالت : كنت صغيرة لا تعرفين معنى الزواج .. ابنة الملك الكبرى تكبر ، ولم تصبح زوجة ولا أما.. هذا صعب على البنت وعلى أم البنت وأقارب البنت .. وكبرت بانة وخلود وأبوك صامت يعيش في منام رآه وظنه حقيقة خشية أن يولد حفيد ذكر يموت على يده .. ها هو قتل قبل أن يرى حفيدا شابا .

قالت : بعضهم يرى أن ما حدث لأبي هو تفسير المنام ..لولا شوقه ولهفته لرؤية الحفيد ما قتل

قالت عزوف : كنت تريدين أن يرفض سيف الترحيب به .. هو كان يرى أن موته بيد حفيده والملك سيف لا دخل له في موته .. وهذه مقالة جنونية وإجرامية لا يجب أن تقال أمام الملك .. سيف إنسان رحب بمقدمته ، ولم يغضب منه ويرفض مجيئه مع الإساءة له قبل أن يولد وموت أمه بتهاون الملك بعلاجها .

قالت سفانة : إنك تُحبين الملك !

قالت الأم : ويحك ! أليس هو ابن ابنتي البكر أمامة ؟ ـ رحمها الله ـ لقد حرمت من أن ترى ابنها ملكا وسيدا .. أين أولادك؟

قالت : تخليت عنهم .. لا وقت عندي بعد موت أبي للعناية بهم وبزوجي .. كرهت معاشرة زوجي .. لم أعد أصلح أما ولا زوجة .. سأقضي دَهري بالحزن والبكاء على أبي .

دهشت عزوف من أفكار ابنتها : ويحك ! كلنا نحزن ونبكي.. وبكينا زرارة .. بكيته أكثر من زوجي الثاني مع ما فعله بي وبأهلي .

قالت : لقد خذلتيه يا أمي!

فقالت أمها : هو الذي طلقني ، ثم نفاني ؛ليصيد بي ابنته بانة وزوجها ؛ليقتلهما كما فعل بأم الملك سيف .. لقد علمنا على ذكرها أنها زارتك .

قالت : إنها تسكن في مدينة قريبة من مدينة زوجي شداد .. وهي تعيش بسعادة وسكينة .. وقد خلعت لقب أميرة ، وتعيش كعامة الناس .. وزوجها لم أره .

قالت الأم : جاءت البلاد أختك خلود ، وصفح عنها الملك ، ثم عادت لبلادها نجوان .. تزوجت أحد التجار .. وأنا بعد موت زوجي وترملي ـ كما تعلمين ـ سمح لي الملك مرارة

بالعودة والعيش مع أهلي .. وها هو أخوك يكبر ويتدرب مع الجيش وفرسانه .

صاحت محتجة : أخي أخي ابن اللص !لا أعترف به أخا .

غضبت عزوف جدا ، وبصقت في وجه ابنتها ، وغادرت قصر الملك غاضبة ، وهي التي كانت تفكر بأن تحضر ولدها للسلام عليها .

ولما علم الملك بهذا الحادثة استاء من فعل خالته ؛ ولكنه لزم الصمت . ونزلت الأميرة بعد أيام قصر والدها زرارة ؛ حيث كان معزولا فيه قبل النفي .

وجاءت خلود لزيارة أمها والملك ، ولما علمت بوجود شقيقتها زارتها ، ورحبت بها ، وعاتبتها على تصرفها الخشن مع أمها ، وقالت : هذا تصرف أخرق ! هو أخونا شئنا أم أبينا .. وأبي طلق أمنا ومن حقها أن تتزوج ممن تشاء.

قالت : أليس هو ابن لص ؟

رفضت خلود هذا القول وقالت : ليس ابن لص .. أبوه لما تزوج أمي كان شريفا وسيدا يملك مزرعة كبيرة .. وهو قريب لنا .. وما زالت غلة مزرعته تنفق على أمي وأخي .. وكلنا حزنّا على الملك .. ونحب أن نرى قتلته يعرفون ويقتلون .. ولكنك حمقاء تتركين زوجك وأولادك باسم الحزن ! وماذا سيفعل استمرار الحزن والعويل والنوح ؟ هل سيعود الأب من موته ؟ أنت تكرهين أمك .. كلنا يدرك هذا !

قالت مصطنعة الهدوء : كيف أحبها وقد تزوجت

لصا ؟وولدت ابن لص؛ ليكون أخا لنا .

أمر الملك سيف ـ كما ذكرنا ـ أن تعيش سفانة بقصر الملك الصغير حيث عزل ، وقبلت الأميرة بذلك ، وأدركت أن الملك يأخذ عليها إغضابها لجدته ؛ ولكنه يلزم الصمت ؛ لذلك لما رأت نفسها في عزلة من الضيوف والزوار علمت أنها أخطأت بالعودة لبلادها .

وأخوها الأمير رياض بن مناع لم يقدم لزيارتها والترحيب بعودتها ، ولما كانت تذهب لقصر الملك كانت تستقبل بفتور حتى صاحت مرة : كلكم تكرهون أبي ! كلكم تبغضون أبي! كلكم متآمرون على أبي !



نظر الملك إليها بحيرة ، ونظر في الجالسين معه ، ولم يتفوه أحد على صياحها في مجلس الملك ،

فعاودت القول : هل إذا قلت إن زوج أمي لص كفر ذنب ..ألم يكن

لصا بين الناس ،وحكم عليه بالموت لولا شفاعة أمي ؟!

فقال الملك بعد صمتها : اللص ـ يا سفانة ـ زوج جدتي ، ووالد خالي !

ضحكت وقالت : آ .. فهمت .. نسيت ذلك يا مولاي الملك ! تمت الحلقة

الرَّجُلُ وَالثُّعْبَانُ

دَاسَ ابْنُ قَرَوِيٍّ ذَيْلَ ثُعْبَانٍ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، فَاسْتَدَارَ الثُّعْبَانُ وَعَضَّهُ فَمَاتَ. غَضِبَ الْأَبُ فَأَخَذَ فَأْسَهُ وَطَارَدَ الثُّعْبَانَ فَقَطَعَ جُزْءًا مِنْ ذَيْلِهِ؛ وَلِذَلِكَ بَدَأَ الثُّعْبَانُ يَلْدَغُ الْعَدِيدَ مِنْ مَاشِيَةِ الْفَلَّاحِ انْتِقَامًا مِنْهُ، وَأَلْحَقَ بِهِ خَسَائِرَ فَادِحَةً. رَأَى الْفَلَّاحُ أَنَّ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ يَعْقِدَ تَسْوِيَةً سِلْمِيَّةً مَعَ الثُّعْبَانِ، فَأَحْضَرَ إِلَى مَخْبَئِهِ طَعَامًا وَعَسَلًا وَقَالَ لَهُ: «دَعْنَا نَنْسَ وَنَصْفَحْ؛ رُبَّمَا كُنْتَ عَلَى حَقٍّ فِي أَنْ تُعَاقِبَ وَلَدِي وَتَنْتَقِمَ مِنِّي فِي مَاشِيَتِي، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ عَلَى حَقٍّ بِالتَّأْكِيدِ حِينَ حَاوَلْتُ أَنْ أَثْأَرَ لَهُ. أَمَّا وَقَدْ أَصْبَحَ كِلَانَا رَاضِيًا فَلِمَاذَا لَا نَتَصَافَى مَرَّةً ثَانِيَةً؟»

قَالَ الثُّعْبَانُ: «لَا، لَا، خُذْ هَدَايَاكَ؛ أَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَبَدًا أَنْ تَنْسَى مَوْتَ وَلَدِكَ، وَلَا أَنَا بِمُسْتَطِيعٍ أَنْ أَنْسَى فُقْدَانَ ذَيْلِي».

•••

«قَدْ تُغْتَفَرُ الْإِسَاءَاتُ، وَلَكِنَّهَا لَا تُنْسَى».

حكايات الحي أبو خروف

الشقق السوداء

الحفل بالقط الأسود

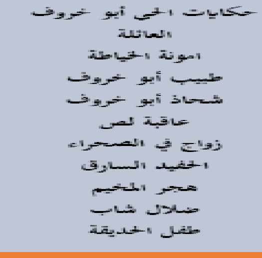
حياتي قبل الحياة















جمال شاهين

لغز القصر الصحراوي









قصص المصباح المضيء



قصص وحكايات الفوارس			
١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جفر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بريار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الحفل بالقط الأسود	١٠	الشقق السوداء
١١	حياتي قبل الحياة	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	





موت جبل بن مجدو العقرب الأحمر







مدينة نجوان





سيف الزمان وجميلة

جمال

الملك زرارة والملكة سفانة

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ٢٤

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

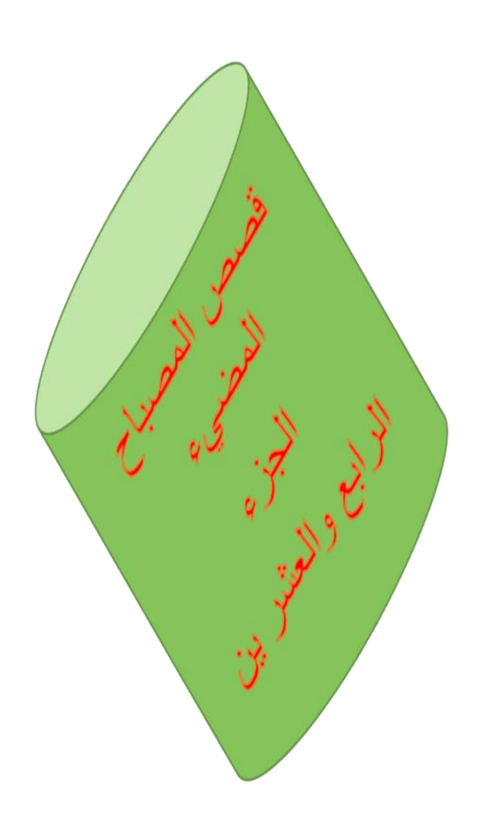
روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة



جمال شاهين

قصص قرآنية

هاروت وماروت

إن اليهود في زمن سليمان عليه السلام نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة والشعوذة . وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء ثم يضيفون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ثم يلقونها إلى الكهنة والسحرة ، الذين يدونوها في كتبهم ويعلموها الناس. وفشا ذلك في زمان سليمان عليه السلام، حتى قالوا: إن الجن تعلم الغيب. وكانوا يقولون هذا علم سليمان عليه السلام، وما تمَّ لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه سخر له الجن والإنس والطير والريح. فاختلط الأمر على الناس حتى أنهم ماعادوا يستطيعون التمييز بين السحر والمعجزة فأنزل الله هذين الملكين هاروت وماروت لتعليم الناس السحر ابتلاءً من الله وحتى يميز الناس السحر من المعجزة ويعلموا الفرق بين كلام الأنبياء عليهم السلام وبين كلام السحرة. وكلما علم هاروت وماروت أحداً من الناس السحر قالا له: إنما نحن ابتلاء من الله، فمن تعلم منا السحر واعتقده وعمل به فقد كفر، ومن تعلمه ليقي نفسه فلا يختلط عليه السحر من المعجزة فقد ثبت على الإيمان. و تعلم بعض الناس من هاروت وماروت من السحر ما يمكنهم من التفريق بين الأزواج، وذلك بأن يخلق الله تعالى عند استخدام ما تعلموه النفرة والخلاف بين الزوجين، ولكنهم لا يستطيعون أن يضروا بالسحر أحداً إلا بإذن الله تعالى، لأن السحر من الأسباب التي لا تؤثر بنفسها بل بأمره تعالى ومشيئته وخلقه. والخلاصة: أن الله تعالى إنما أنزلهما ليحصل بسبب إرشادهما الفرق بين الحق الذي جاء به سليمان وأتم الله له به ملكه، وبين الباطل الذي جاءت به الكهنة من السحر.

لقمان

كان لقمان رجلا صالحا ذو عبادة، وحكمة عظيمة ويقال : كان قاضيا في زمن داود عليه السلام فالله أعلم . و كان رجلا طويل التفكر عميق النظر لم ينم نهارا قط ولم يره أحد يبزق ، ولا يتنحنح ، ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ، ولا يعبث ، ولا يضحك ، وكان لا يعيد منطقا نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها وكان قد تزوج وولد له أولاد ، فماتوا فلم يبك عليهم وكان يغشى السلطان ، ويأتي الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر فبذلك أوتي ما أوتي ومنهم من زعم أنه عرضت عليه النبوة فخاف أن لا يقوم بأعبائها فاختار الحكمة لأنها أسهل عليه والله أعلم. والمشهور أنه كان حكيما وليا ولم يكن نبيا وقد ذكره الله تعالى في القرآن فأثنى عليه. وجوهر قصة لقمان أنها تشتمل على العديد من الحكم ، والمواعظ ، والوصايا النافعة الجامعة

للخير المانعة من الشر. أولها ـ أن لقمان وعظ ولده الذي هو أحب الخلق إليه ، وهو أشفق الناس عليه فقال له)) :يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ((فنهاه عنه وحذره منه لأن الله لا يغفر أن يشرك به. ثانيها ـ نهى لقمان ولده عن ظلم الناس ولو بالشيء اليسير فإن الله يسأل عنه ويحاسب عليه. وأخبره أن هذا الظلم لو كان في الصغر كالخردلة و كان في جوف صخرة صماء لا باب لها ، أو لو كانت ساقطة في شيء من ظلمات الأرض أو السماوات في اتساعهما وامتداد أرجائهما، لعلم الله مكانها فلا يخفى عليه الذر مما تراءى للنواظر أو توارى. كما قال تعالى))وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ] ((الأنعام ٥٩ [ثالثها ـ أمر لقمان ابنه بالصلاة فقال له)) :يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ ((أي أدها بجميع واجباتها من حدودها وأوقاتها وركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها وما شرع فيها واجتنب ما نهي عنه فيها لأن الصلاة هي عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين. رابعها ـ أمر لقمان ابنه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقال له)) :وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ((ثم أمره بالصبر وذلك أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في مظنة أن يعادى وينال منه من قبل الناس ولهذا أمره بالصبر على ذلك ومعلوم أن عاقبة الصبر الفرج. خامسها ـ أمر لقمان ابنه بعدم التكبر على الناس وأن لا يصرف وجهه عن الناس حال كلامه لهم وكلامهم له على وجه التكبر عليهم والازدراء لهم)) .وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ((سادسها ـ نهى لقمان ابنه عن التبختر في المشية على وجه العظمة والفخر على الناس كما قال تعالى))وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا .((ولما نهاه عن الاختيال في المشي أمره بالقصد فيه فإنه لابد له أن يمشي فنهاه عن الشر ، وأمره بالخير فقال))وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ((أي لا تبتاطأ مفرطا ولا تسرع إسراعا مفرطا ولكن بين ذلك. سابعها ـ أمر لقمان ابنه بأن يغض من صوته فقال له)) : وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ((أي إذا تكلمت لا تتكلف برفع صوتك ، فإن أعلى الأصوات ، وأنكرها صوت الحمير. وقد ثبت الأمر بالاستعاذة عند سماع صوت الحمير بالليل فإنها تكون قد رأت شيطانا ولهذا نهينا عن رفع الصوت حيث لا حاجة إليه ولا سيما عند العطاس فيستحب خفض الصوت وتخمير الوجه. فهذه جملة من النصائح التي أمر لقمان ابنه أن يفعلها والتي ينبغي على كل مسلم يبتغي رضى الله أن يفعلها.

ذو القرنين

لا نعلم يقيناً من هو ذو القرنين. كل ما يخبرنا القرآن عنه أنه ملك صالح، آمن بالله وبالبعث وبالحساب، فمكّن الله له في الأرض. بدأ ذو القرنين التجوال بجيشه في الأرض، داعيا إلى الله. فاتجه غربا، حتى وصل للمكان الذي تبدو فيه الشمس كأنها تغيب من وراءه. وربما يكون هذا المكان هو شاطئ المحيط الأطلسي، حيث كان يظن الناس ألا يابسة وراءه. فألهمه الله – أو أوحى إليه– أنه مالك أمر القوم الذين يسكنون هذه الديار، فإما أن يعذبهم أو أن يحسن إليهم. فما كان من الملك الصالح، إلا أن وضّح منهجه في الحكم. فأعلن أنه سيعاقب المعتدين الظالمين في الدنيا، ثم حسابهم على الله يوم القيامة. أما من آمن، فسيكرمه ويحسن إليه. بعد أن انتهى ذو القرنين من أمر الغرب، توجه للشرق. فوصل لأول منطقة تطلع عليها الشمس. وكانت أرضا مكشوفة لا أشجار فيها ولا مرتفعات تحجب الشمس عن أهلها. فحكم ذو القرنين في المشرق بنفس حكمه في المغرب، ثم انطلق. وصل ذو القرنين في رحلته، لقوم يعيشون بين جبلين أو سدّين بينهما فجوة. وكانوا يتحدثون بلغتهم التي يصعب فهمها. وعندما وجدوه ملكا قويا طلبوا منه أن يساعدهم في صد يأجوج ومأجوج بأن يبني لهم سدا لهذه الفجوة، مقابل خراج من المال يدفعونه له. فوافق الملك الصالح على بناء السد، لكنه زهد في مالهم، واكتفى بطلب مساعدتهم في العمل على بناء السد وردم الفجوة بين الجبلين. استخدم ذو القرنين وسيلة هندسية مميزة لبناء السّد. فقام أولا بجمع قطع الحديد ووضعها في الفتحة حتى تساوى الركام مع قمتي الجبلين. ثم أوقد النار على الحديد، وسكب عليه نحاسا مذابا ليلتحم وتشتد صلابته. فسدّت الفجوة، وانقطع الطريق على يأجوج ومأجوج، فلم يتمكنوا من هدم السّد ولا تسوّره. وأمن القوم الضعفاء من شرّهم. بنى ذو القرنين سد يأجوج ومأجوج ، ليحجز بينهم وبين جيرانهم الذين استغاثوا به منهم. وبعد أن انتهى ذو القرنين من هذا العمل الجبار، نظر للسّد، وحمد الله على نعمته، وردّ الفضل والتوفيق في هذا العمل لله سبحانه وتعالى، فلم تأخذه العزة، ولم يسكن الغرور قلبه. أما مكان السد ففي جهة المشرق لقوله تعالى)حتى إذا بلغ مطلع الشمس (ولا يعرف مكان هذا السد بالتحديد. والذي تدل عليه الآيات أن السد بني بين جبلين ، لقوله تعالى) حتى إذا بلغ بين السدين (والسدان : هما جبلان متقابلان. وهذا السد موجود إلى أن يأتي الوقت المحدد لهدمه، وخروج يأجوج ومأجوج، وذلك عند اقتراب الساعة. والذي يدل على أن هذا السد

موجود لم ينهدم بعد ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال) :يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه، قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدا . قال : فيعيده الله عز وجل كأشد ما كان ، حتى إذا بلغوا مدتهم، وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس ، قال الذي عليهم : ارجعوا فستخرقونه غدا إن شاء الله تعالى، واستثنى. قال : فيرجعون وهو كهيئته حين تركوه ، فيخرقونه ويخرجون على الناس ، فيستقون المياه ، ويفر الناس منهم (أما عن أصل يأجوج ومأجوج فإنهم من البشر من ذرية آدم وحواء عليهما السلام . وهما من ذرية يافث أبي الترك ، ويافث من ولد نوح عليه السلام . وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)أن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ، وأنهم لو أرسلوا إلى الناس لأفسدوا عليهم معايشهم، ولن يموت منهم أحد إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا (وهم يشبهون أبناء جنسهم من الترك المغول، صغار العيون ، صغار الأنوف ، شعرهم قريب إلى الحمرة أو الصفرة، عراض الوجوه، وهم رجال أقوياء ، لا طاقة لأحد بقتالهم. قال تعالى))حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ((الأنبياء:٩٦-٩٧

فهذه الآيات تدل على خروجهم ، وأن هذا علامة على قرب النفخ في الصور وخراب الدنيا، وقيام الساعة. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) :لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها (قالت زينب : يا رسول الله ! أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال) : نعم ، إذا كثر الخبث (وحين يخرجون يمرون على بحيرة طبرية ، فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، فينشرون الخراب والدمار والفساد إلى أن يرغب عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله ويستغيثون به ليخلصهم من يأجوج ومأجوج، فيستجيب الله لعيسى وأصحابه ويرسل على يأجوج ومأجوج دود ـ يكون في أنوف الإبل والغنم ـ في رقابهم فيصبحون قتلى كموت نفس واحدة ، ثم تملأ الأرض بنتنهم وروائحهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيرا ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله.

قصص من السيرة

دار الندوة

العام الهجري : ١ الشهر القمري : صفر العام الميلادي : ٦٢٢تفاصيل الحدث: لَمَّا رَأى المُشركون أنَّ أصحابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قد

تَجهَّزوا وخرجوا، وحملوا وساقوا الذَّراريَّ والأطفالَ والأموالَ إلى الأوسِ والخزرجِ في يَثْرِبَ، أصابتهُم الكآبةُ والحزنُ، وساوَرهُم القلقُ والهَمُّ، فاجتمع طواغيتُ مكَّةَ في دارِ النَّدوَةِ لِيتَّخِذوا قرارًا حاسمًا في هذا الأمرِ. وكان اجتماعُهُم بعدَ شَهرينِ ونصفِ تقريبًا مِن بَيعةِ العَقبةِ، وتوافد إلى هذا الاجتماعِ جميعُ نُوَّابِ القبائلِ القُرشيَّةِ؛ لِيتَدارسوا خُطَّةً حاسِمةً، تَكفُلُ القضاءَ سريعًا على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ودَعوتِهِ، ولَمَّا جاءوا إلى دارِ النَّدوةِ حَسْبَ الميعادِ، اعترضهُم إبليسُ في هَيئةِ شيخٍ جليلٍ، ووقف على البابِ، فقالوا: مَن الشَّيخُ؟ قال: شيخٌ مِن أهلِ نجدٍ، سمِع بالذي اتَّعَدْتُم له فحضر معكم لِيسمعَ ما تقولون، وعسى ألَّا يُعْدِمَكُم منه رأيًا ونُصْحاً. قالوا: أجلْ، فادْخُلْ. فدخل معهم. وبعد أن تكامل الاجتماعُ، ودار النِّقاشُ طويلًا. قال أبو الأَسودِ: نُخرِجُهُ مِن بين أَظْهُرِنا ونَنْفيهِ مِن بلادِنا، ولا نُبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، فقد أَصلَحنا أَمْرَنا، وأُلْفَتَنا كما كانت. قال الشيخُ النَّجديُّ: لا والله ما هذا لكم برأيٍ، ألم تَرَوْا حُسْنَ حَديثِهِ، وحَلاوةَ مَنْطِقِهِ، وغَلَبَتْهُ على قلوبِ الرِّجالِ بما يأتي به، والله لو فعلتُم ذلك ما أَمِنتُم أن يَحِلَّ على حَيٍّ مِن العربِ، ثمَّ يَسيرُ بهم إليكم – بعد أن يَتَّبِعوهُ – حتَّى يَطأَكُم بهم في بلادِكُم، ثمَّ يفعلُ بكم ما أراد، دَبِّروا فيه رأيًا غيرَ هذا. قال أبو البَخْتريِّ: احْبِسوه في الحديدِ وأَغلِقوا عليه بابًا، ثمَّ تَربَّصوا به ما أصاب أمثالَهُ مِن الشُّعراءِ الذين كانوا قبله – زُهيرًا والنَّابِغةَ – ومَن مضى منهم، مِن هذا الموتِ، حتَّى يُصيبَهُ ما أصابهم. قال الشَّيخُ النَّجديُّ: لا والله ما هذا لكم برأيٍ، والله لَئِن حَبَستُموه –كما تقولون– لَيَخرُجنَّ أَمرُهُ مِن وراءِ البابِ الذي أغلقتُم دونَه إلى أصحابِهِ، فلأَوْشَكوا أن يَثِبوا عليكم، فيَنزعوه مِن أَيديكُم، ثمَّ يُكاثِروكُم به حتَّى يَغلِبوكُم على أَمرِكُم، ما هذا لكم برأيٍ، فانظروا في غيرِهِ. بعد ذلك تَقدَّم كبيرُ مُجرِمي مكَّةَ أبو جهلِ بنِ هشامٍ باقتِراحٍ آثمٍ وافق عليه جميعُ مَن حضر، قال أبو جهلٍ: والله إنَّ لي فيه رأيًا ما أَراكُم وقعتُم عليه بعدُ. قالوا: وما هو يا أبا الحكمِ؟ قال: أَرى أن نَأخُذَ مِن كُلِّ قَبيلةٍ فَتًى شابًّا جَليدًا نَسِيبًا وَسِيطًا فِينا، ثمَّ نُعطي كُلَّ فَتًى منهم سَيفًا صارمًا، ثمَّ يَعمِدوا إليه، فيَضرِبوه بها ضربةَ رجلٍ واحدٍ فيَقتُلوه، فنَستَريحَ منه، فإنَّهم إذا فعلوا ذلك تَفرَّق دَمُهُ في القبائلِ جميعًا، فلمْ يَقدِرْ بنو عبدِ منافٍ على حربِ قومِهم جميعًا، فَرَضوا مِنَّا بالعَقْلِ، فَعَقَلْناهُ لهم. قال الشَّيخُ النَّجديُّ: القولُ ما قال الرَّجلُ، هذا الرَّأيُ الذي لا رأيَ غيرُهُ. ووافقوا على هذا الاقتراحِ الآثمِ بالإجماعِ.

الهجرة النبوية

العام الهجري : ١ الشهر القمري : صفر العام الميلادي : ٦٢٢ تفاصيل الحدث: عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم للمُسلمين: «إنِّي أُريتُ دارَ هِجرتِكُم ذاتَ نَخلٍ بين لابَتَيْنِ». وهُما الحَرَّتانِ، فهاجر مَن هاجر قِبَلَ المدينةِ، ورجع عامَّةُ مَن كان هاجر بأرضِ الحَبشةِ إلى المدينةِ، وتَجهَّز أبو بكرٍ قِبَلَ المدينةِ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «على رِسْلِكَ، فإنِّي أرجو أن يُؤذنَ لي». فقال أبو بكرٍ: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم». فحبَس أبو بكرٍ نَفْسَهُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لِيصحبَهُ، وعلَف راحِلتينِ كانتا عنده وَرَقَ السَّمُرِ -وهو الخَبَطُ- أربعةَ أَشهُرٍ. قال ابنُ شهابٍ: قال عُروةُ: قالت عائشةُ: فبينما نحن يومًا جُلوسٌ في بيتِ أبي بكرٍ في نَحْرِ الظَّهيرةِ، قال قائلٌ لأبي بكرٍ: هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُتقنِّعًا، في ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكرٍ: فِداءٌ له أبي وأمِّي، والله ما جاء به في هذه السَّاعةِ إلَّا أَمْرٌ، قالت: فجاء رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فاسْتأذَن، فأُذِنَ له فدخل، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لأبي بكرٍ: «أَخْرِجْ مَن عندك». فقال أبو بكرٍ: إنَّما هُم أَهلُك، بأبي أنت يا رسولَ الله. قال: «فإنِّي قد أُذِنَ لي في الخُروجِ». فقال أبو بكرٍ: الصُّحبة بأبي أنت يا رسولَ الله؟ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «نعم». قال أبو بكرٍ: فَخُذْ -بأبي أنت يا رسولَ الله- إحدى راحِلَتي هاتينِ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «بالثَّمنِ». قالت عائشةُ: فجَهَّزناهُما أَحَثَّ الجِهازِ، وصنعنا لهُما سُفْرَةً في جِرابٍ، فقطعتْ أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ قِطعةً مِن نِطاقِها فربطتْ به على فَمِ الجِرابِ، فبذلك سُمِّيت: ذاتَ النِّطاقينِ. قالت: ثمَّ لَحِقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكرٍ بِغارٍ في جبلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فيه ثلاثَ ليالٍ، يَبيتُ عندهما عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ، وهو غلامٌ شابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ مِن عندهِما بِسَحَرٍ، فيُصبحُ مع قُريشٍ بمكَّةَ كَبائِتٍ، فلا يسمعُ أمرًا، يُكتادانِ به إلَّا وعاهُ، حتَّى يأتيَهُما بخبرِ ذلك حين يَختلِطُ الظَّلامُ، ويَرعى عليهِما عامرُ بنُ فُهيرةَ، مولى أبي بكرٍ مِنْحَةً مِن غَنَمٍ، فيُريحُها عليهِما حين تَذهبُ ساعةٌ مِنَ العِشاءِ، فيَبيتانِ في رِسْلٍ، وهو لبنُ مِنْحَتِهِما ورَضِيفِهِما، حتَّى يَنْعِقَ بها عامرُ بنُ فُهيرةَ بِغَلَسٍ، يفعلُ ذلك في كُلِّ ليلةٍ مِن تلك اللَّيالي الثَّلاثِ، واسْتأجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكرٍ رجلًا مِن بني الدِّيلِ، وهو مِن بني عبدِ بن عَدِيٍّ، هادِيًا خِرِّيتًا -والخِرِّيتُ الماهرُ بالهِدايةِ- قد غَمَسَ حِلْفًا في آلِ العاصِ بنِ وائلٍ السَّهميِّ، وهو على دينِ كُفَّارِ قُريشٍ، فأَمِناهُ فدَفعا إليه راحِلَتَيْهِما، وواعَداهُ غارَ ثَوْرٍ بعدَ ثلاثِ ليالٍ، براحِلَتيهِما صُبْحَ ثلاثٍ،

وانطلق معهما عامرُ بنُ فُهيرةَ والدَّليلُ، فأخذ بهم طريقَ السَّواحلِ. قال: سُراقةُ بنُ جُعْشُمٍ: جاءنا رُسُلُ كُفَّارِ قُريشٍ، يجعلون في رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكرٍ، دِيَةَ كُلِّ واحدٍ منهما، مَن قَتلهُ أو أَسَرهُ، فبينما أنا جالسٌ في مجلسٍ مِن مجالسِ قَومي بني مُدْلِجٍ، أقبل رجلٌ منهم حتَّى قام علينا ونحن جُلوسٌ، فقال يا سُراقةُ: إنِّي قد رأيتُ آنفًا أَسْوِدَةً بالسَّاحلِ، أُراها محمَّدًا وأصحابَه، قال سُراقةُ: فعرَفتُ أنَّهم هُم، فقلتُ له: إنَّهم لَيسوا بهِم، ولكنَّك رأيتَ فُلانًا وفُلانًا، انطلَقوا بِأَعْيُنِنا، ثمَّ لَبِثْتُ في المجلسِ ساعةً، ثمَّ قمتُ فدخلتُ فأمرتُ جاريتي أن تَخرُجَ بفَرسي، وهي مِن وراءِ أَكَمَةٍ، فتَحبِسَها عليَّ، وأخذتُ رُمحي، فخرجتُ به مِن ظَهرِ البيتِ، فَحَطَطْتُ بزُجِّهِ الأرضَ، وخَفضتُ عالِيَهُ، حتَّى أتيتُ فَرسي فركِبتُها، فرفَعتُها تُقَرِّبُ بي، حتَّى دَنوتُ منهم، فعَثَرَتْ بي فَرسي، فخَررتُ عنها، فقمتُ فأَهويتُ يدي إلى كِنانتي، فاسْتخرجتُ منها الأَزلامَ فاسْتقسَمتُ بها: أَضرُّهُم أم لا، فخرج الذي أَكرهُ، فركِبتُ فَرسي، وعصيتُ الأَزلامَ، تُقَرِّبُ بي حتَّى إذا سمعتُ قِراءةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وهو لا يَلتفتُ، وأبو بكرٍ يُكثِرُ الالتِفاتَ، ساختْ يَدا فَرسي في الأرضِ، حتَّى بَلغتا الرُّكبَتينِ، فخررتُ عنها، ثمَّ زجرتُها فنهَضتْ، فلم تكدْ تُخرِجُ يدَيها، فلمَّا استوت قائمةً إذا لِأثَرِ يدَيها عُثانٌ ساطعٌ في السَّماءِ مِثلُ الدُّخانِ، فاسْتقسَمتُ بالأَزلامِ، فخرج الذي أَكرهُ، فنادَيتُهم بالأَمانِ فوقفوا، فركِبتُ فَرسي حتَّى جِئتُهم، ووقع في نفسي حين لَقِيتُ ما لَقِيتُ مِنَ الحَبسِ عنهم أن سَيظهرُ أَمْرُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقلتُ له: إنَّ قومَك قد جعلوا فيك الدِّيَةَ، وأخبرتُهم أخبارَ ما يُريدُ النَّاسُ بهِم، وعرضتُ عليهم الزَّادَ والمتاعَ، فلم يَرْزآني ولم يَسألاني، إلَّا أن قال: «أَخْفِ عَنَّا». فسألتُه أن يَكتُبَ لي كتابَ أَمْنٍ، فأمر عامرَ بنَ فُهيرةَ فكتب في رُقعةٍ مِن أَديمٍ، ثمَّ مَضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. وعن عُروةَ بنِ الزُّبيرِ: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لَقِيَ الزُّبيرَ في رَكْبٍ مِنَ المسلمين، كانوا تُجَّارًا قافِلين مِن الشَّأْمِ، فكَسا الزُّبيرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكرٍ ثِيابَ بَياضٍ، وسمِع المسلمون بالمدينةِ مَخرجَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مِن مكَّةَ، فكانوا يَغدون كُلَّ غَداةٍ إلى الحَرَّةِ، فيَنتظِرونَهُ حتَّى يَرُدَّهُم حَرُّ الظَّهيرةِ، فانقلبوا يومًا بعد ما أطالوا انتظارَهُم، فلمَّا أَوَوْا إلى بُيوتِهم، أَوفى رجلٌ مِن يَهودَ على أُطُمٍ مِن آطامِهِم، لِأَمْرٍ يَنظرُ إليه، فبصر برسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابِه مُبَيَّضِين يَزولُ بِهِم السَّرابُ، فلم يملِك اليَهوديُّ أن قال بأعلى صوتِه: يا مَعاشِرَ العربِ، هذا جَدُّكُم الذي

تَنتظِرون، فثار المسلمون إلى السِّلاحِ، فتَلَقَّوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بظَهْرِ الحَرَّةِ، فعَدل بِهم ذاتَ اليمينِ، حتَّى نزل بِهم في بني عَمرِو بنِ عَوفٍ، وذلك يومَ الاثنينِ مِن شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ، فقام أبو بكرٍ للنَّاسِ، وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صامتًا، فطَفِقَ مَن جاء مِنَ الأنصارِ – ممَّن لم يَرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم- يُحَيِّي أبا بكرٍ، حتَّى أصابتِ الشَّمسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل أبو بكرٍ حتَّى ظَلَّلَ عليه بِردائِه، فعرَف النَّاسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك.

أم المؤمنين حفصة بنت عمر

هي حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عدي بن كعب بن لؤي 18)ق. هـ- ٤٥ هـ/ ٦٠٤- ٦٦٥م(، وأُمُّها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب. وُلِدَتْ حفصة وقريش تبني البيت قبل مبعث النبي بخمس سنين، وحفصة -رضي الله عنها- أكبر أولاد عمر بن الخطاب ؛ فقد ورد أن حفصة أسنُّ من عبد الله بن عمر، وكان مولدها قبل الهجرة بثمانية عشر عامًا

حياتها قبل النبي :تزوَّجت حفصة -رضي الله عنها- من خُنَيْس بن حذافة السهمي، وقد دخلا الإسلام معًا، ثم هاجر خُنَيْس إلى الحبشة في الهجرة الأولى، التي كانت مكوَّنة من اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، يرأسهم عثمان بن عفان ومعه السيدة رقيَّة ابنة رسول الله ، ثم هاجر خُنَيْس بن حُذافة مع السيدة حفصة -رضي الله عنها- إلى المدينة، وقد شهد مع رسول الله بدرًا، ولم يشهد من بني سهم بدرًا غيره، وقد تُوُفِّيَ متأثِّرًا بجروح أُصيب بها في بدر

زواجها من النبي :وبعد وفاة زوجها يرأف أبوها عمر بن الخطاب بحالها، ثم يبحث لها عن زوج مناسب لها، فيقول : لقيتُ عثمان فعرضتُ عليه حفصة، وقلتُ: إن شئتَ أنكحتُكَ حفصة ابنة عمر. قال: سأنظر في أمري. فلبثتُ لياليَ ثم لقيني، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج في يومي هذا. قال عمر: فلقيتُ أبا بكر، فقلتُ: إن شئتَ أنكحتُكَ حفصة ابنة عمر. فصمت أبو بكر، فلم يُرْجِع إليَّ شيئًا، فكنت أَوْجَد عليه منِّي على عثمان، فلبثتُ ليالي، ثم خطبها رسول الله ، فأنكحتها إيَّاه، فلقيني أبو بكر، فقال: لعلَّك وَجَدْتَ عليَّ حين عرضتَ عليَّ حفصة، فلم أُرجع إليك شيئًا؟ فقلتُ: نعم. قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضتَ عليَّ إلاَّ أنِّي كنتُ علمتُ أن رسول الله قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرَّ رسول الله ، ولو تركها رسول الله لقبلتُها

وقد تزوَّج رسول الله حفصة في شعبان على رأس

ثلاثين شهرًا، قبل أُحُد، وقيل: تزوَّجها رسول الله في سنة ثلاث من الهجرة.

حفصة في بيت النبي :اشتهرت السيدة حفصة – رضي الله عنها– بالغَيرة على رسول الله بين زوجاته الأخريات، والغَيرة في المرأة أمر من الأمور الملازمة لطبيعتها وشخصيَّتها، خاصَّة إذا كانت لها في زوجها ضرائر، فكل واحدة منهن تريد أن تستحوذ عليه بحبِّها وعطفها وقربها، وأن يكون لها دون سواها؛ لذا فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها: أن نساء النبي كنَّ حزبين؛ حزب فيه: عائشة، وحفصة، وصفيَّة، وسودة، وحزب فيه: أُمُّ سلمة، وسائر أزواج النبي، وقد جاء في سبب نزول قوله تعالى} :يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ]{التحريم: ١[، أن مارية القبطيَّة المصريَّة أُمَّ ولد النبي إبراهيم، قد أصابها النبي في بيت السيدة حفصة وفي يومها، فوجَدت حفصة في نفسها، فقالت: يا رسول الله لقد جئتَ إليَّ بشيء ما جئتَه إلى أحد من أزواجك، في يومي وفي دوري وعلى فراشي. فقال" : أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أُحَرِّمَهَا فَلا أَقْرَبُهَا أَبَدًا؟"قالت حفصة رضي الله عنها: بلى. فحرَّمها رسول الله ، وقال" :لاَ تَذْكُرِي ذَلِكَ لأَحَدٍ ."فذكرته لعائشة –رضي الله عنها– فأظهره الله عليه، فأنزل قوله تعالى} :يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ]{التحريم: ١- ٤[، ثم كفَّر النبي عن يمينه، وأصاب مارية

وقد كانت حفصة –رضي الله عنها– كسائر نساء النبي تتقرَّب إليه بما يحبُّه ، وتسأله النفقة والمال، فعن ابن عباس أنه كان يريد أن يسأل عمر بن الخطاب عن قول الله تعالى} :إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ]{التحريم: ٤[، فقال ابن عباس –رضي الله عنهما– لعمر بن الخطاب : فكنتُ أهابك. فقال: سلني عمَّ شئتَ، فإنَّا لم نكن نعلم شيئًا حتى تعلِّمْنَا. فقلتُ: أخبرني عن قول الله} : إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ]{التحريم: ٤[، مَنْ هما؟ فقال: لا تسأل أحدًا أعلم بذلك منِّي، كنَّا بمكة لا يكلم أحدُنا امرأتَه إنما هُنَّ خادم البيت، فإذا كان له حاجة سَفَع

برجليها فقضى منها حاجته، فلمَّا قدمنا المدينة تعلَّمْنَ من نساء الأنصار، فجعلْنَ يكلِّمننا ويراجعننا، وإنِّي أَمَرْتُ غلامًا لي ببعض الحاجة، فقالت امرأتي: بل اصنع كذا وكذا. فقمتُ إليها بقضيب فضربتها به، فقالت: يا عجبًا لك يابن الخطاب تريد ألاَّ تكلّم! فإن رسول الله يكلِّمنه نساؤه. فخرجتُ فدخلتُ على حفصة، فقلتُ: يا بنيَّة، انظري، لا تكلِّمي رسول الله في شيء، ولا تسأليه؛ فإن رسول الله ليس عنده دنانير ولا دراهم يعطيكهن، فما كانت لك من حاجة حتى دهن رأسك فسليني.

الغَيْرة في حياة السيدة حفصة رضي الله عنها:أوَّلاً: غيرتها من مارية القبطيَّة رضي الله عنها:

في قول الله تعالى} :يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُّ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُّ غَفُورٌ رَحِيمٌ]{التحريم: ١[، قال الطبري: اختَلَف أهل العلم في الحلال الذي كان الله جلَّ ثناؤه أحلَّه لرسوله، فحرَّمه على نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه، فقال بعضهم: كان ذلك مارية مملوكته القبطيَّة، حَرَّمَهَا على نفسه بيمين أنه لا يقربها طلب بذلك رضا حفصة بنت عمر زوجته؛ لأنها كانت غارت بأن خلا بها رسول الله في يومها وفي حجرتها

ثانيًا: غيرتها من السيدة صفيَّة رضي الله عنها: عن أنس قال: بلغ صفيَّة أن حفصة قالت: صفيَّة بنت يهودي. فبكت، فدخل عليها النبي وهي تبكي فقال" :مَا يُبْكِيكِ؟"قالت: قالت لي حفصة: إني ابنة يهودي. فقال النبي" : إِنَّكِ لابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ؟"ثم قال" :اتَّقِي اللهَّ يَا حَفْصَةُ"

ثالثًا: غيرتها من السيدة سودة رضي الله عنها: عن رزينة مولاة رسول الله أن سودة اليمانيَّة جاءتْ عائشةَ تزورها وعندها حفصة بنت عمر، فجاءت سودة في هيئة وفي حالة حسنة، عليها بُرد من دروع اليمن وخمار كذلك، وعليها نقطتان مثل العدستين من صبر وزعفران إلى موقها -قالت عليلة: وأدركتُ النساءَ يتزيَّنَّ به- فقالت حفصة لعائشة: يا أم المؤمنين اتقي! يجيء رسول الله وهذه بيننا تبرق. فقالت أُمُّ المؤمنين: اتَّقي الله يا حفصة. فقالت: لأفسدَنَّ عليها زينتها. قالت: ما تَقُلْنَ؟ وكان في أذنها ثِقَلٌ، قالت لها حفصة: يا سودة، خرج الأعور. قالت: نعم. ففزعت فزعًا شديدًا، فجعلت تنتفض، قالت: أين أختبئ؟ قالت: عليكِ بالخيمة -خيمة لهم من سعف يختبئون فيها- فذهبت فاختبأت فيها، وفيها القذر ونسيج العنكبوت، فجاء رسول الله وهما تضحكان لا تستطيعان أن تتكلَّما من الضحك، فقال" :مَاذَا الضَّحِكُ؟"ثلاث مرَّات، فأومأتا بأيديهما إلى الخيمة، فذهب فإذا سودة ترعد، فقال لها" :يَا

سَوْدَةُ، مَا لَكِ؟"قالت: يا رسول الله، خرج الأعور. قال" :مَا خَرَجَ وَلَيَخْرُجن، مَا خَرَجَ وَلَيَخْرُجن ."فأخرجها، فجعل ينفض عنها الغبار ونسيج العنكبوت

رابعًا: غيرتها من السيدة عائشة رضي الله عنها :
عن عائشة –رضي الله عنها– أن النبي كان إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة لعائشة وحفصة، وكان النبي إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدَّث، فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك؛ تنظرين وأنظر؟ فقالت: بلى. فركبتْ، فجاء النبي إلى جمل عائشة وعليه حفصة فسلم عليها، ثم سار حتى نزلوا، وافتقدته عائشة، فلما نزلوا جعلتْ رجليها بين الإِذْخر وتقول: يا ربِّ سلِّط عليَّ عقربًا أو حيَّة تلدغني، ولا أستطيعُ أن أقول له شيئًا

خامسًا: غيرة أمهات المؤمنين منها :عن عائشة قالت: كان رسول الله يحِبُّ الحَلوى والعَسل، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهن، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فَغِرْتُ، فسألتُ عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّة عَسَل، فسقت النبي منه شربة. فقلتُ: أما والله لنحتالَنَّ له. فقلتُ لسودة بنت زَمْعَةَ: إنه سيدنو منك، فإذا دنا منك فقولي: أكلتَ مغَافير؟ فإنه سيقول لك" :لاَ ."فقولي له: ما هذه الريح التي أجد؟ فإنه سيقول لك" :سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ ."فقولي: جَرَسَتْ نحلُه العُرفُطَ. وسأقول ذلك، وقولي أنت له يا صفية ذلك. قالت: تقول سودة: والله ما هو إلاَّ أن قام على الباب، فأردتُ أن أباديه بما أمرتِنِي فرقًا منكِ. فلمَّا دنا منها، قالت له سودة: يا رسول الله، أكلتَ مغافير؟ قال" :لاَ ." قالت: فما هذه الريح التي أجد منكَ؟ قال" :سَقَتْني حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ ."قالت: جَرَسَت نَحلُه العرفطَ. فلمَّا دار إليَّ قلتُ نحو ذلك، فلمَّا دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلمَّا دار إلى حفصة قالت له: يا رسول الله، ألا أسقيك منه؟ قال" :لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ ."قالت: تقول سودة: والله لقد حَرَمْنَاه. قلتُ لها: اسكتي

وعن أنس قال: كان النبيُّ عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أُمَّهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربَتِ التي هو في بيتها يد الخادم فسقطَت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي فِلَقَ الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول" :غَارَتْ أُمُّكُمْ ."ثم حبس الخادم حتى أُتِيَ بصَحْفَة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصَّحْفَة الصحيحة إلى التي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَ، وأمسك المكسورة في بيت التي كَسَرَتْ طلاقها من النبي ورجوعها إليه:طَلَّقَ النبي السيدة حفصة –رضي

الله عنها- فلمَّا علم عمر بن الخطاب بطلاقها، حثى على رأسه التراب، وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعد اليوم؛ فعن قيس بن زيد: أن النبي طلَّق حفصة بنت عمر تطليقة، فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون، فبكت وقالت: والله ما طلَّقني عن سبع. وجاء النبي فقال" :قَالَ لِي جِبْرِيلُ: رَاجِعْ حَفْصَةَ؛ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ"

قصة الإنفاق: عن جابر قال: أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله والناس ببابه جلوس، والنبي جالس فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أُذِنَ لأبي بكر وعمر فدخلا، والنبي جالس وحوله نساؤه، وهو ساكت، فقال عمر: لأكلمَنَّ النبي لعله يضحك. فقال عمر: يا رسول الله، لو رأيت ابنة زيد -امرأة عمر- سألتني النفقة آنفًا، فوجأتُ عنقها. فضحك النبي حتى بدا ناجذه، وقال" :هُنَّ حَوْلِي يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ ."فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان النبي ما ليس عنده. فنهاهما رسول الله ، فقلن نساؤه: والله لا نسأل رسول الله بعد هذا المجلس ما ليس عنده. قال: وأنزل الله الخيار، فبدأ بعائشة، فقال" :إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، وَلا عَلَيْكِ أَنْ لا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ ."قالت: وما هو؟ فتلا عليها} :يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ]{الأحزاب: ٢٨ [الآية، قالت عائشة رضي الله عنها: أفيكَ أستأمر أبويَّ؟! بل أختار الله ورسوله، وأسألك ألاَّ تذكر لامرأة من نسائك ما اخترتُ. فقال: "إِنَّ اللهَّ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّفًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا، لاَ تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ عَمَّا اخْتَرْتِ إِلاَّ أَخْبَرْتُهَا

اهتمام النبي بتعليمها:عن الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل عليَّ رسول الله وأنا عند حفصة، فقال لي" :ألا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِكَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ؟"

وفي الحديث إشارة واضحة إلى أن السيدة حفصة -رضي الله عنها- كانت متعلمة للكتابة، وهو أمر نادر بين النساء في تلك الفترة الزمنيَّة الممتدة في عمق الزمن، ومما أعان على توفُّر العلم لدى السيدة حفصة -رضي الله عنها- وجودها في هذا المحضن التربوي بين أزواج النبي، حيث اتصال السماء بالأرض، وتتابع نزول الوحي بالرسالة الخاتمة على الرسول الكريم ، وقد نتج عن هذا كله أن لُقِّبت السيدة حفصة -رضي الله عنها- بحارسة القرآن، وكانت إحدى أهمِّ الفقيهات في العصر الأوَّل في صدر الإسلام، وكثيرًا ما كانت تُسأل فتجيب رضي الله عنها وأرضاها.

حياتها ومواقفها بعد النبي :بعد وفاة النبي لزمت السيدة حفصة -رضي الله عنها- بيتها، ولم تخرج

منه إلاَّ لحاجة، وكانت هي وعائشة -رضي الله عنهما- يدًا واحدة، فلمَّا أرادت عائشة الخروج إلى البصرة، همَّت حفصة -رضي الله عنها- أن تخرج معها، وذلك بعد مقتل عثمان ، إلاَّ أن عبد الله بن عمر حال بينها وبين الخروج، وقد كانت -رضي الله عنها- بليغة فصيحة، قالت في مرض أبيها عمر بن الخطاب" :يا أبتاه ما يحزنك؟! وفادتك على ربٍّ رحيم، ولا تبعة لأحد عندك، ومعي لك من البشارة لا أذيع السرَّ مرَّتين، ونعم الشفيع لك العدل، لم تَخْفَ على الله خشنة عيشتك، وعفاف نهمتك، وأخذك بأكظام المشركين والمفسدين في الأرض"

مشاركتها في الأحداث: ذكر ابن الجوزي في أحداث سنة ستٍّ وثلاثين أن طلحة والزبير انطلقوا إلى حفصة، فقالت: رأيِي تبعٌ لرأي عائشة حتى إذا لم يبقَ إلاَّ الخروج، قالوا: كيف نستقلُّ وليس معنا مال نجهز به الناس؟ فقال يعلى بن أمية: معي ستمائة ألف وستمائة بعير فاركبوها.

فقال ابن عامر: معي كذا وكذا فتجهَّزوا بها.

فنادى المنادي: إن أمَّ المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان ولم يكن عنده مركب، ولم يكن له جهاز؛ فهذا جهاز وهذه نفقة. فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقة سوى مَنْ كان له مركب -وكانوا جميعًا ألفًا- وتجهَّزوا بالمال، ونادوا بالرحيل، واستقلُّوا ذاهبين.

وأرادت حفصة الخروج، فأتاها عبد الله بن عمر فطلب إليها أن تقعد فقعدت، وبعثت إلى عائشة تقول: إن عبد الله حال بيني وبين الخروج. فقالت: يغفر الله لعبد الله

حديثها: روت -رضي الله عنها- عن رسول الله وأبيها عمر بن الخطاب ستِّين حديثًا، اتَّفق البخاري ومسلم على ثلاثة، وانفرد مسلم بستَّة، وقد روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين؛ كأخيها عبد الله، وابنه حمزة، وزوجته صفية بنت أبي عبيد، وحارثة بن وهب، والمطلب بن أبي وداعة، وأمُّ مبشر الأنصارية، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن صفوان بن أمية، والمسيِّب بن رافع... وغيرهم، ومسندها في كتاب بقيّ بن مخلد ستُّون حديثًا

ومن أهمِّ ما تُرِكَ عندها صحائف القرآن الكريم، التي كُتبت في عهد أبي بكر الصديق بإشارة من عمر بن الخطاب، وقد اعتمد عثمان بن عفان على صحائف القرآن الكريم التي كانت موجودة عندها -رضي الله عنها- في كتابة مصحف واحد للأمصار الإسلاميَّة.

وفاتها: تُوُفِّيَتْ -رضي الله عنها- في شعبان سنة ٤٥هـ، على أرجح الروايات، فقد قيل: سنة سبع

وعشرين للهجرة في خلافة عثمان . وإنما جاء اللَّبس؛ لأنه قيل: إنها تُوُفِّيَتْ في العام الذي فُتحت فيه إفريقيَّة، وقد بدأ فتحها في عهد عثمان، ثم تَمَّ الفتح عام ٤٥هـ، والراجح أنها تُوُفِّيت عام ٤٥هـ؛ لأنها أرادت أن تخرج مع عائشة –رضي الله عنها– إلى البصرة بعد مقتل عثمان ، وكان ذلك في حدود عام ٣٦هـ، كما ذُكر من قبلُ، فرضي الله عنها وأرضاها.

قصص وحكايات الفوارس

الملك زرارة والملكة سفانة ٤

الاعتداء الغادر

بينما كانت هذه الأحداث تجري في مدينة اللؤلؤ ،كانت مدينة السدر أو جلال الدين ـ كما أحب حميد أن تدعى ـ تتعرض لغزو غادر رغم التحذيرات التي ذكرها الوزير غالب لنظيره بهلول

دخلت البلاد عشرات القوافل التجارية دفعة واحدة ، وكلها لا تملك الكثير من الأحمال برغم أنهم قادمون للابتياع ، وبعد دخولهم بيومين تعرض الطرف الشرقي للمدينة لغزو ليلي ، لقد داهم جيش صغير تلك المنطقة من المدينة مما دفع الملك للابتعاد عن وسط المدينة إلى الطرف الغربي البعيد خشية أن يكون هناك تواطأ بين كتائب من جيشه والجيش الغازي ، وشكل الجيش حاجزا لمنع الزحف جهة ابتعاد الملك .

وباشر الغزاة بالاعتداء على البيوت والسكان بالقتل والأسر والنهب وعند منتصف النهار تراجعوا إلى خارج المدينة بأسراهم والأموال التي نهبوها من دواب وأسواق ، وكان ممن وقع في الأسر كما تبين لاحقا أبناء الأميرة سفانة حيث قام الزاحفون الذين تظاهروا بأنهم قوافل تجارية بالظهور في حي الأمراء والأعيان وحرقوا وقتلوا ، وكان الهدف تدمير هذه المنطقة .

وغضب الملك حميد أشد الغضب من قائد الجيش والجيش الذي سمح بهذا الدخول ، وهم على علم بأن أمرا سيحدث بعد مقتل زرارة .

ولما مثل قائد الشرطة أمام الملك أخبره بحدوث خيانة داخل معسكرات الجند ، وحدثه عن القوافل التي فوجئوا بأنهم قطاع طرق ولصوص ، دخلوا على أنهم تجار يرغبون بشراء البضاعة وغدروا بحرس الأبواب الشرقية للمدينة ، وسمحوا للغزاة بالدخول والوصول لحي الأميرات وجرت مذبحة وأسر وقاوم الناس بالخناجر والمدى عن أعراضهم .

وذكروا أن بعض بيوت الأمراء نهبت وحرقت وخاصة بيت زوجة شداد سفانة وخطف أولادها ؛ ولأن الأمير تلك الليلة لم يكن في بيت أولاده نجا من الخيانة ، كان في الصيد والقنص

ولقد ترك الغزاة عددا من القتلى والجرحى تمكنت الشرطة من اعتقالهم بعد انسحاب الغزاة ، واعترفوا أنهم من سكان مدينة حمصان ، وأن معهم عددا كثيرا من لصوص المدن .

وفشل جيش الملك من مطاردة الغزاة بعد انسحابهم ، ولما عاد الملك من طرف المدينة كان في غاية الحزن والأسف على هذه النكبة ، وقال للوزير: تهاوننا في تصديق الأمير غالب .. جيشنا ضعيف رغم الأموال التي تنفق عليه .

قال الوزير : أنا مثلك حزين يا مولاي كيف يدخلون علينا ويغزوننا في غفلة ؟ ! والذي يُبكّي القتلى الذين سقطوا .. وهناك أعداد من الأسرى حتى أن أبناء الأميرة سفانة خطفوا كما أخبرت بعض الخادمات اللواتي اختفين في البستان ؛ كأنهم المقصودون في هذه الغزوة !

قال : كل من في القصر قتل !

قال : لم ينجوا إلا خادمة أو اثنتان كانتا ساعة الغزو خارج القصر في البستان واختفيتا على أعالي الشجر .

قال حميد : هل كانوا يريدون الأميرة ؟!

قال بهلول : لا أدري ! الأميرة لها شهور مفارقة البلاد ..وهذا انتشر بين العباد .

قال : كيف سنعيد الأسرى ؟ سوف يبيعونهم عبيدا .

قال: لدينا أسرى من الجرحى ؛ لعلنا نبادل بهم .. لقد قاوم أهالي البيوت ببسالة وقوة دفعت الغزاة إلى التراجع عند منصف النهار .

قال : هم من مدينة حمصان صيرم .. الملك اللعين نعسان هو الذي أرسلهم أم عصابات كما يقول القائد عيد .

قال : لا أدري ! سأجتمع برجال الأمير ابن ظفار .. فهم أقدر من رجالنا في البحث والتفكير

تنهد الملك ضيقا وقال : افعل ما تراه مناسبا جيشنا ماذا سنفعل له ليكون على قدر المسؤولية ؟

قال : الجيش استطاع الدفاع عن المدينة ؛ لكنهم لم يكونوا مستعدين للمفاجأة ، ولم ينتبهوا لحيلة الغزاة ؛ ولكنهم استدركوا الأمر ، وقاتلوا مع الأهالي ، طول الانتظار أصابهم بالملل والفتور .. وظنوا أن التحذيرات في غير محلها ،إنها مجرد تهويل من القائد ابن غسان .. وحدث بعض التشقق في بعض الكتائب لضعف الولاء لكم يا مولاي ! وأنت تعلم السبب ثم أكثر الغزاة من اللصوص .. علينا أن نعرف من حشّدهم .

قال بحيرة وشك : لصوص يغزون البلاد ، لابد أنهم يعملون لسيد كبير ؛ليقوموا بهذا العمل الكبير والخطير !

فسر الوزير فقال : اللصوص دخلوا على أنهم تجار ، والذين دخلوا من طرف المدينة جنود مرتزقة

قائدهم يقال له غسق ؛ لكن لم نعرف إلى أي جهة يتبعون .. من استأجرهم ؟هل لملك صيرم علم ؟ الله أعلم .

أمر الوزير بمساعدة المتضررين ، وإسعاف الجرحى ، ودفن الموت ، وذهب بنفسه لحي الأميرات والأحياء التي تعرضت للغزو .

ولما جاء نائب ابن ظفار المدينة أطلعه الوزير على الحيلة والغدر والأسرى والضحايا ، والتقى الأمير مفتاح بجرحى اللصوص ، وبعض الأسرى الذين قبض عليهم الأهالي في بيوتهم .

ولما اجتمع بالوزير خاطبه : أرأيت الغدر ؟

قال : نعم ، دخل المدينة ما يقارب ألف رجل نصفهم دخل كتاجر .

قال الوزير : لماذا اعتدوا علينا ؟!

قال مفتاح : لا أعلم الآن ؛لكننا منذ مقتل زرارة شعرنا بخطر على مدينتكم ..كنّا نتوقع غزو جيش منظم لبلادكم ؛ وربما الغزو قادم وهذه مقدمة .. فالملك نعسان ابن صيرم طامع ببلادكم من أيام أبيه .. وكثير من عائلات بلادكم ترحل إليه بسبب غضبهم من الملك وسادة البلاد .. ويحرضونه على احتلال البلاد .. وهو ـ كما تعلم ـ يخشى عودتنا إليكم .

قال : ولماذا حرقوا بيت الأميرة وخطفوا أولادها ؟

قال : الهدف واضح لإثارة الفتنة بيننا وبينكم حتى لا نتدخل في حماية بلدكم من بعض أقاربه الغاضبين والناقمين عليه من سنوات بعيدة كما تعلم .

قال : الأميرة الكل يعرف أنها غادرت البلاد !

قال : أولادها لم يغادروا .

عاد الوزير يسأل : أتعتقد أن غزوا جديدا سيحدث ؟!

قال مفتاح بثقة : أعتقد ذلك أيها الوزير ! هذه أحقاد تنام وتستيقظ ..مجيء زرارة إلى هنا أحياها وجددها .

قال : تحدثت مع الأسرى والجرحى .

قال : كلهم لصوص ، وينكرون علاقتهم بالملك ابن صيرم .

قال : بالطبع لن يجتمع معهم نعسان .

قال : لا يعرفون إلا أن لصوصا كبار شجعوهم على المشاركة في الغزوة للنهب والسلب.. أنا أرسلت بعض رجالي لمدينة صيرم .. وأرسلت وراء بعضهم ؛ ليأت إلى هنا .. وأسمع منهم لعلهم يأتون بمهم .

قال بهلول : ألم تعرفوا شيئا عن قاتل الملك ؟

قال : لدينا الكثير من الأنباء ؛ ولكن لا يسمح لي بذكرها الآن أيها الوزير ! وهي تشير للملك ابن صيرم .. عليك بزيادة درجة الحذر لدى الجند

والشرطة فالغزو قادم .. واطلب مئات الفرسان من الوزير غالب .



أولاد سفانة

وصل نائب ظفار لمدينة اللؤلؤ ؛ ليطلع الأمير والقائد عسكر على التفاصيل التي توفرت لديه عن غزو بلاد جلال الدين ، وهو له رجاله في المدينة منذ اغتيال زرارة

لما سمع عسكر ما توفر من معلومات ، ذهب لقصر الوزير ، واجتمع به ، وروى له مع سمعه من مساعده مفتاح .. وهذا بدوره ذهب لقصر الملك ، وأيقظ الملك من نومه ، واجتمع مع وزير البلاد وسمع التفاصيل والتوقعات وما حدث من خطف أبناء سفانة ، وحرق بيتها ، ونجاة زوجها الذي لم يكن في المدينة ليلة الحادث الذي قال : ماذا يعني هذا ؟!

قال الوزير : هم افتعلوا معركة ، وقتلوا وأسروا ، ومن بين أسراهم أولاد الأميرة ؛ لأنهم لم يجدوا جثثهم فاعتبروهم أسرى حسب رواية الجاريتين الناجيتين إلا إذا قتلوا فيما بعد .

قال : هل ثبت أن لملك صيرم يد ؟

قال عسكر : قد يكون الأسرى للتضليل واستبعاد الحرب .

قال الملك : هل نخبر سفانة ؟

رد الوزير : فلتقابل الرسول نائب ابن ظفار .. هل تراها تحتمل الصدمة؟

قال : نطلع الأميرة خلود .. وتنقل إليها الخبر ..فهي منذ سمعت بمرض الملكة الأم وتعيش بيننا ـ كما تعلم ـ إنها محبة لجدتي الملكة . قال : لا بأس

ذهب الملك والوزير إلى حجرة الأميرة خلود ، فجاءت إليهما مرعوبة ؛ ربما وقع في قلبها موت أمها التي فارقتها قبل ساعات .

فطمأنها الملك على حياة الأم ، وقصا عليها وعلى زوجها خبر اختطاف أولاد سفانة ، وترجيح أنهم أسرى لدى خاطفيهم .

فمشت لقصر سفانة بصحبة بعض حرس الملك مع طلوع الشمس ، وحدثتها بما جرى في بلاد الملك حميد واختفاء أولادها بعد انتهاء الاعتداء .

لم يبدُ الحزن ولا البكاء من شقيقتها بل سألت : وأبوهم ؟

قالت : لم يكن معهم كان في الصيد .

قالت : كان في الصيد .. هل علم الملك بذلك ؟

قالت : هو الذي أرسلني إليك لنقل الخبر خشوا عليك من الصدمة .

صاحت بحدة : أي صدمة يا أخية ! الصدمة مقتل أبي .. هو الصدمة والجرح النازف .. وهو خير

منهم .. الأب لا يعوض ، الأبناء يعوضون .. لا تخافوا عليّ .. ماذا سيفعل مولانا الملك ووزيره العتيد ؟

قالت خلود : ماذا سيفعل أهل الأولاد ؟ هم أهلوهم .. نحن أخوالهم .. هل تُحبين الذهاب لهناك .

قالت بشرود : أذهب إلى هناك ! لماذا ؟! هل بذهابي سيعودون ؟! ألم تخبريني أنهم خطفوا .. قد يكونون قد قتلوا كما قتل جدهم الملك .. أنا بعد موت أبي قتلا وخيانة لا يمكن أن أحزن على أحد .. حزني فقط على أبي المسكين الذي أذلوه في أواخر عمره .. ينتقل من بلد لآخر بثلاث حراس .. تمنيت لو أن الحرس الذين رافقوني كان نصفهم مع أبي .. أنا بعد أبي يهون عليّ كل موت .

قالت خلود بامتعاض لضعف حبها لأولادها : لم نكن نعرف هذا الحب الكبير له قبل زواجنا يا سفانة ! أنت مجنونة !

قالت بغيظ : أنا مجنونة يا خلود ؛ لأنني أحب أبي أكثر منكن .. أنتن قصفتن عمره من أجل أن تنام إحداكن في حضن رجل .

قالت : ولماذا خلقت النساء والرجال والزواج سامحك الله ؟

قالت :آنا مجنونة يا خلود ؟! أنا أقول سامحك الله .. أتريدين مني أن أولول وأصرخ وأشق الثياب وألطم الخد على أولاد تركتهم منذ شهور ؟

قالت : لا أريد ذلك ..أريد أن تحزني على فقدهم كما حزنت على أبيك .

قالت : مات كل حزن إلا الحزن على أبي .

غادرتها إلى قصر الملك وحدثته أنها أخبرتها بالمصيبة ، وأنها لم تهتم كأن المصيبة في بلد وبيت آخر ، وأعلنت أن أختها لم تعد سليمة العقل بعد موت أبيهما .

قال : لعلها مريضة أيتها الأميرة .

قالت : إنها لم تشف من صدمة موت الوالد ـ رحمه الله ـ وماذا ستفعلون لإنقاذ الأمراء ؟ وهل حددتم الجهة الظالمة ؟

قال : سيرسل الوزير جيشا إلى بلاد الملك حميد إذا سمحوا بذلك .. وقد نغزوا بلاد صيرم إذا تأكد لنا أنه الفاعل في جريمة الملك زرارة.

قالت : نعم ، عليكم أن تفعلوا شيئا تهتز له الدنيا وكل المدن .

قال : سنفعل يا خالة الملك ! لكن التدبير والتفكير قبل استعمال القوة واليد .. اشتعال الحرب سهل ؛ ولكنّ إطفاءها صعب.

قالت : أرجو لكم النجاح ، وإعادة الهيبة للمملكة

قال : المملكة قوية .. وتبين لنا أن الذين قاموا بالغزو أكثرهم من اللصوص وقطاع الطرق فنخشى أن ندمر مدينة ، ونقتل أبرياء، ونفقد

الأبطال ، ونظلم الناس بدون تأكد .. الوزير رجاله يعملون بكل قوة .. فنحن نهتم بالأمر ، ولا نتعجل المعركة قبل التثبت والإعداد القوي فلست ضعيفا ، ولا جبانا .

قالت : بوركت أيها الملك ، وأيدك الله .

دخلت سفانة على الملك ، وقالت بعد التحية والسلام : خلود هنا ! إن خالتك تقول عني مجنونة

فقالت : أنت مجنونة فعلا ! نقلت إليك خبر أسر أولادك ، ولم تذرفي دمعة واحدة .. أي أم أنت ؟! كأن العرس عند الجيران .



قالت سفانة : ماذا ستفعلون لي أيها الملك ؟

فقال بهدوء : ماذا تُحبين أن نفعل أيتها الأميرة ؟

ظلت صامتة لم تجيب ، فقال : نحن سنسعى لتحريرهم إذا بقوا على قيد الحياة من أجلك أنت يا سفانة ! نعرف أنك طلقت وتخليت عنهم لأهليهم من أجل حزنك على أبيك .. نحن نحترم حزنك .. وكلنا حزين .. لماذا جئت ؟

قالت وهي تنظر إليهما : جئت .. لا أدري ! لا أدري !

فقال : سنفطر سوية هذا الصباح .. فرصة أن نتناول الطعام مع الخالات ..لا ينقصنا إلا الخالة بانة ؛ كأنها لا تريد اللقاء بابن شقيقتها.

قالت خلود : ستعود في يوم من الأيام .. فقد زارت سفانة عددا من المرات ، وباتت في بيتها .

الاعتداء

تحرك جيش صيرم لما سمع أن بلاد حميد تتهمه بخطف وحرق حي الأميرات ، وتقدم إلى الطرف الشرقي للمدينة الذي سبق وتقدمت منه عصابة اللصوص ، وتصدى له جيش الوزير بهلول ، وأرسل يستعجل جيش بلاد الملك سيف ، وأمر الملك العائلات بالخروج للجبال العالية ، وجنوب المدينة حيث سيدخل جيش الملك سيف .

واستمرت المناوشات الحدودية مع تقدم وتفوق لقادة صيرم خاصة القائد غضب ، واحتل الغزاة نصف المدينة مع تقهقر جيش حميد رغم البسالة التي بذلت لصد الغزاة ، وهذا دفع تجار ذلك الجزء من المدينة لطلب الأمان من القائد الغازي ودفع الأموال ، فقبل القائد الغازي غضب منهم المال ، وأمر الجند بمعاملة الناس بالحسنى ؛ ولكن ذلك لم يحدث في كل المناطق ؛ بل تعرضت بعض الأحياء للنهب واغتصاب النساء ، وعمت الفوضى تلك الأحياء ، ولم تهدأ الأمور إلا بوصول الملك ابن صيرم بنفسه حتى استطاع القائد غضب مع وصول الملك بضبط الأحوال والاستعداد

لمتابعة الحرب والاحتلال للقسم الثاني من المدينة واجتياز النهر الذي يقسم المدينة قسمين .

وكانت معارك كر وفر ، ثم اجتاز الجيش الغازي بعض الجسور ، وكادت تجري مفاوضات على تسليم المدينة للملك النعسان بن صيرم ، والقبول بدفع الجزية ؛ لكن الملك حميدا أصر على الرفض والقتال بمن تبقى من فلول جيشه وأعوانه المخلصين ، وبينما بعض سادة المدينة يسعون للصلح مع الملك ابن صيرم لحفظ ما تبقى من خيرات البلاد ، وصلت أولى طلائع جيش الملك سيف ، وتوقفت المفاوضات ، وبدأ جيش الوزير غالب يتقدم الصفوف ، وبدأت تصل الكتائب تباعا تباعا بقيادة الأمير ضرغام بن غالب الوزير ، وتراجعت جيوش النعسان إلى ما بعد النهر ؛ لتمنع الجيوش القادمة من اجتيازه .

ولما وصل عددا كبيرا من الجيش اللؤلؤي أخذت الحرب تشتد لاجتياز النهر بوضع المزيد من الجسور أثناء الليل . وكانت جواسيس ابن صيرم نقلت له أن القائد ضرغاما إذا انتصر عليهم في المدينة سيزحف لاحتلال مدينتهم .. هكذا سمعت الأنباء في مدينة اللؤلؤ .

وهذه الأخبار وصلت لمدينة حمصان ، بل أشيع أن جيشا تحرك إليها ، فاضطربت المدينة ، وخافوا الهزيمة والانتقام .

وكان أهالي جلال يستقبلون جيش الملك سيف بالفرح والأمل .. فجيوش الملك سيف أو بلاد اللؤلؤ لها دعاية قوية منذ عهود بعيدة بين المدن ، ومعروف قوة ولاؤهم لبلادهم وملوكهم ، والكبار في السن له ذكريات مع هذا الجيش .

وبينما الملك سيف في ديوانه يترقب الأخبار التي ترد إليهم تباعا جاءه بريد فلما قرأه دفعه لوزيرة غالب ، وكانت الرسالة من الأميرة بانة تخبر الملك بوقوع زوجها أسيرا لدي جيوش ابن صيرم

شعر الملك النعسان بضعف جيشه أمام جيش الملك سيف ، وأمر قائده غضبا بالصبر والتحمل وعليه أن يرجع لبلاده بالأسرى ؛ لعله يتكمن بالتحالف مع بعض الملوك بمواجهة جيش سيف سواء هنا أم الزاحف لمدينته كما أخبره عيونه وفي نفس الوقت كتب لسيف بالصلح للخروج من المدينة .

واقتحم القائد ضرغام المياه من عشرات المواضع ، وهاجم جيش غضب الذي أخذ يتقهقر أمام الجيوش الزاحفة ، ويتراجع بفوضى ويأس ، ولم تأت أنباء عن قبول سيف الصلح والسلام .

ودخل الملك حميد قلب المدينة من جديد ، وحوله أتباعه من الأمراء والجند والشرطة ، وبدأ القائد ضرغام يتعقب فلول جيش ابن صيرم بعد طردهم من المدينة ، وقتلوا منهم الكثير ، وأسروا منهم ؛

ولكن القائد غضبا تراجع بمن بقي حيّا ، وتركوا ما نهبوه من دواب وطعام ومتاع ، وأعلنت الأفراح بالنصر .

وعاد أهل المدينة من الجبال والكهوف والقرى المجاورة ، وأخذوا يتفقدون ما خسروا من بشر وأنعام وأموال .

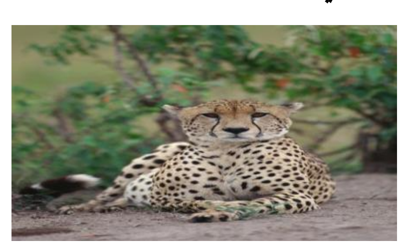
وأرسل سيف للقائد بأن يترك الأموال التي نهبت لأصحابها ، ولا تعتبر من الغنائم ، ومساعدة أسر الضحايا ، والاستعداد لمتابعة الزحف نحو بلاد ابن صيرم وأسره .

وأخذ الملك حميد يعيد ترتيب بلاده هو ووزيره بهلول ، وطفق الملك بواسطة المخلصين بتطهير البلاد من عملاء صيرم ، وخرجت الكتائب اللؤلؤية إلى خارج المدينة استعدادا للزحف إلى بلاد ابن صيرم من جهة الشرق .

وبعد شهر من الزمن ودحر الغزاة المعتدين ، وقد اطمأن القائد ضرغام بن غالب على بلاد حميد جاءه الأمر بالزحف لبلاد صيرم والقضاء عليه إذا تمكن من ذلك .

واستمر الزحف وخلال أيام كان يطرق أطراف البلاد من غربها ، وكان سيف قد رفض الصلح واعتبر مهاجمة بلاد الملك حميد إهانة لبلده ؛ لأنهم ما زالوا تحت حمايتهم منذ عشرات السنين من أيام والد جده الملك زرارة .

وكان ابن صيرم قد عاد للبلاد ، وهو في غاية الذل والسخرية للناس ، وسخرية من نصحوه بالكف عن الغزو والتحرش بالمدن المجاورة ، وأخذ يناشد الملوك من جيرانه لمساعدته أو الشفاعة له عند الملك سيف .



فشل الغازي

استنجد ملك صيرم ببعض المجاورين لملكه لإنقاذه من غزو الملك سيف بن لؤي الزاحف من جهتين من الشرق والجنوب ، فأرسل إليه بعضهم متطوعين ومرتزقة ، لا أحد يريد أن يتورط علنا مع ابن صيرم ؛ لأنه مزعج لكثير من الملوك بدعمه المتكرر للمتمردين واللصوص والعصابات ، ويستغلهم في مغامراته وأهوائه .

ولما اقتربت الجنود من مدينة صيرم جاءته رسالة من سيف يطالبه فيها بفك وتحرير كل أسارى مدينة الملك حميد ، وعلى رأسهم أولاد الأميرة سفانة دون تباطؤ وتردد ، وأنهم متيقنون من وجودهم لديه .

وقبل الملك صيرم ذلك العرض مقابل تراجعه عن غزو بلاده ، ورجوع الجيش إلى مدينة حميد وأبدى استعداده لرد كل الأموال المنهوبة من تلك المدينة

لكنّ سيفا قبل ذلك مع تسليم المدينة وخضوعها لحكم بلاده ، ودفع ديات القتلى من مدينة حميد وجنود بلاد اللؤلؤ ، وترك العرش لأحد أولاده .

ولما سمع الملك صيرم بالشروط الإضافية صعب عليه الأمر ، وندم على غزو مدينة حميد فقال لوزيره : أخطانا التقدير .. فرغم ضعف العلاقات بين البلدين ـ كما تعلم ـ فهم ما زالوا حلفاء أخطأ جواسيسنا .. وهؤلاء المتطوعون والمرتزقة لا يثبتون إن رأوْا بوادر الهزيمة .. حياتهم أهم من الدفاع عنا .. كنت أظن أنهم سيكتفون بطردنا من بلاد حميد فحسب ، وينصرفون ، ونتفاوض مع حميد عن الأسرى والأموال .

فقال الوزير كأنه مذكرا بأمر : لم نجن من قتل زرارة شيئا ! لم تحدث حرب بين البلدين .. ولما خطفنا أبناء سفانة لم يتحرك سيف لينال منهم .

قال النعسان ؛ كأنه يقول لا داعي للوم : ليس أمامنا أيها الوزير إلا القتال .

قال : وإذا خسرنا المعركة سنخسر الملك .

قال : لن يقبل أحد بملك هذه المدينة .

قال : هم يحكمونها ومع الوقت ستذهب مملكتنا أين غضب قائد الجيش له أيام غائب عنا ؟!

قال الملك : إنه مريض أو على وشك الموت .

قال الوزير استغرابا : على وشك الموت ، ولم أعلم ! لقد كان متحمسا للمعارك وَقاد حرب حرق حي الأميرات ، وخطف أبناء سفانة خالة سيف .

قال : لقد كان مهووسا بالمعارك ؛ لكنه أصيب بجروح عندما سقط عن جواده .. وأصيب إصابة كبيرة .. واستطاع كما تعلم السيطرة على نصف مدينة حميد وشجعني إلى اللحاق به .. ولولا وصول جيش سيف لأسر حميد وحاشيته .

قال : ألا من حيلة لقتل سيف ؟

قال : سيفعل بعضهم .. وأعتقد أنهم سيفشلون ، ولحتى الآن لم نتهم بقتل زرارة .

قال الوزير :لو عرفوا ما وضعوا تلك الشروط ما زال الأمر غامضا وهذا ربما من حسن حظنا

قال : كان تفكيرنا خطأ في الاعتداء على حياة زرارة .. أخطأت بسماع رأي ذلك اللعين .. من يخون أسياده سيخون الآخرين .

قال : لقد نصحت مولاي الملك بعدم السماع له وإنه رجل حاقد ؛ لكنك شغفت بتلك المرأة.

قال الملك : لقد سمعت عنها كلاما أوقع هواها في قلبي ، ورغبني بالوصول إليها ولا يكون ذلك إلا بالدم.. أين اختفت ؟ .. قال : هي لم تخاف ..ماتت دهش الملك : ماتت ! لم أسمع بذلك ..كيف علمت بذلك ؟!

تبسم الوزير وأجاب : من القائد نمر .. لما دخل المدينة كانت نصب عينيه ؛ ليقدمها هدية للملك ؛ ولكنهم أخبروه بموتها سقطت في بئر ماء وهلكت

قال : متى ؟!

قال وزيره : عندما هاجم رجالنا واللصوص ذاك الحي في تلك الليلة .. وداهموا البيت ، ولم يجدوها ، وأخبر خدمها أنا سقطت في بئر ماء ، وغرقت قبل الغزو بأيام .

تحسر الملك ضيقا : يا إلهي ! الأميرة بدور ماتت ، وقد تعلقت بها.. ألها ذرية ؟

قال : لها ذرية كما قال ذاك الشاعر اللعين.. لها طفلة صغيرة عندما طلقت ..وكان بيتها بيت الشعراء والأدباء .

تحسر فقال كأنه يبكي : لقد غرر بي ذاك الشاعر ..لقد جعلها حورية من حور الجنة من كثرة ما وصفها ووصف حسنها وفتنتها ، حتى تمنيتها مع نسائي .. أتعرف لماذا طلقت ؟ لم يتحدث الشاعر عن ذلك .. ولماذا رفضت زواجي منها والهرب إلينا؟!

قال الوزير : تحدث الشاعر لي عن سبب طلاقها .. إن زوجها أراد منعها من الجلوس مع الشعراء أو بعض منهم بعد أن تعودت المسامرة معهم ..فرفضت وقالت : كنت أفعل ذلك في حياة أبي .. وحاول معها الملك ، فهددت بالهرب وطلبت الطلاق .. هكذا أخبرني .. ولم يطلبها أحد للزواج بعد ذلك الطلاق .. وظلت صديقة للشعراء والأدباء .. ونقل خبرها إليك ؛ لتكون زوجا لها طمعا بمالك .. ورفض الملك حميد مصاهرتنا ولو منها ..فكانت هدفا لتلك الغزوة .

قال الملك مقرا برغبته بنكاحها : نعم ، شغلت بها فترة كما تعلم ..ومع المعارك نسيت أمرها وكنت أنتظر أن تزف إليّ بعد احتلال مدينة حميد ..كيف قتلت ؟

قال : تركت حجرتها في الليل وعز الظلام ، وكانت تتمشى في بستان قصرها ، ولم تنتبه للبئر المفتوحة الباب من إهمال الخدم ..فتعثرت وسقطت فيها .. ولم يكن معها أحد .

قال : ماذا كانت تفعل في الظلام الدامس ؟

قال : قد تكون ذاهبة للقاء أحدهم ، فخرجت دون خدم وإلا ماذا كانت تفعل امرأة بعد نصف الليل وبدون مشعل وخدم ؟! ولما تعثرت في البئر هرب الرجل العاشق ، ولم يشك أحد أن هناك أحدا لعظم الاتهام أو يعرفون ولزموا الصمت ؛ وربما دفعت عمدا في البئر .. ويبدو أنها تخرج ليلا وحدها كما حدثني القائد نمر لما سمع كلام الجواري .

تنهد الملك : لقد شغلت عن سماع أخبارها أيها الوزير .

قال : كنت أظنها ستهرب إلينا كما هربت أخت لها من قبل .

الحصار

حوصرت مدينة حمصان صيرم من ثلاث جهات ومضت عدة أسابيع على اكتمال الحصار ، وكان الملك سيف بنفسه يشهد الحصار .

فقال لقائد الجيش : الحصار متعب للجميع أيها القائد ! ألا تخشى ضيق الجنود ؟

قال القائد الأمير حفص : الجنود خلقت للحرب والقتال أيها الملك الشجاع ! وكل جندي يحب الانتصار والفوز ؛ لكن قتال المدن صعب ؛ لأننا قد نضطر لقتل الكثير من الناس .. فلذلك يحبذ الجنود الاشتباك على أطراف المدن لتقليل عدد الضحايا .. والجنود فيهم القوي ، وفيهم الضعيف الكسول الجبان .. والحصار يدفع أهل المدينة قادتهم للقتال والخروج أو التفاوض على الاستسلام إذا كان الحصار محكما من جميع الجهات .. والحصار انتصار بأقل عدد من القتل من الطرفين وبأقل الخسائر .. وكلما طال أدى ثماره وأدى إلى نتائج جيدة فيضعف الجندي المحاصر إذا أراد الخروج للقتال، فيخرج وهو في حالة يأس وإحباط وتخبط ونحن لم نحاصر كل الجهات ـ كما تعلم ـ تركنا جهة لهرب المحاصرين .. والهرب كذلك يضعف معنويات المدافعين .. فهناك بشر لا يتحملون الحبس والحصار إذا تركت لهم منفذا للهرب .. والأقوات تدخل من الجهات المحاصرة ؛ لأن الجهة غير المحاصرة جبلية صعبة على القوافل والبغال .. نحن لدينا خطط لدخول المدينة ؛ ولكن نفضل استسلامها ؛ ليحسن السيطرة عليها بدون إراقة الدماء ، ويرضى الأهالي بسيطرتنا عليهم .

قال الملك الشاب : إذن لديكم خطط الاقتحام .

قال القائد حفص : أجل يا مولاي ! سيمل أهل المدينة من الحصار إذا صبرنا أكثر منهم وسيكونون عونا لنا على جيشهم وملكهم .

كان الملك ابن صيرم يسمع لقائد الجيش المصاب والقادة الآخرين ، وقال للوزير : هل يملوا ؟ لكم أسابيع تحت الحصار .

قال قائد الجيش : هل نندفع لقتالهم ؟

قال الملك: لو كان هناك فائدة من الخروج لقاتلناهم منذ وطؤوا أطراف المدينة .. علمت أن لهم أعوانا في المدينة يحرضون الناس على التمرد علينا .

قال الوزير: لقد قبضنا على عدد من المرجفين ؛ لذلك بدأ الناس بالخروج إلى الجبال والمدن الأخرى .. وهذا سيضعف همم الجند ، ولم يقدم الملوك المساعدة المرجوة أيها الملك ! فعلينا بالقتال حتى الموت ، وذلك أفضل من الأسر .

قال الملك : أنا لا يهمني الأسر أو الموت .. من غامر مغامرة عليه أن يتحمل عبئها وعواقبها ..

الذي أخشاه أن تصبح بلادنا لغيرنا .

فقال أحد الحاضرين : هذا وقت لا يسمح فيه الندم .. لقد تحدثنا عّن مخاطر غزو بلاد حميد .. ولنا تجربة قديمة مع ملوك بلاد اللؤلؤ .. وهذا سيف يقود الجيش لاحتلال بلادنا .

قال الملك ممتعضا : كما قلت لا داعي الندم الساعة .. فلنستعد للمعركة يؤسفني أن أقول لكم إنها معركة خاسرة ؛ ولكن سنحارب بشرف حتى الموت .. الذل ذُل أيها القادة .

قال أحدهم : ألا يقبلون منا دفع الجزية ، وإطلاق صراح الأسرى ؟!

أجاب الملك :رفضوا ذلك.. يريدون حكم البلاد باسم ابني أي أن تذهب كل أموالنا لهم .. هذا غاية الذل أيها القادة تعيشون تحت حمايتهم ؛ سنعيش أذلاء .. أليس الموت أشرف لكم ؟ أنعامل كالعبيد والرقيق ؟

قال : الموت أشرف أيها الملك ! نحن نرى قائد الجيش منذ وقع وهو ضعيف

صاح غضب : لست ضعيفا يا نبال! تعثرت الفرس ووقعت عنها، وسأقاتل حتى تذهب هذه وأشار لسالفته .

قال نبال : أخشى أن يهرب الجند عند أول قتال أيها القائد ! فرأيت كيف فررنا من أمامهم في مدينة حميد .. كنّا في حالة خزي وجبن ..وإذا حصل ذلك ستصبح كل البلاد في أيديهم عنوة أطفالنا ونساؤنا .

قال الملك : نحن نريد الصلح ؛ لكن شروطهم فيها كل الذل .

قال : هذا رأيي ..وأنا جندي حتى الموت .. الملوك الذين شجعونا على هذه المغامرة أرسلوا لنا لصوصهم وأوباشهم ..تخلصوا منهم

فقال الملك : دم زرارة!

قال : اللصوص هم الذين قتلوه .

قال الملك : وهل يصدق الملك سيف ووزيره الماكر ذلك ؟ هو الآن قادم لتأديبنا وتحرير الأسرى وأبناء سفانة .. على وزيرنا مقابلة الملك سيف ؛ لتخفيف الشروط .. ولتقاتل أيها القائد .

قال غضب : مهمتي القتال ، ولو كنت جريحا مكسورا .. نحن خلقنا للقتال .. إني خبرت جنود مدينة اللؤلؤ فهم بواسل بمعنى للكلمة .. والحرب نصر وهزيمة .. ورغم قوة جنودنا تقهقروا أمام فرسانهم .

وعاد الكلام للوزير : وإذا رفض التخفيف ، وأصر على عزلك.. هل نقاتلهم ؟

قال الملك : لابد من ذلك أيها الوزير! الموت في ساحة الوغى خير وذخيرة للأجيال القادمة لأحفادي وأحفادكم .. نحن سعينا للمحافظة على حياتهم ؛ لكن خصومنا رفضوا الصلح .

جهز الوزير نفسه والوفد المرافق ، ولما وصلوا إلى الجهة التي يعسكر فيها الملك سيف تقدم الوزير والوفد يحملون الراية البيضاء إشعارا بطلب الحوار .

سمح لهم بالتقدم إلى خيمة الملك ، ورحب بهم ، ونزلوا في خيمة الأضياف والرسل .

وأخبر الملك بوجودهم وغاية مجيئهم ، ولما مثلوا أمام الملك قال الملك : جئت للسلام والاستسلام

قال الوزير : جئت للصلح يا مولاي الملك ! نحن كما أنتم تعبنا من الحصار .. ونحن هنا للتفاوض على شروط عادلة للصلح .. أهمها بقاء الملك ملكا على البلاد

قطع سيف الكلام وقال بحزم : نحن سنحكم بلادكم ما جردنا هذا الجيش إلا ليبق هنا ونحن نحاول إخضاع المدينة بدون حرب ؛ لنقلل الدم بيننا وبينكم علمت أن أحد أعدائي معكم .

احتلال مدينة

اقترب جيش سيف إلى أسوار المدينة أكثر من الأول ، وبدأ التراشق بالسهام والنبل ، وأخذ النقابون يقتربون من بعض الأسوار والتنقيب بها لأحداث ثغرات للتسلل منها للمدينة ، وفتح الأبواب ، وألقيت السلالم ذات الكلاليب على النقاط الضعيفة من الحاميات ، ليتم تسلقها في الوقت المناسب .

اشتد الضغط ليلا ونهارا على حاميات الأسوار حتى تمكن المغاوير من اقتحام الأسوار والدخول من الأنقاب ، وفتح الأبواب ، وطفق الجند يقتحمون المدينة رويدا رويدا ، وتجمع الفرسان بعد فتح بعض البوابات ، وتم الفتك بحاميات الأبواب والأسوار والسيطرة عليها ، ورغم المقاومة التي بدت في بعض الجهات دخلت الجيوش الغازية من ثلاث جهات ، ولزم الناس بيوتهم ، وأغلقت الدكاكين أبوابها ، وأخذ بعض الجيش يتقدم نحو القصر الملكي الكبير الذي وجد خاليا إلا من الخدم والغلمان ، وتم الاستيلاء على الخيل والإصطبلات الملكية .. وتعرضت القصور للنهب والتفريغ ، ولزم الناس مساكنهم ثلاثة أيام حتى كملت السيطرة على المدينة ، وأسر من أسر من الجند والسادة ، وهرب من هرب ، واجتمع مشايخ الحارات والأحياء ، والتقوا بالوزير غالب وطلبوا منه الأمان فأعطوه .

وبعد الأمان عاد الناس إلى أعمالهم رويدا رويدا ، وأخليت السجون من المساجين، ولم يجدوا من بينهم أولاد الأميرة ، فقد عرف الملك ابن صيرم أهميتهم للبقاء حيا ، فقد نقلوا إلى مدينة أو بلدة أخرى قبل المعركة الأخيرة ؛ وربما قبل وصول الجيش الغازي لبلادهم .

قال سيف : لقد تمكنا بفضل الله من السيطرة على

المدينة .. وهرب خصومنا أيها القائد الشجاع

قال قائد الجيش حفص : سنتابع المطاردة عندما نعرف أين استقر الملك النعسان ؟ علينا حكم هذه المدينة إلى حين من الزمن وحتى يستسلم ابن صيرم والسادة كلهم

قال : كيف سنحكمها أيها القائد وهي بعيدة عن بلادنا ؟

قال حفص : سنجعل فيها حامية من جندنا .. وستكون مملكة مستقلة عنا ؛ ليستقر الحكم فيها وسنأخذ خراجها بعض الوقت .. ولو بلاد حميد الملك قوية لضممتها إليهم .. فهم أقرب إليها منا المسافة بينهم يوم وليلة .

قال : وثأر جدي .

قال : رجالنا وعيوننا يقولون إن لهم يدا في الغدر بجدكم يا مولاي ! وعلمنا أن اللص فواز من رجال الملك .. فالملك هذا له صداقات مع اللصوص والعصابات ؛ ليزعج بهم أي الملوك والتجار .. وسيصل إليه رجالنا في يوم قريب ..وعندما نأسر الملك سنعرف الجناة .

قال سيف : هل سيعترف الملك بجرمه ؟!

قال : لا ، لا ، الملك لن يعترف ؛ لكننا سنجد من يشي بالملك .. ويعترف نيابة عنه لينجو برأسه

قال : الوزير!

قال : قد يكون الوزير لا علم له بهذه المغامرات والألاعيب.

قال الملك : الوزير لا يعلم!

قال : الوزير مشغول بإدارة البلاد والعباد ..والملك مشغول بالمغامرات والغارات

قال : سمعت أن للملك زوجة فاتنة .. ألم تعتقل ؟

قال حفص : لقد أبعدهم الملك قبل الاقتحام .. وهذه الزوجة خطفها خطفا .. وهي ليست الأولى

قال : مخطوفة ! ملك يخطف النساء !

رد القائد عسكر فقال بإشارة من حفص : نعم أيها الملك السعيد ،عندما يسمع النعسان بحسناء يخطفها ولو كانت حليلة ، وبعد قضاء شهوته ومغامراته يسرحها ويطلقها .

قال الملك استغرابا : وكيف يصمت عنه جيرانه الملوك ؟!

قال عسكر : يحذرون غدره وسوء أخلاقه.. فهذه الزوجة التي تحدث عنها بعض الشعراء أمامكم أخت أحد الأمراء من بلاد كذا .. وهذا الشاعر قريب لها ؛ لذلك ذكرها أمامك ؛ لتعمل على تحررها إذا دخلنا مدينة صيرم .

قال سيف : أبناء خالتي لم نصل إليهم !

قال عسكر : نقلهم قبل دخولنا .. كان ذلك متوقعا .

قال : لقد طلبنا منه خلع نفسه لأحد أبنائه ؛ ولكنه جبن عن التخلي عن العرش وهو حي .

قال عسكر : قد يكون خشي من الانتقام منه وحبسه .. وهو معزول من سلطاته وحكمه .
قال الملك :هل علمتم المدينة التي هرب إليها؟
قال القائد عسكر : لحتى الحين لم تعرف ؛ لكن علمنا أن الكثير من سادة البلاد انتشروا في عدة مدن لتوريطهم في حربنا .
قال الملك موجها الكلام لحفص : أيريد تشتيت جيشنا ؟!
قال حفص : قد يكون ذلك .
قال : ما أخبار بلادنا ؟
قال : البريد متواصل يا مولاي! وأنا أفكر بتبديل الجيش هذا بجيش آخر حتى لا نضطر لجلب النساء للرجال أو يتزوجون من بناتهم في هذا الوقت .. وهذا يضعف جندنا .. سيبدأ نصف الجيش بالعودة كما يطلب الوزير عندما يصل عدد من الجيش من البلاد .
قال : وجيشنا في مدينة حميد .
قال القائد : سنبقي عددا قليلا منهم هناك حتى نرى ماذا سنفعل بهذه المدينة ؟ فإذا خضعت لنا بدون تمرد ، وراق للناس حكمنا نستغني عن حماية الملك حميد لأن مكمن الخطر كان هو هذا الملك وأجداده .
شكرهم وقال : أحسنتم بالتدبير أنت والقادة والوزير غالب .
قال القائد : أنت ملك باسل يا مولاي! وجودك مع الجند رفع من حماسهم وجهدهم وثباتهم

الملك الهارب

لم يعرف الملك سيف أي المدن هرب إليها ملك صيرم ؛ لأنه غادر المدينة قبل اقتحامها كما ذكرنا استسلمت المدينة كاملة للجيش الغازي ، وتوقفت بؤر القتال ، ولزم الهدوء المدينة والترقب يترقبون أمر الملك سيف بعد طلبهم الأمان.
وأخذ الوزير غالب يدير أمر المدينة بمن تعاون معه من الأهالي ، وأخذ كذلك يجري عملية استبدال الجيش بسرية تامة .
وسرت إشاعات بأن الملك سيف سيغير نظام الحكم في المدينة ، وستحل أسرة جديدة حاكمة للبلاد ، وبدأ العامة يتطلعون إلى الأسرة القادمة والتي ستحكم المدينة ، ويتسألون هل ستثبت أقدامها فيها ، ويرضى الملك الهارب ابن صيرم وقبيلته الخضوع للملك الجديد ؟!
وبدأت مظاهر التغيير تحدث دون إعلان ذلك للناس ، وبدأت تصل هذه التغييرات إلى الملك الهارب وحاشيته الذين انتشروا في المدن المجاورة والأرياف ، وأخذ الوزير بمصادرة أملاك وأموال الملك وأعوانه المعروفين .
فكان ابن صيرم يقول لقائد معه: أصحيح ما يرد من أخبار ؟!

رد المعاون : الجواسيس تتحدث عن ذلك ، وأنهم يطلبون المزيد من الجند ، ويرغبون بجلب قبيلة كبيرة للاستقرار في المدينة ، وسيتولى الجيش حكمها حتى تستقر قبيلة عزام كلها فيها .

قال : ومن قبيلة عزام هذه ؟

قال المعاون : هذه قبيلة تنتشر في مدينة اللؤلؤ ، ومدينة حميد ، ومدينة ضياء سيجمعهم الوزير غالب في بلدنا ليكونوا حكامها .

وقال الملك بجنون : ونحن سنبقى في المنفى !

قال : قد يطاردوننا كما فهمت من بعض رجالي في المدينة .. وعلينا تجميع فلول جيشنا وننشئ جيشا قويا لغزو المدينة قبل تمكن هؤلاء منها أو تقسمها بينك وبين أحد الملوك ؛ لعله يقبل بمساعدتنا.. ولا نعتمد على اللصوص والمطاريد من بلادهم .. فهؤلاء أول من يهرب عند

اللقاء ..ويضعفون باقي الجند بفرارهم .

قال بحسرة : الآن لا ينفع البكاء على الأطلال .. علينا القتال حتى الموت .. أنا أعترف بأني تسرعت في الهجوم على مدينة حميد الملك .. لقد ظننت أن حلفهم مع مدينة سيف ضعف ، وسيتركونهم لنا فريسة سهلة .. وهم يعتقدون أنهم تهاونوا في حماية زرارة .. ما كان علينا أن نسمع قول ذلك الكاهن بقتل زرارة ظلما وغدرا لتأجيج الحرب بين سيف وحميد .. فها نحن خسرنا كل شيء.

قال المعاون : أذكر أنهم قالوا لك إن هذا الكاهن موتور ونذل وخائن وهارب من سجن المدينتين .. وإن غضبهم من زواج سفانة لن يفصم تاريخ البلدين .

قال : نعم ، قال بعضهم لي ذلك .. غرتني الأماني ، فسارعت بإرسال عصابة اللصوص لاغتياله ثم أطعته في خطف وأسر أبناء الأميرة .. هل أستسلم لهم ؛ ليعود ابني ملكا ؟!

قال : هم شرطوا ذلك علينا قبل المعركة الأخيرة .. لا ندري رأيهم اليوم .. وقد بدأوا بلم تلك القبيلة .. وأين ذهب ذلك الكاهن الخائن الذي تآمر على حياة الملك الذي كرمه ورفع من شأنه ؟

ضحك صيرم غلا وقهرا وقال : هرب كما هربنا!

قال : إنه رجل شؤم وسوء وشرير ليتك تخلصت منه .

قال النعسان :كان صديقا مقربا من زرارة .. حرك مطامعي لحكم مدينة حميد .. طمعت بتحقيق ما لم يحققه أجدادي بتوسيع ملكنا والاستفادة من خصوم حميد الذين يعيشون في بلادنا .. فعرف الكاهن اللعين هواي .. فلعب على ذلك الوطر .. ورأيت الأمر سهلا .. لقد رأيت بنفسك كيف دخلنا نصف البلاد دون مقاومة قوية ؟ رأيتها فرصة قد حانت من تدهور علاقات المدينتين.

قال المعاون : وقام والد زرارة قديما بطردنا ،

وقويت صداقته بوالد حميد ؛ ولكنه يومذاك لم يغزنا اكتفى بطردنا .. وكانت بيننا المواثيق .. شاعر تسبب بتدمير مدينتنا .. الملوك يرفضون استقبالك خشية أن يتهموا بالتواطؤ معنا ضد سيف .. علينا بتجميع أنصارنا وفلول جيشنا .

قال الملك : يطول الأمر .

قال : ما الحل يا مولاي الملك !

فقال بحيرة :بقاؤنا في أي بلد سيعرض شعوبهم للقتل والمعارك ..ضاقت علينا الأرض بما رحبت .. أسلم نفسي لسيف .

قال المعاون :ودم جده ..سيعرف أن لنا يدا !

قال : ذاك الكاهن هو الذي قتله ، وشجع اللصوص على قتله .

قال المعاون : بصمتنا ودعمنا .

ركبت الحيرة الملك كان يعتقد أن جيشه أقوى الجيوش وأكثرهم شراسة وندا لجيش اللؤلؤ إذا تطورت الأمور ، وتمنى لو أنه أصغى لوزيره لقد نبهه على قوة جيش الملك سيف ، وأن أفراده متجانسون ، ومن عدد محدود من القبائل فقط ، وأن الاعتماد على اللصوص وقطاع الطرق اعتمادا مهزوزا وفاشلا ؛ لأنهم لا يقاتلون عن مبدأ غايتهم المال والنهب والسلب، هم ينفعون فقط في الغارات والانسحاب بما غنموا ؛ لذلك كانوا سببا في ضعف الجيش والدفاع عن المدينة ببسالة .

كتب ابن صيرم رسالة استعطاف لأحد الملوك ويحثه فيها على التوسط بينه وبين سيف ، وإنه سيكشف له قاتل الملك زرارة .

قرأ الملك عادل رسالة الاستعطاف وأعطاها لوزيره وقال : أين ذهبت غطرسته وتكبره ؟ رسالة ذُل وخضوع !

قال : لكني سمعت يا مولاي أن الملك سيف سيؤسس مملكة جديدة في المدينة وأن حكم أسرة صيرم انتهى .

قال : وهل سيكتب لها الدوام ؟ والرجل سيدلنا على قاتل زرارة المقتول ..ونحن بشفاعتنا بينهم نستطيع أن نعيش بسلام إلى حين من الزمن .

قال وزيره : الملك سيف وقادته مصرون ـ كما تصل إليّ الأنباء ـ على خلعه قبل احتلال المدينة فكيف بعد السيطرة عليها كما ينقل لنا التجار والمسافرون ؟!

قال : نذهب ونتشاور مع الملك سيف ووزيره .. فهو مستعد للتنازل عن العرش لابنه ، وأن يعيش أسيرا في بلده .

قال : القول الفصل أيها الملك ليس لنا .. القول الفصل للملك سيف ووزيره وقادته .. وسآخذ هذه الرسالة إلى الملك سيف وأسمع رأيه .

قال : لماذا لا تذهب بها للوزير أولا ؟

رد : قد يغضب الملك سيف .. فهو مع الجيش .

قال : يغضب.. أليس القول الفصل للوزير ؟

قال : صحيح ؛ ولكن الملك موجود ، لابد من رأيه ومشاورته .. وهل تظن أن الملك النعسان بريء من دمه ؟!

قال بتردد : الرسالة توحي بذلك .. إنه يعلم قاتله .. ولا يد له في قتله .



هرب السجناء

قبل دخول الملك سيف مدينة صيرم هرب حراس بعض السجون خشية الوقوع في الأسر أو يصرعهم السجناء ، كان ممن هرب الأمير كساب ـ هو لما أسر أسر على أنه تاجر ، لم يعرف في تلك المدينة بأنه أمير ـ وسار بعد تحرره ، ودخول جيوش سيف البلاد إلى زوجته ، وقص عليها خبره ، وخبر الحرب ، واستعد هو وأسرته للانتقال إلى مدينة أخرى .

قالت الأميرة : أنا كتبت للملك سيف من أجلك وناشدته أن يسعى في فك أسرك فما رأيك أن نعود لبلادنا ؟ فالملك الوالد قد مات وأختي خلود علمت ـ كما تعلم ـ من إخوتك أنها تصالحت مع أمي والملك سيف .. وهي تتردد بين المدينتين .. والملك سيف هو ابن أختي أمامة وهي أول من تزوجت دون رضا الوالد .

قال : أنا خطر لي ذلك قبل الأحداث الكبيرة وأنا في السجن ؛ لكن هل سيقبلنا الناس بعد خروجنا ؟

قالت : المهم أن نعيش بسلام كما نعيش هنا .. نبعد عن السلطان والأمراء .. ونعيش بأمان .. والأولاد من حقهم أن يعرفوا أقاربهم وملكهم .

قال موافقا : إذن علينا أن نرتب رحلة مع قافلة تجارية .. وقد عادت التجارة كما كانت بين البلدين ؛ ولعلنا ندرك آباءنا وأمهاتنا أحياء يا عزيزتي .

قالت : إذن نرحل وهناك نكشف أمرنا للناس .

طفق كساب التاجر يرتب لعودة أسرته إلى بلادهم التي هربوا منها ، ولما وجد القافلة المسافرة لبلاد اللؤلؤ جهز بضاعته وأسرته ، وتحركت القافلة بعدما جهزت إلى بلاد الملك سيف ، وأثناء الطريق حدثهم قائد القافلة عن المكان الذي تعرض فيه الملك زرارة للغدر ، فذرفت الأميرة الدموع على والدها الذي قتل غدرا حتى أن بعض رفقاء القافلة تأثروا بدموعها وشاركوها الحزن .

تابعت القافلة السير حتى دخلت بلاد الملك سيف بسلام ، ولما نزلت الحمولات في الخانات القريبة من الأسواق استأذن كساب القائد لزيارة بعض المعارف ، وذهب منفردا لقصر والديه وعانق الرجل والديه ، وذرفت دموع اللقاء ، فهم

لهم عدد سنين لم يجتمعا ، وإن كان بعض إخوته يمرون عليه في أثناء تواجدهم في مدينة حميد على أنهم أصدقاء وأبناء تجار .

وبعد حين أحضر زوجته وأولاده لقصر أسرته ، وعانقت الأم كنتها، وشكرتها على شجاعتها وتعشوا معا.

وفي الصباح ذهبت الأميرة إلى قصر جدتها لتقابل أمها عزوف ، وتتعرف على شقيقها ابن مناع ولما أخبرت الملكة بأمرها خرجت إليها مسرعة وعانقتها بحب وشوق وسعادة ، وذرفت الدموع الغزيرة ، وكان لقاء حميميا جياشا .

وتحدثا عن حياتها وأخبارها ، وقابلت أخاها الذي التزامها ورحب بها .

وأرسل الأمير غلمانا لإحضار الأمير كساب وأولاده الخمسة ، واستقبلت عزوف أحفادها وصهرها بشوق ، وعلم أهل القصر ومن حولهم بمجيء الأميرة بانة .

وأقامت عزوف وليمة كبيرة بهذه المناسبة، ودعيت إليها سفانة التي رفضت الحضور وحتى لما أخبرت بسبب الوليمة أصرت على رفض الحضور .

وقالت بانة : أنا سأذهب إليها .

وتذكروا خطف أولادها ، وأنهم ما زالوا مفقودين ، وقضى القوم ليلة في ضيافة الملكة ، وكتبت عزوف رسالة للملك سيف تخبره بعودة خالته بانة للبلاد ، ونجاة زوجها من أسر ابن صيرم .

وفي الصباح زارت الأميرة شقيقتها سفانة وعزتها بأبيها ، وشكرت سفانة لها مجيئها ، ولم تظهر أي حزن على فراق ذريتها ، وحدثتها عن مشاكلها مع أمها ، وبغض ذهابها لقصر أمها أو جدتها وكرهها لأخيها من أمها ، وحدثتها بانة عن الصلح والمصافاة مع أمها ، وبينت لها عذر أمها بالزواج من مناع أثناء نفيها وطردها من قبل والدهم ، وكان الزواج اضطراريا ، فهي تعيش وحدها مع خدم ودون حرس ،ولم يطلبها إلا ذاك الرجل ، وذكرت لها أن الرجل تاب منذ غادر المدينة ، فهو لم يعد لصا ، وكثير من اللصوص تابوا ، وصاروا علماء وملوكا، وفي النهاية قالت : أبوك طلق أمنا ، والابن رياض لا دخل له في جرم أبيه وزواج أمنا قالت بشجاعة : أنا أعترف أني مخطئة في حق أمي !

قالت بانة :أمي لم تكن مقصرة مع أبي .. وقد رأت بنات الأمراء والسادات يتزوجن ويلدن .. وبنات الملك دون أطفال وأزواج .. وأمي لم تر رأي أبي حصيفا في عدم تزويجنا لمنام رآه .. ولم يغير رأيه ، وقد كبرنا .. والكاهن اللعين يضخم له أمر الموت على يد حفيد .. وها هو قتل على أيدي اللصوص وقطاع الطرق .

قالت : وسيف حفيده، وكان سبب موته.

قالت بحيرة : هو الذي قتله ! الملك نفسه طلب

العودة لما علم باعتلاء الحفيد العرش ..وهل يرفض الحفيد رغبة جده؟ .. أبي تأكد أن المنام أضغاث أحلام وإلا ما غامر بلقاء الحفيد الذي ماتت أمه بسبب إهماله علاج أمه .. هل نقول إنه قتلها يا سفانة ؟!وأبي لم يطلب منك الحزن للأبد .. ولم يجبرك على الرحيل كما أراد عند طلاقك الأول .. حزنا وبكينا كسائر الخلق .

قالت : أنا عشت معه في سنواته الأخيرة ، وعرفت الضيم الذي حل به من خلعه عن الملك .

قالت بانة مبررة : هذا تقليد في جميع المدن .. ثلاث بنات للملك تزوجن دون موافقته ورغبته

قالت : إنني أحب أبي .

قالت بانة : ونحن نحبه أيضا .. أترينا نبغضه ؟!

قالت : أصبح وحيدا.

حكم المدينة

عرض الوزير غالب حكم مدينة حمصان على زعيم قبيلة عزام المنتشرة في بلاده ، وبلاد الملك حميد وغيرها من القرى ، وقبل زعماء القبيلة العرض بعد إقناع الوزير لهم ، وأنهم سيبقون تحت الحماية لمدينة اللؤلؤ حتى يستقر ويثبت لهم الحكم .. وسيبقى عدد من الجيش لحماية البلاد حتى ينشأ منهم جيش يستطيع حماية الملك .. وسمح لهم بإجراء تحالفات مع قبائل تقل عنهن قوة وعددا.

وعلى هذا الأساس بدأت قبائل عزام تزحف إلى المدينة ، وتم تمليكها المنازل الخالية للهاربين ، واختيار بقعة فارغة من العمران لإنشاء مركز قوة لهم ، لا يسكن فيه إلا القبيلة والحلفاء لهم من القبائل الأخرى .

ولما وصل الكثير من أفراد القبيلة اختير أحد أبناء الشيح علي ملكا على البلاد ، وشكل له حرسا من أقاربه ، وكل ذلك برعاية الوزير وقائد جيش بلاد اللؤلؤ الأمير حفص ، وموافقة الملك سيف .

وبعد شهور ثلاثة أعلنت البيعة له ، وطلب من أعيان المدينة بيعته والولاء له ، ومن يرفض ذلك عليه الرحيل ، ومن لم يعجبه التغيير عليه الرحيل إلى أي البلاد شاء ، وأخذ رجالات المدينة الذين طلبوا الأمان ، يتوافدون على قصر الملك لبيعته ، وكذلك فعل التجار ، ، وبدأت الملوك المجاورة ترسل الوفود للتهنئة للملك الجديد .

وكانت قبضة الملك سيف قد سيطرت على كل مفاصل البلاد والحكم ، وتأسس نظام شرطة جديد من أبناء القبيلة ومن شبان المدينة .

واستعد الملك سيف لمطاردة الملك ابن صيرم ، وقد رفض شفاعة الملك عادل ورسالة الاستعطاف ، ورد عليها أن صيرما له يد في اغتيال جده زرارة بتعاونه مع اللصوص لقتل جده ولغزو اللصوص بلاد حميد وأسر أبناء خالته ، وأنه الراعي لكل الفتن .

خرج الجيش الملكي من المدينة بعد تركه حامية من خمسمائة جندي ، ووعد الملك الجديد حسن بإبقاء ألفي جندي عند العودة لبلادهم حتى يستقر الحكم ، وينشأ جيش منهم .

وسمح الملك حسن لأبناء القبيلة بالزواج من بنات ونساء المدينة ؛ لتعميق الصلات بأهل المدينة ونكح بعضهم قريبات الملك الراحل .

جن جنون ابن صيرم المختبئ في الجبال والكهوف بين المدن مما سمع من أخبار ، وعلم من الملك الذي شفعه أنهم يتهمونه برعاية قتل الملك زرارة ، وخطف أبناء خالة الملك سيف ، فأدرك النعسان أن أمره مكشوف ، وليس أمامه إلا الهرب والاختفاء أو الموت ، وأن مملكته سوف تتلاشى مع الزمن .

وكتب متوسلا لبعض الملوك البعيدين يطلب دعمهم ومؤازرتهم ؛ لاسترداد ملك آبائه وقبيلته وطلب من قائد جيشه غضب إنشاء جيش لغزو البلاد عندما يجد حليفا وطامعا .

وحاول أعوانه الذين لم يهربوا إثارة بعض القلاقل خلال تلك الشهور من الاحتلال ، فكانوا يواجهون بصرامة وقوة وردع عنيف .

وحتى المحاولات الخارجية لم تنجح مع جيوش الغزاة ، فقد كانت سمعة ابن صيرم في الحضيض لدى المدن الأخرى .

لم تستطع عيون ابن ظفار تحديد مكان اختفاء ابن صيرم ؛ لأنه لم يقبل أي ملك استقباله في بلاده خشية من غزو الملك سيف .

فوضعت جائزة مغرية لمن يدل على مكان اختفائه ، وكل قافلة تجارية تدخل المدينة تخضع للسؤال عنه ، وعن أتباعه لعل أحدهم صدفهم في طريق في جبل في واد .

وذكرنا أن أنصار وأمراء صيرم تفرقوا في المدن المجاورة ، لم يستقروا في مكان واحد ؛ بل تشتتوا في عدة مدن .

فكان سيف بعد مضي العام يقول لقائده : سأعود للبلاد كما فعل الوزير وعليك بمتابعة المهمة وقد سمعت من عسكر القائد عن رغبة وزير النعسان بطلب الأمان وسنعطيه ذلك ..كما سمعت منه ، ومن لقائه بالأسرى لم يكن لنا عدو ، ولم يكن مؤيدا للملك في ظلمه وعدوانه ..

وهو الآن يعيش بعيدا عن الملك ابن صيرم ونحن يهمنا أن نقلل من أعداءنا لثبات الحكم الجديد

قال حفص : يعطى الأمان ..ولا يسمح له بالعودة إلى حين ؛ ربما عشر سنوات ؛ فإذا قبل ذلك سنمنحه السلام له ولمن شاء من أقاربه وأهله .

كتب القائد للوزير الهارب بهذه الشروط والعفو ، فقبل الوزير الشروط وتبرأ من أفعال الملك ابن صيرم ، وأكد لابن ظفار خطف أولاد الملكة سفانة

، وأنهم أسرى لدى الملك ، وأعلمه أنه لا يعلم مكان اختفاء الملك ، ونفى أن يكون لجأ إلى أي ملك ، وأنه لا يثق إلا بقائده غضب وبعض رجاله ، وأنه كان يقوم بأعمال سرية دون اطلاعه عليها من قتل وخطف نساء وسرقة جواهر .

وبين له أن للملك علاقات سرية بلصوص وحرامية المدن ، وأن رجلا جاء المدينة والتقى غضب ، ثم الملك وحرضه على التآمر على الملك زرارة ، وزعم له أنه بقتل الملك تحدث فتنة بين البلدين تمهد لغزوه لبلاد حميد .

ولما سأل سيف القائد عن هذا المحرض والمتآمر والمشجع على قتل زرارة قال القائد : إنه صديق الملك زرارة الكاهن الشرير غياث .

صاح سيف : يا الهي ! أمعقول هذا ! لقد كان صديقه الحميم .

قال : هذا كلام الوزير لابن ظفار .. فهو قد هرب من سجن بلادنا بعد خلع جدكم .. ثم هرب من سجن الملك حميد . . قال سيف : أريد هذا الرجل الخبيث !

قال حفص : نحن نبحث عنه، فقد طلبت من العيون بالقبض عليه أثناء تجوالهم في المدن والأمصار ؛ ولكننا لم نصل إليه بعد .. ولا ندري أهو حي أم لا ؟ وهو ماكر مخادع !

قال : لعله مع الملك!

قال : لعله مع الملك ؛ ولكن الوزير أخبر أنه اختفى قبل غزونا لبلادهم .. وسنبحث عنه مهما طال الزمن .. ومهما تنكر وزور .

المغامرة

لما علم الوزير غالب بما أخبر به وزير صيرم من تآمر الكاهن على حياة زرارة استشاط غضبا ونقمة عليه ، وأنه غدر بالملك ولي سعادته ؛ ليثير الحرب بين البلدين لصالح صيرم .. فكم دافع وقاتل زرارة عن الكاهن ؟!ورفع عنه عقوبات وظلمات أصابت الرعية منه ومن أعوانه ، ورجح أن يكون هو الذي حاول قتله بالسم لنفس الهدف الجنوني .

فمنح الوزير القائد ابن ظفار شهرا واحدا ليأسر غياثا ، ويعرف مكانه على الأقل ، فغادر عسكر البلاد بمائة فارس للبحث عنه ، وسينطلق البحث من مدينة الملك الجديد حسن بن علي ولما لم يستطع جيش سيف معرفة مكان صيرم أعيدوا للمدينة ينتظرون كشف المكان .

أرسل ابن ظفار ثلاثة من رجاله الأذكياء للقاء وزير صيرم ، وسماع قصة غياث مرة أخرى ، والأماكن التي قد يكون هرب إليها .

فقال لهم الوزير لما علم أنهم من رجال ظفار في خلوة : هذا الخبيث له صداقة قديمة مع الملك كلما يأتي البلاد يخص الملك بزيارة . . يُستقبل لدى الملك كضيف وصديق .. ويمكث زمنا ، ثم يذهب،

ويعود بعد سنوات .

وتابع الحديث : وهذا أمر عادي بالنسبة لنا .. فالملك له معارف من كثير المدن بسبب مغامراته النسائية والعاطفية .. ثم ظهر فجأة .. وعلمت من الملك بأن الرجل يشجعه على غزو بلاد اللؤلؤ وإعادة الملك زرارة لحكمها ، وأن يقاسمه العرش ؛ لأنه الملك الأحق بها .. وبينت للملك النعسان صعوبة ذلك الأمر .. وأن هذا العمل صعب تحققه .. والملك كان مقتنعا بصعوبة ذلك وسمحنا له بالحياة بيننا ، ولا أعلم بما كان يدبره مع الملك لقتل زرارة ؛ لأن علاقته كانت شخصية مع الملك .. فكان يختفي ويظهر ، ثم علمت بقتل زرارة أثناء عودته لبلاده على أيدي لصوص وقطاع طرق .. ولما ظهر الكاهن في القصر الملكي ومن كثرة لقاءاته بالملك ارتبت ببعض الأمر ؛ ولكن الأمر بدا واضحا بالنسبة لي بأن لنا يدا بقتل زرارة .. وسمعت الملك يتحدث عن حرب قد تحدث بين بلادكم وبلاد حميد .. وأن في ذلك مصلحة لنا لغزوها وتنصيب ملكا من أقارب حميد بدلا منه يكون مواليا لنا .. فشممت راحة للملك بمؤامرة القتل وكان الرجل قد أصبح من جلساء الملك ، ويظهر معه في الديوان والقصر ويتحدث عن توسيع المملكة والحرب والحاجة للمزيد من الأموال وتقوية الجند ..فأستغرب من تحدثه بذلك مع الملك ؛ كأنه سيد كبير ..والملك لم يكلمني عنه أو يفصل إلا بإشارات مبهمة ..وكان الملك يحب ويهوى الحديث عن هذه الأحلام والتوسع والانتقام

ومضت الأيام ولم نسمع عن حرب بين المدينتين ، وبدأ يكثر اللصوص والمنفيون في بلادنا دون أن يوضح لي الملك ذلك .

ثم رأيت هؤلاء اللصوص وبعض رجال القائد غضب يغزون بلاد حميد ، ودخل بعضهم المدينة على أنهم تجار ، ثم غزا الملك بنفسه تلك المدينة ، ثم تدخلتم ، وتم طرد جيوشنا ، وعودتنا للبلاد والحصار وسقوط المدينة .. ونحن هربنا في مدن شتى .. فلجأت إلى هذه المدينة لصداقتي مع وزيرها وأهلها .. وهام الملك على وجهه ، لم يقبل أي ملك لجوؤه إليه لعدم رغبتهم بالحرب مع ملككم الشاب سيف .

وقد يكون غياث مع حاشية الملك أو هرب بعد توريطه الملك بهذه الحروب الخاسرة .. وهو رجل ذكي وقادر على التنكر والتخفي بشخصية شحاذ فارس .

وذكر الوزير بعض الأماكن التي يتردد إليها اللصوص والمنفيين من بلادهم ، وقد يكون الملك ابن صيرم بينهم.. فهو من عشاق لصوص المدن .. وكان يزعم بصداقته لهم أنهم لا يسرقون بلاده ..

وكان بفعله ذلك يغضب جيرانه الملوك .. فبعضهم بل أكثرهم قتلة وهاربون من شرطة بلادهم .

كان المهمة واضحة لعسكر وأعوانه العيش مع اللصوص ، ووزع رجاله إلى عشر مجموعات لدخول عشرة مدن حول مدينة صيرم ، فكما دخلوا خفية خرجوا خفية .. عليهم أن يعملوا كشحاذين كباعة بضاعة متجولين كأصحاب عاهات .. وطلب منهم التعسعس في القرى الملاصقة للمدن ، ولا تبعد عنها كثيرا لحاجة اللصوص لشراء الأغذية من المدن الكبيرة .

وبينما الفارس جابر يدخل أحد الأسواق الكبيرة في مدينة نوف ، ومعه حمار وكبشان يتظاهر بأنه يسعى لبيعهم في السوق ، وأنه قادم من قرية بعيدة .. وبينما هو يتجول بهما سمع أحدهم يساوم تاجر ماعز على شراء عدد منها لأحد الملوك .. فتسمر جابر مكانه يتسمع .

فقال التاجر : يا رجل سواء اشتراها ملك أم عبد .. كل رأس بعشرة دراهم .. السوق ملآى بالخراف .. هذه خمسون رأسا بخمسمائة درهم .

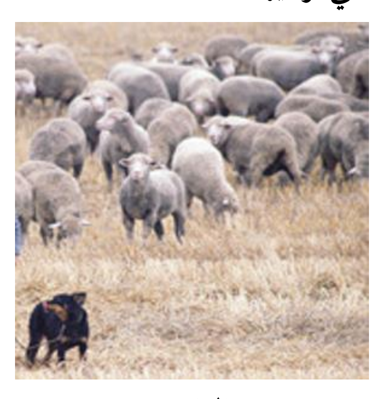
قال : خمسة دراهم في الرأس جيد .

قال مرة أخرى : ملك يمر بضائقة مالية كسائر الناس .

ردد التاجر كلام الرجل وقال : هذه أول مرة أسمع بمثل هذا يا هذا !

كان جابر يطمع بسماع اسم الملك الفقير ، ومن أرسله لشراء هذا الكم من الخراف فأسرع ببيع حماره وكبشيه بثمن بخس ، واشتغل بمراقبة الرجل .. واشترى الرجل الخراف وبعد بها عن التجمع .. وكان جابر قد عرض عليه أن يساعده .. فقبل الرجل وكان الفارس يقول: إذا أردت راعيا فأنا أعمل راعيا يا سيدي !

أعمق النظر فيه وقال : أنت راع .. ابق عندها حتى أشتري غيرها ..إياك والهرب .. قد أسمح لك بالبقاء معي لرعيها.



الراعي

أصبح الفارس جابر الراعي هجرسا ، أمره الرجل سرحان بحفظ الغنم حتى يشتري المزيد منها ولما اشترى ما يقارب المائة منها استأجر هجرسا كراعي معه حتى يصل بها لأصحابها الذين كلفوه بشرائها ، وهم الذين سيقررون بقاءه أو صرفه .

مضت أول ليلة وهم يسيرون في الدروب والوديان ، وفي الطريق قال هجرس لسرحان : لو ابتاعت

كلبا ما دامت الطريق بعيدة .

قال سرحان : عندما نصل الديار سيكون معها الكلب .. والكلب مزعج أثناء الطريق .. أتركت الرعي؟

قال : اشتغلت به سنوات وسنوات لدى الكثير من الأغنياء والسادة . وعدد أسماء من عمل لديهم ، ثم قال : أنا كل سنة أمضي لأهلي، وأقضي عندهم عددا من الأيام ثم أمشي لسوق هذه البلدة نوف ، وقد ملكت حمارا وكبشين وبعتها .. ثم أتنقل بين التجار والرعاة حتى أوفق لعمل وآخر شخص عملت عنده الشيخ سلطان بن همام ..وهو وهبني حمارا وعنزتين.. وقد رأيتني أبيعهما في السوق .. ولما رأيتك تشتري هذه الأغنام عرضت نفسي عليك .. فأنا غير مربوط مع أحدهم هذه الأيام ؛ فإذا قبلتم بي عملت معكم هذا الموسم .

قال سرحان : قد يقبل السيد الذي أعمل معه أن يستأجرك لموسم أو أكثر .

ومضت ليلة ثانية وثالثة عندما دخلا واديا فقال سرحان : هنا يا ولد .. هنا يا ولد مرعى السيد

نزل من بعض المغر عدد من الرجال وقال أحدهم : اشتريت الغنم ..ومن هذا؟!

فرد سرحان : ابتعها من نوف .. سوق نوف الكبير .. واستأجرت هذا الراعي ؛ فإذا كان لنا فيه حاجة نستأجره ، وإن لم يكن بنا حاجة إليه ننقده أجره وينصرف راشدا .

قال : كم أجره ؟

قال : عمل أخر موسم مع الشيخ سلطان بن همام على حمار وعنزتين .. وأما نحن نعطيه في اليوم ربع درهم .

قال : وأهله!

فقال سرحان : كلما تيسر له ذهب إليهم.. وهو من غير زوجة ..إنما هما أمه وأخته وبعض خالاته وله معي ثلاث ليال .. أجره عن كل يوم درهم بسبب السفر وصرة طعام .

قال : فليبق حارسا للغنم حتى نفصل في شأنه .

ساقه سرحان إلى وادي الرعيان ، وعرفه على الراعي شاليش ، ورحب به شاليش ، واعتبره أخا له .

وسأل هجرس : أهذه عشيرة تعيش في هذه الجبال العالية؟

قال : عشيرة صغيرة يا هجرس .. من أي العربان أنت ؟

عاد هجرس وروى قصته وعمله في الرعي كما رواها لسرحان ، ولما انتهى قال : وأنت من أي العربان ؟

قال شاليش : أنا مثلك من سكان المدن ..كنت راعيا عند الملك .

تظاهر جابر بالدهشة والخوف : راعي ملوك !

كنت راعي ملوك ! وايش رماك على هذا الوادي ؟

تنهد شاليش وتحسر : الزمن يا هجرس .. جار علينا الزمن .

تظاهر بالسذاجة وقال : طردك الملك .

قال : لا ، لا ، يا هجرس غدر بنا الزمن

قال : مات سيدك الملك .

قال : لا ، لا ، ما مات .. ناس اعتدوا علينا ، واحتلوا بلادنا .. فهربنا بالمال والحلال .

قال : تعيشون في المنفى والكهوف .

قال بحزن عميق : نعم ، نعيش في هذه الكهوف بعد القصور .. أنا حزين لسيدي الملك .. حزين لسيدتي الملكة بعد العز ننام في المغر .. الزمان دوار

تظاهر جابر بالإجهاش بالبكاء والحزن وقال : حزنتني على الملك والملكة .. وما هو سبب هذه البلية يا أخي شاليش ؟

مسح دمعات سالت على خديه وقال : السبب طمع بني الإنسان فيما عند أخيه

قال : الملك سيدك يعيش هنا .

قال بأسف : نعم ، يعيش في إحدى المغارات .. ما عاد لنا صديق .

قال : مسكين هذا الملك ! أنت عندك كلام كثير لا تحب قوله .. احفظ سرك يا أخي .. أنا قلبي معك .. أنا ما أحب الحزن كثيرا ؛ لكن هذه الدنيا لا تخلو منه .

قال : أنت طيب يا هجرس ..الدنيا ملآى بالنكبات والآلام .

قال : صدقت يا شاليش .. ألك زوجة ؟

قال : زوجة وماتت زمان ..وأنت !

قال جابر : لم أتزوج .

قال : عيال ما عندك ما دامت لم تنكح .

قال : ما عندي عيال .. كنت أرعى أولاد أختي .

قال : أنا كان معي رعيان كثر ؛ لكنهم ظلوا بالمدينة لما خرجنا منها ؛ لعلنا نعود للمدينة ، وتعود معنا يا هجرس .

قضى هجرس عددا من الأيام مع الراعي شاليش ، وكان الراعي يذهب صباح كل يوم قبل انطلاقهم للرعي في الجبال والأودية بثلاثة أو أربعة خراف إلى سرحان والطهاة كما يخبر ، ويعود بعد حين ومعه بعض اللحم ، فيقومان بشيها وأكلها ، ثم يسرحان بالغنم ، وكانت الأغنام تنقص فما مضى عشرة أيام حتى نقص منها الكثير .

فقال جابر : كل يوم يأكلون اللحم .

قال : اعتاد السيد على أكل اللحم من أيام العز .. كان بعض الأيام يذبح عشر فأكثر .. اليوم نحن فقراء .. القائد يسأل عنك .

قال : سرحان!

قال : سرحان ليس بقائد .. سرحان يعمل مع الطباخين ؛ولكنه الذي يشتري الأغنام من

الأسواق البعيدة.. القائد يسأل هل ستظل للعمل معنا أم ترغب بالعودة لديارك في نوف ؟
قال : أنا قلت لسرحان أستطيع أن أعمل معكم لموسم سنة أو أكثر .
قال : إننا نحتاج خلال أيام لمزيد من الخراف.. فيمكنك الرحيل مع سرحان لجلبها والعودة أو الرحيل .
قال : أنت بماذا تنصحني ؟
تنهد الراعي : الحياة هنا شاقة وصعبة كما ترى .. والبقاء هنا يعني أنك ستذهب كل بضعة أيام للشراء .. ففكر بأمرك وأنت رجل طيب .. علمت أن السيد هذه الأيام في ضيق .
قال : لماذا ؟
قال : الملك لم يعد لعرشه ، وأصبح طريدا ورأسه مطلوبة من قبل خصومه .. الحياة في الكهوف والجبال شاقة يا هجرس حتى أنا أقاسي منها مع أنني راعي .
قال : أنا تعودت على حيّاة البر والشعاب والحر والبرد .. لم أعرف الحياة في القصور والتخوت.
بعد مضي أسبوع أخر جاء سرحان المرعى ، وأخبر هجرس بأمر الذهاب للمدن لشراء الغنم
فرحب هجرس بالرحلة .
وخرج الرجلان من الجبل المقيم فيه الملك الهارب واتباعه العدد القليل ، وكانت خطة سرحان المسير لمدينة نوف أو مدينة نعمان لشراء مائة رأس من الغنم ، وتأخذ الطريق إليهما ثلاث ليال ومسموح له البقاء ثلاث ليال للشراء .. والعودة للجبل ثلاث ليال ، وليلة عاشرة احتياط .
ولما دخلوا نوفا طلب هجرس زيارة قريته بليلة واحدة يعطيهم ما تحصل عليه من مال ، لأمه وأخته ، ويطمئنهم على حياته ، والعودة لمدينة نوف إلى خان دله عليه سرحان ، وإذا لم يجده يتبعه إلى نعمان ، وذكر له خان أسد الدين .
أخذ هجرس طريقه إلى مدينة صيرم ، وقد اشترى فرسا من أحدى القرى ، والتقى بالقائد ابن ظفار الذي فرح بعودته ، وسعد بما حمل من أخبار، فقد كانت خطته أن يلتقي برجاله كل خمس سبع ليال .
ذكر له المكان الذي ينزل فيه ابن صيرم وخمسمائة من أتباعه المخلصين .. وأنه مريض وعلى وشك الموت كما يثرثر الراعي شاليش .. وقد أثر فيه القهر والغيظ وأنه لم يسمع عن وجود غياث معه ومع حاشيته .
وأمره عسكر بالعودة إلى نوف والعمل راعيا ، وأن يضع علامات في الدرب الذي يسلكونه لتساعدهم بسرعة الوصول للجبل ؛ بل سيسبقهم بعض رجاله قبل شراء الغنم .
في مساء اليوم التالي كان هجرس يعود لنوف باحثا

عن صاحبه سرحان ، فأخبره صاحب الخان بمسيره لسوق نعمان لشراء المزيد من الغنم ، وسار لهناك والتقى به ، ففرح سرحان بعودته واطمأننه على أهله ، وشروا عددا من الغنم من سوق نعمان ، ومشوا بها نحو نوف ، ولما كمل الشراء تحركوا بغنمهم نحو الجبال التي يختبئ بها ابن صيرم ، وأقرب الناس إليه .

وقال : هذه تكفي القوم شهرا يا هجرس .. وليس لدينا وقت لتربيتها وولادتها .. وشاليش أحبك وأثنى عليك وراغب ببقائك معه .

قال جابر : إنه رجل طيب ، ورجل وفي ! وهو الذي أقنعني للبقاء معه في تلك الجبال .

فقال سرحان بحزن وحنق : كنّا في سعادة يا هجرس حتى جاء ذلك الرجل الشؤم .. وشوش على السيد .. كم نصح الوزير مولاي بعدم التحرش في بلاد الملك حميد .. وذكره بما حل بأبيه من هزيمة .

قال : وهذا الرجل الشرير اللعين أما زال مع الملك ؟

قال بغيظ : هرب قبل غزو بلادنا .. آه ! لو أمسك به لقتلته بنفسي .. مرض الملك هذه المرة أرى فيه النهاية .. كان القائد غضب من المتحمسين للقتال والشهرة ؛ ولكنه سقط عن الجواد وكسر ظهره ، ثم مات قبل شهور ؛ ولكن أولاده مع الملك

تظاهر جابر بالحزن والشفقة وقال : مسكين الملك !

قال : نعم ،إنه أكبر مسكين ! الملك اليوم يعض أصابعه ندما .. لقد تخلى عنه الصديق والحبيب حتى بعض أولاده تركوه وخرجوا من الجبل .. ومنهم من سلم نفسه لعدو الملك .

قال: لا إله إلا الله ..كل ذلك من ذاك الرجل الشرير .. ما اسمه حتى لو صدف به الإنسان حذر منه ؟

قال بحقد : اسمه غياث ..ورطنا في هذه المعارك واختفى .

قال : اختفى !

قال : نعم ، اختفى ؛ لكنني سأبحث عنه وأخلص الدنيا منه .

قال : أنت !

قال : نعم ، أنا ..إذا مات الملك سنتفرق ونتشتت ، وسيكون هو غايتي إلى آخر يوم من حياتي

قال جابر : إنك تكرهه بشدة يا سرحان!

قال بغضب : إنه الشيطان بنفسه .. لقد أساء لي شخصيا في يوم من الأيام .. ولولا حماية الملك له لطعنته بخنجري هذا .

موت الملك

ولما وصلوا الجبل ساق هجرس الأغنام إلى مرعاها عند شاليش ، وذهب سرحان للقائد ضرار وعلم

هجرس من الراعي أن الملك يحتضر ، وقد اشتد عليه المرض منذ خرجا لشراء الطعام ، وبعد وصولهم بيومين مات ابن صيرم في الليل ، وارتفع الصراخ والعويل بين النساء وزوجات الملك الثلاث والجواري ، وبعد يوم من البكاء والعويل دفن الملك في أحد الكهوف

اجتمع القائد بالموجودين من الرجال ونساء الملك ، وأعلن أمامهم عن خططه فقال : بما أن أولاد الملك ابتعدوا عنه ، وانتشروا في المدن .. فعلينا أيها الأخوة والأبناء أن نتفرق مثلهم في المدن والأرياف .. فلم يعد لبقائنا أهمية وليس لأحد منا حق أن يطالب بالعرش .. سأنزل للمدينة ، وأقابل أبناء الملك وخاصة الأمير أدهم ؛ فإذا وافق على المجيء إلينا بقينا ملتفين حوله مطالبين بالعرش ، ونتابع المسيرة ، وإن رفض هو وغيره عليكم التفرق في المدن وبين الشعوب

غادرهم القائد ضرار وأحد أعوانه للقاء الأمير أدهم .

وكان هجرس يقول لشاليش : أين ذهب ذلك الغياث الشيطان كما أخبرني سرحان ؟

قال : لما هزم الجيش في بلاد حميد من قبل جيش سيف اختفى من قصر الملك .. احتاجه الملك ، فلم يجدوه .. كم تمنيت أن أشرب دمه وأحرقه ..دمر مملكتنا وعرضنا للغزو والشتات .. وقتل الملك زرارة صديقه كما علمنا .. وخطف أبناء ابنته ، ثم اختفى وعلمنا أن ملكا جديدا نصب في بلادنا مما زاد من ضعف الملك ومرضه هل سيعمل ابن الملك على طلب الملك ويأتي الجبل

قال : لا أظنه يقبل يا شاليش بعد تخليه عن السير مع أبيه المريض .. والحياة في الجبال صعبة وشاقة .

وقبل أن يعود ضرار اقتحم الجبل رجال عسكر ، وتم استسلام الناس للجيش الصغير ، وكانت المفاجأة أن وجدوا الملك ميتا ، وقد دفن في إحدى المغر .

وانتظر الأمير ابن ظفار عودة ضرار بابن الملك ، ومضت عشرة أيام دون عودته .. فأمر القائد بنقل الأسرى إلى بلاد صيرم ، وترك عشرة من الفرسان والراعي هجرس في الانتظار .. ووصل بأسراه إلى المدينة ، وأطلع قائد الجيش حفص على الخبر الذي كتب بدوره للملك سيف بموت النعسان وأسر نسائه وبعض اتباعه .

وبعد التحقيق مع الأسرى سمح لهم بالعيش في المدينة أو الخروج ، وحثهم الوزير بالاستمرار بالبحث عن غياث وأبناء سفانة .

وكان أحد الأسرى قد دلهم على مكان دفن رأس زرارة ونبش القبر ، وأخرجت الجمجمة وما بقي عليها من لحم ، وأرسلت إلى مدينة اللؤلؤ بكوكبة من الفرسان والجنود حيث أعيد دفنها بحفل

رسمي شارك فيه الملك والوزير وسادة البلاد مع تجدد البكاء والحزن في قصر الملك وبنات الملك .

وبينما ابن ظفار يرتب الأمور مع رجاله للبحث عن غياث جاء العشرة وهم يأسرون ضرارا ومن معه ، وسمع منهم خاصة ضرار وصديقه درهم قصة مقتل زرارة ، فقد اعترفت إحدى زوجات ضرار عن دوره في مرافقة اللصوص للغارة على خيمة زرارة ، وقطع رأسه ، وبعد أن سمع أقوالهم أرسلهم للوزير غالب مع رجاله ، فأمر الملك بقتلهم فور وصولهم ، لم يقبل فيهم أي عطف ، وقتلوا أمام الناس على أنهم قتلة الملك زرارة ، وصلبوا ثلاثة أيام ، وتم رمي جيفهم في صحراء المدينة حيث الوحوش .

وقال السيف : الحمد لله اقتصصنا من قتلة جدي ! وبقي علينا الكلب اللعين الخائن غياث .

قال الوزير : سيقع يا مولاي ! لن يهدأ ابن ظفار حتى يقبض عليه ؛ ليقتل أمام أهل المدينة .

فقال سيف : أرجو أن يصلوا إليه حيّا ..وعسكر بن ظفار بطل عظيم ! ومن أهل الصبر وأهل العقل .

وأكد غالب ثناء الملك فقال :ويملك أيها الملك رجالا أشداء ، ومن أفضل فرسان المدينة على مر الزمان .. فقد استطاع الفارس جابر دخول الجبل والعيش فيه دون أن يكشف لأحد من رجال الملك ابن صيرم.

قال : نعم ، كتب لي ابن ظفار بقصة الفارس جابر

قال : وقد قمنا بطمس قبر ملك صيرم وإخفاء مكان جثته .. وعفونا عن نساء الملك وجواريه وخدمه ، وخيروا بالبقاء أو الرحيل .

قال سيف : وعلمت أن بعضهن غادرن المدينة لبلدانهم اللواتي ولدن فيهن .. وأعتقد أن خطتنا ستنجح في حكم بلاد صيرم ويستقر الملك لقبيلة عزام .

قال الوزير : بقي غياث الشيطان .. كان أخي أوس يود قتله أكثر من كرة ؛ لكن خشية غضب الملك كان يغض الطرف عن منكراته ومغامراته مع بعض نساء وسادة المدينة .. فهو الصديق الخائن .

قال : كان رفيق وصديق جدي.. فأراد أن يجعل من دم صديقه شعلة حرب بيننا وبين الملك حميد .. كان لا يعمل الملك شيئا إلا بمشورته .. يا له من حقير وغد !

قال غالب : كان جدك مخدوعا بالتنجيم .. مخدوعا بقدرتهم على كشف المغيبات .. لقد سيطر عليه بذلك المنام ..أرجو أن يظفر به ابن ظفار ؛ لتعم السعادة والفرح في البلاد .

دخل الحاجب معلنا بأن الأميرة سفانة ترغب بمقابلة الملك .

قال الملك : هنا في ديوان الحكم !

الحاجب : إنها على الباب .

نهاية الحلقة

حكايات الحي أبو خروف

طفل الحديقة

تبدأ هذه الحكاية عندما كان يلعب مجموعة من أطفال أبو خروف من طلاب المرحلة الأساسية في ساحة قرب بيت يتكون من طابق واحد في أول الحي من أعلى ، البيت يطل على شارع السلام والبيت له ساحة مليئة بالأشجار العتيقة حديقة ، وللبيت سور ارتفاعه يزيد عن المتر ونصف المتر ، كان هؤلاء الأطفال يلعبون إحدى الألعاب الشعبية يلعبون بطابة تنس أرضي ، لعبة يسمونها السبعة أحجار حيث يقسم الفتيان إلى فريقين ويضعون سبع قطع من الحجارة على هيئة عمود ويرمونها من مسافة بضعة أمتار والفريق الذي يهدمها ينتشر في المكان وعلى الخصوم منعهم من بنائها بواسطة الطابة بضربهم بها ، ويتبادلون قذف الطابة بينهم حتى يصيبوهم بالكرة ، ومن يصاب يتوقف عن اللعب حتى تبنى الحجار السبعة أو يرمون بالكرة لتبدأ لعبة جديدة ، وفجاءة قفزت الكرة الصغيرة المطاطية إلى حديقة بيت آل ظبي ، {١}

{1} لعبة الأحجار السبعة : أدواتها سبعة من الحجارة التي يمكن وضعها فوق بعضها البعض وكرة مطاطية بحجم قبضة اليد طابة.

ينقسم اللاعبون إلى فريقين، مدافع عن الحجارة ومهاجم من أجل بناء الحجارة ، يقف المدافعون خلف الحجارة المبنية، ويقف الفريق الآخر خلف خط متفق عليه، يمسك أحد اللاعبين بالكرة ويلقيها على الحجارة من خلف الخط، فإذا ما أسقطها تفرق اللاعبون بسرعة ، ويكون دور الفريق المدافع أن يلقوا بالكرة على اللاعبين من الفريق الآخر، فإذا ما أصيب لاعب خرج من الفريق، وتستمر المحاولات حتى إخراج آخر اللاعبين ، وفي نفس الوقت يجتهد اللاعبون من الفريق الآخر من أجل الوصول إلى الحجارة من أجل بنائها دون أن تلامسه الكرة، فإذا نجح في ذلك عُدّ فائزا وإذا خرج الفريق المهاجم كله من اللعبة تبادل الفريقان الأدوار، وهكذا.

***

صدمت الطابة بأحدهم وقفزت سور الحديقة ، وتوقفت اللعبة حتى يحصلون على الكرة ، وذلك بطرق بوابة الدار والاستئذان من أهل الدار بأخذ الكرة من الحديقة ، أو القفز عن السور والبحث عنها في الحديقة ، وهذه الأخطر عند الفتيان أسلم ؛ خشية أن تسمعهم صاحبة البيت كلاما سيئا أو تفجر لهم الكرة حتى يبتعدوا عن ساحة البيت الخارجية حيث يلعبون ويصرخون ويزعجون ، فكان القفز عن السور والتسلل إلى الحديقة أسلم ، وهم يفعلون ذلك كلما لعبوا في تلك الساحة

، تسلق بعضهم السور باحثين بأعينهم عن مكان استقرار الكرة قبل الاندفاع لداخل البيت ؛ ليذهب أحدهم بخفة الغزال والقرد لجلبها ، ويا دار ما دخلك شر ، وقبل أن يشعر أهل البيت بهم تسور الفتيان السور ، تبحث العيون عن مستقر الطابة ، وبينما هم يفعلون ذاك سمعوا صوت طفل بكاء طفل ، فأخذت عيونهم المستغربة الصوت تتلفت عن جهة مصدر الصوت ، ورأت جاكيتا جلديا يصدر من داخله الصوت بكاء الوليد ، نزل بعضهم ورآه وصاح دهشا : طفل!! إنه طفل !!

اقترب آخرون .. ويراودهم الاستفهام لماذا هذا هنا ؟! إنه في هذه الساحة الشجرية ، ملفوف بالجاكيت قال أحدهم :هل نسوه ؟!

وجد أحدهم الكرة الصغيرة ، وقام آخر بطرق باب الدار الداخلي ، خرجت امرأة تصيح بهم فقالوا دون اكتراث لصراخها واحتجاجها ، فهم معتادون على صياحها بسبب تواجدهم في هذه الساحة للعب : في الحديقة طفل صغير يبكي !

توقف صياحها وقالت: ماذا؟! ماذا قلتم؟!

أشاروا جميعهم للحديقة ، فغطت شعرها ، وتبعتهم إلى الحديقة ، وفعلا وجدت طفلا وليدا ، فوقفت حائرة من الذي تركه هنا ؟! ، ثم فطنت لكبر سنها فقالت : دعوه سأتصل بالشرطة ، هذا لقيط واحدة رمته هنا .

كان الوقت ظهرا ، حضرت الشرطة ، وانتشر الخبر سريعا في الحي أو حول المكان ، فهذا الوقت أغلب الرجال يكونون في أعمالهم ووظائفهم ، استمعت الشرطة لأقوال المرأة والأطفال ، وقد دخلوا به للبيت بضع دقائق ، ثم انصرفت الشرطة بالطفل ، وقد ترددت كلمة لقيط من عدد من الرجال الذي مروا من الشارع وكبار السن ، فقال فتى : لقيط ما معنى لقيط يا عم سكر ؟



سكر رجل عجوز يسكن في نفس الشارع ، وهرع للمكان لما سمع حفيده يخبر أمه بأنهم وجدوا وليدا في حديقة بيت آل ظبي ، فرد السيد سكر ضاحكا : هذا يا ولد موضوع أكبر منك .. أنت اسمك نائل ؛ ولكني سأشرح لكم جميعكم ، اللقيط لما تلقى شيئا ليس لك يسمى لقطة ، فالطفل الذي يرمى في الحواري يسمى لقيطا ، تتخلى عنه أمه لأسباب خاصة ، فترميه أمام مسجد كنيسة مزبلة .. فهو مجهول الأبوين .. هذا هو اللقيط

وسمع آخر يسأل: وما معنى مجهول الأبوين ؟ أليس له أهل ؟!

قال سكر محاولا تفهيم الطلبة الوضع : تقريبا امرأة زلت قدمها وزاغت عن الشرف متزوجة أو غير متزوجة ، وحملت سفاحا ، وخشيت أن تقتل جنينها بعد أن حملته شهورا ، وخشية الافتضاح تتخلى عنه ، فهي لا تريد أن يعرف زوجها إذا كانت ذات بعل ، وإن كانت بنتا لا تريد أن يعرف الناس بزناها ، ولم تطاوعها نفسها على قتل روح رغم فجورها ، وقد يكون لديها أمل بأن يعود إليها بعد زواجها إن كانت ولدته بدون عقد زواج ؛ لعل بعضكم فهم هذا الكلام أنتم في المرحلة الإعدادية تعون ما قلت ، فمن أبوه فمن أمه ؟ فهذا معنى مجهول الأبوين .. ستبحث الشرطة عن أمه ، فإذا وجدوها ستدلهم على أبيه .. فهو مجهول الأبوين ريثما يتضح الأمر ، ويكشف سر هذه الجناية ، وقد يتعرفون على الأم فحسب ، وهو الأسهل بالنسبة لهم

فسمع رجل يسمع شرحه للطلاب يسأل : يا أبا حنان في رأيك سيصلون للأم ؟

– اعتقد ذلك ، أما الرجل فقد لا يعرفونه إلا إذا كان واحدا أو معروفا للمرأة .. أما إذا كانت بغي فمن سيكون أبوه ؟ سيجدون الوالدة ولو بعد حين سيطاردهم القانون ، وقد ينكر الأب إذا كان هناك أكثر من رجل وعشيق ، عندئذ سيتعقد الأمر ويحتاج إلى تحاليل وطب .. وقد تعجز الشرطة من الوصول لأمه ، قد لا تكون أمه من أبو خروف أو الأحياء المجاورة ، فحي النجمة بعد هذا الدوار وأشار إليه بيده ؛ لكن وضعه هنا في هذه الحديقة ، وهذا البيت بالذات يدل على معرفة الجاني للمكان ، وفي الغالب وضع هذا الطفل عند الفجر ليسمع صوته عند خروج أهل البيت للعمل

– لكن زوج المرأة كما تعلم في ألمانيا أو إيطاليا

– أولادها هنا ، لماذا أتعبت الأم المجرمة نفسها وفتحت البوابة ؟ ـ وأشار إليها ـ أو قفزت عن السور ولكنه مرتفع ! .. لو لم ترد له الحياة ما تركته في هذا البيت ! لرمته في صندوق قمامة كبير كما سمعنا عن حوادث شبيهة بهذا ..يبدو أن لها معرفة بـ أبو خروف .. هل جاء به رجل ولم تطب له نفسه قتل ابنه ؟ والأم تعتقد أنه ذهب به ليموت .. أب جبن عن التخلص منه .. القتل بعد الولادة جريمة في القانون ، ليست عملية إجهاض أو لظرف ما تخلى عنه وألقاه في الحديقة الأطفال يذكرون أنه وضع بشكل سليم وجهه للأعلى لم يرم رميا كما سمعتهم يقولون .. حقيقة بوابة آل ظبي لا تغلق بالمفتاح ليلا .. إنما تغلق بالمزلاج .. فلهذا أقول إن الفاعل يعرف البيت ، والطفل وجد بعيدا عن السور .. لابد من دخول الفاعل للحديقة وتركه قريبا من إحدى الشجرات .. فالأمر الآن بيد الشرطة والمدعي العام ومنهم نعرف والد وأم

الطفل؛ إنما هي أيام وإذا لم يعرف أهله سيوضع في أحد الملاجئ الخاصة باللقطاء والأيتام الذين هلك أبواهم معا ، ولا أولياء لهم

أخذ الفتيان والمتجمهرون يتفرقون رويدا رويدا ، وهم يتحدثون عن هذا الطفل المسكين وعمن تكون أمه ، ويذكرون أسماء محتملة ، ويشيرون لناس علاقتهم معروفة ومنشورة على الملأ .. هذا أبوه ، ذاك أبوه ، محتمل فلانة ..لا فلانة .. تفرق بعضهم ويغمره الحزن على المولود كيف سيواجه الدنيا والظلم ؟!

كان هذا حدثا كبيرا شغل الناس في أبو خروف كله ، وأكثر الحديث دار في مقهى أبو خروف لذلك كان مع المساء هذا اللقيط حديث الناس في المقهى الشبان الكهول الشيوخ ، لغطهم يرتفع وينخفض مع كل حوار واحتمال من أمه؟! من أبوه؟! لماذا رمي أو وضع في حديقة آل ظبي؟! هل هو لإحدى بناتهم أو لإحدى قريباتهم ؟! كيف فجرت أمه وسمحت لنفسها بالحمل ؟! لماذا لم تقتله؟! متى وضعته في الحديقة؟! من ولدتها؟! ـ كانت بعض النساء في زمن الحادث ما زالت تلد في البيوت على يد القوابل جمع قابلة ، وهن متمرسات ومتدربات على توليد النساء ، أما النساء اليوم فيلدن في غرف التوليد في جل المستشفيات ـ أم ولدت المرأة نفسها بنفسها ؟! من قطع الحبل السري للوليد؟! عشرات الأسئلة والتهم ظهرت في الحي ذاك اليوم ، حتى وصل بهم القول إلى الإشارة إلى نساء معروفات بالدعارة والفساد ، وسأل أحدهم ما شكله ؟ لعله يشبه فلانة من الناس .. وهل الشرطة لم تعرف الحقيقة ؟! عرفوا وسكتوا من باب من ستر مسلما ستر الله عليه .. كيف هان على أمه بعد أن رضيت بالحمل به أن ترميه ؟! أخافت من القتل وهي زانية؟! والجاكيت لمن؟ كيف استطاعت أن تخفي حملها عن أهلها والجيران؟! إنهم متواطئون معها ، ولولا سكوتهم لعملت عملية إجهاض ولو خارج البلد هناك أدوية تسقط الحمل .. بعضهم اتهم السيدة صاحبة البيت والتي بلغت الشرطة بأنها أمه ، فهي من غير زوج زوجها في الخارج ؛ ولكن سمعتها معروفة يا ناس .. أولادها عندها ؛ ولكنها ما زالت تلد وبعلها مهاجر يا أبا ... أخطأت وغلبتها

الشهوة ، وهذا الطفل ثمرة الخطيئة .. هل هذا الطفل ذكر أم أنثى؟! لا أحد يدري ، إنما كان يبكي عندما وجدوه ، قال أحدهم : كانت فتاة شابة تتردد على آل ظبي منذ أشهر قد يكون هذا ابنها بالحرام أي بغير زواج ، شاع في الحي من عدة أشهر أن فلانة قد فجرت بفلان ، ثم انشغل الناس بقضية أخرى قد يكون هذا ثمرة هذه العلاقة

الآثمة .. كيف سيعيش هذا الطفل من غير أسرة ؟! بلا أم ترضعه وتعنى به .. سيعيش كما عاش غيره ، وكما يعيش الأنام .. وعشرات قبله هنا وهناك ولدوا نتيجة الإباحية الجنسية .. بعض الدول فيها بالآلاف الأبناء غير الشرعيين في أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية .. وكيف سيكون حاله عندما يشب ويعرف أنه ابن زنا؟! وأمه وأبوه تخلوا عنه ، ولم يكن ثمرة زواج شرعي .. صحيح كيف سيعمل وكيف سيتزوج ومن سيزوجه؟ مأساة مأساة !!

مثل هذه الأسئلة وغيرها الكثير تردد على ألسن أهل الحي المهتمون بالحادث والجريمة ، وفي المقهى تكلم الكثير أيضاً ، ودخل عليهم رجل وألقى التحية بصوت عال لفت الأنظار إليه وقال بصوت صارخ : أيها السادة المشغولون بلقيط آل ظبي أن الحكومة عرفت أم الطفل

التفت إليه الحضور كلهم ، وتوقفوا عن اللعب والثرثرة ، وأصغت الأذان فتابع الرجل صراخه : إنها فتاة من حي برغوث قريبة لآل ظبي ، وتعرف البيت والأسرة حق المعرفة

فصاح أحدهم : ألم أقل لكم إن أهل البيت على معرفة بالضحية .. عرفتم الآن لماذا اختاروا هذا البيت الذي تركوا فيه ثمرة الجريمة ؟! أهو ذكر أم أنثى؟

فرد الرجل الصارخ : لا أدري لكن علمت من مصدر خاص أن المرأة الوالدة قريبة لآل ظبي وأنها ولدته في دار خاصة ، وجاءت بنفسها عند الفجر وتركته في الحديقة ، وعادت لشقتها المستأجرة ، والشرطة تحقق لمعرفة أب الطفل

ـ فلماذا تركته عند أقاربها ؟ هل تريد أن يعرف أهل المكان أنها أمه ؟ وماذا فعلوا بها ؟!

قال المخبر : نقلوها إلى المستشفى للرعاية ، فصحتها متدهورة ، وسمعت من مصدري السري أنها أرضعت الطفل وتقبلها بسرعة .. وهناك إشاعات أنها مكنت أكثر من رجل ليفجر بها ، لم تكن طاهرة .. ومعرفة الأب ستحتاج لوقت إذا صحت هذه الإشاعة ..خزاها الله فضحت أهلها ، وتقلدت هذا الطفل المسكين!

ندخل ليلا شقة شوكت ترعة في حي أبو خروف ، كان منصرفا من مقهى مهران مقهى الحي الوحيد ، مقهى الإشاعات والأخبار ، فلما سلم وجلس قالت الزوجة: أتأكل يا أبا فاطمة؟

هز رأسه قائلا: لا بأس ، أنامت البنات؟

– لا ، الوقت مبكرا على النوم ، إنهن يلهون أو يقرأن .

نهضت للمطبخ ، وسخنت الطعام ، وأتت به للصالة حيث يجلس الرجل ، ولما سمى الله بسم الله ، وأخذ يأكل ويمضغ قالت: أسمعت بما شاع

في أبو خروف ؟

قال والطعام في فيه: اللقيط الذي وجدوه في حديقة آل ظبي .

– أجل ما قصته؟

قص عليها وهو يأكل ويشرب الماء والشاي كل ما سمع عن طفل الحديقة ، فقالت بدهشة وربما حيرة : إذن هو ابن قريبة لآل ظبي من حي برغوث !

قال متشككا : على ذمة رجل اسمه جعفور ، مع أن رجلا كان بقربي ، قال كذاب ، وهذا من أكذب الناس ، لو كان الطفل لآل ظبي فما وضعته أمه في حديقتهم ، لتركته عند حاوية قمامة أمام المسجد حتى يراه الزبال أو الإمام أو المؤذن عندما يفتح الجامع لصلاة الفجر .. أما أن تضعه عند أقاربها لتؤذيهم وتفضحهم وتسيء للمرأة المسافر زوجها إلى أوروبا فذا كذب صريح

– والشرطة ألم تعرف أمه وأباه؟!

قال وهو يزيح الصحن من أمامه بعد أن فرغ من الطبيخ ، ومسح فمه بيده: الشرطة لم تقل شيئا بعد .. هم عاينوا الحادثة ، وسمعوا أقوال المرأة صاحبة البيت ، كما روى العم سكر وسمعوا أقوال الأطفال الذين اكتشفوا الوليد والظروف التي جعلتهم يكونون هناك ، ثم أخذوا الطفل وانصرفوا ، وأنا أعتقد أن آل ظبي لا علاقة لهم بالوليد اللقيط ، وأعتقد أن أمه من حي آخر .. قال بعضهم : إن أمه متزوجة ، وزوجها أنكر هذا الحمل ، وتستر عليها حتى تلد ، وأخذه وألقاه في هذا البيت حتى يجده الناس سريعا ، والأيام ستبدي لنا ما نجهل

– ولماذا لم يطلقها؟!

قال مبررا تصرف الزوج : لأنه لو طلقها سيحمل الطفل اسمه في القانون والمحاكم ، لا يستطيع التخلص منه ما دامت السيدة على ذمته شرعا وقانونا ، والرجل خاف أن يقتله .. تزني حليلته وهو يقتل .. ومنذ شهور شاع في الحي إذا كنت تذكرين أكثر من حالة خيانات زوجية .. وفلان لما دخل بيته وجد رجلا غريبا مع امرأته في غرفة نومه ، لم يشاهد معاشرة بينهم .. فماذا كان يعمل هذا الغريب في غرفة النوم ؟ مهما أنكر الاثنان ، فهناك خيانة .. العياذ بالله لما المرأة تخون! تركها حتى وضعت ابن الزنا وتخلصوا منه

– إذن سنسمع طلاقها قريبا

قال مفكرا بجواب :قد لا يطلقها قريبا ،حتى لا ينكشف السر وتلبس الحكومة الولد له

– ولماذا لم يقتله؟!

قال شوكت بعد صفون : الأمر صعب ، هي تزني وهو يقتل ، فقد قبلوا له الحياة ، فكان من الصعب التفكير بقتله بعد ولادته.. يتخلصون منه وتربيه الدولة في ملاجئ الأيتام ..وقد تثير الأم قضية قتله

، فهو جزء منها بعد أن قبلت بالحمل به ..الأمر معقد ولكنه حصل .. والقتل على النفس أصعب من جريمة الزنا رغم بشاعتها ، وكلاهما عملان بشعان

– لا ادري لماذا تزني النساء وهن متزوجات ؟!

تنهد ورد: الشهوة والإغراء

– تطلب الطلاق

قال : هذا فعل الشريفة العاقلة المحترمة ، وليس الخائنة ، فبعضهنّ يتسترن بالزواج ، والزوج الغلبان يتخذنه ستارا للموبقات كما نقرأ في الجرائد ونسمع من الحكايات ، وما نرى في المسلسلات والأفلام .

قالت مشفقة على اللقيط : مسكين هذا الولد ! كيف سيكون مصيره ؟!

– سيعيش مع الأيتام في دور الأيتام واللقطاء ، ولما يكبر يتعلم ويدخل الجيش أو الشرطة ، فهو ابن الدولة ، وإذا عرفت أمه سيعيدونه لها ، وإن كانت متزوجة سيلصقونه بزوجها رغم أنفه ،

وإن كانت عزباء سيزوجونها بمن عاشرها كزوجة

قالت بقرف الحرة : هذا أمر مخزٍ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أتفعل ذلك عاقلة؟!

– الشهوة لا تعرف العقل ، الشهوة نار تستعر في الشباب والنساء ، وتؤدي للكوارث والمصائب وهو ثمرة من ثمار الشهوة المستهترة بالحياة الزوجية ، وموجة الإباحية نار تلظى

– ذاك الرجل يزعم أن أمه من برغوث

– هذا ما صاح به في وجه الناس ؛ كأنه إذاعة في المقهى أو كأنه يعلن تحرير بيت المقدس من يد اليهود الفجرة .

كانت فاطمة شوكت تستقبل خطيبها جميلا أمام مدخل الشقة وتصافحه مرحبة به ،ولما دخل الباب كانت أمها تسلم عليه بسرور وتقول: أهلا يا ولدي ، كيف حالك كيف أمك وأبوك؟

رد جميل: كلنا بخير يا عمة وأنتم كيف حالكم؟

– الحمد لله رب العالمين وإخوانك وأخواتك كيف حالهم؟

– كلنا بعافية وصحة طيبة ، والكل يهدونكم السلام والتحية .. خالي في المسجد

– سيكون معنا بعد العشاء ، سيصلي ويرجع ، أخبرناه بزيارتك، سيستريح من لعب الورق الليلة .. فاطمة يا حبيبتي جهزي العشاء لنأكل مع جميل

رد الشاب قائلا: لست جائعا يا امرأة خالي ، وأنا في المدينة أكلت ساندويتشا

– كل ما فيه النصيب

بعد دقائق وضع الطعام على منضدة خاصة ، وجاءت زينب وبثينة يرحب بابن عمتهن خطيب أختهن ، وجلسوا حول المائدة يتمتعون برزق

الرحمن والطيبات من الرزق ، ولما بدا الأكل بدأ الحديث قال جميل: أكيد سمعتم بقصة الطفل الذي وجد في حديقة من حدائق بيوت أبو خروف ؟

غمرهم الضحك وقالت أم فاطمة: ذاك حديث الحي طوال أمس وأنتم كيف علمتم به؟!

- الصحف أو بعضها نشر الخبر عن لقيط أبو خروف والوليد الذي وجده مجموعة من الأطفال كانوا يلعبون قرب حديقة أحد المنازل

- البيت في أول أبو خروف من نفس جهتنا قرب الفندق .. الجرائد تنشر مثل هذا الخبر ماذا يكتبون ؟

قال : يكتبون الخبر كما أخبرتهم الشرطة ـ يا امرأة خالي ـ وأنتم ما عندكم من تفاصيل أكثر؟

قصت فاطمة قصة الأطفال عندما سقطت الطابة في منزل آل ظبي ، وسمعوا صوت الطفل الملفوف بجاكيت من الجلد ، ثم اعلموا صاحبة المنزل ظنا من بعضهم أن المرأة نسيت ابنها في الحديقة ، وجاءت الشرطة واستمعت للمرأة التي تعيش بدون زوج ـ زوجها مهاجر لأوروبا للعمل ـ وبعد سماع أقوال الأطفال أخذوا المولود وذهبوا ، وختمت قائلة: ثم اشتعلت التحليلات والإشاعات والاتهامات كما يقول أبي عندما رجع ليلة أمس من المقهى مصدر الأخبار ، وللآن لم نعرف أم الطفل هل هي من الحي أم من حي آخر ؟! والجريدة ماذا تقول أكثر من هذا؟

ابتسم جميل لفضول خطيبته وقال : الجريدة لم تدخل بالتفاصيل ذكرت قصة العثور على طفل في حي أبو خروف لم تذكر أمه ولا أباه

- ذكر أبي أن أحد رواد مقهى مهران زعم أن أمه من حي برغوث ، من فتاة تقرب لأهل البيت الذي وجد فيه ؛ ولكن أبي ينكر ذلك ويقول : لو كان له علاقة بأهل البيت ما وضع في بيتهم ، أتريد أن تسيء إلى أقاربها ؟ وما دام أنها تخلت عنه فهل تضعه عند أقاربها ليتعرفوا عليها ؟ فالأمر غامض ؛ ولعل الشرطة لديها معلومات لم ترغب بالإفصاح عنها حتى يكتمل التحقيق وبما أن شقيقك زيادا يعمل في الشرطة قد يمدك بمعلومات لم تصل للصحف

ابتسم جميل لفضول خطيبته وقال: لا أقل عنكم فضولا ، اتصلت بزياد فور قراءة الخبر في الجريدة اليومية ، فقال سمعنا مثلك بالحادث ، وهذه أمور مكرورة عندنا بين الوقت والآخر على مستوى البلاد كلها ، فبعض الأيام نجد طفلين ، والغالب نجدهم أمواتا بتأخر اكتشافهم أو ماتوا أثناء الولادة ؛ لأن أغلب هذه الولادات تحدث في المنازل ، وربما بدون قابلة أو طبيب وقال : الأطفال غير الشرعيين يكثرون هذه الأيام ، نساء تفجر

وتحمل مع أن وسائل الحماية من الحمل معروفة اليوم ، والحبوب يوزع مجانا في عيادات الحوامل الرسمية ، ربما جهل في الاستعمال ، وربما يحملن للضغط على الزاني ليتزوجهنّ

قالت فاطمة بحياء: نعم ، قد تفعل ذلك بعض الفتيات للضغط على الرجل من أجل الزواج وسمعنا عن أكثر من قصة حدثت في أبو خروف

– الفاجر لا يهمه من المرأة إلا فجوره .. الأخلاق بدأت تفسد في بعض الأسر والعائلات .. الفضائح أصبحت حادثا متكررا كل يوم

قضوا حاجتهم من الطعام ، وغسلوا أيديهم وأفواههم ، وعادوا للجلوس في صالة البيت يشربون الشاي ، وبعد ذلك انتقلت الفتاة وخطيبها إلى حجرة خاصة ؛ لكنها مفتوحة الباب يتحدثون عن أحلامهم ومخططاتهم في بناء أسرة جديدة وذرية جديدة ، وأن زواجهم سيكون في فصل الصيف القادم ، فأكثر زيجات الحي تحدث صيفا ، فقالت: هل ستسكن مع أهلك كما سمعت أبي يقول قبل أيام أم ستستأجر بيتا ؟

– لم يحسم الأمر .. نقول هذا مرة وذاك مرة أخرى .. فأخشى أن أسكن معهم كم شهرا ، ثم يتحرك زياد للزواج ، فهو ينتظر زواجي ليبدأ هو الآخر

– أترغب بالسكن في أبو خروف ؟!

سلامة ونبيل

ما يسميه الفتيان الحب والعلاقات العاطفية بين الطلاب والطالبات والمراهقين والمراهقات شائع في حي أبو خروف ، فقد تجد طالبا له عدد من الحبيبات والرفيقات ، والغريب أن أكثرهن يعرفن كذبه وخداعه ، ويزعمون أنهن يتسلون ويلهون ، وبعض الزيجات كانت تحصل بسب غلطة جنسية بين شاب وشابة ، فيوضع الأهل تحت الأمر الواقع للتغطية على الفضيحة ، فيتم زواجهما بحكم القانون والستر ولملمة الفضيحة ، وهذه الزيجات قد تنجح وأكثرها يفشل وتحدث بسببها المآسي وآلام .

كان سلامة شابا متعلقا بفتاة اسمها ريانة ، وقصة غرامها شائعة ، الكبار متضايقون منها والصغار معجبون بها ، وكان بعض رفاق سلامة يحذرونه من كشف أمره من قبل أخ الفتاة الكبير المتزوج ، فقد يتعرض للأذى أو القتل ، فلا يكترث لتحذيرهم ، ويجيب باستخفاف أن أهلها يعلمون بحبهما الجارف لبعضهما ، يكون جالسا في ساحة من ساحات بنايات أبو خروف فتأتي فتاته متلثمة بكوفية ،وتأخذ بيده ويبتعدان عن الشباب ،وقد ألقت السلام على الشباب دون حياء ، وتأخذه أمام أنظار الجميع ، وربما يكون أقارب لها مع الساهرين فيصيبهم الخجل والوجوم ، ويذهب الشابان جهة مخيم عودة الأمل ، حيث توجد ساحات خالية

يحلو للعشاق الجلوس فيها أو جهة جبل أبو خروف حيث يقل العمران ، فيجلسان على صخرة يتناجيان بالحب والأوهام ، وهو مشهد مكرر للفتيان ، وليس هو أول عاشق في الحي ، بل هناك شارع يسمونه شارع الغرام ، خاصة بعد خروج الطالبات من المدرسة الثانوية التي هي بين أبو خروف وحي النجمة ، أبو خروف فيه مدرسة إناث أساسية واحدة للحكومة ، وأخرى للذكور ، وفيه مدارس أهلية لمرحلة ما قبل المدرسة رياض الأطفال ومدارس للمرحلة الأساسية سلامة العاشق ترك المدرسة منذ عهد قريب ، والتحق بصحة الجيش ، ويعمل في أحد المشافي العسكرية كممرض ، وريانة فشلت في المدرسة وتركتها ، وكانت مغرمة بالسيد سلامة ، ولم تكن الفتاة الوحيدة في حياته ؛ ولكنها أكثرهن معرفة وشهرة في الحي ، وريانة فتاة تنتظر زوج الغد الواعد كأي أنثى ، ابتعد الشابان عن أعين الناظرين من رفاق الحي أو ما يقع بين شارع القمر والعصفور وهما يمشيان جهة جبل أبو خروف حيث صخرتهما الخالدة كما يدعيان قالت ريانة: ماذا سمعت عن طفل الحديقة ؟ يقولون إن الطفل للمرأة نزيلة البيت ..إنها اتخذت عشيقا بسبب غياب زوجها

تبسم سلامة وقال: ولماذا تتخلص منه ما دام لها زوج ؟ لماذا حملت أصلا ؟ أتذكرين قبل سنوات وجدوا طفلا ميتا ؟

قالت : لم يكن من فتيات الحي ، قالوا : إن شخصا ألقاه من شباك سيارة يركبها ، فمات من الضربة والسقوط على أرض الشارع القاسية .. أراد أن يقذفه ليقع في صندق القمامة الكبير فجاء بجوارها وأن أحدهم شاهده

– نعم ، شاهده أحد السكارى العائدين من حانات وخمارات وسط المدينة .

– ولم تكن الزانية من أهالي الحي ، وهذا الوليد وجد في الحي وهو حي .. أيعقل أن يأتي أحدهم من بعيد ليطرح الطفل في أبو خروف ؟ المرأة من أبو خروف ، متى ستعرف الشرطة أمه؟!

– وهل يعقل أن تكون أمه المرأة زوج آل ظبي وتلقيه في بيتها ؟! وهي تعلم أن الشرطة ستعرف بوجوده وتحقق في أمره .. هل كانت تظن أن تربيه بعد كشف أمره ؟ أنا لا اعتقد أن لها علاقة به .. لو كان لها عشيق كما يشاع في حيينا العجيب لعرفه أهل الحي .. الحي لا ينام مقهى مهران يغلق نصف الليل بحكم القانون ، ويفتح مع صلاة الفجر ..لا علاقة لحينا بهذا المولود .. فعل هذا لتضليل الشرطة ، قد يكون الجاني على معرفة بالبيت لظرف ما .. وأنا أرى أن الذي ترك الطفل رجل ، إما والد الطفل أو والد الفتاة ، لم يستطع قتله فتخلص منه ، فهو من صلبه أو الأم لم تستسهل قتله ؛ لكن امرأة

في حالة ولادة من الصعب أن تأتي وتتركه في الحديقة ، وكان بعيدا عن السور وعن البوابة ، لابد من اقتحام المكان كان قرب جدار البيت .. أم والدة تدخل وتفعل ذلك صعب ، والمولود ابن ليلة أو أقل من ليلة ، ولد وجيء به للمكان ، وضع الطفل بعناية ورفق ، لم يرم كجيفة ، وكانت الأعشاب جافة ؛ لذلك لما قفز الفتيان على السور سمعوا بكائه ورأوا الجاكيت .. ربما أن الفتاة حملت به سفاحا لترغم العشيق على الزواج منها ، ثم لم يتيسر الأمر أمامها ، فأرادوا التخلص منه لصعوبة زواجهما تحت أي ظرف أو أن أهله أو أهلها رفضوا هذا الزواج بهذه الطريقة البشعة

– وكيف اخفوا الحمل لتسعة شهور ؟ .. الحمل ليس يوما أو شهرا .. وانتفاخ البطن ألا ينتفخ بطن المرأة في الشهور الأخيرة من الحمل ؟! بعضهم زعم أن أم الطفل قريبة للمرأة هذه وتعيش في حي برغوث ، وهو حي بعيد عنا .. يقطع كل الأحياء ليصل حيّنا.. ألم يجد في طريقه مكانا لرمي الطفل ؟ المرأة لها علاقة بالطفل

قال : لو كانت أمه ما استعجلت الاتصال بالشرطة، فصحتها لم تدل على أنها في حالة ولادة كما رآها عم سكر وهي تروي للشرطي القصة .. فاختيار الموقع يثير الحيرة والدهشة أم أن شخصا يريد إثارة الريب والشك حول سيدة المنزل .. رجل حاول إغواءها وفشل فيريد الإساءة إليها بفعلته .. فالمرأة من النساء الثقيلات .. الانتقام وراء وجوده هنا ، يريد تشويه سمعتها .. هل تصبر الأم على فقد وليدها ما دامت قد رضيت له الحياة؟!

ردت ريانة: أنا شككت أيضاً في فتاة أخرى من بنات الحي كانت حاملا منذ أشهر ، وهي غير متزوجة ؛ ولكنها كما علمت لم تضع لم تلد بعد ، ما زالت حاملا ، ثم علمت أنها متزوجة سرا من رجل تزوجها على امرأته دون علم الأولى ، فذهب ظني لما سمعت الخبر للوهلة الأولى إليها ، وكنت مخطئة في ظني .. فرحت أشك في زوجة آل ظبي

– وكيف عرفت أنها متزوجة سرا ؟

– لما انتشر الخبر ، تحدث النساء والبنات فألقيت حجري في وسط البركة ، فقالت أم شفيق : أنا اعرفها وهي حامل فعلا ؛ ولكن لها زوج ، وأهلها يعرفون ذلك ، والرجل تزوجها خفية عن امرأته الأولى التي لا تنجب ، فلما تلد المولود سيظهر لها الأمر ، فهي ابنة عمه إما أن تقبل بالبقاء معه ، وإما ينفصلان .. له أكثر من عشر سنوات دون ذرية ، وهي ترفض زواجه عليها ، وأهلهما يرفضون الطلاق والزواج .. فلجأ إلى هذه الحيلة والأمر الواقع

- للناس فنون في الزواج.. وأهله سيقبلون عندما يرون الوليد ، وأن العقم من ابنتهم

كانت والدة ريانة تجلس وأم صلاح جارتها في صالون البيت ، وأبو ريانة يجلس قريبا منهن متمددا على فراشه ، وكسائر عائلات الحي جل حديثهم تلك الأيام عن طفل آل ظبي ، فسمع الرجل المرأة تهمس لأم غازي أم ريانة : أسمعت أن ابنة أم جلال غائبة عن الحي من قبل ظهور طفل حديقة آل ظبي ؟!

- سمعنا من الداية أم صبحي أنها ذهبت لقضاء عدة أيام في بيت أختها التي ستلد خلال أيام

فقالت أم صلاح: هذا قيل في الأول ، أما اليوم فيقال غير ذلك

وضعت أم غازي كأس شاي أمام أم صلاح وسألت: وماذا يقال اليوم؟!

- يقال إنها هي ذهبت لتلد عند أختها

- أكانت حاملا من غير زواج ؟!

- أحد الشبان ضحك عليها ، ونال هدفه منها ولم يتزوجها ، ولم تسقط الحمل لمزيد من الضغط عليه

- ولماذا وضعته عند آل ظبي إذا كان هذا الكلام صحيحا ؟!

قالت أم صلاح بشك وريبة : لا أحد يعرف السبب لحتى الآن ، ويقال إن الشاب لما علم بذلك الحبل والولادة جاءهم عند الفجر ، وأخذ الطفل ، وهو الذي تركه في الحديقة خاف أن يقتله لأن قتله بعد الحياة يعتبر جريمة كبرى ، وقد يعدم أمام القانون

قالت أم غازي متشككة : رأيتها كذا مرة ، لم يكن يظهر عليها حمل يا أم صلاح .. وهل الحمل يخفى علينا نحن العجائز ؟

- لقد كانت تلبس ملابس فضفاضة واسعة .. أنا كنت استغرب لبسها لمثل هذه الثياب تلك الأيام .. فهمت القصد من لبسها لتخفي بطنها عن العيون ..والبكرية كما تعلمين لا يظهر الانتفاخ عليها بشكل كبير

- عجيب ! وما هو موقف أبيها وأخوتها منها ؟!

قالت جازمة : الرجال لا يرون ولا ينتبهون لهذا في الغالب .. فهل يجرؤ أحد أن يسألها عن سبب انتفاخ بطن أختهم ؟ سيعزونه لمرض ، وخاصة إذا قامت الأم بالتستر على ابنتها خشية الفضيحة والسمعة

- معقول منال متورطة ! ومن هو هذا الشاب الذي غرر بها ؟!

قالت : سمعت أنه ابن خالها يقال له سليم

قالت أم غازي استغرابا : اعرفه أنه شاب محترم ، كثير الود لعمته أم جلال .. أيعقل أن تورط معها بهذا العمل المفضوح؟!

- ياما تحت السواهي دواهي كان يأتيهم بحجة بر عمته وصلتها ، فكان العاشق القادر أن يخادعها

- ولماذا لم يتزوجها لما افتضح الطابق؟!

- سمعت أنه رفض هذه الطريقة للزواج ، ويشك في هذا الطفل هل هو منه أم من غيره ؟ قال لعمته كما سمعت التي تسلم نفسها لحبيبها قد تفعل ذلك مع الحبيب الآخر

زاد الاستغراب من كلام أم صلاح : الله اكبر ! يتهمها بحب غيره .. هذا صعب التصديق يا أم صلاح .. نحن لا نعرف عنها إلا خيرا .. أتجن بهذه السرعة ؟!

- اتهمها بأنها تعرف ابن أبي رايق الطباخ

قالت أم غازي: سمعنا عن هذه العلاقة منذ أيام المدرسة قبل سنوات .. فالبنت تركت المدرسة واستقرت في البيت ، ولم نسمع عن صحبة ابن أبي رائق لها

- هذا يا أختي ما قاله سليم ابن خالها للذين نقلوا لي الكلام

قالت : وأمها سترت عليها أمام إخوتها وأبيها العم ماجد

- هذا ما سمعته ، وها هي أم جلال لم تخرج من البيت من أيام بسبب ذلك ، وتقضي وقتها بالبكاء والندم ، وزوجها يحاول ترقيع الأمر مع والد سليم

- يعني كلامك أن المنال ذهبت ترعى أختها كذب ، وتابعت وهي غير مصدقة : ولكن أختها يا أم صلاح كانت حاملا بحق ، ولما كانت تدخل بيت أهلها نرى كرشها أمامها واضحا للعيان .

فقال أبو غازي معقبا على ما تبادلت المرأتان من الإشاعات : لن يهدأ للناس بال ، وستزيد الإشاعات والتهم حتى تكشف الحكومة عن أسرة الطفل الأم الجانية على الأقل

قالت أم صلاح: هل صحيح أن ريانة ستتزوج يا أم غازي؟!

- نعم ، صحيح تقدم إليها شاب من المخيم ، ونحن قبلنا وهي ما زالت تمانع وتتعذر .. وخلال يومين ستحسم الأمر

- لعلها ما زالت تتعلق بسلامة

- قلنا لها إذا أراد سلامة نكاحها فليتقدم لطلب يدها مثل الناس ، أما الحب والقصص الفارغة فهذا كلام فارغ .. البنت لازم تتزوج .. وسلامة رجل طفران يحب اللهو والصياعة والبيوت يا أم صلاح لها أبواب .. لو صحيح يحبها فليتفضل

كانت عيادة صحة أبو خروف مشغولة أيضاً بطفل الحديقة ، فكانت مجموعة من المراجعات والمريضات يجلسن في قاعة الانتظار للدخول على الأطباء ، وكانت موظفات وممرضات بينهن لتنظيمهن ، وأشهرهن ممرضة اسمها هدى ، فسمعت إحداهن سائلة لها: أحضرت إليك أم

الطفل للمراجعة للمعالجة للمتابعة؟!

قالت هدى: نحن لا نعرف أم الطفل ، لو نعرف أم الطفل قد نتذكر مجيئها إلينا يا أم عصفور ، فهذه الوالدة ليست من أهالي أبو خروف والله اعلم ، وعلى الرغم ما نسمع من إشاعات عن بعض الأسر والعائلات فقد ألقي الوليد في حديقة آل ظبي لإثارة البلبلة والإزعاج لأهل الحي أو أن أمه عاشت في الحي ،وتزوجت خارج أبو خروف فهي تعرف الحي

فقالت أم عصفور: الشرطة لم تصل لهذه الأم

– ليس من السهل معرفة أمه ، مئات النساء تلد يوميا ، وهي لم تلد في مستشفى .. ولادة في مستشفى تضيق مجال البحث ، لم نسمع عن مفقود في مستشفيات المدينة .. قد تحدث سرقات أو استبدال للمواليد في بعض مستشفيات وأقسام المواليد ولكنه ينكشف

قالت أخرى: العجيب يا هدى أنها استمرت في الحمل والحبل ، ثم تركته عند الولادة لماذا القسوة؟!

قالت هدى: لا تريد أن يعلم أهلها بحملها السفاح ، لما يخرج سيبكي سيجوع سترضعه

– قضت تسعة أشهر بينهم ، وهم لا يعرفون أيعقل هذا؟!

– قد يكونون عرفوا ، ولم تهن عليهم جريمة قتل نفس بعد أن حصل الحمل .. قد يكون والداها عميان

ردت معترضة على هذه الحجة : خفيت على الأقارب والجيران تسعة شهور حمل .. أتستطيع المرأة إخفاء ذلك؟!

قالت هدى بحدة : النساء قادرات على فعل ذلك ، وهي ليست أول امرأة تحمل سفاحا .. قصة غامضة يا أخوات .. نحن هنا لا نعرف هذه الأم .. ونحن نتابع العناية بالحوامل من أول الحمل حتى يلدن .. ثم نستمر برعاية الطفل صحيا وتطعيمه المطاعيم الوقائية ، ويكون له سجل موثق فهذه المرأة لم تأت هنا .. والمحير في قصة الوليد هذا لماذا ترك في منزل آل ظبي دون حدائق الآخرين ؟! فهل لهم علاقة بالمولود ؟! سمعنا أن الشرطة عرضوا المرأة على الطب الشرعي وثبت أن لا علاقة بينها وبين الطفل .. وفعلت ذلك لتبعد التهمة عنها أمام زوجها الغائب وأهل البيت والجيران

قالت أم عصفور بعد استماع: إنها امرأة شجاعة ! لقد لاكتها الإشاعات والأقاويل.. بهذا العمل الشجاع أخرست الألسن النمامة

– هذا ما تفوه به الدكتور حاتم أمامنا ، أخذت المرأة إلى الطب الجنائي للفحص الطبي ، وكانت النتيجة أن لا علاقة بيولوجية لها بالمولود ،

وسمعتها الآن طاهرة .. وشكوا بامرأة في المخيم الكائن وراء أبو خروف ثم تبين أن المرأة ميتة من عدة أشهر

– ولماذا شكوا فيها؟!

– لا أدري بالضبط ؛ ولكن سمعتها ليست ولابد .. الشرطة تعرف أسرار الناس كما هو معروف .. لها علاقات مشبوهة ، وقد سبق لها أن أسقطت دون زواج رسمي غير متزوجة .. ولما ذهب الشرطة للبحث عنها وجدوها قد ماتت أثر مرض عضال رحمها الله

قالت أم عصفور : مسكين هذا الطفل! سيعيش بدون أم وأهل .. جنوا على المسكين .. سوى العار الذي سيلاحقه .. نحن لسنا أوروبا ، لو فكرت أمه بما فعلت حق التفكير ما سلمت نفسها لرجل قضى شهوته واختفى .. باعت شرفها وعرضها للشيطان

قالت الممرضة: الشهوة والإغراء شديدان يا أم عصفور .. نحن في زمن الإباحية السينما اللباس مواد التجميل والبهرجة.. نحن لا نعرف ظروف المرأة لنحكم

– أي ظروف يا هدى ؟! تخضع للمعاشرة وتقول ظروف ، وربما نام معها الرجل عشرات المرات قبل أن تحمل.. ما ذنب هذا الطفل الآن ؟! كان عليهما أن يتزوجا قبل ولادة الطفل

– ربما أهله أو أهلها رفضوا زواجهما .. والولد سيبقى ابنا غير شرعي

– في القانون شرعي ، وربك غفور رحيم ، فهو سيلعنهم طول الدهر ، وسيكرههم كرها شديدا

– هذا إذا عرفهم ، فهو سيعيش في ملجأ أيتام ، ويعطى اسما اسم أب وهمي وأم كذلك ، ووالداه سيكون عقابهما الدنيوي تبكيت الضمير ، ويوم القيامة أمرهما إلى الله .. حياتهما ستكون مظلمة سوداء .. قاتل الله الشهوة

موظف الفندق

وأثار هذا الحدث موظف الاستقبال في فندق أبو خروف ، فكان الشاب يتحدث مع مدير الفندق قائلا : أتعلم يا أبا موسى أنني أظن أن أم الطفل اللقيط نامت ليلة في هذا الفندق

همس أبو موسى مستفهما مع الدهشة إلى حد ما : كيف ؟! لم أفهم !

– قبل شهرين يا سيد داود جاءت امرأة ، وكانت حاملا ، ونامت ليلة في الفندق ، وبعدما نزلت عندنا جاء شاب يسأل عنها ، فاتصلت بها فنزلت إليه وخرجا من الفندق ، ثم عادا بعد ساعتين ، وحاول البقاء معها في غرفتها ، وهو ليس زوجها ، ولا يمت لها بصلة قرابة ، ولا جواز معه ، ولا هوية يحملها ، فرفضت بكل قوة ، فتطلع فيها في عينيها : وقال: أمر عليك غداً وودعها وانصرف

، فلما انصرف قلت لها: أزوجك هذا؟
قالت بدهشة: زوجي! لا ، ليس زوجي هو صديق زوجي.. زوجي مسافر أنا طبعا استغربت كيف أراد البقاء معها في الغرفة لما سمعت ردها ، فحدقت في عينيها للحظات ، ثم صعدت لغرفتها ، وفي الصباح لم أرها ، فقد كانت دفعت إيجار الليلة مقدما ، أتكون هي المرأة المجهولة أم اللقيط ؟! لم ارتاح لها تلك الأمسية ، ونظاراتها زائغة .. أذكر هذا منذ شاع خبر وجود لقيط آل ظبي .. الفندق أمام البيت لا يفصلنا عنهم إلا الشارع شارع السلام

– وبجوارنا نقطة الشرطة ، وهو ليس أول لقيط يوجد في البلد ، ففي وجود الخادمات الآسيويات تكثر مثل هذه الحوادث

– أبو خروف ما زال بعيدا عنهن ، إنما هن بضع خادمات لبعض الأسر ، ولغتهن العربية سيئة ومن تطرد من بيت مخدومها تبات عندنا

قال أبو موسى : لكن الصحف تنقل قصص الاعتداء عليهنّ جنسيا من مخدوميهن أو أبنائهم ويؤتى بهن من قرى بلادهنّ فلا يعرفن الحماية من الحمل والحبل .. قرويات من سيلان وبنغلادش والفلبين .. وأمام إغراء المال والذهب والشهوة يفرطن بأجسادهن ، فيقعن في الفاحشة ، ويحدث الحمل في لحظة سكر ، ثم تكتشف سيدة الفيلا الأمر فتطردها وتجلب غيرها وهناك أطباء توليد لا ذمة لديهم ولا دين مقابل مبلغ كبير يولدها .. فالأخلاق في خلل هذه الأيام .. والإباحية تجتاح العالم باسم الحرية والديمقراطية ..ماذا سيتعلم الشباب من هذه المجلات الماجنة ؟ ألم نجد بعضها في غرف الفندق يتركها هؤلاء السياح ؟! تدخل البلد يزعمون سرا ..والأفلام الجنسية المثيرة الغرائز .. الله يحفظنا من الفتن ، حتى من كثر الحكايات الرديئة لم نعد نهتم بسماعها .. لا أذكر أني سمعت قبل عشر سنوات عن جريمة اغتصاب اليوم شاعت هذه الجرائم وما الذي لفت نظرك لهذه الأنثى بعد أسبوع على الحادث؟!

– الذي أثارني عندما جاءت احتجزت غرفة طلبت غرفة بسريرين ، فظننت أن زوجها سيلحق بها ويبيت معها، وقالت : ربما أمكث أسبوعا لديكم ، ثم جاء الشاب وسأل عنها فوقع في قلبي أنه زوجها ؛ ولكنه اخبرني أنه صديق للعائلة ، ثم خرجا للعشاء ، وحاول أن يقضي ليلته في الفندق فأنكر وجود هويته معه ، فاعتذرت له فغادر الفندق واعدا إياها باللقاء غدا ، ثم قالت : إنه صديق زوجها وأن زوجها مسافر ، ولما صعدت أخبرتها بالتلفون إما أن تدفع إيجار السرير الثاني ، أو تنتقل لغرفة بسير واحد ، فحاولت إغرائي بطريق وقحة ، فخرج إليها الحارس أبو جهاد ،

ونقلها إلى حجرة مفردة ، فنزلت ودفعت أجرة الليلة وأعلمتني أنها ستغادر بعد الفجر فتركتها على راحتها ، فعرفت أنها غير سوية ، وأنها غير محترمة ، وعرفت أني لست صيدا سهلا فانصرفت باكرا كما اخبرني الحارس ، فلما سمعت بقصة اللقيط أخذت أفكر فيها ، ربما تكون هي ، فقد كانت منفوخة البطن عندما نامت ليلة هنا ، ووضعه في حديقة آل ظبي هو الشيء غير المفهوم إلا إذا وضع صدفة أو تحت ضغط طارئ

– لم تعد تلك الصبية ، ولم تكن من أهالي أبو خروف

– لم أرها بعد ذلك المساء ، ولا أظنها من أهالي الحي ، مع أني لست من سكان أبو خروف ؛ لكن لي سنوات أعمل معكم أنت والعم محمود حسن

قال أبو موسى : الحق أن هذا الطفل ليس من أبو خروف ، فكتم السر لأسبوع هنا صعب والفضائح رائحتها تفيح بسرعة ، وحدث كهذا هل يخفى عليهم ؟ لا أعنى أن أهل أبو خروف كلهم أشراف ، فيهم الصالح وفيهم الطالح .. وبنية المجتمعات العربية اهتزت .. والتقليد الأعمى دارج لدينا .. والمدينة من زمان وهي تستقبل الحداثة والتطور والمدنية .. والفسق فيها أكثر من الريف والقرى، فنكاد نسمع كل يوم عن حوادث القتل وهتك الأعراض والمشاجرات وضرب السكاكين .. وهذا أول مولود يوجد حيا في الحي .. سمعنا عن وجود طفل وليد ميت وسمعنا عن بعض النساء أجهضن وأسقطن .. أما لقيط فهذه أول مرة ..والفاجرات معروفات للناس وعادة يتجنبن الحمل .. سمعنا عن بعض الرجال الفجرة يتسللون إلى بيوت الساقطات سمعنا عن زيجات تحت ضغط الفجور .. أغلب الزانيات يقتلن أولادهن إذا لم ينجح الإجهاض فتربية ولد أمر صعب وفضيحة مدوية في مجتمع شرقي ▪ قال مستفهما: هل أحدث الشرطة بهذا الحادثة ؟

– وماذا ستفعل الشرطة وقد عجزوا عن معرفة أمه لهذه اللحظة؟!

– لعل وعسى يا أبا موسى ساعدهم اسمها كما نقلته عن بطاقتها الشخصية .. فهو موجود في سجلات الفندق .. قد تكون أم هذا الطفل المسكين

– وقد لا تكون ، وإنما جاءت لتمارس البغاء في فندق شعبي مأوى الغرباء .. وهي تعلم أن هذا مرفوض في الفنادق ، وربما اعتقدت أن بعد فندقنا عن وسط المدينة سيسهل عليهم الأمر وقد يكون لها علاقة بترويج المخدرات

– إذن علينا الانتظار

قال السيد أبو موسى : هذا الصواب

– نعم ، هذا ما يراه مدير الفندق

– نعم ، هذا ما يراه مدير الفندق .. امرأة نامت ليلة ودفعت أجرتها نتهمها بأنها أم طفل حديقة آل ظبي بدون بينة

خطيب فاطمة

ليلا استقبلت أسرة شوكت خطيب ابنتهم فاطمة ، وكان السيد شوكت هذه المرة في البيت ، عاد من العمل متأخرا وكسل عن صلاة المغرب في الجامع ـ فهو عادة يصلي المغرب والعشاء في الجامع ، ويسهر على المقهى ساعة زمان ، ثم ينصرف لبيته ـ فلم يخرج تلك الليلة للجامع ووجدهم يأكلون البطيخ المثلج فغسل يديه ، وشاركهم في أكل البطيخ والجبن المالح الأبيض وأجاب عن أسئلة خاله عن حال أمه وأبيه وأسرته ، إما بالحمد لله ، وإما بهز الرأس بالإيجاب ولما غسلوا أيديهم وأفواههم من أكل البطيخ عادوا للجلوس في صالون الشقة ، صافح خاله وامرأة خاله وخطيبته ، وحيا بنات الخال زينب وبثينة ، وتحدثوا عن الإيجارات والشقق فقد قرب موعد الزواج ، فعادة الشباب يحتفلون في ذلك العهد بزواجهم في تموز وآب ومع عودة المغتربين في دول الخليج ، وهذا التقليد متوارث ؛ لأن أغلب سكان المدينة جاءوا من القرى والأرياف ، وهؤلاء كان موسم احتفالاتهم بالزواج والطهور للفتيان في أشهر الصيف ، حيث يحلو السهر والمبيت في الخيام والعراء والغناء ، ويكون موسم الحصاد للقمح والشعير قد انتهى وتوفرت الأموال بين أيديهم ، فيشترون الثياب أو يدفعون ثمنها للتجار ، واشتروا الذبائح التي ستقدم للضيوف والمدعوين ، وانتقلت هذه العادات معهم للمدينة مع أن أغلبهم لا يزرع ولا يفلح .. الدقيق يستورد من بلدان العالم شرقا وغربا ، ومع هجرة أبناء الأسر للعمل في دول الخليج العربي الناشئة حديثاً سوى السعودية فيعودون بالأموال والاحتفال بالزواج .. وقد يحصل الزواج في غير الصيف أمام ضغط حادثة طارئة أو ظرف قاهر .. فالزواج في الإسلام غير مربوط بزمن معين .. جائز في كل الشهور إلا في حالة تلبس المرء بالإحرام بالحج أو العمرة حتى يحل ، ولما انتهى الحديث عن الشقق والإيجار قال جميل وهو يبتسم : أعندكم خبر جديد عن لقيط آل ظبي كما تسمونه؟!

فقالت أم فاطمة: يبدو أن جميلا يحمل إلينا خبرا جديدا هات ما عندك؟

كرر التبسم وقال: امرأة خالي تفهم عليّ بسرعة ، سمعت زيادا قبل أيام يقول لي : أتذكر طفل أبو خروف طفل الحديقة ؟ قلت : نعم قال : الشرطة قبضت على امرأة يشتبهون بأنها أم الطفل ويجرون عليها الفحوصات اللازمة ؛ ولكنها تنكر علاقتها

بأي مولود ، وتزعم أنها محترمة
قال شوكت بفضول ولهفة: وكيف اتهمتها الشرطة؟!
عاود الضحك وقال : نفس السؤال سألته لزياد فقال : إخبارية من مجهول ، وزعم لهم علمه بذلك ، وأعطاهم عنوانها ومكان سكنها ، ولما رفضت الإقرار بجريمتها سيجري عليها الفحص الطبي الشرعي
بعد صمت قصير قال شوكت: هل تعلم يا جميل أن عامل فندق أبو خروف فندق الدوار أو الأنوار يزعم أنه استقبل امرأة حاملا منذ شهرين ؟ وذكر قصة عامل الفندق وتلك المرأة .
فقال جميل: ما علاقة الحبل بالطفل؟! النساء طول عمرهن يحبلن ، وهنّ لماذا خلقن؟! والتي لا تحبل لا تترك طبيبا ولا حجابا إلا وتتردد عليه من أجل هذه الوظيفة العظيمة
– يقصد الشاب أنها امرأة غير مستقيمة ، حاولت إدخال شاب غريب عنها لحجرتها حيث حجزت تختين وهي واحدة ، وحاولت إغراء الموظف لينام معها ، فيشك أنها هي أم الوليد المجهول الأم .. والشاب صاحبها رفض إظهار هويته أو حتى التعريف بنفسه فاعتقد الشاب أنها تحمل سفاحا ، ولما فشلت في إغرائه تركت الفندق مع أول الفجر قبل أن يرجع العامل لعمله في السابعة صباحا

– ممكن ! وضع غير طبيعي ، امرأة بنت هوى ، هل جاءت تتعرف على المكان تلك الليلة ؟! الأماكن كثيرة
– احتمال أنها صعدت للسطح ونظرت المكان
– ولماذا بيت آل ظبي يا خالي؟! هذا هو السؤال ..على كل حال سيتابع زياد تلك المرأة المقبوض عليها المتهمة من قبل مجهول
قالت فاطمة: وكيف صدقت الشرطة تلك المكالمة من مجهول متهما تلك المرأة؟!
– الشرطة يا فاطمة لا تصدق كل اتهام ، وفي نفس الوقت لا تهمل أي إخبارية ، أحيانا يكشف اللصوص أوراقهم لأسباب متعددة ، فيفسدون عن بعضهم للشرطة ، ولا يحبون أن يظهروا أمام القضاة على منصة الشهود ، وكذلك القتلة والمهربون يوقعون بعضهم بعضا ، فيعمل الشرطة على التأكد منها بطرقهم الأمنية والشرطية ؛ فإذا كان المشتبه به صاحب سوابق يتعاملون معه بمعرفتهم ، وإن لم يكن له سجل عندهم يتحرون عنه بسرية كاملة.. والشرطة يا خال يستطيعون بخبرتهم وتعاملهم المباشر مع الناس التمييز بين الإخبارية الحقيقية والوهمية .. والرجل ذكر لهم عنوانها ومكان سكنها وسبب الاتهام .. واخبرني زياد أنهم فعلا وجدوا المرأة سيئة السمعة ، وقد تحمل سفاحا ، ويرتاد الزناة بيتها ، ولها معرفة

بشرطة الآداب ، والدولة تمنع أولئك البغايا ؛ لأن للدعارة أوكار خاصة ، تتعرض نساؤها للفحوصات الدورية خشية نقل الأمراض الجنسية للزبائن ؛ ولكن الدولة لا تستطيع منع ذلك باستمرار .. أماكن الفسق معروفة لأصحابها وهذا باسم السياحة .. والفنادق المسموح لها بعرض بنات الهوى معروفة للسياح ، بل سمعت أنهن يعطين رخصا للعمل في النوادي الليلة والبارات والحانات

قال شوكت مستغربا : وهل في البلد مثل هذا؟

– أغلب بلدان العالم فيها ، وربما بعض الدول العربية والإسلامية تخلو من ذلك رسميا ؛ ولكنه موجود ..واعتقد أنه متابع من مؤسسات معينة ، كما يسمحون ببيع الخمور .. فلماذا لا يسمحون بالنساء الفاجرات ؟ .. وهناك كما أسمع نوادي ليلية .. فماذا يحصل فيها غناء رقص خمر ؟ فالسياحة تحتاج لهذه المقبلات .. وللدعارة شركات عالمية تديرها تسمى تجارة الرقيق الأبيض ؛ إنما في الدول العربية لأضيق حد .. في تركيا الحديثة العلمانية تعرض الحسناوات على شكل كتالوج على رواد الفنادق .. وذلك على ذمة من ذهبوا للدراسة في تركيا .. مثلهم مثل أوروبا .. هناك محترفات للرقص والغناء .. والدعارة شيء مقرف بالنسبة لنا

– أنا أول مرة أعرف بمثل هذا !

– ما دام يا خال الخمور تباع علنا لدعم الاقتصاد .. والدخان يباع لدعم الاقتصاد .. فلم لا يكون دعارة لدعم الاقتصاد .. والمراقص والمعازف مأذون بها .. نعوذ بالله من غضبه .. أسمع أن بيروت العربية كل هذه الأشياء فيها مشروعة بالقانون

– هناك أناس لا تحب الطهر والعفة .. ألم يتحدث القرآن عن قوم لوط ووصفهم للمؤمنين بأنهم أناس يتطهرون ؟

– وذاك في غابر الزمان زمن سيدنا إبراهيم عليه السلام .. فكيف اليوم والدول لا يحكمها دين ولا أخلاق ؟! اللهم استر علينا

– أناس لا يحبون الزواج والارتباط به .. يريدون النساء والجنس وبنات الهوى ، هذا نسمع عنه في المدن الكبرى في أمريكا أم العالم ..معك حق يا ابن أختي !

الاشتباه الجديد

كان سلامة في مجلس بين جمهرة من رفاقه وعصابته من شبان الحي الذي يسكنون فيه من شوارع أبو خروف ، وأغلبهم يدخنون السجائر ، وبعضهم يتحدث همسا مع جاره ، وكان سلامة يتمشى أمامهم بغضب وضيق فقال أحدهم: اجلس منذ جئنا وأنت تمشى كأن الدنيا هدمت فوق رأسك ؛

لعلك حزين بعد زواج ريانة .. أنا كنت أظن أنك ستتزوجها وتتحدى الجميع أمك ترفض وأخوك الكبير يرفض

التفت سلامة بسخط واحتجاج للمتكلم معه ، وحتى أن الجميع خيم عليه الصمت والترقب ، فقد كان في وجدانهم جميعهم أن سلامة سيعقد زواجه على ريانة ، ما كانوا يظنون أن أحدا غير سلامة سيدخل عليها ، فقصة حبهم سطرت على شوارع الحي وأشجاره ، وسلامة يعمل ومعه المال ، تزوجت ريانة ورحلت عن الحي ، ومن يومها لم يعرفوا رد سلامة إلا الصمت ، وها هو أحدهم يواجهه بكلام صريح ، لم يرد سلامة لزم الصمت ، فعاد الشخص السائل يقول: إني حزين من أجلك يا سلامة .. أهلك رفضوا زواجك منها ، أخوك الكبير أصر على الرفض ، هو تحدث أمام البعض منا فقال : زواج بهذه الصورة غير سليم ولا يدوم

فصاح أحدهم: لا ، هذا كلام غير صحيح .. سلامة كانت ريانة إحدى حبيباته ، وسلامة لم يكن هو مستعدا للزواج في هذه الفترة .. هو محب أكثر لفتاة المخيم ..أنا أعرف أخي سلامة طمأن الشباب يا سلامة .. اعترف لهم بالحقيقة أن فتياتك كثر .. سمعتك في الحي ستتأثر .. دافع عن حبك يا سلامة ألست بطل المحبين والعاشقين ؟!

قال شاب: البنات في حينا أكثر من الشباب .. أنا قابلت من أيام شابا وفتاة صدفة ، وهم تفاجأوا بي ..كنت أظن أنه لا يعرف البنات ولا يسير معهن نهائيا ..لا هم لشبابنا إلا الهوى والغرام حتى أن أحدهم رمى ثمرة غرامه وفاحشته في حينا ؛ ليزيد من سمعة الحي بالفساد واللقطاء .. يزعمون أن الطفل من خارج الحي ، وهم ينسون كم من الفسق في الحي أتحبون أن أذكر أسماء

فقال شاب آخر : لا داعي لفعل ذلك .. الخير موجود .. والجامع فيه الشيوخ من الشباب والفتيان وشباب الأحزاب الدينية ، والفساد والشرور موجود .. زر غير أبو خروف وستسمع البلايا والرزايا .. على الشاعر عاطف أن يتحفنا بقصيدة عن محبوباته وغزلياته .. ما آخر الأشعار يا حضرة الشاعر الولهان؟

فاحتج آخر : ولماذا الشعر ؟! الكلام الثقيل فليتحدث إلينا الراوي العتيد سيد نبيل عن آخر القصص التي قرأها أو ليحدثنا من قصص الهلالية قصة ذياب ولد غانم والفرس الخضرا والعبد الأسود ، أو قصة الأمير مغامس والعبد الأسود ..هذه قصص جميلة تدخل المخ .. دعنا من معشوقات عاطف أفندي

قال نبيل: نسمع الشعر أولا ، لا ترتاح نفسي اليوم للقص .. أنا حزين من عدم رد سلامة وخذله

لمحبوبته التي قتلنا غزلا وولها بها ، ثم عند الجد خذلها ، وتخلى عنها لتنام في حضن وفراش رجل آخر
قال ابن عم سلامة: يا إخوان دعوا سلامة في حاله وحزنه ، كان سلامة قادرا على الزواج .. إنما أهلها رفضوه ، وأهل سلامة رفضوا ، وأمام رفض الطرفين ماذا يفعل سلامة؟! يخطفها ويهرب كما يفعل بعض المراهقين بزعم الحب الجارف العاصف ..تنازل عنها ، وهو لم يكن يخطط للزواج منها ففتاة المخيم يهواها أكثر صدقوا كلامي .. دعوا سلامة في حاله وماله ، ولنتكلم عن مباراة كرة القدم التي سنخوضها مع فريق حي النجمة .. هل تعلمون أن زينا يعد لإنشاء نادي كرة قدم نادي شعبي .. وقد عقد عدة لقاءات مع بعض شباب أبو خروف عشاق كرة القدم .. ستقوم البلدية بعمل مباريات شعبية لفرق الأحياء والحارات
قال نبيل: حدثت بذلك من أيام ، وأخذت الأمر على سخرية ومزح .. شاهد حدثني بذلك
حدثت ضحكة جماعية وقال صبحي : شاهد يا أبا الشباب هو وراء المشروع .. علينا أن ننظم نشاطنا الرياضي وإذا تقدمنا في المباريات الشعبية سندخل للدرجة الثالثة من نشاط كرة القدم على مستوى القطر كله .. وسنكون ضمن الاتحاد الرسمي للكورة .. كلامي جدي أيها الشباب.. فلندع البنات في خدروهن ومدارسهنّ ، ونستعد لإنشاء الفريق والنادي بشكل حقيقي
واختلط الحديث حول هذا النادي الشعبي نادي كرة القدم ، فشباب أبو خروف يمارسون الكثير من الرياضات في ساحة مدرسة النعمان وغيرها من المدارس الكبيرة والساحات الخالية من السكان .
الناس تتلقف الشائعات كأنها كنوز سقطت من السماء ، انتشرت شائعة في أبو خروف مفادها أن امرأة ولدت طفلا ، وماتت في النفاس ، وقام ذوو المولود بالتخلص من الطفل المجهول الأب وأن الشرطة تحقق في الحادثة .. وهل لها علاقة بطفل حديقة آل ظبي ؟ فقد تحدثت الداية القابلة التي ولدت الفتاة الميتة لبعض الجيران ، ووصل الخبر للمباحث السرية واستدعت ذوي المرأة للمساءلة
وكانت أم غازي تناقش هذا الأمر مع جارتها أم صلاح فقالت: أنا أعرف هذه الداية الحاجة عيشة ، وبينها وبين أمي طرف قرابة ، هم قالوا إن زوج الفتاة ميت ، قالوا لها كما أخبرت عيشة إحدى البنات اللواتي يعشن في حي المجد ، ثم علمت بعد وفاة الوالدة بضياع الطفل وأن الأم لم تكن ذات بعل ، وأنها دعيت للقيام بعملية الولادة كما تدعى لفعل ذلك من عشرات السنين لم تفكر بأن الفتاة التي قامت بتوليدها لم تكن متزوجة ، وأنها حملت

خارج الزواج ،وذكرت أن والد الفتاة دخل غرفة الولادة وقبل أن تحممه قال: يا أم محمد نحن سنحممه ونملحه . وكانت المرأة الوالدة تنازع فقلت لهم : يجب إحضار طبيب لها ونقلها للمستشفى ، الفتاة صحتها متدهورة ، وكان عليهم توليدها في المستشفى ، وقالت استدعيت لتوليدها وهي تلد ، وقد خرج ماء الرأس كله قالت : فأعطيتهم إياه بغضب ، وأخذت أجرتي وقال والدها على مسمعها: سننقلها للمستشفى ؛ ولكنها ماتت قبل نقلها للمستشفى.. أسبوع عاشت بعد الولادة .. احضروا لها الطبيب العام ، ونصحهم مثلي بطلب الإسعاف لها لكن اهملوها ورأوا أن لا فائدة من علاجها ، ولما علمت بموتها وفقدان الطفل ، وعرفت بأنها بغير زوج شكت بأنها أم طفل أبو خروف

- ولماذا رموه في حي أبو خروف ؟!

- لحتى الآن لا أحد يعلم السر والسبب ، ربما الجاني والذي كلف بالتخلص من الرضيع لم ترتاح نفسه لقتله فتركه في الحديقة ؛ لكن الدخول للحديقة والبيت ليلا ليس سهلا حتى لو كانت بوابة المنزل مفتوحة يا أم صلاح ، ولو ألقاه رميا لمات الولد فهو ابن ليلة أو ليال ، فقد وجد بعيدا عن السور قرب جدار البيت وتحت شجرة .. فهذا فعل من يعرف الدار ، ثم فجاءة غيرت الحديث قائلة: هل علمت يا أم صلاح أن بنت أم جلال قد عادت التي شككت فيها؟!

- كانت مسافرة يا أختي إلى فلسطين إلى بلدها عند اليهود ، لها خالة تعيش هناك ، وزارت بيت المقدس .. الناس لا أحد يسلم من شرها

- نحن ظلمنا الست وتوهمنا أنها حامل سرا

قالت أم صلاح : الشيطان جعلنا نصدق الأوهام ، وضحك علينا ، لعنه الله حتى أن أمها زعلت علينا بما اتهمنا ابنتها من سوء الأخلاق .. فبينت لها عذرنا ، وإنما رددنا كلاما كما سمعناه

- ومن قال لها ذلك؟!

- النسوان كما تعلمين ألسنتهن لا تسكت عن القيل والقال ، ورجعت من البلد مسرورة ، فقد ذهبت للسلام عليها وسماع أخبار البلد وأهل فلسطين وكيف حياتهم مع اليهود ؟

قالت أم غازي مبدية أسفها : أنا يومها لولا معزتك عندي ما صدقت ؛ لعلك تذكرين ذلك .. نعوذ بالله من شر إبليس اللعين ، ومن زلات اللسان .. نحن منذ وجد هذا اللقيط في الحي ونحن نترصد أخباره ، ومشتاقون لمعرفة أهله كأنه لا يوجد لقيط في الدنيا إلا هو مع سماعنا لكثير من القصص .. فلانة فجرت مع فلان ، وفلانة رآها ناس تخرج من بيت فلان و و و اللهم غفرانك

- كيف ريانة بعد الزواج ؟ كل الجيران كانوا

يتوقعون نكاحها من السيد سلامة

– سلامة جبان طفران عمره ما بتزوج ..نحن عرضنا المساعدة والتساهل معه رحمة بالبنت المتعلقة به .. أرسلت لأمه بعض الشفعاء ، فعادوا إلينا يا أم صلاح بأقذع الألفاظ وأقبحها واتهامات وسرقة الشاب .. نحن من أجل خاطر البنت بهدلنا حالنا .. نحن نعرفه هاملا ؛ لكن البنت تراه فارسا

– كيف هي الآن ؟

– بخير وأحسن زوج .. والله هو الستير

– الله يبارك لها فيه ، ويرزقها الذرية الصالحة ، ولما تريها سلمي لي عليها السلام الحار من القلب فسلامة شاب فاسد ، سمعته في الحضيض ، شاب ضائع تائه خائن يا أم غازي ..كان يضحك على ريانة .. لكن الحب أعمى كما يقولون .. تعلقت به المسكينة الحمد لله ربنا أنقذها منه .. فابني عامر يذكر أن له عشرات الصواحب من أحياء مختلفة وغير مخلص لأي واحدة منهن ، لا أدري كيف يتعلقن به؟!

– البنات ضعيفات العقل، ابتسامة تظنها صادقة، وليست مخادعة ، تكلمت معها كثيرا عن سوء أخلاقه وفساده ، ونعود للقول الحب أعمى ، وهنّ أيضاً يحببن اللهو والتسلية مع الشباب وتظن الفتاة أنها تعرفت على فارس الأحلام ، ثم تكتشف أنها ضحية من ضحاياه وأن كلامه خداع في خداع ، تعلقت به بقوة رغم ممانعتنا ، ورفضنا لزواج بما يسمونه حبا ..كلمة حب لها سحرها على الفتيات الساذجات ، فيجعلون الحب معركة وصراعا .. سلامة خائن خائن نعرف هذا ، فلو كان جادا لأسرع بالزواج منها ، وقد مهدنا الطريق له، وسهلنا الأمر .. أهله اعتبروا تهاوننّا ضعفا وجبنا وسترا على البنت .. ونحن فعلنا ذلك لتعرف أننا معها وليس ضدها ، وأن الذي تاجرت به جبانا وخائنا ، وذلك حتى لا يفشل زواجها وتقول زوجتموني رغم أنفي ولشخص لم اعرفه ولم أحبه .. لا نريد أن نترك لها حجة يا أم صلاح حتى إذا حدث بينهم ما يحدث بين الأزواج من مشاكل تتهمنا بإجبارها عليه قلنا لسلامة تقدم بأيسر الأمر دون مال

– الكل سمع بتضحيتكم وتساهلكم .. العجيب أن البعض شك بأن بينهم شيء سيء لا تحمد عقباه .. أما الآن فعليها أن تستحمل ، وتستسلم لقدرها ، وأن لا أمل من الزواج بسلامة الخائن العاجز عن فتح بيت شرعي.

كان المشغولون بلقيط آل ظبي كلما تشاع قضية امرأة مشبوهة للشرطة ، تبدأ الأخبار بإضافة الجديد ، واتهام تلك الأنثى بأنها أم اللقيط ، ذات نهار قبضت الشرطة على امرأة من طائفة الغجر

هؤلاء الناس يسكنون في الخيم المتنقلة ، وفي الساحات الفارغة قرب الأحياء والمدن ، وهم منتشرون في طول البلاد وعرضها بل في أنحاء العالم كله ، ويعملون في السمكرة وأعمال الحدادة اليدوية وتصليح بريموسات الكاز والفوانيس ، وعندهم طقوس وعادات غريبة عن عادات سكان المناطق الأصليين ، ومنهم أناس تمدنوا وسكنوا البيوت وتركوا الكار كما يسمونه ، شاع ذلك النهار أن البوليس قبض على امرأة غجرية ، فانتشر خبر أنها هي أم اللقيط ، وأن زوجها رفض الإقرار به ، فطرحته المرأة في حديقة آل ظبي ، ولم يكن الوليد ابن يوم بل ابن عشرة أيام ، والجاكيت الملفوف فيها الطفل شحذتها المرأة الغجرية من إحدى العائلات ، وتخلت عنها لتدفئة الوليد المرفوض من أبيه ، وبعض الغجر من عاداتهم التسول والدخول على البيوت ، ومن ترددها على بيت آل ظبي لطلب الإحسان عرفت الحديقة ، فقد كانت تجلس فيها لتأكل صحن الطبيخ الذي تقدمه أم محمد ظبي لها ، وكان هذا الخبر في عيادة صحة أبو خروف العيادة الشعبية ، يتناقل بين النسوة العاملات والمراجعات ، فكانت واحدة تؤكد أنه غجري ، وشكله شكل أطفال الغجر ، وأن ابنها كان يلعب مع الأطفال الذين وجدوه ، وقال لها إن شكله يوحي بأنه من هذه الطائفة ، وأخرى تؤكد أنه ليس بغجري ، فقالت أخرى للممرضة هدى: هل هذا الخبر صحيح يا سيدة هدى ؟

قالت هدى باستعراض الخبيرة: هذه الغجرية معروفة لنا ، وكانت تتردد على الصحية هذه للعلاج والشحذة في نفس الوقت ، ولها زوج كان يصحبها في بعض المرات ، ولها أطفال .. لا أعلم لماذا قبضت عليها الشرطة ؟! فلم تكن حاملا لقد كانت هنا من قريب ، لا أعتقد أن لها علاقة بطفل آل ظبي ، ربما تكون هناك سرقة من بيت دخلت تأكل فيه أو تشرب شايا أو مدت يدها على سرقة بقالة

صاحت المرأة الأولى: سرقة ! وكيف قالت أم سلوى النجار أنها أم اللقيط ؟! فهم ينصبون خيامهم قرب منزلهم ، وتقسم على ذلك ، وزوجها حضر القبض عليها ، وكان يسهر مع زوج الغجرية ، ولما سهرنا عندهم اخبرنا بهذا

فقالت هدى معترضة : هذا كذاب يا أم سرحان ، قبضوا عليها ليس لأنها أم الطفل .. فهذه الطائفة حسب ما نسمع لا يهتمون بالشرف والعار والعيب لهم تصرفات غريبة.. وكيف سيعرف زوجها الأمي الجاهل أن الولد ليس منه ، وهو ينام معها كل ليلة؟ .. هل ستقول له هذا ليس منك ؟ وهي عندها ثلاثة أو أربعة منه .. هذا الأمر يحتاج

إلى طبيب ، وتحليل طبي ودكاترة وفحص دم ..فوضى هي ! ..وستذيع الجرائد تفاصيل الخبر لما ينته التحقيق

فاحتجت المدعوة أم سرحان أمام ضيق الممرضة وقالت : أنا لا أدري لماذا الشرطة لم تحدد أمه وأهله لحد اليوم؟!

– قد تكون الشرطة عرفت أهله ، ولا تريد نشره على الناس سترا على المرأة وأهلها ، ولمصلحة الطفل عندما يكبر .. فأخبار كثيرة تكتمها الشرطة عن الناس وعن الجمهور .. فهم لا يرون من سبب لنشر اسم أم الطفل أو أبيه .. فالأفضل لنساء أبو خروف أن يبحثن عن موضوع آخر يتسلين فيه ، ويهتممن بنشرة جديدة

قالت أم سرحان: لكن يا سيدة هدى قريب أم فاطمة امرأة السيد شوكت تقول إن شقيق خطيب فاطمة يعمل مع الشرطة اخبرهم أن الشرطة ما زالت تبحث عن أم الطفل ، لو كانت الشرطة تعرف ما تركت هذه الشائعات رائجة بدون ذكر اسم الأم والأب .. فكلما يقبض على فتاة يظن الناس أنها أم اللقيط .. الإشاعات تظل حقائق حتى تظهر إشاعة جديدة .. فتاة من الحي تختفي أياما تدور الإشاعات على أنها هربت ، وأنها أم اللقيط .. لابد للحكومة والوزير أن يضع حدا لهذه الإشاعات ما دام قد عرفوا أمه وأباه يا سيدة هدى

ردت هدى بهدوء : أنا قلت يا أخواتي قد تكون عرفت أمه وأهله ، ولا تريد فضحهم ، لا تريد نشر الخبر على مسامعنا .. هذا أمر محاكم ومحامين.. وهذه الفتاة الغجرية قلت لكنّ لا علاقة لها بلقيط آل ظبي .. حادثة سرقة فحسب .. وحتى أنني علمت أن هذا اللقيط قد مرض ومات خلال هذا الشهر المنصرم .

صاحت إحداهن : مات !! مات يا هدى ! وكيف مات؟!

ضحكت هدى وردت: كما يموت الناس .. كيف سنموت نحن؟! انتهى عمره فمات .. والموت لا يفرق بين صغير وكبير وذكر أنثى .. كلنا سيموت كما مات الذين من قبلنا .. هذا ما سمعته من بعض زوار العيادة .. ولكن هل هذا صحيح لا أدري؟! إنما ذكرت ما سمعت ـ رحمه الله ـ وإذا مات استراح من شقاء الدنيا ونكدها

فقالت أم سرحان بعد صمت لخبر موت اللقيط : أنا سمعت مثل هذا الخبر ، ولم أصدقه .. وظننته كلاما فارغا ؛ ليتوقف الحديث عن هذا اللقيط عن تلك الأم المجرمة .. للأسف السيدة أم محمد ظبي لا تتكلم بشيء ، قد زارتها بعض النسوة فقالت لهن : وجدنا الطفل وأخبرنا الشرطة ، وأخذوا أقوالنا وظروف وجود الطفل هنا ـ

قصدها الحديقة ـ ولم يعودوا إلينا ثانية .. فالأمر لا يهمنا من قريب ولا من بعيد .. وسمعنا أنهم أخذوا المرأة للفحص ؛ ولكنها لم تتحدث عن ذلك لهنّ

قالت هدى: لأن ذلك لم يحدث ، والذي وجد الوليد ليست هي ؛ إنما هم الأطفال .. واتهامها بدون دليل لا يجوز في القانون أرجو أن تنسين طفل آل ظبي .

نبيل حسين

أخذ نبيل حسين سلامة بعيدا عن الرفاق الجالسين في زاوية أحد البيوت من مربع سكنهم في أبو خروف فقال سلامة: ما بك قد ابتعدنا عن الشلة؟

توقف نبيل وقال: اسمع يا صديقي وأنت تعلم كم صحبتي لك ، وتعلم كم أحب الجلوس معك من سنوات ، وأحب أن أسمع أخبارك وأناتك وشكواك

– ويلك قل ما الأمر ؟! أزعجت قلبي وبدني ، ما رأيك بكأس شراب؟!

قال نبيل : أنت تعلم أنني لا أشرب ، ولا أحب النساء رغم بعض المغامرات من قبلهن والرسائل التي تأتيني منهنّ.. اسمع وصدقني بالصداقة التي تربط بيننا منذ سنوات

قال سلامة : بماذا أصدق أيها الشيطان ؟! أنسيت قصصك وحكايتك عن أبي زيد الهلالي سلامة وعنترة والزير سالم ؟

قال نبيل : سأحدثك عن الكثير منها ، وعن حمزة العرب وسيف بن ذي يزن اليماني كلها قرأتها وحتى أعرف ذات الهمة .. اسمع هل لك علاقة بطفل آل ظبي ؟!

بحلق سلامة برفيق دربه وقال: ماذا تقصد أيها اللعين؟!

– زعم بعضهم أن هذا ابنك من ريانة

قهقهة سلامة حتى ملات قهقهته الساحة وقال: ومن مصدر هذه المعلومة أو النكتة ؟!

– سمعنا بها ، سمعنا أن زوجها قد يطلقها بعد أن اكتشف أنها امرأة ، ولم تكن عذراء .. سلامة يا صاحبي! هل لك علاقة بطفل آل ظبي ؟!

صرخ في وجهه : أمجنون أنت ؟! حتى لو كان لي علاقة هل أرميه في منزل آل ظبي يا ولد ؟ أليس ابن السيدة محمد صديقا لي ؟! أنسيت ذلك؟! ألا تعرفه؟!

قال نبيل متشككا بعد : وهل يمنع هذا من طرح الطفل عندهم ؟!

– اسمع قل لي مصدر معلوماتك الغبية أو قل لمصدرك المريض الدنيء أن لا علاقة لي بطفل الحديقة ولا بريانة .. ريانة تزوجت ستر الله عليها رغم الإشاعات التي انتشرت حول ذلك ، لم أعاشرها معاشرة الرجل لأهله ..كل هذا كذب

وحقد .. وأنت يا مغفل تعلم رغم لهيب الحب الذي بيني وبينها فأنا أحب فتاة المخيم ، كما تحبون أن تسموها .. هي الوحيدة التي سأتزوجها وسأحارب الدنيا من أجلها

– أنا أصدقك يا سلامة .. وأعرف أنك لا تخادعني ولا تكذب عليّ .. وأنا دافعت عنك بشدة أمامهم بدون ذكر أسمائهم .. أنا صعقت لما سمعت الاتهام الصريح .. وكنت أراها عندما تظهر بيننا فجأة ضعيفة نحيفة لا يبدو عليها الحبل .. فهي تركض مثل السعدان وتقفز كالغزال الفار من الفهد الطيار ..ما أخبارها بعد زواجها ؟

– بعد زواجها التقيت بها مرة واحدة ، وليس بيننا إلا الكلام والسلام ، وباركت لها الزواج وتعذرت لها وكان لقاء الوداع .. وأنا أكذب على كل الناس ، ولا أكذب عليك ، ما زنيت بها أبدا .. كان الحب يجمعنا .. فالإنسان إذا زنى بمحبوبته فقدها .. انتهى الحب المزعوم .. فبعد أن يمتلك أغلى ما عندها .. ستصبح في نظره عاهرة ، وليست حبيبة .. أنت لا تعرف ذه المعاني يا نبيل .. فأنت لم تعرف الهوى والسهر والغرام .. إنك لا تصاحب الفتيات لتعرف همسات ولذة الغرام .. أنت تكتب الرسائل للعشاق وشتان بين الحالين

– أرى نفسي أكبر من النساء ، ولا أحب أن أضيع الوقت معهن ، وأنت تعرف عقدتي هذه المهم أنك بريء من طفل آل ظبي

– سخيف من اتهمني بذلك! لماذا الناس منشغلون به ؟! الزنا لا يتوقف والفجور يزداد والأخطاء واردة

– لعل السبب يا سيدي أن هذا أول مرة يحدث في أبو خروف ، فيه كل القضايا الأخلاقية الرديئة السكر القمار السرقة النصب المخدرات القتل الخيانة الزوجية زواج بالاضطرار .. فوجود لقيط كان هذا أول مرة فهو حدث نادر

– ربما يكون فعلا هذا السبب يا نبيل النبيل!

جلس نبيل على درج المدرسة من الجهة الخلفية ، وهذا الدرج لا يستخدمه الطلبة ، فهو لا يفتح على بوابة المدرسة إنما يفتح على ساحة خالية إلا من الأعشاب الشتوية والربيعية ، واعتقد أنه باب طوارئ عند الكوارث الطبيعية والحرائق ، فكان نبيل ورفاقه يحبون الجلوس على درجه المكون من بضع درجات حيث يلعبون الشطرنج الهواية المفضلة لهم ، وعندما يملون منها يذهبون لساحة المدرسة من الجهة الأمامية حيث ملعب كرة السلة وشبكة كرة الطائرة أو يحولون ملعب كرة السلة لملعب كرة قدم مصغر ، فهم يحبون ممارسة هذه الرياضات وعند التعب يعودون للباب الخلفي للعب الشطرنج والأكل والحديث والدخان ، فكان مقرهم المناسب في تلك الأيام ،

وهذه المدرسة على قمة جبل يطل على أبو خروف وعلى جزء من مخيم عودة الأمل ، وكان نبيل يلعب مع رفاق الشطرنج اللعبة الساحرة لمن يعرفها ويفهمها ، وكان سلامة صاحب نبيل يقف على تلة يراقب بيت صديقته بنت المخيم ، الفتاة التي سيقاتل الدنيا من أجل الزواج منها ، وقد حصل هذا في مستقبل الأيام ، وولدت له بفضل الله

الشباب تلعب الشطرنج وسلامة مسلط أنظاره إلى بيت المحبوبة ، وكان ذلك بعد حين من زواج ريانة ، وكان الحال بين نبيل وسلامة سيئا ومتوترا بسبب شيوع شرب الخمر لدى سلامة زاعما أنه يفعل ذلك حزنا وأسفا على فقد ريانة ، فكان يقاوم الشائعات حوله بشرب الخمر والمزيد من السجائر والعصبية ، وكانت تتلاقى نظراتهما في لحظات خاطفة

قال أحد رفاق الشطرنج : أين ذهبت صحبتكم فجأة؟!

توقف نبيل عن اللعب وقال : رغم أن الإجابة ستشتت ذهني ويفوز عليّ أسامة .. أنا لما قبلت صداقته كما تعلمون طلبت منه أن يهجر الشراب في مجلس أجلس معه فيه فقبل ، ولما ذهبنا لمشاهدة عرس وعلمت أنه ذهب ليسكر مع العريس والمغنين ورفاق العريس تركت الحفل وعدت لأبو خروف غاضبا .. أنا لا أحب السكر ومجالسه .. والكل من زعران أبو خروف يعلمون ذلك عني .. وعندما يكون لديهم حفل شراب يتجنبون دعوتي .. هذا مبدأ أحافظ عليه أنا لا أستطيع أن أكون أبا أو شقيقا أكبر .. والفساد يملأ الحي .. وهكذا اتفقنا أنا وسلامة .. وبعد زعلي منه ليلة العرس تدخل أبناء الحلال وجرى الصلح .. وتجدد الاتفاق بيننا وعاد الوئام .. هل يكون حل المشاكل والإشاعات باللجوء للخمر بزعم النسيان أي نسيان هذا ؟! الشراب يكبر المشاكل ويؤكد صحة الإشاعات والاتهامات .. المشاكل تحتاج لعقل لحلها والتخفيف من ضررها وخطرها .. الهروب من المواجهة والصمت والشراب غير صحيح .. قبل أيام كنا هنا مع الغروب ، طلب منا أن نذهب لشراء طعام لنأكله هنا على هذا الدرج .. والمطعم بعيد من هنا على الشارع الرئيسي .. نحتاج لبعض الوقت مع أنه كان باستطاعتنا الشراء من البقالة التي خلف هذا السور جبنة مرتديلا سردين تونة .. الأكل مع الشباب زين .. ذهبنا ولما عدنا لم يأكل معنا ، ثم همس لي أحدهم أنه أبعدك ليسكر .. أبعدني ليشرب كان معه قارورة خمر .. هذا سبب حردي الأخير عليه .. أخذ لا يكترث باتفاق صحبتنا أيها الأخوة .. أنا أكره كل السكارى في الحي .. وفي كل أبو خروف

لا يشرب الخمر في رفاقنا إلا هو .. وهل هكذا يبكى على الأطلال ؟ قد يعشق الفتى وهو صبي مراهق ، وهذا شائع في حينّا وغيره ، ولا يحصل الزواج إذا كانت الغاية من هذا الحب الزواج .. فالبنات تتزوج قبلنا في سن صغيرة ، قد تلد الحبيبة ثلاث مرات قبل أن يتزوج أحدنا .. فهذه العلاقات الصبيانية عبث ولعب ولهو ومغامرات استعراضية .. هذه هي الحقيقة .. آمنة كم كانت محبة لأسامة ؟! والكل يقول إنهما سيتزوجان ، وتزوجت وولدت وأسامة يجلس معنا يلعب الشطرنج ، يتحسر على أيام الهوى الغلاب .. وقبله سرحان وفتاته أصبحت تنادى بأم أحمد ، وهو ما زال سرحان ، وصارت جارة لأمه .. لقد طلب أحدهم مني كتابة رسالة لفتاة هويها ، فلما ذكر لي اسمها عرفتها فقد كتبت لها عدة رسائل ، وهو اليوم فارس أحلامها ، فتحرجت من الكتابة إليها فقلت له بكل صراحة : هذه الفتاة تعرف خطي ، فقد سبق أن كتبت لها من محبين قبلك ، كتبت لها عددا من الخطابات على لسان عدد من الفتيان ، فعندما ترى الخط ستعرف أنني الكاتب ، فهي تعرفني شخصيا ، وهذه فتاة لعوب .. وأعرف أكثر من خمسة فتيان صاحبوها . لكنه أصر وكتبت له وقال : اكتبها وسأنقلها بخط يدي حتى لا ترفضها ، وأتسلى بها كما تسلى معها غيري . كتبت له رسالة عشق عربية .. فهي تبدل الشباب وتنتقل من فتى لآخر ، كلما يهجرها شاب تبحث عن غيره ، هي تتسلى وهو يتسلى ، بل لسانها كما علمت لسانا قبيحا ، وقد تساعدك في التعرف على فتاة أخرى وقد تصاحب اثنين أو ثلاثة في وقت واحد .. تأخذ شريط كاسيت من هذا وتهديه لآخر ، ثم تراه يعود للأول في يوم من الأيام .. أهذا حب؟!

قال أحدهم ساخرا : يتدربون عليها ويتعلمون منها على مقابلة الفتيات ومغازلتهن ، ثم يكتشفون عوارها فيهجرونها ويجدون غيرها ، حتى علمت أن سلامة رافقها فترة وملها بسرعة قائلا: لا تصلح للحب ولا للسهر .. وخسارة أن ينفق عليها فلسا ؛ إنها تصلح لنشر الفضائح فقلت له : لكنها لا تمارس البغاء والدعارة . فقال : إنها وقحة لآخر درجة ! قد تتعرى أمامك دون حياء ؛ لتنظر عورتها ، وتتكلم كلاما مخجلا ..وأنا اعرفها أكثر منك ، ولها أصحاب من أحياء أخرى

فقال نبيل : ولكنها تزوجت ، وخرجت من الحي .. وكل الرواة أبطال .. وأعتقد أنها عذراء ، لما نكحت الرجل لم يظهر العوار العجيب إخوتها هل لا يعلمون بالوقاحة التي هي فيها ؟!

- يعرفون ماذا يفعلون ؟ الناس تغض السمع والبصر .. الضرب واللطم ماذا سيفعل؟!

قال أسامة : غرامياتها تزكم الأنوف .. ستر الله

عليها .. وارتاح أبو خروف منها
قال نبيل : ليست الوحيدة ؛ إنما هي أجراهنّ على الوقاحة وقلة الأدب .. وسيظهر في الحي من هي أوقح منها .. الحي ولاد لمثل هذه النوعيات من الفتيات .. ذهب الحياء ، وإذا لم تستح فاصنع ما شئت !

جميل

كان جميل يدخل منزل خاله شوكت ـ وقد استأجر بيتا في قلب المدينة ـ فبعد جلوسه قال: خالي في المقهى الخالد
رحبت أم فاطمة به ، واطمأنت على أمه وأبيه، وعادت ترحب : أهلا وسهلا بالعزيز الغالي خالك ذهب للمسجد كعادته ، وبعد الصلاة كما قال سيزورون رفيقا لهم خرج من المستشفى بعد عملية جراحية في بطنه ، يقول خالك إنها صعبة ، وهذا الصاحب من سكان حي المدينة حاليا ، كان من أهالي أبو خروف ، ولما ترمل تزوج أرملة ؛ كأنها ورثت بيتا عن زوجها في حي المدينة ، فأجر شقته هنا ، ورحل ، وهو ما زال على صداقة مع أبي فاطمة
قالت فاطمة : لقد علمنا أنك وجدت بيتا
نقل بصره إليها فقال سعيدا : حسم الأمر يا فاطمة .. سنسكن بعيدا عن الأهل .. جئت الليلة لأبشركم بأني وجدت البيت ، ووقعت عقد الإيجار مع وكيل المالك أحد المحامين .. وجئت أيضاً لنرتب أمر حفل الزفاف يا امرأة خالي
قالت الأم بسعادة : يا ألف مبارك يا ابني ، نحن أهل
– غداً ستمر أمي وأبي للاتفاق على الترتيب النهائي ، ولم يبق إلا أيام يا فاطمة .. وننفصل عن الأهل ،ويصبح لنا بيتنا الخاص .. مبارك يا فاطمة
تمتمت شاكرة داعية ، وسمع أم فاطمة تقول: سنة الحياة يا ولدي ! مبارك عليكم يا أولاد عسى أن يكون الإيجار ميسورا
– عشرون دينارا نهاية كل شهر مع الكهرباء والماء ، والبيت قديم إلى حد ما أجريت عليه تحسينات وترميمات مع الزمن .. والمستأجر طائر مهاجر رغم شقة الترحال .. وسيقوم أمجد بصيانته وإعادة طلاء جدرانه قبل نهاية الأسبوع .. بإذن الله تعالى سيكون جاهزا ، وخلال الأسبوع القادم سيكون مؤثثا يا فاطمة .. نحن ذهبنا وابتعنا أثاث غرفة النوم كما تعلمون ، لم يبق إلا نقلها .. وعليك يا فاطمة أنت وأمك شراء أدوات المطبخ من طناجر وصحون وكاسات أشياء أولية .. ورويدا رويدا نشتري باقي الأشياء كسائر البشر والأزواج .. وهداني زياد التلفزيون .. والغسالة من أختي جميلة وزوجها .. والمروحة من أمي وبعض لوازم المطبخ .. ونحن حجزنا الطباخ مع غرفة النوم

وقالت أم فاطمة: ونحن جهزنا الفرشات والأغطية وسنهديك فاطمة

ضحكوا وقال : هذه أحلى هدية ، وفاطمة في عيوني

قالت فاطمة: شكرًا يا ابن العمة الغالية

– كانت أمي ترغب أن نبقى معها ، ونعيش معها ؛ لكن الوضع غير مناسب كما شرحت لكم سابقا ، ولكم عندي خبر صغير عن لقيط آل ظبي

ضحكوا قليلا مرة أخرى وقالت أم فاطمة: خبر ! لقد خفت الحديث عنه هذه الأيام ؛ كأن الناس يئسوا من معرفة أهله .. آ ، ما الخبر الصغير الذي عندك ؟!

– الخبر أن شقيقي زيادا همس في أذني أن فتاة قد قتلت بسبب فضيحة جنسية

– وهذا خبر يقال بين الفينة والأخرى يا ولدي يا جميل ما زلنا نسمع أن فلانا قتل ابنته ، وهذا قتل أخته من أجل ما نسميه الشرف ، وهذا قتل امرأته

قال باسما : صحيح هذا الخبر شائع ومنتشر في الأحياء ؛ ولكنّ زيادا يقول: الشرطة تشك أن هذه المرأة المقتولة لها علاقة بطفل أبو خروف ، لقد استدعتها الشرطة وحققت معها قبل مقتلها ولم تعترف بالحمل وإن اعترفت بعلاقات جنسية مع رجال خارج الزواج ؛ لأنها غير ذات زوج واطلق سراحها ، وهم يشتبهون فيها ، ولما قتلت أقر أخوها الفاعل أنه يشك بحملها ، وأنها ولدت سفاحا ، فقد اختفت عن البيت أكثر من ثلاثة شهور قبل أن تعود إليهم ، وهي ليست أول مرة تترك فيها البيت كما قال أخوها الجاني ، ولم تعترف أين كانت طول هذه الفترة ، وعرفت الشرطة أنها كانت تعيش مع رجل في قرية نائية على أنهما زوجان ، ولما وضعت حملها بأيام اختفت من القرية بسيارة خاصة ، ثم ظهرت في بيت أهلها ، ولم يكن معها ولدها .. والرجل تبحث عنه الشرطة قبل إغلاق ملف قضية مقتلها

قالت فاطمة متشككة: قد تكون حادثة أخرى يا جميل ..والوليد لم يظهر

– شقيق الفتاة قال للشرطة : نحن لم نرى حملها ، ولم نر وليدها ؛ لكنها اختفت فترة تخفي الكثير وتوحي بذلك الحمل

– وهي اعترفت بالفاحشة ، ولم تعترف بالحمل

– لكن أهل القرية يذكرون الحمل والولادة ، وأنهم بعد الولادة بزمن يسير اختفوا من البلدة الريفية ، كانوا يظنونهم زوجين كما زعما لهم ، ولما عادت لأهلها عادت بدون طفل أين ذهب إذن الرجل الذي عاش معها هو الذي سيحسم الأمر لدى الشرطة ، وتعرف أهل القرية عليه فهم لما رأوا صورة المرأة عرفوها فورا .. فإخفاء الطفل أو

قتله جريمة يعاقب عليها قانون العقوبات والجنايات .. وإذا كان لقيط الحديقة ابنه سيتغير الوضع القانوني ، قد يحبس أو يغرم ويعفى عنه ، ويلصق الطفل به قانونا ، وهو يتحمل تربيته ، وقد يعمل له عقد زواج على المرأة الميتة ، ويصبح الابن شرعيا في نظر القانون

قالت أم فاطمة: لا حول ولا قوة إلا بالله .. هذه الجرائم لا نهاية لها .. الناس تفشل في تربية بناتهم هذه الأيام ، ويسمحون لهن بالسفور والتبرج ، ولا يريدون لهن الوقوع في الآثام

- المجتمع للأسف يتفسخ ، والتربية هي الأساس يا عمتي .. قالت هند (أتزني الحرة يا رسول الله ؟!)

قالت فاطمة : من هند ؟

قال باسما : هند بنت عتبة أم معاوية وزوج أبي سفيان في الإسلام والجاهلية ، قالت ذلك لما بايعت الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام رضي الله عنها

كانت بعض الأسر في أبو خروف كثيرة العدد بين أبناء أولاد عم خال ، استوطنوا الحي وتكاثروا ، وتجدهم يسكنون ضمن مربع واحد ، ضمن عمارة واحدة ، الأخ الأم الابن القريب وهذا في سائر أبو خروف ، وربما تجد بعض الأقارب ينتشرون في مربعين أو ثلاث ، وذلك مع تطورات الحداثة العمرانية والقروية ، ربما جاءوا من قرية واحدة وعاشوا فيه ؛ لذلك تجد بعض الأسر عديدة وكبيرة بالنسبة لغيرها من عائلات الحي ، وفي فترة السبعينيات من القرن العشرين لم تكن صالات الأفراح منتشرة بكثرة ومطلوبة ، فبعض العائلات كانت تحب صنع الطعام ، خاصة الطعام في حفلات العرس لإطعام الضيوف والأقارب ، ومن يحضر من أهل الحي ؛ لذلك كانت تتحول ساحة المربع في بعض مناطق أبو خروف لساحة عرس ، وتنصب خيام العرس

للاحتفال قبل ليلة الزفاف بليال للرقص والدبكة والسهر والسمر لنصف الليل ، والعرس يكون في الغالب في شهور الصيف ، بل تبدأ الأعراس مع الصيف حتى يدخل الخريف وينصرف منه أيلول وتشرين الأول ؛ ولكنها تقل في الشهريين الأخيريين ، وبعضهم يجلب فرقة شعبية للغناء والسمر ويقدم الشاي والقهوة والعصير والماء والسجائر وينفخ في القربة وآلات العزف ، وتجد الفتيان يرحبون ويبتهجون بمثل هذه السهرات ، وتتجمع الفتيات والنساء في بيت أهل العريس ، وتحدث الحواديث الخبيثة ، ويقدم الشعار والزجالون ما تجود به قرائحهم من الزجل الشعبي والتغني بالحب وحب الأوطان ، وتسمع زغاريد النساء تلعلع في جو السماء باسم العرس والبهجة

والفرحة ، خاصة إذا كان العريس هو البكر لأبويه ، ونهار الجمعة يكون يوم العرس الرسمي والأخير فيقدم للضيوف الطعام واللحم واللبن والرز ، وبعد الغداء توزع بقايا الأطعمة على فقراء وأهالي المربع القائم فيه العرس العربي ، ومع المساء يذهب أهل العريس وضيوفهم للإتيان بالعروس إن لم تكن من أهل الحي بالسيارات الصغيرة والكبيرة ، وتدخل على غرفة أعدت لاستقبالها وجلوسها على منصة أو لوج كما تسمى عندهم ، ويجلس بجوارها العريس بعد حمامه الخاص في بيت أحد أصدقائه مع زفة له بالأغاني والطبلة والموسيقى في شارع من شوارع أبو خروف ولما يدخلوه للجلوس مع عروسه ، يبدأ بعض الناس بالدخول على العروسين ، ودفع ما يسمى بنقوط العرس لأحدهما أو كليهما حسب الارتباطات المالية مع أهل العريس أو العروس ، ويبقى ذلك ساعة أو أكثر ، ثم ينصرف الناس الذين لم ينصرفوا بعد الغداء وبعد الزفة .. فهناك من يغادر بعد تناول الطعام ، ومنهم من يغادر بعد جلب العروس ، ومنهم من يغادر بعد الزفة ، ومنهم من ينصرف بعد إغلاق العروسين على نفسيهما بيت وعش الزواج ، ربما يبقى القليل في انتظار دخلة العروسين لإطلاق رصاصات ليلة الدخلة كما هو عند بعض الأسر.

وهذه الأعراس الشعبية لا تخلو من بداية العرس إلى نهايته من المشاجرات والمهاترات والعداوات المتوارثة والمتأصلة بين الأسر القريبة والبعيدة ، وربما تتدخل الشرطة لفظ النزاع ووئده قبل أن يكبر ، ويتخلل هذه السهرات عادة اطلاق الرصاص في الفضاء ، إما ابتهاجا بالعرس أو استغلالا للوقت وتجريب المسدس المشترى حديثاً باسم الاحتفال بالعريس ، ورغم تحذيرات الأمن من استخدام الرصاص الحي ما زالت التجاوزات دون اكتراث ودون مبالاة ، وحتى أن بعضهم يستخدم الرشاش المسمى الكلاشنكوف ـ سلاح أصله روسي ـ وهذا يطلق عددا كبيرا ومتتاليا من الرصاص في ضغطة زناد واحدة ، وقد يفقد صاحبه السيطرة عليه ، فيسبب مآسي له وللآخرين ، والشرطة باسم الفرح والمناسبة كثيرا ما تغض الطرف عن استخدام السلاح الحي ، وعادة الجمهور مشغول بالطرب والرقص والسماع عندما يطلق الرصاص ، ومع اطلاق الرصاص ترتفع زغاريد النساء كأن المعركة مع العدو ، قد بدت تقاليد بالية ساذجة ، قلدنا الغرب في الأكل والشرب واللباس ، أما هذه العادة فما زالت حتى بعد هذه الأحداث بعقود حيث نكتب هذه الحكايات

هذا الصيف احتفلت عائلات الدير بزواج عدد

من أبناءهم كما يفعلون ذلك كل سنة ، ومضت الليلة الأولى من ليالي العرس على سلام رقص أغاني قربة نفخ شراب دخان طرب زغاريد رصاص ، وليلة الجمعة اليوم الثالث والأخير من السهرات حدث الخطأ القاتل الذي يحذر منه رجال العلم والشرطة ، قلب الحدث العرس والفرح إلى مأتم وحزن وندم حيث لا ينفع الندم كان أحد أقارب العريس يعبر عن فرحه وسروره بإطلاق الرصاص في الفضاء وبعيدا إلى حد ما عن تجمهر الحفل الراقص وخيمة العرس الكبيرة الصيوان أو السرادق ، كان يرفع السلاح بيده عاليا إلى الفضاء ويضغط على الزناد بقوة وبانفعال واضح للعيان ، أزاح أحدهم يديه ،كأن أحدهم دفعه فجأة فانحرف المسدس وهبطت يده إلى الأسفل قليلا فأصابت الرصاصات بعض الناس ، ووقع طفل على الفور أرضا يصرخ ، ثم مات ، وتوقف العرس على الصراخ ، وحضرت الشرطة للمكان شرطة النجدة والدورية ، ونقل الطفل للمستشفى ، وتحول العرس لترح وبكاء وصراخ وعويل ، وتبين أن القتيل ابن عم العريس طفل اسمه إبراهيم في المرحلة الإعدادية من المدرسة

جلس الأقارب بعد الصدمة ، وقد توقف الغناء والعزف ، وخيم الحزن والأسف والندم ، وهذا يزعم أنه نبههم لخطر الرصاص ، وآخر ذكر بحوادث أخرى ، وقال رجل كبير منهم: من زمن ونحن ندعو إلى الكف عن استخدام الرصاص الحي في المناسبات السارة ..لا أحد يسمع .. يا شيخ خلينا نفرح .. خلينا اليوم نحزن ..هل ستتعلمون؟!

لم يتكلم أحد ، ظل الصمت مخيما حتى رجع المصابون من المستشفى وقال شيخهم : غداً سيكون الغداء للعرس والمآتم .. نسأل الله الصبر لأهل الفقيد الطفل إبراهيم عواد ، وبعد العرس سنجلس للعزاء ثلاثة أيام كالعادة ..وغدا سيذهب الكثير من العائلة للدفن ، وبعد الغداء سيذهب البعض للإتيان بالعروس وبدون أغاني ورقص ، وزفة صامتة للعريس إلى حيث سيسكن .. ونجلس للعزاء في بيت أبي إبراهيم .. وهذه هي حال الدنيا ، وسنتحرك من أجل الصلح بين الأسرتين لتفرج الشرطة عن عبد القادر

حدث همس ولغط من سيذهب يأتي بالعروس والضحية ابن عم العريس ، وقبل أن يستمر الهمس قال الشيخ: آسف أيها الناس أنا نسيت أن القتيل ابن عم العريس .. كلنا سنذهب لأخذ خاطر والد إبراهيم ، وكلنا سيذهب للدفن ، وبعد الغداء المشترك سننتقل لبيت والد إبراهيم وسيذهب والد العريس والعريس وبعض الأخوة الكرام والنسوة لجلب العروس كما

ذكرت أولا دون تزمير وطبل ، وأهل العروس سنتصل بهم ونخبرهم بالحال ، والعذر عند الكرام مقبول ، وسيجري الصلح في الليل بعد إحضار العروس ، وعلينا أن ننصرف لم يبق للفجر إلا وقت قصير .. يوم لا ينسى فرح وموت.. بارك الله للعريس ، ورحم الله الميت

أخذ الناس بعد هذا القرار يغادرون المكان ، ويستعدون لمراسم الدفن وانتظار مجيء الجثة من الطب الشرعي ، وكانت العائلة قد انتقلت لبيت أبي إبراهيم للعزاء والمواساة ، وكان البكاء في بيت أبي إبراهيم قائما من قبل النساء .. فعلى الناس التظاهر بالحزن بعد ذلك الفرح ، وكان جدل يدور حول الحق على من ؟ الطفل القريب من اطلاق الرصاص ، من الرامي الذي لم يسيطر على السلاح من دفعة خفيفة

فقال قائل: لم نسمعك تتكلم يا سلامة بعرس قريبك.. أليس إبراهيم من أبناء الحمولة ؟

– نعم ، زيجة شؤم

– شؤم ،ولماذا الشؤم يا إنسان؟!

تكرار الأعراس صيفا في أبو خروف لا يتوقف خلال شهور الصيف ، كما تكلمنا بهذا آنفا تموز آب أيلول وتشرين ، ومع ذلك استمر اطلاق الرصاص في المناسبات والحفلات ، وتزوجت فاطمة شوكت وزفت إلى عريسها السيد جميل ، وغادرت أبو خروف إلى بيت في وسط المدينة الجزء القديم منها حيث العمارات والمباني التاريخية ، ومن عادات الأهالي في أبو خروف وغيره أن يذهب والد العروس وأمها وربما خالتها أو بعض أخواتها المتزوجات في اليوم التالي لليلة الزفاف للمباركة للعروسين ، يذهبون في المساء ومع الغروب يحملون الحلوى والفواكه ويسمونها الصباحية ، رغم أنها تحدث في المساء ، تطمئن الأم على أن الزوج قد تمكن من الدخول بابنتها وأصبحت امرأة ثيبا ؛ لأنه يصحب شعبيا هذه الليلة ضغط نفسي عجيب من الناس ، واليوم أخذت تظهر عادة شهر العسل ، فتؤجل الصباحية ريثما يعود العروسان من رحلة العسل ، أقلها ثلاث ليال ، وقد تطول حسب الإمكانيات المادية والإجازة من العمل ، ومن العادات الأخرى في أبو خروف أن أهل العروس يدعون العروسين في الجمعة الأولى بعد ليلة الزفاف للغداء ظهرا معهم ..فهذه تقاليد منتشرة فأول جمعة لأهل العروس

لذلك بعد صلاة الجمعة كانت فاطمة تنتظر زوجها الذي حضر بعد الصلاة ، وهو يحمل هدية لخاله وأسرته ، وبعد أن استراح قليلا غادرا البيت لأداء الواجب الاجتماعي ومشاركة خاله الطعام الخاص والمعد لهذه المناسبة ، وأشار لسيارة تكسي ذات اللون الأصفر والذي يعني أنه مسموح له

التنقل في أحياء وشوارع المدينة المحافظة دون الالتزام بخط سير واحد ، ركب بجوار السائق وركبت الفتاة في الكرسي الخلفي ، ولما تقدمت السيارة بها عدة أمتار ذكر اسم المكان المقصود ، فالتفت إليه السائق قائلا: أنت من أبو خروف ؟

– لا ، أهل عائلتي من أبو خروف ، أنا ذاهب في زيارة لهم .. أتعرف أحدا من أبو خروف؟

– أنا أعرف بعض الأفراد منه .. أكيد ما دام نسيبك من أهالي أبو خروف أنك سمعت بطفل أبو خروف اللقيط

– هذا كان من أشهر

– نعم ، أذكر ذلك .. قد أكون أنا الذي حملت الرجل والطفل إلى أبو خروف تلك الليلة

استدار رأس جميل يسارا محاولا النظر في عيني الرجل وقال: أنت ؟! وكيف؟!

– ذات ليلة كنت في وسط المدينة استرزق ، كما تعلم شغلتنا الفر والكر ، كان الوقت بعد نصف الليل قبيل الفجر ، كان رجل يقف على أحد الأرصفة فرأيته فاقتربت منه ، فأشار لي بالتوقف فوقفت فركب في الكرسي الخلفي ، وكان يحمل شيئا لم أهتم به عندما صعد ، عرفت فيما بعد أنه طفل وليد ، واعتقدت أنه ابنه ، وطلب أن أنقله مثلكم لأبو خروف ، وعند الدوار أمرني بالوقوف ونزل ، ودفع لي الأجرة بعد أن زعم أنه نسي ، فناديت عليه فعاد ودفعها الأجرة كاملة، وأخذت أعد لأعيد له الباقي باقي الدينار ؛ لكنه ابتعد وأشار لي بأنه لا يريد الباقي

– هل أخبرت الشرطة بهذه المعلومات القيمة ؟!

– حصل لكن بعد أكثر من عشرة أيام لما شاع الخبر ؛ فأنا أكره قراءة الجرائد ؛ لأنها كلها كذب وأفلام محروقة ، ولا وقت لنا لقراءة الأخبار ، نكتفي بما نسمع من راديو السيارة ، أخذوا أقوالي وقال الضابط: ولماذا اعتقدت أنه طفل أبو خروف ؟ فقلت له : كان وضع الرجل غريبا مرتبكا ولزم الصمت طول الطريق ، والطفل لما سمعت صوته أدركت أنه مولود جديد ، ولم تكن معه امرأة ؛ وفي النهاية ندمت أنني أدليت بشهادتي أرأيت مقابلة الإحسان ؟

قال جميل : لا تغضب ، هم لا يرفضون شهادتك ، بل يريدون سحب المزيد من المعلومات

قال السائق : أنا لما سمعت الخبر من أحد الركاب الطيبين مثلكم تذكرت ذاك الرجل الغامض بل عرفت لماذا نسي دفع الأجرة عندما نزل ؟

أدركت عندئذ انشغال قلبه بالوليد ، وعلمت أن البيت الذي تركه فيه قريب من الدوار .. هل عرفوا أم الطفل؟

– لحتى الآن لم تظهر أمه ولا أبوه .. الشرطة عاجزة من القبض على أحدهما وحسب الجرائد

وإشاعات أبو خروف الشرطة لم تتوصل لشيء ، والسبب أنه ليس أول لقيط تجده الشرطة والمباحث ، ولي شقيق في الشرطة يخبر أنهم يجدون كل شهر أو شهرين طفلا حيا أو ميتا فوجود الخادمات الأجنبيات زاد من ظاهرة اللقطاء في المدن الكبرى ، وأغلبهم يجدونهم أمواتا مخنوقين بعد الولادة مباشرة أو ميتا في أماكن مهجورة غير مطروقة ، فلما يكتشف يكون قد فارق الحياة من أيام .. يا رجل ذكرت إحدى الصحف أن عامل الزبالة وجد طفلا في صندوق الزبالة الكبير ، سمع صوتا فظنه قطا في الصندوق ، ولما تطلع وجده طفلا وليدا ؛ لأن القط لما يشعر بأحد يقفز هاربا، فأخرجه وسلمه للشرطة بعد أن بلغ المسؤول عنه .. أرأيت المجرمين لا ضمير ولا ذمة؟! ألقوه ليموت ويحرق في محرقة البلدية

- حسبنا الله ونعم الوكيل .. الشهوات زادت عن حدها في شرق البلاد وغربها .. ستر الله على عورات النساء ، وكفانا شر هذه الآثام

- لكن يا سيدي هذه الذنوب تؤثر على الجميع .. الجميع يدفع الثمن .. الهوى يدمر الجميع كالوباء الخطير كالجدري مثلا والكوليرا

- الله يحمينا من شر أنفسنا يا أخ ـ أخوك جميل التجنيد

احتضنت الأم ابنتها وهي ما زالت على باب الشقة ، وقبلتها من وجنتيها ، فأسعد شيء في حياة الأم يوم أن ترى ابنتها عروسا متزوجة ، وكانت تقبلها وترحب بها أشد الترحيب ، وتركتها وقبلت زوجها من وجهه الذي قبل يدها شاكرا

ودخلوا البيت وأغلقت الأم باب الشقة وهي تكرر عبارات الترحيب بالعرسان وهي تشهر سعادتها لهما ، وكانت تقول: أهلا أهلا بالأحباب أحس أن السعادة تغمركم

عانق شوكت ابنته بفرح الأب الذي يحلم بأن يكون له أحفاد ، وانتقل لمعانقة زوج ابنته ابن شقيقته ، وسلم جميل على البنات بالإشارة بعد أن تركن أختهن بعد معانقتها ..هكذا عادات الناس في هذا البلد الاحتضان وتقبيل الخدود للتعبير عن مشاعر الود والحب ، واطمأن الرجل على أخته وزوجها ، وبين لهم جميل أنهم يقرأون عليهم السلام ، وسمع امرأة خاله تقول: قد تخطب زينب قريبا

فقال بنوع من المفاجأة : صحيح يا امرأة خالي ؟

قال شوكت: تفضلوا بالجلوس هاتوا الطعام قبل أن يبرد ، ثم نتكلم عن زينب

قالت أم فاطمة: حاضر يا سيد البيت .. يا أحلى أب للجميع .. هيا يا بنات سيدنا جوعان

- أبدا

مشت الأم والبنات للمطبخ ، وتم إحضار الطعام

المكون من أطباق الأرز والسمك المقلي والكفتة المعروفة بالطحينية ، فإن جميل يحبها ، وتناول الجميع الطعام لهذه المناسبة الطيبة ، وخلال الطعام عرفوا أن امرأة من اللواتي شاهدن العرس أعجبت بزينب ، وكان ابنها المتخرج من الجامعة الصيف الماضي يبحث عن عروس فاضلة من أسرة محافظة ، فبعد انتهاء العرس جاءت وتحدثت مع أم فاطمة واتفقتا على موعد قريب ، يأتي الشاب لرؤية البنت وبعدها يحدث الكلام في الزواج والقبول ، فتمنى جميل وفاطمة التوفيق لزينب ، وفجأة بعدما لزم القوم الصمت وأخذت النسوة يرفعن الأطباق والصواني والمعالق والشوك قالت فاطمة : جئناكم بخبر عن طفل آل ظبي؟

تعلقت العيون بفاطمة وضحك جميل وقال: فعلا لدينا شيء جديد عن لقيط أبو خروف

تركت الفتيات غسل الصحون والأواني وعدن لصالة الشقة لسماع خبر اللقيط ، وقال شوكت: هات ما عندك يا فاطمة

- خبر ساخن ، ونحن في الطريق إليكم ركبنا سيارة تكسي أصفر .. وحكت قصة السائق مع الرجل الغريب ومع الشرطة ومعهم .. وأنه تذكر القصة لما حملهم إلى أبو خروف

قالت أم فاطمة: ماذا فعلت الشرطة بعد هذه المعلومات؟!

- لم تفعل شيئا كما قال الرجل أو فعلوا دون علم الرجل

قال جميل مبينا : لو قبضوا على الرجل لعاودوا الاتصال بالسائق ، الشرطة تبقي الكثير من القضايا للزمن يا خال .. فالرجل شهد أنه نقل تلك الليلة رجلا مرتبكا إلى أبو خروف ومعه طفل بكى أثناء وجوده في السيارة ، ونزل عند الدوار وبيت آل ظبي قريب من الدوار ، وقد يكون فعلا والد الطفل ، وقد لا يكون ، ولم يحدد هل كان الطفل ملفوفا بالجاكيت أم لا ؟ هذا قاله للشرطة ،وقد يكون الرجل مجرد ناقل ، وليس أب الطفل ، أو كلف بقتله ولم يفعل الاحتمالات كثيرة

- ولماذا نقله لهذا الحي يا خالي؟!

- هذا السؤال الصعب ، لا يجيب عليه إلا من وضعه في تلك الحديقة

قال شوكت: أكيد الشرطة لديها معلومات كثيرة ، فربما يكون ما قلت صحيح ، وأنه لا دخل له بالحادث ، أبو خروف فيه عشرات الآلاف من السكان ، والمخيم الأسفل منه فيه عشرات الآلاف أيضاً ؛ لأن بعض الذين يقصدون المخيم يأتون من طريق أبو خروف ويقطعون المسافة سيرا على الأقدام ، فكثير من سكان أبو خروف عائلات تركت المخيم لهذا الحي ، فربما يكون ذلك الرجل

شريفا يحمل ولده راجعا به من عند طبيب خاص .. والسائق رجل شجاع لتقدمه للبوليس بالشهادة

– الشرطة تقبل المعلومات ويغربلونها ، قد يكون الرجل كاذبا وقد يكون صادقا

قال شوكت : أكيد الشرطة ليس كل من يتكلم بشيء ستصدقه ؛ لكنهم يهتمون به ، وسيظل الغموض محيطا بالطفل حتى يقبضوا على أمه أو من له صلة به

– صحيح هذا .. مرة قرأت عن قضية أن امرأة وضعت طفلا بعد زواجها بأربعة أشهر ، فاستغرب زوجها والجيران ، ولما خضعت للتحقيق تبين أنها فجرت ، ولما أدركت حملها سفاحا عرضت نفسها على ذلك الرجل بحجة أنها مسكينة غلبانة لا أهل لها في البلد فقبلها زوجة ، وأسفت لخداعها ذلك الرجل ، وفسخ الزواج وأودعت السجن

عادت أم فاطمة ترحب بهم وتسأله عن صحة والديه

– كلهم بخير ، كان زياد عندنا من يومين ، فقد رجع من دورة قصيرة في إحدى الدول العربية والأسبوع القادم سيكون غداؤنا عند أمي وجزاكم الله خيرا

حضر الشاي والجاتو فقال جميل مداعبا حماته:

وهل ظل للجاتو وسع يا أم فاطمة ؟

ولما تناول الشاي وقطعة الجاتو الكيك قال: إن شاء الله نأكله بفرحنا بزينب .. بلغت ستة عشر يا زينب .. فالزواج عند هذا السن في القانون

قالت أمها : عمرها ستة عشر عاما ونصف ، فبينها وبين فاطمة عام ونصف .. وهي تركت المدرسة من الثالث الإعدادي ضعيفة ولم تتابع الدراسة .. والشاب لا يريد فتاة متعلمة فقط تعليم متوسط ..والبنت كما تعلم الزواج أفضل شيء لها في الدنيا .. أنا قلت لأم خالد إن البنت لم تتعلم في المعهد ولا الجامعة قالت : وهذا هو المطلوب .

الشاب نبيل يريد أن يخضع للتجنيد الإجباري، فالشباب في أبو خروف عندما يبلغون سن الثامنة عشرة من أعمارهم تلزمهم الخدمة العسكرية إلا إذا تابعوا الدراسة المتوسطة أو الجامعية فيؤجل التحاقهم بالجيش ، وقد تكون الخدمة لسنتين أو ثلاث أو أربع ، وقد يتحول البعض منهم إلى خدمة دائمة ؛ ليحصل على تقاعد عسكري بعد خمس عشرة سنة على الأقل ، وهناك أيضاً الإعفاء عن الابن الوحيد ؛ لأن بعض الأغنياء لا ينجبون إلا واحدا أو اثنين ، وقد يكون الإعفاء بالبدل المالي .

ونبيل قرر الذهاب لأداء خدمة الجيش قبل

الالتحاق بالدراسة الجامعية التي يطمح إليها ، سيذهب لقضاء عامين في معسكرات الجيش ، ولم يسع للإعفاء ، بعضهم يشوه نفسه حتى لا يلحق بالخدمة في الجيش الوطني ، وبعضهم يهرب بعد الالتحاق بالجيش ، تعجب الرفاق من قراره ، فسعى سلامة العسكري في الخدمات الطبية حتى التقاعد الكامل إليه قائلا : لماذا تفعل ذلك لو قدمت الجامعة ؟ ألديك حبيبة هجرتك ؟! أتأمل بمال ؟ فالجيش لا يدفع إلا النزر اليسير .. أنا لي سنوات أخدم في الجيش لا أحصل الستين دينارا .. هل تسرعت في القرار ؟

– لم أتسرع في القرار .. أرغب بالعيش في تجربة جديدة يا صديقي قبل أن ادخل سوق العمل أتعرف على جيش البلد وأخلص من الخدمة التي لا فرار منها إلا بدفع المال أو تشويه البدن .. أنا لا أملك مالا ولا أستطيع تشويه البدن .. وأخدم وأنا صغير خير من أخدم وأنا كبير ولي زوجة

– وجهة نظر قوية .. أنا أمام هذه الأعذار أتمنى لك التوفيق في أي سلاح ستخدم ؟

– لم يحدد لي أي سلاح .. بعد اجتياز فترة تدريب أولية سيحدد لي سلاحا أقضي باقي المدة فيه فالأسلحة كثيرة المشاة الدروع الهندسة الجو المدفعية

– نعم ، لابد من دورة المشاة الأساسية

– هكذا قيل لي ، وسأبدأ خلال أيام بالفحص الطبي اللازم ، ثم سيحدد لنا يوم للتجمع فيه لتأت سيارة عسكرية كبيرة لنقلنا لمعسكر التدريب في صحراء الحميراء

قال سلامة : نعم ، فيه أكبر معسكر تدريب للمشاة في البلد

– شرح لنا أحد ضباط الصف خطوات الرحلة ، بعد الوصول يا سيدي إلى المعسكر التدريبي سيقومون بحلق رأسنا على الصفر كما نقول زيرو .. وتصويرنا لإخراج بطاقة عسكرية تبقى معنا حتى انتهاء الخدمة العسكرية ..وسوف نستلم من مستودعات المعسكر ملابس التدريب وملابس الخروج من المعسكر وأغطية وصندوق لحفظ الأشياء كلها وأدوات حلاقة وملابس داخلية وسرير في ثكنة عسكرية وصحن وكوب ومعلقة وأشياء عددها ، وحثنا على استلام كل شيء حتى الملابس الداخلية العسكرية والجوارب وجاكيت ومعطف وجوارب ، وقال : لا تترك شيء وهوية معدنية ضروري استلامها وتعليقها كقلادة في العنق

– وسيكون لك تخت ومطعم ونادي لكل سرية .. ستقضي تسعين يوما في معسكر التدريب على اللياقة البدنية والمشي المشية العسكرية المنتظمة ..

ذكرتني بتلك الأيام حتى نحن مررنا بهذه الدورة قبل الانتقال لأماكن العمل ، وستدرب على الرماية من بعض الأسلحة الحقيقية والقنابل اليدوية إنه معسكر كبير

– يقولون إنه أكبر معسكر تدريب أولي ، وفيه دكاكين لبيع الخبز والسردين والدخان

قال سلامة : أتعرف أمجد يوسف الملازم ؟

– نعم ، أعرفه إنه مدرب مشاة فيه

– التدرب شاق في البداية ، ومع الوقت سيصبح سهلا وحصص رياضة ركض ركض .. طوابير حتى وقت الصلاة والغداء ، ربما يكون طابور في وقت العصر

– نظام الإجازات قال ضابط الصف قد يكون في الشهر مرة ، وقد يتغير بعد الشهر الثاني وقبل التخرج من الدورة العسكرية .. الطعام موجود ثلاث وجبات للعسكري على حساب الجيش وهناك وجبة عند العاشرة صباحا على نفقة الجندي

– ستعود أسود من حر الصحراء يا نبيل ، لو لك حبيبة ستتركك ولا تعرفك .. سيذهب هذا البياض مع جو الصحراء الحارق ..إذا طالت غيبتك سأمر عليك قد تحتاج للسجائر مع طول المدة .. هل نعود لسماع قصصك ؟! سيسر رفاقك في المعسكر من سوالفك

– وهل نجد وقتا لذلك ؟

– أول الأمر سيضيق الوقت عليك بسبب التعب ، وستستغل كل لحظة للنوم ، وبعد حين نصف شهر على الأكثر ستجد الوقت الكافي للسمر والكلام والثرثرة .. نظام التدريب حتى الظهر .. التدريب على المشية العسكرية المنتظمة يتخللها فترة استراحة قبل الظهر مثل المدرسة الظهر صلاة غداء ، قد تكون بعد الظهيرة فترة تدريبات فجائية مدتها ساعة من الزمن وربما يحدث ذلك في المساء ، ومع تقدم التدريب يخف التدريب المسائي .. هناك محاضرات ثقافية بين الحين والآخر، والإجازات ستكون بعد الشهر الأول كل أسبوع ظهر الخميس إلى صباح السبت ، والذين يسكنون أماكن بعيدة ربما كل أسبوعين مرة ، ويأتون صباح الأحد أو ظهره ، ربما اتصل بك بواسطة الهاتف من المستشفى الذي اخدم فيه .. فالجيش تقل فيه خدمة الاتصال المباشر إنما الحديث عبر سنترال خاص في كل وحدة ، كل وحدة عسكرية لها مقسم صغير أو كبير ، اتصل بمقسم المعسكر وهم يرسلون من يأتي بك للرد ، وهذا سيحتاج إلى أن اعرف اسم أو رقم الكتيبة التي تخدم بها والسرية والفصيل

– ربما أنا أتحدث معك على المشفى العسكري

– لا يسمحون لكم بالاتصال إلا عند الضرورة

القسوة .. هم يحاولون عزلكم عن العالم في الفترة الأولى من التدريب لتتعلق أكثر بالجيش

– أشكرك يا أخ سلامة ، وسيبقى التواصل بيننا رغم فترة الفتور التي أصابتنا بسبب لقيط آل ظبي ..ويسرني سماع أخبارك الطيبة .. وكلها سنتان من الزمان

بعد هذا الحوار بأيام دعي نبيل للتجمع في مكان حدد لهم قريب من قيادة الجيش العامة ، وجاءت سيارات الشحن العسكرية وحملتهم إلى معسكر التدريب الصحراوي ، وحملهم في هذه السيارات نوع من الخشونة العسكرية والتدريب ؛ لأنه عندما سمح لهم خلال فترة التدريب بالإجازات ، كانت تأتي حافلات عسكرية تقلهم إلى أقرب المدن الكبيرة ، وقف ضابط صف يقرأ الأسماء ومن يرتفع اسمه يأخذ حقيبته ويصعد الشاحنة ، ولما اكتمل العدد المطلوب تحركت السيارات إلى الصحراء إلى مدينة التدريب ، وقضت السيارات المحملة بالجنود الجدد ساعات وساعات حتى حطت رحالها في المعسكرات ؛ كأن هذه السيارات من حرب هتلر لقدمها وبطئها ، وعند الوصول ودخول معسكرات التدريب عاد التأكد من الأسماء ، والاستعداد للذهاب إلى الحلاق ، وبعض الشباب حلقوا الرؤوس قبل المجيء ، وبعد الحلق الذهاب إلى مكان التصوير الفوتوغرافي للتصوير من أجل هوية عسكرية ، ورقم عسكري ، وربما يتأخر هذا الإجراء لليل لكثرة المجندين الجدد ، وبعد الحصول على المستلزمات العسكرية ينقل الفرد إلى ثكنة عسكرية ضمن عشرات من الثكنات ، ويكون في الثكنة الواحدة ما يقارب ثلاثين فردا من مناطق مختلفة من البلاد .



كان يسمح للمجند بعد شهر بترك معسكر التدريب لمدة يومين ، فنزل نبيل قبل المدينة لزيارة الوالدين ، وكان يحب الجلوس في وسط ومركز المدينة في مقهى كوكب، يصحب بعض الشباب للعب الورق والشطرنج ، عند إجازته هذه جلس ورفيقه سلامة وشاب ثالث لم يكن من أهالي أبو خروف ، رحبوا ببعضهم البعض ، وطلبوا الشاي من ساقي القهوة ، وقال سلامة: طالت الغيبة .. الحمد لله على السلامة ..كيف وجدت الجيش؟

– رغم التعب والإرهاق فأنا مرتاح لهذه الدورة البدنية ..وأنت تعلم أنني أمارس الرياضة منذ نعومة أظفاري .. رياضة منظمة ومتعبة ركض مشي عسكري يسار يمين اليد اليمين مع الساق

اليسار والعكس صحيح .. توقف الجميع في آن واحد ، وحذاء الجيش له وقع خاص .. وهناك تدريب بسيط على الرماية واستخدام القنابل اليدوية ؛ ولكنها قنابل صوت ليست حقيقية سمعت أحد المدربين يقول هذا لبعض الشباب وهذا كأنه في الشهر الأخير للدورة

قال الشاب حلمي: أنا أول مرة اسمع مجندا رغم أنفه يمدح العسكرية .. أنا لم أصبر عليها إلا ستة أشهر ، ثم هربت بعد عدة مشاكل وقضيتها في السجن ، ثم طردت من الخدمة الإلزامية بعد حبس عدة أشهر

قال سلامة : أنت مدخن يا نبيل كيف وجدت ذلك؟

– الدخان متوفر اختفى فترة مدة أسبوع ، ثم عاد لدكاكين المعسكر وأسعاره أرخص من أسعار الدكاكين المدنية العادية .. المشكلة ركض تدريب دخان

قال حلمي: كل المواد أرخص في دكان الجيش ؛ لكنه حبس وضبط وأوامر وممنوع لا .. نعم سيدي ، نعم سيدي

ابتسم الشابان له وقال نبيل : يبدو أنك تعذبت في الجيش .. هل تعلمون أن في الجيش سينما؟

قال سلامة مستوضحا : سينما سينما؟!

– في إحدى الليالي الصافية استدعينا لطابور عسكري ، ظننا أن المدرب زهقان ويريد أن يتسلى فينا ، وصففنا نحن والفصائل الأخرى التابعة لسريتنا ، ومشينا بخطوات عسكرية إلى ساحة وعلى جدار أحد الثكنات أو مباني منامات الضباط قالوا لنا ستحضرون فلما سينمائيا وجلسنا على الأرض عدد كثير وبعد الجلوس بزمن أحضر جهاز بث أفلام بروجيكتور وقدم لنا الفلم؛ لكن نسيت قصته أو كأني غفيت ونمت في ذلك الظلام أذكر أنه فلم أمريكي عسكري قديم

– اقترب التخرج

– مضى شهر واحد يا سيدي .. أنت سيدي ؛ لأنك عسكري أقدم مني ، ثم نوزع على وحدات متعددة من شمال البلاد إلى جنوبها .. والواسطات شغالة فبعضهم يعرف أين سيقضي باقي المدة من قبل إنهاء التدريب ؟

قال سلامة : تراعى الشهادات والمهن في التوزيع .. أنت سجلت أن معك ثانوية عامة

– أجل

– ستذهب لوظيفة كتابية ، وستخضع لدورات متخصصة حسب المكان الذي ستسقر فيه .. فهناك وحدات صيانة ودبابات وإشارة وهندسة ولاسلكي ومراسل حربي بريد

قال نبيل : أنت في المستشفى تتعرف على أصحاب هذه المهن والحرف !

– نحن يا سيد ي نتعرف على الضباط الذكور والإناث ، وعلى عائلاتهم وبناتهم أيضاً ، ونعرف حكايات الغرام والهيام .. الجيش مثل باقي الناس .. الحب والعلاقات والغراميات .. هكذا البشر في كل مكان .. مهنة التمريض والخدمة الطبية تعرفك على الكثير من هؤلاء القادة ..

الكل يمرض .. الكل يريد إجازات مرضية .. الفساد في كل الأماكن ، ليس في أبو خروف فقط

قال حلمي كأنه فيلسوف عتيق: الغزو الثقافي والإباحي يجتاح العالم كله ، من الصين إلى أمريكا ومقاومته ضعيفة ؛ كأنهم يريدون هذا دون أن يعترفوا بهذه الحقيقة المرة ، حتى أن دور السينما عندنا بدأت تتجرأ على الدعاية لأفلام إباحية.. بدأت تقطع الفلم لنشر مقطع أو مقطعين من مقاطع الجنس .. هناك سينمات تبث فلم جنس كامل .. كنت أتابع فلم كارتيه أو هندي فقطع الفلم لبث مشاهد فاضحة لإثارة الغرائز والفواحش .. هذه دعارة يا سلامة مكشوفة

ضحك الشابان من جديد على حماسة حلمي وقال نبيل: وماذا نستطيع أن نفعل يا حلمي بعد أن عرفنا الداء؟! لا أنت مدير مطبوعات ولا أنت مدير شرطة ولا أنت وزير مسموح له التدخل .. لا تذهب أنت وأنا وسلامة للسينما بعد حين من الزمن تغلق أبوابها .. لماذا لم تنجح السينما والمسرح في القرى البعيدة والبلدات ؟ لا رواد .. صاحب السينما تاجر لا ربح يغلق المصلحة ، ويبحث عن غيرها .. كلنا يعرف أن سينمات أغلقت أبوابها أو غيرت أسمائها

قال سلامة: نعم ، هذا الحل البسيط نهجر السينما

قال نبيل : الواقع الأخلاقي في البلاد العربية والإسلامية لا يسر .. نسمع عن واقع الأخلاق في تركيا التي كانت أم الإسلام ما يسد النفس عن الأكل .. ومصر حدث ولا حرج أم السينما العربية مصر .. ولكن كما نقرأ بدأت الصحوة الإسلامية تطل على الناس .. والشباب الصغير يرتاد المساجد للصلاة وتعلم القرآن وطلب العلم ، ولم يعد يقتصر الجامع على الكبار والشيوخ فقط .. الماركسية الإباحية الماسونية المادية تعرت أمام الناس

قال حلمي: أتفهم في كل هذه الأشياء يا أستاذ نبيل؟!

– شيء بسيط .. الشيوعيون نراهم في أبو خروف ؛ ولكنهم بعد حادثة نضال الكلبي المعروفة للجميع ضعفوا ونقلوا نشاطهم لأماكن أخرى كفانا الله خطرهم .. والإباحيون تركوا لنا لقيطا في بيت آل ظبي .. هل من شيء عنه يا سلامة ؟ كأن الناس نسوه ، هل من جديد يشغلهم؟

قال سلامة: الإشاعات لم تنته ، ولن تنتهي ،

وقصص المراهقات والعاشقات لم تنته ، ستبقى الحكاية ، سمعت أن إحدى النسوة ترددت على بيت آل ظبي أكثر من مرة فشك الناس أن لها علاقة بالوليد مع أن الوليد كما هو معلوم عند الشرطة .. يزعمون أنها تذهب لسماع المزيد من المعلومات من أم محمد آل ظبي ؛ كأن الشرطة تنقل لها المعلومات فقال حلمي : أمعقول أن الشرطة وأجهزتها لهذا اليوم لم تعرف أمه ؟! الحق أنهم يكتمون الحقيقة والخبر خوفا على الأم من القتل

قال سلامة بحزم : حسب المعلومات لا أحد يعرف الحقيقة بعد ، ولو عرفت الشرطة أم الطفل لتسرب الخبر بعد هذه المدة ..أخطر من ذلك وتسرب .. الصحف ما مهمتها إلا رصد الأسرار والأخبار .. والشرطة تهمها نجاحاتها ..خاصة مدير الشرطة الكبرى تكون دعاية له وإنجاز على الأقل .

مشاهدة

أتى الشاب الجامعي وأمه وخالته لمشاهدة زينب شوكت ، واستقبلتهم أم فاطمة على الباب وأدخلتهم صالة البيت غرفة المعيشة كما يقول البعض، وبعد حين يسير أتت زينب تحمل صينية القهوة وكأس الماء فوقها ، وألقت التحية بصوت منخفض ، وقدمت القهوة ،وأمها تعرف لها النسوة ، هذه أمه أم حامد ، هذه خالته أم محمد ، وهذا الشاب حامد ، وكانت زينب تهز رأسها وتتمتم أهلا أهلا أهلا ، تناول الجميع فناجين القهوة ، وأشارت لها أمها إلى المحل الذي ستجلس فيه ، وتفعل ذلك ونظرها إلى الأرض ، ولكن العيون تختلس اللحظ فقالت أمه: هذه هي الصبية يا حامد اسمها زينب .. هذا حامد يا زينب تخرج هذا الصيف من الجامعة وسيتوظف قريبا

– أهلا وسهلا بكم جميعا

أخذ حامد يرشف القهوة ، وينظر للفتاة ويسمع لأمه التي أخذت تمدحه ، وتبين طيبته وصبره على الدراسة ، وخالته أيضاً كالت له المديح ، وجرى التعارف عن أصل البلد ، ولما قضي الشرب أخذت الفتاة الفناجين ،وانسحبت إلى المطبخ والشاب يطاردها بعينيه ، فقد رآها وسمع صوتها ورأى حياءها ، ولما بدأ الاستعداد للخروج قالت أم حامد: خلال يومين يا أم فاطمة سأتصل بكم أو أمر عليكم .. والأمر لله وهو الذي يحكم ويقضي

قالت أم فاطمة: أهلا ومرحبا بكم في أي وقت .. البيت بيتكم ، نحن أهل .. شكرًا على مجيئكم ونحن تشرفنا بالتعرف على حامد وخالة حامد أم محمد .. وأنا في انتظار تلفونك يا أختي يا أم حامد

تصافحت النساء ، وهنّ يدعون لبعضهن ، ويودعن أم فاطمة ، ولما نزلن الدرج أغلقت أم

فاطمة الباب ، واستدارت لصالة المعيشة لتجد زينب وبثينة فيها ، فلما جلسن قالت : آ يا زنوبة هذا هو عريس السعد .. هذا هو حامد

قالت بثينة: شكله حلو مقبول يا أمي .. شاب عاقل كان يحب الاستماع لم يتكلم كثيرا

– أرأيته؟!

– من ثقب الباب

– آ ، يا زينب

قالت زينب : كله بأمر الله ، والكلام لك ولأبي

قالت بثينة: ولك يا حلوة، اليوم البنت رأيها في الأول والأخير .. زمان الأب والجد والعم ولى

قالت أم فاطمة : صحيح ! راحت هذه العادات ، كان الجد إذا قال كلمة لا ترد ، مثل ضربة السيف ، وإذا قال فلانة لفلان مثل القرآن .. اليوم الجد مسكين يتفرج وبس ، نزل عن عرشه اليوم الرأي كله للبنت .. والزواج أخطر وأهم قرار في حياة البنت .. هو المستقبل هو الحياة يا بنات ، إما أن تحيا سعيدة بزوجها وإما أن تشقى به

قالت بثينة: يعني لو جاء أحد يطلبني ستزوجونني على طول قبل أن أدرس الجامعة

– أنت بعدك في الثانوية الأولى ، لما يأت ابن الحلال يخلق الله مالا تعلمون .. نحن سنزوج زينب الآن ؛ لأنها تركت المدرسة .. والزواج سترة وأسرة جديدة وحياة جديدة

طرق الباب ودخل أبو فاطمة ، لم يكن الباب مغلقا بالمفتاح ؛ كأنها مع الفرحة نسيت أم فاطمة إغلاقه ، رد السلام ولما جلس سأل : الباب مفتوح لماذا ؟

قالت بثينة: كانت أم حامد هنا قبل قليل ؛ كأن أمي مع الفرحة نسيت إغلاقه خلفهن .. أهلا يا أبي

توجه بوجهه لزوجه وقال : أتى العريس يا أم فاطمة

قالت بثينة : شاب عاقل ساكت يا أبي

قال مازحا : وهل قابلته زينب أم أنت؟!

– أنا لم أقابله ، من ثقب الباب تأملته وأمه وخالته.. أسمر البشرة متخرج من شهور .. وشرب القهوة ورأى ست الحسن زينب

– ورأى العروس وهو يشرب فنجان القهوة

قالت زينب: القول لكم يا أبي ..ما ترونه مناسبا لكم يكون مناسبا لي

دعا لها شوكت بالتوفيق والستر ، وقال: هذا كان زمان يا زينب الطيبة ، كان الأب يزوج ابنته دون أن ترى عريسها إلا ليلة الدخلة .. اليوم التقاليد تغيرت ، ورجعت الناس للدين ، وعلى رأي بعضهم استنوق الجمل .. على كل حال نحن إذا قبل الشاب بك سوف نسأل عنه الجيران حتى نطمئن عليك.. أفهم أن لا اعتراض على شخصه ما دامت بثينة رأته وقبلته

هزت رأسها بأنه مقبول فقال: على بركة الله يا زينب .. وأنت بنت هادئة والذي تكونين نصيبه سيرتاح معك صح يا أم فاطمة

– أكيد أكيد ست بيت رغم صغرها وشاطرة في الطبيخ ونشيطة في العمل .. وحماتها إذا صار نصيب امرأة عاقلة وفهمانة

– وأنا وأمك تهمنا سعادتك وسعادة أخواتك ، وقريبا سنفرح بك ـ إن شاء الله ـ كما فرحنا بزواج فطومة ولبثينة في المستقبل القريب .. أنتم امتداد حياتنا

قالت بثينة: أنا أحب أن أتزوج كسائر بنات جنسي ؛ لكني يا أبي راغبة بالدراسة في الجامعة

قال شوكت رضاً: هذا منانا يا غالية أن تتعلم واحدة على الأقل مثل أبيها .. أنت كملي الثانوية وأنا على استعداد لذلك يا حبة العين

– سأشد على نفسي واجتهد ..بس ظل عند وعدك

– وإذا جاء العريس

– أرفضه ..أنا فعلا يا أبي أطمح بدراسة الجامعة

– على بركة الله ، انجحي بإذن الله في الثانوية العامة ، وابشري بالجامعة .. أنا لست ضد تعليم البنات .. الزمن تغير .. أخواتك هنّ لم يستطعن الوصول للثانوية العامة

قبلت بثينة والدها شاكرة وفعلت بأمها مثل ذلك ، وقالت: أسمعت يا زينب دين أبيك ؟ تذكري هذا لتكوني شاهدة عندما آخذ الثانوية العامة .. من الآن سأضاعف جهدي لعلني أحصل على معدل يليق بي وبطموحي .. أشكرك على هذا الأمل الذي زرعته في قلبي

قالت أمها: على بركة الله ، وكما قال أبوك ليس لنا في الدنيا إلا أنتن الحمد لله رب العالمين

اتصلت أم حامد بأم فاطمة وأبلغتها قبول حامد بابنتها زينب ، ورغبة والده وحامد اللقاء بالأستاذ شوكت وزيارتهم ، فرحبت أم فاطمة بهم جميعهم واستقبل السيد شوكت والد حامد وحامدا عصرا ، وجرى التعارف ، وتعرف شوكت على عريس ابنته زينب ، وفي نهاية الكلام قال أبو حامد : نحن تشرفنا بمصاهرتكم يا أبا فاطمة وشكرا على قبولكم المبدئي .. وأسأل عنا من تشاء ، وستجدنا عند حسن الظن ، ولا نتكلم إلا بالصدق .. فاعلم أن حامدا قد قابل فتاة قبل ابنتكم ، ولم يحصل النصيب ، ولكم أن تسألوا عنا كما سألنا نحن عنكم ، ووجدناكم من أحسن الناس ، ولن نجد ناسا مثلكم طيبين نحن على قد حالنا مثلكم ، وإذا صار نصيب يا أبا فاطمة يتزوج حامد آخر تشرين الثاني أو في أول كانون الأول ، لن ننتظر للصيف القادم

– هذا أفضل يا أبا حامد .. الخطبة الطويلة مملة للعروسين ولأهل العروسين ويا مرحباً بك

وبحامد .. ونحن شرف لنا مصاهرتكم ومناسبتكم ؛ لكن علينا أن نسأل عنكم كالعادة لتبرئة ذمتنا من خطية البنت .. وأنتم ذكرتم كل المعلومات فقط يومان ثلاثة يا أبا حامد

– حق لكم يا سيدي الفاضل ، والآن اسمحوا لنا بالانصراف .. وننتظر تلفونكم لنحضر جاهة تليق بمقامكم

صاحت أم فاطمة: الشاي يا جماعة

– شربنا القهوة يا أم فاطمة من أيدي العروس

–والشاي يا أبا حامد .

أحضرت زينب الشاي وقدمته للضيوف وخرجت ، وبعدما شربوا الشاي ، ودعهم أبو فاطمة حتى الشارع ، ولما عاد للبيت وجد زوجته تنتظره على الباب فقالت: أبو حامد رجل ترتاح له النفس

قال شوكت : غداً سأذهب إلى حيهم وأسأل أصحاب الدكاكين وبعض جيرانه .. والرجل طيب كما قلت ، وليطمئن بالنا على زينب

– ضروري فعل ذلك ، حتى لا نندم ونقصر في حقها ، ونقول يا ليت

– يبدو من مظهرهم أنهم أناس طيبون مثلنا كما قال أبو حامد عنا .. وحامد نفسه هو الراغب بفتاة غير متعلمة في الجامعة أو المعهد .. تعرف على فتاة في الجامعة ، ولما صار الكلام بشكل جدي ، اعتذرت له عن الزواج زاعمة له أنه ليس الزوج المناسب .. أرأيت وقاحتها ؟!

قالت : ربما أهلها رفضوه فقالت له ذلك ، فتعقد من الجامعيات والمتعلمات من أجلها .. فهذا من حظ زينب .. سبحان الله .. وهو القدر والنصيب كما نقول

أتى جميل وفاطمة للسهر عندهم في الليل ولمعرفة آخر أخبار زواج زينب ، ولما سمعوا ما يحبون قال جميل لخاله : أنا أعرف هذا الحي .. سأذهب عنك يا خالي .. فلي زميل عمل يسكن في ذلك الحي .. وهو في قسم غير قسمي تقابلنا من فترة ، وأعتقد أن تلفونه عندي ، وسأتصل به من العمل وأشرح له الغاية ، وسيسهل علينا المهمة ، ويأخذني لمن أسأل ، وربما هو يعرف حامدا وأهله .. المقاهي اليوم في الأحياء تساعد في الإجابة ؛ لكنّ الناس يستحون من بعض ، ويكتمون النصيحة والاستشارة بحجة الستر .. وهم ليل نهار يخضون في أعراض الناس .. وأهل المسجد القريب تجد عندهم بعض الحق

– بارك الله فيك يا جميل ! أنت الله عوضني بك عن الأولاد .. بارك الله فيك

– شكرا ، وفيك يا خال !

تمت الحكاية العاشرة

كملت قصص وحكايات الحي العشرة

الشقق السوداء

الحلقة ٦ والأخيرة

الغضب

كان سيف أثناء القراءة يتألم ، ويتمزق ضيقا ،ويحدق في السقف تارة ، ويتمتم من القهر والغيظ فلما انتهت القراءة خيم الصمت القاتل على القاعة لعدة دقائق قبل أن يقول سيف بغضب وحقد : يا له من وغد كبير ! لم يخطر في بالي يوما بأنه المجرم اللعين !

وبعد صمت ونفس عميق تابع : هذه هي الأخلاق التي تعلمها من معاشرة الأجانب .. الغاية تبرر الوسيلة.. الميكافيلية .. أخلاق الإباحية الاختلاط السفور التعري ..

قال ادريس : حدثت أن رجلا شرقيا أخذ زوجته إلى مسبح مختلط ، وشاهد رجلا يحدق النظر في زوجته شبه العارية فاحتج عليه صارخا : لماذا تنظر إلى امرأتي ؟ أرأيت السخف ؟! فالدكتور خالد - رحمه الله - تعلم مع الشهادة التقاليد والعادات الغربية .. ولا أعتقد أنه كان مصليا عابدا هذا عندهم من الرجعية والتخلف .. تحملني يا سيف ! ومثله غريب .. والإسلام حذّر من الخلوة بالمرأة الأجنبية ، لو كان هذا معروفا في بيت الدكتور خالد ما خلت بغريب .. وما صورها ؟ولا تعرت أمامه بثياب الرياضة .. هو لو خشية الافتضاح من الاغتصاب لنال منها كان يشتهيها بعنف وقوة .. فلم يتحمل ويطيق اللعين أن يفشل زواجه منها .. هناك كما نعلم ونرى في الأفلام والمجلات يعيش الرجل والمرأة كزوجات بدون رباط مقدس ، بدون زواج .. وفي نفس الوقت قد يكون للرجل عشيقات خارج بيت الصداقة .. ولها هي الأخرى عشاق المهم عندهم الرضا .. وهذا لم يكن في بلادنا في تلك الأيام .. اليوم اخترعوا لنا الزواج العرفي والسياحي وأسماء كثيرة .. والجنس عندما يسيطر على إنسان يصبح الانفكاك منه صعبا .. يعيشان معا حتى يملوا حدثت أن أحدهم عقد عرفيا على أكثر من عشر فتياتأهذا زواج ؟ أهذا تعدد ؟

- إنه فجور وزنا. .سرقها مني بخسة ونذالة!

- صحيح سرقها منك بخسة ونذالة !.. أنت تسرعت بالطلاق ، ذهبت إلى أنها فعلت ذلك بإرادتها .. وأنت معذور بهذا الاحتمال! يصعب عليك أن تصدق أن امرأة تتعرى للكاميرا بدون رغبتها .. الرجل كما يعترف كان يعرف نفسيتك .. وذلك من كثرة حديثها عنك ، ويعرف الكثير عن مراد منها أيضا .. واعتبرت أنت الصورة نهاية المطاف .. وكلام مراد الخبيث جعلك تعتقد أنها فاجرة بنت هوى .. والماضي لا يعود .. وهي

ماتت، وهو مات.

تنهد سيف وقال بجنون : الذكريات يا صديقي لا تموت!

ـ ألست أنت الذي نزلت المقهى لتبحث عن الحقيقة ؟ فالرجل أراحك من البحث مع أننا بحثنا حتى حفيت أقدامنا .. البنات كيف سيستقبلن هذه الفظاعة والنذالة؟!

ـ أناني ! يا له من وغد حقير! يريدني أن أسامحه .. هذا لا يمكن ..حرمني من لذة الدنيا وشهوتها.

ـ الغضب بعد فوات الأوان لا ينفع .. يضر بصحتك وقلبك .. نحن ارتحنا حقيقة من هذه المعلومات .. عرفنا كيف صورت ؟ وأين ومتى ؟ السيطرة على دماغها ، وصورت في ساحة أو فناء في القصر .. وأنت سامحت نبيلة ، وهي ضحية مثلك .. أما غريب فدع مسامحته للأيام فهو لم ينظر إلى عظم الجرم المقدم عليه .. المهم شهوته وانتقامه من أناس لم يسيئوا إليه ، والذي ساعد على نجاح الجريمة دور الخبيث مراد الذي كان عاشقا لها.. اللعين جعل من نفسه شهما أمام الدكتور خالد وابن العائلة

عاد الهدوء للمكان بعد التنفيس ، ثم همس سيف : هناك رسالة أخرى كما يقول المحامي .

ـ أعتقد ما أشار إليه غريب التعويض المالي.

ـ يريد أن يعوضني عن تلك السنين بالمال .

ـ هذا هو الفكر الأوربي .. الضرر يعوض بالمال .. ولهذا اخترعوا شركات التأمين.

ـ لن أقبله لست بحاجة لماله .. والأذى النفسي والشخصي الذي لحق بي لا يعوّضه مليون دينار أو دولار !

ـ هو جعل لك الخيارات في الاستفادة منه أو التصدق به أو إهداءه لأي شخص .

ـ أتقبله يا إدريس ؟

ـ هذا إحراج كبير لي! أنا صحيح بالنسبة إليكم فقير ؛ لكني أملك بيتا ـ والملك لله وحده ـ ولي راتب تقاعدي أصرفه كل شهر .. والعدل أن أي إنسان يتعرض لضرر أن يعوض .. وشرعا هذا حلال يا سيف .. فالتعويض عن الضرر قانون عالمي .. فالمال من حقك .. فالرجل يرى أن ذاك كفارة وتعويضا .. ليس أمامه إلا فعل ذلك ما دام قد أقر بجرمه وأذاه .

ـ سأعطيك إياه تتصرف به كيف تشاء؟! فهذا لا يمكن أن يعوض ثلاثين سنة راحت من العمر ومن العذاب .

ـ أنت أخطأت .. لا تتضايق من صراحتي ،كان عليك أن تتزوج ، ولا يقف بك الزمن عند نبيلة ، واليوم تستطيع أيضا أن تتزوج .. وأنا مستعد للمباشرة في تحقيق ذلك .. أنت ابن خمس وخمسين سنة .. وأنا أعرف أناسا أكبر منا ، وتزوجوا وولد

لهم .

ـ أنا مثلك ..طبيعتي أعتقد أنها ماتت .

ـ أنا لن أزوجك فتاة صغيرة .. لو تزوجت أنثى فوق الثلاثين قد تلد لك .. أرجوك أن تفكر بالزواج جيدا وجديا .

ـ أنا فكرت بذلك طول السنين الماضيات ، وتبين لي عدم القدرة على الحياة الزوجية .

ـ ما أنا مثلك رميت الزواج وراء ظهري ، ثم غيرت رأيي ووافقت على الزواج من ابنة غريب أترضاها لي بعد هذه الرسالة ؟!

ـ لا دخل لها يا صديقي في جرائم أبيها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، أجرم والدها بحقي قبل أن ترى النور .. ولا أقول ذلك مجاملة لصداقتنا

قال إدريس مسرورا ومشجعا : أحسنت يا سيف ! الماضي لن يعود ، ولا يرجع بعد الموت .. أتمنى أن أراك متفائلا يا سيف ومتأهلا بزوجة صالحة مناسبة!

ـ الزواج بعد هذا العمر!

ـ افرض أنك ترملت مثلي .. ألا تتزوج ؟ أنا هجرت الزواج ؛ لأنني لا أنجب .. المرأة حياة الرجل ..علينا أن نعيد حياتنا الزوجية.. نبيلة ـ رحمها الله ـ كانت تريد لك الزواج .. عليك أن تنساها كزوجة وخائنة.. لقد ثبتت براءتها قطعيا يا سيف ..وأنها ضحية مثلك.

ـ والمال!

ـ هو لك يا سيف .

ـ لا أستطيع قبوله البتة .. الأمر شديد على النفس ..سأعطيك إياه تتصرف فيه كيف تشاء ؟ فلو أعدته لزينب وهند وخالد لا يقبلونه ما دام الوالد تنازل عنه.

ـ وأنا أقول ذلك، لابد أنه حذف من الميراث، وأخرجه قبل موته ، وهم لا يعرفون به ، لم تذكره هند في أي حديث جرى بيننا .. وأنا أفضل ألا يعرفوا بقصة هذه الرسالة أو ما فيها يا سيف .. ليس لأنني ربما أتزوج زينب كما تشير هند ، فقد لا يحصل الزواج .. أنا أتصور ـ رغم إنكار غريب ـ أن نبيلة عرفت كيف صورت ودمرت ؟ ولكنها لم تخبر أحدا بذلك ؛ لذلك طلبت منك العودة للمقهى ، وتفكر بالبائع لتلك الصورة بعد ثلاثين عاما ؛ لكنك لا تعرف شخص غريب لتتذكر شكله ، ولو لم يكن متنكرا .. هو ذكي ، فغطى عينيه بنظارة ؛ لأن العيون كان من الصعب تغييرها

ـ إذا قبلت المال يا إدريس سألتزم الصمت بقية العمر .

ـ وتتزوج!

ـ سأفكر من جديد

ـ صدق سأبحث لك عن عروس من أهل الدين والتدين ، تتابع معك المسيرة ، وتعوضك عن تلك

السنين .

ـ آه ! لو كان لي صديقك مثلك تلك السنوات الماضيات.

ـ هذا تقدير العزيز الحكيم .. أرأيت كيف كانت البداية ؟!

ـ أضحك من نفسي لما أتذكر تلك المطاردات ..وأقول لماذا فعلنا ذلك ؟!

ـ طبيعتك النفسية القلق والخوف.. وها نحن أصدقاء وأخوة !

ـ أنت عملاق في نظري يا إدريس! أنت رائع جدا ! كان عليّ أن أكون أقوى مما أنا عليه ؛

لكني أعترف أنني ضعيف ومهزوز ، وأضعف أمام العقبات والصعوبات ، وأصاب بالحيرة والتردد .

لما استوعب الرجلان الرسالة ، وانتهى التعليق على مضمونها وعرف من أفسد زواج سيف ، وما ترتب على حياته من نتائج على هذه الحقائق، قاموا لصلاة العشاء جماعة في البيت ، وكان سيف قد طلب عشاء من أحد مطاعم الحي ، وبعد العشاء قال إدريس : اللحظة يمكننا أن نقول القضية انتهت !

ـ وأنت عليك أن تكتبها كرواية بأسماء مستعارة كما تحدثنا قديما في ذلك

ـ بهذا سأضطر لكشف دور غريب

ـ لا يعرف دور غريب إلا أنا وأنت وإياد الذي سيعرف مثلنا .

ـ وبنات غريب ونبيلة .

ـ تستطيع أن تكتبها بذكائك ؛ بحيث لا يعرفن أن المرتكب للتصوير والدهنّ .. أنا متأكد أنك ستفعل ذلك .

ـ عليّ أن أفعل ذلك .. سنخترع لها زوجا آخر .

وقضيا يتحدثان حتى منتصف الليل ، واستأذن إدريس بالانصراف ، ورفض المبيت عند صديقه ، وقال سيف : سأوصلك .

فحاول إدريس منعه من ذلك ؛ ولكنه حلف، وقال سيف: يلزمك سيارة

ـ الآن لا تلزم ، وإذا تزوجت زينب سيكون معي سيارة مثلها .. لقد قال والدها عني الكاتب المغمور، ويبارك زواجي منها .

ـ صدق أنها مناسبة لك .. وأنا تشجعت للزواج من حسن كلامك .. وإنني لن أنسى الماضي والجرح إذا لم أتزوج .. فزواجك مناسب منها .. أنا لا أعرفها إلا معرفة سطحية .. ولولا أنها ابنة نبيلة المظلومة مثلي ؛ لقلت لك إنساها أخشى أن تكون بنت أبيها .

ـ إنها تصلي يا سيف!

ـ عجيب فعلا من يصلي في حيينا ! الصف في الجامع كثيرا لا يمتلئ.

لما ترك إدريس أمام منزله ، ورجع للبيت قرأ الرسالة مرة أخرى ، وعلق على نسيان القصة : هل أستطيع ذلك ؟ فلن يرجع شيء مات .. انتهت نبيلة اليوم من حياتي .. غفر الله لها .. وعسى أن أغفر لزوجها.. أنا أتحمل ذنب نفسي .

ووضع الرسالة حيث وضع رسالة نبيلة التي بدأت بها قصتنا هذه ، وحمد الله أنها كانت سبب تعرفه على إدريس وإياد الرجل الطيب .

وظل مستيقظا حتى صلاة الفجر ، وانطلق للجامع وصلاها جماعة مع المصلين ، ثم عاد ورقد في فراشه يفكر في حياته حتى غفي ونام ، واستيقظ في العاشرة نهارا فتناول الإفطار الذي أعدته الخادمة الآسيوية ، وشرب الشاي والقهوة ، وتجهز لصلاة الظهر ، وبينما هو ينتظر ارتفاع الآذان قال : ولماذا لا أتزوج ؟! الطبيب قديما قال: إنني أستطيع الزواج ، ومشاكل القلب لن تعيق الحياة الزوجية ؛ ولكنها لن تكون كحياة الأصحاء .. بقليل من العناية تنجح الحياة الزوجية .. إدريس الصديق العزيز وعد أن يجد لي الزوجة الصالحة والمناسبة.. نعم ، عليّ نسيان نبيلة والماضي .. نعم ، خدعت ومكر بي وظلمت ، ولم اصغ لتوسلاتها بنسيان تلك الصورة .. ولم أصدق أنها لا تعرف كيف صورت ؟.. رحمك الله يا نبيلة !كنت أشجع مني ..ليتني أصغيت لعقلك ورجائك .. أوهمني اللعين مراد أنك امرأة زانية فاجرة .. وأنك أحببتني لتغطي على دعارتك .. يا لي من غر ! صدقت نصحه .. وأنا أعلم مطاردته لك منذ التقينا في الكلية .. تزوج يا سيف؛ لعلك تصبح أبا ، ولديك طفل تقر به عينك.. يصبح ما أملك من مال وعقار له .. هذه الفيلا تكون له ولزوجتي .. كيف ستكون هذه الزوجة ؟ ظل يفكر بحياة جديدة حتى سمع النداء الشرعي ، فلبى النداء فسار إليه مشيا على الأقدام كما يفعل عند صلاة الفجر ، ولا يذهب بالسيارة إلا في أيام المطر ، وعندما لا يريد العودة للبيت بعد الصلاة .. وبينما هو يتقدم نحو المسجد توقفت سيارة قريبا منه ، وسمع صوتا نسائيا يهتف باسمه ، فتوقف ونظر فإذا هي الدكتورة هند ، وحيته بالسلام.

ـ كيف حال الدكتورة ؟

ـ بخير .. وأنت .

ـ وأنا مثلك .. أهلا وسهلا.

ـ إلى أين ؟ اركب لتوصيلك .

فأشار للجامع ، وقال: إلى هذا .

ـ نسيت ! كيف الصلاة؟

ـ هي حياة يا دكتورة ! الصلاة حياة المسلم .. عليك بالصلاة يا دكتورة!

ـ صدق دائما أعد نفسي بذلك ؛ لعلي أصلي .. شكرًا على وقوفك معي.

ـ لا حرج يا سيدتي ! وسلمي على شقيقك وشقيقتك.

ـ سلمك الله .. صلاة مقبولة يا مهندس سيف!

ـ أراك بخير . وأشار مودعا.

ولما ابتعدت تابع مشيه إلى الجامع ، وصلى الظهر ، ورجع للبيت يخطط لنشاط اليوم ، وجلس يشرب النسكافيه ، رن الهاتف ، وكان المتحدث إدريس، وطلب اللقاء عصرا في المقهى الذهبي وطلب منه أن يأتي بسيارة أجرة ليعفيه من توصيله ليلا .. وقبل العصر غادر سيف الفيلا بسيارة أجرة لمركز المدينة ، وبعدما صلى العصر في مسجد سيدي سعيد سار إلى مقهى الكوكب الذهبي ووجد إدريس وإيادا في انتظاره ، وتعانق معهما .. ولما جلس وانتهى الترحيب والسلام ، قال إدريس : قضيت ساعتين في المكتبة العامة ،وأحضرت إيادا ، وحدثته عما جاء في رسالة السيد غريب ، وأعلنت انتهاء القضية ، وسأشرع بإذن الله بتحويلها لرواية اجتماعية ، وحدثته عن السعي لتزويجك بعد أن ثبت أن ليست للمرحومة يد في العقدة التي حلت بك من النساء ، ولازمتك طيلة هذه السنوات ، والنساء كالرجال في الطيبة وفي الخباثة.

قال إياد : نعم ، يا مهندس سيف الغالي! عليك أن تعيش التجربة والحياة الزوجية.

قال سيف بمسحة حزن : هذا ما يشغل فكري من مساء أمس من كلام إدريس المرشد الحقيقي لي .. وطبيبي قال منذ عهد :إنني يمكنني الزواج كسائر الخلق ، والتكيف مع مشاكل القلب ؛ لكن عليك المعاشرة بتعقل ، ليس كشاب صغير السن .

صاح إدريس جذلا : رائع رائع يا صديقنا الكريم!! أنا وإياد سنهتم بالموضوع والبحث .. إياد يا حبيبي العروس متدينة ، فوق الثلاثين ودون الأربعين ، على أمل أن تلد للمهندس إذا قدر الله ذلك .

قال إياد : البنات كثيرات هذه الأيام .. أيريدها طالبة جامعة ، عاملة أم غير عاملة أم ثانوية عامة ؟

قال إدريس : المهندس في رأيي يحتاج إلى امرأة بيت ، وعانس فاتها قطار الزواج ، وذات الدين يا إياد .. اظفر بذات الدين .. هو لا يستطيع نكاح ابنة عشرين .

قال سيف: هذا موضوع لا يناقش هنا في مقهى.

ضحك إدريس وقال: لا تهتم لنظرات الناس؛ ربما سمع أحدهم وعنده عروس .

قال إياد : لو كانت أرملة أو مطلقة !

قال سيف: هو الأفضل بالنسبة لي .. فتاة بسيطة تحب الستر والحياة الهادئة.

قال إدريس : أنت حدثتني يا اياد مرة عن قريبة لك ، قبل خمس ست سنوات.. نسيت اسمها

حك إياد رأسه ،وقال : فاطمة السيد! ..فاطمة هذه سيدة ترملت يا سيف .. أعتقد أنها تزوجت يا إدريس تزوجها قريب لنا.. اليوم أولادها شباب ، قد يكون أحدهم في الجامعة.

قال سيف: ترملت على أولاد .. ستر الله عليها.

ـ طفلان .. أنت لا تريدها موظفة.

ـ لا ، لا .. أريدها ربة بيت.. الخير موجود ، ولست بحاجة لمالها وعملها

قال إياد بثقة : سنجدها ..أيام فقط.

قال إدريس : هل اتصل بك حضرة المحامي ؟

ـ لم يتصل .. هو قال بعد بضعة أيام ؛ كأن قراءة الرسالة ستستغرق شهرا

ـ ربما ينفذ تعليمات غريب ..وإنك ستتعرض لصدمة و و ..

ـ شيء لا يصدق يا إياد !.. يغدر بقريبته ؛ لأنها رفضت الاقتران به .. ويزعم أن والدها كأب للعائلة .. اليوم ظهرا قابلت هندا .

قال إياد : ابنة غريب!

ـ نعم ، كنت سائرا لصلاة الظهر في الجامع ، أوقفتني وتحدثنا ، وشجعتها على الصلاة ، وأرسلت معها سلام لخالد وزينب .. لا أدري لماذا يتلكؤون في أمر زواجها ؟! فليحسموا أمرهم ويقولون نعم أو لا .

قال إدريس : لكني غير مهتم يا صديقي.. الزواج عندي أمر ثانوي ، لم أتركه بسبب عقدة النساء مثلك .. تركته لعقدة الحمل والولادة .. عجزي عن التلقيح .. وأيامنا لم يكن التلقيح الصناعي للبشر منتشرا ومعروفا .. دعوا الأمور تسير على مهلها ، وإذا لنا نصيب بالزواج نتزوج ولا تنسوا أن والدها رحب بالزواج من الكاتب المغمور .

بعد صلاة المغرب تناولوا الطعام في مطعم الذكريات ـ المطعم المقابل لساحة مسجد سيدي سعيد ـ ثم تفرقوا إلى بيوتهم ، ولما دخل سيف المنزل أخبرته الخادمة أن شقيقته أم فراس في انتظاره ، فحياها ورحب بها ، ثم دخل غرفة النوم ، وتخفف من البذلة .. فسيف يحب عند الخروج من البيت ارتداء البذلة ، وقد اعتاد على ذلك .. وكان مستغربا لزيارتها ، ومتوقعا لمشكلة ما .. وكان قد صلى العشاء قبل العودة ، وعرض على أخته العشاء ، فذكرت له أنها تعشت مع أبي فراس زوجها .. رحب بها من جديد ، وقدمت لهما الخادمة الشاي بالنعناع وقال: أهلا بأم فراس ، لابد أن هناك أمرا مهما ؛ لتنتظرني أم فراس .

قالت : نعم ، الأمر مهم وخطير في رأيي

لم يتكلم سيف ، تابعت : ابنتي هيام تريد الطلاق

ردد قائلا : هيام تريد الطلاق لماذا؟!

ـ وجدت في بيتها عاهرة ! وجدت مع زوجها عاهرة!

ـ وهي لا تعرف أن زوجها عاهر! شاب يعشق الزنا والفجور ومعروف بذلك .

ـ تعرف .

ـ ما دامت تعرف .. عليها التحمل والصبر .

ـ كانت في العمل كما تعلم ، أحست بتعب فعادت للبيت معتقدة أن البيت فارغ ، معتقدة أن فريدا في البنك ، فلم تضغط على الجرس، استخدمت المفتاح ؛ لعلمها بأن اليوم عطلة الشغالة ، وستعود في الليل، فتحت ودخلت ، فسمعت صوتا في حجرة النوم ، فاستغربت أو توقعت ، فدفعت الباب ودخلت ؛ لترى فتاة عارية تنام على سريرها ، وزوجها يتفرج عليها جالسا على كرسي في غرفة النوم فصاحت غضبا وثورة ، فاعتذر لها عن الموقف ..فقالت كما قلت : أنا أعلم كما يعلم الكثير أنك فاجر وزاني ، وغررت بي عند الزواج؛ لكن أن يصل الأمر إلى حجرة نومي وكرامتي فهذه الوقاحة بعينها.. ليس أمامنا إلا القاضي ..وطردت البنت .. وتقبل فريد الطلاق .. وتركت بيت الزوجية .. وها هي عندنا في البيت .. تحدثت معي أم فريد .. وتحدث والده مع أبي فراس لتسير المركب .. ولكن هيام تصر على الطلاق .. وجئت إليك ؛ لتتحدث معها.. فهيام تعز خالها سيفا.

ـ هيام طيبة ؛ ولكنها لم تحسن الاختيار .. الشاب كان معروفا بأنه نذل وحقير .. وهي حدثتني أن الرجل لا يمل من الخمر والزنا ؛ لذلك تتعجب كيف قبلته وتزوجته ؟!ومن أجل ذلك هي لا تريد الإنجاب منه.. وتأخذ موانع الحمل .. كانت تأمل بزواجه أن يصبح إنسانا متحملا للمسؤولية كما كان يعد .. وأنها المرأة الوحيدة في حياته والمخلص لها .. ماذا تريدين مني؟

ـ لا داعي للطلاق .. يتعهد أن لا يكررها في البيت

ـ الفاسد من الصعب تحرره من فساده ..سمعت مرة من هيام أنه كاد يعتدي على أخته ، وهو في حالة سكر ذات ليلة .. لتبق عندكم بضعة أيام حتى نفكر بروية وتأن ..وسأتحدث معها ، وأرى وجهة نظرها بالحياة معه .. لها خمس سنوات متزوجة .

ـ أربعة يا سيف! أنا قلت لها لو تلدين منه طفلا ؛ ربما تغير .. فالأبوة لها مذاق خاص عند الرجال .. فتقول : ألم يربط بيننا ميثاق الحب ؟وهو أقوى رابط ، إذا كان الحب سليما وصادقا فهل يربطه طفل يا أمي ؟ أرجوك يا سيف أن تقنعها بنسيان الطلاق .. الطلاق ليس الحل .. الصبر عليه هو الحل .

ـ الصبر هو الحل .. سأسمع منها ..أنا تكلمت معه مرة ، فقال: يا سيف أنت لا تعرف النسوان فعد لمحرابك .

بعد العاشرة صباحا اتصل المحامي بسيف وقال : كما ذكرت لك تلك الأمسية أن السيد غريبا ترك لك رسالة أخرى .. متى أمر عليك ؟

ـ المناسب لك يا سيدي!

ـ الآن أنت في البيت حسب الهاتف .

ـ نعم ، أنا في البيت ، وأتكلم معك منه .

ـ لا تخرج حتى أمر عليك .

ـ حسنا! أنا في انتظارك يا سيدي المحامي .

تناول فطوره ؛لأنه عندما يسهر للصبح ينام بعد الصلاة ، وانتهى من فطوره، وجلس في مكتبه يشرب القهوة ، ولما أدخلت الخادمة المحامي لصالة الجلوس خرج محييا ومستقبلا ، وطلب القهوة له وللمحامي ، وعرض عليه الإفطار فضحك المحامي ، وقال : بعد قليل يا سيدي سأتغدى .. كيف حال المهندس سيف ؟ أنت لم تكن من أصدقاء المرحوم

ـ ولا عمري رأيته ؛ ربما اجتمعنا في مناسبة في الحي ..ولا أعرفه شخصيا .. لست من أصدقائه ؛ ولكن طليقتي كانت زوجته .

قال المحامي دهشة : آ ! الرجل الذي تزوجها ، وطلقها في شهر العسل !

ـ نعم ، طلقتها في شهر الزواج الأول .

قال الرجل بحيرة : عجيب! لقد ترك شيكا على أن أسلمه لك بعد قراءة الرسالة الخاصة !

ـ شيك.. هو أشار إليه في تلك الرسالة يا سيدي الكريم .

تناول سيف الرسالة من يد المحامي ، كانت رسالة مغلفة ، وأخرج المحامي من حقيبته الشيك وقدمه لسيف قائلا: أليس هناك قصة ؟!

ـ نعم ، هناك قصة كبيرة لا تنسى .. إننا نحن سكان حي واحد .

ـ الرجل كان غنيا وثريا كبيرا ، يملك الملايين يا مهندس سيف! ألا تريد أن تقرأ الشيك وتعرف قيمته ؟

تطلع سيف على المبلغ الموجود في الشيك ، وكان ثلاثمائة وعشرين ألف دولار أمريكي .. ثلث مليون ..فقال : كل هذا لي!

ـ نعم ، أليس اسمك المكتوب على الشيك سيف الدين حاكم آل وردة ؟!

ـ نعم، هذا اسمي .. حرم الورثة من هذا المبلغ من أجلي!

ـ قلت لك ماله كثير .. وليس له إلا ذكر وابنتان وأمه حية ؛ لكن هل يمكنني أن أعرف لماذا أعطاك كل هذه المبلغ قبل موته بزمن يسير ؟!

فكر سيف لحظات قبل أن يقول : لأنه تزوج امرأتي ، زعم حبها فطلقتها لأجله .. وهو يعوضني عن كل سنة بعشرة آلاف دولار .

ـ أحب زوجتك نبيلة خالد وطلقتها ليتزوجها!

ـ هذا ما حصل .. فأحس أنه ظلمني ، فأراد أن يدفع لي تعويضا عما ألحقه بي من أذى .

ـ هناك حكاية كبيرة!!

ـ نعم ، هناك حكاية كبيرة .. هل تريد أن أوقع لك على إيصال ؟

ـ ليس ضروريا ، فلن تطير.. المهم أنك استلمت الشيك ، وتستطيع صرفه في أي وقت تشاء ؛ لأننا أودعنا المال هذا باسمك قبل إظهار هذا الشيك .

ـ ما ذكرته صحيح يا أستاذ .

ـ أنا أصدقك ؛ لأني لا أعرف بينكم أي اتصال .. وأنا أتعامل معه من أكثر من عشر سنوات يا حضرة المهندس !

ـ على كل سيقوم كاتب بكتابة قصتي مع نبيلة وغريب ؛ فإذا صدرت سأدفع إليك بنسخة .. واعلم يا حضرة المحامي أنني ـ بفضل الله ـ أملك الكثير ..ولست بحاجة لماله .. ولا طلبت منه مالا .. ولم ألتقه شخصيا في يوم ما .. وإن كنت أسمع باسمه من زوجتي نبيلة قبل طلاقنا يبدو أنه ندم على ما جناه عليّ ، وتسببه في طلاقنا ، فأراد أن يعوض ذلك مالا .. وهو لا يغني عن الماضي الأليم شيئا .. وسأهبه لصديق عزيز عليّ .. فهو أحق به مني.

ـ عجيب أمرك يا مهندس سيف !ستهب كل المبلغ لصديق .

ـ نعم ، وهذا الذي دفعني لقبول الشيك .

خرج المحامي من بيت سيف مذهولا من إهداء هذا المبلغ إذا صدق لصديق ، وحتى تخلي غريب عن هذا المبلغ لعجيب ؛ لكنها الدنيا .. تصافح الرجلان أمام بوابة الفيلا ، وقال المحامي : لا تنسى إرسال نسخة من القصة التي ستكتبها .. ونحن على استعداد تام لتقديم أي خدمة لك يا مهندس سيف .. وتركت لك بطاقة عن هواتفنا ومكتبنا .. شكرًا على الاستقبال والقهوة .

ـ العفو يا سيدي .. وجزاك الله خيرا!

مشت السيارة بعد تحية باليد ، ودخل سيف الفيلا وهو يردد كل سنة بعشرة آلاف دولار .. نعم الفكر البراغماتي .. المال عن سنوات العزوبية .. العمر لا يعوض بالمال ؛ إنما هو مواساة ، كما ندفع الدية في الدهس والقتل لأهل الميت .. الميت لا يعود .. ستصبح يا صديقي يا إدريس من الأثرياء وإذا تزوجت زينب ستصبح مليونيرا .. سبحان ربي .. يعطي من يشاء بغير حساب !

قرأ الرسالة ، وكلها أسف واعتذارات ، ويبين مرة أخرى أنه يحب أن تتزوج ابنته زينب من صاحبه الصحفي المغمور.

ولما كان إدريس يدخل مدخل البناية بعد صلاة العشاء في جامع حي الشاعر ، وجد سيفا أمام الشقة منتظرا ، فتعانق الصديقان ، وخرجا للعشاء

في أحد مطاعم الحي، ثم رجعا للبيت ، واستأذن سيف للصلاة ، وأخذ إدريس يعد أغراض الضيافة من الشاي والمكسرات والفواكه وقرأ إدريس رسالة غريب .. وعلق لنفسه: الرجل يحبني دون أن يعرفني ! .. إنه يشجع سيفا على تزويجي من ابنته .. وقال الصحفي المغمور .. أنا هاو لست صحفيا بمعنى الكلمة .. وقال لسيف : ما دام والدها مباركا لزواجها مني لماذا لم تحسم الأمر ؟! هناك عائق مجهول يا سيف !

ـ لا أدري ! هند لم تذكر لي شيئا لما التقينا قدام المسجد .. ولكنها أكدت أن الزواج قائم .. وزينب بعد لقاء الصيدلية لم التقِ بها .. تحدثت معي على الهاتف سعيا للقاء أبيها .. واعتذرت وخالد لا حس لها في القضية .. ولما قابلني بموضوع الوالد لم يذكر زينب وزواجها.. الظرف كان غير مناسب .

أخرج سيف الشيك وقال وهو يمد يده به لإدريس : هذا الشيك لك كما اتفقنا ! وإذا رفضته سأعيده للورثة .

اطلع إدريس على الشيك وهتف دهشة : ويحك ! كل هذا لي .. غير معقول يا سيف! هو أعطاك إياه !

ـ وأنا لولا دعوتك لي بقبوله ما قبلته ، ولمزقته في وجه المحامي .. واعلم أن الرجل دفع عن كل سنة عشرة آلاف دولار .. والمحامي قال : إن المبلغ بالنسبة لثروة الرجل ضئيل .. فهو يملك الملايين .. له استثمارات في بريطانيا ، شريك مع إخوانه وغيرهم .. والمبلغ موضوع في حساب خاص باسمي .. يعني لا دخل له بالميراث في أي وقت نسحبه .

ـ يا إلهي! أنا أملك هذا المبلغ ، ولا في الأحلام!!

ـ يا سيدي لو تزوجت زينب سيكون هذا المبلغ شيئا بسيطا .. ستملك الملايين كما فهمت من المحامي .

ـ ذاك لها يا سيف!

ـ هل ستبخل عليك ؟! صحيح أن المرأة لها شخصية مالية مستقلة ؛ لكنهما وجهان لعملة واحدة

ـ أخشى أن يكون هذا الشيك حاجزا بين زواجنا.

ـ ليس بالضرورة أن تعرف كما اتفقنا .. اتفقنا أن لا نكشف سر الوالد للبنات وخالد .

ـ والبنك ألا يخبرهم بسحب المبلغ ؟

قال المحامي : إن الرجل وضعه في حساب باسمي أنا ، وليس له دخل بالميراث الذي لم يقسم كما أخبر المحامي ؛ لأنه سيتم حصر ثروة الرجل .. وهذا يستغرق وقتا .. سنذهب إلى البنك ونسحبه ونحوله إلى اسمك بالتنسيق مع حضرة المحامي ، حتى يسهل البنك تحويل الحساب لي شخصيا ..

واعلم يا صديقي ؛ بل أعز إنسان عرفته في حياتي إنني كتبت لك وصية وستعرفها بعد موتي .. أنت أخ عزيز يا إدريس ! أخ تمنيت أني لو التقيت به قديما ؛ لكن كل شيء بقدر أنت حببت لي الحياة ، وجعلتني أعود إليها .. هما أحلى عامين في حياتي ..أنت كنز حقيقي يا إدريس !

ـ عجيب أمر الدنيا! أنا عملت أكثر من عشرين سنة موظفا ، ولم يجتمع لي مثل هذا المبلغ .. وفي ساعة من العمر أملك هذه الثروة ! سأصير ثريا مثلكم يا سيف؟!

ضحك سيف وقال : أنا ولدت ثريا ، لم أصعد السلم درجة درجة .. كان والدي من أكبر التجار في البلد .. وكانت أمي تملك ثروة كبيرة ورثتها عن والديها .. وها أنت في لحظة تصبح ثريا مثلنا

ـ لو لم تقبل المبلغ ماذا كان سيفعل به المحامي ؟

ـ سألته هذا .. فأجاب سيذهب للجمعيات ، وبعض النوادي التي يدعمها ، لن يعود للورثة

ـ حسنا ! عندما أعمل الرواية يجب أن تكون طباعتها من هذا المبلغ أقسم على ذلك .

ضحك سيف وقال : حسنا ! لا بأس .. فقط طبعتها الأولى .. أنا كما تعلم ألفت بعض الكتب في الهندسة للمصانع وبعض المعاهد.

ضحك إدريس بدوره وقال : حسنا ! لا بأس الطبعة الأولى فقط .. عندما تتزوج سأبدأ بكتابتها ليفرح القارئ بختمها بزواج البطل ، كما هي العادة في الكثير من الروايات .

استشار سيف إدريس بقضية هيام ابنة شقيقته أم فراس.

ـ هل جلست مع الفتاة ؟

ـ لا ؛ إنما كلمتها بالهاتف، وروت الموقف ، وهي تبكي ، وذكرت أنها اضطرت للذهاب للعيادة مرتين ، ولم تعد لها رغبة للحياة الزوجية .. أنا كما تعلم لا أتدخل بمشاكل وقضايا العائلة .. فبعضهم يعتبرني مجنونا ، ولا أعرف الدنيا ، ولا مشاكلها ؛ بل يشيعون اليوم أنني على وشك الموت ؛ لذلك صرت أصلي وأعتمر .. ولذلك يتزوجون يطلقون دون أي تدخل مني ؛ لكن شقيقتي أم فراس ترى أن هيام تُكن لي بعض الاحترام .. وتزورني بين الفينة والأخرى ، فظنت أنني قد أستطيع منعها من الطلاق ..واعلم أن هيام تزوجت عن قصة حب للرجل .. إعجاب في حفلة أو سهرة ، ثم لقاء خاص ، وفترة حب ، ثم إعلان الزواج .. وهي كانت تعلم أن له علاقات جنسية مع أخريات قبل الزواج .. كانت ترى أنها ستذهب مع الزواج والبيت ؛ ولكن بعد الزواج أخبرتني أن فجوره زاد وسكره زاد ، ويأخذ منها المصروف .. وأصبحت الشقة مخدع غرام وسكر لأصحابه وصاحباته .

ـ إذا أصرت على الطلاق بعد حين من العاصفة فلتطلق .. هذا الزوج لا يتاجر به .. وهي كما قلت تخشى الحمل منه ؛ لفساده ، وأن الطلاق مصير حياتهم .. وأين ستعيش إذا طلقت ؟

ـ ستعيش في بيت والدها .. والدها مدير بنك ؛ ولكنها ستعاني .. فهم يحبون أن تبقى المرأة متزوجة ، ولو فعل زوجها كل الأفاعيل السيئة .

العروس

استطاع إياد إيجاد بضع عرائس مناسبات لسيف ، وواحدة عن طريق إدريس ، فقال إدريس : سنبدأ جولة أولية على عرائس إياد .. طبعا لن تذهب نساء كعادة العائلات هنا .. سنذهب نحن يا سيف .. ندخل على الأسرة ، ونجلس مع الأب أو الأخ ، وتحضر العروس بالقهوة .. فإياد شرح لهم من أنت ؟

قابل سيف ، ورفاقه الأسر الأربع ، ورأى المرشحات للزواج ، وكلهن أبدين الموافقة على الزواج منه رغم كبره ومرضه ، وشاهدوا عروس إدريس، ورشح إدريس واحدة منهن ، وطلب من سيف التركيز عليها ، فهي جامعية معلمة لغة عربية ،ومتدينة ، وعمرها ست وثلاثون عاما ومستعدة لترك العمل عند الزواج ، وهي لم تتزوج من قبل .

وقال : البكر أفضل من الثيب من الناحية النفسية يا سيف ! وصحتها جيدة .. وأنا أعرف والدها كما رأيت .. لقد عمل معنا في الصحة ..كان سائق سيارة.. أنا تعجبت لعنوسة ابنته هل من سبب يا إياد ؟!

ـ خطبت أكثر من مرة .. وفسد الزواج .. وهي من ناحية الجسم والسن مقبولة .. فكر فيها يا سيف .. وإذا في بالك غيرها تكلم !

قال إدريس : أنا سأتحدث مع والدها يا سيف ، وأعرف منه سبب تأخر زواجها ؛ ليطمئن قلب سيف وقلبي يا إياد .. لو مطلقة أو أرملة هناك أسباب أدت للطلاق تحدث مع والدها ، وبعد مقدمات وأمثلة علم أنها خطبت ثلاث مرات ، وكانت بعد حين ترفض الزواج ، لأنها تكتشف في خطيبها ما لا يعجبها .. وكلما كبرت الفتاة قلّ خطابها ، وأن صحتها جيدة ، وليس لديها أمراض منعتها من الزواج .

فوافق سيف على الاقتران بها ، وذهبوا لمقابلة والدها وإخوتها مرة ثانية ، وتحدث إدريس عن حياة سيف واعتزاله العمل ، وأنه متفرغ للبيت ، وأنه منذ طلق زوجته بعد زواج قصير لم يتزوج مرة ثانية ، ولم يحاول .. اعتزل النساء حتى أقنعه إدريس وإياد بذلك .. وأنه يعاني من بعض المشاكل القلبية ؛ ولكن الطبيب بين أنه يستطيع الزواج ، والقيام بالمعاشرة الزوجية دون مشاكل

تذكر .. فقط عليه المباعدة بين كل معاشرة وأخرى ، وقال لهم : نحن أحببنا أن نتكلم بالمفتوح حتى لا تقولوا غدا ضحكتم علينا وخدعناكم ..هل سمعتم ما قلت ؟ سمعتم الحقائق .. فالرجل ابن خمس وخمسين سنة .. ليس شابا صغيرا .. ولم يعش الحياة الزوجية إلا ثلاثة أسابيع ولم يطلق لأسباب صحية ؛ إنما هناك أسباب أخرى لا داعي لذكرها يا أبا محمد .. فكروا بالرجل جيدا .. وغدا بمثل هذا الوقت نسمع الرد .

وعده أبو محمد بالرد ، وغادر الضيوف البيت ، وهم يتبادلون المجاملات والسلامات.

أكمل القوم السهرة في منزل إدريس، وقال إياد : وإذا رفضت البنت عريسنا سننتقل إلى أسرة أبي جمال .

وفي مطلع النهار التالي اتصل أبو محمد بإدريس ، وطلب مقابلته وحده ، فركب إدريس سيارة لبيت أبي محمد ، وقدم له الرجل الشاي ، وقال: البنت يا إدريس قابلة للارتباط بصاحبك سيف ولكننا لم نفهم مشاكل القلب التي أشرت إليها مساء أمس .. لكن ...

تنهد إدريس وقال بضيق: هذه لكن المشكلة!

ـ ولا مشكلة ، ولا هم يا صديقنا ! البنت فهمت أن الرجل مريض بالقلب ، وقد لا يطول به العمر .. فتريد شقة باسمها .

ـ يا أبا محمد الأعمار بيد الله أولا .. والإنسان كلما كبر سنا ظهرت عليه أمراض معينة ، منها السكري الضغط ضعف البصر والسمع المفاصل هشاشة العظام .. الرجل تزوج زميلة درست معه في الجامعة ، ومن سكان حي بهية ، وقضت معه أقل من شهر ، وطلقت نتيجة مؤامرة خبيثة وحرم على نفسه الزواج والنساء .. ولما تعرفت عليه من عامين تقريبا استطعت أنا والأخ إياد أن نغير رأيه نحوهن .. وهو قد تدين من زمن يسير .. وإذا عشنا للعام القادم سنذهب للحج سوية .. والشقة لماذا ؟ لماذا هذا التفكير ؟! خشية الطلاق ..إذا ابنتك محترمة وتخاف الله كما ظهر لنا ستعيش أحسن عيشة .. وسترك الوظيفة .. والرجل يعيش وحيدا مع خادمة آسيوية في الفيلا .. وهم من سكان حي بهية حي الأثرياء القديم في المدينة .. والأموال كثيرة .. وقد عمل صاحبي مهندسا في مصنع دواء عمل كنائب لمدير المصنع حوالي عشرين سنة .. وأسرته غنية من أجيال .. اسمع يا أبا محمد إذا عاشت ابنتك بعده سترث قصرا ومالا كثيرا يغنيها العمر .. المهم أن لا يحدث الطلاق من طرف ابنتك .. أنا يا عمي أشتري لها شقة

ـ أنت! وما دخلك يا رجل ؟!

ـ الرجل عند كلمته .. أنا هذا الرجل وهب لي مالا كثيرا ؛لأنني ساعدته في قضية.

ـ كلامك غريب يا إدريس ! وهب لك مالا ستعطيه لابنتي!

ـ لتطمئن.

ـ كم وهبك؟

ـ أكتم السر .. ربع مليون.

صاح الرجل دهشا وغير مصدق : ربع مليون دينار !

ـ نعم ، حذار أن تتكلم عن ذلك .. سأكتب عنه كتابا، وأتحدث فيه عن هذه الهبة العظيمة.

ـ هذا شيء لا يصدق!!

ـ بل أخبرني أنه شملني بوصيته .

ـ ماذا فعلت له ؟!

ـ سر كبير ؛ ولكنه سينشر على شكل رواية ؛ كأنها عن شخص آخر .. الشقة عندي يا أبا محمد وليبق أمرها سرا .. هي هدية خاصة لكم .. حذار أن يعلم بها أحد .

ـ هذا شيء مذهل!

ـ هذا الفضل من الله! الرجل يأخذ أيضا راتبا تقاعديا من جمعية ونقابة المهندسين .. وهو يتصدق به .. لن تخسر ابنتك بإسعاد هذا الرجل .. والسيارة هدية مني عند الزواج .. نحن رأينا بنات غير ابنتك .. فرأيت الأولى منهن فتاتك .. رأيت أنها سترتاح مع الرجل وتفهمه .. وهو طيب ، وقادر على الحياة الزوجية باعتدال .. ونحن عندنا أمل أن تلد له .. لترث هي ومن تلده أمواله .. فأخوه وأخواته من أصحاب الأموال والغنى .. وهو انعزالي عنهم .. قليل الاختلاط بهم .. ومحب للبيت .

ـ حقيقة أنك كشفت لي أشياء مذهلة ؛ لولا معرفتي لك من أيام البلدية ما أصدقها ! اسمح لي باستدعاء البنت ؛ لتنقل لها أهم الكلام .

جاءت البنت ، وحيت السيد إدريس، وجلست ، وبعد مجاملات شخصية ، قال والدها: العم إدريس راغب لك الزواج من المهندس سيف .. وهو تعهد لي إذا طلقك الرجل ، وأنت لم تطلبي الطلاق سيقدم لك شقة .. وأقنعني بذلك .. ولا داعي لكشف الأسرار ؛ ولكنها ستصدر في كتاب عن حياة سيف على شكل رواية حماية للأحياء.

وأكد إدريس هذا التعهد ، وقال الأب : ولعل سيفا سيوضح لك الغموض في حياته .. والرجل من الأغنياء ، ومن سكان حي بهية .. وسيقدم لك العم إدريس بهذه المناسبة سيارة كهدية منه هكذا قال أبوها ، وتابع فقال : هذه فرصة يا بثينة ! لتعشين حياة الأزواج .. والأخ إدريس رجل عند كلامه ..وفعلا يريد لك الخير!

فقالت : ومشاكل القلب التي تحدثتم عنها أمس !

قال إدريس : هو مريض بالقلب ، ولا يعني هذا أنه سيموت غدا أو بعد شهر أو بعد عشر سنوات

..عادة مريض القلب سيكون ضعيفا في الحياة الجنسية إلى حد ما .. ليس مثل شاب صحيح البنية مفتول العضل .. سيف لم يعش الحياة الزوجية .. له أكثر من ثلاثين سنة لم ينام مع امرأة حتى ولو بالحرام .. القلب أثناء المعاشرة الزوجية يتعرض لضغط كبير ، يحتاج لضخ دم بقوة ؛ لذلك من يتعرض لجلطة قلبية ينصح بالبعد عن الجماع عدة شهور .. يعني صاحبنا ليس صغيرا .. والطبيب المتابع لحالته أخبر بأن بإمكانه الحياة الزوجية عدة مرات في الشهر .

قال أبو محمد : فهمت عليك يا إدريس فهمت يا بثينة !

هزت رأسها بالإيجاب ، وقال وهو ينهض : والرجل يطمع يا ابنتي بأن تلدي له .. ونحن قدمناك لسنك المناسبة .. وهناك إمكانية الحمل بإذن الله .. وأنت متدينة .. والرجل تدين من عهد قريب بسبب صحبتي له وإياد .. وترك الخمر منذ صحبنا .. ولم يكن يشربها كثيرا ؛ لكنه تربى على أنها ماء.

ولما غادر الرجل ، قال الأب لابنته: لم تعودي صغيرة يا ابنتي !وأنا إدريس عشت معه زمانا طويلا أيام العمل ، ولا يمكن أن يخدعنا ؛ بل وضعنا في صورة سليمة للرجل .. فهو ابن خمس وخمسين سنة .. وفي النهاية أنت حرة ولَك الاختيار .

وافقت أسرة أبي محمد على زواج ابنتهم من السيد سيف ، وتخلى سيف عن السرير المفرد ، وجهز غرفة نوم بأثاث جديد ، وخلال أسابيع كان السيد سيف يتزوج من جديد أمام دهشة واستغراب أقاربه وجيرانه .. فأصبح حديث الحي ، وانتقلت بثينة المعلمة إلى الحياة الزوجية في حي بهية ، وقد جرى احتفال متواضع لسيف أشرف عليه إدريس وإياد ، وتقبل سيف هدية إدريس لزوجته السيارة ، وتعجب بعض الأقارب من زواج سيف من فتاة من حي شعبي ؛ ولكنهم تعودوا على غرائب سيف ؛ لذلك الكثير من أقاربه لم يحضروا حفل الزفاف ، ولم يكترث لهم سيف ، وحتى بعض أخواته لم تحضر ، ولم يقبلوا زواجه .

اتصلت هند بمنزل سيف ، وباركت له الزواج ، وتمنت له الخير ؛ ولكنها عجبت من صبره كل هذه السنين ..وكيف لان في النهاية؟! وذكرت أنها كانت تحب له ذلك ، وأن أمها تمنت له ذلك في حياتها ..وسألته عن العروس .

ـ ليست قريبة لي يا دكتورة .. إنها امرأة صالحة ـ إن شاء الله ـ وذكر اسمها ، وعائلتها والحي الذي كانت تعيش فيه .. وفي نهاية المكالمة ، وعدته بزيارة لتبارك له ، وتتعرف على أهله ، فرحب بذلك .

وقدم إياد وزوجه ، ويصاحبهم إدريس للتهنئة

والتبريك ، ورتب لهم إدريس دعوة طعام في أحد الفنادق .. وحدث قبل تلبية دعوة إدريس أن تعرض سيف لوعكة صحية .. أدخل على أثرها المستشفى ، وقضى فيه ثلاث ليال ، ثم تعافى بفضل الله ورحمته .. وقضى إدريس الأيام الثلاثة معه في المستشفى ..وكان يأخذ زوجته إلى المستشفى في سيارتها ويعيدها .. وتعرف على طبيبه الخاص ؛ لذلك لما خرج معافى أبدت امتنانها لإدريس على وقفته معهم.. فأكد لها أن سيفا أخ له .

وقال : هذا أقل الواجب . وخاطب سيفا فقال : أنا باشرت في كتابة المسودة لقصة حياتك ، وخلال شهر ستكون بإذن جاهزة ، ولما تقرأها أبدأ بتبيضيها.. طبعا لن يعرف أحد أنها قصتك إلا من يعرفك حق المعرفة ؛ لأني سأضيف إليها فصولا وأحداثا لا دخل لك فيها ، فقبل رحلة الحج ـ إن شاء الله ـ ستكون في الأسواق .. عرض عليّ صاحب الجريدة نشرها على عدة حلقات فاعتذرت بأنك ستنشرها مرة واحدة .. وهي قصة بعيدة عن السياسة لعدم اهتمامك بالسياسة

بعد زواج سيف تغير نظام زيارته لسيف ، كان يصلي العصر في حي العرب ، ومع المغرب يغادر الحي عائدا لبيته .. جاء زائرا عصرا ، فوجد أن هندا وزينب في ضيافة سيف وزوجته ، فسلم وحيا ، وجلس وعلمت هند أن إدريس هو الذي سعى في زواج سيف ، واختيار العروس ، وتبين لهنّ أن العروس أكبر منهن ؛ ولكنها مناسبة لسيف ، وتمنوا لهم التوفيق .

بعد هذه الزيارة بأيام تلقى إدريس هاتفا من الممرضة سمر ، ولما سمعوا أخبار بعضهم بكل اختصار ، قالت: أنا صرت مغرمة بجريدة صاحبك التي لم أقرأها يوما قبل أن أعرفك يا أستاذ إدريس ! وأستمتع بما تكتبه أنت ، ومقالات الفتى نصار .

شكرها إدريس على متابعة مقالاته ، فقالت : هل عرفت من صور المهندسة ؟

ـ أصدقك القول أني عرفت في النهاية ، وصرت من ورائها غنيا .

ـ رشوك لتصمت !

ـ لا ، ليس رشوة هدية تبرع .. وستكون الحقيقة في كتاب عن السيد سيف في مطلع العام القادم لم تصور الصورة في تلك الشقق ..صورت مع الرجاء الكتمان في القصر .. قصر والدها .

ـ شوقتني لفهم القصة.

ـ حسنا ! بما أنك صديقة ، وساعدتينني في فهم حكاية الشقق سأرتب لزيارة لك .. الأمر يحتاج لكتمان ، وعدم نشر للضرر الذي قد يصيب بعض الناس .. وهل من جديد بينك وبين الدكتور سمير ؟

ـ سمير أخي !

ـ طبعا أخوك !

ـ هل قابلته ؟

ـ أنا ألم أقل لك إني التقيت به أثناء إجراء الحوار معك ؟! ذهبت وصليت خلفه ، وتعرفت عليه لأنني عجبت من شيوعيتك وتدينه ! ففهمت الحكاية وفارق السن بينكما أيام الطفولة والمراهقة وحدثني عن والدك العقيد ،وعن أختك سحر وعنك .

ـ هذا أنا الآن مكشوفة لك !

ـ هذا يا سيدتي عرفته عندما بدأنا الحوار ، وذكرت أن لك أخا متدينا وإمام مسجد .. فسارعت بالبحث عنه ، وقابلته ، وذلك قبل كتابة مقابلتنا ، ودعاني لزيارته ، ولكنني انشغلت بصديقي سيف .. وها نحن زوجناه من بضعة أسابيع .

ـ قرأت الخبر والتهاني ببعض الصحف ، ولم يخطر ببالي أنه سيف زميلنا أيام الجامعة .. عرفتني عليه سوزان ، وحضرت زواجه من نبيلة .. شخص لا ينسى لطلاقه الغريب ، وفي نفس الوقت لا يذكر .. معادلة صعبة .. أخيرا تزوج .. عليّ الاتصال به وتذكيره بنفسي والتهنئة .. لقد كان صائما عن الزواج ..كلما يأتِ ذكره بلقاءتنا مع نبيلة كانت حزينة من أجله.

ـ لقد زارته بنات نبيلة هند وزينب من قريب للتبريك والتهنئة .

ـ لي فترة لم أتحدث معهن .. موضوع زينب لم يتحرك !

ـ مات والدها .

ـ أعرف ، وذهبت للعزاء.. وأنا لا أدري لماذا توقف الموضوع ؟! هي لم ترفض صراحة ، ولا قالت لا أريده .

ـ هناك أمر غامض لا أحد يريد الإفصاح عنه ؛ ربما الدكتور خالد معترض على زواجي مع أن والدها بارك زواجنا قبل أن يموت .

ـ هل قابلته ؟

ـ لا، لكنه كتب رسالة في ذلك .

ـ على كل حال سأحرك الموضوع ..أنا لا أعتقد أن خالدا معترض .. أنا أعرفه هو محب لعمله وهادئ ؛ فهو ساعدني في أمرين داخل أروقة الوزارة ..وهو جراح قلب .. ويعمل العمليات في مراكز علاج القلب ، ولا يتدخل في شأن أخواته .. علينا أن نلتقي لنسمع حقيقة الصورة.

ـ سأفعل.. أريد أن أتدخل في الصلح بينك وبين الدكتور سمير .

ـ لسنا متحاربين ؛ إنما أفكارنا متحاربة .

ـ وتتحدثون بواسطة الهاتف في فترات متباعدة ؛ كأنكم في بلدين متباعدين!

ـ هو يريد أن أعود لدينه .. وأنا لا أريد .. ولا

أومن بدين سماوي .

ـ اليوم تصالحنا مع اليهود .. وقضينا شبابنا ، وهم يصدعون رؤوسنا ببغضهم وتدميرهم يا سيدتي .. دينكم الأرضي مات في بلاده ، ولم يعد يبحث عن حكم العالم .. انتصرت الرأسمالية عليكم .. فلماذا المكابرة ؟! عشرات الشيوعيين الذي عرفتهم في مطلع شبابي ذهبوا للحج والعمرة .. الشيوعية أصبحت في نظري ونظر الكثير تاريخ .. ليس عيبا أن يتراجع الإنسان عما اعتقده صحيحا في يوم ما .. لا أريد أن أعمل نفسي عليك واعظا وشيخا .. واليوم كثير من المسلمين مجرد مسلمين يزنون يشربون يكفرون يتعرون .. شوارعنا لا تختلف عن شوارع باريس ولندن .. مسلم مسلمة لا تلتزم بالإسلام ، لا صلاة ، لا صوم ؛ ربما يعرفون أنهم يتزوجون على النظام الإسلامي، وحتى الشيوعيين يتزوجون على النظام الإسلامي ؛ لأنهم لا يحكمون ، ولما يموت الشيوعي تحمل جنازته للمسجد ، وهو الذي لا يؤمن بوجود الله .. والدين أفيون الشعب .. وزعم بعضهم أن الاله مات .. ومع ذاك عندما يهلك يذهب به أهله
للمسجد ؛ لتصلى عليه صلاة الجنازة .

ـ سنتكلم بذلك .. وتناقشنا أنا والرفاق بهذا الحال ، وما صرنا إليه .. ليس من السهل التخلص من ذلك يا إدريس .. أنتظرك غدا.

ـ لا بأس أصلي المغرب في حيكم .. ونشرب الشاي .. سلمي على زوجك وأولادك .. وليكن هو الآخر في الانتظار ؛ لأن الخلوة بالمرأة لا تحل.

ـ آ ! هذا صرت شيخا أخيرا !

ـ أنا طول عمري أصلي وشيخ ؛ ولكن أحيانا أضطر للخلوة والسرية.

ـ جيد ! أليس اسم إدريس على وزن إبليس ؟

ـ لا، إبليس لعين .. وإدريس اسم ورد في القرآن ، وهو اسم نبي .



تحدثت سمر مع هند بشأن زواج إدريس وزينب ، وعلى زينب أن تقول: نعم أو لا .. وأخبرتها أن الأستاذ إدريس سيزورها الليلة بعد صلاة المغرب ، فاستأذنت هند بحضور هذه الزيارة ، فرحبت سمر بذلك ، ولما جاء إدريس تفاجأ بوجود هند ، فسلم ، وجلس ، ولم يتحدث حول الصورة ، وأخبر أن الشقق السوداء لا علاقة لها بصورة نبيلة وطلاقها ، وأن المهندس مرادا لا يد له في التصوير ، وأدركت سمر أن إدريس لا يريد الكلام عن الصورة أمام هند بأكثر مما صرح به .. وانتقل الحديث للحديث عن زينب والزواج.

فقالت هند : أنا سأتكلم بصراحة يا سمر ويا ا

إدريس .. زينب لم ترفض الزواج منك ؛ إنما الذي حدث أن زينب العزيزة كما تعلمون قد أزالت الرحم بعد ولادتها في تركيا .. وقبل سنة قبل ظهور إدريس في حياتنا اكتشفت أنها تعاني من سرطان الثدي الشائع بين النساء .. فالأدوية لم تعد تجدي نفعا في علاجه .. فستخضع لعملية إزالة الثدي السقيم ..ولما جاء إدريس إلى هذه الغرفة على ما تذكرون ضعفت عن إخباره بالحقيقة .. هي تريد الزواج .. فحاولت تشجيعها على قول ذلك لما تقابلتم هنا ؛ لكنها لم تستطع فعل ذلك .. ولم تسمح لي بالحديث عنها .. كان الظن أن العلاجات ستنجح بالشفاء ، وتوقف هذا المرض .. فكان قرار الطب البتر ، ومع اشتداد مرض أبي تجاهلنا العلاج والزواج .. وهي صدقوا أنها راغبة بوجود شريك يتفهم ظروفها ومأساتها وتعيش الحياة الزوجية .. لا تريد توريط إدريس بمشاكلها الصحية ، فافتعلت أنها تفكر ومترددة .. والأمر لك يا إدريس .. هي قابلة بك زوجا بدون تردد .. وها أنا وضحت لكم سبب كل هذا التأخير .. قد يكون سرطان الثدي من أقل أمراض السرطان خطورة ؛ ولكن المريض يعاني .. وخشيت أن تترمل ثانية .. فأنا أمام السيدة سمر أطلب منك التفكير والنظر بها جد .. وأنا أتمنى أن توافق ؛ لتحقق لها السعادة بالزواج والحياة الأسرية التي هي إليها مشتاقة .. وإذا قبلت الزواج منها سنؤجل العملية إلى ما بعد الزواج والأعمار بيد الله

قال إدريس ملتفا لسمر : كان عليك أن تقولي ذلك من قبل.

قالت سمر : أنا لا أعرف هذا إلا الآن .

قالت هند : أحيانا كثيرة لا يستطيع الإنسان ذكر كل شيء .

قال: أنا لم أقصدك يا سمر ! وأنا قبلت بها سابقا ؛ ليس لأنها أول امرأة تعرض .. ولو صارحتمونا بذلك لتزوجها منذ زمن من أيام الوالد .. أنا ما زلت مستعدا للزواج منها يا دكتورة هند .. أنا الذي شجعني على الزواج منها عندما تحدثت السيدة سمر بذلك عدم قدرتها على الإنجاب ؛ لأني أنا عاجز عن ذلك في سنوات زواجي الأولى .. أنا قبلت بعد تأمل ليس لهفة على الزواج ..وليس طمعا بمالها ..كله بقدر الله.

قالت سمر : الآن الكرة عندكم يا هند .. وأنا متأكدة لو رغب إدريس بالزواج للزواج لتزوج من زمن بعيد كما نرى في دنيا الناس !

قالت هند : أشكركم جميعا ! وما دمت أنت مستعدا للزواج من أختي رغم علتها فعلى الرحب فالمال الذي تملكه ماذا يفعل لها بعد الموت يا إدريس ؟ سيصلك الجواب خلال أيام لكن إذا قدر الله وحصل النكاح الشرعي أفضل أن تقبل

العيش بقصرها دون أي حرج .. وهي تحب العمل كما تعلم .. وصدق أيها العزيز أنها تقدم الكثير والمال والأدوية للجمعيات والأماكن الصحية المجانية .. وسترى ذلك بنفسك .. وأرجو أن لا تشعرها أنك تزوجتها شفقة ورأفة حتى لو وقع ذلك في نفسك سابقا أو الليلة .

ـ العاطفة جزء من حياتنا يا دكتورة .. أنا قبلت ـ كما قلت ـ أصلا لأني لا أنجب .. فهذه العقدة التي كانت تمنعني من الزواج .. وبالنسبة للحياة معها في قصرها هذا أمر عادي .. لا حساسية لديّ .. فسأؤجر الشقة أو أعيرها .

قالت هند وهي تقف : جميل ! وأنا سعيد بما تكلمنا .. اتفقنا وستسمع أخبارا سارة .. أتحب أن أوصلك بطريقي ؟

ـ شكرًا .. أنا أنتظر زوج السيدة لحديث خاص .. سأدعوهم للإسلام .

ـ معقول! هذه مهمة صعبة ! رأيت مجادلات عقيمة لسمر .. فشقيق سمر دكتور شريعة ، ومن المشايخ .

ـ الله يضع سره في أضعف خلقه كما يقال .

وبعد وداع هند عادا للجلوس وقالت : هو في البيت ؛ ولكنه استحى من هند . ونادت بصوت مرتفع ، فظهر زوجها بعد قليل وسلم على إدريس ، وبعد التحايا قالت : قبل أن تتحدث عن الإسلام والدين تحدث عن الصورة .

ـ باختصار ، ولأنكم أصدقاء ، وساعدتموني في التحريات حول الصورة .. فالذي صور نبيلة هو والد هند ؛ ليطلقها سيف ويتزوجها .

صاحت استغرابا : الدكتور غريب!!

وبعد دهشتهم قال : نعم ، هذا ما تبين لنا .. وصورها داخل القصر باستخدام مسحوق السيطرة على العقل الذي يستخدم في علاج المرضى العقليين ، حيث كان يعمل في مستشفى أمراض عقلية ونجح .. وسيصدر كتاب عن حياة سيف بقلمي على شكل رواية اجتماعية .. ولا يعرف أحد أنها عنه إلا من يعرف المهندس سيف مثلكم .

ـ وأنتم كيف عرفتم ؟!

ـ هو اعترف لنا قبل موته برسالة خاصة.

قالت : هو فعل ذلك ليتزوجها !

ـ نعم ، طلبها قبل سيف ؛ ولكن أمها لم تقبل به .. والفتاة كانت تحب سيفا كما تعلمين .. ففعل الحيلة ، وورط مرادا عن طريق رسالة .. وسيف لما رأى الصورة ذهب عقله ، وتسرع بالطلاق وظهر الرجل أمام والدها بالبطل والشهم .. وتزوجها ، وماتت نبيلة وهي لا تعرف الحقيقة ؛ لكنها تشك بخبثه دون دليل أو اعتراف .. وهو لم يكن نظيفا.

ـ هذا معروف عنه .. وكانت بناته مخزيات من

مغامراته رغم حياتهم في حي لا يهتم بمثل هذه القصص .

ـ وهذا سيظهر في القصة دون إظهار الأسماء الحقيقية .. وأرجو أن لا يبث هذا الخبر .

ـ وربع المليون !

تحدث إدريس عن التعويض الذي دفعه غريب لسيف ، ورفض سيف قبوله ، وحول على حسابي ، وقال : عوضه عن كل سنة عشرة آلاف دولار .

صاح زوج سمر : مذهل هذا السيف ! معقول!

قالت سمر : شيء رهيب الدافع والقابض والفائز !

قال إدريس : إذن هي ليست رشوة .. وهذا ما حصل .. فأنا في أقل من ساعة تحولت ثريا .. وإذا تزوجت زينب سأكون من أهل حي بهية ؛ ولكن ينقصني الورثة .. وسيف بسبب قصة الصورة صار صديقا لي .

قالت سمر : يا إلهي ! ما زال هناك أناس بهذا السخاء ! وقصة الدكتور سمير .

ـ سمير أخوك .. عندما تحدثت عن سبب طلب أم نبيلة منك أن تجدي لزينب زوجا متدينا

ذكرت أن سبب الطلب أن أخاك إمام مسجد .. فتحريت عنه ، وقابلته ، وعرفت المزيد من المعلومات الخاصة عنك .. وحدثني أنه حاول مرات ومرات إقناعك بالعودة إلى الإسلام .. ووجد منك عنادا وصلابة أكثر من الروس الذين تخلو عن الماركسية في أيام معدودات وعرفوا أنها نظام حياة فاشل ومتأخر ومتخلف .. ومن العجيب أن بعض العرب متعلق بها أكثر من أهلها!

قال زوجها : لم يعد أحد ينظر إليها كمنهج حياة يا صديقنا ! لكننا عشنا شبابنا وكهولتنا عليها فمن الصعب على بعض الناس التخلي عن ماضيهم وتاريخهم .

ـ رواسب الماضي ، والتضحيات التي قدمها لا تهون عليه ، والذي سجن وحرم من العمل في مؤسسات من أجلها .. يا سيدي العرب قبل الإسلام عبدت الحجارة والأشجار والكواكب وتركوا ذلك وعبدوا الله .. بعضهم بسرعة وبعضهم ببطء.

ـ وبعضهم تظاهر بالإسلام .

ـ قصدك المنافقون

تحدث سيف مع إدريس قائلا بفرح طاغ : تحدثت معي هند قبل دقائق .. وتقول لك: ألف مبارك يا إدريس لزينب سعيدة بقبولك لها بعد أن عرفت أنها مريضة بسرطان الثدي ، وتقدر شجاعتك ، وتضحيتك.. وهم بحاجة للقائك ، فاخترت بيتي للقاء عصرا ..صَل العصر عندنا

صلى العصر في حي بهية ، ولما دخل بيت سيف ،

كان الدكتور خالد وشقيقاته في انتظاره ، وسلم وحيا الجميع ، وجرى التعارف بينه وبين الدكتور خالد ، وأعجب إدريس بخالد ، ووجده مثل الطفل الصغير جسما وصوتا .

وقال خالد : أختي زينب لا تمانع من الاقتران بك يا أستاذ إدريس.. وقد ذكرت معلومات طيبة عنك.. وسنؤجل العملية الجراحية والاستئصال إلى ما بعد الزواج حتى تذهب بنفسية طيبة ، وزوج محب لها .. وأقول إن الأخت العزيزة ترغب أن تعيش معها هنا في حي بهية قرب صديقك العزيز سيف ، وقرب صيدليتها .. وذكرت هند أنك لا تمانع في ذلك ، ولا حرج .

قال إدريس : وكما يعرف أخي سيف أنا قضيت عمري أعزب مثله؛ لذلك انجذبنا لبعض بسرعة للتشارك المعنوي بيننا، فيمكنني العيش هنا ، وفي حيكم وبدون أي حرج أيها الأصدقاء وأنا أشرف بالزواج من الدكتورة زينب أخت حضرتكم .. وأنا أعترف أن الذي جعلني أتشجع وأقدم على هذه المغامرة تشاركي مع الفاضلة بعدم قدرتنا على الإنجاب وهذا أمر الله علينا ، نسلم له .

وتحدث سيف فقال : إدريس أحب إليّ من إخوتي وأهلي .. لما تزوجت من عهد قريب كما سمعتم مرضت ، وقَعَدت في المشفى ثلاث ليال قضاهن معي .. رب أخ لك لم تلده أمك .. وهذا الرجل منهم .. وألف مبارك لك يا دكتورة زينب .. وألف مبارك لك يا أستاذ إدريس والأستاذ بكالوريوس صحة عامة .. يعني متعلم في الجامعة يا دكتور خالد .. وسيكون أفضل جار لنا.

واتفقوا أن يكون الزواج يوم الجمعة القادم ، وذهبوا لبيت زينب فقال سيف : أرى أن نغير غرفة النوم فقط يا إدريس كما فعلت أنا .. وهي هدية مني ، وأقسم على ذلك .

ومشوا إلى قصر خالد قصر الدكتور غريب ، وقدم لهم العشاء ، وتعرف إدريس على زوجة خالد وأولاده .. له طفلان فقط .. وجاء زوج هند ، وشاركهم العشاء ، وتعرف على إدريس وقال إدريس: غدا سأرتب أمور الزواج ، ونذهب للقاضي لعقد الزواج.. والجمعة نحتفل بالزواج.

قال خالد :حفل الزواج كما تريد زينب تريده أن يكون بسيطا ، وفي نادي الحي يا مهندس سيف ومقصور على عدد بسيط مائة إنسان وسيكون الحفل على نفقتي بإذن الله .

فقال إدريس: وأنا ماذا أدفع ؟!

قالت هند : المهر والصداق عليك.

ـ هذا مفروغ منه يا دكتورة هند .. نحن لم نتفق على المهر يا دكتور خالد .

قالت زينب : سيكون المهر دينارا واحدا يا أستاذ إدريس .. أنا لست بحاجة لمال، ولا متأخر ولا

أثاث .

قال إدريس : قبلت يا سيدتي الكريمة .. وسأدفع عشرين ألف كذهب تتزينين به كذكرى لزواجنا الخالد .

ـ أحرجتني يا إدريس وسأقبله !

وفي مساء الجمعة احتفل الأصدقاء من جهة الطرفين بزواج إدريس وزينب في أحد الناديين في حي بهية ، وكان إياد وسمر وسوزان وعبير من ضمن المدعوين من جهة إدريس ، ولما انتهى الحفل تفرق الناس ، وأقيمت سهرة خاصة في منزل زينب شارك فيها الأعزاء العروسين العشاء

وبعد شهر من الزواج خضعت السيدة زينب لجراحة لإزالة الثدي المريض ، وتعرضت لعلاجات صعبة ؛ ولكنها أحست بالسعادة بوقوف إدريس بجانبها خلال تلك المحنة ، وكذلك صديقه سيف .. وكانا لا يفارقان المستشفى إلا لماما للصلاة أو النوم بضع ساعات .. وخرجت السيدة بعد عشرة أيام ، وعادت للبيت وهي في غاية السرور من حب إدريس لها .. وكان عليها أن تتابع العلاج حتى تشفى تماما ، ولما استقروا في البيت قدم لهم زوج هند بهدية سيارة منه ، ومن زوجته بمناسبة الزواج ، وبمناسبة نجاح العملية ..وتسلم إدريس المفاتيح شاكرا .. وكانوا سعداء رغم مرض زينب .. ولما اقترب موسم الحج تجهز سيف وزوجته ، وإدريس وزوجته إلى رحلة عظيمة عند المسلمين ، وعندما تكون بالطائرة ستكون مريحة إلى حد كبير وأيسر من رحلة بالبحر والبر .. ورحلة الحج تكون بعد رمضان بشهرين .. وكان إدريس قد نشر القصة قبل السفر بأسبوع .. وكانت طبعة راقية وثمينة .

رواية اجتماعية

عرض زواج

زوج العشيقة

الإنسان السيء لما يألف العمل السيء يقل حذره وتوتره من أضراره وعاقبته ، ذات ليلة بينما يقترب الوقت من نصف الليل وغسان على موعد ليتسلل إلى بيت العشيقة في حي الشهاب، وهو من أحياء توتة الراقية بمقاييس المال والغنى ، ولما وصل لباب الشقة وطرق الباب ـ فهما على موعد ، فبعد أن خرج زوجها لنواديه وميسره اتصلت به فلبى نداء الفاحشة ـ سمع صوتا يقول بتهكم : أهلا أهلا بعشيق زوجتي الأخير .. كيف حالك يا سيد غسان يا مصلح السيارات ؟

استدار إليه غسان وقال بصوت منخفض : من أنت ؟

صاح الزوج ضاحكا : قلت لك أنا زوج الأنثى التي قدمت إليها يا هامل !

قال : أنت زوجها ! وهل لها زوج ؟

قال بغضب : نعم ، تتغابى يا منحط .. أنا زوجها يا مجرم ! رأيتني في المطعم تلك الليلة . وكان يخفي عصا سميكة وراء ظهره فانهال بها على رأس غسان وبدنه ، ولما صرخ غسان من الألم ، وقد سالت الدماء من رأسه ، فحاول إخراج موس يحمله ، فصاح الرجل الغاضب : معك موس يا خائن !

وخرج مجموعة من الشباب من شقة أخرى ، وأخذوا بضربه ورفصه ، وأخذوا منه السكين وظل الضرب والرفس حتى فقد الوعي ، فحملوه والقوه في الشارع مغمى عليه قرب سيارته فقدم لهم الزوج الشكر فقال أحدهم : أين المرأة ؟ زوجتك الملعونة .

قال الزوج المتظاهر بالغضب : سأرسلها عند أهلها أو سأرسلها عند أبيها الفاجر .

وفتح الشقة ودخل وتبعه اخوه وصديقاه ودخلوا حتى غرفة حبست فيها الزوجة ، ورفع

اللاصق عن فمها ودفشها بقدمه وقال : قد اخذ نصيبه يا فاسدة ! وستذهبين الليلة إلى بيت من بزرك وتقصين عليه خيانتك الأخيرة .. وسيكون الطلاق قريبا.. لقد مللت من فجورك .

قال اخوه صقيل : بل العمارة كلها ملّت من فجرها وفحشها

قالت : هل قتلموه ؟!

قال سفين الزوج : لعله لم يمت .. خائفة عليه ..خليه يتزوجك الهامل .

صاحت وهي ترفع نفسها : سيفعل يا مجرم ! الذي يسمعك من هؤلاء يقول إنك شريف ولا تضحك على بنات الناس .

رد بقهقهة : عمري ما أحضرت واحدة إلى الشقة .. إلى هنا .

ردت بوقاحة : كله فجر يا فاجر !

ضحك وقال دون حياء ، فهم يعرفونه حق المعرفة : فاجرة تعير فاجر .. بيت أبيك وامك البغي أولى بك .. أنت بنت من ؟

صاحت بغل : اخرس يا وغد !

صفعها وقال : جهزي نفسك للطلاق .

قالت بهياج وسخط : سأفضحك في كل مكان .

قال : افعلي ما تريدين .. هيا جهزي حقيبتك ليقوم صقيل والشباب بتوصيلك

فقال صقيل : هيا يا قحبة عجلي قرب الصبح .. العيلة منذ زمن تعرف قرفك ..قلت لك أنا نفسي ازني وافجري خارج الشقة .. فنحن نعرف أنك لا تشبعين من الزنا .

نهضت وأخرجت حقيبة الحرد ، ووضعت بعض الثياب وهي تقول بسخط : كلكم أولاد حرام .. ما كل العمارة زناة وكلاب .. كم مرة لمحتك تجلب الساقطات يا صقيل ؟ !

صاح وهو يدفعها : اخرسي .. أنا اعزب ليس عندي زوجة .. تزوجي من الميكانيكي .. اذا بقي حيا

ودفعها سفين أيضا وهو يقول : كان يجب أن اطلقك لما كشفت أمرك مع شقيقنا مسلاط ؛

لكنه انتحر ؛ فكان عليّ أن اصبر حتى تبرد القضية

فقالت بسخرية : ما هذا ـ وأشارت إلى صقيل ـ مثل أخيك .

صفعها صقيل على وجهها بقوة وقال : تريدين الإيقاع بينّا .. صدق يا أخي ما لمستها ولا قربت من جسدها الأجرب .. أنا لم اعرف فاجرة مثلك .. أنا لا اعلم لماذا كل هذا الفساد فيك وأنت ذات زوج .

صرخت وولولت وردت : وهل هذا زوج ؟ إنه امرأة مثلي !

قال سفين : خذها يا صقيل هذه احقر امرأة في الدنيا .

قالت بحقد : هل أنا اكذب ؟ افحصوه

دفعت للخارج وتبعها الشباب ووضعوها في سيارة صقيل، وهم في السيارة قال صقيل : ما دام زوجك امرأة مثلك لماذا لم تصري على الطلاق بدلا من جلب الرجال لسريرك وتفضحينه ويفضحك وتفضحينا

قالت : لا يريد طلاقي لو طلق سينكشف أمره ، وتعلمون أنه مريض جنسيا وانه عنين

قال : وماذا يفعل في الملاهي والنوادي والمواخير ؟!

قالت بدون خجل : تحسيس ولمس وتقبيل حتى يعتقد أمام رفاقه بأنه فحل وانه قادر على الفاحشة والخنا .

صقيل قد سمع عن عجز شقيقه الجنسي؛ ولذلك تورط شقيقه مسلاط لإشباع رغبتها وشهوتها حتى اشتهر أمره بينهم وخيانته لأخيه فانتحر وسكت سفين فقال : أمركم عجيب يا يارا !

قالت : المرأة لماذا نتزوج ؟ لتأكل وتشرب وتلبس ونتبرج

فقال : خلاص يا بنت الناس ! عليك بالطلاق وأنا سأجبره على طلاقك .. لا يصلح أن تعيشان معا ، وتضحكان على أنفسكم .. أنا أخي الميت لمح لي بعجزه قبل أن ينتحر ؛ ولكنني ظننته يقول ذلك ليبرر جرمه وخيانته لأخيه .

قالت : أخوك سفين يعرف بأمرنا من أوله .. وتظاهر بأنه لا يرى .. فهو يعرف نفسه

قال مقرا : كلامك صدق ! حدثت أشياء لم اكن افهمها .. الآن وضحت .. كان عليك أن لا تصمتي وتبحثين عن الرجال والبديل .. فهذا الشاب ذهب ضحيتك اذا مات .

عرف أهل المرأة قصة عشقها الجديدة وما حدث لعشيقها من الأذى ، واتفقوا على الطلاق بدون أن يدفع الزوج شيئا لهم ، ولها الحق بأخذ مجوهراتها ورصيدها الخاص بها ، وأخذت القضية منهم ما يقارب ستين يوما ، واتفق الأب وألام المنفصلين بدون طلاق شرعي على أن تسعى للزواج من السيد غسان أمين ما دامت تحبه وهو يحبها ، وكان يمنيها بالزواج ، لأنهم علموا أنه لم يمت ، فقد وجدته دورية شرطة ، ونقل لاحد ى المستشفيات للقطاع العام ، وزعم للبوليس والأمن أنه كان سكرانا وعائدا من حانة وتشاجر مع شلة وأثخنوه بالعصي والرفس والضرب وأنه لا يعرف أحدا منهم ، وقضى أياما يعالج ، ثم عاد لبيته ملفوف الرأس بالشاش مثخن بالجراح والأورام والرضوض ، وأخذ رفاقه يزورنه ، ويطمئنون على صحته وحاله ، وظل صامتا عن قول الحقيقة حتى لشريكه طارق ابن خاله ، وشقيقه منذر ، وانه تعرض لعصابة من عصابات الشوارع كما اخبر البوليس ، وقضى اكثر من شهرين عاجزا عن العمل بشكل صحيح للكسور في ساقيه ورأسه ، وكانت كسوره من الكسور الخفيفة والرضوض ، وكانت المرأة بعد علمها بنجاته من الموت تتصل به في شقته ، وتطمئن على صحته وتبرىء من معرفتها بما حاك ضده من قتل وغدر ، وسعت لزيارته فاعتذر لها بكثرة الزوار ، وأنه لا يستطيع معاشرة امرأة ، وتأذت خصيته من الضرب والرفس ، وتابع قضية طلاقها ، وهي تأمل أن تتخذه زوجا

ولما تحسن وضعه الصحي بعد شهور سافر لقبرص كالمعتاد ، وقضى أياما بين أحضان بنات ومومسات قبرص ليطمئن على أدائه الجنسي ، ثم عاد للوطن ، ولما تلقى منها اتصالا قالت : كيف وجدت نفسك؟

فرد ميئسا من نفسه : لا اصلح للنساء ؛ لذلك اختصرت الرحلة

قالت : تحتاج لعلاج

قال بتحزن وتحسر : تضرر مخي من ضربي على الرأس ومعرض لجلطة دماغية بسب النزيف الذي أصابني من عصا زوجك المجرم

قالت : كيف سنعمل ؟ فأهلي يلحون بالزواج .

قال : تزوجي فأنا غير صالح .

قالت : تتعالج ونحن زوجان .

قال منبها : واذا لم اصلح يصير معي ما صار مع زوجك .. حدثني صقيل بسبب انحرافك

قال بدهشة : هل قابلت صقيل بلول ؟

قال بحقد : هو زارني واعتذر عما أوقعوه بي .

قالت بجنون : يا للوقاحة ! يقتلون القتيل ويمشون في جنازته

قال : هذا ما حدث .. وعرفت منه سبب خيانتك لشقيقه .. واخشى أن يتكرر معي .. وأنا كما تذكرين طلقت زوجتي البيروتية لخيانتها لي

قالت بغضب : ليس هناك زواج

قال مدعيا : أنا راغب بالزواج ؛ لكن تقبلين أن نعيش بدون قضاء رغباتنا الجنسية

صمتت لحظات ظنها دهرا : سأفكر يا غسان ! قد أتكفل بعلاجك ، لأن أهلي ينتظرون أن نتزوج .. لأنك تسببت بفضيحتي وطلاقتي

قال ناصحا : الأفضل أن تعيشي وحدك .. فالزواج قد لا يناسبك

قالت : لماذا ؟

قال : أنت تعودت على التعدد ، فلن تتوقفي على احدهم

قالت بضيق : كلام قاس ومؤلم يا غسان !

قال : هذا كلامك أنت لي اكثر من مرة .. وهل أصدق أنك قضيت هذه الشهور دون صديق ورفيق ؟ نحن عرفنا بعضنا بعضا .. وأنت ذكرت أنك لك أصدقاء غيري أيام حياتك مع زوجك العاجز .

قالت مقرة بأنها نطقت بذلك : لابد أني كنت في حالة ثمالة .. لابد أن نلتقي مواجهة

قال : نلتقي في مقهى أو حديقة عامة .

***

جلس غسان والمرأة يارا هواربية في احد المقاهي المختلطة في توتة ، وأعاد تأكيده عن عجزه عن إتيان النساء ، وأنه يفكر بالسفر لأوروبا للعلاج بزعم أن طبهم متطور اكثر من بلاد العرب في هذه الأمور بسبب كثرة الانحلال الجنسي لديهم ، وأما هي فعرضت عليه وكررت أن يتزوجا وتسافر معه ، وأنها مستعدة لمساعدته في تكاليف العلاج ، فرد بقوله السابق والمتكرر فقال : واذا لم يفلح العلاج معي هل تتحملين أن تبقي على ذمتي وبدون معاشرة ؟ ثم بين لها أنه لا يملك ثمن الرحلة والعلاج ، ونصحها بالبحث عن رجل غيره خشية أن تتكرر مأساتها معه والتقوا مرة أخرى وأخرى ، لا هي اقتنعت بتهربه ، ولا هو اقتنع بارتباطها به حتى اضطرت أن تجمعه بشقيق لها ـ وهو اشرس إخوتها وافشلهم ويعيش على جيبتها المالية ـ ليفهم سبب رفضه بالزواج منها ، ولكن الأخ صدومة هواربية لم يقتنع بعذره وتأذيه بسبب تلك العلقة أمام شقتها ، وإنما هو يتهرب من وعوده لها ، وأنه يتناسى تسببه بطلاقها وهو يقول ويردد : لو تعالجت وفشل العلاج لحظتها ماذا سأفعل لأختك ؟ وتشاجر الرجلان في المقهى العام أولا بالصراخ والشتم والتهديد ، وتعرض للضرب من جديد من قبل شقيقها وابن عم له كان يقبع في المقهى دون علمه ، وحضرت الشرطة

باتصال مدير المقهى ، ونقلوا للمستشفى للعلاج من الإصابات ، ثم تم توقيفهم في مركز البوليس للنظر في قضيتهم ، وبعد أيام عرضوا على قاضي التحقيق ، وغرمهم خسائر المقهى ، وأمر بحبسهم شهرا للتأديب والزجر ، فكان طارق يقول : كم نصحتك يا ابن عمتي أن تبتعد عن هذه المرأة اللعوب ! ولكنك كابرت ، وربما ظننتني غرت منك ، ولم تصدق أنها راودتني قبلك

تنهد بحرقة وقهر : للأسف ظننته مجرد كلام عابر ! ها أنا للمرة الثانية أتعرض للإهانة .. مرة من أهل زوجها الديوث .. وعجلت بطلاقها منه .. وها أنا أتعرض للضرب من أهلها .

نصحه طارق : عليك بالصبر الآن ، ولا تتحدث معها بعد خروجك شهر السجن . كان هذا الحوار في زيارة لسجن المدينة حيث يقبع لقضاء مدة الحجز .

قال : عليّ أن افعل أيها الأخ الفاضل ! لو يسمع الناس النصح من أول مرة ما تعرض احد للذل والأذى .. لابد من التجربة يا صديق العمر .

ونصح مجددا : ولا تحاول الانتقام والثأر !

***

قبع غسان وشقيق المرأة وقريبه في سجن المدينة ، فقد حكم على كل منهم الحبس لمدة شهر ، وهذه لم تكن أول مرة يسجن فيها ، فقد تعرض للسجن والتوقيف اكثر من مرة بسبب حوادث السيارة والدعس حتى يتم الصلح بينه وبين الذين ضررهم أو دعسهم .

ومضت الأيام كما تمضي غيرها من الأيام ، وكان ما زال يتلقى من شقيق المرأة التهديد والوعيد ولا حل له منهم إلا بالزواج منها ؛ لأنه سبب طلاقها من زوجها الديوث ، فيقول له غسان : لا اصلح للزواج وللنساء ، فقد تسببت بإيذائي منهم ، وتعرضت خصيتيّ للأذى والعطب من ضربهم لها .. واختك بصراحة لا تصبر عن الرجال .. وأنت تعرف ذلك اكثر مني

ضحك صدومة وأجاب : كلامك غير صحيح ! أنت ورطتها بالفاحشة وتحاول النفاد بجلدك

قال بغل : أتريدني أن اجلب لها الزناة ؟ فلنقل ذلك بالمفتوح وبصريح الكلام .. كانت أختك تنام مع مسلاط شقيق سفين بلول .. وكان سفين يعلم وصامت ، لأنه عاجز عن غشيانها .. كله يا صدومة مكشوف كنت أنا آخر من يدري !

صاح فيه : أنت حر

صاح : أنت مجنون

قال صدومة : أنت سافل ! تغرر ببنات الناس وتعدهن بالزواج ثم تغدر لن اقبل ذلك

رد غسان بغضب : سافل .. سافل .. لا اشتغل قوادا من أجل عيون أختك

ـ ألست أنت الذي تسببت بفضيحتها ؟ وكشفها للعالم

صرخ في وجهها : هي مفضوحة من قبل أن أتعرف عليها .. وأنتم تعرفون ذلك .. تكلم معي صقيل شقيق سفين عن غرامياتها .. أنا ضحية لفجورها ! أأتزوج عاهرة ؟

وقضى المدة وهو يتراطن معهما ، وخرج من السجن ذليلا خائفا من غدرهم ، وبعد أيام استلف مالا من فريد وأبيه وشريكه طارق ، وسافر إلى اليونان خشية التصادم معهم من جديد ، ثم سوف يستقر بقبرص ، ويشتغل فيها مع صديق يوناني وآخر لبناني عرفهما أيام الرحلات على الشاحنات الكبيرة .. والتنقل بين تلك البلاد

زواج فريد

كان فريد أمين خلال هذه الشهور الماضيات يعاني من مشاكل مع زوجته أخت زميله عزام ، ذكرنا أنه تعرض لضغط من والده وزملاء المدرسة وحتى من عزام نفسه للزواج ولو من أي أنثى ، ثم حسم الأمر وتزوج شقيقة زميله عزام منذ التقيا في المدرسة لتعليم الأطفال ، ما كادت تمضي السنة حتى بدأت ترغب فيه بالسعي لولادة ولو طفل واحد ، ووصل الأمر بينهما إلى أن تدخل عزام ليقنعه بالفكرة وأمها ؛ ولكنه يصر على عدم الرغبة بالخلفة والإنجاب حتى أن أستاذ التربية الدينية في المدرسة الأستاذ فاروق زميلهما المعروف لفريد تدخل في الأمر بطلب ورجاء من عزام .

فقال : ارغب بالحديث معك بأمر خاص جدا

تبسم فريد وقال : شكى لك عزام

قال : عزام كلمني فعلا ،وهو لا يريد طلاق أخته كما بدأت تلمح .

رد فريد : أنا صارحتهم بذلك يا أستاذ فاروق ونحن على البر وقبل قراءة الفاتحة ! ووافقوا على شرطي ..أنا قلت لا ارغب بالأطفال والذرية .. زواج وبس .

قال فاروق : هذه شرط باطل شرعا يا زميلي الغالي

تروى فريد للحظات ثم رد قائلا : أليس الإنجاب من حق الرجل ؟

فأجابه : ولكن من حق الأنثى أن تكون أما فهي غريزة بها وفطرة

قال : عندما ارغب بالذرية أحاول .

قال : عجيب أمرك يا أخ فريد ! وهل الأمر بأيدينا ؟

رد بجفاء وضيق : لا عجيب ولا غريب .. تخيل لو أني احمل تقريرا طبيا أنني انجب معاقين .. هل يمنعني الشرع من ذلك ؟ أليس كان بعض صحابة النبي ﷺ يعزلون ؟ وقرأت أنهم كانوا يتسرون بالجواري ويحذرون الإنجاب .

قال فاروق بإعجاب : هذا أنت مثقف يا صديقي

! لابد من جلسات معك لنتناقش بشكل واعي ..
ولماذا الناس يتزوجون ؟
أجاب : للاستمتاع .. أليس يقول ربنا : ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ أكيد تعرف زواج المتعة قبل تحريمه عند أهل السنة والجماعة .
قال : يا الهي ! أنت رهيب قال تعالى : ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ جامعوهن واطلبوا ما كتب الله لكم من الولد .
رد فريد باسما : هذا احد الأقوال .
قال : ازددت بك إعجابا يا أستاذ فريد ! لكن لماذا لا تصلي وتصوم ؟
قال : صليت صغيرا وصمت صغيرا
قال : كنت أظنك ملحدا لا دينيا .. متى نجلس ونتناقش علميا أيها الزميل الفاضل .. فكما تعلم أن الدين حث على الاستمتاع وحث على الأبناء والأحفاد ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾
أجاب : أنا لا انكر ذلك ؛ لكني لست مستعجلا على ذلك .. لم يأت زمن الخلفة .
ـ إلى متى ؟ وهل تظن أن ذلك متيسر وقتما نريد ؟ ذلك بيد الله وأمره وقدره .. تمضي سنوات وهو يعاشر الزوجة ، ولا تحمل ؛ لكنه راغب بالحمل والذرية .. صحيح نحن نستعمل الموانع لعدم الإنجاب من حبوب وغيره لغاية صحة الزوجة وتنظيم النسل والمباعدة بين المواليد
عاد فريد يقول : أنا ذكرت لعزام واخته وحماتي بأن الخلفة مشطوبة من قانوني يا أستاذ فاروق ووافقوا على ذلك وبناء على القبول للشرط وافقت على النكاح .
فكر فاروق قليلا وسأل : أعندك مشكل في الإنجاب ؟ عقدة.. قصة
قال : لا عقدة ولا حكاية .. لم افحص ؛ لأنني فعلا غير راغب .. وانصح صديقنا وزميلنا عزاما أن تكف أخته وهو عن هذا الطلب إلى أن يحين الوقت المناسب لي .
قال بحيرة : فكرك وتصميمك احد عجائب الدنيا .. هل أنت صالح للخلفة ؟ هل أنت متأكد من ذلك .. كثير يتزوجون ويمكثون سنوات قبل أن يوهبوا بطفلهم الأول .

***

زاد الجدال في استقرار زواج فريد مع أهلها ومع زملاء المدرسة ، وكثر تدخل الإدارة والأساتذة لتغيير فكره نحو الإنجاب ، وحول استقرار زواجه من أخت عزام صديقه منذ عملا معا في المدرسة ، وتعرض للوم بعضهم وعتبوا عليه من الزواج أصلا ، واستغرب بعضهم كيف قبل عزام وأهله هذا الشرط ، وأبى كل الإباء للخضوع

لضغطهم ولتركه لموانع الحمل الخاصة بالرجال ، وزاد التلويح بالانفصال وهذا ما توقعه الزملاء ، حتى أن البنت أخذت تشجعه على الطلاق ، وأنها ملّت منه لتستفزه اكثر ، وطفق عزام يتصلب منه ومعه ، ويقلل من اللقاء به سواء في المدرسة أو خارج المدرسة ، وهو يعزف على أنه بعد حين سيلين ويسعى للبنوة ، واذا كان يعاني طبيا لسوف يتحرك للعلاج لاستقرار زواجه ، ولما مضى العام الثاني وكل فريق على موقفه وافقا على الانفصال ، وكان الطلاق ودفع مؤخر الصداق، وعادت إلى بيت والدها بما ترغب من العفش .

فقال له فاروق : ما كنا نأمل أن تصل إليه يا أخ فريد !

ـ كان متوقعا .. لما بدأت تتحدث عن الأطفال .. اخوي صار عنده أربعة وأختي خمسة

قال فاروق : بنات الشرق والمسلمين يحببن كثرة الخلفة والتنافس فيها .. انظر لأمهات الجيلين الماضيين كم كانت تنجب الأمهات ؟ اليوم أربعة خمسة وقليلا من يزيد وحتى أقل مما ذكرت تأثرنا بالأوروبيين واحد اثنان كفاية

قال فريد : الحياة المادية متعبة يا أستاذ فاروق .. لذلك تجد أهل الريف والقرى يحبون كثرة المواليد فنفقاتهم متيسرة .. وما يأتيهم من دخل يغطي أحوالهم .. وأما أهل المدن فيتقللون حتى أنك تلاحظ الأغنياء .. الأغنياء ولد وبنت وكفى .. والفقراء كما قلت خمسة ستة حتى دزينة لا تفرق عندهم

ـ على كل قدر الله وما شاء فعل !

ـ أحسنت هذا مقدر !

قال فاروق : كان بإمكانك ولد أو ولدين .. لن تعجز عن العناية بهم وامرأتك عاملة مثلنا

ـ ذلك سيفتح الباب للثالث والرابع

قال مستغربا : أنا اعجب من وجهة نظرك نحو الأطفال .. وأنت لم تجرب ، وقلت لي كذا مرة ليس لديك موقف وعقدة إلا اذا كان يتمك أنت وشقيقك غسان سبب لك هذا الخوف مع أنني اعلم أن والدك من الأثرياء، لم تحتاج يوما لطعام ولباس .

قال بحيرة : لا أدري فعلا السبب في عدم حبي للأطفال والإنجاب .

لطفي وأمريكا

أما في أمريكا فذكرنا أن لطفيا تزوج البنت بنت عم فريد ، وتقدم لدائرة الهجرة للحصول على الجنسية لزواجه من أمريكية الجنسية ، وتبين أنه بعد حصوله على الكرت الأخضر عليه أن ينتظر ثلاث سنوات ؛ ليحصل على الجنسية بسبب زواجه من مواطنة أمريكية .

واشتغل السيد في سوق كبير قريب من حي سكنه

مع ابنة عمار عيسى ، وكان مسئولا عن محاسبة الزبائن على صندوق الكاش أي المحاسبة للمتبضعين ورواد السوق .

ذات مساء أصابه تعب اضطره لمغادرة السوق قبل انتهاء فترة العمل ، فذهب للعيادة واشترى الأدوية ، وعاد للشقة معتقدا أن جاكلين زوجته في مثل الوقت في المستشفى كالعادة ، ففتح الباب بمفتاحه الخاص فخرجت المرأة من غرفة النوم ؛ كأنها متفاجئة من عودته مبكرا، وكان يتبعها رجل ، فصعق لطفي وهو ينظر إليها ، ولم يتكلم ولم يحتج ، ثم سمع الرجل يودعها ويعدها بلقاء قريب ، فلما أغلقت الباب خلفه عادت للصالة وأشعلت سيجارة . وقالت بهدوء : تكلم لهذه الدرجة الصدمة !

كان يحد النظر إليها وقال بصوت هامس : بماذا أتكلم ؟!

قالت : أي كلمة .

لم يفعل ولم يستفسر ؛ بل ذهب لغرفة النوم ووضع ثيابا في حقيبة ، وقال وهو يقف على الباب : وداعا

قالت بنفس الهدوء : كما تريد ألا تحب أن تعرف من هو ؟

رد : غير مهم

وغادر إلى احد الفنادق ليقضي ليله ، وهو يقول لنفسه : خائنة ! ولم تكن أول مرة .. تلك البطاقة قرب السرير لابد أنها من احد العشاق .

في اقل من أسبوع تعرض لإطلاق نار في المتجر الذي يعمل فيه ، ولم يقتل ؛ لكنه أصيب بذراعه ونقل إلى احد مستشفيات الحي وقال الذي اطلق عليه النار : عد لبيتك هذا إنذار .

وخلال التحقيق كلف زميلا له في المصلحة بحجز تذكرة إلى بلده ، ورفض اللقاء بجاكلين وبأبيها عمار ، ولم تحسن وضعه من الإصابة سافر سرا إلى بلاده ؛ ليكمل العلاج والنجاة من عصابات نيويورك ، فله خبرة تكونت خلال سنتي المكث في ارض الأمريكان .

رحلة فريد لمصر

طلق فريد أخت عزام وقدم استقالته من المدرسة المتوسطة ، وسافر إلى مصر لدراسة الماجستير في جامعات مصر أو الأزهر أو دار العلوم ، ولما بدا الدوام باشر الدوام والدراسة .

لما توترت الصداقة بينه وبين عزام واخته أخذ يحسم خَطبه في الدراسات العليا ، كان قد راسل مكتب محلي لتأمين مقعد ماجستير في مصر ؛ لأنه توقع حصول الطلاق ، لما تكثفت الشفاعات من اجل تحقيق غاية من غايات الزواج الولاد ة ، فلما أتم قضية الطلاق ، ودفع الحقوق المترتبة عليه تجاه المطلقة سافر للتعلم وقدم استقالته من التدريس

، لم تكن أول مرة يدخل فيها مصر فلما تزوج الزوجة الأولى بنت الصياد قضى شهر العسل في الإسكندرية .

وتعرف على القاهرة والجيزة حيث تقبع أهرامات مصر الثلاثة ، وكان يفكر برحلة للأقصر وأسوان ، ولم يتمكن من ذلك ، التحق بقسم اللغة العربية في جامعة الأزهر لدراسة ماجستير في قواعد العربية النحو والصرف ، وهناك التقى لأول مرة بالدكتور الشيخ حميد الدين ، وسعى لتقوية العلاقة معه بعدما عرفه جيدا ، واعجب بعمق سعته بالعربية وفروعها ومع الوقت اصبح يزوره في مكتبته الخاصة التي تحوي عشرات الألوف من الكتب والمجلات في اللغة والتاريخ والثقافة ، وتبين له أنه ورثها عن أبيه ، واستمر يزيدها حتى اصبح مرجعا معروفا لطلاب اللغة العربية والثقافة الإسلامية في أنحاء العالم العربي والإسلامي وبعض الدول التي فيها جاليات إسلامية كبيرة .

ولما تعمقت العلاقة بينهما تعجب حميد الدين من عجزه عن الصلاة والصيام مع شغفه بقراءة القرآن وتفسيره وفهمه وقال له : لم التناقض ؟

قال موضحا : أي تناقض يا دكتور ! منذ بلغت هجرت العبادات والروحانيات

قال حميد : قد يتوقف الإنسان لفترة وجيزة تأثرا بفكر الملحدين والعلمانيين ، ثم يعود خاصة من هو مهتم بالقرآن والتفسير .

قال فريد بحزن : والله احب الدين والإسلام ؛ لكني ضعفت عن الالتزام به

قال الدكتور : هل من أسباب للضعف ؟ فأنت محاور جيد .

بين فقال : ثقافة يا سيدي ! التدريس في المدارس لا يحتاج لجهد كبير ..كل سنة تعيد تكرار ما علمته في السنوات الماضية .. المتغير هم التلاميذ .

فعقب الدكتور : يستطيع النبيه أن يطور الأساليب ويرغب الأطفال بحب اللغة العربية التي كرهها لهم رجال الاستعمار وبغضوها في قلوب الأجيال المنبهرة بالغرب والروس .. فها هو الاتحاد السوفيتي تفتت وانهار ، ولم يبق لديه فكر ، بقي على القوة العسكرية التي امتلكها أيام عنفوانه .. كانوا يظنون بفكرهم الإلحادي سيحكمون الغرب والعالم ؛ ولكنهم سقطوا بدون رصاصة واحدة

قال : الرأسمالية يا سيدي الدكتور ما زالت قوية !

عقب حميد الدين : تتظاهر بالقوة ؛ لأنه لابد أن يكون في العالم قوى تتصارع .. هكذا تبين صفحات التاريخ القديم والمتوسط والمعاصر .. كم مر على تاريخنا نحن المسلمين من تقلبات ودول وأنظمة .. أين هي الآن الرأسمالية يا أستاذ

فريد ؟ ضعيفة من أساسها .. والدليل الحروب العالمية .. كم بذلوا من المال والعقول ليصنعوا الأسلحة ..وهم رأسماليون يتصارعون أين كانت بريطانيا قبل قرن وفرنسا ؟ لكنهم يطورون انفسهم كلما ضعفوا .. فاخترعوا التأمين الاجتماعي لإبعاد الناس عن الشيوعية .. فيجدون البديل لعيوبهم لا يصمتون .. الروس لم أرادوا الإصلاح فشلوا وتهاوت الشيوعية التي فتكت بالعالم في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية لو قرأت عن الثورات في أوروبا لادركت ضعف الرأسمالية .. ولما رأيت النازية تحكم أوروبا ولو بضع سنوات والفاشية في إيطاليا ؛ ولأنهم اعتمدوا على العنف والقتل سقطوا سريعا

قال : في رأيك أن الرأسمالية ستزول !

قال بحزم : أكيد ؛ لكن لابد للناس بديل .. يا سيد فريد هل رأسمالية النهضة الأوروبية مثل رأسمالية اليوم ؟ كيف كان عمال المصانع أيام الثورة الفرنسية وعمال المصانع اليوم .. قديما لم يكن للعمال ساعات للعمل وتأمين اجتماعي وضمان اجتماعي وصحي وتأمين إصابات عمل حتى في النظم الشيوعية تجد مثل هكذا مؤسسات .. أنا المهم في النهاية ارغب بأن أراك مصليا ونافعا لنفسك وامتك .. ولست أول من يتزوج مرة أو اكثر ويطلق .

***

لما أعلم أمينا بحصوله على الماجستير في اللغة العربية ، وأنه سجل للدكتوراه تفاجأ بزيارة من والده أمين ، ووجده يعيش في شقة مع طالب إندونيسي اسمه عبد المجيد محمد يوسف وقضى معهم أسبوعا ، وخلال الأسبوع حاول إقناع فريد بالعودة لتوتة وإكمال الدكتوراه في البلاد

فقال فريد : طاب المقام في هذه البلاد .

فقال أمين : يمكنك دراسة الدكتوراه في جامعات الوطن .

ـ إنها مصر يا أبي ! وفيها الأزهر أعرق جامعة في الأرض .

ـ لا أنكر ؛ لكن أيام الأزهر التاريخي ولت .. فهو كأي جامعة عربية

ـ الاسم له رونق بين العامة والخاصة .. وشهادته مقبولة في كل بلاد الدنيا

واعتذر لأبيه ، وأنه احب مصر ، وأنه يفكر بالزواج من فتاة مصرية ، وبين له الوالد الحاجة إليه بقربه بعد اختفاء غسان في قبرص أو اليونان

فقال مواسيا : سأفكر بالعودة بعد الدكتوراه اذا لم أتعاقد مع احدى الدول الخليجية مع جامعة أو العمل في جامعات أوروبا أو أمريكا ، لم يعد هوى بلادنا يطيب لي .

فعاد أمين لتوتة على امل عودته لبلدهم .

كان فريد قد تعرف على طبيبة مصرية أثناء تردده على عيادتها لوعكة صحية المت به ، والطبية فتحت له المجال للحديث معها ؛ بل أصبحت تواعده للقاء في احد مقاهي القاهرة الأدبية حيث يلتقي أدباء وشعراء للحديث حول الآدب والثقافة ؛ فكلما تتصل به يذهب لذلك المقهى الأدبي

كان لديه رغبة بالزواج منها .

رسائل جاكلين

في مدينة توتة تلقى لطفي رسالة من جاكلين تدعوه للعودة لأمريكا لإكمال إجراءات الحصول على الجنسية أو إكمال عملية الطلاق بشكل رسمي .

وبينت له في الرسالة أن لا دخل لها بما تعرض له من اطلاق نار في المحل ، وهذا امر شائع في أمريكا كلها ، وان الرجل الذي وجده معها هو زوجها الكندي أتى ليعيدها لذمته وأنه ندمان على آذاه لها وهجرها ، ويرغب بها ويسعى لإقناعها بالعودة لكندا والتخلص منه ، ولكنه لم يصغ لتوسلاتها ، وعاد للعمل في مواد البناء مستقلا عن أخيه جلال ولما لم تتلق إجابة أرسلت رسالة أخرى تهدد فيها ، إن لم يطلقها رسميا فستحمل وتزعم أنه منها ، فقال جبر : لا تصدق ذلك يا لطفي فلك سنوات هنا وكيف ستحبل منك وأنت تعيش معنا .. وعن طريق السفارة طلقها رسميا

قال لطفي : ستطلب مالا أو نصف مالي

قال : الك رصيد هناك ؟

رد : سحبته حين هربت

قال جبر : اتصل مع عمار ووكله بإجراءات الانفصال

قال بتردد : سأتزوج من هنا ؛ فأنا لم احصل على الجنسية ، وسأطلق عن طريق السفارة وعن طريق محامي دولي

قال بفضول : من ستتزوج ؟!

قال مفهما لصديق العمر :التقيت بامرأة مطلقة وحسناء ، وتطلقت من زوجها بسبب عجزه عن الجماع .. وهي امرأة غنية ليست محتاجة لمالي

قال : أين التقيتها ؟

قال مشبعا فضول جبر : كنت من أسابيع في مسرح أغير من جوي العكر ، وجلست بجوارها وخلال المسرحية تعرفنا على بعض

قال : وماذا تعمل ؟

أجاب : بناء على كلامها لا تعمل بيدها ، تستثمر أموالها ، وبعد كم لقاء وعدت بدعم عملي واذا حصل الزواج ستصبح شريتكي .

قال مستغربا : وصدقتها !

قال ضاحكا من دهشة جبر : ولم لا اصدقها ؛ إنها تبحث عن زوج ؛ كما نبحث .. هي تبحث والتقينا .. واعجب كل منا بالآخر وتناولنا الطعام في كذا

مطعم .. وسأزورها في بيت أهلها للحديث بشكل جدي .. فقد عرفتني على شقيقها اسمه صدومة

قال : يعني لها أهل .. ما اسم عائلتها ؟

قال : اسم عائلتها غير شائع هواربية

قال جبر : سمعت بهذا الاسم .. أين لا ادري !.. أتمنى أن تجد فتاة تناسبك .

قال : هي أنثى كغيرها .

زواج لطفي ويارا

لما شاع زواج لطفي في الحي وبين الأقارب سر والده زياد من ذلك ، وادرك أنه نسي أمريكا ومن فيها ، وساعده بالانفصال رسميا عن جاكلين بواسطة مكتب محاماة ، وتكفل بنفقات الدعوة والطلاق ، وكان رصيده المالي في توتة وأمريكا صفر ، فجرى الأمر سريعا دون معوقات كبيرة .

ولما جاءت الرسالة الثالثة من جاكلين شكرته على الطلاق ، وتمنت أن تكون معه للابد ، وأعلمته أن والدها منذ بدأت تكتب له لم تره ، فهي قد عادت للعيش في شقة عمار فقالت : خرج ذات يوم ولم تعلم أين ذهب ؟ وهو من الأصل لم يطلعها على تفاصيل عمله وحياته ،كان جل وقته مع صاحبته وأصحابهن ، كانت شقته مجرد منام لها ولأختها ، وكل وقتهن في العمل والإجازات في السياحة إلى الشواطئ والغابات بين أمريكا وكندا ، وتطلب منه أن يبقى على تواصل معها ؛ لأنها لم تنس الأيام التي عاشت فيها معه وتمنت لو لم يتعجل بالهرب

فقال متهكما : كدت أخسر روحي من أصدقائك

فقالت : صدق أنهم ليسوا أصدقائي ، ولماذا اطلب منهم أن يعتدوا عليك بالرصاص ؟ وأنت تقبلت الأمر بروح رياضية ، لم تحتج معي ولا مع زوجي الأول

ـ زوجك الأول خرج من غرفة النوم وكنت في ملابس النوم .. ولقد طلبوا أن ارجع للوكر

ـ الوكر !! هذه قسوة لا تناسب اسمك اللطيف اذا فكرت يوما بالعودة لتحقق حلمك بالجنسية الأمريكية ستجدني مُرحبا بك .

ـ لم تعد تناسبني ، فقد تزوجت ابنة بلد كما نقول هنا

ـ أهنئك من كل قلبي .

طارق يصدم غسان

نقل طارق لغسان في رسالة اسم زوجة قريبه لطفي زياد وهو نفسه صدم من زواجهما وكيف وقع ،فاستغرب غسان بدوره من هذه الزيجة ، وطارق وعبده استغربوا قبله ، وكيف سقط في شباكها ، فكتب لأبيه أن يرسل له تلفون ابن عمه زياد وحصل ذلك ، فقال لزياد بعضا من قصته معها ، فدهش زياد للخبر وصعق ، وأعطاه رقم لطفي

، وطلب من لطفي الحديث مع ابن ابن عمه بدون علم زوجته لكلام خطير سمعه منه ، وكان الاتصال فصدم لطفي مما سمع فهو أثناء مغامرة غسان معها كان يعيش في أمريكا ، ولم تشتهر قصته مع المرأة إلا أنه تعرض لمشاجرة كما قال للشرطة ، وتلقى رسالة فيها تفاصيل المغامرة ؛ مما دفع لطفي للسفر إلى قبرص للقاء غسان ، وكان كل هذا دون علم الزوجة .

***

هاجر السيد غسان كما نخبر إلى اليونان ثم انتقل منها لقبرص اليونانية هربا من أهل عشيقته يارا وتفاديا للصراع وهربا من الزواج بعد أن كان العشيق الذي تسبب في طلاقها من سفين ، كان غسان يعمل فنيا في محطة تصليح مع شاب عربي لبناني عرفوه أثناء عمله على الشاحنات الكبيرة وآخر قبرصي يوناني صديق حمودة العربي ، ويتشارك سكنا مع آخرين ، استقبل لطفيا في مطار قبرص ، وذهب به لأحد المطاعم التي يرتادها ، ثم جلسا في مقهى ، وروى له قصته مع المرأة التي نكحها لطفي منذ تعرف عليها وحبسه بسبب رفضه الزواج منها بعدما طلقها رجل الأعمال ، وذكر لطفي أنها صدفها أول مرة في مسرح ، وتحدثا ثم تطورت إلى علاقة عمل وصداقة ثم زواج ، وهي ساهمت معه في توسيع نشاط المحل وأصبحت شريكته وشقيقها صدمة يعمل معه نيابة عنها ، وحدثه عن فشل زواجه بابنه عمه عمار عيسى ، وطلب نصيحته قبل الذهاب لاحد الفنادق فقال : الأمر بهذه القصة معقد أعني الشراكة التجارية ؛ لكن تأنى بالانفصال ؛ لعلها انصلحت بعد هذه السنوات من الفساد ، مع أني لا اعتقد أنها لم تصاحب خلال هذه السنوات التي هربت منها ومن أهلها .. تأنى .. وعليك بمراقبتها دون أن تعرف بأنك عرفت أفعالها القبيحة ولا تتورط معها بإساءة ، وذكر لها قصتها مع شقيق زوجها حتى أدت إلى انتحاره بفضيحة . فدهش كثيرا من قصة مسلاط شقيق سفين .. وكيف قبل أهل الزوجين بمثل هكذا علاقة شيطانية ؟

فأجاب غسان : الانحلال الجميع منحل !

فقال لطفي مصعوقا وهو الفهمان كما يدعي كيف وقع صيدا سهلا لها ولأهلها : من اجل ذلك جئتك للاستبصار .. فأنا وإياها شركاء .. والشراكة هي سبب عماي عن ماضيها .. ظننتها مجرد امرأة مطلقة ومتعثرة في زواجها .. فاليوم النساء تطلق بسبب وبدون سبب ..فأنا لي النصف ولها مثله .. والخبيث صدومة يسكر ويزني على حسابي ، وهو لا يعمل شيئا في المحل يحضر قبل الظهر يتأفف ويتذمر .. وبعد الظهر أو قبل

العصر بقليل يأخذ فلوسا وسجل على الدفتر وعند آخر الشهر لا يقبل الحساب واخته اللعينة اخصم مني .

قال غسان : قضيت أنا وهو وابن عم قريب لهما شهرا معا في سجن الشرطة .. هو عايش على جيبها .. وهي كانت تلهف من سفين لتصمت عن عجزه معها .. عيلة فاسدة .. ظروفك تتطلب التأني .. فأهلها تسببوا بحبسي شهرا كما رويت لك .. غير ما دفعناه لصاحب المقهى بدل التالف والمكسر .

قال آسفا : ومن يومها وأنت تعيش هنا

قال بغم : اجل ، اختصرت الشر .. هؤلاء أناس أشرار ومتعودون على الحبس ، كما سمعت من الشرطة

الدكتور فريد

قبل أن يناقش فريد رسالته في الدكتوراه توفي جده عيسى ، فترك القاهرة وشارك مع أهله ووالده في جنازة الجد وعزاه بوالده وعزى عمه عماد وعماته الثلاثة ، وقضى معهم أيام العزاء الثلاثة ، وسأل والده هل أخبرتم العم عمار بوفاة أبيه فقال : أنا لم اخبره ، ولم نستلم برقية منه فلا ادري هل بلغه عماد؟ .. أنا عمار شطبته من عهد ليس بالقريب .

وقبل السفر التقى بعزام حيث قدم لعزاء والده أمين ، ودار بينهما عتب لطيف ، وتمنى عزام لو استمر النسب بينهم ، وعلم فريد منه أن زميلا لهما تزوجها بعد انتهاء عدة الطلاق ، وقد ولدت طفلا وهي حامل ، فدعا لها بالبركة والسلامة ، وغادر لمصر لإكمال الدراسة العليا .

***

ذكرنا أن فريدا تعلق قلبه بالطبيبة هالة بلاسم ، وصار يرافقها لمقهى الأدب طمعا بأن تلين وتقتنع به زوجا ، فهي كانت متزوجة من طبيب لقي حتفه بحادث سيارة ، وكان أيضا يحضر ندوات الدكتور حميد الدين عالم البلاغة في جامعة الأزهر ؛ فكان معجبا بشيخه ومدرسه ، وكلما فاتح هالة الطبيبة برغبته بنكاحها ترفض وقالت : بعدما ترملت لم أتزوج وليس يعني ذلك وفاء لزوجي ؛ إنما كرهت تلك العلاقة معهم .. وأعلمته أنها عندما تكتب رواية خير من معانقة رجل . ورشحت له زميلة لها تحضر معهم جلسات الأدب والروايات

عودة لطفي

لطفي قضى ثلاثة أيام في صحبة غسان ، وعلم كل منهما تفاصيل علاقتهم بالمرأة ، وقال وهو يغادر الجزيرة : عليّ أن أتصرف بذكاء .. أنا بعد معرفة كل هذه المعلومات عنها أتعجب كيف وقعت بهواها وتحررها ؟!

رد غسان سعيا للتفسير والتحليل : اعتقد يا صديقي أن فشل زواجك من جاكلين عمار ساهم

في زواجك منها ؛ لتشعر أنك انتهيت منها نهائيا .. كانت حياة صعبة في أمريكا

ابتسم ورد : كنت سعيدا .. وأحس أنها لي وحدي ، وأنها متزوجة بعربي عن قناعة وحب ؛ ليس كيدا بزوجها الكندي ، حتى وجدت مرة في غرفة النوم بطاقة عليها اسم رجل لم اسمع به .. فتشوشت وقلت هل وقعت منها ؟ ولكن لما سألتها من هو صاحب الاسم المكتوب قالت : من أين عرفته ؟! تفاجأت من السؤال فعلا ، وانتهى الموضوع بنظرة غريبة منها ، ثم صارت تذهب لسهرات خاصة مع صديقة لها وحاولت هذه الصديقة إغرائي لمضاجعتها ، ومرة قالت بأسلوب المزح جاكلين مع وذكرت اسم صاحب الكرت وأنا معك نعم ذكرت اسم الرجل المكتوب على البطاقة .. فعادت لقلبي الوسوسة إلى أن عدت للبيت مريضا من العيادة .. ووجدته يخرج من غرفة النوم فأدركت انه وضع البطاقة في غرفة النوم عمدا لأعلم أن لها عشيقا حتى لا أتفاجأ بها .. فعرفت أنها خائنة .. وأنها زانية من قبل ارتباطي بها ولا تعرف الشرف ولا تهتم به .. وزعمت فيها بعد برسالة أنه زوجها القديم يسعى لعودتها إليه ويسعى لذلك في غرفة النوم .. ولكني عرفت اسم زوجها من أختها بسؤال خبيث فعرفت أنه عشيق جديد .

***

عملت المرأة يارا تحقيقا مع لطفي لما رجع من رحلته القبرصية ، وكان أهم شيء في نظرها كيف امضى وقته مع النساء في قبرص ؟ فنفى فعله ذلك ؛ كما لم يفعله هنا . وذكر لها قصة خطبته لفتاة درسا معا وكيف فسخ الزواج ، وتفاجأ بسؤالها عن غسان أمين فقال متظاهرا بالحيرة : من غسان ؟!

فقالت بخبث : ميكانيكي تعرفت عليه وكنت اصلح سيارتي عنده وهو وشريكه طارق .. فهو من نفس عيلتك من آل بشبش

فقال بسذاجة : آ .. لدينا كذا غسان في العيلة الكبيرة .. تذكرته لابد أن يكون غسان أمين .. أبي ابن عم أبيه كيف تعرفينه ؟ أنا لا اصلح عنده .

قالت كأنها تتذكره : قلت لك كنت اصلح سيارتي القديمة في ورشته .. كان متزوجا فتاة من بيروت وطلقها

ـ تذكرته جيدا ؛ كنا نقول عنه زوج اللبنانية .. ولكن علاقتي به علاقة مناسبات عائلية كبيرة حتى قبل زمن قريب مات جده عيسى بشبش شقيق جدي عطوان ولم يحضر الجنازة .. ولم نره

قالت متظاهرة بمصدر معلوماتها : علمت من شريكه أنه هاجر اليونان أو قبرص .. انتم أقارب لزم

ـ نحن كما قلت أبناء عمومة .. جدي اخو جده

قالت بزعم الفضول : هل بينكم علاقة ولقاءات ؟

فعاد مؤكدا ومجاريا جهله : لا ، فقط علاقة مناسبات اذا تصادفنا .. سمعت أنه سافر أوروبا

فعادت تقول : هل قابلته في قبرص ؟ لأني علمت علم اليقين أنه يعمل هناك .

قال : لا ، لم أقابله .. ولماذا أقابله؟! .. أنت إذن تعرفينه بشكل جيد .. استشف من كلامك .

تجاهلت الغمز فقالت : عن طريق مكان التصليح .. معلم جيد ومخلص في الشغل .. وأثناء وجودي سمعت بعض قصته وزواجه من بنت بيروت

كرر فقال : لا اعرفه جيدا .. مجرد أقارب ..واعرف والده بنفس المستوى ..وقد حضر عرسنا فهو عاش يتيما من الأم ..وتزوج امرأة من بيروت كما قلت ، وخانته في عرضها ..وتركها تعود إلى أهلها.. قصص كهذه تنتشر وتشيع في العائلة

قالت :كأني سمعتها منه أثناء انتظار تصليح السيارة .. هل تعلم أنه عرض عليّ الزواج ؟

ـ لا أعلم .. ولماذا لم تتزوجيه ؟

ـ أمي جاهل وأنا معي جامعة ، لم يدرس المسكين .. والزواج نصيب

متظاهرا أنه مقتنع بالجواب : صحيح .

***

سعى لطفي زياد ـ وهو يستغرب معرفتها الغاية من زيارته لقبرص ، ولكن الحوار معها أكد له صواب قصة غسان ، وأنه كان بينهما علاقة إباحية ـ لمقابلة زوجها الأول ، والتقيا ذات ليلة في نادي السيد نادي رجال الأعمال الخاص بنشاطهم وتسليتهم ، وقال له بعد الضيافة والتعارف : التقيت بمطلقتك في مسرح وتزوجنا ؛ ولكنني علمت أن سبب الطلاق فسادها واتخاذها العشاق

أجاب بدون تردد : نعم ، هذا صحيح .. ولابد أنها خدعتك .. ومن أرسلك عليّ بعد الزواج

قال : المحزن أنني سمعت عنها حقائق بعد الزواج لأن فترة التعارف كانت قصيرة

قال سفين : للأسف الناس تكذب .. أنا تزوجتها عندما أصبحت سكرتيرة في شركتنا الخاصة لقد اشتغلت معي في المؤسسة التي أديرها .. هي متعلمة تحمل شهادة كأي موظفة لدينا فأحببتها كعادة الناس أو توهمت أنني أحبها وتزوجتها وعشت معها عشر سنوات .. وكنت ـ دعني أقول بصراحة ـ قبل معرفتي بها متعلقا ببنات الهوى واذهب إليهن .. فضعفت طبيعتي الجنسية ، وصرت أتعالج في الداخل والخارج ثم قررت الكف عن معاشرة المومسات والزواج بزعم الركاز ..فكانت هي الزوجة ، ثم اكتشفت أنني عاجز عن إتمام عملية الجماع .. فتساهلت معها

وصرت أمارس الفاحشة مع بنات الليل .. فهنّ يقدمن خدمات مقابل المال .. وبدون اتصال جنسي .. لم تطلب الانفصال .. وهي استطاعت أن تصيد شقيقا لي فأصبح الزوج البديل ..فلما عرفت تألمت وكلنا لزم الصمت لحين ، لم تحبل منه ؛ لأنها من قبل معرفتي بها تأخذ موانع الحبل وصدمت أنا وأهلي وأهلها فلما شاع الأمر في الأسر فقتل مسلاط أخي نفسه .. أنا كنت أظن في الأول أنها التهت بالرحلات والأفلام والمسارح ومداعبات اقدمها لها وفي الحقيقة أنها كانت قد وجدت البديل ، ولم تطلب الطلاق وبعد انتحار أخي لم اعرف عشاقها إلى أن علقت بشاب يعمل في تصليح السيارات فوقع في شباكها ؛ لأنه فاسد في الأصل وبعد حين أخذت تجلبه للبيت حتى عرف أهلي وانكشف الأمر ، فاعترفت لأهلي بأني غير رجل .. وأني مريض جنسيا ..فأجبرت على طلاقها بطلب من إخواني والتخلص منها .. فقمنا بتأديب الشاب الميكانيكي .. وها أنا اعلم أنك تزوجتها .. كنت أظنها ستقضي شبابها في دار دعارة تنتظر الزبون كل ليلة

قال لطفي بحسرة وندم : كما رويت لك .. التقينا في مشاهدة مسرحية ، ثم تطورت العلاقة إلى صداقة إلى أن تزوجتها وأشركتها في شركتي الصغيرة .. فهي تملك المال فأغرتني به كشريك اذا حصل زواج بيننا وحصل فنحن شركاء بالنصف لكل منا .

كلام في المسرح

بعد أيام من الاتصال بزوجها الأول ، وكان لطفي وزوجته في مسرح الشرق يحضران مسرحية بعنوان (سيدتي الأميرة) مترجمة عن الأدب الغربي قال بشكل فجائي : هل تعلمين بأني تقابلت مع رجل ، ثم تبين لي أنه كان زوجك الأول ؟

نظرت في عينيه دهشة : زوجي سفين

قال بسذاجة : نعم ، هذا اسمه .. كنت أحاول أن أتذكر اسمه ..كنت مع صديق في شركته وتعرفنا فذكر لي هذا الصديق هذا الرجل تزوج من مطلقتك فتعجبت ثم قال : وكانت هذه المرأة شريكتك موظفة عنده فقابلته فقال لي : هذه كانت امرأتي فعلا في يوم من الأيام فقلت له : أنا اعلم منها أنها قد تزوجت مدير مؤسسة خاصة ولم تذكر لي اسمه فقال : أنا هو عشنا عقدا معا .

فقالت قبل أن تعرف سبب الزيارة للمؤسسة : وهل تحدث عن سبب طلاقنا ؟

قال : أشار إلى أن ضعفه الجنسي السبب ، ولم افهم عليه

قالت بابتسامة صفراء : كان عاجزا عن ذلك العمل .. مريض بالعنة عنينين

فقال : خجلت فلم أتوسع معه في ذلك ، ولكنه

حقيقة أساء لي ولك مما دفعني لعدم تصديقه
فقالت بسخط بين : ماذا قال الملعون ؟!
قال : قال إنك خنتيه مع شقيقه مما أدى لانتحاره ..هل هذا يمكن ؟ شيء لا يصدق !
قالت بحدة : في البيت نتكلم
قال : هو الأفضل .. هو الذي ذكرني اللقاء حديث الممثل عن خيانة الأزواج .
قالت بصوت ارتفع قليلا : عندما نعود نتحدث
ولما رجعا البيت أعادت فتح الحوار فقالت : ولماذا أخذك صديقك لشركته ؟!
قال بسذاجة : قريب له اسمه زاهي .. تعرفت عليه أيام الجامعة ولما علم بزواجي وسأل من أي عيلة عيلتك .. وعن الشراكة بيني وبينك فبدأ مستغربا وقال علينا أن نذهب لمقابلة ها القريب فقد كان متزوجا من امرأتك .. فالفضول دفعني إلى المسير
قالت بتفكر : زاهي لا اعرفه
قال : وهل تعرفين كل أقاربه ؟
قالت : لا وأنت كيف تعرفه ؟
رد ببلاهة : هو مهندس ، ويأخذ بضاعة من عند شقيقي شريكي السابق .. لعل جلالا حدثه عن زواجي وعنك فأحب اللقاء بي لذكريات الجامعة .. ربما أراد أن يعرفني أن قريبه زوجك السابق بحجة الحاجة

قال : لعبة .. أنت منذ عدت من قبرص لم تعد لطفيا الحبيب
قال : سأسافر إليها قريبا
قالت بحيرة : لماذا ؟
ـ سياحة اذا أحببت مرافقتي فمرحبا وأيضا عقد صفقات .. استيراد مواد للبيع هنا
قالت : وماذا افعل ؟ أنت تذهب للسكر والفجور والفحش ..والمواد حجة وتبرير لست حمقاء يا لطفي !
رد بجفاء : السكر موجود هناك وهنا ومثله الفجور .. وكثير من بضاعتنا نشتريها من هناك فبضاعة اليونان ودول البلقان توجد فيها .
قالت : كم يوما ؟
قال : لا ادري ! سوى الصفقات .. لقد وعدت ابن عمي بزيارته واللقاء به فقد ذكرتيني به فتحدثت مع طارق ابن خاله فأعطاني عنوانه .
صاحت : غسان !
قال : غسان .. سأسمع منه حكايته معكم

زواج ثالث

انهى فريد الدكتوراه، وكانت الطبية هالة عرفته على زميلة طبيبة مثلها اسمها ميسون ونشيطة مثلها في الحركة الأدبية المصرية وكتابة الروايات والمقالات الصحفية ، فعرفها من خلال جلسات الاستمتاع بالأدب والشعر في ذلك المقهى ،

وأعجبته وهي طبيبة مطلقة مرتين ولم تلد من كلا الرجلين ، فقال لها : أنا لا احب المواليد لا تقلقي من هذه الناحية .

فقالت : سمعت ذلك من هالة ، وأنا اجتهدت أن احمل يا سيد فريد

فقال : ندع الأمر لله

ـ أنا فعلا احب الأطفال وتمنيت ذلك .

قال مرغبا بها : أنا في هذا السن لو رزقت طفلا سأقبل

ـ هل كتبت أو تكتب شيئا بما أنك دكتور لغة عربية ؟

تبسم وقال : لا ، لا ، كنت قبل مجيئ لمصر ادرس في مدرسة متوسطة .. واحب القراءة والتلخيص ؛ لكني لم أسع للتأليف أو حتى النقد والتعليق على ما ينشر .. لقد حمستني الدكتورة هالة للمحاولة منذ التقينا .. ولم أجد للحظة قوة لذلك .. وأنا قرأت بعض مقالاتك الصحفية والقصص القصيرة المنشورة في صحف الآداب والثقافية ولست ناقدا .

وأقام حفلة صغيرة بمناسبة زواجهما ، وكانت الزوجة ميسون مراد ترغب ببقائه في مصر والعمل ؛ وحاولت مساعدته بالاستعانة بأقاربها ومعارفها ؛ ولكنه لم يوفق للعمل في قطاع الكليات المصرية ، فبعد حين عاد برفقتها لتوتة وسافرت مع علي مضض ، وسكن في شقته القديمة ، وتمكن من التعاقد مع جامعة أهليه في العاصمة لبلاده ، ورحل إليها بعد استئجار شقة ، وعملت زوجته الدكتورة ميسون في مستشفى خاص .

حاتم أمين

تزوج حاتم أمين بعد عودة فريد بأشهر ، وكان قد اصبح هو الآخر دكتورا في الشريعة الإسلامية عن رغبة أمه ، وحبها للتدين ، وتزوج من بنات أخواله فتاة متدينة ، واشتهرت بذلك وسكن في عمارة والده أمين ، وكانت أختاه الاثنتان قد تزوجتا من أقارب أمهما قبله أيضا ، ولم يعترض الأب فعلاقته بعائلته لم تكن بتلك العلاقة الدافئة فقال فريد لحاتم عند حضوره وميسون للمباركة بالزواج فهو قد بارك له بالدكتوراه : زواج مبارك يا حاتم ..لك وللأسرة

قال : شكرا لك يا أخي الكبير وشكرا للدكتورة ميسون وجزاكم الله خيرا

والتفتت ميسون لأم حاتم : كل التهنئة أيتها الأخت الفاضلة وان شاء الله تفرحين بذريته

قالت : الشكر لك يا حبيبتي أنت والدكتور فريد .. أستاذ الأولاد يا دكتورة !

قال أمين : شكرا لكما أنا زرت مصر لما انهى فريد الماجستير رغب بدكتوراه مصر والأزهر

فقال فريد : الحياة العلمية والأدبية في مصر مميزة عن سائر الدول الناطقة باللسان العربي .. فأحببت أن أتعايش مع هذا الصخب والثراء .

قالت ميسون : مصر بلد التاريخ والحضارات والسلم والحرب يقصدها السياح والطلبة من اهم مدن العالم .

قال أمين : تاريخها كما قلت عريق ودولة بمعنى دولة .. والأزهر عراقة وعلم .. كان حلم كل شاب متدين أن يحصل على شهادة الأزهر مع أن ازهر عصرنا غير ازهر محمد عبده والعلماء الكبار

قال فريد : كثير من الأسماء الكبيرة في كل عصور الحضارة الإسلامية في مصر مثل العز بن عبد السلام وابن حجر العسقلاني والسيوطي كما في الشام والعراق .

أين لطفي ؟

سافر لطفي إلى قبرص مدعيا السياحة والشراء وعقد صفقات توريد للمحل ، وانتظرت يارا أسبوعا ، ثم آخر دون رسالة تلفون برقية حتى أنها أرسلت صدومة يسأل جلال زياد فعلم منه أنه سافر ولم يتصل بعد ، ولما مضى الشهر ولم يظهر والمحل منذ خرج مغلق ، وفجأة جاءها كتاب إشهار طلاق غيابيا مما صعقها هي وأسرتها كلها ، وبلغها محامي أسرة لطفي طلاقها غيابيا وسيعيش في قبرص مع قريبه غسان أمين ، ودفع لها حقوقها المالية كلها، وفسخ الشراكة بينهما ، وعرضت البضاعة في المحل للبيع ، وابتاعها جلال وأخذت حصتها كاملة بإشراف من والدها وشقيقها صدومة .. وشرحت لأهلها أن زوجها الأول سفين قص على مسامعه خيانتها له وهذه نتيجة لقائهما ، فقال الأب : المهم حصلت على حقك المادي كاملا .. أنا لو كنت اعرف أن رجلك ابن عم لغسان لرفضنا هذا الزواج

قال صدومة : أنا عرفت القرابة بينهما بعد العقد في المحكمة.. وقلت لها هذه زيجة ستفشل ردت عليّ : أنا أظن أنه يعرف قصتي مع قريبه .

فقالت : سافر إليه قبل شهور فعرف ما كان بيني وبينه في البداية ، هو لم يعرف القصة ؛لأن الملعون غسان سافر فور خروجكما من السجن تحاشيا وتجنبا للسجن مرة أخرى

قالت الأم : كان عليك ترك سفين منذ عرفت أنه عاجز عن المعاشرة ، لكنك استغليت شقيقه المجرم وسقطتم في براثن الزنا

قالت بدون مبالاة : لما رأيته سكت وغير مهتم قلت زواج بدون عقد

قال الأب : الوضع كان خطأ ؛ لكننا نحن الآخرون لزمنا الصمت

فقال صدومة : عليك بإفراغ الشقة مما فيها .. فوالده زياد سيستولي عليها بدلا من الأموال التي

دفعها .

***

كانت يارا في حالة يأس قاتلة ، فسافرت وشقيقها إلى قبرص للبحث عن لطفي والتفاهم معه للعودة وإلغاء الطلاق ، ولم يتمكنا من إيجاده ؛ إنما وجدوا غسان في مكان تصليح سيارات فقالت بصراخ وهياج : أين لطفي ؟ لقد انتقمت مني يا مجرم .

ضحك وقال : من لطفي ؟

قالت : لطفي زياد قريبك .. هو قال ذلك .

قال : لا اعرفه ، وليس لي قريب بهذا الاسم

قال صدومة : لا تستهبل علينا .. مرة أخرى انت سببت طلاقها منه من جديد

قالت بهياج وغضب : أنت بشبش وهو بشبش

رد ساخرا : آلاف الناس بشبش

قال شقيقها بحقد وبغض : أنت تعرفنا يا غسان وسجنا مع بعض قبل أن تهرب يا جار السجن أيها الجبان النذل

فقطع غسان سيل شتائمه وصاح : اسمع يا ولد .. أنا ازعر من قبل أن تولد .. أنا لا اعرف أين لطفي ؟ولماذا لطفي في قبرص ؟ هل ضربتوه وغدرتم به ؟ واعلموا أنني لو أعرف مكانه ما قلته لكم .

صاح صدومة وتهديد : اذا لم يأت لطفي إلى هنا غدا ظهرا ستندم .. أنت طلقت أختي من الرجل سفين ومن لطفي قريبك . وانصرف بأخته وهو يتوعد

***

ولما أتيا في اليوم التالي وكان غسان يقف عند صندوق السيارة الأمامي يصلح شيئا فيه وكان بالقرب منه صاحب السيارة يتابع التصليح وكان شريكهم العربي ينظر إليه عندما اقتربا منه المرأة وشقيقها ، وكان رفيقهم اليوناني يقف أمام المحل يدخن ، فقال غسان وهو يترك زردية وأداة أخرى ويلتف إليهما : ماذا تريدان من لطفي ما دمت طلقت منه وقبضت كل أموالك ؟

قالت : إذن قابلته وأعلمته أننا نبحث عنه

قال : اضطررت أن أتحدث مع أخيه جلال وافهم الموضوع

قال صدومة : بيننا حساب يا سيد غسان .

قال : هل لطفي زياد هنا ؟ هذا ما فهمته منكم أمس

قالت بسخط وغضب : نعم ،هو قال ذلك قبل هربه وإرسال المحامي

عاد للإنكار فقال : لا اعرف الرجل شخصيا وبشكل خاص ؛ وربما يكون قريبي كما تزعمان

قالت بصوت مرتفع غاضب : ألم تتحدث مع أخيه كما ذكرت قبل قليل ؟

رد وهو يرمي سيجارته : بناء على كلامكما امس

اتصلت بأخيه لأعرف ما قصة لطفي معكما وأين هو لطفي اليوم ؟ .. فهو كان يصلح سيارته أحيانا عندنا في توتة

اخرج الشاب مسدسا وصوبه على صدر غسان وهدد قائلا : اذا لم تقل أين هو الآن سأقتلك هنا ؟

ضحك غسان قليلا وقال متحديا : افعل إن كنت على قد الكلام

صاح صدومة : أنا مجنون يا غسان بشبش .. أنا مجنون .. لا تتحداني .

قال غسان بغير اكتراث لتهديده بالمسدس : أنت مجنون على حالك ونفسك .. انصرف أنت واختك .. وابحث عن غريمك في مكان آخر .. أنا تركت لكم البلد ؛ لأنني عرفت أنكم سفلة لا حياء ولا دين

صاحت يارا : تكلم يا غسان فأخي عصبي ومجنون !

قال : عصبي على حاله .. في مواخير هنا اعملوا فيها

انطلق الرصاص وسقط غسان وهو يصرخ ، وهجم الناس عليه ، واخذوا منه المسدس وحضرت الشرطة والإسعاف ومات غسان في المستشفى ، فالرصاصة اخترقت القلب ،وحبس الشاب وشقيقته ، ثم حكم عليه فيما بعد بالمؤبد ومات فيها بعد السجن ، وقضت المرأة خمس سنوات قبل أن ترحل لبلدها لتكمل العقوبة فيها

***

ونقلت جثة غسان للبلد ، ودفن في مقابر الأسرة بجوار جده عيسى ، كانت صدمة كبيرة لأسرة بشبش حادثة قتل غسان الذي رحل من سنوات اختصارا للشر ؛ كما يقولون ، واكثر من تأثر باغتياله لطفي زياد ، ورأى أنه السبب في مقتله بتركه البلد ؛ كما فعل غسان ؛ وبينما هو يعيش مهموما مغموما تلقى رسالة من جاكلين عمار تعزيه في قريبه غسان ، فاستغرب معرفتها بذلك رغم أن الصحف نشرت الخبر ؛ وربما وكالات أخبار أيضا ، فاتصل بها على عنوان المستشفى الذي كانت تعمل فيه ، فأخبر أنها انتقلت لمشفى آخر ، وبعد أيام تمكن من الحديث معها ولما سألها عن والدها ، وأنه اتصل به في شقته ، ولم يرد ، ولما سألت لماذا ؟ فقال :كيف عرفت بمقتل غسان ؟ فضحكت طويلا وقالت : عن طريق أبي فأبي قد لا تعلم أنه مسجون بسبب قضايا ادين بها .. فهو يقبع في سجن أمريكي فلا ادري كيف عرف بموت غسان ؟ فاتصل بي وحدثني بذلك ، فلما سمعت الحكاية أحببت مواساتك فعشنا معا سنتين

قال : يعني لا تعرفين من اخبر والدك

قالت : لم يقل لي ولابد انه من احد أقاربك أو شقيقيه

قال : ما هو في السجن كما ذكرت

قالت : السجن فيه تلفون ويسمح للشخص المسجون بمحادثة بين الفترة والأخرى .. وأنا أتواصل معه ؛ ولعله قريبا سيخرج

سأل : ما مشكلته ؟

قالت : اعتقد ضرائب .. تهرب من الضرائب .. فأبي لا يناقش بأموره الخاصة .. ولا تنسى أننا عشنا أول عمرنا بعيدين عنه .

وأخذت تكرر الاتصال به بين فترة وأخرى ، وعرضت عليه العودة والزواج من جديد ؛ بل عرضت أن تأتيه هي لتوتة فقال : سأفكر .. كفرت بالنساء أنت سخرت مني واتخذت عشاقا بجعلي مغفلا .. والثانية اكتشفت بعد زواجي منها بأنها أسوأ أنثى على الأرض قتلت عشيقها ابن عمي ، وجعلتني أعيش بألم وندم لليوم .. وهي كما علمت تقبع في سجن قبرصي .. لكني سأفكر مع أنني تعرضت للاغتيال في وطنك أمريكا .

فريد وميسون

فريد شقيق غسان من أمه وأبيه تأثر كثيرا أيضا بمقتل غسان ، وأصابه الذهول والاستغراب من قصة مقتله ، ومن تأثره بالصدمة وفلسفة الموت وقصر الحياة اخذ بالصلاة والعبادة حتى أن امرأته ميسون دهشت من توبته وسعيه لتوبتها مثله ، فطلبت بدل التوبة العودة لمصر ، فرفض وقال : العمل في بلدكم ليس سهلا كما رأيت عندما أنهيت الدكتوراه .. فمصر مليئة بالشهادات والقامات ، وسمح لها بزيارة لأهلها فسافرت وحدها ، واختفت ، وطال الانتظار لأكثر من شهر دون فائدة دون رسالة أو برقية أو فاكس ، فقام مضطرا برحلة قصيرة للقاهرة ولأسرتها وتفاجأ أنها لم تقرب أهلها ولم تلتق بهم ولا بالدكتورة هالة التي ربطتهم ببعض وشجعت صديقتها بالزواج منه ، وثبت أنها دخلت البلاد مصر حسب قائمة دخول المطار ، ولم يثبت خروجها .

التقى ببعض معارفه وأساتذته الأحياء ، وعلم منهم أن الدكتور حميد الدين رحل لمكة للعمل في جامعة مكة ، فكتب إليه يبارك له العمل في الديار المقدسة ، فارسل إليه حميد الدين للتعاقد مع الجامعة التي يعمل فيها لحاجتهم لمدرسين اللغة والنحو ، فوافق ذلك هوى في نفسه فارسل كتابا لرئاسة الجامعة المكية ، فطُلب منه الحضور للمقابلة ، ولما يئس من العثور على الزوجة ميسون ترجى هالة بلاسم بمتابعة اختفائها واذا لديها راغبة بالانفصال عليهما اللقاء والتفاهم والاتفاق ، ثم غادر مصر لتوتة ، وبعد حين استقر في مكة

مذهولا متقوقعا من موت شقيقه بالغدر ، ومن اختفاء الطبيبة زوجته ، وندم حين لم ينفع الندم انه لم ينجب ممن تزوجهن .. وتأكد أن الأولاد عامل استقرار للزواج خاصة عند المسلمين والعرب .

وتتابعت المراسلات بينه وبين الدكتورة الكاتبة هالة بلاسم حول اختفاء زوجته ميسون ولماذا تصرفت بهذه الطريقة السيئة ؟ وأمضى موسما في جامعة مكة دون أي خبر عنها حتى أن الدكتور الكبير حميد الله دهش من قصة الاختفاء الطوعي واستعان بمعارف له في الحكومة المصرية ونبيء أنها ما زالت على قيد الحياة لم تدخل في سجل الوفيات ودائرة الإحصاء المركزية .

راجع فريد سجل حياته معها منذ التقى بها برفقة هالة حتى وافقت على الاقتران به بضغط من صديقتها بلاسم ، وأكدت في كل اتصال بينهم أنها منذ اختفت لم تتصل بها وهي تعيش في دهشة وحيرة ، ولولا أن شرطة المطار أكدت دخولها للقاهرة لشكت بأنه تخلص منها ، وعذرها بهذا الشك والاتهام .

ولم يجد في السجل المراجع أي موقف يدفعها لهذا التصرف والغموض ، ولم يؤذها بشيء ولو يسير إلا أنها تغيرت بعد مقتل غسان وتوبة فريد المصدوم ، فقال للدكتور حميد الدين أثناء زيارة له في شقته : لا أخبار من مصر .. ولا اعلم أسباب هذا الاختفاء .. كنت أرى أنها آخر زيجة لي يا سيدي أبا حفص .

قال الدكتور حميد : اغرب قصة تمر عليّ حقا .. أنت تبت لله تأثرا من موت أخيك واغتياله في قبرص فراجعت حساباتك ورأيت أن الحياة الدنيا قصيرة ، وما هي إلا طلقة واحدة من شاب مهووس فانتقل غسان إلى حياة البرزخ .. والطبيبة ميسون المصرية كما فهمت منك لم تكن ملحدة لتفر منك بسبب عودتك لدينك ، ولا حتى علمانية بحق لتكره الدين والمتدينين ؛ إنما هي مثل الكثير من المثقفين لا صلاة ولا صوم ولا دين بمعنى الدين .. حياة مجرد حياة !

قال : هذا المثير .. دعوتها للتوبة مثلي ورفضت قلت لنفسي الأيام دواء للجهل ولم أناقشها أو اصر عليها بالتوبة أو العودة للإسلام ..بدا لي أنها لم ترحب بهدايتي فقلت ذه شأنها .. هي طبيبة عامة وتعشق الآدب والكتابة ككثير من الأطباء .. وهذا كما تعلم في الغالب هواية لا أكثر

وضع الدكتور كوب الشاي وقال لفريد : اسمع يا سيد فريد .. أنا عندي خيال .. لما عرفتك بلاسم بها هل كان لها صديق مقرب سواء أكان طبيبا أو كاتبا أو هؤلاء الذين في صناعة الأفلام والإنتاج ومسلسلات الحب وتزوير وتشويه التاريخ

فكر للحظات وأجاب : أكيد لها زملاء مهنة سواء

نساء أو ذكور أو زملاء النوادي الأدبية والصحفية ، فهي كانت تصافح الكثير منهم أثناء وجودنا في المقهى أو في بيت أحدهم ، لكني لم انتبه لهم أو التعرف على بعضهم .. تحية وعلى الماشي ؛ لأني تعرفت عليها لما لم تقبل بلاسم بالزواج مني وأحبت أن تجمع بيننا لما رات شغفي بالزواج من مصرية .. ما الذي تريد أن تصل إليه يا شيخي الكريم ؟

وضع الكوب الفارغ وقال : لعلها كانت ترسم على الزواج على شخص دون علم الطبيبة بلاسم ولما عرضتك بلاسم عليها قبلت وتزوجتك لتضغط عليه بأن يفعل ولم يفعل إلا بعد أن تزوجتك فرحلت اليه .

فقال متعجبا : وتعيش معه بدون طلاقي وبدون عقد شرعي .

ضحك حميد الدين وقال : عندنا في مصر يا دكتور فريد ما يسمى بالزواج العرفي بدون ولي وبدون حفلة زواج وبدون وثائق قانونية ورسمية .. ورقة يكتبها مأذون شرعي أو مزور

ـ والأولاد !

زاد قائلا : بعضهم يتزوج عشرات النساء بهذه الحيلة .. وفي الغالب لا ينجبن باتفاق بينهم .. فهي أمام أهلها متزوجة من شاب غريب بصورة قانونية ورسمية .. وفي مصر زوج بورقة ، كما تسمع عن الصديق والعشيق في المانيا أو أوروبا ما يسمى بوي فرند .. صديق فراش بدون وثائق

ـ أيعقل أن تفعل ذلك وهي الطبية والمثقفة ؟!

قال حميد : الزواج العرفي منتشر في مصر وغيرها من بلاد العرب خاصة بين طلبة وطالبات الجامعات .. قصص حب مزعومة ووعود بالزواج الشرعي بعد التخرج

ـ واذا حبلت الواحدة

ضحك حميد وقال : اذا فعلت الواحدة منهن ذلك؛ إنما للضغط على الزوج العرفي ليتزوجها شرعا وقانونا .. وفي الغالب يتركها ويهجرها ولا يعترف به ؛ لأنه يعتقد أنها تعاشر غيره ؛ كما تزوجته عرفا ؛ ربما له غيره عرفا .. هو في النهاية زنا وفاحشة باحتيال كما يحتالون للخلاص من الزكاة وغيرها من العبادات والكفارات

انتظر قليلا ورد : تحليل منطقي وغريب وكيف سأعرف ؟!

ـ لسوف تظهر فجأة كما اختفت فجأة .. وأكبر ظني أن صديقتك بلاسم تعرف ذلك وتتستر عليها .. ففي أي لحظة تفشل علاقتها معه تعود إليك بأعذار شتى يا ولدي الطيب .. لذلك إنساها وطلق غيابيا وتزوج قبل أن تلد .

ـ لم تلد ممن تزوجت قبلي .

ـ ما دامت حية لابد أنها تعيش حياة أخرى يا ابني

.. وتزوج من جديد هذا خيالي وفكري وخبرتي حتى أن بعض الشيوخ يحللون مثل هذا العقد الفاسد ..وهذا نصحي لابني فريد أمين

ـ لولا الدين لأبغضت النساء .. كان مصرع شقيقي بسبب النساء الفاسدات

اعترض حميد وقال : معذرة يا دكتور ! أخوك فاسد مثلهن .. والغريب في قصته أن قتلته لا يربطهم به أي رابط .. فمن كلامك عنها أنها مرت حياتها الماجنة بعشرات العشاق .. والمرأة اذا فجرت زال كل حياء منها .. وذكرت لي من فجرها أن شقيق زوجها الأول كان هو زوجها الحقيقي والزوج مجرد ديكور وغطاء

هز فريد رأسه وهمس قائلا : لقد نصحه ابن خالي شريكه في الشغل قبل الهرب لقبرص من أول لقاء أن يبتعد عنها امرأة تطارد الرجال والزناة في الكراجات وغيرها .. فهي لا أمان معها .. ونصحه والدي كثيرا أن يدع سكة وطريق الفاحشة وبنات الهوى فلم يكترث . . شكرا يا سيدي على فكرتك عن الزواج العرفي وسأطرحها على زميلتي الطبيبة هالة بلاسم قد اجد عندها تفسيرا بهذا الاتجاه ، ثم سأسعى للطلاق لاختفاء الزوجة عن طريق مكتب المحامي في مصر .

***

عاد فريد لمنزله وهو مشغول الفكر بالزواج العرفي الشائع في مصر وغيرها ، فقد سمع به أثناء دراسته العليا في جامعة الأزهر ، ولكنه لم يصدف أن التقى بأحد متزوجا عرفيا أو فتاة ، وبعد أن استو عب الفكرة تحدث مع الدكتورة هالة ولمح لها بهذه الفكرة وقال : أيمكن أن تفعلها صديقتك وتختفي بهذه الطريقة ؟!

قالت : فكرة معقولة ! وهذا الأمر كنا نسمع عنه ؛ بل نراه من بعض فتيات الكلية الطبية ؛ لكن لم اسمع عن ميسون فعل ذلك .. ولا يعني هذا أنني اعرف كل شيء عنها يا دكتور فريد أمين .. فهي ليست بالصديقة المقربة جدا لأطلع على كل أسرارها .. وأنت تعرف ذلك .. أنا تعرفت عليها وصاحبتها بسبب الآدب والصحافة

قال مستفهما : كيف سنعرف ؟

ـ حسن .. أنا اعرف صديقة لها علاقتها اقوى مني معها مع أنني سألتها عنها من أول أيام الاختفاء الغامض فأنكرت رؤيتها بعد عودتها من توتة

قال مشجعا : على كل اسأليها من جديد .. وأنا سأكلف مكتب محاماة بطلاقها غيابا بسبب اختفائها هذه السنة .

وشجعته بدورها : هو الأفضل .. واذا علمت شيئا سأنقله لك .. فأنت إنسان طيب.. صدق لو رغبت بالزواج بعد فشلي فيه لكنت أنت الأفضل

ـ هذا من لطفك شكرا لك إلى اللقاء

اتصل فريد بعد أيام بصديق مصري درس معه في الكلية وكلفه بترتيب موعد مع مكتب محامي للأحوال الشخصية لإجراءات الطلاق الغيابي ، وارسل المال اللازم للقضية ، ولما ثبت لدى المحكمة اختفاء الزوجة من اكثر من سنة وقع الطلاق ، واستلم والد الدكتورة ميسون مؤخر الصداق نيابة عنها .. وانتهى زواج فريد الثالث بطلاق ثالث وغريب ، وكانت هالة نفت لفريد معرفة صاحبة ميسون بزواجها عرفيا واخبرها فريد بإجراءات الطلاق الغيابي .

وقال الدكتور حميد الدين : عليك الآن بالزواج من الرابعة

ضحك فريد : اخبرني أبي أن العروس تنتظر أن أقول نعم .

تمت بفضل الله تعالى

حكايات الف ليلة وليلة

قصة علاء الدين والمصباح السحري

الليلة الثلاثون

في الليلة التالية، وبينما كانت شهرزاد في سريرها، قالت أختها دينارزاد: «رجاءً يا أختاه، اروي لنا إحدى قصصك الممتعة.» وأضاف الملك: «لتكن أكثر إثارة مما سبق.» فأجابت شهرزاد: «على الرحب والسعة!»

بلغني ـ أيها الملك العظيم ـ أن حائكًا فقيرًا عاش قديمًا في الصين، وكان لديه ابن يُدعى علاء الدين. عمل الأب بكد، في حين كان علاء الدين كسولًا للغاية، يقضي أيامه في اللعب مع الأولاد الآخرين في الشوارع، ولا يعود إلى المنزل إلا لتناول الطعام. ظل الأب يعمل حتى يوم وفاته. وبعد ذلك باعت والدة علاء الدين المتجر، وبدأت تغزل الخيوط كي تنسج القماش لتكسب الأسرة قوت يومها. وكان علاء الدين يبلغ من العمر حينذاك خمسة عشر عامًا، وظل كسولًا كما كان.

وفي أحد الأيام، جاء رجل غريب إلى علاء الدين، وأخبر الصبي أنه عمه، وأنه جاء ليصلي على قبر أخيه المتوفي. وعاد الغريب مع علاء الدين إلى المنزل لتناول العشاء، وقص حكايته التي أبكت أم علاء الدين.

وفي اليوم التالي، اصطحب الغريب علاء الدين إلى السوق، وابتاع له ملابس جديدة. واصطحبه إلى أفضل الأماكن في المدينة، وعرض عليه العمل تاجرًا. وسار علاء الدين معه فترة طويلة. وغادرا المدينة، متجاوزين الحدائق الموجودة وراءها، وتسلقا جبلًا عاليًا.

أشعل الغريب نارًا في هذا المكان. وعندما اشتدت، نطق بتعويذة فوقها. فأظلمت السماء، واهتزت الأرض، وانشقت ليخرج منها لوح رخامي كبير.

كان علاء الدين خائفًا، لكن الغريب طلب منه رفع اللوح، والنزول إلى الأرض في الأسفل.

قال الرجل: «سترى ثلاث غرف، بها جرار مليئة بالذهب والفضة. لكن لا تتوقف عندها. في الغرفة الرابعة، ستجد حديقة من أشجار الفاكهة وسلمًا يؤدي إلى مذبح. فوق هذا المذبح، ستجد مصباحًا. اسكب منه الزيت، وأحضره إلي.»

أعطى الغريب خاتمًا لعلاء الدين ليحميه، ونزل الصبي أسفل الأرض. وفعل كل ما أخبره به الغريب، لكنه عندما عاد، لم يتمكن من الوصول إلى قمة الفتحة دون مساعدة.

قال الغريب له: «يا بني، أعطني المصباح حتى أتمكن من مساعدتك في التسلق.»

خشي علاء الدين من إعطاء المصباح للغريب، وقال له: «لا يا عمي، المصباح في أمان معي. أعطني يدك وساعدني في الخروج من هذا المكان.»

طلب الرجل المصباح مرة أخرى، ورفض علاء الدين ثانيةً. واستمر الحال هكذا فترة من الوقت، وازداد غضب الغريب أكثر فأكثر. وفي النهاية، أغلق الغريب اللوح الرخامي ونطق بتعويذة أخرى، ثم غطى اللوح بالتراب تاركًا علاء الدين محبوسًا في الظلام.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح. وقالت دينارزاد لأختها: «يا لها من قصة مدهشة يا أختاه!» فردت شهرزاد: «هذا لا يقارَن بما سأرويه لكما غدًا إذا تركني الملك على قيد الحياة.»

الليلة الحادية والثلاثون

في الليلة التالية، وبينما كانت شهرزاد في سريرها، قالت أختها دينارزاد: «رجاءً، أختاه، اروي لنا المزيد من هذه القصة المذهلة.» وأضاف الملك: «أخبرينا بالمزيد عما حدث لعلاء الدين.» فأجابت شهرزاد: «على الرحب والسعة!»

بلغني — أيها الملك العظيم — أن الغريب كان في الحقيقة ساحرًا عظيم الشأن، وأنه قد تعلم فن السحر في أفريقيا. وسمع هناك عن كنز عظيم في الصين مدفون في باطن الأرض. ويُقال إنه من بين ثروات هذا الكنز مصباح يمكن أن يمنح مالكه قوة تفوق قوة ألف ملك. وقد سمع الساحر أنه لا يمكن لأحد نزع المصباح من مكانه سوى صبي فقير من تلك المدينة، وأن هذا الصبي يُدعى علاء الدين. لذلك جاء الساحر بحثًا عن الصبي، وخطط لاستغلاله للحصول على المصباح ثم قتله بعد ذلك.

ظل علاء الدين محبوسًا في باطن الأرض. وقد وجد أن جميع الغرف مغلقة، فبكى وحك يديه معًا وهو يدعو الله طالبًا منه النجاة. حدث أنه فرك الخاتم الذي أعطاه إياه الغريب، وعندما فعل

ذلك، ظهر جني فجأة أمامه. قال الجني: «شبيك لبيك، اطلب ما شئت، فأنا عبد من يرتدي هذا الخاتم في إصبعه، أنفذ له ما يشاء.»

كاد علاء الدين يطير فرحًا، وطلب من الجني أن يعيده فوق الأرض. فانشقت الأرض على الفور، ونجا الصبي. عاد علاء الدين إلى المنزل، وبكت أمه من الفرحة، فهي لم تره منذ ثلاثة أيام. أخبرها علاء الدين بكل ما حدث له، ثم ذهب للنوم.

نام علاء الدين مدة ثلاثة أيام. وعندما استيقظ، طلبت منه أمه أن يأخذ بعض القماش الذي نسجته إلى السوق، ويبيعه للحصول على طعام. واقترح الصبي بيع المصباح بدلًا من القماش، ورأت والدته أنها فكرة جيدة. فأخذت قطعة من القماش، وبدأت تمسح المصباح حتى يبدو جيدًا للبيع. لكن فجأة ظهر جني أمامها، وكانت قوته ضعف قوة الجني الذي رآه علاء الدين قبل ذلك.

قال الجني بصوت هز الأرض التي يقفون عليها: «شبيك لبيك، أنا عبد من يحمل هذا المصباح بين يديه.»

فقدت الأم وعيها عندما تحدث الجني، لكن علاء الدين التقط المصباح وطلب من الجني طعامًا. وفي هذه اللحظة، اختفى الجني، وعاد بعد لحظات ومعه ثلاث صوانٍ فضية زاخرة بصنوف اللحوم الشهية والخبز الذي كان يضاهي الثلج في لونه الأبيض.

فزعت أم علاء الدين بشدة. وطلبت منه التخلص من المصباح والخاتم. لكن الصبي رفض، وتمكن من تهدئتها. وبعد تناولهما أكبر قدر ممكن من الطعام، أخذ علاء الدين أحد الأطباق الفضية الكبيرة إلى السوق، وباعه مقابل مبلغ كبير من المال.

وبهذه الطريقة، لم يعد علاء الدين ووالدته بحاجة إلى المال أو الطعام ثانيةً أبدًا. كان علاء الدين يأمر الجني بجلب المزيد من الأطباق الكبيرة كل بضعة أيام، ويذهب ليبيعها بعد ذلك. وبينما كان في طريقه إلى السوق في أحد الأيام، سمع صوت الأبواق العالية يدوي. كانت ابنة الملك بالجوار، وأُخلي الشارع حتى تتمكن من المرور.

اختبأ علاء الدين خلف أحد الأبواب أثناء مرورها. ولم ير الفتاة إلا بضع ثوانٍ فقط، لكنه وقع في حبها على الفور.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح. وقالت دينارزاد لأختها: «يا لها من قصة مدهشة يا أختاه!» فردت شهرزاد: «هذا لا يقارَن بما سأرويه لكما غدًا، إذا تركني الملك على قيد الحياة.»

الليلة الثانية والثلاثون

في الليلة التالية، وبينما كانت شهرزاد في سريرها،

قالت أختها دينارزاد: «رجاءً يا أختاه، اروي لنا المزيد من قصصك الممتعة.» وأضاف الملك: «لتكن بقية قصة علاء الدين.» فأجابت شهرزاد: «بالتأكيد!»

بلغني — أيها الملك — أن علاء الدين وقع في حب ابنة الملك. وعاد إلى المنزل، وترجى أمه أن تطلب من الملك يد ابنته.

ظنت أم علاء الدين أن ابنها فقد عقله، لكن علاء الدين أصر على طلبه. وفرك المصباح لاستدعاء الجني وجعله يحضر له إناء ذهبيًّا مليئًا بالمجوهرات. وطلب من أمه إهداء هذه المجوهرات للملك.

وضعت أم علاء الدين المجوهرات في كيس حريري، وذهبت إلى بوابات قصر الملك. وظلت هناك مدة أسبوع حتى نظر الملك في أمرها، وطلب من وزيره إحضارها إليه.

أخبرت السيدة العجوز الملك بشأن حب ابنها لابنته، ورغبته في الزواج منها. ضحك الملك بصوت مرتفع مما سمعه، وسأل السيدة عما جلبته له.

لكن عندما رأى الملك ما كانت تحمله، اندهش للغاية، وأذهلته الأحجار الكريمة الثمينة والبراقة، وقال: «أقسم بأنه ما من أحد أحق بابنتي ممن أهداني هذه الجواهر.»

وعد الملك أم علاء الدين أن ابنته ستتزوج ابنها في غضون ثلاثة أشهر. وبعد مرور هذه الأشهر الثلاثة، وصل علاء الدين إلى القصر على رأس موكب مهيب يضم جنودًا طوال القامة يمتطون خيولًا سوداء، وفتيات حسناوات يحملن أطباقًا من الذهب الخالص مكدسة بالجواهر.

رحب الملك بالصبي، وأجلسه عن يمينه. كانت هناك موائد طويلة زاخرة بكميات هائلة من الطعام. فأكل الجميع بابتهاج، وأجريت مراسم الزواج لتصبح ابنة الملك زوجة علاء الدين.

أما في أفريقيا فقد سمع الساحر بهروب علاء الدين، وتعجب من الأمور التي فعلها. فعاد إلى الصين، ورأى القصر الذي بناه علاء الدين لعروسه بجدرانه الجميلة المكسوة بالقرميد، وسجاجيده المنسوجة من الذهب. علم الساحر أن كل هذه الثروة العظيمة سببها المصباح، وأقسم بأن يعثر عليه.

ذهب الساحر إلى السوق، واشترى بعض المصابيح، ثم أخذها، وجاب الشوارع وهو يصيح: «مصابيح! مصابيح! من يقايض مصباحًا قديمًا بواحد من هذه المصابيح الجديدة؟»

ظن الناس في المدينة أنه مجنون، وسارع الكثيرون إلى مقايضة أحد مصابيحهم القديمة بواحد من مصابيحه الجديدة. وحرص الساحر على المرور

بقصر علاء الدين، وصاح بصوت مرتفع: «مصابيح! مصابيح! من يقايض مصباحًا قديمًا بواحد من هذه المصابيح الجديدة؟»

سمعت إحدى خادمات القصر نداء الساحر، وتذكرت أنها رأت مصباحًا قديمًا كان علاء الدين يحتفظ به على أحد الأرفف في غرفة نومه. فذهبت لإحضاره، وقايضته مع الغريب، وهي تفكر في مدى حكمتها ومدى سذاجة الرجل العجوز.

وابتهج الساحر عندما رأى المصباح بين يديه، وفر من المدينة حتى وصل إلى الصحراء المحيطة بها بعد أن تأكد أنه ما من أحد يتبعه. ثم فرك المصباح، فظهر الجني المهيب، وقال: «شبيك لبيك، أنا عبد من يحمل هذا المصباح بين يديه.»

كان الساحر سعيدًا للغاية، وطلب من الجني أن يسلب القصر من علاء الدين وينقله إلى أفريقيا.

فصاح الجني بصوت مدوٍ: «أغمض عينيك، وسوف تجد ما أردته مجابًا كما أمرت.»

•••

وهنا أدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح. وقالت دينارزاد لأختها: «يا لها من قصة مدهشة يا أختاه!» فردت شهرزاد: «هذا لا يقارَن بما سأرويه لكما غدًا إذا تركني الملك على قيد الحياة.»

الليلة الثالثة والثلاثون

في الليلة التالية، وبينما كانت شهرزاد في سريرها، قالت أختها دينارزاد: «رجاءً يا أختاه، اروي لنا المزيد من قصصك الممتعة.» وأضاف الملك: «لتكن بقية قصة علاء الدين.» فأجابت شهرزاد: «بكل سرور!»

•••

بلغني — أيها الملك العظيم — أن كل ما طلبه الساحر نُفذ بالضبط كما شاء. وفي الصباح، عندما كان الملك ينظر من نافذته، رأى أن قصر علاء الدين ليس موجودًا، وأن ابنته اختفت أيضًا.

غضب الملك، وطلب إحضار علاء الدين للمثول أمامه. وكُبِّل علاء الدين بالسلاسل، وأمر الملك بحبسه.

حزن الناس كثيرًا لهذا الأمر. وخر علاء الدين على ركبتيه، وتوسل إلى الملك ليرحمه. فقال له: «أيها الملك العظيم، أعطني أربعين يومًا لأحضر لك ابنتك وأعيد كل شيء كما كان من قبل. إذا مر أربعون يومًا، ولم أستطع فعل ذلك، فاحبسني، وافعل بي ما شئت.»

وافق الملك، وبدأ علاء الدين رحلة بحثه. بحث في المدينة، ثم الصحراء، لكنه لم يعثر على أثر لقصره أو زوجته. كان علاء الدين بائسًا، وألقى بنفسه على الأرض، ودعا الله أن يساعده.

وأثناء دعائه، فرك علاء الدين أحد أصابعه في

خاتم الساحر، فظهر الجني أمامه ثانيةً.

قال علاء الدين عندما رأى ما حدث: «أيها الجني، أعد إلي زوجتي وقصري.»

فأجاب الجني: «لا أستطيع القيام بذلك، هذا عمل جني المصباح. فقوته تفوق قوتي.»

فكر علاء الدين لحظة، وقال: «إذن، لتنقلني إلى جانب قصري.»

أجاب الجني: «طلبك سيُنفذ.»

أغلق علاء الدين عينيه. وعندما فتحهما، كان في أفريقيا، خارج قصره. فتلى صلواته شاكرًا الله على إنقاذه من بؤسه.

ذهب علاء الدين إلى غرفة زوجته، ووقف أمام نافذتها أملًا في أن تراه. كانت إحدى خادماتها هناك، فصحبته إلى داخل القصر عبر باب سري. فرحت الأميرة لرؤية زوجها، وعانق كل منهما الآخر، وبكيا من الفرحة.

أخبرت الأميرة علاء الدين عن كيفية حصول الساحر على المصباح ونقله للقصر بكل ما فيه من ناس وثروات. وأخبرته أن الساحر حاول أن يكسب حبها بتقديم الجواهر والذهب لها. استمع علاء الدين إلى كل ما قالته، وفكر بإمعان حتى توصل إلى خطة. وقبَّل زوجته، وأخبرها بما سيفعله.

تسلل علاء الدين بحذر إلى خارج القصر، وسافر في اتجاه المدينة. فقابل امرأة عجوز، ودفع لها مالًا مقابل أن تقايض ملابسها بملابسه. وذهب علاء الدين مرتديًا هذه الملابس إلى أحد المتاجر في المدينة، وابتاع سمًّا قوي المفعول، ثم عاد إلى القصر.

وصل الساحر وهو يتمنى أن يقنع الأميرة بحبه لها. وفي هذه المرة، لم تصده، بل ابتسمت له ودعته لتناول العشاء معها. فجلس مع الأميرة بينما وضع الخدم الطعام على المائدة. ونظرًا لسعادته الغامرة، أكل الساحر وشرب دون أن يلاحظ أن الأميرة لم تتناول أي شيء. كان علاء الدين قد ملأ كأس الساحر بالسم سرًّا، فسقط أرضًا على الفور.

خرج علاء الدين من مخبئه، وأخذ يفتش الساحر حتى عثر على المصباح مخبأً في كُمه. فرك المصباح حتى ظهر الجني، ثم طلب منه إعادة القصر إلى موطنه الأصلي.

ابتهج الملك عند رؤيته لابنته سالمة، ورحب بعلاء الدين بحرارة.

وعاش الجميع سعداء فترة طويلة بعد ذلك اليوم. وعندما مات الملك، أخذ علاء الدين قصره. وسعد الناس لأنهم أحبوه كثيرًا، وعاش علاء الدين في سعادة مع الأميرة حتى آخر عمرهما.

قصة علي بابا

الليلة الرابعة والثلاثون

في الليلة التالية، وبينما كانت شهرزاد في سريرها، قالت أختها دينارزاد: «رجاءً يا أختاه، اروي لنا إحدى قصصك الممتعة.» وأضاف الملك: «لتكن أكثر القصص إثارة على الإطلاق.» فأجابت شهرزاد: «كما تشاءان!»

•••

بلغني — أيها الملك — أن أخوان يُدعيان قاسم وعلي بابا عاشا قديمًا في إحدى مدن بلاد فارس. عندما توفي والدهما، تزوج قاسم بابا من ابنة تاجر ثري، وعندما توفي هذا التاجر، ورث قاسم أمواله. وتزوج علي من امرأة تُدعى مرجانة، وكانت فقيرة للغاية، لكنها ماهرة جدًّا في الوقت نفسه. وكسب علي بابا قوت يومه من جمع الأخشاب في الغابة.

وفي أحد الأيام، بينما كان علي بابا يحمِّل أخشابه ليأخذها إلى المدينة، سمع صوت حوافر خيول، ورأى أربعين فارسًا يقتربون. أفزع مشهد الرجال علي بابا، واختبأ سريعًا في الأحراش. وعندما اقترب الرجال أكثر، رأى علي بابا أن خيولهم كانت محملة بالثروات. وتوجهوا بخيولهم إلى واجهة صخرة كبيرة، وصاح قائدهم: «افتح يا سمسم!»

ظهر فجأة في الصخرة باب عريض يؤدي إلى كهف. توجه الأربعون لصًّا إلى الداخل، وانغلق الباب خلفهم. اندهش علي بابا مما رآه. وبعد فترة قصيرة، فُتح الباب مرة أخرى، وغادر الرجال في الاتجاه ذاته الذي جاءوا منه.

عندما تأكد علي بابا من مغادرة الرجال، اقترب من الصخرة وكرر الكلمات: «افتح يا سمسم!»

ظهر الباب، ودخل علي بابا. فوجد نفسه في غرفة ضخمة مليئة بالسجاجيد الجميلة، ولفائف الحرير، وأكوام الذهب والجواهر. عبأ علي بابا أكبر قدر يمكنه حمله من العملات الذهبية، وعاد إلى زوجته.

اقترض علي بابا ميزانًا من أخيه ليزن الذهب. وأثار الأمر فضول زوجة أخيه، فأرادت أن تعرف ما الذي سيزنه علي بابا، فغطت الميزان بطبقة من الشمع. وعندما أعاد علي بابا الميزان، وجدت عملة معدنية ملتصقة به. فأخبرت زوجها أن علي بابا قد أصبح ثريًّا الآن، وأظهرت له العملة الذهبية.

ذهب قاسم بابا للتحدث مع أخيه، وأخبره علي بابا بكل شيء حدث له عند الصخرة الكبيرة، وذهب قاسم بابا إلى الكهف وحده، وكرر: «افتح يا سمسم!»

انفتح الباب العريض، كما قال علي بابا، ودخل

قاسم مذهولًا بكل الثروات التي رآها أمامه. وقضى وقتًا طويلًا هناك، يجمع كل ما يمكنه حمله من هذا الكنز. كان الباب قد انغلق خلفه، فصاح قاسم بابا قائلًا: «افتح يا بم بم!»

ظل الباب مغلقًا، فقد نسي قاسم بابا كلمة السر. وأخذ ينطق بالكثير من الكلمات الأخرى، لكن الباب لم يتحرك. وحُبس قاسم بابا بالداخل. وفي اليوم التالي، عاد الأربعون لصًّا، ووجدوا قاسم بابا هناك. فتخلصوا منه سريعًا.

شك علي بابا فيما حدث. فدفن أخاه، وعاد للكهف لأخذ المزيد من حقائب الذهب.

بدأ اللصوص يلاحظون اختفاء بعض ذهبهم، فذهب قائدهم إلى المدينة ليعرف هل هناك من توفي قريبًا. وإن كانت الإجابة بنعم، فمن هو؟ وعندما يعرف اللصوص ذلك سوف يكتشفون شريك الرجل المتوفى.

وبعد فترة قصيرة علم زعيم اللصوص بشأن قاسم، وتمكن من الوصول إلى باب علي بابا. وميز الباب بالطباشير الأبيض، وعاد إلى الكهف ليخبر اللصوص بكل ما علمه.

رأت زوجة علي بابا علامة الطباشير على الباب، وأحست بخطر ما. فأخذت قطعة من الطباشير الأبيض، ووضعت علامة على كل الأبواب الأخرى في المدينة. وفي هذه الليلة، عاد الأربعون لصًّا إلى المدينة، عازمين على قتل علي بابا. لكنهم عندما وجودوا أن كل الأبواب عليها علامة بالطباشير الأبيض، أصابهم ارتباك شديد.

وفي اليوم التالي عاد الزعيم، وتمكن ثانية من الوصول إلى باب علي بابا. وحرص على أن يتذكره هذه المرة، ثم عاد إلى الكهف، وأعد الأربعون لصًّا جرارًا كبيرة ليختبئوا بداخلها. وملئوا إحدى هذه الجرار ببذور الخردل، في حين اختبأ اللصوص التسعة والثلاثون في الجرار الأخرى. حمل الزعيم هذه الجرار على ظهور بغال قادها إلى المدينة، مدعيًا أنه تاجر زيت. ووصل إلى منزل علي بابا، وطرق عليه متوسلًا أن يُسمح له بالدخول، ويُمنح غرفة لينام فيها تلك الليلة.

اصطحب علي بابا الرجل إلى الداخل، ووضع الجرار مع الحيوانات خلف المنزل. وأثناء تناولهما العشاء مع مرجانة، ذهبت مرجانة خلف المنزل للحصول على بعض الزيت.

وعندما اقتربت من الجرار، سمعت صوتًا يسأل: «هل حان الوقت؟»

فأدركت مرجانة سريعًا ما حدث، وأجابت بصوت أجش: «لم يحن الوقت بعد.»

وأسرعت متنقلة من جرة إلى أخرى، مكررة الرسالة ومغلقة الجرار حتى يعجز الرجال عن الهرب. عادت مرجانة بعد ذلك إلى المطبخ،

وسكبت بعض السم في كوب من النبيذ، وقدمته لزعيم اللصوص الذي شربه وسقط أرضًا على الفور.

غضب علي بابا من زوجته، لكنها سحبت عباءة الزعيم، موضحة لعلي بابا الخنجر الذي خبأه ليقتله به. وأخبرته أيضًا عن اللصوص التسعة والثلاثين المحبوسين في الجرار بالخارج.

قبَّل علي بابا زوجته، وحمد الله أن وهبه زوجة حكيمة مثلها. وعاشا معًا في سعادة، وهم يأخذون سرًّا من الثروة العظيمة التي لا تزال مخبأة في الكهف.

قصة سندباد البحَّار وسندباد الحمَّال

الليلة الثالثة والعشرون

في الليلة التالية، وبينما كانت شهرزاد في سريرها، قالت أختها دينارزاد: «رجاءً يا أختاه، اروي لنا إحدى قصصك الممتعة.» وأضاف الملك: «لتكن أكثر إثارة من القصة السابقة.» فأجابت شهرزاد: «على الرحب والسعة!»

•••

بلغني — أيها الملك العظيم — أن حمَّالًا فقيرًا يُدعى سندباد عاش في بغداد. وفي أحد الأيام، أنزل ما كان يحمله من بضائع أمام بوابات تاجر ثري. وسمع بالداخل أصوات عزف على العود وأناس يرقصون ويأكلون. صلى سندباد لربه، متحسرًا على بؤسه، وشاكيًا حظه السيئ في الحياة.

وما إن فرغ من صلاته حتى فُتحت البوابات، ودخل سندباد. فرأى منزلًا جميلًا، لا يشبه أي منزل رآه من قبل. استقبله التاجر بالترحاب، وسأله عن اسمه.

فأجاب: «اسمي سندباد الحمَّال.» وقال المضيف: «أحمل الاسم ذاته، فأنا سندباد البحار.» ثم طلب من الحمَّال الجلوس وأخبره عن رحلاته والمخاطر الكثيرة التي واجهها.

•••

كان والدي رجلًا ثريًّا، وترك لي الكثير من الأموال. لكنها لم تساعدني، فقد أنفقتها حتى لم يتبق منها سوى قدر ضئيل للغاية. فأخذت ما تبقى، وابتعت سلعًا لأذهب في رحلة تجارية بحرية. وارتحلنا من جزيرة إلى أخرى حتى وصلنا في النهاية إلى جزيرة تبدو في جمالها وكأنها جنة الله على الأرض. وما إن أشعلنا نارًا لطهو الطعام حتى سمعنا القبطان يصرخ: «اركضوا! بالله عليكم، اركضوا إلى السفينة!»

فركضنا جميعًا، ونحن نجهل حينها أن الجزيرة بأكملها هي في واقع الأمر سمكة ضخمة. لكننا تأخرنا كثيرًا. فتمكن بعضنا من الوصول إلى السفينة، في حين انقلب آخرون في المحيط العاصف بسبب اهتزاز السمكة وتأرجحها.

وسرعان ما ألقى بي المد العاتي على إحدى الجزر حيث هبطت على الشاطئ.

وعندما نظرت حولي، رأيت فرسًا جميلةً مقيدةً إلى شجرة على الشاطئ. وعندما سرت تجاهها، انشقت الأرض وخرج منها رجل. سألني عن قصتي، وعندما أخبرته بها، قادني إلى مكان تحت الأرض، وهناك منحني الطعام والشراب. وأخبرني بقصة غريبة. لقد كان خادمًا لملك عظيم أرسله إلى هذا المكان مع كل ظهور لقمر جديد، وأمره بربط فرسه على الشاطئ. وفي كل مرة، تنجرف أمواج البحر بالقرب من الفرس، ويحل الخادم قيدها، ويشاهدها وهي تندفع نحو البحر بجموح. وعندما تعود من البحر، تكون حاملًا. وتلد بعد ذلك مهرًا يساوي قدرًا كبيرًا من المال.

عجبت لقصته، لكنني ذهبت معه، وتبين لي أن كل ما تحدث عنه حقيقي. صحبني الخادم بعد ذلك إلى الجانب الآخر من الجزيرة، وقدمني لملكه الذي أحسن معاملتي، وأسند إليّ مهمة استقبال السفن التي تأتي إلى الميناء. وعشت على هذه الحال شهورًا عديدة قبل أن تصل سفينة بدت مألوفة لي. قال البحارة الموجودون على متنها إن المالك توفي، فسألتهم عن اسمه. وكانت الإجابة: «سندباد»، فأخبرتهم أنني الرجل الذي يتحدثون عنه. وبالنظر إلي ثانية، تعرفوا علي ورحبوا بي بحرارة. جنت السفينة الكثير من الأموال من بيع البضائع، ومنحت بعضها للملك امتنانًا له. وأبحرت بعد ذلك عائدًا إلى موطني، وأنا أكثر ثراءً عن أي وقت مضى. وقطعت عهدًا على نفسي ألا أذهب في رحلة كتلك مرة أخرى.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح. وقالت دينارزاد لأختها: «يا لها من قصة مدهشة يا أختاه!» فردت شهرزاد: «هذا لا يقارَن بما سأرويه لكما غدًا إذا تركني الملك على قيد الحياة.»

الليلة الرابعة والعشرون

في الليلة التالية، وبينما كانت شهرزاد في سريرها، قالت أختها دينارزاد: «رجاءً يا أختاه، اروي لنا المزيد من قصصك الممتعة.» وأضاف الملك: «لتكن أكثر إثارة من القصة السابقة.» فأجابت شهرزاد: «كما تشاءان!»

بلغني — أيها الملك السعيد — أنه بعد سماع القصة، شكر سندباد الحمَّال مضيفه، وتأهب للرحيل. فدعاه سندباد البحار إلى العودة في اليوم التالي وتناول العشاء معه مرة أخرى.

وهكذا، عاد الحمَّال إلى المنزل في اليوم التالي. ومرة أخرى، فُتحت البوابات، ووجد سندباد أناسًا يأكلون ويرقصون داخل المنزل الجميل. استقبله سندباد البحار بالترحاب، وطلب منه الجلوس،

ومنحه الطعام والشراب. وتابع البحار بعد ذلك قصة مغامراته والأهوال الكثيرة التي واجهها.

بعد عودتي إلى الوطن ببضعة أعوام، أردت السفر مجددًا. فابتعت بضائع وأبحرت في رحلة تجارية مع عدد من التجار. ووصلنا إلى جزيرة جميلة مهجورة، وتوقفنا هناك فترة من الوقت. غلبني النوم، واستيقظت بعد ذلك فزعًا عندما اكتشفت اختفاء السفينة.

تسلقت شجرة طويلة، ورأيت طائرًا عملاقًا، يصل حجمه إلى ضعف حجم الفيل، وجناحاه يحجبان الشمس. وعندما طار هذا الطائر الضخم فوقي، أمسكت بقدمه، آملًا في الهروب. وتمسكت به إلى أن أخذني بالقرب من تل عالٍ، ثم تركته.

هبطت التل، ووجدت نفسي في وادٍ مليء بالماس، ولكنه مليء بالأفاعي الزاحفة أيضًا. اختبأت من هذه الأفاعي في أحد الكهوف، لكنني لم أتمكن من النوم جيدًا، حيث كانت هناك أفعى مرعبة بداخله أيضًا تحرس بيضها. وكنت أخاف أن تلتهمني.

وفي صباح اليوم التالي، زحفت إلى الخارج. وفجأة، سقطت قطعة لحم ضخمة من السماء أمامي. لقد سمعت عن هذا المكان من قبل، وعلمت أنه كانت هناك حيلة يتبعها التجار هناك. فكانوا يلقون باللحم في الوادي، آملين في التصاق الماس به. وكانوا يعلمون أن النسور والعِقبان ستهاجم اللحم، وتطير فوق قمم الجبال حاملة إياه في مخالبها. فيخيف التجار هذه الطيور، ويأخذون الماس.

ملأت جيوبي سريعًا بالماس، واستخدمت حبلًا لربط نفسي باللحم. وانقض أحد النسور إلى أسفل، وحملني إلى أعلى قمة أحد الجبال. وهناك برز أحد الرجال، وأخذ يصيح في النسر حتى طار مبتعدًا.

اندهش الرجل عندما رآني هناك، لكنني أعطيته بعض الماس، وأخبرته بقصتي. فاصطحبني إلى بعض أصدقائه التجار، وتعجبوا جميعًا من القصة التي رويتها. وتمكنت من مقايضة ما لدي من ماس مقابل بعض البضائع وسفينة تحملني إلى موطني. وأقسمت بعدها ألا أخرج في رحلة بحرية أخرى أبدًا.

تعجب سندباد الحمَّال من هذه القصة. وشكر سندباد مضيفه، وتأهب للرحيل. ودعاه التاجر البحار للعودة في اليوم التالي وتناول العشاء معه مرة أخرى.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح. وقالت دينارزاد لأختها: «يا لها من قصة مدهشة يا أختاه!» فردت شهرزاد: «هذا لا يقارَن بما سأرويه لكما غدًا، إذا تركني الملك على قيد الحياة.»

الليلة الخامسة والعشرون

في الليلة التالية، وبينما كانت شهرزاد في سريرها، قالت أختها دينارزاد: «رجاءً يا أختاه، اروي لنا إحدى قصصك الممتعة.» وأضاف الملك: «لتكن أكثر إثارة من القصة السابقة.» فأجابت شهرزاد: «على الرحب والسعة!»

بلغني — أيها الملك السعيد — أن الحمَّال عاد إلى المنزل في اليوم التالي. ومرة أخرى، فُتحت البوابات، ووجد أناسًا يأكلون ويرقصون داخل المنزل الجميل. استقبله سندباد البحار بالترحاب، وطلب منه الجلوس، ومنحه الطعام والشراب. وتابع البحار رواية مغامراته، والأهوال العديدة التي واجهته.

بعد البقاء في بلدتي فترة قصيرة، أردت السفر مرة أخرى؛ فاشتريت بضائع للتجارة، وخرجت في رحلة بحرية مع مجموعة من التجار. وسافرنا من جزيرة لأخرى، نتاجر في بضائعنا. وفي أحد الأيام حملتنا ريح عاصفة إلى إحدى الجزر الممتلئة بالجبال. وكان يعيش على هذه الجزيرة حيوانات كثيرة الشعر تشبه القرود. أمسكت هذه الحيوانات بمراسي سفينتنا، ومزقتها بأسنانها، وسحبتنا إلى الشاطئ، وفرت هاربة بكل طعامنا.

تجولنا بعد ذلك في أنحاء الجزيرة لاعنين حظنا السيئ. وفي النهاية وصلنا إلى قلعة ضخمة ذات فناء كبير. كنا متعبين من السير، وسرعان ما غلبنا النوم هناك.

استيقظنا بعد ذلك على دمدمة مرعبة، اهتزت الأرض من تحتنا، ونزل مخلوق رهيب من القلعة. كانت هيئته هيئة رجل، لكن أطول بكثير، وعيناه كالجمرتين المتوهجتين، وأنيابه كالخنزير البري، ومخالبه مرعبة كالأسد.

ارتعدنا جميعًا من الخوف. وحاول الكثير من الرجال الجري، لكنني لم أتمكن من الهرب. فرفعني المخلوق، ونظر إلي ليرى هل أصلح للأكل أم لا. وعندما وجدني نحيلًا للغاية، ألقى بي جانبًا، وأمسك برجل آخر، ثم ألقاه جانبًا أيضًا. فعل ذلك معنا جميعًا حتى التقط في النهاية القبطان. فوضعه تحت ذراعه، وعاد إلى داخل القلعة.

قضينا اليوم نبحث عن مكان للاختباء من هذا الوحش، لكننا لم نتمكن من الهرب. وفي صباح اليوم التالي، عاد الوحش وأخذ رجلًا آخر. وأدركنا أنه سيأخذنا جميعًا عما قريب. وكان علينا فعل كل ما نستطيع للهرب.

وفي اليوم التالي، صنعنا قاربًا بسيطًا، وملأناه بأي طعام تمكننا من العثور عليه. وعند العودة إلى داخل جدران القلعة، أشعلنا نارًا، وسخننا قضيبين حديديين حتى صارا أبيضين من شدة الحرارة. وعند عودة الوحش في تلك الليلة،

فاجأناه وأعميناه باستخدام القضيبين.

كانت هناك ضجة مفزعة هزت الأرض من تحتنا. فكان الوحش يتخبط في الأرجاء بحثًا عنا. لكنه لم يرنا، وتمكننا من الهرب بدفع القارب وإنزاله بأمان في الماء. حاول الوحش تتبعنا بخوض المياه وإلقاء صخور ضخمة في المحيط.

أبحرنا إلى جزيرة التقينا فيها بسفن أخرى لرجال يتاجرون في بضائع. شعر أحد القباطنة بالأسى لحالي، وعرض علي بضائع تاجر مفقود يدعى سندباد. وعجبت لهذه الأخبار، وكشفت للرجال عن هويتي، وأخبرتهم أن هذه سفينتي.

وأبحرت متنقلًا من جزيرة إلى أخرى، أبيع ما تبقى من البضائع. وشاهدت العديد من الأمور المذهلة في الطريق، بما في ذلك سمكة على شكل بقرة، وطائر يفقس من صدفة. وفي النهاية، عدت إلى موطني، وأقمت وليمة ضخمة لأنسى مشاقي. وقطعت عهدًا على نفسي ألا أذهب في رحلة بحرية ثانيةً أبدًا.

اندهش سندباد الحمَّال من هذه القصة، وشكر مضيفه، وتأهب للرحيل. ودعاه سندباد البحار للعودة في اليوم التالي، والانضمام إليه على العشاء مرة أخرى.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح. وقالت دينا زاد لأختها: «يا لها من قصة مدهشة يا أختاه!» فردت شهرزاد: «هذا لا يقارَن بما سأرويه لكما غدًا إذا تركني الملك على قيد الحياة.»

الليلة السادسة والعشرون

في الليلة التالية، وبينما كانت شهرزاد في سريرها، قالت أختها دينارزاد: «رجاءً يا أختاه، اروي لنا إحدى قصصك الممتعة.» وأضاف الملك: «لتكن بقية قصة سندباد.» فأجابت شهرزاد: «على الرحب والسعة!»

بلغني — أيها الملك السعيد — أن الحمَّال عاد إلى المنزل في اليوم التالي. ومرة أخرى فُتحت البوابات، ووجد عددًا من الناس يأكلون ويرقصون داخل المنزل الجميل. استقبله سندباد البحار بالترحاب، وطلب منه الجلوس، ومنحه الطعام والشراب، ثم تابع البحار رواية مغامراته والأهوال العديدة التي واجهها.

نعمت بالاستقرار في بلدي والسعادة تغمرني، وعشت هناك سنوات عدة. لكن في أحد الأيام، سمعت بعض التجار يناقشون خططهم للقيام برحلة بحرية. وقررت أن أبحر معهم. وظللنا في البحر بضعة أيام فقط ثم ألقت بنا جميعًا عاصفة قوية من فوق المركب، وقذفتنا الأمواج إلى جزيرة صغيرة.

وعندما نظرنا إلى أعلى، رأينا عددًا من الرجال

يتجهون ناحيتنا. فحملونا إلى منزل كبير، وأخذونا إلى مَلكهم. ووضعت وليمة أمامنا، وبدأنا في الأكل. لكن بدا الطعام غريبًا، ولاحظت أن الملك لم يأكل منه. لذلك تظاهرت فقط أنني آكل، بالرغم من أن رفاقي كانوا يأكلون بشراهة. وبعد فترة قصيرة، بدءوا يتصرفون بغرابة ويتفوهون بكلام لا معنى له. ونمت هذه الليلة وأنا لا أزال جائعًا.

كان الملك ينصب كل يوم الموائد المليئة بالأطعمة الغريبة، وأتظاهر كل يوم أنني آكل. وأخذت في النحول أكثر فأكثر، في حين أخذ أصدقائي في الامتلاء والتصرف بحماقة متزايدة. وعندما رأيت ذلك، بدأت أفكر في أن الملك كان يسمننا ليأكلنا. وفزعت حتى إنني هجرت أصدقائي، وهربت واختبأت في الغابة عدة أيام جائعًا ومتعبًا. فتناولت الحشائش حتى أظل على قيد الحياة، وأخيرًا وصلت إلى شاطئ الجزيرة البعيد، وهناك رأيت سفينة ولوحت لها.

اقتربت السفينة، وسبحت إليها فارًّا من هذه الجزيرة المرعبة. وعدت إلى وطني حاملًا من ثروتي ما تمكنت من الاحتفاظ به. وكلما أفكر في ذلك المكان، أكاد أفقد الوعي من شدة الفزع.

اندهش سندباد الحمَّال من هذه القصة، وشكر مضيفه، وتأهب للرحيل. ودعاه سندباد البحار للعودة في اليوم التالي ومشاركته العشاء مرة أخرى.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح. وقالت دينارزاد لأختها: «يا لها من قصة مدهشة يا أختاه!» فردت شهرزاد: «هذا لا يقارَن بما سأرويه لكما غدًا إذا تركني الملك على قيد الحياة.»

الليلة السابعة والعشرون

في الليلة التالية، وشهرزاد في سريرها، قالت أختها دينارزاد: «رجاءً يا أختاه، اروي لنا إحدى قصصك الممتعة.» وأضاف الملك: «لتكن بقية قصة سندباد.» فأجابت شهرزاد: «على الرحب والسعة!»

بلغني — أيها الملك السعيد — أن سندباد الحمَّال عاد إلى المنزل في اليوم التالي. ومرة أخرى، فُتحت البوابات، ووجد أناسًا يأكلون ويرقصون داخل المنزل الجميل. استقبله سندباد البحار بالترحاب، وطلب منه الجلوس، وأعطاه الطعام والشراب، ثم تابع البحار رواية مغامراته والأهوال العديدة التي واجهته.

بالرغم من قولي إنني لن أغادر موطني ثانية أبدًا، خرجت للمرة الخامسة في رحلة بحرية على متن سفينة ضخمة مليئة بالبضائع للمتاجرة فيها.

وبعد الإبحار بضعة أيام، رأيت أنا وطاقمي قبة

ضخمة بيضاء اللون على جزيرة، فأبحرنا نحوها ورسونا بجانب الشاطئ. كانت بيضة، كسرناها بالحجارة لنفتحها ونرى ما بداخلها. وما إن فتحناها حتى أظلمت السماء. فقد حلق طائر ضخم فوقنا، وحجبت أجنحته الكبيرة ضوء الشمس عنا. وأدركنا أنها بالتأكيد الأم، لذلك أسرعنا عائدين إلى السفينة، وانطلقنا في البحر. لكن الأم ألقت صخورًا عملاقة علينا، وهشمت سفينتنا. فأمسكت بلوح من الخشب جيدًا، وقذفتني المياه إلى شاطئ جزيرة جميلة.

استكشفت الجزيرة آملًا في العثور على بعض الطعام، وعندها صادفت رجلًا عجوزًا جالسًا بجانب جدول مائي. طلب مني أن أحمله وأعبر به إلى الجانب الآخر، ووافقت على فعل ذلك. فصعد على كتفي وثبت ساقيه حول عنقي. وتمسك بي جيدًا حتى كدت أختنق، ولم أستطع إبعاده عني.

أجبرني الرجل العجوز على حمله في أرجاء الجزيرة طوال الليل والنهار، ونادرًا ما كنت أستريح. وفي أحد الأيام، عثرنا على بعض العنب، الأمر الذي أسعد الرجل العجوز للغاية. أخبرته أن بإمكاني تحويل العنب إلى شراب له، وابتهج لهذه الفكرة.

عندما أصبح الخليط جاهزًا، شربه الرجل العجوز وكأنه ماء. وابتهج كثيرًا وسرعان ما راح في النوم. فهربت منه بسهولة، وتوجهت نحو الشاطئ. التقطتني إحدى السفن المارة، وأخبرت البحارة بقصتي، واندهشوا عند سماعهم لها. وأخبروني أن الرجل العجوز الذي قابلته هو «رجل البحار العجوز»، وأن أحدًا لم يتمكن من الفرار منه من قبل.

أبحرنا إلى جزيرة غنية بالتوابل. وتمكنت من شراء عدد كبير من السلع هناك، وعدت إلى موطني، وبعت التوابل مقابل الكثير من المال.

اندهش سندباد الحمَّال من هذه القصة، وشكر مضيفه، وتأهب للرحيل. ودعاه سندباد البحار للعودة في اليوم التالي، والانضمام إليه على العشاء مرة أخرى.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح. وقالت دينارزاد لأختها: «يا لها من قصة مدهشة يا أختاه!» فردت شهرزاد: «هذا لا يقارَن بما سأرويه لكما غدًا إذا تركني الملك على قيد الحياة.»

الليلة الثامنة والعشرون

في الليلة التالية، وبينما كانت شهرزاد في سريرها، قالت أختها دينارزاد: «رجاءً يا أختاه، اروي لنا إحدى قصصك الممتعة.» وأضاف الملك: «اروي لنا بقية قصة سندباد.» فأجابت شهرزاد: «على الرحب والسعة!»

بلغني — أيها الملك السعيد — أن الحمَّال عاد إلى

المنزل في اليوم التالي. ومرة أخرى، فُتحت البوابات، ووجد أناسًا يأكلون ويرقصون داخل المنزل الجميل. استقبله سندباد البحار بالترحاب، وطلب منه الجلوس، وأعطاه الطعام والشراب، ثم تابع رواية مغامراته والأهوال العديدة التي واجهها.

بعد فترة قصيرة، أردت السفر مرة أخرى، فابتعت بضائع، وانضممت إلى مجموعة من التجار كانوا يعدون للخروج في رحلة بحرية. لكن تحطمت سفينتنا على إحدى الجزر، ولم ينج منا سوى عدد قليل.

صعدنا الأجراف الشاهقة في الجزيرة، وكدنا نفقد عقولنا لما رأيناه هناك. فالمجاري المائية بالجزيرة مليئة بالمجوهرات، وأشجارها مصنوعة من الزمرد واليشم. أبهرتنا الثروات الخلابة، لكن لم يكن هناك ما نأكله أو نشربه. مرت الأسابيع، ولم يبق أحد على قيد الحياة سواي. ملأني الحزن، وحفرت قبري بالقرب من البحر، وتأهبت للرقود فيه وترك الرياح تعصف بالرمال فوقي.

في تلك اللحظة، رأيت بعض ألواح الخشب التي قذفتها المياه من سفينتنا على الشاطئ. فاستخدمت هذا الخشب لبناء طوف ملأته بالمجوهرات. وجدفت على هذا الطوف في الماء، لكن بلغني من الجوع والتعب ما أفقدني وعيي. وعندما أفقت، كان الطوف مربوطًا إلى إحدى الجزر، ونظرت لأعلى فرأيت قومًا من الرجال يقفون حولي. أعطوني الطعام والشراب، وأخبرتهم عن مغامراتي. وبعد ذلك، اصطحبوني إلى ملكهم.

قدمت للملك بعض المجوهرات التي جمعتها، وكررت رواية قصتي له عن الأرض التي جئت منها. وأعد الملك، الذي اندهش للغاية، سفينة مليئة بالتجار للإبحار في ذلك الاتجاه للتجارة. وسُمح لي بالإبحار معهم، وبذلك تمكنت من الوصول إلى موطني ثانية. وكان لا يزال معي الكثير من المجوهرات، فعدت أغنى بكثير من أي وقت مضى.

تعجب سندباد الحمَّال من هذه القصة، وشكر مضيفه، وتأهب للرحيل. فدعاه سندباد البحار للعودة في اليوم التالي، والانضمام إليه على العشاء مرة أخرى.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح. وقالت دينارزاد لأختها: «يا لها من قصة مدهشة يا أختاه!» فردت شهرزاد: «هذا لا يقارَن بما سأرويه لكما غدًا، إذا تركني الملك على قيد الحياة.»

الليلة التاسعة والعشرون

في الليلة التالية، وبينما كانت شهرزاد في سريرها، قالت أختها دينارزاد: «رجاءً يا أختاه، اروي لنا

المزيد من قصصك الممتعة.» وأضاف الملك: «لتكن بقية قصة سندباد.» فأجابت شهرزاد: «على الرحب والسعة!»

بلغني — أيها الملك السعيد — أن الحَمَّال عاد إلى المنزل في اليوم التالي. ومرة أخرى، فُتحت البوابات، ووجد أناسًا يأكلون ويرقصون داخل المنزل الجميل. استقبله سندباد البحار بالترحاب، وطلب منه الجلوس، وأعطاه الطعام والشراب، ثم تابع رواية مغامراته والأهوال العديدة التي واجهها.

بعد رحلتي الأخيرة، قطعت عهدًا على نفسي ألا أترك أرض الوطن ثانية أبدًا. لكن رغبتي في الترحال كانت ملحة للغاية، فخرجت في رحلة بحرية أخيرة، بعد أن ملأت سفينتي بالبضائع المختلفة. وضربت عاصفة سفينتنا في بداية الرحلة تقريبًا، وقذفت بنا إلى أقاصي الأرض في مكان يُعرف باسم أرض الملوك.

سمعنا عن هذه الأرض من قبل، وعلمنا أن بها أفاعي بحرية ضخمة. وبلغنا أيضًا أنه عند مرور أي سفينة بها، تبرز أفعى عملاقة من المحيط، وتبتلع السفينة بأكملها.

وفي الوقت الذي كنا نروي فيه قصصًا عن هذه الكائنات المرعبة، رأى أحد رجال طاقمنا أفعى ضخمة كالجبل تخرج من الماء، وتتجه نحونا. ورأينا بعد ذلك أفعى ثانية وثالثة تخرج من الماء. ولخوفنا على حياتنا، جثونا على ركبنا وصلينا لله طالبين منه النجاة. فقامت عاصفة عاتية قذفت بسفينتنا على صخرة ضخمة. تحطمت السفينة، وأُلقي بنا جميعًا في البحر.

تمكنت من السباحة إلى جزيرة قريبة. وبعد نيل قسط من الراحة، رأيت جدولًا يجري بسفح جبل ضخم. فصنعت طوفًا صغيرًا من بعض الأفرع التي عثرت عليها، وارتحلت عبر هذا الجدول. وبعد وقت قصير، سمعت صوت اندفاع مياه. وقبل أن أدري، اندفعت هابطًا أحد شلالات المياه الكبيرة.

كنت على يقين أنني سأموت، فكنت أطير عبر الهواء ورذاذ الماء. لكنني لم أمت، فالصيادون الصالحون الذين كانوا يعيشون في هذه الأرض ألقوا شباكهم في الماء، وأنقذوني. وكان من بين هؤلاء الصيادين رجل عجوز اصطحبني معه إلى منزله.

بقيت هناك شهورًا عديدة. عاملني فيها الناس جيدًا، وأعطوني الطعام والشراب. لكن الناس كانوا يتحولون مرة كل شهر على نحو شديد الغرابة. كانت وجوههم تتغير، وتنمو لهم أجنحة. فيتحولون إلى طيور، ويحلقون بعيدًا.

وفي أحد الشهور، بعد أن ظهرت الأجنحة لدى

الناس، وكانوا يستعدن للطيران بعيدًا، رجوت أحدهم أن يحملني معه. وحلقت عاليًا للغاية في السماء.

توهج بعد ذلك برق شديد، وألقى بي المخلوق على قمة أحد الجبال. وحضر شابان، وأخبراني أنهما رسولا خير، وقاداني إلى أسفل الجبل. كما أخبراني أنني كنت في خطر عظيم، حيث إن الرجال المتحولين إلى طيور هم رسل شر. وقادني الشابان إلى الشاطئ، حيث كانت هناك مجموعة من البحارة يعدون لرحلة بحرية. سافرت معهم، ووصلت أخيرًا إلى الوطن. رحب بي أصدقائي، وسعدت للغاية بعودتي إلى موطني. وأقسمت بالله ألا أسافر في رحلات بحرية ثانيةً أبدًا.

قال سندباد البحار: «لقد علمت الآن كل ما عانيته قبل أن أتمتع بالثروات التي تراها هنا.»

فأجاب سندباد الحَمَّال قائلًا: «أستميحك عذرًا لشعوري بالحسد تجاهك.»

وبعد ذلك، لم يشكُ الحَمَّال حاله في الدنيا ثانيةً أبدًا. فكان يفكر في صعوبة ما تكبده التاجر ليجني ثرواته، وكل الشقاء الذي تجنبه هو. وعاش السندبادان معًا تربطهما علاقة صداقة حتى لقيا ربهما.

وهنا أدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح. وقالت دينارزاد لأختها: «يا لها من قصة مدهشة يا أختاه!» فردت شهرزاد: «هذا لا يقارَن بما سأرويه لكما غدًا إذا تركني الملك على قيد الحياة.»

قصص وحكايات الفوارس

الملك زرارة والملكة سفانة

الحلقة ٥ والأخيرة

رأس زرارة

أمر الملك بإدخال الأميرة لديوان الحكم ، وخيم الصمت على الحاشية ؛ لعلمهم أن مجيء ملكتهم القديمة للديوان لابد أن يكون لشأن مهم وعظيم تقدمت نحو كرسي العرش حتى أصبحت أمام الملك ووزيره ، وبعد إلقاء السلام قالت : جئت يا مولاي الملك إلى هذا الديوان ؛ ليكون الكلام أمامك وأمام الوزير وسادة البلاد .

رحب بها الملك وقال : شرفت مجلس الحكم في البلاد .

قالت: أقدر لك أيها الملك شجاعتك وحربك من أجل دم جدك الملك زرارة المقتول ظلما وعدوانا ! وأقدر لك خروجك الحرب لأكثر من سنة في مطاردة القتلة والمجرمين ! وأبارك لك إنشاء مملكة جديدة في بلاد صيرم .. وتمنيت لو أنك أسرت ذلك الخائن ؛ ليصلب في مدينته .. وأقدر لك بحثك عن أولادي وعن ذلك الكاهن الشيطان ؛ ولكني علمت أن الرأس التي دفنت في قبر أبي لم

تكن رأس أبي زرارة ، إنها جمجمة أخرى .

أصابت الدهشة الجميع لهذا النبأ ، وزاد تحديق العيون بها ، وبعد صمت قاتل قال الملك : وما أدراك أيتها الأميرة بذلك ؟ بأن الرأس لم تكن رأس جدي!

قالت : سمعت ذلك من إحدى الجواري .

قال : وكيف علمت تلك الجارية ؟! نحن تبعنا كلام الرجال الذين غدروا بالملك وشاركوا في الجريمة هم الذين دلونا على مكان الرأس .. هل ترين أنهم كذبوا علينا ؟ تكلم أيها الوزير !

التفت الوزير إلى الأميرة قائلا : أيتها الأميرة هل تظنين أننا مغفلون ؟ لقد قمنا بالتحقيق والتدقيق وهذه الجارية كيف علمت ؟

ردت الأميرة : إنها جارية من تلك المدينة .. وأهديت لي من قبل أختي بانة ـ وهي من الجواري التي أحضرن من صيرم من جواري الأمراء والسادة ـ فلما سمعت قصة الرأس قالت الملك زرارة قد أحرق رأسه .

قال : أحرق ! لا أيتها الأميرة ! أخذ الرأس لأن أكثر القتلة من اللصوص ، وبعضهم من

رجال الملك كضرار ، أخذوا الرأس لسوء ظن الملك بهم ، وليتأكد أنهم قتلوا ذات الملك ، وليؤكد لهم الكاهن أنه الملك.. إنه يتعامل مع لصوص .. ولماذا يكذبون ؟ لو حرق الرأس لقال بعضهم ذلك ..وأما أبناؤك فقد غادروا المدينة قبل وصول جيشنا .

صاحت محتجة : أنا لا يهمني أبنائي .. هم أبناء شداد .. تركتهم له وهو الذي قصر في حفظهم عليّ برؤية الجمجمة !

أمر الملك بعض الأمراء بالذهاب إلى قبر زرارة ، وأحضر بعض الحفارين ، وفتح لها القبر ، وأخرجت الجمجمة ؛ لتراها سفانة ، ولما رأتها صاحت فيهم : أهذا رأس أبي ؟

فقال القائد : هذا ما نعتقده أيتها الأميرة ! وسواء كان هو أم غيره بعد حين سيُصبِح رميما .

فنظرت إليه بحقد وقالت :رميم ! وهل يصير بعد الموت رميما؟!

قال : أليس هو إنسانا مثلنا ..كلنا سيصير ترابا .

قالت: تلك الخادمة كاذبة!

قال :لم نسمع أن رأس الملك حرقت ..كانوا يحتفظون به ليساوموا عليه من أجل السلام .

أعيدت الجمجمة إلى القبر ، وعادت الأميرة إلى قصرها ، واستدعت تلك الجارية وغضبت عليها ، ثم أمرت ببيعها ولو بثمن بخس .

وظلت الجارية تقسم أن رأس زرارة أحرق ، وأنهم خدعوا رجال الملك سيف

فقال سفانة: اذهب بها إلى للملك سيف في ديوانه ليسمع من فمها .

أخذها القيم للديوان ، وأخذها الوزير إلى حجرة ، وسألها عن سبب قولها بحرق رأس الملك ومن أين سمعت بحرق رأسه .

قالت بثبات : يا مولاي الوزير ! أنا لما سمعت بجلب رأس الملك الميت ، فعلمت أنها خديعة لأنني كنت إحدى خادمات القصر ، وعشت فيه منذ الصغر ، وكنت أخدم الملك والكاهن غياثا عندما استقر في ضيافة الملك ، وسمعته مرة يقول لرجل معه: لقد تم حرق رأس زرارة.. فقال الرجل : لماذا فعلوا ذلك؟! فرد قائلا حتى لا يساوم عليه في يوم من الأيام ولإخفاء أي

علاقة لنا بقتل الملك ؛ وإنما قتله اللصوص .

قال الوزير : حسنا يا لمياء ! ستحبسين حتى نتوثق من هذا الكلام .

وأرسل الوزير كتابا لابن ظفار حول رأس زرارة ، ولمعرفة الحقيقة ، وزار الوزير الأميرة وسألها عن الجمجمة فقالت : لا أدري ! هي عظام دون لحم . ترحم على الملك وغادر .



الخبر اليقين

تلقى ابن ظفار رسالة الوزير غالب والشكوك التي أثارتها خادمة سفانة حول رأس الملك زرارة فكتب للوزير أن الحسم سيكون بالقبض على غياث حيّا.

وأخبر ابن ظفار رجاله بأهمية القبض على هذا الرجل ، وأن المعركة لن تنتهي حتى يمسك به .

وكان ضرار شريك اللصوص في قتل الملك، ورجل الملك الخفي أعلمهم أنه بعد خطف أولاد سفانة أخذهم واختفى ،كما أقنع الملك بذلك ، وكان بعد مقتل زرارة يتردد على المدينة أو الملك خفية ومتنكرا .

أعلنت جائزة كبيرة فيمن ساعد في الدلالة عليه ، ورغم هذه الجائزة لم يتقدم أحد لتقديم معلومات عنه .

كثرت اجتماعات ابن ظفار بقادة أعوانه لتبادل الأنباء والخطط التي يستطيعون بها معرفة مكان غياث .

فقال أحدهم : رغم بحثنا في كل المدن المجاورة والمحيطة بهذه المدينة لم نسمع أن ملكا استضافه ورحب به كصديق للملك صيرم.

فقال آخر : إنه رجل يعيش في المدن الكبيرة .. فليس سهلا أن يقيم في قرية ، وقد تعود على حياة المدن وصداقة الملوك .. سعينا لدى الكهنة والدجالين في المدن التي قمنا بالبحث فيها ، لم يخبر أحد بأي لقاء معه .

قال ثالث :إنه مطارد ومدفوع ثمنا برأسه ، والثمن

مغر.

فقال ابن ظفار بعد سماع الكثير من الأفكار والكلام : ألا نستطيع وضع طعم له ؛ ليظهر ويخرج من وكره ؟

قال : طعم ..وما هو هذا الطعم الذي يخرج الشيطان من مخبئه ويغامر برأسه؟

قال عسكر : تذكرون أن له جارية اتخذها زوجة اسمها سمات ..فعندما حبسناه في بلادنا لقد ناشدت الوزير ليصفح عنه.

قال أحدهم :نعم ، عندما هرب من البلاد غادرت البلاد مع خادم ، وتبعها رجالنا يومذاك ، وجاءت للسكن والعيش في هده البلاد ، ثم تزوجت الخادم الذي خرج معها كما تبين من مراقبتها ..راقبناها ؛ لنصل بواسطتها لغياث، ثم أهمل أمره وأمرها ، ولم نسمع من حمزة الفارس عن أي لقاء بينهم .

قال عسكر : عليكم معرفة مستقرها .

قال : تذكرون أنها عملت جاسوسة للكاهن والملك زرارة في منفى الملكة عزوف .. وكافأها الكاهن بعد اختفاء الملكة من رقابة زرارة الملك بالزواج منها.

قال القائد : عليكم الانتشار ؛ لعله يحدث معنا كما حدث مع الفارس جابر في سوق نوف .. نحن نعلم أن الكاهن من الأذكياء .. ومهما أعطي الإنسان من الذكاء والفطنة لابد من غلطة هنا أو هناك .. ونقطة ضعف وغفلة.

أمر القادة رجالهم بتنفيذ أوامر ابن ظفار بالتسمع والتجسس عن الكاهن .

وحدث بعد هذا الاجتماع والانتشار ببضعة أسابيع أن جاءت رسالة للأمير ابن ظفار من الوزير يخبره فيها بأن الكاهن أطلق سراح أبناء سفانة ، ورجعوا لبلادهم ، وأن الأميرة تسلمت رسالة من الكاهن يعلمها بأنه أفرج عن أبنائها ، وأن لا يد له في قتل والدها الملك كما يشاع في طول المدن وعرضها ، وأن الذي أشاع ذلك ونشره الملك ابن صيرم وأتباعه ؛ لإلقاء عبء الجريمة عليه ، وليعفو عنهم الملك الشاب ؛ ولأنه كان مختفيًا بعد هربه من سجن حميد في بلاده ، واستغل الملك النعسان هربه ولجوئه إليه، وأن النعسان هو الذي سعى لقتل الملك بالسم لإشعال الحرب بين سيف وحميد ، ولما نجا الملك من ذلك استغل عودته لمدينته ، وأرسل إليه اللصوص وقائده ضرار وأتباعه والهدف قيام الحرب ، ثم يستغل ضعف حميد ليحكم بلاده ، ويصمت الملك سيف ، واعترف لها أنه هو ـ أي النعسان ـ خطف أبنائها لتأجيج الصراع ورهينة عنده يستغلها في الوقت المناسب ، وكلفه بالاختفاء بهم حتى يأتيه الأمر منه .. ولما علم بموت الملك ابن صيرم وموت ضرار تشجع وأطلق أبناء الأميرة ، وهم في الطريق

لبيوتهم وأبيهم ، وأنه كان يعيش

حياة رعب معهم ومع رجال ضرار ، واستغلوا ضعفه وهربه من بلاد اللؤلؤ ومن سجن حميد

وأعلم الوزير عسكرا أن الأميرة مصدقة لكل ما في الرسالة ، وأن الكاهن بريء من دم أبيها ، وأنه أعز وأهم صديق لأبيها ، ولا يمكن أن يخونه ويشارك في دمه .. وماذا يستفيد من قتله ؟ فلن يصبح وزيرا ولا ملكا .. وأما حديث الجارية عن الحرق فهي محتارة في فهمه بعد رسالة غياث .. وأعادت الجلوس مع الجارية ، وأكدت الجارية لمياء كلامها واتهام غياث بحرق الرأس وسمعته يتحدث مع الملك عن ذلك .

وكتب ابن ظفار أن لا حل إلا بأسر غياث ، وإذا صحت هذه الرسالة فهذا يدل على حياة غياث وأرسل بعض رجاله لمدينة حميد للتحقق من حياة الأطفال الثلاثة بعد هذا الزمن من الاختطاف ولعلهم سمعوا عن اسم المكان الذي كانوا مختفين فيه ، ووجدوا لديهم أنهم تنقلوا في عدة مدن وآخر مدينة مكثوا فيها اسمها نعمان ، ولم يكن معهم الكاهن لما سكنوها اختفى الكاهن ، وتركهم في رعاية خادم ..وقبل عودتهم لمدينتهم أتاهم الكاهن ، وأخبرهم أن الفرج أتى ، وأحضر لهم دوابا وساقهم إلى مدينة ، وكلف رجلا عجوزا بتوصيلهم إلى مدينة حميد مقابل أجرة وبصحبة قافلة .

فأرسل ظفار رجاله إلى مدينة نوف ونعمان ، وطلب منهم البقاء فيها مدة طويلة حتى يرسل لهم بالعودة .. وهناك وجدوا أحد أبناء الملك ابن صيرم يعيش فيها كعامة الناس ، وعددا من أمراء صيرم .. واستطاع رجال ابن ظفار معرفة سبب خطف أبناء سفانة منه ـ وهو المساومة في حالة أسر أحد قادة الملك صيرم ـ واستطاعوا الوصول للبيت الذي أمضى الأمراء فيه زمن خطفهم وحبسهم .. وكان خاليا من السكان ، ووضع تحت المراقبة .



سفر سفانة

كانت سفانة مقتنعة بكل ما أخبرها به الكاهن في رسالته إليها ـ الرسالة التي يبرأ بها من دم الملك ـ وأنه حشر في القضية رغم أنفه ، وأنه لا سلطة له على الملك النعسان وقادته ؛ لكن كلام الجارية عن حرق رأس الملك يدل على تآمر بينهم .

قابلت الملك ، واستأذنت بالسفر ؛ لرؤية أطفالها في بلاد الملك حميد مدينة جلال الدين ، وبعد تشاور مع الوزير قبلا ذلك ، وأرسل معها سرية من مائة محارب.

وحملت الهدايا لأولادها وزوجها والملك والوزير ، وحلت ضيفة على الملك حميد بعد ثلاث ليال واستقبلت بالترحاب ، وقابلت أولادها الثلاثة ، وفرحوا بلقائها وحدثوها عن رحلة عذابهم ، وتنقلهم في عدة مدن .

وزارت والدة زوجها ، وقدمت لها هدية قيمة ، وقضت عشرين يوما في المدينة ، ثم قفلت عائدة لبلادها .

وزارتها خلود وبانة عندما علموا برجوعها ، وسألوها عن حال أطفالها بعد اختطاف طويل ، فطمأنتهم عليهم ، وأنهم بصحة جيدة رغم ما عانوه من ترحال وأمراض خلال تلك الشهور وفوجئوا أنها سألت عن أمها عزوف فقالت خلود : عجيب أول مرة تسألين عن أمك! أليس هذا غريبا يا بانة؟!

قالت سفانة : أعرف ؛ لكني سمعت أنها مريضة أثناء غيابي .

فقالت بانة : جميل أن تنقل لك الجواري حال أمنا ! أمنا تحسنت صحتها ، وهي تسعى لتزويج أخينا قبل موتها .. فقد طلبت له بنت إحدى أخوالنا .

قالت : صار في سن الزواج ..كم عمره؟

قالت خلود : سبع عشرة سنة .. والأميرة نوارة جميلة ، وتحب عمتها الملكة.

فقالت : أيقبل خالي زواج ابنته من ابن لص؟

صاحت خلود محتجة: لص ! كأنه لا لص في الدنيا إلا هو.. لا تنسي أن هذا اللص قريب لأمك .

قالت بانة : والأمير شجاع ! وهو يتدرب في الجيش ، وذهب مع الملك سيف لبلاد صيرم .. وقد يصبح أحد قادة الجيش إذا تقدم به العمر.. الملك سيدفع مهر خاله .

رددت سفانة : الملك سيدفع المهر .

وقالت بانة : وسيقام له حفل كبير في المدينة.

قالت بتحزن : ودم أبي .. ورأس أبي.. يعملون حفلا ودم أبي لم يبرد!

قالت خلود : ويلك! أبوك له سنتان ميت .. هل بقي حزن وحداد ولا فرح ولا زواج؟!

قالت : إنه أبي ..نعم ، أنتم لا تحبون الملك زرارة.

قالت : وهل هناك فتاة لا تحب أباها يا سفانة ؟ !أنت تبالغين في حزنك في مقتل أبيك .. وقد اقتص الأبطال لمقتله ومات الملك ابن صيرم مغموما مقهورا ومملكته أصبحت مملكتنا ، وتفرقت ذريته في كل المدن والأمصار.

قالت : أنتن حبكن ضعيف ..ولا أخال أمي بكت عليه دمعة واحدة .

قالت : حتى لو لم تبكي عليه .. فهو قد طلقها ، وتزوجت غيره .. وأنت مخطئة .. أمي حزنت عليه ، وبكت عليه أكثر منك .. وهي علمت بموته قبلك وليس الحزن بطول المدة .. وأفهم من

كلامك أنك لن تشاركي في حفل زواج أخيك بادعاء الحزن على أبي.

هاجت وقالت : آنا أفرح بعد موت أبي قتلا وغدرا! لا أستطيع أن أفرح أن أضحك.. لن أفرح قبل رؤية الكاهن غياث وأسمع الحقيقة منه الحقيقة كلها.

قالت بانة : ويلك أي حقيقة ! فهو الخائن والشرير ومشعل الحروب .. أراد تدمير بلادنا وبلاد حميد بقتل زرارة وخطف أولادك .. حاول قتله بالسم ؛ ليتهم الملك حميد باغتياله .. وهو الذي أرسل اللصوص بعد جمعهم في بلاد صيرم ؛ ليغتالوا الملك لما علموا بعودته لوطنه ومسقط رأسه وهو الذي قطع رأسه .. ومن حسن حظك أنكي لم تكوني معه وإلا لأسروك وباعوك جارية لأحد الأسياد إن لم يقتلوك .

قالت خلود : زواج الأمير رياض فرصة لتتصالحي مع أمك المجروحة منك ..فهي ما زالت غاضبة ناقمة عليك ؛ وربما جزعت على خطف أولادك أكثر منك .

قالت بتبجح :أنا لم أحزن على خطفهم ؛ لأني تخليت عنهم لأبيهم .. إنهم أولادهم .. إنهم يعيشون هناك .. لم يطلب أحد منهم مني البقاء معهم في زيارتي لهم.

قالت بانة: يا أختيي إنك تخليت عنهم باسم الحزن .. يا سفانة كان بإمكانك العيش معهم مع قبولك طلاقك .. الحزن ليس له مكان ثابت .. كان بإمكانك العيش معهم كزوجة مهجورة أنت بدأت بظلمهم والتخلي عنهم ..الناس تسخر من حزنك ، وتصفه بالمصطنع الحزن الوهمي ما هذا الحزن ؟!

قالت بغضب : هل أغني وأرقص وأجلس مع الشعراء كما تفعل بعض الأميرات ؟ إنه أبي.. أبي المظلوم .

قالت خلود : مظلوم ! ولماذا مظلوم؟! أليس هو الذي طلب العيش في النفي ؟

قالت : وهل هو الذي طلب خلع نفسه ؟

قالت بانة : لم يعد يصلح للحكم والملك ، أصبحت البلاد تحت حكم الكاهن غياث .



رسالة

بدأت الاحتفالات بزواج خال الملك سيف الأمير رياض بن مناع ، فكانت ساحة الاحتفال تشتعل بالنيران والمشاعل كل ليلة للهو واللعب والغناء والطعام.

كان غلام يطرق قصر الأميرة سفانة ، وقال الغلام

الطارق للحارس : رسالة للأميرة سفانة بنت زرارة .

أمسك حارس البوابة الرسالة ، وأغلق الباب ، واختفى الغلام في الظلام ، ودفع الحارس الرسالة لجارية من جواري الأميرة لدفعها لها ، أخذتها لمولاتها الأميرة التي ما زالت ساهرة تلك الليلة الصافية فقالت : رسالة يا مولاتي !

قالت: الكاتبة مستيقظة !

قالت : لا أدري .. هل أوقظها لك؟

عادت الجارية تصحب الكاتبة لقراءة الرسالة ، أخذت الرسالة وفتحتها وقالت : هل أقرأ ؟

نهضت الأميرة عن سريرها وقالت: قبل أن تبدئين ممن ؟

قالت الكاتبة : إنها من شخص سمى نفسه غياثا ؛ كأنه الذي كتب لنا قبل شهور

قالت باضطراب : الكاهن ! هات الرسالة .

أعطت الكاتبة الرسالة للأميرة التي نظرت فيها ، ثم قالت : انصرفي سأقرأها بنفسي .. إنها رسالة خاصة.

غادرت الكاتبة وتبعتها الخادمة بإشارة منها ، فأدركتا أن الرسالة مهمة وخطيرة، قرأت الأميرة بعد التحية والسلام وتمني الحياة السعيدة لها

أنا أكتب لك كرة أخرى يا مولاتي الملكة! إنهم يزعمون أني تآمرت على حياة مولاي الملك صديق العمر الوحيد ..كان الأخ لي والوالد ..ويزعمون أنني خطفت أولادك .. وأنا تسببت في عزل الملك ، وألقيت في السجن ..واستطعت الهرب بها معي من مال وعون من أبيك .

ولما وصل مولاي الملك بلاد حميد تشرفت بزيارته ومكثت ضيفا عنده أسبوعا ، وتجدد الحب بيننا بعد ابتعاد سنوات .. وهذا ضايق حميد ووزيره وحذروا الملك مني ؛ كأنني عدو له .. كانوا متخوفين أن أحث الملك للعودة للبلاد ملكا ومطالبا بعرشه الذي خلع عنه بكل قسوة وتجبر .. وهذا حقه خاصة بعد أن تزوجت بموافقته .. وكان زواجك هو الصحيح وحده ، وبموافقة الأب .. فضيقوا عليّ ورموني في السجن .. ولم يستطع مولاي إنقاذي كما تعلمين .. وكان الملك الغالي يرسل الطعام إلي في السجن ، ودعمني بالمال حتى تمكنت من الهرب برشوة الحراس .. وهربت مع بعض المساجين إلى بلاد الملك النعسان ، ولي معرفة به ومع منجميه .. واستغل قصتي لأثارة الحرب بين المدينتين ؛ لأنه كان يحلم بضم بلاد حميد إلى مملكته منذ عهد أجداده وأبيه.. فجعل من صداقتي للملك زرارة سلما لغزو بلاد حميد .. فسعى لقتل زرارة بالسم ؛ ولكنه فشل وكشف أمر التسمم .. ولما انتشر خبر عودة الملك لبلاده اتخذها فرصة لقتل الملك بواسطة اللصوص الذين

يستعين بهم ؛ لإثارة النزاعات لجيرانه من الملوك طمعا ببناتهم وأموالهم ولنفي التهمة عنه إذا كشف أمر اللصوص .. وإنه لا علاقة له بهم .. وأنا لا علم لي بذلك التدبير يا أيتها الملكة العظيمة .. أنا فقط نزيل وضيف على بلاط الملك ، ولم يكن يشاورني في خططه ومكره .. وهو الذي خطف أطفالك ، وكلفني بحراستهم خشية على حياتهم من اتباعه ، وإنهم سيكونون رهائن لحاجة تحدث بينه وبين بلاد الملك سيف .

من أنا ـ يا مولاتي الملكة ـ ليأخذ رأيي أيتها الملكة ؟! أنا فار وطريد من قبل بلدكم وبلد حميد وكان هدفه من موت الملك العظيم إثارة الحرب بين بلادكم وبلاد حميد حتى إذا هجم عليها فلن تدافعوا عنها ؛ ولكن لم يحدث ما توهمه .. وحكم الوزير غالب عقله وعرف الغاية من هذه الجريمة مما دفع الملك لإرسال اللصوص وبعض جنده للتمهيد للحرب .. ولما رأى صمت الملك سيف تجرأ وغزا البلاد .. وكانت الطامة الكبرى عليه وعلى مملكته .. واختفى في الجبال البعيدة خشية الأسر ولرفض أي ملك التعاون معه وحمايته ..وأنا استسلمت له خشية على حياتي ولأني رجل مطارد ومطلوب في بلدي وبلد حميد .. فقبلت بمهمة حراسة أولادك وهدفي الأول حمايتهم وحفظهم حتى يحين وقت نجاتهم .. ولما علمت بموته وقتل ضرار زعيم المهمات الخاصة والخطرة للنعسان أوصلتهم لأهليهم سالمين .. وكتبت لك بذلك لتعلمي إخلاصي لأبيك ولَك .. ولا أريد منك جزاء ولا شكورا.

وأنا بكيت كما لم أبك من قبل لما جيء برأس الملك حتى أن النعسان قال : رأس صاحبك .. هذا رأس قد نملك بسببه بلاد حميد يا غياث.

زاد البكاء لدي فقد كان الأمر صعبا عليّ ؛ لكنني طريد وأسير لديهم ..وأنا لم أمر بحرقه كما وصلني الخبر ؛ بل تجرأت واقترحت أن يعاد الرأس لبلاده خفية ؛ ولكن لا رأي لمن لا يطاع وهم أحضروا ذلك الرأس ؛ ليطمئن الملك على تنفيذ المهمة .. فهو رغم ثقته بضرار فهو لا يثق باللصوص وتآمرهم مع ضرار ، ووضع جائزة للصوص الذي اشتركوا في الجريمة وطمسها .. فالملك النعسان لم يتقابل بالملك زرارة ولو كرة واحدة .. أنا لا يد لي ولا حول ولا قوة عندهم وأنا بريء من دم الملك .. والآن رجال الملك سيف والأمير ابن ظفار يزعمون أنني وراء هذه الجريمة والاغتيال ، ويعتبروني القاتل الأول ويضعون الجوائز للقبض عليّ .. أنا مظلوم أيتها الملكة ، ولا كان بإمكاني منعهم من تنفيذ تدبيرهم ومكرهم ..ولم أحرق رأس مولاي ، ولم أدس له السموم .. وأنا لا يمكن أن أخون ولي نعمتي وسعادتي ..

وأنسى العز الذي كنت أعيشه في حياة وعز مولاي زرارة.
هل تصدقين أنني أستطيع أن أحكم على الملك النعسان ورجاله الخلص ؟ وأن يقتل وأن يغزو بأمر مني ؟وماذا أستفيد من غزو حميد ؟!
وأنا سأكون في انتظارك ليلة زفاف الأمير رياض في الغابات الغربية ؛ لتسمعي مني شفهيا .. عندما أراك في الغابة سأظهر لك ؛ لأني ـ كما تعلمين ـ مطلوب القبض عليّ ليحكم عليّ بالموت بقتل صديقي الملك زرارة .. وإنما أطلب حمايتك إذا أنت قادرة على حماية صديق أبيك .. وأنا مستعد لتسليم نفسي للملك الشاب وتقديم رأسي للجلاد إذا هم مؤمنون بأني قاتل صديقي الملك .. أنت الوحيدة التي تستطيع إنقاذ حياتي للصداقة الصادقة التي كانت تربطني بأبيك الملك ؛ فإذا قبلت اللقاء بي يا مولاتي الملكة ستعرفين كيف ستحمينني من سيف الجلاد ؟ وأنا ما زلت وفيا لأبيك حتى آخر نفس ، ولم أتآمر على حياته ..إنهم يقولون مالا يعرفون ؛ فإذا كنت محبة لأبيك عليك المحافظة على حياتي .. فاحميني من ابن ظفار وأعوانه ؛ ليعفو عني ، وأعيش ما قدر لي بسلام؛ ليتحقق السلام لمولاي الملك في قبره .
كررت الأميرة القراءة بضع مرات ، وتذكرت أنها تعرف الغابة الغربية في المدينة وذهبت إليها مرارا أيام الشباب وقالت لنفسها : إن اللقاء في الليل سيكون مغامرة ومخاطرة .. الجارية التي تحدثت عن حرق الرأس أين اختفت ؟ لماذا تكذب ؟! نسيت قصة غياث مع أمها وتسببه في طلاقها ، ونسيت تزوج أمامة سرا ، وكذلك خلود وبانة نسيت أشياء كثيرة ؛لأنها لا تريد أن تصدق وتهضم أن الكاهن يخون والدها ، ويسعى في قتله .. فكانت تقول : لعله فعلا مظلوم من هو ؛ ليكون له التأثير على أبيها الملك وعلى ابن صيرم ؟! من هو ليتآمر على قتل أبي الذي ساعده في الهرب من سجن هذه المدينة وسجن بلاد حميد كما اعترف لي أبي ؟ هو يطلب حمايتي ليموت بسلام ، كيف سأحميه ورأسه مطلوب ودفع فيها عشرة آلاف قطعة ذهبية .. ألديك الشجاعة لتلتقي بذلك الكاهن ؟ أذكر كم فرح وسعد أبي عندما التقاه في بلاد حميد ؟ ليلة الزفاف ستكون ليلة الجمعة القادمة ستكون المدينة في حفل كبير حتى الفجر .. هل أستطيع حماية الكاهن من أجل خاطر وروح أبي ؟ هل سيقبل الوزير أو الملك سيف شفاعتي ؟ اتخذت سفانة القرار الحاسم وهو لقاء الكاهن في الغابة ، ستتظاهر بأنها ستشارك في ليلة العرس ستذهب وحدها وعلى متن جوادها .
أشاعت في الصباح أنها ستذهب لحفل العرس في قصر أمها ، وتتصالح معها بهذه المناسبة الكبيرة .

ولما دخل الليل أمرت غلمانها بإعداد الجواد الذي ستذهب به إلى قصر الأم والأخ وكان الحرس قد سمعوا برغبتها بالمشاركة في آخر ليالي الحفل ، ففتح لها الباب الحارس وقد رفضت مرافقة أي خادم وحارس لها ، وقد اعتبروا صلحها مع أمها شجاعة وبادرة طيبة .

والأميرة معروف لديهم بحسن ركبها للخيل منذ طفولتها ، خرجت وهم يرقبونها باتجاه قصر أمها وأخيها رياض ، ولما اختفت عن أنظارهم لبست عباءة سوداء فوق ثيابها واتجهت إلى جهة الغابة الغربية التي تعرفها حق المعرفة .. وكم من المرات طرقتها قبل رحليها مع الملك زرارة ، ابتعدت عن بوابات الطريق إلى الغابة .. لما وصلت إليها كان القمر يملأ الفضاء نورا لم تَر غياثا لأول الأمر فقالت : إنه يرقب المكان ؛ ليتأكد أنها وحدها فحسب ، وليس معها كوكبة من الفرسان والحرس .

تخلت عن الجواد وربطته في جذع شجرة ، وأخذت تحدق فيما حولها ، ثم رأت شبحا يخرج من بين الأشجار متقدما نحوها ، فهمست : نعم، هيئة غياث .

تقدم إليها مسلما وحانيا لرقبته وقال بعد التحية : كنت الوحيدة التي يحبها الملك ـ رحمه الله ـ من بين كرائمه ..وأنت كنت أكثرهم برا وعطفا به.. أنت شجاعة أيتها الملكة !.. كان والدك يجلك ويعترف بفضلك عليه وطاعته ..كان دائم الثناء عليك في محنته مع قومنا أو في تلك البلاد.. ولولا الضغط والحياء الذي تعرض له ما سمح بزواجك .. وكان لا يرغب في البقاء في بلاد عزلته عن الحكم ..كان غاضبا ناقما على الوزير أوس وغيره أيتها الشجاعة ! حياتي مهددة بالخطر والموت زورا وظلما .. هل أنا الذي يقتل صديقه ؟! لماذا ؟! ما الذي أجنيه أيتها الملكة من خيانة صديقي ؟! أأنا اقتل صديق العمر حبيب العمر وأخون ولي نعمتي من أجل ماذا ؟! أأضع له السم وهو الذي بسط عليّ حمايته من أيام الشباب ؟ ولولاه لنال مني أوس وغيره أنا فسرت المنام بما عندي من العلم أنا يا مولاتي بريء بريء بريء من دم الملك كما كتبت لك . أنا لا سلطة لي لأقتل وآمر كنت ضعيفا في بلادكم لا حكم لي ولا قوة وكنت هاربا مطلوبا عند النعسان وجعلوني سجانا لأبنائك أليس هذا من ضعفي ؟ وكان يتكلم ويبكي .

قالت لما صمت : أنا أصدق أنك بريء يا غياث ! أصدق أنك ضعيف وأصدق هذا الدموع على أبي ! ولكن تلك الجارية ..

قال وهو يمسح دموعه بكم ثوبه : تلك الجارية مدسوسة لم يحرق رأس الملك .. ولماذا يحرق ؟ دفن ثم نقل لقبر حبيبي زرارة ليتني أدفن جنبه

حين موتي .. فهذه جارية ماكرة ..تريد أن تنتقم وتثير الفتن حول رأس الملك العظيم.. أنا سمح لي برؤية الرأس ذاك اليوم المؤلم ؛ ليتأكد الملك أن المقتول الملك زرارة ؛لأنه كان لا يثق كثيرا برجاله ، ويخشى خديعتهم له طمعا بأمواله وأنا أشرفت معهم على دفن الرأس .. وكان القائد ضرار هو الفاعل لكل شيء .. كانوا يسعون للاطمئنان على أني معهم .. ولست عينا عليهم .. أنا كنت أعيش معهم في رعب وخوف وموت وكان عليّ أن أظل تحت أعينهم ؛ لأني أعرف أنهم قتلوه .

وبكى وابتكى ، وترحم على مولاه الملك ، ثم ركن للصمت ، ولما طال الصمت بينهما . قال : أخشى أن يكون للوزير يد في مقتل مولاي زرارة . هتفت : الوزير كيف ؟!

فقال : هو الذي له عيون وجواسيس في بلاد حميد وبلاد صيرم ..وهو الذي وافق على عودة الملك لبلاده ، ولم يرسل جندا لحمايته ، ولم يطلب له حماية من الملك حميد .. فلما سمع النعسان بمقتل الملك أثناء الطريق أراد الاستفادة من مقتله ، فغزا بلاد حميد وأسر أطفالك؛ ليزيد من اشتعال النار ويثار لأبيه وجده .

قالت :كان هناك تقصير من الملك سيف ومن الملك حميد ؛ لكن من الصعب أن يكون الوزير متآمرا على حياة أبي مع لصوص ابن صيرم .. لا يكفي التفكير في هذا الاتهام ..هل كانت عودته حيّا تشكل خطرا على البلاد والحكم ؟ لا أعتقد.. أبي منذ خلع لم يعد يرغب بالعودة للجلوس على كرسي بدون حكم حقيقي.. أنت تعرف أن الحاكم الحقيقي في بلادنا الوزير أنا جئت لمساعدتك في النجاة من القتل .. وأعرف لماذا أصرت الجارية لاتهامك بحرق رأس أبي؟ هي أهديت لي بعد فتح بلاد صيرم .. قيل إنها من جواري الملك الهارب .. جلبت تلك الجواري وبعن في بلادنا .. وذكرت أنها تعرفك وخدمتك في قصر الملك عندما تحل عليه ضيفا

قال : كنت وحيدا يا مولاتي! لا خدم ولا حشم ..كان لديّ غلام وهبه لي الملك قبل أن أهرب من السجن بمعاونة من مولاي .. وفهمت أنه هدية منك لمولاي زرارة ، ثم هرب من عندي .

قالت : ماذا تريد مني لحمايتك يا غياث ؟

قال بانكسار : يريدون رأسي ، ويدفعون الأموال فيه ، وهم يطاردونني للنيل مني .. والله يحميني منهم لحتى الآن .

قالت : أعرف ذلك .. فالوزير وغيره يتهمونك بالمشاركة في قتل أبي والدسائس والمؤامرات .

قال : هم يفعلون ذلك حتى لا يتهموا بالتقصير في الحفاظ على حياة الملك .

قالت : حسنا أيها الكاهن الطبيب الصديق الوحيد لأبي المظلوم ! أنا أصدق براءتك من دم أبي لما أعرفه من حبك له ؛ وربما أنت الوحيد الذي أحبه في بلادنا كلها .. سأحميك كما تحب؛ ولكن كيف ؟

قال بلا تردد :الحل بسيط يا مولاتي الملكة ! اسمحي لي قول ذلك .. وهو أن تقبلي بي زوجة وقرينة ولو صوريا .

رأت الأميرة أن هذا هو الحل الوحيد لحماية حياة غياث من بطش الخصوم ؛ ولكنها تركت زوجها وأولادها حزنا على أبيها ، فكيف تتزوج من جديد ؟ ولكنها تتذكر أيضا حب أبيها لغياث وسعادته لما جاءه في بلاد حميد .. وكيف طلب منها أن تطلق زوجها من أجل حياته وإخراجه من السجن ؟

وأخرجها من خطرات قلبها قوله : اليوم يا مولاتي حياتي في عنقك أنت لن أمسك يا مولاتي ! فلست أهلًا للنكاح والجماع منذ عهد ملك أبيك؛ لكني سأكون زوجك أمام الناس ..علمت ببغضك للمعاشرة الزوجية بعد موت والدك .. وكانت سبب طلاقك من الأمير شداد ورحيلك.. أنا لا أرب لديّ لذلك ؛ لكنني اسمي زوج لك .. سيتركونني أعيش بسلام حتى أموت بسلام .. وقد يسمحون لي بالعيش في بلادنا ولو بعد حين .. ويرفعون جائزة الفتك بي لو كان الملك حيّا لوافق على ذلك من الحب الذي كان بينا يا مولاتي الملكة!

قالت : كيف سنتزوج ؟وأين سنسكن ؟!

قال : إذا لم نتمكن من الزواج في هذه البلاد نتزوج في إحدى المدن ونشهره وبعد حين نعود إلى مدينتنا هذه كزوجين .

كانت فكرة غياث فكرة ذكية وعجيبة ؛ لذلك قالت لنفسها : وهل يقبل القوم بزواجي وبهذه الحيلة ؟ إنهم يعتقدون أن الرجل من القتلة ودفعوا في رأسه ثمنا عاليا ؛ لكنه كان محبا لأبي ومحبوب أبي دون بناته الأخريات دون أمي .

قالت : أنا مقتنعة بهذه الحيلة الشجاعة يا غياث ؟ كيف سألقاك لأنقل لك موافقتي وتدبير أمر زواجنا دون علم أحد من بلادنا .

قال : سأنتظرك في مدينة نعمان التي تعرفينها حيث قد أمر النعسان بحبسي مع أولادك بحجة حمايتهم .. سأسكن في حي قربان أكبر الأحياء .. وفيه أغنياء المدينة وتجارها .. سأعمل في تجارة العطارة إما أجيرا عند أحدهم وإما أعمل وحدي وعندما تأتين المدينة تبحثي عني في سوق قربان حيث العطارين وسأجعل عمامتي خضراء . قالت : سأفكر بعمق في هذه المغامرة

فقال : وإذا تزوجنا نصبر حينا من الزمن ، ثم نعود للبلاد بعد أن ينتشر ويشيع خبر زواجنا بين أهل المدينة ..ففي هذه الحالة تحمينني من القتل ، وترضى عنك روح أبيك الذي لا يمكن أن يصدق

أني شاركت في قتله وخيانته ..وتكونين قد أنقذت حياة أعز صديق له .. وسيعترف الناس بشجاعتك ، وإنقاذ حياة أخ أبيك غياث الكاهن المسكين.

ردت :حسنا ! إذا قبلت بك زوجة يا غياث سآتيك خلال ثلاثة شهور إلى تلك المدينة.. إني أعرف تلك المدينة لقد زرتها أيام زواجي من شداد .. فله أخت تعيش فيها .. سأزعم أني سأزور الأولاد ، ثم أرحل إليك لإنقاذ حياتك.. أنا لا أنسى حب وسعادة أبي لك ..كان كثير الذكر لك بعد هروبك من سجن حميد .. أنا أحب من يحب أبي ، ولو كان أبي ميتا .. وإذا لم أحضر خلال هذه الشهور فاعلم يا غياث أني عاجز عن الزواج بك أو بغيرك .. واحفظ حياتك ؛ لعلي أستطيع إقناع ابن أختي سيف بالعفو عنك من أجل خاطر جده والدي ، وأنك صديقه ، ولا يمكن أن تخونه وتقتله .. فكما أنا مقتنع فلعله يقتنع ..ليس لي من أصدقاء أبي إلا أنت ..كلهم نسوه ، وانتهى حزنهم عليه بعد دفنه بأيام .

تمتم : رحمه الله ، رحمه الله

أعطته صرة من المال ، وعادت أدراجها إلى المدينة تفكر بإنقاذ غياث ، ولو بقبوله كزوج.

السفر

رجعت سفانة إلى القصر مع تباشير الفجر ـ وكانت الجواري في قلق عليها ـ فعمت السعادة لما أصبحت في جوف القصر ، وكان الكل يسأل نفسه أين كانت كل هذه الساعات ؟! لقد تبين لهم أنها لم تذهب لقصر أمها ، وانتشر خبر غيابها في بعض القصور حتى علمت به خلود وبانة والملك سيف ، فبعد انتهاء العرس نهار الجمعة زارتها الأختان تسألان عن هذا الغياب .. ولماذا لم تذهب لقصر أمها وأخيها كما انتشر الخبر بين خدم القصر الصغير ؟



فقالت: خرجت لأزور أمي وأبارك لها زواج ابنها ، وأنسى زواجها من ذلك اللص مناع .. حاولت نسيان ذلك الوصف حتى لا تغضبوا مني ، ثم لم تطاوعني نفسي لدخول القصر والمشاركة في الفرح والعرس .. فتجولت في أحياء المدينة قلت إنها فرصة لم تتاح لي من قبل ، ثم قفلت راجعة مع نور الصباح ..آه كم سررت من ذلك !

قالت بانة بغضب :ألا تخشين على حياتك ؟ رغم الأمان الذي يغمر البلاد ؛ لكنها لا تخلو من لص أو فاتك .

قالت : وما أدراه أني أميرة ؟

قالت : من الجواد والسرج الثمين من الثياب .

قالت : كانت الدنيا ظلماء .

قالت خلود : مهما يكن قد يطمع طامع بالجواد .

قالت : وأين الشرطة والعسس ؟

قالت خلود بتبرم : الدنيا لا تخلو من الأشرار واللصوص .

قالت : هذا ما حصل يا أخوات! ليس لي عشيق أسهر معه وأتسلل إليه .. وأنا لم أعرف ذلك أيام الصبا.

قالت بانة : علمت أن الحدث وصل للملك ، واستاء من هذا الفعل، لقد نقل إليه كما نقل إلينا وقال: أميرة تترك البيت ليلا ، وبدون حرس وحماية استهتار وحمق

قالت بضيق : حمق ! الحمد لله لم يحصل لي شيء.. وما أخبار أخيكم الذكر .

قالت خلود : غضبان منك لعدم حضورك بعد أن شاع أنك ترغبين بزيارة أمك .. كان يرى أنها فرصة لتصفية القلوب من الشحناء ، وعودة الصفاء بينك وبين أمك أنت تريننا كأننا لا نحب أبانا .

قالت سفانة : بعد زمن سوف أرحل للعيش مع أولادي .. وهل يسمح لي الملك سيف ووزيره بذلك ؟

قالت خلود : العيش مع أولادك .. ألم تعودي من عندهم من وقت قريب ؟ أتريدين العودة لشداد ؟

قال بشدة : لا ، أرحل لرعايتهم حتى يتزوجوا .. فقد طاب لهم أن أعود إليهم .. أرجو أن لا يعارض الملك.

فقالت بانة : هو سوف يعارض ؛ ولكن من أجل الأبناء قد يستسلم لرغبتهم .. أما نصيحتي فأن تنسي أولادك ، وقد تعودوا على غيابك ، وتزوجي أميرا من أمراء المدينة .

قالت : يا إلهي ! أعود للحبل والحمل.. المهم تحدثن عن ذلك أمام الملك وبعد ردة فعله أفاتحه بنفسي بهذا الأمر .

استغرب الملك هذه الرغبة بعد هذه السنوات من الفراق ، ولم تتحدث عن تلك الرغبة لما عادت مباشرة ، ولم يعلق الملك على هذه الأنباء ؛ فكان الملك يرى أن تصرفات خالته من بعد موت والدها مضطربة غير منطقية .. الحزن الحاد الطلاق عدم الاهتمام لخطف الأولاد .

وهز الوزير رأسه وقال : إنها أم!

ولما مضى الشهر على لقائها بغياث استأذنت الملك والوزير بالرحيل لزيارة أولادها ؛ وربما البقاء عندهم .. والغريب أنها طلبت مرافقة خمسة فرسان فقط ، وسترافق قافلة تجارية .

وبعد تردد وتشاور وافق الملك على ذهابها ، وأتبعها الوزير برجلين خفيين .

ولما وصلت للمدينة استقرت عند أولادها ، والقوم في دهشة لعودتها السريعة ؛ ولكنها بينت

أنها زيارة عاجلة ، ستمكث عشرة أيام بينهم ، وطلبت من حرسها العودة للبلاد ؛ لأن إقامتها عند أبنائها ستطول .. وصدق كل طرف كلامها .. وجاءت بدون أن تصحب خادمة أو خادما ولتقنعهم بأنها إذا عادت سيصحبها حرس من حرس الملك حميد .

وخلال أيام كانت تبحث عن قافلة ستسافر إلى مدينة نعمان ، واتفقت مع قائد قافلة على ذلك وأنها متزوجة في هذه البلاد ، وعلى أنها راغبة بزيارة أهلها ، وأنها من عامة الناس ، حيث أنها كانت تخرج للسوق للشراء ، ولم يشك أهل بيتها بفعلها ذلك ، وكانت تصرفاتها طبيعية .

ولما خرجت القافلة من المدينة ببضع ساعات لحقت بها على جواد اشترته لهذه الرحلة ، ورحب بها القائد ، وكانت زعمت لأولادها وخدمهم أنها ستعتكف في مسجد الأولياء ثلاثة ليال ، وهو من المساجد الكبيرة في المدينة .

ونعمان تبعد أربعة أيام عن بلاد حميد ، ولما لم ترجع الأميرة بعد ثلاث ليال ، أخبر الأولاد والدهم عن اعتكاف أمهم . وقالوا : ذهب الغلمان للسؤال عنها في المسجد فلم يرها أحد . وذهب شداد بنفسه وتحدث مع القائمين على المسجد والاعتكاف .. فذكر بعضهم أنهم شاهدوا امرأة بما وصفوا جاءت المسجد ، وجلست فيه بعض الوقت ، ثم خرجت ، لم تنم مع العابدين والمعتكفين والناذرين .

فأرسل الملك حميد بريدا للملك سيف عن اختفاء الأميرة لسبب مجهول .

فقال الوزير معللا : إنها تلعب لعبة ماكرة أيها الملك !كانت عودتها لزيارة أولادها غريبة .. وسفرها بدون حرس وحماية كبيرة غريب أيضا !.. وطلبها بعودة الحرس كذلك .. ماذا تدبر الله أعلم ؟ اعلم أن لها تصرفات غير منطقية .. سأبعث رجال ابن ظفار لتتبع حركاتها.

والأميرة وصلت نعمان مع القافلة على أنها سلمى ، وقدمت الشكر للقائد ، ودفعت له بعض المال ، ووهبته الحصان الذي اشترته للرحلة ، وغادرت الخان الذي نزلت به القافلة في الصباح ومشت لسوق العطارين تبحث عن غياث حسب الاتفاق .

ولما رآها دهش فرحا وبكى ، وأيقن قوة حبها لوالدها ، ورغبتها في إنقاذه وحمايته .. وذهبا بعد وقت قليل إلى القاضي ، وعقد لها القاضي زواجها على غياث وأحضر غياث الشهود ، وساقها إلى بيته كزوجة له ، ثم عاد للسوق ، واشترى خادمين ذكر وأنثى لخدمتها .

وقضى أياما لم يحاول أن يقربها كزوجة ؛ بل كان ينام في حجرة ، وهي في أخرى ، لا يجتمعان إلا عند

الطعام .

ونفذ الاثنان ما اتفقا عليه ليلة لقائهما عند الغابة ، وأخذا يفكران بعد هذا الإشهار للزواج كيف سيعودان لبلدهم اللؤلؤ ؟

فقال : علينا أن نقضي بضعة شهور هنا حتى يصل خبر زواجنا للملك ووزيره .. وأنا خادمك الأمين ، وأنت أهل الوفاء ..إنهم الآن يبحثون عنك ، وسيصلون إلينا .. أنت الوحيدة التي تخلصين الحب لروح الملك زرارة .

قالت : كان واجبي أن أحميك من القتل إذا كان ذلك ما أستطيع فعله .. لقد كنت الصديق الوحيد والوفي لأبي ..كان سعيدا بك لما جئته في منفاه.. كان يذكرك ويعتبرك من أخلص الأصدقاء .. فعليّ أن أكافئك وأحفظ حياتك يا غياث ..كان أبي المظلوم يفضلك على إخوته وأقاربه .

فقال : لم تذهب تربية أبيك لك خسارة .. أنت الوحيدة التي ترغب لي الحياة .. كان عليّ أن أسعى إليك وأطلب حمايتك.. آه ! لو تلدين مني حتى يكون لي ولد من سلالة زرارة .. وبه أطمئن على حياتي .. سيعفون عني من أجل الولد يا سفانة العظيمة .

الاختفاء

أرسل ابن ظفار رجاله لمدينة حميد ، ثم علموا أنها رحلت مع قافلة لمدينة نعمان ، وحدثهم قائد القافلة أنه صحب امرأه لمدينة نعمان زاعمة أنها راغبة بزيارة أمها المريضة في تلك المدينة ، وليس لديها من يرافقها ، ودفعت له مالا ، وكانت تركب على فرس أعطته له لما وصلت نعمان ، وغادرت الخان .

فلما نقلت هذه الأنباء لسيف وغالب قال: ولماذا ذهبت لتلك المدينة ؟وجدت هذه المرأة منذ موت جدي ولها أفعال حمقاء غير متوازنة .

قال الوزير : أنا لما طلبت منا زيارة أولادها بعد يسير من مجيئها دهشت ؛ ولكني قلت: إنها أم ، وأحسنت الظن بفعلها ، وإن لم ارتاح لذلك.

قال : وأنا مثلك أيها الوزير وقع في قلبي شيء.. وماذا ذهبت تفعل في نعمان ؟ هذه المدينة التي حبس فيها أولادها

قال : أتراها ذهبت تبحث عن غياث اللعين ؟! لأنه هو الذي أفرج عنهم بعد موت ابن صيرم وضرار .. سأكتب لابن ظفار ليكثف جهده حول هذا الكاهن .. ويرسل رجاله لنعمان.. ويتتبع حركات تلك المرأة .. نحن غلبنا أن يكون ساكنا في كهف في مرعى متخفيا على شكل حطاب أو راعي .

استطاع رجال ابن ظفار الوصول إلى بيت غياث وسفانة ، وكانت أمامهم المفاجأة المؤلمة ، وهي زواجهما ، ودون علم الملك والوزير ، وأنها فعلت

ذلك لتحميه من القتل والموت ، وأنها تفكر بالعودة للبلاد ، هكذا أعلمتهم ، وأنها كانت في انتظارهم .

نقل ابن ظفار هذه الأخبار للوزير والملك اللذين صدما مما نقل لهما من هول النبأ ، وعجبا من حمقها وجهلها بالزواج من قاتل أبيها أو المشارك في قتله فقال الملك : هذه المرأة تحتاج لحبس وحجر أتتزوج من قاتل أبيها ؟

قال : لقد فكرت في الأمر ، لابد أن الكاهن استغل عواطفها نحو والدها وصداقته لأبيها ،

وأقنعها أنه بريء من دم الملك .. إنه الشيطان في المكر والكيد .. ولم يجد نجاة من عقابنا إلا بالزواج منها .. وهي التي تركت زوجها بزعم الحزن على أبيها وهربت إليه .. وأعتقد أيها الملك أنها تلك الليلة التي زعمت أنها تتجول في المدينة ـ ليلة زفاف رياض ـ أعتقد أنها قابلته ورتب لها الأمر ، ونفذت خطته .

فقال الملك مفكرا : وهل صدقت أنه بريء من دم الملك؟! فقد علمنا من وزير ابن صيرم أنه متفق مع الملك على قتل زرارة لإشعال الحرب بيننا وبين حميد الملك .. وإنه اشترك في قتل زرارة مع اللصوص .

قال : نعم ، الوزير قال ذلك .. طبعا هو لم ينفذ القتل ؛لأنه جبان ؛ ولكنه رافق اللصوص وضرار في الحملة .. وهو الذي اهتم بأولاد سفانة ورحل بهم إلى نعمان .. ما العمل قبل أن يشيع الخبر في الأمصار ؟

قال سيف : هما سيعملان على إشاعته حتى لا نقتله

قال : هذا ما يحدث ويسعى إليه أيها الملك ! لا يمكن أن يكون بريئا ومجبرا على فعل شيء .

قال : وهل يحميه الزواج منها ؟

قال الوزير : سيصعب مهمة القضاء عليه أمام الناس ..سيقولون لو لم تكن الأميرة واثقة من برائته ما تزوجته ، وفعلت كل ذلك من أجله .

قال : كانت قد تلقت منه رسالات .

قال : نعم ، علمنا بذلك من خدمها ؛ ولكن لم نطلع على ما كتب لها ، لقد أخبرت إحدى الخادمات أنها تلقت رسالة قبل تلك الليلة ـ ليلة العرس ـ ولم تقرأها الكاتبة ، بعد فتحها صرفتها وصرفت خادمة غرفة النوم ، وقرأت الرسالة بنفسها ..كما فهمت لابد أن هذه الرسالة تحدد زمن ومكان اللقاء بذلك الكاهن .

حاصر رجال ابن ظفار قصر سفانة ، وقاموا بالبحث بأشيائها الخاصة ومكاتبتها حتى وجدوا تلك الرسالة بينهن ، وكان فيها زمن ومكان اللقاء واستغرب أهالي المدينة لما انتشر خبر زواج الأميرة والحيلة التي اتبعتها والسفر لنعمان للزواج من الكاهن غياث ، وعم السخط بينهم من أفعال

الأميرة التي كانت تعيب زواج أخواتها دون علم أبيها ، وتعيب زواج أمها من اللص مناع .. وهي تتزوج من متهم بقتل أبيها ، وشك الناس في قواها العقلية ، وزاد كره الناس لشخصها وأعمالها ، وشاع في نفس الوقت أنها فعلت ذلك لشكها وعدم تصديقها بتآمر غياث على والدها صديقه ، وأنه بريء من دمه ، وأرادت أن تكافئه لحب والدها له .

فقال الملك سيف بعد قراءة رسالة الكاهن :يا له من مخادع ماكر ! شيطان خبيث لعب على وتر حبها لأبيها ، لو لم تكن واثقة من براءته لما تزوجته ..هل هي مغفلة لهذه الدرجة ؟!

قال الوزير : الوضع دقيق يا مولاي ! هي ستعود للبلد كما فهمت من رجال ابن ظفار وتابع بحزم وحسم : ويجب أن يموت غياث .. فهو هارب من السجن .. ومتآمر على حياة الملك .. وأنا أتوقع أن تبقى هناك حتى تلد منه حتى يصعب علينا النيل منه .. إنها ذهبت لتحميه .. هذا الوضع يجب ألا يتم .. وسنستدعي وزير ابن صيرم ، وبعض أعوان الملك ابن صيرم ، ونعقد محكمة علنية .. هذه إهانة كبرى أيها الملك ! نحن دفعنا عشرة آلاف قطعة في رأسه ؛ لأنه مشارك في قتل الملك .. سيذهب القائد ابن ظفار إلى لقاء الوزير ؛ لاستضافته في المدينة وسماع كلامه مرة أخرى؛ ولعلنا نجد شهودا رأوا غياثا مع الملك ابن صيرم وهم يتفقون على اغتيال الملك . قال : وكلام الجارية!

قال : كلامها عجيب حقا أيها الملك! هي زعمت أنها سمعت غياث يتحدث مع الملك عن حرق الرأس .. ونحن علمنا أن رأس الملك لم يحرق .

قال سيف :أين الجارية؟

قال : حبسناها ردحا من الزمن ورفضت أن تعود لقصر سفانة ، ثم اختفت .

قال الملك : لابد من اعتراف الكاهن ..كيف سيعترف اللعين ؟ وقد تحصن بالزواج من الأميرة الحمقاء .. كانت تحتج على طريقة زواج أخواتها .. اليوم ألبست الكل العار .. تتزوج من كاهن عجوز متهم بدم والدها.

الأسر

أرسل الوزير غالب رسالة لملك نعمان يطلب فيها المساعدة في القبض على الكاهن غياث المتهم بقتل الملك زرارة .

ونقل ابن ظفار بنفسه الرسالة ، يصحبه عدد من الفرسان ، وعربات لنقل غياث وسفانة .

وقبل الملك طلب الوزير ، وأرسل قائد الشرطة ليساعده في المهمة ، وحوصرت المنطقة ، واستسلم الكاهن لأمر الاعتقال بدون أي مقاومة ، وحملت الأميرة بعربة ، وكذلك الكاهن ، وشكر ابن ظفار

الملك ورجاله وقائد الشرطة .
ولما وصل الأسيران البلاد كانا في غاية التعب والذل ، ولم يكن أحد في استقبالهم ، وأودع الكاهن في سجن خاص ، وحراسة مشددة من رجال الأمير عسكر ، ووضعت الأميرة في قصرها ، وجعلت لها خادمتان فحسب ، وحراسة من رجال الأمير ابن ظفار ، ولا يسمح لأحد بمقابلتها ولا يسمح بخروجها ولو للقاء الملك أو أمها .. وأحيط القصر بالجند من الخارج ؛ كأنهم في معركة حتى تقدم للقاضي الأكبر .
واستقبلت البلاد الوزير الأخير في بلاط ابن صيرم ؛ ليشهد على علاقة غياث بالملك ابن صيرم ودوره في الحرب والقتل ، وكان في رفقته بعض خدم الملك ابن صيرم وجواريه ، وإحدى نسائه التي ذكرت بعض أخباره .
وأمام القاضي أحضر الكاهن غياث والأميرة سفانة ، واتُهم بالمؤامرة على حياة الملك زرارة .
وتكلم وزير بلاد حمصان وقال : نعم ، هذا الرجل سكن البلاد ، وتقرب من الملك النعسان على أنه صديق الملك زرارة حاكم مدينة اللؤلؤ ، وكان يشجعه على الحرب ضد بلاد الملك حميد .. وأشهد الله على صدق أقوالي .
قال القاضي : هذا لا يهمنا أيها الوزير الشجاع ! نريد أن نعرف دوره في قتل الملك زرارة عندما قرر العودة لبلاده ومن المنفى الاختياري.
قال : كان الملك النعسان بن صيرم له هوى منذ استلم الحكم بامتلاك بلاد الملك حميد بمساعدة وتواطؤ بعض عشيرته الطامعين بالملك .. حدث قديما أن قام جد الملك بغزو المدينة وتعرض للطرد من قبل والد الملك زرارة كما تعلمون .. فظل هذا الحلم يراود الملك للانتقام وتوسيع مملكته .. ولما سكن الملك زرارة المدينة غاضبا على بلاده سار لديه أمل أن تنشب حرب بين البلدين .. وأخذ الكاهن هذا يشجع الملك على الغزو والانتقام .. وأنا وبعض الأمراء نحذره من فعل ذلك ، ونقول : لا داعي لعودة الحروب بين المدن .. وكنت أكره رؤية الكاهن يجلس مع الملك .. وكان ملكنا يهوى التنجيم ويتفاءل به.. فوجد هذا الكاهن مكانا له عند الملك .. وذهب الكاهن لزيارة الملك زرارة بعد زواج ابنته من الأمير شداد .. وأخذ يشجعه على المطالبة بعرشه ؛ ليثير الحرب بين بلدكم وبلد حميد .. ولم يوفق في هذا المسعى كما كان يحدثني الملك بين الحين والآخر .. وأنصح له الحذر لا نريد أن يعيد التاريخ الحرب بيننا واضطر الملك حميد كما علمت من الملك لحبس غياث الكاهن ؛ ولكنه هرب إلينا ، فعاد غاضبا حاقدا أكثر على الملك حميد وبلده .. واقترح على النعسان قتل زرارة لإشعال الحرب بين بلديكم .. وكان الملك مترددا

في تلك المغامرة .. أنا رفضت تلك الجريمة ؛ لأنه إذا كشف دورنا ستتعرض بلادنا للغزو من جديد .. فأخذ اللعين يفكر بحيلة تبعدنا عن الاتهام .. فكانت فكرة السم ؛ لأنه لن يشك أحد بأننا سممنا الملك لبعدنا عن خدمه .. وستشكون في حميد وأعوانه ، ورغبتهم بالتخلص من الملك ، وتناسينا المصاهرة بينهم بسبب طلاق الأميرة ، ثم عودتها لزوجها .. وطلب مني الملك عدم التدخل في هذه الدسائس، وترك الأمر له ، فابتعدت وكلي خشية من مغامراته ، وعرضت ترك الوزارة أكثر من مرة تلك الفترة .. فكان يرفض ويقول : أنت اهتم بأمر الداخل ، ودعك من الخارج .. وذهب الكاهن بنفسه متخفيا مع إحدى القوافل لدس السم للملك زرارة ، وعلمنا فشله بذلك ، وأن القوم كشفوا الدسيسة ، ويبحثون عن الفاعل وعاد الكاهن هذا إلينا خائبا ، وكان رجالي ينقلون لي أفعال الملك دون علمه بعد طلبه مني عدم التدخل والنصح .

وأخذوا يفكرون بحيلة جديدة ، وسمعوا من جواسيسهم برغبة الملك العودة لبلاده بعد

اعتلاء حفيد الملك العرش ، وذكر الكاهن للملك النبوءة القديمة وهي موت الملك على يد حفيده ، وكانت علاقة ملكنا قوية مع لصوص المدن ، ويستقبل كبارهم وزعماءهم في قصر خاص ، فاقترح عليه غياث أن يقوم هو والقائد ضرار ـ رجل الأعمال السرية والخاصة للملك خاصة مغامراته النسائية مع نساء وبنات الملوك ـ بأن يقتلوا زرارة أثناء رحلة العودة ، ولن يتهمنا أحد ؛ إنما هم لصوص وقطاع السبل ؛ وليطمئن الملك على تنفيذ المهمة طلب منهم رأس زرارة ، وفعلا نفذت الخطة الرهيبة ، وانتظروا في منتصف الطريق وعند منتصف الليل نفذوا الجريمة ، وعادوا برأس الملك ، وأكد غياث للملك أن الرأس للملك ، وتظاهروا بأنهم لم يعرفوا بقتل زرارة حيث نالوا أعطياتهم ، وعادوا لمدنهم على أمل نشوب حرب بين المدينتين وأشار الكاهن على الملك حرق الرأس ، ولكن الملك رفض ، وأمر ضرار بدفنه أملا بالاحتياج إليه في يوم ما .

ولم تنشب الحرب بين البلدين لحكمة ملككم ووزيره الحكيم ، ولأنه لم يتهم أحد بالقتل مما أغاظ الملك النعسان مما دفعه بعد شهور لغزو المدينة بقيادة القائد الكبير غضب مع عدد كبير من اللصوص ، وخطفوا أبناء الأميرة ـ هم كانوا يطمعون بأسرها معهم ؛ ولكنها على أثر موت أبيها ركبها الحزن وعادت إليكم ـ ونشبت الحرب فهذا هو دور الكاهن كما علمته وكما سمعت أكثره.

قال القاضي موجها كلامه لغياث: أيها الكاهن لقد

سمعت ما قاله الوزير خضر بن بلال هل تنكر منه شيئا ؟
ظل صامتا فانتقل القاضي إلى سماع أقوال الخدم ورجال القصر ، ثم زوجة الملك نعمة التي أكدت صدق كلام الوزير ، وأن الملك كان يحدثها عن أحلامه وأفعاله لما بينهما من علاقة قوية ويثق برأيها ومشورتها ، وأكدت أن الوزير خضر نصحه كثيرا بترك بلاد حميد ونساء تلك المدينة فقد هوي امرأة وصفها أحد الشعراء ، ولما دخل رجاله المدينة وجدوها ميتة .
قال القاضي : هل الوزير كاذب يا غياث ؟ هل هؤلاء الشهود كذبة ؟ دافع عن نفسك
قال الكاهن : اعلموا أن الأميرة حامل مني ، ستلد خلال أشهر .. فهل تصدقون أن الأميرة حامل من قاتل أبيها ؟ إن الملك زرارة ـ رحمه ربي ـ قال لي يوما يا غياث أفضل البنات وخيرهن لي سفانة فإن ضاقت بك الدنيا ، ولم تجدني حيّا ،فاعلم أن سفانة ستساعدك وتخدمك وتحقق لك ما تريد .
فقال القاضي : وهكذا سخرت منها بمثل هذه الجمل ، وأعلمتها أنك بريء من دم أبيها ، وأننا نكرهك ونحقد عليك.. اقرأ أيها الكاتب الرسالة التي كتبها للأميرة رسالة الخائن قبل زواج أخيها رياض اقرأها أمام الملا .
قرئت الرسالة التي عرفها القارئ والتي استدرج بها المرأة للغابة ، فلما انتهى قال القاضي : أنت كتبت هذه الرسالة تدفع عن نفسك قتل زرارة ، ولمَ لم تأت إلينا تحدثنا عن تآمر ابن صيرم علينا وتكسب ودنا ، ألم يكن الواجب عليك حماية صديقك كما تزعم ؟
صرخ : أنا لم أقتل !
قال القاضي : لكنك شجعت الملك على ذلك ، وعاونت عصابته .. والوزير خضر بن بلال مطلع على الكثير من هذه الدسائس.. هل هو كاذب ؟ هل هو متآمر؟
فقال غياث : هو جبان حقير جاسوس .
فقال الوزير خضر: أنت الغادر الخائن مولاه .. الخائن صديقه .. أنا لست جبانا ؛ ولكني أعرف من نحن .. ما هي قوتنا .. وأن الاعتماد على اللصوص جبن وخور ، ولا يحقق نصر ، وأن الاعتماد عليهم اعتماد على الهواء .. أنت وجدت هوى وطمعا لدى الملك فشجعته ، وهونت الأمر عليه.. أنت رأيت أن قتل زرارة سيحقق لك مصالحك ، وترتفع مكانتك عند الملك .
تركت سفانة مقعدها ، واقتربت من غياث وقالت : لماذا فعلت بي ذلك يا غياث؟! لماذا سخرت مني وجعلتني أهرب معك كما فعلت بانة وخلود للزواج منك ؟
قال بذل : أنت الحياة التي بقيت لي ، لم أجد أحدا

يحميني من ابن ظفار وأتباعه إلا أنت .. سامحيني لم يكن أمامي ملجأ إلا أنت .. أنت المرأة الوحيدة التي ستنقذني من سيف الجلاد .

اقتربت منه وقالت بغضب : خدعتني مكرت بي ..صدقت أنك بريء ..صدقت أيمانك.

قال : لم أجد إلا هذه الوسيلة لأعيش للنجاة من مطاردة ابن ظفار .. الحياة عزيزة.

طعنته بسكين هيأتها لذلك، طعنته بسرعة عدة طعنات وهي تصيح : فلتمت أيها الخائن ! فلتمت على يد من خدعتها وطلبت حمايتها أيها الكلب ! لن أسامحك يا خائن .. تقتل أبي وتتزوجني أيها اللعين . وانهالت عليه طعنا من جديد ، والجند صامتون بإشارة من الوزير ، وظلت تطعن به حتى فقدت الوعي .

ونقلت الجثة إلى المدفن ، ونقلت جثة الأميرة إلى قصرها .

وقدم الملك سيف الشكر للوزير خضر ومنحهم الهدايا ، وسمح لهم بعد أيام بالرحيل من البلاد في حراسة قوية من الجند ، ورجال ظفار ، وسمح له بالعودة لمدينة صيرم معززا مكرما ، وانتهى أمر النفي ، وأن يكون من جلساء الملك حسن بن علي ، هو ومن أحب من أتباعه وحاشيته.

الحفل

رجع كل أعوان ابن ظفار بعد انتشار خبر موت الكاهن على يد زوجته الأميرة سفانة بنت زرارة في قاعة القضاء والعدالة ، ولم تذرف دمعة على هلاكه الذي كان يصول ويجول أيام حكم زرارة في بلاد اللؤلؤ .

أمر الملك برفع الحراسة المشددة عن قصر الأميرة ، وعودة جميع الخدم لها .

وأقام الوزير حفلا لأعوان عسكر بن ظفار ، ووزعت عليهم الجوائز والهدايا ، وأقيمت الولائم للفقراء من عامة الشعب .

ولما مضى عدة أسابيع ، وعم الهدوء البلاد قال الوزير للملك الشاب: أيها الملك السعيد حان الوقت ؛ لأن نحتفل بعرسكم .. ويفرح أهل البلاد بزواجكم ، فإن الملكة عزوف راغبة برؤية ذريتكم ؛ لتفرح بهم قبل الرحيل إلى الدار الباقية ..فهي لم تفرح بزواج أمكم ـ رحمها الله ـ فتريد أن تفرح بحفيدها كما فرحت بزواج ابنها رياض .

ابتسم الملك وقال : أترى أن الوقت مناسب لزواجي ؟

قال وزيره : لابد من ذلك أيها الملك! لتنجب لنا خليفة بعد عمر طويل ..كل رجالات الدولة يرغبون بذلك وليس جدتكم فحسب .

فقال : وجدتي لديها عروس .

قال : سنجد العروس عندما تطلب أيها الملك!

قال : أنا اليوم وبعد الثأر لجدي لا مانع لديّ من

الزواج .
قال : أتحب أن تكون العروس من بنات الأمراء؟
قال سيف : ننظر ، لا بأس .
قال : سنعرض عليك مائة من بناتنا ، وأنت تختار منهن من تشاء واحدة أو أكثر .. وإن لم يعجبنك نعرض عليك غيرهن ، وإذا لم يرق بنات بلادنا لك ، فنطلب لك من بنات الملوك والأمراء من غير بلادنا .
أخبر الوزير الأمراء برغبة الملك بالزواج ، ومن كان عنده فتاة ترغب بأن تكون زوجة للملك فليجهزها للمشاهدة ؛ لعلها تكون صاحبة الحظ .
قام الكتبة بتسجيل المائة الأولى ، وفي القصر الملكي أحضرت الأميرات الشابات بأجمل الثياب والحلي ، ولما جهزن تقدم الملك وبجواره الوزير ينظر بنات الأمراء ؛ ليختار منهن قرينته .. وكان الملك يقف ويتكلم مع بعض البنات .. يسأل عن اسمها وابنة من من الأمراء ، ولم ينجذب الملك لأي امرأة منهن فقال : أهؤلاء جميلات المدينة ؟
قال غالب : إنهن بنات السادة ..يبدو أن لا امرأة راقت لك حسنا أيها الملك ! سنعرض عليك بعد أسبوع مائة ، ونكرر هذا العرض حتى تروق وتطيب في عينك إحداهن .
فطلب الملك أن يعرض عليه من بنات الشعب الأسبوع القادم .

أعلن الوزير للشعب رغبة الملك بمشاهدة من ترغب من بناتهم بالزواج من الملك سيف فليتقدم بذلك لديوان الوزير .
تجمع عدد يزيد عن خمسمائة فتاة ؛ ليشاهدها الملك في ميدان القصر ، وأشرف الديوان على كسوتهن وإلباسهن أجمل الثياب .. وركب الملك بعد تجهيزهن جواده يتبعه الوزير وعدد من الفرسان ، وأخذ الملك يحدق النظر في حسناوات بلاده .. وأحيانا يتحدث مع فتاة ويسألها عن اسمها ، وبعدما دار على الفتيات كلهن طلب العودة لجولة ثانية ، ولما وصل عند فتاة أشار للوزير إليها ، فأخرجت من الصف فتقدمت خادمة تمسك بيدها ، ثم بعد حين أشار لفتاة ثانية فأخرجت من الصف وتقدمت إليها خادمة وأمسكت بها ، وأمر الوزير بصحبة الفتاتين إلى قاعة القصر هن وأهليهن من الآباء والأخوة ، لأن إحداهن يتيمة الأب .
وقدم الطعام للفتيات وأهلهن في ميدان القصر ، وصرفوا مع الهدايا ، وأكل الملك والوزير وأهل الفتاتين طعام الغداء ، وأعلن أن الزواج سيكون منهن في يوم واحد .. وعمت الأفراح المدينة وأخذ الوزير وأعوانه بالاستعداد لزواج الملك من فتاتيه .
وأقبلت الجدة عزوف تنظر زوجات الملك

المختارات ، وقد تم عزلهن عن أهليهن .. وباركت للملك اختياره .. وجاءت خالاته بانة وخلود لمثل ذلك ، وأخذت نساء الأكابر وزوجة أبيه وأخواته يفعلن ذلك ، وبارك والده لؤي ذلك .

وأعلنت الأفراح في البلاد أربعين يوما ، ورفعت الرايات في البلاد ، وأخذ الضيوف يتوافدون من المدن المجاورة والمشاركة في العرس الملكي الكبير ، وكان حفلا تحدثت عنه الأجيال في مدينة اللؤلؤ



الولادة

ومضت الأربعون يوما من الاحتفالات بمناسبة زواج الملك ، وذبحت الأنعام ، وقدمت الأطعمة للشعب والضيوف ، وقدمت الهدايا للملك وزوجاته ، وجهز القصر ليستقبل زوجتي الملك في جناحهن الخاص ، وفرح الناس بزواج ملكهم وخاصة أنه تزوج من بنات العوام .

وكانت الهدايا من الخيول والثياب والدواب والذهب وغير ذلك من الزينة والغلمان والجواري وانتهت الأيام السعيدة بسلام ودخل الملك على عروستيه .

وبعد انتهاء الزواج والحفل علم الناس أن الأميرة سفانة ولدت طفلها من غياث الكاهن ، ورفضت إرضاعه وأحضرت له المراضع .. فهو طفل لا دخل له في إجرام أبيه.. وهو ابن أميرة وحفيد زرارة .

ولما علم الوزير برفضها العناية برضيعها أمر بنقله إلى دار الرضاعة الخاصة بالأيتام والأمهات المريضات .

قامت عزوف وابنتاها بانة وخلود بزيارة للأميرة في محاولة للصلح معها بعد هذه الأحداث ؛ ولكن الأميرة رفضت مصالحة أمها وأصرت على العداوة ، وعدم الاعتذار لها ، ولم ترحب بزيارتها.

وهذا ضايق الأخوات من جديد وقالت الأم وهي تغادر غاضبة : سأموت وأنا عليك غاضبة ولولا أني أعرف أنك مني لقلت إنك لست مني !

قالت بصوت هائج : لا يهمني رضاك أو غضبك ، ولولا حرمة الانتحار لفعلته .. وتركت لكم هذه الدنيا لأرتاح منكم .

قالت بانة بحدة وغضب : مسكينة أنت ! زعمت للناس أنك تُحبين أبانا ، وتركت أولادك وزوجك بحجة ذلك، ثم نكحت قاتل أبيك ، ولم تشاوري أحدا.

صرخت وصرخت في وجوههن ، ودخلت حجرتها باكية ناقمة حتى أحضر لها طبيب ،

وأعطاها شرابا منوما.

وبعد أيام تعافت من الصداع والألم ، وفاجأت الجواري بالسؤال عن ابنها

قالت واحدة منهن : نقل يا مولاتي إلى دار رعاية الأيتام.

قالت : وماذا يفعل في دار الرعاية ؟

قالت : يرضع .

صاحت : أنا لا أريده أن يرضع، أريده أن يموت .

لما تحسنت صحتها زارت دار الرضاعة بحراسة قوية ، وقبلت الطفل ، وحاولت إرضاعه ؛ لكن لم تجد اللبن ، وصدرها جاف من اللبن .

ورجعت بعد يومين محاولة إرضاع الطفل ، ولم يجد الرضيع اللبن في صدرها ، وعادت إلى القصر حزينة متألمة من فشلها ، واستمر الحال مدة شهر ولم توفق بذلك .

وكانت عيون الوزير تتابع الأمر خشية قتلها للطفل في لحظة غضب.

كان حادث رفضها المصالحة مع أمها انتشر بين الأمراء والقصور، وسعت بعض نساء زوجات الوزير والأمراء الصلح وإصلاح ذات البين بينهن ، ورفضت سفانة أي صلح مع أمها ؛ لأنها نكحت لصا ، وهي زوجة ملك .

وجاء القدر وماتت الملكة عزوف بعد حياة صعبة مع المرض ، وقام الحداد عليها أسبوعا ، لأنها كانت ملكة في عهد زرارة ، ولم تشارك الأميرة في دفنها وعزائها حتى وصفت من النسوة بالمرأة الحمقاء العاقة واستاء الناس من فعلها .

ظلت الأميرة تتردد على دار الرعاية ومحاولة أن يقبلها الرضيع ، واقترحت على المسئولة عن الدار السماح لها بأخذه لقصرها ، فرفضت لها هذا الطلب ، وأخذت تذهب في الليل ساعية لذلك ، ولم يحدث لها قبول لدى الطفل .

خرجت في نصف الليل تتجول على الجواد في شوارع المدينة ، ثم تمشي بعد الجولة إلى دار الرضاعة ، وكان التابع يراقبها كما هو مطلوب منه أحيانا جهرا ، وتارة خفية ، وفي إحدى الجولات الليلة مشت لدار الرضاعة ، فلما علموا من هي فتحوا لها رغم الوقت المتأخر من الليل فقامت المسئولة بإدخالها ، ثم أحضرت الخادمة الخاصة بالطفل الطفل نوح ـ كما سماه الملك سيف ـ تناولته أمه ووضعته على صدرها ، ولما تركتها الخادمة لفته بعباءة تلف بها نفسها وخرجت متسللة ، فأعطاها الحارس الجواد ، وعلم أنها تحمل طفلها الذي بكى قليلا ، ثم سكت وتبعها وهي تسير إلى الغابات ورمت الطفل آملة أن تأكله السباع والضباع ، ورمته حيث التقت بأبيه غياث تلك الليلة ، ومع انبلاج الفجر عادت للمدينة .

علم الوزير بفعلها ذلك ، وأخفوه عنها وتظاهروا بأنه قتل في الغابة حيث ألقته ، ونقل الوليد لبيت خاص في قصر الوزير غالب .

قال الملك لما سمع القصة : خالتي حمقاء! ولا أرى أنها تعترف به ابنا .

قال الوزير : هي الآن ستعقد أنه مات ، وأكلته الوحوش .. وسوف نراها بعد أيام تذهب الغابة للتأكد من موته .. وعلينا إقناعها بذلك .. ستجد ملابسه ممزقة .. ونحن سننقله لمدينة أخرى ؛ ليعيش باسم جديد وأب جديد حتى يكبر .

كان رجل ابن ظفار على علم بتصرفات سفانة ، وهم مهدوا لفعلتها، ونقلوه لمدينة الملك حسن بن علي مع مرضعته .

وبعد أيام خرجت الأميرة إلى الغابة ، ومكثت ساعات تبحث عن الطفل ، ولما وجدت ملابسه الممزقة أيقنت أن الوحوش ، قد أكلته ، وعادت للتفتيش لبعض الوقت ، واعتقدت أن أحدا لم يهتم باختطافه ، فعادت للمدينة ، ولما دخلت حجرتها أخذت بالبكاء لحين .

الحيرة

أصابت سفانة الحيرة ، هل مات طفلها ؟! هل أكلته الوحوش ؟هل نجا ؟ كانت تقول : هل لا يعرفون أني أخذته من الدار الحاضنة ؟ وأني ذهبت به إلى الغابة ، ولم أذهب به للقصر .. لم أجد إلا بقايا ملابسه الممزقة ، لماذا فعلت ذلك يا سفانة؟! هل جننت لتقتلي ولدك ؟ ما ذنبه ؟ قتلت أباه الذي غدر بك ؛ لينقذ رأسه من القتل والقصاص ، ألا يكفي ذلك ؟

ذهبت إلى قصر الملك ، وطلبت مقابلته ، فجلس لها وقال : مرحبا بخالة الملك .

قالت : ابني نوح .. هل علمت أنني أخذته من بيت الرعاية ؟ وذهبت به الغابة .

تظاهر بالدهشة والانزعاج : أأنت أخذته دون علمهم ورميته في الغابة ؟!كيف تفعلين ذلك أيتها الأميرة ؟!

قالت : أنا أردت أخذ ابني للقصر حتى يقبل صدري ؛ ولكنني لم أدخل القصر تذكرت أباه فأخذته الغابة حيث التقيت بأبيه .

قال : حسنا ! سآمر رئيس الشرطة بالبحث عنه .. أمتاكدة أنك أنت أخذته من القيمة ؟



قالت : لا أدري لي أيام لم أذهب للدار ؛ لأني سرت به للغابة ..كرهته لكرهي أباه .

قال : سيهتم رئيس الشرطة بالأمر وباختفاء الطفل .. وسأرسله للبحث في قصرك ودار الرضاع هل من أمر آخر ؟

سألت : هل صحيح أن أمي ماتت ؟

قال بحدة : أمك طبعا ماتت .. نعم ماتت ..وهي غاضبة عليك وتلعنك .

ردت : تلعنني ؛ لأنها تزوجت لصا.

قالت : وأنت ماذا تزوجت؟

قالت : لم أكن أعلم أنه قاتل أبي .

قال : كنت تعلمين ، وصدقت رسالته ، وهو قد خدعك ومكر بك.

أقرت فهمست :نعم ، خدعني ومكر بي ؛ لذلك قتلته ..لماذا لم تقتلوه أنتم ؟

فقال : وعسى فعلك القاسي أن يخفف من ألمك وحزنك على جدي الملك ..كنّا سنعذبه عذابا شديدا قبل موته .. هل من أمر آخر ؟

قالت : المهم أن تبحثوا عن طفلي .. أريد أن أرضعه .

قال : علمت أنه رفض لبنك أو لم يجد لديك لبنا يرضعه ؛ ربما لأنك قتلت أباه!

صاحت كأنها محتجة : إن أباه كان يستحق القتل لقتله أبي زرارة الملك العظيم .. جعلني سخرية للناس والنساء .. يقتل أبي ويتزوجني متظاهرا بأنه بريء من دمه لعنه الله .

قال : هل من أمر آخر ؟

قالت : أرغب بالسفر لرؤية أولادي .. لقد طالت غيبتي عنهم .

قال : سيأتون إلينا.

بدت مستغربة : سيأتون إلى هنا!

قال : كتب الملك حميد بأنه سيرسلهم للعيش معنا بضع سنين .. سيتعلمون الفروسية في بلادنا ويتعلمون القيادة .

قالت : الفروسية .. أليس عندهم فروسية؟!

قال : عندهم .. زيادة خبرة وتجارب .. وبلادنا أفضل في التدريب .. ألا تُحبين حياتهم هنا ؟

قالت : أخاف أن يصيبهم مكروه.

قال : لا يصيب المرء إلا المقدور .. وفاجأها بقوله : ما رأيك بالزواج ؟

قالت : الزواج ! أنا أتزوج!

قال : الزواج دواء ونسيان للموت .. أم تعودين لزوجك شداد ، فهو محب لك .

تنهدت ومسحت دموعها وقالت : لو بقيت زوجة ما طمع بي الكاهن وغرر بي .. زعم لي في البداية أنه لن يقربني كزوجة مجرد زوجين .. وبعد أسبوع تذلل لي أنه لن يحميه من سيف الجلاد إلا أن يصبح أبا ، فصدقت ، وملكته جسدي .. كان شداد صالحا وطيبا وصبورا على أفعالي ؛ ولكن مقتل الملك أفقدني الصواب .. ضحيت من أجله بالعرش الذي تجلس عليه .. رفضت الزواج من أمراء بلدي من حزني عليه وشفقتي على حاله بعد خلعه .. إنه رجل طيب.

قال الملك : ما دام هو رجلا طيبا فلنصلح بينكم .. وتكونين من ضمن حريمه وسأدعوه للحياة مع الأولاد ومعك حتى ينتهي التدريب ، وتعودون كلكم لبلاد الملك الشيح حميد .. هل أطلب ذلك منه ؟

عادت تقول : وابني المفقود .

أجاب : سنبحث عنه ، ونجده إن لم تأكله السباع ..أتعودين لشداد ؟

قالت : لكنه متزوج .

قال : كلنا متزوجون .. ها أنا زفت لي امرأتان في ليلة واحدة .. واليوم كلتاهما تحمل جنينا في رحمها .. وزوجك متزوج قبل الزواج منك .

قالت : تزوج بعد طلاقي ..ورأيت امرأته لما زرت الأولاد .

قال : فكري بعرض ابن أختك أمامة ـ رحمها الله ـ حتى يأتي مع الأولاد للزواج منك .. ونجعل زواجكم في البلاد وأمام أعيان المدينة .

همست : لم أعد أصلح للزواج .

فقال ضاغطا : ولكنك تزوجت ، وحملت قبل سنة .. وأنت صغيرة يا خالتي .. دعيني أخاطب الملك حميدا .. سيفرح أولادك بعودتك لأبيهم.

قالت : الأمر عليّ صعب ..كان أن قبلت بغياث ؛لأنني سعيت لإنقاذه فعلا أيها الملك ! صدقت كلامه وأيمانه .. وصعب عليّ أن أصدق خيانته لأبي .

قال : فكري بما عرضت جيدا .. وأنا رهن إشارتك.

قال بحزن : رحم الله أمامة .. لو عاشت لتراك ملكا تجلس على عرش والدها .قال : رحمها الله

قالت : ماتت مسكينة .. لم تفرح بك، أخفيت عنها منذ ولادتك .

قال : نعم ، مسكينة اضطرت للتخلي عني ؛ لأعيش وأصير الملك.

الأبناء

حضر أبناء الأمير شداد للتدرب العسكري في بلاد اللؤلؤ ، وبرفقة خمسين شاب صغير ، ولما استقروا بالمدينة بسلام وفي مدرسة التدريب ، غادرهم الحرس الذي رافقهم ، وبقي المسؤول عن متابعتهم ورعايتهم الأمير نعمان .

وكان الهدف من تدريبهم للعمل كقادة في بلادهم عندما يشبون ويصبحون من الفرسان الكبار

فنزلوا في مساكن المدرسة كغيرهم من التلاميذ المختارين ، وسمح لهم بزيارة أمهم دون المبيت عندها ، ورفضت رغبتها أن يسكنوا معها ، فهم جاءوا ليكونوا قادة في بلادهم ، فعليهم البقاء مع الأصدقاء والتلاميذ ، ونظام المدرسة العسكرية ، وبعد ثلاثة أشهر من التدريب كان يسمح لهم بالخروج من المدرسة للنزهة والزيارات ، فتمكنوا

من زيارة أمهم وخالتهم ؛ بل كانت خالتهم بانة تدعوهم إلى الغداء مع الأسرة في فترة الاستراحات مما سمح لهم التعرف على أولاد خالتهم وبناتها .. وكذلك الأميرة خلود عندما تكون في مدينة اللؤلؤ .

وعلم الفتيان قصة ضياع أخيهم نوح من خالتهم بانة أم محمد.

وقضى الأمراء وغيرهم خمس سنوات في التدريب والتمرين ، وبدأ الاستعداد للعودة لمدينتهم وقد أصبحوا فرسانا وشبابا، وجاء قادة من بلادهم يشاركونهم حفل انتهاء التدريب ، وجاء والدهم ضمن الوفد الكبير .

وهمس الأمير زيد بن شداد لأبيه رغبته بالزواج من ابنة خالته بانة الأميرة أمامة ، فتشاور الأمير مع والدها كساب في ذلك ، والتقى بالوزير غالب من أجل ذلك فدعا الوزير الأمير كساب وبانة ، وعرض الأمر عليهم ، ثم ذهبوا للملك سيف لأخذ رأيه الفصل ، ولما علم الملك بقبول البنت بارك الزواج .

واحتفل بالزواج قبل عودة المتدربين لبلادهم ، وكان الوزير غالب تلك الأيام يعاني من المرض الشديد وأمر الوزير بالاستمرار بحفل الزواج رغم شدة مرضه ، وعين الأمير لؤي والد الملك وزيرا للبلاد بدلا من عمه كما طلب غالب ؛لأن الوزارة متوارثة في أسرته ، فعادت الوزارة لابن أوس الوزير القديم .

وأعلنت الاحتفالات بتنصيب الوزير الجديد في البلاد . سعت بانة بعد زواج ابنتها من ابن شقيقتها سفانة التصالح معها ، فزارتها في قصرها ، وباركت لها زواج ابنها من ابنتها ، وأنها تمنت أن تحضر الحفل معهم ، فقد حزن زيد بغيابها ، وظلت بانة تتحدث حول ذلك، وتلك صامتة محدقة النظر في أختها فقط.

ورجعت لقصرها متضايقة من تجاهل أختها لزواج ابنها فقالت لزوجها : حالها لا يسر .. تكلمت معها ساعة ؛كأنني أتكلم مع الجدار .. سافر ابنها زيد حزينا من موقفها وتجاهلها لعرسه وزواجه .. ولم يذهب لوداعها ، وعصى أمر أبيه وفعل مثله إخوانه .. هذه المرأة غريبة التصرفات يا كساب !

فقال : أين أخفت ابنها الرضيع ؟! لا أحد يدري لماذا أخذته من دار الرعاية ؟ هل تظنين أنه قتل كما يتحدثون ؟

قالت : قيمة الدار تقول : إنها جاءت ليلا ، وأخذته بحجة رضاعه ، ثم اختفى الوليد .. وهي تبحث عنه .. أختي تنكر قتله .. ذهبت به الغابة حيث التقت بذلك الشيطان، ورمته هناك .. والملك سيف يقول : إنه ابنها .. ماذا سنفعل لها ليعود لها

صوابها ؟

فقال : فربما من أجل ذلك تلزم الصمت ، والملك يلزم الصمت بشأن الطفل.



النهاية

مضت السنون والأميرة سفانة تعيش على طبيعتها في عزلة ، ولا تحب الحياة الاجتماعية والاحتفالات والأعياد ؛ ولكن ظل لها الاحترام من الأسرة المالكة ؛ لأنها ملكت البلاد في يوم ما ، وأنها ابنة الملك زرارة ، وأنها خالة الملك سيف.

تزوج أولادها وأبناء أخواتها وبناتهم ، وهي على هذا الحال الانعزالي ، وأصبح أبناء الملك سيف شبانا مؤهلين للحكم والزواج .

اجتازت الخمسين سنة من العمر ، وذات ليلة طلبها الملك للقصر الملكي ، فمشت إليه بصعوبة فقد صار مشيها ثقيلا ومتعبا لها ، وبعد أن جلست رأت الوزير والد الملك ، وكان بصرها أيضا أصابه الوهن والضعف ، فقدم لها الملك تفاحة بيده ، فقبلتها ولما انتهت منها قالت : أرسلت لي هل من خبر؟

قال : نعم ، يا خالتي الطيبة ..دخل البلاد شاب من بلاد الملك حسن بن علي.

قالت : شاب ! وماذا يريد مني هذا الشاب؟!

قال : جاء هو وزوجته ضيوفا على البلاد ، ولهما رغبة بالجلوس معك ، والحديث معك .. هل أدعوهما للسلام عليك ؟

قالت بحيرة : وما شأني بهما ؟!

قال : استأذنا مني ، ومن أبي ..فهو يحمل لك رسالة شفوية.

قالت وما زالت الحيرة ترتكبها : رسالة شفوية ممن ؟!

تبسم الملك وقال : عندما تقابليه تسألينه .

قالت : أهو في القصر ؟

قال : نعم، هو هنا ، وهو قريب لنا .

قالت : قريب لنا ومن مدينة ابن صيرم الخائن فليأت !

أمر الملك بإدخال الأميرين ، فأقبلا وحييا الملك والوزير ، فهما لهما بضعة أيام في المدينة .

أحدّ الأمير الضيف نظره بالأميرة سفانة التي أشار إليها الملك ، وحدقت به بدورها وقالت : هذا هو الذي يريد أن يراني، ويحمل لي رسالة شفوية.

أشار له الملك بالكلام فقال : نعم ، يا أمي ! أنت أمي ، وأنا ولدك الذي رميته في الغابة قبل عشرين سنة .

صرخت وقالت : أنت ولدي نوح ! وأنا أمك !

أنت ابن غياث!

فقال : نعم ، أنا ابن غياث الكاهن ! أنا ابن الذي قتل أباك الملك زرارة بن نعيم .. وابن الذي قتلت أباه.

لطمت وجهها وشدت شعرها وقالت بغل : ولدي أنت!

قال : سامحتك يا أمي ! وقد اهتم بي صاحب السلطان الملك سيف بن الوزير لؤي بن أوس ، ورعاني حق الرعاية ، وزوجني أميرة من أميرات مدينة حمصان ..أنا سامحتك ، وجئت لأعرف أمي أو حان الوقت لأرى أمي .. وأنا قائد في بلاد الملك حسن حيث دبر لقتل جدي الملك زرارة فقد أصبحت البلاد بلادنا ، وهذه زوجتي الأميرة نعمى حفيدة الملك حسن .

بعدما استوعبت الصدمة ضمته الملكة لصدرها ، وبكت قائلة : ولدي ! لقد كنت بائسة مصدومة ..فقدت صوابي من شدة الأحداث .. لقد قتلني أبوك قبل أن أقتله .

فقال والدموع تترقرق في مآقيه : أعرف القصة بالتفصيل .

قال الملك : كان الوزير غالب ـ رحمه الله ـ مدركا للخطر المحدق بك يا ولدي من قبل أمك فرتب الأمور لإبعادك عن البلاد على أنك ميت كما تريد أمك عندما رمتك في الغابة فأخذك رجاله .

قالت : نعم ، كان الوزير حكيما يا ولدي ! لقد جننت تلك الأيام .. تعال يا ولدي . وضمته إلى صدرها من جديد وقالت : فأنت فلذة مني ..طول كل هذه السنين لم أصدق أنت مت !

قال : غفر الله لك يا أمي .

قالت : غفر الله لنا كلنا يا ولدي .

تقدمت الفتاة ، وعانقت الملكة بكل صدق وحب قالت وهي تخاطب الملك :إنك ملك عاقل ذكي يا ابن أختي ! كم تمنيت أن تكون أختي حية ؛ لترى ولدها ملكا متوجا على عرش زرارة العظيم ! كان مقتله صدمة كبيرة لي.. ذهب عقلي مع موته ..وقد كنت أحس بالخطر المحدق به ، وسمحت له بالسفر دون جيش يحميه .. كان أبي يرى الوزير أوسا وأسرته خصوما له وأعداء .. لكنهم حكماء وفضلاء .. لقد بذل الوزير غالب الجهد الكبير للاقتصاص من قتلة أبي كنت ساذجة بالنظر للحكم والإدارة .. سامحوني اليوم يا آل لؤي .. لقد أسأت للكثير من الناس.

وعادت تحتضن ابنها وقالت : سامحت أمك التي أرادت لك الموت ولا ذنب لك .

قال : سامحتك يا أمي ! قابلت خالتي بانة ، وسعدت بحياتي وعودتي للقاء أمي

قالت : أسأت لأمي وأختاي ولأولادي ..أخوتك من الأمير شداد.

قال نوح : إنهم يحبونك.. وسيأتون البلاد ؛ لنتعرف عليهم كما قال الملك .

قال الملك: أرسلت وراءهم .. يجب أن يعود الوئام للجميع.. وسنبدأ بالصلح بين الأمير رياض القائد الكبير وأخته الملكة سفانة .

وحضر القائد رياض وزوجته ، وبعض أولاده ، وأختها بانة ، والأميرة خلود وزوجها ، وكان لقاء كبيرا دبر له الملك ووزيره لؤي ، واعترفت سفانة بخطئها وقسوتها ، وطلبت الغفران والمسامحة من كل من أسأت إليه ، وفي ختام العشاء قالت مخاطبة الوزير لؤي : أنت أب عظيم أيها الأمير ! لقد أنجبت لنا ملكا عظيما .. تعيش البلد في عهده بسلام وعزة وأمان.. كأنه زرارة العظيم !

فقال الوزير : بارك الله فيك .. كانت أم الملك شجاعة ، وقبلت بالزواج في تلك الظروف القاسية ؛ لتنجب لنا هذا الملك الشجاع ، ووفقنا في الحفاظ على حياته كما وفق هو بالحفظ على حياة الأمير نوح .. الحياة تحتاج أحيانا لأفعال غريبة .. وتصرفات نادرة شجاعة ، وعلى غير المألوف .

قالت : سامحني أيها الوزير ! كنت مستاءة فعلا من زواجك من أختي سرا .. ومن زواج أختي بانة هربا ، وكذلك خلود .. كنت صغيرة وأرى ذلك عيبا وإجراما .. اليوم انزاحت الغمة .. وكما كان زواجي من غياث على غير المألوف ، كان زواج أخواتي بنات الملك خارج عن المألوف كنت مقتنعة أن الزواج يجب عن طريق الأب وبموافقته ، لم أفهم ذلك المنام الذي شاع في القصر ويحرمنا من الزواج .. وعلى البنت أن تبقى دون زواج حتى يوافق الأب ، ثم رأيت ضعف موقف أبي عند زواجي في بلاد الملك حميد ، وقبوله ذلك لي ، ورفضه زواجنا في بلادنا .. كنت في غاية الحيرة من ذلك .. ووافقت على الزواج ؛ ليبقى بعيدا في منفاه

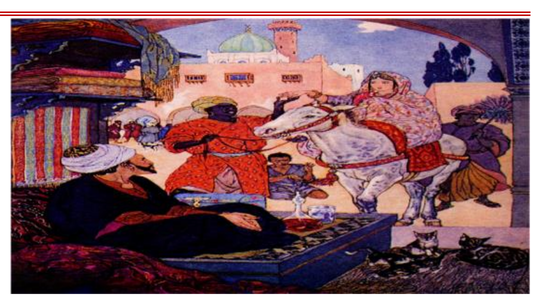
قال الملك : رحم الله جدي ! كم كنت في شوق لرؤياه واللقاء به ، لم أبغضه رغم علمي بتهاونه في رعاية وعلاج أمي ، ورغم الخطر عند ولادتي ، وسيبقى عظيما في نظري .. وكان أبي شجاعا بأن قبل وهو ابن الوزير أوس بالزواج خفية ومن ابنة الملك .. فقد يفقد رأسه في مثل هذا الأمر الغريب .. وقد يشعل الحرب داخل البلاد .



فقال الأمير رياض : رحم الله الجميع ! ولا تنسوا شجاعة أمي الملكة عزوف .. وخوضها غمار تلك المغامرة الخطرة بتزويج ابنتها سرا حتى كلفها ذلك الطلاق والنفي وحيدة .

وظل القوم في لحظات ابتهاج وذكريات حتى صلاة الفجر .

انتهت حكاية زرارة وسفانة



حكاية الأحدب

قالت: بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان في مدينة الصين رجل خياط مبسوط الرزق، يحب اللهو والطرب، وكان يخرج هو وزوجته في بعض الأحيان يتفرجان على غرائب المنتزهات، فخرجَا يومًا من أول النهار، ورجعا آخِرَه إلى منزلهما عند المساء، فوجدَا في طريقهما رجلًا أحدبَ رؤيتُه تُضحِك الغضبان، وتُزِيل الهمَّ والأحزان، فعند ذلك تقدَّمَ الخياطُ هو وزوجته يتفرجان عليه، ثم إنهما عزمَا عليه أن يروح معهما إلى بيتهما لينادمهما تلك الليلة، فأجابهما إلى ذلك ومشى معهما إلى البيت، فخرج الخياط إلى السوق، وكان الليل قد أقبل فاشترى سمكًا مقليًّا وخبزًا وليمونًا، وحلاوةً يتحلَّون بها، ثم رجع وحطَّ السمك قدام الأحدب وجلسوا يأكلون، فأخذت امرأة الخياط جزلة سمك كبيرة ولقمتها للأحدب، وسدت فمه بكفها، وقالت: والله ما تأكلها إلا دفعةً واحدة في نفَسٍ واحد، ولا أمهلك حتى تمضغها. فابتلعها وكان فيها شوكة قوية فتصلَّبَتْ في حلْقِهِ لأجل انقضاء أجله، فمات.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتَتْ عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة ٢٥

قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن امرأة الخياط لما لقمتِ الأحدبَ جزلة السمك فمات لانقضاء أجله في وقته، فقال الخياط: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذا المسكين ما كان موته إلا هكذا على أيدينا! فقالت المرأة: وما هذا التواني، أَمَا سمعتَ قول الشاعر:

مَا لِي أُعَلِّلُ نَفْسِي بِالْمُحَالِ عَلَى
أَمْرٍ يَكُونُ بِهِ هَمٌّ وَأَحْزَانُ
مَاذَا الْقُعُودُ عَلَى نَارٍ وَمَا خَمَدَتْ
إِنَّ الْقُعُودَ عَلَى النِّيرَانِ خُسْرَانُ

فقال لها زوجها: وما أفعله؟ قالت: قُمْ واحمله في حضنك، وانشر عليه فوطة حرير، وأخرج أنا قدامك وأنت ورائي في هذه الليلة، وقُلْ: هذا ولدي وهذه أمه، ومرادنا أن نؤديه إلى الطبيب ليداويه. فلما سمع الخياط هذا الكلامَ، قام وحمل الأحدب في حضنه، وزوجته تقول: يا ولدي، سلامتك، أين محل وجعك؟ وهذا الجدري كان لك في أي مكان؟ فكلُّ مَن رآهما يقول: معهما طفل مصاب بالجدري. ولم يزالَا سائرين وهما يسألان عن منزل الطبيب حتى دلُّوهما على بيت طبيب يهودي، فقرعَا الباب فنزلَتْ لهما جاريةٌ سوداء،

وفتحتِ البابَ ونظرَتْ، وإذا بإنسان حاملٍ صغيرًا وأمه معه، فقالت الجارية: ما خبركم؟ فقالت امرأة الخياط: معنا صغير مرادنا أن ينظره الطبيب، فخذي هذا الربع دينار، وأعطيه لسيدك ودعيه ينزل ليرى ولدي، فقد لحقه ضعف. فطلعت الجارية، ودخلت زوجة الخياط داخل العتبة وقالت لزوجها: دَعِ الأحدب هنا ونفوز بأنفسنا. فأوقفه الخياط، وأسنده إلى الحائط، وخرج هو وزوجته، وأما الجارية فإنها دخلت على اليهودي وقالت له: في أسفل البيت ضعيف مع امرأة ورجل، وقد أعطياني ربع دينار لك، وتصف لهما ما يوافقه. فلما رأى اليهودي الربعَ دينار فرح، وقام عاجلًا، ونزل في الظلام، فأول ما نزل عثرت رجله في الأحدب وهو ميت، فقال: يا للعزيز، يا للمولى، والعشر كلمات! يا لهارون ويوشع بن نون! كأني عثرتُ في هذا المريض، فوقع إلى أسفل فمات، فكيف أخرج بقتيلي من بيتي؟ فحمله وطلع به من حوش البيت إلى زوجته، وأعلمها بذلك، فقالت له: وما قعودك ها هنا؟! فإنْ قعدتَ هنا إلى طلوع النهار راحت أرواحنا، فأنا وأنت نطلع به السطح ونرميه في بيت جارنا المسلم؛ فإنه رجل مباشر على مطبخ السلطان، وكثيرًا ما تأتي القطط في بيته وتأكل ممَّا فيه من الأطعمة والفئران، وإنِ استمر فيه ليلة تنزل عليه الكلاب من السطوح وتأكله جميعه. فطلع اليهودي وزوجته وهما حاملان الأحدب، وأنزلاه بيدَيْه ورجلَيْه إلى الأرض، وجعلاه ملاصقًا للحائط، ثم نزلَا وانصرفَا، ولم يستقر نزول الأحدب إلا والمباشِر قد جاء إلى البيت وفتحه وطلع البيت ومعه شمعة مضيئة، فوجد ابن آدم واقفًا في الزاوية في جانب المطبخ، فقال ذلك المباشر: ما هذا؟ والله إن الذي يسرق حوائجنا، ما هو إلا ابن آدم فيأخذ ما وجده من لحم أو دهن، ولو خبأته من القطط والكلاب؛ وإنْ قتلتُ قطط الحارة وكلابها جميعًا لا يفيد؛ لأنه ينزل من السطوح. ثم أخذ مطرقة عظيمة ووكزه بها فصار عنده، ثم ضربه بها على صدره فوقع، فوجده ميتًا، فحزن وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وخاف على نفسه وقال: لعن الله الدهن واللحم وهذه الليلة، كيف فرغَتْ منية ذلك الرجل على يدي؟ ثم نظر إليه فإذا هو أحدب، فقال: أَمَا يكفي أنك أحدب حتى تكون حراميًّا، وتسرق اللحم والدهن؟! يا ستَّار، استرني بسترك الجميل.

ثم حمله على أكتافه، ونزل به من بيته في آخر الليل، وما زال سائرًا به إلى أول السوق، فأوقفه بجانب دكان في رأس عطفة وتركه وانصرف، وإذا بنصراني وهو سمسار السلطان، وكان سكرانَ، فخرج يريد الحمام فقال له سكره: إن المسبح قريب. فما زال يمشي ويتمايل حتى قرب من

الأحدب، وجعل يريق الماء قباله، فلاحت منه التفاته فوجد واحدًا واقفًا، وكان النصراني قد خطفوا عمامته في أول الليل، فلما رأى الأحدب واقفًا اعتقد أنه يريد خطف عمامته، فطبق كفه ولكم الأحدب على رقبته، فوقع في الأرض، وصاح النصراني على حارس السوق، ثم نزل على الأحدب من شدة سكره ضربًا، وصار يخنقه خنقًا، فجاء الحارس فوجد النصراني باركًا على المسلم وهو يضربه، فقال الحارس: قُمْ عنه. فقام فتقدَّمَ إليه الحارس فوجده ميتًا، فقال: كيف يقتل النصراني مسلمًا؟ ثم قبض على النصراني وكتَّفَه، وجاء به إلى بيت الوالي، والنصراني يقول في نفسه: يا مسيح، يا عذراء، كيف قتلتُ هذا؟ وما أسرع ما مات في لكمة، قد راحت السكرة وجاءت الفكرة.****

ثم إن الأحدب والنصراني باتا في بيت الوالي، وأمر الوالي أن يُنادَى على السياف، ونصب للنصراني خشبة وأوقفه تحتها، وجاء السياف ورمى في رقبة النصراني الحبل، وأراد أن يعلقه، وإذا بالمباشر قد شَقَّ الناس، فرأى النصراني وهو واقف تحت المشنقة، ففسح الناس وقال للسياف: لا تفعل، أنا الذي قتلتُه. فقال له الوالي: لأي شيء قتلتَه؟ قال: إني دخلتُ الليلةَ بيتي فرأيته نزل من السطح، وسرق مصالحي فضربته بمطرقة على صدره فمات، فحملته وجئتُ به إلى السوق، وأوقفته في موضع كذا في عطفة كذا. ثم قال المباشِر: ما كفاني أني قتلتُ مسلمًا حتى يُقتَل بسببي نصراني! فلا تشنق غيري. فلما سمع الوالي كلامَ المباشِر أطلق النصراني السمسار، وقال للسياف: اشنق هذا باعترافه. فأخذ الحبل من رقبة النصراني، ووضعه في رقبة المباشِر، وأوقفه تحت الخشبة، وأراد أن يعلِّقه، وإذا باليهودي الطبيب قد شقَّ الناس، وصاح على السياف وقال له: لا تفعل، فما قتله إلا أنا؛ وذلك أنه جاءني في بيتي ليتداوى، فنزلتُ إليه فعثرتُ فيه برجلي فمات، فلا تقتل المباشِرَ، واقتلني. فأمر الوالي بقتل اليهودي الطبيب، فأخذ السيافُ الحبلَ من رقبة المباشِر، ووضعه في رقبة اليهودي الطبيب، وإذا بالخياط جاء وشقَّ الناس، وقال للسياف: لا تفعل، فما قتله إلا أنا، وذلك أني كنت بالنهار أتفرج، وجئت وقت العشاء فلقيتُ هذا الأحدب سكران ومعه دف وهو يغني بفرحة، فوقفت أتفرج عليه، وجئت به إلى بيتي واشتريت سمكًا وقعدنا نأكل، فأخذَتْ زوجتي قطعةَ سمك ولقمةً ودستهما في فمه، فزور فمات لوقته، فأخذته أنا وزوجتي وجئنا به لبيت اليهودي، فنزلت الجارية وفتحت لنا الباب، فقلت لها: قولي لسيدك إن بالباب امرأة ورجلًا ومعهما ضعيف تعال انظره وصِفْ له دواءً. وأعطيتها ربع دينار، فطلعتْ

لسيدها، وأسندتُ الأحدبَ إلى جهة السلم، ومضيت أنا وزوجتي، فنزل اليهودي فعثر فيه فظن أنه قتله. ثم قال الخياط لليهودي: أصحيح هذا؟ قال: نعم. والتفت الخياط للوالي، وقال له: أطلق اليهودي واشنقني. فلما سمع الوالي كلامه تعجَّبَ من أمر الأحدب، وقال: إن هذا أمر يُؤَرَّخ في الكتب. ثم قال للسياف: أطلق اليهودي، واشنق الخياط باعترافه. فقدَّمَه السياف وقال: هل نقدِّم هذا ونؤخِّر هذا، ولا نشنق واحدًا؟ ثم وضع الحبل في رقبة الخياط.

فهذا ما كان من أمر هؤلاء، وأما ما كان من أمر الأحدب، فقيل إنه كان مسخرة للسلطان، وكان السلطان لا يقدر أن يفارقه، فلما سكر الأحدب غاب عنه تلك الليلة، وثاني يوم إلى نصف النهار، فسأل عنه بعض الحاضرين فقالوا له: يا مولانا، طلع به الوالي وهو ميت، وأمر بشنق قاتله، فنزل الوالي ليشنق القاتل، فحضر له ثانٍ وثالث، وكلٌّ يقول: ما قتله إلا أنا، وكل واحد يذكر للوالي سببَ قتله له. فلما سمع الملك هذا الكلامَ صرخ على الحاجب وقال له: انزل إلى الوالي، وَأْتِني بهم جميعًا. فنزل الحاجب فوجد السياف كاد أن يقتل الخياط، فصرخ عليه الحاجب وقال: لا تفعل، وأَعْلِمِ الواليَ أن القضية بلغت الملك. ثم أخذه وأخذ الأحدب معه محمولًا، والخياط واليهودي والنصراني والمباشِر، وطلع بالجميع إلى الملك، فلما تمثَّلَ الوالي بين يديه قبَّلَ الأرض، وحكى له جميع ما جرى من الجميع، وليس في الإعادة إفادة، فلما سمع الملك هذه الحكاية تعجَّبَ وأخذه الطرب، وأمر أن يُكتَب ذلك بماء الذهب، وقال للحاضرين: هل سمعتم مثل قصة هذا الأحدب؟ فعند ذلك تقدَّمَ النصراني، وقال: يا ملك الزمان، إن أذنتَ لي حدَّثْتُكَ بشيء جرى لي، وهو أعجب وأغرب وأطرب من قصة الأحدب. فقال الملك: حدِّثنا بما عندك.

حكاية النصراني

فقال النصراني: اعلم يا ملك الزمان أني لما دخلتُ تلك الديار أتيتُ بمتجر، وأوقفني المقدور عندكم، وكان مولدي بمصر، وأنا من قبطها، وتربَّيْتُ بها، وكان والدي سمسارًا، فلما بلغتُ مبلغَ الرجال توفي والدي، فعملت سمسارًا مكانه، فبينما أنا قاعد يومًا من الأيام، وإذا بشاب أحسن ما يكون، وعليه أفخر ملبوس، وهو راكب حمارًا، فلما رآني سلَّم عليَّ، فقمتُ إليه تعظيمًا له، فأخرج منديلًا وفيه قدر من السمسم، وقال: كَمْ يساوي الإردبُّ من هذا؟ فقلت له: مائة درهم. فقال لي: خذ التراسين والكيالين، واعمد إلى خان الجوالي في باب النصر تجدني فيه. وتركني ومضى، وأعطاني السمسم بمنديله الذي فيه العينة، فدرتُ

على المشترين، فبلغ ثمن كل أردبٍّ مائةً وعشرين درهمًا، فأخذت معي أربعة تراسين، ومضيت إليه فوجدتُه في انتظاري، فلما رآني قام إلى المخزن وفتحه، فكيَّلناه فجاء جميع ما فيه خمسين إردبًّا، فقال الشاب: لك في كل إردبٍّ عشرة دراهم سمسرة، واقبض الثمن واحفظه عندك، وقدر الثمن خمسة آلاف، لك منها خمسمائة، ويبقى لي أربعة آلاف وخمسمائة، فإذا فرغ بيع حواصلي جئتُ إليك وأخذتها. فقلت له: الأمر كما تريد. ثم قبَّلْتُ يديه، ومضيتُ من عنده، فحصل لي في ذلك اليوم ألف درهم، وغاب عني شهرًا، ثم جاء وقال لي: أين الدراهم؟ فقلتُ: ها هي حاضرة. فقال: احفظها حتى أجيء إليك فآخذها. فقعدت أنتظره فغاب عني شهرًا، ثم جاء وقال لي: أين الدراهم؟ فقمتُ وسلَّمْتُ عليه وقلت له: هل لك أن تأكل عندنا شيئًا؟ فأبى وقال لي: احفظ الدراهم حتى أمضي وأجيء فآخذها منك. ثم ولَّى فقمتُ وأحضرتُ له الدراهم، وقعدتُ أنتظره، فغاب عني شهرًا، ثم جاء وقال: بعد هذا اليوم آخذها منك. ثم ولَّى فقمتُ وأحضرت له الدراهم، وقعدت أنتظره، فغاب عني شهرًا، فقلت في نفسي: إن هذا الشاب كامل السماحة. ثم بعد الشهر جاء وعليه ثياب فاخرة، وهو كالقمر ليلة البدر وكأنه قد خرج من الحمام، ووجهه كالقمر، وهو بخد أحمر وجبين أزهر وشامة كأنها قرص عنبر، وفي مثل ذلك قال الشاعر:

الْبَدْرُ وَالشَّمْسُ فِي بُرْجٍ قَدِ اجْتَمَعَا
فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْإِقْبَالِ قَدْ طَلَعَا
وَزَادَ حُسْنَهُمَا لِلنَّاظِرِينَ هَوًى
فَيَا لَهُ عِنْدَمَا دَاعِي السُّرُورِ دَعَا
فِي الْحُسْنِ وَالظَّرْفِ قَدْ زَادَا وَقَدْ كَمُلَا
إِلَيْهِمَا الرُّوحُ رَاحَتْ وَالْفُؤَادُ سَعَى
تَبَارَكَ اللهُ مَخْلُوقَاتُهُ عَجَبٌ
مَا شَاءَ رَبُّ الْعُلَا فِي خَلْقِهِ صَنَعَا

فلما رأيتُه قبَّلتُ يدَيْه ودعوت له، وقلتُ له: يا سيدي، أَمَا تقبض دراهمك؟ فقال: مهلًا عليَّ حتى أفرغ من قضاء مصالحي، وآخذها منك. ثم ولَّى فقلتُ في نفسي: والله إذا جاء لَأضيِّفنه لكوني انتفعتُ بدراهمه، وحصل لي منها مال الكثير، فلما كان آخِر السنة جاء وعليه بدلة أفخر من الأولى، فحلفتُ عليه أن ينزل عندي ويضيفني، فقال لي: بشرط أن ما تنفقه من مالي الذي عندك. قلتُ: نعم. وأجلستُه ونزلتُ هيَّأتُ ما ينبغي من الأطعمة والأشربة وغير ذلك، وأحضرتُه بين يدَيْه، وقلت له: باسم الله. فتقدَّمَ إلى المائدة، ومد يده الشمال، وأكل معي، فتعجَّبْتُ منه، فلما فرغنا غسل يده وناولتُه ما يمسحها به، وجلسنا للحديث فقلت: يا سيدي، فرِّجْ عني كربةً، لأيِّ

شيء أكلتَ بيدك الشمال، لعل في يدك اليمين شيئًا يؤلمك؟ فلما سمع كلامي أنشد هذين البيتين:

خَلِيلِيَ لَا تَسْأَلْ عَلَى مَا بِمُهْجَتِي
مِنَ اللَّوْعَةِ الْحَرَّى فَتَظْهَرَ أَسْقَامُ
وَمَا عَنْ رِضًا فَارَقْتُ سَلْمَى مُعَوِّضًا
بَدِيلًا وَلَكِنْ لِلضَّرُورَةِ أَحْكَامُ

ثم أخرج يده من كمه، وإذا هي مقطوعة زندًا بلا كف، فتعجبت من ذلك، فقال لي: لا تعجب، ولا تقل في خاطرك إني أكلتُ معك بيدي الشمال عجبًا، ولكن لقطع يدي اليمين سبب من العجب. فقلت له: وما سبب ذلك؟ فقال: اعلم أني من بغداد، ووالدي من أكابرها، فلما بلغت مبلغ الرجال سمعت السياحين والمسافرين والتجار يتحدثون بالديار المصرية، فبقي ذلك في خاطري حتى مات والدي، فأخذت أموالًا كثيرًا، وهيَّأت متجرًا من قماش بغدادي وموصلي، ونحو ذلك من البضائع النفيسة، وحزمت ذلك وسافرت من بغداد، وكتب الله السلامة لي حتى دخلت مدينتكم هذه، ثم بكى وأنشد هذه الأبيات:

قَدْ يَسْلَمُ الْأَكْمَهُ مِنْ حُفْرَةٍ
يَقَعُ فِيهَا الْبَاصِرُ النَّاظِرُ
وَيَسْلَمُ الْجَاهِلُ مِنْ لَفْظَةٍ
يَهْلَكُ فِيهَا الْعَالِمُ الْمَاهِرُ
وَيُعْسِرُ الْمُؤْمِنُ فِي رِزْقِهِ
وَيُرْزَقُ الْكَافِرُ الْفَاجِرُ
لَا حِيلَةٌ لِلْمَرْءِ فِي فِعْلِهِ
فَفِعْلُهُ قَدَّرَهُ الْقَادِرُ

فلما فرغ من شعره قال: فدخلت مصر، ونزَّلت القماش في خان سرور، وفككت أحمالي وأدخلتها، وأعطيت الخادم دراهم ليشتري لنا بها شيئًا نأكله، ونمت قليلًا، فلما قمت ذهبت بين القصرين، ثم رجعت وبت ليلتي، فلما أصبحت فتحت رزمة من القماش، وقلت في نفسي: أقوم لأشق في بعض الأسواق، وأنظر الحال. فأخذتُ بعضَ القماش، وحملتُه لبعض غلماني، وسرتُ حتى وصلت قيسرية جرجس، فاستقبلني السماسرة، وكانوا علموا بمجيئي، فأخذوا مني القماش، ونادوا عليه فلم يبلغ ثمنُه رأسَ ماله، فقال لي شيخ الدلَّالين: يا سيدي، أنا أعرف لك شيئًا تستفيد به، وهو أن تعمل مثل ما يعمل التجار، فتبيع متجرك إلى مدة معلومة بكاتب وشاهد وصيرفي، وتأخذ ما تحصَّل من ذلك في كل يوم خميس وإثنين قدرًا، فتكسب الدراهم كل درهم اثنين، وزيادة على ذلك تتفرج على مصر ونيلها. فقلت: هذا رأي سديد.

كنتُ جالسًا عند التجار، فجاءت الصَّبِية وعليها بدلةٌ أفخرُ من الأولى، ومعها جاريةٌ.

فأخذت معي الدلالين، وذهبت إلى الخان، فأخذوا القماش إلى القيسرية، فبعته إلى التجار، وكتبت

عليهم وثيقة ودفعت الوثيقة إلى الصيرفي، وأخذت عليه وثيقة بذلك، ورجعت إلى الخان، وأقمت أيامًا كل يوم أفطر على قدح من الشراب، وأحضر اللحم الضاني والحلويات، حتى دخل الشهر الذي استُحِقَّت فيه الجباية، فبقيت كل خميس وإثنين أقعد على دكاكين التجار، ويمضي الصيرفي والكاتب فيجيئان بالدراهم من التجار ويأتياني بها، إلى أن دخلت الحمام يومًا من الأيام، وخرجت إلى الخان، ودخلت موضعي، وأفطرت على قدح من الشراب، ثم نمت وانتبهت، فأكلت دجاجةً وتعطَّرْتُ، وذهبت إلى دكان رجل تاجر يقال له بدر الدين البستاني، فلما رآني رحَّب بي، وتحدث معي ساعة في دكانه، فبينما نحن كذلك وإذا بامرأة جاءت وقعدت بجانبي، وعليها عصابة مائلة، وتفوح منها روائح الطيب، فسلبت عقلي بحسنها وجمالها، ورفعَتِ الإزارَ فنظرتُ إلى أحداق سود، ثم سلَّمَتْ على بدر الدين فردَّ عليها السلام، ووقف وتحدَّث معها، فلما سمعت كلامها تمكَّنَ حبُّها من قلبي، فقالت لبدر الدين: هل عندك تفصيلة من القماش المنسوج من خالص الذهب؟ فأخرج لها تفصيلة، فقالت للتاجر: هل آخذها وأذهب، ثم أرسل إليك ثمنها؟ فقال لها التاجر: لا يمكن يا سيدتي؛ لأن هذا صاحب القماش، وله عليَّ قسط. فقالت: ويلك! إن عادتي أن آخذ منك كل قطعة قماش بجملة دراهم، وأُربِحك فيها فوق ما تريد، ثم أرسل إليك ثمنها. فقال: نعم، ولكني مضطر إلى الثمن في هذا اليوم. فأخذت التفصيلة ورمته بها في صدره، وقالت: إن طائفتكم لا تعرف لأحد قدرًا. ثم قامت مولية، فظننتُ أن روحي راحت معها، فقمت ووقفت، وقلت لها: يا سيدتي، تصدَّقي عليَّ بالالتفات، وارجعي بخطواتك الكريمة. فرجعت وتبسَّمت وقالت: لأجلك رجعت. وقعدَتْ قصادي على الدكان، فقلت لبدر الدين: هذه التفصيلة كم ثمنها عليك؟ قال: ألف ومائة درهم. فقلت له: ولك مائة درهم فائدة. فهات ورقة فأكتب لك فيها ثمنها. فأخذتُ التفصيلة منه، وكتبتُ له ورقة بخطي، وأعطيتها التفصيلة، وقلتُ لها: خذي أنت وروحي، وإن شئتِ هاتي ثمنها إليَّ في السوق، وإن شئتِ هي ضيافتك مني. فقالت: جزاك الله خيرًا، ورزقك مالي، وجعلك بعلي.

فتقبَّلَ الله الدعوة، وقلتُ لها: يا سيدتي، اجعلي هذه التفصيلة لك، ولك أيضًا مثلها، ودعيني أنظر وجهكِ. فكشفَتِ القناعَ عن وجهها، فلما نظرت وجهها نظرة أعقبتني ألف حسرة، وتعلق قلبي بمحبتها، فصرت لا أملك عقلي، ثم أرخت القناع وأخذت التفصيلة، وقالت: يا سيدي، لا توحشني. وقد ولتْ وقعدتُ في السوق إلى بعد

العصر، وأنا غائب العقل، وقد تحكَّمَ الحبُّ عندي، فمن شدة ما حصل لي من الحب سألت التاجر عنها حين أردتُ القيام، فقال لي: إن هذه صاحبة مال، وهي بنت أمير، مات والدها وخلَّف لها مالًا كثيرًا. فودَّعتُه وانصرفتُ، وجئتُ إلى الخان فقدَّمَ إليَّ العشاء، فتذكرتُها فلم آكل شيئًا، ونمت فلم يأتني نوم، فسهرت إلى الصباح، ثم قمتُ فلبست بدلةً غير التي كانَتْ عليَّ، وشربتُ قدحًا من الشراب، وفطرتُ على شيء قليل، وجئتُ إلى دكان التاجر فسلَّمتُ عليه وجلست عنده، فجاءت الصبية وعليها بدلة أفخر من الأولى، ومعها جارية، فجلسَتْ وسلَّمَتْ عليَّ دون بدر الدين، وقالت لي بلسان فصيح ما سمعتُ أعذب ولا أحلى منه: أرسِلْ معي مَن يقبض الألف والمائتي درهم ثمنَ التفصيلة. فقلتُ لها: ولأي شيء العجلة؟ فقالت: لا عدمناك. وناولتني الثمن، وقعدت أتحدَّث معها، فأومأت إليها بالإشارة، ففهمت أني أريد وصالها، فقامت على عجل منها، واستوحشت مني وقلبي متعلق بها.

وخرجت أنا خارج السوق في إثرها، وإذا بجارية أتتني وقالت: يا سيدي، كلِّمْ سيدتي. فتعجبتُ وقلت: ما يعرفني هنا أحدٌ. فقالت الجارية: ما أسرع ما نسيتَها! سيدتي التي كانت اليومَ على دكان التاجر فلان. فمشيت معها إلى الصيارف، فلما رأتني أزوتني لجانبها، وقالت: يا حبيبي، وقعت بخاطري وتمكَّنَ حبك من قلبي، ومن ساعة رأيتُكَ لم يَطِبْ لي نوم ولا أكل ولا شرب. فقلت لها: عندي أضعاف ذلك، والحال يُغني عن الشكوى. فقالت: يا حبيبي، أجيء عندك أو تجيء عندي؟ فقلتُ لها: أنا رجل غريب، وما لي مكان يأويني إلا الخان، فإن تصدَّقْتِ عليَّ بأن أكون عندك يكمل الحظ. قالت: نعم، لكن الليلة ليلة الجمعة ما فيها شيء، إلا إن كان في غدٍ بعد الصلاة، فصَلِّ واركب حمارك، واسأل عن الحبَّانية، فإن وصلتَ فاسأل عن قاعة بركات النقيب المعروف بأبي شامة، فإني ساكنة هناك، ولا تبطئ فإني في انتظارك.

ففرحت فرحًا زائدًا، ثم افترقنا، وجئتُ للخان الذي أنا فيه، وبتُّ طول الليل سهرانَ، فما صدقت أن الفجر لاحَ حتى قمتُ وغيَّرتُ ملبوسي، وتعطَّرْتُ وتطيَّبْتُ، وأخذت معي خمسين دينارًا في منديل، ومشيت من خان مسرور إلى باب زويلة، فركبت حمارًا وقلت لصاحبه: امض بي إلى الحبانية. فمضى في أقل من لحظة، فما أسرع ما وقف على درب يقال له درب المنقري، فقلت له: ادخل الدرب، واسأل عن قاعة النقيب. فغاب قليلًا وقال: انزل. فقلت: امشِ قدامي إلى القاعة. فمشى حتى أوصلني إلى المنزل، فقلت له: في غدٍ

تجيئني هنا وتوديني. فقال الحَمَّار: باسم الله. فناولته ربع دينار ذهبًا، فأخذه وانصرف، فطرقتُ البابَ فخرج لي بنتان صغيرتان، وبكران منهدتان كأنهما قمران، فقالتا: ادخل إن سيدتنا في انتظارك، لم تَنَمِ الليلةَ لولعها بك. فدخلت قاعة مغلقة بسبعة أبواب، وفي دائرها شبابيك مطلة على بستان فيه من الفواكه جميع الألوان، وبه أنهار دافقة، وطيور ناطقة، وهي مبيضة بياضًا سلطانيًّا، يرى الإنسان وجهه فيها، وسقفها مقربص بذهب، وفي دائرها طرازات مكتوبة باللازورد، قد حوت أوصافًا حسنة، وأضاءت للناظرين، وأرضها مفروشة بالرخام المجزَّع، وفي وسطها فسقية، وفي أركان تلك الفسقية الدر والجوهر مفروشة بالبسط الحرير الملونة والمراتب، فلما دخلتُ جلستُ. وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتَتْ عن الكلام المباح.

قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب التاجر قال للنصراني: فلما دخلت وجلست لم أشعر إلا والصبية قد أقبلَتْ وعليها تاج مكلَّل بالدر والجوهر، وهي منقشة مكتبة، فلما رأتني تبسمت في وجهي، وحضنتني، ووضعتني على صدرها، وجعلت فمها على فمي، وجعلت تمص لساني، وأنا كذلك، وقالت: أصحيح أتيتَ عندي أم هذا منام؟ فقلت لها: أنا عبدك. فقالت: أهلًا ومرحبًا، والله من يوم رأيتُكَ ما لذَّ لي نوم، ولا طاب لي طعام. فقلتُ: وأنا كذلك. ثم جلسنا نتحدث وأنا مطرق برأسي إلى الأرض حياءً، ولم أمكث إلا قليلًا حتى قدَّمت لي سفرةً من أفخر الألوان، من محمَّر ومرقَّق ودجاج محشي، فأكلت معها حتى اكتفينا، ثم قدَّموا إليَّ الطشت والإبريق، فغسلت يدي، ثم تطيَّبنا بماء الورد الممَسَّك، وجلسنا نتحدَّث فأنشدت هذين البيتين:

لَوْ عَلِمْنَا قُدُومَكُمْ لَفَرَشْنَا
مُهْجَةَ الْقَلْبِ مَعْ سَوَادِ الْعُيُونِ
وَوَضَعْنَا خُدُودَنَا لِلِقَاكُمْ
وَجَعَلْنَا الْمَسِيرَ فَوْقَ الْجُفُونِ

وهي تشكو إليَّ ما لاقت، وأنا أشكو إليها ما لاقيت، وتمكن حبها عندي، وهان عليَّ جميع المال، ثم أخذنا نلعب ونتهارش مع العناق والتقبيل إلى أن أقبل الليل، فقدمت لنا الجواري الطعام والمُدام، فإذا هي حضرة كاملة، فشربنا إلى نصف الليل، ثم اضطجعنا ونمنا، فنمت معها إلى الصباح، فما رأيت عمري مثل هذه الليلة، فلما أصبح الصباح قمت ورميت لها تحت الفراش المنديل الذي فيه الدنانير، وودَّعتُها وخرجتُ. فبكَتْ وقالت: يا سيدي، متى أرى هذا الوجه المليح؟ فقلتُ لها: أكون عندك وقت العشاء. فلما خرجتُ أصبتُ الحَمَّار الذي جاء بي بالأمس على الباب ينتظرني،

فركبتُ معه حتى وصلت خان مسرور، فنزلت وأعطيت الحمَّار نصف دينار، وقلت له: تعالَ في وقت الغروب. قال: على الرأس. فدخلت الخان وفطرت، ثم خرجت أطالب بثمن القماش، ثم رجعت وقد عملت لها خروفًا مشويًّا، وأخذت حلاوة، ثم دعوتُ الحمَّالَ، ووصفتُ له المحل، وأعطيته أجرته، ورجعت في أشغالي إلى الغروب، فجاءني الحمَّار، فأخذت خمسين دينارًا وجعلتها في منديل ودخلت، فوجدتهم مسحوا الرخام، وحلوا النحاس، وعمروا القناديل، وأوقدوا الشموع، وغرفوا الطعام، وروَّقوا الشراب، فلما رأتني رمت يديها على رقبتي، وقالت: أوحشتني. ثم قدمت الموائد، فأكلنا حتى اكتفينا، ورفعت الجواري المائدة، وقدمت المدام، فلم نزَل في شراب وتقبيل وحظ إلى نصف الليل، فنمنا إلى الصباح، ثم قمتُ وناولتها الخمسين دينارًا على العادة، وخرجتُ من عندها، فوجدت الحمَّار فركبت إلى الخان، فنمت ساعةً ثم قمت جهزت العشاء، فعملت جوزًا ولوزًا، وتحتهم أرز مفلفل، وعملت قلقاسًا مقليًّا، ونحو ذلك، وأخذت فاكهة ونُقلًا ومشمومًا، وأرسلتها وسرت إلى البيت، وأخذت خمسين دينارًا في منديل، وخرجت ركبت مع الحمار على العادة إلى القاعة، فدخلت ثم أكلنا وشربنا ونمنا إلى الصباح، ولما قمتُ رميت لها المنديل، وركبت إلى الخان على العادة، ولم أزل على تلك الحالة مدةً إلى أن بتُّ وأصبحتُ لا أملك درهمًا ولا دينارًا، فقلت في نفسي: هذا من فعل الشيطان. وأنشدت هذه الأبيات:

فَقْرُ الْفَتَى يُذْهِبُ أَنْوَارَهُ
كَاصْفِرَارِ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمُغِيبْ
إِنْ غَابَ لَا يُذْكَرُ بَيْنَ الْوَرَى
وَإِنْ أَتَى فَمَا لَهُ مِنْ نَصِيبْ
يَمُرُّ فِي الْأَسْوَاقِ مُسْتَخْفِيًا
وَفِي الْفَلَا يَبْكِي بِدَمْعٍ صَبِيبْ
وَاللهِ مَا الْإِنْسَانُ فِي أَهْلِهِ
إِذَا ابْتَلَى بِالْفَقْرِ إِلَّا غَرِيبْ

ثم تمشَّيْتُ إلى أن وصلتُ بين القصرين، ولا زلت أمشي حتى وصلت إلى باب زويلة، فوجدت الخلق في ازدحام، والباب مسندًا من كثرة الخلق، فرأيت بالأمر المقدر جنديًّا فزاحمته بغير اختياري، فجاءت يدي على جيبه فجسَسْتُه، فوجدت فيه صرة من داخل الجيب الذي يدي عليه، فعمدت إلى تلك الصرة فأخذتها من جيبه، فأحسَّ الجندي بأن جيبه خفَّ، فحطَّ يده في جيبه، فلم يجد شيئًا والتفَتَ نحوي ورفع يده بالدبوس، وضربني على رأسي، فسقطت على الأرض، فاحتاط بنا الناس بنا وأمسكوا لجام فرس الجندي، وقالوا: أمن أجل الزحمة تضرب هذا الشاب هذه الضربة. فصرخ

عليهم الجندي وقال: هذا حرامي سارق. فعند ذلك أفقت ورأيت الناس يقولون: هذا الشاب مليح لم يأخذ شيئًا. فبعضهم يصدِّق، وبعضهم يكذِّب، وكثر القيل والقال، وجذبني الناس وأرادوا خلاصي منه، فبالأمر المقدر جاء الوالي هو وبعض الحكام في هذا الوقت، ودخلوا من الباب، فوجدوا الخلق مجتمعين عليَّ وعلى الجندي، فقال الوالي: ما الخبر؟ فقال الجندي: والله يا أمير إن هذا حرامي، وكان في جيبي كيس أزرق فيه عشرون دينارًا فأخذه وأنا في الزحام. فقال الوالي للجندي: هل كان معك أحد؟ فقال الجندي: لا. فصرخ الوالي على المقدم، وقال: أمسكه، وفتِّشْه. فأمسكني وقد زال الستر عني، فقال له الوالي: أَعْرِه من جميع ما عليه. فلما أعراني وجدوا الكيس في ثيابي، فلما وجدوا الكيس أخذه الوالي وفتحه وعَدَّه، فرأى فيه عشرين دينارًا كما قال الجندي، فغضب الوالي وصاح بأتباعه، وقال: قدِّموه. فقدَّموني بين يديه، فقال لي: يا صبي، قُلِ الحقَّ هل أنت سرقتَ هذا الكيس؟ فأطرقتُ برأسي إلى الأرض، وقلت في نفسي: إنْ قلتُ ما سرقتُه، فقد أخرجه من ثيابي، وإن قلتُ سرقتُه وقعتُ في العناء. ثم رفعت رأسي وقلتُ: نعم أخذته. فلما سمع مني الوالي هذا الكلام تعجَّبَ، ودعا الشهود فحضروا وشهدوا على منطقي هذا كله في باب زويلة، فأمر الوالي السيَّاف بقطع يدي، فقطع يدي اليمين، فرقَّ قلب الجندي، وشفع في عدم قتلي، وتركني الوالي ومضى، وصارت الناس حولي وسقوني قدح شراب، وأما الجندي فإنه أعطاني الكيس وقال: أنت شاب مليح، ولا ينبغي أن تكون لصًّا. فأخذته منه، وأنشدت هذه الأبيات:

وَاللهِ مَا كُنْتُ لِصًّا يَا أَخَا ثِقَةٍ
وَلَمْ أَكُنْ سَارِقًا يَا أَحْسَنَ النَّاسِ
لَكِنْ رَمَتْنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْ عَجَلٍ
فَزَادَ هَمِّي وَوَسْوَاسِي وَإِفْلَاسِي
وَمَا رَمَيْتُ وَلَكِنَّ الْإِلَهَ رَمَى
سَهْمًا فَطَيَّرَ تَاجَ الْمُلْكِ عَنْ رَاسِي

فتركني الجندي وانصرف بعد أن أعطاني الكيس، وانصرفت أنا ولففت يدي في خرقة وأدخلتُها عبِّي، وقد تغيَّرت حالتي واصفرَّ لوني ممَّا جرى لي، فتمشيتُ إلى القاعة وأنا على غير استواءٍ، ورميتُ روحي على الفراش، فنظرتني الصبية متغير اللون، فقالت لي: ما وجعك وما لي أرى حالتَكَ تغيَّرَتْ؟ فقلتُ لها: رأسي توجعني، وما أنا طيب. فعند ذلك اغتاظت وتشوَّشت لأجلي، وقالت: لا تحرق قلبي يا سيدي، اقعد وارفع رأسك، وحدِّثني بما حصل لك اليوم، فقد بان لي في وجهك كلام. فقلت: دعيني من الكلام. فبكَتْ وقالت: كأنك قد فرغ غرضك مِنَّا، فإني أراك على خلاف العادة.

فبكَتْ وصارت تحدِّثني وأنا لا أجيبها حتى أقبل الليل، فقدَّمت لي الطعام فامتنعتُ، وخشيت أن تراني آكل بيدي الشمال، فقلت: لا أشتهي أن آكل في هذه الساعة. فقالت: حدِّثني بما جرى لك في هذا اليوم، ولأي شيء أراك مهمومًا مكسورَ الخاطر والقلب؟ فقلتُ: في هذه الساعة أحدِّثك على مهلي. فقدَّمت لي الشراب وقالت: دونك؛ فإنه يزيل همك، فلا بد أن تشرب وتحدِّثني بخبرك. فقلت لها: إن كان ولا بد فاسقيني بيدكِ. فملأت القدح وشربته وملأَتْه وناولتني إياه، فتناولتُه منها بيدي الشمال، وفرَّتِ الدمعةُ من جفني، فأنشدتُ هذه الأبيات:

إِذَا أَرَادَ اللهُ أَمْرًا لِامْرِئٍ
وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَسَمْعٍ وَبَصَرْ
أَصَمَّ أُذْنَيْهِ وَأَعْمَى قَلْبَهُ
وَسَلَّ مِنْهُ عَقْلَهُ سَلَّ الشَّعَرْ
حَتَّى إِذَا أَنْفَذَ فِيهِ حُكْمَهُ
رَدَّ إِلَيْهِ عَقْلَهُ مَعَ النَّظَرْ

فلما فرغتُ من شعري تناولت القدح بيدي الشمال وبكيت، فلما رأتني أبكي صرخت صرخة قوية، وقالت: ما سبب بكائك؟ قد أحرقت قلبي، ومالك تناولت القدح بيدك الشمال؟ فقلت لها: إن بيدي حبة. فقالت: أخرجها حتى أفقعها لك. فقلت: ما هو وقت فقعها، لا تطيلي عليَّ، فما أخرجها في تلك الساعة. ثم شربتُ القدح، ولم تزل تسقيني حتى غلب السكر عليَّ، فنمتُ مكاني، فأبصرَتْ يدي بلا كفٍّ، ففتَّشَتْنِي فرأت معي الكيس الذي فيه الذهب، فدخل عليها الحزن ما لا يدخل على أحد، ولا زالت تتألَّمُ بسببي إلى الصباح، فلما أفقتُ من النوم وجدتها هيَّأَت لي مسلوقة وقدَّمَتْها، فإذا هي أربعة طيور من الدجاج، وأسقتني قدحَ شرابٍ، فأكلت وشربت، وحططْتُ الكيس وأردتُ الخروجَ، فقالت: أين تروح؟ فقلت: إلى مكان كذا لأزحزح بعض الهم عن قلبي. فقالت: لا ترحل، بل اجلس. فجلستُ، فقالت لي: وهل بلغَتْ محبتك إياي إلى أن صرفت جميع مالك عليَّ، وعدمت كفَّك؟ فأُشهِدُكَ عليَّ، والشاهد الله، أني لا أفارقك، وسترى صحةَ قولي، ولعل الله استجاب دعوتي بزواجك. وأرسلت خلف الشهود فحضروا، فقالت لهم: اكتبوا كتابي على هذا الشاب، واشهدوا أني قبضتُ المهرَ. فكتبوا كتابي عليها، ثم قالت: اشهدوا أن جميع مالي الذي في هذا الصندوق، وجميع ما عندي من المماليك والجواري لهذا الشاب. فشهدوا عليها وقبلتُ أنا التمليك، وانصرفوا بعدما أخذوا الأجرة.

ثم أخذتني من يدي، وأوقفتني على خزانةٍ، وفتحَتْ صندوقًا كبيرًا، وقالت لي: انظر هذا الذي

في الصندوق. فنظرتُ فإذا هو ملآن مناديل، فقالت: هذا مالك الذي أخذتُه منك، فكلما أعطيتني منديلًا فيه خمسون دينارًا، ألفُّه وأرميه في هذا الصندوق، فخُذْ مالَك، فقد ردَّه الله عليك، وأنت اليومَ عزيزٌ، فقد جرى عليك القضاء بسببي حتى عدمت يمينك، وأنا لا أقدر على مكافأتك، ولو بذلتُ روحي لَكان ذلك قليلًا، ولك الفضل. ثم قالت لي: تسلَّمْ مالك. فتسلمتُه، ثم نقلتُ ما في صندوقها إلى صندوقي، وضممتُ مالها إلى مالي الذي كنتُ أعطيتُها إياه، وفرح قلبي وزال همي، فقمتُ قبَّلتها وسكرت معها، فقالت: لقد بذلتَ جميع مالك ويدك في محبتي، فكيف أقدر على مكافأتك؟ والله لو بذلتُ روحي في محبتِكَ لَكان ذلك قليلًا، وما أقوم بواجب حقك عليَّ.

ثم إنها كتبَتْ لي جميعَ ما تملك من ثياب بدنها وصيغتها وأملاكها بحجة، وما نامت تلك الليلة إلا مهمومة من أجلي حين حكيت لها ما وقع لي، وبتُّ معها، ثم أقمنا على ذلك أقل من شهر، وقوي بها الضعف وزاد بها المرض، وما مكثَتْ غير خمسين يومًا، ثم صارت من أهل الآخرة، فجهَّزْتُها وواريتُها في التراب، وعملتُ لها ختمات، وتصدَّقتُ عليها بجملة من المال، ثم نزلت من التربة، فرأيت لها مالًا جزيلًا وأملاكًا وعقارات، ومن جملة ذلك تلك المخازن السمسم التي بعتُ لك منها ذلك المخزن، وما كان اشتغالي عنك هذه المدة إلا لأني بعتُ بقية الحواصل، وإلى الآن لم أفرغ من قبض الثمن، فأرجو منك أنك لا تخالفني فيما أقوله لك؛ لأني أكلت زادك، فقد وهبتُكَ ثمن السمسم الذي عندك، فهذا سبب أكلي بيدي الشمال. فقلت له: لقد أحسنتَ إليَّ، وتفضَّلْتَ عليَّ. فقال لي: لا بد أن تسافر معي إلى بلادي، فإني اشتريت متجرًا مصريًّا وإسكندرانيًّا، فهل لك في مصاحبتي؟ فقلتُ: نعم. وواعدته على رأس الشهر، ثم بعت جميع ما أملك، واشتريت به متجرًا، وسافرت أنا وذلك الشاب على هذه البلاد التي هي بلادكم، فباع الشاب متجره، واشترى متجرًا عوضه من بلادكم، ومضى إلى الديار المصرية، فكان نصيبي في قعودي هذه الليلة حتى حصل ما حصل في غربتي. فهذا يا ملك الزمان ما هو أعجب من حديث الأحدب. فقال الملك: لا بد من شنقكم كلكم. وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتَتْ عن الكلام المباح.

قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن ملك الصين لما قال: لا بد من شنقكم. فعند ذلك تقدَّمَ المباشِر إلى ملك الصين، وقال: إنْ أذنتَ لي حكيتُ لك حكايةً اتفقت لي في تلك المدة قبل أن أجد هذا الأحدب، وإن كانت أعجب من حديثه تهب لنا أرواحنا. فقال الملك: هات ما عندك.

حكاية المباشِر

فقال: اعلم أني كنتُ تلك الليلة الماضية عند جماعة عملوا ختمة، وجمعوا الفقهاء، فلما قرأ المقرئون وفرغوا، مدوا السماط، فمن جملة ما قدَّموا زرباجة، فتقدَّمْنا لنأكل من الزرباجة، فتأخَّرَ واحد منَّا، وامتنع من الأكل منها، فحلفنا عليه فأقسم أنه لا يأكل منها، فشددنا عليه فقال: لا تشددوا عليَّ، فكفاني ما جرى لي من أكلها، ثم أنشد هذا البيت:

رَاعِ الصَّدِيقَ فَإِنْ لَمْ تَرْعَ خَاطِرَهُ
فَلَنْ تُعِينَ عَلَى إِرْجَاعِهِ الْحِيَلُ

فلما فرغنا قلنا له: بالله ما سبب امتناعك عن الأكل من هذه الزرباجة؟ فقال: لأني لا آكل منها إلا إنْ غسلتُ يدي أربعين مرة بالأشنان، وأربعين مرةً بالسعد، وأربعين مرةً بالصابون، فجملتها مائة وعشرون مرةً. فعند ذلك أمر صاحب الدعوة غلمانه، فأتوا بالماء وبالذي طلبه، فغسل يدَيْه كما ذكر، ثم تقدَّمَ وهو متكرِّه، وجلس ومد يده وهو مثل الخائف، ووضع يده في الزرباجة، وصار يأكل وهو متغصِّب، ونحن نتعجَّب منه غاية التعجب، ويده ترتعد، فنصب إبهام يده فإذا هو مقطوع، وهو يأكل بأربعة أصابع، فقلنا له: بالله عليك ما لإبهامك هكذا؟ أهو خلقة الله أم أصابه حادث؟ فقال: يا إخواني، ما هو هذا الإبهام وحده، ولكن إبهام الأخرى، وكذلك رجلاي الاثنان، ولكن انظروا. ثم كشف إبهام يده الأخرى، فوجدناها مثل اليمين، وكذلك رجلاه بلا إبهامين، فلما رأيناه كذلك ازددنا عجبًا، وقلنا له: ما بقي لنا صبر على حديثك وأخبار سبب قطع إبهامَيْ يدَيْك وإبهامَيْ رجلَيْك، وسبب غسل يدَيْك مائةً وعشرين مرة.

فقال: اعلموا أن والدي كان تاجرًا من التجار الكبار، وكان أكبر تجار مدينة بغداد في أيام الخليفة هارون الرشيد، وكان مولعًا بشرب الخمر، وسماع العود، فلما مات لم يترك شيئًا، فجهَّزته وقد عملت له ختمات، وحزنتُ عليه أيامًا ولیالي، ثم فتحتُ دكانه، فما وجدتُه خلف إلا يسيرًا، ووجدتُ عليه ديونًا كثيرة، فصبَّرْتُ أصحابَ الديون، وطيَّبْتُ خواطرهم، وصرتُ أبيع وأشتري من الجمعة إلى الجمعة، وأعطي أصحاب الديون، ولا زلت على هذه الحالة مدةً إلى أن وفَّيْتُ الديون، وزدتُ على رأس مالي، فبينما أنا جالس يومًا من الأيام إذا بي رأيت صبية لم تَرَ عيني أحسنَ منها، عليها حلي وحلل فاخرة، وهي راكبة بغلة، وقدامها عبد ووراءها عبد، فأوقفَتِ البغلةَ على رأس السوق، ودخلَتْ ودخل وراءها خادم، وقال: يا سيدتي، اخرجي ولا تعلمي أحدًا، فتطلقي فينا النار. ثم حجبها الخادم، فلما نظرَتْ إلى دكاكين التجار لم تجد أفخر من دكاني، فلما وصلَتْ إلى جهتي والخادم خلفها، جلسَتْ على دكاني وسلَّمَتْ عليَّ،

فما سمعتُ أحسنَ من حديثها، ولا أعذب من كلامها، ثم كشفَتْ عن وجهها، فنظرتها نظرةً أعقبتني حسرةً، وتعلَّق قلبي بمحبتها، وجعلتُ أكرِّر النظرَ إلى وجهها، وأنشدتُ هذين البيتين:

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الْخِمَارِ الْفَاخِتِي
الْمَوْتُ حَقًّا مِنْ عَذَابِكِ رَاحَتِي
جُودِي إِلَيَّ بِزَوْرَةٍ أَحْيَا بِهَا
هَا قَدْ مَدَدْتُ إِلَى نَوَالِكِ رَاحَتِي

فلما سمعَتْ إنشادهما أجابتني بهذه الأبيات:

عَدِمْتُ فُؤَادِي فِي الْهَوَى إِنْ سَلَاكُمُ
فَإِنَّ فُؤَادِي لَا يُحِبُّ سِوَاكُمُ
وَإِنْ نَظَرَتْ عَيْنِي إِلَى غَيْرِ حُسْنِكُمُ
فَلَا سَرَّهَا بَعْدَ الْبِعَادِ لِقَاكُمُ
حَلَفْتُ يَمِينًا لَسْتُ أَسْلِي هَوَاكُمُ
وَقَلْبِي حَزِينٌ مُغْرَمٌ بِهَوَاكُمُ
سَقَانِي الْهَوَى كَأْسًا مِنَ الْحُبِّ صَافِيًا
فَيَا لَيْتَهُ لَمَّا سَقَانِي سَقَاكُمُ
خُذُوا رَمَقِي حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ بِكُمْ نَوًى
وَأَيْنَ حَلَلْتُمْ فَادْفِنُونِي حِذَاكُمُ
وَإِنْ تَذْكُرُوا اسْمِي عِنْدَ قَبْرِي يُجِيبُكُمْ
أَنِينُ عِظَامِي عِنْدَ رَفْعِ نِدَاكُمُ
فَلَوْ قِيلَ لِي مَاذَا عَلَى اللهِ تَشْتَهِي
لَقُلْتُ رِضَا الرَّحْمَنِ ثُمَّ رِضَاكُمُ

فلما فرغَتْ من شعرها قالت: يا فتى، أعندك تفاصيل ملاح؟ فقلت: يا سيدتي، مملوكك فقير، ولكن اصبري حتى تفتح التجار دكاكينهم، وأجيء لك بما تريدينه. ثم تحدَّثْتُ أنا وإياها، وأنا غارق في بحر محبتها، تائه في عشقها، حتى فتحت التجار دكاكينهم، فقمت وأخذت لها جميع ما طلبته، وكان ثمن ذلك خمسة آلاف درهم، وناولت الخادم جميع ذلك، فأخذه الخادم وذهبَا إلى خارج السوق، فقدَّموا لها البغلة، فركبت ولم تذكر لي من أين هي، واستحيت أن أذكر لها ذلك، والتزمت الثمن للتجار وتكلَّفْتُ خمسةَ آلاف درهم، وجئتُ البيتَ وأنا سكران من محبتها، فقدَّموا لي العشاء، فأكلت لقمة، وتذكرت حُسْنَها وجمالها، فأشغلني عن الأكل، وأردتُ أن أنام فلم يجئني نوم.

ولم أزل على هذه الحالة أسبوعًا، وطالبتني التجار بأموالهم فصبَّرتهم أسبوعًا آخَر، فبعد الأسبوع أقبلَتْ وهي راكبة على البغلة ومعها خادم وعبدان، فسلَّمَتْ عليَّ وقالت: يا سيدي، أبطأنا عليك بثمن القماش، فهات الصيرفي واقبض الثمن. فجاء الصيرفي وأخرج له الطواشي الثمن فقبضته، وصرت أتحدث أنا وإياها إلى أن عمر السوق وفتحت التجار، فقالت: خذ لي كذا وكذا. فأخذتُ لها من التجار ما أرادَتْ وأخذَتْه ومضَتْ ولم تخاطبني في ثمن، فلما مضَتْ ندمتُ على ذلك،

وكنتُ أخذتُ الذي طلبته بألف دينار، فلما غابت عن عيني قلت في نفسي: أي شيء هذه المحبة؟ أعطتني خمسة آلاف درهم وأخذت شيئًا بألف دينار. فخفتُ الإفلاس وضياع مال الناس، وقلت: إن التجار لم يعرفوا إلا أنا. فما كانت هذه المرأة إلا محتالةً خدعتني بحُسْنها وجمالها، ورأتني صغيرًا فضحكَتْ عليَّ ولم أسألها عن منزلها.

ولم أزل في وسواس، وطالت غيبتها أكثر من شهر، فطالبني التجار وشدَّدوا عليَّ، فعرضتُ عقاري للبيع وأشرفتُ على الهلاك، ثم قعدتُ وأنا متفكِّر، فلم أشعر إلا وهي نازلة على باب السوق ودخلت عليَّ. فلما رأيتها زالت الفكرة، ونسيت ما كنت فيه، وأقبلت تحدِّثني بحديثها الحسن، ثم قالت: هات الميزان وزن مالك. فأعطَتْني ثمنَ ما أخذته بزيادة، ثم انبسطَتْ معي في الكلام، فكدتُ أن أموت فرحًا وسرورًا، ثم قالت لي: هل أنت لك زوجة؟ فقلت: لا، إني لا أعرف امرأة. ثم بكيت، فقالت لي: ما لك تبكي؟ فقلت: من شيء خطر ببالي. ثم إني أخذت بعض دنانير، وأعطيتها للخادم، وسألته أن يتوسط في الأمر، فضحك وقال: هي عاشقة لك أكثر منك، وما لها بالقماش حاجة، وإنما هو لأجل محبتها لك، فخاطِبْها بما تريد، فإنها لا تخالفك فيما تقول. فرأتني وأنا أعطي الخادم الدنانير، فرجعت وجلست، ثم قلتُ لها: تصدَّقي على مملوك واسمحي له فيما يقول. ثم حدَّثْتُها بما في خاطري، فأعجبها ذلك وأجابتني وقالت: هذا الخادم يأتي برسالتي، واعمل أنت بما يقوله لك الخادم. ثم قامَتْ ومضَتْ، وقمتُ سلَّمْتُ التجارَ أموالَهم، وحصل لهم الربح إلا أنا، فإنها حين ذهبَتْ حصل لي الندم من انقطاع خبرها عني، ولم أَنَمْ طولَ ليلي، فما كان إلا أيام قلائل، وجاءني خادمها، فأكرمته وسألته عنها فقال: إنها مريضة. فقلت للخادم: اشرح لي أمرها. قال: إن هذه الصبية ربَّتْها السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد، وهي من جواريها، وقد اشتهت على سيدتها الخروج والدخول، فأذنت لها في ذلك، فصارت تدخل وتخرج حتى صارت قهرمانة، ثم إنها حدَّثت بك سيدتها، وسألتها أن تزوِّجها بك، فقالت سيدتها: لا أفعل حتى أنظر هذا الشاب، فإن كان يشتهيك زوَّجْتُك به. ونحن نريد في هذه الساعة أن تدخل بك الدار، فإنْ دخلتَ ولم يشعر بك أحد، وصلَتْ إلى تزويجك إياها، وإن انكشَفَ أمرُكَ ضربَتْ رقبتك، فماذا تقول؟ فقلت: نعم أروح معك، وأصبر على الأمر الذي حدثتني به. فقال لي الخادم: إذا كانت هذه الليلة، فامضِ إلى المسجد الذي بنَتْه السيدةُ زبيدة على الدجلة، فصَلِّ فيه، وبِتْ هناك. فقلت: حبًّا وكرامة. فلما جاء وقت العشاء مضيت إلى المسجد، وصليت فيه،

وبِتُّ هناك، فلما كان وقت السحر رأيت الخادمين قد أقبلَا في زورق، ومعهما صناديق فارغة، فأدخلاها في المسجد وانصرفَا، وتأخَّرَ واحد منهما فتأمَّلتُه، وإذا هو الذي كان واسطة بيني وبينها، فبعد ساعة صعدت إلينا الجارية صاحبتي، فلما أقبلت قمت إليها وعانقتها، فقبَّلتني وبكت، وتحدثنا ساعة، فأخذتني ووضعتني في صندوق وأغلقَتْه عليَّ، ولم أشعر إلا وأنا في دار الخليفة، وجاء إليَّ بشيء كثير من الأمتعة بحيث يساوي خمسين ألف درهم، ثم رأيت عشرين جارية أخرى وهُنَّ نهد أبكار، وبينهن الست زبيدة، وهي لم تقدر على المشي ممَّا عليها من الحلي والحلل، فلما أقبلَتْ تفرَّقت الجواري من حواليها، فأتيتُ إليها وقبَّلْتُ الأرض بين يدَيْها، فأشارَتْ لي بالجلوس، فجلست بين يدَيْها، ثم شرعَتْ تسألني عن حالي وعن نسبي، فأجبتُها عن كل ما سألتني عنه، ففرحَتْ وقالت: والله ما خابت تربيتنا في هذه الجارية. ثم قالت لي: اعلم أن هذه الجارية عندنا بمنزلة ولد الصلب، وهي وديعة الله عندك. فقبَّلت الأرض قدامها، ورضيَتْ بزواجي إياها، ثم أمرتني أن أقيم عندهم عشرة أيام، فأقمت عندهم هذه المدة وأنا لا أدري مَن هي الجارية، إلا أن بعض الوصائف تأتيني بالغداء والعشاء لأجل الخدمة، وبعد هذه المدة استأذنتِ السيدة زبيدة زوجَها أمير المؤمنين في زواج جاريتها، فأذن لها، وأمر لها بعشرة آلاف دينار، فأرسلت السيدة زبيدة إلى القاضي والشهود، وكتبوا كتابي عليها، وبعد ذلك عملوا الحلويات والأطعمة الفاخرة، وفرَّقوا على سائر البيوت، ومكثوا على هذه الحال عشرة أيام أُخَر، وبعد العشرين يومًا أدخلوا الجارية الحمام لأجل الدخول بها، ثم إنهم قدموا بسفرة فيها طعام من جملته خافقية زرباجة محشيَّة بالسكر، وعليها ماء ورد ممسك، وفيها أصناف الدجاج المحمرة، وغيره من سائر الألوان مما يدهش العقول، فوالله حين حضرَتِ المائدة ما أمهلت نفسي حتى نزلت على زرباجة وأكلت منها بحسب الكفاية، ومسحت يدي ونسيت أن أغسلها، ومكثت جالسًا إلى أن دخل الظلام، وأوقدت الشموع، وأقبلت المغنيات بالدفوف، ولم يزالوا يجلون العروسة، وينقطون بالذهب حتى طافت القصر كله، وبعد ذلك أقبلوا بها عليَّ ونزعوا ما عليها من الملبوس، فلما خلوت بها في الفراش وعانقتها، وأنا لم أصدق بوصالها، شمَّت في يدي رائحة الزرباجة، فلما شمت الرائحة صرخت صرخة، فنزل لها الجواري من كل جانب، فارتجفتُ ولم أعلم ما الخبر، فقالت الجواري: ما لك يا أختنا؟ فقالت لهم: أخرجوا عني هذا المجنون، فأنا أحسب أنه عاقل. فقلت

لها: وما الذي ظهر لك من جنوني؟ فقالت: يا مجنون، لأي شيء أكلت من الزرباجة ولم تغسل يدك؟ فو الله لا أقبلك على عدم عقلك وسوء فعلك. ثم تناولَتْ من جانبها سوطًا، ونزلت به على ظهري، ثم على مقاعدي حتى غبت عن الوجود من كثرة الضرب، ثم إنها قالت للجواري: خذوه وامضوا به إلى متولي المدينة ليقطع يده التي أكل بها الزرباجة ولم يغسلها. فلما سمعتُ ذلك قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، أتُقطَع يدي من أجل أكل الزرباجة، وعدم غسلي إياها؟ فدخلت عليها الجواري، وقلن لها: يا أختنا لا تؤاخذيه بفعله هذه المرة. فقالت: والله لا بد أن أقطع شيئًا من أطرافه. ثم راحت وغابت عني عشرة أيام، ولم أرها إلا بعد العشرة أيام، أقبلت عليَّ وقالت لي: يا أسود الوجه، أنا لا أصلح لك، فكيف تأكل الزرباجة ولم تغسل يدك؟ ثم صاحت على الجواري فكتفوني، وأخذت موسًا ماضيًا، وقطعت إبهام يدي وإبهام رجلي كما ترون يا جماعة؛ فغُشِي عليَّ، ثم ذرت علي بالذرور، فانقطع الدم. وقلتُ في نفسي: لا آكل الزرباجة ما بقيتُ حتى أغسل يدي أربعين مرة بالأشنان، وأربعين مرة بالسعد، وأربعين مرة بالصابون. فأخذَتْ عليَّ ميثاقًا أني لا آكل الزرباجة حتى أغسل يدي كما ذكرتُ لكم، فلما جئتم بهذه الزرباجة تغيَّرَ لوني، وقلتُ في نفسي: هذا سبب قطع إبهام يديَّ ورجليَّ، فلما غصبتم عليَّ قلت: لا بد أن أوفي بما حلفت.

فقلتُ له والجماعة حاضرون: ما حصل لك بعد ذلك؟ قال: فلما حلفت لها طاب قلبها ونمت وإياها، وأقمنا مدةً على هذا الحال، وبعد تلك المدة قالت: إن أهل دار الخلافة لم يعلموا بما حصل بيني وبينك فيها، وما دخلها أجنبي غيرك، وما دخلت فيها إلا بعناية السيدة زبيدة. ثم أعطتني خمسين ألف دينار، وقالت: خذ هذه الدنانير، واخرج واشترِ لنا بها دارًا فسيحة. فخرجتُ واشتريت دارًا مليحة فسيحة، ونقلت جميع ما عندها من النِّعَم، وما ادَّخرتُه من الأموال والقماش والتحف إلى هذه الدار التي اشتريتها، فهذا سبب قطع إبهامي. فأكلنا وانصرفنا، وبعد ذلك جرى لي مع الأحدب ما جرى، وهذا جميع حديثي، والسلام.

فقال الملك: ما هذا بأعذب من حديث الأحدب، بل حديث الأحدب أعذب من ذلك، ولا بد من صلبكم جميعًا. ثم إن اليهودي، تقدَّمَ وقبَّلَ الأرض، وقال: يا ملك الزمان، أنا أحدِّثك بحديث أعجب من حديث الأحدب. فقال له ملك الصين: هات ما عندك.

حكاية الطبيب اليهودي

فقال: أعجب ما جرى لي في زمن شبابي أني كنت في دمشق الشام، وتعلمت صنعة فعملت فيها،

فبينما أنا أعمل في صنعتي يومًا من الأيام إذا أتاني مملوك من بيت الصاحب بدمشق، فخرجت له وتوجَّهت معه إلى منزل الصاحب، فدخلت فرأيت في صدر الإيوان سريرًا من المرمر بصفائح الذهب، وعليه آدمي مريض راقد، وهو شاب لم يُرَ أحسن منه في زمانه، فقعدتُ عند رأسه ودعوتُ له بالشفاء، فأشار إليَّ بعينه، فقلت له: يا سيدي، ناولني يدك. فأخرج لي يده اليسرى؛ فتعجبت من ذلك، وقلت في نفسي: يا لله العجب! إن هذا الشاب مليح، ومن بيت كبير، وليس عنده أدب، إن هذا هو العجب. ثم جسستُ مفاصله وكتبتُ له ورقةً، ومكثتُ أتردَّد عليه مدة عشرة أيام، حتى تعافى ودخل الحمام واغتسل وخرج، فخلع عليَّ الصاحب خلعة مليحة وجعلني مباشِرًا عنده في المارستان الذي بدمشق، فلما دخلت معه الحمام وقد أخلوه لنا من جميع الناس، ودخل الخادم بالثياب وأخذ ثيابه التي كانت عليه من داخل الحمام بعد أن تعرَّى، رأيت بيده اليمين قطعًا صعبًا، فلما رأيته أخذت أتعجَّب وحزنت عليه، ونظرت إلى جسده فوجدتُ عليه آثارَ ضرب مقارع، فصرت أتعجب من أجل ذلك. فنظر إليَّ الشاب وقال لي: يا حكيم الزمان لا تعجب من أمري، فسوف أحدِّثك بحديثي حين تخرج من الحمام.

فلما خرجنا من الحمام ووصلت إلى الدار، وأكلنا الطعام واسترحنا، قال الشاب: هل لك أن تتفرج في الغرفة؟ فقلت: نعم. فأمر العبيد أن يطلعوا الفراش إلى فوق، وأمرهم أن يشووا خروفًا، وأن يأتوا إلينا بفاكهة، ففعل العبيد ما أمرهم به، وأتوا بالفاكهة فأكلنا، وأكل هو بيده الشمال، فقلت له: حدِّثني بحديثك. فقال لي: يا حكيم الزمان، اسمع حكاية ما جرى لي، اعلم أنني من أولاد الموصل، وكان لي والد قد توفي أبوه، وخلف عشرة أولاد ذكور من جملتهم والدي، وكان أكبرَهم، فكبروا كلهم وتزوَّجوا، ورُزِق والدي بي، وأما إخوته التسعة فلم يُرزَقوا بأولاد، فكبرتُ أنا وصرتُ بين أعمامي وهم فَرِحون بي فرحًا شديدًا، فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال، وكنتُ ذات يوم مع والدي في جامع الموصل، وكان اليوم يوم جمعة، فصلينا الجمعة وخرج الناس جميعًا، وأما والدي وأعمامي فإنهم قعدوا يتحدَّثون في عجائب البلاد وغرائب المدن إلى أن ذكروا مصر، فقال بعض أعمامي: إن المسافرين يقولون ما على وجه الأرض أحسن من مصر ونيلها، ولقد أحسن مَن قال فيها وفي نيلها هذين البيتين:

بِاللهِ قُلْ لِلنِّيلِ عَنِّي إِنَّنِي
لَمْ أَشْفِ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ غَلِيلَا
يَا قَلْبُ كَمْ خَلَّفْتَ ثَمَّ بُثَيْنَةَ

وَأَظُنُّ صَبْرُكَ أَنْ يَكُونَ جَمِيلَا

ثم إنهم أخذوا يصفون مصر ونيلها، فلما فرغوا من كلامهم، وسمعت أنا هذه الأوصاف التي في مصر، صار خاطري مشغولًا بها، ثم انصرفوا وتوجه كل واحد منهم إلى منزله، فبِتُّ تلك الليلة لم يأتني نوم من شغفي بها، ولم يطِب لي أكل ولا شرب، فلما كان بعد أيام قلائل تجهَّزَ أعمامي إلى مصر، فبكيت على والدي لأجل الذهاب معهم، حتى جهَّز لي متجرًا، ومضيت معهم وقال لهم: لا تدعوه يدخل مصر، بل اتركوه في دمشق ليبيع متجره فيها. ثم سافرنا، وودعت والدي، وخرجنا من الموصل، وما زلنا مسافرين حتى وصلنا إلى حلب، فأقمنا بها أيامًا ثم سافرنا إلى أن وصلنا دمشق، فرأينا مدينة ذات أشجار وأنهار وأثمار وأطيار كأنها جنة، فيها من كل فاكهة، فنزلنا في بعض الخانات، واستمر بها أعمامي حتى باعوا واشتروا، وباعوا بضاعتي، فربح الدرهم خمسة دراهم، ففرحت بالربح، ثم تركني أعمامي وتوجهوا إلى مصر. فمكثت بعدهم، وسكنت في قاعة مليحة البنيان، يعجز عن وصفها اللسان، أجرتها كل شهر ديناران، فصرت أتلذذ بالمآكل والمشارب، حتى صرفت المال الذي كان معي، فبينما أنا قاعد على باب القاعة يومًا من الأيام، وإذا بصبية أقبلت عليَّ وهي لابسة أفخر الملابس ما رأت عيني أفخر منها، فعزمت عليها فما قصرت، بل صارت داخل الباب، فلما دخلت ظفرت بها وفرحت بدخولها، فردَّتِ البابَ عليَّ وعليها، وكشفَتْ عن وجهها وقلعت إزارها، فوجدتها بديعة الجمال، فتمكَّنَ حبها من قلبي، فقمت وجئت بسفرة من أطيب المأكول والفاكهة، وما يحتاج إليه المقام، وأكلنا ولعبنا، وبعد اللعب شربنا حتى سكرنا، ثم نمت معها في أطيب ليلة إلى الصباح، وبعد ذلك أعطيتها عشرة دنانير، فحلفَتْ أنها لا تأخذ الدنانير مني، ثم قالت: يا حبيبي، انتظرني بعد ثلاثة أيام وقت المغرب أكون عندك، وهيِّئ لنا بهذه الدنانير مثل هذا. وأعطتني هي عشرة دنانير، وودَّعتني وانصرفت، فأخذت عقلي معها.

فلما مضَتِ الأيام الثلاثة، أتَتْ وعليها من المزركش والحلي والحلل أعظم مما كان عليها أولًا، وكنتُ هيَّأتُ لها ما يليق بالمقام قبل أن تحضر، ثم أكلنا وشربنا ونمنا مثل العادة إلى الصباح، ثم أعطتني عشرة دنانير وواعدتني بعد ثلاثة أيام أنها تحضر عندي، فهيأت لها ما يليق بالمقام، وبعد ثلاثة أيام حضرت في قماش أعظم من الأول والثاني، ثم قالت لي: يا سيدي، هل أنا مليحة؟ فقلت: إيْ والله. فقالت: هل تأذن لي أن أجيء معي بصبية أحسن مني وأصغر سنًّا مني، حتى تلعب معنا

ونضحك وإياها؟ فإنها سألتني أن تخرج معي، وتبيت معنا لنضحك وإياها. ثم أعطتني عشرين دينارًا، وقالت لي: زِدْ لنا المقام لأجل الصبية التي تأتي معي. ثم ودعتني وانصرفت.

فلما كان اليوم الرابع جهَّزتُ لها ما يليق بالمقام على العادة، فلما كان بعد المغرب، وإذا بها قد أتت ومعها واحدة ملفوفة بإزار، فدخلتا وجلستا، ففرحتُ وأوقدت الشموع، واستقبلتني بالفرح والسرور، فقامتا ونزعتا ما عليهما من القماش، وكشفت الصبية الجديدة عن وجهها، فرأيتها كالبدر في تمامه، فلم أَرَ أحسن منها، فقمتُ وقدَّمت لهما الأكل والشرب، فأكلنا وشربنا، وصرت أقبِّل الصبية الجديدة، وأملأ لها القدح وأشرب معها، فغارت الصبية الأولى في الباطن، ثم قالت: بالله إن هذه الصبية مليحة، أَمَا هي أظرف مني؟ قلت: إيْ والله. قالت: خاطري أن تنام معها. قلت: على رأسي وعيني. ثم قامت وفرشت لنا، فقمت ونمت مع الصبية الجديدة إلى وقت الصبح، فلما أصبحت وجدت يدي ملوَّثة بدم، ففتحت عيني فوجدت الشمس قد طلعت، فنبهت الصبية فتدحرجت رأسها عن بدنها. فظننتُ أنها فعلت ذلك من غيرتها منها. ففكرتُ ساعةً ثم قمت قلعت ثيابي وحفرت في القاعة، ووضعتُ الصبية ورددتُ عليها التراب، وأعدت الرخام كما كان، ثم لبست وأخذت بقية مالي وخرجت، وجئت إلى صاحب القاعة ودفعت له أجرة سنة، وقلت له: أنا مسافر إلى أعمامي بمصر. ثم سافرتُ إلى مصر واجتمعت بأعمامي، ففرحوا بي ووجدتهم قد فرغوا من بيع متجرهم ثم قالوا لي: ما سبب مجيئك؟ فقلت لهم: اشتقت إليكم وخفت ألَّا يبقى معي شيء من مالي. فأقمت عندهم سنة وأنا أتفرج على مصر ونيلها، ووضعت يدي في بقية مالي وصرت أصرف منه وآكل وأشرب حتى قرب سفر أعمامي فهربت منهم. فقالوا: لعله سبقنا ورجع إلى دمشق. فسافروا وخرجت أنا فأقمت بمصر ثلاث سنين وصرتُ أصرف حتى لم يَبْقَ معي من المال شيء، وأنا في كل سنة أرسل إلى صاحب القاعة أجرتها. وبعد الثلاث سنين، ضاق صدري ولم يَبْقَ معي إلا أجرة السنة فقط، فسافرت حتى وصلت إلى دمشق ونزلت في القاعة، ففرح بي صاحبها، فدخلت القاعة ومسحتها من دم الصبية المذبوحة، ورفعت المخدة فوجدتُ تحتها العقد الذي كان في عنق تلك الصبية، فأخذته وتأملته وبكيت ساعة، ثم أقمت يومين، وفي اليوم الثالث دخلت الحمام وغيَّرتُ أثوابي، وأنا ما معي شيء من الدراهم، فجئتُ يومًا إلى السوق فوسوس لي الشيطان لأجل إنفاذ القدر، فأخذت العقد الجوهر، وتوجَّهتُ به إلى

السوق، وناولته للدلال، فقام لي وأجلسني بجانبه، وصبر حتى عمر السوق، وأخذ ذلك الدلال ونادى عليه خفية وأنا لا أعلم، وإذا بالعقد مثمن بلغ ثمنه أَلفَيْ دينار. فجاءني الدلال وقال لي: إن هذا العقد نحاس مصنوع بصنعة الإفرنج، وقد وصل ثمنه إلى ألف درهم. فقلت له: نعم، هذا كنا صنعناه لواحدة نضحك عليها به، وورثتها زوجتي فأردنا بيعه، فرُحْ واقبض الألف درهم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتَتْ عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة ٢٨

قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال للدلال: اقبض الألف درهم. وسمع الدلال ذلك، عرف أن قضيته مشكلة، فتوجَّهَ بالعقد إلى كبير السوق وأعطاه إياه، فأخذه وتوجَّهَ به إلى الوالي وقال له: إن هذا العقد سُرِق من عندي، ووجدنا الحرامي لابسًا لباس أولاد التجار. فلم أشعر إلا والظَّلَمة قد أحاطوا بي، وأخذوني وذهبوا بي إلى الوالي، فسألني الوالي عن ذلك العقد، فقلتُ له ما قلتُه للدلال؛ فضحك الوالي وقال: ما هذا كلام الحق، فلم أدرِ إلا وحواشيه جرَّدوني من ثيابي، وضربوني بالمقارع على جميع بدني، فأحرقني الضرب، فقلت: أنا سرقتُه. وقلت في نفسي: إن الأحسن أني أقول أنا سرقته، ولا أقول إن صاحبته مقتولة عندي فيقتلوني فيها. فلما قلت إني سرقته قطعوا يدي، وقلوها في الزيت؛ فغُشِي عليَّ فسقوني الشراب حتى أفقتُ، فأخذتُ يدي وجئتُ إلى القاعة، فقال صاحب القاعة: حيث ما جرى لك هذا فأخلِ القاعة، وانظر لك موضعًا آخر؛ لأنك متَّهم بالحرام. فقلت له: يا سيدي، اصبر عليَّ يومين أو ثلاثة حتى أنظر لي موضعًا. قال: نعم. ومضى وتركني، فبقيت قاعدًا أبكي وأقول: كيف أرجع إلى أهلي، وأنا مقطوع اليد؟ والذي قطع يدي لم يعلم أني بريء، فلعل الله يُحدِث بعد ذلك أمرًا.

وصرت أبكي بكاء شديدًا، فلما مضى صاحب القاعة عني لحقني غمٌّ شديد، فتشوشت يومين، وفي اليوم الثالث ما أدري إلا وصاحب القاعة جاءني، ومعه بعض الظَّلَمة وكبير السوق الذي ادَّعى عليَّ أني سرقتُ العقد، فخرجت لهم وقلت: ما الخبر؟ فلم يمهلوني، بل كتفوني، ووضعوا في رقبتي جنزيرًا، وقالوا لي: إن العقد الذي كان معك طلع لصاحب دمشق ووزيرها وحاكمها. وقالوا: إن هذا العقد قد ضاع من بيت الصاحب من مدة ثلاث سنين، ومعه ابنته. فلما سمعت هذا الكلام منهم، ارتعدَتْ مفاصلي وقلتُ في نفسي: هم يقتلونني ولا محالة، والله لا بد أنني أحكي للصاحب حكايتي، فإن شاء قتلني، وإن شاء عفا

عني. فلما وصلنا إلى الصاحب أوقفني بين يدَيْه، فلما رآني قال: أهذا الذي سرق العقد ونزل به ليبيعه؟ إنكم قطعتم يده ظلمًا. ثم أمر بسجَّان كبير السوق، وقال له: أعطِ هذا دية يده، وإلا أشنقك وآخذ جميع مالك. ثم صاح على أتباعه فأخذوه وجرُّوه، وبقيت أنا والصاحب وحدنا بعد أن فكوا الغل من عنقي بإذنه، وحلوا وثاقي.

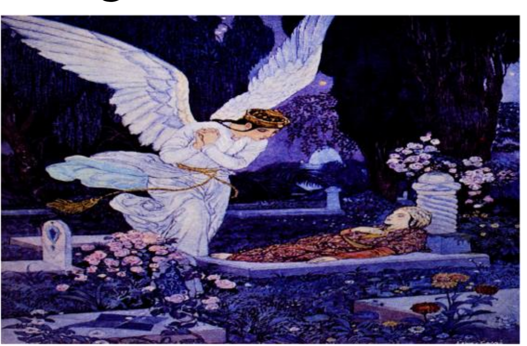
ثم نظر إليَّ الصاحب وقال لي: يا ولدي، حدِّثني واصدقني كيف وصل إليك هذا العقد؟ قلت: يا مولاي، إني أقول لك الحق. ثم حدَّثتُه بجميع ما جرى لي مع الصبية الأولى، وكيف جاءتني بالثانية، وكيف ذبحَتْها من الغيرة، وذكرتُ له الحديثَ بتمامه، فلما سمع كلامي هزَّ رأسه، وحط منديله على وجهه وبكى ساعة، ثم أقبل عليَّ وقال لي: اعلم يا ولدي أن الصبية الكبيرة بنتي، وكنتُ أحجر عليها، فلما بلغَتْ أرسلتُها إلى ولد عمها بمصر فمات، فجاءتني وقد تعلَّمَتِ العهرَ من أولاد مصر، وجاءتك أربع مرات، ثم جاءتك بأختها الصغيرة، والاثنتان شقيقتان، وكانتا مُحِبَّتين لبعضهما، فلما جرى للكبيرة ما جرى، أخرجَتْ سرَّها على أختها، فطلبت مني الذهاب معها ثم رجعت وحدها، فسألتها عنها فوجدتها تبكي عليها، وقالت: لا أعلم لها خبرًا. ثم قالت لأمها سرًّا جميع ما جرى من ذبحها أختها، فأخبرتني أمها سرًّا، ولم تزل تبكي وتقول: والله لا أزال أبكي عليها حتى أموت. وكلامك يا ولدي صحيح، فإني أعلم بذلك قبل أن تخبرني به، فانظر يا ولدي ما جرى، وأنا أشتهي منك ألَّا تخالفني فيما أقول لك، وهو أني أريد أن أزوِّجك ابنتي الصغيرة، فإنها ليسَتْ شقيقة لهما وهي بِكْر، ولا آخذ منك مهرًا، وأجعل لكما راتبًا من عندي، وتبقى عندي بمنزلة ولدي. فقلتُ له: الأمر كما تريد يا سيدي، ومن أين لي أن أصل إلى ذلك؟ فأرسل الصاحب في الحال من عنده بريدًا، وأتاني بمالي الذي خلفه والدي، وأنا اليوم في أرغد عيش. فتعجَّبْتُ منه، وأقمتُ عنده ثلاثة أيام، وأعطاني مالًا كثيرًا، وسافرت من عنده فوصلت إلى بلدكم هذه، فطابت لي فيها المعيشة، وجرى لي مع الأحدب ما جرى.

فقال ملك الصين: ما هذا بأعجب من حديث الأحدب، ولا بد لي من شنقكم جميعًا، وخصوصًا الخياط الذي هو رأس كل خطيئة. ثم قال: يا خياط، إنْ حدَّثْتَني بشيء أعجب من حديث الأحدب، وهبتُ لكم ذنوبكم.

حكاية الخياط

فعند ذلك تقدَّمَ الخياط وقال: اعلم يا ملك الزمان أن الذي جرى لي أعجب ممَّا جرى للجميع؛ لأني كنتُ قبل أن أجتمع بالأحدب أول النهار في وليمةٍ

لبعض أصحابي أرباب الصنائع من خياطين وبزازين ونجارين وغير ذلك، فلما طلعت الشمس حضر الطعام لنأكل، وإذا بصاحب الدار قد دخل علينا ومعه شاب غريب مليح من أهل



بغداد، وعلى ذلك الشاب أحسن ما يكون من الثياب، وهو أحسن ما يكون من الجمال، غير أنه أعرج، فدخل علينا وسلَّم، فقمنا له، فلما أراد الجلوس رأى فينا إنسانًا مزينًا، فامتنع من الجلوس وأراد أن يخرج من عندنا، فمنعناه نحن وصاحب المنزل، وشددنا عليه، وحلف عليه صاحب المنزل وقال له: ما سبب دخولك وخروجك؟ فقال: بالله يا مولاي لا تتعرض لي بشيء، فإن سبب خروجي هذا المزين الذي هو قاعد. فلما سمع منه صاحب الدعوة هذا الكلام تعجَّبَ غايةَ العجب وقال: كيف يكون هذا الشاب من بغداد وتشوَّش خاطره من هذا المزين؟ ثم التفتنا إليه وقلنا له: احكِ لنا ما سبب غيظك من هذا المزين. فقال الشاب: يا جماعة، إنه جرى لي مع هذا المزين أمر عجيب في بغداد بلدي، وكان هو سبب عرجي وكسر رجلي، وحلفت أني ما بقيت أقاعده في مكان، ولا أسكن في بلد هو ساكن فيها، وقد سافرتُ من بغداد ورحلت منها وسكنت في هذه المدينة، وأنا الليلة لا أبيت إلا مسافرًا، فقلنا له: بالله عليك أن تحكي لنا حكايتك معه.

الأذكياء

حَدثنَا عَليّ بن الْمُغيرَة قَالَ لما حضرت نزار بن معد الْوَفَاة قسم مَاله بَين بنيه وهم أَرْبَعَة مُضر وَرَبِيعَة وإياد وأنمار فَقَالَ يَا بني هَذِه الْقبَّة الْحَمْرَاء وَهِي من آدم وَمَا أشبههَا من المَال لمضر فَسُمي مُضر الْحَمْرَاء وَهَذَا الخباء الْأسود وَمَا أشبه من المَال لِرَبِيعَة فَأخذ خيلادهما فَسمى ربيعَة الْفرس وَهَذِه الْخَادِم وَمَا أشبههَا من المَال لأياد وَكَانَت الْخَادِم شَمْطَاء فَأخذ إياد البلق وَهَذِه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فِيهِ فَأخذ أَنْمَار مَا صَار لَهُ وَقَالَ لَهُم إِن أشكل الْأَمر عَلَيْكُم فِي ذَلِك واختلفتم فِي الْقِسْمَة فَعَلَيْكُم بالأفعى الجرهمي فَاخْتَلَفُوا فتوجهوا إِلَى الأفعى فَبَيْنَمَا هم يَسِيرُونَ إِذْ رأى مُضر كلاء قد رعى فَقَالَ إِن الْبَعِير الَّذِي رعى هَذَا لأعور فَقَالَ ربيعَة وَهُوَ أَزور وَقَالَ إياد وَهُوَ ابتر وَقَالَ أَنْمَار وَهُوَ شرود فَلم يَسِيرُوا إِلَّا قَلِيلا حَتَّى لَقِيَهُمْ رجل تُوضَع بِهِ رَاحِلَته فَسَأَلَهُمْ عَن الْبَعِير فَقَالَ مُضر هُوَ أَعور قَالَ نعم قَالَ ربيعَة هُوَ أَزور قَالَ نعم قَالَ إياد هُوَ ابتر قَالَ نعم قَالَ أَنْمَار هُوَ شرود قَالَ نعم هَذِه وَالله صفة

بَعِيري دلوني عَلَيْهِ فَحَلَفُوا لَهُ أَنهم مَا رَأَوْهُ فلزمهم وَقَالَ كَيفَ أصدقكم وَأَنْتُم تصفون بَعِيري بِصفتِهِ فَسَارُوا حَتَّى قدمُوا على نَجْرَان فنزلوا بالأفعى الجرهمي فَنَادَى صَاحب الْبَعِير أَصْحَاب بَعِيري وصفوا لي صفته ثمَّ قَالُوا لم نره فَقَالَ الجرهمي كَيفَ وصفتموه وَلم تروه فَقَالَ مُضر رَأَيْته يرْعَى جانباً ويدع جانباً فَعرفت أَنه أَعور وَقَالَ ربيعَة رَأَيْت إِحْدَى يَدَيْهِ ثَابِتَة الْأَثر وَالْأُخْرَى فَاسِدَة الْأَثر فَعرفت أَنه أفسدها بِشدَّة وطئته لإزوراره وَقَالَ إياد عرفت بتره باجتماع بعره وَلَو كَانَ ذيالاً لمصع بعره بِهِ وَقَالَ أَنْمَار عرفت أَنه شرود أَنه كَانَ يرْعَى فِي الْمَكَان الملتف نبته ثمَّ يجوز إِلَى مَكَان آخر أرق مِنْهُ وأخبث فَقَالَ الشَّيْخ لَيْسُوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ثمَّ سَأَلَهُمْ من هم فأخبروه فَرَحَّبَ بهم وَقَالَ تحتاجون إِلَيّ وَأَنْتُم كَمَا أرى فَدَعَا لَهُم بِطَعَام فَأكل وأكلوا وَشرب وَشَرِبُوا فَقَالَ مُضر لم أر كَالْيَوْمِ خمرًا أَجود لَوْلَا أَنَّهَا على قبر وَقَالَ ربيعَة لم أر كَالْيَوْمِ لَحْمًا أطيب لَوْلَا أَنه رَبِّي بِلَبن كلبة وَقَالَ إياد لم أر كَالْيَوْمِ رجلا سرياً لَوْلَا أَنه لَيْسَ لِأَبِيهِ الَّذِي يَدعِي لَهُ وَقَالَ أَنْمَار لم أر كَالْيَوْمِ كلَاما أَنْفَع من حاجتنا فَلَمَّا سمع صَاحبهمْ كَلَامهم فَقَالَ مَا هَؤُلَاءِ إِلَّا شياطين فَسَأَلَ أمه فَأَخْبَرته أَنَّهَا كَانَت تَحت ملك وَلَا يُولد لَهُ ولد فَكرِهت أَن يذهب الْملك فأسكنت رجلا نزل بهم من نَفسهَا فَوَطِئَهَا وَقَالَ للقهرمان الْخمر الَّتِي شربناها مَا أمرهَا قَالَ من حَبَّة غرستها على قبر أَبِيك وَسَأَلَ الرَّاعِي عَن اللَّحْم مَا أمره فَقَالَ شَاة أرضعناها من لبن كلبة وَلم يكن ولد فِي الْغنم شَيْء غَيرهَا فَأَتَاهُم فَقَالَ قصو قصتكم فقصوا عَلَيْهِ مَا وصّى بِهِ أبوهم وَمَا كَانَ من اخْتلَافهمْ فَقَالَ مَا أشبه الْقبَّة الْحَمْرَاء من مَال فَهُوَ لمضر فَصَارَت لَهُ الدَّنَانِير وَالْإِبِل وَهن حمر فسميت مُضر الْحَمْرَاء وَمَا أشبه الخباء الْأسود من دَابَّة وَمَال فَهُوَ لِرَبِيعَة فَصَارَت لَهُ الْخَيل وَهِي دهم فَسُمي ربيعَة الْفرس وَمَا أشبه الْخَادِم وَكَانَت شَمْطَاء من مَال فِيهِ بلق فَهُوَ لإياد فَصَارَت لَهُ الْمَاشِيَة البلق من الْخَيل وَالْبَقر وَقضى لأنمار بِالدَّرَاهِمِ وَالْأَرْض فَسَارُوا من عِنْده على ذَلِك.

قَالَ مؤلف الْكتاب وَاعْلَم أَن الْعَرَب تضرب الْمثل للذكي بالدهاء فَيَقُولُونَ أدهى من قيس بن زُهَيْر وَهُوَ سيد عبس وَكَانَ شَدِيد الذكاء وَمن كَلَامه أَرْبَعَة لَا يطاقون عبد ملك ونذل شبع وَأمة ورثت وقبيحة تزوجت عَن الشّعبِيّ قَالَ خرج عَمْرو بن معد يكرب يَوْمًا حَتَّى انْتهى إِلَى حَيّ فَإِذا بفرس مشدودة ورمح مركوز وَإِذا صَاحبه فِي وهدة يقْضِي حَاجته فَقلت لَهُ خُذ حذرك فَإِنِّي قَاتلك قَالَ وَمن أَنْت قلت عَمْرو بن معد يكرب قَالَ يَا أَبَا ثَوْر مَا أنصفتني أَنْت على ظهر فرسك وَأَنا فِي بِئْر فَأَعْطِنِي عهدا إِنَّك لَا تقتلني حَتَّى أركب فرسي وَأخذ

جذري فأعطيته عهدا أَن لَا أَقتلهُ حَتَّى يركب فرسه وَيَأْخُذ حذره فَخرج من الْموضع الَّذِي كَانَ فِيهِ حَتَّى أحتبي بِسَيْفِهِ وَجلسَ فَقلت لَهُ مَا هَذَا قَالَ مَا أَنا بِرَاكِب فرسي وَلَا مقاتلك فَإِن كنت نكثت عهدا فَأَنت أعلم فتركته ومضيت فَهَذَا أُحِيل من رَأَيْت

** عَن أبي حَاتِم الْأَصْمَعِي قَالَ حَدثنَا شيخ من بني العنبرة قَالَ أسرت بني شَيبَان رجلا من بني العنبر فَقَالَ لَهُم أرسل إِلَى أَهلِي ليفدوني قَالُوا وَلَا تكلم الرَّسُول إِلَّا بَين أَيْدِينَا فجاؤه بِرَسُول فَقَالَ لَهُ ائْتِ قومِي فَقل لَهُم أَن الشّجر قد أَوْرَق وَأَن النِّسَاء قد اشتكت ثمَّ قَالَ لَهُ أتعقل قَالَ نعم اعقل قَالَ فَمَا هَذَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ قَالَ هَذَا اللَّيْل قَالَ أَرَاك تعقل انْطلق فَقل لأهلي عروا جملي الأصهب واركبوا نَاقَتي الْحَمْرَاء وسلوا حَارِثَة عَن أَمْرِي فَأَتَاهُم الرَّسُول فأرسلوا إِلَى حَارِثَة فقص عَلَيْهِم الرَّسُول الْقِصَّة فَلَمَّا خلا مَعَهم قَالَ أما قَوْله أَن الشّجر قد أَوْرَق فَإِنَّهُ يُرِيد أَن الْقَوْم قد تسلحوا وَقَوله أَن النِّسَاء قد اشتكت فَإِنَّهُ يُرِيد أَنَّهَا قد اتَّخذت الشكا للغزور وَهِي الأسقية وَقَوله هَذَا اللَّيْل يُرِيد يأتوكم مثل اللَّيْل أَو فِي اللَّيْل وَقَوله عروا جملي الأصهب يُرِيد ارتحلوا عَن الصمان وَقَوله اركبوا نَاقَتي يُرِيد اركبوا الدهناء فَلَمَّا قَالَ لَهُم ذَلِك تحملوا من مكانهم فَأَتَاهُم الْقَوْم فَلم يجدوا مِنْهُم أحد

حِكَايَاتُ إِيسُوب

الْأَرَانِبُ الْبَرِّيَّةُ وَالضَّفَادِعُ

كَانَتِ الْأَرَانِبُ مُضْطَهَدَةً مِنْ قِبَلِ الْحَيَوَانَاتِ الْأُخْرَى، وَلَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ أَيْنَ تَذْهَبُ، فَمَا تَكَادُ تَرَى حَيَوَانًا وَاحِدًا يَقْتَرِبُ مِنْهَا حَتَّى كَانَتْ تُمْعِنُ فِي الْفِرَارِ، وَذَاتَ يَوْمٍ رَأَتِ الْأَرَانِبُ حَشْدًا كَبِيرًا مِنَ الْأَحْصِنَةِ الْبَرِّيَّةِ فِي فِرَارٍ جَمَاعِيٍّ وَقَدْ شَتَّتَهَا الْفَزَعُ فِي كُلِّ صَوْبٍ، وَفِي ذُعْرٍ بَالِغٍ أَخَذَتِ الْأَرَانِبُ تَعْدُو إِلَى بُحَيْرَةٍ قَرِيبَةٍ، وَقَدْ عَقَدَتِ الْعَزْمَ عَلَى أَنْ تُغْرِقَ نَفْسَهَا فَلَا تَعِيشَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الْخَوْفِ الدَّائِمِ، وَلَكِنْ مَا إِنِ اقْتَرَبَتِ الْأَرَانِبُ مِنْ ضِفَّةِ الْبُحَيْرَةِ حَتَّى كَانَ فَصِيلٌ كَبِيرٌ مِنَ الضَّفَادِعِ الَّتِي رُوِّعَتْ بِدَوْرِهَا مِنَ اقْتِرَابِ الْأَرَانِبِ قَدْ أَخَذَتْ تَجِدُّ فِي الْعَدْوِ وَتَقْفِزُ فِي الْمَاءِ، هُنَا قَالَ أَحَدُ الْأَرَانِبِ: «حَقًّا، إِنَّ الْأُمُورَ لَيْسَتْ مِنَ السُّوءِ كَمَا تَبْدُو».

«هُنَاكَ دَائِمًا مَنْ هُوَ فِي حَالٍ أَسْوَأَ مِنْ حَالِكَ».

الْأَسَدُ وَالثَّعْلَبُ وَالْحَيَوَانَاتُ

ذَاتَ يَوْمٍ صَرَّحَ الْأَسَدُ بِأَنَّهُ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ، وَدَعَا الْحَيَوَانَاتِ لِكَيْ تَأْتِيَ إِلَيْهِ وَتَسْمَعَ وَصِيَّتَهُ الْأَخِيرَةَ؛ لِذَا فَقَدْ أَقْبَلَتِ الْمِعْزَاةُ إِلَى كَهْفِ الْأَسَدِ حَيْثُ مَكَثَتْ هُنَاكَ تَسْتَمِعُ زَمَنًا طَوِيلًا، عِنْدَئِذٍ دَخَلَتْ نَعْجَةٌ، وَقَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ أَقْبَلَ عِجْلٌ لِكَيْ يَتَلَقَّى الْوَصَايَا الْأَخِيرَةَ لِمَلِكِ الْحَيَوَانَاتِ.

وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا بَدَا أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ تَعَافَى، وَذَهَبَ إِلَى

مَدْخَلِ كَهْفِهِ، فَرَأَى الثَّعْلَبَ الَّذِي بَقِيَ مُنْتَظِرًا بِالْخَارِجِ بَعْضَ الْوَقْتِ، قَالَ الْأَسَدُ للثَّعْلَبِ: «لِمَاذَا لَا تَأْتِي لِتُقَدِّمَ لِي فُرُوضَ التَّحِيَّةِ؟» فَقَالَ الثَّعْلَبُ: «مَعْذِرَةً جَلَالَتِكَ! وَلَكِنِّي لَاحَظْتُ آثَارَ أَقْدَامِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي دَخَلَتْ إِلَيْكَ لِتَوِّهَا، وَبَيْنَمَا أَرَى آثَارَ حَوَافِرَ كَثِيرَةٍ دَاخِلَةٍ فَإِنَّنِي لَا أَرَى أَثَرًا خَارِجًا، فَإِلَى أَنْ تَخْرُجَ ثَانِيَةً تِلْكَ الْحَيَوَانَاتُ الَّتِي دَخَلَتْ كَهْفَكَ فَإِنَّنِي أُفَضِّلُ أَنْ أَبْقَى فِي الْهَوَاءِ الطَّلْقِ».

«مِنَ السَّهْلِ أَنْ تَدْخُلَ فِي شِرَاكِ الْعَدُوِّ، وَلَكِنْ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا».

الثَّعْلَبُ وَالْقِنَاعُ

كَانَ هُنَاكَ ثَعْلَبٌ قَادَتْهُ خُطَاهُ إِلَى مَخْزَنِ أَحَدِ الْمَسَارِحِ، فُوجِئَ الثَّعْلَبُ بِوَجْهٍ يُحَمْلِقُ إِلَيْهِ فَتَمَلَّكَهُ الرُّعْبُ الشَّدِيدُ، غَيْرَ أَنَّهُ حِينَ دَقَّقَ النَّظَرَ إِلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ وَجَدَهُ مُجَرَّدَ قِنَاعٍ مِنْ تِلْكَ الْأَقْنِعَةِ الَّتِي يَضَعُهَا الْمُمَثِّلُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ، عِنْدَئِذٍ قَالَ الثَّعْلَبُ: «مَا أَجْمَلَكَ أَيُّهَا الْقِنَاعُ! وَإِنَّهُ لَمَّا يَدْعُو لِلْأَسَفِ أَنَّكَ لَمْ تَحْظَ بِأَيِّ عَقْلٍ».

«الْمَظْهَرُ لَا يُغْنِي عَنِ الْمَخْبَرِ».

الضِّفْدَعُ وَالثَّوْرُ

قَالَ الضِّفْدَعُ الصَّغِيرُ للضِّفْدَعِ الْكَبِيرِ الْجَاثِمِ عَلَى حَافَةِ الْبِرْكَةِ: «آهٍ يَا أَبِي! لَقَدْ رَأَيْتُ وَحْشًا مُرْعِبًا! كَانَ كَبِيرًا كَالْجَبَلِ، وَلَهُ قَرْنَانِ عَلَى رَأْسِهِ، وَذَيْلٌ طَوِيلٌ، وَأَظْلَافٌ مَشْقُوقَةٌ شِقَّيْنِ.» فَقَالَ الضِّفْدَعُ الْكَبِيرُ: «كَفَى يَا وَلَدِي، كَفَى، ذَلِكَ ثَوْرُ الْفَلَّاحِ هُوَايت لَا أَكْثَرُ، وَلَا هُوَ بِهَذِهِ الضَّخَامَةِ. رُبَّمَا يَكُونُ أَطْوَلَ مِنِّي بَعْضَ الشَّيْءِ، وَلَكِنِّي أَسْتَطِيعُ بِسُهُولَةٍ أَنْ أَجْعَلَ نَفْسِيَ فِي حَجْمِهِ تَمَامًا. انْظُرْ».

وَأَخَذَ الضِّفْدَعُ يَنْفُخُ نَفْسَهُ، وَيَنْفُخُ، وَيَنْفُخُ، ثُمَّ سَأَلَ الضِّفْدَعَ الصَّغِيرَ: «هَلْ كَانَ الثَّوْرُ بِهَذَا الْحَجْمِ؟» فَقَالَ الصَّغِيرُ: «كَلَّا، بَلْ أَكْبَرَ بِكَثِيرٍ مِنْ هَذَا.» فَعَادَ الضِّفْدَعُ الْكَبِيرُ يَنْفُخُ نَفْسَهُ، ثُمَّ سَأَلَ الصَّغِيرَ: «هَلْ كَانَ الثَّوْرُ بِهَذَا الْحَجْمِ؟» فَكَانَ رَدُّ الصَّغِيرِ: «أَكْبَرَ يَا أَبِي، أَكْبَرَ».

هُنَا أَخَذَ الضِّفْدَعُ نَفَسًا عَمِيقًا وَنَفَخَ، وَنَفَخَ، وَنَفَخَ. ثُمَّ قَالَ: «يَقِينًا أَنَّ الثَّوْرَ لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الضَّخَامَةِ.» غَيْرَ أَنَّهُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ، انْفَجَرَ!

«الْغُرُورُ بِالنَّفْسِ يُورِدُهَا الْمَهَالِكَ».

الذِّئْبُ وَالطِّفْلُ الصَّغِيرُ

كَانَ طِفْلٌ جَالِسًا فِي أَعْلَى الْمَنْزِلِ، وَحِينَ أَطَلَّ إِلَى أَسْفَلَ رَأَى ذِئْبًا يَمُرُّ تَحْتَهُ، وَمَا إِنْ رَأَى عَدُوَّهُ حَتَّى بَدَأَ يَسُبُّهُ وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ .صَاحَ الطِّفْلُ: «أَيُّهَا الْقَاتِلُ اللِّصُّ، مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا بِجَانِبِ مَنَازِلِ النَّاسِ الْأُمَنَاءِ؟ كَيْفَ تَجْرُؤُ عَلَى الظُّهُورِ هُنَا حَيْثُ الْجَمِيعُ يَعْرِفُ أَفْعَالَكَ الْوَضِيعَةَ؟»

قَالَ الذِّئْبُ: «اشْتُمِ اشْتُمْ، يَا صَدِيقِي الصَّغِيرَ».

«مَا أَسْهَلَ أَنْ تَكُونَ شُجَاعًا مِنْ مَسَافَةٍ آمِنَةٍ»!

أَنْدْرُوكْلِيس

فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ هَرَبَ عَبْدٌ يُدْعَى أَنْدْرُوكْلِيس مِنْ سَيِّدِهِ، وَفَرَّ إِلَى الْغَابَةِ، وَفِيمَا هُوَ يَتَجَوَّلُ هُنَاكَ فُوجِئَ بِأَسَدٍ يَرْقُدُ عَلَى الْأَرْضِ وَيَئِنُّ وَيَتَأَوَّهُ. أَدْبَرَ أَنْدْرُوكْلِيسُ لِلْفِرَارِ فِي بِدَايَةِ الْأَمْرِ، غَيْرَ أَنَّهُ حِينَ وَجَدَ أَنَّ الْأَسَدَ لَا يَتَعَقَّبُهُ اسْتَدَارَ وَسَعَى نَحْوَهُ، وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهُ رَفَعَ لَهُ الْأَسَدُ كَفَّهُ وَكَانَتْ مُتَوَرِّمَةً جِدًّا وَالدَّمُ يَنْزِفُ مِنْهَا. اكْتَشَفَ أَنْدْرُوكْلِيسُ أَنَّ هُنَاكَ شَوْكَةً ضَخْمَةً قَدِ اسْتَقَرَّتْ فِيهَا، وَكَانَتْ وَرَاءَ كُلِّ هَذَا الْأَلَمِ.

انْتَزَعَ أَنْدْرُوكْلِيسُ الشَّوْكَةَ وَضَمَّدَ قَدَمَ الْأَسَدِ، فَاسْتَطَاعَ فِي الْحَالِ أَنْ يَنْهَضَ، وَأَخَذَ يَلْعَقُ يَدَ أَنْدْرُوكْلِيسَ مِثْلَمَا يَفْعَلُ الْكَلْبُ، ثُمَّ اصْطَحَبَ أَنْدْرُوكْلِيسَ إِلَى كَهْفِهِ وَطَفِقَ يُقَدِّمُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ لَحْمًا يَتَقَوَّتُ بِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَوِيلٌ حَتَّى وَقَعَ كُلٌّ مِنْ أَنْدْرُوكْلِيسَ وَالْأَسَدِ فِي الْأَسْرِ، وَحُكِمَ عَلَى الْعَبْدِ أَنْدْرُوكْلِيسَ بِأَنْ يُلْقَى بِهِ إِلَى الْأَسَدِ بَعْدَ أَنْ يُحْرَمَ هَذَا مِنَ الطَّعَامِ أَيَّامًا عَدِيدَةً. وَفِي الْيَوْمِ الْمُقَرَّرِ حَضَرَ الْإِمْبَرَاطُورُ وَجَمِيعُ أَفْرَادِ حَاشِيَتِهِ لِيَرَوْا هَذَا الْمَشْهَدَ، وَسِيقَ أَنْدْرُوكْلِيسُ إِلَى وَسَطِ الْحَلَبَةِ، وَفِي الْحَالِ أُطْلِقَ الْأَسَدُ مِنْ عَرِينِهِ، وَانْدَفَعَ نَحْوَ فَرِيسَتِهِ وَاثِبًا يُرْسِلُ زَئِيرَهُ، إِلَّا أَنَّهُ مَا كَادَ يَقْتَرِبُ مِنْ أَنْدْرُوكْلِيسَ حَتَّى تَعَرَّفَ فِيهِ عَلَى صَدِيقِهِ، وَأَخَذَ يَتَوَدَّدُ إِلَيْهِ وَيَلْعَقُ يَدَيْهِ كَأَنَّهُ كَلْبٌ وَدُودٌ.

انْدَهَشَ الْإِمْبَرَاطُورُ مِمَّا حَدَثَ، فَاسْتَدْعَى إِلَيْهِ أَنْدْرُوكْلِيسَ، فَحَكَى لَهُ الْقِصَّةَ بِأَكْمَلِهَا. عِنْدَئِذٍ أُعْفِيَ عَنِ الْعَبْدِ وَأُطْلِقَ سَرَاحُهُ. أَمَّا الْأَسَدُ فَقَدْ أُطْلِقَ إِلَى غَابَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ.

«الْعِرْفَانُ بِالْجَمِيلِ شِيمَةُ النُّفُوسِ النَّبِيلَةِ».

الثَّعْلَبُ وَالْعِنَبُ

فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ الْحَارَّةِ كَانَ الثَّعْلَبُ يَتَجَوَّلُ فِي بُسْتَانٍ، حَتَّى بَلَغَ عُنْقُودًا مِنَ الْعِنَبِ فِي تَمَامِ النُّضْجِ يَتَدَلَّى عَلَى كَرْمَةٍ مُعْرِشَةٍ عَلَى فَرْعٍ سَامِقٍ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ قَائِلًا: «هَذَا نِعْمَ الشَّيْءُ الَّذِي أَرْوِي بِهِ عَطَشِي.» تَقَهْقَرَ الثَّعْلَبُ بِضْعَ خُطُوَاتٍ ثُمَّ رَكَضَ رَكْضَةً وَوَثَبَ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَطَلِ الْعُنْقُودَ، فَأَعَادَ الْكَرَّةَ وَعَدَّ: وَاحِدٌ، اثْنَانِ، ثَلَاثَةٌ، وَقَفَزَ عَالِيًا، غَيْرَ أَنَّ الْمُحَاوَلَةَ لَمْ تَكُنْ أَنْجَحَ مِنَ الْأُولَى. أَعَادَ الثَّعْلَبُ الْمُحَاوَلَةَ مِرَارًا؛ لِيَظْفَرَ بِاللُّقْمَةِ الشَّهِيَّةِ، حَتَّى تَمَلَّكَهُ الْيَأْسُ فَكَفَّ عَنِ الْمُحَاوَلَةِ، وَانْصَرَفَ بِتَعَالٍ وَكِبْرِيَاءَ قَائِلًا: «لَا شَكَّ عِنْدِي أَنَّهُ عِنَبٌ حَامِضٌ».

«مَا أَيْسَرَ أَنْ تُهَوِّنَ مِنْ شَأْنِ الشَّيْءِ الَّذِي اسْتَعْصَى عَلَيْكَ مَنَالُهُ»!

الْخُفَّاشُ بَيْنَ الطُّيُورِ وَالْحَيَوَانَاتِ

كَادَتْ تَثُورُ فِتْنَةٌ كُبْرَى بَيْنَ الطُّيُورِ وَالْحَيَوَانَاتِ، وَعِنْدَمَا اصْطَفَّ الْجَيْشَانِ تَرَدَّدَ الْخُفَّاشُ إِلَى أَيِّ جَيْشٍ يَنْضَمُّ؛ قَالَتِ الطُّيُورُ الَّتِي أَبَاحَتْ مُقَامَهُ بَيْنَهَا: «تَعَالَ مَعَنَا.» وَلَكِنَّهُ قَالَ: «إِنَّنِي مِنَ

الْحَيَوَانِ.» وَفِيمَا بَعْدُ كَانَتْ بَعْضُ الْحَيَوَانَاتِ تَمُرُّ مِنْ تَحْتِهِ فَنَظَرَتْ إِلَى أَعْلَى وَقَالَتْ لِلْخُفَّاشِ: «تَعَالَ مَعَنَا.» فَقَالَ لَهَا: «إِنَّمَا أَنَا مِنَ الطَّيْرِ».

وَلِحُسْنِ الْحَظِّ فَقَدْ تَمَّ الصُّلْحُ فِي اللَّحْظَةِ الْأَخِيرَةِ، وَلَمْ تَنْشَبْ أَيُّ مَعْرَكَةٍ. هُنَا ذَهَبَ الْخُفَّاشُ إِلَى الطُّيُورِ وَأَرَادَ أَنْ يُشَارِكَهَا أَفْرَاحَهَا، وَلَكِنَّ الطُّيُورَ جَمِيعًا انْقَلَبَتْ عَلَيْهِ وَأَرْغَمَتْهُ عَلَى أَنْ يَطِيرَ بَعِيدًا، عِنْدَئِذٍ ذَهَبَ إِلَى الْحَيَوَانَاتِ، وَلَكِنَّهُ اضْطُرَّ إِلَى الِانْسِحَابِ وَإِلَّا مَزَّقَتْهُ إِرْبًا إِرْبًا .

قَالَ الْخُفَّاشُ: «الْآنَ أَدْرَكْتُ: مَنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الشَّيْءَ، وَلَا ذَاكَ، فَلَا صَدِيقَ لَهُ».

الْأُيَّلُ وَالصَّيَّادُ

ذَاتَ يَوْمٍ كَانَ الْأُيَّلُ يَشْرَبُ مِنْ بِرْكَةٍ، مُعْجَبًا بِصُورَتِهِ الْفَخْمَةِ الْمُرْتَسِمَةِ بِهَا، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ قَائِلًا: «آهٍ! أَيْنَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَرَى مِثْلَ هَذِهِ الْقُرُونِ الْفَخْمَةِ، بِهَذِهِ الْأَفْرُعِ الْمُتَشَعِّبَةِ؟! وَدِدْتُ لَوْ كَانَتْ لِي أَرْجُلٌ أَكْثَرُ وَجَاهَةً لِكَيْ تَحْمِلَ مِثْلَ هَذَا التَّاجِ الْمَهِيبِ. كَمْ مِنَ الْمُؤْسِفِ أَنَّهَا نَحِيلَةٌ وَهَزِيلَةٌ بِهَذَا الشَّكْلِ»!

فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَقْبَلَ صَيَّادٌ وَصَوَّبَ سَهْمًا جَعَلَ يَصْفِرُ فِي إِثْرِهِ .وَثَبَ الْأُيَّلُ مُبْتَعِدًا، وَفِي الْحَالِ وَبِمَعُونَةِ أَرْجُلِهِ الرَّشِيقَةِ كَانَ قَدِ اخْتَفَى تَقْرِيبًا عَنْ أَعْيُنِ الصَّيَّادِ، إِلَّا أَنَّهُ لِغَفْلَتِهِ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ ذَاهِبًا إِلَيْهِ، فَقَدْ مَرَّ تَحْتَ بَعْضِ أَشْجَارٍ غُصُونُهَا نَابِتَةٌ إِلَى أَسْفَلَ، فَعَلِقَتْ بِهَا قُرُونُهُ الْمُتَفَرِّعَةُ؛ وَمِنْ ثَمَّ أَتَاحَتْ لِلصَّيَّادِ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ. صَاحَ الْأُيَّلُ: «كَمْ ذَا نَسْتَهِينُ بِمَا هُوَ أَنْفَعُ لَنَا»!

الثُّعْبَانُ وَالْمِبْرَدُ

بَيْنَمَا كَانَ الثُّعْبَانُ يَتَجَوَّلُ إِذْ دَخَلَ حَانُوتًا لِلْأَسْلِحَةِ وَالدُّرُوعِ، وَفِيمَا هُوَ يَنْسَابُ عَلَى الْأَرْضِ وَخَزَهُ مِبْرَدٌ مُلْقًى هُنَاكَ، وَفِي ثَوْرَةٍ مِنَ الْغَضَبِ انْقَضَّ الثُّعْبَانُ عَلَى الْمِبْرَدِ وَحَاوَلَ أَنْ يُنْشِبَ فِيهِ أَنْيَابَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُلْحِقَ أَيَّ ضَرَرٍ بِحَدِيدٍ ثَقِيلٍ، وَسُرْعَانَ مَا أَقْلَعَ عَنْ ثَوْرَتِهِ.

غَيْرُ مُجْدٍ أَنْ تُهَاجِمَ مَا لَا يُحِسُّ».

الرَّجُلُ وَالْغَابَةُ

ذَاتَ يَوْمٍ قَدِمَ رَجُلٌ إِلَى الْغَابَةِ وَفِي يَدِهِ نَصْلُ فَأْسٍ، وَتَوَسَّلَ إِلَى الْأَشْجَارِ جَمِيعًا أَنْ تُعْطِيَهُ فَرْعًا صَغِيرًا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِغَرَضٍ مُعَيَّنٍ، كَانَتِ الْأَشْجَارُ كَرِيمَةً فَأَعْطَتْهُ فَرْعًا مِنْ فُرُوعِهَا، فَمَا كَانَ مِنَ الرَّجُلِ إِلَّا أَنْ ثَبَّتَهُ فِي رَأْسِ الْفَأْسِ، وَمَا لَبِثَ أَنْ أَعْمَلَهُ فِي الشَّجَرِ تَقْطِيعًا شَجَرَةً بَعْدَ أُخْرَى.

هُنَالِكَ أَدْرَكَتِ الْأَشْجَارُ كَمْ كَانَتْ حَمْقَاءَ حِينَ مَنَحَتْ عَدُوَّهَا الْوَسِيلَةَ لِتَدْمِيرِهَا!

الْكَلْبُ وَالذِّئْبُ

كَانَ هُنَاكَ ذِئْبٌ هَزِيلٌ يَكَادُ يَمُوتُ مِنَ الْجُوعِ، إِذِ اتَّفَقَ لَهُ أَنْ يَلْتَقِيَ بِكَلْبٍ مَنْزِلِيٍّ كَانَ يَمُرُّ بِهِ. قَالَ الْكَلْبُ: «مَرْحَى يَا ابْنَ الْعَمِّ، إِنَّ حَالَكَ لَا يَخْفَى عَلَيَّ، وَإِنَّ حَيَاتَكَ الْمُتَقَلِّبَةَ تُوشِكُ أَنْ تَقْضِيَ عَلَيْكَ.

لِمَاذَا لَا تَعْمَلُ مَعِيَ بِانْتِظَامٍ مِثْلَمَا أَفْعَلُ، وَتَجِدُ طَعَامًا يُقَدَّمُ لَكَ بِانْتِظَامٍ؟» قَالَ الذِّئْبُ: «مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَمْتَنِعَ، لَوْ أَنِّي وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.» قَالَ الْكَلْبُ: «سَأُدَبِّرُ لَكَ ذَلِكَ بِسُهُولَةٍ. تَعَالَ مَعِي إِلَى سَيِّدِي وَشَارِكْنِي فِي عَمَلِي».

انْطَلَقَ الذِّئْبُ وَالْكَلْبُ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعًا، وَفِي الطَّرِيقِ لَاحَظَ الذِّئْبُ أَنَّ الشَّعْرَ فِي مِنْطَقَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ عُنُقِ الْكَلْبِ كَانَ وَاهِنًا شَدِيدَ التَّلَفِ، فَسَأَلَ الْكَلْبَ كَيْفَ أَلَمَّ بِهِ ذَلِكَ. قَالَ الْكَلْبُ: «لَا شَيْءَ، إِنَّهُ الْمَكَانُ الَّذِي يُوضَعُ عَلَيهِ الطَّوقُ لِأَبْقَى مُسَلْسَلًا بِاللَّيْلِ. إِنَّهُ مُزْعِجٌ بَعْضَ الشَّيْءِ، وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا يَعْتَادُ عَلَيْهِ الشَّخْصُ».

قَالَ الذِّئْبُ: «أَهَذَا كُلُّ شَيْءٍ؟ إِذَنْ مَعَ السَّلَامَةِ يَا سَيِّدُ كَلْبُ».

«أَمُوتُ وَأَنَا حُرٌّ، وَلَا أَكُونُ عَبْدًا سَمِينًا».

الطَّاوُوسُ وَجُونُو

ذَاتَ يَوْمٍ تَقَدَّمَ الطَّاوُوسُ بِعَرِيضَةِ الْتِمَاسٍ إِلَى جُونُو (إِلَهَةِ السَّمَاءِ عِنْدَ الرُّومَانِ) يَطْلُبُ فِيهَا أَنْ تَهَبَهُ صَوْتَ عَنْدَلِيبٍ فَضْلًا عَنْ مَحَاسِنِهِ الْأُخْرَى. وَلَكِنَّ جُونُو رَفَضَتْ طَلَبَهُ. أَلَحَّ الطَّاوُوسُ فِي طَلَبِهِ مُذَكِّرًا إِيَّاهَا أَنَّهُ طَائِرُهَا الْمُفَضَّلُ، فَقَالَتْ جُونُو: «ارْضَ بِنَصِيبِكَ؛ فَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ».

الثَّعْلَبُ وَالْأَسَدُ

عِنْدَمَا شَهِدَ الثَّعْلَبُ الْأَسَدَ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى تَمَلَّكَهُ رُعْبٌ شَدِيدٌ، فَفَرَّ وَاخْتَبَأَ فِي الْغَابِ. أَمَّا فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ فَقَدْ أَتَى قَرِيبًا مِنْ مَلِكِ الْحَيَوَانَاتِ وَوَقَفَ عَلَى مَسَافَةٍ آمِنَةٍ وَشَاهَدَهُ وَهُوَ يَمُرُّ. وَفِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ الَّتِي الْتَقَيَا فِيهَا أَقْبَلَ الثَّعْلَبُ مُبَاشَرَةً إِلَى الْأَسَدِ وَقَضَى مَعَهُ سَحَابَةَ النَّهَارِ يَسْأَلُهُ كَيْفَ حَالُ أُسْرَتِهِ، وَمَتَى سَيَسْعَدُ بِرُؤْيَتِهِ مَرَّةً ثَانِيَةً. ثُمَّ أَدَارَ ذَيْلَهُ وَفَارَقَ الْأَسَدَ دُونَ كَثِيرِ مَرَاسِمَ.

«الْإِلْفُ يَذْهَبُ بِالْهَيْبَةِ».

الشَّجَرَةُ وَالْبُوصَةُ

قَالَتِ الشَّجَرَةُ يَوْمًا لِبُوصَةٍ نَابِتَةٍ عِنْدَ قَاعِدَتِهَا: «حَقًّا أَيَّتُهَا الصَّغِيرَةُ، لِمَاذَا لَا تَغْرِسِينَ أَقْدَامَكِ عَمِيقًا فِي الْأَرْضِ وَتَرْفَعِينَ رَأْسَكِ بِجَرَاءَةٍ فِي الْجَوِّ كَمَا أَفْعَلُ أَنَا؟» قَالَتِ الْبُوصَةُ: «إِنَّنِي رَاضِيَةٌ بِنَصِيبِي، رُبَّمَا لَا أَكُونُ عَظِيمَةً مِثْلَكِ، وَلَكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّنِي أَكْثَرُ أَمَانًا.» قَالَتِ الشَّجَرَةُ سَاخِرَةً: «أَمَانًا؟! مَنْ ذَا الَّذِي يُمْكِنُهُ أَنْ يَقْتَلِعَنِي مِنْ جُذُورِي أَوْ يَثْنِي رَأْسِي إِلَى الْأَرْضِ؟»!

وَلَكِنْ مَا عَتَّمَ أَنْ جَاءَ الْيَوْمُ الَّذِي نَدِمَتْ فِيهِ الشَّجَرَةُ عَلَى غُرُورِهَا؛ فَقَدْ هَبَّتْ عَاصِفَةٌ اقْتَلَعَتْهَا مِنْ جُذُورِهَا وَرَمَتْ بِهَا عَلَى الْأَرْضِ جِذْعًا لَا قِيمَةَ لَهُ، بَيْنَمَا انْحَنَتِ الْبُوصَةُ الصَّغِيرَةُ لِقُوَّةِ الرِّيحِ، فَمَا لَبِثَتْ أَنِ اسْتَوَتْ قَائِمَةً مَرَّةً ثَانِيَةً عِنْدَمَا هَدَأَتِ الْعَاصِفَةُ.

»نِعْمَ الحِصْنُ الخُمُولُ«.

الثَّعْلَبُ وَالْقِطَّةُ

كَانَ الثَّعْلَبُ يُفَاخِرُ الْقِطَّةَ بِوَسَائِلِهِ الذَّكِيَّةِ فِي الْهُرُوبِ مِنْ أَعْدَائِهِ، فَقَالَ لَهَا: «إِنَّ لَدَيَّ طَاقِمًا كَامِلًا مِنَ الحِيَلِ، يَحْتَوِي عَلَى مَائَةِ طَرِيقَةٍ لِلْهُرُوبِ مِنْ أَعْدَائِي.» قَالَتِ الْقِطَّةُ: «أَمَّا أَنَا فَعِنْدِي طَرِيقَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ، وَلَكِنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَصَرَّفَ بِهَا فِي عَامَّةِ الْأَحْوَالِ.» فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِالضَّبْطِ سَمِعَ الِاثْنَانِ نُبَاحَ فِرْقَةٍ مِنْ كِلَابِ الصَّيْدِ قَادِمَةٍ نَحْوَهُمَا، فَفَرَّتِ الْقِطَّةُ عَلَى الْفَوْرِ إِلَى أَعْلَى شَجَرَةٍ وَاخْتَبَأَتْ بَيْنَ أَغْصَانِهَا، وَقَالَتْ لِلثَّعْلَبِ: «هَذِهِ هِيَ خُطَّتِي، فَمَاذَا أَنْتَ فَاعِلٌ؟» أَخَذَ الثَّعْلَبُ يُفَكِّرُ فِي طَرِيقَةٍ أُولَى، ثُمَّ فِي طَرِيقَةٍ ثَانِيَةٍ، وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَدَبَّرُ أَمْرَهُ اقْتَرَبَتِ الْكِلَابُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ إِلَى أَنْ أَمْسَكُوا بِالثَّعْلَبِ وَهُوَ فِي حَيْرَتِهِ وَارْتِبَاكِهِ، وَمَا لَبِثَ الصَّيَّادُونَ أَنْ قَتَلُوهُ.

قَالَتِ السَّيِّدَةُ بُوسِي الَّتِي كَانَتْ تَرْقُبُ مَا حَدَثَ: «طَرِيقَةٌ وَاحِدَةٌ آمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مَائَةِ طَرِيقَةٍ لَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا«.

الْكَلْبُ وَالْمِذْوَدُ

تَطَلَّعَ الْكَلْبُ يَوْمًا إِلَى نَوْمِ الْقَيْلُولَةِ، فَوَثَبَ دَاخِلَ مِذْوَدِ ثَوْرٍ وَرَقَدَ هُنَاكَ عَلَى التِّبْنِ مُسْتَمْتِعًا بِالدِّفْءِ وَالرَّاحَةِ، وَلَكِنْ لَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَوِيلٌ حَتَّى عَادَ الثَّوْرُ مِنْ عَمَلِ الظَّهِيرَةِ وَأَقْبَلَ إِلَى الْمِذْوَدِ وَأَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ بَعْضَ التِّبْنِ. كَانَ ذَلِكَ مُؤَرِّقًا لِلْكَلْبِ، فَنَهَضَ فِي ثَوْرَةِ غَضَبٍ وَأَخَذَ يَنْبَحُ عَلَى الثَّوْرِ، وَكُلَّمَا دَنَا مِنَ التِّبْنِ هَمَّ بِعَضِّهِ.

وَأَخِيرًا يَئِسَ الثَّوْرُ مِنْ بُلُوغِ التِّبْنِ فَانْصَرَفَ مُغَمْغِمًا: آهٍ! كَمْ يَنْفَسُ النَّاسُ عَلَى الْغَيْرِ مَا هُمْ أَنْفُسُهُمْ عَاجِزُونَ عَنِ الِاسْتِمْتَاعِ بِهِ«.

الْقَيْلُولَةُ: نَوْمُ نِصْفِ النَّهَارِ أَوْ الِاسْتِرَاحَةُ فِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَوْمًا.

صَيَّادُ السَّمَكِ

ذَاتَ يَوْمٍ أَخَذَ صَيَّادٌ مَزَامِيرَهُ إِلَى ضِفَّةِ نَهْرٍ، وَأَخَذَ يَعْزِفُ عَلَيْهَا عَلَى أَمَلِ أَنْ يَصْعَدَ السَّمَكُ إِلَى سَطْحِ الْمَاءِ، وَلَكِنْ لَمْ تَخْرُجْ سَمَكَةٌ وَاحِدَةٌ أَنْفَهَا مِنَ الْمَاءِ؛ لِذَا فَقَدْ قَذَفَ شَبَكَتَهُ إِلَى النَّهْرِ وَسُرْعَانَ مَا سَحَبَهَا وَهِيَ مَلِيئَةٌ بِالسَّمَكِ، عِنْدَئِذٍ أَمْسَكَ مَزَامِيرَهُ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَفِيمَا هُوَ يَعْزِفُ كَانَ السَّمَكُ يَتَقَافَزُ فِي الشَّبَكَةِ، فَتَعَجَّبَ الصَّيَّادُ: «أَإِنَّكُمْ لَتَرْقُصُونَ الْآنَ عِنْدَمَا أَعْزِفُ!» فَرَدَّتْ سَمَكَةٌ عَجُوزٌ: «نَعَمْ، فَعِنْدَمَا تَكُونُ فِي قَبْضَةِ إِنْسَانٍ، فَلَا مَنَاصَ لَكَ مِنْ أَنْ تَأْتَمِرَ بِأَمْرِهِ«.

من كتاب الأذكياء ابن الجوزي

ذكر مَا ضَربته الْعَرَب والحكماء مثلا على أَلْسِنَة الْحَيَوَان البهيم مِمَّا يدل على الذكاء

تَقول الْعَرَب احذر من غراب وَيَقُولُونَ قَالَ الْغُرَاب لِابْنِهِ إِذا رميت فتلوص أَي تلوى قَالَ يَا

أَبَت إِنِّي أتلوص قبل أَن أرمي قَالَ الشّعبِيّ مرض الْأسد فعاده السبَاع مَا خلا الثَّعْلَب فَقَالَ الذِّئْب أَيهَا الْملك مَرضت فعادك السبَاع إِلَّا الثَّعْلَب قَالَ فَإِذا حضر فَأَعْلمنِي فَبلغ ذَلِك الثَّعْلَب فجَاء فَقَالَ لَهُ الْأسد يَا أَبَا الْحصين مَرضت فعادني السبَاع كلهم وَلم تعدني أَنْت قَالَ بَلغنِي مرض الْملك فَكنت فِي طلب الدَّوَاء لَهُ قَالَ فَأَي شَيْء أصبت قَالَ قَالُوا لي خرزة فِي سَاق الذِّئْب يَنْبَغِي أَن تخرج فَضرب الْأسد بمخالبه سَاق الذِّئْب فانسل الثَّعْلَب وَخرج فَقعدَ على الطَّرِيق فَمر بِهِ الذِّئْب وَالدَّم يسيل عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ الثَّعْلَب يَا صَاحب الْخُف الْأَحْمَر إِذا قعدت بعد هَذَا عِنْد سُلْطَان فَانْظُر مَا يخرج من رَأسك

* قَالَ الشّعبِيّ أخْبرت أَن رجلا صَاد قنبرة فَلَمَّا صَارَت فِي يَده قَالَت مَا تُرِيدُ أَن تصنع بِي قَالَ أذبحك وآكلك قَالَت مَا أشفي من مرض وَلَا أشْبع من جوع وَلَكِن أعلمك ثَلَاث خِصَال خير لَك من أكلي إِمَّا وَاحِدَة أعلمك وَأَنا فِي يدك وَالثَّانِيَة على الشَّجَرَة وَالثَّالِثَة على الْجَبَل فَقَالَ هَات الْوَاحِدَة قَالَت لَا تلهفن على مَا فاتك قَالَ فَلَمَّا صَارَت على الشَّجَرَة قَالَ لَهَا هَات الثَّانِيَة قَالَت لَهُ لَا تصدق بِمَا لَا يكون أَن يكون فَلَمَّا صَارَت على الْجَبَل قَالَت لَهُ يَا شقي لَو ذبحتني أخرجت من حوصلتي ذرتين فِي كل وَاحِدَة عشرُون مِثْقَالا قَالَ فعض على شَفَتَيْه وتلهف ثمَّ قَالَ لَهَا هَات الثَّالِثَة قَالَت أَنْت قد نسيت اثْنَتَيْنِ فَكيف أحَدثك بالثالثة ألم أقل لَك لَا تلهفن على مَا فاتك وَلَا تصدق بِمَا لَا يكون أَن يكون أَنا وريشي ولحمي لَا أكون عشْرين مِثْقَالا قَالَ وطارت فَذَهَبت .

حَدثنَا عُثْمَان بن عَطاء عَن أَبِيه قَالَ نصب رجل من بني إِسْرَائِيل فخاً من نَاحيَة الطَّرِيق فجَاء عُصْفُور فَسقط ثمَّ انْطلق إِلَى الفخ فَقَالَ للفخ مَالِي أَرَاك متباعداً عَن الطَّرِيق قَالَ اعتزل شرور النَّاس قَالَ فَمَالِي أَرَاك ناحل الْجِسْم قَالَ أنحلتني الْعِبَادَة قَالَ فَمَا هَذَا الْحَبل على عطفيك قَالَ المسوح وَالشعر لبس الرهبان والزهاد قَالَ فَمَا هَذِه الْعَصَا فِي يدك قَالَ أتوكأ عَلَيْهَا قَالَ فَمَا هَذِه الْحبَّة فِي فِيك قَالَ رصدتها لِابْنِ السَّبِيل أَو مُحْتَاج قَالَ فَأَنا ابْن سَبِيل ومحتاج قَالَ فدونك قَالَ فَوضع العصفور رَأسه فِي الفخ فَأخذ بعنقه فَقَالَ العصفور سيق سيق ثمَّ قَالَ لَا غرني بعْدك قَارِئ مرائي مرّة أُخْرَى

* قَالَ مُجَاهِد هَذَا مثل ضربه الله عزّ وجلّ لقِرَاءَة مرائين فِي آخر الزَّمَان قَالَ مَالك بن دِينَار مثل قراء هَذَا الزَّمَان كَمثل رجل نصب فخاً وَنصب فِيهِ برة فجَاء عُصْفُور فَقَالَ مَا غيبك فِي التُّرَاب قَالَ التَّوَاضُع قَالَ لأي شَيْء انْحَلَّت قَالَ من طول الْعِبَادَة قَالَ فَمَا هَذِه الْبرة المنصوبة فِيك قَالَ أعددتها للصائمين فَقَالَ نعم الْخَبَر أَنْت فَلَمَّا كَانَ عِنْد

الْمغرب دنا العصفور ليأخذها فخنقه الفخ فَقَالَ العصفور الْعِبَادَة تخنق كخنقك فَلَا خير حِينَئِذٍ فِي الْعِبَادَة بعد الْيَوْم

* قَالَ حَدثنَا الْمعَافى ابْن زَكَرِيَّا قَالَ زَعَمُوا أَن أسداً وذئباً وثعلباً اصطحبوا فَخَرجُوا يتصيدون فصادوا حمارا وظبياً وأرنباً فَقَالَ الْأسد للذئب أقسم بَيْننَا صيدنا قَالَ الْأَمر أبين من ذَلِك الْحمار لَك والأرنب لأبي لَهُ فَأخذ فِي التحيل فلاح لَهُ ضوء فَنقبَ فَخرج بِهِ إِلَى قَضَاء فتخلص وخلصهما

* قَالَ كَانَ أَبُو أَيُّوب المرزباني وَهُوَ وَزِير الْمَنْصُور إِذا دَعَاهُ يصفر ويرعد فَإِذا خرج من عِنْده عَاد لَونه فَقَالُوا لَهُ إِنَّا نرَاك مَعَ كَثْرَة دخولك إِلَى أَمِير الْمُؤمنِينَ وأنسه بك تَتَغَيَّر إِذا دخلت عَلَيْهِ فَقَالَ مثلي ومثلكم فِي هَذَا مثل بازي وديك تناظرا فَقَالَ الْبَازِي للديك مَا أعرف أقل وَفَاء مِنْك قَالَ وَكَيف قَالَ تُؤْخَذ بَيْضَة فيحضنك أهلك وَتخرج على أَيْدِيهِم فيطعمونك بأكفهم حَتَّى إِذا كَبرت صَار لَا يدنو مِنْك أحد إِلَّا طرت هَهُنَا وَصحت هَهُنَا فَإِن عَلَوْت حَائِطا كنت فِي سِنِين طرت مِنْهَا وتركتها وصرت إِلَى غَيرهَا وَأَنا أوخذ من الْجبَال وَقد كبر سني فأطعم الشَّيْء الْيَسِير وأوثق يَوْمًا أَو يَوْمَيْنِ ثمَّ أطلق على الصَّيْد فأطير وحدي فَآخذهُ وأجيء بِهِ لصاحبي فَقَالَ لَهُ الديك ذهبت عَنْك الْحجَّة أما أَنَّك لَو رَأَيْت بازين فِي سفود مَا عدت إِلَيْهِم أبدا وَأَنا كل وَقت أرى السَّفَافِيد مَمْلُوءَة ديوكاً وأبيت مَعَهم فَأَنا أوفى مِنْك وَلَكِن لَو عَرَفْتُمْ من الْمَنْصُور مَا أعرف لكنتم أَسْوَأ حَالا مني عِنْد طلبه إيَّاكُمْ

قَالُوا وَرَأَتْ الضبع ظَبْيَة على حمَار فَقَالَت أردفيني فأردفتها فَقَالَت مَا أفره حِمَارك ثمَّ سَارَتْ يَسِيرا فَقَالَت مَا أفره حِمَارك فَقَالَت الظبية انزلي قبل أَن تقولي مَا أفره حماري

* قَالُوا وصادت الضبع ثعلباً فَقَالَ الثَّعْلَب مني على أم عَامر فَقَالَت خيرتك خَصْلَتَيْنِ إِمَّا أَن آكلك وَإِمَّا أَن أوكلك فَقَالَ الثَّعْلَب أما تذكرين أم عَامر الَّتِي نكحت فِي دارها فَقَالَت الضبع مَتى ذَا فانفتح فوها فَأَفلَت الثَّعْلَب

* مُعَاوِيَة والظبي لي قَالَ فخبطه الْأسد فاندر رَأسه ثمَّ أقبل على الثَّعْلَب وَقَالَ قَاتله الله مَا أجهله بِالْقِسْمَةِ ثمَّ قَالَ هَات أَنْت قَالَ الثَّعْلَب يَا أَبَا الْحَارِث الْأَمر أوضح من ذَلِك الْحمار لغدائك والظبي لعشائك وتخلل بالأرنب فِي بَين ذَلِك قَالَ الْأسد وَيحك مَا أقضاك من علمك هَذِه الْقَضِيَّة قَالَ رَأس الذِّئْب النَّادِر بَين عَيْني وَذكر الْحُكَمَاء فِي أمثالهم قَالُوا قيل للذئب مَا بالك تعدو أسْرع من الْكَلْب فَقَالَ لِأَنِّي أعدو لنَفْسي وَالْكَلب يعدو لصَاحبه وَذكر أَبُو هِلَال العسكري قَالَ قَالَت الْعَرَب وجدت الضبع تَمْرَة فاختلسها الذِّئْب فلطمته لطمة فتحاكما إِلَى الضَّب فَقَالَت يَا أَبَا

الخسيل قَالَ سميعاً دَعَوْت قَالَت جِئْنَاك نحتكم إِلَيْك قَالَ فِي بَيته يُؤْتى الحكم قَالَت إِنِّي التقطت تَمْرَة قَالَ حلواً جنيت قَالَت إِن الثَّعْلَب أَخذهَا قَالَ حَظّ نَفسه بغى قَالَت لطمته قَالَ أشفيت والبادئ أظلم قَالَت فلطمني قَالَ حر انتصر لنَفسِهِ قَالَت اقضِ بَيْننَا قَالَ قضيت

* قَالُوا حدث الْمُخَاطب حديثين فَإِن لم يفهم فَأَرْبَعَة قَالَ العسكري الْمَعْنى أَن لم يفهم حديثين كَانَ مِمَّن لَا يفهم أَرْبَعَة أقرب قَالَ وَقَالَ بعض الْعلمَاء إِنَّمَا هُوَ فأربع أَي أمسك وَذَلِكَ غلط قَالُوا وصادت حدأة سَمَكَة فهمت ببلعها فَقَالَت لَا تفعلي فَإنَّك إِن أكلتيني لم أشبعك وَلَكِن استحلفيني بِمَا شِئْت إِنَّنِي آتِيك كل يَوْم بِسَمَكَةٍ ففتحت فاها لتحلفها فانسابت مِنْهَا فَقَالَت ارجعي فَقَالَت مَا رَأَيْت فِي مجيئي إِلَيْك خيرا فأعود قَالُوا وَكَانَ رجل فِي صحراء فَعرض لَهُ الْأسد فهرب مِنْهُ فَوَقع فِي بِئْر فَوَقع الْأسد خَلفه فَإِذا فِي الْبِئْر دب فَقَالَ لَهُ الْأسد مُنْذُ كم أَنْت هَهُنَا قَالَ مُنْذُ أَيَّام وَقد قتلني الْجُوع أَنا وَأَنت نَأْكُل هَذَا وَقد شبعنا فَقَالَ الدب فَإِذا عاودنا الْجُوع فَمَا نصْنَع وَإِنَّمَا الرَّأْي أَن نحلف لَهُ أننا لَا نأذيه ليحتال لخلاصنا وخلاصه فَإِنَّهُ أقدر على الْحِيلَة منا فَحَلف

قَالُوا وَأَوْلَمَ طَائِر وَلِيمَة فَأَرْسل يَدْعُو بعض إخوانه فغلط بعض رسله فجَاء إِلَى الثَّعْلَب فَقَالَ أَخُوك يَدْعُوك فَقَالَ السّمع وَالطَّاعَة فَلَمَّا رَجَعَ أخبر الطَّائِر فاضطربت الطُّيُور وَقَالُوا أهلكتنا وعرضتنا للحتف فَقَالَت القنبرة أَنا أصرفه عَنْكُم بحيلة فمضت فَقَالَت أَخُوك يقْرَأ عَلَيْك السَّلَام وَيَقُول لَك الْوَلِيمَة يَوْم الِاثْنَيْنِ فَأَيْنَ تحب أَن يكون مجلسك مَعَ الْكلاب السلوقية أَو مَعَ الْكلاب الكردية فتجرعها الثَّعْلَب وَقَالَ أبلغي أخي السَّلَام وَقَوْلِي لَهُ أَبُو سرُور يُقْرِئك السَّلَام وَلَكِن قد تقدم لي نذر مُنْذُ دهر بِصَوْم الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيس قَالَ أَبُو عُمَيْر الصُّورِي مر تَيْس بزق ففر مِنْهُ فَقَالَ لَهُ الزق تنفر مني مثلك كنت ومثلي تكون قَالَ أَبُو سليم الْخطابِيّ من أمثلتهم قَوْلهم لَا أُرِيد ثوابك اكْفِنِي عذابك وَمثله قَول الشَّاعِر

(كفاني الله شرك يَا خليلي ...
فإمَّا الْخَيْر مِنْك فقد كفاني)

قَالَ أَبُو سُلَيْمَان نظيرة قَوْلهم يدك عني وَأَنا فِي عَافِيَة وأصل هَذَا فِي مَا يتكَلَّم بِهِ النَّاس على أَلْسِنَة الْبَهَائِم أَن فَأْرَة سَقَطت من السّقف فظفرت الْهِرَّة بحملها تَقول بِسم الله عَلَيْك فَقَالَت الْفَأْرَة يدك عني وَأَنا فِي عَافِيَة قَالَ الْمُصَنّف رَحمَه الله سَمِعت عَليّ بن الْحُسَيْن الْوَاعِظ يَحْكِي أَن عِيسَى بن مَرْيَم عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام مر على حَوَّاء يطارد حَيَّة ليأخذها فَقَالَت الْحَيَّة يَا روح الله قل لَهُ لَئِن لم يلْتَفت عني لأضربنه ضربا أقطعه قطعا فَمر عِيسَى عَلَيْهِ

السَّلَام ثمَّ عَاد وَإِذا الْحَيَّة فِي سلته فَقَالَ لَهَا عِيسَى أَلَسْت الْقَائِل كَذَا وَكَذَا فَكيف صرت مَعَه فَقَالَت يَا روح الله إِنَّه حلف لي فلئن غدرني فسم غدره أضرّ عَلَيْهِ من سمي وَالله الْمُوفق للصَّوَاب

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة

فطنة الثعلب

وَمن عَجِيب الفطنة فِي الْحَيَوَان ان الثَّعْلَب إِذا اعوزه الطَّعَام وَلم يجد صيدا تماوت وَنفخ بَطْنه حَتَّى يحسبه الطير مَيتا فَيَقَع عَلَيْهِ ليَأْكُل مِنْهُ فيثب عَلَيْهِ الثَّعْلَب فَيَأْخذهُ

الذبابة

وَمن عَجِيب الفطنة فِي هَذِه الذبابة الْكَبِيرَة الَّتِي تسمى اسد الذُّبَاب فَإنَّك ترَاهُ حِين يحس بالذباب قد وَقع قَرِيبا مِنْهُ يسكن مَلِيًّا حَتَّى كَأَنَّهُ موَات لَا حراك فِيهِ فَإِذا رأى الذُّبَاب قد اطْمَأَن وغفل عَنهُ دب دبيبا رَفِيقًا حَتَّى يكون مِنْهُ بِحَيْثُ يَنَالهُ ثمَّ يثب عَلَيْهِ فَيَأْخذهُ

العنكبوت

وَمن عَجِيب حيل العنكبوت انه ينسج تِلْكَ الشبكة شركا للصَّيْد ثمَّ يكمن فِي جوفها فَإِذا نشب فِيهَا البرغش والذباب وثب عَلَيْهِ وامتص دَمه فَهَذَا يَحْكِي صيد الاشراك والشباك والاول يَحْكِي صيد الْكلاب والفهود وَلَا تزدرين الْعبْرَة بالشَّيْء الحقير من الذّرة والبعوض فَإِن الْمَعْنى النفيس يقتبس من الشَّيْء الحقير والازدراء بذلك مِيرَاث من الَّذين استنكرت عُقُولهمْ ضرب الله تَعَالَى فِي كِتَابه الْمثل بالذباب وَالْعَنْكَبُوت وَالْكَلب وَالْحمار فَأنْزل الله تَعَالَى {إِن الله لَا يستحيي أَن يضْرب مثلا مَا بعوضة فَمَا فَوْقهَا} فَمَا أغزر الحكم وأكثرها فِي هَذِه الْحَيَوَانَات الَّتِي تزدريها وتحتقرها وَكم من دلَالَة فِيهَا على الْخَالِق ولطفه وَرَحمته وحكمته فسل الْمُعَطل من الهمها هَذِه الْحِيَل والتلطف فِي اقتناص صيدها الَّذِي جعل قوتها وَمن جعل هَذِه الْحِيَل فِيهَا بدل مَا سلبها من الْقُوَّة وَالْقُدْرَة فأغناها مَا اعطاها من الْحِيلَة عَمَّا سلبها من الْقُوَّة وَالْقُدْرَة سوى اللَّطِيف الْخَبِير

جسم الطائر

ثمَّ تَأمل جسم الطَّائِر وخلقته فَإِنَّهُ حِين قدر بَان يكون طائرا فِي الجو خفف جِسْمه وادمج خلقته وَاقْتصر بِهِ من القوائم الاربع على اثْنَتَيْنِ وَمن الاصابع الْخمس على ارْبَعْ وَمن مخرج الْبَوْل والزبل على وَاحِد يجمعهما جَمِيعًا ثمَّ خلق ذَا جؤجؤ مُحَدد ليسهل عَلَيْهِ اختراق الْهَوَاء كَيفَ توجه فِيهِ كَمَا يَجْعَل صدر السَّفِينَة بِهَذِهِ الْهَيْئَة ليشق المَاء بِسُرْعَة وتنفذ فِيهِ وَجعل فِي جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بهَا للطيران وكسى جِسْمه كُله الريش ليتداخله الْهَوَاء فيحمله وَلما قدر ان يكون طَعَامه اللَّحْم وَالْحب يبلعه بلعا بِلَا مضغ نقص من

خلقه الاسنان وَخلق لَهُ منقار صلب يتَنَاوَل بِهِ طَعَامه فَلَا يتفسخ من لقط الْحبّ وَلَا يتعقف من نهش اللَّحْم وَلما عدم الاسنان وَكَانَ يزدرد الْحبّ صَحِيحا وَاللَّحم غريضا اعين بِفضل حرارة فِي الْجوف تطحن الْحبّ وتطبخ اللَّحْم فاستغنى عَن المضغ وَالَّذِي يدلك على قُوَّة الْحَرَارَة الَّتِي اعين بهَا انك ترى عجم الزَّبِيب وَأَمْثَاله يخرج من بطن الانسان صَحِيحا وينطبخ فِي جَوف الطَّائِر حَتَّى لَا يرى لَهُ اثر ثمَّ اقْتَضَت الْحِكْمَة ان جعل يبيض بيضًا وَلَا يلد ولادَة لِئَلَّا يثقل عَن الطيران فَإِنَّهُ لَو كَانَ مِمَّا يحمل وَيمْكث حمله فِي جَوْفه حَتَّى يستحكم ويثقل لأثقله وعاقه عَن النهوض والطيران وَتَأمل الْحِكْمَة فِي كَون الطَّائِر الْمُرْسل السائح فِي الجو يلهم صَبر نَفسه اسبوعا اَوْ اسبوعين باخْتِيَارِهِ قَاعِدا على بيضه حاضنا لَهُ وَيحْتَمل مشقة الْحَبْس ثمَّ إِذا خرج فِرَاخه تحمل مشقة الْكسْب وَجمع الْحبّ فِي حوصلته وبزق فِرَاخه وَلَيْسَ بِذِي روية وَلَا فكرة فِي عَاقِبَة امْرَهْ وَلَا يؤمل فِي فِرَاخه مَا يؤمل الانسان فِي وَلَده من العون والرفد وَبَقَاء الذّكر فَهَذَا من فعله يشْهد بِأَنَّهُ مَعْطُوف على فِرَاخه لعِلَّة لَا يعلمهَا هُوَ وَلَا يفكر فِيهَا من دوَام النَّسْل وبقائه

خلق البيض

ثمَّ تَأمل خلقَة الْبَيْضَة وَمَا فِيهَا من المخ الاصفر الخاثر وَالْمَاء الابيض الرَّقِيق فبعضه ينشأ مِنْهُ الفرخ وَبَعضه يغتذى مِنْهُ إِلَى ان يخرج من الْبَيْضَة وَمَا فِي ذَلِك من الْحِكْمَة فَإِنَّهُ لما كَانَ نشو الفرخ فِي تِلْكَ الْبشرَة المنخفضة الَّتِي لَا نَفاذ فِيهَا للواصل من خَارج جعل مَعَه فِي جَوف الْبَيْضَة من الْغذَاء مَا يَكْتَفِي بِهِ الى خُرُوجه

حوصلة الطير

وَتَأمل الْحِكْمَة فِي حوصلة الطَّائِر وَمَا قدرت لَهُ فَإِن فِي مَسْلَك الطَّعَام الى القابضة ضيق لَا ينفذ فِيهِ الطَّعَام إِلَّا قَلِيلا فَلَو كَانَ الطَّائِر لَا يلتقط حَبَّة ثَانِيَة حَتَّى تصل الاولى الى جَوْفه لطال ذَلِك عَلَيْهِ فَمَتَى كَانَ يَسْتَوْفِي طَعَامه وَإِنَّمَا يختلسه اختلاسا لشدَّة الحذر فَجعلت لَهُ الحوصلة كالمخلاة الْمُعَلقَة امامه ليوعى فِيهَا مَا ازدرد من الطّعْم بِسُرْعَة ثمَّ ينْقل الى القابضة على مهل وَفِي الحوصلة ايضا خصْلَة اخرى فَإِن من الطير مَا يحْتَاج الى ان يزق فِرَاخه فَيكون رده الطّعْم من قرب ليسهل عَلَيْهِ

الألوان والاصباغ

ثمَّ تَأمل هَذِه الالوان والاصباغ والوشى الَّتِي ترَاهَا فِي كثير من الطير كالطاووس والدراج وَغَيرهمَا الَّتِي لَو خطت بدقيق الاقلام ووشيت بالايدي لم يكن هَذَا فَمن ايْنَ فِي الطبيعة الْمُجَرَّدَة هَذَا التشكيل والتخطيط والتلوين والصبغ العجيب الْبَسِيط والمركب الَّذِي لَو اجْتمعت الخليقة على ان يحاكوه لتعذر عَلَيْهِم فَتَأمل ريش الطاووس كَيفَ هُوَ

فَإِنَّك ترَاهُ كنسج الثَّوْب الرفيع من خيوط رفاع جدا قد ألف بَعْضهَا الى بعض كتأليف الْخَيط الى الْخَيط بل الشعرة الى الشعرة ثمَّ ترى النسج إِذا مددته ينفتح قَلِيلا قَلِيلا وَلَا ينشق ليتداخله الْهَوَاء فينقل الطَّائِر إِذا طَار فترى فِي وسط الريشة عمودا غليظا متينا قد نسج عَلَيْهِ ذَلِك الثَّوْب الَّتِي كَهَيئَةِ الشّعْر ليمسكه بصلابته وَهُوَ القصبة الَّتِي تكون فِي وسط الريشة وَهُوَ مَعَ ذَلِك اجوف يشْتَمل على الْهَوَاء فَيحمل الطَّائِر فَأَي طبيعة فِيهَا هَذِه الْحِكْمَة والخبرة واللطف ثمَّ لَو كَانَ ذَلِك فِي الطبيعة كَمَا يَقُولُونَ لكَانَتْ من ادل الدَّلَائِل واعظم الْبَرَاهِين على قدرَة مبدعها ومنشئها وَعلمه وحكمته فَإِنَّهُ لم يكن ذَلِك لَهَا من نَفسهَا بل إِنَّمَا هُوَ لَهَا مِمَّن خلقهَا وأبدعها فَمَا كذبه الْمُعَطل هُوَ أُحُدُ الْبَرَاهِين والايات الَّتِي على مثله يزْدَاد إِيمَان الْمُؤمنِينَ وَهَكَذَا آيَات الله يضل بهَا من يَشَاء وَيهْدِي من يَشَاء

* تَأمل هَذَا الطَّائِر الطَّوِيل السَّاقَيْن وَأعرف الْمَنْفَعَة فِي طول سَاقيه فَإِنَّهُ يرْعَى أَكثر مرعاه فِي ضحضاح المَاء فتراه يركز على سَاقيه كانه دست فَوق مركب ويتأمل مَا دب فِي المَاء فَإِذا رأى شَيْئا من حَاجته خطا خطوا رَفِيقًا حَتَّى يتَنَاوَلهُ وَلَو كَانَ قصير القائمتين كَانَ إِذا خطا نَحْو الصَّيْد ليأخذه لصق بَطْنه بِالْمَاءِ فيثيره ويذعر الصَّيْد مِنْهُ فيفر فخلف لَهُ ذَلِك العمودان ليدرك بهما حَاجته وَلَا يفسدعليه مطلبه وكل طَائِر فَلهُ نصيب من طول السَّاقَيْن والعنق ليمكنه تنَاول الطّعْم من الارض وَلَو طَال ساقاه وَقصرت عُنُقه لم يُمكنهُ ان يتَنَاوَل شَيْئا من الارض وَرُبمَا اعين مَعَ عُنُقه بطول المناقير لِيَزْدَادَ مطلبه سهولة عَلَيْهِ وامكانا ثمَّ تَأمل هَذِه العصافير كَيفَ تطلب اكلها بِالنَّهَارِ كُله فَلَا هِيَ تفقده وَلَا هِيَ تَجدهُ مجموعا معدا بل تناله بالحركة والطلب فِي الْجِهَات والنواحي فسبحان الَّذِي قدره ويسره كَيفَ لم يَجعله ممايتعذر عَلَيْهَا إِذا التمسته ويفوتها إِذا قعدت عَنهُ وَجعلهَا قادرة عَلَيْهِ فِي كل حِين واوان بِكُل ارْض وَمَكَان حَتَّى من الجدران والاسطحة والسقوف تنَاوله بالهوينا من السَّعْي فَلَا يشاركها فِيهِ غير بني جِنْسهَا من الطير وَلَو كَانَ ماتقتات بِهِ يُوجد معدا مجموعا كُله كَانَت الطير تشاركها فِيهِ وتغلبها عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ لَو وجدته معدا مجموعا لاكبت عَلَيْهِ بحرص ورغبة فَلَا تقلع عَنهُ وَإِن شبعت حَتَّى تبشم وتهلك وَكَذَلِكَ النَّاس لَو جعل طعامهم معدا لَهُم بِغَيْر سعي وَلَا تَعب ادى ذَلِك الى الشره والبطنة ولكثر الْفساد وعمت الْفَوَاحِش وَالْبَغي فِي الارض فسبحان اللَّطِيف الْخَبِير الَّذِي لم يخلق شَيْئا سدى وَلَا عَبَثا وَانْظُر فِي هَذِه الطير الَّتِي لَا تخرج الا بِاللَّيْلِ كالبوم والهام والخفاش فَإِن أقواتها هيئت لَهَا فِي الجو لَا من الْحبّ وَلَا من اللَّحْم بل من البعوض والفراش وأشباهها

مِمَّا تلقطه من الجو فتاخذ مِنْهُ بِقدر الْحَاجة ثمَّ تأوى الى بيوتها فَلَا تخرج الى مثل ذَلِك الْوَقْت بِاللَّيْلِ وَذَلِكَ ان هَذِه الضروب من البعوض والفراش وأشباههما مبثوثة فِي الجو لَا يكَاد يخلوا مِنْهَا مَوضِع مِنْهُ وَاعْتبر ذَلِك بَان نضع سِرَاجًا بِاللَّيْلِ فِي سطح اَوْ عرصه الدَّار فيجتمع عَلَيْهِ من هَذَا

ضَّرْب شَيْء كثير وَهَذَا الضَّرْب من الْفراش وَنَحْوهَا نَاقص الفطنة ضَعِيف الْحِيلَة لَيْسَ فِي الطير اضعف مِنْهُ وَلَا اجهل وَفِيمَا يرى من تهافته فِي النَّار وانت تطرده عَنْهَا حَتَّى يحرق نَفسه دَلِيل على ذَلِك فَجعل معاش هَذِه الطُّيُور الَّتِي تخرج بِاللَّيْلِ من هَذَا الضَّرْب فتقتات مِنْهُ فَإِذا أَتَى النَّهَار انْقَطَعت الى اوكارها فالليل لَهَا بِمَنْزِلَة النَّهَار لغَيْرهَا من الطير ونهارها بِمَنْزِلَة ليل غَيرهَا وَمَعَ ذَلِك فساق لَهَا الَّذِي تكفل بارزاق الْخلق رزقها وخلقه لَهَا فِي الجو وَلم يَدعهَا بِلَا رزق مَعَ ضعفها وعجزها وَهَذِه إِحْدَى الحكم والفوائد فِي خلق هَذِه الْفراش وَالْجنَادِب والبعوض فكم فِيهَا من رزق لَامة تسبح بِحَمْد رَبهَا وَلَوْلَا ذَلِك لانتشرت وكثرتحتى اضرت بِالنَّاسِ ومنعتهم الْقَرار فَانْظُر الى عَجِيب تَقْدِير الله وتدبيره كَيفَ اضْطر الْعُقُول الى ان شهِدت بربوبيته وَقدرته وَعلمه وحكمته وان ذَلِك الَّذِي تشاهده لَيْسَ بِاتِّفَاق وَلَا بإهمال من سَائِر وُجُوه الادلة الَّتِي لَا تتمكن الْفطر من

جَحدهَا اصلا وَإِذ قد جرى الْكَلَام الى الخفاش فَهُوَ من الْحَيَوَانَات العجيبة الْخلقَة بَين خلقَة الطُّيُور وَذَوَات الاربع وَهُوَ الى ذَوَات الاربع اقْربْ فَإِنَّهُ ذُو اذنين ناشزتين واسنان ودبر وَهُوَ يلد ولدا ويرضع وَيَمْشي على ارْبَعْ وكل هَذِه صفة ذَوَات الاربع وَله جَنَاحَانِ يطير بهما مَعَ الطُّيُور وَلما كَانَ بَصَره يضعف عَن نور الشَّمْس كَانَ نَهَاره كليل غَيره فَإِذا غَابَتْ الشَّمْس انْتَشَر وَمن ذَلِك سمى ضَعِيف الْبَصَر اخفش والخفش ضعف الْبَصَر وَلما كَانَ كَذَلِك جعل قوته من هَذِه الطُّيُور الضِّعَاف الَّتِي لَا تطير الا بِاللَّيْلِ وَقد زعم بعض من تكلم فِي الْحَيَوَان انه لَيْسَ يطعم شَيْئا وَإِنَّمَا غذاؤه من النسيم الْبَارِد فَقَط وَهَذَا كذب عَلَيْهِ وعَلى الْخلقَة لانه يَبُول وَقد تكلم الْفُقَهَاء فِي بَوْله هَل هُوَ نجس لانه بَوْل غير مَأْكُول اَوْ نجس مَعْفُو عَن يسيره لمَشَقَّة التَّحَرُّز مِنْهُ على قَوْلَيْنِ هما رِوَايَتَانِ عَن احْمَد وَبَعض الْفُقَهَاء لَا ينجس بَوْله بِحَال وَهَذَا اقيس الاقوال إِذْ لَا نَص فِيهِ وَلَا يَصح قِيَاسه على الابوال النَّجِسَة لعدم الْجَامِع الْمُؤثر ووضوح الْفرق وَلَيْسَ هَذَا مَوضِع اسْتِيفَاء الْحجَج فِي هَذِه المسئلة من الْجَانِبَيْنِ وَالْمَقْصُود انه لَو كَانَ لَا ياكل شَيْئا لم يكن لَهُ اسنان اذ لَا معنى للاسنان فِي حق من لَا ياكل شَيْئا وَلِهَذَا لما عدم الطِّفْل الرَّضِيع الاكل لم يُعْط الاسنان فَلَمَّا كبر وَاحْتَاجَ للغذاء اعين عَلَيْهِ بالاسنان الَّتِي

تقطعه والاضراس الَّتِي تطحنه وَلَيْسَ فِي الخليقة شَيْء مهمل وَلَا عَن الْحِكْمَة بمعطل وَلَا شَيْء لَا معنى لَهُ واما الحكم وَالْمَنَافِع فِي خلق الخفاش فقد ذكر مِنْهَا الاطباء فِي كتبهمْ مَا انْتَهَت اليه معرفتهم حَتَّى ان بَوْله يدْخل فِي بعض الاكحال فَإِذا كَانَ بَوْله الَّذِي لَا يخْطر بالبال فِيهِ مَنْفَعَة الْبَتَّةَ فَمَا الظَّن بجملته وَلَقَد اخبر بعض من اشْهَدْ بِصَدقَة انه رأى رخلا وَهُوَ طَائِر مَعْرُوف قد عشش فِي شَجَرَة فَنظر الى حَيَّة عَظِيمَة قد أَقبلت نَحْو عشه فَإِنَّهُ يرْعَى أَكثر مرعاه فِي ضحضاح المَاء فتراه يركز على سَاقيه كانه دست فَوق مركب ويتأمل مَا دب فِي المَاء فَإِذا رأى شَيْئا من حَاجته خطا خطوا رَفِيقًا حَتَّى يتَنَاوَلهُ وَلَو كَانَ قصير القائمتين كَانَ إِذا خطا نَحْو الصَّيْد ليأخذه لصق بَطْنه بِالْمَاءِ فيثيره ويذعر الصَّيْد مِنْهُ فيفر فخلف لَهُ ذَلِك العمودان ليدرك بهما حَاجته وَلَا يفسدعليه مطلبه وكل طَائِر فَلهُ نصيب من طول السَّاقَيْن والعنق ليمكنه تنَاول الطّعْم من الارض وَلَو طَال ساقاه وَقصرت عُنُقه لم يُمكنهُ ان يتَنَاوَل شَيْئا من الارض وَرُبمَا اعين مَعَ عُنُقه بطول المناقير لِيَزْدَادَ مطلبه سهولة عَلَيْهِ وامكانا ثمَّ تَأمل هَذِه العصافير كَيفَ تطلب اكلها بِالنَّهَارِ كُله فَلَا هِيَ تفقده وَلَا هِيَ تَجدهُ مجموعا معدا بل تناله بالحركة والطلب فِي الْجِهَات والنواحي فسبحان الَّذِي قدره ويسره كَيفَ لم يَجعله ممايتعذر عَلَيْهَا إِذا التمسته ويفوتها إِذا قعدت عَنهُ وَجعلهَا قادرة عَلَيْهِ فِي كل حِين واوان بِكُل ارْض وَمَكَان حَتَّى من الجدران والاسطحة والسقوف تنَاوله بالهوينا من السَّعْي فَلَا يشاركها فِيهِ غير بني جِنْسهَا من الطير وَلَو كَانَ ماتقتات بِهِ يُوجد معدا مجموعا كُله كَانَت الطير تشاركها فِيهِ وتغلبها عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ لَو وجدته معدا مجموعا لاكبت عَلَيْهِ بحرص ورغبة فَلَا تقلع عَنهُ وَإِن شبعت حَتَّى تبشم وتهلك وَكَذَلِكَ النَّاس لَو جعل طعامهم معدا لَهُم بِغَيْر سعي وَلَا تَعب ادى ذَلِك الى الشره والبطنة ولكثر الْفساد وعمت الْفَوَاحِش وَالْبَغي فِي الارض فسبحان اللَّطِيف الْخَبِير الَّذِي لم يخلق شَيْئا سدى وَلَا عَبَثا وَانْظُر فِي هَذِه الطير الَّتِي لَا تخرج الا بِاللَّيْلِ كالبوم والهام والخفاش فَإِن أقواتها هيئت لَهَا فِي الجو لَا من الْحبّ وَلَا من اللَّحْم بل من البعوض والفراش وأشباهها مِمَّا تلقطه من الجو فتاخذ مِنْهُ بِقدر الْحَاجة ثمَّ تأوى الى بيوتها فَلَا تخرج الى مثل ذَلِك الْوَقْت بِاللَّيْلِ وَذَلِكَ ان هَذِه الضروب من البعوض والفراش وأشباههما مبثوثة فِي الجو لَا يكَاد يخلوا مِنْهَا مَوضِع مِنْهُ وَاعْتبر ذَلِك بَان نضع سِرَاجًا بِاللَّيْلِ فِي سطح اَوْ عرصه الدَّار فيجتمع عَلَيْهِ من هَذَا



حياتي
قبل الحياة

الحفل
بالقط الأسود

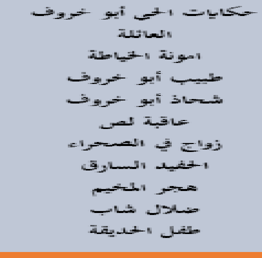
الشقق السوداء

حكايات
الحي أبو خروف





















قصص المصباح المضيء



١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غريتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الحفل بالقط الأسود	١٠	الشقق السوداء
١١	حياتي قبل الحياة	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	

قصص وحكايات الفوارس

١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جنر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بريار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك



موت
جبل بن مجدو
العقرب الأحمر











